

من الفناء إلى البقاء

محاولة لإعادة بناء علوم التصوف

الجزء الأول
الوعي الموضوعي



حسن حنفي

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

محاولة لإعادة بناء علوم التصوف

تأليف

حسن حنفي



من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

حسن حنفي

الناشر مؤسسة هنداوي

المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شبيث ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة

تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: ليلي يسري

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٣٦٤١ ٤

صدر هذا الكتاب عام ٢٠٠٩.

صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٤.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة للسيد الدكتور حسن حنفي.

المحتويات

٧	إهداء
٩	المقدمة
٣٣	الباب الأول: الوعي التاريخي
٣٥	أولاً: تشكل الوعي التاريخي
١٥٧	ثانياً: الوعي التاريخي الخالص
١٧٥	ثالثاً: الوعي التاريخي الموضوعي
١٩١	الباب الثاني: الوعي النظري
١٩٣	أولاً: مقدمة: تطور الوعي النظري
١٩٥	ثانياً: من المعرفة إلى الوجود
٢٥٧	ثالثاً: تقنين المصطلح
٢٦٧	رابعاً: مناهج التفسير
٣١١	خامساً: الأشكال الأدبية
٣٥٣	خامساً: تناثر البنية
٣٧٣	سادساً: الشروح والتعليقات والملخصات
٤٤٧	الباب الثالث: الوعي العملي
٤٤٩	أولاً: العودة إلى التاريخ
٤٨١	ثانياً: العودة إلى علم الكلام
٥٢١	ثالثاً: العودة إلى العلوم النقلية

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

٥٦١	رابعًا: علوم الحديث والسيرة
٦٢٣	خامسًا: الاغتراب في السحر والخرافة
٦٣٧	سادسًا: المناقب والكرامات
٦٨٧	سابعًا: الطريق، والطريقة، والشيخ والمريد، والمجتمع المثالي
٧٧٥	الباب الرابع: الوعي العلمي
٧٧٧	أولًا: مقاييس التصنيف
٨١٥	ثانيًا: علوم الوقت
٨٦٧	ثالثًا: علوم التصوف

إهداء

إلى كل مشايخ الطرق الصوفية
كي يعودوا إلى العالم من جديد.

حسن حنفي

المقدمة

(١) «من النص إلى الواقع» إلى «الفناء والبقاء»

جرت العادة على النقد الذاتي المستمر، من عمل إلى عمل، ومن محاولة إلى محاولة، بغيةً لمزيد من الكمال والإحكام، أخذًا بعين الاعتبار ما وُجه من نقدٍ رصين. فالإنسان ما زال يطلب العلم، فإذا ظن أنه علم فقد جهل.^١ لم يكن النقد الموجه إلى «من النص إلى الواقع» كبيرًا نظرًا لإحكام الموضوع ولأن علم أصول الفقه بذاته أكثر العلوم إحكامًا، وأقلها عرضة للنقد، وربما ما زال مبكرًا. فلم تُعقد عليه إلا ندوة واحدة بالرغم من الاعتزاز به وتقديره. فلم يُقرأ بعد من الأصوليين والعلماء بالرغم من إعجابهم به وتقديرهم لصاحبه. وربما لأنه لم يظهر من خلال أجهزة الإعلام، موطن الشهرة الزائفة والمزايدة والتضحية بالموضوع وصاحبه من أجل الإثارة والسبق الصحفي. وربما خوف العلماء منه والذين تعودوا على التجريح والاستبعاد لعلميته ورسالته. وربما لحرص المسؤولين الرسميين حتى لا يوافقوا على ما لا توافق عليه المؤسسات الدينية التابعة للدولة ونظامها السياسي. وربما خوفًا من النقاش العلمي الجاد بعد أن تعودوا على عموميات الإعلام وادعاءات التجديد والأفكار النمطية السابقة.^٢

^١ «من العقيدة والثورة» إلى «النقل والإبداع»، «من النقل والإبداع» إلى «النص والواقع»، من النقل إلى الإبداع، مج ١، ج ١، ص ٧-٢٠؛ «من النص إلى الواقع»، ج ١، تكوين النص، ص ٥-١٧.

^٢ عُقدت هذه الندوة بالمجلس الأعلى للثقافة بعد أن تأجلت من يونيو ٢٠٠٦م إلى سبتمبر وغاب عنها الكثير من العلماء المرموقين، وحضر القليل من الزملاء خاصة من كلية دار العلوم وحقوق الإسكندرية، فلهم منا خالص التقدير.

ومع ذلك يمكن ممارسة النقد الذاتي على «من النص إلى الواقع». فالعيب لا يظهر إلا بعد الاكتمال. والجنين لا يبدو إلا بعد الولادة. والممكن أكثر غنى من الواقع. وما بالقوة أكثر اتساعاً مما بالفعل. والمؤلف هو الناقد بالأصالة. والمبدع هو الذي يعلم حدود الإبداع. والأم أقدر على وصف معاناة الولادة من المولد.

(أ) كان الهدف من الجزء الأول «تكوين النص» تفكيك النص الأصولي القديم، وبيان أنه لا يوجد نص ثابت خالد أبدي واحد عبر كل العصور. تتعدد قواعده وأصوله. بنيته متحركة داخل النص الأصولي السني والشيعي على حدٍّ سواء. كان القصد «تحريك النص» من جديد وهو عنوان الفصل عن النص الأصولي الشيعي.^٢ لذلك كثر حضور النص بعد ترتيبه زمانياً لبيان تغير القواعد والأصول التي يُبنى عليها العلم عبر الزمان مما يسمح بتطويره مرة أخرى طبقاً لهذا العصر. فيتحرك النص من جديد عبر التاريخ. كان الهدف هو القضاء على تكلس النص وثباته بل وقديسيته، والعودة إلى الاجتهاد البشري في إبداع النصوص. كان الهدف هو هز سلطة القدماء التي ما زالت أحد أسباب توقُّف حركة العلم، بالإضافة إلى إحساس المحدثين بالدونية أمامهم، فلم يترك السلف للخلف شيئاً. كان الهدف إثبات أن النص الأصولي ليس نصاً ثابتاً أبدياً أزلياً إلى آخر الزمان، بل هو نص تاريخي حتمته ظروف كل عصر ومستواه الثقافي. فقد خرج التراث كله من حيز التاريخ إلى الإطلاق. وتحول من اجتهادات الأجيال المتتالية إلى مقدس خارج الزمان نظراً لعجز الأجيال المتأخرة عن التواصل معه واستثنائه وكتابة نصوص جديدة دون الاكتفاء بدراسة النصوص القديمة وعرضها وتكرارها بعد أن انفصل الذات الدارس عن الموضوع المدروس، وتحول إلى مستشرق ينظر إلى موضوع مغاير له وليس مسئولاً عنه. تمايز بينه وبين تراثه ولم يتوحد معه. فتكلس التراث وتشبَّه وتحجَّر، وأصبح قديماً يدرسه المحدثون. ومع ذلك جاء الجزء الأول «تكوين النص» علمياً للغاية، تاريخياً صريحاً، لا يظهر فيه التجديد بوضوح، أقرب إلى القدماء منه إلى المحدثين، ثقیل في القراءة، ممل الاستيعاب. يُظهر صاحبه عالماً لا مجدداً، مؤرخاً لا أصولياً، يعرض القدماء ولا يخاطب المحدثين. كان السبب هو الرغبة في تسوية الأرض أولاً قبل الزرع، وحفر التربة وتقليبها قبل البذر، فما جدوى بناء جديد على أرض لم تسوّ؟ وقد قامت محاولات قبل ذلك لإعادة

^٢ من النص إلى الواقع، ج ١، تكوين النص، الفصل الرابع: تحريك البنية، ص ٢٤٥-٢٤٣.

البناء دون تسوية من القدماء المتأخرين ومن المحدثين المعاصرين، فسرعان ما انهار البناء.^٤

(ب) كان مفهوم البنية وتعدد قواعدها هو المفهوم السائد الذي على أساسه تم تقسيم الأصول، غياب البنية أو حضورها، احتجابها أو ظهورها، أحادية أو ثنائية أو ثلاثية أو رباعية ... إلخ. لم يستعمل لفظ البنية بمعنى المحدثين عند البنيويين.^٥ كان له معنى عام وشائع في اللغة المتداولة.^٦ كان يعني فقط الأصول أو القواعد التي يُبنى عليها العلم. هي البنية الظاهرية وليست البنية الباطنية، بنية النص وليست بنية الفكر، بنية القول وليست بنية الرؤية، بنية التعبير وليست بنية المعنى، فتعددت البنيات بين الكثير والقليل، بين الدال على الفكر وغير الدال الذي يكتفي برصد الموضوعات في أبواب وفصول وأقسام وأجزاء. غابت أولاً ثم حضرت ثانياً ثم غابت ثالثاً. منها ما كان تقليداً واتباعاً مثل كثير من النصوص التي تتكاثر فيها الأقسام والأجزاء، ومنها ما كان اجتهاداً واتباعاً مثل البنية الرباعية في «الموافقات». منها ما كان لاشعورياً ودون قصد بل مجرد إحصاء لترتيب الأبواب، ومنها ما كان شعورياً عن قصد ولو عن طريق الصورة الفنية مثل «المستقصى»، عن صورة الثمرة والمستثمر، والمستثمر وطرق الاستثمار. تكاثرت فصول البنيان بعد أن تعددت وأصبح من الصعب فهم دلالاتها. كان المقصود هو بيان عدم وجود بنية واحدة ثابتة للعلم مما يسمح بإدخال البنية الثلاثية.

وقد تم اختيار البنية الثلاثية التي قام عليها الجزء الثاني «بنية النص»، وليس الرباعية في «المستقصى». وهي البنية التي قامت عليها متون أصولية أخرى عديدة ابتداءً من «الرسالة» وانتهاءً إليها.^٧ وهي بنية تكشف عن التطابق بين بنية النص (المصادر الشرعية الأربعة، ومباحث الألفاظ، والأحكام الشرعية) وبنية الوعي التاريخي والوعي النظري والوعي العملي.

^٤ على سبيل المثال «مقاصد الشريعة ومكارمها» لعلال الفاسي، و«تفعيل مقاصد الشريعة» لجمال الدين عطية.

^٥ وهو المعنى الذي يناقشه محمد عابد الجابري في مقدمة «بنية العقل العربي»، محمد عابد الجابري: بنية العقل العربي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ص ١٩.

^٦ من النص إلى الواقع، ج ١، تكوين النص، رابعاً: البنية الثلاثية، ص ٥٤-٦٨.

^٧ من النقل إلى الإبداع، مج ١، ص ٤٠-٥٤، التدوين، مقدمة، رابعاً: مناهج الدراسة لعلوم الحكمة، (١) المنهج التاريخي والمنهج البنيوي، (٢) منهج التحليل المضمون.

(ج) كان الجزء الأول «تكوين النص» بمثابة التمهيد للجزء الثاني «بنية النص». كان هو «البولدوزر» الذي يسوي الأرض بدلاً من إقامة الجزء الثاني على نتوءات أو منخفضات لم يتم تسويتها من قبل وإلا انهيار البناء الجديد. كان الهدف من الجزء الأول هو تحرير الوعي الأصولي من ثقل التاريخ حتى يستطيع أن يقبل النص الأصولي الجديد ويتفهمه بعقل حر دون خوف من القدماء المجتهدين أو قهر من المحدثين المقلدين.

ومع ذلك كان «البولدوزر» بطيء الحركة، ضعيف الصوت، هادئ المعول، لا يجرف الكثير. كان مجرد تحريك للتربة دون دكها. كان يعمل دون صخب ودوي ربما لعزوف صاحبه عن الفرقعات، الرصاص الفارغ «الفشنك»، وصخب الإعلام. لم يؤدّ غرضه على نحو مباشر. يحتاج إلى وقود ليدور محركه بدلاً من دفعه باليد. يحتاج إلى وقت حتى يدرك أهميته طلاب العلم في الجامعات الدينية والمدنية بعيداً عن الاستقطاب الحالي بين سلفيين وعلمانيين، قدماء ومحدثين، محافظين ومجديدين.

كان الركام الناشئ منها كثيراً مبعثراً. غطى على الحفر والأسس الفارغة التي في حاجة إلى صب جديد. كان أشبه بوقوع البناء بطريقة التفجير أو الزلزال حتى غطى الركام على الأساس المطلوب دون إعادة حفره وصبه من جديد، وظهرت على المشاهد علامات الحزن على المنزل المهدم أكثر من علامات الفرح لمشروع البناء الجديد الذي لم يره بعد في الجزء الثاني «بنية النص».

(د) ثم أتى الجزء الثاني «بنية النص» واضحاً مرتباً، ولكنه غرق في تحليل اللغة كما قام به القدماء. ولم يكتفِ بالاشتباه اللغوي الذي يبدأ منه التجديد. ربما كان القصد اللاشعوري هو إمكانية تحويل التحليلات اللغوية عند الأصوليين إلى علم اللغة العام ليخفف ثقل الأحكام الشرعية خاصة أحكام التكليف، وبوجه أخص الحلال والحرام بعد أن اختزل العلم فيها في أذهان العامة الذين يخشون من السلوك التلقائي وأنصاف العلماء الذين يودون إبقاء العلم أداة للسيطرة على الناس والمؤسسات الدينية التابعة للنظم السياسية التي تستعمل الدين كأداة للضبط الاجتماعي.

تضخم الوعي التاريخي خاصة في مسائل الرواية. وكانت أقرب إلى هم القدماء في نقد السند من هم المحدثين في نقد المتن.^٨ كما غرق في تحليل أنواع العلل بحيث تاهت دلالة التحليل وسط هذا الكم الهائل من التفصيلات. كان المبرر هو عدم ترك تحليلات القدماء

^٨ من نقد السند إلى نقد المتن، حصار الزمن، ج٣، ص٥٣-١٦٥.

دون إشارة حتى يعيش المحدثون معهم، ويشعروا بهم إيجاباً أم سلباً. فيتضخم الحجم بلا داعٍ إلا استهلاك مادة القدماء، وإعادة عرضها. وما كان يتطلب التطوير والتفصيل هو الوعي العملي، المقاصد والأحكام، جاء على قدر ما ترك القدماء، ومقاصد الشريعة، وأحكام الوضع هي رُبدة العلم. خشي من التطوير الزائد حتى لا ينفصل العلم عمّا تركه القدماء، لحظة «الموافقات» وحتى يتم التغير من خلال التواصل، ولا تكون المسافة شاسعة بين إبداع القدماء وتطوير المحدثين. ويمكن لجيل آخر أن يطور الوعي العملي ويقلّص الوعي النظري. ويعيد التوازن إلى أبعاد العلم الثلاثة: الوعي التاريخي، والوعي النظري، والوعي العملي.^٩ (هـ) وبالرغم من أن العنوان يتضمن لفظين: «النص» و«الواقع» إلا أن العمل كله أتى أقرب إلى النص منه إلى الواقع. طغت النصوص، وتوارى الواقع مشرباً برأسه من الانهيار، يطلب الخروج. قد يكون السبب في ذلك أيضاً إبقاء الطابع المنطقي الخالص لعلم الأصول، وما يتميز به من إحكام نظري. وعلم الفقه هو العلم الذي يتم فيه التحول من فقه العبادات إلى فقه المعاملات، ومن فقه الحلال والحرام إلى فقه المجتمع. ربما كان السبب هو كثرة تحليل الواقع ووصف تحديات العصر في المؤلفات الثقافية مثل «هموم الفكر والوطن»، «حصار الزمن». وربما كانت هناك خشية من الخطابة والحديث العام عن مآسي العصر وأحزانه، وعلم أصول الفقه علم محكم ودقيق. والقراءة المتأنية قادرة على تلمس الواقع والإحساس به من خلال خيوط قائدة قصيرة أو حبال طويلة. فمن الأفضل ظهور الواقع على نحو غير مباشر حتى يبقى العلم في الأصول وليس في الفروع. وكثيراً ما تتحدث النصوص القديمة عن «زماننا» و«عصرنا» دون تفصيل أحوال الزمان وظروف العصر.

(و) كانت مشكلة إعادة بناء العلوم القديمة كبر الحجم. «من العقيدة إلى الثورة» (خمسة مجلدات) ومن النقل إلى الإبداع (ثلاثة مجلدات كل منها ثلاثة أجزاء، وفي مجموعها تسعة). وجاء «من النص إلى الواقع» مجلدين. أصغر من حيث الكم. ومن في هذا العصر قادر على قراءة مجلد واحد؟ التحدي الآن هو إخراج «من الفناء إلى البقاء» في مجلد واحد، اللهم إلا إذا كبرت الأبواب الثلاثة الرئيسية: التصوف الأخلاقي، التصوف النفسي، التصوف

^٩ كانت ملاحظة جيتون على «ظاهريات التأويل» تضخم الوعي التاريخي على حساب الوعي العملي، والتناقص الكمي التدريجي، من الوعي التاريخي وهو الأضخم إلى الوعي النظري وهو المتوسط إلى الوعي العملي الذي هو الأصغر.

الفلسفي. وتحول كل منها إلى فصول. واستحال ضمُّها في مجلد واحد. فأصبحت ثلاثة مجلدات. وبعد وضع المقدمة عن «الوعي الصوفي» لوصف تطور النص الصوفي كما هو الحال في الجزء الأول «تكوين النص» و«من النص إلى الواقع» تضخمت كما تضخم، وأصبح باباً مستقلاً، هو الباب الأول من الجزء الأول عن التصوف الخلقي. ثم تضخم هذا الباب الأول إلى ثلاثة فصول: الوعي التاريخي، الوعي الموضوعي، الوعي النظري. ثم تغيرت الفكرة الشائعة أن ابن عربي آخر الصوفية وما بعده شرَّاح له مثل النابلسي والشعراني، وهو ما قيل أيضاً عن ابن رشد أنه آخر الفلاسفة وما بعده شرَّاح، عندما اتضح قدر التصوف العملي بعد «الفتوحات» على مدى خمسة قرون فأصبح فصلاً رابعاً. ولما كثرت النصوص وتعددت وتضخَّمت هذا الباب الأول بفصوله الأربعة ولم تنته بعد المقدمة، أضيف إليها فصل خامس عن التصوف وموضوعه داخل منظومة العلوم قبل أن تبدأ فصول التصوف الخلقي: الشريعة والأخلاق، والردائل والفضائل، والتوحيد الخلقي. فانفصلت المقدمة وأصبحت هي الجزء الأول «تكوين النص» وهو عنوان الجزء الأول من المادة بناء علم أصول الفقه في «من النص إلى الواقع».^{١٠}

وضمنت الأجزاء الثلاثة الأولى: التصوف الخلقي، التصوف النفسي، التصوف النظري، ثم زيد عليها التصوف العملي في جزء ثانٍ «بنية النص»، وهو نفس عنوان الجزء الثاني «من النص إلى الواقع».^{١١} هذا هو الوضع وهو أفضل من حيث الكم. جزءان: الأول عن تطور النص الصوفي، والثاني عن «بنية النص الصوفي» أفضل من مقدمة طويلة وثلاثة

^{١٠} أصبح الآن الجزء الأول: التصوف تاريخ وعلم ينقسم إلى قسمين؛ الأول التصوف كتاريخ ويشمل ستة فصول: تشكل الوعي التاريخي، الوعي التاريخي الخالص، الوعي التاريخي الموضوعي، الوعي الموضوعي الوعي النظري، الوعي العملي، والثاني التصوف كعلم ويشمل أربعة فصول: تعريف التصوف، تصنيف العلوم، العلم الشعوري، العلم والعمل (وقد يحدث تعديل في اللحظة الأخيرة). وقد حدث التعديل بالفعل وأصبح عنوان الجزء الأول «الوعي الموضوعي» بدلاً من التصوف كتاريخ أو تاريخ التصوف، وعنوان الجزء الثاني «الوعي الذاتي» عن التصوف كعلم أو التجربة الصوفية. الأول في التاريخ، والثاني في البنية. ويشمل الجزء الأول أربعة أبواب: الوعي التاريخي، الوعي النظري، الوعي العملي، الوعي العلمي. ويضم الجزء الثاني أربعة أبواب: التصوف الخلقي، التصوف النفسي، التصوف الفلسفي، التصوف الطرقي.

^{١١} هذا أيضاً هو ما حدث في رسالتي الثانية لدكتوراه الدولة عندما وضعت مقدمة عن المنهج الظاهري لتطبيقه في تأويل العهد الجديد فأصبحت جزءاً بمفرده «تأويل الظاهريات»، والتطبيق «ظاهريات التأويل».

أجزاء من حيث الكم.^{١٢} والأعمال التكوينية بطبيعتها ضخمة الحجم. والأعمال التأسيسية مشاريع كبرى. «الشفاء» عدة مجلدات اختصرها صاحبها في «النجاة»، ثم شرح الملخص في «الإشارات والتنبيهات». وأعمال ابن رشد الشارحة لأرسطو أكبر وأوسط وأصغر، تفسير وتلخيصات وجوامع. و«المغنى» للقاضي عبد الجبار عشرون مجلدًا في علم أصول الدين. وشروح علم أصول الفقه عدة مجلدات مثل «البحر المحيط» للزركشي. وفي التصوف «الإحياء» و«الفتوحات» كل منها أربعة مجلدات. يبدو أن مشروع «التراث والتجديد» خارج من بين القبور، به روح القدماء من حيث الإسهاب والتطويل. قد يأتي جيل جديد يلخص كل ما فعل القدماء حتى تسهل قراءة المحدثين.^{١٣}

(٢) الموضوع، المنهج، المادة العلمية، الأسلوب

(أ) الموضوع: هي المحاولة الرابعة والأخيرة لإعادة بناء العلوم النقلية العقلية الأربعة، علم أصول الدين في «من العقيدة إلى الثورة»، وعلوم الحكمة في «من النقل إلى الإبداع»، وعلم أصول الفقه في «من النص إلى الواقع». وبعد اكتمال إعادة بناء العلوم النقلية العقلية الأربعة، يتضح أن أبعد العلوم عن اللحظة الراهنة وأشدها حاجة إلى إعادة البناء هو علم أصول الدين، ثم علوم الحكمة، ثم علوم التصوف، ثم علم أصول الفقه. وأكثرها اقتربًا من تحليل التجارب الشعورية هي علوم التصوف، ثم علم أصول الفقه، ثم علم أصول الدين، ثم علوم الحكمة التي غلب عليها التحليل النظري المجرد خاصة في أجزائها الثلاثة: المنطق والطبيعات والإلهيات، قبل إضافة «إخوان الصفا» العلوم الناموسية والشرعية وتحليلات النفس والأخلاق والاجتماع عند الفلاسفة خاصة الفارابي.

بقي من الجبهة الأولى «الموقف من التراث القديم» إعادة بناء العلوم النقلية الخمسة «من النقل إلى العقل»، القرآن والحديث، والتفسير، والسيرة، والفقه. بعدها يتم التوجه إلى الجبهة الثالثة الموقف من الواقع أو «نظرية التفسير» خشية من قصر العمر. بعدها

^{١٢} حدث هذا التطور وأنا في الرباط بالمغرب في الأيام الثقافية المصرية بالمغرب يوم ٢٠٠٧/٢/٢م كما جاءني حدس لبنية الوعي الثلاثية في «مناهج التأويل» في علم أصول الفقه في الرسالة الأولى في أكتوبر ١٩٥٦م وأنا في باريس.

^{١٣} وهذا ما فعله أحد تلاميذ توينبي في تلخيص «دراسات في التاريخ» للأستاذ سومرفيل (تسعة أجزاء) في مجلد واحد.

تتم العودة إلى الجبهة الثانية «الموقف من التراث الغربي» لترصيع العقد «مقدمة في علم الاستغراب» بالأحجار الكريمة مثل فشته فيلسوف المقاومة، وظاهريات هوسرل، وبرجسون فيلسوف الحياة، ثم استئنفاها عند ماكس شيلر وظاهريات الحياة الوجدانية، ونيتشه فيلسوف العدمية، ومونييه فيلسوف الشخص، ثم العودة من بداية النهاية إلى الذروة في الوعي الأوروبي هيجل الفيلسوف الشامل، واليسار الهيجلي: فيورباخ، وياور، وشترنر، وشتراوس، وماركس الشاب، ثم شلنج فيلسوف الوحدة. كل ذلك لو كانت هناك نسيئة في العمر بتعبير ابن سينا. وبالتالي يصبح مشروع «التراث والتجديد» أهم وأكبر مشروع يعبر عن الوضع الحضاري في نهاية القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر الهجريين، ونهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين الميلاديين، وليعبر عن مرحلة جديدة من تطور الحضارات ودورانها في العالم، وإغلاق الفترة العثمانية واستئناف الإصلاح الديني وتحويله إلى نهضة شاملة في مرحلة ثالثة للحضارة الإسلامية تلحق بالمرحلة الأولى في القرون السبعة الأولى من الأول حتى السابع، مرحلة الازدهار التي أرّخ لها ابن خلدون، وتغلق المرحلة الثانية في القرون السبعة التالية من الثامن حتى الرابع عشر لتبدأ المرحلة الثالثة، قرون سبعة ثالثة، من الخامس عشر حتى الواحد والعشرين الهجريين. «التراث والتجديد» إذن مشروع مفصلي كما حدث في الحضارة الغربية عند ديكارت (١٦٥٠م) «أنا أفكر فأنا إذن موجود» ومشروع بيكون (١٦٢٦م) «الآلة الجديدة». كان العنوان في وصف المشروع في «التراث والتجديد» المنهج الصوفي.^{١٤} ثم برز شيئاً فشيئاً هذا العنوان «من الفناء إلى البقاء» بنفس طريقة «من ... إلى ...» للدلالة على نقل العلوم القديمة كلها من مرحلة إلى مرحلة، من مرحلة القدماء إلى مرحلة المحدثين، من التأسيس الأول إلى التأسيس الثاني.^{١٥} وهما مصطلحان في علوم التصوف، حالان أو

^{١٤} وقد كان العنوان الأول لمحاولة إعادة علم الكلام «من العقيدة إلى الثورة»، علم الإنسان المحاولة الثانية لإعادة بناء علوم الحكمة «من النقل إلى الإبداع» والعنوان الثاني فلسفة الحضارة، والعنوان الأول للمحاولة الثالثة لإعادة بناء علوم أصول الفقه «من النص إلى الواقع»، «المنهج الأصولي»، التراث والتجديد، ص ٢٠٦، ٢٠٩.

^{١٥} وهو الشعر الذي تصدر كتاب «إقبال فيلسوف الذاتية» والصادر في دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٩م.

مقامان. يذكرهما إقبال ويجعلهما رؤية له مطالباً أيضاً التحول من الفناء إلى البقاء.^{١٦} وهو لا يبعد أيضاً عن موقف الحركة السلفية عند ابن تيمية الذي يجعل البقاء هو نهاية المقامات وليس الفناء.

والتصوف بالجمع «علوم التصوف» مثل علوم الحكمة في حين أن «علم أصول الدين» و«علم أصول الفقه» بالمفرد. وهو يدل على أن التصوف يجمع عدة علوم: علم الأخلاق، وعلم النفس، والفلسفة، وليس علماً واحداً. فالتصوف مجموعة من العلوم تعتمد على الفقه والحديث والتفسير والسيرة خاصة في التصوف العملي.

وقد عُرض التصوف نفسه بطريقتين. الأولى تاريخية، تطور التصوف ومراحلها عبر التاريخ، خاصة القرون السبعة الأولى حيث تكتمل الحضارة الإسلامية في دورتها الأولى قبل أن يؤرخ لها ابن خلدون. وفي هذه الحالة يتضح أن التصوف مر بأربع مراحل: المرحلة الأخلاقية عندما كان التصوف علماً للأخلاق الإسلامية، في القرنين الثاني والثالث، نموذج رابعة العدوية والحسن البصري، والمرحلة النفسية عندما تحول التصوف إلى علم لبواطن القلوب في القرنين الرابع والخامس نماذج ذي النون المصري، والبسطامي والحلاج وأصحاب الشطحات، والمرحلة الثالثة مرحلة الفلسفة الإلهية في القرنين السادس والسابع، نماذج السهروردي وابن الفارض، وابن عربي وعبد الحق بن سبعين في القرنين السادس والسابع. أما الغزالي الذي جعل التصوف أيديولوجية الطاعة للناس كما جعل الكلام أيديولوجية القوة للسلطان فإنه يمثل حلقة الوصل بين المرحلة الخلقية والمرحلة النفسية وبين المرحلة الفلسفية،^{١٧} كما يمثل ابن عربي حلقة الاتصال بين المرحلة النفسية والمرحلة الفلسفية، ومن ثم يكون أهم عمليين نظريين في التصوف كعلم هما «إحياء علوم الدين» و«الفتوحات المكية»، والمرحلة النفسية والمرحلة الميتافيزيقية. والمرحلة الرابعة هي المرحلة الطرقية التي تحول فيها التصوف النظري في الفلسفة الإلهية إلى التصوف

^{١٦} وقد استعمل الوعي الأوروبي لفظ «جديد» مثل «الآلة الجديدة» لـ «فرنسيس بيكون» و«العلوم الجديدة» لـ «نيوتن وفيكو». واستعمل هوسرل نفس الأسلوب في المنطق «من المنطق الصوري إلى المنطق الترنسندنتالي».

^{١٧} وقد أدرك هذه المراحل من قبل مصطفى حلمي في «الحياة الروحية في الإسلام» وسار على أثره أبو الوفا التفتازاني في «الدخل إلى التصوف الإسلامي». وأصبحت حقيقة تاريخية مسلماً بها عند دارسي التصوف ومؤرخيه.

العملي، كما بدأ في المرحلة الأولى، ولكنه في هذه المرة تصوف جماعي طرقي في العصر العثماني. وإذا كانت كل مرحلة قد دامت قرنين من الزمان، الخلقية في القرنين الثاني والثالث، والنفسية في الرابع والخامس، والفلسفية في السادس والسابع فإن المرحلة الطرقية قد استمرت سبعة قرون، من الثامن حتى الرابع عشر، وما زالت مستمرة حتى الآن. طالبت أكثر من اللازم. وأن الأوان لانتهائها بعد محاولات حركات الإصلاح الديني تغييرها عند الأفغاني وإقبال إلى المرحلة الخامسة المرحلة «الثورية» التي يمثلها «من الفناء إلى البقاء». وقد استعملت الدراسات الثانوية هذه الطريقة المدرسية التاريخية لأنها أقرب إلى الاستيعاب والحفظ وتقديم العلوم الإسلامية القديمة كتاريخ وليس كعلوم عقلية نقلية.

ولا يوجد فصل حاد بين هذه المراحل الأربع. قد تستمر المرحلة الأخلاقية بعد القرنين الثاني والثالث. بل إن كبار الصوفية الأخلاقيين في القرنين الثالث مثل المحاسبي (ت ٢٤٣هـ)، والحكيم الترمذي (ت ٢٧٠هـ)، والخراز (ت ٢٩٩هـ)، والتستري (٣١٩هـ)، والمرحلة الثورية الخامسة لها جذورها عند الحلاج واشتراكه في ثورة القرامطة ونجم الدين كبرى في حروبه ضد التتار في الشام، وفي المرحلة الطرقية عند المهديّة في السودان في نضالها ضد الاستعمار البريطاني، والسنوسية في صراعها ضد الاستعمار الإيطالي في ليبيا، وعند محمد إقبال في نهضة الأمة في نضالها ضد الاستعمار في الخارج والتخلف في الداخل.^{١٨} وهذا هو مضمون الجزء الأول التصوف كتاريخ. ولا يوجد صوفي في المرحلة النفسية أو في المرحلة الميتافيزيقية إلا ولديه جانب أخلاقي. ولا يوجد صوفي في المرحلة الأخلاقية أو المرحلة الميتافيزيقية إلا ولديه تحليلات نفسية مثل المحبة عند رابعة، والخوف عند الحسن البصري، والمحبة عند ابن الفارض وابن عربي. ولا يوجد صوفي في المرحلة الأخلاقية أو المرحلة النفسية إلا ولديه بعض الجوانب الفلسفية مثل نظريات الحلول والاتحاد والحقيقة الحمديّة في المرحلة النفسية. والغزالي نفسه يجمع بين كل المراحل، الأخلاقية والنفسية والميتافيزيقية، والمرحلة الرابعة، المرحلة الطرقية مرتبطة بكبار الصوفية السابقين: الأكبرية لمحبي الدين بن عربي (ت ٦٣٨هـ)، والمؤلوية لجلال الدين الرومي (ت ٦٧٢هـ)، والجيلانية لعبد القادر الجيلاني (ت ٥٦١هـ)، والرفاعية لأحمد الرفاعي (ت ٦٧٨هـ).

^{١٨} انظر كتابنا: محمد إقبال: فيلسوف الذاتية، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٩م.

والثانية عرض التصوف نفسه كطريق أو طريقة أو فهم عملي مستقل عن التاريخ، طريق صاعد من أسفل إلى أعلى، من الإنسان إلى الله. يبدأ بالتوبة، وينتهي بالفناء. وبين البداية والنهاية المقامات والأحوال. المقامات سبعة أو تسعة طبقاً لعدد فردي يحصل عليها الصوفي بجهد وبقدرته على الرياضات والمجاهدات. والأحوال مزدوجة. حالتان سلبية وإيجابية في الانتقال من مقام إلى مقام، هبة أو إشارة أو علامة على اجتياز مرحلة في الطريق مثل علامات المرور. المقامات مثل التوبة، والفقر، والصبر، والتوكل، والرضا ... إلخ. والأحوال مثل: الخوف والرجاء، الصحو والسكر، المحو والإثبات، الغيبة والحضور، الفقد والوجد، الفناء والبقاء ... إلخ.

التصوف كطريق يبدأ من الخارج إلى الداخل ثم من الداخل إلى أعلى، من العالم إلى النفس، ثم من النفس إلى الله، من أفعال الجوارح إلى أفعال القلوب، ومن أفعال القلوب إلى الأفعال الإلهية.

وهنا يتداخل التصوف الخلقي مع التصوف النفسي. فالفضائل عند الصوفية مثل الصدق والورع والإخلاص لا تختلف في أهدافها عن المقامات الصوفية. وقد ميّز الصوفية في مصطلحاتهم بين الاثنين. وهناك تماثل بين المراحل الأربع في التصوف كتاريخ والتصوف كطريق، التصوف الأفقي والتصوف الرأسي. المرحلة الأولى في الطريقتين هي المرحلة الأخلاقية عند رابعة في التاريخ وفي التوبة كطريق. والمرحلة الثانية هي المرحلة النفسية لدى الحلاج في التاريخ وفي الأحوال والمقامات كطريق. والمرحلة الثالثة في التاريخ تعادل المرحلة الثالثة كطريق مرحلة الفلسفة الإلهية عند السهروردي وابن الفارض وابن عربي وعبد الحق بن سبعين. الأفقي مثل الرأسي ومسار التاريخ مثل مسار الروح. والمرحلة الرابعة الحالية وهي المرحلة الطرقية تقابل علاقة الشيخ بالمريد. والمرحلة الخامسة القادمة، المرحلة الثورية، هي مرحلة تنوير الثقافة الشعبية وحركة الجماهير لتجاوز الاستكانة والهوان لدى جيل ما بعد التحرر من الاستعمار، وانهيار الدول الوطنية الحديثة.

وهي من جديد قضية التاريخ والبنية في «من العقيدة إلى الثورة» وتفضيل البنية أي النسق العقائدي على التاريخ أي الفرق الكلامية.^{١٩} وهي قضية «من النقل إلى الإبداع»

^{١٩} «من العقيدة إلى الثورة»، ج١، المقدمات النظرية، الفصل الثاني: بناء العلم، ص ١٤١-٢٢٧.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

وتفضيل الأشكال الأدبية على التاريخ طبقاً للفلاسفة أو العصور أو المذاهب.^{٢٠} وهي قضية «من النص إلى الواقع»، وتخصيص الجزء الأول «تكوين النص» لتاريخ البنية، والجزء الثاني «بنية النص» لبنية التاريخ.^{٢١} فقد عرض علم الكلام نفسه كتاريخ للفرق وكنسق للعقائد. هكذا فعل الأشعري والباقلاني والشهرستاني وابن حزم. كما عرضت الفلسفة نفسها كبنية في موسوعات ابن سينا الأربع وكتاريخ في الدراسات الثانوية. وعرض التصوف نفسه كتاريخ في كتب الطبقات بداية بالسلمي حتى الشعراني وكبنية في «الإحياء» و«الفتوحات».

و«من الفناء إلى البقاء» أيضاً دراسة في الطريق أي في البنية وليس في التاريخ. يعرض التاريخ من خلال البنية، ولا تعرض البنية من خلال التاريخ أسوةً بالمحاولات الثلاث السابقة، «من العقيدة إلى الثورة» و«من النقل إلى الإبداع» و«من النص إلى الواقع». ومع ذلك يخرج في جزأين. الأول التصوف كتاريخ وعلم. ويضم فصولاً ستة: تشكل الوعي التاريخي، والوعي التاريخي الخالص، والوعي التاريخي الموضوعي، والوعي الموضوعي، والوعي النظري، والوعي العملي، والتصوف كعلم يضم تعريفات التصوف وتصنيفه في تقسيم العلوم وعلوم الذوق، والعلم والعمل. ويضم المراحل السابقة، ويمزجها من التاريخ إلى الموضوع.

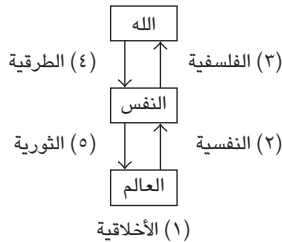
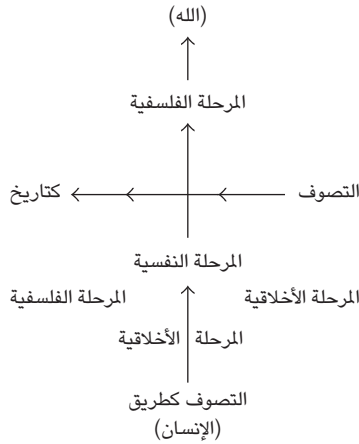
والثاني التصوف كطريق وطريقة. ويضم الأول التصوف الخلقي. ويشمل أربعة أبواب. الشريعة إلى الأخلاق، والظاهر إلى الباطن، والأوامر والنواهي إلى الفضائل والردائل حتى التوحيد الخلقي. والثاني التصوف النفسي الذي يضم المقامات والأحوال ووصف الطريق في الرياضة والمجاهدة ووحدة الشهود. والباب الثالث التصوف النظري الذي يضم المسائل الإلهية مثل الله والإنسان الكامل ووحدة الوجود. والباب الرابع التصوف العملي الذي يتحول فيه التصوف النظري إلى ممارسات عملية وينتقل من الطريق إلى الطريقة إلى آداب الشيخ والمريد. وبالتالي يتطابق التصوف كتاريخ مع التصوف كطريق. التقابل

^{٢٠} «من النقل إلى الإبداع»، مج ١، النقل، ج ١، التدوين، رابعاً: مناهج الدراسة لعلوم الحكمة، ص ٤٠-٥٤.

^{٢١} «من النص إلى الواقع»، المقدمة، ثانياً: السمات والمنهج، كيف يمكن دراسة علم أصول الفقه؟ (ص ٢٤-٢٩).

بين التصوف كتاريخ والتصوف كطريق.^{٢٢} ويمكن تقسيم مراحل التصوف إلى خمس، بزيادة المرحلة الطرقية بعد المرحلة الفلسفية، والمرحلة الثورية بعد المرحلة الطرقية. وعيب هذا التقسيم أن الطريقة موجودة منذ البداية في المراحل الثلاث الأولى خاصة المرحلة النفسية الثانية. كما أن المرحلة الإصلاحية بدأت منذ ثورة الفقهاء على الصوفية في الصراع بين التنزيل والتأويل، وعودة الصوفية إلى المشاركة في الحياة العملية، ومناهضة الفساد والتسلط الخارجي والداخلي.^{٢٣}

(ب) **المنهج:** والمنهج المتبع هو تحليل الخبرات الشعورية لمعرفة مدى صدق التجارب التي يحللها الصوفية ومدى تطابقها مع التجارب الإنسانية العامة. فمنهج البحث متفق مع



منهج الموضوع المبحوث، تحليل التجارب الحية للباحث وللصوفي. وهو نفس المنهج المتبع من قبل في «من العقيدة إلى الثورة» و«من النص إلى الواقع» و«من النقل إلى الإبداع».^{٢٤} وتنقسم التجارب الإنسانية إلى نوعين: الأول تجارب إنسانية عامة، الإنسان من حيث هو إنسان، لا يتغير بتغير الزمان والمكان، الإنسان الوجودي الذي تصفه فلسفات الوجود. والثاني تجارب إنسانية خاصة مرتبطة بعصر دون عصر تتحكم فيها الظروف السياسية والاجتماعية في كل عصر، وتختلف باختلافها. هي التجارب التي تعبر عن أحوال الأمة ومسارها في التاريخ.

وهو منهج مزدوج يقوم على تحليل النص القرآني وعلى وصف مصالح الأمة حاليًا. فالتجربة لها أساس نصي من أعلى، وهو ما تتعامل معه علوم التأويل. ولها أساس واقعي حياتي من أسفل، وهو موضوع العلوم الاجتماعية، الاجتماع والسياسة والاقتصاد. وهما الأساسان في إعادة بناء التصوف ونقله من المرحلة القديمة إلى المرحلة الجديدة، من عصر النشأة الأولى إلى عصر النشأة الثانية.

يعتمد الصوفية على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية كمصدر لتحليلاتهم مع تنميط معانيها في اتجاه خاص دون الاتجاه العام، واختيار جزئي لآيات وأحاديث دون أخرى. ويمكن لمجموع الآيات والأحاديث توجيه الموضوع في اتجاه آخر. لذلك تعددت مذاهب التصوف وطرقه. فإذا كان التصوف قد خرج من الكتاب والسنة فإن إرجاع الموضوع إليهما يساعد على إعادة تشكيل الموضوع. تهدف العودة إلى النص الأصلي تخلص ما وقع في النص الصوفي من شوائب وأعلاق تاريخية تحيد بالموضوع الصوفي وتميله إلى جانب دون آخر كما هو الحال في موضوع «الزهد» الذي لم يرد في القرآن إلا مرة واحدة ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ أي غير راغبين في شرائه فحفظوا ثمنه. فالذي يحدد السعر هو مدى الحاجة إلى السلعة. وهذه أهمية منهج تحليل المضمون الذي تم الإيغال في استعماله في «من النقل إلى الإبداع».^{٢٥}

^{٢٤} «من العقيدة إلى الثورة»، ج ١، المقدمات النظرية، خامسًا، منهجه، ص ١٠٠-١١٣؛ «من النقل إلى الإبداع»، ج ١، النقل، رابعًا: مناهج الدراسة لعلوم الحكمة، ص ٤٠-٥٤؛ «من النص إلى الواقع»، ج ١، تكوين النص، ثانيًا: السمات والمنهج، كيف يمكن دراسة علم أصول الفقه؟ ص ٢٤-٢٧.

^{٢٥} من النقل إلى الإبداع، مج ١، النقل، ج ١، التدوين، مقدمة، رابعًا: مناهج الدراسة لعلوم الحكمة، منهج تحليل المضمون، ص ٤٥-٥٤.

كما يعتمد الصوفية على تقديرهم لمصالح الأمة في عصرهم. فالعلوم ليست فقط أبنية نظرية بل تهدف إلى تحقيق مصالح عملية. فالكلام دفاع عن التوحيد ضد الثنوية والتثليث والتجسيم والتشبيه. والحكمة دفاع عن وحدة الثقافة، والتعبير عن الموروث بلغة الوافد ضد ازدواجية الثقافة بين متكلمين ومترجمين. وأصول الفقه وضع منهج لاستنباط الأحكام للوقائع الجديدة. وعلم التصوف دفاع عن سلامة القلب ونقاء الضمير، ونوع من المقاومة السلبية ضد تيار البذخ والترف والتكالب على الدنيا والسعي وراء السلطة والثروة. فإذا كان التصوف في نشأته تعبيراً عن نوع من المقاومة السلبية لمظاهر السقوط والانحطاط في الأمة فإنه اليوم يُعاد بناؤه كمقاومة إيجابية بعد أن انتشرت أساليب المقاومة منذ حركات التحرر الوطني في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي حتى حركات المقاومة الآن في أوائل هذا القرن في فلسطين والعراق وأفغانستان والشيستان وكشمير.

ومقياس المنفعة والضرر وارد أيضاً عند الصوفية في البحث عن أنفع التواضع، وأنفع الإخلاص، وأنفع الفقر، وأنفع الأعمال، وأنفع الخوف، وأنفع الرجاء، وأنفع العبادات، وأضر المعاصي.^{٢٦}

ومن ثم، يقرأ النص الصوفي القديم بطريقتين: الأولى عرض النص القديم ثم التساؤل حوله من أجل إعادة النظر في الموقف، والتشكك في حكم القدماء. والثاني الاستدراك بعدة حروف مثل «ومع ذلك»، «إلا أن» أو «واو» العطف. دون استعمال «لكن» لأنها ليست جملة رئيسية.

والنصوص موضوعة في الهوامش حتى لا تكسر اتساق الخطاب وهي نوعان: نوع يؤيد التحليل، والثاني منفرد حتى يشارك القارئ في النفور منه،^{٢٧} فهي نصوص موجّهة وليست محايدة، تخضع لجدل الإيجاب والسلب.

(ج) **المادة العلمية:** والمادة العلمية هي معظم ما كتبه الصوفية أنفسهم كنصوص مثل الحسن البصري والمحاسبي والترمذي والخراز والحلاج والتستري وابن مسرّة والقشيري والغزالي والسهوردي وابن الفارض وابن عربي وابن سبعين والجيلاني

^{٢٦} أحمد بن عاصم الأنطاكي، طبقات الصوفية، ص ١٣٨-١٤٥، أبو تراب النخشي السابق، ص ١٤٩.

^{٢٧} وهو المنهج الذي سميناه في رسالتنا الأولى «مناهج التأويل»، النقل الحضاري La Transposition

انظر Les méthodes d' Exégèse, pp. LXXIX- CLXXIX.

والجيلي والشعراني والرفاعي نثرًا أو شعرًا، وكذلك ما كتبه الصوفية المؤرخون مثل «اللمع» للطوسي (ت ٣٧٨هـ) و«التعرف» للكلاباذي (ت ٣٨٠هـ)، و«قوت القلوب» لأبي طالب المكي (ت ٣٨٦هـ)، و«طبقات الصوفية» للسلمي (ت ٤١٢هـ)، و«حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصفهاني (ت ٤٣٠هـ)، و«الرسالة القشيرية» للقشيري (ت ٤٦٥هـ) و«كشف المحجوب» للهجویری (ت ٤٦٥هـ)، و«التشوف إلى رجال التصوف» للتادلي (ت ٦١٧هـ)، حتى «الطبقات الكبرى» للشعراني (٩٣٠هـ)، و«طبقات الصوفية» للمناوي (١٠٣١هـ).

في التصوف كتاريخ أي في الوعي الموضوعي الأعمال مرتبة ترتيبًا زمنيًا لمعرفة تطور الوعي الصوفي. وفي التصوف كطريق مرتبة ترتيبًا موضوعيًا طبقًا لبنيته لمعرفة ما هو الطريق، بدايته ونهايته، منطلقه وغايته. وقد يكون تعريف متقدم لموضوع ما في المرحلة الخلقية أو النفسية أو الميتافيزيقية أنفع في المرحلة الثورية. وقد يبدو تماهيًا باطنيًا بين التاريخ والبنية لأن البنية تتكشف في التاريخ، والتاريخ يفرز البنية.

والمادة العلمية المحللة هي أقوال الصوفية المباشرة وليست الحكايات المروية عنهم، كما هو الحال في علم الحديث أقوال الرسول، وليس الأفعال المروية عنه، ومثل أقوال المتكلمين والفلاسفة. فالمهم النص وليس صاحبه. فما يترسب في الذهن وما يبقى في الموروث الشعبي هو المثل العامي وإن لم يُعرف مؤلفه. ولا يهم نسبة القول إلى صاحبه إلا في الهوامش إذا دعت الضرورة وكان مشهورًا، وإلا تحولت الدراسة إلى استشراف، والتحقق من العمل لمعرفة الصحيح من المنتحل. هناك صوفية لم يتركوا مؤلفات وراءهم بل جمعت أقوالهم ورويت عنهم أو عن روايتهم مثل رابعة العدوية والبسطامي وذي النون المصري والشبلي ومعظم صوفية القرنين الثاني والثالث الهجري الذين يذكركم مؤرخو التصوف كالسلمي في «الطبقات» والقشيري في «الرسالة»؛ فقد انشغلوا بالتصوف العملي وهي مرحلة التصوف الخلقى قبل أن يتحول إلى تصوف نظري في القرنين السادس والسابع، مرحلة التصوف الفلسفي.

والمادة العلمية كما هو الحال في باقي العلوم الإسلامية متوافرة وغزيرة. والموجود منها يغني عن المفقود. والمطبوع من كتب التصوف يكفي لإصدار أحكام عليه، والدخول في حوار معه لإعادة بنائه. والمتاح منه أكثر مما نفذ. والمطبوع منه أكثر من المخطوط. والتكرار فيه يغني عما لم يمكن الاطلاع عليه. والتعبير الكمي غير الدال لا يغني عن التحليل الكيفي الدال. ونقل الصوفية عن بعضهم البعض يغني عن المفقود.

وبطبيعة الحال لا يمكن استيعاب كل شيء، وتحليل كل نص. أما النقلات الإبداعية فلا يمكن الاستغناء عنها مثل «الرسالة القشيرية»، و«الإحياء»، و«الفتوحات».^{٢٨} ومع ذلك تأتي مرحلة يتوقف فيها الكم إلى أن يصبح دالاً على الكيف. وما هو متوافر حالياً من الأعمال الصوفية يكفي للحكم على التصوف وإلا ظل الباحث إذا ما انتظر اكتمال الكم غير قادر على إصدار أي حكم. فالتوافر عينة ممثلة. والاستقراء الناقص قادر على إصدار حكم لاستحالة الاستقراء الكامل. وهو ما سماه الشاطبي في «الموافقات» الاستقراء المعنوي.^{٢٩}

وتستعمل بعض الدراسات الثانوية الأخرى التي جمعت نصوصاً وأقوالاً للصوفية عن بطون الكتب والمراجع بعد أن تناثرت أو ضاعت أو أن الصوفي لم يترك عملاً مدوناً له إلا بعض الأقوال الشفاهية المروية عنه.^{٣٠}

وكالعادة تم استبعاد الدراسات الثانوية لأنها موضوع دراسة وليست دراسة لموضوع، سواء من المستشرقين أو من الباحثين العرب.^{٣١} ويستثنى ما كان منها قراءة إبداعية كنص صوفي، وليس تكراراً له بعبارات شارحة.^{٣٢} وكما تم استبعاد الدراسات الاستشرافية في المحاولات السابقة لإعادة بناء العلوم القديمة «من العقيدة إلى الثورة» و«من النقل إلى الإبداع» و«من النص إلى الواقع» فإنه تم استبعادها أيضاً في هذه المحاولة الرابعة «من الفناء إلى البقاء» لأن الاستشراق ليس دراسة لموضوع بل هو موضوع لدراسة. يحتاج إلى مراجعات طويلة للأحكام والتصورات والمناهج المستعملة فيه مما يحتاج إلى جهد شاق

^{٢٨} بدأت الكتاب بحوالي مائتي نص ووصلت حالياً إلى ثلاثمائة. ويمكن أن تزيد بمزيد من تحليل ما تبقى من أعمال.

^{٢٩} من النص إلى الواقع، ج ٢، بنية النص، ص ٣٩١-٤٠١.

^{٣٠} مثال ذلك «رابعة العدوية»، «شطحات الصوفية» لعبد الرحمن بدوي.

^{٣١} من العقيدة إلى الثورة، ج ١، المقدمات النظرية، الفصل الثاني: بناء العلم، سادساً: المصنفات القديمة، ص ٢٠٣-٢٢٧، من النقل إلى الإبداع، مج ١، النقل، ج ١، التدوين، مقدمة، سادساً: المصادر والمراجع.

^{٣٢} مثال هذه الدراسة: التأويل عند ابن عربي، لنصر حامد أبو زيد، الخيال الخلاق لكوربان، الخيال الخلاق لأوزتسو. من العقيدة إلى الثورة، ج ١، المقدمات النظرية، الفصل الثاني: بناء العلم، سادساً: المصنفات القديمة، ص ٢٠٣-٢٢٧، من النقل إلى الإبداع، مج ١، النقل، ج ١، التدوين، مقدمة، سادساً: المصادر والمراجع.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

ومسيح كامل.^{٣٣} ويمكن أن يكون ذلك موضوعًا لعدد من الرسائل الجامعية في الجامعات العربية. قد تفيد في القراءة الأولية للإحاطة بالموضوع، ولكن لا يمكن الاعتماد على أحكامها ونتائجها. وهي في النهاية نوع من الدراسات الثانوية التي تسودها النزعة العلمية كما تسود الدراسات العربية النزعة الخطابية.^{٣٤}

(د) **الأسلوب:** والأسلوب المتبع هو الأسلوب الإنساني المباشر خارج المصطلحات والتحليلات النظرية المعقدة. فالتصوف تجربة إنسانية تعبر عن نفسها ببساطة ووضوح، قبل أن تكون تحليلات نظرية خالصة أو شطحات أو إشارات أو رموز. وإذا كانت الغاية إعادة بناء التصوف كثقافة شعبية موروثة، من خلال الأفعال العامة من أجل إعادة بناء الثقافة الوطنية، فإن ذلك يتحقق بالأسلوب المباشر بعيدًا عن الإغراق في التنظير حتى لو تعلق الأمر بالتصوف الفلسفي. فليس العلم هو شكل الخطاب بل مضمون الخطاب. وقد استعمل الصوفية أنفسهم النثر والشعر للتعبير عن مواجدهم. كما استعملوا كل فنون الكلام من تصريح وكناية وإشارة ورمز وإيماء وإيحاء، خاصة في التصوف النفسي. وكبار الصوفية هم كبار الشعراء، وكبار الشعراء هم كبار الصوفية مثل ابن الفارض. وهذا لا يعني أي تنازل عن الأسلوب العلمي الدقيق، بل هو السهل الممتنع الذي يجمع بين الدقة والتوجيه، بين التحليل النظري والتوجه العملي. يخاطب الخاصة والعامة في آن واحد. هو نوع من الدراسات الوطنية التي تجمع في نفس الوقت بين هموم العلم والوطن، وهو ما اتبع من قبل في أجزاء مشروع «التراث والتجديد» الثلاثة السابقة.

(٣) السمات العامة للتصوف

وكما أن لكل علم سماته العامة كذلك للتصوف سماته العامة.^{٣٥} قد يشارك في بعضها علم أصول الفقه.

^{٣٣} من العقيدة إلى الثورة، ج١، المقدمات النظرية، الفصل الثاني: بناء العلم، سادسًا: خاتمة، المصنفات القديمة، ص٢٠٣-٢٢٧. من النقل إلى الإبداع، مج١، النقل، ج١، التدوين، مقدمة، سادسًا: المصادر والمراجع، ص٦٣-٧٦. من النص إلى الواقع، ج١، تكوين النص، المقدمة، ثالثًا: أنواع المصنفات، (٣) الدراسات الثانوية، ص٣٦-٣٧.

^{٣٤} التراث والتجديد، ثالثًا: أزمة المناهج في الدراسات الإسلامية، ص٧٥-١٢١.

^{٣٥} من النص إلى الواقع، ج١، تكوين النص، المقدمة، ثانيًا: السمات والمنهج، (١) السمات العامة لعلم أصول الفقه، ص١٨-٢٣.

(أ) التصوف علم عملي مثل علم أصول الفقه: غايته تحويل الناس من النظر إلى العمل عن طريق الرياضة والمجاهدة. ليس علمًا تأمليًا أو منطقيًا بل هو علم يهدف إلى تغيير سلوك الناس. فالعلوم العقلية النقلية نوعان: علوم نظرية كأصول الدين وعلوم الحكمة، بالرغم من وجود الحكمة العملية، ولكنها حكمة عملية نظرية، وعلوم عملية وهي علم أصول الفقه وعلوم التصوف. وهو يعبر عن الموقف القرآني والكوجيتو العملي ﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا﴾، ﴿وَيَا قَوْمِ اْعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ اِنِّي عَامِلٌ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

(ب) وهو علم منهجي مثل علم أصول الفقه: يتحول فيه المنهج إلى منهج حياة، وليس منهجًا عقليًا للاستدلال. وهو منهج صاعد يقوم على التأويل من «أول» أي رجع إلى المصدر الأول، وليس منهجًا نازلًا يقوم على التنزيل كما هو الحال في علم أصول الفقه، استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها اليقينية. لهذا السبب نشأ صراع بين الفقهاء أنصار التنزيل والصوفية أنصار التأويل. في التصوف الحقيقة في السماء، وفي أصول الفقه الحقيقة في الأرض. والطريق إلى الله طريق أفقي صاعد، من الأخلاق إلى النفس إلى الميتافيزيقا، من علم الجوارح إلى علم القلوب إلى علم العقول، من وحدة الذات إلى وحدة الشهود إلى وحدة الوجود.

(ج) وهو علم ذوقي: يعتمد على التجربة والمشاهدة العيانية وليس علمًا نظريًا استدلاليًا كما هو الحال في علوم الحكمة أو علمًا استنباطيًا استقرائيًا كما هو الحال في علم أصول الفقه. الصوفية أهل ذوق في مقابل المتكلمين والحكماء والأصوليين أهل النظر. ويتجلى الذوق في الحدس المباشر، في الكشف والمكاشفة، في العلم اللدني الذي يقذفه الله تعالى في القلب بلا تعب ولا نصب. في حين أن باقي العلوم الإسلامية علوم برهان واستدلال، مقدمات ونتائج. الذوق يقين والنظر شك. هو علم يقيني في مقابل العلوم الإسلامية الظنية حتى ولو كانت علومًا برهانية. الجدل هو علم اليقين. والحكمة عين اليقين. أما التصوف فهو حق اليقين. هو العلم الذي فتح آفاق الشعور والوجدان وتحليل الخبرات الحية وعالم الباطن، الذوق، والقلب، والروح، والباطن. فالعالم شعوري، والعلم شعوري. الموضوع والمنهج شعوريان. لذلك ارتبط بالأدب خاصة التجربة الشعرية.

(د) وهو علم باطني يذهب إلى ما وراء الظاهر: الظاهر مجرد علامات أو إشارات على معانٍ باطنية. لذلك ارتبط التصوف بالنزعات الباطنية، كما فعل الغزالي في «المستظهر» أو «فضائح الباطنية»؛ لذلك نقده الفقهاء وأهل الظاهر. دون بعض الصوفية تفاسير

صوفية مثل الحلاج والتستري والقشيري وابن عربي وغيرهم. وبجانب التفسيرات اللغوية والفقهية والفلسفية والكلامية والتاريخية هناك التفسير الصوفي. فالحقيقة لها ظاهر وباطن. المتكلمون والأصوليون والفقهاء يتعاملون مع الظاهر. والصوفية وحدهم يعكفون على الباطن. وقد أنزل القرآن بنص حديث الرسول على سبعة أحرف. وقد حول الصوفية منطق الاشتباه عند الأصوليين: الحقيقة والمجاز، الظاهر والمؤول، المحكم والمتشابه، المجلد والمبين، المطلق والمقيد، العام والخاص، للآيات المتشابهة إلى منطق محكم للغة على الإطلاق، ثم التحول من اللغة إلى الوجود، من الاشتباه اللغوي إلى الاشتباه الوجودي.

(هـ) وهو علم حركي لا ثبات له: النفس متحركة، والعالم متحرك، والله كل يوم هو في شأن. ينتقل الصوفي من مقام إلى مقام، ومن حال إلى حال، ومن وحدة الذات إلى وحدة الشهود إلى وحدة الوجود، ومن حرف إلى حرف، من الحرف الأول إلى الحرف السابع. ينتقل من التنزيل إلى التأويل، ومن التأويل إلى التنزيل، من الخارج إلى الداخل، ومن الداخل إلى الخارج، من الأنا إلى الآخر، ومن الآخر إلى الأنا، من الله إلى العالم في الحلول، ومن العالم إلى الله في الاتحاد. والتوحيد حركة من وحدة الذات إلى وحدة الشهود إلى وحدة الوجود، رد فعل على التصور الثابت لله في نظرية الذات والصفات والأفعال والأسماء عند المتكلمين. والمقامات والأحوال في ارتقاء مستمر، من التوبة إلى الفناء.

(و) ويبعد التصوف عالماً من صنع الخيال الخلاق بدلاً عن عالم الواقع الذي تم نفيه واستبعاده والتراجع عنه بعد أن أصبح عصياً على الطاعة، لا يمكن تغييره: عالم الخيال ميسور خلقه، يسهل اتباعه. وهو ليس من صنع الوهم بل هو حقيقة بديلة تصنعها الروح، وينسجها الخيال. هو عالم الأقطاب والأبدال، عالم الأرواح المتألفة، عالم الملاء الأعلى. فالحقائق ليست في عالم الأعيان بل في عالم الأذهان بتعبير الفلاسفة. والحقائق العلوية من وضع الخيال. لذلك امتزجت التجربة الصوفية بالتجربة الأدبية الإبداعية لفنون القول خاصة الشعر ثم النثر ثم القصة. وقد يكون عالم الخيال أكثر واقعية من عالم الواقع. وقد يكون أكثر تأثيراً من علم الأخلاق.

(ز) وهو علم إنساني يبدأ من «الإنسان الكامل» الإنسان الأخلاقي، وهو الإنسان المتعين: وينتهي أيضاً بـ «الإنسان الكامل» وهو الله كما هو الحال عند ابن عربي وعبد الكريم الجيلي الذي طالما غاب في علم أصول الدين لصالح الإنسان الكامل وحده، كما تجلّى في نظرية الذات والصفات والأفعال والذي انقسم في علوم الحكمة إلى بدن ونفس، بدن في الطبيعيات، ونفس في الإلهيات. فإذا سئل: لماذا غاب مبحث الإنسان في تراثنا القديم؟

كانت الإجابة بل حضر بوضوح في التصوف.^{٣٦} ومن ثم لا تدعي حضارة واحدة فقط مثل الحضارة الأوروبية أنها هي الوحيدة صاحبة النزعة الإنسانية، في حين مثلها التصوف منذ إخوان الصفا حتى ابن عربي، وقد تكون أحد أسباب أزمة حقوق الإنسان في وجداننا المعاصر هو غيابه في التراث القديم وحضوره في التصوف كإنسان إلهي، وفي الأصول عليه واجبات أكثر مما عليه حقوق.^{٣٧}

(٤) نشأة التصوف

(أ) لم ينشأ التصوف من مصدر فارسي أو هندي شرقاً أو يوناني أو مسيحي غرباً، نظراً لعيوب منهج الأثر والتأثر.^{٣٨} فالثنائيات الفارسية طبيعة بشرية توجد في كل حضارة، في الأخلاق والتصوف. وإذا كان بعض الصوفية من أصل مجوسي فإن غيرهم ليسوا كذلك في مصر والشام والمغرب.^{٣٩}

والفقر الهندي والخلو والاتحاد أيضاً في كل حضارة مستقلة عن الأخرى. ولا يعني أن بعض الصوفية من أصول هندية أن التصوف هندي. ولا يعني انتشاره في خراسان وتركستان أنه آسيوي، ودراسة البيروني عن الهند دراسة علمية تاريخية حضارية لا تعني تأثر التصوف الإسلامي بالهند. وإبراهيم بن أدهم هذا الأمير الذي تحول إلى صوفي في كل حضارة، وليس متأثراً بحياة بوذا. والفناء الصوفي حالة نفسية لا أثر فيها للزفاننا. ورسالة ابن سبعين «الرسالة النورية» التي بها ما يشبه الأذكار الهندية متأخرة للغاية. وما أبعد المغرب عن المشرق!^{٤٠} والنحل الصوفية مثل نحلة أورفيوس وفيثاغورس موجودة في كل حضارة «واعرف نفسك بنفسك» لدى كل حكماء الشرق والغرب مع تغيير اتجاهها إلى أعلى مثل «من عرف نفسه فقد عرف ربه». والأفلاطونية المحدثة بها من تصوف الشرق وليست

^{٣٦} أبو بكر عبد الله بن شاهاور الرازي: منارات السائرين ومقامات الطائرين، الباب الخامس: في مقام الإنسان، الباب السادس: في مقام الخلافة المختصة بالإنسان، المقام السابع: في مقامات الإنسان عند رجوعه إلى ربه، ص ٢٢٩-٢٩٢.

^{٣٧} انظر بحثنا: لماذا غاب مبحث الإنسان في تراثنا القديم؟ دراسات إسلامية، ص ٣٩٣-٤١٥.

^{٣٨} التراث والتجديد، ص ١٠٢-١١٠.

^{٣٩} هذا هو رأي تولك Thoulk لأن بعض الصوفية كانوا من المجوس، ويشاركه دوزي Douzy الرأي.

^{٤٠} هذا هو رأي هورتن وهارتمان.

مصدر التصوف. هي معلولة وليست علة.^{٤١} والتصوف الفلسفي نهاية التصوف متأخر عن التصوف الأخلاقي بداية التصوف. والتصوف المسيحي يتبع طبيعة النفس البشرية والظروف النفسية والاجتماعية والسياسية للجماعة المسيحية مثل التصوف الإسلامي تماماً دون أثر أو تأثير. وكان للعرب قبل الإسلام صلات مع كل الديانات والطوائف وليس فقط مع النصاري، والزهد في كل حضارة.^{٤٢} قد ينجح المستشرق في التعرف على العوامل المادية للظاهرة، ولكنه لا يعرف المحمول أي دلالة للظاهرة وما تمثله من قصد حضاري.

(ب) لم ينشأ التصوف نشأة داخلية من الكتاب والسنة باجتزاء بعض الآيات والأحاديث دون غيرها. وإلا أصبح الكتاب والسنة يمثلان نزعة دنيوية بآيات وأحاديث أخرى مجتزأة من سياقها. وفي كلتا الحالتين يرد الجزء إلى الكل. والتصوف رد فعل على الكلام والفلسفة وأصول الفقه والفقه وليس نابغاً منها. والطرق الصوفية ظاهرة اجتماعية في مجتمعات الفقر والوفرة على حد سواء، تعويضاً عن الفقر وإشباعاً للروح. وفي القرآن مجاهدة النفس وجهاد العدو على حد سواء، ومقامات مثل الصبر ورفض الصبر ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ على حد سواء، والتوكل والاعتماد على النفس، والرضا والغضب، وأحوال مثل الخوف والحزن ورفضها ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. والرضا بالتخلف والقعود مذموم ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾. وحياة الرسول بها تأمل وحرب، تهجد ويقظة، روح وجنس، عزلة وصحبة، عبادة ومعاملة، قوة وضعف، كمال إلهي ونقص بشري، حلم وغضب، تسامح وانتقام، رحمة وعدل، شفقة وعداوة، معاشرة واعتكاف، تواضع واعتزاز بالنفس، حياء وصراحة، فلا حياء في الدين، عطاء وتقدير على النفس، ولاية ومسكنة «اللهم أحيني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، واحشني في زمرة المساكين»، دعاء وفعل.

والصحابا مثله عاشوا حياة الإسلام في كليتها دون إثثار جانب على جانب. وكان الاقتداء في كل شيء في الزواج والحرب، وليس فقط في الحياة الروحية. والحياة الخلقية القائمة على التقوى واليقين والتواضع والمحبة والطهارة والزهد هي حياة خلقية وليست

^{٤١} هذا هو رأي نيكلسون.

^{٤٢} هذا هو رأي فون كريمر Krämer Von و جولد زيهر Goldzieher ونيكلسون Nicholson وآسين بلاثيوس Asin Palacios وأوليري O'Leary وأبو الوفا التفقازاني: المدخل إلى التصوف الإسلامي، ص ٢٩-٤٠، مصطفى حلمي: الحياة الروحية في الإسلام، ص ١٣-١٨.

صوفية بالضرورة. ورؤية عمر عن بعد سارية في الشام معروف في علم النفس في تحليل قوى الإدراك، والتمكن قوة ذاتية وليس تدخل إرادة خارجية. ويتفاضل الصحابة في ميزان التعادل بين الحياة الروحية والحياة العملية، والصحابة في عصر ونحن في عصر آخر. والتاريخ يتغير. والتقليد ليس مصدرًا من مصادر العلم.

(ج) لم ينشأ التصوف نشأة شيعية. فلا فرق بين التصوف السني والتصوف الشيعي. والتميز بينهما ينم عن بقايا طائفية وغربية أو استشراق من آثار التاريخ. كما أنه يهدف إلى رفض التصوف الشيعي الذي تغلب عليه نظريات الاتحاد والحلول دفاعًا عن التصوف السني عند الغزالي من أجل تحرير التصوف خاصة الغزالي للإبقاء على سلطته إبقاء على الوضع القائم، أيديولوجية السلطة للحاكم في «الاقتصاد في الاعتقاد»، وأيديولوجية الطاعة للمحكوم في «إحياء علوم الدين»، وتكفير فرق المعارضة في «المستظهري» أو «فضائح الباطنية»، وأخذ الحكم بالشوكة دون البيعة تبريرًا للانقلاب العسكري. ومن الطبيعي أن تكون هناك علاقة بين التصوف والتشيع. فقد نشأ كلاهما كحركة معارضة للحاكم الظالم. التصوف باسم أهل السنة، والتشيع باسم الإمام الغائب، الأول حركة علنية سنية، والثاني حركة سرية باطنية. وكلاهما حركة صامتة. الأولى في العاجل، والثانية في الآجل. الأولى في الحاضر، والثانية في المستقبل، الأولى في النفس، وهو الجهاد الأكبر، والثانية في الواقع والسياسة والدولة.

(د) إنما نشأ التصوف كتوجه نحو الآخرة كرد فعل على التكاليف على الدنيا، والتقاتل على السلطة، وإراقة الدماء في الصراع السياسي على الخلافة في عصر الفتنة الكبرى. اغتصب الأمويون السلطة. وبائع الناس خوفًا وطمعًا. واستشهد الأئمة من آل البيت وفي مقدمتهم الحسين. واستحالت المقاومة. فأثر فريق العزلة والانشغال بالتجارة الحلال لأنه إذا اقتتل المسلمان فالقاتل والمقتول في النار. القاتل لأنه قاتل، والمقتول لأنه كان حريصًا على قتل صاحبه، والأعمال بالنيات. وأثر فريق ثالث اعتزال الدنيا برمتها، السياسة والتجارة، السلطة والثروة، والانشغال بإصلاح النفس بعد أن استعصى عليهم تغيير العالم. وحاولوا تطهير النفس من الرغبات والأهواء والدوافع والميول، والشهوات وحب الدنيا. وخلقوا بالخيال عالمًا بديلاً من الأقطاب والأبدال يعيشون فيه، مدينة روحية سماوية بدلاً من المدينة المادية الأرضية، مدينة يعيش فيها أهلها في محبة وألفة وسلام، وليست مدن الخلافة والإمارة التي يتقاتل عليها طلاب الدنيا وحب الجاه والمال والثروة. فالتصوف نشأ من الداخل وليس من الخارج. وهذا الداخل ليس الكتاب والسنة أي النص بل من الواقع الاجتماعي السياسي ورد الفعل عليه.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

(هـ) كما نشأ التصوف كمنهج ذوقي وكرد فعل على العلوم العقلية التي جعلت العقل أساس النقل كالمعتزلة والفلاسفة. صحيح أن الوعي والعقل شيء واحد ولكن بإضافة الحدس والواقع؛ فالتصوف يعتمد على الكشف والحدس والرؤية المباشرة. ولا يكتفي بعلم اليقين عند المتكلمين، ولا بعين اليقين عند الفلاسفة، بل يذهب إلى حق اليقين. وفي كل حضارة الرومانسية رد فعل طبيعي على «الكلاسيكية»، أو الوجدانية والعاطفية رد طبيعي على العقلانية أو الصورية.

(ز) نشأ التصوف أيضاً كرد فعل على ثنائيات المتكلمين والفلاسفة وتقسيمات الأصوليين وتفريعاتهم. فقد وقع المتكلمون والفلاسفة باسم الدفاع عن التوحيد في ثنائية حادة: الخالق والمخلوق، الواحد والكثير، العلة والمعلول، الجوهر والعرض، القديم والحديث، الواجب والممكن التي تفصل بين الله والعالم. فحدث رد فعل عند الصوفية لرد الاعتبار للتوحيد في الحلول أو الاتحاد، وحدة الشهود أو وحدة الوجود بين الله والعالم، وبين الله والإنسان. الثنائية الأولى ظاهر، والتوحيد الثاني باطن.

الباب الأول

الوعي التاريخي

أولاً: تشكّل الوعي التاريخي

التصوف كتاريخ هو تاريخ الوعي الصوفي. ليس المقصود بالتصوف كتاريخ تاريخ التصوف، بل وصف الوعي الصوفي الذي يبدو من خلال تاريخ التصوف.^١ ويتم ذلك عن طريق رصد الأعمال الصوفية تاريخياً، مرتبة ترتيباً زمنياً حتى يظهر من خلالها مسار الوعي الصوفي. وهو البديل عن الأبواب والفصول الأولى المعتادة في كتب الفكر عن الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي ظهر فيها. وقد تكررت هذه العادة بحيث أصبحت مجرد مادة تاريخية لا صلة لها بالفكر موضوع البحث، مجرد استيفاء لشروط البحث العلمي. فالنص مُكتَفٍ بذاته، تاريخاً وبنية، واقعاً وفكراً. النص يحمل التاريخ في ثناياه، بعباراته الدالة على العصر مثل «زماننا»، «عصرنا». التاريخ داخل النص وليس خارجه. والنص عاكس للتاريخ وليس منفصلاً عنه. النص ذات وموضوع، من المؤلف ومن عصره. النص حامل للتاريخ لأن المؤلف في التاريخ. فلا إبداع إلا في زمان ومكان. ولا تأليف إلا في عصر. وهذا هو الذي يبرر استعمال لفظ «الوعي» بدلاً من التصوف في «الوعي التاريخي» و«الوعي التاريخي الموضوعي» و«الوعي الموضوعي» و«الوعي النظري» و«الوعي العملي». أما «الوعي العلمي» فيعني حصيلة تطور الوعي الصوفي في وضع التصوف كعلم داخل نسق العلوم، علوم الذوق في مقابل علوم النظر، علم الكشف في مقابل علوم الاستدلال.

^١ وهذا ما فعل هيجل في «ظاهريات الروح» عندما وصف تطور الوعي الأوروبي من خلال حقبات تاريخه اليوناني والوسيطة والحديث.

هناك أعمال صوفية سابقة على تجلي الوعي التاريخي. وتعتبر من عناصره أو مكوناته التي بلغ تراكمها حدًا يسمح بظهور الوعي التاريخي وتسمى أيضًا ما قبل الوعي التاريخي أي أعمال الصوفية الأوائل التي ساهمت في ظهور الوعي التاريخي. وقد ظهرت هذه الأعمال في القرون الثلاثة الهجرية الأولى. ومن الصوفية الذين ساهموا في بلورة الوعي التاريخي من القرن الثاني حتى القرن الرابع ولم يتركوا أعمالًا رابعة العدوية (١٨٥هـ). ومن أبرزهم وأقلهم إنتاجًا الحسن البصري (١١٠هـ)، جعفر الصادق (١٤٨هـ). ونموذجها في التصوف الخلقي وغزارة الإنتاج المحاسبي (٢٤٣هـ).^٢ ولم يترك الجنيد (٢٧٧هـ) إلا أعمالًا صغيرة متناثرة، وأبو سعيد الخراز (٢٨٦هـ) في كتاب الصدق أو الطريق السالم (الطريق إلى الله). ثم يأتي الترمذي (٢٧٠هـ) بغزارة مؤلفاته مثل المحاسبي.^٣ ثم يأتي الصقلي المالكي (٣٨٠هـ) في «الأنوار في علم الأسرار ومقامات الأبرار».

وقد ساهم فيه الفقهاء أيضًا مثل أحمد بن حنبل (٢٤٠هـ) في «كتاب الزهد»، وابن أبي الدنيا (٢٨١هـ) في «كتاب الشكر» و«الصمت وحفظ اللسان»، وأبي عاصم (٢٨٢هـ) في «كتاب الزهد».

(١) الوعي التاريخي الغيبي (التنبؤ بالمستقبل وتفسير الأحلام)

هو أول مكون للوعي الصوفي بكتابات خيالية منتحلة أو غيبية أو باطنية. أصحابها من أوائل الصوفية. ولهم عدة كتب أهمها:

(أ) كتاب «الجفر الجامع والنور اللامع» لأmir المؤمنين علي بن أبي طالب^٤

وهو من المنتحلات المنسوبة إلى علي بن أبي طالب لا يتفق مع وصاياه ومواعظه في كتاب «الحجة البالغة» المنسوب إليه أيضًا. وعلم الجفر هو علم قراءة المستقبل، ورؤية الطالع

^٢ وله «مبدأ من أناب إلى الله» (التوبة)، «التوهم»، «البعث والنشور»، «رسالة في التصوف»، «رسالة المسترشدين»، «شرف العقل وماهيته»، «الوصايا» (النصائح الدينية والنفحات القدسية)، «القصود والرجوع إلى الله»، «فهم الصلاة»، «المسائل في أعمال القلوب والجوارح»، «الرعاية لحقوق الله».

^٣ أهم مؤلفات الترمذي: كتاب الرياضة، أدب النفس، غور الأمور، ختم الأولياء.

^٤ مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٧١م/١٣٩١هـ.

عن طريق الحروف.^٥ ويمكن الاستدلال على الحاضر بالماضي، وعلى المستقبل بالحاضر، والتبشير بوقوع الحوادث.^٦ فهو على جريان الحوادث في التاريخ. ويمكن معرفة مساره من التقابل بينها وبين عالم الحروف والأفلاك. وهو أحد أشكال الوعي التاريخي. ومؤسسه علي وبنوه تقديرًا لعلّي مما يدل على ارتباط تشكل الوعي التاريخي وعلم الجفر والحدثان بالشيعة من علي حتى جعفر الصادق. والبعض يرجعه إلى الوافد اليوناني أفلاطون. وعلي هو مؤسس علم الكلام في جدله مع الخصوم، وعلم أصول الفقه في قدرته على التشريع واستنباط الأحكام، وعلوم الحكمة التي فيها فلسفة التاريخ وقراءة المستقبل وعلم الحروف وعلم الطوالع وعلم النجوم. وهو أيضًا موضوع التصوف النظري.

والجفر جلد البعير المرقوم بالحروف المكنوز فيها حوادث المتقدمين والمتأخرين. وقد يعني مفتاح الروح والقلم والحكمة. وقد يعني في علم الحروف القضاء والقدر، وعند الصوفية مفتاح أسرار الغيب، وعند أهل الملاحم سر حوادث الدهور.^٧ ويعتمد الكتاب على مقتطفات تدل عليها العلامة «ا.ه».^٨ وهو في الحقيقة منتحل على «علي» بالرغم مما يوحي به من حادثة وقعت بين علي بن موسى والمأمون والعهد الذي أعطاه له.^٩ وهو أقرب إلى التأليف المتأخر عندما تحول التصوف إلى علم البروج عند البوني (٦٢٢هـ) في «منبع أصول الحكمة» و«شمس المعارف».^{١٠}

وهو مقسم إلى خمس «جواهر» وخاتمة. واللفظ نفسه «جوهرة» إشراقي. الأولى تصف الكتاب على نحو سحري: عدد أبوابه وفصوله وصفحاته وسطوره وأبياته وحروفه وجداوله الهندسية ورسومه التوضيحية الأبجدية والقدرة على قراءتها والاستنباط منها.

^٥ «علم الجفر علم بقوانين حرفية يصل بها إلى استنباط المجهولات من الحوادث الكونية موضوعة الحروف المنجمة في صحائف الجفر الجامع والنور اللامع ليعسوب المؤمنين وما لهم من الحوض العين علي بن أبي طالب ... قد ذكر فيه على طريقة علم الحروف والحوادث، تحدث إلى انقراض العالم. وكانت الأئمة المعروفون من أولاده يعرفونه ويحكمون به ...»، الجفر الجامع، ص ٣.

^٦ «اعلم أن الجفر الجامع يمكن أن يُفهم منه أحوال الإنسان الماضي والحال والمستقبل أو كيفية الحادثة بهذه الطريقة»، السابق، ص ٣.

^٧ السابق، ص ٤.

^٨ السابق، ص ٥.

^٩ السابق، ص ٣، ٢٦.

^{١٠} انظر فيما بعد الباب الثاني: الوعي النظري، سادسًا: تناثر البنية.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

وهو ترتيب وضعه آدم.^{١١} والجوهرة الثانية كيفية تعليم الرسوم. والثالثة طريقة استخراج أي سؤال منها في أي وقت وفي أي مكان. والرابعة الطريق الثاني وهي المداخل المختلفة للكتاب، المدخل الكبير ومدخل النقط ومدخل الحروف (الأهطمي والأبجدي). والخامسة التنبؤ بوقوع الحوادث وأحوال الإنسان في الماضي والحاضر والمستقبل عن طريق الحروف «المفوضية» و«المكتوبية» و«السردية». وينتهي الوصف بأية قرآنية واحدة ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾. وفي الخاتمة جدول الحروف الأبجدية والهجائية وتقسيمها إلى أيام ومنازل في خمسة جداول مع البروج والكواكب والأعداد والأيام. وآخر فقرة عن كشف الغطاء عن هذا العلم السري حتى لا يعرفه أهل الكفر. ولمزيد من إخفائه حرمه أهله.^{١٢}

والسؤال هو: كيف يمكن الانتقال من المجرّد إلى العياني، من الحروف والأعداد والرسوم إلى الوقائع والحوادث والأحوال؟ أين إرادة الله أو إرادة الإنسان بصرف النظر عن التوحيد أو التميز بينهما؟ أين الاحتمية في الطبيعة إذا كان كل شيء مقرراً سلفاً ويمكن للإنسان معرفته وليس تغييره؟ والإيمان بالقضاء والقدر إحدى عقائد الكلام والتصوف والحكمة والثقافة الشعبية. والعلم نفسه «علم الجفر والحدثان» له رصيده في تاريخ الأديان في كل الملل.^{١٣}

والدليل على انتحالها في عصر متأخر ثم نسبها إلى علي أنها من نفس نوع الرسالة الثانية المجهولة المؤلف، تنتسب إلى الحكمة اليمينية.^{١٤} وقد كتبت بعد القرن التاسع الهجري لأنها تشير إلى فائدة عن الشيخ زروق الذي توفي عام ٨٩٩هـ. وموضوعها علوم النجوم والطوائع والبروج والطبائع مجموعة من أقوال هرمس الحكيم. فهي إلى الوافد أقرب. كما أن الرسالة المنسوبة إلى علي مجموعة من أقوال أفلاطون جمعاً بين الوافد والموروث لجمع الحكمين، أمل الفلاسفة مثل ناصر خسرو. ومادتها نفس الرسالة الأولى

^{١١} الجفر الجامع، ص ٥-١٣.

^{١٢} «فقد كشفت لك الغطاء. وإن زدنا على ذلك فربما يقف على هذا العلم أراذيل القوم. وقد قرر علماء هذا الفن عدم الجواز في كشفه بل قالوا إنه حرام. وساحة هذا العلم واسعة الفضلا لا يسلك فيها إلا بالأخماس والأسداس. إنما الفوز فيه بالمطالب بنجائب الأنس والاستثناس»، السابق، ص ١٣.

^{١٣} ويسمى علم الأعداد La Numerique في اليهودية والمسيحية.

^{١٤} «وهذه رسالة من الشعرة اليمانية»، الجفر الجامع، ص ١٤-٣٥.

أولاً: تشكل الوعي التاريخي

مع مزيد من التفصيل والتقسيم إلى فصول، فيما يتعلق بالسنة العربية في دخولها بأول الأسبوع أو دخول السنين بالأيام، وكسوف الشمس وخسوف القمر في الأشهر الرومية. وتدخل الأنواء أو بتعبير القدماء الآثار العلوية مثل ظهور البرق والرعد والمطر في نيسان. ومن البروج يمكن استنباط الحوادث، ومن دلائل الأسبوع في السادس من طوبة يمكن معرفة الحوادث في العالم في مستقبل الزمان. ويساعد هذا العلم على معرفة الأيام المنحوسة في السنة وساعات الليل والنهار وما يصلح فيها وما يضر، ومعرفة الكواكب السبعة وما لها من المعاد والساعات السعيدة منها والنحسة، ومعرفة الأيام وخدامها والمديرون أمرها.^{١٥} ويساعد أيضًا على معرفة ما يعتري الأطفال من الأسقام والأعلال، وعلامات الحياة والممات، وسعة الرزق والبيع والشراء، وكيفية استحضار المندل والتوافق بين الزوجين، ورؤية الأهلة. ويرسم خاتم يوضع في وسطه قطرة حبر أو زيت!^{١٦}

وقد وقع الانتحال في التصوف كما وقع في الفلسفة والكلام وأقله في أصول الفقه. ويتميز الانتحال بالخرافات والأوهام والخزعبلات مثل كتاب «الجفر الجامع والنور اللامع» المنسوب إلى علي بن أبي طالب.^{١٧} وعلي هو باب العلم. تنتسب إليه الأخلاق والكلام والفقه والتصوف، كما نسب إليه «نهج البلاغة». وعلم الجفر هو العلم بالقوانين التي يستنبط منها المجهول من الحوادث الكونية الموضوعة في الحروف. وهو أقرب إلى التعرف على قوانين التاريخ «علم الجفر والحدثان». تفهم منه أحوال الإنسان، الماضي والحاضر والمستقبل وكيفية وقوع الحوادث.^{١٨} والجفر لغويًا هو جلد البعير ويُقرأ بكسر الجيم وهي قراءة جعفر الصادق. وبه مفتاح العلوم. ويعني اصطلاحًا القضاء والقدر. وعند الصوفية مفتاح أسرار الغيب، وعند أصحاب الملاحم سر حوادث الدهور.

^{١٥} وهم الملائكة حنّس ونيكل وبرقيّل ونهش وسحر دل وتنهش وحنكوش وحرّاش وشمهورش وميمون وطمطمّان وقرّياش وطقطوش وصلصائيل ... إلخ، الجفر الجامع، ص ٣٠-٣١.

^{١٦} السابق، ص ٣٤.

^{١٧} السابق، ص ٣-١٣.

^{١٨} تعريف الجفر الجامع والنور اللامع، وضع كتاب الجفر الجامع طريقًا لاستخراج من علم الجفر أي سؤال كان في أي وقت كان في أي مكان كان، في الطريق الثاني، جدول الحروف الأبجدية والهجائية وتقسيمها إلى الأيام والنازل، السابق، ص ٥-١٢.

ويجمع بين الموروث والوافد، الموروث من علي بن أبي طالب وجعفر الصادق، والوافد من أفلاطون. يجمع بين الحروف من الموروث والأعداد من الوافد.^{١٩} ينتقل من المجرد إلى العياني، ومن الحرف إلى الشيء، في حرية مطلقة دون تدخل الإرادة الإلهية أو الإرادة الإنسانية.^{٢٠} تقسم الحروف الأبجدية والهجائية إلى الأيام والمنازل؛ أي إلى قسمة زمان الأفلاك. وهو علم سري لا يجوز البوح به لمن ليس أهله.

ومن نفس النوع «رسالة من الشعرة اليمانية»، إحالة إلى شعرة الرسول وموطنه.^{٢١} وهي رسالة في علوم النجوم والطوالع والبروج والطبائع.^{٢٢} والغرض التأثير في الأحداث بالوسائل السحرية تعبيراً عن العجز عن الفعل. ويختلط بالطب الشعبي في البيئة الزراعية مع الاستعانة بالكواكب.

ومن نفس النوع «رسالة لطيفة في معرفة الحوادث في مستقبل الزمان» تدخل فيها الأحجبة للشيخ زروق. وكلها فوائد عملية لجلب الخير ودفع الشر. «فالحذر ثم الحذر من التعاطي شيئاً من الأمور». وهي مجموعة من أقوال هرمس الحكيم يختلط فيها الوافد الأسطوري بالموروث الخرافي.^{٢٣} فالخير والشر لم يعد في قدرة الإنسان ولا مرهوناً بإرادة الله بل بأيام الأسبوع وليلاتها. ولم يعد الإنسان قادراً على التأثير في الحوادث والسيطرة عليها أو التنبؤ بها في المستقبل إلا من خلال الأحجبة التي يكتبها المشايخ والاستعانة بالأفلاك

^{١٩} السابق، ص ٥. تذكر آية قرآنية واحدة ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾، وأفلاطون مرة واحدة.

^{٢٠} السابق، ص ٧-١٣.

^{٢١} السابق، ص ١٤-٢٣.

^{٢٢} وتتضمن: السنة العربية في دخولها بأيام الأسبوع، معرفة دخول السنين والأيام، كسوف الشمس في الأشهر الرومية، خسوف القمر في السنة الرومية، ظهور البرق، ظهور الرعد والمطر في نيسان، دلائل الأسبوع في سادس طوبة على الحوادث في العالم.

^{٢٣} السابق، ص ٢٣-٣٥. فائدة من الشيخ زروق، فائدة في معرفة الأيام المنحوسة في السنة، في معرفة ساعات الليل والنهار وما يصلح فيها وما يضر يوم الأحد وليلة الخميس، يوم الإثنين وليلة الجمعة، يوم الثلاثاء وليلة السبت، يوم الأربعاء وليلة الأحد، يوم الخميس وليلة الإثنين، يوم الجمعة وليلة الثلاثاء، يوم السبت وليلة الأربعاء، في معرفة الكواكب السبعة وما لها من المعاد والساعات السعيدة منها والنحسة، في معرفة الأيام، وخدامها والمديرون أمرها، في معرفة ما يعتري الأطفال من الأسقام والأعلال، علامات الحياة والممات. فالأول يرجى وإن عاش كان ملكاً أو أميراً كبير القوم، فائدة أو قياس الأثر، فائدة لسعة الرزق والبيع والشراء، في معرفة استحضر المندل وخدامها الروحانية، معرفة موافقة الزوجين، معرفة ما ينظر إليه عند رؤية الأهله.

أولاً: تشكل الوعي التاريخي

والطوالع والبروج. وهو ما ترسَّب في الثقافة الشعبية.^{٢٤} وقد تدخل فيها الإسرائيليات نظراً لظهور بعض شخصيات صوتية عبرية صلصائل، وسمسمائل، وعنيائيل، وكسفائيل. وتذكر بعض الآيات القرآنية لكتابة الحجاب للتأييد مع بعض الدعوات.^{٢٥} والسؤال هو: هل العجز عن الفعل في الدنيا دافع إلى الهروب منها إلى عالم آخر هو عالم السحر والخرافة؟ هل البعد عن الأرض قرب من السماء؟ هل العجز عن التأثير في الأحداث يستدعي التأثير عليها بالحروف والأعداد والبروج والطوالع؟

(ب) مؤلفات ابن سيرين (١١٠هـ)

(١) «منتخب الكلام في تفسير الأحلام»، (تفسير الأحلام الكبير)^{٢٦}

وكما تشكل الوعي التاريخي خارج الزمان في الأعداد والحروف والبروج والطوالع فإنه تشكل أيضاً في الأحلام؛ أي القدرة على معرفة المستقبل بقراءة الرؤيا وتفسيرها. وهو ما فعله التابعي محمد بن سيرين في «تفسير الأحلام الكبير» ثم لخصه في «تعبير الرؤيا». فالتلخيص سابق على الشرح تاريخياً.

والحقيقة أن الكتاب منسوب إلى ابن سيرين. كتب في فترة متأخرة بعد الشافعي (٢٠٤هـ) لأنه يشير إليه، وابن سيرين توفي في ١١٠هـ. جمعه أبو سعيد، ووضع مادته في صيغة سؤال وجواب.^{٢٧} ولا يعقل أن يشير ابن سيرين إلى نفسه. وتروى عنه حكايات لا يرونها هو عن نفسه.^{٢٨}

^{٢٤} أعوان في العلاج والمندل «الملك حندس» و«نيكل»، في الأعمال الملك «برقيل» الطواف و«دنهش» وسمردل الطيار و«تنهش» ...، وأعوان الملك حنكوش وحرش ومجلس ومدحرج الطويل ... وخادمه شمهورش وأعوانه ميمون الحرنائوي وطمطممان الهادي وقرقاش ...، وأعوان بليس ودرويس ... وخادمه ميمون أبا نوح وأعوانه الأدهم وذوينة وطقطوش والقرسم ...، السابق، ص ٣٠-٣١.

^{٢٥} وذلك مثل ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ﴾، ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾، ﴿فَلَا تَنْتَصِرِينَ﴾، والمعوذتان والفاتحة والتكوير والحشر ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ﴾ للشفاء، السابق، ص ٣٢-٣٣.

^{٢٦} مكتبة صبيح، القاهرة، ١٩٦٣م/١٣٨٢هـ.

^{٢٧} تفسير الأحلام، ص ١٨، ١١٥، ٣٧٢.

^{٢٨} السابق، ص ٣-١٧.

والمقدمة نظرية خالصة تفرق بين الرؤيا والحلم. الأولى من الله، والثانية من الشيطان. وكلاهما من الواقع وحمل همومه والانشغال بها. وهو موضوع موجود في كل الثقافات.^{٢٩} وهي حكايات أقرب إلى «ألف ليلة وليلة» وما بها من عجائب، ويرتبط بالطب النبوي وبعلم النجوم. ولا يُحال إلى الوافد ويبدو أنه تم تأليفه قبل ترجمة كتاب تعبير الرؤيا لأرطيمدروس. ومع ذلك يُشار إلى الإسكندر.^{٣٠}

يتكون من تسع وخمسين باباً بعد مقدمة نظرية. ويمكن تجميعها في عشرة مجموعات. الأولى تأويل رؤيا الإنسان بين يدي ربه ورؤيا الأنبياء والمرسلين، والرسول والملائكة والصحابة والتابعين، وهي الرؤيا الدينية. والثانية رؤيا التأويل. تأويل القرآن والإسلام والسلام والمصافحة والطهارة والأذان والصلاة والمسجد والزكاة والصوم والحج والجهاد وهي تأويل شعائر الدين، والذهاب من الظاهر إلى الباطن. والثالثة تضم الأخريات رؤيا الموت والقيامة والحساب وجهنم والجنة والجن والشياطين وكل ما يتعلق بالحياة بعد الموت. والرابعة رؤيا الإنسان، الشيخ والشاب والعجوز والأطفال والنساء، والإنسان وأعضاؤه، وما يخرج من الإنسان، والأمراض والأطعمة والأشربة، والملابس والفرش والأثاث، والنوم والبلايا والنكاح والسفر وأنواع المعاملات، والمنازعات والمخاضات. والخامسة رؤيا الحيوان والخيول والدواب والوحش والسباع والطيور الوحشية والهوام وأدوات الصيد ودلالاتها الإنسانية. والسادسة رؤيا السلاطين والملوك، والحرب والصناع والركاب والفرسان وكل ما يتعلق بمظاهر الدولة، وهو موضوع السياسة. والسابعة رؤيا الأرض والسماء والبحر والذهب والفضة والنار والأشجار والحبوب والزرع وهي الرؤيا الطبيعية. والثامنة رؤيا القلم والدواة والمداد والنقش، وهي رؤيا العلماء. والتاسعة رؤيا الأضداد كالصعود والهبوط والبخل والإنفاق والحركة والسكون، وأشياء لا يُشكل بعضها بعضاً وهي رؤيا الحركة. والعاشر حكايات عن رؤى بعض الصالحين، وهنا يرتبط الموضوع بالصوفية وبذكر أعلام الصوفية.^{٣١} والكرامة جزء من التأويل إذا كان الحلم من معجزات وخوارق للعادات. ويظل يغلب على الموضوعات الدين والجنس والسياسة، وهي المحرمات أو المقدسات الثلاثة في ذهن الشعبي.

^{٢٩} لأرطيمدروس «كتاب تفسير الرؤيا»، ولشيشرون «التنبؤ بالغيب». وقد أخذه توفيق الطويل موضوعاً لرسالة الماجستير «التنبؤ بالغيب عند مفكري الإسلام».

^{٣٠} تفسير الأحلام، ص ١٤٧.

^{٣١} السابق، ص ٦٧.

والرسول هو مؤسس علم الرؤيا بتأويل رؤيا أبي بكر وتأويل جبريل رؤياه.^{٣٢} ويُستعمل القرآن كأحجية وتعاويذ.^{٣٣} تكثر في البداية وتقل في النهاية. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر.^{٣٤} وهل يمكن الاستشهاد بالآيات والأحاديث على تفسير الأحلام؟ التجربة الشعرية مصداق للتجربة القرآنية والنبوية. ويذكر السند مع المتن نظرًا لأن العصر سابق على تدوين الحديث، وقريب عهد بعلم الرجال. ويُرى النبي في المنام كعادة المتصوفة.^{٣٥} ويقوم التأويل على المطابقة والمثابهة. كل ما يُرى في الحلم له شيء مطابق في الواقع سيحدث في المستقبل. والمثابهة رمزية مثل الحديد للبأس والقوة، والشجرة أو الخنجر لعضو الذكر، والتفاحة لعضو الأنثى ... إلخ. ولا يعبر عن مكبوت نفسي كما هو الحال في التحليل النفسي الغربي الحديث. ويذكر امرؤ القيس.^{٣٦}

وتكشف معظمها عن الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية للبيئة العربية. وكثير منها يشير إلى أحداث سياسية كالسلاطين والخوارج. ومنها أحداث مأساوية مثل مقتل الحسين، ومذابح الحجاج ومظاهر القهر السياسي. ويحال إلى اللغة الفارسية مما يدل على المكون الفارسي في تفسير الأحلام.^{٣٧}

ويعتمد على أقوال بعض الصوفية مما يدل على بداية التراكم التاريخي.^{٣٨} كما يتناول بعض تعريفات التصوف مثل التوكل وقصر الأمل.^{٣٩} كما يعتمد على الإسرائيليات وقصص الأنبياء، سليمان ومريم.^{٤٠} وهناك إحالات مستمرة إلى اليهود والنصارى وأهل الذمة.^{٤١} وتقتبس بعض الآيات من الكتب المقدسة.

^{٣٢} السابق، ص ٣٨-٤١، ٣٠٤.

^{٣٣} السابق، ص ١٣١.

^{٣٤} الآيات (٢٦٥)، الأحاديث (٥١)، الأشعار (٣٢)، القدسية (١).

^{٣٥} السابق، ص ٤١٠.

^{٣٦} مثل: بشر بن الحارث، الطرطوسي، الحسن البصري، سفيان الثوري، الكرماني، السهروردي، التستري، جعفر الصادق، الحسن بن علي، الباهلي.

^{٣٧} السابق، ص ٢٥، ٣١١.

^{٣٨} السابق، ص ٢٦، ٢٨٠.

^{٣٩} السابق، ص ٤١١.

^{٤٠} السابق، ص ٢، ٤٩، ١٧٩.

^{٤١} السابق، ص ١٨٧، ٣٣٠، ٣٨٢، ٣٨٤.

(٢) كتاب تعبير الرؤيا^{٤٢}

وهو اختصار لتفسير الأحلام الكبير. ولا يُعرف ما الدافع إلى الاختصار وكيف تم ومن الذي قام به. فقد انخفض عدد الأبواب من تسعة وخمسين إلى خمسة وعشرين؛ أي أقل من النصف. قلت فيه الأدلة النقلية والأمثلة وتفصيلات الموضوعات.

وكما لم يكتب ابن سيرين «تفسير الأحلام الكبير»، لم يكتب ملخصه «تعبير الرؤيا»؛ لأنه يشير إلى نفسه كموضوع، ويذكر صوفية عاشوا بعده مثل سعيد بن المسيب وجعفر الصادق والشافعي وأبو حنيفة. كما يشير إلى بعض الطرق الصوفية المتأخرة مثل القادرية. ويشير إلى بعض الأمراء مثل المنصور، وعبد الملك بن مروان، ومروان بن عبد الملك. ويظهر أعلام الصوفية مما يدل على تشكل الوعي التاريخي.^{٤٣}

ويعتمد على القرآن والحديث والشعر.^{٤٤} ويتحول القرآن إلى أحجية وتعاويز. وهي نفس الموضوعات العشر في «تفسير الأحلام الكبير»: الطبيعيات مثل الملائكة والأنبياء السابقين والجنة والنار والموت. والموضوعات الطبيعية مثل السماء والشمس والقمر والنجوم والرعد والبرق والأمطار والمياه والبحار، والجبال والأبنية والأشجار والثمار والحبوب. والموضوعات الإنسانية مثل الشراب والنساء والنكاح واللباس والجواهر والحلي والأواني والحرف والصناعات والملاهي. وتبرز موضوعات الحيوان كالإبل والبقر والغنم والماعز والخيول والفيل والسبع، مع موضوعات الهوام والحيات والعقارب وحيوان الماء والسماك والطيور. ثم يظهر تأويل بعض سور القرآن التي تتحول إلى أدعية وأحجية لقضاء الحاجات.^{٤٥} وكل ذلك يتم في إطار نسبية المعرفة «الله أعلم».

ويمكن اعتبار كتاب «تعبير الرؤيا» أول كتاب في التأويل ولكن تأويل الأحلام، وقد يحتار مصنفو النصوص أين يصنفونه وفي أي علم؟ في علم النفس وهو جزء من علوم

^{٤٢} الشيخ محمد بن سيرين (رحمه الله ونفعنا بعلومه. آمين): كتاب تعبير الرؤيا، مكتبة صبيح، القاهرة (د.ت)، وهي طبعة مختصرة لكتاب «تفسير الأحلام الكبير»، (الإمام الهمام محمد بن سيرين نفعنا الله به. آمين)، صبيح، القاهرة، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م.

^{٤٣} مثل: جعفر الصادق، سعيد بن المسيب، ومن الفقهاء الشافعي، أبو حنيفة؛ ومن الطرق الصوفية القادرية.

^{٤٤} الآيات (٢٣)، الأحاديث (٤)، الشعر (١).

^{٤٥} تعبير الرؤيا، ص ٥٨-٦٢.

أولاً: تشكل الوعي التاريخي

الحكمة أم علوم التصوف في الرؤيا أو في الكلام في النبوة أو في علوم التفسير؟ والحقيقة أنه أدخل في التصوف باب التأويل في الفلسفة الإلهية في المرحلة الثالثة بالرغم من امتداد جذوره في المرحلة الثانية، المرحلة النفسية، في تأويل الشطحات. وهي مجموعة من الروايات المنقولة وليست الموضوعات المدروسة. وقد تدخل فيها الإسرائيليات. يعتمد على الموروث وحده، القرآن والحديث.^{٤٦} ويضاف الشعر إلى القرآن.^{٤٧} تغلب عليه السطحية والمباشرة في الرمزية، ولكنه أصيل خاصة في هذا العصر المبكر.^{٤٨} وتنقسم الرؤيا طبقاً لعدة مجالات.^{٤٩}

(٢) الوعي التاريخي التفسيري

ويعني مساهمة اللغة في تشكل الوعي التاريخي عن طريق علم التفسير. فالتفسير التقليدي هو معرفة بالواقع التاريخي، وعلم بأخبار السابقين. وقد بدأ التفسير الصوفي مبكراً مثل «تفسير جعفر الصادق وتفسير القرآن العظيم» للتستري (٢٩٣هـ).

(أ) «تفسير جعفر الصادق» (٤٨هـ)^{٥٠}

شارك التفسير مثل الفقه في تشكيل الوعي التاريخي الصوفي. وهو ليس تفسيراً طوليّاً، سورة سورة، وآية آية، من الفاتحة حتى الناس بل هو تفسير عرضي. وهو التفسير الموضوعي الذي تعطي فيه الأولوية للبنية على التاريخ، وللموضوع الكلي في كل الآيات

^{٤٦} يشمل المختصر ٢٢ آية.

^{٤٧} كتاب تعبير الرؤيا، ص ٥٨.

^{٤٨} (أ) رؤية الجنة، والملائكة والأنبياء والصالحين والعلماء والكعبة والأذان والصلاة والحج. (ب) رؤية السماء والشمس والقمر والنجوم والقيامة والجنة والنار، والأمطار والرعد والبرق ومياه الآبار والبحار والسواقي والطين والوصل وأنهار السفن.

^{٤٩} (أ) رؤية الموضوعات الدينية، (ب) رؤية الموضوعات الطبيعية، (ج) رؤية الأشجار والحيوان والأشربة والخيل والبغال والوحوش والهوام، (د) تأويل النساء والرجال والنكاح والحمل والولادة، (هـ) رؤية الرقي، (و) الكسوة واللباس، الجواهر والحلي والأواني، (ز) رؤيا السلاح، (ح) تأويل الحرف والصناعات والملاهي.

^{٥٠} Beyrouth, Imprimerie Catholique, 1968

على تناوله الجزئي المقتطع في عديد من الآيات. تقطع السور إلى آيات، والآيات إلى ألفاظ، والألفاظ إلى حروف، ثم من الحرف إلى النبي، ومن اللغة إلى الله. فاللغة إشارة إلى مشار إليه. بل إن سورة الفاتحة التي تفسر كلية تقطع آياتها إلى ألف بل وإلى حروف كما يفعل الصوفية المتأخرون خاصة ابن عربي.^{٥١} والآيات منتقاة مما يسمح بالتأويل الباطني مثل القصص إبراهيم وموسى ويوسف. وهي ليست مرتبة ترتيباً تاريخياً بل هي منتقاة طبقاً للموضوع والقرآن نفسه ليس مرتباً ترتيباً تاريخياً.

هو تفسير إشاري رمزي تأويلي. يترك الظاهر إلى الباطن، وينتقل من التنزيل إلى التأويل، ومن الخارج إلى الداخل، ومن النظر إلى الذوق، ومن الشيء إلى الوجدان، ومن أعمال الجوارح إلى أعمال القلوب، ومن الكون إلى الإنسان. الغاية عملية وليست نظرية، وهي طهارة القلب. يستعمل لغة النور. وتظهر موضوعات التصوف مثل المقامات والأحوال، وبداية الانعراج كرد فعل على السقوط، والصعود إلى أعلى كرد فعل على الانحدار إلى أسفل. وتبدأ القبة السماوية في الظهور، الوجود الواحد، غطاء كل شيء، وحدة كل شيء في كل شيء، في تفسير الصفات الإلهية. وهو منقول عن «حقائق التفسير» للسلمي الذي يشهد له بأنه أول من عبر عن خطابه بلسان أهل الحقيقة مع أبي العباس بن عطاء.^{٥٢} يقوم التفسير على نظرية في المطابقة؛ أي إيجاد الموضوع الذي تشير إليه الآية. وهو موضوع شعوري، وتجربة حياتية؛ أي تاريخ ذاتي. كان الصوفية من أوائل الذين وضعوا قواعد التفسير الباطني عند جعفر الصادق (١٤٨هـ)، والتستري (٣١٩هـ) في «تفسير القرآن العظيم»، والقشيري (٤٦٥هـ) في «لطائف الإشارات» قبل كبار المفسرين المؤرخين كالطبري وابن كثير. فكانوا من أوائل الذين أحالوا النص القرآني ليس إلى حوادث التاريخ بل إلى التجارب الشعورية والمواقف الإنسانية.

ومع ذلك، هو تفسير بالمأثور، تفسير القرآن بالقرآن، والقرآن بالحديث.^{٥٣} وفي الحديث يقتزن السند بالمتن، فجمعه وتدوينه لم يكن قد بدأ بعد. ويغيب الشعر. فقد ورثه القرآن

^{٥١} السابق، ص ١٨٨-١٩٠.

^{٥٢} «ولم يشغل أحد منهم بجمع فهم خطابه على لسان أهل الحقيقة إلا آيات متفرقة نسبت إلى أبي العباس بن عطاء وأيات ذكر أنها عن جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما على غير ترتيب»، السابق، ص ١٨٨.

^{٥٣} الآيات (٤١٥)، الأحاديث (٣).

أولاً: تشكل الوعي التاريخي

واستولى على الوجدان العربي قبل أن يعود الشعر من جديد ليعبر عن الوجدان العربي في القرون المتأخرة، ويصبح أداة لتدوين العلوم التي وقعت في الصورية والتجريد. والمقدمة النظرية تضع بذور منهج للتفسير الباطني؛ إذ يقوم الكتاب على أربعة أشياء: العبارة، والإشارة، واللطائف، والحقائق؛ لذلك سمي القشيري تفسيره فيما بعد «لطائف الإشارات». العبارة للعوام، والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء والحقائق للأنبياء.^{٥٤} كما تظهر القسمة والعدد والإحصاء طبقاً للمستويات. فالشهادة تقوم على أربعة أركان: اتباع الأمر، واجتناب النهي، والقناعة، والرضا.^{٥٥} وقد تحول الرابع فيما بعد إلى مقام. والنداء أي الإيمان له أربع خصال: نداء، وكتابة، إشارة، وشهادة. ويستحيل على الإنسان بالنسبة لله ثلاثة أشياء: التجلي، والوصلة، والمعرفة. وقد تتكاثر المستويات وتتراتب إلى اثني عشر مقاماً لتفسير ﴿فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾، وهي مقامات المعرفة.^{٥٦} وقد تتراتب في سبعة فقط تفسيراً لآية ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾، سبع كرامات.^{٥٧} وقد تتعدد الأنواع بالعشرات بحيث تفقد القسمة غايتها وهو الحصر مثل قسمة النور إلى سبعة وثلاثين نوعاً.^{٥٨} يتكرر بعضها مثل الجلال. ثم يُعاد جمعها في أربع فقط في

^{٥٤} تفسير جعفر الصادق، ص ١٨٨.



^{٥٥} السابق، ص ١٩١، ١٩٤، ١٩٦-١٩٧، ٢٠٥، ٢١١-٢١٢، ٢١٧، ٢٣٠.

^{٥٦} وهي: التوحيد، العبودية، الإخلاص، الصدق، التواضع، الرضا والتفويض، السكينة والوقار، السخاء والثقة بالله، اليقين، العقل، المحبة، الأنس والخلة.

^{٥٧} وهي: الهدى، والنبوة، والرحمة، والشفقة، والمودة والألفة، والنعيم، والسكينة.

^{٥٨} وهي: حفظ القلب، الخوف، الرجاء، التذكر، النظر، العلم، الحياء، حلاوة الإيمان، الإسلام، الإحسان، النعمة، الفضل، الألاء، الكرم، العطف، القلب، الإحاطة، الهيبة، الحيرة، الحياة، الأنس، الاستقامة، الاستكانة، الطمأنينة، العظمة، الجلال، القدرة، الألوهية، الوجدانية، الفردانية، الأبدية، السرمدية، الديمومة، الأزلية، البقاء، الكلية، الهوية.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

السماء.^{٥٩} وأربع في الأرض.^{٦٠} والحرمت أربع.^{٦١} والمؤمنون ثلاثة.^{٦٢} وتحيل حروف الكلمات إلى الألوهية وتجلياتها. فلفظ «الصمد» خمسة أحرف. الألف الأحدية، واللام الألوهية، لا ينطقان باللسان لخفائهما. والصاد الصدق، والميم الملك، والdal الدوام.

(ب) تفسير الحلاج (٣٠٩هـ)^{٦٣}

وهو تفسير منتقى من بعض السور وبعض الآيات منها للتحويل من الخارج إلى الداخل، ومن الظاهر إلى الباطن.^{٦٤} ويعتمد على القرآن وحده دون الحديث أو الشعر. والحلاج شاعر وصاحب ديوان. ويظهر تأويل الحروف والانتقال من الحروف إلى الوجود. فالاسم هو أمر الكينونة. والنتيجة هي الكشف والعلم للذني ومعرفة التوحيد.

وتظهر موضوعات التصوف من خلال التفسير، الأخلاق أو المقامات والأحوال أو التوحيد أو علامات الطريق. فالتصوف ظاهر وباطن، عبادة وطاعة، جوارح وقلوب. ومن الفضائل التقوى والصدق والإخلاص. ومن الرذائل الظلم والمكر والتلبيس وزينة الدنيا. وتظهر بعض المقامات مثل المحبة وهو معنى الطريق المستقيم في الفاتحة والتوكل والصبر والتوبة والشكر والرضا بالقضاء والقدر. كما تظهر بعض الأحوال مثل الخوف. والطريق ذكر ضد الغفلة والغور في النفوس ونزول البلاء والامتحان والفقر. والله هو الحق، والشهادة عليه منذ عهد ﴿أَلَسْتُ﴾، شهادة الخلق كله على التوحيد، شهادة الفطرة وحمل الأمانة.

^{٥٩} أنوار السماء: جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل.

^{٦٠} أنوار الأرض: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي.

^{٦١} وهي: حرمة الخلق، حرمة المؤمنين، حرمة الرسول، حرمة الله.

^{٦٢} وهم: المؤمنون، العباد، الأصفياء.

^{٦٣} الأعمال الكاملة، رياض الريس، بيروت، ٢٠٠٢م، ص ١٠٩-١٥٨.

^{٦٤} تذكر ٦٩ سورة من مجموع ١١٤ سورة. والآيات المنتقاة ٢٢٥ آية. الأنعام (١٠). الأعراف (٩). الكهف (٧). البقرة، آل عمران، يونس، النور (٦). النساء، المائدة، الفرقان، الزمر (٥). التوبة، يوسف، مريم، طه، الأنبياء، المؤمنون، القصص، يس، ق، المجادلة (٤). الفاتحة، هود، الرعد، الإسراء، الأحزاب، الصافات، الحديد، النجم، المدثر (٣). إبراهيم، النحل، الروم، فاطر، الفتح، الحجرات، الطور، الرحمن، التكويد، الغاشية، البينة، التكاثر (٢). الحجر، النمل، السجدة، ص، غافر، الدخان، الأحقاف، محمد، القمر، الواقعة، الحشر، الجمعة، التغابن، الطلاق، القلم، الحاقة، الجن، الانفطار، البروج، الفجر، القدر، الزلزلة، الكافرون، الإخلاص، الفلق (١).

أولاً: تشكل الوعي التاريخي

ويخصص العلاج جزءاً من أعماله لموضوع التفسير داخل أعماله الصغرى دون أبواب أو فصول مع انتقاء لبعض الآيات المتناثرة. هو أقرب إلى التفسير الجزئي وليس الموضوعي.^{٦٥} ويدخل في موضوع التأويل لأنه ليس مثل «تفسير القرآن العظيم» للتستري الأدخل في علوم التفسير.

ففي تفسير الفاتحة الصراط هو المحبة. والهداية علم التوحيد. والنور والظلام العلم والجهل. ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ التوبة محو البشرية بإثبات الإلهية وفناء النفوس عما دون الله رجوعاً إلى أصل العدم حتى يبقى الحق وحده. ﴿فَأَيْنَمَا تُولُونَ﴾ أي التحول عن القصد. ﴿لَا إِلَهَ﴾ تقتضي إزالة العلة عن الربوبية وتنزيه الحق عن الدرك وإتيان الملك وانتزاعه ممن يشاء أي الاصطفاء.

ولا يقدم العلاج في «التفسير» تفسيراً كاملاً مثل «تفسير القرآن العظيم» للتستري ولا أجزاء أو سوراً مختارة، بل بعض آيات منتقاة تسمح بالتأويل الباطني.^{٦٦} بل إن سورة الفاتحة يختار منها بعض الآيات دون غيرها.^{٦٧} وتُعطى الآية مرة واحدة. ثم تفصل جزءاً جزءاً وأحياناً كلمة كلمة لاكتشاف معانيها الباطنية. ويختلف التأويل من حيث الكم بين لفظ وعبرة وفقرة وعدة فقرات. فالهم هو تحول الخارج إلى الداخل، والنص إلى تجربة، واللغة إلى روح. وقد تضم أكثر من آية لمعنى باطني واحد خاصة في قصص الأنبياء لاستكمال القصة.

ولا يستعمل الحديث لتدعيم تفسير القرآن أو يكون موضوعاً خاصاً للتفسير إلا مرة واحدة.^{٦٨} ومنهج التأويل ليس اللغة أو السياق أو أسباب النزول بل التجربة الصوفية. ولا يوجد نسق يجمع هذه الآيات المنتقاة أو منهج عام. ويمكن تجميعها طبقاً لمنهج في التأويل أو طبقاً لمجموعات التأويل. والموضوعات أفضل حتى يتكشف المنهج حتى لو بدت متناثرة مثلاً، التكليف نوعان، تكليف عن وسائل، وتكليف بحقائق. الأول تبدو معارفه عمن دونه ولا يرقى إلا بعد التخلي عنها، وذلك مثل إظهار البيت والكعبة. والثاني تبدو

^{٦٥} العلاج، الأعمال الكاملة، ص ١٠٩-١٦٠.

^{٦٦} السابق، ص ١٠٩-١٥٨. ومجموع الآيات المنتقاة ٢٢٥ آية من أول القرآن إلى آخره.

^{٦٧} اقتبس العلاج آيات من ٧٢ سورة وترك ٤٢.

^{٦٨} وهو حديث «تعرف إلى الله في الرضا يعرفك في الشدة» تفسير لآية ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾، العلاج، الأعمال الكاملة، ص ١٤١-١٤٢.

معارفه منه وتعود إليه. الأول فصل، والثاني وصل.^{٦٩} الصلاة في الشريعة والرسول إمامها. أما الله فليس له مقام ولا شهود في نار، ولا استهلاك في حيرة، ولا دھول في عظمة تخل بأداب الشريعة. ولا أوقف الموحدين.^{٧٠} والحق هي العبادات دليلاً على الطاعات والشهادة عليه وحده.^{٧١} فالعبادة ظاهر والطاعة باطن، والشهادة باطن الباطن. والحق لا يستحسن حسناً، ولا يستقبح قبحاً. وهذه أشعرية من جديد تنكر الحسن والقبح العقليين. فالحق هو معل الأنام ولا يعقل كما هو الحال عند الأشاعرة في إنكار التعليل. العبودية كلها شريعة، والربوبية كلها حقيقة.^{٧٢} والتصوف هو تحرر الإنسان من عبودية الشريعة إلى ربوبية الحقيقة. والإسلام إما طوعاً بمشاهدة الربوبية والاطلاع على الذات وإما كرهاً من الهيبة.^{٧٣} والتكليف للمؤمنين دون الكافرين. للمؤمنين استعباد بخصائص العبودية حتى يأتيهم اليقين وهو استحقاق بالجهد.^{٧٤} وطاعة الرسول بها صلاح الكل. وهي المواظبة على الأوامر والفرائض. يعمل الأنبياء في الفرائض، والمؤمنون في الفضائل، والصديقون في ترك النواهي، والعارفون نسيان كل شيء غير الله.^{٧٥} والخبيث هو الناظر إلى الخبائث بعين

^{٦٩} ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾، التفسير، ص ١١٢، ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، السابق، ص ١١٩.

^{٧٠} ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾، السابق، ص ١١٣.

^{٧١} ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾، ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ﴾، السابق، ص ١٢٢.

^{٧٢} السابق، ص ١٢٥.

^{٧٣} ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، التستري، ص ١١٢.

^{٧٤} ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾، ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾، السابق، ص ١٥٦-١٥٧.

^{٧٥} ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾، التفسير، ص ١٣٥.

الموضوع	الذات
الله	العارفون
ترك النواهي	الصديقون
الفضائل	المؤمنون
الفرائض	الأنبياء

أولاً: تشكل الوعي التاريخي

الطهارة.^{٧٦} فإدراك الشيء بضده. والقرآن الكريم به محكم ومتشابه. المحكم الأمر والنهي. وتفصيله في ﴿فُصِّلَتْ﴾ في الوعد والوعيد. والله «حكيم» فيما نزل و«خبير» بمن يقوم بأمره أو يعرض عنه.^{٧٧}

والاستنباط من القرآن على قدر تقوى الإنسان في الظاهر والباطن وفي تمام المعرفة. وهو أعظم مقامات الإيمان.^{٧٨} فهو ليس عملاً عقلياً منطقياً استدلالياً بل هو عمل أخلاقي إيماني باطني. وأمر الإنسان بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والظاهر من الكتاب طاعة الله ثم من السلف الصالحين.^{٧٩} فأولوا الأمر ليسوا هم الحكام بل السلف.

(ج) تفسير القرآن العظيم للتستري (٣١٩هـ)^{٨٠}

وبالرغم من أن التفسير الصوفي يدخل في علم التفسير، أحد العلوم النقلية الخمسة، القرآن والحديث والتفسير والسيرة والفقه، إلا أنه ساهم في بلورة الوعي التاريخي عن طريق العثور على المقابل للنص في التجربة الشعورية في العالم. وهو تفسير طولي من الفاتحة إلى الناس. تتجزأ فيه الموضوعات حتى لو تكررت. ولا تفسر كل آية داخل كل سورة وإن توالى السور كلها بل تنتقي بعض الآيات الأكثر دلالة على الجانب الأخلاقي الشعوري. ويبرز الموضوع في عناوين السور. فلا يقال سورة البقرة بل السورة التي تذكر فيها البقرة. فالبقرة ليست اسماً بل موضوع. وهي تفسيرات قصيرة قصر الآيات دون استفاضة. ولا توجد أبواب أو فصول بل هي مادة مجمعة طبقاً لطريقة السؤال والجواب. وهو تفسير القرآن بالقرآن أولاً، والقرآن بالحديث ثانياً، والقرآن بالشعر ثالثاً. القرآن بالقرآن بالآلاف، والقرآن بالحديث بالعشرات، والقرآن بالشعر هو الأقل.^{٨١} والأحاديث متون بلا أسانيد. كما يتم الاعتماد على بعض الأمثال العامة عند العرب.^{٨٢}

^{٧٦} ﴿الْخَبِيثَاتُ﴾، التفسير، ص ١٣٣.

^{٧٧} ﴿الر * كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾، التفسير، ص ١٢٣.

^{٧٨} ﴿الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾، التفسير، ص ١١٣.

^{٧٩} ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، التفسير، ص ١١٣.

^{٨٠} دار الكتب العربية، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، (د.ت). يختلف المؤرخون حول تاريخ وفاته

بين ٢٨٣، ٢٨٧، ٢٩٣، ٣١٩هـ.

^{٨١} القرآن بالآلاف، والأحاديث (٣٠)، والأشعار (٧).

^{٨٢} السابق، ص ٤٩، ٥٣، ٦٩.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

وتظهر الإسرائيليات بوضوح عشرات المرات في حوارات الأنبياء السابقين وأحاديثهم وأقوالهم.

ويظهر الوعي التاريخي في الإحالة إلى الصوفية السابقين. فقد أتى تراكمهم إلى إحداث وعي تاريخي بالتصوف.^{٨٣} كما يعتمد على ابن عباس حبر الأمة. وتظهر بعض المقامات والأحوال مثل الصبر والرضا والتوكل.^{٨٤} وتظهر القسمة العقلية عدة مرات، مما يؤذن ببداية التحليل النظري.^{٨٥} ويبدأ التفسير بمقدمة نظرية مثل تفسير جعفر الصادق بعنوان صفات طلاب فهم القرآن.^{٨٦} التفسير موقف ذاتي. بقدر ما يعي المفسر ذاته يعي موضوعه. وهو معنى أن القرآن نزل على سبعة أحرف. وهذه المراتب ليست في الحرف بل في الشعور، ليست في الموضوع بل في الذات. وطبقاً لعمق الذات يتم فهم الحرف.

ومع ذلك، للنص خمسة أنواع: المحكم والمتشابه والحلال والحرام والأمثال. العمل بالمحكم، والإيمان بالمتشابه وإحلال الحلال وتحريم الحرام وعقل الأمثال. وهي مبادئ لغوية من علم أصول الفقه مع بعض الأحكام الشرعية. وشرط فهم القرآن العمل به. فالعمل أساس النظر. والفعل شرط الفهم. فعلم التفسير مثل علوم التصوف علوم عملية.

(٣) الوعي التاريخي الأخلاقي

والوعي الفقهي هو أحد مكونات الوعي التاريخي الصوفي. فالفقه بتعبير المغاربة «علم النوازل». ولا فرق بين مقامات الزهد والشكر والصمت في التصوف وبين كتب الزهد

^{٨٣} مثل: أبو سعيد الخراز، عريان، الحسن البصري، السجزي، الجنيد.

^{٨٤} تفسير القرآن العظيم، ص ٢٢.

^{٨٥} فالعلماء ثلاثة: ربانيون، ونورانيون، وذاتيون. وفي قسمة أخرى العلماء ثلاثة: عالم بالله لا بأمره ولا بأيامه وهم العامة، وعالم بالله وبأمره لا بأيامه وهم العلماء، وعالم بالله وبأمره وبأيامه وهم النبيون والصدّيقون، والعلم بأيام الله هو العلم بالتاريخ. والعلوم أربعة: الوحي والتجلي العندي واللدني. والإيمان أربعة أركان: التوكل على الله، والاستسلام لأمره، والرضا بقضائه، والشكر لنعمائه. وللقلب ثلاثة مقامات: مجهر القلب، ومقام اللسان من القلب، ومقام الجوارح من القلب. وأولياء الله ثلاثة: الثقة بالله في كل شيء، والفقر إليه في كل شيء، والرجوع إليه مدخل كل شيء. والعبادة الكاملة لا تغرر من أربعة أشياء: الجوع والعري والفقر والذلة. والتوقي في الكتاب بثلاث طرق: الموت والنوم والرفع، تفسير القرآن العظيم، ص ٢٤، ٢٩، ٦٣، ٧٣، ٧٧-٧٨، ٨٠.

^{٨٦} السابق، ص ٤-٧.

والشكر والصمت في الحديث. هو الحديث الصوفي أو تصوف الحديث النبوي. فالصراع المتأخر بين علماء الحديث والصوفية صراع مفتعل، ربما على السلطة الدينية والسياسية. فعلماء الحديث هم أهل السنة والجماعة في العقيدة والشريعة، الفرقة الناجية في الدين، وفرقة الحكم في السياسة. خرج التصوف من علم الحديث ثم عاد إليه.

وكبار صوفية المرحلة الخلقية تركوا أعمالاً مدونة قليلة مثل الحسن البصري (ت ١١٠هـ)، والمحاسبي (ت ٢٤٣هـ)، والحكيم الترمذي (ت ٢٣٠هـ)، وأبو سعيد الخراز (ت ٢٧٧هـ)، وسهل التستري (ت ٣١٩هـ). وواضح أن المرحلة الخلقية تمتد حتى قبيل نهاية القرن الثالث حيث تبدأ المرحلة النفسية عند البسطامي (٢٦١هـ)، والحلاج (٣٠٩هـ).

لم تترك رابعة العدوية (١٨٥هـ) أعمالاً صوفية بل تناقلت الروايات أقوالها وأخبارها في كتب المؤرخين والطبقات.^{٨٧} والخلط بين رابعة الشامية ورابعة البصرية أو التمييز بينهما قضية استشرافية خالصة. ما يهم أقوالها ودلالاتها على التصوف كتاريخ وطريق.^{٨٨} وتتكرر بعض الأقوال طبقاً لتعدد المصادر. وهناك أخبار وروايات كثيرة عنها وعن كراماتها، ولكنها ليست أقوالاً. ويخشى من تدخل الخيال الشعبي في صياغتها. فالرواية بطبيعتها تتضخم وتتمدد. ورواية عنها تروى حلاً مملوءاً بالكرامات، مرفوعة إلى روضة خضراء ذات قصور، وطاقير أخضر وجارية تطارده، ويُفتح باب يشع منه شعاع ينير كل شيء، ويرفع باب، ويظهر بستان، وصفاء وجوههم كاللؤلؤ، وكذلك رواية كرامات الميلا.^{٨٩} وبعض أقوالها مروية في صيغة سؤال وجواب. ولقاءاتها مع الحسن البصري مشكوك فيها نظراً لأن الحسن توفي ١١٠هـ، ورابعة ١٨٥هـ. فبينهما أكثر من جيل. وقد صاغ الخيال الشعري كل ذلك.

وبعض أقوالها مروية في المنام مثل «رؤيا يوحنا».^{٩٠} وتنتحل بعض الأقوال مدعمة بالآيات القرآنية أو الحديث النبوي ليس كاستشهاد بل كجزء من الخطاب. فالدليل تجريبي حسي وليس نقلية نصياً، وينطبق ذلك أيضاً على روايات الكرامة دون الأقوال.^{٩١}

^{٨٧} عبد الرحمن بدوي: شهيدة العشق الإلهي، رابعة العدوية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٨م.

^{٨٨} أخبار رابعة، ص ١٠٨-١٨٢.

^{٨٩} السابق، ص ٤٦-٥٠.

^{٩٠} السابق، ص ١٣٣-١٣٤، ١٤٣، ١٤٩.

^{٩١} مثل: «هدايات تأتينا على أطباق من نور، محمرة بمناديل من نور»، رابعة، ص ١٧٠.

^{٩٢} السابق، ص ١٣٨، ١٤٢، ١٤٧، ١٦٢، ١٧٣.

وتعتمد الأخلاق على الحجج النقلية، الآيات والأحاديث، أكثر من التحليل النظري أو التأسيس في التجربة الحسية.^{٩٢} التأليف هو تجميع آيات وأحاديث حول موضوعات معينة. كان العهد قريباً من الرسالة. ولا يهم صحة الأحاديث وضعفها من حيث السند، بل ما يهم هو دلالتها من حيث المتن. وتختلط بالأقوال المأثورة. وتكثر الأحاديث القدسية الإشرافية. وفي معظمها ضعيفة، ولكن دلالتها الصوفية واضحة، وهي طويلة للغاية عكس الأحاديث الصحيحة العملية. وتتجه الآيات والأحاديث نحو العمل المباشر. فهي نداء للعمل، ودعوة للتحقق كما هو الحال في الحركة الوهابية. ويتم تجميع أقوال الصحابة أيضاً. ويتم الاستشهاد بأقوال الأنبياء السابقين مثل عيسى^{٩٣} كما يستشهد بالشعر العربي.^{٩٤}

(أ) في عمل اليوم والليلة (فرائض الإسلام) للحسن البصري (١١٠هـ)^{٩٥}

ويستعمل نفس أسلوب الرواية في علم الحديث دون أي عرض نظري أو تحليل نفسي، مجرد تجميع أحاديث وآيات وقليل من الشعر.^{٩٦} والحديث القدسي مفعم بالإشراقيات. ويستمد معلوماته عن الأنبياء السابقين من الإسرائيليات والكتب المقدسة وأقوال الأنبياء منها.^{٩٧} كما يعتمد على أقوال الصحابة.

والأهم هو وضع أربع وخمسين فريضة.^{٩٨} تجمع بين الفقه والتصوف، بين أعمال الجوارح وأعمال القلوب، بين العبادات والمعاملات.^{٩٩} تظهر المقامات مثل التوكل والرضا والشكر والصبر والتوبة، والأحوال مثل الخوف. كما تظهر بعض الفضائل مثل القناعة

^{٩٢} الحسن البصري: في عمل اليوم والليلة، آية (٦٩)، حديث (٩٩).

^{٩٣} السابق، ص ١٠٥.

^{٩٤} السابق، ص ٨٠، ٨٣ (مرتان، كل مرة بيتان).

^{٩٥} دار الأرقم، الزقازيق، ١٩٩١م/١٤١٢هـ.

^{٩٦} الأحاديث (٩٩)، الآيات (٦٩)، القدسية (٢)، الأشعار (٢).

^{٩٧} في عمل اليوم والليلة، ص ٨٤، ٩٧.

^{٩٨} وهو ما حدث أيضاً في علم قواعد العقائد في العصور المتأخرة في حصر العقائد في اثنين وخمسين عقيدة، من العقيدة إلى الثورة، ج ١، المقدمات النظرية، ص ١٩٤-٢٠٢.

^{٩٩} الفقه مثل: الوضوء، الاغتسال، لبس الثياب، الصلاة، المحافظة عليها؛ ومن العبادات: اعتزال النساء، عدم الزنا، عدم شرب الخمر، عدم الحلف بالله كذباً؛ ومن المعاملات: بر الوالدين، صلة الرحم، أداء الأمانة، الوفاء بالكيل، عدم رد المسكين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، النفقة، النفقة على المقدار،

أولاً: تشكل الوعي التاريخي

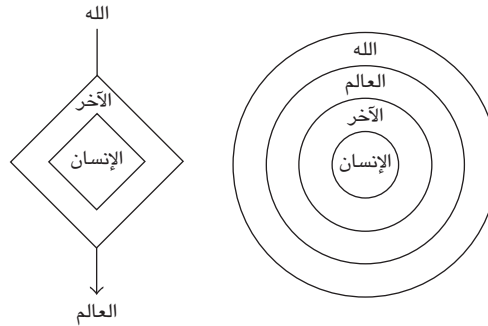
والإخلاص والصدق، وتجنب الرذائل مثل: الهوى، العلو، الفرح، سوء الظن، السخرية، القنوط، الشرك. كما تظهر بعض متطلبات الطريق مثل الذكر والإيمان والعبرة والتفكير. ويظهر وضع الإنسان في العالم، مع الآخرين، وبين الأشياء ومع الله.^{١٠٠}

(ب) «كتاب الزهد» لأحمد بن حنبل (٢٤٠هـ)^{١٠١}

وهو نموذج التأليف المشترك بين الحديث والتصوف. فالزهد أحد المقامات. وهو أحد موضوعات الحديث. ويسبق الاستشهاد بالحديث الاستشهاد بالقرآن وبالشعر.^{١٠٢} ويذكر السند مع المتن مع حضور طاغٍ للسند. وتشمل الأحاديث الأقوال والحكايات. وتتوالى في زخات متعاقبة. وتستعمل بعض الأحاديث الآيات. وإثبات زهد الرسول بأقواله ليس دليلاً، وتكرر بعض الأحاديث في صياغات مختلفة مثل الأحاديث المروية عن أويس القرني،^{١٠٣} ويرى الرسول في منامات بعض الزهاد لدى القرابة بينهم. ويستكمل الحديث بالشعر.

حفظ المال، حفظ مال اليتيم، عدم أخذ مال اليتيم، الأكل الحلال؛ ومن أعمال القلوب: الذكر، الإيمان، القناعة، العبرة، التفكير، التوكل، الرضا بالقضاء، الشكر، الصبر، التوبة، الإخلاص، العداوة مع الشيطان، العمل بالحجة، الاستعداد للموت، عدم العمل بالهوى، صفوة القلب، ترك الغلو، ترك الفرح، طاعة الله، الخوف من الله، حفظ اللسان، اجتناب سوء الظن، اجتناب السخرية، غض البصر، الصدق، حرس السمع والبصر والفؤاد، الأمان من مكر الله، ترك القنوط من رحمة الله، عدم الشرك بالله.

١٠٠



^{١٠١} دار الدعوة، الإسكندرية ١٩٨٧م / ١٤٠٧هـ.

^{١٠٢} الأحاديث (٢٣٥)، الآيات (١٧١)، الأشعار (٨)، القدسية (٣).

^{١٠٣} كتاب الزهد، ص ٣٢٣-٣٢٨.

وتظهر الإسرائيليات بطبيعة الحال كمصدر لزهد الأنبياء وأخبارهم بالرغم من حديث القرآن والحديث عنهم دون تفصيل في الروايات. وربما زادت معارف الرسول عن الأنبياء السابقين من رحلاته إلى الشام ومن المرويات في الثقافة العربية قبل الإسلام. وتزيد عليه مشافهته لهم ليلة الإسراء والمعراج. والمعجزات مقرونة بزهد الأنبياء. وفي الأحاديث القدسية يتكلم الرسول باسم الله ويصلي ويسلم مع الله على نفسه.^{١٠٤}

ويتجلى الوعي التاريخي في ذكر أسماء الزهاد ابتداء من الرسول ثم الصحابة ثم التابعين. دون ترتيب أبجدي أو زمني. وهي بداية كتب الطبقات مرتبة أبجدياً أو زمنياً. والأنبياء كلهم قبل الرسول زهاد.^{١٠٥} وتذكر امرأة واحدة زاهدة هي عائشة دون رابعة. ويتكرر لفظ «زاهد» أمام معظم الأسماء فالمطلوب هو الزهد وليس الزاهد. وعند نصفهم تقريباً لفظ «أخبار» الذي يدل على بروز الوعي التاريخي الإخباري. والأقل استعمال ألقاب «حديث»، «فضل»، «بلاء»، «مواظ»، «حكمة». وقد تستعمل أكثر من كلمة لنبي أو زاهد واحد مثل مواظ عيسى وحكمة عيسى وزهد داود وحديث داود، وأخبار موسى وزهد موسى. وأكبرهم من حيث الكم زهد محمد بن سيرين ثم الحسن وعبد الله بن عمر، ثم الرسول وعيسى ثم عائشة ثم عمر ثم عمر بن عبد العزيز. وقد يسبق مثل هؤلاء الزهاد بعض الأنبياء مثل موسى وداود ونوح وإبراهيم وآدم وأيوب ولقمان. ومن المشاهير أويس القرني. ويغيب الحسن البصري إمام الزاهدين مما يدل على بداية تشكل الوعي التاريخي دون وعي تاريخي.

(ج) رسائل المحاسبي (٢٤٣هـ)

يتشكل الوعي التاريخي من ظهور التصوف الخلقي عند المحاسبي والترمذي والخراز والتستري، وهو ما يعادل المرحلة الخلقية في التصوف كتاريخ والتصوف الخلقي في التصوف كطريق. والمحاسبي في التصوف الأخلاقي يعادل الشافعي في علم أصول الفقه فيما يتعلق بالتدوين. ويقوم المنهج على انتقاء النصوص الأخلاقية التي تدعو إلى ترك العالم، وليس النصوص السياسية التي تختارها الفرق الكلامية في صراعها السياسي.

^{١٠٤} السابق، ص ٢٢.

^{١٠٥} يذكر ابن حنبل ٥٥ زاهداً، ٤ أنبياء، ٤١ من الصحابة والتابعين.

(١) المسائل في الزهد^{١٠٦}

تحول الزهد إلى موضوع في التصوف الخلقي مثل الشكر. ويتناوله الصوفية بأسلوب الفقه، السؤال والجواب. هل الزهد فرض أم نفل كما أجاب ابن رشد فيما بعد سؤالاً عن حكم النظر هل هو فرض أم مندوب أم مكروه أم محرم أو مباح طبقاً لأحكام التكليف الخمسة؟ ويعتمد على القرآن والحديث والشعر.^{١٠٧} ويقرن بالأدلة النقلية بعض التحليل العقلي في البداية. ويتفرع من الزهد موضوعات التصوف الأخرى مثل الصمت والفكرة كعلامات الطريق، والغنى والشكر والفقر من الفضائل والمقامات، ودفع الوسواس، والكبر والحسد والغش من الرذائل، والرياء والوسوسة. والرياضات والمجاهدات مثل مكابدة الهوى، وأفضل العبادات، وتجسيد الشر في الشيطان بل ومسائل الأوراد والأوقات في حلقات الذكر وآداب الشيخ والمريد. تتخلق موضوعات التصوف وتتفرع من الزهد.^{١٠٨} وكل ذلك في إطار من التخويف والتحذير والتنبيه.^{١٠٩}

والفتن والشكر والفقر تأليف بطريقة السائل، السؤال والجواب بطريقة «قلت ... قال». وهو على درجة عالية من التنظير العقلي والتحليل النفسي دون الاعتماد على الحجج النقلية من القرآن أو الحديث بل الاعتماد فقط على أقوال الحكماء.^{١١٠} تخلق مقام الزهد في «المسائل في الزهد» للمحاسبي، كما تخلق مقام التوبة في «التوبة» لأبي الحسن البصري.^{١١١} وقد ارتبط بمسائل أخرى مما يدل على أن تخلق المقام ما زال عسير المخاض.^{١١٢} والتأليف رواية، إجابة على سؤال يتكرر بأسلوب «قلت ... قال» مثل أسئلة الفقه والفتوى. فقد سئل

^{١٠٦} المسائل في أعمال القلوب والجوارح، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٦٩م.

^{١٠٧} الآيات (١١)، الأحاديث (٧)، الأشعار (١).

^{١٠٨} الصمت والفكرة، السائل، ص ٤٨-٥٠، الغنى والشكر والفقر، ص ٥١-٥٤، دفع الوسواس، ص ٥٥-٥٧، الكبر والحسد والغش، ص ٥٨-٦٣، الرياء والوسوسة، ص ٦٤-٦٨، مكابدة الهوى، ص ٦٩-٢٧٢، أفضل عبارة، ص ٧٣-٨٠، الشيطان، ص ٨١-٢٨٣، الأوراد والأوقات، ص ٨٤-٨٨.

^{١٠٩} «فانظر ما أنت صائر إليه، واحذر أن يصيرك إلى ما صار إليه»، السابق، ص ٥٧.

^{١١٠} المحاسبي: المسائل، ص ٥١-٥٤.

^{١١١} المسائل في أعمال القلوب والجوارح، والمكاسب، والعقل، ص ٤٣-٤٧.

^{١١٢} هي مسائل: الصمت والفكرة، الغنى والشكر والفقر، دفع الوسواس، الكبر والحسد والغش، الرياء والوسوسة، مكابدة الهوى، أفضل العبادة، الشيطان، الأوراد والأوقات، السابق، ص ٤٨-٨٨.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

المحاسبى عن الزهد، فرض أم «نفل»، كما سئل ابن رشد فيما بعد عن حكم النظر هل هو واجب بالشروع أو مندوب أو مكروه أو مباح أو حرام هي أحكام الشرع الخمسة في «فصل المقال». وواضح تخلق مقام الزهد من الفقه والأحكام الشرعية. ولا يعتمد على الحجج النقلية بل على التحليل العقلي الخالص. ولا يضار الاستشهاد بأقوال عيسى نظرًا لوحدة الأديان.^{١١٣}

(٢) «فهم الصلاة»^{١١٤}

والرسالة مؤثر على التحول من الفقه إلى التصوف، ومن أعمال الجوارح إلى أعمال القلوب، ومن الظاهر إلى الباطن. تعتمد على القرآن والحديث دون الشعر.^{١١٥} ويظهر التراكم التاريخي بذكر بعض أعلام الصوفية مثل إبراهيم النخعي وإبراهيم بن أدهم وأبي سعيد الخدري.^{١١٦} ومن حفاظ الحديث حماد وعطاء. ويقوم على فهم الصلاة على إيقاع خماسي تدريجي، من الوضوء إلى المشي إلى الصلاة إلى الدخول في الصلاة إلى الفراغ من الصلاة إلى الوصايا الختامية. وأكبرها الدخول في الصلاة.^{١١٧}

(٣) «المسائل في أعمال القلوب والجوارح»^{١١٨}

هو انتقال من المرحلة الخلقية وأعمال الجوارح، إلى المرحلة النفسية أعمال القلوب.^{١١٩} يعتمد على كثير من الحجج النقلية والأحاديث أكثر من الآيات.^{١٢٠} والشعر أقلها. ويتبع أيضًا أسلوب السؤال والجواب بالرغم من كبر العمل. ويتضمن خمسة عشر موضوعًا.^{١٢١}

^{١١٣} المسائل.

^{١١٤} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م/١٤٢٤هـ، ص ٢٢٥-٢٤٠.

^{١١٥} الآيات (٢٠)، الحديث (١٧).

^{١١٦} إبراهيم النخعي (٢)، إبراهيم بن أدهم، أبو سعيد الخدري، حماد، عطاء (١).

^{١١٧} الدخول في الصلاة (٩)، الوضوء (٤)، الوصايا (٣)، المشي (٢)، الفراغ (١).

^{١١٨} عالم الكتب، القاهرة، ١٩٦٩م.

^{١١٩} المسائل، ص ٩١-١٧٠.

^{١٢٠} الآيات (٤٣)، الأحاديث (٦٩)، الشعر (٣).

^{١٢١} وهي: الحسبة في إدخال السرور على المؤمن، الإسرار بالعمل، الشهوة، من أم قومًا فالزم قلبه الحذر، إزالة الخوف، النوافل، من أعمال القلوب، الصمت والكلام في الوعظ والبلاغة، الجدل في أسباب الدنيا، التفويض، معرفة النفس، الغفلة والنسيان، ما يحل من النظر، نظر الفجأة، التدور.

معظمها في أعمال القلوب وأقلها في أعمال الجوارح. وهي موضوعات متفرقة لا روابط بينها إلا العنوان. ويروى على لسان حكيم نصُّ أقرب إلى حديث الرسول عن البر بالأم ثلاث مرات ثم بالأب في المرة الرابعة، ثم الأدنى فالأدنى، الأخت والأخ، ومن يعول المرء. وكذلك حديث الإنفاق على النفس أولاً ثم على الأهل. وهذا هو معنى الأثرة ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾، وإيثار الآخر على النفس عمل مجاني دون مقابل. ﴿لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾. و«كل ما وقى به الإنسان عرضه فهو صدقة»، و«ما وقى الرجل به عرضه فهو صدقة».

وهي نموذج للتحويل من الفقه إلى الأخلاق، ومن أعمال الجوارح إلى أعمال القلوب. وهو اسم على مسمى، المحاسبي في محاسبة النفس يعتمد على الحديث ثم القرآن ثم الشعر.^{١٢٢} ويقل الاعتماد على السند لصالح المتن. ويظهر القليل من الإسرائيليات وأقوال الأنبياء السابقين مثل لقمان.^{١٢٣} ويقل التحليل العقلي لصالح الدليل النقلي. ويبدأ الوعي التاريخي بالتصوف في الازدهار. يتقدمه الحسن البصري ثم ابن المبارك، ثم إبراهيم النخعي، والفزاري، ومالك بن دينار وسعيد بن المسيب.^{١٢٤} والأسلوب سؤال وجواب كما هو الحال في المفتي والمستفتي في علم أصول الفقه. ويستشهد أحياناً بالحكماء الذين يشاركون الصوفية في الرؤية الباطنية. ويتضح ذلك في التأويل.^{١٢٥}

تتحول الحسبة من الخارج إلى الداخل، ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى إدخال السرور على النفس، ومن العمل في العلن إلى العمل في الخفاء. ولما كان الصوفي إماماً يلزم قلبه الحذر. وإذا كان الوعي الصوفي عند البصري يقوم على التخويف في «التوهم» فإنه يقوم عند المحاسبي على إزالة الخوف. والنوافل لتكفير الذنوب وشكر المنعم وتجريد القلوب، والجزع من فقدان الطاعات ومن الغفلة، والقرب من الله. ومن أعمال القلوب اعتقاد الإيمان ومجانبة الكفر، واعتقاد السنة ومجانبة البدعة، واعتقاد الطاعة ومجانبة المعصية، واعتقاد التواضع ونفي الكبر، واعتقاد الجنة ونفي العجب. ولا تتناهى أفعال القلوب وأضدادها

^{١٢٢} الأحاديث (٦٩)، الآيات (٤٣)، القدسي (٢).

^{١٢٣} المسائل في أعمال الجوارح، ص ١٢٠.

^{١٢٤} الحسن البصري (٩)، ابن المبارك (٢)، إبراهيم النخعي، الفزاري، مالك بن دينار، سعيد بن المسيب (١).

^{١٢٥} المسائل في أعمال الجوارح، ص ١١٥-١١٧.

مثل المحبة والكراهية والخوف والأمن، والحذر والثقة، والغرة والسلامة ... إلخ. والصمت أفضل من الكلام كما هو الحال عند ابن أبي الدنيا. والجدال في أسباب الدنيا من تبعات الكلام. والتفويض تسليم لله. ومعرفة النفس طريق إليه والحذر من الغفلة والنسيان. ولا يحل النظر إلا إلى الحلال. وهو النظر المقصود. والوفاء بالندور تمسك بالعهد.

وقد يكون الحوار هو الشكل الأدبي في التأليف، السؤال والجواب، سؤال المريد وجواب الشيخ كما هو الحال في «التوبة». ويستمر الحوار للاستيضاح والإيضاح. وهو نوع من الاستدلال وترتيب المقدمات على النتائج.^{١٢٦} ومسائل «الكبر والحسد والغش» أيضاً سؤال وجواب. تعتمد على التحليل النفسي وحده دون الاستعانة بأية حجج نقلية باستثناء واحدة، بيت واحد من الشعر.^{١٢٧} ويعتمد «الرياء والوسوسة» على التحليل النفسي للتجارب الحية دون الاعتماد على الحجج النقلية من الكتاب أو السنة أو أقوال الصحابة باستثناء أقوال بعض الحكماء. وهو أيضاً سؤال وجواب يعتمد على التنظير العقلي الخالص باستثناء آية واحدة.^{١٢٨} ومسائل «دفع الوسواس» سؤال وجواب. تعتمد على التحليل النفسي الصّرف دون الاستعانة بالأدلة النقلية باستثناء آية قرآنية واحدة.^{١٢٩} ومسألة أفضل العبادة «سؤال وجواب. ما زالت تعتمد على الأدلة النقلية، أربعة أحاديث». ^{١٣٠} و«مكابدة الهوى» تنظير مباشر وتحليل نفسي دون الاعتماد على أي من الأدلة النقلية، قرآناً أو حديثاً باستثناء حديث واحد وبعض أقوال الصوفية والحكماء التي حلت هذه الانفعالات النفسية من قبل ووضعت لها صياغات عقلية.^{١٣١}

وتقوم الأخلاق الصوفية على التخويف، التخويف من الآخرة، وتوهم الوقوف بين يدي الله عز وجل والارتعاد أمامه. وهذا هو مضمون كتاب «التوهم».^{١٣٢} يعتمد على الحجج النقلية قدر التحليل للتجارب الحية.^{١٣٣} والأسلوب خطابي. يتوجه إلى المخاطب لدعوته

^{١٢٦} المحاسبي: التوبة، ص ١٧-٤٨.

^{١٢٧} المحاسبي: المسائل، ص ٥٨-٦٣.

^{١٢٨} السابق، ص ٦٤-٦٨.

^{١٢٩} السابق، ص ٥٥-٥٧.

^{١٣٠} السابق، ص ٧٣-٨٠.

^{١٣١} السابق، ص ٦٩-٧٢.

^{١٣٢} المحاسبي: التوهم، ص ٢٩-٧٣.

^{١٣٣} الآيات (١٥)، الأحاديث (٩)، الأحاديث القدسية (١).

أولاً: تشكل الوعي التاريخي

لمعايشة التجربة، وهي تجربة وهمية تستبق الأحداث، وهي تجربة الموت والبعث والوقوف أمام الله عز وجل للحساب والعقاب. لا تنقسم إلى أبواب وفصول بل هو نداء حاد متواصل لتوهم الموت بدلاً من عشق الحياة. ويتكرر أمر «توهم» عشرات المرات للتذكير بالموت.^{١٣٤} والموت ليس تجربة تُستدعى من المستقبل إلى الحاضر. هي التجربة الوحيدة التي لا تنتظر.^{١٣٥}

الرعاية لحقوق الله والقيام بها «موضوع السؤال عن أمر عظيم»، موضوع حديث موسى.^{١٣٦} كما أنه حديث نبوي يظهر فيه لفظ الرعاية.^{١٣٧} ولفهمه يتحول النص إلى القلب إلى تجربة روحية بدلاً من الجدل الكلامي وفقه السلطان دون الوقوع في الرهبانية. ولفظ الرعاية أيضاً لفظ قرآني إشارة إلى الرهبانية ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَائِهَا﴾.

ويغلب عليها تحليل أهواء النفس قبل أن تظهر المقامات والأحوال باعتبارها فضائل النفس. فالرياء والكبر والغرّة والحسد ومعرفة سوء أحوال النفس ودعائها إلى هواها انفعالات سلبية. كما يظهر التصوف كطريق في «تأديب المريد» ويتضح التراكم الفلسفي بذكر الصوفية السابقين. لذلك يروي عن الصوفية. وأول العلم حسن الاستماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر.^{١٣٨} ويستعين بعلم التفسير لشرح بعض الآيات مما يدل على اعتماد التصوف على غيره من علوم الكلام والفلسفة وأصول الفقه من العلوم العقلية النقلية والفقه والتفسير من العلوم النقلية. المقدمة فلسفية دينية تبدأ بشرح البسمة وتعتمد على آراء الحكماء دون تعيينهم مما يدل على أن التصوف أصبح هو المصعب للحكمة الخالدة.^{١٣٩} كما يعتمد على بعض الحكايات المروية عن الأولياء. فالتصوف ليس تحليلات نظرية أو نفسية بل حوادث واقعية وسلوك يومي، فردي وجماعي. ولا يهم السند في الحديث بل المتن مشجب لتعليق تحليلات الصوفية عليه. لذلك نادراً ما تُسند الأحاديث.

^{١٣٤} عدد مرات فعل أمر «توهم» (٢٢)، للغذاب (١٥)، وللنعيم (٧).

^{١٣٥} الرعاية لحقوق الله عز وجل، ص ٣٧-٣٩.

^{١٣٦} «مرحباً بعبادي وزواري وخيرتي من خلقي الذين رعوا عهدي وحفظوا وصيتي، وخافوني بالغيب، السابق، ص ٣٧».

^{١٣٧} «كلكم راعٍ، وكلكم مسئول عن رعيته»، السابق، ص ٣٧.

^{١٣٨} السابق، ص ٣٤.

^{١٣٩} السابق، ص ٣١-٣٦، الحكمة الخالدة Perennis Philosophia.

(٤) «المكاسب»^{١٤٠}

والمقصود التفويض. وهو الذي تحول بعد ذلك إلى التوكل والرضا وعدم الأخذ بالأسباب، وما يتبقى من إيمان بالقضاء وتسليم بالقدر. وفرض التوكل يجمع الخواص والعوام في حبس الرزق وإطلاقه. والحركة في الكسب لطلب الرزق به محمود ومذموم. والأفضل ترك الحركة في الكسب كلية والحرص على الورع. وتتفق عليه مذاهب السلف. فالتصوف بهذا المعنى نزعة سلفية. ومن التقشف في المطاعم والملابس واتقاء الشبهات، وعدم التعاون على الإثم والعدوان، يمتد الورع إلى جوائز السلطان. ويتبعه الجوع دون سؤال وتحري. ويعتمد على القرآن قدر الاعتماد على الحديث دون الشعر.^{١٤١} ويغيب السند لصالح المتن. ويزداد التحليل النظري. ويظهر التراكم التاريخي على استحياء في الإحالة إلى شقيق البلخي.

(٥) «الرعاية لحقوق الله»^{١٤٢}

«الرعاية لحقوق الله» وكما يدل العنوان يتضمن واجبات الإنسان. والسؤال هو أين حقوق الإنسان والواجبات العقلية، كالصلاح والأصلح والتعويض عن الألام كما قرر المعتزلة؟ عدم التوازن هذا بين حضور حقوق الله وغياب حقوق الإنسان هو أحد أسباب ضياع حقوق الإنسان في هذا الزمن. والكتاب مؤلف بطريقة السؤال والجواب وهي أقرب إلى رواية الحديث الشفاهي المدون. تبدأ بفعل و«حدثني». ويعتمد على الحُجج النقلية قدر الاعتماد على التنظير العقلي والتحليل النفسي وتعتمد على علم التفسير لشرح الآيات. ولا يعتمد على الواقد باستثناء بعض الحكماء.^{١٤٣} وهو أكبر مؤلفات المحاسبي من حيث الكم بعدها أعمال القلوب والجوارح، كتاب المسترشدين، الوصايا، المكاسب، العقل، آداب النفوس، بدء من أناب إلى الله، المعرفة، القصد والرجوع. وهو أقرب النصوص التكوينية في التصوف الخلقي والمقامات والأحوال قبل «قوت القلوب» لأبي طالب المكي و«كشف المحجوب» لعلي الهجويري و«الرسالة القشيرية» لعبد الكريم القشيري والتي صبت كلها في «إحياء علوم الدين» للغزالي.

^{١٤٠} عالم الكتب، القاهرة، ١٩٦٩م، ص ١٧١-٢٣٤.

^{١٤١} الأحاديث (٤٦)، الآيات (٤٥)، القدسية (١).

^{١٤٢} دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٧٠م/١٣٩٠هـ.

^{١٤٣} الآيات (٣١٠)، الأحاديث (٢٠٧)، الحديث القدسي (١).

ويشمل بعد المقدمة سبعة موضوعات: الرياء، الإخوان ومعرفة النفس، التنبيه، العجب، الكبر، الغرّة، الحسد، تأديب المريد. وأكبرها الرياء، ثم المقدمة، ثم الغرّة، ثم الكبر، ثم العجب، ثم الحسد، ثم الإخوان ومعرفة النفس، ثم التنبيه.^{١٤٤} لذلك أتى طويلاً مسهباً بلا تركيز. وينقسم كل موضوع إلى عدة أبواب صغيرة.

وهو ربما أضخم كتاب في التصوف قبل «الإحياء». يعتمد على القرآن ثم الحديث. ويخلو من الشعر.^{١٤٥} ولا يظهر أعلام الصوفية إلا نادراً مثل وهب بن منبه.^{١٤٦} ولا فرق بين الصوفية والحكماء.^{١٤٧}

ويضم الكتاب بعد المقدمة سبعة كتب عن الرياء، والإخوان، ومعرفة النفس، والتنبيه، والعجب، والكبر، والغرة، والحسد، ثم تأديب المريد. أكبرها الرياء وأصغرها التنبيه.^{١٤٨} ومعظمها عن الرذائل. والمقدمة تحديد معنى رعاية حقوق الله وهي أقرب إلى واجبات الإنسان.^{١٤٩} وتتناول موضوعات الفضائل مثل التقوى والورع والحذر، وبعض الأحوال مثل الخوف، وبعض خوالج النفس كالهيم والتذكر والمعرفة، وبعض المقامات مثل التوكل، وبعض مسائل الفقه مثل أداء الفرائض والنوافل، وبعض أمور المعاد مثل كراهة الموت.

والرياء أسوأ الآفات. وهو ازدواجية القول والسلوك، وعدم صفاء النية، والفصل بين النية والعمل. والدافع إليه الحرص على ما في أيدي الناس، والخوف من فقدته. رمزه إبليس أي الادعاء والفصل بين الظاهر والباطن.^{١٥٠} وقد يكون العجب بالدين أو بإضافة العمل إلى النفس أو بالرأي الخاطئ أو بأعمال الطاعة أو بالدنيا والنفس وكثرة المال والبنين.^{١٥١} ويرتبط به الكبر والكبرياء. وقد يكون الكبر أيضاً بالدنيا والعلم والعمل والبدعة ونقيضه

^{١٤٤} الرياء (١٨٣ص)، المقدمة (١٤٦)، الغرّة (٦٢)، الكبر (٥٢)، العجب (٤٨)، الحسد (٣٨)، الإخوان ومعرفة النفس (٢٤)، التنبيه على معرفة النفس وسوء أفعالها ودعائها إلى هواها (١٤).

^{١٤٥} الآيات (٣١٠)، الأحاديث (٢٠٧)، القدسية (١).

^{١٤٦} الرعاية لحقوق الله، ص ٣٣.

^{١٤٧} السابق، ص ٣٤.

^{١٤٨} الرياء (٨٣)، الغرة (٦٢)، الكبر (٥٢)، العجب (٤٨)، الحسد (٣٨)، الإخوان ومعرفة النفس (٢٤)، التنبيه (١٤).

^{١٤٩} الرعاية لحقوق الله، ٣١-١٧٣.

^{١٥٠} السابق، ص ١٧٧-٣٥٧.

^{١٥١} السابق، ٣٩٨-٤٤٣.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

الصدق والتواضع.^{١٥٢} والغرة أصل الغرور. وقد تكون بالله، وبالفقه وبالعلم وبحفظ الكلام وبالجدل وبالعبادة وبالورع وبالغزو وبالحج وبالإخلاص وبطول الستر.^{١٥٣} وقد تكون من عوام المسلمين وعصاهم ومن أهل النسك والتقوى والفقه. أما الحسد فقد يكون على الرياسة وحب المنزلة وظاهر الدنيا والعجب. ويشمل الحقد والعداوة.^{١٥٤} لذلك يجب التنبيه على سوء أفعال النفس واتباعها هواها.^{١٥٥} وهو ما يستلزم صحبة الإخوان والابتعاد عن الشبهة ومعرفة النفس والتوبة.^{١٥٦} لذلك لزم تأديب المريد ورعاية سيرته وتحذيره من الفتنة وهدايته.^{١٥٧}

(٦) «الوصايا الدينية والنفحات القدسية»^{١٥٨}

وهي رسالة في التصوف العملي. تخاطب القارئ بنداء «إخواني»، وأقرب إلى العقل العملي منها إلى العقل النظري.^{١٥٩} وسبب التأليف هو بيان الفرقة الناجية وهم الصوفية الذين يدعون إلى صفاء القلب وإسقاط الهوى، والتخلي عن آفات النفس، وتطبيق الفرائض والسنة.^{١٦٠} والناس على أصناف في حب الله وفي العمل بالبر. وتعتمد على الحديث تقريباً أربعة أضعاف اعتمادها على القرآن. ويغيب الشعر.^{١٦١} والمتن دون السند حرصاً على الأمر والنصيحة والوصية وليس سندها. وتبدأ رواية الحديث بلفظ بل وآية القرآن أيضاً. «بلغنا أن الله جل ثناؤه قال».^{١٦٢} كما تعتمد على الإسرائيليات.^{١٦٣} وتضم واحداً وأربعين باباً

^{١٥٢} السابق، ص ٤٤٦-٥٠٦.

^{١٥٣} السابق، ص ٥٠٨-٥٦٧.

^{١٥٤} السابق، ص ٥٧٠-٦٠٥.

^{١٥٥} السابق، ص ٣٨٤-٣٩٥.

^{١٥٦} السابق، ص ٣٦٠-٣٨١.

^{١٥٧} السابق، ص ٦٠٨-٦٢٧.

^{١٥٨} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م/١٤٢٤هـ (١)، ص ٣٧-٣٨.

^{١٥٩} الوصايا في شرف العقل، ص ٨٣-٨٥.

^{١٦٠} السابق، ص ٣٧-٤١.

^{١٦١} الأحاديث (٥٦)، الآيات (١٥)، القدسي (١).

^{١٦٢} الوصايا، ص ٩٣.

^{١٦٣} السابق، ص ٤٦.

تتنوع موضوعاتها بين الفضائل مثل التقوى والقناعة والتواضع كرد فعل على فساد الدين والدنيا، وإحراز ما يمكن من الخير، وطلب الحلال. كما تدعو إلى تجنب الرذائل مثل البخل والوقوف أمام مكائد الشيطان والعجب والكبر بالأعمال. وتحث على طريق العزلة والسرور بمصائب الدنيا والوقوف أي الصمود. كما تدعو إلى أعمال القلوب وتفقد السرائر والقلوب، والتقرب بطاعات القلوب، والسر في أعمال البر نظراً لأخطار المدح، وطهارة النفس الأمّارة بالسوء، وخشوع القلب مع الأبدان، ورعاية القلوب والجوارح، وقرن النية بالعمل النافع، وتصحيح أعمال الجوارح، والذكر باللسان والقلب، وضرورة الإنابة من الآثام، والتدبر عند قراءة القرآن، والابتعاد عن الشبهات، وشكر الله.

(د) الحكيم الترمذي

وتستمر المرحلة الخلقية عند الترمذي (ت ٢٧٠هـ) وإن بدأ الاعتماد على تحليل التجارب النفسية والطبيعية بعد ترجمة علوم الطب في القرن الثاني الهجري. لذلك سمي الحكيم «الترمذي» وقد جمع من علوم القرآن والحديث والسيرة والكلام واللغة وعلم النفس والأخلاق والطب والتصوف والتاريخ والعلوم.^{١٦٤} والطب العضوي مقدمة للطب النفسي بعد تجاوز الطب النبوي.^{١٦٥}

وفي المرحلة الأخلاقية يتم الاعتماد على الحجج النقلية، وعلى الآيات القرآنية أكثر من الأحاديث النبوية.^{١٦٦} وتكثر الأحاديث القدسية لأنها تتناول موضوعات عينية لإثارة

^{١٦٤} تتراوح مؤلفاته بين القرآن والحديث والسيرة، مثل: نواذر الأصول في معرفة أخبار الرسول، الأمثال من الكتاب والسنة؛ واللغة مثل: كتاب الفروق ومنع الترادف، الجمل اللازم معرفتها. ويعتمد الترمذي على بعض التحليلات اللغوية في «أدب النفس»، «أدب النفس»، ص ١٠٥؛ وعلم النفس مثل: مسائل التدبير؛ والأخلاق مثل: كتاب الأكياس والمغترين، العقل والهوى، المنهيات، والكلام مثل: بيان الكسب، الاختيارات، عرش الموحدين، مسألة في الإيمان، مسألة لمراتب أهل القيامة، عذاب القبر، التوحيد؛ والفقه مثل: شرح الصلاة ومقاصدها، الحج وأسراره، منازل العباد في العبادة، علل العبودية وعلل الشريعة (التحول من الفقه إلى التصوف)؛ والطب مثل: الأعضاء والنفس؛ والتصوف مثل: ختم الولاية، آداب المريدين، صفة القلوب، المنهج، غور الأمور؛ والتاريخ مثل: تاريخ المشايخ؛ العلوم مثل: كتاب العلوم.

^{١٦٥} كتاب الرياضة، ص ٣٤-٤٢.

^{١٦٦} الآيات (٤٣)، الأحاديث (٢٨) وفي «آداب النفس»: الآيات (٨١)، الأحاديث (١٩).

الخيال.^{١٦٧} كما يعتمد على حكايات الصوفية وعلم الرواة أشبه بعلم الحديث المعاصر للمرحلة الخلقية.^{١٦٨} ويعتمد على أقوال الأنبياء السابقين داود وسليمان وموسى وعيسى ويوسف المستمدة من الإسرائيليات.^{١٦٩} لذلك يكثر ذكر أسماء الأنبياء. كما يعتمد على ضرب الأمثال الطبيعية والكونية والاجتماعية والاقتصادية.^{١٧٠} والتحليل العقلي ليس مرفوضاً كما هو الحال في التصوف الطرقي في المرحلة الرابعة. وتتوالى مصطلحات المرحلة الخلقية في الظهور عند الترمذي مثل «الرياضة»، «أدب النفس».

وغالبية الصوفية من أواسط آسيا مثل الترمذي حيث الديانات الشرقية، الهندوسية والبوذية خاصة. ومع ذلك ظهر أيضاً صوفية بغداد كالحلاج والبصرة مثل الحسن البصري. فالمنطقة الجغرافية أحد المصادر الثقافية للتصوف. كان البسطامي مجوسياً ثم أسلم ولكنها ليست العامل الوحيد. لذلك تذكر بعض العبارات بالفارسية عند البسطامي والترمذي. بل إن هناك مؤلفات كاملة بالفارسية لفريد الدين العطار وجلال الدين الرومي والهجويري. وتظهر بعض العبارات الفارسية في أدب النفس للترمذي.^{١٧١}

ويعتمد الصوفية على ضرب الأمثال في التعبير. فالمثل أكثر قدرة على التعبير من العبارة.^{١٧٢} وتتعدد مجالات التشبيه من البدن إلى الكون إلى التاريخ كما هو الحال في رسائل إخوان الصفا. وهي مدونة من نفس العصر. قيادة النفس للبدن مثل قيادة الفارس للحصان.

(١) «كتاب الرياضة»^{١٧٣}

وتعني الرياضة أيضاً تهذيب النفس والتخلي عن آفاتهما. تجمع بين الطب وعلم النفس، بين علاج البدن وإصلاح الروح. فكلاهما أجزاء للإنسان ويحتاج إلى الفحص جزءاً جزءاً.

^{١٦٧} السابق، ص ٧٢-٧٩، ٨٥، آداب النفس، ص ٩٦-٩٧، ١١٠، ١٢١.

^{١٦٨} كتاب الرياضة، ص ٤٧-٤٩، ٧٢.

^{١٦٩} السابق، ص ٥٦-٦٦، ٧٦، ١١٩، ١٢٦، ١٥٥.

^{١٧٠} السابق، ص ١٢٠-١٢٨.

^{١٧١} السابق، ص ١٠٣.

^{١٧٢} السابق، ص ٥٨، ١٠٦-١٠٨، ١١١، ١١٦.

^{١٧٣} مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٤٧م/١٣٦٦هـ.

فالشهوة بين البدن وهوى النفس. يعتمد على القرآن ثم الحديث دون الشعر.^{١٧٤} ويستعمل أسلوب القول «فإن قال قائل». ^{١٧٥} ولا يُذكر أحد من الصوفية أو المحدثين الكبار. ^{١٧٦} تقوم على استنباط الأخلاق من النص دون تحليل كافٍ للتجارب النفسية. ولا يقسم إلى أبواب أو فصول، بل يتناول عدة موضوعات متنوعة. سلطان الشهوة يعادله سلطان المعرفة. وموضوع الفرح من المذموم ومن المحمود. والأفضل اتقاؤه. ومن الأهواء الكبر في النفس. وابن آدم مطبوع على سبع: الغفلة والشك والشرك والرغبة والرغبة والشهوة والغضب. والجوارح سبع: اللسان والسمع والبصر واليدان والرجلان والبطن والفرج. ومستقرها البطن. والقلب أميرها بما يُشرق عليها من أنوار تصقله. الجوارح أمانة، وتهذيبها بالصوم. ويقوم الصوفية بالمجاهدة، ومنع النفس من الحلال، وحث الأكياس في أحوال النفس، ودرع المؤمن حتى يتجلى الله. وقد ارتبط الصوفية بالعهد منذ ﴿أَلَسْتُ﴾، وحملوا نور التوحيد.

وفي «كتاب الرياضة» لا توجد أبواب أو فصول بل يوجد خطاب إرشادي وعظمي متصل أقرب إلى الخطاب الشفاهي قبل التدوين. وكذلك كتاب «أدب النفس» مع التذكير بالموضوع والإحالة إليه. ^{١٧٧} كما يحيل إلى أجزاء الكتاب في البداية أو النهاية لاستكمال الموضوع. ^{١٧٨} ويقوي ذلك أساليب البيان والبدیع من سجع وطباق وباقي الأساليب الأدبية. ^{١٧٩} كما يستعمل أسلوب السؤال والجواب فإن «قال قائل ... قال» فالحوار أسلوب تربوي منذ سقراط وأفلاطون. ^{١٨٠}

^{١٧٤} الآيات (٤٣)، الأحاديث (٢٠)، قدسي (١).

^{١٧٥} كتاب الرياضة، ص ٨٦.

^{١٧٦} الرسول (٢٢)، آدم (٦)، إبليس (٥)، جبريل (٤)، الترمذي، عبد الله بن عمر، موسى (٣)، أنس بن مالك، حارثة، حواء، نوح، يوسف بن عطية (٢)، ابن عباس، عمر بن الخطاب، مالك بن دينار وعشرات من المحدثين (٣٢).

^{١٧٧} مثل «رجعنا إلى رياضة النفس»، أدب النفس، ص ١٠٤. «عدنا إلى صفحة الموقد»، السابق، ص ١٢٩.

^{١٧٨} السابق، ص ١٠٦.

^{١٧٩} «فإذا ذكر المنة غرق. وإذا ذكر العافية قلق، وإذا ذكر حلول الأجل شرق، وإذا ذكر العيوب عرق، وإذا ذكر الرعاية والكلاءة وحق، وإذا رأى اللذات في الطاعة مثق، وإذا ذكره تتق، وإذا حن إليه واشتاق غرق»، أدب النفس، ص ١٣٠.

^{١٨٠} السابق، ص ١٠٤-١٠٥، ١١٠-١١١، ١١٦، ١١٩، ١٣١، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٦، ١٥٨.

ويحيل الترمذي إلى باقي أعماله مما يدل على وحدة الموقف.^{١٨١} ويحدث التراكم التاريخي ليس فقط في أسماء الرواة كما هو الحال في علم الحديث بل استرجاعاً للصوفية الأوائل الذين لم يتركوا مصنفاً مدونة وإن تناقل الرواة أقوالهم.^{١٨٢} كان الصوفية من المعارضين الأوائل حتى في المرحلة الخلقية. فقد اتهم الترمذي بالكفر بسبب «ختم الولاية» أو «ختم الأنبياء» و«علل الشريعة». فللأولياء خاتم كما أن للأنبياء خاتماً. والولاية أفضل من النبوة بدليل قول النبي «يغبطهم النبيون والشهداء». وهناك عناصر تشابه بين المرحلة الخلقية والديانات الشرقية مثل البوذية في السيطرة على الأهواء والانفعالات من أجل التحرر منها والسيطرة على شهوات النفس في التصوف.

(٢) «أدب النفس»^{١٨٣}

وهو من نفس النوع. ويعتمد على القرآن أكثر من الحديث دون الشعر.^{١٨٤} ومن أعلام المحدثين والصوفية بعد الرسول ابن عباس وحارثة ثم ابن المبارك ثم الحسن البصري ومالك بن دينار وأويس القرني. ومن الفقهاء أنس بن مالك. ومن الأنبياء عيسى ثم آدم ثم داود ويوسف. ومن الرواة يذكر العشرات. ومن الملائكة جبريل.^{١٨٥} وهو أيضاً بلا أبواب أو فصول بل يضم عدة موضوعات أخلاقية مثل رياضة النفس وأثرها في قبول أحكام الله، ومجاهدة النفس ورياضتها، وعدم الغفلة عنها، ومنع اللذة والشهوة عنها، وتحرير القلب من رقها، والتخلص من الهوى والشهوات، وصفاء القلب وطهارته أو صقله متى يحل الإيمان واليقين فيه. وتظهر بعض المقامات مثل الصبر والرضا وبعض الأحوال مثل الفرح

^{١٨١} يحيل الترمذي إلى كتابه «صفة القلوب وأحوالها وهيئة تركيبها» لمزيد من التفصيل، أدب النفس، ص ١٠٤.

^{١٨٢} من الأنبياء يتقدم محمد (٤٦)، آدم (١٠)، سليمان (٥)، عيسى (٤)، داود، يوسف، موسى (٢)، ومن الملائكة جبريل (٧)، ومن الرواة يتقدم ابن عباس (٧)، حارثة (٨)، أنس بن مالك (٤)، ومن الصوفية الأوائل يتقدم مالك بن دينار (٤)، ابن المبارك (٣)، ومن الصحابة: عمر، علي (٢).

^{١٨٣} مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٤٧م/١٣٦٦هـ.

^{١٨٤} الآيات (٨١)، الأحاديث (١٩).

^{١٨٥} الرسول (٢٦)، ابن عباس، حارثة (٦)، عيسى (٤)، آدم، ابن المبارك، جبريل، الحسن البصري، مالك بن دينار (٣)، أنس بن مالك، جارود بن معاذ، حبيب العجمي، داود، سيار، يوسف (٢)، صالح بن محمد، عامر بن عبد قيس، عبد الكريم بن عبد الله، عبد الله بن أبي زياد وحوالي السبعين من الرواة (١).

أولاً: تشكل الوعي التاريخي

والحزن على الأنبياء والمتقين. ويظهر بعض القصص الرمزي مثل البازي والدابة، وذكر أفعال الخضر التي يدل باطنها على غير ظاهرها.

(هـ) رسائل ابن أبي الدنيا (٢٨١هـ)

(١) «كتاب الشكر»

وهو أيضًا في موضوع للحديث النبوي وأحد مقامات الصوفية في آن واحد. كله أحاديث، وأقله قرآن وشعر.^{١٨٦} وبلا أبواب أو فصول بالرغم من قسمته إلى جزأين بلا أي دلالة أو معيار للقسم. الجزء الأول للرسول والصحابة، والثاني للعلماء الفقهاء والصوفية مما يدل على بداية تخلق الوعي التاريخي بالطبقات دون ترتيب زمني أو أبجدي. أكثر من نصف الأحاديث أقوال مباشرة، والباقي روايات وحكايات. يذكر السند مع المتن. ويذكر القرآن داخل الحديث.^{١٨٧} ويعتمد على الإسرائيليات في أقوال الأنبياء السابقين خاصة نوح وداود وموسى.^{١٨٨} ومن الصوفية والزهاد والمحدثين والعلماء يذكر أولًا الرسول ثم الحسن البصري ثم ابن أبي الدنيا ثم أبو حاتم الرازي، ثم سفيان الثوري ثم ابن عيينة ثم عائشة ثم وهب بن منبه. ومنهم إبراهيم بن أدهم وأبو سليمان الداراني وعمران بن حصين، وعمر بن دينار، والفضيل بن عياض، ومن الفقهاء أنس بن مالك ومن الأنبياء داود ثم موسى ونوح.^{١٨٩} ومن المجموعات يتقدم الأنصار.^{١٩٠} ومن البلدان الكوفة والمدينة ثم مكة ثم باقي البلدان.^{١٩١}

^{١٨٦} الأحاديث (٧٢)، الأقوال المباشرة (٤٣)، الآيات (١٣)، الأشعار (٣)، قدسي (١).

^{١٨٧} كتاب الشكر، ص ٦٥.

^{١٨٨} السابق، ص ٧٦، ٧٠-٧١، ٧٦، ٨٢، ٨٤، ١٢٩، ١٣٩، ٩٧٠.

^{١٨٩} الرسول (٤٣)، الحسن البصري (١٨)، ابن أبي الدنيا (١٣)، جبلة الأزدي، حاتم الرازي (١٢)، المزني (١٠)، محمد بن الحسين (٩)، سفيان الثوري، سفيان بن عيينة (٨)، أنس بن مالك، الجروي، داود، روح بن عباد (٧)، أحمد بن سلمان النجار، خلف بن هشام، سعيد بن عامر، علي بن الجعد، قاسم بن هاشم، مسعد بن كرام، أبو هريرة (٦)، أبو حاتم الرازي، سلمة بن دينار، البزاز، الحسن بن صباح، السمان، عائشة، العدوي، السحار، خشيش أبو سعد، موسى، نوح، وهب بن منبه. والمجموع حوالي ٤٦٠ اسمًا.

^{١٩٠} الأنصار (٢)، أهل الحجاز، أهل الكوفة، أهل المدينة، أهل مكة، البصريون (١).

^{١٩١} الكوفة، المدينة (٣)، مكة (٢)، البصرة، بغداد، بلخ، الحجاز، دمشق، الرقة، صنعاء، الطائف، مصر، نيسابور (١).

(٢) «الصمت وحفظ اللسان»^{١٩٢}

والصمت إحدى الفضائل الصوفية المذكورة في «الرسالة القشيرية». والمؤلف مؤرخ وصاحب مغازي وسير. ومع ذلك اكتفى بدور المحدث، جمع الأحاديث وأقوال الصحابة والتابعين حول فضيلة الصمت وحفظ اللسان. وتتكرر بعض الأحاديث وتتعدد الروايات لأهمية السند من أجل صحة الحديث. وللأحاديث الأولية على الآيات كما أن للآيات الأولية على الشعر.^{١٩٣} والأحاديث مجرد رصد دون موضوعات في أبواب أو فصول. كما يُذكر العديد من الإسرائيليات كمصدر لفضيلة الصمت عند الأنبياء.^{١٩٤} ويبدو أن الدافع هو رد فعل على جدال المتكلمين. ولا يذكر إلا الوافد الشرقي، الهند، مرة واحدة.^{١٩٥}

وتذكر في المقدمة الإجازة بالرواية دون أي مقدمة نظرية أخرى. وأسماء الأعلام من الصوفية يتقدمها أبو هريرة والحسن البصري ثم أنس بن مالك ثم إبراهيم التيمي ثم الأحنف بن قيس، أبو الدرداء، مالك بن دينار، إبراهيم النخعي ثم ابن سيرين، وهب بن منبه، أبو سعيد الخدري ثم سلمان الفارسي، فضيل بن عياض ثم إبراهيم بن أدهم وأويس القرني. ومن الفقهاء أحمد بن حنبل. ومن الصحابة يتقدم أبو هريرة ثم عبد الله بن مسعود ثم عمر ثم ابن عباس ومجاهد ثم عبد الله بن عمر ثم علي ثم أبو بكر، ثم معاوية! ومن زوجات الرسول تتقدم عائشة. ومن المحدثين يتقدم ابن أبي الدنيا ثم الترمذي. ومن التابعين يتقدم عمر بن عبد العزيز. ومن الأنبياء يتقدم عيسى ثم لقمان ثم موسى ثم داود ثم إسماعيل وذو القرنين إذا كان نبياً.^{١٩٦} والكوفة

^{١٩٢} دار الاعتصام، القاهرة، (د.ت).

^{١٩٣} الأحاديث (٢١٨)، الآيات (٢٧)، الأشعار (١٥).

^{١٩٤} حوالي ١٧ مرة.

^{١٩٥} الصمت، ص ٥١.

^{١٩٦} أبو هريرة (٢٨)، الحسن البصري (٣١)، أنس بن مالك (٢٧)، عبد الله بن مسعود (٢٦)، عائشة، عمر (٢١)، إبراهيم التيمي، ابن أبي الدنيا، ابن عباس، مجاهد (١٥)، عبد الله بن عمر (١٤)، الأحنف بن قيس، أبو الدرداء، عمر بن عبد العزيز (١٢)، إبراهيم النخعي (٩)، عطاء بن رباح، علي، عيسى، مالك بن دينار (٨)، جابر بن عبد الله (١٠)، الشعبي، الربيع بن هيثم، سليمان بن الأشعث، عبد الله بن عمر (٧)، عبد الله بن المبارك، عون بن عبد الله، قتادة، معاوية، وهب بن الورد (٦)، أبو بكر، الترمذي، ابن سيرين، شمس الدين الذهبي، كعب، وهب بن منبه (٥)، بكر بن ماعز، أبو ذر، سالم بن عبد الله بن عمر، أبو سعيد الخدري، سلمان الفارسي، عبد الله بن زكريا، لقمان، مطرف، ميمون بن مهران (٤)،

هي المدينة الأولى لظهور الصوفية ثم البصرة في العراق، ثم خراسان في الشام ثم الحجاز.^{١٩٧}

(٣) «محاسبة النفس والازدراء عليها»^{١٩٨}

قد يظهر عند مؤلف واحد أكثر من شكل من أشكال الوعي التاريخي مثل ابن أبي الدنيا. فبالرغم من أنه لديه الوعي التاريخي بالحديث إلا أن لديه أيضاً الوعي بالأخلاق الفردية مثل «محاسبة النفس». فهو لا يعتمد على الحديث بل على أقوال الصحابة والتابعين لأجيال أربعة. ومن قلة الاعتماد على الحديث أضافه المحقق في تخريج أقوال الصحابة والتابعين وإرجاعها إلى الحديث.^{١٩٩} ولا يعتمد على القرآن قدر اعتماده على الشعر.^{٢٠٠} ويظل الأسلوب هو الرواية، والسند مع المتن. ومن الصوفية يذكر مالك بن دينار.^{٢٠١} ولا توجد مقدمة نظرية ولا خاتمة ولا أي تحليل نفسي. توجد فقط الإجازة بالحديث في البداية والنهاية.^{٢٠٢} كما يبدأ الموضوع في الظهور من خلال الأقوال. ويوضع في أبواب خمسة: ذم النفس، معاقبة النفس، جهاد النفس ومنعها من شهواتها، الحذر على النفس من مخالفة سوء المنقلب والمقت، إجهاد النفس في الأعمال طلباً للراحة يوم الميعاد.

(و) «كتاب الزهد» لابن أبي عاصم (٢٨٢هـ)^{٢٠٣}

ويكشف عن التقاء علم الحديث والتصوف في مقام الزهد، ونشأة علم التصوف من علم الحديث. ويخلو من الأبواب والفصول. يذكر فقط لفظ «باب» ست مرات دون عناوين،

إبراهيم بن أدهم، أحمد بن حنبل، أسامة بن يزيد، حميد الطويل، داود سفيان (٣)، الثوري، سليمان، شعبة، صعصعة، عمرو بن قيس، فضيل بن عياض، مسروق، معاذ بن جبل، المعتضد، موسى، يونس بن عبيد.

^{١٩٧} الكوفة (١٢)، البصرة (٩)، خراسان (٦)، الشام (٥)، العراق، صفين، المدينة (٤)، مكة (٣)، سمرقند (٢).

^{١٩٨} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م/١٤٢١هـ.

^{١٩٩} محاسبة النفس، ص ٢٩-٥٧، ٦١-٦٥، ٨٨-٨٩، ٩٨-١٠١، ١١٥-١١٧.

^{٢٠٠} الشعر (١٣)، القرآن (٦)، الحديث (٤)، أقوال الصحابة والتابعين (١٢٦).

^{٢٠١} محاسبة النفس، ص ٧٥.

^{٢٠٢} السابق، ص ١٩، ١٣٥-١٣٦.

^{٢٠٣} دار الريان للتراث، القاهرة، الدار السلفية، بومباي، ١٩٨٧م/١٤٠٨هـ.

منهما مرتان فقط عنوان الباب هي حديث الرسول.^{٢٠٤} وتُذكر أحاديث النبي في الموضوع تبعاً، السند مع المتن. وتتكرر بعض الأحاديث.^{٢٠٥} وتشمل الأحاديث الأقوال والحكايات.^{٢٠٦} ولا يظهر القرآن أو الشعر. بل تضم أقوال بعض الصحابة دون الزهاد والعباد والنسك الأوائل. وتظهر الإسرائيليات في أقوال الأنبياء السابقين في الزهد.^{٢٠٧} ويخلو الكتاب من أي مقدمة أو خاتمة نظرية تبين الهدف من الكتاب أو سبب تأليفه. كما يخلو من أي أدلة عقلية أو عرض نظري. ويعرف الزهد سلباً بمعنى ترك الدنيا.

(ز) «الأنوار في علم الأسرار ومقامات الأبرار» لأبي القاسم الصقلي المالكي (٣٨٠هـ)^{٢٠٨}

وبالرغم من أن العنوان في المعرفة الكشفية إلا أنه أقرب إلى الأخلاق النفسية والمقامات والأحوال. وبالرغم من اعتماده على بعض الآيات والأحاديث إلا أنه يقوم على مستوى عالٍ من التنظير اعتماداً على القسمة العقلية.^{٢٠٩} وأحياناً تتوالى الآيات بالرغم من قلتها.^{٢١٠} ولا يُذكر أحد من الصوفية الأوائل على الإطلاق، ولا أحد من الرواة. ولا يذكر إلا الحكماء مرة واحدة.^{٢١١} وكل فقرة خطاب أمري مباشر يتوجه إلى القارئ لنبدأ التربية الخلقية وتهذيب النفس ومحاسبتها كما فعل المحاسبي والترمذي من قبل. وهي أقوال للمؤلف مثل أقوال التستري مجموعة في سبعة أجزاء بلا عناوين. يتقدم كل منها فعل القول لمجرد القسمة. ويمكن استنباط موضوعاتها كالاتي: مفاتيح الرشد ومزيد الهداية، مراتب العلماء وأهل المعرفة، من الله على الأمة، حكمة الله، فروض الله على المؤمنين، آداب أهل المحبة مع الله، والعلم والعلماء. أكبرها الخامس، فروض الله على المؤمنين

^{٢٠٤} كتاب الزهد، ص ١٥، ٥١، ٨٩، ١١١، ١١٧، ١٢٦.

^{٢٠٥} السابق، ٧٤-٧٥.

^{٢٠٦} أحاديث الأقوال ١٧٨ حديثاً من مجموع ٢٨٨ حديثاً.

^{٢٠٧} كتاب الزهد، ص ٢٩، ٣٨-٤٠، ٥٦.

^{٢٠٨} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م/١٤٢١هـ.

^{٢٠٩} الآيات (١٩)، الأحاديث (٢)، القدسي (٢).

^{٢١٠} الأنوار، ص ٢٢٨، ٢٣٢.

^{٢١١} السابق، ص ١٢٩.

وأصغرها السابع، العلم والعلماء.^{٢١٢} تقع بين مصطلحات الصوفية والتجارب الأخلاقية والنفسية.

وتقوم المقدمة على قسمة عقلية. الغاية العمل بالتحقيق. وعليه أربعة علامات: الأمر والنهي والترغيب والترهيب. وله أربعة أصول، لكل منها درجة ومقام. وأهلها الراسخون في العلم والطالبون لها والمريدون للمعرفة، حزب الله، جنة الله. هذه الأصول الأربعة هي: معرفة الله، معرفة دين الله، معرفة عدد الله، معرفة الدنيا. وتدور الأقوال كلها التي تبلغ المئات حول هذه الأصول الأربعة.^{٢١٣} وتتوالى القسمة العقلية عشرات المرات.^{٢١٤} ويبدأ بها الجزء الأول. وتضم مجموعة من المقامات مثل التوبة والصبر والشكر والمحبة والرضا والتوكل ومجموعة أقل من الأحوال، الخوف والرجاء، ومجموعة ثالثة من الفضائل مثل الإيمان والعمل والعلم والنصيحة. ونقيضها ما يبعد عن الهداية والرشاد: إسلام بلا صدق، عمل بلا إخلاص، علم بلا اتباع، عقل بلا فهم، معرفة بلا بصيرة. وتتوالى القسمة للرضا والتوكل والمعروف بين أيدي الناس، ومعرفة عقل الفاضل والأحمق، والسخف والطيع، والمحبة، والإرادة والحذر والحقيقة والمقامات ... إلخ. كما تنقسم

^{٢١٢} الجزء الأول: مفاتيح الرشد ومزيد الهداية (٣٢)، الجزء الثاني: مراتب العلماء وأهل المعرفة (٣٣)، الجزء الثالث: ممن الله على الأمة (٢٩)، الجزء الرابع: حكمة الله (٣٦)، الجزء الخامس: فروض الله على المؤمنين (٤١)، الجزء السادس: آداب أهل المحبة مع الله (٣٩)، الجزء السابع: العلم والعلماء (٩).
^{٢١٣} عدد الأقوال (٩٤٧).

^{٢١٤} والنجاة في خمس: لزوم التوحيد، الاعتصام بالكتاب والسنة، صلاح القلب للسلف، سلامة الصدر للأمة وصفاء الطعمة. ونقيضها الهلاك في إثثار الدنيا على الآخرة، وطاعة العدو، وموافقة النفس، ومؤالفة الهوى. جعل الله مفاتيح الرشد ومزيد الهداية في عشرة وجوه تفتقر على أجزاء: الإيمان، وعقد القلب بالتصديق على إخلاص التوحيد. فشرط العمل بالاتباع ثم مبادرة التوبة على ترك الكبائر والصغائر، ثم طلب العلم بالأدب لإرادة العمل به، ثم الصبر على البلوى بترك التبرم والشكوى، ثم الشكر على النعماء برؤية التقصير في الواجب، ثم عين الخوف بصحبة الرجاء، ثم الحياة بالمراقبة، ثم المحبة ببذل الأشياء، ثم النصيحة بالإنصاف، ثم الرضا بالتوكل «الأنوار، ص ١٢» وجعل مغاليق الرشد وذهاب الهداية في خمس يفتقر على أجزاء الكفر: إسلام بلا صدق، وعمل بلا إخلاص، وعلم بلا اتباع، وعقل بلا فهم، ومعرفة بلا بصيرة، السابق، ص ١٢. النجاة في خمس والهلكة في أربع: النجاة في لزوم التوحيد، والاعتصام بالكتاب والسنة، وصلاح القلب للسلف، وسلامة الصدر للأمة، وصفاء الطعمة. والهلكة في إثثار الدنيا على الآخرة، وطاعة العدو، وموافقة النفس، ومخالفة الهوى بغير بنيان ولا هدى، السابق، ص ١٢.

مراتب الناس، أهل الصدق وأهل الإرادة والعلماء والإخوان، والحكماء، وأصحاب اليمين ... إلخ.^{٢١٥}

وتردد الأقوال التي تقارب الألف حول موضوعات التصوف الأخلاقية الفضائل والرزائل، والتصوف النفسي مثل المقامات والأحوال، والتصوف النظري في نظرية المعرفة، والتصوف العملي في أحوال الطريق. فمتن التصوف الأخلاقي الفضائل كال فقر والورع والتعفف، الحلم والاتباع، الإنصاف، الصمت، العدل، الحياء، البكاء، الصدق، التقوى، الكرم والسخاء، الطهارة. ومن الرذائل الإفراط والأذى والإسراف والغضب، الهوى والحق، سوء الظن، البدعة، الحسد، العجب، الكبر، البخل والشح، الرياء، الشهرة، الخرق، ومن التصوف النفسي، المقامات كالرضا والتوبة والمحبة والصبر، والزهد، والتوكل، والأحوال الخوف والرجاء، الأنس، الفناء والبقاء. ومن التصوف النظري، العلم، العقل، الوسوسة، اليقين، الغفلة، التوحيد، الكشف، الحكمة، ومن التصوف العملي، إنكار الدنيا، الرياضة والمجاهدة، العمل والأدب، البلاء، الامتحان، الذكر، المريد، الوحشة، المحاسبة، العامة والخاصة، الولاية، الحذر من النساء، الإرادة.

وأهم دلالة له هو نقد أحوال العصر وفساد الصوفية والعلماء. يكرر عدة مرات:^{٢١٦} معرفة العصر معرفة للنفس، معرفة النفس معرفة للعصر. فالإنسان ابن عصره، والصوفي

^{٢١٥} أصول الرضا ثلاثة وشُعْبُهُ ثلاثة (ص١٣). أصول التوكل ثلاثة وشُعْبُهُ ثلاثة (ص١٤). المعروف بين الناس على أربعة وجوه (ص١٥). معرفة عقل الفاضل في ثلاثة، ومعرفة الأحمق في ثلاثة، والسخف في أربعة (ص١٧-١٨). والطبع على أربع، والمحبة لثلاث، والإرادة على ثلاث، والحذر من صحبة ثلاث (ص٢٢-٢٥). أهل الحقيقة أربع (ص٣٦) ثمانية مثاقيل للأمة (٣٧) لأهل الصدق طريقان (٣٧)، أصول أهل الإرادة عشرة، وآدابها عشرة، وأخلاقها عشرة (٤٢)، سبع مقامات (٤٩)، العلماء ثلاثة، حجة ومحجاج ومحجوج (٥٠)، فقدان الناس ثلاثة، والابتلاء لسته (٧٣)، التقوى والكرم والفجور والدناءة والمروءة والوفاء والإضاعة والخيانة خمس (٧٥-٧٦)، أصول الإسلام في الظاهر أربعة (٧٨)، وفي الباطن أربعة. الإخوان أربعة (٨٦)، الحكماء ثلاث، والعقلاء ثلاث (١٠٧)، صلاح الدنيا بأربعة (١١٠)، أصحاب اليمين ثلاثة (١٢٣). معرفة الناس من ثلاثة (١٦٠)، للغة أصلان (١٦٣). طلب الدنيا على ثلاثة أوجه (١٧٦). للمعرفة أربعة معاني (١٨٣). علامة المعونة من الحق ثلاث (١٩٥). أربعة خلائق للولاية (٢٠٠) أخلاق المؤمن أربعة (٢٠٠) الإيمان في القناعة على ثلاثة منازل (٢٠٧).

^{٢١٦} نقد العصر حوالي ١٣ فقرة.

ابن وقته.^{٢١٧} وشر زمان عندما يكون فيه التقى من العامة ذليلاً والفاجر من الخاصة عزيزاً.^{٢١٨} يتسم علماء أهل هذا الزمان بالجهل بالدين وادعاء المعرفة. وادعاء الزهد والتقوى باللباس والتدليس، وإيذاء الناس.^{٢١٩} وهم قدوة سيئة تؤدي إلى الهلاك في الدنيا والآخرة. هم علم بلا بصيرة، وخبر بلا فراسة، مع فسق المريدين أو صحتهم، وفساد السلاطين والعلماء بالرشوة، والتكالب على الدنيا، المال والسلطة، الثروة والرئاسة، وترك العمل بالحكم من الكتاب والسنة، والاعتماد على الأهواء والمصالح الشخصية.^{٢٢٠}

^{٢١٧} «لا يعرف الناس من لم يعرف زمانه. ولا يعرف زمانه من لم يعرف نفسه. ولا يعرف نفسه من لم يعرف عيوبها. ولا يعرف عيوبها من لم يعرف دينه. ولا يعرف دينه من لم يعرف دنياه. ولا يعرف دنياه من لم يعرف آخرته. ولا يعرف آخرته من لا يعرف ربه. ولا يعرف ربه بالحقيقة من لم يرض بقضائه، ويصبر على بلائه، ويشكر على نعمائه، ويقر بفضل ما خوله من عطائه»، الأنوار، ص ١٢٠. «وأقبح من ذلك الزمان زمان يرى فيه الظلم إحساناً»، السابق، ص ١٢٢.

^{٢١٨} «شر زمان للعامة يكون التقى منهم ذليلاً صغيراً، وشر زمان للخاصة يكون فيه الفاجر منهم عزيزاً شريفاً»، «ما أقبح زماناً لا سلطان فيه للحق منة على الظالم، وأقبح من ذلك الزمان زمان يجد فيه الظالم على نفسه ظلمة»، السابق، ص ١٢٣.

^{٢١٩} «ويلكم يا معشر النساك الجهلة بدينهم. أظهرتم زهدكم بالعجز عن محاسبتكم. واستعملتم تواضعكم في لباسكم، وأخفيتكم الكبر والحرص في صدوركم. فلا أنتم وجدتم راحة في قلوبكم، ولا أنتم أرحتم الناس من آذاكم. فما ظنكم غداً عند ربكم إذا وضع ميزان الحق للخلق وذهب الباطل؟ ويلكم يا معشر العلماء السوء الجهلة بربهم! جلستم على باب الجنة تدعون الناس إلى النار بأعمالكم. فلا أنتم دخلتم الجنة بفضل أعمالكم، ولا أنتم أدخلتموها للناس بصالح أعمالهم. قطعتم الطريق على المريد فصددتم الجاهل عن الحق بعد علمكم. فما ظنكم غداً عند ربكم إذا ذهب الباطل بأهله وقرب الحق أتباعه. عجب لقوم عجزوا عن معرفة أنفسهم يدعون المعرفة بأحوال غيرهم. بل عجب من قوم أطاعوا الله في جهلهم فلما علموا واجبه عليهم عصوه بعد المعرفة به ... عفت الطريق، أكثر أهل التدليس، والمشتبهون بدعاوى كاذبة، وحكايات مزخرفة، وصفات منمقة، وظواهر بالعلم فاسدة، وتعاطي حجج غير صادقة. كل ذلك لطلب دنيا أو محبة لثناء. وقد قل أهل العلم والبصيرة، وأهل المعارف بالحقيقة. فمن رأيتم يحفظ كلمته، ويبحث عن طعمته، ويصافي أهل الحق بالمودة، ويسلم غريب العلم، وأسباب القدرة. فشدوا به أيديكم، وتوسلوا به إلى ربكم. فإنه علم من أعلام الحق منار لأهل الوفاء والصدق. ومن كان بغير هذا الوصف فإما جاهل في عمله أو أحمق في عمله أو دجال يكيد الطريق وأهله»، السابق، ص ٢٣-٢٤.

^{٢٢٠} «هلك في هذا الزمان من عرفه الناس بالعلم والخبر. ولم يعرفهم بالبصيرة والفراسة، وسلم من الناس من لم يعرفهم ولم يعرفوه، وأربح الناس من عرفهم ولم يعرفوه. إذا فخر العلماء وفسق القراء

ومن مظاهر فساد العصر ثلاثة في الدين: ترك الفرض، وموالة العدو، وفقدان الثقة بالله. وثلاثة في الدنيا: أكل الحرام وغياب النصيحة وضياع الإنصاف. وثلاثة لدى الفقراء: عدم الصبر وعدم الرضا وعدم ترك الذم والمدح. وثلاثة لدى الأغنياء: عدم الشكر وبذل الفضل وترك النصح. وثلاثة في الأصل: إهمال الدين ومصلحة الدنيا والافتخار.^{٢٢١} وثلاثة

وسفك السلطان الدماء وأخذ على الحكم والحاجة الرشاء، وافتخرت العامة بكسب الحرام، ولم يغير الخاصة منكراً فهناك وجب الفرار ووسع المريد الصمت، وكان الموت تحفة لكل مؤمن. فساق هذا الزمان أكثر مروءة في الدين من قرائهم، وعوامهم أقوى إيماناً من علمائهم، وجهالهم أكثر تصديقاً بالقدرة من أهل القدوة بهم. وما ذاك إلا عقوبة نزلت بالقوم. فإن اعتبروا وأنابوا وإلا زادت الفتنة عليهم من تسليط سلطان السماء، وسلطان الأرض في الدين والدنيا...»، السابق، ص ٨٦-٨٧.

^{٢٢١} «إنما عميت قلوب أهل الإتراف بالدنيا لقلة التحافظ في الكسب، وترك المحاسبة في الإنفاق. وإنما عميت قلوب العلماء والفقراء لمحبة الذكر والرئاسة، ومخالطة الظلمة، ومداهنة الفجرة. وإنما غويت قلوب أهل الإرادة، لإضاعة الرعاية. وإنما قل صبر الفقراء لموافقة هوى أبناء الدنيا ...، «لما تركوا العمل بالحكم من كتاب الله، والثابت من السنة، ورجعوا إلى الرأي والقياس والمستحسن سلبوا أنوار عقولهم، وانطمست فطن فهمهم، فعمي القلب، وكَلَّ الذهن، فقامت النفس عند ذلك مقام العقل، وقام الهوى مقام الروح، وقام العدو مقام العلم، وقامت الوسوسة مقام الصدق والإخلاص، وقام الباطل مقام الحق ... «ذهبت الغنيمة، وغربت السلامة، وعلا الباطل، وظهر المنكر، وتعامل الناس بالخبث والفجور. فلا يرى الحق في هذه الأزمان إلا مريد سمعه بإذن قلبه من الحق أو ناطق غير الحق، ولا يعقله إلا ظاهر بالتوبة، ولا يعمل به إلا بصير بالمعرفة» ...، السابق، ص ١١٢-١١٣. «سيد الناس في هذا الزمان من وهبه الله ثلاثة وإن قلَّ علمه وعمله: حفظ فرضه، وضبط لسانه، وإصلاح طعمته. وشر الناس في هذا الزمان من منع في ثلاثة وإن كثّر علمه وعمله من استبدل بصحبه أبناء الآخرة وحتى أبناء الدنيا، ولها بالتكاثر من الدنيا بعد التقلل منها، وصنع من معرفة نفسه بتزكية الجهال له»، السابق، ص ٥٣-٥٤.

«وحصل أهل هذا الزمن على ثلاثة أخلاق مذمومة تورث ثلاثة محتومة تورث ثلاثة موبوقة. تناولوا على إظهار المحبة، وتباينوا في القلوب بالمخالفة فورثهم ذلك المراهنة، وورثوا منها الإصرار على مذموم الحال، وتواطؤوا على إظهار العداوة، وتألفوا على الركون إلى الظلمة والاختلاف إلى الفجرة فورثهم ذلك الصمت عن قبيح أفعالهم، وإظهار شكر ما عملوه منهم، وورثوا من ذلك أخذ الأفعال على قضاء الحوائج وهو السحت الذي نهى الله عنه، ورأوا أن ذلك لهن حلال. وتواطؤوا على طاعة النساء فورثهم ذلك زهاب أموالهم في الباطل فورثوا من ذلك زهاب الغيرة لله ولرسوله ولصحابته ولأعراض المؤمنين وحرمتهم. فماذا ينتظر الناس بعد هذا إن كان هذا موجوداً في السلطان والقاضي والعالم والخاص والعام. إنا لله وإنا إليه راجعون على زهاب الأعمار، وموت الأخيار والتخلق بداء الاغترار والأنس بقوم لا يستحيون من فضيحة ولا عار»، السابق، ص ٦٧.

في الإخوان: غياب سلامة الصدر والبذل عند الحاجة ونصرة الحق عند الغيبة.^{٢٢٢} الزمان زمان بلاء وفتنة وامتحان واختبار سواء لمن عارضه أو لمن رضي به.^{٢٢٣} والطريق هو محاسبة النفس وإصلاح الدين والكف عن الأذى.^{٢٢٤}

لقد ضيع العوام والعلماء والعارفون والمريدون وأهل الإيمان وجميع الناس كل شيء، كلٌّ في مستواه.^{٢٢٥} ضيَع العامة سبعة أشياء: الأمر والنهي، والترغيب والترهيب والآداب

^{٢٢٢} «عدم في هذا الزمان ثلاثة في الدين، وثلاثة في الدنيا، وثلاثة في الفقراء، وثلاثة في الأغنياء، وثلاثة في الأهل، وثلاثة في الإخوان. فأما التي في الدين فالمحافظة على الفرض، والرعاية في المعادة والموالة، وفقد الثقة بالله. وأما التي في الدنيا فالحلال المحض بلا شبهة، والنصيحة بالحققة، والإنصاف في المودة. وأما التي في الفقراء فالصبر عند العدم، والرضا بما أوتي، وترك الذم والمدح. وأما التي في الأغنياء فالشكر عند الموجود وبذل الفضل بلا منة، وترك النصح بالنعمة. وأما التي في الأهل فإقامة الدين بواجب فرضه، ومصلحة الدنيا بنية التعفف، ومحبة الستر بترك الافتخار والمباهاة. وأما التي في الإخوان فسلامة الصدر عند المخالفة، والبذل عند الحاجة، والنصرة بالحق عند الغيبة»، السابق، ص ١٦٠-١٦١.

^{٢٢٣} «هو زمان بلاء وفتنة، وامتحان واختبار. وأشد ذلك كله على من أشار إلى شيء من الحقيقة إما بحال حل فيه فذلك الذي أعظم البلاء عليه، وإما بتصديق فيلحقه من البلاء بقدر إيمانه. فطوبى للصابرين القانعين، وهنئاً للراضين المحسنين»، السابق، ص ١٦٨، «إذا صار العلماء بالأمر جهالاً في أعمالهم، وصار العمال أهل عبادة في أفعالهم، وصار المدعون الورع سخفاً في أحوالهم، وصار المريدون والطلبون أهل رؤية ودعوى ونفور وجفاء، لا يهابون شيخهم، ولا يُجلون كبيرهم، ولا يرحمون صغيرهم، فيكرمون كرامات أهل الطاعة، ويرفعون بأهل التخاليط والمعصية فقد وجب كتمان هذا العلم ووجبت الظنة بذكر أحوال أهل المعرفة واليقين الخاصة والخصوص إلا عن أهله من أهل التصديق والبصيرة في التحقيق...»، السابق، ص ١٦٨.

^{٢٢٤} «لا يسلم لأحد في هذا الزمان دينه حتى يكون همه محاسبة نفسه، وشغله بصلاح دينه، ويترك الناس جميعاً بكف الأذى عنهم، واتصال نفعه بهم»، السابق، ص ١٦٨-١٦٩.

^{٢٢٥} «ضيَع العوام في هذا الزمان معرفة معاني سبعة أشياء من الكتاب والسنة فيها كل بر وفضل ومقام ودرجة. وهي: الأمر والنهي، والترغيب والترهيب، والآداب والقصص والأمثال. وضيع العلماء معرفة معاني ستة أشياء وهي أول فرض عليهم في صلاتهم: فرضها وسننها وحدودها وأحكامها وترتيبها وجمع الفهم فيها. وضيع العارفون معرفة معاني خمسة أشياء في حالهم. وبها تصلح عبوديتهم: عقل الإيمان، وفهم الإيمان، وعلم الإيمان، وعمل الإيمان، ويقين الإيمان. وضيع المريدون معرفة معاني أربعة أشياء بها قوام حالهم في طريقتهم: أداء الحق المفترض عليهم، وأخذ الحق الواجب لهم، وابتغاء الحق المرغوب فيه والنهي عنه، وتمييز الحق الوارد من الحق للحق والخلق. وضيع أهل الإيمان معرفة معاني ثلاثة أشياء وهي ما لا يسع أحد جهلها: أحكام أصول الدين من الكتاب والسنة ووجوه الاتباع في

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

والقصص والأمثال. وضِيَعُ العلماء معاني ستة أشياء في الصلاة: الفرض والسنة والحدود والأحكام والترتيب والفهم. وضِيَعُ العارفون معاني خمسة أشياء في الإيمان: عقله وفهمه وعلمه وعمله ويقينه. وضِيَعُ المريدون معاني أربعة أشياء بالنسبة للحق: أدائه وأخذه وابتغائه وتمييزه. وضِيَعُ أهل الإيمان معاني ثلاثة أشياء: أحكام أصول الدين، واتباع الترغيب والترهيب وموافقة الحق في الرضا والغضب. وضِيَعُ الناس معنيين: النصيحة في الموالاة والإنصاف في العداوة. وضِيَعُوا معنًى واحدًا هو إدخال المسرة بالموافقة للحق على قلوب المؤمنين.

وتلك من علامات آخر الزمان.^{٢٢٦} والسؤال هو: ما هي ظروف هذا العصر الحديث الشبيه بذلك العصر القديم؟ وهل هي ظروف مشابهة تقتضي نفس رد الفعل أم ظروف مغايرة تقتضي رد فعل جديدًا؟

ويحضر البعد السياسي في مقاومة السلطان الجائر.^{٢٢٧} فأشدُّ بلاء في الأرض على العامة والخاصة سلطان جائر، وعالم فاجر وعابد جاهل ومصاحبة العلماء للسلطان فساد لهم. وصلاح الدنيا بأربعة: إمام عادل، وقاضي يحكم بما أنزل الله، وعالم يفتي

الترغيب والترهيب وموافقة الحق في الرضا والغضب. وقل في الناس معرفة معاني اثنين: النصيحة في الموالاة، والإنصاف في العداوة، وعدم في الناس معرفة معنًى واحد: إدخال المسرة بالموافقة للحق على قلوب المؤمنين»، السابق، ص ١٨٥-١٨٦.

^{٢٢٦} «يحدث في آخر الزمان قوم سفهاء الأحلام، مفتونون بجمع الحطام، يتعلمون العلم والقرآن للدنيا والرياسة، ويدعون السنة وهم يعملون بالبدعة. يظهرون ترك التسبب من الحلال زهدًا. ويأخذون من الناس بالشبهات والحرام بحثًا»، السابق، ص ٢٠٧.

^{٢٢٧} «أعظم بلاء في الأرض، وأشدُّ عقوبة في العامة والخاصة ثلاث: سلطان جائر، وعالم فاجر، وعابد جاهل. فالسلطان الجائر نعمة على الناس في دنياهم. والعالم الفاجر محنة وبلاء على الناس في دينهم. والعابد الجاهل رأس كل فتنة في الدين والدنيا، مشثوم على نفسه بجهله، ضر على العوام به. وأضر أحوال الناس ثلاث: جور العمال، وجهل العلماء، وحماقة النساك، الأنوار، ص ١٠٥. «إذا صلب السلطان الجائر أهل العلم والتقوى على الدنيا فسد دينهم. وإذا صلبه أهل الفسق والاعتداء فسدت دنيا العامة. ومن رأيتموه من العلماء والنساك يتصدى للأمراء والملوك لقضاء الحوائج، ويكثر الاختلاف إلى أبواب القضاة والوزراء ليودعوه وليعدلوه فهو خبيث دجال قد دخل في طريق الفتنة. وعلامته دهانته لهم في الحق، وصحته عن الباطل، وفقد التوفيق منه في نصره المظلوم، وذهاب البصيرة منه في حال نفسه، وعدم التميز منه لغيره»، السابق، ص ١٠٥.

أولاً: تشكل الوعي التاريخي

بالسنة، وناسك يُغاث به العباد.^{٢٢٨} والأمل الدولة الأبدية وهي الجنة السرمدية، والبقاء دون الفناء.^{٢٢٩}

(٤) الوعي التاريخي المعرفي

وهو قمة الوعي التاريخي في أشكاله الأولى قبل أن يصبح وعياً نظرياً خالصاً في مرحلة التصوف الفلسفي. وقد بدأ ذلك في رسالة العقل و«كتاب العلم» و«رسالة في التصوف» عند المحاسبي (٢٤٣هـ)، واستمر في «بستان المعرفة» عند الحلاج (٣٠٩هـ)، و«رسالة الاعتبار» عند ابن مسرة (٣١٩هـ).

(أ) رسائل المحاسبي (٢٤٣هـ)

(١) «رسالة العقل»^{٢٣٠}

ويحض تحليل العقل الحكم الشائع بأن منهج الذوق مضاد لمنهج العقل. فالعقل قادر على الوصول للكشف. يتفق عليه الفلاسفة والمتكلمون والأصوليون والصوفية. وتعتمد الرسالة على القرآن اعتماداً كلياً أكثر من الحديث.^{٢٣١} وتكاد تخلو من الأشعار. وهي على قدر كبير من التنظير. وهو العقل الأخلاقي، والعقل العملي الذي اشتهر به كانط. وهو صادر من الله. فأول ما خلق الله خلق العقل. وهو أعز من خلق. هو دليل وحجة. والحجة حجتان: عيان ظاهر أو خبر قاهر. والعقل يشمل الحس والقلب، العيان والوجدان.

^{٢٢٨} «صلاح الدنيا بأربعة: إمام عادل، وقاضي يحكم بما أنزل الله، وعالم يفتي بسنة رسول الله، وناسك يُغاث به العباد والبلاد»، السابق، ص ١١٠. «إذا جار السلطان فسد سكنى البلد. وإذا قبل القاضي الرشاء والاستعانة فسد سكنا الحضرة. وإذا فجر العلماء ذهب خير الدين. وإذا فسد القراء ذهب خير الناس»، السابق، ص ١١٠.

^{٢٢٩} «اطلبوا الدولة الأبدية وارغبوا في الجنة السرمدية بالتصمد للصمد والإبقاء لمن أحببتموه للواحد الأحد عسى أن تحيوا في دار البقاء بما أسلفتم في دار الفناء فإن الكريم يعود بفضله على من يخالفه ويعصيه فكيف لمن يوافقه ويطيعه؟»، السابق، ص ١٨٢.

^{٢٣٠} عالم الكتب، القاهرة، ١٩٦٩م، ص ٢٣٥-٢٥٩.

^{٢٣١} الآيات (٤٣)، الأحاديث (٢)، الشعر (١).

(٢) «كتاب العلم»^{٢٣٢}

وهو وعي تاريخي نظري بالتصوف كعلم. وهو على قدر عالٍ من التنظير بالرغم من الاعتماد نسبياً على القرآن والحديث.^{٢٣٣} ولا يذكر من الصوفية الأوائل إلا سفيان بن عيينة ووهب بن منبه.^{٢٣٤} العلم على ثلاثة أنواع: علم الحلال والحرام وأحكام الدنيا، علم الظاهر وهو الفقه، وعلم أحكام الآخرة، علم الباطن، وعلم بالله وأحكام خلقه في الدارين. العلم الأول لأفعال الجوارح. والعلم الثاني لأفعال القلوب وفيها الفضائل والرزائل والمقامات والأحوال. والعلم الثالث لأهل الإيمان وحدهم.^{٢٣٥}

(ب) أعمال الحلاج (٣٠٩هـ)

(١) «الروايات أو الأحاديث»^{٢٣٦}

وهو كتاب أصيل يستبدل بالسند في الرواية والعنعنات الشهيرة مصادر قلبية للمعرفة المباشرة من الله «عن قلبي عن ربي أنه قال».^{٢٣٧} ولا يهم المتن بقدر ما يهم السند. لذلك يظهر «الله»، ضمن العنعنات.^{٢٣٨}

^{٢٣٢} الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٥م.

^{٢٣٣} الآيات (٣)، الحديث، القدسي (١).

^{٢٣٤} كتاب العلم، ص ٩٨.

^{٢٣٥} السابق، ص ١٢٩-١٣٥. ويغالي الناشر في ثبت الفهارس العامة فيما يدل وفيما لا يدل.

^{٢٣٦} الأعمال الكاملة، دار الحكمة، لندن، ط ٢، ٢٠٠٥م، ص ٢٦٩-٢٨٤.

^{٢٣٧} الروايات أو الأحاديث، الحلاج: الأعمال الكاملة، ص ٢٦٩-٢٧٥.

^{٢٣٨} الحي السميع البصير العزة، المالك الكبير، الحق الأعلى، الجليل الوحيد عن الحدين، الجليل الوحيد القدرة، الجلال القريب، قد يكون السند أنواع المعرفة مثل: الإيمان المعروف، اليقين الموجود، العلم القديم، الرؤية الصادقة، العلم، المعنى، المحيط، المعرفة الأصلية، العيان اليقين الغيب. وقد يكون وسائل المعرفة: العقل الوجيه، الفهم المبين. وقد يكون شخصياً مثل: الملك الحكيم، الكروب الكبير، الروح المكنون، الملك اللطيف، جبريل، صاحب الميزان، الروح القديم، الملك الشاخص، الملك القدير، المدبرات عن الحكمة. وقد يكون زمان الكون: مثل الفجر، رجب، العصر، الجمعة القائمة، العصر الماضي، القدم. وقد يكون المكان مثل: السجّج (مكة)، القدس، الفردوس الأعلى، عدن المعبود، قبة الأزلية. سدرة المنتهى، بيت الله، موسى الله، بيت الله الوسيع، الطور، الركن، المقام. وقد تكون مظاهر الحياة مثل: الحياة

(٢) «بستان المعرفة»^{٢٣٩}

وهي رسالة صغيرة عن المعرفة تقوم على التنظير العقلي الخالص كما هو الحال في رسائل ابن مسرّة عن الاعتبار والنظر. أسلوبها إلغازي، شديد التركيز. يكشف عن شدة الوجد وحالتي الفقد والوجد. المعرفة رؤية وشطح تقوم على الوحدة بين الذات والموضوع.^{٢٤٠}

(ج) «رسالة الاعتبار» لابن مسرّة (٣١٩هـ)^{٢٤١}

وتكشف عن الوعي الصوفي النظري وبداية الفلسفة الإلهية. والاعتبار هو النظر كما هو الحال عند ابن رشد. وقد سماه ابن الهيثم التجربة. لم يعد التصوف مجرد أخلاق عملية

الدائمة، المملوك البصير، ساعة الساعات، الحسن، الإحسان، الإرادة، روح الحياة، نور السمع والبصر. وقد يكون مظاهر الطبيعة مثل: السحاب المتراكم، البرق الخاطف، الرعد المقدس، القوة المحمية بالغيب المنهمر في أفق النور بين الشمس والقمر، الضياء المخمر، الصورة الكائنة، حضرة النبات، ألوان الأنوار، حياة القدم، الخلق، الظل المسدود، النور الفريد، ريح الجنوب، عقاد المن، جبل البروق، بحر من البحار الشعاعي، قوس الله المشرقة بالأنوار المشارق، البروج، القطب، الهلال اليماني، الطائر الميمون، حيدرة الملك، نثر النشوب، صورة الجمود، النور التائب، الوجود، لسان الغيب اللطيف، الصورة الحسنة، الفطرة الساطعة، صنع المجيد، السماء والأرض، الفطرة. وقد يكون تاريخ الدين مثل: الميثاق، البرهان، مجمع القرآن، الشأن المشهود، القرآن المجيد، الشهر المعظم، البلاء والنعمة، القضاء والقدر، عين الميزان الأمر المبين. وقد يكون الأحجار الكريمة مثل: الياقوت الأحمر، ياقوت النور. وقد يكون الأنبياء مثل محمد صاحب الركن واليمين. وقد يكون السند الحروف والأسماء والكلمات: مثل الاسم العزيز، ميم، الخازن، الكلمة المتصلة الكبرى، الكلمة العليا، الاسم المبين. وقد يكون شخصاً مثل صاحب الحجاب، خادم البيت المعمور، صاحب ستر الأقصى، السفير الأعلى، صاحب هبابة الراح، الولي القريب شاهد الكعبة. وتذكر أحياناً التواريخ عين الميزان سنة مائتي وتسعين، والعصر سنة سبع من البيت. السابق، ص ٢٧٠-٢٧٤.

^{٢٣٩} الأعمال الكاملة، دار الحكمة، لندن، ٢٠٠٥م، ص ٢١٣-٢٣٥.

^{٢٤٠} أربابها، أربابها. كأنها كأنها كأنها، كأنه كأنه كأنه، كأنها كأنها، كأنه كأنه، كأنه كأنه، كأنها كأنها، أربابها. بنيانها أركانها، وأركانها بنيانها، أصحابها أصحابها، بنيانها بها، لها بها، لا هي هو، ولا هو هي، ولا هو إلا هي، ولا هي إلا هو. ولا هو إلا هو، بستان المعرفة، العلاج، الأعمال الكاملة، ص ٣١٥-٣١٦.

^{٢٤١} من التراث الفلسفي لابن مسرّة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٨٢م/١٤٠٢هـ، ص ٦١-٧٣.

بل هو تأمل نظري على عكس الشطحات عند البسطامي والجنيدي والشبلي والحلاج. وتعتمد على الآيات وحدها دون الحديث أو الشعر.^{٢٤٢} ومع ذلك يغلب عليها التنظير العقلي. ولا يشار إلى أحد من أعلام الصوفية.

وبالرغم من أن المرحلة الفلسفية في القرنين السادس والسابع عند السهروردي (ت ٥٨٧هـ)، وابن الفارض (ت ٦٣٢هـ) وابن عربي (ت ٦٣٨) وابن سبعين (ت ٦٦٩) إلا أنها بدأت مبكرة عند ابن مسرّة الأندلسي (ت ٣١٩)، بالرغم من أن لقبه هو الشيخ العارف المحقق في أعماله الفلسفية الخالصة مثل «رسالة الاعتبار» وموضوعها الصلة بين الدين والفلسفة مثل «فصل المقال» لابن رشد، و«خواص الحروف» في التأويل. ويحيل إلى الفلاسفة. و«رسالة الاعتبار» جواب على سؤال تلميذ له «لا يجد المستدل بالاعتبار من أسفل العالم إلى الأعلى إلا مثل ما دلت عليه الأنبياء من أعلى إلى أسفل» فالوحي هو العقل. والتنزيل هو التأويل. والإجابة «اتفق البرهان وتصادق النبأ الموصوف بالأثر المفهوم لزم العقل ضرورة الإقرار» وهو ما سماه ابن تيمية «موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول» أو «درء تعارض العقل والنقل»، وتعتمد على الآيات القرآنية بالرغم من اعتمادها على التحليل النظري الخالص.^{٢٤٣} ولا يعتمد على الحديث. فالقرآن أصل والحديث فرع، وكما تكثر من الآيات توغل في المسائل الفلسفية النظرية الخالصة المتعلقة بالطبيعيات. والاعتبار هو النظر عند ابن رشد، والتجربة عند ابن الهيثم، والتبصرة عند الصوفية وهو الاعتبار بمخلوقات الله عز وجل، جمعاً بين الاستدلال والتجربة، بين العقل والآية مع التحذير والترهيب والتذكير والتمجيد لأسمائه وصفاته. ثم يتحول الخطاب الفلسفي إلى حروف الأسماء.^{٢٤٤}

^{٢٤٢} الآيات (٢٢).

^{٢٤٣} «فلما اتفق البرهان وتصادق النبأ الموصوف بالأثر المفهوم لزم العقل ضرورة الإقرار بأن هذه القوة حاصرة له محيطية به، عالية عليه. إن عمي عنها ورام الخروج عن حوزتها خرج عن الكنف كله ...»، الاعتبار، ص ٧٢.

^{٢٤٤} خواص الحروف، من التراث الفلسفي لابن مسرّة، ص ٩٦.

(د) «بستان العارفين» لأبي الليث السمرقندي (٣٧٣هـ)^{٢٤٥}

ويوحي العنوان بأنه في المعرفة الكشفية، وهو في الحقيقة في الفقه والآداب الشرعية، لقب المؤلف الإمام، لا يعتمد إلا على فقيه واحد هو أبو الليث، لقبه الزاهد، يبدأ به كل باب من الأبواب المائة وتسع وخمسين. ويتكرر قوله أكثر من مرة داخل بعض الأبواب. ومعظم الآداب أقرب إلى العادات منها إلى الفقه خاصة في آداب الطعام والشراب واللباس، والحمام والزيارة والحديث والمداواة. وتتوالى الأحاديث أحياناً في دفعات.^{٢٤٦} وهي أقوال أكثر منها روايات أفعال. تغلب الأحاديث على الآيات، ويقل الشعر.^{٢٤٧} وتغيب الأحاديث القدسية نظراً للطابع السلوكي للفقه دونما حاجة إلى اللجوء إلى الإيحاءات الخيالية والإخراج المسرحي. وتذكر المتون دون أسانيدھا. وأكثر الأسماء المذكورة محدثون ورواة. ولا يذكر من الصوفية إلا الحسن البصري وذو النون. ويذكر الحكماء بالمعنى العام دون إشارة إلى وافد أو موروث. ويذكر من الوافد الشرقي برزجمهر.^{٢٤٨} ويقل التحليل العقلي إلى الحد الأدنى لدرجة الغياب أمام طغيان الأحاديث وكأن الكتاب في الحديث أو الفقه. ولا يظهر الجانب الصوفي. وسبب التأليف جمع فنون العلم الفردي للعامة والخاصة مستمداً من عدة كتب سابقة اعتماداً على الأدلة النقلية وترك غوامض الكلام.^{٢٤٩} لذلك تناثرت الموضوعات وتكررت مما يستدعي إعادة تجميع وتصنيفها في عدة أبواب أصغر.^{٢٥٠}

^{٢٤٥} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م/١٤٢٤هـ.

^{٢٤٦} بستان العارفين، ص ١٣٥-١٣٨.

^{٢٤٧} الأحاديث (٤١٢)، الآيات (٢٢٠)، الأشعار (١٥).

^{٢٤٨} الحسن البصري (٣)، ذو النون (١)، الحكماء (٥)، برزجمهر (١).

^{٢٤٩} «إني قد جمعت في كتابي هذا من فنون العلم ما لا يسع جمعه ولا التخلف عنه للخاص والعام. واستخرجت ذلك من كتب كثيرة. وأوردت فيه ما هو الأوضح للناظر فيه، والراغب إليه. وبيّنت في الحجج فيما يحتاج إليه من الحجة بالكتاب والأخبار والنظر والآثار. وتركت الغوامض من الكلام. وحذفت أسانيد الأحاديث تخفيفاً للراغبين فيه، وتسهيلاً للمجتهدين، والتماساً لمنفعة الناس»، بستان العارفين، ص ٥.

^{٢٥٠} أمھما: العلم، طلب العلم وكتابته وأخذہ من الثقات وفضله على الفقه وآداب المناظرة والمتعلم، في فضل تعلم القرآن وتعليمه وآداب المستمعين، العلم والأدب، فضل المعلمين. الفقه والفتوى ولن تجوز، الاختلاف والقضاء، آداب القاضي، آداب الوضوء والصلاة، آداب النوم، تقديم اليمين على الشمال، النهي عن التعرض للتهمة، التصاوير، قتل العمد، الجماع، دخول الحمام، آداب الخلاء، قتل الجراد. نقش

(٥) الوعي التاريخي الأدبي

ويظهر الوعي التاريخي الأدبي من جميع أقوال الصوفية المتناثرة في الروايات الشفاهية أو عبر التدوين المبكر أو المتأخر مثل أقوال التستري. وغالبًا ما تكون الأقوال شطحات مثل شطحات الجنيد والبسطامي. والأقوال هي وحدة التحليل الأخيرة في علوم الحكمة وعلوم التصوف.^{٢٥١} يجمع المحدثون أقوال الصوفية القدماء كما يجمع الرواة الحديث. وهي تدل على الوعي التاريخي عند المحدثين. فوحدة التحليل هي العمل الصوفي وليس ما يُجمع من

المسجد، كراهية البصاق فيه، كراهية الصلاة أثناء النعاس. الفوائد، السباحة والفروسية والرمي، النهي عن اقتناء الكلب، حضور العشاء مع إقامة الصلاة، الصلاة في المطر، كراهية الجرس، نشر السكر، البول في حالة القيام، خصار الحيوان. الحديث، رواية بالمعنى والإجازة. والأخلاق والمواظب والآداب، إبادة مجلس العظة، آداب المذكر، المروءة، الآداب، الرفق. القرآن والتفسير: تفسير السبع المثاني، وما أنزله منه بمكة والمدينة وسورة براءة، وقراءة النبي على أبي بن كعب، ونزوله على سبعة أحرف، تفسيره، عدد سوره وآياته وكلماته وحروفه وأثلاثه وأرباعه وأنصافه والسادس الشعر إنشاده وأشعار النبي. اللغة: تفضيل للسان العربي على غيره، حد الكلام، معاريض الكلام، مما يستحب من الأسماء، الأمثال. العاملات: حسن المعاشرة ومعرفة الحقوق، زيارة الإخوان، التسليم على الكبار والصبيان وأهل الزمة وعند دخول البيت، إجابة الدعوة، آداب الضيافة، الخروج من المنزل والصحبة، البيع والشراء، النهي عن النظر في بيت الغير، الاستدانة، الكذب، كراهة الوحدة، المزاح، كراهية الدخول على الأهل من السفر ليلاً، التعزية، المسابقة، الهدية والمكافأة، تشميت العاطس، مداراة الناس، التحية. اللباس: ما يستحب منه، الجمال، وما يجوز لبسه وما لا يجوز، العلم في الثوب، افتراش الديباج، ولبس الحرمة، وجلود السباع. الطعام: أكل اللحم والفالوذج، أنواع الأطعمة، الثوم، آداب الأكل، الخلال، آداب الشرب، مبكرة الغداء، السحر بعد العشاء، قلة الأكل. الأخلاق والسياسة: الرذائل والفضائل، السخاء والبخل، الغيرة، إكرام أهل الفضل والشرف، طاعة الولاة، الأخذ من الأمراء، الأمر بالمعروف، الخاتم والكتابة عليه، الرسالة، الفلسفة، طبائع الإنسان، العمارة والبناء، كلام الحكماء، المعرفة. عبارة الرؤيا، الرؤيا الصالحة وحسن العبادة، العقل. الكلام: علامات الساعة، الشفاعة، البكاء على الميت ببكاء أهله، الحفظة المرأة التي كان لها زوجان في الدنيا، أسماء الجنان والنيران. تفضيل الفقير على الغني، عذاب الميت، أطفال المشركين، الأنبياء، نسبة النبي وأولاده وأزواجه، ابتداء أمر النبي، هجرته، مغازيه، ما يكره، الدعوات، الخلق، بدء خلق السموات والأرض، المسخ، الإيمان، يزيد أم لا؟ عمل أم قرار؟ مخلوق أم لا؟ القرآن، الرؤية، القدر، المعاملة مع أهل الكفر، الرفض، الطب، الرقى، الأطعمة التي فيها الدواء، فضل العصا، الامتناع عما يضر البدن، الحجامه، التصوف، زوال الدنيا عن المؤمن، وهو أقل الموضوعات، الأحوال الشخصية: تزويج الزانية، العزل، القبله للولد الصغير، ضرب الدف، النكاح، التاريخ: أسماء الخلفاء بعد النبي، الأيام والشهور، والصحابة.^{٢٥١} من النقل إلى الإبداع، مج ٣، النقل، ج ١، التدوين، فصل ١، التاريخ، ثامنًا: الأقوال، ص ٢١٤-٢٢٧.

أقوال شفاهية أو مدونة من غيره.^{٢٥٢} فجمع أقوال صوفية لم يكتبوا من أحد المحدثين لا يدل على الوعي التاريخي عند القدماء الذي لا يبدأ إلا بالتدوين.

(أ) الشطحات^{٢٥٣}

ومن علامات التحول من المرحلة الخلقية إلى المرحلة النفسية الشطحات. والشطحة عبارة تعني بظاهرها غير ما توحى بباطنها. ظاهرها مخالف للفقه، وباطنها متفق مع التجربة الروحية. وهي أيضاً من علامات التحول من المرحلة النفسية إلى المرحلة الفلسفية نظراً لما تتضمنه من معاني وتصورات مركزة وحادة حول الله والإنسان والعالم قبل أن تتحول إلى خطاب فلسفي برهاني عند السهروردي وابن عربي وابن سبعين. والشطح كلام يبدو ظاهره شنيعاً ولكن باطنه صحيحاً مستقيماً.^{٢٥٤} هي عبارة مستغرّبة في التعبير من وجد فياض هاج بشدة وغلبه هياجه. يعني لغوياً الحركة في مقابل الكلام الذي يتفق ظاهره مع باطنه الساكن.^{٢٥٥} والحركة ليست في الكلام بل في النفس والذهن والعقل والروح والقلب والفؤاد. الحركة في الداخل وليست في الخارج. وهو معنى عبارة النفري الشهيرة «إذا اتسعت الرؤية ضاقت العبارة». ولا تأتي الشناعة من الشطح ولا من الصوفي بل من أهل الظاهر وأعداء الصوفية والأولياء، غيرة منهم، وحسداً لهم، وتقرباً إلى السلطان، ودفاعاً عن مناصبهم المزورة كما وصف الكندي «رجال الدين» الذين يعادون الفلسفة. وأقل ما يوجد

^{٢٥٢} من أعمال المحدثين «الإمام الجنيد، سيد الطائفين (قدّس الله سره العزيز)، مشايخه، أقرانه، تلامذته، أقواله، كتبه ورسائله، إعداد وتحقيق الشيخ أحمد فريد المزيدي؛ تراث التستري الصوفي، دراسة وتحقيق د. محمد كمال إبراهيم جعفر؛ شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية، تأليف عبد الرحمن بدوي. ومن القدماء «أخبار الحلاج» جمع علي بن أنجب الساعي (٦٧٤هـ)، شطحات الصوفية (البسطامي ت ٢٦١هـ) تأليف عبد الرحمن بدوي، ويتضمن «النور من كلمات أبي طيفور للسهرجي من علماء القرن العاشر، شطحات الصوفية، ص ٥٨-١٨٥»، «المسلك الجلي في حكم شطح الولي» للناقلي (١١٤٣هـ)، السابق، ص ١٨٩-١٩٩.

^{٢٥٣} الصورة الأولى للشطحات عند إبراهيم بن أدهم ورابعة العدوية. وأول من عبر عنها البسطامي (٢٦١هـ)، والتستري (٣١٩هـ)، ثم الحلاج والشبلي. وصورها الأخيرة عند الجيلاني والرفاعي وابن عربي.^{٢٥٤} «كتاب تفسير الشطحات والكلمات التي ظاهرها متشنع وباطنها صحيح مستقيم»، للمع، ص ٤٥٣-٤٥٥.

^{٢٥٥} «باب في معنى الشطح والرد على من أنكر ذلك برأيه»، السابق، ص ٤٥٣-٤٥٤.

لأهل الكمال الشطح لأنه تمكن من المعنى. يقع في البداية من أجل الوصول إلى الكمال في النهاية فتكون بدايته نهايات الإيرادات. وتعني بداية الغايات والكمال والنهايات.^{٢٥٦} ومعظم الشطحات أقوال ملغزة تشد الانتباه وتصدم العامة والفقهاء. والبعض منها حكايات طويلة يصعب سماعها وحفظها وأداؤها طبقاً لشروط الرواية. هي أقرب إلى الحكايات الرمزية.^{٢٥٧} الشطحات القصيرة تهتم بالتجربة المباشرة والشطحات الطويلة تعتمد على الاستدلال.^{٢٥٨} هي عبارات تدل على التوحد بالله أي إثبات الذات.^{٢٥٩} وتعني رمزاً للتوحيد بين الذات الإنسانية والذات الإلهية، بين قيس وليلى.^{٢٦٠} ويشعر الصوفي أنه هو الله الجدير بالعبادة.^{٢٦١} ويتوحد مع الله.^{٢٦٢}

والشطحات نوعان. شطحات أقوال وشطحات أفعال. شطحات الأقوال هي الأقوال التي يدل ظاهرها على غير باطنها. ظاهرها كفر صراح، وباطنها إيمان عميق بالتوحيد بين الخالق والمخلوق. وشطحات الأفعال هي كرامات الأولياء، الأفعال الخارقة للعادة والتي تبدو كالمعجزات. وقد تعبر الشطحة عن التسليم بالأمر الواقع مثل ضرب اللصوص على أبواب السلاطين.^{٢٦٣}

وللشطحات أشكالها الأدبية مثل أقوال الأنبياء وأمثالهم ورموزهم تتميز بالتركيز الشديد، وبالتكرار عوداً على بدء، وبالقلب والمبادلة. وهو موضوع دراسة مستقلة.^{٢٦٤} ونظراً لبنية الشطحة اللغوية يمكن التنبؤ بالشرطة الثانية منها. وتكرار الشطحات يدل على أنها بنية نفسية تتكرر وليس فقط تكرر الروايات وتعدد المصادر. ولا يدل وجود بعض

^{٢٥٦} السابق، ص ٤٥٨.

^{٢٥٧} شطحات، ص ٩٧-٩٨، ١٠٧، ١٢٥-١٢٧، ١٦١-١٦٣، ١٧٥-١٧٨.

^{٢٥٨} السابق، ص ١٠٦-١٠٧.

^{٢٥٩} مثل «سبحاني، سبحاني، أنا ربي الأعلى»، شطحات، ص ٨٩، «سبحاني، سبحاني، ما أعظم شأنني»، السابق، ص ١٨٦.

^{٢٦٠} «أنا من ليلي، ومن ليلي أنا»، السابق، ص ٨٩.

^{٢٦١} «إني أنا لا إله إلا أنا فاعبدون»، السابق، ص ١٥٧.

^{٢٦٢} «غبت عن الله ثلاثين سنة، وكانت غيبتني عنه ذكرى إياه، فلما حُبست عنه وجدته في كل حال كأنه أنا»، السابق، ص ١٥٧.

^{٢٦٣} «إنما يضرب اللصوص على أبواب السلاطين»، شطحات، ص ٧٣.

^{٢٦٤} انظر دراستنا: تاريخ الأشكال الأدبية، دراسات فلسفية، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٤٨٧-٥٢٢.

أولاً: تشكل الوعي التاريخي

الأقوال بالفارسية أن الشطحات خاصة والتصوف عامة ذو أصول فارسية. كما لا يدل الأصل المجوسي للبسطامي على أن التصوف عامة والشطحات خاصة فارسية الأصل.^{٢٦٥} ولا يحتاج الشطح إلى إثبات من حكاية موسى والخضر؛ إذ تثبت الحكاية فقط الفرق بين الظاهر والباطن في الأفعال وليس الشطح في الأقوال. كما لا يحتاج إلى أدلة من الكتاب والسنة على وجوده إلا على سبيل الحجاج ضد الخصوم، ورد الحجة بالحجة مما يوقع في ضرب الكتاب بعضه البعض. ولا يحتاج كذلك إلى الاعتماد على أقوال الصحابة والتابعين والآثار المنقولة عنهم لأن الخصوم يختارون وينتقون آثاراً أخرى مضادة. وفي التاريخ رصيد كامل لكل الاتجاهات مثل الكتاب والسنة. والكل إلى رسول منتسب.

(١) شطحات أبي يزيد (٢٦١هـ)

والشطحات المروية عن البسطامي كثيرة.^{٢٦٦} وكلها روايات شفاهية دون التحقق من صدقها كما هو الحال في علم الحديث. وقد يكون تكرار بعضها عند أكثر من راوٍ نوعاً من التواتر. وقد تم تأليفها بناءً على سؤال لمعرفة مناقب الشيخ.^{٢٦٧} ولها سند ومتن مثل الحديث. وقد يتدخل الخيال في الروايات نظراً لأنها لم تخضع لمناهج النقد التاريخي خاصة إذا كانت حكاية خيالية أو رواية أسطورية.^{٢٦٨} ليست كل الأقوال شطحات بل منها ما هي أقوال خلقية شبيهة بالمرحلة الخلقية عند المحاسبي والترمذي والخراز.

ويمكن رد ذلك إلى حديث الرسول عندما كان يقول قبل الصلاة «وقفت بين يدي الجبار». وأقوال الشعراء تشهد على ذلك. و«التوحيد بين ذات الله وذات الإنسان» هو معنى الحديث القدسي الشهير «ما زال عبيدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه. فإن أحبته كنت

^{٢٦٥} السابق، ص ٦٨، ١٣٩.

^{٢٦٦} السهلي: النور من كلمات أبي طيفور، عبد الرحمن بدوي: شطحات الصوفية، ص ٥٨-١٨٧؛ مرآة الزمان لسبط بن الجوزي، السابق، ص ٢٠٢-٢١٥؛ نفحات الأئسن من حضرة القدس لعبد الرحمن الجامي، السابق، ص ٢١٦-٢١٧؛ قصة أبي يزيد البسطامي مع الراهب، السابق، ص ٢١٨-٢٢٢؛ طبقات المشايخ للسلمي، السابق، ص ٢٢٣-٢٢٦.

^{٢٦٧} السابق، ص ٥٩.

^{٢٦٨} رفع الله أبا يزيد مرة وقال له: «إن خلقي يحبون أن يروك»، فرد أبو يزيد: «زيني بوحداثيتك، وألبسني أنانيتك، وارفعني إلى أحديتك حتى إذا رأي خلك قالوا: رأيك فتكون أنت ذاك ولا أكون أنا هناك»، اللمع، ص ٤٦١-٤٦٣.

عينه التي يبصر بها وسمعه الذي يسمع به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها.» وتدل هذه الشطحة على مدى القرب بين الإنسان والله، وإعجاب الله بالإنسان، ورغبة الخلق في رؤية الإنسان وليس الله، وموافقة الرب على ذلك، ورفع الإنسان إلى أعلى حتى يراه الخلق. ويرفض الإنسان أن يكون موضوعاً للرؤية إلا إذا زينه الله بوحدايته، وألبسه أنانيته، ورفعته إلى أحديته. فإذا رآه الخلق كأنهم رأوا الله. ومن ثم يرى الخلق الله ولا يرون الإنسان. الله يريد الإنسان، والإنسان يريد الله موضوعاً للرؤية. كلٌّ يؤثر الآخر على نفسه. وإذا توحد الإنسان مع الله فإنه يشعر أنه قد تخفف من ثقل الجسم، واستبدل بجسمه الأحدية، استبدل الكم بالكيف، والبدن بالروح. فأصبح طائرًا جناحاه من الديمومية، وهي صفة الأحدية. وظل الطائر يطير عشر سنين في هواء قدره مائة ألف مرة من هواء الدنيا؛ أي في الفضاء الفسيح حيث لا جاذبية تمنع من الطير بسرعة أسرع من الصوت وربما أسرع من الضوء إلى أن وصل الطير ميدان الأزلية، أي الخلود، فرأى شجرة الأحدية وهي غاية المطاف.^{٢٦٩} وليس المقصود بتحديد المسافة الكم بل تصور عظمة الكيف. ويعني الطيران ليس الانتقال الجسدي بل الانتقال الروحي من فرح اللقاء. وهي تجربة إنسانية في حالة التوتر القصوى يشعر الإنسان بخفة البدن، وتنعكس الجاذبية إلى الأرض إلى الجاذبية إلى السماء، مثل تجربة الإسراء والمعراج. وفي القرآن آية تصور الطير في العنق صورة للمسئولية.^{٢٧٠}

وتتكرر صورة الطير والرحلة وملذتها في الميادين مثل ميدان الليسية لأنها بلا كم. وما زال طول الرحلة يتحدد بالسنة الضوئية حتى الخلاء المطلق وهو الضياع في الفضاء اللانهائي وهو التوحيد حتى يغيب الإنسان عن نفسه ويفنى.^{٢٧١} فصورة الطير مألوفة

^{٢٦٩} «أول ما صرت إلى وحدانيته. فصرت طير جسده من الأحدية، وجناحاه من الديمومية. فلم أزل أطيّر في هواء الكيفية عشر سنين حتى صرت إلى هواء مثل ذلك مائة ألف مرة. فلم أزل أطيّر إلى أن صرت في ميدان الأزلية فرأيت فيها شجرة الأحدية»، اللمع، ص ٤٦٤-٤٦٧.

^{٢٧٠} ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾. وهو معنى قول الشاعر:

رب يوم كأنهم يوم بانوا من دموع الفراق يوم مطير
لو تراني رأيتهم يوم قالوا جسداً واقفاً وقلباً يطير

السابق، ص ٤٦٥.

^{٢٧١} «أشرف على ميدان الليسية. فما زلت أطيّر فيه عشر سنين حتى صرت من ليس في ليس بليس. ثم أشرفت على التضضيع، وهو ميدان التوحيد. فلم أزل أطيّر بليس في التضضيع حتى ضعت في الضياع

أولاً: تشكل الوعي التاريخي

في الكتابات الصوفية؛ في الشطحات أو في الرسائل. فقد كتب كلٌّ من ابن سينا والغزالي رسالة في الطير. ولا يوجد تأويل واحد في الشطحات كما هو الحال في النصوص النثرية أو الشعرية المركزة. والصورة قرآنية.^{٢٧٢}

وتختلف الشطحات طولاً وقصرًا، حكاية أو عبارة. وتدل العبارة القصيرة على شدة الوجد. وتستعمل الشطحة أحياناً اسمًا من أسماء الله، وتنسبه إلى الله مثل «سبوح» و«سبحان».^{٢٧٣} وبعد التوحيد بين الاثنين تصبح الأسماء واحدة. وهي لا تنتسب إلى ما قال فرعون ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ لأن فرعون لم يتوحد بالله بالتجربة الصوفية ولكن بدعاء القوة. تخرج هذه الشطحة من شدة الفناء عن الذات والبقاء بالله. وإذا ضرب الصوفي خيمته عند العرش فذلك لدلالة قربه من صاحب العرش. والعرش نفسه صورة لله. والخيمة بجواره صورة للإنسان ما زال بها البعد دون القرب الذي يتجلى في الجلوس على العرش مع الله، ليس في تجاور بل في تماهي كامل. وهو غير ما قاله اليهود عن عزيز ابن الله أو أنهم أبناء الله وأحباؤه لأن الأبوة والنبوة اثنتين. ولم تكن هناك محبة متبادلة بين الله واليهود.

(٢) شطحات الحلاج (٣٠٩هـ)

ومن أصحاب الشطحات الحسين بن منصور الحلاج الذي يبلغ من الشهرة في تاريخ التصوف عند الصوفية ودارسي التصوف مبلغًا لا يعادله إلا ابن عربي، مؤلفاته متناثرة. جُمعت أخيرًا في أعماله الكاملة.^{٢٧٤} بالإضافة إلى الروايات عنه وأشهرها «أخبار الحلاج».^{٢٧٥} والشطحة ضيق العبارة واشتداد الوجد، وليس فقط ضيق العبارة واتساع الرؤية كما

ضياغًا، وضعت فضعت عن التضبيع بليس في ليس في ضياغة التضبيع. ثم أشرفت على التوحيد في غيبوبة الخلق عن العارف، وغيبوبة العارف عن الخلق»، اللمع، ص ٤٦٨-٤٧١.

^{٢٧٢} ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾.

^{٢٧٣} «سبحاني سبحاني»، اللمع، ص ٤٧٢-٤٧٧.

^{٢٧٤} الحلاج، الأعمال الكاملة (التفسير، الطواسين، بستان المعرفة، نصوص الولاية، المرويات، الديوان، إعداد قاسم محمد عباس، رياض الريس للكتب والنشر، ط ١، بيروت، ٢٠٠٢م).

^{٢٧٥} أخبار الحلاج (وهو أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج)، تقديم وتعليق وتصحيح عبد الحفيظ بن محمد مدني هاشم، مكتبة الجندي، القاهرة، (د.ت). وهي رواية علي بن أنجب السلمي (ت ٦٧٤هـ). وبعضها ذكر في «الولاية»، الأعمال الكاملة، ص ٢٢١-٢٥٤.

عرفها النفري. مثال ذلك بصق الحلاج على النار حتى تصير ريحاناً على أهلها، وقدرته على التكلم بمثل هذا القرآن.^{٢٧٦}

الشطحة نظرية أو عملية، قولية أو فعلية، تفسر الآية القرآنية أو الحديث النبوي عن طريق التجربة النفسية. ففي لحظة الصلب يقرأ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾، ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾. وفي وقت إنزاله من الجذع لضرب عنقه قرأ ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾.^{٢٧٧} وقبل الصلب أنشد بأن نديمه لا يظلم. يدعوه للشراب كضيف. وإذا دارت الرءوس دعا النطع والسيف.^{٢٧٨} وفي الشطحات القولية ينادي على من ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾، وآيات أخرى عن التوحيد الشامل أو الحروف مثل ﴿حم * عسق﴾ وتعبر التجربة النفسية

^{٢٧٦} «لولا أن الله تعالى قال ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ لكنت أبصق في النار حتى تصير ريحاناً على أهلها. يمكنني أن أتكلم بمثل هذا القرآن»، الولاية، ص ٢٣٥.

^{٢٧٧} ومثل ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾، ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبُعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبُعْثِ وَلَكِنَّا كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾. المجموع ١٦ آية، السابق، ص ١٠-١١، ٢٢، ٢٤، ٣٣، ٣٧، ٣٩-٤٠، ٤٦، ٤٨، ٥٠-٥١، ٥٥.

٢٧٨

نديمي غير منسوب	إلى شيء من الحيف
دعاني ثم حيّاني	كفعل الضيف بالضيف
فلما دارت الكأس	دعا بالنطع والسيف
كذا من يشرب الراح	مع التنين في الصيف

السابق، ص ٢٣.

«ثم ضرب عنقه ولف في بارية وصب عليه النفط وأحرق وحمل رماده على رأس منارة لتنسفه الريح»، السابق، ص ٢٤.

بالشطحة وبالشعر كما تعبر بالآية^{٢٧٩} لقد أباح الله للناس قتل الحلاج. فالقتل أو حقن الدماء يعني خارج الصلاة والصوم وقراءة القرآن. وهو مصير الصوفي. فليقتله الناس ليؤجروا ويستريح. فليس للمسلمين هم إلا قتله.^{٢٨٠} قتل النفس هو ما أرادته الحلاج وهو من الواجبات. لذلك إذا تعصب الناس يؤجرون.^{٢٨١} ومن تعصب لله يؤجر على ذلك.^{٢٨٢} ويستغيث الحلاج بأهل الإسلام لأنه لا يترك إلى نفسه فيأنس بها أو تؤخذ منه فيستريح منها. وهو دلال لا يطيقه.^{٢٨٣} وفي رسالة وداع إلى صاحبه يكتب الحلاج من الغريب المفرد إلى الشفيق المجد، يناجيه، ويثبت همته، ويكشف بالمباشرة، ويلطف بالمجاورة، ويتلذذ بالقرب، ويتزين بالأنس. يتشقى ويترقى ويتحقق وينصرف. ويتفكر ويخاطب ويراقب ويتجلى. «وتتحقق بعد أن تمزق. وتمزق بعد أن ترزق».^{٢٨٤} وبعد قطع يدي الحلاج ورجليه إيذاء له في الله والله يتودد لمن يؤذيه.^{٢٨٥}

والبعض يشهد على الحلاج بالكفر، والبعض الآخر بالولاية. والشهادة بالكفر أفضل. والتعصب للدين أفضل من حسن الظن.^{٢٨٦} ومن ثم لا يناظر الحلاج خصومه. ويعترف

^{٢٧٩} مجموع الأشعار (٢٥). أكبرها ثمانية أبيات، وأصغرها بيت واحد.

^{٢٨٠} «اعلموا أن الله أباح لكم دمي فاقتلوني ... والمعنى الذي به تحقق الدماء خارج عن الصلاة والصوم وقراءة القرآن. فاقتلوني تؤجروا وأستريح ... ليس في الدنيا للمسلمين شغل أهم من قتلي ...»، أخبار، ص ٤٢.

^{٢٨١} «القصص قتل هذه الملعونة ... ولكنني أعزيهم على الحق لأن عندي قتل هذه من الواجبات. وهم إذا تعصبوا لدينهم يؤجرون»، السابق، ص ٤٦، «الخلق يشهدون بكفري، ويسعون إلى قتلي. وهم بذلك معتدون وبكل ما يفعلون بي مأجورون»، أخبار، ص ١٧، الولاية، ص ٢٣٧.

^{٢٨٢} السابق، ص ٥٠.

^{٢٨٣} الولاية، ص ٢٦٣.

^{٢٨٤} «وفي غد يكون العرس فانتقبوا. وعند الصباح يكون الجمع فتأهبوا. تناولت صفات الصفات. ودنا الأجل للميقات. وفي غد تسفر سافرة المكتوم، وتبرز مخبئات الصدور ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾»، السابق، ص ٢٦٣-٢٦٤.

^{٢٨٥} «إلهي أصبحت في دار الرغائب. أنظر إلى العجائب. إلهي إنك تتودد إلى من يؤذيك فكيف لا تتودد إلى من يؤذي فيك»، أخبار، ص ٢٦. الولاية، ص ٢٥٠.

^{٢٨٦} إن بعض الناس يشهدون عليّ بالكفر. وبعضهم يشهدون لي بالولاية. والذين يشهدون عليّ بالكفر أحب إليّ وإلى الله من الذين يُقرون بالولاية من حسن ظنهم بي. والذين يشهدون عليّ بالكفر يشهدون تعصباً لدينهم. ومن تعصّب لدينه أحب إلى الله ممن أحسن الظن بأحد»، الولاية، ص ٢٥٠-٢٥١.

لهم مسبقًا بأنهم على حق وهو على باطل.^{٢٨٧} والشهود زور. شهادة الحاضر زور، وشهادة الغائب حق.^{٢٨٨} والحلاج شهيد يقتل لأنه يقول ربي الله. وهو على مذهب ربه حنيفي عن أمة محمد. تأول عليه الخصوم. اعتقاده الإسلام، ومذهبه السنة، ويتبع الصحابة.^{٢٨٩} والوجد هو الأساس النفسي للشطحات. هو شدة الانفعال وراء غرابة العبارة. هو مشاهدة الحق في كل وقت. والمشاهدة على الدوام توجب الحرقلة لأن الصوفي يذوب بالمشاهدة ويحترق. الوجد لهيب ينشأ في الأسراع شوقًا. فتضرب الجوارح هربًا وحزنًا من ذلك الوارد ويتعثر اللسان. الوجد وقتي زائل في حين أن المعرفة دائمة. هو قوة تذيب الأرض والجمال. تحرق النار وتهدم الجنة يوم القيامة. في الوجد تستنطق الألسنة ولكن تحت النطق ما يورد إلى التهلكة. وأنفس متعبة مستهلكة لا تقوى على السيطرة على الألسنة والأقوال. فتنتطق بالشطحات. وصيحة تدل على الجهل به. ومن أحب حقيقة فإنه لا يحده، ولو طارت شرارة منه تحرق مالكا وناره.^{٢٩٠} الوجد بلاء قد يؤدي بصاحبه إلى الشهادة. هو مصيدة وهوة تحتاج إلى غوث. ومهما قطع صاحب الوجد بالبلاء إربًا إربًا فإنه يتلذذ بذلك ويزداد حبًا. ويستغيث بالناس من الله الذي خطف ذاته ولم يردّها إليه. وهو لا يطيق حضرته، ويخشى الهجران، فيكون محرومًا منه، غائبًا عن نفسه. وما أقسى الغياب بعد الحضور، والهجر بعد الوصل. يطلب الواجد أن يقتله الناس حتى يؤجروا ويستريح وكأن ليس لدى المسلمين ما يشغلهم إلا قتله. وقتل هذه النفس التي شطحت من الواجب على الخلق تعصبًا للدين فيؤجرون عليه. وقد سبق لإبراهيم أن حرق بالنار. والواجد على أعتابه بالصلب والقتل.^{٢٩١}

^{٢٨٧} «تريدون مناظرتي، على ماذا أناظر؟ أنا أعرف أنكم على حق وأنا على باطل»، السابق، ص ٢٥١.

^{٢٨٨} «ومن حضر بطلت شهادته. ومن غاب قبلت شهادته»، السابق، ص ٥.

^{٢٨٩} «أتقتلون رجلاً يقول ربي الله»، «أنا على مذهب ربي»، «أنا حنيفي أقل حنيفية من أمة محمد». ظهري حمي، ودمي حرام، وما يحل لكم أن تتأولوا علي بما يبيحه. واعتقادي الإسلام، ومذهبي السنة، وتفضيل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبي عبيدة بن الجراح. ولي كتب في السنة موجودة في الوراقين. فالله الله في دمي»، السابق، ص ٢٥١.

^{٢٩٠} الولاية، ص ٢٥٣-٢٥٤.

^{٢٩١} «لو قطعنتي بالبلاد إربًا إربًا ما ازددت إلا حبًا حبًا»، «أيها الناس أغيثوني عن الله. فإنه اختطفني مني. وليس يردني علي. ولا أطيق مراعاة تلك الحاضرة. وأخاف الهجران فأكون غائبًا محرومًا. والويل لمن يغيب بعد الحضور. ويهجر بعد الوصل»، «أيها الناس اسمعوا: إن الله أباح لكم دمي. فاقتلوني

ويظهر عند الحلاج التراكم الصوفي بالإحالة إلى الجنيد. فليس للجنيد إلا الشيوخوخة. ومنزلة الرجال تُعطى ولا تتعاطى. أما داود الظاهري فكان فقيهاً ينكر التصوف. ومحمد بن الخفيف تعصب لله وسيؤجر على ذلك. وقال الجنيد إنه كذب ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾. وأبو يزيد البسطامي مسكين أيضاً مع بدء النطق. فقد نطق الحق على لسانه. شهد المحبوب، وانطوى العارف. فلم يسمع ما نطق به لأنه من الحق سمع. ومن سمع الحق بالحق لا يظهر منه الإنكار ولا التعجب ولا الاستنكار.^{٢٩٢}

(٣) شطحات الشبلي (٣٣٤هـ)

وللشبلي أيضاً شطحاته.^{٢٩٣} فالصوفي نظراً لدرجته في الوصول يشعر أنه زعيم للناس وقائد للركب، وأنه مع الناس حيثما كانوا مثل الله، وأنهم تحت رعايته مثل الله. الصوفي قطب أو بدل. يدور الكون حوله. وهو بديل عن الله. وفي نفس الوقت يشعر الصوفي بالذل. فهو المتناهي في الكبر، المتناهي في الصغر في آن واحد. هو العالم الأكبر والعالم الأصغر بتعبير إخوان الصفا. وفي الحديث مضمون هذه الشطحات عندما يقترب الرسول من الله ويكون زعيماً للبشر جميعاً وليس فقط لأئمة.^{٢٩٤} وفي نفس الوقت جعل الرسول نفسه أقل من الأنبياء. ما هو إلا ابن امرأة كانت تأكل القديد.^{٢٩٥} وتبين شطحة أخرى قدرة الصوفي المطلقة على نيل الأقصى فكيف يطلب الأدنى؟^{٢٩٦} ويتفاوت الصوفية فيما بينهم في درجة الوصول وفي العلو. فلو كان أبو يزيد مع الشبلي لأسلم على يد أحد صبياناه. فأبو يزيد هو المريد والشبلي هو الشيخ.^{٢٩٧}

اقتلونني، تؤجروا وأسترح. ليس في الدنيا للمسلمين شغل أهم من قتلي»، «كيف أنت يا إبراهيم حين تراني وقد ضلّبت وقُتلت وأحرقت، وذلك أسعد يوم من أيام عمري جميعه»، الولاية، ص ٢٥٣-٢٥٤.

^{٢٩٢} الولاية، ص ٢٦١-٢٦٢.

^{٢٩٣} اللمع، ص ٤٧٨-٤٩١.

^{٢٩٤} «مروا أنا معكم حيثما كنتم. أنتم في رعايتي وفي كلاءتي»، «لو عرضتُ ذلي على ذل اليهود والنصارى لكان ذلي أذل من ذلهم»، السابق، ص ٤٧٨-٤٨٠.

^{٢٩٥} حديث «لي وقت لا يسعني شيء غير الله. وأنا سيد ولد آدم ولا فخر»، «لا تفضلوني على يونس بن متى عليه السلام»، «أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد».

^{٢٩٦} «إن نفسي هذه تطلب مني كسرة خبز. ولو التفت سِرِّي إلى العرش والكرسي لاحترق»، السابق، ص ٤٧٩.

^{٢٩٧} «لو كان أبو يزيد، رحمه الله، عندنا لأسلم على يد بعض صبياننا»، السابق، ص ٤٨٠.

وبعض الشطحات تصوير فني خالص مثل أمر الله تعالى الأرض أن تبتلع الشبلي إن كان ما زال فيه فضل لذكر جبريل وميكائيل. وتقال نفس الشطحة بطريقة أخرى دون تصوير فني بأمر الله الأرض بالابتلاع.^{٢٩٨} والشطحة لها رصيدها في الحديث.^{٢٩٩} وتكثر صور جبريل في الخيال الشعبي. له سبعمائة لغة، وسبعمائة جناح. منها جناحان إذا نشر واحد غطى المشرق، وإذا نشر الآخر غطى المغرب. ملك تغيب الدنيا بين جناحيه ويسد الأفق. وكيف كان يهبط في منزل الوحي عند خديجة أو عائشة؟ كيف يتحول الكبير جدًا الذي بحجم الكون كله إلى أن يهبط في غرفة؟

وقد تعني الشطحة العالم في الإنسان وليس الإنسان في العالم، والمكان في الزمان، وليس الزمان في المكان. فالاتجاهات الأربعة كلها شعرة من خنصر الصوفي المتحد بالله.^{٣٠٠} وليس عند الصوفي فقط اللحظة الحاضرة بل الزمان كله الماضي والمستقبل. وقته ليس له طرفان. هو كل الوقت. وهو محق. فلم يعد فيه بقية لغيره. وإن كان فمصيها النار. ولو اعتقد أن النار تحرق منه شعرة لكان مشرّكاً لأنه جعل شيئاً غير الله سبباً. وعذاب الصوفي إذا قطع الله معه وليس إذا قذف به في النار. والله عباد لو أنهم بصقوا على جهنم لأطفئوها.^{٣٠١} وللشطحة رصيد في القرآن والسنة والشعر.^{٣٠٢}

ولما كانت الشطحات في الأفعال وليست فقط في الأقوال، وبالتالي تتحد مع الكرامات.^{٣٠٣} فكان يحرق ثيابه الثمينة في النار، وطعامه في النار، ويفرق أمواله على الناس إلا عياله

^{٢٩٨} «أمر الله تعالى الأرض أن تبتلعني إن كان في فضل منذ شهر أو شهرين لذكر جبريل وميكائيل عليهما السلام»، «إن مر بخاطرك ذكر جبريل وميكائيل عليهما السلام أشركت»، اللمع، ص ٤٨١-٤٨٢.

^{٢٩٩} «رأيت جبريل عليه السلام مثل الحلس البالي فعلمت به فضل علمه وخشيته علي.»
^{٣٠٠} «يا قوم أمر إلى ما لا وراء فلا أرى إلا وراء. وأمر يميناً وشمالاً إلى ما لا وراء فلا أرى إلا وراء. ثم أرجع فأرى هذا كله في شعرة من خنصري»، اللمع، ص ٤٨٦-٤٩١. «ألف عام ماضية في ألف عام واردة، هو ذا الوقت، ولا تخرنكم الأشباح»، «أنتم أوقاتكم مقطوعة، ووقتي ليس له طرفان»، «أنا الوقت، وقتي عزيز، وليس في الوقت غيري. وأنا محق»، «اللهم إن كنت تعلم أن في بقية لغيرك فاحرقني بنارك، لا إله إلا أنت، «لو خطر ببالي أن الجحيم بنيرانها وسعيها تحرق شعرة لكنت مشرّكاً»، «ليتني أعمل بلظى وسقر عندي أن لظى وسقر فيها تسكن.»

^{٣٠١} «تقول جهنم يوم القيامة للمؤمن: جز يا مؤمن، فقد أطفأ نورك لهيبى.»

^{٣٠٢} مثل: ﴿هُوَ مَعَهُمْ أَيَّنَ مَا كَانُوا﴾.

^{٣٠٣} «في معنى أحوال كانوا ينكرون بها على الشبلي»، اللمع، ص ٤٨٣-٤٨٥.

وهو ما يخالف الشريعة في البداية بالأقربين. وتغذي الإسرائيليات هذه الحكايات البطولية عن الأنبياء. والحديث رصيد لها.^{٢٠٤}

(٤) شطحات باقي الصوفية

ليس أصحاب الشطحات فقط هم كبار الصوفية كالبسطامي والحلاج ولكن أيضاً لغيرهم كأبي الحسين النوري وأبي حمزة الصوفي.^{٢٠٥} فالنوري يعشق الله، والله يعشقه.^{٢٠٦} وله أصل في الكتاب. والمؤذن قد يذكر الله وهو غافل ويأخذ أجراً على ذلك. ولولاه ما ذكر الله. وكل شيء يسبح بحمد الله دون أن يفقه الإنسان تسيحه، حتى نبج الكلاب. والقرآن رصيد في ذلك. وإذا كان الخليفة في بيت الله، فالصوفي مع الله في كل ساعة. ولذلك أيضاً رصيد في الكتاب. ويرفض الصوفي أن يأخذ ثمن بيع عقار حتى لا ينخدع بعيداً عن الله. وكان أبو حمزة الصوفي إذا سمع صوتاً لهبوب الرياح أو خرير الماء وصياح الطيور كان يصيح «لبيك» لأن الله حال في كل شيء. والأمن إذا كان السبع على اليمين، والمسورة (المسندة) على اليسار لا يبالي الصوفي على أيهما يتكى.^{٢٠٧} وذكر عن الواسطي أيضاً بعض الشطحات.^{٢٠٨} والذكر افتراء إذا قرن بالاستحقاق. فالله لا يجب عليه شيء. وقد يكون الذكر باللسان وليس بالقلب. فالنفاق نوع من الكذب.^{٢٠٩} وقد يكون الذكر لله مع شيء آخر وهو مشرك. وفي

^{٢٠٤} مثل «الدنيا ملعون ما فيها»، «لو أن الدنيا وزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة من ماء».

^{٢٠٥} «باب في ذكر أبي الحسين النوري رحمه الله، وما شهدوا عليه بالكفر عند الخليفة وغير ذلك»، اللمع، ص ٤٩٢-٤٩٤.

^{٢٠٦} «أنا أعشق الله وهو يعشقني»، ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾. وسمع الأذان فقال: «طعنه وسئم الموت»، وسمع نباح الكلب فقال: «لبيك وسعديك»، ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَمُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾، «حبيبي تريد أن تخدعني منك بمثل هذا».

^{٢٠٧} «أعرف رجلاً لو كان على يمينه مسورة وعلى يساره سبع لم يبالي على أيهما يتكى»، اللمع، ص ٤٩٥-٤٩٦.

^{٢٠٨} «من ذكر افترى، ومن صبر اجترى، ومن شكر انبرى»، السابق، ص ٥٠٦-٥١٥.

^{٢٠٩} «أخوف ما أخاف عليكم منافق عليم اللسان».

الكتاب ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾^{٣١٠} والصبر في البلوى فضيلة ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾. يدعو إلى الدعاء. والذنب للتذلل أفضل من الطاعة للتدلل وأعلى درجة التوحيد هو التفريد، عدم ملاحظة الحبيب أو الخليل دون ملاحظة الحق.^{٣١١} ولذلك رصيد في الحديث.^{٣١٢} وملاحظة النفس وإعطائها الأولوية التي ترتبط بالحديث.^{٣١٣}

وقد رُمي جماعة من المشايخ أصحاب الشطحات بالكفر.^{٣١٤} وهم نوعان: الأول لم يفهموا معاني الكلام ودون جهد عقلي أو تأويل ديني. والثاني علموا مقاصدهم ومعانيهم، ولكنه لم يصبر معهم وأثر الدنيا مطلب الرياسة فعاداهم دفاعاً عن النفس.^{٣١٥} وممن كانوا موضع اتهام ذو النون المصري. وطلب من الله أخذ متهميه إن كانوا كاذبين. أما إن كانوا صادقين فإنه لا يدعو على خلق الله أبداً. ومنهم سمنون ولقبه «المحب»، وأبو سعيد الخراز.^{٣١٦} كما طلب سهل بن عبد الله أن تكون التوبة فريضة على العبد مع كل نفس. فكفرته العامة. وهي مبالغة لبيان أهمية أداء الفروض.^{٣١٧} وقد اتهم عامر بن قيس لقوله إنه خير من إبراهيم وإنه يحرم ما أحل الله. وهو نوع من الثقة بالنفس، وبيان أن الحلال والحرام ظاهر، وأن الباطن هو القرب والبعد. ولذلك رصيد في الحديث.^{٣١٨}

^{٣١٠} وفي الحديث «والذي نفس محمد بيده لا يبلغ أحدكم حقيقة الإيمان حتى أكون أحب إليه من نفسه ومن ماله».

^{٣١١} وهو قول الواسطي «إياك أن تلاحظ حبيباً أو كليماً أو خليلاً وأنت تجد إلى ملاحظة الحق سبيلاً»، اللمع، ص ٥١١.

^{٣١٢} «اعبد الله كأنك تراه».

^{٣١٣} «أنا أول من تنشق عنه الأرض والأنبياء تحت لوائه». والجنة حرام على كل أحد حتى أدخلها».

^{٣١٤} «باب ذكر جملة المشايخ الذين رموهم بالكفر»، اللمع، ص ٤٩٧-٥٠٤.

^{٣١٥} ومنهم أبو بكر علي بن الحسن بن ياز دانيار، السابق، ص ٥٠-٥٥.

^{٣١٦} وذلك لقوله في كتاب السر «عبد رجع إلى الله وتعلق بالذكر. وذكر في قرب الله وطالع ما أذن له، من التعظيم لله وفي نفسه وما سوى الله، فلو قلت له من أين أنت وأين تريد؟ لم يكن له جواب غير قول: الله»، السابق، ص ٤٩٩.

^{٣١٧} كما تم أيضاً تكفير عبد الله الحسين بن مكي الصبيحي، وأبو العباس أحمد بن عطاء، والجنيد الملقب بطاووس العلماء. وأول من امتحن عامر بن قيس ولكن معاوية أكرمه.

^{٣١٨} «نحن معاصر الأنبياء أشد الناس بلاء، ثم الأمتل فالأمتل. ويبتلى الرجل على حسب دينه. فإن كان في دينه صلابة فيكون بلاءه أشد».

أولاً: تشكل الوعي التاريخي

والمطلوب الصبر على البلاء لأن «الصبر مفتاح الفرج».^{٣١٩} ويذكر الطوسي نماذج من شطحات الصوفية اعتماداً على تفسير الجنيد بالإضافة إلى تفسيره للتخفيف من وقعها، وبيان صحة معانيها اعتماداً على القرآن والحديث والشعر العربي والتجربة الإنسانية.^{٣٢٠}

(ب) أعمال الحلاج (٣٠٩هـ)

نصوص الولاية^{٣٢١}

ومع أن العنوان يتعلق بالولاية، أي بالوعي التاريخي المغرب، إلا أن مضمونه في المصطلحات وألفاظ الصوفية.^{٣٢٢} وفي رسائله يذكر أيضاً بعض ألفاظ الصوفية ومصطلحاتهم.^{٣٢٣} وكذلك يذكر بعضها في متفرقات من كلامه.^{٣٢٤} ويعتمد على الآيات والأحاديث دون الأشعار.^{٣٢٥} ويظهر لفظ التصوف نفسه مما يدل على بداية تحوله إلى علم، الفرج الصوفي والدلال الصوفي. ومن أعلام الصوفية الجنيد، والبسطامي. وتشمل الألفاظ الاسم والحقيقة من أجل الانتقال من اللغة إلى الوجود، الحروف، العبارة، النقطة، الكلمة، الإشارة. وتظهر بعض ألفاظ الفضائل مثل الحياء، وبعض ألفاظ المقامات أو ما يشابهها

^{٣١٩} لذلك قال علي بن أبي طالب:

ما أحسنَ الصبرَ في مواطنه والصبرُ في كل موطنٍ حسنٌ
حَسْبُكَ من حسنه عواقبه عاقبة الصبر ما له ثَمَنٌ

السابق، ص ٥٠١.

^{٣٢٠} اللمع، ص ٤٥٩-٤٦٠، يذكر الطوسي في «اللمع» أربع شطحات لأبي يزيد (ص ٤٦١-٤٧٧)، وأربعاً أخرى للشبلي (ص ٤٧٨-٤٩١)، وواحدة لأبي الحسين النوري (ص ٤٩٢-٤٩٤)، وواحدة لأبي حمزة الصوفي (ص ٤٩٥-٤٩٦)، «شرح ذلك يطول إن استقصيت. وفيما ذكرت كفاية»، السابق، ص ٤٦٣، وللنوري مثل ذلك كثير. وفيما ذكرنا كفاية، السابق، ص ٤٩٤. «ولكن تذكر من ذلك طرفاً على الاختصار والإيجاز»، السابق، ص ٤٩٧، و«وفرت الاختصار حتى يقاس بذلك ما لم نذكره»، السابق، ص ٥١٥.

^{٣٢١} الأعمال الكاملة، دار الحكمة، لندن، ٢٠٠٥م، ص ٢٢١-٢٦٥.

^{٣٢٢} وعددها ٤٧، الحلاج، الأعمال الكاملة، ص ٢٢١-٢٣٢.

^{٣٢٣} السابق، ص ٢٣٣-٢٥٤.

^{٣٢٤} السابق، ص ٢٥٧-٢٦٥.

^{٣٢٥} الآيات (١٧)، الأحاديث (٣).

مثل التفويض، والتوكل، الزهد، الشكر، العبودية، المحبة والعشق والشوق، ومن الأحوال: الأنس، الجمع، الخوف، الفناء، الوجد، ومن مصطلحات الطريق: البلاء، الذكر، السماع، المجاهدة، المريد، المراقبة، المناجيات، النفس، الوقت، الهمة، العرف والمزاج، التحقق، الطاعة، العبادة.^{٢٢٦} ومن مصطلحات المعرفة: التجلي، الحجاب، الخاطر، الشطح، طريق الحقيقة، الظاهر والباطن، العارف والصوفي، العلم، الفراسة، المعرفة، الحكمة الإلهية، ومن مصطلحات الكلام: التنزيه والتوحيد، الجبر والاختيار، الحق والخلق، الكفر والإيمان، الوحدة والكثرة، القدم والحدث، الاتصال، وحدة الأديان، الذات والصفات، البداية والنهاية، الدواعي، العمل، الإنسان والعالم، الرحمة الإلهية.

(ج) «خواص الحروف وحقائقها وأصولها» لابن مسرّة (٣١٩هـ)^{٢٢٧}

ومن العناصر المكونة للوعي التاريخي الحروف والكلمات والشطحات؛ أي الوعي باللغة. فاللغة حامل للتاريخ من خلال الروايات الشفاهية والتدوين. والتركيز على أوائل السور يضع الرسالة في علم التفسير.^{٢٢٨} ويعتمد على الآيات أكثر من الأحاديث.^{٢٢٩} ومن الأعلام يذكر التستري.^{٢٣٠} ويرفض الوافد. فالفلاسفة هم قدماء الأمم الضالة. وهم غير الحكماء وهم فلاسفة المسلمين.^{٢٣١} والرسالة لصغرها ليس لها أبواب أو فصول. إنما تشمل عدة موضوعات مثل: الحروف على الجملة، مبدأ كل حرف منها. الألف دليل على الوجدانية.^{٢٣٢} وتتألف الحروف ويصبح لها معنى باطن، وهي الحروف في أوائل السور وترتيبها.^{٢٣٣}

^{٢٢٦} عنوانها «السيهور في نقض الدهور»، نصوص الولاية، الأعمال الكاملة للحلاج، ص ٢٦٤-٢٦٥.

^{٢٢٧} من التراث الفلسفي لابن مسرّة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٨٢م/١٤٠٢هـ، ص ٧٥-١١٥.

^{٢٢٨} «ونحن نشير إلى ما ذهبوا إليه في ذلك من الكلام في مبادئ السور المتقدمة الذكر. ولا نخرج عن مرادهم. ولا نشذ عن مذهبهم. وإنما غرضنا في ذلك تقريب اللفظ وتبيين المعنى وترتيب الحروف ونظمها»، خواص الحروف، من التراث الفلسفي لابن مسرّة، ص ٨٢.

^{٢٢٩} الآيات (٣٩)، الأحاديث (٢).

^{٢٣٠} التستري، خواص الحروف، من التراث الفلسفي لابن مسرّة، ص ٨٢، ١٠٢، ١٠٥.

^{٢٣١} السابق، ص ٨٠.

^{٢٣٢} ثم تذكر الهاء والهمزة والواو والياء واللام والميم.

^{٢٣٣} مثل: الم، المص، الر، كهيعص، طسم، طس، حم، عسق، ق.

كما يعتمد «خواص الحروف» على الحجج النقلية وليس فقط على التحليل النظري.^{٢٣٤} ويبدأ التراكم الفلسفي في الظهور خاصة الفلسفة من قدماء الأمم الضالة، والفلاسفة.^{٢٣٥} كما يظهر التراكم الصوفي خاصة التستري.^{٢٣٦} تعتمد على جمع المعلومات دون الإشارة إلى مصادرها أو أصحابها. ويتكرر الكثير منها طبقاً لتعدد النقل.

الله واحد. ويمكن تفصيله في ثلاث قضايا من جهة الخلق: علم الربوبية بدلالاتها وشواهدا، ويقينها، وعلم النبوة ببرهانها وآياتها وقبولها، وعلم المحنة بشرائعها ووعدا، ووعيدها. أي الله، والنبوة، والمعاد وهي عقائد المتكلمين الفعلية والسمعية، الإلهية والنبوية. وتنقسم هذه العلوم الثلاثة إلى مائة فصل؛ أي مائة درجة طبقاً لعدد أسماء الله الحسنی. وهي في نفس الوقت درجات الارتقاء إلى الجنة وإحصاؤها. هو علم النبي طبقاً لمعاني لفظ إحصاء في القرآن وكنوع من التفسير الموضوعي. وهو رأي نصي لا برهان عقلي عليه.

وللأسماء مراتب في نفسها ودرجات في ذواتها، انفصال واتصال، وعموم وخصوص في شرفها في المخلوقات. أعمها البسملة؛ أول مراتب العلم. ترتبط إذن خواص الحروف بعلم التفسير. وفي البسملة الله أول اسم مضمّر. ومن الألوهية تُعرف باقي الأسماء. من الرحمن تخرج صفاته. ومن الرحيم تظهر رتبها. والحمدلة بيان لمجمل تحتوي اثني عشر اسمًا. وعلم الذات والصفات ليس علمًا مخفياً بل هو علم خاص بين الإنسان وربه. إنما القضية في معاني الحروف في أوائل السور مثل: الم، المص، كهيعص. اختلف العلماء في تأويلها طبقاً لتعدد الأفهام بين الخاصة والعامة لأن الوحي أتي لكل الناس. يعرضها ابن مسرّة ناقلاً عن الآخرين احتراماً لسنة القدماء.^{٢٣٧}

والحروف بوجه عام في أوائل السور أصل الأشياء، مصدر علم الله، خرج منها الأنبياء، وهو رأي التستري، ثمانية وعشرون حرفاً، نصفها ظاهرة، ونصفها باطنة. الباطنة مذكورة في أوائل السور. سرها لدى الرسول. من عرفها عرف معنى النبوة. وقد تكون على عدد منازل القمر، أيضاً نصفها ظاهر ونصفها باطن.^{٢٣٨}

^{٢٣٤} الآيات (٣٩)، الأحاديث (٢).

^{٢٣٥} خواص الحروف، ص ٨٠، ٩٦.

^{٢٣٦} السابق، ص ٨٢، ١٠٢، ١٠٥.

^{٢٣٧} السابق، ص ٧٦-٨٢.

^{٢٣٨} السابق، ص ٨٢-٨٤.

لها أسرار غامضة وحكمة عالية تظهر بعد أربعة عشر يومًا وتكتمل بعد أربعة عشر يومًا أخرى على عدد منازل القمر في حالة استفادة النفس بنور العقل وحصوله على العلم. النفس الناطقة كالقمر، والعقل كالشمس. وتستمد النفس الناطقة العلم من العقل كما يستمد القمر نوره من الشمس. ويعبر الإنسان بثمانية وعشرين حرفًا. فالعالم الصغير جزء من العالم الكبير كما هو الحال عند إخوان الصفا. ومع اعتبار القمر مع الشمس تظهر النفخة في الصور وبعث الأنفس كما خلقت أول مرة.^{٣٣٩}

وترتيبها النون آخر آيات الكتاب.^{٣٤٠} ثم القاف النفس الطبيعية المنبعثة من النفس الكبرى الفلكية نحو الأرض.^{٣٤١} ثم تأتي المملكة الروحانية. «نون» للنوارنيين يتنزلون بالذكر والذهن، العقل الكلي، النفس الكبرى، ومنه خرج الملائكة والجن والأنس. نزلت على أربعة أنبياء، إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، إبراهيم فوق، وعيسى وسط، ومحمد أعلى.

و«كهيعص» آخر رتبة، وهي خمسة مقامات الأدنى «الر» منبع الحركة وفوقها الصاد، الأعظم المحيط بالكل، وفوقها اللام، اللوح الأول والمثال المجرد، وفوقها الميم المشيئة الكبرى، وفوقها الألف إرادة الله.^{٣٤٢}

وأول الحروف ولآخرها الألف، محيطة ومفصلة لغيرها مثل الله. هي أساس الأشياء، مثال التكوين، ومخرج العدل والقضاء الأول. وهي كالواحد من العدد. هي أول دليل على

^{٣٣٩} السابق، ص ٩٠.

^{٣٤٠} وذلك لأن الروح الحامل للأرض مكانها، الحامل لجميع الأجسام والنسيم المحيط بالأرض منه ظاهرًا وباطنًا. ويستمد من الحيوان نفسه، معتدل الطبائع، مضغوط بحمل الأرض. إذا ضعف حدث الزلزال. هو الحوت، صورته على شكل حرث، موضع الماء والطين أسفل سافلين، نهاية الكون، منفصلًا الحركة، حاملًا لجسمين ثقيلين الماء والأرض ولجثث الحيوانات.

^{٣٤١} وهي متعلقة بالنسيم الحامل للأرض. النفس الجميلة مصدر كل شيء متنفس في الأرض، مثال الجسم. هو القدر والمثال، تحت فلك القمر إلى الأرض، جسم وروح ونفس، الجسم الأرض، والروح الهواء المحيط، والنفس القوة السارية. ثم الحواميم السبع، مثال القلب، الحاء الحق والكلمة، و«الميم» الملك، الروح الحامل لجسم السموات والأرض. و«الصاد» الروح المخصوص في جسم العالم، مستمد من الروح المحيط بجسم العالم، ما ينفخ فيه إسرافيل. و«يس» كناية عن الملائكة الأربعة، حملة الكرسي، نهاية المملكة الفلكية.

^{٣٤٢} السابق، ص ١٠٧-١١٠.

أولاً: تشكل الوعي التاريخي

التوحيد متصل باللام. وكلاهما أول الأسماء الحسنى. والواحد لا يضرب في نفسه لأن حصيلته واحد. الواحد هو المفرد وليس المثنى أو الجمع.^{٣٤٣}
وتأتي بعد الألف خمسة حروف أخرى: الهاء والهمزة والألف والواو والياء. ولها ظاهر وباطن. تكشف أسرار الحكمة، وأحكام الصنعة، الهاء إشارة إلى الذات، خارجة من الصدر. تليها الهمزة إشارة إلى الأزلية. فلا شيء أقرب إلى الذات من الإرادة دون أن تكون حالة فيها. فإذا نطقت بالهمزة، وأخذت مخرج العدل وهو الوسط خرجت الألف مثال التكوين.^{٣٤٤}

واللام تشبه الألف في شكلها. وتكون معها أداة التعريف. هي لوح الله وعلمه، والميم مشيئته، ملكان وملكوته. هي المكان لكل شيء وصيرورته. فيها ظهرت صور الأشياء واكتملت. والراء تفصيل الحركات، القوة الحسية وراء الحركة، وتفصيل ما في الغيب. هي جوهر الزمان. وهي رحمة لأنها من الصفات المحيطة.

والكاف والنون ﴿كُنْ﴾، الأمر الذي ظهرت به جميع الأشياء. والهاء الهباء أي الحروف التي منها تألفت الأشياء، واقعة تحت الكن والباء. وهي جبريل أو الروح أو العين أو العلم. والطاء الطين الذي خلق منه آدم. والفطرة في طور سيناء، عندما أظهر الله أمره على موسى والنبيين. والسين في سورة يس، كناية عن إسرافيل. والماء الحق الذي خلقت به السموات والأرض، والقاف قدر الله وقلمه الذي به كتب الأشياء. وتكررت هذه الحروف الباطنة الأربعة عشر في أوائل السور.^{٣٤٥}

و«الم» هو الاسم الأعظم، تشير الألف إلى ذات الله. واللام الغيب الأول المكنون. والميم الاسم الثابت إشارة إلى الملائكة أعظم الخلق.^{٣٤٦} وتعني «المص» أن اسم الله الأعظم له أربع

^{٣٤٣} السابق، ص ٨٤-٨٧.

^{٣٤٤} وللالف ثلاث مراتب: نفس ناطقة ونفس نباتية ونفس حيوانية كما يقول الفلاسفة. الهمزة العقل والإرادة. والألف النفس الناطقة، والواو النفس الحيوانية. والباء النفس النباتية. الألف قائمة، والباء ساجدة، والواو منحنية. وهي في الخلق أيضاً. الحيوان صاحب النفس الناطقة منتصب القائمة مثل الألف. وصاحب النفس الحيوانية فقط راکع منحنٍ مثل الواو. وصاحب النفس النباتية ساجد. والواو من أول المخارج، والباء منخفضة عنها، والألف مخرجها من الغيب. وبين كل حرف وحرف مخارج وحروف.

^{٣٤٥} السابق، ص ٨٩-٩٠.

^{٣٤٦} فالأشياء ظاهر وباطن، والعلم محيط بهما. المكنون الكلام، والظاهر جسم الكل، النفس الكبرى، الملك. كمال معرفته بهذه الحروف الثلاثة. وكمال معرفة الإنسان أيضاً في ثلاثة: النفس المحتجبة في

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

صفات. يشير كل حرف إلى صفة. الألف الله وهي دليل عليه وحجاب له. الألف الأنا، واللام الله، والميم الملك، والـص النعمة والخلق والصنع.^{٣٤٧} وفي «الر» الألف إشارة إلى الله، واللام إحالة إلى ذاته، كناية عن الرحمة، مثال خلق الخلق. والراء لتفصيل ما في اللوح بالقوة ثم تحويله إلى فعل بقوة الراء. وهي جوهر الزمان. الألف واللام آيات الكتاب المحكمة، والراء للتفعيل. وبالحركة تفردت الأشياء وإلا كانت كلاً واحداً. وقد يكون معنى «الر» الله الرحمن.^{٣٤٨}

الجسم والروح. بالنفس هو ما هو. وبالروح يصير فعلاً مكتملاً متصلًا بالأشياء. وكذلك ذات الله بائنة عن الأشياء احتجبت بحجابين من جهة خلقه وتجلت بخلقه، وسطاً بين الخالق والمخلوق. ومنها ظهر الأمر، الروح وهو الغيب، والجسم وهو الشهادة، قوة الأشياء المحسوسة؛ لذلك وصف بالرحمن الرحيم. وقد يكون معنى «الم» الألف الأنا واللام الله والميم الملك، وقد تكون الألف إرادة الله، أول الأشياء، والميم مشيئته الجامعة للخير والشر والحسن والقبيح، والحسي والروحاني. الإرادة حق لحسن ونور خالص، وحكمة بالغة. فلما أحكم المشيئة بالإرادة قام بينهما اللوح المحفوظ وبه كل المقادير والأسرار. فالكتاب ثلاثة: الإرادة والمشيئة والعلم. وقد يكون معنى «الم» منزل من الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم. الألف الله، والميم محمد، واللام وسط بينهما وهو جبريل.

^{٣٤٧} والصفات الثلاث الأخيرة ظاهرة للعيان. وهي صفات الإنسان، الصنعة لأصحاب المهن، والملوك فوقهم، والنبوة هم العلماء والحكماء. وهي أيضاً مراتب النبات والحيوان والإنسان. فالنفس النباتية تحفظ الجسم وتصوره وتنميه. فهي قوة صانعة. والنفس الحيوانية ملك متسلط يحكم كما يشاء. والنفس الإنسانية هي العقل مثل الآلة يصرف الحيوان ويسوسه. وهو مثل تحليل الفلاسفة لقوى النفس وتقسيم الموجودات أربع مراتب، ذات الله المباشرة للأشياء، العقل الكلي، المثال المجرد من الهيولى، الجامع للفضائل الإلهية، ثم النفس الكبرى المستغرقة في الهيولى أي الجسم الحاملة لجثة العالم، وبها قام الملك وسخرت الأفلاك، والجامعة للملك والسياسة. ثم النفس دون الطبيعية المستغرقة في الجسم الجرمي والصانعة له والمصورة لجميع الصناعات. وهي موجودة في الإنسان. يحكم ويدير بالروح الإلهي حتى يظهر المثال في العقل. ثم يحرك المثال النفس الحيوانية المؤثرة في الجسم والطبيعة حكمة الله في الأشياء المصورة لها. والقرآن هو هذه الأربعة. فالصاد من الصادق والصدوق.

^{٣٤٨} وأمثلة كل شيء في العالم في أم الكتاب، لا تبديل ولا انتقال. خلق العالم في ستة أيام في أوائل السور الست، مدة ظهور ما في اللوح المحفوظ، مثال الخليقة. معنى سورة «هود» هو الذات واللام العرش، والراء اللوح. وفي سورة يونس تشير «الر» إلى اليوم الأول، وهو اليوم الثاني في «هود». و«الر» الثالثة في يوسف، والرابعة في الرعد، والخامسة في «إبراهيم»، والسادسة في «الحجر»؛ ستة حروف على ستة أيام. لذلك تقطعت الحركة والزمان في العالم على ستة أيام. واليوم السابع يوم السكون التام الذي سبت فيه اليهود أي سكنت. وهو يوم الاستواء على العرش، السابق، ص ٩٨-١٠٠.

أولاً: تشكل الوعي التاريخي

و«كهيعص» خمسة حروف تأتي بعد «الر» و«الم»، وتعني الكاف «كن»، علة الكون. والإرادة والتدبر والعلم تسبق الكلام. وكل شيء في الغيب مكتوب. والهاء هباء. وكلا الحرفين نُطق بهما قبل الخلق. ومنهما تألفت الأمور الباطنية وهي قوى مفردة نفسية؛ لذلك صارت للقوة الناطقة في مرتبة أعلى من الحروف.^{٣٤٩}

وربما يكون معنى «كهيعص» كلام يوجبه عالم صادق. والحروف صفات لازمة للكلام. والكلام النافع هو الهادي الذي ينطق به من علم، ويتحرى به الصدق. والكذب أضداد هذه الحروف.^{٣٥٠}

و«طه» كناية عن الطور، وربما عن «طوى»، وربما «الطين»، فالدلالة هنا هو صوت الحرف.^{٣٥١} وتعني «طسم» و«طس» طور سيناء تعظيماً له لأنه موضع كلام الله. فالطاء الطور، السين سيناء، والميم موسى، وقد يكون معناه الطاء الطين، والسين السموات، وقد يكون الطواسين وطه حروفاً أربعة إشارة إلى أربعة أبناء، إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد.^{٣٥٢}

وفي «حم» تعني الحاء الحق، ومنه خلقت السموات والأرض سبغاً. والميم الملك. وهو إسقاط من الأرض على السماء وتشبيهه الإلهيات بالإنسانيات.^{٣٥٣}

^{٣٤٩} ثم تعبر الحروف عن المعاني. الياء الروح، والعين العلم. المعنى الباطن الذي دل عليه الكلام. والصاد مكان الأثر. العقل مؤلف من اللوح والقلم. وهو في المرتبة الأولى. والنفوس في المرحلة الثانية. وتألّفها من «كن»، و«الصاد» و«الكن» في كنان. والنفوس كلها مرتبطة بالروح، الحامل لجميع الأجسام. والأمر قوة ناطقة، حروف مؤلفة، وروح محصورة وعلم يدل عليه.

^{٣٥٠} السابق، ص ١٠١.

^{٣٥١} وعند التستري خلقت كل الأشياء من الكاف والنون، والصاد كان الخلق. والأصول التي منها خرج الخلق الهواء (العمى)، وهو الهبا والريح والجو، والماء، والنار (النور والظلمة)، والطين. وهي العناصر الأربعة عند الفلاسفة. وهناك أربعة أخرى علوية: القلم واللوح والكن والصاد. أقسم الله بحروفها. القاف من حرف القلم، والميم والحاء من حروف اللوح، والكاف والنون من حروف «كن»، والصاد من الصادق، والهاء من الهواء، والراء من الريح. وحدث عن ذلك العرش والكرسي والجنة والنار والسموات السبع والأرض والبحار والملائكة والجن والإنس والحيوان والنبات، السابق، ص ١٠٢.

^{٣٥٢} السابق، ص ١٠٣.

^{٣٥٣} «وقد نجد ذلك ظاهراً في الممالك والرتب وجميع الأشياء المحسوسة. فإن الملك يقوم بهاتين الصفتين، أعني أن يكون الملك قاهراً عدلاً مستعملاً للحق والعمل وحيث لا قدرة به ولا استطاعة فسد ملكه، وأهلك رعيته. كما أنه لو كان ذا قوة واستطاعة ولم يكن له عدل ولا حق أفسد ملكه، وأتلف حاشيته.

«القاف» القدر، حرف من حروف القلم كما قال التستري، والقلم من ثلاثة حروف. القاف المقدرة، واللام العدل، والميم المشيئة.^{٣٥٤} ولماذا لا تكون القاف القوة، والميم المقاومة في لفظ المقاومة؟

هل هناك نماذج من الحضارات المجاورة لعلم الحروف؟ في الإسرائيليات وعند اليونان، وفي الديانات الشرقية؟ فشعوب الشرق جمعت بين التجريد، منطق الهند وحسابها، وبين اللغة والنص والكتب المقدسة، البوذية والكونفوشيوسية وكتاب الموتى وقوانين حمورابي.^{٣٥٥}

(د) أقوال التستري (٣١٩هـ) ^{٣٥٦}

ويمثل التستري أيضاً المرحلة الأخلاقية وهي في طريقها إلى المرحلة النفسية. لم يترك أعمالاً ذات أبواب وفصول، ولكنه ترك «كلاماً» مقسماً إلى خمسة أجزاء ليس لها عناوين. تتضمن جمعاً من المقامات والأحوال والموضوعات الصوفية الأخرى. وقبل بعضها لفظ «باب» بمعنى موضوع وليس قسماً من عمل له بناؤه الداخلي.^{٣٥٧} وتكرر بعض الموضوعات مثل النهي،

وكذلك الإنسان جعل الله فيه هاتين القوتين ليكون صلاحاً له في حياته وبعد مماته. فجعل فيه من قوة ملكه ما يقدر به ملك جسمه وعقله وضبط أعضائه. وهو الروح الحيواني الحامل لجسمه. وجعل فيه من الحق وهو النور. هو الروح الذي نفخ في آدم، السابق، ص ١٠٤. فالملك في الجمع أو في الإنسان متصفاً بالحق والملك وهي الروح الحيواني الحامل للجسم، والحادي للحق. هو الروح الذي نفخ في آدم، قوله «كن». بهذه الروح دبر الإنسان المعاش، ونهى نفسه عن القبيح، وأثار الحق قلبه، وعمل به وساس الأمور. ولو عدم النور لكان كالبهائم ولو عدم الروح لكان كالحجر الصلب. والعين والسين العلم، السابق والكاف القدر النافذ، السابق، ص ١٠٤-١٠٥.

^{٣٥٤} فبالقلم تظهر قدرة الله ومشيتته وعدله وهو اللوح. والقدر قدران: قدر سابق مجمل في اللوح المحفوظ، وقدر مؤجل من الأول. الأول ساكن، والثاني متحرك. والحروف «حم» و«عسق» تشير إلى القدر السابق. الأول يجوز فيه الدعاء وتُرجى الإجابة وفيه استثناء والثاني لا يجوز. الأول في «كهيعص» والثاني في «عسق». وهما علما الغيب والشهادة. وتكرر الميم لأن الملك في كل شيء، قوة محيطة بالأشياء. تكرر خمس عشرة مرة، أربعة ملائكة يحملون العرش، وأربعة يحملون الكرسي، وسبعة يحملون السموات والأرض السبع، السابق، ص ١٠٥-١٠٧.

^{٣٥٥} يسمى في تاريخ الأديان: علم الأعداد Numerics.

^{٣٥٦} مكتبة الشباب، القاهرة، (د.ت)، ج ٢.

^{٣٥٧} يضم كلام «سهل التستري» خمسة أجزاء. الأول (٢ص)، والثاني (٣٢ص) بلا أبواب، والثالث (٣٨ص). يشمل اثني عشر موضوعاً: الوسوسة، المحاسبة، الطمأنينة، المخلص، المداراة، المداهنة، الحلال،

أولاً: تشكل الوعي التاريخي

والشكر، والتوبة. البعض منها لفظ واحد، وهو الأغلب، والبعض الآخر لفظان متشابهان وليس متضادين لعدم استقرار المصطلحات بعد وهو الأقل مثل: المداراة والمهادنة، الشكر والطاعة. والبعض الآخر متضاد مثل الأمر والنهي. وهي أقوال لا أحوال، عبارات وليست حكايات، خالية من شطحات المرحلة النفسية. ولا يوجد نسق خاص ينظم الموضوعات أو ترابط بينها. فظلت متناثرة. وكثير منها موجه نحو القارئ في صيغة المخاطب، الهدف منها عملي وليس نظرياً، السلوك وليس المعرفة.

ويمكن تصنيف الموضوعات إلى سلب وإيجاب، السلب الرذائل، والإيجاب الفضائل، والإيجاب أكثر من السلب. السلب هي انفعالات النفس وأهواؤها مثل: الوسوسة، المداراة والمهادنة، الشبه والمكروه، الطمع، الرياء، النهي، العجب ... إلخ. والإيجاب مثل: المحاسبة، الطمأنينة، الحلال، الصمت، الشكر، التوبة، الطهارة، الشفقة، قصر الأمل، الرضا، الإيمان بالقدر، الخشوع، الخشية، اليقين، التجلي، الحول والقوة، الشكر، الطاعة، الصبر، التقوى ... إلخ. والتصوف الخلقي هنا يعني التحول من السلب إلى الإيجاب، ومن الرذائل إلى الفضائل.

وتتداخل الموضوعات فيما بينها وتتشعب. ويضم موضوع واحد مثل الشكر عدة موضوعات أخرى مثل العلم.^{٣٥٨} وفي آخر الجزء الثاني «الشرح والبيان لما أشكل من كلام سهل» وهي مقتطفات من أقوال سهل (١٨٧ قولاً)، شرح عبد الرحمن.^{٣٥٩} وكعادة المؤلفات الصوفية في المرحلة الخلقية يعتمد كلام التستري على عدد كبير من الشواهد النقلية، والآيات أكثر من الأحاديث.^{٣٦٠} والأقوال مجرد تجميع بلا سند. وليست

الكسب، الشبه والمكروه، الطمع، الصمت، الأخلاق. والرابع (٣٦ص) يضم ستة موضوعات: المبتدئ، الرياء، الخصوصية، الشكر، النهي. والخامس وهو أكبر الأجزاء (١٤٥ص) يحتوي على ثلاثين موضوعاً: التوبة، علم السر، التكلف لما لا يعني، الطهارة، المشاهدة، الدعوى، الأمر والنهي، الشفقة، قصر الأمل، العجب، الرضا، المال، الإيمان بالقدر، الخشوع، الخشية، الكسب، اليقين، التجلي، الحول والقوة، الشكر والطاعة، القلب، الصبر، الطبع العزم، النوم، التقوى، التسوية، الثواب، التوبة، وأخيراً «الشرح والبيان لما أشكل من كلام سهل». تراث التستري الصوفي، دراسة وتحقيق الدكتور محمد كمال إبراهيم جعفر، ج٢، مكتبة الشباب، (د.ت). الجزء الأول دراسة، والثالث يشمل بقية التراث الفلسفي ولكن الأجل لم يُمهل الصديق العزيز والزميل الفاضل لإنجازه. والأمل في طلابه لإكمال مشروعه.

^{٣٥٨} التستري، ص ٢٤٧-١٥٨.

^{٣٥٩} السابق، ص ٣١٩-٣٨٣.

^{٣٦٠} الآيات (١٨٠)، الأحاديث (٥٠).

إجابة على سؤال أحد المريدين كما هو الحال في معظم المؤلفات الصوفية في المرحلة الخلقية تقليدًا للفتاوى الفقهية. وأول الكلام مقطوع.^{٣٦١} وأحيانًا قليلة يكون القول إجابة على سؤال.^{٣٦٢} والأسلوب سهل يخلو من التعقيدات اللفظية والإشارات والرموز. والخطاب أقرب إلى الوعظ والإرشاد والوصايا، وهو الخطاب الشائع في التصوف الأخلاقي. وبعضه في صيغة نصائح.

أما عمله الآخر «تفسير القرآن العظيم» فإنه يدخل في علوم التفسير مثل «لطائف الإشارات» للقسيري وتفسير ابن عربي.^{٣٦٣} وتتخلله بعض الألفاظ الفارسية مثل «دوست» أي صديق. ولا يعني ذلك بالضرورة الأثر الفارسي، بل استعمال الألفاظ الشائعة كما يحدث الآن من استعمال بعض الألفاظ الأجنبية في الحلقة العربية المعاصرة خاصة في الخطاب الشفاهي.^{٣٦٤} ويذكر التستري قول مضر القارئ، من أصحاب عبد الواحد بن يزيد، أنه إذا عرفت الشمائل والمجيئة والذهاب عُرف. فالمعرفة بالصفات والتجليات.^{٣٦٥} ويشير الصوفية إلى بعضهم البعض، تفسيرًا وتأويلًا أو قراءة وإكمالًا. فإذا دعا أويس القرني ألا يؤاخذ بكل كبد جائع وبدن عارٍ بفضل قوة يزيد التستري بفضل عقل وعلم وليس القوة.^{٣٦٦}

وتدخل الإسرائيليات في الأقوال المروية عن الأنبياء والتي ليس لها أصل في الكتاب أو السنة، والوحي الذي أعطاه الله إلى عيسى وموسى وداود والذي تزخر به الأحاديث القدسية ورسائل إخوان الصفا.^{٣٦٧} وقد أنعم الله على بني إسرائيل طعام البرسيم ثم يصير شعيرًا

^{٣٦١} التستري، ص ٦٧.

^{٣٦٢} أبو محمد سهل بن عبد الله التستري: تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العربية الكبرى، مصطفى البابي الحلبي وأخوه بكري وعيسى بمصر، (د.ت).

^{٣٦٣} السابق، ص ٦٨، ٧١، ٧٧، ٨٠، ٨٨، ٨٩، ٩٤، ٩٦، ١٠٢، ١٠٥-١٠٨، ١١٢، ١١٨، ١١٩، ١٢٣-١٢٤، ١٣١، ١٣٣، ١٤١-١٤٥، ١٤٧، ١٥١-١٥٣، ١٥٩-١٦٠، ١٦٣، ١٦٥، ١٧٢-١٧٥، ١٧٧، ١٧٩، ١٨١، ١٨٨، ١٩٤، ٢١٣-٢١٥، ٢١٨، ٢٢٠-٢٢١، ٢٢٣-٢٢٤، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٣-٢٣٦، ٢٣٨، ٢٤٤-٢٤٥، ٢٤٨-٢٤٩، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٥-٢٥٦، ٢٥٩، ٢٦٢، ٢٦٣.

^{٣٦٤} السابق، ص ٦٩.

^{٣٦٥} التستري، ص ٢١٩.

^{٣٦٦} السابق، ص ٢٢٢.

^{٣٦٧} التستري، ص ٩٧، ٢٠٣، ٢٣٥.

ثم حشيشاً، يخرجون من المدن إلى القرى، ومن القرى إلى الجبال. والمؤمن منهم يصبر على ذلك ويُحرم من هذه النعم.^{٣٦٨} وتصريف الهمم في الله كما طلب الله لداود أن يراه في قلبه كههم، ويجعله ذخراً لمعاده، ولا يوالي غيره حتى لا يغفله. ولم يرفع سليمان بن داود عينه من السماء تخشعاً، وكان يلبس الشعر. ومن ثم هو إمام الصوفية.^{٣٦٩} وسليمان أيضاً هو الذي أحب سبأ. وأبوه داود هو الذي قتل ضابط حرسه وزوج امرأته. كان سليمان يعيش في قصر، ملكاً للملوك. ولا يوجد شيء في قلب الصوفي طمعاً في نيل شيء في الدنيا أو أسفاً على فقده وإلا شارك اليهود والنصارى. فأهل الكتاب متجهون إلى الدنيا أكثر من اتجاههم إلى الآخرة.^{٣٧٠} ومن يجعل في قلبه هم الدراهم يكن مثل اليهودي.^{٣٧١} وتدخل الإسرائيليات في أساطير الخلق وفي حوار الله مع الأنبياء، داود وموسى.^{٣٧٢} ولا تشمل الإسرائيليات فقط المصادر من العهد القديم بل أيضاً من العهد الجديد مثل وحي الله لعيسى بأن ما زال لديه صحارى من المعارف لم يقطعها بعد.^{٣٧٣}

(هـ) أعمال النفري (٣٥٤هـ)

والكتابات الصوفية أنواع أدبية مختلفة، أهمها: الشطحات، والمواقف، والمخاطبات، والإشارات، والنصوص، والفتوحات، والدواوين الشعرية، والطبقات ... إلخ. ومعظمها أسماء مؤلفات. كل منها يعبر عن حالة نفسية. هناك علاقة بين الفكر واللغة. الفكر يفرض لغته طبقاً لعبارة النفري الشهيرة «إذا اتسعت الرؤية ضاقت العبارة». والعناوين يشوبها نوع من الجمال. توحى بأشياء إبداعية جديدة على عكس عناوين علم أصول الدين وعلوم الحكمة وعلم أصول الفقه. التصوف بهذا المعنى جزء من تاريخ الأدب العربي وألصق به من علم أصول الدين، وعلم أصول الفقه وعلوم الحكمة. هو جزء من الأدب الرومانسي العربي. وهو الذي يعبر عن أصالة الروح العربية وليس علوم الحكمة التي اعتمدت على

^{٣٦٨} السابق، ص ٢٣٩-٢٦٩.

^{٣٦٩} السابق، ص ٢٩٦.

^{٣٧٠} السابق، ص ٢٩٨.

^{٣٧١} التستري، ص ٣١٠.

^{٣٧٢} السابق، ص ٢٠٠.

^{٣٧٣} السابق، ص ٣٤٩.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

العقل أسوة باليونان الذي أوقف الإبداع الروحي العربي الأصيل.^{٣٧٤} وهي أشكال أدبية جديدة لم توجد من قبل في باقي العلوم النقلية العقلية. لذلك هي أقرب إلى الشكل منها إلى المضمون، من الصياغة الأدبية منها إلى المضمون الفكري. لذلك لا تحلل الأقوال وتصنف في معاني أو موضوعات.

والنثر الرمزي في «المواقف» و«المخاطبات» و«الإشارات» و«الشطحات» وسط بين الشعر والشطح. النثر الرمزي هو النثر الإيقاعي الموسيقي المقفى كالشعر وإن لم يكن موزوناً طبقاً للبحور. وهو النثر الذي فضله القرآن كأسلوب في التعبير. ليس به تركيز الشطح ولا صور الشعر. هو أقرب إلى المواجه، والانفعالات، والعواطف الروحية. وتظهر الصور الرمزية مثل البحر والسفينة والألواح والمخاطرة والفرق.^{٣٧٥} ووظيفة الرمز الإبحار والإقناع من أجل الفعل.^{٣٧٦} وأحياناً يكون الأسلوب ركيكاً. وتسود العبارة الرتابة والتكرار في قضايا تقريرية وأحكام قطعية تخلو من البرهان.

(١) المواقف

«المواقف» و«المخاطبات» شكلان أدبيان، ارتبط أحدهما بالآخر. فماذا تعني «المواقف»؟ هل هي مواقف نفسية أي تجارب روحية وانفعالات ذاتية خالصة؟ هل هي مواقف أخلاقية اجتماعية وسياسية غير مباشرة، فلا توجد تجربة ذاتية إلا في مواقف موضوعية، خاصة أن التصوف كله موقف من الحياة ورد فعل على الانكباب على الدنيا والتكالب عليها؟ هل هو موقف وجودي يجمع بين الموقفين السابقين، تعبيراً عن الوجود الإنساني، وتحولاً من المعرفة في الموقف النفسي إلى الوجود في الموقف الوجودي؟ هل هو موقف بمعنى «التوقف عن الحكم» وعدم إصدار حكم على الموضوعات المتعالية مثل «الله» أو الطبيعة مثل العالم؟ ومن هو صاحب الموقف؟ هل هو الإنسان، فالإنسان في موقف، والإنسان في العالم، أم أن الله هو الذي يضع الإنسان فيه؟ الغالب هو الله نظرًا لتكرار فعل «أوقفني»، في أول

^{٣٧٤} هذا ما يقوله شايدر في «روح الحضارة العربية» ويعرضه ويتبناه عبد الرحمن بدوي في ترجمته للكتاب حتى تظل العقلانية إبداع الغرب الأصيل منذ اليونان القديم حتى الغرب الحديث.

^{٣٧٥} محمد بن عبد الجبار النفرى: المواقف والمخاطبات، تحقيق أرثر أربري، تقديم وتعليق د. عبد القادر محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥م، ص ٧١.

^{٣٧٦} «إن لم ينعقد الحياء بهذا الرمز لم ينعقد أبدًا»، السابق، ص ١٤٠.

كل موقف، ليس الموقف كلمة بل أمر بلفظ مفرد أو مزدوج. وهو موقف طبيعي جغرافي كوني مثل البحر والنور والليل بحيث تصعب التفرقة بين الله والطبيعة.^{٢٧٧}

وقد خصص النفري ضمن «المواقف» موقفًا لمعنى الوقفة.^{٢٧٨} وهو من أطول المواقف كمًّا. وتعني الوقفة المنظور الإلهي، الوقوف مع الله، الرؤية الإلهية مما يدل على أن صاحب الموقف هو الله. وهو ما يعادل «أحكام الوضع» في علم الأصول؛ أي الأفعال في الواقع من وجهة نظر الله.^{٢٧٩} وهو موقف علمي إدراكي.^{٢٨٠} وكل واقف عارف وليس كل عارف واقفًا نظرًا لتعدد مصادر المعرفة. ويموت جسم الواقف ولا يموت قلبه. ويقوم الصبر على كل شيء إلا على الوقفة التي تقوم عليه. الوقفة بلاء. تنتهي بالائتلاف أو الاختلاف. وهي لا تتعلق بسبب. ولا يتعلق بها سبب، لا علة ولا معلولًا. الواقف فرد والعارف مزدوج لأن الأول إلهام، والثاني تعلم. الوقفة تورث العلم والعمل، والمعرفة تورث العلم وحده. لا يرى الحقيقة إلا الواقف. والعالم يخبر عن العلم. والعالم يخبر عن المعرفة. والواقف يخبر عن الله. يخبر العالم عن الأمر والنهي، والعارف عن حق الله. والمواقف عن الله هي علم اليقين، حق اليقين عين اليقين. العلم حجاب، والمعرفة خطاب. الوقفة حضرة، والمعرفة منتهى ما يقال والوقفة وراء ما يقال. العارف ذو قلب، والواقف ذو رب. المعرفة نور الكون، والوقفة نار الكون. المعرفة تري الله وغيره، والوقفة تري الله وحده. الأخبار للعارف، ووجه الله للواقف.

وهناك موقف خاص باسم «معرفة المعارف».^{٢٨١} وهو الجهل المتيقن بالله. وتعاذل الظاهر في مقابل الباطن، الرؤية القلب، والعقل للسرى. تؤدي إلى العلم وتوجه نحو الكون، تقرب إلى الله بالدليل والحُجة. لها عينان: عين العلم وعين الحكم تتحول إلى بصر ومشاهدة.

^{٢٧٧} موقف البحر، المواقف، ص ٧١، موقف بحر، ص ١٣٣، موقف نور، ص ١٢٤، الليل، ص ١٦٧-١٦٨.

^{٢٧٨} موقف الواقفة، المواقف، ص ٧٣-٨١.

^{٢٧٩} من النص إلى الواقع، ج ٢، بنية النص، ص ٥٣٣-٥٦٠.

^{٢٨٠} «من لم يقف رأى العلوم ولم يرَ العلم فاحتجب باليقظة كما يحتجب بالغفلة»، «الوقفة روح المعرفة، والمعرفة روح العلم، والعلم روح الحيا ... كل واقف عارف وما كل عارف واقف ... للوقفة علم ما هو الوقفة، وللمعرفة علم ما هو المعرفة ... الوقفة عمود المعرفة، والمعرفة عمود العلم ... العلم لا يهدي إلى المعرفة، والمعرفة لا تهدي إلى الوقفة ...»، السابق، ص ٧٦-٨١.

^{٢٨١} السابق، ص ٨٣-٨٧.

العلم وحده خالٍ من الحقيقة، في القول لا في القلب. لا تعرف العارف ولا تعلن العلوم.^{٢٨٢} ويؤكد «موقف الدلالة» على الجانب المعرفي. فالمعرفة بلاء الخلق. وهي مشوبة بالجهل كما أن الجهل مشوب بالمعرفة. وأدناها ما يبدو.^{٢٨٣}

ويعني ما وراء الموقف فلسفة أو ميتافيزيقا الموقف. فالموقف ليس فقط موقفًا إنسانيًا معرفيًا وضعه الله فيه بل الكون موقف، كله أو أجزأؤه. والوسوسة موقف. وتشمل خاطر والعلم والمعرفة وكل ما يختلج في الصدر، والجهل، والتراب والإنسان فوقه، ونفي السوى وإثبات الواحد.^{٢٨٤} وتسمى المواقف أيضًا «المراتب».^{٢٨٥}

والموقف اختيار من اختيارات ثلاثة: صاحب الموقف أو الموقف أو هيئة الوقف.^{٢٨٦} صاحب الموقف هو الموقف وإرادته. والموقف إرادة الإنسان. وهيئة الموقف عبادة النفس. الوقفة وصف من أوصاف الوقار، والوقار من البهاء، والبهاء من الغنى، والغنى من الكبرياء، والكبرياء من الصمود، والصمود من العزة، والعزة من الوجدانية، والوجدانية من الذاتية. الوقفة خروج الهم من الحرف، ما ائتلف منه وما افترق. فالموقف مرتبط بالصفات والحروف والأسماء والكلمات. فالخروج من الحروف خروج من الأسماء، ثم من المسميات ثم مما يبدو، فيتم السمع، وتتم الإجابة. ولا تُجاز الأوصاف والأسماء لله، ولكن تجاز إلى الإنسان. ولا مجاز في الاثنين ولا حجاب.^{٢٨٧}

الإقبال على الدنيا غضب، وعلى الآخرة حجاب، وعلى العلوم حبس، وعلى المعارف عبس، والسكون على العبث حبس، والسكون على الحبس حجاب، والسكون على الحجاب غضب. معارف كل شيء توجد به. وأسماءه من معارفه. وإذا سقطت معارف الشيء سقط الوجد به. لكل شيء اسم، ولكل اسم أسماء. تتفرق الأسماء من الاسم، والاسم عن المعنى.

^{٢٨٢} «موقف الدلالة»، السابق، ص ١٢٩-١٣٢.

^{٢٨٣} وهو موقف كانط.

^{٢٨٤} «موقف وراء المواقف»، السابق، ص ١٢٦-١٢٩.

^{٢٨٥} «موقف المراتب»، السابق، ص ١٤٨-١٤٩.

^{٢٨٦} موقف التقرير، السابق، ص ١٠٢-١٠٣.

^{٢٨٧} «إن لم تجز ذكرى وأوصافي ومحامدي وأسمائي رجعت عن ذكرى إلى أنذارك ومن وصفي إلى أوصافك ... الواقف لا يعرف المجاز. وإذا لم يكن بيني وبينك مجاز لم يكن بيني وبينك حجاب»، السابق، ص ١٠٢.

والمواقف تعبر عن المقامات والأحوال بالجملة دون تفصيل لها كما هو الحال عند باقي الصوفية. هي أقرب إلى المواجيد الخام، الانبثاقات الروحية.^{٢٨٨} وهو أسلوب شخصي، بضمير المتكلم المفرد مما يدل على أنها تجارب روحية ذاتية. تخلص من الحجج العقلية، الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال الصحابة والتابعين والمأثورات الشعبية التي تمتلئ بها رسائل «إخوان الصفا». وأحياناً تظهر بعض الآيات في استعمال حر داخل الأسلوب وفي بنية الوصف.^{٢٨٩}

كما تخلص المواقف والمخاطبات «من الإحالات إلى أسماء الأعلام»، صوفية أو علماء أو إلى أسماء أماكن ومناطق وبلدان. هي تجارب روحية خالصة تعبر عن أحوال نفسية. ولا يستشهد بأشعار كما هو الحال في بعض الكتابات الصوفية الأخرى، بل وفي كل العلوم العقلية النقلية أو العقلية الخالصة. وتبدأ الفقرات بفعل «قال» ويذكر قول غير مباشر لا يُسند إلى أحد. إنما هو تعبير عن تجربة ذاتية. وأحياناً يكون القائل متخيلاً، ظواهر الطبيعة مثل «الأنوار» البحر أو طوائف أهل السموات والأرض كما هو الحال عند الحلّاج في «الروايات والأحاديث»، وأحياناً أرواح العارفين.^{٢٩٠} والغالب أن القائل هو «الله» دون ذكره.

وكل موقف له «عنوان». وهي ليست عناوين المقامات والأحوال المعروفة عند الصوفية السابقين. وليس لها نسق محدد. ولا يمكن تجميعها طبقاً لنسق مفترض طبقاً لمنطق التشابه والاختلاف بين الألفاظ. ولا يمكن تصنيفها بين الإيجاب والسلب. ومع ذلك بها قدرة فائقة على التنظير. وعددها ثمانٍ وسبعون موقفاً. ونظراً لصعوبة إعادة تصنيفها طبقاً للموضوع لتباعد الموضوعات إلا أنه يمكن ذلك عن طريق الشكل بين اللفظ المفرد واللفظ المركب بالإضافة أو الصفة أو العطف أو الظرف، والجملة المفيدة في صيغة المتكلم أو المخاطب أو الغائب.^{٢٩١} وتختلف المواقف من حيث الكم بين

^{٢٨٨} المواقف، ص ٦٦-٢٠٥.

^{٢٨٩} مثل ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾، السابق، ص ١٨٦-١٨٧.

^{٢٩٠} السابق، ص ٦٦، ٧١.

^{٢٩١} الألفاظ المفردة (٤٣)، الألفاظ المركبة (١٩)، الجمل المفيدة (١٦)، المتكلم: قد جاء وقتي (٧٠-٧١)، أنا منتهى إغرائي (ص ١١١-١١٣)، كدت لا أواخذه. المخاطب: أنت معنى الكون (ص ٦٩-٧٠)، لا تفارق

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

الطول والقصر.^{٣٩٢} وبعض الصيغ إخبارية تقريرية وبعضها أمرية إلزامية.^{٣٩٣} وبعضها تساؤلية.^{٣٩٤}

ولا يلتزم الموضوع بعنوان الموقف بل يخرج عنه. العنوان هو مجرد الموضوع الغالب ولكن ليس الوحيد. وتأتي المقامات والأحوال من خلال المواقف ودون أن تكون عنواناً لها وقد تكرر بعض العناوين مثل «الصفح والكرم» و«الصفح الجميل».^{٣٩٥}

«في المواقف» تتحول اللغة إلى حروف وألفاظ وعبارات دالة بجرس اللغة وموسيقى النظم، أقل من الشطحات من الناحية النظرية ومن الشعر من الناحية الجمالية. العالم وجدان وعاطفة. المواقف مجرد تحليلات نفسية وأدبية فلا فرق في التصوف بين التجربة الصوفية والتجربة الشعرية أو التجربة الفنية. تجمع بين المناجاة والشطحات مثل الإشارات الإلهية لأبي حيان. يتصدرها فعل القول دون معرفة من القائل. وهي أقرب إلى الألفاظ ومصطلحات الصوفية دون تعريف للحدود بل لإثارة الأذهان. ونادراً ما تكون من المقامات أو الأحوال، من الرذائل أو الفضائل، من الطريق ومتطلباته، من بدايته ونهايته مثل القرب، ولكنها أقرب إلى علم الكلام الأدبي العام.^{٣٩٦} وهي مواقف لله أكثر منها مواقف للإنسان. تدور حول الإنسان بين قطبين: الله والعالم. والثلاثة على التبادل.

اسمي (ص ١٠٩-١١١)، ادعني ولا تسألني (ص ١١٨)، اسمع عهد ولايتك (ص ١٢٣-١٢٦)، من أنت ومن أنا؟ (ص ١٣٥-١٣٦).

^{٣٩٢} أطولها ثماني صفحات، وأصغرها نصف صفحة.

^{٣٩٣} الإخبارية مثل: مواقف لا تطرف (ص ١٠٧-١٠٨)، موقف لي إغراء (ص ١١٤-١١٥)، استوى الكشف والحجاب (ص ١١٨-١١٩)، هو ذا تنصرف (ص ١٣٣-١٣٤)، موقف بين يديه (ص ١٥١-١٥٧) (ص ١١٣-١١٤). الأمرية مثل: لا تفارق اسمي (ص ١٠٩-١١١)، ادعني ولا تسألني (ص ١١٨)، اسمع عهد ولايتك (ص ١٢٣-١٢٦).

^{٣٩٤} التساؤلية مثل: ما تصنع بالسائلة؟ (ص ١١٥-١١٦)، من أنت ومن أنا؟ (ص ١٣٥-١٣٦).

^{٣٩٥} العهد، ص ١٤٥-١٤٧، عهده، ١٦٤-١٦٦، الصفع والكرم، المواقف، ص ١٨٥، الصفع الجميل، ص ١٩١-١٩٤.

^{٣٩٦} وذلك في مصطلحات مثل العز والعزة، الكبرياء والرحمانية، الأمر والموت، النور والعظمة، الوجدانية والعبدانية. ومنها ما يخص المعرفة مثل البصيرة، الفقه وقلب العين، الحجاب والنور، قلوب العارفين، الرؤية، حق المعرفة، الكشف والبهوت، الإدراك والحرف. ومنها ما يتعلق بالسلوك القويم مثل الصفع الجميل، الأدب، الرفق، آداب الأولياء، الصفع والكرم، والعهد.

(٢) الخطابات^{٣٩٧}

وهي من نفس الشكل الأدبي في «المواقف». والمخاطبة أقصر من الموقف وأقل كمًّا، وأقرب إلى المناجاة، مناجاة الله أم مناجاة العالم. الله أيضًا هو الذي يخاطب وليس الإنسان، وكأنها مخاطبة الحاكم. والبعد والقرب من الله وليس من الناس. يخاطب الله الإنسان بلفظ «يا عبد» وليس «يا حر»، تضم سبعًا وخمسين مخاطبة بلا عنوان باستثناء المخاطبة الأخيرة «مخاطبة وبشارة وإيذان الوقت»^{٣٩٨}. لا تعتمد على الأدلة النقلية أو العقلية بل هي مجرد انفعالات أدبية صوفية والتعبير عنها بإشارات رمزية.

هي نوع من المناجاة^{٣٩٩} وهي أصغر من «المواقف» كمًّا^{٤٠٠} من حيث العدد والمساحة. وهي بلا عناوين، مجرد أرقام متتالية تبلغ سبعًا وخمسين، باستثناء عناوين^{٤٠١} هي مخاطبات معرفية مثل «المواقف»، وتخلو أيضًا من الشواهد النقلية والشعرية وأسماء الأعلام. والله هو الذي يخاطب والإنسان هو الذي يُخاطَب. وليتوجه الله بالخطاب إلى الإنسان بلفظ «يا عبد» التي تبدأ بها كل مخاطبة بل ويتكرر أكثر من مرة داخل المخاطبة وتكرر النداء «يا عبده» أكثر من ستمائة مرة^{٤٠٢}.

وإذا كانت المواقف قد كانت بصيغة ضمير الفرد ومرة «يا عبد عبدي»، فإن المخاطبات بضمير المفرد المخاطب^{٤٠٣} ويخاطب الله العبد لإعطائه الوصايا أو لإخباره عن ذاته. وفي المخاطبة الأخيرة يخاطب الله الطبيعة، الليل والنهار والشمس والأرض. والصبر هو صبر من الله خلقه مثل الناموس. ومن خلاله يتكشف. يوقظ النائم للتبشير بها^{٤٠٤}. والحضور الإلهي طاغٍ على الحضور الإنساني. فالله هو الذي يتكلم ويبين مآثره على

^{٣٩٧} الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م، ص ٢٠٦-٢٨١.

^{٣٩٨} السابق، ص ٢٣٨-٢٣٩، ٢٧٧-٢٨١.

^{٣٩٩} السابق، ص ٢٠٦-٢٨١.

^{٤٠٠} المواقف، ص ١٤٠، المخاطبات، ص ٧٦.

^{٤٠١} مخاطبة ٢٠ «مقام رد موهبة الكيل»، مخاطبات، ص ٢٢٨، مخاطبة ٥٧، «مخاطبة وبشارة وإيذان الوقت»، السابق، ص ٢٧٧.

^{٤٠٢} «يا عبد»، ٦٥٣ مرة.

^{٤٠٣} المخاطبات، ص ٢١٨، ٢٢١.

^{٤٠٤} مخاطبة وبشارة وإيذان وقت، السابق، ص ٢٧٧-٢٨١.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

الإنسان. الله هو المبادر وهو صاحب النعم. هو الوصي والإنسان هو الموصى عليه. ليس الهدف هو خلق «الإنسان الكامل» كما سيحدث فيما بعد عن ابن عربي والجيلي بل خلق الله الكامل.

ويصعب تصنيف المخاطبات في نسق من الموضوعات لأنه لا جامع بينها. وبالرغم من أن كل مخاطبة لها موضوع، بالرغم من غياب العنوان، إلا أنها لا تلتزم به. وتتداخل موضوعات أخرى كما هو الحال في «المواقف». وآخر مخاطبة في صياغة «المواقف»، «أوقفني وقال لي ...»^{٤٠٥}. وتتكرر الموضوعات من خلال المخاطبات. فالمخاطبة دفعة روحية تحتوي على أكثر من موضوع يتكرر في المخاطبات الأخرى. الماء واحد ولكن القطرات متقطعة. لذلك يحال إلى الموضوع بصرف النظر عن رقم المخاطبة. والنداءات قصيرة، مجرد أوامر بلا برهان. والمخاطبات أيضًا على وعي بالرمز.^{٤٠٦}

و«المخاطبات» أكثر إغراقًا في الوجدانية من «المواقف»، وأكثر دلالة على التصوف النفسي، لذلك يصعب إيجاد تعريفات للمقامات والأحوال أو لباقي المصطلحات الصوفية، وما زالت ثقافة الموت هي الثقافة السائدة في «المخاطبات»^{٤٠٧}. ولا يوجد ذكر للحقيقة المحمدية.

(٣) «النطق والصمت»^{٤٠٨}

ويضم ستة كتابات صغيرة عن المحبة، وشذرات، وخواطر، ومناجيات، وأضابير.^{٤٠٩} تجمع بين النثر الفني والشعر. وكلاهما نظم. تتنوع الأشكال الأدبية وكأنها هي المقصود من

^{٤٠٥} المخاطبات، ص ٢٧٧.

^{٤٠٦} «يا عبد رمزت الرموز فانتتهت إلي. وأخصمت الفواصح فانتتهت إلي»، السابق، ص ٢٤٧.

^{٤٠٧} «يا عبد قف بين يدي في الدنيا وحدك أسكنك في قبرك وحدك، وأخرجك منه إلي وحدك، وقفت بين يدي في القيامة وحدك»، السابق، ص ٢٠٨.

^{٤٠٨} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ، ص ١٢٥-١٣٥.

^{٤٠٩} من خصائص كلامه الغريب في المحبة، ص ١٢٩-١٣٥ (ص ٧) ١٠ الشذرات، ص ١٣٩-١٥٢ (ص ٤). الخواطر وأحكامها، ص ١٥٥-١٥٩ (ص ٥). المناجيات، ص ١٦٣-١٧٠ (ص ٨). من الجزء الأول من مجموع الأضابير، ص ١٧١-١٧٤ (ص ٤). الديوان، ص ١٧٧-١٩٦ (ص ٢٠) وهو أكبر الأقسام.

التأليف. ويدل العنوان على تقابل بين النطق والصمت. فالنطق ليس صمتاً. والصمت ليس نطقاً. هو اشتباه وحيرة بين الصمت والنطق بالنسبة للعلوم الكشفية. موضوعاتها إشارات وصور مثل مخاطبة فتاة، الجواب دون سؤال، بينة، تحية حبية.^{٤١٠} لا تعتمد الرسالة على أية أدلة نقلية، قرآن أو حديث أو شعر، ولا على أدلة عقلية برهانية. هي مجرد انفعالات ومواجيد. الغاية منها التعبير وليس الإيصال مثل «الإشارات الإلهية» لأبي حيان. أما «الشذرات» فتتراوح بين الشكل الأدبي مثل: فصل، مسألة، زيادة، قال، من كلامه، وبين الموضوع الصوفي، الرذائل مثل الحسد، والفضائل في التصوف الخلقي، والمقامات مثل الصبر والأحوال مثل الخوف والوجد في التصوف النفسي، والمعرفة والوجود واليقين والوحدانية في التصوف النظري، والبكاء والخلوة والصحبة، والسفر والطريق والعمود في التصوف العملي.^{٤١١} ومن الأدلة النقلية لا تظهر إلا آيتان في النهاية.^{٤١٢} وتكرر البسمة أربع مرات. أما باب الخواطر وأحكامها فإنها من نوع معارف النفس مثل الخلجات والوساوس في أنواع المعارف الصوفية. وهي نوع من أيضاً من المواجيد الصوفية كما يدل عليها العنوان الفرعي «مقالة في القلب عالية الحكم».^{٤١٣} تخلو من أية أدلة نقلية أو شعرية أو عقلية. وتكشف عن درجة عالية من التنظير. و«المناجيات» مجرد مواجيد وابتهالات وتاريخ ذاتي.^{٤١٤} تبدأ كل مناجاة إما بلفظ «إلهي» أو بلفظ «اللهم».^{٤١٥} وتشير بعض المناجيات إلى زمانها ومكانها.^{٤١٦} وأشكالها الأدبية تتراوح بين الدعاء والمناجاة.^{٤١٧} ودعاءان يبدآن

^{٤١٠} مخاطبة فتاة، ص ١٢٩. الجواب دون سؤال، ص ١٣٠-١٣٣، بينة، ص ١٣٣-١٣٤. تحية حبية، ص ١٣٤-١٣٥.

^{٤١١} يبدو التناقض في موضوع السفر في جمادي الآخرة عام ٣٥٨ هـ والمؤلف توفي عام ٣٥٤ هـ، النطق والصمت، ص ١٤٣، ١٤٦-١٤٧.

^{٤١٢} السابق، ص ١٥٢.

^{٤١٣} السابق، ص ١٥٧.

^{٤١٤} تاريخ ذاتي Autobiography.

^{٤١٥} إلهي (٤٢)، اللهم (٤٠).

^{٤١٦} الزمان مثل «يوم التروية في سنة خمس وخمسين وثلاثمائة»، والمكان مثل «مناجاة بالنيل يوم الأحد لاثنتين وعشرين خلت من جمادي الآخرة سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة»، النطق والصمت، ص ١٦٣-١٦٤.

^{٤١٧} الدعاء (٤)، المناجاة (٣).

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

بالبسمة. ويتبعهما «الجزء الأول من مجموع الأصابير». يبدأ بالبسمة وبعنوان فرعي «صاحب كل شيء، والقائم على كل شيء».^{٤١٨} أما «الديوان» وهو أكبر الأقسام فإنه موضوع للدراسات الأدبية. تتكرر فيه لازمة واحدة «ولذكر الله أكبر».^{٤١٩} وعبارة واحدة أخرى «ترمية دفتر».^{٤٢٠}

(و) «الإشارات الإلهية» للتوحيدي (٤٠٣هـ)^{٤٢١}

وبالرغم من أنها تالية في الزمان لأول كتاب في الطبقات يعبر عن الوعي التاريخي الموضوعي وهو «اللمع» للطوسي (٣٧٨هـ) إلا أنه سابق على أول كتاب في الوعي التاريخي الخالص وهو «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصفهاني (٤٣٠هـ).^{٤٢٢} وهو من نفس نوع «المواقف والمخاطبات» و«النطق والصمت» للنفري، استعمال اللغة للتعبير عن المواجهات الصوفية في أشكال أدبية جديدة مثل «الإشارات». وهو ما يميز التصوف النفسي والشطحات كشكل أدبي آخر. وتجمع بين أشكال أدبية أخرى عديدة مثل الموعظ والوصايا والأدعية والمناجاة. وهو ما يدل عليه العنوان الأكبر «الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية».^{٤٢٣} وتعتمد أساساً على الشعر أكثر من القرآن مع غياب الحديث بالرغم من أنه من جوامع الكلم.^{٤٢٤} والشعر من أبي حيان ومن غيره.^{٤٢٥} وتظهر لازمة مثل «يا ذا الجلال والإكرام».^{٤٢٦} كما تتكرر أشكال فعل القول.^{٤٢٧} والقائل مجهول أو على أقصى تقدير بعض العارفين. والعناوين

^{٤١٨} النطق والصمت، ص ١٧١.

^{٤١٩} عدد المرات (٤٥).

^{٤٢٠} النطق والصمت، ص ١٩٠.

^{٤٢١} مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ١٩٥٠م.

^{٤٢٢} سبقه كتاب «الأربعين في شيوخ الصوفية» للماليني (٤١٢هـ).

^{٤٢٣} هو الجزء الأول فقط من الكتاب.

^{٤٢٤} الأشعار (٧٩)، الآيات (٣١).

^{٤٢٥} من نظم أبي حيان (٤٥)، من نظم غيره (٣٤).

^{٤٢٦} عدد المرات (٣٠)، ومرة واحدة في صيغة أطول بإضافة «إنك رءوف بالعباد».

^{٤٢٧} قول القائل، قولهم، حين قال، وقد قيل، قال من قال، قال، أما سمعت القائل حين قال، قولك، يقول

... إلخ.

الجانبية الغازية. فليس المقصود منها المضمون بل الإيماء والإشارة.^{٤٢٨} وكل مجموعة من الفقرات لها رقم من الأبجدية المزدوجة. ويتوجه الخطاب إلى السامع أو القارئ بحرف النداء مثل «أيها السامع» أو «أيها الصديق» أو بدونها مثل «أحيائي، الله، السيد، سيدي، حبيبي، جامع المال، الصاحب، السائل، المشوق، المستأنس، جمعاً أو مفرداً.^{٤٢٩} أما المناجاة فتبدأ بعدة كلمات مثل «يا هذا»، «اللهم»، «إلهنا».^{٤٣٠}

وكما يتعرض الصوفية للفلسفة وعلومها كما كتب السهروردي «حكمة الإشراق» في المنطق كذلك يتعرض الفلاسفة للتصوف كما كتب التوحيدي «الإشارات الإلهية». وهي نوع أدبي يجمع بين «المواقف» و«المخاطبات». هي أقرب إلى «المناجاة»، إشارات يعطيها العبد إلى الرب يبتثي همومه وشكواه مثل «اعترافات» أوغسطين.^{٤٣١} تشمل أدعية وابتهالات. وتكرر على نفس النمط حتى يمل القارئ ولا يمل المؤلف. وتزداد في آخر الكتاب بالنداء «اللهم» مع زيادة الآيات القرآنية.^{٤٣٢} والعنوان الكامل «الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية»، «الإشارات الإلهية» المعاني والدلالات، و«الأنفاس الروحانية» التجارب الذاتية. ويبدو أن الجزء الأول هو الموجود فقط. في حين فقد الجزء الثاني.^{٤٣٣} تخلو من القسمة إلى أبواب وفصول. هي قطع مرتبة طبقاً للأبجدية المزدوجة لكثرتها. ومع ذلك تتخللها أربعة عناوين

^{٤٢٨} مثل: ميمون الابتدء مبارك الانتهاء، الإشارات، ص ١-٨٧. أركان المعرفة من الإشارات الإلهية، ص ٨٧-٩٥. ذم التفضيل بالغاشية والحاشية من الإشارات الإلهية، ص ٩٥-٢١٤. استعلام الفطانة من الإشارات الإلهية، ص ٢١٤-٤١٠.

^{٤٢٩} أيها السامع (١٠)، أحيائي (٤)، أيها السائل، يا قوم، أيها الإنسان (٣). أيها السيد، أيها الأجنبي، الصديق المخالف، يا جامع المال، أيها الصديق، أيها المبتدع بالقدرة الإلهية، أيها الصاحب الفادي، يا لسان الوقت، أيها المشوق للجمع، أيها الحيزان في سمعه، المستأنس بالوحشة، الجواهر الشريف، أيها المغرور، يا صاحبي، أيها الهائم، أيها الشيخ، الصاحب المدلل، الصاحب المحاور، أيها السامع بالأذن، أيها الصديق المشفق، أيها الرفيق المؤانس، أيها القائل البائح، يا رفيقي.

^{٤٣٠} يا هذا (١٩١)، اللهم (٨٢)، إلهنا (٣٨)، سيدي (٣)، بالله سيدي (٢)، إلهي، يا مولانا (١).

^{٤٣١} «أيها السامع! هذه مناجاتي لربي ...»، الإشارات، ص ٢٩٠.

^{٤٣٢} السابق، ص ٣٤٠-٣٥٤.

^{٤٣٣} «تمت المجلدة الأولى من الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية ...، ويتلوه المجلدة الثانية وهي الرسالة الخامسة والخمسون»، إشارات، ص ٤١٠.

غير متساوية من حيث الكم.^{٤٣٤} أصغرها الثاني وأكبرها الرابع. وبعض الفقرات المرقمة أشبه برسائل موجهة.^{٤٣٥} وهي أطول من «المواقف» و«المخاطبات»، وأكثر إفاضة واتصالًا وأقل ألغازًا وأكثر وضوحًا.

ويكثر الاستشهاد بالآيات القرآنية وبآيات الشعر.^{٤٣٦} وتغيب الشواهد من الأحاديث النبوية، بل يتجاوز الشعر القرآن. فالشعر عبقرية العرب والقرآن رؤيتهم للعالم. والشعر المذكور أقل تأثرًا من الشعر الصوفي للحلاج أو ابن الفارض أو ابن عربي لأنه مجرد استشهاد على النثر. ولا يعبر عن مضمون فلسفي مستقل.^{٤٣٧} وغالبًا من تأليفه.^{٤٣٨} ويستعمل القرآن والحديث الحر أحيانًا كجزء من أساليب البلاغة «وضربنا لكم من الأمثال».^{٤٣٩} ولا يذكر من أسماء الأعلام والأماكن شيء، إلا من الحكيم.^{٤٤٠} ويذكر السيد المسيح ويقتبس من أقواله.^{٤٤١} فالتصوف هو الجامع بين الأديان والقاسم المشترك بينها.

^{٤٣٤} وهي: (أ) ميمون الابتدء، مبارك الانتهاء، الإشارات، ص ١ (٨٦ص). (ب) أركان المعرفة من الإشارات الإلهية، السابق، ص ٨٧ (٨ص). (ج) ذم التفضيل بالغاشية والحاشية من الإشارات الإلهية، السابق، ص ٩٥ (١١٩ص). (د) استعلام الغطانة من الإشارات الإلهية، السابق، ص ٢١٤ (١٩٧ص).

^{٤٣٥} ومجموعها ١٢ رسالة، «فصل كتابك ... تسألني فيه عن حالي ...»، الإشارات «كتب الحكيم ...»، السابق، ص ٢٥. «إذا قرأ كتابي ففضلوا علي «بجوابي»، السابق، ص ٢٩ (١٧ص)، «كتبت إليك في أواخر شهر رمضان ومستقبل العيد ...»، السابق، ص ٢٣٩.

^{٤٣٦} الآيات القرآنية (٣٦)، الأبيات الشعرية (٧٢).

^{٤٣٧} من تأليفه (٤٥)، ومن غيره (٣٤) في صيغة السؤال الأول (٥)، قول القائل الآخر (٤)، قولك، وقد قيل (٢). أما سمعت القائل من قال، قال (٢)، صدق الحكيم المتقدم، يقول الأول، قولهم بعض العارفين، حين قال، قال من قال، ينشد قولك (١).

^{٤٣٨} مثل «وهو أقرب إلينا من حبل الوريد»، الإشارات، ص ١٩.

^{٤٣٩} ومثل «لأن يد الله معكم، وليس فوق يد الله يد»، السابق، ص ٣٠. «فاقص ما أنت قاض. إنما تقضي هذه الحياة الدنيا»، السابق، ص ٣٧. «يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله»، السابق، ص ٤١. «وليس له واقع، والعجب واقع، واقع وليس له واقع»، السابق، ص ١٠٥. «قتل الخراصون الذين هم في غمرة ساهون»، السابق، ص ١٦٢. «ضاعت عليهم الأرض بما رحبت»، السابق، ص ٢٧٦، السابق، ص ٢٧٦. «الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن»، السابق، ص ٢٨١. «كل هذا لمن له الخلق والأمر»، السابق، ص ٣٤٣. ومن الحديث «هناك تنال ما لا أذن سمعت، ولا عين رأت، ولا خطر على قلب بشر»، السابق، ص ٣٣٢.

^{٤٤٠} باستثناء «أرض بن ربيعة»، الإشارات، ص ٤٤، الحكيم (٣ مرات).

^{٤٤١} السابق، ص ١٨٠.

أولاً: تشكل الوعي التاريخي

وهي رمز وإشارة وعبرة.^{٤٤٢} ويستعمل أيضاً آيات حرة من الإنجيل.^{٤٤٣} ومن الصوفية السابقين لا يذكر إلا أبو حنيفة الصوفي.^{٤٤٤} كما يذكر الحكماء مما يدل على أن التوحيدي ينتسب إليهم.^{٤٤٥} ونظرًا لأهمية النص كمادة أولى لخصه اللاحقون وشرحوه^{٤٤٦} ويبدو أن هناك اقتباسات في «الإشارات» تنتهي بالحرفين ا.هـ. اختصارًا للكلمة «انتهى».^{٤٤٧} وربما هي من الناسخ. وتنتهي كثير من الفقرات بلزمة نمطية هي «يا ذا الجلال والإكرام» ومرة واحدة يضاف إلى اللزمة «إنك رءوف بالعباد».^{٤٤٨}

(١) الأسلوب والأسلوبية

وأسلوب الكتاب أقرب إلى موسيقى النثر وإيقاع الشعر والتشابه والتضاد. فرضته طبيعة التجارب الذاتية دون أثر مباشر من الكتب المقدسة خاصة مزامير داود أو الأناجيل.^{٤٤٩} به كثير من المحسنات البديعية تصل إلى درجة التكلف فيصبح الأسلوب غاية في ذاته وليس أداة للتعبير والتأثير، وقد كانت الكتب المقدسة جزءًا من الأدب العربي بعد عصر الترجمة. والتوحيدي على وعي بأن كتابه في صناعة اللغة.^{٤٥٠} ويعجب الإنسان كيف يمتلك كاتب ناصية اللغة وصياغة العبارات إلى هذا الحد الأقصى في الاسترسال بالرغم من نفاد القلم

^{٤٤٢} مثل «بلا قذى من قاذ»، السابق، ص ٢٥٣.

^{٤٤٣} قال عيسى بن مريم عليه السلام، وهو روح الله للحواريين «إنكم لن تدركوا ملكوت السموات إلا بعد أن تتركوا نساءكم أيامى وأولادكم يتامى»، الإشارات، ص ١٨٠.

^{٤٤٤} السابق، ص ١٧٢.

^{٤٤٥} الحكماء (٣).

^{٤٤٦} وذلك مثل: عبد القادر بن محمد بن بدر المقدسي الشافعي (٩٣٤هـ)، بدوي، ص كه-ن.

^{٤٤٧} وقد وردت ا.هـ. حوالي ٣٦ مرة.

^{٤٤٨} وردت اللزمة حوالي ٣٠ مرة.

^{٤٤٩} بدوي، ص لر-ن.

^{٤٥٠} «إنك إن عرفت هذه اللغة، واستخرجت حالك من هذا الديوان وحصلت ما لك وعليك بهذا الحساب أوشك أن تكون من المجذوبين إلى حظوظهم والراسخين في علمهم، والخالدين في نعمتهم. وإن كنت عن هذه الكنايات عميًا، وعن هذه الإشارات أعجميًا، طاحت به الطوائح، وناحت عليه النوائح، ولم توجد في زمرة الغوادي والروائح» الإشارات، ص ٣.

وانعقاد اللسان وانقطاع الفيض.^{٤٥١} وتخلو «الإشارات» من التصورات والحدود كما هو الحال في كتب المؤرخين من نفس العصر: الطوسي، وأبو طالب المكي، والسلمي، وأبو نعيم الأصفهاني. كان التوحيدي على وعي بأسلوبه الإشاري الذي تحول بعد ذلك إلى منهج في التفسير في «لطائف الإشارات» للقشيري.^{٤٥٢}

والأسلوب مملوء بالاستعارات والكنيات والتشبيهات والتمثيلات. وكلها أنواع أدبية مختلفة من اللغة الرمزية.^{٤٥٣} ولا يفهم الرمز إلا بأمر من الله أي بالكشف والإلهام. وهي متنوعة الأساليب بين الإشارة والكتابة والتسمية والمحاكاة بل والصدق والكذب.^{٤٥٤} ولا إشارة ولا عبارة إلا على وجه الاستعارة والإشارة، قبل أن تفنى العبارة وتزول الإشارة.^{٤٥٥} وفي نفس الوقت يطلب تجنب الأمثال لأنها مشغلة.^{٤٥٦} ويبلغ الإبداع النثري مداه في العبارة المسرحية اليونانية أو الشكسبيرية عندما يخاطب البطل الظواهر النفسية أو الطبيعية.^{٤٥٧}

^{٤٥١} «اللهم إن القلم قد تصرف في نعت قصتنا معك، واللسان قد طفئ في تشقيق اللفظ بذلك. وفيض الوهم قد طفح على أصبار القلب»، السابق، ص ١٩٠.

^{٤٥٢} «وهذه إشارات لا تدق عن أذهانكم، ولا تفوت فطنكم. فلماذا تليست بها استعطافاً لكم. وتكثر بذكرها تقريباً إليكم. فلا تخيّبوا رجائي فيكم ...»، السابق، ص ٣٠-٣١، «إن كنيت عنه سبق التصريح به. وإن صرحت به غلبت الكناية عليه. وإن عبرت عن صفاته كدرت العبارة وإن أشرت إلى ذاته اضمحلت الإشارة»، السابق، ص ٣٦.

^{٤٥٣} «خذ من التصريح ما يكون بياناً لك في التعريض. وحصل من التعريض ما يكون زيادة لك في التصريح. واستيقن أنه لا صرف ولا كلمة، ولا سمة ولا علامة، ولا اسم ولا رسم، ولا ألف ولا ياء إلا وفي مضمونه آية. تدل على سر مطوي، وعلانية منشورة، وقدرة بادية، وحكمة محبورة، وإلهية لائقة، وعبودية شائعة، وخافية مشوقة، وبادية معوقة ... وهذه الإشارة وإن كانت محدثة للناس في النفس الضعيفة فإنها مبشرة بعظم الحال في الغاية المنيفة»، الإشارات، ص ٤-٥. «وأمر بإضعاف ذلك بأسرار لطيفة ومعان شريفة إما معرّضاً أو مصرحاً وإما مبعّداً وإما مقررّاً»، السابق، ص ٧٨. «فليس لمخلوق أن يلم بحافات هذا الحديث رمزاً أو نبأً أو غمراً أو همساً إلا بعد أن يأذن الله تعالى لمن يشاء ويرضى»، السابق، ص ٣٤٠.

^{٤٥٤} «وأشرت وكنيت، وسميت وكنيت، وما حجبت وحجبت. وبقيت واشترت، ومحوت وأثبت، وجمعت وفرّقت، ونصحت وغششت، ومحضت ومققت، وعسرت وسهلت، وصدقت وكذبت»، السابق، ص ١٠٧.

^{٤٥٥} السابق، ص ٢٠٥-٢٠٦، ٣١٨.

^{٤٥٦} «لقد صرفت لك القول في فنون من العبارة على ضروب من الإشارة»، السابق، ص ٢٨٧.

^{٤٥٧} «يا حلائل النجوى احرمي. يا بوازع القلب اسلمي. يا نيران البحر توقدي. يا مضاجع البلوى تمهدي. يا غاية المنى تباعدي. يا مقادير الدهر تراقدي. يا حلاوة الهوى أُمري. يا عاذلتي على جنوني

أولاً: تشكل الوعي التاريخي

وتؤدي فنون الإشارة إلى غايات الحقيقة، بصنوف العبارة عن الأركان الوثيقة، دالة على الآيات الأنيقية.^{٤٥٨} والإشارة أخلص، والعبارة أخلص.^{٤٥٩} الإشارة مدفونة في العبارة، والإيحاء في الإيمان، والإيماء في الأنباء، والأنباء في الإغراء، والإغراء في الإسراء، والإسراء في الإبقاء، والإبقاء في الإبراء، والإبراء في الإشقاء، والإشقاء في الإغفاء، والإغفاء في الإلقاء.^{٤٦٠} وهي عشر مراحل حتى يمكن فهم الإشارة. وشرحها أصعب منها.^{٤٦١} والعبارة قد تخون منطقها في استخدامها على غير المعتقد، وسقوطها دون الغرض المعتمد.^{٤٦٢} الإشارة تعبر عن الحقيقة.^{٤٦٣} والعبارة عن الأركان الوثيقة، صاغت الآيات الأنيقية، جامعة الآثار الرشيقية كلها.^{٤٦٤}

والمعنى زينة اللفظ، والصدق حسن المعنى. والصدق في الأخلاق والمعرفة معاً.^{٤٦٥} وقد تصبح اللغة رطانة، بلا فحوى. لا تقبل ولا ترفض إلا بالتقوى أي بالقصد. طالت العبارة في وصف الدنيا والإشارة وردت في الخبر عن أصحاب البلوى. قد يصبح القول بلا شرح، والسمع بلا فتح. ولا يبقى إلا التنفس عند الاختناق، والغباء في حالة استغلاق الفهم، وتغيير

اهدئي عني وقرى. يا مناهل العيش تكدرى. يا معارف الغيب تنكري. يا حشرات القلب تحرقى. يا أستار الضمير تهتكى. يا معالم الأنس بيدي. يا عُقب الهوى زيدي ثم زيدي. يا مصائب الدنيا اقصديني وانزلي بي. يا عجائب الدهر والأيام تعجبي مني»، السابق، ص ٧٠.

٤٥٨ السابق، ص ٤٧.

٤٥٩ السابق، ص ٤٨٩.

٤٦٠ السابق، ص ٥٩.

٤٦١ «فإنه ليس يخفى عليك من هذه العبارات إلا ما تجده في باب الإشارات»، السابق، ص ١٢٧.

٤٦٢ السابق، ص ١٥٩.

٤٦٣ «أما ترى أن فنون الإشارة إلى غايات الحقيقة بصنوف العبارة عن الأركان الوثيقة دالة على الآيات الأنيقية، جامعة الآثار الرشيقية؟»

الآية الأنيقية الآثار الرشيقية

العبارة الأركان الوثيقة

الإشارة الحقيقة

٤٦٤ «حال كلما سلطت عليها العبارة وأرسلت إليها الإشارات حلت عن هذه وزلت عن حالة»، السابق، ص ٣٣٩.

٤٦٥ «زينة اللفظ في المعنى. وحسن المعنى في الصدق. والصدق ينقسم على صالح القول المؤدب والفعل المهذب»، السابق، ص ٤٠٠.

الوجه من الحجاز إلى العراق، ليس من أصل أهل الأثر إلى أهل الرأي بل من أهل الخبر إلى أهل الذوق. لم يبقَ أيضاً إلا تغيير التصور للألوهية، من الكينونة إلى الصيرورة من ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ إلى ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾.^{٤٦٦}

وتبدأ الفقرات بحرف النداء «يا» والمنادي. أكثرها شيوعاً «يا هذا» إشارة إما لله وإما للآخر غير المتعين.^{٤٦٧} ثم «اللهم» ثم «إلهنا». ثم يأتي منادون آخرون مثل «أيها السامع» وهي أكثر شيوعاً من «أحبائي»، «سيدي»، «بالله سيدي». ثم يتنوع المنادون بالعشرات.^{٤٦٨} وقد يأتي المنادي داخل الفقرات وإن كان الشائع في أولها. البعض منها المنادي موصوفاً.^{٤٦٩} والبعض الآخر دون وصف.^{٤٧٠} وقد يكون مفرداً أو جمعاً. وقد يكون الوصف بالإضافة أو بالصفة. وقد يطول وصف المنادي بأوصاف متتالية. والمحك هو الوصف الأول. وفيها روح رسائل إخوان الصفا بالرغم من مرور قرن من الزمان.

ونظراً لأهمية الفعل «أفدي» فإنه يتكرر مع تكرار المفعول. فالصوفي يفدي الفنون والعيون والنفوس والألسن والقلوب والأقدام والأأيادي والأرواح والنعم والعقول والأحاديث والخواطر.^{٤٧١} وبعد كل مرة يتكرر فيها الفعل يتلوه القسم «والله». وقد يتكرر المبتدأ

^{٤٦٦} «اسمع رطانة أخرى، ولغة ليس فيها فحوى. وكن من قبورك لها ونبؤك عنها بئِن التقوى. فإن العبارة قد طالت في وصف الدنيا. والإشارة قد توالى في الخبر من أصحاب البلوى. وهذا كله لما أقوله وتسمعه عني، قولي لا شرح له. وسمعت لا فتح معه، لكن لا بد من التنفس عند تضاييق الخناق. ولا بد من التغابي عند تفاقم الإغلاق. ولا بد من الانحجاز عند تعذر الإنجاد أو الإعراق. نعم حبيبي. كنت ثم تكونت. ثم بنت وتبينت»، السابق، ص ٣٧٤-٣٧٥.

^{٤٦٧} وهو ما يعادل في اللغات الأجنبية Dass mann, man, on.

^{٤٦٨} يا هذا (١٩١)، اللهم (٨٢)، إلهنا (٣٨).

^{٤٦٩} «أحبائي (٤)، سيدي، أيها الإنسان (٣)، بالله يا سيدي، أيها السائل يا قوم إلهي (٢)».

^{٤٧٠} مثل: الصديق المخالف، أيها المبتدع بالقدرة الإلهية، أيها صاحب المنادى، أيها المجتمع المقدس، أيها المسترق للسمع، أيها الحيران في سمعه، أيها المستأنس بالوحشة، أيها الجوهر الشريف، أيها صاحب المدلل، أيها صاحب المجاور، أيها السامع بالأذن، أيها القائل البائع، أيها الرفيق المؤانس، أيها الصديق المشفق، يا جامع المال، يا لسان الوقت، يا قارع باب الله (١)، حبيبي، أيها السيد، أيها الأجنبي، يا صاحب، أيها المغرور، أيها الهائم، أيها الشيخ، يا رفيقي، يا سادتي، أيها الصديق (١)، أيها الأجنبي.

^{٤٧١} «أهدي والله هذه الفنون المستخرجة من هذا المعنى المصون. أفدي والله عيناً باتت تدمع من خشية الله. بل أفدي والله نفساً ظلت خاضعة مهيبة هيبة لله. بل أفدي والله لساناً تلجلج بالاعتذار إلى الله. بل

ويتغير الخبر. يتكرر الشوق ويتغير المشوق إليه، المشتاقون إلى الله، والمحبون فيه، والعارفون له والأغنياء به.^{٤٧٢} ومما يدل على أن «الإشارات» أسلوب أكثر منها مضموناً. وبتعبير المعاصرين «أسلوبية» أكثر منها «سيمانطيقية» استعمال أسلوب التضاد في الأحوال والإحراج لعدم التعامل بالمثل.^{٤٧٣}

والتساؤل أسلوب قرآني؛ إذ تبدأ كثير من الآيات بلفظ «ويسألونك». والأسئلة تتعلق بحياة الناس ومشاكلهم: المحيض، الأنفال، الخمر، الأهله، العفو ... إلخ.^{٤٧٤}

أفدي والله قلباً ما يزال خافقاً من ضياء الله. بل أفدي والله يدًا كفت بناتها عن تناول ما لم يبيحه الله. بل أفدي والله روحاً تهالكت وجداً على أولياء الله. بل أفدي والله نعمة أدت بها حقوق الله. بل أفدي والله عقلاً اشتاق إلى موعود الله. بل أفدي والله كيذاً أوتر على الراحة لوجه الله. بل أفدي والله الحديث عن الله والحياة مع الله. بل أفدي والله خاطراً يسنح مبشراً بذكر الله، السابق، ص ١١٥-١١٦.

^{٤٧٢} وأشواقاً إلى قوم تلهيت أكبادهم شوقاً إلى الله، وأشواقاً إلى قوم فارقتهم أرواحهم وجداً بالله، وأشواقاً إلى قوم تلبغوا بالحبو والزحف إلى الله. وأشواقاً إلى قوم امتلأت قلوبهم بمعرفة الله. وأشواقاً إلى قوم طلبوا الراحة بالتعب حباً لله، وأشواقاً إلى قوم طلقوا الدنيا وزهرتها غنى بالله. وأشواقاً إلى قوم باينوا الكون وما فيه استقلالاً بالله. وأشواقاً إلى قوم صافحت أرواحهم يد الله. وأشواقاً إلى قوم سبقت لهم الحسنى من الله. وأشواقاً إلى قوم ضاقت عليهم الأرض بما رحبت نزاعاً إلى الله. وأشواقاً إلى قوم راحوا إلى مصدوقة ليس فيها غير الله. وأشواقاً إلى قوم قالوا لله، وسكنوا لله، وتحركوا إلى الله، وسكنوا مع الله، الإشارات، ص ٢٧٦.

^{٤٧٣} وذلك مثل «أنت في مناظ الربوبية فلا تهبط إلى قاع العبودية. صانوك فلا تتبدل. أغروك فلا تذل. أعلوك فلا تسفل. غسلوك فلا تتوسخ. نقوك فلا تتلطح. يسروك فلا تتعسر. قربوك فلا تتباعد. أحبوك فلا تتبغض. جدوا بك فلا تكسل. استخدموك فلا تتكل. أعتقوك فلا تتعبد. أقالوك فلا تتعثر. دعوك فلا تتأخر. نسبوك فلا تجحد. جبروك فلا تتكسر. أنبتوك فلا تذو. حسنوك فلا تقبح. حلوك فلا تسمح. علموك فلا تجهل. نوهوا بك فلا تخُل. قوموك فلا تضعف. لطفوك فلا تكشف. أسروك فلا تنكشف. انتظروك فلا تتوقف. أمّنوك فلا تتخوف. قوموك فلا تتعفف. ندوك فلا تنشف»، السابق، ص ٢-٣.

^{٤٧٤} وصيغة التساؤل: «ألا قارع لباب الله؟ ...»، والسؤال عند الصوفي عن القارع لباب الله، والقاصد إليه، والراغب فيما عنده، والخائف من نواهيه، والمناجي له، والبالذل روحه في سبيله، والناظر إلى نفسه معه، والعالم بسرّه، والمحاسب لنفسه، والمتوجه إلى ما عنده، والمسرور بتوحيده، النادم على ما فرط منه، والمشير بالحقيقة إليه، والمعظم لشعائره والمقتدي بسفرائه، والمتنزه في روضته، والسابح في غديره، والواثق به، والطامع في وعده، والخائف من وعيده، والراحم لعباده، والعامر لبلاده، والمنتهي لفنائته، والناشر لكلمته، والداعي إليه، والمجيب له، والشفيع لعبده، والمشفق من خيانتة، والذاكر له، والعايد المخلص له، والشاكر لنعمته، والصابر على بلواه، والمصفي لعتابه، والمشتاق إلى رضوانه، والمنافس في

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

ويستعمل الله عدة وسائل أو «محاييل» للإقناع وكلها إيهامات وإيهامات.^{٤٧٥} والهوية الإلهية أن الله هو إشارة نفسية لا تنقسم ولكن بالتئام الإشارة العقلية. وكلاهما دليلان نفسيان ومسالك العقل نحو الغاية، وطرق الوهم نحو الأبعد. وأشكال اللفظ المزخرف نحو المطلب الأشرف، والإرادة المتلظية نحو الخبر المطلق، والمنية نحو الواحد الأحد. والإشارات الإلهية في عبارات إنسانية.^{٤٧٦} ولم يتعود الناس بعد على العبادات الإنسية؛ فهم في حاجة

طاعته، والمتحول عن المخالفة، والراضي بقضائه، والمحدث عنه، والدال على قدرته والباسط الرجاء في عفوهِ، السابق، ص ٩٥.

^{٤٧٥} وهي عشر: التهديد في الدنيا الخادعة، والترغيب في نعيم الله، التحذير من آفات الأعمال والعلم والأحوال وفساد الزمان، التمني والأمل في المستقبل، التخويف من المجهول، التلويح بأسرار المحبة وبحر المعرفة، بيان اللفظ ونقله من العام إلى الخاص، إجمال اللفظ لشحذ البیان، الاستيفاء حتى عدم البقاء، والاستيفاء حتى عدم السقي.

عيب ابن آدم ما علمت كثير	ومجيئه وذهابه تغرير
يا ساكن الدنيا ألم ترَ زهرة الـ	دنيا على الأيام كيف تصير؟
بل ما بدا لك أن تنال من الغنى	إن أنت لم تقنع فأنت فقير
يا جامع المال الكثير لغيره	إن الصغير من العيوب كبير

الإشارات، ص ١٩٦.

^{٤٧٦} السابق، ص ١٨٨.

الطريق	الغاية
المنية المحلوم	الواحد الأحد
الإرادة المتلظية	الخير المطلق
اللفظ المزخرف	المطلوب الأشرف
الوهم السانح	المرام الأبعد
العقل المنير	الغاية
النفس النازعة	الأمر البازغة
الإشارة العقلية	الإشارة العقلية

إلى إلف طويل وتعود الطباع.^{٤٧٧} ويمكن ذلك عن طريق الموقف الأخلاقي للمفسر، خلوص النية من الشوائب وتنقية الطوية من الأهواء. والخطورة أن تتوحد الإشارات وتختلف العبارات بسبب الروع.^{٤٧٨} والخطورة أيضاً من منافق عليم اللسان على ما نطقت به النبوة في وصف إنسان بعد إنسان. فالوحي رؤية إنسانية وقصد إنساني.^{٤٧٩} وإن لم يفهم ذلك في الماضي فإنه لا يفهمه في المستقبل.

(٢) التضاد والأضداد

ومن دوافع تكرار الأمثلة تصوير عدم الربط بين العلة والمعلول أو بين القصد والفعل، بين النية وتحقيقها.^{٤٨٠} وقد تكون الثنائيات لضرورة الربط بين بينهما، بين النداء والاستجابة، بين السؤال والجواب.^{٤٨١} الصياغة اللغوية عدم الربط والأممية الربط. يذكر الإنسان الله فينساه. ويشير إليه فيبتعد عنه. ويعترف به فيحيره. ويتوجه إليه فيتبعه. ويتولى عنه فيدعوه. ويتوكل عليه فيوكله إلى نفسه. ويفكر فيه فيضله. وينتسب إليه فينفيه. ويطيعه

^{٤٧٧} «لأنها إشارات إلهية وعبارات إنسية. إلا أن العبادات الأنسية ليست مألوفة بالاستعمال الجاري، وأنت محتاج إلى أن تألف في الأول بطول السماع، ثم تتصعد من ذلك إلى الإشارات الإلهية ببسط الذراع ورحب الباع ولطف الطباع»، السابق، ص ٢٢٤.

^{٤٧٨} «اللهم ارحم روعتنا في أطراف هذه الإشارات من اختلاف هذه العبارات»، السابق، ص ٢٢٨.

^{٤٧٩} «ما أخوفني أنك منافق عليم اللسان على ما نطق به ديوان النبوة في وصف إنسان. وإن لم تكن ذاك في الماضي فلا تكن أيضاً في الآتي»، السابق، ص ٢٣١.

^{٤٨٠} «ليس كل من رقد حلم بما يريد. ولا كل من مدَّ يده نال ما يطلب. ولا كل من ادَّعى سلَّ له دعواه. ولا كل من دعا أحيب. ولا كل من قرع دخل. ولا كل من استرق السمع سلم. ولا كل من استعفى أُعفي. ولا كل من قال بدا لي ترك. ولا كل من استرحم رُحم. ولا كل من تعرَّض استخدم. ولا كل من وصل نُودم. ولا كل من بُعد عُدم، ولا كل من سأل حُرِم. ولا كل من ألَّحَف أُعطي. ولا كل من بكى أُرضي، ولا كل من خطب زُوج. ولا كل من مَلَكَ تُوج. ولا كل من رَجَا أدرك. ولا كل من مُنِع خاب. ولا كل من قدم فقد أكرم. ولا كل من أُخِّر فقد أهين. ولا كل من سَبَح غرق. ولا كل من خُوف فَرِق. ولا كل من أومن اطمئنَّ. ولا كل من دُلي ارجحنَّ. ولا كل من تَوَسَّل قُبِل. ولا كل من التمس نُول»، السابق، ص ٢١.

^{٤٨١} «يعاتبك فلا تُعتب، ويدعوك فلا تجيب. وينعم عليك فلا تشكر. ويبتليك فلا تصبر. وبُحضرك قدرته فلا تبصر»، الإشارات، ص ٣٣.

فيبتليه. وينقبض عنه فيبسطه. وينبسط معه فيقبضه.^{٤٨٢} فالعجب عدم امتلاك السوانح وإدراك الغايات.^{٤٨٣} والطلب اتساق النتائج مع المقدمات، واتفاق المعلول مع العلة.^{٤٨٤} ويتم تكرار الصور عن طريق الأضداد.^{٤٨٥} ويتكرر نفس الأسلوب في النفي وفي الاستثناء. ونظرًا للرغبة في التكرار إلى الحد الأقصى تغرب الألفاظ، ويستعمل غير المتداول منها، وقد تكون الثنائيات متضادة يرد أحد طرفيها إلى الآخر. فالداء دواء، والعلة طبيب، والبلاء نعيم، والفناء حبيب. هو الأول والآخر، الغائب والحاضر، المفرق والجامع، الضار والنافع، المقرب والمبعد، الفائق والراتق.^{٤٨٦} وهو نفس التصور القرآني: الرافع الخافض، المعز المذل، القابض الباسط، المبدئ المعيد، المحيي المميت، المقدم المؤخر، الظاهر الباطن، المنتقم العفو.^{٤٨٧} والإنسان له أحوال في يقظته ومنامه، وحركته وسكونه، وغضبه ورضاه، وأخذه وعطائه، ووحدته ولقائه، وحرصه وعفاه، وقبضه وبسطه، وعلمه وجهله، وريائه

^{٤٨٢} «إلهنا، إن ذكرناك أنسىتنا، وإن أشرنا إليك أبعدتنا، وإن اعترفنا بك حيرتنا، وإن جحدناك أحرقتنا، وإن توجهنا إليك أتعبتنا، وإن ولينا عنك دعوتنا، وإن تركناك أزعجتنا، وإن تولكنا عليك أكلفتنا، وإن فكرنا فيك أضللتنا، وإن انتسبنا إليك نفيتنا، وإن أطعناك ابتليتنا، وإن عصيناك عذبتنا، وإن انقبضنا عنك بسطتنا، وإن انبسطنا معك طردتنا»، السابق، ص ١٩٣.

^{٤٨٣} «فالسوانح فيك لا تملك، والغايات منك لا تدرك، والحنين إليك لا يسكن، والسلو عنك لا يمكن»، السابق، ص ١٩٣.

^{٤٨٤} «فأرحمنا في بلوانا بك، واعطف علينا في صبرنا معك، والطف بنا لانقطاعنا إليك، وعاملنا بالكرم الذي أمرتنا باستعماله بين خلقك»، وأصرِف عنا كل صارِف عن بابك. وأجل نواظرنا فيما برز بقدرتك، وخواطرنا فيما بطن من حكمتك. وإذا دعوناك فأحببنا. وإذا دعونا إليك فأعنا. وإذا استجرناك فأجرنا. وإذا أعطيتنا فهنتنا. وإذا حرمتنا فصبرنا. وإذا أذنت لنا فأوصلنا. وإذا أطعمتنا فصلنا. وإذا كددتنا فأرخصنا»، السابق، ص ١٩٣.

^{٤٨٥} «لا سر إلا وهو متهم. ولا قاتل إلا وهو متوهم. ولا سامع إلا وهو كظيم. ولا عامل وهو مُليم، ولا قلب إلا وهو سقيم. ولا لائم إلا وهو ملوم. ولا واحد إلا وهو عديم. ولا غني إلا وهو فقير. ولا عظيم إلا وهو صغير. ولا كثير إلا وهو قليل. ولا صحيح إلا وهو عليل. ولا قريب إلا وهو بعيد، ولا هين إلا وهو شديد، ولا عالم إلا وهو جاهل. ولا عاقل إلا وهو ذاهل. ولا آمن إلا وهو واهل. ولا ريان إلا وهو ناهل، ولا مصرور إلا وهو باهل»، الإشارات، ص ٢٢-٢٣.

^{٤٨٦} «فدائي من ورائي، وعلتي من طبيبي، وبلائي من نعيمي، وفنائِي من حبيبي»، الإشارات، ص ٥٣.

^{٤٨٧} السابق، ص ٦٠-٦١، ٧٧.

وإخلاصه.^{٤٨٨} وتتوالى الأضداد كدليل على المأساة التي تشمل الضدين: الضيعة والتحفظ، الرقدة واليقظة، الفرق والجمع ... إلخ.^{٤٨٩} وفي نفس الوقت يتم التحذير من الأضداد لأنها مفسدة بالرغم من استعمالها في الأسلوب.^{٤٩٠} ويتحول الضد إلى الضد، من اليأس إلى الرجاء، ومن الخوف إلى الأمن، ومن السهو إلى الذكر، ومن الرقدة إلى اليقظة، ومن الضعة إلى التشريف، ومن الظماً إلى الري، ومن الانطفاء إلى الوقد، ومن الشرود إلى التألف، ومن البعد إلى القرب، ومن الانقطاع إلى الوصل.^{٤٩١} وتحول الأضداد لا يحدث في حالات النفس فقط بل في حالات الطبيعة. فيصبح الخشن ناعماً، والمعدوم موجوداً، والبعيد قريباً،

^{٤٨٨} «فاجتهد أن تتصفح عالم ربك المجيد فتصرف منه ما بطن وما ظهر، وما أعلن وما استتر، وما جل وما دق، وما فعل وما انفعل، وما نطق وما صمت، وما ضر وما نفع، وما دب وما مشى، وما انتصب وما انتكس، وما ضاق وما اتسع، وما استدار وما استقام، وما اختلف وما ائتلف، وما صعد وما هبط، ... وما حسن وما قبح، وما أنس وما نفر، وما عاد وما فر، وما انتظم وما التأم، وما خصب وما أجذب، وما أعوج وما اعتدل، وما أراد وما كره، وما قرب وما بعد، وما بلي وما بقي، وما سعد وما شقي، وما نزل وما رقي، وما اختلط وما استقل، وما احتاج وما استغنى، وما نَمى وما نقص، وما طار وما سبح، وما حاق وما بطل، وما صفا وما كدر، وما رطب وما يبس، وما زان وما شان، وما كان وما يكون، وما لم يكن ولا يكون»، السابق، ص ٩٩-١٠٠. لأنك أولنا وآخرنا، وغائبنا وحاضرنا، ومالكنا وناصرنا، وباطننا وظاهرنا، وطاقنا وغاربنا»، السابق، ص ١٥١.

^{٤٨٩} «أما ترى ضيعتي في تحفظي؟ أما ترى رقدتي في تيقظي؟ أما ترى تفرقي في تجمعي؟ أما ترى غصتي في إيساغتي؟ أما ترى دعائي لغيري مع قلة إجابتي؟ أما ترى ضلالي في اهتدائي؟ أما ترى رشدي في غيبي؟ أما ترى عيبي في بلاغتي؟ أما ترى ضعفي في قوتي؟ أما ترى عجزتي في قدرتي؟ أما ترى غيبي في حضوري؟ أما ترى كموني في ظهوري؟ أما ترى ضعفي في شرفي؟ أما ترى سخاوتي في زماثتي؟ أما ترى غشي في نصيحتي؟ أما ترى عنائي في راحتي؟ أما ترى دائي في دوائتي؟ أما ترى بلاتي في موالاتي؟»، السابق، ص ١٠٤.

^{٤٩٠} «إن وصالهم صَرم، وحبهم بُغض، وبرَّهم جفاء، وعطفهم صدود، ومسالمتهم حرب، وإقبالهم كرب، ونوالهم حرب، والفكر فيهم عطب»، السابق، ص ٣١٨.

^{٤٩١} «فغلب إلها رجاءنا على يأسنا، وغيب خوفنا في أثناء أمننا. واهتف بنا إذا سهونا. وأيقظنا إذا رقدنا. وادعنا إذا أخرنا. وارؤف بنا إذا ضعفنا. وشرفنا إذا اتضعنا. وارونا إذا ظمنا. وأوقدنا إذا طفنا. وأطبنا إذا خبنا. وتآلفنا إذا شردنا. وتكرم علينا إذا لؤمنا. وذكّرنا إذا نسينا. ولطفنا إذا كثفنا. وفي الجملة قربنا منك إذا بعدنا عنك. وصلنا بك إذا انقطعنا عنك»، السابق، ص ٢١٧-٢١٨.

والنازل صاعداً، والمختلف مؤتلفاً، والكثير واحداً، الغائب مشاهداً، والصادر وارداً.^{٤٩٢} ومن أزمة العصر تحول الضد إلى الضد، الدواء داء، والأسو جراحاً، والعطاء سلماً ... إلخ. بحيث ينتهي التضاد، ويتحول طرف إلى آخر.^{٤٩٣} وتتحول ثنائيات الأحوال إلى ثنائيات الطبيعة. والطبيعة مصير تخضع لقانونها.^{٤٩٤} فالمسكن يخرب، والماء ينضب، والقاع يبور، والماء يغور، والحي يموت، والمطلوب يفوت، والباب يرتج، واللسان يتلجلج، والقول يتبهرج، والمرعى يسيب. وقد تكون الثنائيات تأكيداً على مسار طبيعي، إسراع مذهب، وإقلاع مصر، واستبانة ضال، وتقوم زائغ، واعتدال رائغ، واهتداء تائه، ولين قاسي، وتذكر ناسي، وتواضع مستكبر، وانتباه نائم تحقيقاً للعدل في الكون والميزان في السلوك.^{٤٩٥} وقد تكون الثنائيات الربط الضروري بين الفاعل والفعل، والواهب والهبة، والمعطي والعطاء.^{٤٩٦} وقد تدل

^{٤٩٢} «وصار الخشن ناعماً، واليباس لدناً، والقفا وجهاً، والمعدوم موجوداً، والبعيد قريباً، والنازل صاعداً، والمختلف مؤتلفاً، والكثير واحداً، والغائب شاهداً، والصادر وارداً، والذام حامداً، واللاهب خامداً»، الإشارات، ص ٥٣-٥٤.

^{٤٩٣} «صار الدواء داء، والأسو جراحاً، والعطاء سلماً، والبلاغة عيياً، والرشاد غيياً، والنشر طيياً، والقبول رداً، والوصال صدأً، والتمام نقصاناً، والرجحان وكُسا، والتوجه استدباراً، والتبسم استعباراً، والربح خسراناً، والزيادة نقصاناً، والرضا سخطاً، والأمر فُزطاً، والمستقيم محالاً، والثابت حراكاً، والطاعة ذنباً، والإجابة قلباً، السابق»، ص ٢٠٦.

^{٤٩٤} «لم يبق لأمله مسكن إلا خرب، ولا ماء تيمن إلا نضب، ولا متاع إلا بار، ولا ثمد إلا غار، ولا حي إلا مات، ولا مطلوب إلا فات، ولا باب إلا أُرْتُج، ولا لسان إلا لجلج، ولا قول إلا بُهرج، ولا مرعى إلا أُمُرج»، السابق، ص ٤٩.

^{٤٩٥} «ألا ليسرع مذهب. ويُقلع مُصر. ويستبين ضال. ويتقوم زائغ. ويعتدل رائغ. ويهتدي تائه. ويلين قاس. ويتذكر ناس. ويتواضع مستكبر. وينتبه نائم. ويصحو مُنتش، ويصفو سر. ويطيب قول. ويظهر عمل. ويقصر أمل. ويتجدد شَمْل. وينفع عدل»، السابق، ص ٣٥.

^{٤٩٦} «وانظر بأي فضل خصك؟ ومن أي حال خلصك؟ وإلى أي درجة رَقاك؟ وبأي رتبة حلّاك؟ وإلى أي كهف آواك؟ وبأي سر ناجاك؟ وبأي غيب ناغاك؟ ومن أي شر وقاك؟ ولأي غاية بَقاك؟ وبأي تاج تَوَّجك؟ وإلى أي حظ هيجك؟ وأي ملك قيّدك؟ وأي مشرب صفا لك؟ وبأي لطف حاشك؟ وبأي شيء سكر جاشك؟ وبأي صنْع أزال استيحاشك؟ وبأي صرعة انتاشك؟ ولأي أمر أعاشك؟»، السابق، ص ٣٥-٣٦.

أولاً: تشكل الوعي التاريخي

الثنائيات على أن المبادرة من الإنسان، والله قابليها بالضرورة.^{٤٩٧} إذا قرع الباب ولج، ومن طلب المكافأة أخذ، ومن ذاق استحل، ومن اشتاق استخل.^{٤٩٨}

(٣) التجارب الذاتية (الشكوى، الغربة، التشاؤم، فساد العصر)

الابتهالات والدعوات والمناجاة كلها أشكال تعبر عن الأزمت النفسية التي تحاول أن تجد حلولاً سريعة لها في التعبيرات الأدبية المباشرة دون المرور بجذورها في الواقع وتحليلها كأزمات نفسية اجتماعية. وتظهر في لحظات الضعف وقلة الحيلة. وهي الأزمت التي منها نشأ التصوف. ومكانها في الأدب أو علم النفس أو علم الاجتماع. فالله مفرج الهموم، ومجيب الدعاء، ومطعم الجائع، ومحرر القاهر، وناصر المظلوم، ومعين المحتاج. والمثال يفرض وجوده، والتوتر يخلق موضوعه. الله هو مجموع الحاجات البشرية. يروي العاطش، ويقوي الضعيف، ويسوي المعوج، ويؤوي الضجر، ويداوي العليل، ويصفي الكدر، وينقي الدنس، ويصلح الفاسد، ويعرف المنكر، ويعلم الجاهل، ويسهل المتعسر، ويغني الفقير.^{٤٩٩} وهو نفس تصور وصايا لقمان لابنه ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾. وأوصاف الله كلها ذات علاقة بالتجارب الإنسانية؛ مما يدل على أنها تعبير عن آمال وإحباطات البشر، أفراحهم وأحزانهم.^{٥٠٠}

^{٤٩٧} «وإن التفت إلى نصيبك من الله أقبل الله عليك. وإن حاسبت نفسك لله أغضى الله عنك. وإن وهبت نفسك لله حفظها الله لك. وإن تواضعت لله رفع الله قدرك. وإن جنت للسلم تقبل الله منك. وإن لُذت بالله عطف الله عليك. وإن شكوت ما بك سمع الله شكواك. وإن ادعيت صادقاً أو كاذباً لم يفضحك في دعواك»، السابق، ص ٣٧.

^{٤٩٨} «من قرع باب الله ولج، ومن طلب ما عند الله ادلج. ومن توجه إلى الله استسلم. ومن طلب المكانة العلية عند الله استعصم. ومن ذاق ما لدى الله استحلاه. ومن اشتاق إلى ما وعد به استخله»، السابق، ص ٣٢٨.

^{٤٩٩} إذا عطشنا فرونا، وإذا ضعفنا فقونا، وإذا اعوججنا فسونا. وإذا ضررنا فأونا. وإذا اعتلنا فداونا. وإذا كدرنا فصفنا. وإذا دنسنا فنقنا. وإذا أفسدنا فاستصلحنا. وإذا أنكرناك فعرفنا. وإذا جهلناك فعلمنا. وإذا تعسرنا عليك فسهلنا. وإذا افتقرنا فأغننا. وإذا بنا منك فصلنا بك، وإذا التوينا عليك فقومنا»، السابق، ص ٦٣-٦٤. وهي ابتهالات تشبه ابتهالات القديس والسليم في «الإيمان باحثاً عن العقل»، نماذج من الفلسفة المسيحية، الأنجلو المصرية، القاهرة، ص ١٠١-٢٠٦.

^{٥٠٠} «يا حافظ الأسرار، يا مسبل الأستار، يا واهب الأعمار، يا منشئ الأخبار، يا مولج الليل في النهار، يا مصافي الأخيار، يا مداري الأشرار، يا منقذ الأبرار من النار والعار...»، السابق، ص ١.

والله هو الذي يمحو البلاء، ويسد الخطى، وينعش النكبي، ويقوي الضعيف، ويؤنس المستوحش، ويقرب البعيد، ويقبل التوبة.^{٥٠١}

وتعتمد «الإشارات» على تجارب ذاتية. وهي أقرب إلى السيرة الذاتية في «المعية» الزمانية، وليس في التوالي الزمني.^{٥٠٢} وقد كتب الغزالي «المنقذ من الضلال» لنفس الغاية. وجوهر الشكوى والمرارة.^{٥٠٣} وربما كانت حياته كذلك؛ غريباً لا يخالط إلا الغرباء والأدنياء والأردياء.^{٥٠٤} فهو الابن الضال يعود من جديد.

وإن نبت بك أوطان نشأت بها، فارحل فكل بلاد الله أوطان، حرق كتبه وغسلها بالماء في آخر عمره كراهية لنفسه وللعالم.^{٥٠٥} فالعلم يراد به العمل وليس غاية في ذاته. لم يدرك قيمته أحد. وترصدها العيارون والشطار. وقد قام لذلك كثيرون غيره.^{٥٠٦}

^{٥٠١} «قد بلينا فجددنا. وتلبينا فسدنا، ونكبنا فأنعشنا، وانجردنا فرمشنا، وتعسرنا فسهلنا، وتعقدنا فحللنا، ونكّرنا فعرّفنا، وجّهلنا فعلمنا وقلقنا فسكننا، واستوحشنا فأنسنا، وبعدنا فقرّبنا، وتبنا فاقبلنا، وبدنا فكونا، وضعفنا فقوّنا، وزهدنا فرغبنا، ورغبنا فزهدنا، وسلونا فشوّقنا، وأصبنا فعرّضنا، وضللنا فاهدنا، وعطلنا فحللنا، وأغفلنا فسمنا، وخذلنا فانصرنا، وهبطنا فرقّنا، ووقعنا فخلصنا، وعصينا فارحمنا، وبذلنا فصنا، وزُغنا فقوّمنا، واعوججنا فسوننا. ورقدنا فأيقظنا، وسألنا فأعطينا، وقصّرنا فاحتملنا»، السابق، ص ١٥٠.

^{٥٠٢} المعية الزمانية Synchronism، التوالي الزمني Diachronism.

^{٥٠٣} «أما حالي فسيئة جداً كيفما قلبتها لأن الدنيا لم تؤاتني لأكون من الخائضين فيها. والآخرة لم تغلب عليّ فأكون من العاملين لها. وأما ظاهري وباطني فما أشد اشتباههما لأنني في أحدهما متلطف تلطفاً لا يقربني من أجله أحد. وفي الآخر متبدخ تبذخاً لا يهتدى فيه إلى رشد. وأما سري وعلانيتي فممقوتان بعين الحق لخلوهما من علامات الصدق، ودنوهما من عوائق الرق. وأما سكوني وحركتي فأفتان محيطتان بي لأنني لا أجد في أحدهما حلاوة النجوى. ولا أعرى في الآخر من مرارة الشكوى. وأما انتباهي ورقدتي فما أفرق بينهما إلا بالأسر الجاري على العادة. ولا أجمع بينهما إلا بالوهم دون الإرادة. وأما قراري واضطرابي فقد ارتهنتني الاضطراب حتى لم يدع فيّ فضلاً للقرار. وغالب ظني أنني قد علقت به لأنه لا طمع لي في الفكك، ولا انتظار عندي للانفكك. وأما يقيني وارتياحي فلي يقين ولكن في درك الشقاء. فحتى يكون يقينه هكذا كيف يكون خبره عن الارتياح؟»، السابق، ص ١٨.

^{٥٠٤} الحكم بأنه فارسي الأصل آري الجنس تصنيف عرقي للمؤلفين، بدوي، ص ج.

^{٥٠٥} «فهذه بيناتي في محنتي، وآياتي في فتنتي»، السابق، ص ٢٧.

^{٥٠٦} مثل: أبو عمرو بن العلاء اللغوي، داود الطائي، يوسف بن أسباط، أبو سليمان الداراني، سفيان الثوري، أبو سعيد السيرافي، بدوي، ص لج.

أولاً: تشكل الوعي التاريخي

وتتمثل أزمة العصر في الغرور دون اعتبار بالماضي، وعدم التعلم من دروس التاريخ.^{٥٠٧} روح العصر العصيان وعدم الاعتبار، وعدم الاستجابة للنداء بالرغم من النذر. خدعت الشهوات الناس وملكتهم، وغرتهم الأمانى فأهلكتهم. وسباهم الشيطان من أوطانهم فباعهم في أرض الأعداء بثمن بخس. فخسروا وربح. وبقوا في بلاد الغربه حيارى أذلاء. كما تتمثل أزمة العصر في أكل الحرام، وحمل الآثام، وسيادة السفلة.^{٥٠٨} عاد الإسلام فيه غريباً.^{٥٠٩}

والشكوى أولى التجارب الذاتية. قد تكون من القريب أو البعيد، من النفس وهي أعدى الأعداء في جنب الإنسان.^{٥١٠} وكثرة الشكوى تزيد البلاء.^{٥١١} ولها مظاهر عدة: الفؤاد هائم بكل واد. والخاطر حال من كل حاد وهاد. كل شيء مرد ومعاد. وكل شخص آخر

^{٥٠٧} «أيها المغرور عن تصاريف الأيام ما أغفلك! أما تعتبر بمن كان قبلك؟! ألهاهم الأمل فهم ساهون. وغرتهم الأمانى وهم غافلون. واخترمتهم يد المنون وهم يلعبون. واعتورتهم الأيام بكرّ صروفها وهم يمرحون. لقد ناداهم ذو الجلال بالتنبيه لو كانوا يسمعون ... أنذرتكم الأيام بعبرها فلم تردعوا. وأرتكم الليالي تغلبها بأهلها فلم تنتفعوا. ونادتكم الدنيا بترك السكون إلى لذاتها فلم تستمعوا، خدعتكم الشهوات فملكتكم. وغرتمكم الأمانى فأهلكتكم. وسباكم الشيطان من أوطانكم فباعكم في أرض أعدائكم بثمن بخس. فخسرتم وربح عليكم. فبقيتم في بلاد الغربه حيارى متلذذين، بلا أنس ولا سلوة ... غرقتم في بحار الغرور ...»، السابق، ص ٣٢٣-٣٢٤.

^{٥٠٨} «يا أكلة الحرام، وحملة الآثام، وسفلة الأنام، النجاء النجاء، فقد أظلمكم علم الانتقام، وفاتكم من الله الخلود في جوار الله والدوام»، السابق، ص ٢٨١.

^{٥٠٩} «فإذا تعاوننا على هذه الأحوال الحسنة في هذا الزمان الذي قد عاد الإسلام فيه غريباً كما بدأ غريباً كنا نجوم الأرض وأعلام الخلق»، السابق، ص ٣١٠.
^{٥١٠}

قلبي إلى ماضرني داع يُكثر أحزاني وأوجاعي
كيف احتراسي من عدوي إذا كان عدوي بين أضلاعي

السابق، ص ٢٨٣.

هذا فؤادي وطرفي قد سببا لي حتفي
فكيف أحذر يا قو م من فؤادي وطرفي

السابق، ص ٢٨٣.

^{٥١١} «فإن من ألف الشكوى يُغذُّ من البلوى على البلوى»، السابق، ص ٣١٤.

مضاد ومعاد. ولا يملك الإنسان إلا الحسرة والدموع والزفريات. الكبد مشتعل محترق على المناظر والهيئات. واليقظة على ما يجري من رسوم وعادات. والأحلام عارية من أي تحقق، والنفس رهينة بالسيئات، مفتونة بالسوانح والخطرات، مغبونة عن الحسنات والصالحات. الجهات منسدة، والوجوه مسودة. كل قول زور وبهتان. وكل إشارة بور وعدوان. وكل سكوت سهو ونسيان. القول مردود. والقاتل محسود. والقاصد مطرود. والبازل مجهود. والسائل محدود. والزمن متنكر. والصديق متغير. والعدو متمنر. والجار متنفر. والعامل مستنفر.^{٥١٢} الشكوى إلى الواحد الصمد وليس إلى غيره شكوى أو من دون فرج.^{٥١٣}

ويتبع الشكوى الاستعطاف. فالشيخ تحكمت فيه البلوى وأصبح بين الحياة والموت. يحتاج إلى نائحة تبكي عليه.^{٥١٤} يعتمد التوحيدي على تجاربه الذاتية، الإحباط واليأس، الشكوى والضجر.^{٥١٥} أعلى المحن الكون كله، وأدناها طلب المحال، والتعلل بالفاني، والانخداع بالعارض، والإعراض عن النفيس، وتوهم الكمال في النفس وهي ناقصة، والجرأة على الدعوى مع نقض البرهان، وتبعثر القول ونقص الفعل، وإطالة الهذيان بلا تحذير. والإنصات ضياع. وإن عجز السلطان عن تحقيق الشكوى والاستجابة لها توجه الشكوى إلى الله كما هو الحال في المثل الشعبي «الشكوى لغير الله مذلة».^{٥١٦} ويمكن تجاوز الشكوى

^{٥١٢} السابق، ص ٢١٤-٢١٥.

^{٥١٣} «أشكوك إلى الله الواحد الصمد. فالويل لمن رفع بثه إلى غير الله. ويئس بجهله مما عند الله. وظن أن له فرجاً لا بالله»، السابق، ص ٣٩١.

^{٥١٤} «فاعطف على شيخ قد تحكم فيه البلوى. وأقام بين الحياة والردى. لا يذوق أحدهما على تمامه. فيكون في ذلك روحه ونعيمه أو ما يحزن عليه صديقه وحميمه»، السابق، ص ٧٥.

^{٥١٥} وسأخذ في حديثي وما يختص بشأني وينتمي إليه أمري. وأعلمك أنني في حساب لا ينتهي، وعتاب لا ينقضي لأنني ألوح كالبرق المنتشر، فلا أضيء ولا أستضيء. أنوارى في الظلام كالمستتر فلا أغنى ولا أغني. وقد عرفت آفتي، ووقفت على علتي، وفطنت بمحتتي وهي أشياء: فأعلاها وأعداها الكون لأنه محط البلاء، ومغار الحدثان، ومجلب الصروف، وفرض الغير، وعمق الكد، وأول الغيظ، وثاني الأفكار، وثالث المحو. فأما أدناها وأدباها فطلبي للمحال، وتعلي بالفاني، وانخداعي بالعارض، وإعراض عن النفيس، وندائي على نفسي باسم التمام وأنا عين النقصان، وجرأتي على الدعوى بفقد البرهان، وتشردي في القول مع ضعفي وتقصيري في الفعل، وإطالتي الهذيان على غير وزن ولا تحذير»، السابق، ص ١٩٩-٢٠٠.

^{٥١٦} «إلى الله تشكو ما أحل بنا منا. فقد والله ظلت البلوى، واشتدت النجوى، وقلت الدعوى. فإنه أولى من شكى إليه، وأحق من تكل عليه»، السابق، ص ٢٦٨.

رغبة في الخير، وتجنباً للشر. ولماذا أشغل الوقت بوصف الزمان وصروفه ودوافعه؟ هناك ما هو أولى بالوقت وأجدى. ليست الشكوى من المروءة ولا من عزة النفس.^{٥١٧} فهل الأولى الإعداد للمعاد هروباً من الدنيا أم الدخول في تحدياتها وتغيير الواقع حتى لا تستمر الأزمان؟

والتجربة الحياتية الثانية التي يعيشها صوفي مثل التوحيدي هي تجربة «الغربة» التي يخصص لها إحدى رسائله.^{٥١٨} وهي إجابة على سؤال عن الغريب ومحنته، والغربة وعجائبها. فقد نشأ التصوف من الغربة عن العالم، ويؤيد ذلك حديث «جاء الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ. فطوبى للغرباء»، بالرغم من رفض بعض الجماعات الإسلامية هذا التأويل، وجعل الإسلام أيضاً عائداً ناهضاً منتشراً كما تكشف عن ذلك الصحوة الإسلامية الراهنة. الغربة ظاهرة سلبية وليست إيجابية كما هو الحال في «الاغتراب» في الفلسفة الوجودية المعاصرة. فالغريب أينما حطت ركائبه ذليل. يد الغريب قصيرة، ولسانه ذليل.^{٥١٩} لا تسقط دموعه من الغربة والبعد في المكان بل لأنه غريب غريب مهما حاول الألفة مع الناس.^{٥٢٠} والاغتراب من الوطن المكاني إلى الوطن الزماني، ومن الوطن المادي إلى الوطن الروحي ليس اغتراباً بل عودةً إلى الموقف الأصيل.^{٥٢١} مع أن الغربة أي السقوط بين «الأنا» و«النحن» أصل الإبداع الفني والأدبي والفلسفي.

^{٥١٧} «إن تكلفتُ لك وصفي ووصف زماني وزمانك، وما قد دفعنا إليه في شأني وشأنك كان ذلك شاغلاً للوقت عما هو أولى به، وأعود إلينا بالجدوى منه. فتعالَ حتى لا نشتكى ولا نتألم، ونهب أنفسنا لبلايا غير هذه. فمن قليل تنتقل إلى ما تعلم وأعلم. فليس بين المروءة أن نشكو صديقاً إذا قصّر. ولا من عزة النفس أن تجزع من عدو وإن بالغ. وما فقر أيام، وبؤس ساعات، وتغير إخوان ثقات وغير ثقات حتى يصح هذا الصحيح، وننعي زماننا بالأسى على ما فات»، الإشارات، ص ٢١٩.

^{٥١٨} رسالة «يا»، السابق، ٧٨-٨٦.

^{٥١٩}

إن الغريب بحيث ما حطَّت ركائبه ذليل
ويد الغريب قصيرة ولسانه أبداً كليل

السابق، ص ٧٩.

^{٥٢٠}

وما جزعاً من خشية البين أخضلت دموعي ولكن الغريب غريب

السابق، ص ٧٩.

^{٥٢١} «اغترب عن وطنك المألوف بالعزم الصحيح إلى وطنك بالتحقيق»، السابق، ص ٢٣٧.

والوطن ما يسكن فيه الإنسان ويهناً باله. وبه الأهل والبنون والأصدقاء والقدماء. ليس الوطن الطارد لأهله. العازل لهم فيحملون الهموم والأحزان. لذلك لا يهتئون بالعيد: عيد بأية حال عدت يا عيد؟ فكيف يكون الصبر في عيده محزوناً؟ العيد بلاء وشقاء. وهو فريد ووحيد.^{٥٢٢} ليست الغربة عن الوطن كمكان ولكن عن الناس. فالوطن هم الأهل مهما استوطن خارجه. ينطق حزناً ويسكت حيراناً. ويقترب خاضعاً ويظهر ذليلاً. وإن توارى عليلاً. وإن طلب يائساً. وإن أمسك مبتلياً. وإن أصبح تحول لونه. وإن أسر انتهب سره. وإن قال هيباً، وإن سكت خائباً. أكله الخمول، ومصه الذبول، وحالفه النحول، ويتمنى الحديث مع الناس.^{٥٢٣} ليس الغريب من جفاه الحبيب بل من واصله وتغافل عنه الرقيب، هو غريب حتى ولو جلس معه الندماء، ونودي من قريب. هو من غربته غريب، ليس له نسيب، ولا من الحق نصيب.^{٥٢٤} الغريب من غربت شمس جماله. واغترب عن أحبائه وعذاله. وأغرب في أقواله وأفعاله. وغرب في إقباله وأدباره. الغريب من كان في محنة بعد محنة، وفتنة بعد فتنة. يحضر غائباً، ويغيب حاضراً. لا يعرفه الناس.^{٥٢٥} الغريب داخل الوطن. ولم يبرح مسقط رأسه.^{٥٢٦}

٥٢٢

ليهنأ العيد، من له وطن	يأوي إليه، ومن له سكن
ومن له الأهل والبنون ومن	بلاده منه منزل قمن
لا المفردين المطردين ومن	يعتاده الهم فيه والحزن

السابق، ص ٢٣٩.

قالوا سررت بيوم العيد؟ قلت لهم	ولا علمتُ به، والواحد الصمد
لما تيقنت أنني لا أعينكم	غضضت طرفي فلم أنظر إلى أحد

السابق، ص ٢٤٠.

٥٢٣ السابق، ص ٧٩-٨٠.

^{٥٢٤} «وقد قيل: الغريب من جفاه الحبيب. وأنا أقول: بل الغريب من واصله الحبيب بل الغريب من تغافل عنه الرقيب. بل الغريب من حاباه الشريب. بل الغريب من نودي من قريب. بل الغريب هو من في غربته غريب. بل الغريب من ليس له نسيب. بل الغريب من ليس له من الحق نصيب، السابق، ص ٨٠.^{٥٢٥}

بم التعلل؟ لا أهل ولا زمن ولا نديم ولا كأس ولا سكن

السابق، ص ٨١.

^{٥٢٦} «وأغرب الغرباء من صار غريباً في وطنه. وأبعد البعداء من كان بعيداً في محل قربه»، السابق، ص ٨١.

الغريب يهجره الناس ويزجرونه إذا ذكر الحق. يكذبون مصادره ويعذبونه لطهارته ورفض رشوايهم. لا يزوره أحد. يطول سفره دون مقام ويستمر بلاؤه دون ذنب. ويشتد ضرره ويعظم عناؤه. لا يسمعون قوله. ولا يلتفون حوله. يحرقه الأسى والأسف. لا يوسع له أحد إذا قبل. وإذا غاب لا يُسأل عنه. وإذا سأل لا يعطى. وإن سكت لا يبدأ بالكلام. وإذا مرض لا يعود أحد. وإن زار أحدًا رفض. وإذا استأذن لم يأذن له الحاجب. إذا نادى لا يجيبه أحد. وإذا هادى لا يُحب. الغريب كله حرقة، وبعضه فرقة. ليله أسف، ونهاره لهف، غذاؤه حزن، وعشاؤه سجن، وأراؤه ظنون. الغريب من يضطهده الناس ويستوحشون منه. هو الصوفي الذي يلبس الخرقة. هو من يخبر عن أنباء الغيب. يذكر الله متوكلاً عليه.^{٥٢٧} الغريب هو من يعيش عالماً آخر لا يعيشه الناس. وهو معنى الآخرة. وقد يغترب المرء من غير حاجة ولا فاقة بل قد يكون حكماً عليه من الناس حتى ولو كان غنياً.^{٥٢٨}

والتشاؤم تجربة حياتية ثالثة ومن أسباب عدم ثبات شيء: تولية ثم عزل، وجهاد دون نجاح، ونجاح دون جهاد.^{٥٢٩} لا دواء لليلة، ولا سبيل إلا اليأس والقنوط.^{٥٣٠} الفؤاد سقيم، والخطر عقيم. والبلاء شامل، والعناء حاصل. والصديق عدو، والألفة نفور، واليقظة نوم.^{٥٣١} الضلوع مملوءة بالأسى والحزن. والأرواح ذائبة بالحسرة واليأس. السلم حرب، والروح كرب، والمستقيم معوج، والوقت كدر، والزمان غبر، والراجي قانط، والصاعد هابط.

^{٥٢٧} السابق، ص ٨٢.

^{٥٢٨}

وإن اغتراب المرء من غير حاجة ولا فاقة يسمو بها لعجيب
وحسب امرئ ذلاً وإن أدرك الغنى ونال ثراء أن يقال غريب

^{٥٢٩}

لكل ولاية لا شك عزل وأمر الناس عقد ثم حل

السابق، ص ٤٠٦.

وطالب حاصد ما ليس يدركه ومُدرك ما تمنى غير مجتهد
لرب مدخر ما ليس آكله ومستعد ليوم ليس في العدد

السابق، ص ٤٠٧.

^{٥٣٠} «وأين الدواء، والعلقة هذا عضالها؟ اليأس، اليأس، القنوط، القنوط، الويل، الويل»، السابق، ص ١٥٧.
^{٥٣١} «كيف أتكلم والفؤاد سقيم؟ أم كيف أترنم والخطر عقيم؟ أم كيف أصبر والبلاء شامل؟ أم كيف أجزع والعناء حاصل؟ أم كيف آس بالصديق والصديق مداح؟ أم كيف أسلو عن الإلف والإلف متاح؟

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

ويترك ولاية الأمور، فلا أمل في التغير. ولم يبق إلا الثقة بالزمان. فربما يرحم الإنسان من يغبط. ويعجب بسوء الأثر ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.^{٥٢٢} ومن ضمن مآسي الوجود الاحتراق من أجل إنارة الطريق للآخرين.^{٥٢٣}

وتصور التجارب الذاتية أحداث العصر مثل التجارة بالدين.^{٥٢٤} وتخدير الفقراء بالوعود المستقبلية.^{٥٢٥} تحول الدين إلى رسوم وعمت الفحشاء، وفسد العلماء وفشا الجهل

أم كيف أثق بما نسمع من الخبر وقد كذبنني ما حقق بالعيان؟ أم كيف أسكن إلى الانتباه وقد أقلقه المنام؟ أم كيف أستريح إلى المنام وقد لعبت بي الأحلام؟»، السابق، ص ٣٠٥. «الضلوع مشوبة بالأسى والحزن، والأكباد متهربة بأنواع الآفات والسقم، والأرواح ذائبة بضروب الحسرة واليأس»، السابق، ص ٣٠٦ «فالسلم حرب، والروح في كرب، والمستقيم معوج، والخاطئ على الساحل ملتج، والوقت كدر، والزمان غبر، والراجي قانط، والصاعد هابط»، السابق، ص ٣٠٦.

٥٢٢

دع الدهر يجري بمقداره ويقضي عجائب أوطاره
ونم نومة عن ولاية الأمور وثق بالزمان وأدواره
لعلك ترحم ما قد غببطت وتعجب من سوء آثاره

السابق، ص ٤٠٧.

٥٢٣

صرت كأني ذبالة نصبت تضيء للناس وهي تحترق

السابق، ص ١٠٦.

وهو نفس معنى الأغنية الشهيرة لحسين السيد، وتلحين محمد عبد الوهاب «أنور شمعتي لغيري ونورها كاوية أحضاني».

^{٥٢٤} «حتى أصف لك تصاريف حالي ومتقلب أمري، وجميع ما يدل على سكري وشكواي، وراحتي وبلواي، مقيماً فيها ومقتدراً عليها، ومطلعاً على غامضها وواضحها، ومميز لثابتها من سانحها...»، السابق، ص ٦. «تسألني فيه عن حالي. وتستنطقني به عن ظاهري وباطني، وعن سري وعلانيتي، وعن سكوني وحركتي، وعن انتباهي ورقدتي، وعن قراري واضطرابي، وعن يقيني وارتياحي، وعن تقاعسي وانتصابي، وعن علي وأوصابي، وفي الجملة عن جميع أموري وأسبابي. وفهمته بالشرح والتفصيل على ما بي من بلائي وعذابي...»، السابق، ص ١٧، «وبقي الاستكمال بكل شارد وإن خفي على أهل العصر»، السابق، ص ٢٨.

^{٥٢٥} «يا تجار الآخرة أبشروا بالأرواح الفاخرة. يا مساكين الدنيا، ابشروا عند المولى بالغنى والمنى...»، السابق، ص ٤٤.

وظهر الغي وذكر اسم الله لغوا على الألسنة. فخوت القلوب من الفكر. وفقد الصدق.^{٥٣٦} وتتمثل التجارة بالدين في التجارة بالآخرة وارتهان الدين بالدنيا.^{٥٣٧} الوقت كدر، والأمر عكر، والحال قذر، والقول مكرر، والفعل منكر، والبناء مهتدم.^{٥٣٨} وليس الحل للجور إلى الله والهرب إليه بل تغيير الواقع ومقاومة عيوبه، والدخول في تحدياته.

ويظهر فساد العصر في سلوك الناس، شدة الطمع، سوء الرجاء، دون زهد أو محبة ولا خشوع ولا صدق ولا هداية ولا مشاهدة ولا استيقاظ ولا حسن معاملة. الظاهر أعبت من الباطن، والباطن أخبت من الظاهر. والإشارة أنكد من العبارة، والعبارة أفسد من الإشارة. والكل مستغيث من البعض، والبعض هارب من الكل. الليل يصبح من النهار، والنهار يبدأ من الليل. ثم ادعاء منازل الصادقين وضمان النبيين، وأسرار الملائكة المقربين، والاعتراض على أفعال رب العالمين. أذل هذا الزمان نجم الحق، واجتث أصل الخير. وغار ماء الإيمان، وانمحي رسم الدين، وتناسى الناس العرف، والتقوا على المنكر. وأصبح التعبير تقصيراً. شرف الله الأمة بالأمر والنهي فخافت. وعرض عليها النعيم فأبت.^{٥٣٩} والخطورة في ذلك عدم الرغبة في الإصلاح، والتسويق الذي يخالف العقل والشرع. وعاقبة ذلك الويل والثبور.^{٥٤٠} تجربة العصر أيضاً أنه زمن رديء. لا يوجد فيه ما يستحق العناء. فالعلم بلاء، والجهل عناء، والعمل رياء، والعقول داء، والسكوت هباء، والنظر عداء.^{٥٤١} هي تجربة التشاؤم التي شارك فيها المعري التوحيدي، وهما من نفس العصر. فإذا نظر الإنسان أصاب عينه القذى. ولم يجلب لنفسه سوى الأذى. لا يرحب به أحد. يُمضي أشرار الناس

^{٥٣٦} «أخلق الدين، وعمت الفحشاء، وأفسد العلماء، وفشا الجهل، وظهر الغي، وتكاشف الناس، وفقد الصدق، وغلب الجهل، وكثرت الجراءة، وصار ذكر الله لغواً على الألسنة، وقوت القلوب من الفكر بين السيئة والحسنة»، السابق، ص ١٤٦.

^{٥٣٧} «يا تجار الآخرة، أبشروا بالآرواح الفاخرة. لا تمهر الدنيا دينك فإن من مهر الدنيا دينه رفت إليه بالندم والسقم والألم»، السابق، ص ٢٥٠.

^{٥٣٨} «الوقت كدر، والأمر عكر، والحال قذر، والقول مكرر، والفعل منكر، والبناء مهور، والوجه وقح، والخلق رتح، والغفلة غالبية، والأحداث سالبة»، السابق، ص ١٤٨.

^{٥٣٩} السابق، ص ٢٠٧-٢٠٨.

^{٥٤٠} السابق، ص ٢١٣.

^{٥٤١} السابق، ص ٨٧. واسمع شجو لبيب كره المقام في هذه الدار التي قد امتلأت بالذئاب (وكما يقول

هوبز).

حكمهم على الأضعف. ويسيرون في الشر إلى أبعد حد بالرغم من قرب الخير. يقطعون مع من يصلهم. يعتبرون الحلم مهانة عند السخط. ويعلون على من تواضع معهم. يتراءون بالوعظ للهداية. ويشحذون السيوف للفتك بالناس. البعد عنهم سلام، والعزلة عنهم فضيلة. وصحية الحيوان أفضل من صحة الإنسان. فالإنسان أسوأ جنس خبيثًا ومقتًا وأذى.^{٥٤٢} وغاية الدهر إبرام منتقض أو نقض إبرام دون عدل أو قانون.^{٥٤٣} ومع ذلك لا يعاند الدهر إلا من له خطر.^{٥٤٤}

لا منجيات من العقل أو الشرع أو الوقوف على المقاصد من غير ريب أو شبهة. لم تعد بديهية أو فطرية أو مساعدة على الكمال.^{٥٤٥} والحل الجذري هو صفاء العمل بصحة

٥٤٢

نظرت فلم يعلق بعيني سوى القذى	وَجُلْتُ فلم أَجْلِبْ لنفسي سوى الأذى
ولم أر وجهًا مستحقًا لـ «مرحبًا»	ولا وجه أمر مستحقًا لـ «حبذا»
رأيت شرار الناس يمشون حكمهم	على الجانب الأدنى إلى الشر منفذا
ويسعون فيه نحو أبعد غاية	وإن كان وجه الخير أقرب مأخذا
وواصلتهم حتى سئمت فلم أجد	سوى هجرهم من وصلهم لي منفذا
يعدون عند السخط حلمي مهانة	ويسمون يوم الحفل عارضتي بذا
ويعلون من أرخى لهم من عنانه	بسوط، ويستخذون للمرء ذي الشذا
فقد ترك الوعظ اللبيب لأنه	إذا هُذِّقَ قول البر ظنوه قد هذا
وما يصنع العين السليم بشحذه	إذا لم يجد في جانب السيف مشحذا
فحد نائيًا عن سمتهم متحررًا	وسر بينهم من شرهم متعوذا
وعش هكذا طول الحياة فربما	سَلِمْتُ عن الأشرار إن عشت هكذا
وصل حيوان الأرض لا من ارتدى	على صورة الإنسان منها أو احتدى
فإن تبلَّ هذا الجنس تبلَّ أشدها	خبيئة أحقاد وأبلغها أذى

السابق، ص ٨٨-٨٩.

٥٤٣

هون عليك فإن الدهر غايته إبرام منتقض أو نقض منبرم

^{٥٤٤} «هل عاند الدهر إلا من له خطر؟»، السابق، ص ٤٠٥.

^{٥٤٥} «إن الجملة المأخوذة علينا المشوقة بالعقل والشرع إلينا: لوقوف على المقاصد بحقائقها من غير ريب يقدر، ولا شبهة تسنح. وقد سَلِمْتُ هذه الجملة في البديهية واستمرت لكنها خلقت في الرؤية واقشعرت

العلم، وصدق الخبر بتحقيق العيان، وفيض الحكمة بطول التجربة، وصدق الذكاء بسلامة الطبع، وجدوى العقل بصحة الفعل، وتحرر العبد بزوال الضرر، ويملك الإنسان بفخر الإحسان، والتحلي بالخير بعد التعري عن الشر، ووجود القناعة بعدم الحرص، وحصول الكمال بفقد النقص، ومعرفة السعادة بشقاء النحس، والهداية إلى المعروف بمعرفة المنكر، ومعرفة الحق بالتبري عن الخلق، وانتهاء الحرمان من الوجدان. ولن تهدأ النفوس قبل أن تتأثر من الزمان.^{٥٤٦} المعرفة بالتجربة حتى لو كانت يسيرة أو قصيرة وهي خبرة إنسانية مثل تجميع الهموم في آن واحدٍ وأثر ذلك على شحذ الطاقة.^{٥٤٧}

ولا يفهم القرآن بمجرد قواعد النحو والمبادئ العامة للغة وعلوم القرآن، المكي والمدني، المحكم والمتشابه، الظاهر والمؤول، المجمل والمبين، الأمر والنهي، الخاص والعام، العربي والأعجمي في اللفظ ... إلخ، بل بالموقف الأخلاقي للمفسر والصدق مع النفس.^{٥٤٨}

لأن البديهة تشبثت لحكم القول والتسليم للفطرة الحانية إليه، والعادة الثانية إليه، والكمال المرجو منه، والاحتياط الحاكم به». السابق، ص ٢٠٠-٢٠١.

^{٥٤٦} «لن يصفو العمل حتى يصح العلم. ولن يصدق الخبر حتى يتحقق البيان. ولن تفيض الحكمة حتى تطول التجربة. ولن يحمد الذكاء حتى يسلم الطبع. ولن يجدي القول حتى يتصل الفعل. ولن يُعتد الحر حتى يُزال عنه الضر. ولن يملك الإنسان حتى يُفخر بالإحسان. ولن يتحلّى بالخير حتى يتعري من الشر. ولن توجد القناعة حتى يُعدم الحرص. ولن يؤلف الكمال حتى يُرفض النقص. ولن يعرف حلو السعادة حتى يذاق مر النحس. ولن يُهتدى إلى المعروف حتى يُضل عن المنكر، ومن يُعرف الحق حتى يتبرأ عن جميع الخلق. ولن تُسكن طرق الحرمان حتى يُتمكن من برد الوجدان. ولن تنقطع سلسلة الهمدان حتى يدرك الثأر من الزمان»، السابق، ص ٢٠١.

^{٥٤٧} «وهذا واضح عند من له خبرة يسيرة وتجربة قصيرة. أعني أن الإنسان يعلم بأدنى تماسك يرجع إليه وأقل سبب من التمييز يتعلق به، أن الهم الأكبر إذا كان واحداً تلاحقت به القوى، وساعد على رفده النهي ...»، السابق، ص ٢٤٦.

^{٥٤٨} «والعجب أيها العالم الفقيه، والأديب النحوي تتكلم في إعرابه وغريبه، وتأويله وتنزيله، وقصته وشأنه، وكيف ورد، وبأي شيء تعلق، وكيف حكمه فيما خص ودعم، ودل وشمل، وكيف وجهه، وكيف ظاهره وبطنه، ومشتمله ورمزه، وماذا أوله وآخره، وأين صدره وعجزه وكنايته وإفصاحه، وكيف حلاله وحرامه، وبلغته ونظامه، وغايته ودرجته ومقامه، ومن قرأ بحرف كذا وبحرف كذا ثم لا تجد في شيء مما ذكر شك به ووصفتك فيه ذرة تدل على صفاتك في حالك، وإدراكك ما لك. بل لا تعرف حلاوة حرف منها. ولا تزال موجوداً فيما دعيت إليه أوساطها ونواحيها، فعلمك كله لفظ، وروايتك حفظ، وعملك كله رفض. وتبرعك كله نقص. ودعواك كلها وقاحة. وخُلقك كله وقاحة، وسرك كله خبيث، وسيرك في الباطل حثيث، وجهرك نفاق، وباطنك شقاق، وذكرك حيلة، وسكوتك غيلة. ومعاملتك افتلاس، وأمانيك أدران

(٦) الوعي التاريخي بالآخر

وهو الوعي بأداب الشيخ والمريد، الوعي الجماعي القائم على الوعي المتبادل كموضوع مستقل وليس كباب أو فصل أو كتاب.^{٥٤٩} فالآخر جزء من التاريخ لأنه فرد في جماعة. والتاريخ تاريخ فردي وجماعي. هذا الوعي بالآخر هو الذي سيتضخم في الوعي العملي بعد القرن السابع الهجري ونهاية الوعي النظري، عندما يتحول التصوف من علم إلى طريق، ومن نظر إلى عمل، ومن رؤية إلى طريقة.

(أ) رسائل المحاسبي (٢٤٣هـ)

(١) «رسالة في التصوف»^{٥٥٠}

وفي «رسالة التصوف» يصل المحاسبي إلى ذروة التنظير العقلي والتحليل النفسي فلا يعتمد على أي دليل نقلي من قرآن أو حديث.^{٥٥١} والموضوع موجود في التنزيل إلا أنه يمكن التعرف عليه بتحليل التجارب النفسية.^{٥٥٢} وموضوعه المراقبة وهو الطريق إلى الاستعانة على النفس وإحراز الدين ونيل الحياء. وهو باب المعرفة^{٥٥٣} وتدل على وعي تاريخي نظري بالتصوف كموضوع أمري وليس كموضوع بحثي. وهي على درجة عالية من التنظير. لا تعتمد على أي دليل نقلي من قرآن أو حديث نبوي أو قدسي أو أي شاهد شعري. بل تعتمد فقط على تحليل التجارب النفسية. وهي رسالة صغيرة تقوم على القسمة.^{٥٥٤} خطابها أخلاقي أمري يصل إلى درجة السذاجة والتربية الوعظية لإصلاح النفس بعد أن صعب إصلاح العالم.

وأدناس، ووعظك خديعة. وانقطاعك ريح، وبغضك غثاء، وكلك هباء، وعبادتك رياء، وحضورك غيبة، وآخر أمرك غيبة كأنه ليس لك إلى الله أوبة لأنك بنيت أمرك كله على المكر والقليلة وعلى الغش والمكيدة، وعلى الهوى والملومة، وعلى الخاسة والنجاسة، وعلى الجهالة والنذالة، وعلى طلب العاجلة دون الآجلة...» السابق، ص ٣٩-٤٠.

^{٥٤٩} الرعاية لحقوق الله، ص ٦٠٨-٦٢٧، رسالة في التصوف، آداب السالكين، ص ١٨٢-١٨٦.

^{٥٥٠} المحاسبي، رسالة في التصوف، دار المروة، القاهرة، ١٩٩٦م.

^{٥٥١} المحاسبي: رسالة التصوف، ص ١٢٩-١٨٦.

^{٥٥٢} السابق، ص ١٢٩.

^{٥٥٣} السابق، ص ٢٩.

^{٥٥٤} تسبقه مقدمات طويلة (ص أ-ط، ١-١٢٨) لغرض الترقية لأساتذة الجامعات.

البداية بالمعرفة، الجدل بين الله وإبليس، والعمل لله، والنفس أماراة بالسوء.^{٥٥} ويحذر من خداع النفس. كما يحذر من خصال عشر أقرب إلى الرذائل منها إلى الفضائل باستثناء العاشرة، وأقرب إلى النواهي منها إلى الأوامر.^{٥٦}

وتتوالى القسمات لمراتب العباد بين محبوس ومخدوع ومضبوط، وللمخاوف بين العبد والبار والخائف من جهنم. وللناس في الأثرة بين مؤثر قوي ومؤثر محتاج. وفي الذكر باللسان أو باللسان والقلب، وفي الشكر بين طلب الزيادة والرضا وفي الفريضة مع هموم الدنيا أو الخوف أو فساد المحاسبة. وفي وزن البر بين معرفة الفضل أو القطيعة مع الدنيا. وفي عمل الليل والنهار بين غانم سالم للطاعة أو شاحب للمعاصي أو سالب للنوم.^{٥٧} وتنتهي الرسالة بأداب المريدين مثل «الرعاية لحقوق الله».^{٥٨}

وتتمثل حقوق الغير في الالتزام بالتقوى. فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمن الناس بوائقه. فالتقوى ليست فقط واجباً ذاتياً بل تتعلق بحقوق الغير. هي أخلاق اجتماعية تتعلق بموضوع وليس فقط نية صالحة.^{٥٩} والانشغال بإصلاح النفس قبل إصلاح الآخر بداية العلاقة بين الأنا والآخر.^{٦٠} ورعاية حق الجار والمسكين والقريب، والرفق بما ملك اليمين. وبذل النصيحة لله وللمؤمنين والتشاور مع الذين يخشون

^{٥٥} «ما استعان أحد على نفسه وأحرز دينه بمثل المراقبة. وبه نالوا الحياء من الله تبارك وتعالى. وهي باب المعرفة»، رسالة في التصوف، ص ١١٩.

^{٥٦} وهي الحلف بالله صدقاً وكذباً، الكذب جدّاً أو هزلاً، خلف الوعد، لعن خلق الله، الدعوة على أحد من الخلق، القطع بالشرك أو التكفير لأحد، النظر والغمز واللمز، الاحتياج إلى أحد، الطمع فيما بأيدي الأدميين، استكمال البر والمعرفة والعز من الله والخلق، السابق، ص ١٥٦-١٦٦.

^{٥٧} السابق، ص ١٧٥-١٨٢.

^{٥٨} السابق، ص ١٨٢-١٨٦.

^{٥٩} مثال ذلك ألا يتعرض الإنسان لما لا يعنيه، ولا يتكلف فوق ما لا يكفيه، ولا يأخذ أكثر مما يحتاج إليه، ولا يدع ما وكل إليه حفظه. يرتاح معه الناس وهو في نفسه تعب. أفات الورع حرصه، والفضول بلاء. والاشتغال بإصلاح الحال، ومراعاة هم الذات، السابق، ص ٤٦.

^{٦٠} وذلك يتطلب إقلال الحوائج من الناس، ومخالقتهم بخلق حسن، والحب للناس ما يحبه الإنسان لنفسه، ويكره ما يكرهه لنفسه، ولا تكشف عورات الناس، وحسن الأدب في المخالطة، تأديب الأهل، عدم الغضب للنفس على الناس بل لله على النفس، عدم مكافأة أحد بإساءة، والعفو عن ظلم، وإعطاء من حرم، ووصل في الله من قطع، وبذل النفس والمال في سبيل الإخوان، والرحمة بالمؤمنين، والإشفاق بالناس بعد أن يسلم الدين، والحذر من المراهنة، ورعاية حقوق المولى في الدين، وتنزيه ذكر الله عن إضافة

الله يدل على أن الأبعاد الأربعة للمسترشد متداخلة، الذات والآخر، والعالم والله.^{٥٦١} ويجوز للإنسان أن يحب حب الناس له ليس على طاعة بعينها ولكن على أفعال غير محدودة عندهم، وفي المقابل يجوز إذا اطلع الناس على بعض ذنوب الفرد أن يغتم فالغم طبيعي في البشر، ومعظم النصائح سلبية أكثر منها إيجابية، بالنهي أكثر منها بالأمر.^{٥٦٢}

المكاره، وعدم تعظيم فعل المعروف، أو تحقيق صغير من المنكر، السابق، ص ٥٠-٥١، ١٣٠، ١٣٥-١٣٦، ١٣٨، ١٤٠-١٤٣، ١٥١، ١٦٤-١٦٥.

^{٥٦١} فالنصيحة لله وللمؤمنين وللأئمة والعامّة في نفس الوقت، والنصيحة علامة على الحب، والمراعاة علامة على الغش، وقبول النصيحة من علامات الأخوة، وأصل الطريق هو الالتزام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالصدق وتقديم العلم على حظوظ النفس والاستغناء بالله عن جميع خلقه، وبذل الجهد عند المشورة، ومشاورة من يخشون الله، وعدم مصادقة إلا الأتقياء العلماء، وعدم مخالطة إلا العقلاء ذوي البصيرة، والاقتداء بالأئمة السابقين والتعليم للأئمة القادمين، وعدم نشر الحديث عند من لا يريده، وعدم عرض الدين لمن يبغضه، وعدم مخاطبة بالعلم ما يتجاوز العقول، وعدم الحياء بعدم العلم أفضل من القول فيما لا يعلم، عدم التعرض لبلاء فوق الطاعة، إكرام النفس حين إهانتها، وتنزيه الهمة عند دناءة الأخلاق. عدم مؤاخاة إلا الأمناء، وعدم إبداء الأسرار لكل الناس، وعدم مجاوزة المرء حاله، وعدم الدخول في أمر لم يدع إليه الإنسان. توقير مجالس العلماء، ومعرفة قدر الحكماء، والإعراض عن الجهال، والطمع عن السفهاء، ونصرة الأخ المظلوم، ورد الأخ الظالم، وإعطاء الأخ حقه وعدم مطالبته بحق النفس، وعدم ترك المكافأة والصنائع، والتيسير على الغريم، والرفق بالأرملة واليتيم، وإكرام الصابرين من الفقراء، والرحمة لأهل البلاء من الأغنياء، وعدم حسد أحد على نعمة. وغلق باب الطمع بالإياس، واستفتاح باب الغنى بالقناعة وتنزيه ذكر الله عن إضافة المكاره، وتسفيه حق الناس سم قاتل. وعدم ذكر أحد بغيبة، وعدم الظن بأحد سوء المسألة وفتح باب حسن الظن بسعة التأويل. واعتزال خوف السقوط من أعز الناس خوفاً من مقتهم، والحدز من أخلاق الجاهلين ومجالسة المذنبين ودعوى المعجبين ورجاء المفترين ويأس القانطين، السابق، ص ٧٠-٧١، ١٠٠-١٠١، ١٣١-١٣٣، ١٥٢.

^{٥٦٢} باب ما يجوز للعبد من حبه لمحبة الناس له، السابق، ص ٣١٩-٣٢٠، باب ما يصح للعبد من غمه عندما يظهر للخلق من ذنوبه، السابق، ص ٣٢١-٣٢٢، باب في ستر المعاصي عن العباد وإن اطلع الله عليها، السابق، ص ٣٢٣، باب ما يستحب فيه الحياء وما يكره فيه، السابق ص ٣٢٤-٣٢٨، باب من أين ينبغي للعبد أن يكره ذم المسلم له ومن أين لا يكرهه؟ السابق، ص ٣٢٩-٣٣٢، كيف يكون قلب الصادق عند كراهية المنزلة عند المخلوقين وحبه لاحتمال ذكره، السابق، ص ٣٣٣-٣٣٥، باب استواء الحمد والذم في قلب العبد، والفرق بين حبه لنفسه ولربه عز وجل، السابق، ص ٣٣٦-٣٣٩، باب في الرياء للوالدين ليرضيا وللعلماء ليستفيد به علماً، السابق، ص ٣٤٠-٣٤١، باب الرجل يحضر القوم يصلون، فتحضره نية للعمل وإن لم يكن يفعل ذلك في خلوة أو يكون فلا يجد إلا البكاء، السابق، ص ٣٤٢-٣٤٩، فصل فيما ينفي به التصنع للمخلوقين في التصنع والحزن، السابق، ص ٣٥٠-٣٥٣،

الإخوان ومعرفة النفس.^{٥٦٣} وهي التجربة المشتركة بين الأنا والآخر وقد يبدأ الإنسان بالتوبة ويرجع عنها دون الحرص على التقوى، ومخالفة الهوى والشهوة.^{٥٦٤} ويرجع ذلك إلى ضعف الخوف وقلة الحذر. ويدخل مع الآخرين في علاقة مشتركة وهو يعلم أنه قد يخالفهم بشرط ألا يعصي الله. والأفضل أن تكون التجربة المشتركة مع الأخوة في الله.^{٥٦٥} ويسبق تطهير الذات الأهواء تمسكها بالفضائل لذلك أصبح أحد تعريفات التصوف التخلي عن الأوصاف الدنية وهي الانفعالات والأهواء، والتحلي بالأوصاف السنية وهي المقامات.^{٥٦٦}

باب ما قالوا في علامة صدق الخاشع لله عز وجل إذا رmqته أيضاً العباد، السابق، ص ٣٥٤-٣٥٨، باب الرجل يكون له صاحبان أحدهما غني والآخر فقير، فيكثر زيارة الغني وبره دون الفقير، كيف السلامة من ذلك له، ومن أين فساد، السابق، ص ٣٥٦-٣٥٧. وذلك مثل: ستر معاصي الإنسان أفضل من كشفها للآخرين بالرغم من اطلاع الله عليها، ويستحب الحياء ويكره في أفعال معينة إلا أن الحياء كله خير وهو غريزة كريمة من الله ولا صلة له بالرياء، ويكره للإنسان ذم المسلمين له. وإن كرهه فلربما لزم الله له أو إشفاقاً عليهم أن يعصوا الله فيه، وقد تكون نفس الصادق سخية عند كراهية المنزلة عند المخلوقين وحبو لاحتمال ذكره، والزهد في حمد الناس له، وقد يستوي الحمد والذم في قلب الإنسان إذا ما قام بواجبه مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يجوز رياء الوالدين بل طلب الرضا والعفو لهما. ولا يجوز رياء العلماء للاستفادة من علمهم بل تقوى الله، وإذا حضر إنسان قومًا يصلون فحضرتة نية المشاركة وإن كان في خلوته لا يجد إلا البكاء فإن صلاته تكون صدقًا لأن العمل متواصل بين الناس أو بلغة العصر هو «عمل تواصلي» إلا إذا كان متصنعًا إحراجًا أو تخوفًا، وهو نفس حال المخلوقين أو أصحاب اللحي في التصنع، علامة صدق الخاشع أنه لا يتغير حتى ولو رmqته كل أنظار العباد، ولا يجوز زيارة صديق غني وبره أكثر من زيارة فقير وبره.

^{٥٦٣} الرعاية لحقوق الله، ص ٣٦٠-٣٨١.

^{٥٦٤} باب في العبد يعزم على التوبة تم يرجع وما الذي يقويه ويعينه على التقوى ومخالفة الهوى والشهوة، السابق، ص ٣٦٠-٣٦٤.

^{٥٦٥} والناس أربعة رجال: غير معروف أو معروف ولا يصاحب، ومبتدع، وفاسق، ومستور مصاحب. المبتدع والفاسق لا يصاحبان، وغير المعروف لا يصاحب. إنما القضية في الصاحب المشكوك فيه وهو لا يصاحب ويستعان على ترك الإخوان الذين يخشى منهم على سلامة الدين بالاعتناء بالدين بالتفكر فيه والتذكر له. وهو ميراث الورع، باب الرجل يخرج في الحاجة أو يجالس بعض إخوانهم ممن يدعي أخوتهم في الله عز وجل وهو يعلم أنه لا يسلم له دينه منهم، السابق، ص ٣٦٥-٣٧٢.

^{٥٦٦} وذلك يتطلب دفع الحسد بقصر الأمل ونفي الكبر باستبطان الغر، وترك كل فعل يضطر إلى اعتذار ومجانبة كل حال يؤدي إلى التكلف، وصعوبة الدين بالافتداء، وحفظ الأمانة بطلب العلم، وتحصين

(٢) «رسالة المسترشدين»^{٥٦٧}

وهي رسالة مبكرة في آداب الشيخ والمريد. وهو الموضوع الطاعني في المرحلة الرابعة للتصوف كتاريخ وهو التصوف العملي والتصوف كطريق وهو الوعي العملي وقبل تكوين الطرق الصوفية. ويتطرق فقط لطريق واحد وهو المسترشد أي المريد. ويعتمد على الحديث قبل القرآن دون الشعر.^{٥٦٨} ويظهر التراكم التاريخي في ذكر أربعة أعلام.^{٥٦٩} ويغلب على الفقرات كلها أسلوب الأمر والنهي مثل «اعلم»، «احذر»، «الزم» ... إلخ، في أربعة وثلاثين فعل أمر.^{٥٧٠} والأمر وهو الأغلب، وثمانية أفعال نهي وهي الأقل.^{٥٧١} وتتنوع الأفعال الأمرية بين العلم والفحص من أفعال المعرفة، والمحاسبة والمراقبة والاحذر والكتمان من أفعال القلب، والالتزام والعمل والوقوف والمراعاة والاستعمال والطلب والاستعانة والاستجلاب والأداء والتحصيل والتنازل، من أجل الفصل والرضا والتواضع والبذل والإيثار والعفو والرعاية والوقار والنصرة من مجموع الفضائل. وبعض الفقرات إخبارية للعلم وليست أمرية للعمل وهي الأقل. والأسلوب هو أسلوب القول «فإن قال قائل».^{٥٧٢} وتبدأ الفضائل والمقامات في الظهور مثل الصدق والصبر والقناعة والزهد والأنس والرضا والإخلاص واليقين والخوف والمحبة والمراقبة.^{٥٧٣}

العقل بآداب الحلم، والصبر لكل موطن، والخلو بالذكر، والنعم بالشكر، واعتزال الهوى والاستعانة على قصر الأمل بذكر الموت ومعقلة الحياء، ومعلومة الورع، مشاهدة الثقة، ومن ألف هواه قل أدبه. السابق، ص ٨٩، ١٠٢، ١٠٤، ١١١، ١٣١.

^{٥٦٧} دار السلام، القاهرة، ط ٥، ١٩٨٨ م/١٤٠٩ هـ.

^{٥٦٨} الأحاديث (٩٢)، الآيات (٨٦).

^{٥٦٩} هم: أبو زر، داود الطائي، القاسم بن محمد، علي بن أبي طالب.

^{٥٧٠} اعلم (٢٤)، احذر (٦)، الزم (٣).

^{٥٧١} الأمر مثل: افحص، حاسب، راقب، قف، راع، استعمل، ارض، كن بالحق متواضعًا، آثر، اعمل، رم، قيد، استعن، احذر، استجلب، اطلب، اكتم، اعف، أد، خالق، وقّر، أبصر، حصّل، تنازل، ابدل، خذ، اطلب ... إلخ. والنهي مثل: لا تشك، لا تخالط، لا تصح، لا تموتن، لا تكثر، لا تنتشر، لا تذكر، لا تظهرن.

^{٥٧٢} رسالة المسترشدين، ص ١٢٣.

^{٥٧٣} السابق، ص ١٧٠-١٨١.

(٧) الوعي التاريخي الرأسي

ويعني الوعي التاريخي المنعرج، الصاعد إلى أعلى ابتداء من التوبة المقام الأول، هروباً من العالم الذي تكالب عليه الناس، وترك الدنيا بمن فيها على من فيها. هو بداية التصوف كطريق إلى الله، والهروب إلى أعلى كما هو الحال في التصوف مثل الهروب إلى النص كما هو الحال في الفقه عند أحمد بن حنبل، كرد فعل على الانغماس في العالم عند الحكام وأصحاب السلطة وعند المتكلمين وجدل العقائد.

(أ) رسائل المحاسبي (٢٤٣هـ)

واضح حضور المحاسبي خلال مراحل تشكل الوعي التاريخي الأخلاقي، برسائل ست.^{٥٧٤} وهو حاضر ثانياً في الوعي التاريخي المعرفي برسالتين.^{٥٧٥} وهو حاضر ثالثاً في الوعي التاريخي بالآخر برسالتين.^{٥٧٦} وهو حاضر رابعاً في الوعي التاريخي الرأسي برسالتين.^{٥٧٧} وهو حاضر أخيراً في الوعي التاريخي المغترب (الأخروي) برسالتين كذلك.^{٥٧٨}

(١) «التوبة بدأ من أناب إلى الله»^{٥٧٩}

ويدل العنوان الثاني على بداية الاغتراب في الوعي التاريخي، الاتجاه إلى أعلى. والتوبة أول مقام في الطريق الصوفي، من العالم إلى النفس، ومن النفس إلى الله. ويقل الاعتماد على الأدلة النقلية. يحضر القرآن، ويغيب الحديث والشعر.^{٥٨٠} ويزيد التنظير العقلي. ويستعمل أسلوب السؤال والجواب، «قال ... قلت ...»، أسلوب الشيخ والمريد مثل أحكام السؤال

^{٥٧٤} هي: (١) المسائل في الزهد، (٢) فهم الصلاة، (٣) المسائل في أعمال القلوب والجوارح، (٤) المكاسب،

(٥) الرعاية لحقوق الله، (٦) الوصايا.

^{٥٧٥} هما: (١) رسالة العقل، (٢) كتاب العلم.

^{٥٧٦} هما: (١) رسالة في التصوف، (٢) رسالة المسترشدين.

^{٥٧٧} هما: (١) التوبة، (٢) القصد والرجوع إلى الله.

^{٥٧٨} هما: (١) التوهم، (٢) البعث والتشور.

^{٥٧٩} دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٧٧م/١٣٩٧هـ.

^{٥٨٠} الآيات (٣).

والجواب في أصول الفقه، بين المفتي والمستفتي.^{٥٨١} فالكتاب إجابة على سؤال عن بدء الإنابة إلى الله؟ والجواب: بمعرفة الله وتهذيب النفس الأمارة بالسوء، والعزم على تأديبها بالوعظ والتركيز، وعزل النفس عن مواطن المعصية وإدمان معائبها وتخويفها بالرغم من رفضها مفارقة الشهوات، وعلاجها بالصوم والجوع والتذكير. وحنينها إلى بعض الشهوات دون بعض يسمح بوضع عقوبات مشروعة للنفس. بداية الهداية وصنع النفس بين الشدة والتخفيف في العقوبة، وتسليم النفس قيادتها إلى الله. وتجاوز خداع النفس إلى الحنين إلى الشرف بين الناس دون توهم فضلها عليهم، والاطمئنان على صدق اعتقاداتها واصطفائها. ودلائل الصدق في التوبة الجد في الطاعة والحزن والخوف وسقوط الكلفة والعلم بطريق التوبة، والرجاء والشكر والخوف، ومعرفة عزة مقام التائبين، ودلائل صدق الشاكرين.

(٢) «القصد والرجوع إلى الله»^{٥٨٢}

وهو نفس موضوع «الإنابة» بداية من التوبة لسلوك الطريق الرأسي صعوداً إلى أعلى، من العالم إلى النفس ارتداداً، ومن النفس إلى الله ارتفاعاً.^{٥٨٣} تعتمد على القرآن أكثر من الحديث لدرجة الضعف. ويكاد يختفي الشعر.^{٥٨٤} كما تعتمد على التحليل العقلي، وتحليل التجارب تأكيداً على العقل العملي، واستعمال أسلوب «قال ... قلت» رداً على سؤال.^{٥٨٥} وتضم الرسالة أربعاً وثلاثين مسألة متنوعة تعود كلها إلى الله. أولها التوبة والفترة ومحاسبة النفس ودفع الهوى عن الضمائر والقلوب ومخالفة العدو ودفع نزعاته.^{٥٨٦} ثم يأتي موضوع الزهد وما يفسده وأثره في الحياة، والزهد فيما لدى الناس وما يتبعه ورع، والابتعاد عن الدنيا، ثم الرذائل مثل الرياء والإعجاب والفرح بالعمل، ثم الفضائل مثل الصدق والإخلاص والحياء، ثم المقامات مثل الشكر والصبر والرضا والمحبة، ثم الأحوال مثل الحزن والخوف، ثم

^{٥٨١} من النص إلى الواقع، ج٢، بنية النص، الباب الثاني: الوعي النظري، ص ٤٧١-٤٧٩.

^{٥٨٢} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م/١٤٢٤هـ، ص ٢٠٥-١٤١.

^{٥٨٣} القصد والرجوع إلى الله، ص ١٤٣.

^{٥٨٤} الآيات (٣٧)، الأحاديث (١٦)، الشعر (١).

^{٥٨٥} القصد والرجوع إلى الله، في بيان العقل وصفته، ص ١٦٢-١٦٣.

^{٥٨٦} «فهذه مسائل في المعرفة، وعلم طريق الآخرة، والقصد والرجوع إلى الله تعالى حيث أراد الله»،

السابق، ص ١٤٢.

أولاً: تشكل الوعي التاريخي

المعرفة على قلوب العارفين والاعتبار والحكمة. وشروط ذلك كله طهارة القلب وحديث النفس ومراقبتها وترك الريب والشبهة.

(ب) «كتاب الصدق» لأبي سعيد الخراز (٢٧٧ / ٢٧٩هـ)^{٥٨٧}

وتتحول الأخلاق الصوفية تدريجياً إلى المقامات والأحوال، من أعمال الجوارح إلى أعمال القلوب، ومن الشريعة إلى الطريقة، ومن الخارج إلى الداخل مثل «الطريق إلى الله» أو كتاب «الصدق» لأبي سعيد الخراز (ت ٢٩٩هـ).

ومنهج التأليف هو تجميع الآيات والأحاديث حول موضوع واحد وهو «الصدق» كما هو الحال في التفسير الموضوعي. والآيات أكثر من الأحاديث.^{٥٨٨} ثم تأتي الآثار، أقوال الصحابة والتابعين والزهاد والعباد والصوفية الأوائل. ويضم إليها بعض الخطب وبعض الحكايات التاريخية أو الرمزية.

والصدق هو الخيط الذي يربط باقي الفضائل التي تتحول فيما بعد إلى مقامات وأحوال مثل: الإخلاص، الصبر، الورع، الحلال، الزهد، الخوف، الحياء، المحبة، الرضا، التوكل، الأنس أو في موضوعات عامة مثل معرفة النفس، ومعرفة إبليس.

ونظراً لأن التأليف لم ينتظم بعد في أبواب وفصول فإن تحديد معاني «الصدق» لم يأت في البداية بل بعد الصدق في الإخلاص والصبر. وفي الحديث، المتن أهم من السند. فلا تهم الرواية بقدر الموضوع. وهو ما اعتمد عليه الغزالي في «الإحياء» فيما بعد باستعمال الأحاديث الضعيفة السند ما دام المتن متفقاً مع هواه. ويكتفي بالقول «يروى أن» أو «يروى في الحديث». ولا حرج من استعمال المرويات عن الشياطين.^{٥٨٩} ولا حرج أيضاً من استعمال الإسرائيليات وما روي عن سليمان وداود وعيسى.^{٥٩٠} وقد تُرى حوارات من مظاهر للطبيعة مثل الريح.^{٥٩١} ويروى عن جبريل حواراته مع الرسول.^{٥٩٢} وتكثر الأحاديث

^{٥٨٧} دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٩٧٥م.

^{٥٨٨} الآيات (٨٨)، الأحاديث (٦١).

^{٥٨٩} الخراز: الطريق إلى الله أو كتاب الصدق، ص ٢٩، ٨٠.

^{٥٩٠} السابق، ص ٣٤-٣٥، ٤٣، ٦٠-٦١.

^{٥٩١} السابق، ص ٣٥.

^{٥٩٢} السابق، ص ٣٦، ٦٢، ٦٩، ٩٠-٩٤.

القدسية تساعد على نسج الخيال. وقد تكثر الشواهد النقلية بدافع البرهان بحجة السلطة خاصة في غياب الحجج العقلية. وتستعمل بعض الحكايات عن سلوك الصحابة والتابعين والزهاد والصوفية الأوائل.

والتأليف بناء على سؤال المؤلف أحد العلماء عن معنى الصدق أشبه بصيغ الفتاوى الشرعية والتي استمرت حتى ابن رشد في «فصل المقال». والإجابة على العموم والخصوص، في الأصول والفروع.^{٥٩٣} وهو سؤال تربوي وليس سؤالاً نظرياً، للمريد وليس للشيخ. إذ لا بد أن يعرف المريد ثلاثة أشياء: الإخلاص والصدق والصبر. وهي متداخلة المعاني. فالإخلاص لا يتم إلا بالصدق والصبر عليه. والصبر لا يتم إلا بالصدق والإخلاص فيه. والصدق لا يتم إلا بالصبر والإخلاص فيه.^{٥٩٤} ويستمر أسلوب التساؤل والاعتراض أو الاستفسار.^{٥٩٥} وفي النهاية تتوجه الرسالة إلى المريد.^{٥٩٦}

والصدق من الفضائل الخلقية عند الصوفية قبل أن يصبح عند البعض مقاماً. وهو بداية الطريق إلى الله. وهو عنوان مرادف، مثل مقام التوبة عند المحاسبي ومجموع الصوفية. والمؤلف هو الشيخ العارف لقب منه أم من الصوفية بعده.^{٥٩٧} ويعتمد على القرآن ثم الحديث دون الشعر.^{٥٩٨} الآيات كلها حول موضوع واحد مثل «الصدق». وهو بداية التفسير الموضوعي للقرآن. وتذكر المعاني المختلفة للآيات وتتداخل المصطلحات. وتتوالى الآيات في دفعات.^{٥٩٩} ويسقط السند لصالح المتن. وإذا ذكر فعلى وجه العموم مثل «وفي الخبر».^{٦٠٠} وتتكرر الأحاديث.^{٦٠١} ويصل الأمر إلى رواية أحاديث الرسول مع جبريل ومع الشيطان.^{٦٠٢} وتُروى بعض الإسرائيليات من أحاديث سليمان وموسى وعيسى وآيات من

^{٥٩٣} السابق، ص ١٣.

^{٥٩٤} السابق، ص ١٥.

^{٥٩٥} السابق، ص ٢٣.

^{٥٩٦} السابق، ص ٨٩.

^{٥٩٧} كتاب الصدق، ص ٩٤.

^{٥٩٨} الآيات (٨٦)، الأحاديث (٦١)، القدسية (٢).

^{٥٩٩} كتاب الصدق، ص ١٤-١٥، ٢٢.

^{٦٠٠} السابق، ٨٢.

^{٦٠١} السابق، ص ٤٢.

^{٦٠٢} السابق، ص ٢٩، ٣٦، ٦٩.

أولاً: تشكل الوعي التاريخي

الكتب المقدسة السابقة.^{٦٠٣} ويستشهد بأقوال الصوفية مثل الفضيل بن عياض وسفيان الثوري، ويطلق عليهم لفظ الحكماء وبيعض الصحابة مثل علي والحسن وبعض التابعين مثل ابن سيرين. وتستعمل بعض الحكايات عن بعض الخلفاء مثل عمر بن عبد العزيز أو بعض الحكايات الرمزية مثل الحوار مع إبليس. والأسلوب سؤال وجواب كما هو الحال في المفتي والمستفتي في أصول الفقه مع أفعال القول.^{٦٠٤} والخطاب موجه إلى القارئ «أما علمت أيها المرید؟»^{٦٠٥}

وتنتهي الأقسام بلازمة «وبالله التوفيق».^{٦٠٦}

والصدق هو الموضوع الأول الذي يبدأ من الطريق إلى الله. لا يتضمن فصولاً أو أبواباً بل مجموعة من الأقسام.^{٦٠٧} تبدأ بمعاني الصدق المختلفة. ثم الصدق في بعض الفضائل الأخلاقية مثل الإخلاص والورع والحياء.^{٦٠٨} ثم يتجلى في بعض المقامات مثل الصبر والزهد والتوكل والرضا والمحبة وما يتعلق بها من شوق.^{٦٠٩} ثم يظهر في بعض الأحوال مثل الخوف والأنس.^{٦١٠} وهناك صدق في المعرفة مثل الصدق في معرفة النفس والقيام عليها، وفي معرفة العدو إبليس، وفي معرفة نعم الله.^{٦١١} وهناك الصدق في الفقه مثل الصدق في الحلل الصافي.^{٦١٢}

(٨) الوعي التاريخي المغترب (الأخروي)

ويعني ذلك تجاوز الوعي التاريخي بالعالم إلى ما وراء العالم، من الدنيا إلى الآخرة. وهي بداية الوعي الصوفي ونهايته. بل إنه يزيد في النهاية عن البداية. ويصبح موضوعاً مستقلاً

^{٦٠٣} السابق، ص ٣٤-٣٥، ٤٣، ٦٠-٦١، ٩٠-٩١.

^{٦٠٤} السابق، ص ١٣.

^{٦٠٥} السابق، ص ٨٦.

^{٦٠٦} السابق، ص ٣٩، ٦٣، ٦٩، ٨٦، ٨٩، ٩٢، ٩٤.

^{٦٠٧} وهي ستة وعشرون قسمًا.

^{٦٠٨} كتاب الصدق، ص ١٧-١٩، ٢٩-٣١، ٥٥-٥٧.

^{٦٠٩} السابق، ص ١٩-٢٢، ٤٠-٥٣، ٦٠-٦٩.

^{٦١٠} السابق، ص ٥٤-٥٥، ٦٩-٩٤.

^{٦١١} السابق، ص ٢٥-٢٩، ٥٨-٦٠.

^{٦١٢} السابق، ص ٣١-٣٩.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

يلتقي فيه الحديث والفقه والكلام والتصوف «في أحوال الموتى والآخرة». ويسمى أيضًا الوعي المغترب أي الذي خرج عن العالم إلى عالم آخر.

(أ) رسائل المحاسبي (٢٤٣هـ):

والعجيب أن من يركز على الوعي الخلقي في معظم أعماله إلى درجة اعتباره المؤسس الأول للأخلاق الصوفية هو الذي يبدأ أيضًا بالوعي المغترب في الأخرويات؛ لأن الأخلاق لم تقم على الحسن والقبح في ذاتها عند المعتزلة بل على النظرية الأشعرية في ارتهان الأخلاق بالإرادة الإلهية. لذلك همش المعتزلة لصالح الأشعرية المركزية.

(١) «التوهم»^{٦١٣}

ويقوم على توهم الموت واستباقه والاستعداد له عن طريق الخيال. وهو فتح لعالم التصوف الجديد الذي اكتمل في «الفتوحات» عند ابن عربي في «الخيال الخلاق». يعني التوهم التصور والتخيل والافتراض. فالتصوف كله توهم في المقدمات وفي النتائج، وفتح آفاق جديدة للنفس بعد أن انسدت آفاق العالم على عكس الفقه، علم النوازل الذي يبدأ مما يحدث في الواقع. وهو خطاب موجه مباشرة إلى القارئ بلفظ «اعلم» كما هو الحال في «رسائل إخوان الصفا». كما استعمل لفظ «توهم»؛ أي افتراض شيء نتج عنه نتائج.^{٦١٤} فالتصوف فقه افتراضي، يركز على النفس حتى يخلق موضوعه. ولا يبتعد كثيرًا عن التخويف وأساليب الردع النفسية للحصول على الطاعة والسلوك الفاضل. فالغاية تبرر الوسيلة. يبدأ الطريق بآلام الموت ثم النداء للعرض ثم أهوال القيامة ثم الشفاعة ثم يوم العرض ثم عذاب الكافرين ثم نعيم الجنة ثم حياة أخيرة. ويعتمد أساسًا على القرآن ثم الحديث.^{٦١٥} ويغيب الشعر. كما يغيب التحليل النظري الخالص. إنما تعتمد الرسالة على الإيهام والتخويف واللعب بالعواطف والاستدراج والإيقاع.^{٦١٦}

^{٦١٣} دار الأرقم، القاهرة، ١٩٩١م/١٤١١هـ، ص ٢٩-٧٣.

^{٦١٤} استعمل لفظ توهم ٢٤ مرة.

^{٦١٥} الآيات (١٥)، الأحاديث (٩)، القدسية (١).

^{٦١٦} «فتوهم نفسك لذلك الخوف والفرع والرعب والغربة والتحير...»، التوهم، ص ٤١، «فتوهم حين وقفت بالاضطراب والارتعاد يرعد قلبك»، السابق، ص ٤٣، «فتوهم نفسك وقد طال فيها مكثك وألح

(٢) «البعث والنشور»^{٦١٧}

وهو انتقال من التوهم إلى الحقيقة، ومن الافتراض إلى الواقع، ومن المستقبل إلى الحاضر وكأن البعث والنشور قد وقعا بالفعل، البعث هو الخروج من القبور والحياة بعد الموت. والنشور العودة إلى الله والسعي إليه. وكلها غيبيات سمعية لا دليل عقلي عليها كما هو الحال في نسق العقائد الأشعري. وتشمل مناظر انشقاق الأرض سؤال الملكين، وعذاب القبر ونعيمه، والحساب والميزان، والصراط والأعراف، والثواب والعقاب، والكتاب والدليل وشهادة الحواس. يعتمد على الأحاديث أكثر من القرآن ودون الشعر.^{٦١٨} وبطبيعة الحال يغيب التحليل النظري إلا من قياس الغائب على الشاهد.

(ب) «الطواسين» للحلاج (٣٠٩هـ)^{٦١٩}

موضوعه الحقيقة المحمدية. وهما حرفان من أوائل السور «طس» بالجمع. يعتمد على التأويل الرمزي لبعض الآيات، وأقلها من الأحاديث، والتعبير عنها بالشعر جمعاً بين النص الديني والنظم الشعري.^{٦٢٠} ولا تظهر الإسرائيليات لعدم الحاجة إليها. ولا يعتمد على أحد من الصوفية السابقين باستثناء اسم الرسول «أحمد». ينقسم إلى عشرة أقسام كلها تبدأ بالطاسين وهي السراج، والفهم والصفاء، والدائرة، والنقطة، والأزل والالتباس،

العذاب. فبلغك غاية الكرب. واشتد بك العطش. فذكرت الشراب في الدنيا. ففزعنا إلى من في الجحيم، فتناولت الإناء من يد الخازن الموكل بهذا بك. فلما أخذته نشأت كفك من تحته. وتفسخت لحرارته ووهيج حريقه. ثم قربته إلى فمك فشوي وجهك. ثم تجرعت فسلخ حلقك. ثم وصل إلى جوفك فقطع أمعاءك. فناديت بالويل والثبور وذكرنا شراب الدنيا وبرده ولذته. ثم أقلت الحريق. فبادرت إلى حياط الحميم لتبردها كما تعودت في الدنيا الاغتسال والانغماس في الماء إذا اشتد عليك الحر. فلما اغتمست في الجحيم تسليخ من قرنك إلى فمك. فبادرت إلى النار رجاء أن تكون هي أهون عليك. ثم اشتد عليك حريق النار فرجعت إلى الحميم وأنت تطوف بينها وبين حميم آن ... فلما اشتد بك الكرب والعطش ...، السابق، ٥٢-٥١.

^{٦١٧} دار الأرقم، القاهرة، ١٩٩١م/١٤١١هـ، ص ٨١-٩٧.

^{٦١٨} الأحاديث (١٥)، الآيات (٧).

^{٦١٩} الأعمال الكاملة، ص ٢٦١-٢٠٩.

^{٦٢٠} الآيات (٢٠)، الأشعار (٥)، الأحاديث (٣).

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

والمشيئة، والتوحيد، والإسراء في التوحيد، والتنزيه. ويؤول الأسماء والألقاب فالرسول أُمِّي لمهمته، حَرَمِي لنعمته، ومكي لتمكينه. ورمزه السراج أي النور والفهم للمعرفة الإشراقية الكشفية ليلة الإسراء والمعراج. والصفاء مرآة القلب. ثم تستعمل الأشكال الهندسية مثل الدائرة والنقطة والقوس مع الحروف للخروج من عالم الظاهرة، والدخول في عالم الباطن، والالتباس على إبليس. والأزل وجود الحقيقة المحمدية. والمشيئة دائرة من دوائر الوجود مع القدرة والعلم والحكمة. والتوحيد أحدية وسره انعكاسه في الذات وفي العالم. وكل ذلك تنزيهاً لا تشبيهاً.

(ج) الحكيم الترمذي (٣١٩هـ)

والعجيب أيضاً أن صاحب «الرياضة» و«أدب النفس» في أخلاق النفس يكون هو مؤسس الوعي المغترب في «ختم الأولياء» و«غور الأمور» في الولاية بعد النبوة وفي قصة آدم وإبليس قبل النبوة.

(١) «ختم الأولياء»^{٦٢١}

وقد يتجسد الوعي بما وراء التاريخ في موضوع النبوة والولاية. النبوة بداية، والولاية نهاية. وكما أن هناك خاتم الأنبياء هناك أيضاً خاتم الأولياء. النبوة اغتراب في الماضي، والولاية اغتراب في المستقبل. وكلاهما نفي للحاضر.

يعتمد على القرآن ثم الحديث دون الشعر.^{٦٢٢} كما يعتمد على أقوال بعض الصوفية مثل أويس القرني وأبي سعيد الخدري.^{٦٢٣} وسبب التأليف سؤال عن الولاية بعد أن خاض فيها الناس بين مثبت ومنكر، وبين معرفة الوالي أو جهله بها ولا يدركها إلا أهلها.^{٦٢٤} ولا يمكن الحديث عنها قياساً على غيرها أو توهمًا. ليس معيارها الصدق وحده بل معرفة أنها

^{٦٢١} مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ.

^{٦٢٢} الآيات (١٢٠)، الأحاديث (٤٥)، القدسية (١) «ومن عجز عن معرفة الله تعالى كان عن معرفة صانعيه أعجز. فلذلك يصير كلامه جزافاً في العاقبة»، ختم الأولياء، ص ١٣٥.

^{٦٢٣} السابق، ص ٢٠٨، ٢٥٢.

^{٦٢٤} فإنك ذكرت البحث فيما خاض فيه طائفة من الناس في شأن الولاية، وسألت عن شأن الأولياء ومنازلهم، وما يلزم من قبولهم، وهل يعرف الوالي نفسه؟ وذكرت أن ناساً يقولون إن الولاية مجهولة

من المنن من المنان، ومعرفة المنان شرط لمعرفة المنن، ومعرفة المنن شرط لمعرفة الولاية.^{٦٢٥} يخلو الكتاب من الفصول والأبواب، ولكن يذكر خمسة ومائة سؤال حول الموضوع بحيث يتشعب إلى كل موضوعات التصوف.^{٦٢٦} ويتبع أسلوب القول، «فإن قال قائل» ما دام الموضوع سؤالاً وجواباً. ومع ذلك، يعتمد على القسمة والتصنيف كأحد طرق التعريف.^{٦٢٧} وتطول مقدمة المحقق لأغراض التأليف الجامعي.^{٦٢٨}

وتتنوع موضوعات الولاية بين التفرقة بين أولياء حق الله وأولياء الله والتمييز بين علم الأنبياء وعلم الأولياء، وخاتم الأنبياء وخاتم الأولياء، وعقد النبوة وعقد الولاية، ومعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء. كما تتناول علامات الأولياء في الظاهر وبشرى الولي والولاية والسعادة، والولاية والخطيئة، والولاة، والأسرار الإلهية، وخاصة الأولياء، والولاية والصدقية. ثم تأتي في النهاية التفرقة بين الولاية والجدب، بين الولي والمجنوب، والتمييز بين أهل الدين وأهل اليقين، بين الكتاب والروح.

(٢) «غور الأمور»^{٦٢٩}

والعجيب أن يقترب الوعي التاريخي الأخلاقي في الوعي التاريخي بما قبل التاريخ الذي تمثله قصة آدم وإبليس قبل بداية تاريخ الإنسان على الأرض وتفسيرها الرمزي بأدبيات الحوار بين الله وإبليس. الله رمز الفضيلة، وإبليس رمز الرذيلة. الله النفس الخالصة،

عند أهلها. ومن حسب نفسه ولياً هو بعيد عنها. فاعلم أن هؤلاء الذين يخوضون في هذا الأمر ليسوا من هذا الأمر في شيء. إنما هم قوم يعتبرون شأن الولاية من طريق العلم. ويتكلمون بالمقاييس وبالتوهم من تلقاء أنفسهم. وليسوا بأهل خصوص من ربهم. ولم يبلغوا منازل الولاية، ولا عرفوا صنع الله. إنما كلامهم في الصدق. ومعيارهم في الأمور الصدق. فإذا صاروا إلى المنن، وتقطع كلامهم، وعجزوا عن معرفه صنع الله بالعبد فلأنهم عجزوا عن معرفته. ومن عجز عن معرفة الله تعالى كان عن معرفة صانعيه أعجز. فلذلك يصير كلامه جزافاً في العافية، السابق، ص ١٣٥.

^{٦٢٥} ختم الأولياء، ص ١٥٠-١٥٨.

^{٦٢٦} السابق، ص ١٤٤، ١٤٧.

^{٦٢٧} السابق، ص ١٤٢، ١٤٣.

^{٦٢٨} السابق، ص ٧-١٣٣.

^{٦٢٩} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م/١٤٢٣هـ. الخلاف في تاريخ وفاته بين ٣١٩، ٣٢٠.

وإبليس النفس المفعمة بأهواء النفس. لذلك قد يدخل أيضًا في التأويل إلا أنه ليس تفسيرًا كاملاً مثل «تفسير القرآن العظيم» للتستري و«لطائف الإشارات» للقشيري وتفسير ابن عربي. يعتمد أساساً على القرآن ثم الحديث دون الشعر.^{٦٣٠} تؤول الآيات تأويلاً باطنياً لتحويل النص المدون إلى سلوك خلقي والمعنى النظري إلى ممارسة عملية. قد تطول الأحاديث القصصية مما يدل على ضعفها. فالغاية من الحديث ليست إعطاء قصص رمزية في الخلق والعصيان والهبوط إلى الأرض في البداية أو في البعث والنشور وأمور المعاد في النهاية بل بيان بعض التفاصيل العملية وطرق الممارسة في العبادات. وهذا يدل على مدى الصلة بين التجربة الأدبية والتجربة الصوفية. فهما تجربة واحدة تعبر عن نفسها بأشكال أدبية، النثر الفني أو النظم أو القصة الرمزية. فالعلاقة مع إبليس أشبه بمدينة لها رئيسها وجنودها وحراسها وأعداؤها وخزائنها وأسلحتها. معركة في الخيال بعد أن صعبت في الواقع.

وسبب التأليف سؤال عن صفة القلب وأسمائه وأحواله وصفة النفس وأحوالها، وإبليس وجنوده وسلطانها، وصفة المعرفة والعقل والأخلاق، وتحويل عهد ﴿أَلَسْتُ﴾، عهد الذر الأول وتفسير أسماء إبراهيم وإبليس وفرعون وشجرتي الزيتون وطوبى. وذلك كله في ثلاث وثلاثين مسألة دون أبواب أو فصول في صيغة السؤال والجواب. لا يفهمها إلا ذو اللب.^{٦٣١} والتشبيه بالمدينة. فهناك سبع مدائن للنور: الفؤاد، والضمير، والغلاف،

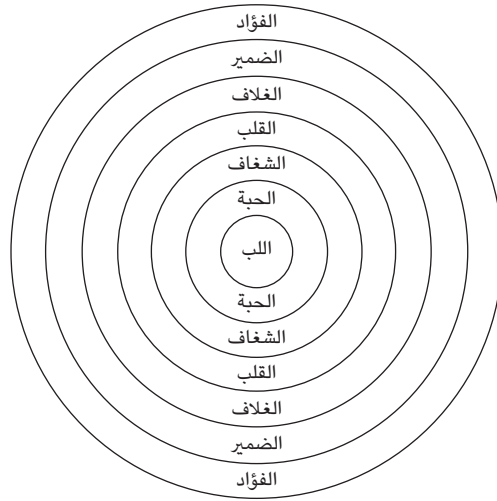
^{٦٣٠} الآيات (٢٢٣)، الأحاديث (٩)، القدسية (٢).

^{٦٣١} «فأما ما سألتني عنه من صفة القلب وأسمائه وصفة أحواله، وصفة النفس، وصفة إبليس وجنوده، وبيان سلطانه، وعللها وشأنها وأحوالها وبدئها، وصفة المعرفة، وما في حشوها، وصفة النور ولباسه، وصفة آدم المائة الخلق، وصفة جنود المعرفة، وصفة العقل ومعدنه ومجلس قضائه وأعوانه، وصفة مدائن المعرفة، وقراها وآثارها وعمارها، وبيان صفة العسكر، وبيوت الدواوين، وخزائن الطاعات ومعادن الحكمة، وسجون النفس وخلق آدم وبيان اسمه، وترجمة لا إله إلا الله، وبيان تفسير قوله ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، وتفسير اسم إبراهيم خليل الرحمن، وتفسير اسم إبليس، واسم فرعون، وتفسير قوله ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، وتفسير شجرة الزيتون، وتفسير شجرة طوبى، فهذه ثلاثة وثلاثون مسألة. لها غور بعيد. ولا يمكن استقصاؤها لبعد قعرها، وسنذكر منها ما يفهمه ذو اللب»، غور الأمور، ص ٢٧.

أولاً: تشكل الوعي التاريخي

والقلب، والشخاف، والحبّة، واللباب. كل منها قلب للآخر في سبع دوائر.^{٦٣٢} ولكل مدينة باب، ولكل باب مفتاح، وعلى كل باب ستر، وبين كل واحد حائط، ومن وراء كل حائط خندق. ويستمر التشبيه في وصف الأبواب والبوابين والستور والمفاتيح والصدر والحيطان وأساسها والخنادق. ويتم الانتقال من المثل إلى المثول، ومن الرمز إلى المعنى في بيان المهمة والعهد وصفة النفس.^{٦٣٣} وقلب التشبيه هو احتجاج إبليس ومعاتبته وسؤاله عن الآلة للحرب على آدم وولده للعون والظفر عليه في حوار متخيل. ويؤول الرمز، صفة المعرفة ولباسها والحكمة من خلق آدم، وتفسير أسماء إبراهيم، وفرعون ولا إله إلا الله، كلمة التوحيد، وبعض رءوس السور القرآنية وبعض آيات النور، وتفسير اللباس والحجب والعقل وتحويل الجنود إلى صفات للنفس والعقل. وتخلق بعض الشخصيات الرمزية كنوع أدبي.^{٦٣٤} ثم تذكر شروط سكنى الأرض، والصراع بين إبليس ويحيى، وصفات

٦٣٢



غور الأمور، ص ٢٩-٣٧.

^{٦٣٣} السابق، ص ٣٧-١٢٣.

^{٦٣٤} مثل: ومزة بن الحرث أول من اتخذ البربط (عود الموسيقى)، لوقس بن لاقس أول من اتخذ المزامير، صهيب بن عازب أول من اتخذ المصباح، وأبو ليسم مبدع الطبل، وبعض أسماء أصحاب المنازل والحرف المثالة، السابق، ص ٨٥-٨٦.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

جنود إبليس وبدء أمره وقصته ومصائده وتفسير هواه وحياته وأخلاقه وتحويل ذلك إلى صفات القلب والنفس وانتهاء بنعيم أهل الجنة. ومنزلة الشكر والصبر وصفة الصابر وهما من مقامات الصوفية.

ثانيًا: الوعي التاريخي الخالص

يماثل الوعي التاريخي بكل لحظاته، الوعي التاريخي الخالص، الطبقات، والوعي التاريخي الموضوعي، تخلق الموضوعات من ثنايا الطبقات وتحتها، والوعي الموضوعي وهو بنية الموضوع أولاً وأقوال الأعلام من خلالها. ثم يأتي بعد ذلك الوعي النظري وهو تحول الموضوع الجزئي الخلقي النفسي إلى موضوع كلي طبيعي كوني، ثم الوعي العملي وهو تحول الوعي النظري إلى وعي عملي، والنظر إلى عمل، والتأمل إلى طريق، والنظرية إلى طريقة، والعودة من السماء إلى الأرض، ومن الفناء إلى البقاء، ومن الله إلى العالم، ومن الكون إلى الإنسان. وقد وصف من قبل في نشأة علم العقائد من خلال علم الفرق في علم أصول الدين، ظهور الموضوعات من خلال الفرق، وظهور الفرق من خلال الموضوعات، ومن المسائل إلى الموضوعات، ومن الموضوعات إلى الأصول، ومن الأصول إلى البناء، ومن بناء العلم إلى عقائد الإيمان، بناء على وصف المصنفات الكلامية عبر التاريخ. كان يمكن أخذ نماذج فارقة من المصنفات الصوفية، مثل «الرسالة القشيرية» و«الإحياء» و«الفتوحات»، وتحليلها وإعادة قراءتها فكل مصنف يضم المصنفات السابقة، ولكن المسح الموضوعي الشامل أكثر دقة وقدرة على معرفة منحنيات مسار الوعي التاريخي حتى يتحقق كوعي موضوعي.^١

ولا يوجد فصل تاريخي حاد بين مراحل مسار الوعي الصوفي في التاريخ. ففي بعض المؤلفات يظهر الوعي النظري والوعي العملي على السواء كما هو الحال في «عوارف المعارف» للسهروردي. كما يظهر الوعي العملي مع الوعي التاريخي والنظري في شطحات الصوفية وآدابهم في «اللمع» وفي علاقة الشيخ بالمريد في «الرسالة القشيرية».

^١ من العقيدة إلى الثورة، ج ١، المقدمات النظرية، الفصل الثاني: بناء العلم، ص ١٤٦-٢٠٣.

كما لا يوجد فصل زمني بين مراحل تشكل الوعي. بل تتداخل المراحل فيما بينها في الزمان. قد يبدأ شكل من أشكال تطور الوعي التاريخي قبل زمانه. وقد يستمر بعد زمانه. فالمرحلة تعبر عن الذروة. يتشكل الوعي التاريخي ببطء. ويحتاج إلى وقت ليبدأ وينتهي. يبدأ الوعي التاريخي يتخلق عند الصوفية المبدعين المؤرخين الذين تجمع أعمالهم بين الإبداع الصوفي والتأريخ للصوفية مثل الطوسي في «اللمع»، والقشيري في «الرسالة القشيرية»، والهجويري في «كشف المحجوب»، وقد يبدأ الوعي التاريخي أولاً بتاريخ صوفية القرنين الثاني والثالث للقشيري، ثم بعد ذلك البنية من خلال المصطلحات كما هو الحال في «الرسالة القشيرية» وفي «اللمع» للطوسي، وقد يكون في الوسط كفرق وليس كأسماء أعلام، كما هو الحال في «كشف المحجوب» للهجويري. حدث ذلك منذ القرن الرابع الهجري بعد أن تراكمت أعمال الصوفية في القرنين الثاني والثالث. فالوعي التاريخي الصوفي تال للوعي الصوفي الموضوعي.

وينفصل الوعي التاريخي الخالص عن الوعي التاريخي الموضوعي في كتب الطبقات بداية من «طبقات الصوفية» للسلمي و«حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصفهاني، وبالرغم من أن الوعي التاريخي الخالص تال للوعي التاريخي الموضوعي إلا أنه يأتي أولاً كبداية لمسار الوعي الصوفي في التاريخ. وقد حدث ذلك في القرآن الرابع الهجري.^٢ ولا يتم تحليل إلا الأعمال التي فيها يتخلق الوعي التاريخي الخالص أو الوعي التاريخي الموضوعي. وتحلل الأعمال الصوفية الخالصة في الوعي الموضوعي، والوعي النظري والوعي العملي. أما التصوف كعلم، تعريف التصوف ووصفه في نسق العلوم فإنه يتخلل المؤلفات كلها سواء كأقوال متفرقة أو أبواب أو فصول أو أقسام. أما الأعمال المتأخرة في الطبقات للشعراني وللمناوي فإنها تدخل في مسار الوعي الصوفي المتأخر، والعودة إلى التاريخ.

كان يمكن أيضاً تحليل كثير من كتب طبقات الصوفية خاصة وقد امتد تاريخ الطبقات إلى مصر والمغرب، ولكن بعض النماذج تكفي لإبراز الوعي التاريخي. فليست الغاية التاريخ بل الوعي التاريخي وإلا تحول العمل إلى تاريخ صرف كما هو الحال في الدوريات. أصبح مجرد حصر ورصد تنوء به المكتبات العامة والخاصة بالمطبوع والمخطوط دون الضائع.

^٢ اكتفينا بتحليل: (أ) الأربعين في شيوخ الصوفية «للماليني» (١٢هـ)، (ب) طبقات الصوفية للسلمي (١٢هـ)، (ج) «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصفهاني (٣٠هـ).

(أ) كتاب الأربعين في شيوخ الصوفية للماليني (٤١٢هـ)^٢

وهو أول كتاب في الطبقات في بداية الوعي التاريخي الصوفي طبقًا «لعدد أربعين» وهو من الأعداد المباركة المذكورة في القرآن والحديث.^٤ ولا توجد مقاييس للاختيار ولا نظام. الترتيب أبجدي أو تاريخي أو موضوعي. منهم من بقي في الوعي التاريخي ومنهم من غاب.^٥ ويكشف عن مدى ارتباط علم النصوص بعلم الحديث في استعمال طرق المحدثين لجمع أقوال الصوفية كما جمعت أحاديث الرسول. فالصوفية أتباعه مثل الصحابة. وتُذكر الأسانيد مع المتن. بل تذكر الآيات والأحاديث داخل الأسانيد. فالحصاد روايات شفاهية. والصوفية أنفسهم رواة و«السماعات»، شهادات بالسماع والرواية.^٦ وأحيانًا يتدخل الخيال في صياغة الأحاديث بروايات عن الرسول في المنام وأحاديث الملائكة وجبريل والله. ويُوسع مفهوم الأحاديث القدسية التي أصبحت مناسبة للإبداع الفني.^٧ ويغلب عليه التصوف الخلقي الممتد حتى الغزالي في القرن الخامس. ويعتمد على الحديث ثم الشعر أكثر من اعتماده على القرآن نظرًا لارتباط التصوف بعلم الحديث، وبداية الشعر كشكل أدبي وتراث عربي قبل نزول النص.^٨ وتظهر بعض الإسرائيليات في نقل أحاديث عن موسى في السماء.

(ب) طبقات الصوفية للسلمي (٤١٢هـ)^٩

وإذا كان «اللمع» للطوسي يجمع بين تاريخ التصوف والتصوف، وكان «قوت القلوب» يجمع بين التصوف والتاريخ فإن «طبقات الصوفية» للسلمي (٤١٢هـ) تاريخ خالص. فهو أول كتاب في تاريخ التصوف على طريقة الطبقات، تلاه بعد ذلك «حلية الأولياء»

^٢ دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٩٩٧م/١٤١٧هـ.

^٤ وهو حديث: «لا يزال في أمتي أربعون على خلق إبراهيم الخليل عليه السلام إذا جاء الأمر قبضوا»، انظر أيضًا: الفصل الثاني: الوعي التاريخي الموضوعي.

^٥ من تبقى في الوعي التاريخي مثل: معروف الكرخي، السري السقطي، الجنيد، أبو عثمان المكي، الخراز، التستري، فضيل بن عياض، ابن مسروق، المحاسبي، بشر بن الحارث، ذو النون، الدينوري، النصر أباندي. والباقي ظلوا في اللاوعي التاريخي أو على هامش الشعور.

^٦ كتاب الأربعين، ص ٢٢٩-٢٤٤.

^٧ السابق، ١٦٣.

^٨ الحديث (١٦)، الشعر (٧)، القرآن (٥)، موسى (١).

^٩ مكتبة الخانجي: القاهرة، الهلال: بيروت، المكتب العربي: الكويت ط ٢.

لأبي نعيم الأصفهاني و«عوارف المعارف» للسهروردي حتى «الطبقات الكبرى» للشعراني و«الطبقات الكبرى» للمناوي. فماذا تعني الطبقة؟ هل هي المرتبة في الفضل أم هل هي الجيل؟ وتضم الطبقة أعلام الصوفية موزعة على خمس طبقات، ولا يمكن أن تعني أجيالاً إذا كان الجيل أربعين عاماً وعاش السلمي في القرن الرابع فيكون وراءه خمسة أجيال إذا كان الصوفية قد بدءوا منذ القرن الثاني عند رابعة والحسن. ومع ذلك، الطبقة هي الجيل في زمن متقارب.

ولا تعني الطبقة التسلسل الزمني لأن ذكر أعلام الصوفية خلال الطبقات لم يخضع لترتيب زمني. وقد يكون الترتيب طبقاً للأهمية. وهي أهمية نسبية. فما كان مهماً في عصره فإنه لم يعد مهماً في العصور التالية. إذ يذكر السلمي مائة وثلاثة ليسوا كلهم على مستوى الأهمية، ربما لم يبقَ منهم في العصور التالية إلا الربع. ولا يوجد فاصل بين الطبقات إذ تتداخل بينهما في الزمان. قد تكون الطبقات مجرد محاولة للتصنيف. والواضح أن الطبقتين الأولى والثانية من أعلام القرن الثالث في حين أن الطبقات الثالثة والرابعة والخامسة من أعلام القرن الرابع. وتتساوى أعداد الصوفية في كل طبقة، عشرون في كل منها باستثناء الخامسة، ثلاثة وعشرون.

وقد ينبع مفهوم الطبقة من تصور قرآني ونبوي للتاريخ المنهار ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾، «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»، «الخلافة من بعدي ثلاثون سنة تتحول بعدها إلى ملك عضوض».

ويمكن ذكر أسماء الأعلام دون تصنيفهم في طبقات كما فعل السلمي في «كتاب الزهد». وإعادة تصنيفهم طبقاً للطبقات يدل على وعي تاريخي أعمق بمساره.^{١٠} وقد لا يكون سبب التأليف واضحاً وضوحاً مباشراً إلا من أن الصوفية هم أتباع الأنبياء.^{١١} وكما لم يخلُ كل زمن من نبي، كذلك لا يخلو كل عصر من ولي. فالأولياء أتباع

^{١٠} «وقد ذكرت في «كتاب الزهد» من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين قرناً فقرناً، وطبقة فطبقة إلى أن بلغت النبوة إلى أرباب الأحوال المتكلمين على لسان التفريد وحقائق التوحيد، واستعمال طرق التجريد. فأحببت أن أجمع في سير متأخري الأولياء كتاباً أسميه «طبقات الصوفية». أجعله على خمس طبقات من أئمة القوم ومشايخهم وعلمائهم. فأذكر في كل طبقة عشرين شيخاً من أئمتهم الذين كانوا في زمان واحد أو قريب بعضهم من بعض. وأذكر لكل واحد من كلامه وشماله وسيرته ما يدل على طريقته وحاله وعلمه بقدر وسعي وطاقتي»، السابق، ص ٣.

^{١١} «وأتبع الأنبياء عليهم السلام بالأولياء، ويخلفونهم في سنتهم، ويحملون أمتهم على طريقتهم وسمتهم. فلم يخل وقت من الأوقات من داعٍ إليه بحق أو دال عليه ببيان وبرهان، وجلهم طبقات في كل زمان.

الأنبياء كما صرح الرسول «العلماء ورثة الأنبياء». والولاية علم لدني، كالعلم الإنساني. والصوفية مرحلة بعد الزهاد. ولكل منهم طبقاته.

وتكتب سيرة العَلَم بعدة عناصر أهمها: الأقوال الماثورة التي تدل على التصوف عند العَلَم، وتاريخ الميلاد ومكانه والوفاء لكل صوفي من أجل معرفة زمانه في التاريخ، ونسبه، وشيوخه الذين تعلم منهم، وتلاميذه الذين أنجبهم. وتخلو السيرة من إبداء الرأي الخاص وكأنها مجرد مذكرة طلابية، ويبدو أثر علم الحديث في ذكر سند الرواية التي هي المصدر الرئيسي لسيرة العلم الذاتية. فكل قول من أقوال الصوفية له سنده الشفاهي أو المدون، وقد تطفى الرواية على الأقوال المباشرة بحيث تكون حياة الصوفية بذاتها شاهدة وقولاً.^{١٢} وتطعم الصورة بأية قرآنية أو حديث نبوي مطابق لمفتاح الشخصية. وقد يصاغ القول بطريقة فنية باستعمال فنون البلاغة، البيان والبدیع، والجناس والطباق والسجع والإيقاع حتى يؤثر في النفس ويصبح قولاً ماثوراً.^{١٣} فالنثر الفني مقدمة للشعر. وقد تنسب أقوال إلى شخصين وهو ما يستحيل عملياً. فمن صاحب القول؟^{١٤} فالعبرة بالقول وليس بالقائل. والأقوال نمطية، أقوال ماثورة تنسب إلى أكثر من صوفي.^{١٥} معظمها بالعربية وأقلها ترجمة عن الفارسية.^{١٦}

فالولي يخلف الولي باتباع آثاره، والاقتراء بسلوكه. فيتأدب بهم المريدون، ويأتسى بهم الموحدون ... إن آخر أمته يخلو من أولياء وبدلاء يبينون للأمة ظواهر شرائعه، وبواطن حقائقه، ويحملونهم على آدابها ومواجبتها، إما بقول أو بفعل. فهم في الأمم خلفاء الأنبياء والرسل، وهم أرباب حقائق التوحيد والمحدثون، وأصحاب الفراسات الصادقة والآداب الجميلة، والمتبعون لسنن الرسل إلى أن تقوم الساعة»، طبقات الصوفية، ص ١-٢.

^{١٢} وذلك مثل إبراهيم بن أدهم، «طبقات الصوفية»، ص ٢٧-٣٩، منصور بن عمار، ص ١٣٠-١٣٦. ^{١٣} «مثل قول أحمد بن عاصم الأنطاكي: «الاستبانة للحجة، والأنس بالأحبة. والثقة بالقدرة، والمعاينة للغاية»، طبقات الصوفية، ص ١٣٧، وقول أبي الحسن النوري: «من وصل إلى وده أنس بقربه. ومن توسل بالوداد فقد اصطفاه بين العباد»، السابق، ص ١٦٦.

^{١٤} مثل أقوال محمد وأحمد ابني أبي الورد، طبقات، ص ٢٤٩-٢٥٣.

^{١٥} مثل نسبة تفسير ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ بأن العمل الصالح هو الذي يلقي به الإنسان الله، وكذلك قول «من آواه الله إلى قربه أرضاه بمجاري المقدر عليه فإنه ليس على بساط القربة تسخط» إلى مظفر القرميسيني وإلى أبي الحسين بن هند الفارسي، طبقات الصوفية، ص ٤٩٧-٤٠٠.

^{١٦} مثل ترجمة: أبو نصر الطوسي لكلام أبي عبد الله التروغبندي بالفارسية، طبقات الصوفية، ص ٤٩٤.

وتتفاوت أسماء الأعلام من حيث الكم. أكبرهم ذو النون المصري، وإبراهيم بن أدهم، وأبو بكر الشبلي.^{١٧} ثم يتناقص الكم تدريجياً من الفضيل بن عياض إلى بشر الحافي إلى الجنيد، ثم إلى السري السقطي والبسطامي والداراني والكرخي ويحيى بن معاذ وغيرهم. ويكشف رصد مرات التكرار عن مدى أهمية الصوفي في عصره، درجته وطبقته في التدوين. فأبو سعيد الخراز مثلاً أقل ذكراً من السابقين. ويكشف هذا التفاوت في الأهمية مدى حضور الصوفي في التاريخ وفي وعي المؤرخين.

ولا يوجد اسم واحد وافد من اليونان أو الرومان أو فارس أو الهند، صحيح أن الكثير منهم نشأ في فارس، ولكنهم تحولوا إلى الإسلام. ونشئوا فيه ثقافياً حتى وإن كانت خلفيتهم السابقة ديانات فارس الزرادشتية أو المجوسية أو المانوية. وصحيح أنه يذكر اسم الحكماء، ولكنهم ليسوا حكماء اليونان بالضرورة.^{١٨} فالتصوف نشأة محلية صرفة، موروث وليس وافداً مثل علم أصول الفقه، وعلم أصول الدين، ومجموع العلوم النقلية الخمسة، القرآن، والحديث، والتفسير، والسيرة، والفقه. وتذكر عديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على لسان الصوفي، وليس على لسان المؤرخ. ولأول مرة يفوق الشعر القرآن والحديث.^{١٩}

والآن السؤال هو: هل التصوف أعلام أم رؤية؟ وإذا كان التصوف أعلاماً فهل الأعلام شخصيات منفصلة عن بعضها البعض أم تمثل في مجموعها مساراً تاريخياً يكشف عن

^{١٧} ذو النون المصري، إبراهيم بن أدهم، أبو بكر الشبلي (١٢)، الفضيل بن عياض، بشر الحافي، أبو القاسم الجنيد (٩)، السري السقطي، أبو يزيد البسطامي، أبو سليمان الداراني، معروف الكرخي، يحيى بن معاذ الرازي، أبو حفص النيسابوري، أبو العباس بن عطاء الأدمي (٨)، حاتم الأصم، حمدون القصار، منصور بن عمار، يوسف بن الحسين الرازي، أبو بكر الدقاق، أبو علي المروذباري (٧)، شقيق البلخي، أبو تراب النخشي، أبو الحسين النوري، أبو عثمان النيسابوري، عمرو بن عثمان المكي، سهيل التستري، أبو محمد الجريري (٦)، الحارث المحاسبي، أحمد بن أبي الحواري، عبد الله الأنطاكي، رويم بن أحمد البغدادي، سمنون بن حمزة المحب، محمد بن الفضل البلخي، أبو سعيد الخراز، أبو العباس بن مسروق الطوسي، محمد وأحمد ابنا أبي الورد، أبو بكر الواسطي، أبو بكر المرتعش، أبو بكر الكتاني، أبو يعقوب النهرجوري، أبو عبد الله محمد بن خفيف، أبو عثمان سعيد بن سلام المغربي، أبو القاسم إبراهيم بن محمد النصراباذي، أبو الحسن علي بن إبراهيم الحصري (٥). وثلاثون علماً، منهم الحلاج (٤)، وتسعة عشر علماً (٣)، وسبعة أعلام (٢).

^{١٨} طبقات الصوفية، ص ٣٧٣.

^{١٩} الآيات (٧٧)، الأحاديث (٦٣)، الأشعار (٩١).

تاريخ التصوف كما تكشف أقوالهم عن فلسفة دينية؟ عيب الأعلام أنها تخلو من رؤية مسار، مجرد كشف أعلام كالقواميس والمعاجم والفهارس القديمة في مصر، التدوين القديم أو الحديث تغلب عليه السطحية والسذاجة والموضوعية القاتلة، ويميل قارئوها من الرتبة والتكرار والتفكك والانقطاع.

(ج) «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصفهاني (٤٣٠هـ)^{٢٠}

ومن أضخم مدونات الوعي التاريخي إن لم يكن أضخمها على الإطلاق «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» لأبي نعيم الأصفهاني (ت ٤٣٠هـ)؛ إذ يضم ستمائة وثمان وتسعين علمًا، معظمهم من صوفية القرنين الثالث والرابع.^{٢١} ويصعب تحديد معنى «الطبقة» ومقياس تصنيف الطبقات. فهو ليس الترتيب الأبجدي الذي لم يعرفه القدماء إلا في قواميس اللغة. وهو ليس الترتيب الزمني نظرًا لتداخل أزمنة الوفاة لعدد من الأعلام. ولا يُذكر تواريخ ميلادهم ولا وفاتهم في الغالب على عكس «طبقات السلمي» إلا نادرًا.^{٢٢} وهو ليس ترتيب الأهمية. فمن أهم الصوفية مثل ذي النون والجنيد والبسطامي والحلاج لا يظهرون في البداية. وهو ليس ترتيبًا في الفضل. فالكمل متساوٍ فيه. ولم توضع الأعلام في طبقات كما يوحي بذلك العنوان.^{٢٣} بل توالى الأعلام واحدًا وراء الآخر بترقيم حسابي صوري، ومن الغريب أن يذكر حوالي سبعمائة علم دون ترتيب زمني أو موضوعي، مجرد سرد بعد الجمع بين الأعلام والموضوعات في التدوين السابق في «اللمع» و«قوت القلوب». ومعظمهم مجهولون وإن كانوا معروفين في عصرهم باستثناء القلة. لم يسمع عنهم أو لم يبقَ منهم أحد في الوعي التاريخي. لم يتركوا أعمالاً مؤسسية أو سيرًا تبقى في الذاكرة

^{٢٠} دار الفكر، بيروت، (د.ت)، (١١ جزءًا).

^{٢١} سفيان الثوري (١٨٨)، عمر بن عبد العزيز (١٠٠)، الشافعي (٩٨)، إبراهيم بن أدهم (٨٣) أحمد بن حنبل (٧٣)، كعب الأحبار (٧١)، ذو النون (٦٨)، شعبة بن الحجاج (٦٥)، سعد بن كرام، عبد الرحمن بن مهدي (٦١)، وهب بن منبه (٨٥)، سفيان بن عيينة (٤٨)، مالك بن أنس (٤٠)، سعيد بن جبير (٣٨)، المحاسبي (٣٧)، الجنيد (٣٣)، مالك بن دينار، داود الطائي (٣٢)، الحسن البصري (٣٠)، سلمة بن دينار (٢٩)، علي، أبو سليمان الداراني (٢٦)، سلمان الفارسي، بشر بن الحارث (٢٤)، وهيب بن الورد (٢٣).

^{٢٢} حلية الأولياء ج ٨، ٣٤٠.

^{٢٣} «تقدم ذكرنا له ولأحواله في الطبقة الأولى»، السابق، ج ١، ٣٥٤.

كالرسول. يتصدرهم جميعًا سفيان الثوري مما يدل على أهميته وحضوره في الوعي التاريخي، ثم عمر بن عبد العزيز مما يدل على أن الصوفي هو الصافي العادل التقى الورع حاكمًا أو محكومًا، ثم الشافعي مما يبين أنه لم يكن هناك فرق بين الصوفي والفقيه، بين التأويل والتنزيل، ثم إبراهيم بن أدهم مما يبين أهمية حياة الصوفي وشخصه وما يروى عنه وليس فقط «مؤلفاته وأقواله»، ثم أحمد بن حنبل الذي يضرب به المثل فيما بعد للتيار السلفي حتى ابن تيمية كتيار معادٍ للتصوف والصوفية كما كتب ابن تيمية فيما بعد «الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»، ثم كعب الأحبار فقد كان بعض الصوفية من أصول نصرانية، مثل وهب بن منبه، أمدوا علوم التصوف بقصص الأنبياء كما فعل بولس مع المسيحية وما سمي فيما بعد «الإسرائيليات»، ثم ذو النون صاحب الروايات الشفاهية وأول من تحدث في الحقيقة المحمدية بالإضافة إلى المحبة. ثم يأتي باقي الصوفية في حضور أقل في الوعي التاريخي مثل سفيان بن عيينة، والمحاسبي، والجنيد، ومالك بن دينار، والحسن البصري، وداود الطائي، وأبو سليمان الداراني، وبشر بن الحارث، ويحيى بن معاذ، وحاتم الأصم، وعطاء بن رباح. ومن الصحابة عبد الله بن مسعود، وأبو هريرة، وأبو ذر الغفاري. ومن الأئمة جعفر الصادق، وزين العابدين، ومحمد الباقر، ومحمد بن الحنفية، ومن الخفاء الراشدين أبو بكر، والسري السقطي ... إلخ.^{٢٤} والكثير منهم صغير الحجم لا يتجاوز صفحة واحدة. وقد كثرت الأعلام كما صغرت حجمًا في الجزء العاشر والأخير وليس منهم أحد ذا شهرة استمرت عبر التاريخ.^{٢٥}

ومعظمهم من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين والفقهاء والمحدثين دون أن يظهر لفظ «صوفي»، لا في العنوان ولا في وصف العلم. فالصوفي هنا تابع للصحابة والتابعين. ومحدث من المحدثين، مما يدل على أن التصوف نشأ من الداخل وليس من الخارج، وأنه استمرار لحياة الرسول ولدور النبوة في التاريخ. والصوفية هم أتباع الصحابة. وأحاديث الرسول هي قلب العلم. و«حلية الأولياء» استئناف لعلم الحديث حول الصحابة والتابعين والفقهاء، ومنهم الأولياء والأصفياء أي الصوفية الأوائل. بل لا يستعمل لفظ صوفي «أو صوفية» إلا بمعنى «صافي» أو «أصفياء» أو «ولي» و«أولياء».

^{٢٤} السابق، ج ٣، ١٧٤-٢٠٦.

^{٢٥} الجزء العاشر وحده يتضمن ٢٢٢ عَلمًا.

وقد جمع معهم أهل الصفة في قسم خاص، تسعة وثلاثون منهم، في حزمة واحدة.^{٢٦} أهمهم كيفًا وأكبرهم حجمًا، هو عبد الله بن مسعود.^{٢٧} ويذكرون كرواة عن الرسول، دون أن تكون لهم آراء وأقوال خاصة بهم. ومعظمها روايات لأفعال وحكايات عنهم. كما جمع «الأصفياء من النساء» ذكر النساء الصحابيات، تسعة وعشرون صحابية، وفي مقدمتهم فاطمة، وعائشة، وحفصة، وزينب بنت جحش، وصفية، وأسما بنت أبي بكر.^{٢٨} ولا يوجد موضوع خاص لأي منهن تتفرد به أو علامة رئيسية لشخصيتها. ويخصص الحديث عن طبقة التابعين وحديث «خير القرون قرني»، وأول الطبقة الأولى أويس القرني،^{٢٩} والصوفية خلفاء التابعين وتابعي التابعين. لهم أحاديثهم ورواياتهم مثل النبي. يقوم التابعي بدور الصحابي في النصيح والإرشاد. فالسلوك القويم ما زال هو هدف الطبقات المتتالية من الصحابة إلى التابعين إلى تابعي التابعين إلى الأولياء والأصفياء، هم نواة الصوفية.^{٣٠} ويتصدر الفقهاء كالشافعي وأحمد باقي الأعلام، فالشافعي وأحمد وحدهما يذكر لهما النسب والولادة، والمكان وتاريخ الوفاة والآثار والمآثر مثل الدفاع عن الحديث والقرآن والقراية من الرسول القرشي في النسب، والمفاضلة بينها وبين باقة الفقهاء، والجدل ضد الفرق الضالة من المتكلمين والفلاسفة مع أن الشافعي ليس له في التصوف شيء. وأحمد بن حنبل مؤسس المدرسة السلفية معاد للتصوف.

وهناك نعوت ظاهرة وأخرى باطنة يوصف بها الأولياء، وينقاد لها العقلاء والصالحون، ويغبطهم عليها الشهداء والنبيون. فهم المورثون لكامل الذكر، المقيدون كلًا منهم بشامل البر، وهم المسلمون من الفتن والموقنون في المحن. وهم المضطرون في الأطعمة واللباس، المبررة أقسامهم عند النازلة والناس. تنفلق بيقينهم الصخور، وبيمينهم

^{٢٦} حلية الأولياء، ج ١، ص ٢٤٧-٣٩٦.

^{٢٧} السابق، ص ٣٧٦-٣٨٥، ج ٢، ص ٢٦-٣٣.

^{٢٨} السابق، ج ٢، ص ٣٩-٧٧.

^{٢٩} السابق، ص ٧٩.

^{٣٠} «جمع كتاب يتضمن أسامي جماعة وبعض أحاديثهم وكلامهم من أعلام المتحققين من المتصوفة وأئمتهم، وترتيب طبقاتهم من النسك، ومحجتهم من قرن الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم ممن عرف الأدلة والحقائق، وبأشكال الأحوال والطرائق، وساكن الرياض والحدائق. وفارق العوارض والعلاتق، وتبرأ من المتنطعين والمتعمقين، ومن أهل الدعاوى من المتسوفين، ومن الكسالى والمثبطين، والمتشبهين بهم في اللباس والمقال، والمخالفين لهم في العقيدة والفعال»، حلية الأولياء، ج ١، ص ٤.

تتفتق البحور. وهم سياق الأمم والقرون. وبإخلاصهم يمطرون وينصرون. رفضوا باطن العاجلة وظاهر بهجتها وزينتها. وهم المصنون عن حقارة الدنيا والافتتار بها، المبصرون صنع محبوبهم بالفكر والاعتبار. وهم مشغوفون به وبوده، والمكلفون بخطابه وعهده. هم مصابيح الدجى، وينابيع الرعد والحجى. خصوا بخفي الاختصاص، ونقوا من التصنع. هم الواصلون بالحب، والباذلون للفضل، والحاكمون بالعدل. هم المنبسطون جهراً، المنقبضون سرّاً. يبسطهم روح الارتياح والاشتياق. ويقلقهم خوف القطيعة والفرق. هم المبادرون إلى الحقوق من غير تسويف، والموفقون للطاعات من غير تطفيف.^{٣١}

يقوم تدوين التاريخ على نظرة مثالية له. فكل شيء فيه يسير وفقاً لسلوك مثالي من الرسول إلى الصحابة إلى التابعين إلى تابعي التابعين إلى أهل الصوفية إلى الأولياء والأصفياء وهم الصوفية. مع أن الرسول كان يجتهد في الرأي، يخطئ ويصيب. وكان الصحابة يختلفون فيما بينهم. ووقعت الفتنة الكبرى بينهم. وتصارعوا على الحكم والسلطة. وسالت بينهم الدماء. أخذ الصوفية المؤرخون إذن جانباً واحداً من التاريخ، التاريخ المثالي، وتركوا التاريخ الواقعي. أخذوا التاريخ الإلهي، وتركوا التاريخ الإنساني. ردوا الكل إلى أحد أجزائه. مما قد يسمح لمؤرخ معاصر آخر يرد نفس الكل إلى أجزاء أخرى. ويكتب السيرة الأخرى للصحابة والتابعين وتابعي التابعين.^{٣٢} التصوف إذن هو قراءة للتاريخ من منظور الصفوة المخلصة. والصوفي هو الإنسان الكامل قبل أن يعيه ابن عربي والجيلي نظرياً. لذلك غابت النظرة النقدية للتاريخ. وتحول التاريخ كله إلى تحقيق مثالي يغلب عليه المدح والثناء لكل ما فيه من شخصيات وأحداث. التصوف هو السلوك الفاضل للصحابة والتابعين، للخلفاء الراشدين والحكام العادلين مثل عمر بن عبد العزيز. ليس في حاجة إلى الاستشهاد بأحاديث الرسول. تكفي الآيات التي هو تجسيد لها.

ونظراً لضخامة «حلية الأولياء» وكثرة أعلامه وآياته وأسانيده ورواياته، فإنه يحتاج إلى فهارس ضخمة.^{٣٣} واستبعاد الآيات والحضور الطاعني للأحاديث يدل على خروج الصوفية المؤرخين من علم الحديث. والعجيب شرحه وكأنه متن عويص الفهم في حاجة إلى

^{٣١} السابق، ج ١، ٥-١٧.

^{٣٢} ويمثل هذه المدرسة خليل عبد الكريم وسيد القمني.

^{٣٣} حلية الأولياء ج ١١. وهو مخصص للأحاديث النبوية والآثار والأعلام والبقايا والأشعار دون الآيات. الأحاديث حوالي ٣٥٥٠ حديثاً، الأعلام (٢٩٥٤)، الأشعار (١٢٩)، البقايا (٧١).

بيان. فهو ليس نصًّا عويصًا. لا صعوبة فيه. قد يزيد معلومات على معلومات، وأحاديث على أحاديث، وأقوال على أقوال دون أن يغير العلم من الحديث إلى التصوف أو يضع فارقًا بينهما. ولا يمكن زيادة التحليلات العقلية لغيابها أصلًا. وإذا كان الشرح اختصارًا فإنه يبقى الصوفية ويستبعد الفضلاء من المحدثين والفقهاء والمفسرين.

ويذكر أسماء الأعلام بأشخاصهم دون موضوعات على عكس الوعي النظري عندما تختفي الأعلام وراء الموضوعات بداية بكتاب «التعرف لمذهب أهل التصوف» للكلاباذي (ت ٣٨٠هـ)، و«منازل السائرين» للأنصاري الهروي (ت ٤٨١هـ)، حتى «إحياء علوم الدين» للغزالي (ت ٥٠٥هـ)، واستثنائيًا في «الفتح الرباني» و«الغنية» لعبد الكريم الجيلي (ت ٥٦١هـ)، و«حالة أهل الحقيقة مع الله» و«البرهان المؤيد» لأحمد الرفاعي (٥٧٨هـ)، و«شمس القلوب» للجائي (ت ٥٩٩هـ)، و«عوارف المعارف» لأبي حفص السهروردي (ت ٦٣٢هـ)، و«الفتوحات المكية» لابن عربي (ت ٦٣٨هـ)، و«منازل السائرين ومقامات الطائرين» لأبي بكر بن شاهاور الرازي (ت ٦٥٤هـ)، و«القصد إلى الله تعالى» لأبي الحسن الشاذلي (ت ٦٥٦هـ)، و«حدايق الحقائق» لمحمد شمس الدين الرازي (ت ٦٦٠هـ). وكلها في التصوف الأخلاقي النفسي قبل أن يتحول التأليف إلى التصوف الفلسفي عند السهروردي (شهاب الدين)، وابن الفارض وابن عربي وعبد الحق بن سبعين وابن عطاء الله السكندري والكاشاني، ثم الطريق عند الشاذلي والشعراني. بل إنه لا يوجد موضوع مميز أو سمة غالبية على كل عَلم. يتساوى الجميع في جمع المادة التاريخية حوله وأحيانًا بتفصيلات عن نسبه ومولده ووفاته ونشأته.

وتتضمن بعض الأعلام ذكر بعض أقوالهم كمؤشر على ظهور الموضوعات مثل عمر بن الخطاب وما أثر عنه في الزهد والورع، وعلي بن أبي طالب ونماذج من «وثيق عباراته ودقيق إشارات» ووصيته لكحيل بن زياد، وزهده وتعبدته ووصفه في مجلس معاوية رواية عن آخرين، وعبد الله بن مسعود ووصاياه، وأبو ذر الغفاري ومواعظه.^{٣٤} كما ظهرت أيضًا رسائل مدونة للحسن البصري كعَلم مثل كتابه إلى عمر بن عبد العزيز وابن سيرين، وغرائب أخباره في تعبير الرؤيا، وزيد بن عبد الله فيما أسند إليه وكأن الإسناد موضوع.^{٣٥} وفي مجاهد بن جبر تذكر أخبار مروية عنه في التفسير. وفي عكرمة مولى بن عباس تذكر

^{٣٤} السابق، ج ١، ٥٠-٥٥، ٧٩-٨٧، ١٣٣-١٣٩، ١٦٥-١٧٠.

^{٣٥} السابق، ج ٢، ١٣٤، ٢٧٦، ٢١٣.

أخبار عنه في التفسير أيضًا.^{٣٦} وآثاره في التفسير هو الموضوع الغالب عند سعيد بن جبير.^{٣٧} وقد يكون الموضوع رسالة كتبها الشخص مثل رسالة عمر بن عبد العزيز إلى المأمون.^{٣٨} وتتخلل بعض الموضوعات داخل الأعلام مثل الزهد.^{٣٩}

والمنهج المتبع في كتابة أهم الأعلام هو رسم شخصية العلم بعبارة مملوءة بالمحسنات البديعية مثل السجع مع الاسم ثم وضع تعريف للتصوف يتفق مع هذا الاسم لشخصية العلم لإثبات أنه من الصوفية ينطبق عليه تعريف الصوفي. ولا يحال تعريف التصوف إلى صاحبه. ويكتفي بلفظ «قل». والاسم والرسم أقرب إلى الأخلاق الصوفية.

قد يوجد رسم بلا اسم ولكن لا يوجد اسم بلا رسم.^{٤٠} ويلاحظ أن الرسم والاسم لا يتجاوزان السبعة. ويقلان من البداية إلى النهاية من تسعة وعشرين في الجزء الأول إلى لا شيء في الجزء العاشر. وعادة ما يكون الرسم ثم الاسم في البداية. ونادرًا ما يكون في الوسط إذا كان العلم طويلًا مثل ابن مسعود. ويستحيل أن يكون في النهاية.^{٤١} وكلما كبر العلم حجمًا ظهر الرسم والاسم. وكلما قلَّ اختفيا.

والسؤال هنا: هل هذا التطابق بين الرسم والاسم، بين الوصف والتعريف صحيح أم مُفتعل، طبيعي أم مُصطنع، حقيقي أم مركَّب؟ والسجع قادر على هذا التركيب، اصطناعًا باصطناع. الغاية منه اتفاق السجع على تطابق الرسم مع الاسم. وإن لم يكن مصطنعًا فهل تم هذا التطابق بين الرسم والاسم «استنباطًا أم استقراء»؟ هل تم وصف العلم ورسمه أولاً ثم البحث له عن تعريف للتصوف مطابق له وهو طريق الاستقراء، الصعود من الجزء إلى الكل أو من الواقع إلى المثال أو من الشخص إلى المبدأ؟ وهو أقرب إلى الترتيب في التدوين في وضع الرسم قبل الاسم. أم قد وضع تعريف التصوف أولاً، ثم تم البحث عن رسم علم مطابق له وهو طريق الاستنباط، والانتقال من المبدأ إلى الشخص، ومن المثال إلى الواقع، ومن التعريف إلى المعرّف؟

^{٣٦} السابق، ج ٣، ٢٨٠-٣١٠، ٣٢٩-٣٤٧.

^{٣٧} السابق، ج ٤، ٢٨٣-٣٠٩.

^{٣٨} السابق، ج ٥، ٣٤٦-٣٥٣.

^{٣٩} السابق، ج ٣، ٧.

^{٤٠} السابق، ج ١، ٢٩: ٨٥، ج ٢، ٣١: ١٢٥، ج ٣، ١٨: ٤٨، ج ٤، ٩: ٣٥، ج ٥، ٩: ٤١، ج ٦، ٣: ٦٢، ج ٧،

١: ٨، ج ٨، ١: ٤٨، ج ٩، ١: ١٥، ج ١٠، ٠: ٢٣٢.

^{٤١} السابق، ج ١، ١٣١-١٠٢: ٦٩٨.

ونظرًا لأن تعريف التصوف لازمة أولى تطابق رسم العَلَم كانت ضعيفة أو محددة لم تستطع استيفاء العَلَم كله فتم الوقوع في الحكايات والمقارنات بالتعريفات المشابهة. وربما وجود ما يقرب من السبعة تجمع بين الرسم والاسم قد يدل ذلك على أن للاصطناع حدودًا، وأنه لا يمكن إيجاد سبعمائة تعريف للتصوف ليغطي سبعمائة شخصية. ولو وجد لاستحال التوفيق الدائم بين هذا الرسم وهذا التعريف أو الاسم. ولا يوجد في الجزء العاشر والأخير الذي يتضمن مائتين واثنين وثلاثين علمًا أي مقارنة بين الرسم والاسم، فهل انتهت تعريفات التصوف؟ هل لعبة التوفيق بينهما عن طريق السجع قد انتهت؟ هل تعب أبو نعيم أو سئم من هذه اللعبة المصطنعة؟ ويمكن إجراء دراسة نقدية للإجابة على عدة تساؤلات:

- (أ) هل الرسم مطابق للعَلَم أم من صنع الخيال؟
(ب) هل اختيار تعريف التصوف فعلي أم المقصود منه إعطاء غطاء نظري للعَلَم لأنه محدث أو راو أو صاحبي أو تابعي وليس صوفيًا بالضرورة؟
(ج) هل يمكن تجميع تعريفات التصوف التي استعملت كي تطابق رسم الشخصيات لتصبح تعريفات للتصوف أم أنها مجرد عبارات إنشائية فضفاضة؟
(د) هل يمكن إعطاء غطاء نظري لحوالي سبعمائة علم من سبعمائة تعريف للتصوف؟ ونظرًا لاستحالة ذلك غابت معظم رسوم الأعلام من تعريفات مطابقة للتصوف.

ويبدو أن تدوين التصوف كان متأثرًا بتدوين علم الحديث. فالصوفي محدث ضمن سلسلة الرواة ما دام ينتسب إلى الصحابة والتابعين وتابعي التابعين. فكما جمعت آثار الرسول تجمع أيضًا آثار الصوفية بنفس طريقة علم الحديث، الرواية. ويظهر الرسول كما يظهر الصوفي في القرون الأولى. وكلما بعد الزمان قل ظهور الرسول وأحاديثه، وزاد ظهور الصوفي وأقواله. والصوفي نفسه موضوع الرواية في أقواله وأفعاله يرويها عنه الآخرون. وتغلب الأفعال على الأقوال أو الحكايات على الأفعال لأنها أكثر قدرة على التعبير عن الخيال الشعبي والإبداع الأدبي، ويروى الحديث الواحد بأكثر من سند كما هو الحال في علم الحديث، كما يروى بأكثر من صياغة للمتن سواء في أحاديث الرسول أو في أقوال الصوفية. وتغلب الأسانيد على المتن. فصحة المتن ما زالت مشروطة بصحة السند.^{٤٢} وكثيرًا ما

^{٤٢} من نقد السند إلى نقد المتن، البخاري نموذجًا، الجمعية الفلسفية المصرية، العدد الخامس، القاهرة، ديسمبر ١٩٩٦م، ص ١٣١-٢٤٣، وأيضًا حصار الزمن، ج ٣، العلوم (الماضي والمستقبل)، ص ٥٣-١٦٥.

يُحكم على حجة السند بأنه غريب.^{٤٣} وبالرغم من أنه غريب أو ضعيف يتم استعماله لأنه يوافق هوى المحدث ويؤيد مطالبه. فالهدف يتحدد أولاً ثم توجد البراهين على شرعيته من الأحاديث. الكثير من الأحاديث موجهة بأراء الفرق أي التيارات السياسية مثل أحاديث ذم الخصوم من المعتزلة والخوارج والشيعة.

ويستعمل التابعي القرآن والحديث للاستشهاد بهما وليس لرسم شخصية العلم كما هو الحال عند الصحابة. فكلما تقدم الزمان وقدم العهد الأول قلَّ الرسم وظهر الاسم أي قلَّ الوصف وزاد اسم المتصوف، وظهر كعلم مستقل عن علم الحديث.

كتب «الطبقات» إذن لها علاقة بكتب الحديث، هي جماع كتب القرآن والحديث والتفسير والسيرة والفقه. خرج التصوف إذن من العلوم النقلية قبل أن يصبح علماً عقلياً نقلياً طبقاً لتصنيف العلوم عند القدماء. ويبدو «حلية الأولياء» وكأنه إتمام للإصحاحات الخمسة مع تقطيعها وتوزيعها على حوالي سبعمئة فاضل من الصحابة والتابعين ومعهم الصوفية الأوائل. نشأ التصوف على نموذج علم الحديث. وتدوين الأحاديث الصوفية مثل تدوين الأحاديث النبوية. والصوفي أحد الرواة. يروي عن الرسول كما يروي الآخرون عنه. صوفية القرن الأول والثاني مثل الصحابة والتابعين من حيث قرب العهد بزمان النبوة. الصوفية الأوائل محدثون. والتصوف في بدايته جزء من علم الحديث، والسؤال هو: هل هذه الروايات عن الصوفية صحيحة وموجودة في الإصحاحات الخمسة؟

وبعض الأعلام كلها أحاديث ولا شأن لها بالتصوف حتى المعروفون به مثل سفيان الثوري.^{٤٤} ومن ثم، يمكن القول بلا تردد بأن «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» كتاب في الحديث أساساً مثل باقي كتب الأحاديث، الإصحاحات الخمسة والمدونات والأسانيد. ويقوم الصوفي بدور النبي في الرواية عنه والنقل منه بأسانيد. وإذا تغيرت الأسانيد يتكرر المتن دون رعاية لفن التأليف والاختصار وتفادي التكرار. فالصوفي يقتفي أثر النبي في الحديث ورواية الناس عنهما.^{٤٥}

وفي الأحاديث تظهر روايات الأفعال أكثر من روايات الأقوال مما يسمح بتدخل الخيال في الوصف لإبراز الكرامات. وكثير من الأحاديث القدسية روايات بين الله وأنبيائه بما في ذلك

^{٤٣} حلية الأولياء، ج ١، ٢٧٧، ج ٢، ١٠١.

^{٤٤} السابق، ج ٦، ٣٨٧-٣٩٣، ج ٧، ٣-١٤٣.

^{٤٥} السابق، ج ٩، ٥٤.

خاتم الأنبياء حتى تفسح المجال للخيال الشعبي والتشبيهات والمبالغات لمزيد من التأثير. لذلك دخلتها «الإسرائيليات». وبدأ الاغتراب بالخروج من الواقع، والتحول من التصوف الأخلاقي إلى التصوف النظري كما تحولت المسيحية الأخلاقية في الأناجيل المتقابلة إلى المسيحية العقائدية عند يوحنا وبولص.

والتوسع في تفصيلات الأحاديث تذهب كليات القرآن وتضيع الأصول في الفروع. وتتشظى الرؤية الكلية في جزئيات مفككة؛ لذلك تغيب الموضوعات لكثرة الروايات، وتتوه في تعدد الأسانيد لدرجة أن اسم العلم هو مجرد تجميع لمجموعة من الأحاديث حوله راوياً ومحدثاً. وتتوالى الأحاديث تباغاً لدرجة أنه من الصعب التعرف على موضوعها ومناسبتها. كما أنه من الصعب إيجاد علاقة بين اسم العلم والأحاديث التي تذكر بمناسبتها. ومن هنا تبدو أهمية الوعي الموضوعي والانقلاب في الوعي التاريخي من الشخصي إلى القضية، ومن العلم إلى الموضوع كما فعل الغزالي في «الإحياء». ونموذج ذلك ما ورد في عبد الرحمن السلمي صاحب «الطبقات». فلا ذكر لمؤلفه ولا لتصوفه بل يكتفي بمجرد ذكر حكايات عنه.^{٤٦}

ومعظم الأحاديث تركيبات خيالية يدخل فيها كمحاورين الله وجبريل والأنبياء السابقين والملائكة وإبليس والخضر. وكما تستبعد أحاديث الرسول في المنام وحواراته مع الله أو الأنبياء والطبيعة، كذلك تستبعد أقواله قبل البعثة وإن كانت تدل على الطبيعة وهي قرين الوحي. وبعد الموت يسرح الخيال. ومنها ما يبدو في المنام للصحابي الذي يحادثه الرسول في نومه فيروى عنه بعد اليقظة. وإذا كان القرآن به كل شيء فلماذا حضور جبريل المستمر في الأحاديث للتعليم كالقرآن والتذكير عند النسيان والتصحيح حين الخطأ؟ وفي الحكايات تروى كرامات الأولياء كما تروى معجزات الأنبياء مما يثير الخيال ويحقق الأحلام، وروايات الخضر وتأويلاته الباطنية.

وتستعمل الأحاديث كتفسير للآيات. فيقوم الحديث بدور علم التفسير. وتكون الرابطة بين القرآن والتفسير، الحديث تفسير للقرآن. وبالتالي خرج التفسير من علم الحديث، وكما تدخل الخيال الشعبي في الحديث كذلك تدخل في التفسير بتجسيد الآيات حروفاً في الأحاجي كما هو الحال في التصوف الطرقي المتأخر أو أصواتاً لدى الحفاظ والقراء فلا تمسهم النار

^{٤٦} السابق، ج ٤، ١٩١-١٩٨.

وكأن قانون الاستحقاق لا وجود له. وهنا يبدو التصوف وكأنه بداية التفسير الروحي الأخلاقي الباطني للقرآن بدلاً من التفسير الفقهي الشرعي الحرفي الظاهري. وتسود الحجج النقلية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية لدرجة أن «حلية الأولياء» لا يفترق عن كتب الأحاديث في شيء. إلا إضافة بعض أقوال الصوفية وأفعالهم معها واستثناءً لها. ونظرًا لتحول بعض النصارى إلى الإسلام مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه. فقد استعملوا ثقافتهم السابقة عن أنبياء بني إسرائيل في فهم الدين الجديد كما فعل بولس مع المسيحية. فظهر ما يسمى بالإسرائيليات. واستشهد بكثير من أقوال الأنبياء السابقين دون مصادر موثوقة أو معروفة ولكنها مرويات شفاهًا أو تدوينًا من اليهود والنصارى في المدينة سواء من تحول منهم إلى الإسلام أو من بقي على دينه. وكثير منها حوارات بين الله والأنبياء أو بين الأنبياء والرسول يدونونها بخبراتهم مع أممهم. فالتصوف هو الجامع للأديان والمحقق لوحدها. وتبرز قصة مريم وقصص داود وسليمان والخليل. وكلما بعد الزمان عن عصر النبوة قل الحديث. واستند التصوف إلى تفسير القرآن بدلاً من رواية الحديث. ويتم اختيار الأحاديث الخلقية. فالتصوف في بدايته تصوف خلقي. وتختفي أحاديث التصوف النفسي أو التصوف الفلسفي الخاصة بالغيبيات خاصة قصة الإسراء والمعراج، وتكرر نفس الأحاديث في مناسبات مختلفة.^{٤٧} فالأحاديث هي البراهين. وإذا عظمت أهمية الصوفي زادت أقواله وأفعاله، وقلت الآيات والأحاديث كما هو الحال في شخصية مالك بن دينار.^{٤٨}

وتغيب التحليلات العقلية أو التجارب الروحية كي تتعادل مع الحجج النقلية؛ لذلك يبدو التصوف في الوعي التاريخي أقرب إلى العلوم النقلية، القرآن والحديث والتفسير والسيرة والفقهاء، منه إلى العلوم النقلية العقلية كالكلام والفلسفة وأصول الفقه. وليس من المعقول أن تكون مادة «حلية الأولياء» كلها مجمعة من مصادر شفاهية نظرًا لضخامتها. ويذكر أبو نعيم بين الحين والآخر مصادر كتابية لأعمال بعض الصوفية اندثرت في حينها أو ما زالت مخطوطة أو لم تكتشفها أيادي المنقبين عن الآثار بعد.^{٤٩} إذ يشير أبو نعيم إلى اعتماده على كتب الطبقات السابقة مثل «السلمى وابن الأعرابي».

^{٤٧} السابق، ج ٢، ١٧٥، ١٨٨.

^{٤٨} السابق، ص ٣٥٧-٣٨٨.

^{٤٩} السابق، ج ١، ٢٣١، ج ٥، ٧، ج ٦، ١١١-١١٥.

ثانيًا: الوعي التاريخي الخالص

وقد يكون الدافع على التأليف داخليًا محضًا، إصلاح التصوف، وتنقيته مما علق به من خرافات وخزعبلات من بين أهله.^{٥٠}

^{٥٠} «وذلك لما بلغك من بسط لساننا ولسان أهل الفقه والآثار في كل الأقطار والأمصار، في المنتسبين إليهم من الفسقة والفجار، والمباحية والحلوية الكفار، وكثير ما حل بالكذبة من الوقعة والإنكار، بقادح في منقبة البررة الأخيار، وواضع من درجة الصفوة الأبرار، بل في إظهار البراءة من الكذابين والنكير على الخونة الباطلين نزاهة للصادقين ورفعة للمتحققين. ولو لم تكشف عن مخازي المبطلين ومساوئهم، ديانة للزمن إبانيتها وإشاعتها حمية وصيانة؛ إذ لأسلافنا في التصوف العلم المنشور، والصيت والذكر المشهور»، السابق، ج ١، ٤.

ثالثاً: الوعي التاريخي الموضوعي

بالرغم من أن الوعي التاريخي الموضوعي سابق تاريخياً على الوعي التاريخي الخالص إلا أنه من حيث البنية تالٍ له نظراً لبداية انفصال الموضوع الصوفي عن تاريخ الصوفية ابتداء من القرن الخامس في «الإحياء»، وقد تشكل هذا الوعي في القرنين الرابع والخامس الهجريين.

(أ) «اللمع» للطوسي (٣٧٨هـ)^١

وهو أول كتاب في التصوف كطريق أي بنية وليس كتاريخ. ويدل على ذلك اسم «اللمع» أي الكشف. وقد بدأت الكتابة عن التصوف عند الصوفية المؤرخين وليس في التصوف عند الصوفية المبدعين بسبب المشاكل التي أثرت حول التصوف، والتشجيع الذي وقع على مصطلحاتهم. فبدأ الصوفية المؤرخون تحديد معناه وبيان إشاراتهم وألفاظهم وحقائقهم ومواجيدهم كعينات مختارة وليس كرصد شامل ليتدبر القارئ لعله يكون اختياره.^٢

^١ دار الكتب الحديثة، القاهرة، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٠م/ ١٣٨٠هـ

^٢ إنني قد استخرت الله تعالى، وجمعت أبواباً في معنى ما ذهب إليه أهل التصوف، وتكلم مشايخهم المتقدمون في معاني علومهم، وعمدة أصولهم، وأساس مذهبهم، وأخبارهم وأشعارهم، ومسائلهم وأجوبتهم، ومقاماتهم وأحوالهم، وما انفردوا به من الإشارات اللطيفة، والعبارات الفصيحة، والألفاظ المشككة الصحيحة على أولهم، وحقائقهم ومواجيدهم وفصولهم. وذكرت من كل فصل طُرُقاً، ومن كل أصل طُرُقاً ونُتفاً، ومن كل باب لمحاً، على حسب ما سنح به الحال، ومكن به الوقت، وجاد به الحق جل ذكره، مقتدياً بالأسوة والمقدرة، والبيان والحجة. فينظر الناظر فيه عند تيقظ وتنبُّه وحضور قلب ومزاج

والتصوف رد فعل على ما أثّرت حوله من شبهات وما اقترن بالصوفية من أديعاء^٣. كثر فيه الخائضون دون علم. وألفوا كتبًا مزخرفة بلا مضمون ودون قطع العلائق وإماتة النفوس كما فعل الصوفية الأوائل^٤.

ويتكون من مقدمة واثنى عشر بابًا دون ترقيم مما يبين أن تفاصيل الطريق لم تكتشف بعد^٥. ومن حيث أولويات الترتيب تبدو أهمية الأحوال والمقامات باعتبارها أهم موضوع في الطريق. ثم يتحول الطريق إلى تاريخ ابتداء من أهل الصفوة حتى الاقتداء بالرسول واستنباط أهل الصفوة مواقفهم من الرسول ثم الصحابة. ثم يترك التاريخ إلى البنية في وصف آداب التصوف والأشكال الأدبية لكتاباتهم، والسماع والوجد، وإثبات الآيات والكرامات، ثم بيان المشكلات الناشئة عن الألفاظ وتفسير الشطحات.

أما من حيث الأهمية الكمية فتأتي «آداب المتصوفة» في المقدمة مما يدل على أنهم أصبحوا فئة مميزة لهم طريقهم الخاص. ثم الشطحات أي ما يصدر عنهم من أقوال

نفسى، بحسن التوقف والتفكير، والتأمل والتدبر، بخلوص وطهارة القلب، وصحة القصد، تقربًا إلى الله تعالى ذكرًا، وشاكرا له على منحة من تسديده وتوفيقه وهدايته إلى موالاة هذه العصابة ومناوأة من بسط لسانه فيها بالوقية فيهم والإنكار لأنهم العصابة القليل عددها، العظيم عند الله قدرها وخطرها»، السابق، ص ١٨.

^٣ «وينبغي للعقل في عصرنا هذا أن يعرف شيئًا من أصول هذه العصابة وقصودهم، وطريقة أهل الصحة والفضل منهم حتى يميز بينهم وبين المتشبهين بهم، والمتلبسين بلبسهم، والمتسمين باسمهم حتى لا يغلط ولا يأتّم لأن هذه العصابة أعني الصوفية هم أمناء الله في أرضه...»، اللع، ص ١٨-١٩.

^٤ «إن في زماننا هذا قد كثر الخائضون في علوم هذه الطائفة. وقد كثر أيضًا المتشبهون بأهل التصوف والمسيئون إليها والمجيبون عنها وعن مسائلها. وكل واحد منهم يضيف إلى نفسه كتابًا قد زخرفه وكلاما ألفه، وليس بمستحسن منهم ذلك لأن الأوائل والمشايخ الذين تكلموا في هذه المسائل وأشاروا إلى هذه الإشارات ونطقوا بهذه الحكم إنما تكلموا بعد قطع العلائق، وإماتة النفوس بالمجاهدات بالرياضات والمنازلات والوجد والاحتراق والمبادرة والاشتياق إلى قطع كل علاقة قطعهم عن الله عز وجل طرفة عين، وقاموا بشرط العلم، ثم عملوا به ثم تحققوا في العمل فجمعوا بين العلم والحقيقة والعمل»، السابق، ص ١٩-٢٠.

^٥ وهي: (١) الأحوال والمقامات، (٢) أهل الصفوة في الفهم والاتباع للكتاب، (٣) الأسوة والاقتداء برسول الله، (٤) المستنبطات، (٥) الصحابة، (٦) آداب المتصوفة، (٧) المسائل واختلاف أقاويلهم في الأجوبة، (٨) المكاتبات والصدور والأشعار والدعوات والرسائل، (٩) السماع، (١٠) الوجد، (١١) إثبات الآيات والكرامات، (١٢) البيان عن المشكلات، (١٣) تفسير الشطحات والكلمات التي ظاهرها مستشنع.

يشنع الناس عليهم بسببها، ثم المقدمة الأولى عن التصوف ومعانيه وحقيقته، ثم ألفاظهم. ثم المقامات والأحوال تأتي في الدرجة الخامسة من حيث الكم بعد أن كانت الأولى من حيث الترتيب، ثم السماع كأحد العوامل المصاحبة للرياضات والمجاهدات، ثم المكاتبات والرسائل وأشكال التدوين، ثم الصحابة باعتبارهم من أوائل الصوفية، ثم الكرامات قبل الرسول كقدوة، وأهل الصفوة الذين بدأ منهم الطريق، وأخيراً الوجد.^٦

ومن حيث مدى الحضور والإحالة إليه يأتي أصحاب الشطحات أولاً مثل الجنيد والشبلي، ثم التستري صاحب الأقوال المروية، ثم أبو سعيد الخراز. ثم يأتي ذو النون مع الروزباري. ثم يأتي ذكر بعض الصوفية الذين كانوا معروفين في عصرهم عبر التاريخ مثل الواسطي، وجعفر الخلدي، وأبو العباس البغدادي، ويوسف الراوي، والنوري، ورويم البغدادي، وأبو الحسين النوري، والوجيهي، وغيرهم مع الصوفية الذين اشتهروا مثل إبراهيم الخواص، والبسطامي ويحيى بن معاذ الرازي، وعمر بن عثمان المكي صاحب «قوت القلوب»، وأبو سليمان الداراني، والسري السقطي، وأبو بكر الدقاق شيخ القشيري، وإبراهيم بن أدهم. ومن الصحابة يتصدر عمر ثم علي. ومن الأنبياء يذكر موسى.^٧

ويعتمد على القرآن أكثر من الحديث. وتجمع الآيات القرآنية حول موضوع واحد مما يؤكد إمكانية التفسير الموضوعي للقرآن.^٨ ويعتمد في مصادره على الروايات لأقوال الصوفية السابقين سواء مدونة في رسائل أو شفاهية.^٩ وحذفت الأسانيد من الأخبار للإبقاء

^٦ الشطحات (١٠٣)، آداب المتصوفة (عدد الصفحات) (٨٩)، التصوف (٤٨)، الألفاظ (٤٤)، المقامات والأحوال (٤٠)، السماع (٣٧)، المكاتبات (٣٣)، الصحابة (٢٨)، المسائل والأجوبة (٢٢)، الكرامات (١٩)، قدوة الرسول (١٧)، أهل الصفوة (١٥)، الوجد (١٥).

^٧ الجنيد (١٣٨)، الشبلي (٧٤)، التستري (٥٨)، أبو سعيد الخراز (٤٢)، ذو النون، الروزباري (٣٦)، الواسطي (٣٢)، جعفر الخلدي، إبراهيم الخواص (٢٨)، أبو العباس البغدادي (٢٦)، يحيى بن معاذ الرازي (٢٧)، عمر بن عثمان المكي (٢١)، يوسف الرازي، أبو سليمان الداراني (٢٠)، النوري (١٨)، السري السقطي (١٧)، رويم البغدادي (١٦)، أبو بكر الواسطي، أبو الحسين النوري (١٥)، أبو محمد الجريري (١٣)، أبو عبد الله الجلاء (١٢)، أبو بكر الدقاق، الوجيهي (١١)، أبو تراب النخشبي (٨)، إبراهيم بن أدهم (٧)، وآخرون. ومن الصحابة عمر (١٤)، علي (١١)، ومن الأنبياء يذكر موسى (٨).

^٨ الآيات (٤٣٠)، الأحاديث (٣٧٧).

^٩ اللمع، ص ١٧.

على المتون بغية الاختصار.^{١٠} ويحرص على أمانة النقل دون زيادة أو تجميل طلباً للجاء عن العامة أو للمذهب عند السلطان.^{١١} وتبدأ معظم الفقرات بالسؤال المتخيل، «وإن سأل سائل» تمهيداً لعرض الموضوع ومثل «وإن قال قائل» و«إن اعترض معترض». وتدخل بعض الإسرائيليات كشواهد من أقوال الأنبياء مثل زكريا.^{١٢}

(ب) «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (٣٨٦هـ)

ولا يظهر فيه الوعي التاريخي كما يظهر في «اللمع» للطوسي، ولا الحديث عن الصوفية كفرقة ومقارنتها بالفرق الأخرى، متكلمين وفقهاء. ومع ذلك، يعتمد على تجميع أقوال السابقين دون تنظيرها. به أخبار دون رؤى، وروايات دون نسق، ومادة تاريخية دون وعي تاريخي. يختفي منه الجدل مع الخصوم، الفقهاء أو الصوفية المزيفين. والتنظير الوحيد هو القسمة، قسمة الموضوع كالتوبة أو الأشخاص كالتائبين. والقسمة أولى درجات التعريف. ولا يذكر سبب التأليف بل تأتي الموضوعات مباشرة بعد الحمدلات والبسملات.^{١٤} ويبني علم التصوف ابتداء من الفقه في تقابل الباطن والظاهر كما يبدو في العنوان المطول «قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد»، وتغلب الموضوعات الفقهية على أكثر من نصف الكتاب من حيث الكم أو من حيث عدد الفصول. ومن العنوان يتضح أن التصوف علم القلوب وليس علم الجوارح. وهو طريق إلى الله بين المحب والمحبوب. وهو طريق المريد إلى مقام التوحيد.

^{١٠} «وقد حذفنا الأسانيد عن كثير مما ذكرت في هذا الكتاب، واقتصرت على متون الأخبار والحكايات والآثار للاختصار»، السابق، ص ٢٠.

^{١١} «وكل من أخذ من كلام المتقدمين الذين وصفناهم معنى من معانيهم التي هي أحوالهم ووجدتهم ومستنبطاتهم، وحلّاه من عنده بحلية غير ذلك أو كساها عبارة أخرى أو أضافها إلى نفسه حتى يشار إليه بذلك أو يطلب بذلك جاهاً عند العامة أو يريد أن يصرف بذلك وجوه الناس إليه لجر منفعة أو لدفع مضرة فقد ترك الأمانة وعمل بالخيانة»، السابق، ص ٢٠.

^{١٢} السابق، ٧٧.

^{١٣} مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦١م/١٣٨١هـ.

^{١٤} ومثل «الفتح الرباني» للجيلاني.

يخلو من البنية. إنما يضم ثمانية وأربعين فصلاً. تتفاوت كمًّا. أكبرها المقامات والأحوال التي تشمل نحو ثلث الكتاب مما يدل على أن المقامات والأحوال هو قلب العلم.^{١٥} ويتلوها العلم مما يدل على أن التصوف هو أساساً نظرية في العلم.^{١٦} ويسردها المؤلف في مقدمة الكتاب.^{١٧}

يعتمد على الحجج النقلية والشواهد التاريخية أكثر من اعتماده على التنظير العقلي أو تحليل التجارب المعاشة، ويعتمد على القرآن ثم الحديث ثم الشعر.^{١٨} ومن ثم فهو يعتبر ردة عن المؤلفات الصوفية الخلقية السابقة عند رابعة والحسن والترمذي والمحاسبي وأبي سعيد الخراز وأصحاب الشطحات الحلاج والبسطامي والشبلي وأصحاب المواقف والمخاطبات والإشارات والفصول والمواظ، بل إن فصولاً بأكملها مخصصة للأدلة النقلية.^{١٩} وهو مجرد رصد دون أدنى تفسير أو تأويل أو تحليل نظري لتجربة إنسانية خارج النص. ويزداد التنظير في موضوعات التصوف الصرفة مثل المقامات والأحوال والعلم. وتظهر القسمة العقلية بجوار الأدلة النقلية من الآيات والأحاديث والروايات عن الصحابة والتابعين والصوفية.^{٢٠} ومن الواقد يذكر قول بقراط الفيلسوف الدواء من فوق، والداء من تحت.^{٢١} كما يذكر الحكماء والحكيم، والفلاسفة والفيلسوف وأهل الطب والأدباء. ويقل الاعتماد على السند لصالح المتن. يكفي أن يقال «وفي الخبر» أو «وفي الحديث»، كما يقال «روينا»، «روي»، وقد يجمع بين الخبر والرواية في «وقد روينا في الخبر»، كما يورد

^{١٥} المقامات والأحوال ٣٤٨ ص، من مجموع الجزئين ١١٥٤ ص.

^{١٦} العلم (١٠٢)، دعائم الإسلام الخمس (٨٦)، الغش والتجارة (٤٩)، الأخوة في الله (٤٧)، التزويج (٤٠)، الإسلام والإيمان (٣٢)، الخواطر، الأطمعة (٣١)، الإسلام والإيمان (٣٢)، ترتيب الأقوات (١٨)، الفقر (٢٥)، الكبائر والحلال والحرام (٢٣)، أهل السنة (٢١)، صلاة الجمعة (٢٠)، المراقبة (١٩)، التلاوة (١٣)، حكم الإمام (١٠٢)، اليقظة والانتباه، المريدون (١٢)، محاسبة النفس (١١)، أوراد النهار، تقسيم الليل والنوم (١٠)، الصلاة في الأيام والليالي، التسبيح (٩)، الزوال، الظلام، النوم (٧) ... إلخ.

^{١٧} قوت القلوب، ج ١، ص ٣-٧.

^{١٨} الآيات (٢٩٥٠)، الأحاديث (١٣٦٠)، الأشعار (٣٣٦).

^{١٩} الفصل الأول: في ذكر الآي التي فيها ذكر المعاملة، قوت القلوب، ج ١، ص ٨-٩؛ الفصل الثاني: في

ذكر الآي التي فيها أوراد الليل والنهار، السابق، ص ٩-١٠.

^{٢٠} «وفي هذه المعاني دقائق العلوم وغرائب الفهوم وأدلة للسائلين وعبرة وآيات للعالمين. فأما شر الشرين

ومعرفة الخير من الشر فهو معروف بأدلة العقول وظاهر العلوم»، السابق، ص ١٩٣.

^{٢١} السابق، ص ١٨٩.

الأثر دون نسبة إلى صاحبه. يكتفي بذكر «بعض العلماء أو بعض العارفين، وبعضهم. وقد يحال إلى الأثر دون تحديد أثر من؟ وتكثر الأحاديث القدسية التي لا سند لها مثل أحاديث جبريل مع الرسول التي لا سند لها، ولم يسمعها أحد سواه، وأحاديث الله مع الملائكة، وحديث الملائكة مع بعضهم البعض، وحديث الكل مع الشيطان. وقد يكون الله نفسه هو الذي يتحدث دون محاور.^{٢٢} وقد خصص أبو طالب المكي آخر باب في كتاب العلم إلى منهجه في الرواية وتفضيل الأخبار، وترجيح بعضها على البعض، والترخص والتوسع في النقل، والرواة الثقة من الصحابة مع تعديلهم. ويعترف باستعمال الأحاديث المرسله والمقطوعة والمحتملة التي لا يوجد يقين على بطلانها والضعيفة المتفقة مع القرآن، والتعبد بحسن الظن، وترجيح الحديث الضعيف على الرأي والقياس.^{٢٣} وقد تستعمل الأخبار المقطوعة والمشهورة والمرسله. وقد يُبنى الفعل للمجهول في صيغة «قيل» تجنباً لذكر المصدر.^{٢٤} وتستعمل أمثال العرب وعاداتهم مثل كراهية العرب وضع الشيء في أكفها لعزة نفوسها.^{٢٥} كما تُستعمل فنون كلام العرب ووجوه بلاغتهم، التطويل للبيان، والاختصار للحفظ، والمقدم والمؤخر للتحسين.^{٢٦} وتكثر الإسرائيليات والرويات من أنبياء بني إسرائيل وغالبها روايات أخلاقية روحية صوفية.^{٢٧} وتذكر الإسرائيليات صراحة أو الخبر الإسرائيلي. وتأتي في المقدمة أخبار داود وسليمان يعقوب ويوسف وأيوب ولقمان، وقول لقمان لابنه بناء على النموذج القرآني، ودعاء إدريس، وقصة يوسف وزليخا اللذين تزوجا ثم تصوفت زليخا. وتذكر نصوص من التوراة والإنجيل. ويُروى عن موسى وعيسى. ويذكر اشتقاق لفظ المسيح من مسح أي طوى الأرض فهو ماسح ثم مسيح أو ممسوح العين أي مطموسها، وأحاديث كعب الأخبار للصحابة.

ومن الطوائف يتقدم أهل السنة، ثم تتداخل الفرق الكلامية مثل المعتزلة والمتكلمين مع الفرق غير الإسلامية كالنصارى مع الفرق الصوفية كالسيارية، وأهل

^{٢٢} قوت القلوب، ج ١، ٦٨، ٨٢، ٣٥٧، ٣٧١، ج ٢، ١٢٠.

^{٢٣} تفضيل الأخبار، وبيان طرق الإرشاد، وذكر الرخصة والسعة في النقل والرواية، السابق ج ١، ٣٦٤-٣٥٩.

^{٢٤} وفي الخبر (١٠٠)، زوي (١٠٣)، وقد رويانا في الخبر (٣)، الأثر (٣٣)، المقطوع (١٣)، قيل (٣).

^{٢٥} مثل «يوم الرجم يضرب فيه عبد السوء»، قوت القلوب، ج ١، ٥٥، ج ٢، ١٤٧.

^{٢٦} السابق، ص ١١٨.

^{٢٧} الإسرائيليات (١٤)، الأنبياء (٤٤)، نصوص التوراة (٣)، كعب الأخبار (٢).

الصفة، والجنيدية، والحلاجية، والخرازية، والسهيلية والطيغورية، والمحاسبية والنورية، والخفيفية، والقصارية، وأسماء بعض الفرق المشتقة من مذهبها كالحلولية، وأهل الإلهام، والملاحدة، والحشوية، والمشبهة، والقدرية.^{٢٨} ويظهر فيه كثرة الاستشهاد بالأشاعرة والشافعية. وهما عقيدة السنة في التوحيد وفي الفقه. كما يعتمد على المتكلمين قدر اعتماده على الفقهاء.

ولا يظهر فيه الوافد اليوناني أو الروماني غربًا أو الفارسي والهندي شرقًا مما يدل على المصدر الداخلي للتصوف الإسلامي في البيئة التي أفرزته وكرد فعل على التكالب على الجاه والثروة، السلطة والمال ثم تبرير ذلك بالكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين. يذكر فقط «بعض الحكماء»، «فيلسوف من الحكماء».^{٢٩} وقد ذكر أرسطوطاليس مرة في حكاية مع خادمه لطلب أحد العامة من سواد الناس لأنه يأكل بعد الجوع ويرفع بعد الشبع، ويتقلل بين ذلك.^{٣٠} كما يذكر قول جالينوس عندما سئل عن الإقلال من الطعام «غرضي من الطعام أن أكل لأحيا، وغرض غيري من الطعام أن يحيا ليأكل»، وهو ما أخذه مولير في مسرحية «البخيل»: يجب أن أكل لأعيش لا أعيش لأكل. كما يذكر قول ثيادوق الطبيب أن اللحم فوق اللحم يقتل البرية.

(ج) «كشف المحجوب» للهجويري (ت ٤٦٥هـ)^{٣١}

ويتناول الصوفية كفرقة بين الموضوع والفرقة، بين إثبات العلم والفقر والتصوف من ناحية ولبس المرقعة، والصفوة، والصفة، والملازمة، والأئمة من الصحابة وآل البيت والتابعين والأنصار من المتقدمين والمتأخرين من ناحية أخرى. ميزته أنه انتقل من أسماء الأعلام إلى الفرقة ثم بزوغ الموضوع من خلال الفرقة. والكتاب أيضًا إجابة على سؤال سائل.^{٣٢}

^{٢٨} أهل السنة (٢٣)، الملاحدة (١٧)، المعتزلة (١٤)، الحشوية، المشبهة (٦)، الحلولية، النصارى المتكلمون (٥)، أرباب اللسان، الحكيمية، السيارية، أهل الصفة (٤)، الجنيدية، الحلاجيون، الخرازية، السهيلية، الطيغورية، القدرية، المحاسبية، النورية، الخفيفية (٣)، أهل الإلهام، القصارية (٢).

^{٢٩} بعض الحكماء، قوت القلوب، ج ١، ٢٨٩، ٣٢٣، ٣٥٥، ٤٢٥، فيلسوف من الحكماء ج ١، ٢٠٥. ^{٣٠} السابق، ج ٢، ٣٦٩، ٣٩٢-٢٩٣.

^{٣١} المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٩٧٤م/١٣٩٤هـ (جزءان).

^{٣٢} وهو أبو سعيد الهجويري سائلًا: «بئني لي على التحقيق طريقة التصوف، وكيفية مقامات الصوفية ومذاهبهم وأقوالهم، وأظهر لي رموزهم وإشاراتهم، وكيف تكون محبتهم لله عز وجل، وكيف يظهرها

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

والسؤال يدل على حاجة إلى المعرفة وأزمة في العصر وإن لم يتم التأليف بناء على طلب أو سؤال من صديق فإنه يتم بناء على استخارة، بناء على أغراض في النفس تتحقق.^{٣٣} وقد وضع المؤلف اسمه على الكتاب لسببين يرجعان إلى الخاصة والعامة. فعندما يعرف الخاصة مؤلف الكتاب ويعلمون أنه من أهل الصناعة يقبلون عليه، وهو المراد. ويأخذونه مأخذ الجد وهو المقصود. أما العامة فإنهم ينسبون الكتاب إلى أنفسهم إن كان مجهول المؤلف وهو ما حدث من قبل عند محو اسمه من كتاب آخر في التصوف هو «منهاج الدين».^{٣٤}

وتكشف الإجابة عن رد فعل على أزمة العصر باتباع الأهواء والأغراض عن طريق الصفاء، وتحول العلماء إلى أدعياء باستثناء خاصة من الصفوة وهم أهل الحق. انقلب العلم إلى أقوال، والحقائق إلى كلام، والتحقيق إلى تقليد. وقبل العوام ذلك جهلاً. فهم متصورون أنه الحق. وآثر الخواص إبقاء التمني في قلوبهم وشوقهم إلى الرؤية، وحرقة المحبة. وقد ألف الهجويري كتباً أخرى في هذا المعنى ضاعت واندثرت حسداً من الناس. تركها البعض ولم يفهمها البعض الآخر.^{٣٥} وكل من يؤله شيء رآه فيما يقرأ.^{٣٦} وقد فعل الجاهل نفس الشيء بكتب المشايخ التي لم يفهموها. وقارنوها بدواوين الشعراء ورسائل

على القلوب؟ وما السبب في حجاب العقول عن كنهها وماهيتها، ونفرة النفس من حقيقتها، وسكينة الروح إلى صفوتها، وما ينطلق بهذا من المعاملات؟»، السابق، ج ١، ١٩٧.

^{٣٣} سلكت طريق الاستخارة، ومحو من قلبي الأغراض التي كانت ترجع إلى النفس. وقمت بحكم ما دعوتني إليه. وعزمت تمام العزم على إتمام مرادك من هذا الكتاب. وأسميت هذا الكتاب «كشف المحجوب»، السابق، ج ١، ١٩١-١٩٢.

^{٣٤} السابق، ص ١٩٢.

^{٣٥} «أعلمك أن هذا العلم قد اندثر في الحقيقة في زماننا هذا، وبخاصة في هذه الديار. حيث انشغل الخلق بأهوائهم، وأعرضوا عن طريق الرضا. وقد بدت لعماء هذا العصر وأدعياء هذا الوقت صورة لهذه الطريقة على خلاف أصلها. فاستحضر همتك لأمر قصرت عنه أيدي أهل هذا الزمان وأسرارهم ... وعجز الأدعياء بدعواهم عن كل المعاني، وكشف المريدون عن المجاهدة، وسموا ظنهم المطول مشاهدة». السابق، ص ١٩٧.

^{٣٦}

فكل من في فؤاده وجع يطلب شيئاً يوافق الوجع

السابق، ص ١٩٨.

الكتاب.^{٣٧} كما انقلب فهم الشريعة، وسُمي كل هوى فقهاً، وطلب الجاه والرياسة عزاً وعلماً، ورياء الخلق خشية، والجدال مناظرة، والسفاهة عظمة، والنفاق زهداً، وآفة أهل الزمان معاملة.^{٣٨}

وشرط التأليف هو تخليص النفس من الأهواء. فالأخلاق شرط المعرفة. وصفاء الضمير شرط البحث. فالعلم شعوري. والشعور النبيل قادر على رؤية المعنى. وحسن النية شرط العلم.^{٣٩} والقصد من العنوان «كشف المحجوب» أن بين الكتاب ما غمض على الناس وما ستر عنهم. والحجاب نوعان «الحجاب الريني» ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾. وهو ينكشف مثل الطبع والختم والخذلان. و«الحجاب الغيني» وهو ما قد ينكشف لأنه صفة متغيرة.^{٤٠} يتكون من أربعة عشر باباً، أكبرها الرابع عشر في الفرق بين فرقهم ومذاهبهم ومقاماتهم أو حكاياتهم. وهو أكثر من ثلاثة أخماس الكتاب. ثم يتلو «في ذكر رجال الصوفية من المتأخرين من أهل البلدان» أي أسماء الأعلام ثم تعريف التصوف ولبس المرقعة، ثم إثبات العلم وتعريف التصوف، ثم ذكر أئمتهم من آل البيت ومن الصحابة والملاطية، وأخيراً أهل الصفة والأنصار.^{٤١}

^{٣٧} مثل أبي نواس والجاحظ، السابق، ١٩٨.

^{٣٨} «وقد أوجدنا الله عز وجل في زمان أسمى أهله الهوى شريعة، وطلب الجاه والرياسة والتكبر عزاً وعلماً، ورياء الخلق خشية، وإخفاء الحفيظة في القلوب حلاًماً، والمجادلة مناظرة، والمحاربة والسفاهة عظمة، والنفاق زهداً، والتمني إرادة، وهذيان الطبع معرفة، وحركات القلب وحديث النفس محبة، والإلحاد فقر، والجود صفوة، والزندقة خفاء، وترك شريعة النبي طريقة. وأسماؤا آفة أهل الزمان معاملة حتى احتجب أرباب المعاني بينهم على حين صارت الغلبة لهم ... وكما قال الواسطي: ابتلينا بزمان ليس فيه آداب الإسلام ولا أخلاق الجاهلية ولا أحكام ذوق المروءة»، السابق، ج ١، ١٩٩.

^{٣٩} السابق، ج ١، ١٩٢-١٩٣.

^{٤٠} السابق، ص ١٩٤، وهي تفرقة الجنيد «الرين من جملة الوطنات، والغين من جملة الخطرات. الوطن باقٍ، والخطر طارئ»، السابق، ص ١٩٤.

^{٤١} (١) إثبات العلم (١٢ص)، (٢) الفقر (١٢)، (٣) التصوف (١٢)، (٤) لبس المرقعة (١٤)، (٥) اختلافهم في الفقر والصفوة (٤)، (٦) بيان الملازمة (٨)، (٧) ذكر أئمتهم من الصحابة (٨)، (٨) ذكر أهل الصفوة (٦)، (٩) ذكر أئمتهم من التابعين والأنصار (٦)، (١٠) ذكر أئمتهم من أتباع التابعين إلى يومنا هذا (٨)، (١١) ذكر أئمتهم من المتأخرين (١٢)، (١٢) ذكر رجال الصوفية من المتأخرين من أهل البلدان (١٦)، (١٣) الفرق بين فرقهم ومذاهبهم ومقاماتهم وحكاياتهم (٢٩٤).

ونظرًا لطول الباب الرابع عشر الذي يصل حجمه إلى أكثر من نصف الكتاب فقد قسم إلى قسمين.^{٤٢} الأول عن فرق الصوفية وهي أشبه بالفرق الكلامية وليس بالطرق الصوفية.^{٤٣} وهم اثنتا عشرة فرقة، الحادية عشرة والثانية عشرة في فرقة واحدة، وهي «المحاسبية (المحاسبي)، والقصارية (حمدون القصار)، الطيفورية (البسطامي)، الجنيدية (الجنيد)، النورية (أبو الحسن النوري)، السهلية (التستري)، الحكيمية (الترمذي)، الخرازية (أبو سهيل الخراز)، الخفيفية (محمد بن خفيف)، السيارية (أبو العباس السيارى)، الحلولية (أبو حلمان الدمشقي، الحلاج). وأكبرهم حجمًا في تناول الحكيمية. وبالتالي تحولت بعض أسماء الأعلام إلى فرق مشتقة منها كما هو الحال في علم الكلام. والثاني وهو أطول حجمًا من الأول عن كشف الحجب، وهو موضوع عنوان الكتاب.^{٤٤} وهي إحدى عشر حجابًا.^{٤٥} أكبرها في الصحبة مع آدابها وأحكامها، ثم السماع، ثم منطقهم وحدود ألفاظهم وحقائقهم ومعانيهم.»^{٤٦}

ويعتمد الكتاب على تاريخ الصوفية. فمن أسماء الأعلام يأتي في المقدمة الرسول ثم الجنيد ثم البسطامي ثم السبكي. ويتداخل الأنبياء مثل إبراهيم وآدم وموسى والخلفاء مثل عمر وعلي وأبي بكر، وذو النون والحلاج والخواص. ويتداخل جبريل مع المحاسبي ويحيى بن معاذ وإبراهيم بن أدهم والترمذي والخراز.^{٤٧} وينتشر على مختلف البقاع

^{٤٢} يمثل الباب الرابع عشر الجزء الثاني من الكتاب «كشف المحجوب»، ص ٤٠٣-٦٦٨.

^{٤٣} السابق، ص ٤٠٣-٥٠٨، ١٠٦ ص.

^{٤٤} هي على الترتيب الكمي الحكيمية (٣١)، السهلية (١٦)، المحاسبية، الخرازية، السيارية، الحلولية (٨)، الطيفورية، النورية (٦)، الخفيفية (٥)، القصارية، الجنيدية (١).

^{٤٥} السابق، ص ٥٠٩-٦٦٨، ١٥٩ ص.

^{٤٦} كشف الحجاب الأول: معرفة الله تعالى (١٠ ص)، الثاني التوحيد (٨)، الثالث: الإيمان (٥)، الرابع: الطهارة (١٠)، الخامس الصلاة (١٦)، السادس: الزكاة (٧)، السابع: الصوم (٨)، الثامن: الحج (٨)، التاسع: الصحبة مع آدابها وأحكامها (٣٣)، العاشر: بيان منطقهم وحدود ألفاظهم وحقائق معانيهم (٢٥)، الحادي عشر: السماع (٢٩).

^{٤٧} محمد رسول الله (١٨١)، الجنيد (٧٥)، البسطامي (٣٩)، السبكي (٣٧). إبراهيم الخليل (٣١)، الهجويري (٢٨)، عمر بن الخطاب (٢٧)، ذو النون، والتستري (٢٤)، آدم وموسى (٢٢)، الحلاج (١٧)، إبراهيم الخواص، على بن أبي طالب، أحمد بن محمد النوري، جبريل (١٦)، المحاسبي، محمد بن حسن القبلي، أبو بكر (١٥)، يحيى بن معاذ، إبراهيم بن أدهم (١٣)، الترمذي (١٢)، أبو سعيد الخراز، داود،

الإسلامية في الحجاز وخراسان والعراق ومصر والهند.^{٤٨} ولأول مرة يتم تجميع الأعلام تحت مجموعات غير أهل الصفة والصحابيات في سبع مجموعات: الصحابة، أهل البيت، أهل الصفة، التابعون والأنصار، أتباع التابعين حتى اليوم، الصوفية المتأخرون في البلدان.^{٤٩} وهم موزعون على الشام والعراق وفارس، وأذربيجان، وكرمان، وخراسان، وما وراء النهر، وغزنين. ومجموع الأعلام حوالي مائة وخمسون، وهي مجموعات متتالية في الزمان أو متباعدة في المكان، معظمهم في المشرق.

وتتعاقد الأدلة النقلية مع نقل الأقوال والأفعال.^{٥٠} ولا توجد أسانيد للحديث على عكس كتب الطبقات الشبيهة بكتب الحديث مثل السلمي والأصفهاني. ويعتمد «كشف

يوسف، علي بن إبراهيم، الفضيل بن عياض (١١)، عيسى (٩)، الواسطي، بشر الحافي، خسرو شاه، ابن مسروق، العشري، المكي (٨)، عمرو بن عثمان المكي، الترمذي (٧)، أبو سعيد ابن أبي الخير، زليخا، النساج (٦)، الكرمان، بلال، رويم بن أحمد، سلمان الفارسي (٥)، أحمد بن حنبل (٤)، حمدون القصار (١٠)، ابن عطاء، الحسن البصري، داود الطائفي، السري السقطي.

^{٤٨} مكة (٢٨)، خراسان (١٧)، بغداد (١٥)، نيسابور (١٢)، الكوفة (١١)، العراق، مرو (٩)، بلخ، مصر (١٥)، الهند ما وراء النهر، الشام، المدينة (٥)، البصرة، دمشق، سرخس، غزنة، منى (٤)، أذربيجان، دجلة، فارس، كربلاء، كرمين (٣)، أصفهان، طبرستان، ميهنة (٢).

^{٤٩} (أ) الصحابة: أبو بكر، عمر، عثمان، علي (٤)؛ (ب) أئمة آل البيت: الحسن، الحسين، علي بن الحسين، جعفر، محمد (٥)؛ (ج) أهل الصفة: بلال، سلمان، أبو عبيدة بن الجراح، عمار بن ياسر، عبد الله بن مسعود، عتبة، المقداد، خباب، صهيب، عتبة، زيد بن الخطاب، أبو كبشة، أبو مرقد، سالم، عكاشة، مسعود، عبد الله بن عمر، أبو ذر، صفوان، أبو الدرداء، عبد الله بن بدر، أبو لبابة (٢٢)؛ (د) الأئمة من التابعين والأنصار: أويس، هرم بن حيان، الحسن البصري، سعيد بن المسيب (٤)؛ (هـ) الأئمة من أتباع التابعين: حبيب، مالك بن دينار، أبو حاتم، أبو حازم، محمد بن واسع، أبو حنيفة، عبد الله بن المبارك، ابن عياض، ذو النون، إبراهيم بن أدهم، بشر الحافي، البسطامي، المحاسبي، الطائي، السري السقطي، الأزدي، أبو سليمان الداراني، الأصم، الشافعي، ابن حنبل، البلخي، النخشي، يحيى بن معاذ، النيسابوري، النوري، الخواص، الكرمان، المكي، التستري، البلخي، الترمذي، الوراق، الخراز، مسروق، الآدمي، الحلاج، الخواص، الواسطي، الشبلي، السيار (٦٤)؛ (و) الأئمة من المتأخرين: القصاب، الدقاق، الخرقاني، الداستاني، الميهني، الختلي، القشيري، الشقاقي، الجرمان، ابن حمدان (١٠)؛ (ز) الصوفية المتأخرون من أهل البلدان: الشام والعراق (٣)، فارس (٥)، قهستان، أذربيجان، طبرستان، قومدس (٨)، كرمين (٢)، خراسان (١٠)، ما وراء النهر (٥)، غزنين (٧)، المجموع ١٤٩ علماً.

^{٥٠} الآيات (٢٣٠)، الأحاديث (١٣٦)، الأشعار العربية (٣٠)، الشعر الفارسي (١).

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

المحجوب» على مصادر مدونة.^{٥١} أهمها باقي مؤلفات الهجويري ثم الحكيم الترمذي ثم عبد الرحمن السلمي.^{٥٢} وتذكر مؤلفات البلخي والمحاسبي ثم الجنيد ورويم والكرماني والطوسي، ثم السيارى والأصفهاني، وتصانيف أخرى للسياري والقشيري وأبي عمرو بن عثمان المكي وغيرهم.^{٥٣}

(د) الرسالة القشيرية في علم التصوف «للقشيري» (٤٦٥هـ)^{٥٤}

نسبتها إلى مؤلفها عبد الكريم القشيري مثل «الرسالة» للشافعي. وتعتبر آخر ما وصل إليه الوعي التاريخي الموضوعي. فقد جمعت بين الوعي التاريخي الخالص في الجزء الأول منها أسوة بكتب «الطبقات» عند السلمي والأصفهاني. ويضم ثلاثاً وثمانين صوفياً في أقل من ثمن الكتاب مما يدل على تقلص الوعي التاريخي الموضوعي. وكلهم صغار الحجم أشبه بشرط سينمائي. لقطات صغيرة تكون الوعي التاريخي المتقطع من خلال الشخصيات دون رؤية قانون تاريخي أو مسار وعي أو أي انحناء فيه أو دلالة له. ومعظمهم من صوفية القرنين الثالث والرابع، والترتيب زمني يبدأ من منتصف القرن الثالث (ذو النون المصري ت ٢٤٥هـ) حتى منتصف القرن الرابع (الروزباري ت ٣٦٩هـ).^{٥٥} وبالرغم من أن الكتاب يعبر عن الوعي التاريخي الموضوعي إلا أن الدافع على التأليف هو

^{٥١} بلغت ٢٨ مصدرًا.

^{٥٢} باقي مؤلفات الهجويري: أسرار الخرق والملونات، بحر القلوب، البيان لأهل العيان، الرعاية لحقوق الله، الفناء والبقاء، كتاب في شرح كلام الحسين بن منصور الحلاج، منهاج الدين.

(أ) مؤلفات الترمذي: بيان آداب المريدين، تاريخ المشايخ، التفسير، ختم الولاية، المنهج، نواذر الأصول.
(ب) مؤلفات السلمي: تاريخ أهل الصفة، كتاب السماع، طبقات الصوفية.
(ج) الرعاية لحقوق الله لأحمد بن خضروية البلخي، الرعاية لحقوق الله للمحاسبي، (٣)، تصحيح الإرادة للجنيد، حكايات العراقيين، غلط الواجدين لأبي محمد رويم أحمد، اللمع للطوسي، مرآة الحكماء لشاة بن شجاع الكرماني، المرقعة لأبي محمد الأصفهاني (٢).

^{٥٣} تصانيف أبي جعفر محمد بن المصباح الصيدلاني، رسائل أبي العباس السيارى، الرسالة القشيرية، كتاب المحبة لعمرو بن عثمان المكي.

^{٥٤} مكتبة صبيح، القاهرة، (د.ت).

^{٥٥} باب في ذكر مشايخ هذه الطريقة وما يدل من سيرهم وأقوالهم على تعظيم الشريعة، القشيرية، ص ٣١-٢٤.

تصحيح صورة الصوفية في ذهن الشعبي وبأنهم لم يخرجوا على عقيدة التوحيد، ولا انحرفوا عن أصول العقائد.^{٥٦}

والدافع على التأليف أيضًا داخلي وهو اندثار التصوف، وسوء أحوال الطريقة، لا شيوخ ولا مريدين، ولا طريق ورع وفضل بل زاد الطمع وخرق الشريعة والفقر بالنسبة إلى الدين. قلت العبادات. وزادت رفقة الصبية والنساء وأصحاب الجاه والسلطان. وانتشر التحلل من الشريعة باسم الوصول والولاية والتحقق بالحقائق والمحبة فلا عتاب ولا حساب. وكانت النتيجة إسقاط التدبير والاعتذار بأن الله هو فاعل كل شيء.^{٥٧} وبعد عرض الأعلام الثلاث وثمانين يتحقق الغرض وهو إثبات أنهم جميعًا في أقوالهم وأفعالهم متسقون مع

^{٥٦} باب في اعتقاد هذه الطائفة في مسائل الأصول، القشيرية، ص ٣-٧، «فقد جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه وفضلهم على الكافة من عباده بعد رسله وأنبيائها»، السابق، ص ٢.
^{٥٧} «إن المحققين من هذه الطائفة انقضت أكثرهم. ولم يبق في زماننا هذا من هذه الطائفة إلا أثرهم كما قيل.

أما الخيام فإنها كخيامهم وأرى نساء الحي غير نسائها

حصلت الفترة في هذه الطريقة بل اندرست، «السابق، ص ٢». بالحقيقة مضى الشيوخ الذين كانوا لهم اهتداء، وقل الشباب الذين كان لهم بسيرتهم وسنتهم اقتداء. وزال الورع، وطوي بساطه، واشتد الطمع وقوي رباطه. وارتجل عن القلوب حرمة الشريعة. فعُدُّوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة. ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام، ودنوا بترك الاحترام، وطرح الاحتشام. واستخفوا بأداء العبادات. واستهانوا بالصوم والصلاة. وركضوا في ميدان الفضلات. وركنوا إلى اتباع الشهوات وقلة المبالاة بتعاطي المحظورات، والارتفاق بما يأخذونه من السوق والنسوان وأصحاب السلطان. ثم لم يرضوا بما تعاطوه من سوء هذه الأفعال حتى أشاروا إلى أعلى الحقائق والأحوال. وادعوا أنهم تحرروا عن رق الانحلال، وتحققوا بحقائق الوصال، وأنهم قائمون بالحق، تجري عليهم أحكامه وهم محو. وليس لله عليهم فيما يؤثرونه أو يذرونه عتب ولا لوم، وأنهم كوشفوا بأسرار الأودية، واختطفوا عنهم بالكلية، وزالت عنهم أحكام البشرية، وبقوا بعد فنائهم عنهم بأنوار الصمدية، والقائل عنهم غيرهم إذا نطقوا، والناصب عنهم سواهم فيما تصرفوا بل صرفوا. ولما طال الابتلاء فيما نحن فيه من الزمان بما لوحث ببعض من هذه القصة، وكنت لا أبسط إلى هذه الغاية لسان الإنكار غير على هذه الطريقة أن يذكر أهلها بسوء أو يجد مخالف لقلبهم مساعًا إذ البلوى في هذه الديار بالمخالفين لهذه الطريقة والمنكرين عليها شديدة. ولما كنت أؤمل من مادة هذه الفترة أن تنحسم، ولعل الله سبحانه وجود بلطفه في التنبيه لمن حاد عن السنة المثلى في تضييع آداب هذه الطريقة، ولما أبى الوقت إلا استصعابًا، وأكثر أهل العصر بهذه الديار إلا تماديًا فيما اعتادوه واغترارًا بما ارتادوه، وأشفت على القلوب أن تحسب أن هذا الأمر على هذه الجملة بنى قواعده

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

أحكام الشريعة.^{٥٨} ويُخصّص جزء ولو قصير للمشايخ المعاصرين للمؤلف الذي عاشهم واختبرهم وعاشهم ولم يعتمد في معرفتهم على الروايات.^{٥٩} ويمنع الإيجاز عن الإطالة في عرض أفعال كل واحد منهم وأقوالهم وقد بلغوا العشرات.

والأبواب التالية تتوالى تبايناً ابتداءً من التوبة.^{٦٠} اثنان وخمسون باباً تصغر حجماً باستثناء الأبواب الأربعة الأخيرة: السماع، وكرامات الأولياء، ورؤيا النوم، ووصية المريدين.^{٦١} ومع ذلك يبدأ بإبراهيم بن أدهم مما يدل على مدى أهميته وحياته كأمر ترك الإمارة من أجل أن يتصوف ويصبح راهباً بالصحراء مثل بوذا. يتلوهُ ذو النون المصري، والفضيل بن عياض، ومعروف الكرخي، والسري السقطي، وبشر الحافي، والمحاسبي، والطائي، والبلخي، والبسطامي، والتستري، والداراني، ويحيى بن معاذ، والنخشي، والقصار، والجنيد، والنوري، ورويم، والمكي، والشبلي وآخرون غيرهم. وكلهم من مشاهير الصوفية في القرنين الثالث والرابع، وليس فقط الفضلاء والأصفياء كما فعل السلمي والأصفهاني من قبل.

وترسم الشخصيات بطريقة مبسطة للغاية مجرد أخبار قصيرة عن الشخص خاصة أفعاله دون أقواله، وحكايات عن كراماته وشعبيته. لم يكن المقصود جمع الأقوال بل رسم الشخصيات لبيان مدى اتفاقها مع الشرع وآداب السلوك. وبعد رسم الشخصية، حياته وأفعاله تُذكر مختارات من الأقوال. وأحياناً يذكر تاريخ الوفاة ومكان الولادة والوفاة والإقامة، كما تذكر علاقته بالحكام، بالخلفاء والأمراء وبقاقي الصوفية المعاصرين له وشيوخه وتلاميذه ومريده وأقربائه من الصوفية. فأحياناً يبدو التصوف مرهوناً بالعائلات.

وعلى هذا النحو سار سلفه ... هذه الرسالة ... لتكون لمريدي هذه الطريقة قوة ومنكم لي بتصحيحها شهادة. ولي في نشر الشكوى سلوة ...»، القشيرية، ص ٢-٣.

^{٥٨} «كان الغرض من ذكرهم في هذا الموضوع التنبيه على أنهم مجمعون على تعظيم الشريعة، متفقون بسلوك طرف الرياضة، مقيمون على متابعة السنة، غير مخلصين بشيء من آداب الديانة، متفقون على أن من خلا من المعاملات والمجاهدات، ولم يبين أمره على أساس الورع والتقوى، وكان مفترياً على الله سبحانه وتعالى فيما يدعيه، مفتوناً هلك في نفسه وأهلك من اغتر به ممن ركن إلى أباطيله ...»، السابق، ص ٣٠.

^{٥٩} «فأما المشايخ الذين أدركناهم وعاصرناهم وإن لم يتفق لنا لقاهم، فهم الدقاق، والسلمي ... إلخ»،

القشيرية، ص ٣٠-٣١.

^{٦٠} السابق، ص ٤٥-١٥١.

^{٦١} السابق، ص ١٥١-١٨٦.

وبالباب الثاني الانتقال من الوعي التاريخي الخالص إلى الوعي الموضوعي اللغوي، ألفاظ الصوفية ومصطلحاتهم. فالعلم لغة، واللغة مصطلحات.^{٦٢} ومعظمها تدل على الأحوال، وهي حوالي سبعة وعشرين لفظاً. منها الأحادي، ومنها الثنائي، ومنها الثلاثي، واللفظ الأحادي معظمها مفرد إلا لفظ «الخواطر».^{٦٣} واللفظ الثنائي يعبر عن الأحوال. وهي ليست بالضرورة على التضاد مثل الذوق والشرب، والبوادة والهجوم، والتكوين والتمكين.^{٦٤} واللفظ الثلاثي بين المراحل الثلاث.^{٦٥} واللفظ الرباعي لفظ ثنائي مزدوج مثل المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة والمعينة، وليست بالضرورة على التضاد.^{٦٦}

وفي غياب طبعات علمية حديثة مزودة بفهارس الأعلام، والآيات والأحاديث والآثار والأماكن، يصعب تحليل مضمون الرسالة، ومع ذلك تكثر الآيات لتدعيم أقوال الصوفي وكراماته وكأن حياته تأويل للقرآن كما كانت حياة الرسول. وتكثر أحاديث الرسول في المنام لصعوبة وجود سند صحيح بين الرواة وكما قال ابن عربي فيما بعد «عن قلبي عن ربي بأنه قال» أو «تأخذون علومكم من ميت عن ميت، وتأخذ علومنا من الحي الذي لا يموت». وتكثر الأحاديث القدسية المملوءة بالخيالات والصور الفنية مثل أحاديث الإسراء والمعراج. وتكثر الأحاديث المباشرة بين الله والرسول بالإضافة إلى الأحاديث القدسية التي يختصها جبريل. ومن ثم تتفاوت مستويات الحديث بين الحديث الذي يتناقله الرواة الأحياء، وأحاديث الرسول في المنام عند الصوفية، والرؤية الصادقة إحدى درجات النبوة، والأحاديث القدسية التي يحملها جبريل بنصها إلى الرسول كمستوى متوسط بين القرآن والحديث، والحديث المباشر بين الله والرسول في حوار مباشر أو بين الله والأنبياء أو بين الله والملائكة. وكلها لا دليل عليها، ولا يمكن التحقق من صدقها. كلها سمعية. والسمعية ظنية لأنها

^{٦٢} «باب في تفسير ألفاظ تدور بين هذه الطائفة وبيان ما يشكل منها»، السابق ص ٣١-٤٥.

^{٦٣} الألفاظ الأحادية مثل: الوقت، المقام، الحال، النفس، الخواطر، الوارد، الشاهد، النفس، الروح، السر (١٠).

^{٦٤} الألفاظ الثنائية: القبض والبسط، الهيبة والأنس، الجمع والفرق، الفناء والبقاء، الغيبة والحضور، الصحو والسكر، الذوق والشرب، المحو والإثبات، الستر والتجلي، البوادي والهجوم، التلوين والتمكين، القرب والبعد (١٢).

^{٦٥} اللفظ الثلاثي: التواجد والوجد والوجود، اللوائح والطوالع واللوامع، الشريعة والحقيقة والطريقة، علم اليقين وعين اليقين، وحق اليقين.

^{٦٦} اللفظ الرباعي: المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة والمعينة.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

ليست متواترة ولا دليل عقلي عليها. وتقل الإسرائيليات لكثرة غيرها ولعدم الحاجة إليها. الروايات هي الغالبة. وذكر أسانيد الأقوال أسوة بعلم الحديث. فلم تكن المدونات أي أعمال الصوفية قد كثرت أو ذاعت أو سهل الحصول عليها من المشرق والمغرب. ومع ذلك تزيد الآيات القرآنية على الأحاديث النبوية، وتزيد الأحاديث النبوية على الأشعار العربية.^{٦٧}

^{٦٧} الآيات (١٤٩)، الأحاديث (١١٩)، الأشعار (٩٢).

الباب الثاني

الوعي النظري

أولاً: مقدمة: تطور الوعي النظري

الوعي النظري هو استمرار للوعي الموضوعي ولكن بتجاوز موضوعات التصوف الأخلاقي، الرذائل والفضائل، والتصوف النفسي، المقامات والأحوال إلى التصوف النظري الخالص الذي يعرض نظريات الله والعالم والإنسان، المحاور الرئيسية في الأنساق الفلسفية. ويعرض الوعي النظري تاريخ التصوف من خلال بنيته. فالوعي النظري أقرب إلى الوعي الموضوعي منه إلى الوعي التاريخي. وتتوارد الخواطر مع باقي الصوفية من أجل الوصول إلى نفس الموضوعات وكأن التصوف بنية مستقلة عن الصوفية والباحثين في التصوف. ويصعب الاختيار في الوعي النظري بين الوصف البنيوي خارج تطوره أو الإبقاء على تطور الوعي النظري لمعرفة كيفية تكونه أو الجمع بين الاثنين، البنية من خلال التطور في حالة التشكل، والتطور من خلال البنية في حالة التكوين. وكما طغت الفلسفة على علم الكلام المتأخر في الكلام الفلسفي كذلك طغت على التصوف المتأخر في التصوف الفلسفي سواء من الطبيعيات أو الإلهيات أو حتى المنطق كما هو الحال في «حكمة الإشراق» للسهروردي. فمن الطبيعيات نظرية العناصر الأربعة، ومن الإلهيات نظرية الفيض.^١

ويتطور الوعي النظري في التصوف الفلسفي على عدة مراحل؛ أولاً: من المعرفة إلى الوجود عن طريق العلم اللدني والكشف حيث تكون المعرفة أحد إشعاعات الوجود. ثانياً: نشأة المصطلح الفلسفي نشأة ثانية بعد «الرسالة القشيرية»، وتحول العلم إلى مصطلحات وألفاظ بعد أن فقد دفعته الأخلاقية الأولى وقفزته النفسية الثانية.

^١ استعمال العناصر الأربعة لتفسير آية ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾، الفتوحات ج ١، ١٥٦.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

ثالثاً التركيز على نظرية التفسير أو التأويل. فالتصوف قراءة للنص الأول للوحي، القرآن، الخروج منه والعودة إليه، وتحويل النص إلى تجربة ذاتية، وطاقة موحية. رابعاً: الأشكال الأدبية المختلفة للتصوف. فالتصوف إبداع أدبي من حيث الشكل، وروحي من حيث المضمون. وهي: الشعر، النثر الفني، الحكم، القصة الرمزية، السيرة الذاتية، السؤال والجواب ... إلخ.

خامساً: الشروح والملاحظات والتعليقات، قراءة لنصوص سابقة وإعادة مضغ الإبداع الأول لابتلاعه من جديد مثل جمل الصحراء، يقتات على ذاته، ويتغذى مما تغذى به من قبل.

سادساً تناثر البنية وتفرعها وتشعبها وتشتتها في مواضيع جزئية عديدة، لا تربطها قسمة ولا تحتويها رؤية.

ثانيًا: من المعرفة إلى الوجود

وهو التحول الرئيسي في نظرية المعرفة في التصوف، من «المعارف العقلية» إلى «الرسالة اللدنية» بتعبيرات الغزالي. وهذا هو الفرق بين علوم النظر وعلوم الذوق. علوم النظر استدلال وعلوم الذوق كشف. في علوم النظر الوجود معرفة، وفي علوم الذوق المعرفة وجود. وقد حدث هذا التحول عند الغزالي (٥٠٥هـ)، ثم السهروردي (٥٨٧هـ)، ثم ابن عربي (٦٣٨هـ)، ثم ابن سبعين (٦٦٩هـ)، ثم ابن عطاء الله السكندري (٧٠٩هـ)، ثم عبد القادر الجيلاني (هـ)، ثم الكاشاني (٧٣٠هـ)، ثم صدر الدين الشيرازي (١٠٥٠هـ)، ثم النابلسي (١١٤٣هـ)، ثم مصطفى البكري (١١٦٢هـ)، ثم أبو الهدى الصيادي (١٣٢٨هـ)، ثم عنقا شاه الأويسي.

وبالرغم من أن التبويب عن طريق أعلام الصوفية ليس هو التبويب الأمثل، إلا أن السبب في ذلك هو ارتباط التصوف بتجارب كبار الصوفية. فالصوفي هنا تعبير عن مرحلة، ومؤشر على اتجاه.

(١) رسائل أبو حامد الغزالي (٥٠٥هـ)

(أ) «الرسالة اللدنية»^١

من مكونات العلم النظري نظرية المعرفة كما تبدو في العلم اللدني. وكما يدل العنوان، موضوعها العلوم الكشفية. وقد كتبت ردًا على من أنكر العلم اللدني وأثبت فقط علوم الفقه والتفسير والكلام. وهي تحصل بالتعلم والتفقه.^٢ وهي نفس المادة التي في «المنقذ

^١ القصور العوالي من رسائل الإمام الغزالي، مكتبة الجندي، القاهرة، (د.ت)، ص ٩٧-١٢٢.

^٢ «اعلم أن واحدًا من أصدقائي حكى عن بعض العلماء أنه أنكر العلم الغيبي اللدني الذي يعتمد عليه خواص المتصوفة وينتمي إليه أهل الطريقة. ويقولون إن العلم اللدني أقوى وأحكم من العلوم المكتسبة

من الضلال». ويتأسس العلم اللدني بشرح النفس والروح موطني المعرفة على الإطلاق والتي بها ما يسمى بالعلم اللدني. كما تبين قسمة العلوم إلى شرعي وعقلي. والشرعي عقلي والعقلي شرعي مثل التوحيد والفقه، وأن العلم العقلي مركب من العلمين السابقين، وهو علم الصوفية وأحوالهم. كما تبين طرق التحصيل، التعلم الإنساني والتعلم الرباني، والتصوف من النوع الثاني. والطريق الرباني إما من الخارج بالتعلم كالأنبياء ومن الداخل بالتفكير كالأولياء. وللنفوس مراتب في تحصيل العلوم أعلاها النفس الناطقة، وأدناها النفس المريضة. ويتم تحصيل العلم اللدني بتحصيل العلوم ثم الرياضة والمجاهدة ثم التفكير. وتعتمد على القرآن والحديث دون الشعر.^٣ ففي الكشف غناء عنه.

(ب) «مشكاة الأنوار»^٤

وهو كتاب يعرض أيضًا نظرية المعرفة الكشفية ورمزها النور تفسيرًا لآية النور المشهورة ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾. وسبب تأليف الرسالة هو سؤال عن تفسير آية النور والتشبيه بالمشكاة والزجاجة والمصباح والزيت والشجرة، واعتمادًا على حديث يستعمل نفس التشبيه على نحو الاختصار وعلى طريقة الإشارة إلى «اللوامع واللوائح والسوانح»^٥. فالنور هو الله، والله نور. يرى بالعين كما يرى بالعقل. فالمعرفة لعالم الشهادة وعالم الغيب على حد سواء. ويبين الغزالي سر التمثيل ومنهاجه ومراتب الأرواح البشرية مثل الروح الحساس والخيالي والعقلي والفكري والقدسي النبوي التي تقابل المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت، وقدرة الروح الخيالي، والطائفة

المحصلة بالتعلم. وحكى أن ذلك المدعي يقول بأني لا أقدر على تصوير علوم الصوفية، ولا أظن أن أحدًا في العالم يتكلم في العلم الحقيقي من فكر ورؤية دون تعلم وكسب. فقلت كأنه ما اطلع على طرق التحصيل. وما درى أمر النفس الإنسانية وصفاتها وكيفية قبولها لآثار الغيب وعلم المكوت ...»، الرسالة اللدنية، ص ٩٧.

^٣ الآيات (٢٢)، الأحاديث (١٢).

^٤ القصور العوالي من رسائل الإمام الغزالي، مكتبة الجندي، القاهرة، (د.ت)، ص ١٨٢-٢٢٧.

^٥ «فقد سألتني أيها الأخ الكريم ... أن أبث إليك أسرار الأنوار الإلهية مقرونة بما يشير إليه ظواهر الآيات المتلوة والأخبار المروية ... مع قوله عليه السلام «إن الله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجه كل من أدركه بصره ... فلا أشح عليك بالإشارة إلى لوامع ولوائح الرمز إلى حقائق ودقائق ... فائقع بإشارات مختصرة وتلوينات موجزة ...»، مشكاة الأنوار، ١٨٢-١٨٣.

المحجوبة بنور وظلمة أو بمحض الأنوار. وألفاظ الأقسام دالة منها: دقيقة، حقيقة، إشارة، مساعدة.^٦ وهو نور حقيقي. ويطلق على غير الله مجازًا. والمحجوبون عن الخلق ثلاثة: بالظلمة وهم الملاحدة، وبالنور المحض مثل الأنبياء والأولياء والواصلين، وبالنور المقرون بالظلمة مثل عبدة الأوثان، والمجسمة والمشبهة مثل الكرامة. وتعتمد الرسالة على القرآن ثم الحديث ثم الشعر.^٧ ولا تعتمد على أقوال الصوفية السابقين بل يكتفي بالتجربة الشخصية. ولا تذكر الإسرائيليات اكتفاء بالتجربة الذاتية دون اللجوء إلى تاريخ الأنبياء. ويحيل الغزالي إلى باقي كتبه مثل «المقصد الأسنى» لبيان وحدة مشروعه.^٨

(ج) «شرف العقل وماهيته»^٩

وهو دفاع عن العقل العملي الأخلاقي، وليس العقل النظري مناط الفلسفة والمنطق. وهو استمرار لما وصفه المحاسبي في «شرف العقل وماهيته»، والفارابي في «معاني العقل».^{١٠} وينقسم قسمين: بيان حقيقة العقل وأقسامه، وبيان تفاوت النفوس في العقل أي اختلاف الناس فيه. وتسبقهما مقدمة نقلية خالصة. والعقل أربعة معانٍ: الأول: ما يفارق به الإنسان والحيوان، والثاني: العقل البديهي الفطري في إدراك الممكنات والمستحيلات، والثالث: العقل التجريبي والعالم بمجرى العادات والأحوال، والرابع: العقل الأخلاقي الذي تعرف به عواقب الأمور. ويعتمد على الأدلة النقلية أساسًا، الحديث ثم القرآن ثم الحديث القدسي دون الشعر أو الإسرائيليات.^{١١} والقرآن هو الذي يؤيد الحديث. وتتوالى الأدلة النقلية تباعًا في زخات ثم تأتي الأدلة العقلية بعد ذلك.^{١٢} ويستعمل أسلوب الاعتراض والرد عليه مسبقًا بطريقة «إن قيل...». ولا يذكر من الصوفية إلا المحاسبي.^{١٣}

^٦ دقيقة (٦)، حقيقة (٤)، إشارة، مساعدة (١).

^٧ الآيات (٤٥)، الأحاديث (٩)، الأشعار (٣).

^٨ مشكاة الأنوار، ص ١٩٦.

^٩ دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م/١٤٠٦هـ.

^{١٠} الباب الأول: تشكل الوعي التاريخي، الفصل الأول. وأيضًا: من النقل إلى الإبداع، مج ٢، التحول، ج ١.

^{١١} الأحاديث (٢٢)، الآيات (١٧)، القدسية (١).

^{١٢} شرف العقل وماهيته، ص ٥٨-٦٠، ٦٦-٦٧.

^{١٣} السابق، ص ٥٨، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م (٥)، ص ١٢١-١٤٢.

(د) «كيمياء السعادة»^{١٤}

وتبين الرسالة الطريق إلى السعادة عن طريق معرفة النفس ومعرفة القلب وعجائبه.^{١٥} وهي الكيمياء الباطنية القلبية وليست الكيمياء الظاهرية الطبيعية. ومعرفة النفس والقلب والروح موطن السعادة. والنفس كالمدينة، والقلب ملكها، والعقل وزيرها، والقلب عسكره. وفي جلد ابن آدم أربعة أشياء: الكلب والخنزير والشيطان والملك. الخنزير رمز الشهوة. والكلب رمز الغضب، والشيطان رمز الشر، والملك رمز الخير. ويظهر الوافد في اللاشعور المعرفي بقسمة قوى النفس إلى الشهوية والغضبوية والعاقلة وهي العلم. وتعتمد على القرآن والحديث فقط دون الشعر أو الإسرائيليات.^{١٦} الشهوة والغضب خادمان للنفس. وتنتهي الرسالة باختيار العلوم الذوقية. والسعادة القصوى في معرفة الله.^{١٧}

(٢) أعمال شهاب الدين السهروردي (٥٨٧هـ)

والسهروردي أيضًا مثل الغزالي بين الفلسفة والتصوف. و«اعتقاد الحكماء» في الفلسفة و«حكمة الإشراق» في المنطق، و«التلويحات اللوحية والعرشية»، و«المشارع والمطارحات» في الفلسفة الإلهية والطبيعية، و«هياكل النور» في نظرية الفيض. أما «مقامات الصوفية» فهي أدخل في التصوف النفسي لأنها في المقامات التقليدية. في حين أن قصة «الغربة الغريبة» تدخل ضمن القصص الصوفي.^{١٨}

(أ) «حكمة الإشراق»^{١٩}

وهو كتاب بين علوم الحكمة وعلوم التصوف. ينقد المنطق الصوري الأرسطي ويضع منطقًا إشراقيًا جديدًا؛ لذلك يدخل في الحكمة النظرية في علم المنطق، كما يدخل في الوعي

^{١٤} مجموعة رسائل الإمام الغزالي.

^{١٥} معرفة النفس، كيمياء السعادة، ص ٧٣-٨٠؛ معرفة القلب وعسكره، ص ٨٠-٨٦؛ عجائب القلب، ص ٨٦-٩٢.

^{١٦} الآيات (١٤)، الأحاديث (٤).

^{١٧} عجائب القلب، ص ٩٢-٩٥.

^{١٨} من النقل إلى الإبداع، مج ٢، الإبداع، ج ٢، الحكمة، النظرية، فصل ١، المنطق.

^{١٩} مجموعة مصنفات شيخ إشراق، ج ٢، ص ١٤-٤٦، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠ م.

النظري في علوم التصوف.^{٢٠} ولفظ «إشراق» جامع بين الفلسفة الشرقية ومنطق المشرقيين وحكمة الإشراق.^{٢١} وفيه يبدو التحول من المعرفة الصورية إلى المعرفة الإشراقية ثم التحول من المعرفة الإشراقية إلى الوجود ونور الأنوار كما هو واضح أيضًا في «هياكل النور». وينقسم قسمين: الأول في ضوابط الفكر لنقد المنطق الصوري في المعارف والتعريف أي التصورات، وفي الحجج ومبادئها أي في التصديقات. ويبدو النقد صراحة في المقالة الثالثة «في المغالطات وبعض الحكومات بين أحرف إشراقية وبين بعض أحرف المشائين، وهدم قواعد المشائين».^{٢٢} والثاني في الأنوار الإلهية ونور الأنوار ومبادئ الوجود وترتيبها والفيض والميعاد والنبوات والمنامات. في الظاهر يبدو المنطق صوريًا وهو في الحقيقة نقد للمنطق الصوري ومقارنة بينه وبين المنطق الإشراقي، ويستعمل بعض الألفاظ الإشراقية لوصف الكون مثل «لذيد».

وفي المقدمة تُصنف الناس إلى مراتب في التأله والبحث بين المتوغل والمتوسط والضعيف والعديم بين الحكيم والطالب؛ أي الشيخ والمريد. ولا تُذكر كل الاحتمالات. لا تُذكر إلا خمسة احتمالات بالنسبة للحكيم وثلاثة احتمالات بالنسبة للطالب. والحقبة أن الاحتمالات ثمانية عشر بالنسبة للباحث. وتتقطع الفقرات بألفاظ إشراقية مثل قاعدة، قاعدة الإشراقيين، نكت إشراقية.^{٢٣} ويعتمد على القرآن والحديث النبوي والقدسي. الشعر بيت واحد.^{٢٤} ويحيل الكتاب إلى بعضه البعض لبيان وحدته.^{٢٥} كما يحيل إلى «التلوينات اللوحية والعرشية» لبيان وحدة المشروع، كما يخاطب القارئ بلفظ «فافهم». فالكتاب

^{٢٠} لم يدخل في «من النقل إلى الإبداع»، مج ٣، الإبداع، ج ٢، الحكمة النظرية، الفصل الأول، المنطق. أما «رسالة في اعتقاد الحكماء» فإنها في علوم الحكمة دفاعًا عن الفلسفة ضد هجوم الغزالي عليها. شهاب الدين يحيى السهروردي: مجموعة مصنفات شيخ إشراق، ج ٢، ص ٢٦٢-٢٧٢.

^{٢١} السابق، ص ٤٦-١٠٥.

^{٢٢} السابق، ص ١٨٣.

^{٢٣} فصل (٣٤)، قاعدة (١٥)، حكومة (٩)، قاعدة الإشراقيين، ضابط، إيضاح آخر (٢)، دقيقة، قاعدة واعتذار، قاعدة أخرى إشراقية، نكت، نكت إشراقية، فصل اجتماعي، فصل تفصيلي، إبطال، شك، تصنيف، إجمال آخر، طريق آخر تفصيلي، وارد آخر، سؤال، جواب (١).

^{٢٤} الآيات (١١)، القدسية (٢)، الأشعار (١).

^{٢٥} حكمة الإشراق، ص ٢٧-١٧١.

دعوة للتبليغ.^{٢٦} أما «رسالة في اعتقاد الحكماء» فهي أقرب إلى علوم الحكمة، لأنها دفاع عن الفلسفة ضد هجوم الغزالي عليها.^{٢٧}

وحكمة الإشراق أكثر التيارات الصوفية النظرية اتصالاً بالوafد. ويأتي في المقدمة أفلاطون ثم أنبازقليس وهرمس ثم أرسطو وأغاذيمون وسقراط ثم فيثاغورس وأسقليبيوس.^{٢٨} ومن الفرق المشاءون، المتقدمون، الحكماء الأقدمون.^{٢٩} ومن الموضوعات المثل الأفلاطونية. كما يظهر الوافد الشرقي الفارسي شعوبًا مثل الفرس والعرب، وديانات مثل المجوس وحكماء الفرس أو أعلامًا مثل زرادشت وبوذا سيف وكبخسرو وجاما سف وفرشا وشتر وبرزجمهر ومانى.^{٣٠} وتذكر بعض الألفاظ الفارسية مثل الاسفهيدي.^{٣١} ومن الموروث لا يظهر أحد من الصوفية المسلمين بل يظهر الأنبياء ثم المشرقيون.^{٣٢}

^{٢٦} مجموعة مصنفات شيخ إشراق، ج ٢، ٢٦٢-٢٧٢.

^{٢٧} الاحتمالات الخمسة بالنسبة للباحث هي:

- (أ) التوغل في التأله العديم البحث.
- (ب) العديم التأله المتوغل في البحث.
- (ج) التوغل في التأله والتوغل في البحث.
- (د) التوغل في التأله الضعيف في البحث.
- (هـ) العديم التأله التوغل في البحث.

والاحتمالات ثلاثة بالنسبة للطالب:

- (أ) طالب التوغل في التأله والتوغل في البحث.
- (ب) طالب التأله (بلا درجات).
- (ج) طالب البحث (بلا درجات).

^{٢٨} أفلاطون (٩)، هرمس، أنبازقليس (٣)، أرسطو، أغاذيمون، سقراط (٢)، فيثاغورث، أسقليبيوس (١).

^{٢٩} المشاءون (٣)، المتقدمون (٢)، الحكماء الأقدمون، أساطين الحكمة، المثل الأفلاطونية (١).

^{٣٠} الفرس (٢)، حكماء الفرس، المجوس، العرب، العجم، زرادشت، كبخسرو، بوذاسيف.

^{٣١} الاسفهيدي، حكمة الإشراق، ٢٠٥-٢٠٦، ٢١٦، ٢٢٧.

^{٣٢} الأنبياء، المشرقيون (٢)، الإسلاميون، الكاملون، الأولياء، متقدمو الحكماء ومتأخروهم (١).

(ب) «مقامات الصوفية»^{٣٢}

والعنوان خادع. فهو ليس في المقامات بل في الجزء الثاني منه في مصطلحات الصوفية ومنها المقامات والأحوال.^{٣٤} في حين أن الجزء الأول في موضوعات «هياكل النور»، الجسم والنفس والعقل وأحكام العقل للثلاثة والواحد والفلك والمعاد والنبوة.^{٣٥} وهو الأكبر. يضم أربعًا وعشرين فصلًا بلا عناوين ولا أرقام. الفصلان الأخيران فقط في مصطلحات الصوفية. والأخير فقط هو الذي يتصدره عنوان «في شرح بعض مصطلحات الصوفية». لذلك يمكن تصنيفه في التحول من المعرفة إلى الوجود مثل «هياكل النور» وباقي أعمال السهروردي أو في «فن المصطلح». وكلاهما في الوعي النظري. وسبب التأليف هو إجابة على سؤال عن مقامات الصوفية. وكانت الإجابة هو هذا التحول من المقامات النفسية إلى المقامات الوجودية واللفظية مع البرهنة عليها وإيجاد نسق لها.^{٣٦} وهي غير ألفاظ أهل الحقيقة في العلوم البرهانية وهي علوم «حكمة الإشراق». والخطاب موجهه إلى القارئ بالتوصية بتقوى الله وتشبيه الحقيقة بالشمس.^{٣٧} ثم تبدأ المقامات الوجودية بمعنى مراتب الوجودية بمعنى مراتب الوجودية بمعنى مراتب الوجود بداية بالإدراك والتصور وقسمة الحقيقة إلى بسيطة ومركبة والفرق بين الوجود في الأذهان والوجود في الأعيان والجسم والحركة المتناهية والعناصر الأربعة وميل الأجسام. ثم يأتي الوعي بالذات لتحليل الجسم والبدن ثم أحكام العقل الثلاث والانتقال إلى واجب الوجود ومعشوقات الأفلاك والأشكال الرياضية وأمور المعاش والمعاد والمعرفة الإلهية والغائية في الحياة الإنسانية وحاجة العالم إلى صانع. ثم تبدأ المصطلحات بداية بمعنى الكلمة وكمالها والمبادئ حسب الطاقة البشرية والتجرد بحسب القدرة

^{٣٢} دار المشرق، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٢ م.

^{٣٤} السابق، ص ٦٣-٨٥.

^{٣٥} السابق، ص ٢٢-٦٢.

^{٣٦} «فإن الصداقة التي تأكدت بيننا ألزمتني إسعافك في تحرير كلمات مومنة إلى الحقائق، شارحة لمقامات الصوفية ومعاني مصطلحاتهم، وما استروحوا إليه من المعارف وعلم القلب والروحانيات، وما فوقها وما دونها. وثبت ما يفتقر إلى البرهانية على سرد مضبوط ونسق مطبوع من غير كثير من تتبع الاصطلاحات أصحاب الحقيقة في العلوم البرهانية. فبادرت إلى إجابتك وقربت ما يقع عليه الاصطلاح إلى فهمك، نازلًا إلى مقدار قوتك. وليعذرني أبناء الحقيقة على استعمال ألفاظ بإزاء معاني خصصناها هنا؛ فإن المقصد واحد» مقامات الصوفية، ص ٢١-٢٢.

^{٣٧} السابق، ص ٢٢-٢٥.

واستيلائها على البدن. والألفاظ أقرب إلى الفضائل، باستثناء الصبر.^{٣٨} ثم تتبعها عبارة واحدة عن الرذائل دون تحديدها باعتبارها مقللة للفضائل أي سلب لها.^{٣٩} ثم تأتي ألفاظ الصوفية في الفصل الأخير تحت العنوان الوحيد «في شرح بعض مصطلحات الصوفية».^{٤٠} بعضها في المقامات مثل الزهد والصبر والشكر والتوكل، وبعضها في الأحوال كالخوف والرجاء، والتواجد، والقبض، والرضا، والمحبة والشوق والبسط، والجمع والفرق، والغيبة والسكر والصحو، والهيبة والأنس، والفناء. والبعض في الطريق مثل المخاطر، والإرادة، والمريد، والمعرفة والنقمتات واللوائح والتوحيد والمجذوب والاتصال والامتزاج. والبعض ما زال في الأخلاق مثل السكينة والمكاشفة والمشاهدة والوقت والبعض في الوجود منها عالم الجبروت وعالم الملكوت وعالم الملك. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر.^{٤١} ومن أعلام الصوفية يتقدم الحلاج ثم الجنيد ثم الشبلي والبسطامي والنوري وابن الجلاء وأبو طالب المكي.^{٤٢} ويُحال إلى بعض الأعمال الصوفية مثل «الطواسين»، و«قوت القلوب». ويحيل السهروردي إلى مؤلفه السابق «حكمة الإشراق» للتأكيد على وحدة المشروع. وتذكر بعض الفرق غير الإسلامية مثل اليهود والمجوس والفرس. ومن اليونان يذكر أفلاطون. ومن الأنبياء المسيح، مما يدل على انفتاح التصوف على الثقافات المجاورة شرقًا وغربًا.

^{٣٨} هي ٢٣ لفظًا: الخُلُق، العدالة، العفة، الشجاعة، الحكمة، الفطنة، البيان، إصابة الرأي، الحزم، الصدق، الوفاء، الرحمة، الحياء، عظم الهمة، حسن العهد، التواضع، القناعة، السخاء، الصبر، الحلم، سعة الصدر، كتمان السر، الأمانة، السابق، ص ٦٣-٦٥.

^{٣٩} «ويقلل هذه الأشياء الحقد والحسد، وسرعة الانتقام، والشتيمة، والنميمة، والغيبة، وإذاعة السر، وضيق الصدر، والخيانة، السابق، ص ٦٦.

^{٤٠} وهي ٤٧ مصطلحًا: المقام، الحال، الخاطر، خاطر الشيطان، خاطر النفس، خاطر الملك، خاطر الحق، الخواطر الرديئة، التوبة، الإرادة، المريد، الخوف، الزهد، الصبر، الشكر، التوكل، المعرفة، عالم الجبروت، عالم الملكوت، عالم الملك، المحبة، الشوق، الوجد، التواجد، البسط، القبض، النفحات، اللوائح، السكينة، الجمع، التفرقة، الغيبة، السكر، الصحو، الهيبة، الأنس، التوحيد، المكاشفة، المشاهدة، الوقت، الفناء، العارف، السكينة، المعرفة، المجذوب، الاتصال والامتزاج، السابق، ص ٦٦-٨٥.

^{٤١} الآيات (٤٣)، الأحاديث (٧)، القدسية (٣)، الأشعار (٥).

^{٤٢} الحلاج (٥)، الجنيد (٤)، الشبلي، البسطامي، النوري، ابن الجلاء، أبو طالب المكي (١).

(ج) «المشارع والمطارحات»^{٤٣}

وهي من نفس عناوين «المواقف والمخطابات» و«الإشارات الإلهية» و«الشطحات» وهو أيضًا في العلم الثالث أي الإلهيات دون المنطق والطبيعيات. ولكن هذه المرة يعتمد على التحليل النظري الخالص وليس البلاغة اللغوية. والمشرع من شرع أو مركب، مرتبة الوجود، والمطرح ما يفيض من المراتب. ويتكون من سبعة مشاريع. الأول في العلم الكل. وهو ما يعادل المنطق ولكن منطق الوجود وليس منطق التصورات. والثاني تقاسيم الوجود وما يتعلق بها من أمور عامة منها الوفرة والكثرة، والكلي والجزئي، والممكن والواجب والعلة والمعلول كما هو الحال في نظرية الوجود في علم الكلام المتأخر.^{٤٤} ويبدو التصوف على استحياء في الفصل الأخير «في أثر الأمر الوجداني».^{٤٥} والرابع في «واجب الوجود». ويبدو الأسلوب الصوفي في «الإشارة إلي».^{٤٦} والخامس في فعله وإبداعه. والسادس في الجود والغنى ومبادئ الوجود وحركات الأفلاك وترتيب الوجود والخير والشر وهي نظرية الفيض. والسابع في الإدراك وواجب الوجود والمفارقات وبقاء النفس والسعادة أي الأمور والمعاد، وهي نفس مادة «هياكل النور»، والمقاومات. ويعلن السهروردي صراحة أن الكتاب جزء من الحكمة النظرية وليس العملية.^{٤٧}

ويتبع أسلوب السؤال والجواب. ويخاطب القارئ بلفظ «اعلم». وتذكر أقوال دون نسبتها إلى أصحابها. فالهم القول وليس صاحبه.^{٤٨} وتوضع بعض الألفاظ الإشراقية في بدايات الفقرات كعناوين مثل «بحث»، «فصل»، «نكتة» ... إلخ.^{٤٩} كما يظهر لفظ

^{٤٣} مجموعة مصنفات شيخ إشراق، ج ١، (٣)، ص ١٩٤-٥٠٦، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٠ م.

^{٤٤} من العقيدة إلى الثورة، ج ١، المقدمات النظرية، الفصل الرابع: نظرية الوجود.

^{٤٥} المشاريع والمطارحات، ص ٣٨٦.

^{٤٦} السابق، ص ٣٨٦.

^{٤٧} السابق، ص ٣٨٦.

^{٤٨} «ذكر في الكتب» (٤)، «ومن الناس»، «قالوا» (٢)، «وقد ظن قوم»، «قل في الكتب»، «ما يذكره هؤلاء» (١).

^{٤٩} بحث وتعقب (٩)، بحث وتحصيل (٧)، بحث ومقاومة، بحث وبحقيق (٤)، بحث وتخصص، فصل، نكتة، بحث وتذكير، بحث آخر، تمهيد وبحث، بحث وإشارة (١). مما سيأتي بعد، ص ٤٦٤. وسنبين أيضًا أن مذهب التناسخ باطل، ص ٤٦٣.

«قسطاس» الذي استعمله الغزالي من قبل. ونظرًا لطول الكتاب، فهو أطول مؤلفات السهروردي، كثرت به عبارات الإحالات إلى أجزاء الكتاب تقديمًا أو تأخيرًا.^{٥٠} وتستعمل بعض عبارات البرنامج ككل، وعبارات أخرى للإيجاز دون التطويل. وسبب التأليف الاستجابة لاقتراح أحد الإخوان أن يكتب كتابًا جامعًا لكل ما كتب من قبل على طريقة المشائين. وهو تأليف يعتمد أيضًا على التجارب الذاتية. فلا فرق بين النظر والذوق، بين العقل والقلب. وهو مشروع واحد مع «حكمة الإشراق» و«التلويحات».^{٥١} فليس كل العلم في الكتب. فهذا يطول.^{٥٢} وصل الفلاسفة والصوفية إلى نفس الشيء مع اختلاف المنهج. وظن الفلاسفة أن كل اسم يوناني هو اسم فيلسوف فاستحسنوا

^{٥٠} حوالي ٣٠ مرة مثل «وقد آن أن نذكر المقولات العشر. ونذكر ما قيل فيها ونسامح في الحكاية عن القوم في الحصر في أكثر المواضع. ثم نذكر بعد ذلك تلخيصات ومقاومات في الحصر وغيره»، المشارع والمطارحات، ص ٢٢١. وسيأتي الكلام فيما بعد، ص ٢٥٧. وأما التحقيق فسنذكره ص ٢٧٢. والتفصيل الذهني سنشرحه ص ٣٤٢. وأما الكلي فسنذكر حاله ص ٣٧٧. وقمته الكلام في الغاية، ستأتي فيما بعد، ص ٣٨٥. أما السلبى فسيأتي فيه البحث، ص ٤٠٣. سنذكره ص ٤٤٢، وهي ما ذكرنا في أوائل المنطق من هذا الكتاب ص ٢٩٥. وإنا قد أشرنا إلى هذا فيما سبق ص ٢٩٦، وقد ذكرنا طرفًا في أمور تتعلق في هذا الفصل في مواضع متفرقة بحسب الحاجة فليطلب ص ٣٠٢. والذي بسطنا القول فيه ص ٣٦٨ مما أشرنا إليه فيما سبق ص ٣٨٧. وقد علمت هذا الفصل من فصل سابق ص ٣٩٩. قد أشرنا إلى ... ص ٤٠٨.

^{٥١} «هذا كتاب يشتمل على العلوم الثلاثة حررته بحكم افتراضكم عليّ يا إخواني. وأوردت فيه مباحث وضوابط لا توجد في غيره من الكتب نافعة جدًا مخرجة مشحذة من تصرفاتي. ولم أخرج مع هذا عن مأخذ المشائين كثيرًا وإن كنت قد أودعته. نكتًا ولطائف توجي إلى قواعد شريفة زائدة على ما يورد منها. ومن أنصف وجده بعد تأمل كتب القوم وافيًا بما لم يف غيره به. من لم يهتم في العلوم البحثية فلا سبيل له إلى كتابي الموسوم بحكمة الإشراق. وهذا الكتاب ينبغي أن يُقرأ قبله وبعد تحقيق المختصر الموسوم بالتلويحات. وإنا لا نراعي الترتيب ها هنا. ولا نلتزم في بعض المواضع بموضوع علم. بل غرضنا فيه البحث وإن تأتّى إلى قواعد من علوم متفرقة. فإذا استحکم الباحث في هذا النمط فليشرع في الرياضيات المبرقة بحكم الغيم على الإشراق حتى يعاين بعض مبادئ الإشراق ثم يتم له مباني الأمور. وأما الصور الثلاثة المذكورة في حكمة الإشراق ... فهي علم لا تعطى إلا بعد الإشراق. وأول الشعور في الحكمة هو الانسلاخ عن الدنيا. وأوسطه مشاهدة الأنوار الإلهية، وآخره لا نهاية له. وسميت هذا كتاب «المشارع والمطارحات»، المشارع والمطارحات، ص ١٩٤-١٩٥.

^{٥٢} حكمة الإشراق (٧)، التلويحات (٥)، المشارع والمطارحات (٢).

فلسفة اليونان.^{٥٣} فلا فرق بين المشائين والإشراقيين. يبحث السهروردي عن الحقيقة لا عند المشائين ولا عند الإسلاميين ولا عند الصوفية، حقيقة أصيلة حاول الكل الاقتراب منها.^{٥٤} لا يستطيع المشاءون الحديث عن الصور المشاهدة.^{٥٥} وقد يصل الأمر لتصحيح الخطأ والتنبيه على الخلط وبيان استحالاته درجة السبب والشتم كما حدث لأبي البركات البغدادي. لذلك تظهر عبارات «وهذا فيه خلط»، «وهو محال»، «فيه شك».^{٥٦} لا فرق

^{٥٣} «الذي يطول في الكتب»، التلويحات، ص ٣٩٣.

^{٥٤} «وهؤلاء قوم نبغوا في ملة الإسلام، ومالوا إلى الأمور العقلية. وما كانت لهم أذكار سليمة ولا حصل لهم ما حصل للصوفية من الأمور الذوقية، ووقع بأيديهم مما نقل جماعة في عهد بني أمية من كتب قوم كانت أساميهم تشبه أسامي الفلاسفة. فظن القوم أن كل اسم يوناني لاسم فيلسوف. فوجدوا فيها كلمات استحسنوها وذهبوا عليها وفرعوها رغبة في الفلسفة. وانتشرت في الأرض وهم فرحون بها. ومنهم جماعة من المتأخرين وخالفوهم في بعض الأشياء إلا أن كلهم إنما غلطوا بسبب ما سمعوا أسامي يونانية لجماعة صنفوا كتبًا يتوهم أن فيها فلسفة، وما كان فيها شيء منها فقبلها متقدموهم، وتبعهم فيها المتأخرون. وما خرجت الفلسفة إلا بعد انتشار أقاويل عامة يونان وخطبائهم وقبول الناس لها»، المشارع والمطارحات، ص ٢٠٥-٢٠٦.

^{٥٥} «وإنما انتصبنا لنيابة الأقدمين ها هنا لوجه. منها أن نتبين للباحث في أثناء البحث الحق في أحد الجانبين. ومنها أن كلام المشائين مشهور. وقد بسطنا وبسط غيرنا القول في مواضع كثيرة. وليس من الإنصاف طرح حجج أحد المتخاصمين بالكلية. ومنها أن جماعة أزرروا على الأقدمين أو زعموا أنهم استراحوا إلى مطالبهم جزافًا، وأن غفلتهم عن مثل هذه الاصطلاحات لجهلهم، وأن دعاويهم وحججهم لا تقبل التسمية حتى امتنعوا عن إطلاق اسم الحكمة عليهم. ومن أدرك العلوم الشريفة المعظمة المخزونة عرف أن مثل هذه الأشياء لا يضر الجهل بها. كيف وأن أقاويلهم لا تقصر في المتانة عن أقاويل غيرهم. وإن قالت طائفة من المشائين إنما نسمي بعض الأعراض سورًا فلا يمنع الحكماء هذا، كيف ومنهم من يسمي جميع الأعراض سورًا»، السابق، ص ٢٩٢. «وأما الكلام في الصدر والأمور التي تترأى لأرباب المشاهدات فلا نسلم للمشائين الكلام فيها فإنه لم يسلك منهم إلا القليل والذي سلك منهم كان سلوكه ضعيفًا. ومن سلك عن أستاذ متأله أو بتأييد قدسي غريب، وإن كان قل ما يقنع، وسيعرف أن المشائين غفلوا عن عالين عظيمين، ولم يدخلوا في أبحاثهم قط، وأن ما وراء ما ذكروا أشياء أخرى»، السابق، ص ٤٩٦.

^{٥٦} «ولما نأتى لمثل هذا المجنون القذر الإتيان بمثل هذه الهذيانات القبيحة لأنه لم يكن للحكمة في الأرض سياسة قائمة. وفي ما قد مضى من الزمان كان لها سياسة. وكان القوم الذين يتكلمون فيها أكثر عنايتهم بالمشاهدات الروحانية والأمور العلوية الرفيعة. وما كان يتمكن من الكلام فيها والتصرف

بين الحكماء المتألهين مثل فيثاغورس والإشراقيين.^{٥٧} والحقيقة أن حكمة فارس وبابل ويونان والإشراقيين، حكمة واحدة.^{٥٨} نهل بعضها من بعض عبر التاريخ دون أثره أو استئثار.^{٥٩} ويبدو أن «حكمة الإشراق» هي الأساس الذي بنى عليه السهروردي

إلا لمن ظهر تأييده من آثار الأنوار القدسية وتجرد عن صحبة الرياسات الدنيوية. وسبب انقلاع الحكمة عن الأرض أكثره كان ظهور طائفة من المتفلسفة وتطويلهم في الأقاويل التي اشتغل الناس بها عن الحكمة وقدحهم في من كان أفضل منهم وأعلم من الأقدمين. وسعى جماعة في قلع العلوم عن بابل وفارس وغيرهما من النواحي فأصلحوا أشياء حسنة مهمة وأفسدوا ما هو أحسن منها لأمر قدره الله سبحانه وتعالى. فأصبح المنتسبون إلى الحكمة غافلين عن أسرارها. وانقطع النور عنهم. وإذا انقطع النور عن طائفة بالكلية يزول هيبتهم وسلطانهم ويستند لهم النفوس. أما ترى آثار القدماء وهيبتهم في النفوس واطلاعهم على عجائب الأشياء، من المصطلحات ولطائف طرائق السلوك وآثار النفوس وغيرها، بقوة سلوكهم وضعف هؤلاء وعجزهم والصغار الذي عليهم واشتغالهم بملاذ الدنيا؟ ومتى يصفو الفكر لمحبي الدنيا؟ ومتى يتأهل للعلوم المخفية وهدايا الملكوت، وهو في ظلمات شواغل الدنيا حيران؟ فهؤلاء طردهم الله من بابه. ولا تظنن أنه يصل إلى المحل الأعلى إنسان وليس له ملكة شروق الأنوار العلوية. وما وراء هؤلاء إن كانوا أخياراً فمن المتوسطين وإلا فمن الأشقياء. ولولا جسارة الرجل المذكور وشدة إقدامه في حق الباري على مثل هذه الأشياء وفي أمهات المسائل على خلاف البرهان ومذهب التوحيد للخاصة والعامة ما قدحنا فيه هذا القدح. فإن المباحث بعد أن كان بشرياً ليس بعجب منه الخطأ. وأما رفض الحق الصريح بالوسواس فلا يُعذر عليه»، السابق، ص ٤٣٧-٤٣٨.

^{٥٧} السابق، ص ٣٧٣، ٣٧٥، ٤٠٦، ٤١٠.

^{٥٨} «هكذا يجب أن يعتقد من ليس له قوة الارتقاء إلى ما ظهر لنا بتأييد الله في حكمة الإشراق. ومن ارتقى أدرك فيه أموراً شريفة فإن فيه عبرة للعالمين وبلغاً للفاضلين لمن أبصر واستبصر وتفكر»، السابق، ص ٤٥٣.

^{٥٩} «وهذا صاحب النوع للنار هو الذي سماه الفرس أريدهشت. فإن الفرس كانوا أشد مبالغة في أرباب الأنواع حتى إن النبتة التي يسمونها هوم التي تدخل في أوضاع نواميسهم يقدسون لصاحب نوعها ويسمونهم هوم إيزاد. وكذا لجميع الأنواع. وهرمس وأغاثايمون وأفلاطون لا يذكرون الحجة على إثباتها بل يدعون فيها المشاهدة. وإذا فعلوا هذا ليس لنا أن نناظرهم. وإذا كان المشاءون في علم الهيئة لا يناظرون بطليموس وغيره حتى إن أرسطو يعول على أرسصاد بابل ويونان وغيرهم. كلهم ادعوا المشاهدة في هذه الأشياء. فالرصد كالرصد والأخبار كالأخبار. وتأتي التوصل بالرصد الجسماني كتأتي التوصل بالرصد الروحاني، والندرة كالندرة»، السابق، ص ٤٦٠.

مشروعه إذ يحيل إليه دائماً.^{٦٠} يوحى بها في آخر المشارع والمطارحات.^{٦١} لذلك يحال إليه دائماً.^{٦٢} ومن الواقد يذكر المشاءون ثم الأقدمون والقدماء ثم الحكماء والفلاسفة.^{٦٣} ومن الفلاسفة يتقدم أرسطو بطبيعة الحال ثم أفلاطون وأنباذقليس ثم أغاذيمون ثم سقراط.^{٦٤} والكرامات قاصرة على أهل الأنوار دون المشائين.^{٦٥} ومن الواقد الشرقي يذكر الفرس.^{٦٦} ومن الموروث يتقدم المتأخرون ثم الصوفية والفلاسفة.^{٦٧}

^{٦٠} «وأما الذي أعتقد أنه في هذه المسألة فهو مذكور في كتابي المسمى «حكمة الإشراق». ولا يتأتى أن أذكره ها هنا صريحاً. فإن غرضي في هذا الكتاب إذا فُتِش لا يخلو من قرة أعين وكنوز أخفيت تحت ستر رفيق. فإن لم يجدها البليد فما لنا ذنب. وأما المشتغل بالمباحث فيلتقط منه المحكمات ويظفر منه بما لم يطمع منه وما أطمعناه فيه. وأجود ما يعتمده فيه الباحث قبل البحث عن حكمة الإشراق الطريقة التي ذكرناها في «التلويحات» مما جرى بيني وبين الحكيم إمام الباحثين أرسطاطاليس في مقام «جابرص» حين تكلم في شيخه، وهو أن يبحث الإنسان أولاً في علمه بذاته ثم يرتقي إلى ما هو «أعلى»، السابق، ص ٤٨٣-٤٨٤.
^{٦١} «ولولا انقطاع السير إلى الله في هذا الزمان ما كنا نغتم ونتأسف هذا التأسف. وهو ذا قد بلغ سني إلى أقرب من ثلاثين سنة. وأكثر عمري في الأسفار والاستخبار والتفحص عن مشارك مطلع. ولم أجد من عنده خبر عن العلوم الشريفة ولا من يؤمن بها. أوصيكم إخواني بالانقطاع إلى الله والمداومة على التجريد. ومفتاح هذه الأشياء مستودع في كتابي «حكمة الإشراق». ولم تذكره في موضع على ما ذكرناه هنالك. وقد رتبنا له خطأ يخصه حذرًا لإذاعته. على أن هذا الكتاب وإن لم يعرف المبتدئ قدره يعرف الباحث المستبصر أنني ما سُبقت إلى مثله. وفيه مواقف مخفية. وآخر وصيتي الاعتصام بحبل التوحيد والإشراق»، السابق، ص ٥٠٥-٥٠٦.

^{٦٢} حكمة الإشراق (٧)، التلويحات (٥)، المشارع والمطارحات (٢).

^{٦٣} المشاءون (١٤)، الأقدمون القدماء (٧)، الحكماء (٤)، يونان (٢)، بعض المتقدمين، الفلاسفة، الحكماء الأول (١).

^{٦٤} أرسطو (٧)، أفلاطون (٤)، أنباذقليس (٣)، أغاذيمون، فيثاغورس (٢)، سقراط، هرمس، بطليموس، أسقليبيوس (١).

^{٦٥} «وأما المشي على الماء والهواء والوصول إلى السماء وطبي الأرض فإنما يكون لجماعة من السالكين بشرط أن يكون النور الواصل إليهم على العمود في مدن الشرق الأوسط. وإنما يكون على طريق السالكين. وينتهي إليه المتوسطون من السلاك. وأما الفضلاء فلا يلتفتون إليه. ولا نعلم في شيعة المشائين من له قدم راسخ في الحكمة الإلهية أعني فقه الأنوار»، المشارع والمطارحات، ص ٥٠٣.

^{٦٦} المتأخرون (١١)، الصوفية، الفلاسفة، أصحابنا الإشراقيون، الإشراقيون، المحصلون، بنو أمية (١)، ومن الفرق غير الإسلامية النصارى (١).

^{٦٧} صاحب البصائر (السادس)، أبو البركات البغدادي (٢)، صاحب الشفاء.

(د) «التلوينات العرشية واللوحية»^{٦٨}

وهو العلم الثالث فقط أي الإلهيات من مشروع أعم للحكمة كلها منطقية وطبيعية وإلهية طبقاً لقسمة ابن سينا. والاسم غريب. يدل لأول وهلة على أن صاحبه يقرأ من لوحات عرشية مثل «اللوحة المحفوظ». وينقسم بعد المقدمة عن المنطق إلى أربعة موارد ومرصد عرشي. تحول المقدمة المنطق من منطق التصورات والتصديقات إلى منطق الوجود.^{٦٩} الورد الأول واجب الوجود والثاني المبادئ والغايات، ترتيب الموجودات وأحوالها اعتماداً على نظرية الفيض.^{٧٠} والثالث في التجرد عن المادة والإدراك والعناية والقضاء والقدر أي في الإنسان.^{٧١} والرابع في النبوات والآيات والمنامات أي في أمور المعاد.^{٧٢} أما المرصاد والعرش فإنه تأصيل للإشراق عند اليونان خاصة.^{٧٣}

يعتمد على القرآن وحده دون الحديث أو الشعر أو الإسرائيليات.^{٧٤} ومع ذلك يسود التحليل العقلي. ويستعمل ألفاظاً افتتاحية للفقرات يغلب عليها الإشراق كما يفعل صدر الدين الشيرازي (١٠٥٠هـ) بعد ذلك مثل: رمز أو طريق عرشي، دعامة أو نكتة شرعية ... إلخ.^{٧٥} كما يستعمل لفظ «القسطاس» من مصطلحات الغزالي. والأسلوب هو السؤال والجواب. ويخاطب القارئ بلفظ «اعلم». ويعتمد على الوافد أكثر مما يعتمد على الموروث لأنه أحد الحكماء والصوفية في آن واحد. فهو أقرب إلى تمثل الوافد قبل تنظير الموروث.^{٧٦} يأتي المعلم الأول في المقدمة مع ألقاب التعظيم الأخرى مثل «غياث النفوس وأحكام الحكمة». ثم أفلاطون الإلهي، عظيم الحكمة، وهما الحكيمان العظيمان

^{٦٨} مجموعة مصنفات شيخ إشراق، ج ١ (١)، ص ٢-١٢، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠ م.

^{٦٩} التلوينات، ص ٢-٣٣.

^{٧٠} السابق، ص ٣٣-٥٤.

^{٧١} السابق، ص ٥٥-٩٥.

^{٧٢} السابق، ص ٩٥-١٠٤.

^{٧٣} السابق، ص ١٠٥-١٢١.

^{٧٤} الآيات (٣٥).

^{٧٥} فصل (٢٦)، ضابط، رمز (طريق) عرشي (٤)، طور (٣)، فائدة، قرينة، طريق (٢)، خاتمة وإشارة،

مخلص، ضابط جامع، دعامة عرشية، نكتة عرشية، حكاية ومنام (١).

^{٧٦} من النقل إلى الإبداع، مج ٢، التحول، ج ٢، الفصل الثاني.

ثم هرمس، ثم فيثاغورس ثم أرخوطس وفرفوريوس وأنباذقليس وأغاذاذيمون.^{٧٧} ومن أسماء الفرق المشاءون الحكماء ثم الفلاسفة والحكماء. ومن الوافد يتقدم الشيخ المجدد، بعض الكبار، أفضل المتأخرين وهي ألقاب ابن سينا ثم البسطامي والتستري، ومن أسماء الفرق الإسلاميون وبعض الإسلاميين من الصوفية، والصوفية والمجردون من الإسلاميين، وفلاسفة الإسلام وصاحب التوحيد.^{٧٨} ويحيل إلى «المبدأ والمعاد» لابن سينا لبيان ارتباطه بالإشراق وإلى «المشارع والمطارحات» للمؤلف نفسه لبيان وحدة مشروعه.^{٧٩}

(هـ) «المقاومات»^{٨٠}

وهو أيضًا في العلم الثالث وحدة الإلهيات، وليس في العلمين الأولين، المنطق والطبيعات. وهو مختصر لكتاب «التلويحات» أو ملحق له لإصلاح فلسفة الأولين والذي لم يتح في «التلويحات»، مع التركيز الشديد. وهذا هو معنى «المقاومات» أي نقد المشائين، بالرغم من إعجاب المؤلفين بالمتقدمين الأولين والحكماء الأسلاف.^{٨١} وإذا كانت الغاية هو التجديد والإصلاح والنقد للفلسفة المشائية فلماذا تعظيم الأقدمين؟^{٨٢} وكيف يجتمع التجديد مع

^{٧٧} المعلم الأول (٩)، أفلاطون (٧)، هرمس (٣)، فيثاغورس (٢)، أرخوطس الفيثاغوري، فرفوريوس، أغاذاذيمون، أنباذقليس (١)، الحكماء (٤)، المتقدمون الكهنة (٢)، الفلاسفة والحكماء، المشاءون، القدماء (١).

^{٧٨} ابن سينا (٣)، البسطامي، التستري (١). الإسلاميون، فلاسفة الإسلام، بعض الإسلاميين من الصوفية، الصوفية والمجردون من الإسلاميين، صاحب التوحيد، المحصلون، العامة (١).

^{٧٩} التلويحات، ص ٥٩، ٦٩.

^{٨٠} مجموعة مصنفات شيخ إشراق، ج ١ (٢)، ص ١٢٤-١٩٢، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م.

^{٨١} «هذا مختصر يجري من كتابي الموسم بـ «التلويحات» مجرى اللواقح. وفيه إصلاح ما يحتاج إصلاحه مما كان الأولون يرسلونه إرسالاً ولم يتيسر إيراده في «التلويحات» لشدة إيجازها. فلم يكن يلايها ما يحتاج إلى أقل بسط. وإيجاز في مواقع تدارك السهو في العظميات لا يفيد. فأوردناه ها هنا مضمومًا إليه نكتًا مشهورة. وسميته «المقاومات»، المقاومات، ص ١٢٤.

^{٨٢} «واعلم أنه لو أراد الله بأبناء الحكمة خيرًا ردهم إلى طرائق أسلافهم في مشاهدة الأنوار، والصعود إلى السموات، والاتصال بالعلويات، وركوب الأفلاك، ومعاينة السيد، ونقص عنهم المقالات في المعقولات، وزادهم التمهيد، وشيئً البارقات، وخلع الحواشي، وترك مثل هذه هواجس الوسواس»، المقاومات،

التقليد؟ ويصرح بالرأي الخاص مثل إثبات الطباع.^{٨٣} ويُعطي نصائح للشارح أي المؤل لفلسفة المشائين.^{٨٤}

والكتاب غير مقسم إلى أبواب أو فصول. بل يعطي مسائل كلامية فلسفية نظرية مجردة لا يظهر التصوف فيها إلا بين السطور مثل الجوهر والعرض، والتقدم والتأخر، والجنس والفعل، والكيف والكم، والزمان والمكان، والوجود والعدم والهيولى والصورة. وهي مسائل بين المنطق والطبيعيات مثل «المقدمات» النظرية في علم الكلام.^{٨٥} ويغلب عليها طابع التجريد. ولا يُدرك التأويل الصوفي إلا بين السطور. وكيف يتحول التصوف النظري إلى هذا الطابع المجرد والتصوف تجربة ذاتية حية؟ ويُستعمل أسلوب السؤال والجواب، ومخاطبة القارئ بلفظ «اعلم». ويعتمد على اقتباسات دون ذكر مصدرها أو أصحابها. وهي في الغالب ابن سينا نموذج المشائين عند السهروردي وصدر الدين الشيرازي. يُكتفي بلفظ قالوا ... «على العموم» أو «على ما يذكرون».^{٨٦} وتظهر عبارات التقديم من أجل إظهار وحدة الموضوع. وتظهر بعض ألفاظ تقديم الفقرات مثل قاعدة وفصل ونكتة.^{٨٧} كما يستعار لفظ قسطاس من الغزالي دون الإشارة إليه.^{٨٨} ولا يعتمد على قرآن أو حديث نبوي أو قدسي أو شعر أو إسرائيليات. يعتمد فقط على تحليل العقل الخالص. يحيل إلى الوافد أكثر مما يميل إلى الموروث كما هو الحال في التأليف في علوم الحكمة، تمثل الوافد قبل تنظير الموروث.^{٨٩} من الوافد يعتمد على أفلاطون ثم أنبازقليس والمشائين وبعض المتقدمين والأقدمين.^{٩٠} ومن الوافد يظهر

ص ١٤٧-١٤٨. «خذها بيضاء مشرقة تتلأأ بالحقائق نتائج فكر من بالغ في المعاد وأمعن في النظر ولم يقنع بوهم التقليد، وبغض اللوثة في سبيل الحق بمقدار ما ساعده الزمان»، السابق، ص ١٩٢.

^{٨٣} السابق، ص ١٣٤.

^{٨٤} وعلى الشارح ألا يستعمل المجازيات، لا ما يؤخذ عنه المجازيات، السابق، ص ١٣٩.

^{٨٥} من العقيدة إلى الثورة، ج ١، المقدمات النظرية، الفصل الأول: نظرية العلم، ص ١٤١-٤٠٩، الفصل الثاني: نظرية الوجود، ص ٤١١-٦٢٦.

^{٨٦} المقاومات، ص ١٣١، ١١٤، ١٤٥، ١٤٨.

^{٨٧} قاعدة (٦)، فصل (٣)، نكتة (١).

^{٨٨} المقاومات، ص ١٦٢.

^{٨٩} من النقل إلى الإبداع، مج ٢، التحول، ج ٢، التأليف، الفصل الثاني: تمثل الوافد قبل تنظير الموروث.

^{٩٠} أفلاطون (٢)، أنبازقليس (١)، المشاءون، بعض المتقدمين، الأقدمون (١).

صاحب البصائر (الساوي)، العمل وليس المؤلف، وبعض المتأخرين، ومن المتأخرين، والجمهور.^{٩١} ويحيل إلى باقي مؤلفاته مثل «التلويحات» و«المطارحات» و«حكمة الإشراق».^{٩٢}

(و) «هياكل النور»^{٩٣}

ويمثل العمل أيضًا التحول من المعرفة إلى الوجود. وهو بين الفلسفة والتصوف لما به من نظرية الإشراق ونظرية الفيض، والنور رمز معرفي ووجودي في آن واحد. هو إشراق في النفس ومراتبها بين العلم والجهل، ومراتب الوجود بين النور والظلمة. الهيكل هو الجسم. وهناك سبعة هياكل: الأول الجسم، والثاني النفس، والثالث الجهات العقلية الثلاثة، الواجب والممكن والمستحيل والعلة والمعلول وهي أحكام العقل الثلاثة عند المتكلمين والفلاسفة تحولت إلى جهات للوجود. كما أن العلة حكم عقلي ووجودي في آن واحد. والرابع واجب الوجود وفعله تحولًا من الذات والصفات والأفعال عند المتكلمين إلى واجب الوجود عند الفلاسفة. ويثبت عن طريق إثبات النفس الناطقة.^{٩٤} وهو واحد ولا يصدر عنه إلا الواحد. هو النور الإبداعي الأول. والجواهر العقلية وسائط وجود الأول. وتتكاثر العقول بتكاثر الإشراقات في العقل الفعال. وتتوقف جميع الممكنات على وجود الواجب مما يثير قضية قدم العالم وأزليته، والخامس إثبات الحركة الدورية والإرادية للأفلاك وأنها سبب الحركات الحادّثات، وأنها لها نفوس وعقول فائضة عن الأول، وإثبات الأجرام السماوية وكما لها طبيعتها الأثرية الخامسة، وأن الشمس مثال الله الأعظم، وهو تشخيص الكون وإسقاط النفس عليه كما هو الحال عند إخوان الصفا في أن الإنسان عالم صغير وأن العالم إنسان كبير. والسادس مفارقة النفس البدن إلى عالم النور. والسابع النبوات. وهو طريق تصاعدي ارتقائي من النفس إلى الله ثم يهبط في نظرية الفيض وصدور العقول

^{٩١} صاحب البصائر (الساوي) (٢)، بعض المتأخرين، ومن المتأخرين، الجمهور (١).

^{٩٢} التلويحات (٣)، المطارحات (٢)، حكمة الإشراق (١).

^{٩٣} المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م.

^{٩٤} وهو ما قرره أيضًا أوغسطين وأنسلم وديكارت في الدليل الأنطولوجي على وجود الله في الفلسفة الغربية الوسيطة والحديثة.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

والموجودات عن واجب الوجود. يقوم على التحليل العقلي الخالص. ولا يستشهد بالقرآن إلا مرة واحدة.^{٩٥}

(٣) «مراتب الوجود وحقيقة كل موجود» للجيلاني (٥٦٢هـ)^{٩٦}

ويدل على التحول من المعرفة إلى الوجود، من العلم بالله إلى ثمرة أعمال أهل الحقيقة، والتميز بين علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين، ومطالعة كتب الحقيقة أفضل من أعمال السالكين. يدل على أن العلم بالوجود أفضل من مجرد السلوك. ومن عرف الموجود عرف الموجد.^{٩٧}

ومراتب الوجود أربعون ابتداء من ذات الله، وهو الغيب المطلق إلى الوجود المطلق إلى الواحدة إلى الظهور الصرف إلى الوجود الساري. وأسماء الوجود الربوبية والمالكية. والأسماء والصفات النفسية دلالات عليها مثل الأسماء، الجلالية والجمالية والفعلية. ومن تجليات الوجود عوالم الإمكان والعقل الأول والروح الأعظم والعرش والكرسي وعالم الأرواح وعالم الطبيعة المجردة ثم الهيولى والهباء والجوهر الفرد والمركبات وعناصرها والنبات والحيوان. ثم تأتي الأفلاك العشرة، ثم الأثير والمأثور والمستأثر، ثم الإنسان وفائدة معرفة النفس. تتخللها حكايات بعض الحكماء والمجانين. وتتخللها نظريات الإنسان الكامل والقاموس الأعظم وأخلاق الأنبياء.^{٩٨} وكثير منها يستمد من علوم الحكمة.

^{٩٥} وهي آية: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾، هياكل النور، ص ٧٩.

^{٩٦} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥ م (٢)، ص ٣٧-٦٢.

^{٩٧} السابق، ص ٤٧، ٥١.

^{٩٨} «وإنما أوردت لك هذه الحكايات كلها في ديباجة هذا الكتاب حتى أفهمك قدر هذا العلم وعلو شأنه لترغب في تحصيل هذا الفن الشريف بمطالعة هذه الكتب وممارستها ومذاكرتها مع أهلها حيث كانوا. فإن الرجل منهم قد يفيدك ما لا تفيدك الكتب كلها في العمر كله لأنك تأخذ من الكتاب بفهمك، والرجل العالم بالله إذا أرادك لفهم مسألة على ما هي عليه أعطاك فهمه فيها. وكم بين فهمك وفهمه. ولقد كانت مطالعة كتب الحقيقة عند المحققين أفضل من أعمال السالكين، ومجالسة أهل الله مع التأدب معهم أفضل من مطالعة الكتب كلها. فعليك ثم عليك بملازمة المطالعة في كتب الحقائق والعمل بمقتضى علومها. فإنك تحصل بذلك على مقصودك وتقع به على معرفتك بمعبودك»، السابق، ص ٤٠.

ثانيًا: من المعرفة إلى الوجود

وفي كل فلك نبي.^{٩٩} ويعتمد على القرآن والحديث دون الشعر.^{١٠٠} ولا يذكر من الصوفية إلا الجنيد وأحمد الرفاعي.^{١٠١} وتُحال إلى عدة كتب للمؤلف أو لابن عربي.^{١٠٢}

(٤) «الرسالة الكمالية في الحقائق الإلهية» للفخر الرازي (٦٠٦هـ)^{١٠٣}

وهي أقرب إلى الفلسفة الإشراقية أو علم الكلام الإشراقي. تضم عشر مقالات. الأولى والثانية في المنطق والمعقولات. ومن الثانية حتى الخامسة في نظرية الذات والصفات والأفعال. ومن السادسة حتى العاشرة في الطبيعيات، أحوال الأجسام وصور الأفلاك وأركان العناصر وعلم النفس وعلم الهيئات.

(٥) «كتاب الشاعر» لصدر الدين الشيرازي (١١٥٠هـ)^{١٠٤}

كله في نظرية الوجود وأحكامه وإثبات حقيقته وأقواله. وفيه مشاعر. ويذكر الرازي أحياناً في كتب التصوف باعتباره صوفيًا. فبين الفلسفة الإشراقية والتصوف وأوشج قربي في نظرية المعرفة، المعرفة الإشراقية أو في نظرية الوجود، نظرية الفيض.

(٦) «فوائح الجمال وفوائح الجلال» لنجم الدين كبرى (٦١٨هـ)

ولم يقتصر التحول من المعرفة إلى الوجود على النص الصوفي العمدة بل ظهر أيضاً في المؤلفات الصوفية الجزئية، مثل «فوائح الجمال وفوائح الجلال» لنجم الدين كبرى.

^{٩٩} إبراهيم في زحل، وموسى في المشتري، ويحيى في المريخ، وإدريس في الشمس، ويوسف في الزهرة، ونوح في عطار، وأدم في القمر.

^{١٠٠} الآيات (١٦)، الأحاديث (٣).

^{١٠١} الجنيد، الرفاعي (١).

^{١٠٢} من مؤلفات الجيل: الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية، شمس ظهرت لبدر قرحي، القاموس الأعظم والناموس الأقدم (٣)، الإنسان الكامل (٢)، بحر الحدوث والقدم وموجود الوجود والعدم، حقيقة الحقائق التي هي للحق من وجه ومن وجه للخلائق (٢)، قطب العجائب فلك الغرائب، ومن مؤلفات ابن عربي «الفصوص».

^{١٠٣} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢ م (١)، ص ٩٧-١١.

^{١٠٤} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢ م (٢)، ص ١٠١-١٤٢.

إذ تتناثر الموضوعات. وتغيب الفصول والأبواب أو تحضر دون أن تقدر على احتواء المادة المتناثرة^{١٠٥} ويبرز التحول من المعرفة إلى الوجود في العنوان. فالكون جمال يفرح، وجلال يفتح^{١٠٦} وداخل كل فصل موضوعات يتكرر بعضها تدل على غياب النسق وتكرار المشاهدات للكون^{١٠٧}. توصل بينها بمشاهدات. لذلك تظهر ألفاظ: وصل، معاينة، معائنات، مشهد، مشاهدات عروجية، طبقات للمشاهدة. وكلها رموز وجودية، مراتب الوجود. يكشف الوجود نفسه في إشارات وعلامات ووقائع وكونيات وشجرة اليقين. وأشكالها الأدبية حكايات غريبة وروايات ومسائل وخواطر وتفسير، ومحاضر ربانية وكتب الغيب، وإجماليات وتفصيلات وأسرار الحروف وصيحات الهاء وتسميات غيبية. والمنهج هو الطريق والاختبار الروحي، والمجاهدة والذكر ونيرانه والذوق والاستغراق والسير وال جذب والهمة والخطوة والخير، والبداية من القلب والقلب، ومراتب النفس. والترقي في المقامات والأحوال في الوقت. ويتقدم مقام المحبة والعشق والشوق وأحوال الأُنس والحزن والمقامات غير المحدودة والفناء. ثم تظهر الحقائق الصوفية والأنوار والاسم الأعظم، اسم الله، وكلام الله. ثم تظهر الكرامات على الأولياء وخرقة الصوفية وتزاور الأرواح في عالم الأقطاب والأبدال والأوتاد. فالتصوف بداية ووسط ونهاية. ويغيب النظر والعمل. ويظل التصوف نظرياً خالصاً. ينكشف الوجود في الوجد، وتتخلق الأشياء في المواجد، وتظهر المعارف في الأدواق. ويصعب التحقق من ذلك كله إلا في الأبنية العقلية الخالصة، الملا الأعلى أو الواقع الحسي أو في التجارب الإنسانية العامة.

ويكشف تحليل تكرار المفردات عن نفس التحول من المعرفة إلى الوجود. إذ يتقدم لفظ سيار وهو سالك الطريق أو النجم. وكل شيء يتحرك «من ... إلى». ثم تأتي ألفاظ الطريق مثل الذكر والهم من القلب والخلوة إلى الغيب والسر والاسم الأعظم حتى الفناء والاستغراق. وتظهر ألفاظ الكون مثل الدوائر والأركان وآبار الطبيعة والاستواء (البروج

^{١٠٥} هناك خمسة فصول: (١) تبديل الذوق، (٢) في الاستغراق، (٣) ما الفرق بين الحال والمقام والوقت؟

(٤) الجمود والخمود في طريق القوم، (٥) في اسم الله، (٦) مشاهدات كونية.

^{١٠٦} الجمال والجلال مصطلحان صوفيان قبل استعمال كانط لهما في العصور الغربية الحديثة.

^{١٠٧} عناوين هذه الموضوعات من وضع المحقق.

وبروج البروج) جبل قاف والجدي، والزهرة وذكر الوجود وظلام الوجود وعالم الحدوث والقدم وعطارد والمشتري والقوس وتظهر بعض الألفاظ الوافدة مثل «سفسطي» أي سوفسطائي، وشونيزية وهو لفظ فارسي ونرفانا وهو لفظ هندي. وتظهر المقامات مثل التوكل والأحوال مثل الخوف والرجاء، والحزن والسكر. ولما كانت فوائح الجمال وفوائح الجلال ليست مجرد خيالات فإنها تشير إلى وقائع وأماكن محدّدة مثل الإسكندرية وبلاد المغرب وكربلاء.^{١٠٨}

ويعتمد التحول من المعرفة إلى الوجود على الآيات والأحاديث دون أشعار.^{١٠٩} مع أن التجربة الشعرية والتجربة الصوفية صنوان. ومن أعلام الصوفية يتقدم الجنيد صاحب التجارب والشطحات التي تكشف أسرار الكون ومعاني الوجود. ويظهر الرسول والتستري، واستفتين ونيفشه ويوناق والحلاج صاحب الشطحات والسهوروردي صاحب

^{١٠٨} سيار (٤٦)، ذكر (أذكار) (٢٤)، همة (١٧)، غيب (غيبية) (١٦)، قلب (١٤)، فناء (١٣)، خلوة (١٢)، سر (أسرار)، عالم الشهادة، مشاهدة، مقام، هيبة (١١)، الاسم الأعظم (١٠)، استغراق الدوائر (٩)، حال (أحوال)، خاطر (خواطر) (٨)، أنس (٧)، حجاب (حجب)، عشق، قبض، موت (٦)، بصيرة، تلوين، الخوف (والرجاء)، ذوق، مجاهدة، نفس، نور (أنوار)، واردات (٥)، أركان، أسرار الحروف، بقاء، تمكين، حضور، حيرة (تحير)، عالم الغيب، مخاطر، نفس لوامة، هوية (٣)، إحسان، إخلاص، إلهام، أيام الله، إيوان، تجلي، تصرف، تكليف، تكوين، جمعية، جمود، حزن، صمود، روح القدس، سكر، سماع، الشونيزية، شيخ الغيب، صعق، عرفان، كرامات، ندم، نفس أمارة، واقعات، ورد، يد الهمة (٢)، آبار الطبيعة، إجابة الدعوة، إحضار، أبواب القلوب، أربعينية، استهلاك، استواء، أغيار، بروج الوجود، تجريد، تسليم، تفرقة، تغريد، تفويض، توحيد، توكل، تولي، جبل قاف، الجدي، الجذب، جمعية الجمعية، جنون، جوع، الجوع الكلي، حضرة، حضرة الهوية، حق اليقين، حلولي، حواس، الغيب، حواس القلب، خرابات، خرقة الصوفية، خلع العذار، ذكر الوجود، رابطة، رقباء الغيب، زحل، الزهرة، سَبَل، سفر، سفسطي، سفينة، سكيّة، سهيل، شطح، الصفقة، طيار، ظلام الوجود، عالم الحدوث، عالم القدم، عامي، عبادة، عبودية، عربدة، عرش الشيطان، عصمة، عطارد، علم التعبير، علم اليقين، عين اليقين، فراسة، قدرة، القدم والحدوث، القوس، كشف الغطاء، كيمياء، لسان الحال، اللعل، مجذوب، المحو والإثبات، مرابطة، مراقبة، مرآة القلب، مرقعة، المشتري، القدم، منطق الطير، ميزان، ميزان الغيب، نرفانا، نفخ الصور، ميزان الشيطنة، النيران المذمومة، نيران الهوى، نية، هيمان، وهم، يد القلب (١).

^{١٠٩} الآيات (٦٤)، الأحاديث (٣٠).

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

إشراقات. وكلاهما يتجهان نحو الوجود. وكبار المحبين مثل سحنون ورابعة والأنبياء مثل يوسف وموسى وعيسى ومحمد أصحاب مواجيد ووجد ووجود.^{١١٠}

(٧) مؤلفات ابن عربي (٦٣٨هـ)

(أ) «الفتوحات المكية»^{١١١}

والفتوحات «مثل» الموافقات «علامة فارقة في تاريخ كل علم، علوم التصوف وعلوم أصول الفقه». ففيه حدث التحول الفعلي من التصوف النفسي إلى التصوف الفلسفي. ومن النفس إلى العالم، ومن الداخل إلى الخارج، ومن الذات إلى الكون، ومن المعنى إلى الحرف، ويشمل العديد من الموضوعات الفلسفية مثل العقل الأول، والنفس الكلية، ونظرية الفيض. وكان ابن مسرّة هو أول من أسس التصوف النظري الذي ينتسب إليه ابن عربي. ونظرًا لسيادة هذا التحليل النظري تغيب التجارب المشتركة خاصة مع القارئ. وبالتالي يصعب إيجاد البراهين على صدق التحليلات العقلية خاصة إذا كانت الموضوعات متعالية تند عن الحس مثل الحديث عن الكواكب والأفلاك.

يبدو التصوف النظري وكأنه لا صلة له بالواقع، مجرد تأملات وخيالات كبديل عن الواقع الفعلي، أبنية نظرية في الهواء وصور ذهنية من صنع الخيال أو الوهم على عكس التصوف الأخلاقي المطابق للسلوك الفاضل، والتصوف النفسي المطابق للتجارب الإنسانية العامة.

وإذا كان «الإحياء» قد أقام التصوف على قسمة رباعية: عادات ومعاملات، ومهلكات ومنجيات فإن «الفتوحات» أقامه على قسمة سداسية: المعارف، المعاملات، الأحوال، المنازل، المنازلات، المقامات.^{١١٢} «المعارف» هي نظرية العلم التي يبدأ بها كل علم، الكلام أو الفلسفة

^{١١٠} الجنيد (٨) التستري، الرسول (٣)، استفتين، الحلاج، الزبير، السهروردي (أبو النجيب)، عمار (البديلي)، عيسى، قنطرون، يوناقي (٢)، أبو بكر الواسطي، أبو الجناح، أبو الحسين، النوري، إسرافيل، عزرائيل، نيفشه، الحافظ السلفي، الحضرمي، رابعة، سحنون، موسى، يوسف (١).

^{١١١} دار صادر، بيروت، (طبعة مصورة)، (د.ت).

^{١١٢} السابق، ج ١، ١١-٣٠.

أو الأصول، بالإضافة إلى بعض مسائل في الفقه. موضوع المعرفة هو الروح، ومراتب الحروف والحركات والكلمات، وسبب بدأ العالم خاصة الروحاني ومراتب الأسماء الحسنی وأسرار البسملة والفاتحة، والأقطاب، والإشارات والخواطر والقيامة أي تقريبًا كل شيء فلا حدود لموضوعات المعرفة.^{١١٣} يضاف إليها بعض مشاكل الفقه التقليدية كالطهارة وأسرار الصلاة والزكاة والصوم والحج.^{١١٤} ثم يضاف موضوع ثالث وهو معرفة عدد ما يحصل من الأسرار للمشاهدة عند المقابلة والانحراف وعلى كم ينحرف من المقابلة. وهي تأويلات باطنية لمائة وخمسين سؤالًا لا يعرف إجابتها إلا أهلها مثل عدد منازل الأولياء وأهل القربة ومنتهاهم ومجالسهم وأحاديثهم ومناجاتهم، والخاتم والرسل والملك والروح والأنبياء.^{١١٥} وهو أكبر الأقسام الستة.^{١١٦}

والثاني «المعاملات». وهو الرابع من حيث الحجم.^{١١٧} ويضم موضوعات الأخلاق مع بعض المقامات مثل التوبة والمجاهدة والعزلة والتقوى والورع والزهد والصمت والخوف والرجاء والحزن والجوع والخشوع أو الغيبة والقناعة والتوكل والشكر واليقين والصبر والرضا والصدق والحياة والولاية والنبوة والمحبة. ويستعمل لفظ مقام بمعنى عام بحيث يشمل كل شيء بما في ذلك الأحوال؛ مما يدل على إنهاء الفصل التام بينهما كما هو الحال في المرحلة النفسية.

والثالث «الأحوال».^{١١٨} وهو الخامس من حيث الحجم. يضم موضوعات نفسية خالصة بالكشف الصوفي في بداية النفس وهو أطول الفصول.^{١١٩} ويتناول موضوعات معرفية خالصة مثل التجلي واللوائح والتلوين والبوادر والهجوم والخواطر والواردات ... إلخ. ثم تبرز الأحوال مثل القبض والبسط، والفناء والبقاء، والفرق والجمع، والرهبة

^{١١٣} السابق، ج ١، ٣١-٣٢٨.

^{١١٤} السابق، ص ٣٢٩-٣٦٣.

^{١١٥} السابق، ج ٢، ٢-١٣٨.

^{١١٦} ص ٨٥٥، والأبواب ٧٣.

^{١١٧} المعارف (٨٥٥ ص)، المنازل (٦٤٤)، المقامات (٤٨٨)، المعاملات (٢٤١)، الأحوال (١٨٩)، المنازل (١١٨). وتضم ١١٦ بابًا.

^{١١٨} الفتوحات، ج ٢، ٣٨٢-٥٧٠ (٨٠ بابًا).

^{١١٩} السابق، ص ٣٩٠-٤٧٧.

والرغبة، والوجد والفقد، والصحو والسكر، والمحو والإثبات، والقرب والبعد، والحرية والعبودية، كما تضم أيضًا بعض موضوعات الطريق مثل الإرادة والهمة والسفر. هذا الخلط الإيجابي مقدمة إلى تجاوز التقسيمات الصارمة بين المراحل الثلاث، الأخلاقية والنفسية والفلسفية، وبين الأحوال والمقامات وآداب الطريق.

والرابع «المنازل». وهو الثاني من حيث الحجم.^{١٢٠} وهي درجات إيمان الأولياء والأقطاب والأنبياء حتى المقام المحمدي وعناصر «الحقيقة المحمدية» وعلاقتها بالحضرة الموسوية والعيسوية والنسخ. ومنازل اشتراك النفوس والأرواح في الصفات تجليات للحضرة المحمدية. وهو من أطول الأبواب تتخلله وصلات.^{١٢١} والوصل مصطلح صوفي، ويضم أيضًا «معرفة منزل مفاتيح خزائن الجود» عدة وصلات أطول.^{١٢٢} بل إن كل ما في الكون من تجليات قدسية من منبع الحضرة المحمدية.^{١٢٣} وهنا يتحول تاريخ النبوة إلى تاريخ للتجلي في أشخاص الأنبياء وليس فقط في تطور الوحي طبقًا لحاجات المجتمع ودرجة رقي الوعي الإنساني. ويكثر الاستشهاد بالكتب المقدسة، التوراة والإنجيل والزيور، دون معرفة مصادرها، الترجمات العربية القديمة أو النصوص الضائعة منها أو الإسرائيليات. ويتحول قصص الأنبياء إلى دورات في التاريخ كما هو الحال في الفكر الإسماعيلي في الأكوار والأدوار.

والخامس «المنازلات». وهو أصغر الأقسام حجمًا.^{١٢٤} وإذا كانت «المنازل» للأنبياء فإن «المنازلات» الأولياء، منازلات المعرفة الكشفية والقرب من الحضرة الإلهية. المنزلة وضع إلهي، والمنازلة جهد إنساني، المنزلة كالحال والمنازلة كالمقام.^{١٢٥} والسادس «المقامات» وهو الثالث من حيث الحجم. وتعني المقامات هنا أقطاب المحمديين ومنزلهم خاصة الإثنى عشر قطبًا. لم يعد المقام درجة على الطريق بل

^{١٢٠} السابق، ج ٢، ٥٧١-٦٩٣، ج ٣، ٢-٥٢٢ (١١٤ بابًا).

^{١٢١} السابق، ج ٣، ٢١٦، ٢٣٢.

^{١٢٢} السابق، ص ٣٦٠-٤٠٨.

^{١٢٣} السابق، ص ٤١٦-٤٤٩.

^{١٢٤} السابق، ج ٣، ٥٢٣-٥٦٨، ج ٤، ٢-٧٤ (٧٨ بابًا).

^{١٢٥} السابق، ج ٤، ٧٤-٥٦١ (ص ٤٨٨)، (٩٩ بابًا).

شخصًا صاحب منزلة. وكل قطب له آية قرآنية تشير إليه. بل إن الأسماء الحسنى أيضًا مقامات.^{١٢٦}

«الفتوحات» أضخم سفر في تاريخ التصوف، تجميع لكل شيء من الأعمال السابقة في منظومة واحدة لدرجة التطويل مما يدفع إلى التصريح بضرورة الاختصار منعا للتطويل.^{١٢٧} لذلك قد يصيب القارئ الملل بمتابعة هذا الكم الضخم من التحليلات الدائرية المتشابهة التي لا أول لها ولا آخر والتي يتوه فيها القارئ ولا يعرف من أين يبدأ وإلى أين ينتهي؟ وما هي مقاييس الصدق لهذا كله، لهذا التحليل أو ذاك؟ ينتهي الواقع لصالح الخيال، والعالم لصالح الوهم. ومع ذلك يحيل الكتاب إلى بعضه البعض لبيان وحدة موضوعه. كما يحيل الكاتب إلى باقي مؤلفات ابن عربي لبيان وحدة المشروع.^{١٢٨} وهو كتاب مُلغز يحتاج إلى تأويل وشرح.^{١٢٩} لذلك أصبح متناً لعدد من الصوفية الشراح، لعباراته وألفاظه. ووضعت قواميس خاصة له.^{١٣٠} بل إن الصوفية بعد ابن عربي لم يخرجوا عنه. واستشهدوا به. وأصبح كتاب «الفتوحات» هو المعين الأول للأعمال الصوفية التالية. يُقتبس منه، ويُحذى حذوه.

والآيات القرآنية كشواهد نقلية أكثر من الأحاديث النبوية.^{١٣١} ويستعمل القرآن إما مباشرة أو على نحو غير مباشر، بالاستشهاد بالآية أو بإدماجها داخل الخطاب لتقويته من الناحية الأدبية. وتستعمل الآيات الكونية القصيرة ليسهل إدراك هذه الحركة المتبادلة. وتستعمل أكثر من مرة للتعبير عن نفس الحدس وبنفس الشواهد. وتبدو مركزية القرآن حتى يبدو التصوف كله نابعاً منه، وأن العالم كله صدى له، وأن ظواهر الكون تحقق لآياته، وكأن «الفتوحات» ما هو إلا تفسير للقرآن. كما تبدو بعض الأبواب وكأنها شروح

^{١٢٦} السابق، ص ١٩٦-٣٢٥.

^{١٢٧} يقع الكتاب في أربعة مجلدات تضم ٢٥٣٥ صفحة، ٥٦٠ بابًا. والفصل أصغر من الباب.

^{١٢٨} وذلك مثل «المبادئ والغايات».

^{١٢٩} الجرجاني: التعريفات: شرح مصطلحات ابن عربي في الفتوحات المكية.

^{١٣٠} عبد الكريم الجيلي (٨٢٦هـ): الإنسان الكامل، عبد الغني النابلسي (١١٤٣هـ): الوجود الحق والخطاب الصدق.

^{١٣١} لا يوجد كشاف في الطبعة الأولى للفتوحات والمصورة من صادر ليسهل تطبيق منهج تحليل المضمون بالنسبة للآيات والأحاديث والأشعار وأسماء الأعلام والأماكن والفرق.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

على القرآن، وأن الآية هي عنوان الباب.^{١٣٢} ويبدو النص توترًا بين التجربة الفردية والواقع الاجتماعي. فالنص مجرد إمكانية للقراءة بين أقطاب خارج النص، تجربة القارئ وواقعه الاجتماعي.

وفي الأحاديث النبوية تُذكر الأسانيد مع المتون حتى في هذا الوقت المتأخر الذي بعد فيه العهد عن عصر التدوين واستقرار مدونات علم الحديث. وأحياناً تذكر المتون بلا أسانيد نظرًا لألوية المتن على السند. وتذكر في أكثر من رواية زيادة أو نقصاناً.^{١٣٣} ويستشهد ببعض الحكايات عن الصوفية أكثر من أقوالهم. فالحكاية أكثر جذبًا للانتباه وإثارة للخيال. ويمكن تأويلها على عديد من الجوانب.

وإذا كانت علوم التصوف علوماً كشفية ذوقية في مقابل الكلام والفلسفة كعلوم عقلية برهانية، فالسؤال هو: ماذا عن تأويل القرآن؟ هل هو كاشفي أم إلهامي لدي، وما التأويل إلا البرهان على صحته، وهو التأويل النازل أم أنه تحليل للتجربة الإنسانية صعودًا إلى النص، وهو التأويل الصاعد؟ فالنص له مصدران إلهي وبشري، نازل وصاعد، في الذهن الإلهي وفي النفس البشرية.

وفي «الفتوحات» الرواية المشهورة عن «مقابلة» ابن عربي مع ابن رشد، الأول يشاهد ما يعلمه الثاني، والثاني يعلم ما يشاهده الأول.^{١٣٤} ومع ذلك تجمع «الفتوحات» أحياناً بين الإلهام والاستدلال، بين التوغل في التأله والتوغل في البحث بتعبير السهروردي في حكمة الإشراق.^{١٣٥} وكيف تكون «الفتوحات» كشفًا ربانيًا ولها مصادر مدونة معلنة وغير معلنة خاصة من «الإشارات الإلهية» لأبي حيان التوحيدي؟

ويجمع الكتاب بين الظاهر والباطن ولا يعارض بعضهما ببعض الآخر. كلاهما طريق للوصول إلى نفس الغاية. الأول طريق الفقهاء والمتكلمين والثاني طريق الصوفية والفلاسفة اعتمادًا على التأويل. الأول للعامة، والثاني للخاصة وابن عربي ظاهري المذهب الذي كان سائدًا في الأندلس منذ ابن داود الظاهري وتلميذه ابن حزم.

^{١٣٢} الفتوحات، ج ٤، ٩٨، ١٩٤.

^{١٣٣} السابق، ج ١، ٢٢٣.

^{١٣٤} السابق، ج ١، ١٥٣، ١٥٤.

^{١٣٥} السابق، ص ٢٨٨.

ويصعب الحكم على «الفتوحات» هل هو كتاب نثر أولاً ثم الاستشهاد عليه بالشعر أم هو ديوان شعر أولاً ثم شُرح نثرًا. فكل موضوع يبدأ بالشعر ثم يأتي الشرح بالنثر. وابن عربي شاعر، له ديوانه وأشعاره خارج الديوان. والشعر المذكور على ثلاثة أنواع: الأول شعر ابن عربي ذاته، والثاني شعر آخرين مثل النابغة، والثالث مجهول المؤلف أقرب إلى الشعر المتوارث كالحكم والأمثال.

ويتضح أن التصوف نظرة أشعرية للعالم، وأن الأشعرية هي البنية النظرية للتصوف، الله المسيطر على كل شيء، وإرادته نافذة في كل ميدان دون أسباب أو فعل إنساني حر. ومع ذلك يبدو ملأً حثيثاً من الأشعرية ونقدًا لها لأنها ما زالت أسيرة علم الكلام.^{١٣٦} ويظهر البرهان العقلي في أسلوب الحجاج التقليدي، أسلوب المسائل مثل «المستصفي» وتخيل الاعتراض مسبقًا والرد عليه «فإن قيل ... قلت» ودون الاعتماد على الحجج النقلية.^{١٣٧} والخطاب موجه إلى القارئ، «اعلم أيها الولد»، مع الدعوة له، «هناك الله» مثل أسلوب إخوان الصفا. فالتصوف دعوة للناس.

ويتجلى التحول من المعنى إلى الحرف في «كتاب الحروف» جزء من نظرية العلم «المعارف».^{١٣٨} فالحروف هي سبب التجسيم والتشبيه إذا ما فهمت على الظاهر. وهي رموز لها معاني كونية إذا ما فهمت على الباطن. واللغة تحيل على الوجود. والحرف رمز على ظاهرة كونية، الحروف لها حركات وكذلك الكون. ومنها الصغار والكبار وكذلك الطبيعية. وتتعدد اللغات والألسنة. فهناك اللسان الشرقي واليماني والشامي. وهي أقرب إلى اللهجات منها إلى اللغات المستقلة. والألسنة التي تعددت لها حروف.

والقرآن حروف بدليل وجودها في بداية بعض السور مستقلة بمعانيها. كل حرف يشير إلى ظاهرة طبيعية، وهي في نفس الوقت حروف الأسماء الإلهية. لا تخضع للترتيب الأبجدي بل لها منطقها الخاص. وعلم الحروف معروف في الحضارات السابقة المسيحية واليهودية. وقد بدأت الخزعات داخل التصوف النظري ابتداء من

^{١٣٦} السابق، ج ١، ٢٠٠.

^{١٣٧} السابق، ج ١، ١٧٨-١٨٠، ٢٧١، ٢٨٨.

^{١٣٨} السابق، ج ١، ٩١-٩٠.

الحروف.^{١٣٩} وهي الحروف الأبجدية للترتيب أبجد هوز والتي أصبحت موضوعاً للأغاني الشعبية.

وهناك خمسة عوالم: الشهادة، والغيب، والملكوت، والجبروت، والملك. وقد يتصل عالمان كما يتصل حرفان مثل: عالم الغيب والملكوت، عالم الشهادة والجبروت، عالم الغيب والجبروت، عالم الملك والجبروت، عالم الملك والشهادة.

ويتحول علم الحروف إلى علم الأعداد. فكل حرف عدد، وباجتماع الحروف والأعداد تنشأ الحاجة إلى الرسومات البيانية بالحروف والأعداد. وهو ما زال مستمرًا حتى الآن في الحركة الإصلاحية عند الكواكبي في «أم القرى» وفي المعتقدات الشعبية في الأحجبة لمداواة المرضى واتقاء الحسد.^{١٤٠}

واللغة تعبير وليست إيصالًا، وتحقيق وجود الذات أكثر منها إيصال حقائق للآخر مثل الفن بوجه عام، والشعر بوجه خاص. ويستعمل الخطاب كل أساليب التعبير في فنون القول مثل الجناس والطباق والسجع، والمجاز والتشبيه والاستعارة، تواصلًا مع الإشارات الإلهية «لأبى حيان التوحيدي». ومع ذلك «الفتوحات» خطاب على خطاب، قول مستقل بذاته عن العقل والواقع، عن المنطق والتجربة، كلام في كلام، بلا هدف كبير واضح بالرغم من القسمة السادسة التي تقوم على القسمة الرباعية لـ «الإحياء» وفي نفس الوقت تقضي عليها لتغيير معاني المصطلحات والأهداف. وبالرغم من الخروج من الإنسان إلى

^{١٣٩} السابق، ج ١، ١٩٠.

أ	ب	ج	د
هـ	و	ز	ح
ط	ي	ك	ل
م	ن	س	ع
ف	ص	ق	ر
ش	ت	ث	خ
ذ	ض	ظ	غ

^{١٤٠} السابق، ج ١، ١٩٠، ٢٦٠، ٢٦٥.

العالم، ومن الذات إلى الموضوع، ومن النفس إلى الكون إلا أن الإنسان ما زال مركزياً في التصوف النظري. وبين الإنسان والطبيعة هناك إحالة متبادلة من الإنسان إلى الطبيعة، ومن الطبيعة إلى الإنسان، من العالم الأكبر إلى العالم الأصغر بمصطلحات إخوان الصفا. والفقه أيضاً إحالة متبادلة بين الإنسان والطبيعة، بين الشرع والكون. ليس مجرد أعمال فردية بل ظواهر طبيعية وحركات كونية.

وهناك أيضاً مركزية النكاح. فالنكاح فعل اتحادي رمزي، محبة وعناق، شوق وقبل، هياج ولقاء، رمز العلاقة المتبادلة بين الإنسان والله. والله ليس في حاجة إلى مثل هذه العلاقة الاتحادية. الله «ينكح نفسه» وبلغه الفلاسفة، الله عقل وعقل ومعقول، عشق وعاشق ومعشوق.

ويبدأ الانحراف بالعلم نحو الغيبيات والخيالات وتدعيم ذلك بالأحاديث القدسية الطوال التي يحاور فيها الله والملائكة وجبريل والرسول. وبها كثير من الإخراج والفن المسرحي عن القلم واللوح والعرش. في حين أن الغاية من الحديث بيان مجمل أو تفصيل عملي لأوجه الممارسة. والأحاديث القدسية بلا أسانيد ولا مصادر. يكفي أنها تبرهن على الخيالات المطلوبة بصرف النظر عن صحتها.

ويتجه التصوف النظري أكثر فأكثر نحو مركزية محمد، والقطب المحمدي، والحضرة المحمدية أو فيما يُعرف في التصوف باسم «الحقيقة المحمدية» منذ ذي النون المصري، وتشخيص الرسالة في الرسول، والمبدأ في الشخص، والنبوة في النبي، وتحويل الوسيلة إلى غاية، والأداة إلى هدف.

ويزداد التوجه نحو المعجزات والكرامات وأعاجيب الأفعال وكما بدأ في الطرق الصوفية بعد ذلك. وهناك أيضاً مركزية الحركة في الكون، الحركة المستقيمة، العلو والسفل، والحركة الدائرية. فالعالم متحرك وليس ثابتاً طبقاً للتصور الحركي للعالم على عكس التصور الثابت للمتكلمين والفلاسفة.

وهناك أيضاً مركزية العالم العلوي، عالم الأفلاك، والدورات الفلكية، وحركات النجوم والكواكب. وكلها حركات الروح في الكون. وقد تحول علم الفلك إلى التنجيم الشعبي وقراءة الطالع، وأثر الأفلاك في حياة الناس ووقوع الحوادث. وقد تضخم هذا العلم في التصوف النظري المتأخر وفي التصوف العملي وتوحد بالثقافة الشعبية والأحجية والطلسمات والنيرنجيات. ويصاحب ذلك كله الأخرويات وعالم الملائكة والشياطين ومناظر الحساب والعقاب.

(ب) «فصوص الحكم»^{١٤١}

وترتيب «فصوص الحكم» بناء على رؤية الرسول في المنام وفي يده الكتاب. فهو علم نبوي كما أن «الفتوحات المكية» علم إلهي.^{١٤٢} فالولاية لا تنقطع. الأولياء ورثة الأنبياء.^{١٤٣} ثم يضع فصول الكتاب كبرنامج في البداية.^{١٤٤}

والمعرفة الصوفية مكاشفة ومشاهدة ومعاينة.^{١٤٥} لذلك يحال إلى علوم الذوق. والوجود الذهني هو الوجود العيني. ومع ذلك تعتمد على الدليل العقلي في فهمها وتنظيرها وعرضها.^{١٤٦} لذلك يبدو الأسلوب نظرياً مجرداً. يغلب عليه البرهان لا الكشف.

^{١٤١} مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، (د.ت.).

^{١٤٢} «أما بعد فإنني رأيت رسول الله ﷺ وسلم في مبشرة أدبتها في العشر الأواخر من المحرم سنة سبع وعشرين وستمائة بمحروسة دمشق وبيده ﷺ كتاب. فقال لي: هذا كتاب فصوص الحكم. خذه واخرج به إلى الناس ينتفعون به. فقلت السمع والطاعة لله ولرسوله وأولي الأمر منا كما أمرنا. فحققت الأمنية، وأخلصت النية، وجردت القصد والهمة إلى إبراز هذا الكتاب كما حده لي رسول الله من غير زيادة ولا نقصان. وسألت الله أن يجعلني فيه وفي جميع أحوالي من عباده الذين ليس للشيطان عليهم سلطان، وأن يخصني في جميع ما يرقمه بناني، وينطق به لساني، وينطق جناني بالإلقاء السبوح، والنفث الروحي في الروع النفسي بالتأييد الاعتصابي حتى أكون مترجماً لا متحكماً ليتحقق من يقف عليه من أهل الله أصحاب القلوب أنه من مقام التقديس المنزه عن الأغراض النفسية التي يدخلها التلبيس. وأرجو أن يكون الحق لما سمع دعائي قد أجاب ندائي فما ألقى إلا ما يلقي إلي، ولا أنزل في هذا المسطور إلا ما ينزل به عليّ. ولست بنبي ولا رسول، ولكنني وارث، ولآخرتي حارث...»، فصوص الحكم، ص ٦-٧.

^{١٤٣} السابق، ص ٣٤.

^{١٤٤} السابق، ص ٢٦-٢٧.

^{١٤٥}

فلم يبقَ إلا الحق لم يبقَ كائن
فما تمَّ موصول وما تمَّ بائن
لذا جاء برهان العيان فما أرى
بعينيَّ إلا عينه إذ أعاین

السابق، ص ٩٨.

^{١٤٦}

فلا تنظر العين إلا إليه
ولا يقع الحكم إلا عليه

السابق، ص ١٣٤.

لم يدر ما قلت لم تخذل بصيرته
وليس يدره إلا من له بصر

السابق، ص ٦٩.

وتظهر تحليلات الفلاسفة في الطبيعيات والعناصر الأربعة. وتظهر بعض قضايا علم الكلام. ويأخذ ابن عربي الموقف الأشعري بأن الصفات زائدة على الذات.^{١٤٧} وإذا عجزت العقول عن البرهان فالخيال أقدر من العقل.^{١٤٨} لذلك تظهر لغة النور والخيال.^{١٤٩} والعقل والطبيعة، البرهان والتجربة شيء واحد.^{١٥٠} وتظهر فيه ثنائية الحق. فللحق وجهان. والدين دينان.^{١٥١} ولكل شيء ظاهر وباطن، موسى والخضر.^{١٥٢} التنزيه قيد، والتشبيه تحديد. والأفضل الجمع بين الاثنين.^{١٥٣} وتظهر الأحوال والمقامات داخل تطور النبوة. المقامات مثل القرب والصبر والمحبة.^{١٥٤} والأحوال مثل الجمع والفرق.^{١٥٥} وتظهر بقايا الفقه في أسرار الحج والمسيرة في التشابه بين رضاعة موسى ورضاعة محمد.^{١٥٦} ويتضمن وصفًا لتاريخ النبوة منذ آدم حتى محمد في سبع وعشرين درجة. كل نبي له درجته أو ماهيته أو دلالة نبوية. فالنبوات فصوص. كل فص نبوة.^{١٥٧} والتقابل بين

^{١٤٧} السابق، ص ٣٥.

^{١٤٨}

إذا ما تجلّى للعيون ترده عقول ببرهان عليه تثابر
ويقبل في مجلى العقول وفي الذي يسمّى الخيال والصحيح النواظر

السابق، ص ٨٨.

^{١٤٩} السابق، ص ١١٨-١١٩.

^{١٥٠} السابق، ص ٥٩.

^{١٥١} السابق، ص ١٠٢-١٠٨.

^{١٥٢} السابق، ص ٣٥.

^{١٥٣} السابق، ص ٣٢.

^{١٥٤}

فإن قلت بالتنزيه كنت مقيدا وإن قلت بالتشبيه كنت محددا
وإن قلت بالأميرين كنت مسددا وكنت إمامًا في المعارف سيدا

السابق، ص ٤٨-٤٩.

^{١٥٥}

جمع وفرق فإن العين واحدة وهي الكثيرة لا تبقي ولا تذر

السابق، ص ٦٩، ٢١٩.

^{١٥٦} السابق، ص ٢٠٥، ٢٦٨.

^{١٥٧} وذلك أشبه بفصوص البرتقالة أو الثوم أو الخس المغلق أو الكرمب أو البصل.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

الحكمة والنبوة تقابل أدبي سجعي. الحكمة هي الدلالة الباطنية، والنبى كلمة أي وحي ونبوة.^{١٥٨} ويلاحظ أنه ترتيب زمني. فالوحي يتكشف تدريجياً عند كل نبى. وهناك تقدم تدريجي في تطور الوحي ومراحله في الكشف عن الحقيقة وهي وحدة الحق والخلق.^{١٥٩} والحقيقة هي وحدة الحق والخلق. سبحان الذي خلق الأشياء وهو عينها. فوحدة الوجود تتجاوز الحلول والاتحاد.^{١٦٠} ويتحول العلاج من الذات إلى الموضوع، ومن الداخل إلى الخارج. تخللت روح الخليل كما تخللت الروح والجسد.^{١٦١} ويكون الإنسان والله على

^{١٥٨} آدم حكمة إلهية تشير إلى وحدة الوجود. وشيث، حكمة نفثية تشير إلى العلم، ونوح حكمة سبوحية تشير إلى التنزية والتشبيه. وإدريس حكمة قدوسية تدل على التنزية الوجداني، وإبراهيم حكمة مهيمية تعني الحب. لذلك سمي إبراهيم الخليل. وإسحاق حكمة حقية إشارة إلى تعبير الرؤيا. وإسماعيل حكمة عليّة تدل على مقام الرضا. ويعقوب حكمة روحية لدينه الروحي. ويوسف نورية لتعبير الرؤيا. وهود أودية لإعلان الوحدة. وصالح فتوحية لفتح الغيب والكشف عن التلث. وشعيب قلبية للصفات القلبية. ولوط ملكية لقوته. وعزير قدرية لإيمانه بالقدر. وعيسى نبوية لوحدة الروح والطبيعة فيه. وسليمان رحمانية لجوده وكرمه. وداود وجودية لحكمه السياسي، ويونس سنية لمعجزة الخلاص. وأيوب غيبية لإيمانه بالغيب. ويحيى جلالية لطاعته. وزكريا مالكية لقوته. وإلياس إيناسية لنسبته إلى الملائكة وإدريس. ولقمان إحسانية لإحسانه، وهارون إمامية لإمامته بني إسرائيل. وموسى علوية لصعوده جبل سيناء. وخالد بن سنان رمز الولاية حمدية لدعوته إلى التوحيد الطبيعي. ومحمد فردية بالحقيقة المحمدية.^{١٥٩} وهذا ما لاحظته لسنج في كتابه «تربية الجنس البشري» في الجدول بين اليهودية (الموضوع)، والمسيحية (نقيض الموضوع)، والتنوير (مركب الموضوع. وهو الإسلام نظرًا للتشابه بين الإسلام والتنوير). انظر ترجمتنا للكتاب، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ١٩٧٧م.

١٦٠

يا خالق الأشياء في نفسه أنت لما تخلقه جامع
تخلق ما لا ينتهي لونه فيك فأنت الضيق الواسع

السابق، ص ٨٩.

فإن دان لك الخلق فقد دان لك الحق
وإن دان لك الحق فقد لا يتبع الخلق

السابق، ص ١٢٥.

١٦١

قد تخللت مسلك الروح مني ولذا سمي الخليل خليلاً

السابق، ص ٧١.

التبادل في الحمد والعبادة والمعرفة والغنى والوجود والكلام والإثبات والكون.^{١٦٢} العبد رب والرب عبد.^{١٦٣}

١٦٢

فيحمدني وأحمده	ويعبدني وأعبده
فيعرفني وأنكره	وأعرفه فأشهره
فإنني بالغنى وأنا	أساعده وأسعده
لذلك الحق أوجدني	فأعلمه فأؤجده
بذا جاء الحديث لنا	وحقق في مقصده
فنحن له كما ثبتت	أدلتنا ونحن لنا

السابق، ص ٧٩-٨٧.

١٦٣

فوقتًا يكون العبد ربًا بلا شك	ووقتًا يكون الرب عبدًا بلا إك
فإن كان عبدًا كان بالحق واسعًا	وإن كان ربًا كان في عيشة ضنك
فمن كونه عبدًا يرى غير نفسه	وتتسع الآمال منه بلا شك
ومن كونه ربًا يرى الخلق كله	يطالبه من حضرة الملك والمُلك
ويعجز عما طالبوه بذاته	لذا تر بعض العارفين به يبكي

السابق، ص ٩٢.

فأنت عبد وأنت رب	لمن له فيه أنت عبد
وأنت رب وأنت عبد	لمن له في الخطاب عهد

السابق، ص ٩٧.

فهو الكون كله	وهو الواحد الذي
نام كوني بكونه	ولذا قلت يغتذي
فوجودي غذاؤه	وبه نحن نحتمي

السابق، ص ١٣٢.

فالكل منا ومنهم	والأخذ عنا وعنهم
إن لم يكونوا منا	فنحن لا شك منهم

السابق، ص ١٦٠.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

والنماذج كثيرة في الحلول والاتحاد ووحدة الشهود ووحدة الوجود من آدم والمسيح ومريم.^{١٦٤} وهو الحب الذي جمع بين بلقيس وسليمان.^{١٦٥} وتأتي الذروة في شرح الحديث الشهير «حب إليّ من دنياكم ثلاث: النساء، والطيب، وجُعِلت قرة عيني في الصلاة». فالنساء رمز اتحاد الرجل والمرأة، والإنسان والله. والطيب هو الشوق بين الاثنين عن طريق الرائحة. والصلاة هي توحد الاثنين في الثالث، الجامع بينهما.^{١٦٦}

فأنت هو بل أنت هو وتراه في عين الأمور مسرحًا ومقيدا

السابق، ص ٤٩.

١٦٤

عن ماء مريم أو من نفخ جبرين
تكون الروح في ذاتٍ مطهرة
لأجل ذلك قد طالت إقامته
روح من الله لا من غيره فلذا

في صورة البشر الموجود من طين
من الطبيعة تدعوها بسجّين
فيها وزاد على ألفٍ بتعيين
أحيا الموات وأنشا الطير من طين

السابق، ص ١٧٠-١٧١.

فلولاه ولولانا
فإننا أعبدُ حقًا
وإننا عينه فاعلم
فلا تحتج بإنسان
فكن حقًا وكن خلقًا
وخذ خلقتة منه
فأعطيناه ما يبدو
فصار الأمر مقسومًا
فأحياء الذي يدري
فكنا فيه أكوانا
وليس بدائم فينا

لما كان الذي كانا
وإن الله مولانا
إذا ما قلت إنسانا
فقد أعطاك برهانا
تكن بالله رحمانا
تكن روحًا وريحانا
به فينا وأعطانا
بإياه وإيانا
بقلبي حين أحيانا
وأعيانًا وأزمانا
ولكن ذاك أحيانا

السابق، ص ١٨٠-١٨١.

١٦٥ السابق، ص ١٧٥-١٧٧، ١٩٠-٢٠١.

١٦٦ السابق، ص ٢١٧.

والإنسان هو حقيقة التوحيد بين الحق والخلق. هو خليفة الله في الأرض. يتحول إلى الإنسان الكبير وهو العالم كما هو الحال عند إخوان الصفا: الإنسان عالم صغير، والعالم إنسان كبير حتى الإنسان الكامل.^{١٦٧} وهذا هو معنى الضحية.^{١٦٨} وينوب الكبش عن الإنسان في الظاهر طبقًا لحكمة مرتبة. وهو حر في حين كان آدم مقيدًا بالعقل والقلادة والإيمان.^{١٦٩}

يعتمد ابن عربي على القرآن والحديث والشعر وبعض الإسرائيليات كمصدر لتاريخ النبوة.^{١٧٠} كما يستعمل القرآن والحديث كتداعي حر داخل الأسلوب. ويحيل إلى الصوفية السابقين دون تردد كبير مثل، سهل التستري، والشبلي، وأبو سعيد الخزاز، والبسطامي، وتقي بن مخلد. ثم يأتي الترمذي وابن مسرّة والغزالي والجنيد، وغيرهم.^{١٧١} وينتقد الغزالي.^{١٧٢} كما يحيل إلى القدماء والمتكلمين والأشاعرة من الفرق.^{١٧٣} ويحيل إلى الفتوحات التي كتبت قبل «الفصوص».^{١٧٤}

^{١٦٧} السابق، ص ١٣، ١٣٢.

^{١٦٨}

فداء نبي ذبح ذبح لقربان وأين ثواج الكبش من نوس إنسان

السابق، ص ٨١.

^{١٦٩}

فيا ليت شعري كيف ناب بذاته شخيص كبيش عن خليفة رحمن
ألم تدر أن الأمر فيه مرتب وفاء لأرباح ونقص لخسران
وأما المسمى آدم فمقيد بعقل وفكر أو قلادة إيمان

السابق، ص ٨٢-٨٣.

^{١٧٠} الآيات (١١٩)، الأشعار (٨٠)، الأحاديث (١٣)، القرآن كتداعي حر (١٢)، القدسي (٥)، الحديث كتداعي حر (١)، الإسرائيليات (٢).

^{١٧١} سهل، الشبلي، الخزاز، البسطامي، تقي بن مخلد (٢)، الترمذي، ابن مسرّة، الغزالي، الجنيد، أبو القاسم بن قس، قيس بن الحطيم، أبو عبد الله بن القائد، الشيخ عبد الرازق، أبو مدين (١).

^{١٧٢} فصوص الحكم، ص ١٥٣.

^{١٧٣} السابق، ص ٧٤.

^{١٧٤} السابق، ص ٣٣، ٢٢٤.

(ج) رسائل ابن عربي

وتمثل هذه الرسائل نفس التحول من المعرفة إلى الوجود. فيها تتداخل موضوعات المعرفة والميتافيزيقا والحروف مع موضوعات الخلق والزمان، وموضوعات الجلالة وأخيراً الطريق طبقاً للنسق الكلامي الصوفي الفلسفي، المعرفة ثم الكون والنبوة ثم الله ونهاية الطريق في التصوف العلمي، ومراسلاته مع صوفية وفلاسفة عصره.

وهي حدوس جزئية مشتقة من «الفتوحات» أو رسائل مستقلة ليست مستلة منها. تتميز بوحدة الموضوع. وبالتالي يمكن عرضها كلها مرة واحدة دون إبراز لخصوصية كل رسالة.^{١٧٥} ويمكن عرض كل رسالة على حدة للإبقاء على خصوصيتها كوحدة أدبية مما يقضي على وحدتها ويوقع في التكرار. ومع ذلك فالعرض التفصيلي أفضل حرصاً على وحدة منهج التأليف في تكوين مراحل الوعي النظري من خلال النصوص. ويمكن إيجاد حل وسط بين العرض الكلي والعرض الجزئي عن طريق العرض التجميعي لعدد من الرسائل ذات موضوع واحد مثل وحدة الشهود أو وحدة الوجود أو الحروف أو الزمان أو الخلق أو القطب والبذل ... إلخ.

تعتمد أيضاً على الأدلة النقلية، القرآن والحديث والشعر، والقرآن أكثر. ويذكر أكثر من الشعر، والشعر أكثر من الحديث مما يدل على أن تصوف ابن عربي هو نظرية في التأويل، والخروج من اللغة إلى الوجود، فاللغة منزل الوجود بتعبير أحد المعاصرين، ومن الحروف إلى العالم، ومن الكلام إلى الأشياء. كما يعتمد على أقوال الصوفية مثل الحسن البصري والجنيد والسلمي والغزالي والبسطامي والحلاج والمحاسبي، والجيلي، وذو النون وابن عطاء وآخرين من مشايخه.

ومن الفرق يذكر المعتزلة والأشاعرة مما يدل على أن التصوف هو تطوير لعلم الكلام وتحويل «التيولوجيا» إلى «أنطولوجيا»، والعودة بها إلى علم النفس. وتبدأ كلها بالبسملة.^{١٧٦} والبعض منها تضيف «وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم»

^{١٧٥} مجموعها حوالي مائة رسالة. وهو أعظم مفكر إسلامي إبداعي. فابن سينا تجميعي مفتعل، وابن

رشد حرفي مهني، والغزالي سلطاني.

^{١٧٦} بسم الله الرحمن الرحيم (١٤).

أو «به الحول والقوة»، أو «والحمد لله وحده»، أو «اللهم بارك وتممه»، أو «الله مفتاح الأبواب»، أو «رب أنعمت فزد».^{١٧٧}

(١) من المعرفة إلى العرفان

(أ) «كتاب المعرفة»: ^{١٧٨} ويضم مائتين وستًا وتسعين مسألة متفرقة اثنان وعشرون منها بعناوين والباقي بلا عناوين. بعض العناوين آيات قرآنية مثل ﴿وَأَفَوَّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾، وبعضها أحاديث نبوية. والبعض الثالث أقوال مقتبسة من الغزالي أو بيت شعر، وتضم عدة مسائل موضوعًا واحدًا منها النور والظلمة، والتوحيد والمعرفة. ويضم البعض الآخر بعض المقامات مثل الصبر وبعض الأحوال.

وتشمل كل موضوعات الكلام والأحوال والفلسفة والتصوف، أشبه بدائرة معارف للعلوم الإسلامية، وكثير منها ينتهي بالتعبير الأميز عند الصوفية والأشاعرة: «الله أعلم». البنية في مجموعها سيئة مجرد رصد مسائل مرقمة، يمكن إعادة تصنيفها في مجموعات أقل، في أبواب وفصول، لكل منها رأس موضوع. يتخلل بعضها فائدة.^{١٧٩} يعتمد على القرآن والحديث والشعر،^{١٨٠} كما يعتمد على أقوال صوفي واحد هو الغزالي وذو النون ثم البسطامي وأبو مدين والجنيد ثم التستري وغيرهم.^{١٨١} ومن الصحابة الإمام علي وعكرمة وابن عباس. ومن الأنبياء موسى ورفيقه الخضر ثم محمد (رسول الله) وآدم.^{١٨٢} ومن الفرق، الأشعرية ثم المعتزلة ثم المتكلمون وأهل التحقيق من الصوفيين.^{١٨٣} ومن

^{١٧٧} «وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم» (٧)، وبه الحول والقوة (٤)، والحمد لله وحده

(١)، اللهم بارك وتممه (١)، الله مفتاح الأبواب (١)، رب أنعمت فزد (١).

^{١٧٨} رسائل ابن عربي، ج ٤، (٣)، ص ١٧٣-٣١١.

^{١٧٩} السابق، ص ٢٧٤-٢٧٦، ٢٩٠، ٢٩٧-٢٩٨، ٣٠٥، ٣٠٩.

^{١٨٠} الآيات (١٥٤)، الأحاديث (٢١)، القدسية (٤)، الأشعار (١٧).

^{١٨١} الغزالي (٦)، ذو النون (٥)، البسطامي، أبو مدين، الجنيد (٢)، التستري، عطاء، الضحاك (١) ومن الصحابة الإمام علي، ابن عباس (١).

^{١٨٢} الأنبياء موسى (٦)، الخضر (٣)، محمد (٢)، رسول الله (٣)، آدم (١).

^{١٨٣} الأشعرية (٣)، الأشاعرة (١)، المعتزلة (٣)، المتكلمون، أهل التحقيق من الصوفية (١).

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

الخلفاء المأمون. ومن اللامعين الإمام. وتقوم بعض المسائل على القسمة العقلية والتحليل النظري.^{١٨٤}

(ب) «نفائس العرفان»:^{١٨٥} وهو في نظرية المعرفة النظرية عن طريق التأمل في النفس والآفاق، والعملية عن طريق الشيخ والمريد كما هو الحال في «كتاب الكنه فيما لا بد للمريد منه». وهو رد على الحائر والجاهل وللسالك الذي لم يجد شيخه، وموجه إلى المريد الصادق وهو المتعلم. يعتمد على القرآن وحده دون الحديث أو الشعر أو أقوال الصوفية.^{١٨٦}

(٢) من علوم النظر إلى علوم الذوق

(أ) «كتاب الانتصار»:^{١٨٧} وهو انتصار علوم الذوق على علوم النقل بناء على سؤال وحوار بين ابن عربي وأحد المشايخ.^{١٨٨} تبدأ بعرض موانع الذوق الخمسة وإثباتها سلباً ثم ترد على الاعتراضات، وتذكر بأشياء، ثم تفرض مسألتين، الثانية منها قول الحسين. وتنتهي بعشرين سؤالاً مستنبعاً من شرح بيت شعري عن السقي والشراب والضيف ومقامتها. والأهم هو طرح سؤال العملية بين الأشعرية في التصوف. فكل أشعري ليس بصوفي وكل صوفي هو أشعري بالضرورة. الخلاف فقط بين المعرفة النقلية والعقلية والمعرفة الذوقية الكشفية.^{١٨٩} ويعتمد على الشعر والحديث والقرآن.^{١٩٠} ومن الصوفية

^{١٨٤} كتاب المعرفة، ص ٢٥٥، ٢٣٠، ٢٣٣، ٢٥٠، ٢٥٢.

^{١٨٥} مكتبة صبيح، القاهرة، ١٩٦٧م.

^{١٨٦} الآيات (١٥).

^{١٨٧} رسائل (١)، ج ٢ (٢٠)، ص ١٩-١٨.

^{١٨٨} السؤال من عبد اللطيف بن أحمد، ابن محمد هبة الله، البغدادي (ابن ملكا) صاحب «المعتبر».

^{١٨٩} «اعتراض: فإن قلت وفقك الله أن المقام الذي أشرت إليه في المسألة من التوحيد هذا هو اعتقاد أهل السنة. وفيه أفنت الأشعرية أعمارها حتى علمته. فأني غريبة أتى هذا الصوفي أو بأي صفة زائدة ورد علينا. انفصال: قلنا صدقت وفقك الله فيما قلت، لكن بين الصوفي والأشعري في هذه المسألة ما بين علمت وعانيت. وهذا هو المعنى اللطيف الذي يفضل به الشاهد الغائب، وإن علمنا قطعاً أن الخليفة في الوجود لسنّا كمن شاهده وشاهد حضرته فلقد في مشاهدة صفة واحدة من صفات جلال الله عند فنائك في نفسك. نعني كل أشعري على البسيطة ليس بصوفي»، السابق، ص ١٧.

^{١٩٠} الأشعار (٥)، الأحاديث (٤)، الآيات (٢).

يذكر البسطامي ثم الحلاج ثم الغزالي وأبو مدين.^{١٩١} ومن الفرق يذكر الأشعري والأشعرية والصوفي ثم أهل السنة.^{١٩٢} والمنام أيضًا مصدر للعلم. والأسلوب أسلوب إخوان الصفا في مخاطبة القارئ والدعوة له.

(ب) «مراتب علوم الوهب»: ^{١٩٣} وهي العلوم الدنيوية غير المكتسبة. فالعلوم قسمان منتجة وغير منتجة. الأول مثل العلوم بالذات المقدسة والثاني مثل علوم الأدلة التي تنتج مدلولاتها إلى ما لا نهاية حتى الوصول إلى العلم الإلهي الكوني الذي لا تستقل العلوم بإدراكها. ولا يعرف إلا بالتقرب إلى الله والسلوك في طريقه. وتشمل العلوم المنتجة الأمثلة القرآنية والتشبيهات الفرقانية بلسان النور ولغة الماء الصافي أو الممزوج باللبن والعسل والخمر. ولها تأويلان إلهي وروحاني. ويعتمد على القرآن والحديث دون ذكر للأشعار أو الأقوال الصوفية.^{١٩٤} ومن الأنبياء يذكر إبراهيم، ومن الصحابة أبو بكر وعمر.

(ج) «كتاب اليقين»: ^{١٩٥} وهو موضوع صوفي قرآني بالأصالة؛ إذ يفرق الصوفية بين علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين، مراتب ثلاث للمعلوم، بالعلم والمشاهدة والتصديق. وهو في مقابل الظن. وهو أساس المعجزة.^{١٩٦} ويذكر سبب تأليف الكتاب وتسميته في فصلين آخرين، وهو زيارة ابن عربي للخليل ثم لوط مع صاحبه له.^{١٩٧} ويمر بمسجد اليقين، مسجد إبراهيم. لذلك سمي الكتاب كتاب اليقين الذي كتبه بمسجد اليقين. ويخلو الكتاب من أي تقسيم إلى أبواب وفصول باستثناء الفصلين الأخيرين. وقد أضاف إليها المحقق ملاحق ونصوص خاصة بمقام اليقين في «الفتوحات» مما يخرج

^{١٩١} أبو يزيد (٥)، الحلاج (٢)، الغزالي، أبو مدين (١).

^{١٩٢} الأشعري (٢)، الأشعرية (١)، الصوفي (٢)، أهل السنة (١).

^{١٩٣} رسائل ابن عربي، ج ١ (٢)، ص ١٢١-١٢٧. وله طبعة أخرى في دار الكتب العلمية.

^{١٩٤} الآيات (٣)، الحديث القدسي (١).

^{١٩٥} رسائل ابن عربي، ج ٤، ص ٤٥-٧٦.

^{١٩٦} السابق، ص ٦٤-٦٦.

^{١٩٧} هما صابن الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الملك بن مطوف المري، وعفيف الدين أبو مروان عبد الملك بن محمد بن حفاظ القيسي، السابق، ص ٦٤، وكان ذلك عام ٦٠٢هـ.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

عن احترام نص الكتاب.^{١٩٨} ويعتمد على القرآن والحديث والشعر.^{١٩٩} ومن الأنبياء يذكر لوط ثم إبراهيم الخليل ثم إسحاق. ومن المتقمصين دحية. ومن الملائكة جبريل.^{٢٠٠} ومن الفرق يظهر الأشعري ثم المعتزلي.^{٢٠١}

(د) «كتاب الشاهد»:^{٢٠٢} وهو في نظرية المعرفة. هي شواهد الحق في القلب من العلوم الإلهية.^{٢٠٣} وتظهر بعض مفاهيم الشيعة مثل الأكوار والأدوار. تكثر فيه العناوين الفرعية في أبواب بعضها يبدأ بلفظ شاهد والآخر دونه.^{٢٠٤} وأحدها شاهد بلا إضافة. والبعض الآخر مجرد أبواب.^{٢٠٥} ويخلو من الشواهد النقلية. ويظهر القرآن وحده.^{٢٠٦}

(هـ) «الفناء في المشاهدة»:^{٢٠٧} وهو دال بعنوانه. فالفناء معرفي، أقرب إلى وحدة الشهود منه إلى وحدة الوجود. هو تجربة ذوقية. وحضرة الإنسان أتم الحضرات وجودًا.^{٢٠٨} ويعتمد على القرآن والحديث دون الشعر.^{٢٠٩} ويذكر من الصوفية الحسن البصري ومالك بن دينار والسنجي.^{٢١٠} ويحال مرة أخرى إلى «الفتوحات المكية».

^{١٩٨} السابق، ص ٦٧-٧٦.

^{١٩٩} الآيات (٣٣)، الأحاديث (٢)، القدسية (١)، الأشعار (٢).

^{٢٠٠} لوط (٤)، إبراهيم (٣)، الخليل (٢)، إسحاق (١)، دحية (٤)، جبريل (١).

^{٢٠١} الأشعري (٣)، المعتزلي (٢).

^{٢٠٢} «هذا كتاب يتضمن ما يأتي به شواهد الحق في القلب من العلوم الإلهية والوصايا الربانية بلسان الحكمة وفصل الخطاب. وهذه الشواهد هي التي تبقى في قلب العبد بعد الانفصال من مقام المشاهدة. وبه تقع اللذة للعارفين فيتردد الخطاب فيهم من وجودهم لوجودهم»، رسائل ج ١، ص ١.

^{٢٠٣} السابق، ج ١، ص ٢٠-٢١.

^{٢٠٤} عشرة أبواب تبدأ بلفظ شاهد يتلوها: الاشتراك في التقدير، السجدين، الأنوار والظلمات، التوبيخ، الغيرة، الوزراء، الأمر الخفي والجلي، الرباني، العلم.

^{٢٠٥} وهي خمسة عشر بابًا هي: الحب، الصدق، العناية، القضاء، القدر، المنكر، المنة، العبادة، الشك والتسخير، السلب، الغيب، الوفاء، الباطن، العزة، الوكالة.

^{٢٠٦} الآيات (٣).

^{٢٠٧} رسائل ابن عربي، ج ١، ص ٢-٩.

^{٢٠٨} السابق، ص ٨.

^{٢٠٩} الآيات (١٣)، الأحاديث (١).

^{٢١٠} الحسن البصري، مالك بن دينار، السنجي (١).

(و) «الإعلام بإشارات أهل الإلهام»: ^{٢١١} وهو كتاب في المعرفة الإشارية والإشارات مثل الشطحات دون صدماتها اللغوية. ويتضمن عناوين فرعية مثل: الرؤية، السماع، الكلام، التوحيد، المعرفة، الحب، الإشارات في أنواع شيء. ويعتمد على القرآن والشعر دون الحديث. ^{٢١٢} ويحال إلى الأنبياء مثل نوح، وإلى الصحابة مثل الصديق ^{٢١٣} وتذكر بعض المتون دون أصحابها. ^{٢١٤}

(و) «شق الجيب بعلم الغيب»: ^{٢١٥} وهو من أكبر الكتب. ويتضمن العنوان صورة فنية عن كشف الستر لمعرفة الغيب. وهو إجابة على سؤال خاص ولطلاب المعرفة بوجه عام. ^{٢١٦} كتبه بين العشائين. وله عنوان فرعي «بكن ويكون ودر الدرر». وهو موجه إلى القارئ بفعل أمر «اعلم». وهو في التوحيد بوجه عام والصفات بوجه خاص. والقدم سابق على باقي الصفات السبع. ^{٢١٧}

وينقسم إلى فصول وتنبيهات ووصايا. ^{٢١٨} وقد يكون للوصول عنوان. والإشارات والنهيات شكل أدبي معروف منذ ابن سينا. يجمع بين الشواهد النقلية والتنظير العقلي الخالص. والقرآن أكثر من الشعر. والشعر أكثر من الحديث. ^{٢١٩} ويعتمد التنظير العقلي على القسمة. ^{٢٢٠} وتكثر المصطلحات الفلسفية بحيث يتحول النص إلى معجم للمصطلحات. ^{٢٢١}

^{٢١١} رسائل (١) ج ٢، (٧)، ٢-١٠.

^{٢١٢} الآيات (٩)، الأشعار (١).

^{٢١٣} نوح، الصديق (١).

^{٢١٤} «ما قدرت منها إلا ما سمعته من قائله إلا ما ذكرت اسمه والحمد لله. وجملتها مائتان وبضع وستون كلمة»، رسائل، ج ٢، ١٠.

^{٢١٥} رسائل ابن عربي، ج ١، (١٢)، ص ٢٨٥-٣٧٤. وله طبعة أخرى في دار الكتب العلمية.

^{٢١٦} هو الولد العزيز الأعز محسن الدين واتفق معه زين العابدين.

^{٢١٧} وهي: الذاتية، المصدرية، العلمية، المكانية، الزمانية، الرتبية، الطبيعية، شق الجيب، ص ٢٨٦.

^{٢١٨} فصل (١٣)، فصل من إشاراتهم (١)، تنبيه (٣)، وصية (١)، لطيفة (١).

^{٢١٩} الآيات (٤٢)، الأشعار (١٦)، القدسية (١٥)، الأحاديث (٣).

^{٢٢٠} مثل القائم بالنفس، والقائم بالغير، المفرد والمركب، الإيجادي والأمري.

^{٢٢١} مثل: الزمان، الأفقي، الزمان، الأنفسي.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

وبه حوار متخيل بين السالك والشيخ وأحياناً متخيله مع الغراب والملك والحكيم.^{٢٢٢}
ومن الأنبياء يذكر محمد وصفة الموسوية.^{٢٢٣}

والوصية دعوة إلى السر مثل ما فعل الغزالي في «الجامع والعوالم عن علم الكلام»
و«المضنون به على غير أهله» وكما عبر عن ذلك ابن عربي في «الوصية» في آخر الكتاب.^{٢٢٤}
(ز) «كشف الستر لأهل السر»:^{٢٢٥} وهو موضوع بين المعرفة والوجود كشف الستر
للمعرفة وأهل السر هم العارفون بوحدة الوجود، من معرفة النفس إلى معرفة الرب كما
هو الحال في الرسالة الوجودية لشرح القول المأثور «من عرف نفسه فقد عرف ربه»،
وهو سبب التأليف.^{٢٢٦} فالسر وحدة الوجود.^{٢٢٧} يعتمد على الشعر والقرآن والحديث دون

^{٢٢٢} مثل وصية تنبيه لمن له لب بنيته، السابق، ص ٣٠.

^{٢٢٣} محمد، الموسوية (١).

^{٢٢٤} لا راحة مع الخلق فارجع إلى الحق فهو أولى لك؛ فإن عاشرتهم على ما هم عليه بعدت عن الحق،
وإن عاشرتهم على ما أنت عليه قتلوك فالستر أولى لك. السابق، ص ٣٤٥.

^{٢٢٥} رسائل، ج ٦، (١)، ص ٣١-٤٣.

^{٢٢٦} «من عرف نفسه فقد عرف ربه. ومن عرف ربه فقد أحبه. ومن أحب الحق فقد جذبته. ومن جذبته
فقد قربته. ومن وربه أفناه عن وجوده، وأبقاه بشهوده، ومنحه كمال مشهوده، وأطلعه على حقائق
وجوده»، السابق، ص ٣١.

^{٢٢٧}

هذا الوجود وإن تكثر ظاهراً
وحياتكم ما فيه إلا أنتم
أنتم حقيقة كل موجود بدا
وجود هذي الكائنات توهم

السابق، ص ٣٢.

إنما الكون خيال
والذي يفهم هذا
وهو حق في الحقيقة
حاز أسرار الطريقة

السابق، ص ٣٢.

كل الجمال غدا لوجهك مجملاً
لكنه في العالمين مفصل

السابق، ص ٣٥.

ثانيًا: من المعرفة إلى الوجود

ذكر للصوفية.^{٢٢٨} ومن الأنبياء يذكر آدم، ومن الكتب المقدسة التوراة، ومن الصحابة علي.^{٢٢٩}

(٣) من الذات الإنسانية إلى الذات الإلهية

(أ) «الرسالة الوجودية»: ^{٢٣٠} وهي رسالة في معنى قول الرسول «من عرف نفسه فقد عرف ربه». وهو ليس حديثًا للرسول بل هو قول مأثور عن يحيى بن معاذ. وهو تحويل البعد الذاتي لسقراط «أعرف نفسك بنفسك»، إلى بعد رأسي صوفي. فالرب في

وما زلت أهواه بكل مودة	فما انك يرضاني بكل محبة
وصالي بلا إمكان بعد وقربة	فممتنع عنه انفصالي وواجب

السابق، ص ٣٩.

فأنت عبد وأنت رب	لمن له فيه أنت عبد
وأنت رب وأنت عبد	لمن له في الخطاب عهد

السابق، ص ٣٩.

فلم يبق إلا الحق لم يبق كائن	فما ثم موصول وما ثم بائن
بذا جاء برهان الحديث فما أرى	بعيني إلا عينه إذ أعاين

السابق، ص ٤٠.

فلا تنظر إلى الحق	وتعريه عن الخلق
ولا تنظر إلى الخلق	وتكسوه سوى الحق

السابق، ص ٤١.

^{٢٢٨} الأشعار (١٤)، الآيات (٦)، الأحاديث (٣)، القدسية (٣).

^{٢٢٩} آدم، التوراة، علي (١).

^{٢٣٠} الرسالة الوجودية، مكتبة القاهرة، (د.ت)، ولها طبعة أخرى في رسائل ابن عربي، ج ٢، (٣) بعنوان

كتاب اللهو، ص ٥٩-٧٠.

داخل الذات^{٢٣١} وهي رسالة في التصوف النظري، في التوحيد ضد ثنائية المتكلمين. فالله والعالم شيء واحد، والحق والخلق وجود واحد، دون وقوع في الحلول.^{٢٣٢} وطريق ذلك هو العشق. ولا تعرف وحدة الوجود لا بالعلم ولا بالعقل ولا بالفهم ولا بالوهم ولا بالعين ولا بالحسن الظاهر ولا بالعين الباطن ولا بالإدراك. والله ليس محبوباً لأنه يتجلى في كل شيء.^{٢٣٣} يُعرف الرب بالرب.^{٢٣٤}

والله بقاء لا فناء، وجود لا عدم، ولا يتطلب فناء الوجود ولا عدمه^{٢٣٥} ويجوز ذلك بدل أن يقول أنا الحق، اعبدوني سبحانه، ما أعظم شأنني. ولا يجوز سب الدهر لأن

^{٢٣١} وهو الدليل الأنطولوجي عند أتسيلم وديكارت، انظر كتابنا نماذج من الفلسفة المسيحية.
^{٢٣٢} «فافهم هذا لئلا تقع في غلط الحلولية. لا هو في شيء ولا شيء فيه، لا داخلًا ولا خارجًا»، الرسالة الوجودية، ص ٢.

^{٢٣٣} «والحجاب غير الله فيلزم غلبة غيره عليه بالدفع عن رؤيته له. وهذا غلط وسهو»، السابق، ص ٣.
^{٢٣٤}

عرفت الرب بالرب	بلا نقص ولا عيب
فذااتي ذاته حق	بلا شك ولا ريب
ولا حيران بينهما	فننفسى مظهر الغيب
وقد عرّفته نفسى	بلا مزج ولا شرب
وصلت وصول محبوبى	بلا تعب ولا قرب
ونلت عطاء ذي فيض	بلا منّ ولا سلب
ولا فنيت له نفسى	ولا يبقّى له ذوبى

السابق، ص ١٣.

^{٢٣٥} «وأكثر العراق أضافوا معرفة الله تعالى إلى فناء الوجود وفناء البقاء، وذلك غلط وسهو واضح، فإن معرفة الله تعالى لا تحتاج إلى فناء الوجود وفناء فناء»، الرسالة الوجودية، ص ٣. ومتى ينكشف هذا السر علمت أنك لست ما سوى الله، السابق، ص ٤. «قالوا إن الطرق لا تتيسر إلا بالفناء وبقاء الفناء؛ وذلك لعدم فهمهم قول النبي، ولظنهم أنهم بمجرد الشرك أشاروا طورًا إلى نفي الوجود أي فناء الوجود، وطورًا إلى الفناء، وطورًا إلى فناء الفناء، وطورًا إلى المحور، وطورًا إلى الاصطلام. وهذه الإشارات لها شرك محصن»، السابق، ص ١٠.

الله هو الدهر.^{٢٣٦} الصوفي غير مخلوق مثل الله. هو الرائي والمرئي، والواجد والموجود، والعارف والمعروف، والمدرَك والمدرَك. وتعمد على القرآن والحديث والشعر.^{٢٣٨}

(ب) «الوقت والأَن»: ^{٢٣٩} وهي رسالة في اللحظة التي يعيشها الصوفي. فالصوفي ابن وقته. والوقت هو الحق لأن الحق يتجلّى فيه. ^{٢٤٠} ليس فقط الفعل في الزمان كما هو الحال عند الأصوليين، بل الوجود الإنساني كله في الزمان. ^{٢٤١} الإنسان وجود زمني. ويعتمد على القرآن والحديث دون الشعر وأقوال الصوفية. ^{٢٤٢} ويذكر الصوفية وحدهم كفرقة. كما يذكر المتقدمون من علماء الحق. ^{٢٤٣}

(ج) «أسرار الذات الإلهية»: ^{٢٤٤} وهي في موضوع التوحيد، وحدة واحدة بلا أبواب أو فصول أو أقسام أو عناوين فرعية. موضوعها الذات الإلهية وتعيناتها العالمية والواحدة والقادرية والأزلية والربوبية. وهو ما يسمى في علم الكلام الأشعري أوصاف الذات. ^{٢٤٥} وتعتمد على القرآن والحديث دون الشعر وأقوال الصوفية. ^{٢٤٦}

٢٣٦

ظننت ظنونًا بأنك أنت	وما أن تكون ولا قط أنت
فإن أنت أنت فإنك رب	وثاني اثنين دع ما ظننت
فلا فرق بين وجوديكما	فما بان عنك ولا عنه بنت
فإن قلت جهلاً بأنك غير	حسننت وإن زال جهلك كنت
فوصلك هجر وهجر وصل	وبعدك قرب بهذا حسننت
دع العقل وافهم بنور انكشاف	لئلا تفوق ما عنه صنت
ولا تشرك مع الله شيئاً	لئلا تهون فالشرك هنت

^{٢٣٧} هذا أشبه بوحدة الذات والموضوع في الظاهريات، السابق، ص ١٠.

^{٢٣٨} الأحاديث (١١)، القدسية (١)، الآيات (٨)، الأشعار (٢).

^{٢٣٩} رسائل، ج ٦، (٢)، ص ٤٩-٥٢.

^{٢٤٠} وهو ما عرف في الظاهريات بالشعور الداخلي بالزمان.

^{٢٤١} من النص إلى الواقع، ج ٢، الباب الثاني، الوعي النظري.

^{٢٤٢} الآيات (٣)، الأحاديث (٣).

^{٢٤٣} الصوفية (٢)، المتقدمون من علماء الحق (١).

^{٢٤٤} رسائل ابن عربي، ج ١، (٧)، ص ١٩٧-٢٠٤، ولها طبعة أخرى في دار الكتب العلمية.

^{٢٤٥} من العقيدة إلى الثورة، ج ٢، التوحيد.

^{٢٤٦} الآيات (١٣)، الأحاديث (٣).

(د) «الجلال والجمال»: ^{٢٤٧} وهما مفهومان صوفيّان، لا مقامان ولا حالان. جعلهما نجم الدين كبرى (٦١٨هـ) من قبل عنواناً لعمل له. ^{٢٤٨} وهما مقرونان بحالتي الهيبة والأنس. الأنس مربوط بالجمال، والهيبة بالجلال. وفي القرآن إشارات لكليهما. ومع بعض الإشارات تنبيهات. وهما مصطلحا ابن سينا. الجمال للإنسان، والجلال لله. إشارات الجلال لله في التنزيه واستحالة الرؤية ومطلق المعرفة والوحدانية والمغفرة والتقوى. وإشارات الجمال أيضاً نفى المماثلة وإحصاء كل شيء والجهد. ويتضح تداخل الجمال والجلال في جمال الجلال وجلال الجمال؛ إذ لا يوجد حد فاصل بينهما. ويعتمد على القرآن والحديث دون الشعر. ^{٢٤٩} والبسمة مشفوعة بعبارة «به الحول والقوة» ومن الأعلام يذكر الإسفراييني.

(٤) تجليات الذات الإلهية في الكون

(أ) «رسالة الأنوار»: ^{٢٥٠} والنور موضوع بين المعرفة والوجود ونموذجه النبوة والولاية. ويشتركان في ثلاثة أشياء. الأول في العلم دون تعلم كسبي. والثاني في الفعل بالهمة وما لا قدرة للجسم عليه. والثالث رؤية عالم الخيال في الحس. ويختلفان في الخطاب وفي المعارج بين النور الأصلي في النبوة والنور الفرعي في الولاية. والأسلوب والدعوات مثل رسائل إخوان الصفا «الحمد لله واهب العقل». وهو إجابة على سؤال. ويذكر بعض المقامات مثل الزهد والتوكل. والأسلوب قصصي، قصة السالك في طريق الروح، تغلب عليه المحسنات البديعية. ويستشهد بالقرآن وحده سواء القرآن النصي أو القرآن الحر داخل الأسلوب. ^{٢٥١} وهو في نفس الوقت على درجة عالية من التنظير. ويخلو من الشعر، لكنه لا يخلو من النثر الفني. ويذكر من الأنبياء محمد ثم موسى ثم عيسى ثم إبراهيم ثم آدم وسام وإسحاق وإسماعيل وإدريس ويوسف وهارون. ^{٢٥٢} وتحول أسماء

^{٢٤٧} رسائل ابن عربي، (١)، ج ١، (٢)، ص ٢-١٧.

^{٢٤٨} وهما لفظان عرفهما كانط في العصور الحديثة في الغرب في كتابه «ملاحظات حول الجميل والجليل».

^{٢٤٩} الآيات (٧٣)، الأحاديث (٤).

^{٢٥٠} رسائل (١)، ج ١، (١٢)، ص ١-١٩.

^{٢٥١} الآيات (٤)، الآيات الحرة (١).

^{٢٥٢} محمد (٦)، موسى (٤)، عيسى (٣)، إبراهيم (٢)، آدم، سام، إسحاق، إسماعيل، إدريس، يوسف، هارون (١).

الأنبياء إلى صفات مثل محمدي وموسوي.^{٢٥٣} والأنبياء صوفية سادة وأصحاب أحوال يدعون إلى الأخلاق الرحمانية والأخلاق القهرية والأخلاق الإلهية. ومن المجموعات يذكر الملامتية والشيوخ.^{٢٥٤}

(ب) «مشاهد الأسرار القدسية ومطالع الأنوار الإلهية»: ^{٢٥٥} وهو الوجود الذي يتحول إلى معرفة بعد أن تحولت المعرفة إلى وجود. فالمشاهدة معرفة ووجود، ذات وموضوع. والنور كذلك إحالة متبادلة بين العين والشيء المنير، وليس مجرد انعكاس بين رائي ومرئي. وبالرغم من اعتمادها على القرآن والحديث إلا أنها قائمة على التجربة العيانية المباشرة.^{٢٥٦} بل إن المكاشفات العلمية والمشاهدات القلبية توحى بأن الكشف تم أولاً ثم التنظير جاء ثانيًا، كما هو الحال في «حكمة الإشراق» للسهروردي.^{٢٥٧} ومن لم يدرك الكشف بعقله يكون أمانة بين يديه حتى يأتيه نور العقل وصفاء الضمير، وتلحق الإمام بالحرائر أي عندما يتحرر الإنسان.^{٢٥٨} والخاتمة مملوءة بالشواهد النقلية على عكس الرسالة التي تعتمد في معظم مشاهدتها على الدليل العقلي المؤيد نادرًا بالدليل النقلية. وتتكون من أربعة عشر مشهدًا. كل منها مشهد نور وطلوع نجم.^{٢٥٩} الوجود مع بحر العيان، والأخذ مع نجم الإقرار، والنور مع التأييد، والشعور مع التنزيه، والصمت مع السلب، والمطلع مع الكشف، والساق مع الدعاء، والصخر مع البحر، والأنهار مع الرتب، والحيرة مع العدم، والألوهية مع «لا»، بالوحدانية مع العبودية، والصمد مع الفردانية، والحجاج مع العدل.^{٢٦٠} وتبرز الخطة في البداية. وتستعمل لغة الحوار «قال لي ... قلت» مع الوجود ومع الله مع مقدرة لغوية بلا حدود وكشف ورؤية لا يتنافيان، ويذكر من

^{٢٥٣} محمدي (٢)، موسوي (١).

^{٢٥٤} الملامتية، الشيوخ (١).

^{٢٥٥} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥ م.

^{٢٥٦} الأحاديث القدسية (١)، الآيات (٣)، الحديث (٨).

^{٢٥٧} «استخرجناها لكم من الخزائن المحفوظة في غيابات الأزل، المصونة عن طوارق الأغراض والعلل»، السابق، ص ٤٠-٤١.

^{٢٥٨} السابق، ص ٤٠.

^{٢٥٩} مثل: «مشهد نور الوجود بظلم نجم بحر العيان ... إلخ»، السابق، ص ٣٩.

^{٢٦٠} «كل شيء لا تفهمه، ولم يبلغه علمك، ولا تصرف فيه عقلك؛ فهو أمانة بيدك. والله يكون بنور البصائر، ويصلح السرائر، ويصفي الضمائر، ويلحق الإمام بالحرائر»، السابق، ص ٤١.

الصوفية أبو سليمان الداراني. ومن الصحابة علي وابن عباس، ومن الفرق الدهرية والمعتزلة. ومن الكتب المقدسة التوراة. ومن الأنبياء موسى.

(ج) «كتاب أيام الشأن»:^{٢٦١} وهو كتاب الخلق، خلق العالم في عدة أيام كما هو الحال في اليهودية. وهو وجود الماء في الزمان في أيام بل وفي ساعات هي قضية الوجود في الزمان. ويعتمد على عناوين فرعية مثل: حقيقة، بيان، إفصاح، تميم، تكملة، لاحقة. ومن الأدلة النقلية يعتمد على القرآن والشعر دون الحديث أو أقوال الصوفية السابقين.^{٢٦٢}

(د) «كتاب الأزل»:^{٢٦٣} وهو موضوع فلسفي نظري خالص في الأزل، كل الزمان، بين الكلام والفلسفة. ويقسم إلى عناوين فرعية مثل «فصل»، «تنبيه». ويعتمد على القرآن والشعر والحديث القدسي.^{٢٦٤} كما يعتمد على بعض البراهين النظرية اعتماداً على السبر والتقسيم في علم الأصول. ومن الفرق يُحال إلى المحققين والقدماء. كما يُحال إلى كتاب «الجدول والدوائر».

(هـ) «شجرة الكون»:^{٢٦٥} وهو عنوان أصيل يجمع بين النبات والكون، بين الجزء والكل. يوحى بالنشأة والتطور. يتخلق الكون من جذور وسيقان وفروع وأوراق وثمار مثل الشجرة. لا فرق بين النبات والحيوان والجماد، بين الإنسان والنبى والولي، بين الحس والعقل والقلب.^{٢٦٦} وفيها أيضاً تطور النبوة كما هو الحال في «فصوص الحكم»، ومن آدم حتى محمد ونقيضهم لدي إبليس. فالنص سلاح أُعطي للإنسان لحمايته من غواية إبليس. وفيه أيضاً يظهر العرش والملائكة والموضوعات السمعية. والحقيقة المحمدية تتجلى تدريجياً مع خلق الكون حتى تكتمل في التصوف النظري. والإسراء والمعراج في نهاية التطور. وبالرغم من التأويلات الرمزية فإن الفلاسفة والمتكلمين خاصة المعتزلة لا يسلمون من النقد. فهي مشاهدة ما يفكر فيه الفلاسفة. وفي خطاب الله لمحمد في الإسراء

^{٢٦١} رسائل (١) ج ١، (٥)، ١٨-٢.

^{٢٦٢} الآيات (٢٥)، الأشعار (١).

^{٢٦٣} رسائل، ج ١، (١١)، ص ١٦-١٧.

^{٢٦٤} الآيات (٤)، الأشعار (٢)، القدسية (١).

^{٢٦٥} مكتبة صبيح، القاهرة، ١٩٦٧م.

^{٢٦٦} وهو ما فعله أيضاً دارون ولامارك وسبنسر في التطور المادي، وبرجسون وتياردي شاروان في التطور الروحي في الفلسفة الغربية المعاصرة.

والمعراج يعاتب اليهود لأنهم جعلوا عزيزًا ابنه، والنصارى لأنهم زعموا أن المسيح ابنه، والوثنيين لشركهم وتجسيمهم، والمشبهة لتحديدتهم، والمعتلة لعدميتهم، والمعتزلة لإنكار رؤيته.^{٢٦٧} ويعتمد على القرآن والحديث دون الشعر وأقوال الفلاسفة.^{٢٦٨}

(و) «مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار والعلوم»:^{٢٦٩} ويتضح من العنوان التحول من المعرفة إلى الوجود.^{٢٧٠} ويقوم على قسمة ثلاثية محكمة، ثلاث مراتب: العناية للتوفيق، والهداية للتحقيق، والولاية للتصديق. والمرتبة الثالثة أكبرها.^{٢٧١} وقد دون في أحد عشر يومًا دفعة واحدة^{٢٧٢} وكتب إجابة على سؤال الابن الطاهر عن طريق ﴿مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ ومنح أسرار الكيان بالفضل العظيم.^{٢٧٣} تبدأ بمجمل الخطأ.^{٢٧٤} وهو موجه إلى القارئ. وتتخلله بعض الحكايات الرمزية.

وبالرغم من العلم الباطن إلا أن الفقه يظهر في الإحالة إلى استحالة الصلاة في الدار المغصوبة.^{٢٧٥} ومراتب الأفلاك تقابل المقامات والأحوال، لا فرق بين مراتب النفس ومراتب الكون في إحالة متبادلة ومتواصلة بين الذات والموضوع. والسؤال هو: ما مصدر هذا كله، العلم أم التجربة، الرواية أم الكشف. وكل مرتبة لها موقع ومطلعان وثلاثة أفلاك. مطلع العناية توفيقى. ومطلعهما وفاقى وإلهى. وأفلاكها إسلامى وإيمانى وإحسانى. وموقع الهداية علمى. ومطلعها عيانى وإلهى. وأفلاكها أيضًا إسلامى وإيمانى وإحسانى.

^{٢٦٧} «يا محمد، إني خلقت خلقي ودعوتهم إليّ فاختلفوا عليّ. فقوم جعلوا العزيز ابني، وأن يدي مغلولة وهم اليهود. وقوم زعموا أن المسيح ابني، وأن لي زوجة وولدًا وهم النصارى. وقوم جعلوا لي شركاء وهم المشبهة. وقوم جعلوني معدومًا وهم المعتلة. وقوم زعموا أنني لا أرى في الآخرة وهم المعتزلة»، شجرة الكون، ص ٣٢.

^{٢٦٨} الآيات (٤٦)، الأحاديث (٤)، القدسية (٢).

^{٢٦٩} مكتبة صبيح، القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م.

^{٢٧٠} السابق، ص ٢.

^{٢٧١} الأولى (١٤)، الثانية (٢٤)، الثالثة (١٤١).

^{٢٧٢} الابن الطاهر التقي الزاهد الفاضل أبو محمد عبد الله، وابن عبد الله الحبشي الحراني التميمي، السابق، ص ٤-٥ بالمرسية عام ٥٩٥هـ.

^{٢٧٣} السابق، ص ٧-٩.

^{٢٧٤} السابق، ص ١٢.

^{٢٧٥} باب ما يحتاج إليه من العلوم المرتبطة بالسعادة الأدبية في دار الإسلام، السابق، ص ٣٣.

وموقع الولاية علمي. ومطلعها خلقي وإلهي. فالمطلع الثالث واحد وهو الإلهي. ويختلف المطلع الثاني بين الوفاقي والعيايني والخلقي. ويختلف الموقع الأول بين التوفيقي في الأول والعلمي في الثاني والثالث. وينقسم الإيمان في المرتبة الثانية، الهداية للتحقيق إلى ثمانية أنوار. كما ينقسم الإسلامي في المرتبة الثالثة، الولاية للتصديق، إلى ثمانية أفلاك. والمرتبة الثالثة، الولاية للتصديق، يتضمن موقعها العلمي الإسلامي. أفلاكها الثمانية حول التحقق بأعمال الأعضاء الشرعية والفلك الأذني السمعي، وفصل عن علامة السامعين. ومنازل هذا العضو وهي التلاوة، والفلك اليميني والفلك البطني. وأكبر الأفلاك الثمانية الفلك السادس، فلك البروج، وهو الفلك القديمي وبه معجزات المشي على الماء والهواء، والفلك القبي وكراماته ومنازل المضاهاة الإلهية والكونية، والتجلي الصمداني، والمنتزل الذاتي والسماع عن الحق، والهبات والعطايا والمعرفة والأيام والشهور المقدره وقلب الذاكر، والفاني عن الذكر بالمذكور وعن المذكور بالذكر. وأكبر المطالع الإلهي. يشمل الوصية والحكمة وحديث الجليس والتواضع والزهد والابتعاد عن المذاهب، والوقت، والصحة والمجالسة واحترام الشيوخ، وزيارة المساجد، والتوجه نحو القبلة وكلام القلب والورع ومواقع النجوم الفرقانية.

ويعتمد على القرآن والشعر والحديث.^{٢٧٦} ولا يُعلم على وجه التحديد هل استعمال النصوص تنزيل أم تأويل، استشهد بعد التجربة أم تبرير وتشريع لها بعدها؟ ويستعمل القرآن الحر تدعيماً لأسلوب النثر الفني. هل تحولت الآيات إلى تجارب تنزيلاً أم خسرت النصوص طبقاً للتجارب تأويلاً؟ والإيمان لا يتعلق بعرق. فقد كفر بالعرب وأمنت الفرس.^{٢٧٧} ويستشهد بكثير من أقوال الصوفية مثل أبو مدين والجنيد ثم البسطامي ثم سهل بن عبد الله ثم القشيري، ثم المحاسبي والغزالي، ثم الداراني والسلمي ثم السهروردي وأبو طالب المكي ورابعة والحسن البصري.^{٢٧٨} وآخرون من عصره.^{٢٧٩} ومن

^{٢٧٦} الآيات (١٠٨)، الأشعار (٥٠)، الأحاديث (٢٢)، القدسية (٣).

^{٢٧٧} مواقع النجوم، ص ٤٠.

^{٢٧٨} أبو مدين (١٠)، الجنيد (٩)، البسطامي (٧)، سهل بن عبد الله (٥)، القشيري، الموروزي، الفاضل الحلبي، الحسن البصري (٣)، المحاسبي، الغزالي (٢)، أحمد المرسى، الداراني، السلمي، السهروردي، أبو طالب المكي، رابعة ... إلخ (١).

^{٢٧٩} مثل: العريف، العراك، الشكان، أبو مروان، أبو العباس، السهيلي، أحمد المرسى، الرمانى، أبو القاسم، التاورى ... إلخ.

الصحابة يذكر الصديق وأبو هريرة.^{٢٨٠} ومن الأنبياء يذكر محمدًا (أحمد)، وإبراهيم وموسى وسليمان.^{٢٨١} ومن الصوفية المؤلفين يذكر صاحب المواقف، وصاحب السراج. ومن المؤلفات يحال إلى المعارف والأعلام للسهيلى. ومن مؤلفات ابن عربي يحال إلى «منتخب الأسرار في صفة الصديقين والأبرار» و«مفتاح أقفال التوحيد» و«التدبيرات الإلهية».

(ز) «رسالة لا يعول عليه»:^{٢٨٢} وهي رسالة في موضوع ما لا يعتمد عليه حتى لا يتأسس الوجود على عدم. هو بحث عن الأساس الذي يرتكز عليه الوجود. وكل أمر سلبي يُحول إلى أمر إيجابي عن طريق نفيه. والغالب هو السلب.^{٢٨٣} وأحيانًا يتضمن الحكم السلب والإيجاب معًا. وبعض الأحكام تبدأ «بكل» وهو الأغلب، والبعض الآخر بدونه. وأحيانًا يصدر الحكم قبل الحثيات، وأحيانًا بعدها، والغالب بعدها. وأحيانًا تكون صيغة الحكم «لا يقتدى به» والأغلب لا يعول عليه، والأقل الجمع بينهما.^{٢٨٤} ويعتمد على أقل عدد من الأدلة النقلية من القرآن والحديث.^{٢٨٥} والاعتماد الأكثر على التنظير الخالص وتحليل التجارب البشرية. ومن الفرق يذكر أهل الاعتزال والأشاعرة.^{٢٨٦} وتكرر بعض الموضوعات، وتتشعب أخرى. وهي مئات الوصايا في حاجة إلى تجميع في مجموعات أصغر. ويمكن تجميعها في ست مجموعات طبقًا للطريق الصوفي: المعرفة والأخلاق والمقامات والأحوال والتوحيد.^{٢٨٧}

^{٢٨٠} عمر (٤)، الصديق (٣)، السيارى (٢)، أبو هريرة (١).

^{٢٨١} محمد (٩)، أحمد (٢)، إبراهيم (٤)، موسى (٣)، سليمان (١).

^{٢٨٢} رسائل، (١)، ج ١، (١٦)، ص ١-٢٠.

^{٢٨٣} هي ٣٢٢ أمر «لا تعول عليه»، وأمر واحد «تعول عليه»، السابق، ص ٤-٥.

^{٢٨٤} السابق، ص ١٢.

^{٢٨٥} الآيات (١)، الأحاديث (١).

^{٢٨٦} أهل الاعتزال، الأشاعرة (١).

^{٢٨٧} (١) المعرفة مثل: الخاطر والوارد، التفكير، الفراسة، الغيب، التجلي، المكاشفة، الشهود، العلم، النظر، الرؤية، الظن، اليقين، الولاية، النبوة، الشطح؛ (٢) الأخلاق مثل: الأدب، العمل، الشفع والوتر، الإيثار، الإرادة، الإسلام، الإحسان، الإيمان، المراقبة، الاستقامة، الإخلاص، الحياء، الغرة، الحرص، التقوى والورع؛ (٣) الطريق مثل: السماع، الكلام، الجذب، الوقت، النهاية، البداية، الحمد، البلاء، المواصل، المسامرة، القرار، السفر، السهر، النوم، الفتوة، الصبغة، التحقيق، الرياضة، المجاهدة، الروح؛ (٤) الحال مثل: الهيبة والأنس، القبض والبسط، التمكين والتلوين، الغيبة والحضور، الصحو والسكر، الجمع والفرق،

(٨) رسائل الكاشاني (٧٣٠هـ)، الشيرازي (١٠٥٠هـ)، النابلسي (١١٤٣هـ)

(أ) «في العلم الاستدلالي» للكاشاني^{٢٨٨}

وهي رسالة قصيرة في التحول من المعرفة النظرية إلى الوجود العيني، ومن العلم الاستدلالي إلى العلم الشهودي، كما فعل ابن عربي في «فصوص الحكم»، من الحق إلى الخلق، ومن الذات إلى الموضوع، ومن المعرفة إلى المعروف. وهذا هو معنى التسبيح أي المعرفة التي تقود إلى الوجود. وتعتمد الرسالة على القرآن وحده دون الحديث أو الشعر.^{٢٨٩} ومع ذلك يحيل الكاشاني إلى «فصوص الحكم» لابن عربي؛ حيث يبدو تكشف النبوة مساوفاً لتجلي الحق في الوجود.^{٢٩٠}

(ب) «الرسالة العرفانية» للكاشاني^{٢٩١}

وموضوعها المعرفة الإشراقية، حلقة الانتقال من المعرفة إلى الوجود، تعتمد على الشعر ثم القرآن ثم الحديث.^{٢٩٢} وتخاطب القارئ مباشرة للتعبير عن تجربة معرفية صوفية أصيلة.

(ج) «شرح حديث الحقيقة» للكاشاني^{٢٩٣}

وبالرغم من وجود لفظ شرح في العنوان مما يتطلب متناً إلا أن اللفظ هنا يعني بيان وتفسير معنى الحقيقة.^{٢٩٤} والحقيقة هنا ليست معنىً عقلياً بل هي كشف ورؤية تتحد

الخوف والرجاء، القرب والبعد؛ (٥) المقام مثل: الصبر، التوبة، التوكل، خرق العوائد، الأسباب، التسليم، التفويض، المحبة، والخلة، الشوق، الرضا، الشكر، الفقر (الجوع)، العبودية؛ (٦) التوحيد مثل: الوجد، الوجود، الحق، الخلق، التعظيم، المظهر الإلهي، التنزيه، الأسماء.

^{٢٨٨} آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ.

^{٢٨٩} الآيات (٢).

^{٢٩٠} خاصة إلى «فص الحكمة المالكية في الكلمة الزكراوية»، السابق، ص ١٨٣.

^{٢٩١} آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ.

^{٢٩٢} الأشعار (٤)، الآيات (٢)، القدسية (١).

^{٢٩٣} آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ، (٦)، ص ١١٩-١٢٣.

^{٢٩٤} وهو أيضاً عنوان لرسالة لهيدجر «في معنى الحقيقة».

ثانيًا: من المعرفة إلى الوجود

فيها الذات بالموضوع والرؤية بالمرئي. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر دون أقوال الصوفية لأنها تجربة ذاتية.^{٢٩٥}

(د) «إكسير العارفين» لصدر الدين الشيرازي^{٢٩٦}

وقد صمد التصوف النظري بالتحاقه بالفلسفة الإشراقية عند صدر الدين الشيرازي أو الغوص في الوجود استثنائيًا لابن عربي عند عبد الغني النابلسي، وبالتالي اجتماع صدر الدين الشيرازي مع ابن عربي في تأسيس فلسفة الوجود، وفي «الوجود الحق»، ولفظ الوجود هو أكثر الألفاظ تكرارًا.^{٢٩٧} تغيب فيه موضوعات التصوف الأخلاقي؛ الفضائل والرزائل، والتصوف النفسي، المقامات والأحوال، إلى المعرفة الإشراقية الخالصة في إطار «الحكمة المتعالية». ويتضح ذلك من العنوان «إكسير العارفين» فالإكسير هو شراب الحياة. ويتكون من أربعة أبواب: الأول يبدأ كالعادة بنظرية العلم بتقسيم العلوم، علم الأقوال وعلم الأفعال أي العلوم النظرية والعلوم العملية، ثم علم الأفكار أي علم العقائد وعلم الآخرة أي ما يقع بعد الموت؛ والثاني معرفة النفس حاملة العلوم، آفاقها وعلومها، ورقبها، وخلافتها الإلهية وعوالمها التي تؤدي إليها، وكيفية الوصول إلى عالم الربوبية؛ والثالث البدايات أي الخلق، وبداية الزمان والمكان ووجود الإنسان والملاك وأدم وحواء والشيطان؛ والرابع معرفة النهايات وهي الحياة بعد الموت والعناية الإلهية. ومصطلحاته إشراقية مثل: تفريع عرشي، تأييد استبصاري، إعلام وتنبيه، نكتة وإشارة، تأييد فرقاني، تأويل قدسي، إعارة ... إلخ. ويعتمد على الحجج النقلية والعقلية، القرآن أكثر من الحديث. ولا يشير إلى أحد من الصوفية السابقين اعتمادًا على التنظير الخالص. والإشارة إلى «الشفاء» للشيخ الرئيس ورففوريوس تلميذ المعلم الأول.^{٢٩٨}

^{٢٩٥} الآيات (٧)، الأحاديث (٢)، الأشعار (١).

^{٢٩٦} جامعة طوكيو، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

^{٢٩٧} الوجود (٤٥)، الوجود الحق (٢٤)، الوجود المحض (٢٣)، الوجود الحق (١٢) وعشرات أخرى من مشتقات اللفظ، التجلي ومشتقاته (٢٥)، الذات ومشتقاتها (٢٥)، الشهود ومشتقاته (٢٧)، الصورة ومشتقاتها (٤٨)، العقل (٥٨).

^{٢٩٨} إكسير العارفين، ص ١٠٠.

(هـ) «الوجود الحق والخطاب الصدق» للنابلسي^{٢٩٩}

وهو امتداد «للفتوحات» وشروح عليه من أحد تلاميذ الشيخ الأكبر. وطغيان «الفتوحات» على القرون الخمسة التالية حتى القرن الثاني عشر الهجري مثل طغيان «الإحياء» على القرنين التاليين له. فقد انتهت المرحلة الخلقية بما فيها من مقامات وأحوال، وبدأ التوجه نحو الوجود والالتقاء مع الفلاسفة دون ذكر لآخرهم، ابن رشد لأنه أقرب إلى الفقه، ولكن ابن سينا حكيم الإشراق هو الذي في الذهن ونقل «النيولوجيا» إلى «أنطولوجيا» كما حدث في علم الكلام المتأخر في نظرية الوجود.^{٣٠٠} وما حاوله ابن عربي في التحول من المعرفة إلى الوجود حققه النابلسي بالخوض في الوجود قبل صياغته في خطاب. ومن ثم يكون تأويل الخطاب الصوفي بإرجاعه إلى مصدره الأول في الوجود. والكتاب مقسم إلى وصلات. والوصل لفظ صوفي^{٣٠١} ويخلو من القسمة إلى أجزاء أو أبواب أو فصول.

ويعتمد الكتاب على قراءة القدماء خاصة المتكلمين من أجل تأسيس علم الكلام الصوفي أو علم التصوف الكلامي، التوحيد الصوفي الوجودي في مقابل التوحيد الكلامي الذهني. تحليل الوجود وهو في نفس الوقت تحليل التوحيد.^{٣٠٢} لذلك ينقد الزنادقة الذين يدعون التصوف، ويخطئون مراد الصوفية في أن الوجود هو الله، ويجهلون مؤلفات مدرسة وحدة الوجود. كما يخطئ الصوفية الزنادقة باعتبارهم العلم حجاباً

^{٢٩٩} المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٥٥م.

^{٣٠٠} من العقيدة إلى الثورة، ج ١، المقدمات النظرية.

^{٣٠١} اللفظ من وضع المحقق بكري علاء الدين، وهي ٤٧ وصلة.

^{٣٠٢} أكثر الكتب ذكرًا الفتوحات (١٤)، مسند الفردوس للدليمي، منبر التوحيد للنجم الغزي (٧)، شرح المقاصد للفتازاني (٦)، أنوار التنزيل للبيضاوي، طبقات الأولياء للمناوي (٤)، رسالة الخلوة لابن عربي وشرحها للجيلي، شرح عقائد النسفي للفتازاني، طبقات الأخبار للشعراوي، الفردوس بمأثور الخطاب للدليمي، لطائف المنن لابن عطاء، مشكاة الأنوار للغزالي، الميزان الذرية للشعراني (٣)، الإحياء للغزالي، الإتيقان للسيوطي، حاشية القزويني على شرح الدواني، حقائق التسليم للسلمي، الحكم العطائية لابن عطاء، رسالة تحقيق مذهب المتكلمين للجامي، شرح أم البراهين للسنوسي، العقائد للنسفي (٢)، أدب الدنيا والدين للماوردي، تجريد التوحيد لأحمد الغزالي، جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، حلية الأولياء لأبي نعيم، الرسالة القشيرية، روح القدس لابن عربي، عوارف المعارف للسهروردي، فصوص الحكم لابن عربي، كشف الفاضح اليونانية للسهروردي، منازل السائرين للتلمساني، مواقع النجوم لابن عربي ... إلخ (١).

لأن العلم كشف. ويخطئون ثالثًا بإنكار التكاليف الشرعية. وسبب الزندقة عند مشايخ الطرق الصوفية الضالين وسبب إلحادهم حالتا الجمع والفرق لديهم، وإدمان المخدرات على عكس المحققين من الصوفية وعباداتهم وأعمالهم. وهم الأوتاد والأبدال، شهود الوجود.^{٢٠٣}

والناس من التصوف على أربعة مواقف: الأول الإنكار عليهم والجحد لهم وهو جهل بهم، غرور بالنفوس، وحب للدنيا، ورفض الإذعان. والثاني السكوت عن الاعتراف بمزاياهم وذكر فضائلهم. والثالث الاعتقاد بهذا العلم الإلهي دون معرفة هذا العلم. والرابع معرفة هذا العلم بالذوق والمطالعة، والاطلاع والمشافهة، وهو موقف ابن عربي.^{٢٠٤}

ويظهر الجانب النقدي في التصوف النظري، نقد الكلام ونظريته في الصلة بين الماهية والوجود، ونقد الفلسفة التصورية التي ما زالت تعطي الأولوية للمعرفة على الوجود، ونقد الفقه الذي ما زال يرفض التحول من الظاهر إلى الباطن، ومن الشريعة إلى الحقيقة. ويتوجه النقد أيضًا إلى التصوف من داخل الصوفية بالانحراف به عن الطريق المستقيم إلى التصوف المزيف.^{٢٠٥}

يتحقق من آراء المتكلمين في الوجود والذات والصفات ويحاورهم.^{٢٠٦} وينتقد آراء سعد الدين التفتازاني اعتمادًا على نقد النابلسي.^{٢٠٧} ويبين اختلاف المتكلمين في العلم بحقيقة الله. وينتقد الفرقة الخيالية التصورية. وتصور الفلاسفة للوجود أفضل من تصور المتكلمين، إلا أن الفلاسفة أفسدوه بالتأويل. ويأتي الصوفية لإصلاح ما أفسده الفلاسفة. ثم يأتي الصوفية الوجوديون لإصلاح ما أفسده الصوفية المتكلمون. والصوفية الوجوديون أمثال ابن عربي والجامي والقونوي.^{٢٠٨} ويخصص قسطًا كبيرًا من الكتاب لنقد العقل الكلامي خاصة الأصفهاني في توحيده بين العلم والذات.^{٢٠٩} كما ينقد

^{٢٠٣} الوجود الحق، ص ٢٤٧-٢٥٣.

^{٢٠٤} السابق، ص ٢٧٧-٢٨٧.

^{٢٠٥} السابق، ص ٢٧٧-٢٨٧.

^{٢٠٦} السابق، ص ٢٣-٢٨.

^{٢٠٧} السابق، ص ٣٥-٣٨.

^{٢٠٨} السابق، ص ٦٣-٨١.

^{٢٠٩} السابق، ص ١١٧-١٤٨.

الطائفة الخيالية من المتكلمين والفقهاء الذين يجعلون الله في عالم الأذهان وليس في عالم الأعيان.^{٣١٠}

والاعتماد على الحجج النقلية، القرآن والحديث والشعر، أكثر من الحجج العقلية والآيات أكثر من الأحاديث.^{٣١١} وكما هو الحال في «الفتوحات» هناك حضور طاغ للشعر. فالخطاب الصوفي أصبح شرعاً للشعر. الشعر أولاً والنثر ثانياً لأن الشعر أقدر على التعبير وأسرع في الإيصال. ومن الأعلام الصوفية يتصدر ابن عربي ثم محمد الغزي ثم الجيلي ثم ابن عطاء الله السكندري ثم الجنيد ثم القونوي والتلمساني، ثم ابن الفارض ثم الشعراني ثم ابن سبعين والخدري والسلمي والسهوردي والجامي والغزالي. ومن المتكلمين يتصدر سعد الدين التفتازاني ثم الجلال الدواني ثم البيضاوي ثم الإيجي والشهرستاني والأصبهاني.^{٣١٢}

(٩) أعمال البكري (١١٦٢هـ)، الصيادي (١٣٢٨هـ)، عنقاشاه

(أ) «صادحة الأزل»^{٣١٣}

والعنوان شاعري، الأزل يصدق، الزمان والصوت. وهي رسالة صغيرة الحجم، قطعة واحدة. تغيب منها الأبواب والفصول. يتضح فيها أثر ابن عربي وأسلوبه الذي يعتمد على السجع وباقي المحسنات البديعية بالإضافة إلى جانب من الخيال القصصي. يتبع أسلوب القول «فإن قلت ... قيل» وتمارس وحدة الوجود ذوقياً. وتنتهي الرسالة برؤية تجمع بين اللغة والمعرفة والعلم الإنساني والشريعة والتجلي الإلهي في الوجود، رؤية باطنية أصلية بلا زخارف أو ابتداع.^{٣١٤} يعتمد على أقل قدر من الأدلة النقلية، القرآن والشعر دون

^{٣١٠} السابق، ص ١٦٩-١٧٤.

^{٣١١} الآيات (٢٤٦)، الأحاديث (٩٣)، الأشعار (٤٧).

^{٣١٢} ابن عربي (٢٥)، سعد الدين التفتازاني (١٠)، محمد الغزي (٧)، عبد الكريم الجيلي (٦)، الجلال الدواني (٥)، ابن عطاء الله السكندري، أبو منصور الديلمي، الجنيد، الصدر القونوي، البيضاوي، ابن الفارض، الأشعري (٤)، الإيجي، الشعراني، التلمساني، الشهرستاني، الأصبهاني (٣)، ابن سبعين،

الخدري، السلمي، السهروردي، الجامي، الغزالي، السنوسي (٢).

^{٣١٣} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م، (٣)، ص ١٢٥-١٣٥.

^{٣١٤} الآيات (٢)، الأشعار (١).

الحديث وأقوال الصوفية.^{٣١٥} الحديث لا يكفي لأنه نثر شرعي عملي دون خيال القرآن وأسلوبه الشعري ونثره الفني. وأقوال الصوفية ليست مصدرًا للتجربة الصوفية مثل التجربة الأدبية.^{٣١٦}

(ب) «المورد العذب لذوي الورود في كشف معنى وحدة الوجود» لمصطفى البكري^{٣١٧}

وهو حكم شرعي في مسألة وحدة الوجود. يعتمد على علم الكلام في قسمة الوجود إلى قديم وحادث مع التركيز على منهج الذوق في المعرفة باعتباره مسئولاً عن وحدة الوجود.^{٣١٨} في الظاهر من المحرمات، وفي الباطن من «المضنون به على غير أهله». وتؤول شطحات العارفين لتتفق مع الشريعة لأن التمسك بالشريعة والعمل بميزانها مقياس صحة العقائد. فالحقيقة مقيدة بالشريعة. ويصل الأمر إلى هدر دم الصوفي المخالف للشريعة في ثقافة الظاهر والرأي الواحد والفرقة الناجية.^{٣١٩} فعلوم الحقيقة لا تعارض العقل ولا التمسك

٣١٥

من لي بمن يخبر الأنام بما بلغنيهِ القضاء والقدر
أصبح قلبي لفرط وصلته بيت شهود تتلى به السور

السابق، ص ١٣٢.

^{٣١٦} «ولنرجع إلى ما سبقت له هذه الرسالة. وغلفت لمراسمه هذه الدلالة. وذلك إجابة رسول صون العلوم الإنسانية عن مسألة تدلت له في حقائق ما بطن منها، رفاف العبارة عنها. ويفيق بأمر الله في خلق الله حاكمًا، وبأسرار الشريعة موروثة عالمًا حاكمًا مبنياً على قواعد التجلي الذاتي أساسه، وعلمًا مشرقًا بنور الاختصاص الصمداني نبراسه، سالمًا بالله تعالى من شوائب الابتداع. فإن الله تعالى جعل الميزان الأعظم لكل عارف، وما سواها بالنسبة إلى حقيقة هداها. إنما هو لوازم الزخارف، والمتجلي بالله تعالى، منغمس في بحار الجمع. فالله سبحانه وتعالى له البصر والسمع كما شهد به الحديث، ودل به القديم على الحديث»، السابق، ص ١٣٤-١٣٥.

^{٣١٧} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م، (٢)، ص ٩٩-١٢١.

^{٣١٨} «وإذا كان السكران المحق في سكره لا يحتج بكلامه كالحلاج فكيف بالمتساكر»، السابق ص ١٠٥.

^{٣١٩} «واعلم أن جميع أهل من يصطفاهم أطبقوا عن بكرة أبيهم أن المخالف للشريعة المحمدية مهودور الدم.» يقتل في الحل والحرم، ولو أنه مشي على الماء أو تربيع في الهواء. فهو مكور به، ليس له غير السيف دماء ... وقد أفتى (الناقلي) بقتل جماعة ممن ينتمون إليهم ... السابق، ص ١١١-١١٢.

بالسنة النبوية. واليقين علم وعين وحق. والأولياء ضنائن الحضرة. وتأتي اللغة بكل ما فيها من محسنات بديعية للربط بين التجربة الصوفية والتجربة الأدبية. وسبب تأليف العبد الفقير للمولى الغني الودود هو تأليف الناس في وحدة الوجود والاختلاف عليها بين موافق ومخالف.^{٣٢٠} ويخاطب القارئ لإبلاغه الدعوة بعبارات نداء مثل «أيها الأخ». ويعتمد على القرآن والشعر والحديث.^{٣٢١} ويحيل إلى ابن عربي وأثره الطاغي على التصوف من بعده؛ فهو «الأكبري» و«الشيخ الأكبر» والحلاج والجنيدي، ثم الشعراني وإبراهيم الخواص والحسن البصري وسيدي أرسلان عارف الزمان والناقلي.^{٣٢٢} ويحال إلى عدة مصادر مثل «نصائح المريد»، «الفتوحات»، «الوصايا» لابن عربي، «الجواهر والدرر» للشعراني. ومن المحدثين النووي. ومن الأنبياء هارون. وتتخذ منها اقتباسات بعلامة انتهى.

(ج) «حديقة المعاني في حقيقة الرحم الإنساني» لأبي هدى الصيادي^{٣٢٣}

وهي رسالة في تتبع أنساب الأفكار في الرحم الإنساني وكأنا في المعرفة التكوينية وما دام البشر كلهم من آدم وحواء. فلا فرق بين أنساب الأبدان وأنساب المعاني. الأولى في الرحم العضوي، والثاني في الرحم المعنوي. والقربة ليست فقط في الدم والنسب بل أيضًا في الروح والفكر. والشرع نظام البدن متفق مع العقل نظام الفكر. وتعتمد الرسالة على القرآن ثم الشعر ثم الحديث.^{٣٢٤} وتجذب الانتباه بألفاظ التركيز مثل «نكتة لطيفة».^{٣٢٥}

^{٣٢٠} «قد ألف الأعيان من أهل العيان، قديمًا وحديثًا، رسائل في معنى وحدة الوجود، وأفصحوا عن المراد منها والمقصود، وحققوا أن العقول بها موافق لما عليه أهل السنة والجماعة القود، وجعلها البعض من العلم المضمون به عن غير أهله الباذلين في طلبه المجهود. وقال آخرون: هي من العلم الواجب بثه لمن يطلب قريبًا أن يسود»، السابق، ص ١٠١.

^{٣٢١} الآيات، الأشعار (٥)، الأحاديث (٢).

^{٣٢٢} ابن عربي، الجنيدي، الحلاج (٣)، الشعراني، إبراهيم الخواص، الحسن البصري، أرسلان، الناقلي (١).

^{٣٢٣} دار الكتب العلمية، بيروت.

^{٣٢٤} الآيات (٢٥)، الأشعار (٣)، الأحاديث (١).

^{٣٢٥} حديقة المعاني، ص ١٩٧، ٢٠٥.

ثانيًا: من المعرفة إلى الوجود

ولا تعتمد على أعلام الصوفية أو تقتبس من مصادر مرغوبة بل تعتمد على الإبداع الخالص.

(د) «معالم الفكر»، «نداء الحقيقة»، «رسالة القلب»،
«نيروان» لمحمد صادق عنقاشاه الأويسي^{٢٢٦}

استمر التصوف النظري في إيران من خلال الإشراق الذي يجمع بين الحكمة والتصوف، بين التأمل والطرقية. فالمؤلف ينتسب هو وعائلته إلى أويس القرني قطب الصوفية الأول بشهادة الرسول تصب في «الفكر الصوفي الإيراني المعاصر».^{٢٢٧}

والرسائل الأربع مثل رسائل ابن عربي والشيرازي، استمرار لتراث صوفي نظري يركز على الوجود والمعرفة. تمت كتابته قبل الثورة الإسلامية في إيران. ويعتمد على التحليل النظري الخالص مع بعض التجارب الشخصية التي يتم التعبير عنها بضمير المتكلم المفرد.^{٢٢٨} وتغيب كل الأدلة النقلية التي اشتهر القدماء بكثرة الاعتماد عليها. وينقسم البحث إلى ثماني مقالات. ويتم العرض بأسلوب حديث واستدلال منطقي.

لا تعتمد الرسالة الأولى «عالم الفكر» على الموروث القديم والتراث الصوفي إلا مرة واحدة بالإحالة إلى أبي العباس الأملي.^{٢٢٩} ومن التراث الشرقي لا يوجد إلا ذكر للعقائد البوذية مرة واحدة.^{٢٣٠} ويعتمد اعتمادًا شبه أوحده على الوافد الغربي الحديث بعد أن أصبح أحد مكونات الفكر الإسلامي المعاصر منذ ما يزيد على قرنين من الزمان كما كان الوافد اليوناني الروماني أحد الروافد الغربية لمكونات الفكر الإسلامي القديم. فيتقدم ديكرت وليينتز العقلانيان للذان تصورا المادة فكرًا وروحًا وهو ما يقترب من الفكر الصوفي. فالمادة حركة وامتداد عند ديكرت، وذرات روحية عند ليبنتز. وانتهى اسبينوزا إلى وحدة الوجود، التوحيد بين الطبيعة الطابعة والطبيعة المطبوعة كما انتهى الصوفية المسلمون، ابن عربي نموذجًا. كما يحيل إلى هيجل وفشته من أنصار وحدة الروح والطبيعة، الله

^{٢٢٦} دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٥م.

^{٢٢٧} وهو العنوان المختار من المترجمين «من الفكر الصوفي الإيراني المعاصر».

^{٢٢٨} السابق، ص ١٤١.

^{٢٢٩} معالم الفكر، من الفكر الصوفي، ص ١٢٩.

^{٢٣٠} السابق، ص ١٥١.

والوجود، وسبنسر الذي اكتشف قوانين المادة وكانندر صاحب نظرية المعرفة، وجوزيف سنيل صاحب كتاب الحاسة السادسة. ومن القدماء يحيل إلى سقراط وأوغسطين فيلسوف الذاتية كما هو الحال عند الصوفية. ويقتبس من بعضهم. ويشير إلى المذاهب الغربية مثل المذهب المادي. ويستعمل كل فلاسفة العلوم الغربية الذين يعتبرون المادة عقلاً أو روحاً لتدعيم موقف الصوفية نيوتن وكبلر، وجاليلوس وكوشي ومسمير مكتشف المغناطيسية، وجيمس جينز، وكالواي فيلسوف الرياضيات ومكتشف نظرية المجموعات.^{٣٣١}

وشتان ما بين البداية، أويس القرني، والنهاية، فلسفة العلوم الغربية. فهل هي ظاهرة طبيعية في الاستعانة بالوافد لتقوية التصوف النظري الذي توارى تحت ضغط أم هي بداية التغريب والانبهار بالغرب ومزاحمة الوافد الغربي الحديث للموروث الإسلامي القديم والذي أصبح الموروث الوحيد عند «العلمانيين» نظراً للتعارض بين الجديد والقديم؟^{٣٣٢}

ويتعرض «معالم الفكر» للبعد الاجتماعي والسياسي ودور الجامعة في تطوير الفكر الصوفي ونهضة الأمة وخروجها من مصاف الأمم المتأخرة إلى زمرة الأمم المتقدمة.^{٣٣٣} ومع ذلك لا يطرح سؤال: كيف يتم ذلك بتصوف إشراقي جبري وليس بتصوف وجداني عقلاني يقوم على حرية الاختيار؟^{٣٣٤} ويحيل المؤلف إلى باقي مؤلفاته مثل أصول الطبيعة، ما يكشف عن وحدة المشروع، وتكامل الرؤية.^{٣٣٥}

و«نداء الحقيقة» تنظير خالص دون وافد قديم أو موروث جديد. فالله هو كل شيء على طريقة الصوفية.^{٣٣٦} أما «رسالة القلب» فهي مجرد مناجاة على طريقة الصوفية المتأخرين.^{٣٣٧} ثم تأتي «نيروان» وهي قصة رمزية تشبه «حي بن يقظان» لابن سينا

^{٣٣١} معالم الفكر، من الفكر الصوفي، ص ٨٥، ٩٩، ١٠١، ١٠٧، ١٠٩، ١١١، ١٢٣، ١٢٥، ١٣٤، ١٣٥، ١٤١، ١٤٧، ١٥٤.

^{٣٣٢} السابق، ص ١١٤-١٢١.

^{٣٣٣} السابق، ص ١٠٦-١١٣.

^{٣٣٤} «إن الوجود محكوم عليه بالجبر. وقد رسمت أيضاً اختيارات الأجزاء المحدودة المفترضة للعالم في دائرة الجبر اللامتناهية»، السابق، ص ٩٧-١٠٥.

^{٣٣٥} السابق، ص ١٤٣.

^{٣٣٦} في الفكر الصوفي الإيراني المعاصر، نداء الحقيقة، ص ١٥٩-١٦٧.

^{٣٣٧} السابق، ص ١٧١-١٨٦.

ثانيًا: من المعرفة إلى الوجود

وابن طفيل وإن كانت أقرب إلى قصة السهروردي «الغربة الغريبة» لما تضمنته من رموز كشفية ومعرفة باطنية.^{٣٣٨} «نيروان» بطلها مثل «حي» يظهر فيها الموروث القديم ابتداء من البسمة والحمدلة. ويذكر اسم السهروردي، شيخ الإشراق وقصة آدم وحواء. كما تذكر آية قرآنية واحدة، سورة بأكملها وهي سورة ﴿الْمَنْشَرُ﴾.^{٣٣٩} وبها العادة القبيحة للقدماء بوصف المؤلف نفسه بالذليل والحقير والضعيف وهو ما لا تتطلبه الشجاعة الأدبية.^{٣٤٠}

^{٣٣٨} السابق، ص ١٨٩-٢٠٢.

^{٣٣٩} السابق، ص ٨٩، ٩١، ١٩٤-١٩٥.

^{٣٤٠} «هكذا يقول العبد المسكين المفتقر إلى رحمة الله، الملك القوي، المتين، المشتاق لأولياء الحق».

ثالثاً: تقنين المصطلح

(١) «اصطلاح الصوفية» لابن عربي (٦٣٨هـ)^١

هذا يدل على أن الصوفية أنفسهم يفكرون في تحديد مصطلحاتهم تحديداً نظرياً حتى لا يلتبس على علماء الرسوم أي الفقهاء أي شيء منها. فالمصطلحات تواطأت أو مواضعات أو اتفاقات بين أهل الصنعة لا يفهمها إلا هم.^٢ وهي تعريفات قصيرة بالترادف أو بالعبرة الشارحة دون تطويل أو إسهاب.^٣ ولا تخضع لترتيب خاص أبجدي أو غيره بل فقط الأهم فالهم، مع تجميع بعض المصطلحات المتشابهة مثل النفس والروح أو المشتقة مثل الإرادة والمريد والمراد والعقل أو المتقابلة مثل الأحوال أو ذات الحقل الدلالي الواحد مثل المسافر والسفر والطريق أو المتصلة بموضوع واحد كالطريق مثل الرياضة والمجاهدة أو المقام والحال.^٤ وهي حوالي مائة وثمانية وتسعين مصطلحاً. ولا تعتمد على أدلة نقلية

^١ دار الكتب العلمية، بيروت.

^٢ «فإنك أشرت إلينا بشرح الألفاظ التي تداولها الصوفية المحققون من أهل الله بينهم لما رأيت كثيراً من علماء الرسوم قد سألونا في مطالبة مصنفاتنا أهل طريقنا مع عدم معرفتهم بما توطأنا عليه من الألفاظ التي بها نفهم بعضاً عن بعض كما جرت عادة أهل كل فن من العلوم فأجبتك إلى ذلك»، اصطلاحات الصوفية، ص ١.

^٣ «ولم أستوعب الألفاظ كلها، ولكن اقتصرتها منها على الأهم فالأهم. وأضربت عن ذكر ما هو مفهوم من ذلك عند كل ما ينظر فيه بأقل نظرة لما فيها من الاستعارة والتشبيه. وقد أوردنا ذلك لفظة لفظة»، السابق، ص ١.

^٤ الإرادة، المريد، المراد، المسافر، السفر، المتواجد، الوجد، الوجود، الجمع، جمع الجمع، علم اليقين، حق اليقين، عين اليقين، السالك، الطريق، الذوق، الشرب، الري، الوارد، الشاحن، الخاطر، الرياضة،

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

باستثناء دليل قرآني واحد، دون الحديث أو الشعر أو أقوال الصوفية.^٥ ويدخل في باب المصطلح الذي بدأه القشيري في «الرسالة» في البداية واستمر حتى النهاية عند الكاشاني والنقشبندي. وسبب التأليف استجابة لطلب ولي في شرح ألفاظ الصوفية لعدم معرفة بعض منها. فتم اختيار أصعبها وترك المعروف منها. وهي منتقاة، وليست كل الألفاظ.^٦

(٢) أعمال الكاشاني (٧٣٠هـ)

(أ) «السوانح الغربية والمواهب العينية»^٧

وهو عنوان غريب يظهر فيه التقابل بين السوانح والمواهب، وبين الغيبي والعيني. وهي نوع من النثر الفني. لا تتعامل مع موضوع معين بالرغم من قسمتها إلى فصول ووصلات ولكن بلا عناوين. هي أقرب إلى التعريفات الصوفية وتحليل الألفاظ.^٨ تركز على الانتباه أو اليقظة وهو أول المقامات وليس التوبة. تعتمد على القرآن والحديث دون أشعار أو أقوال الصوفية.^٩ كما تعتمد أحياناً على القسمة العقلية مثل قسمة المعرفة إلى فعلية ووصفية وذاتية.^{١٠}

(ب) «اصطلاحات الصوفية»^{١١}

وكما بدأ علم التصوف بالمصطلحات والألفاظ المتداولة بين القوم حفاظاً على أسرارهم في الثلث الثاني من «الرسالة القشيرية»، فإنه انتهى أيضاً بكشاف لمصطلحات الصوفية

المجاهدة، المحاضرة، المكاشفة، المشاهدة، المحادثة، المسامرة، اللوائح، الطوابع، اللوامع، البوادة، الهجوم، المقام، الحال، القبض، البسط، الهيبة، الأنس، الجمع، الفرق، الغيبة، الحضور، الصحو، السكر، المحو، الإثبات، القرب، البعد، السحق، المحق، السر، التجلي، الحرية، العبودية، الخوف، الرجاء، الختم، الطبع، النور، الظلمة، القشر، اللب، العموم، الخصوص، الحق، الباطل. الأفراد، القطب، الأوتاد، البدلاء، النقباء، النجباء، الإمامان، الأمناء، الملامتية، السابق، ص ١٧.

^٥ كتب الجرجاني معجماً لألفاظ الفتوحات المكية ولكنه أدخل في أعمال المتكلمين.

^٦ «أما بعد. فإنك أشرت إلينا».

^٧ آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (٥) ص ٩٧-١١٥.

^٨ السابق، ص ١٠٨-١١٥.

^٩ الآيات (٣)، القدسية (١).

^{١٠} السوانح الغيبية، ص ٩٨.

^{١١} الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨١م.

ثالثاً: تقنين المصطلح

على نحو علني في عصر التدوين الثاني، عصر الموسوعات والمعاجم والشروح والمختصات. والعنوان الحقيقي «شرح اصطلاحات الصوفية» للدلالة على النوع الأدبي في التأليف المتأخر. وهو أيضاً من تلاميذ ابن عربي. استأذنه في كتابه الاصطلاحات فأذن له. ولا يهم إن كان شيعياً إمامياً أم سنياً. فالتصوف بنية مستقلة من عقائد الشيعة والسنة. ومن الصوفية شيعة وسنة. وقد تم شرح المصطلحات بعد شرح «منازل السائرين» و«فصوص الحكم» وتأويلات القرآن الحكيم لأنها تعتمد جميعها على مصطلحات الصوفية التي ما زالت لم يتم التوافق عليها في العلوم المنقولة والمعقولة وبعد سؤال البعض عنها. وهي مصطلحات تزيد على الألف، تتفرع وتتعدد وتتدرج. فالرسالة قسمان. الأول المصطلحات باستثناء المقامات مرتبة أبجدياً. والثاني في التفاريح ومصدرها وترتيبها. الأبواب سبعة وعشرون طبقاً لعدد حروف الأبجدية. وبعض المصطلحات ليست كذلك مثل أسماء الأعلام التي يوضع فيها اسم «عبد» قبل الاسم الله مثل «عبد السلام»، عبد الرحيم ... إلخ. فهذه ليست مصطلحات.^{١٢} ومن مصادر الاصطلاح بالإضافة إلى الموروث الصوفي القرآن والحديث والشعر وبعض أعلام الصوفية.^{١٣} وتغيب أقوال الصوفية صراحة إلا من ذكر بعض الأعلام يتقدمهم ابن عربي. كما تغيب روايات الكرامات والأعاجيب. وقد يقال إن التعريف بالآية ليس تعريفاً لأن الآية في حاجة إلى تفسير أو تأويل. وفي التصوف النظري يظهر الوافد اليوناني من خلال الموروث الفلسفي مثل: أفلاطون وقوله الأثير «مت بالإرادة تحيا بالطبيعة».^{١٤}

(ج) «لطائف الأعلام في إشارات أهل الأفهام»^{١٥}

ومما يدل على أهمية المصطلحات كتابة الكاشاني في الموضوع مرتين. وسبب التأليف هو عدم دراية علماء الرسوم بمصطلحات الصوفية وأسرارهم، وعلم أصحاب العلوم الحقيقية

^{١٢} اصطلاحات الصوفية، ص ٢١.

^{١٣} ابن عربي (٣)، أبو طالب المكي، السهروردي، الشيباني، علي، جعفر الصادق، أنس بن مالك، الشافعي (١).

^{١٤} اصطلاحات الصوفية، ص ٩١، ١٤٦.

^{١٥} مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م (جزءان).

والمعارف الخفية.^{١٦} وهو ما يفيد عنوان «لطائف الأعلام» أي الأخبار في «إشارات أهل الأفهام». وقد صنف المصطلحات بناء على الحروف الأبجدية كما هو الحال في المعاجم والقواميس اللغوية. تبدأ الألف بالألف بعد الألف ثم بالباء بعد الألف حتى ينتهي حرف الألف ثم يبدأ حرف الباء ثم الألف بعد الباء ثم الباء بعد الباء حتى ينتهي حرف الباء وتنتهي كل الحروف.^{١٧} وقد يذكر اللفظ بلا تعريف أو شرح إذا كان واضحاً بذاته لا يحتاج إلى تعريف. وقد تقتصر التعريفات على المترادفات. وقد تمتد إلى تعريفات نظرية قصيرة، مجرد موضوع ومحمول كما هو الحال في الحدود المنطقية. وقد يطول التعريف أكثر على نحو نظري صرف.

وقد تستعمل الأدلة النقلية، الآيات والأحاديث مع أولوية القرآن على السنة، والشعر على السنة، مما يبين أهمية الشعر الصوفي.^{١٨} والقرآن هو شعر العرب بعد الإسلام كما أن الشعر قرآن العرب قبل الإسلام. ومعظم الشعر من الشعر الصوفي. ويذكر الرسول أحياناً بشخصيته وليس بقوله مما يكشف عن أهمية «الحقيقة المحمدية». وتذكر القصائد مثل «نظم السلوك» لابن الفارض أو «التائية الكبرى». كما تذكر «الفتوحات» أو كتاب «الباء» أو «الفصوص» (الفص الإدريسي) أو «المنازل الإنسانية» لابن عربي، أو «المشكاة» للغزالي. ويكثر الاعتماد على ابن عربي «الشيخ» ثم جعفر الصادق ثم ابن الفارض «شيخ العارفين»

^{١٦} «فإني لما رأيت كثيرًا من علماء الرسوم ربما استعصى عليهم فهم ما يتضمنه كتبنا وكتب غيرنا من النكت والأسرار التي يشير إليها المحققون العالمون بالله من أكابر شيوخ الصوفية الوارثين للعلوم الحقيقية والمعارف الخفية من مشكاة النبوة المحمدية المعتلية من حضيض التلبيسات الخليفة إلى أوج الحضرات المقدسة الجامعة جوامع الكلم الحكيمة والأسرار الإلهية، أحببت أن أجعل هذا الكتاب مشتملاً على شرح ما هو الأهم من مصطلحاتهم، ما تواطئوا عليه من الألفاظ والألقاب التي يعبرون بها عما يتداولونه بينهم من علومهم الإلهية وأسرارهم الشريفة الربانية، وما به يفهم بعضهم عن بعض، كما جرت عليه عادة أهل كل فن»، لطائف الأعلام، ص ٢٣.

^{١٧} «وبينت ذلك بالبيان المتقن المحكم المرتب على حروف المعجم بحيث إنني جعلت الحرف الثاني من كل كلمة على ترتيب الحروف أيضاً لكون ذلك أضبط في النظم وأظهر للفهم. فقدمت في باب الألف ذكر الكلمات التي أولها ألف بعد ألف على الكلمات التي أولها ألف بعده حرف بعد الألف حتى إذا فرغت من تفسير جميع الكلمات التي أولها ألف بعد ألف شرعت بعد ذلك في تفسير الكلمات التي أولها ألف بعد باء»، السابق، ص ٢٤.

^{١٨} الآيات (٢٤٤)، الأحاديث (١٣٤)، الأشعار (١٧٥).

ثم الجنيد والبسطامي ثم ذو النون ورويم والقشيري والسلمي والكرخي والحريري وأبو عثمان المكي والشبلي. وتقتبس بعض أقوالهم في تعريف المصطلحات.^{١٩}

(٣) مؤلفات محمد وفا (٧٦٥)، النقشبندی (٧٩١)، ابن عجيبة (١٢٢٤)، الكيالي

(أ) «شعائر الفرقان في ألواح الكتمان» لمحمد وفا^{٢٠}

وهي أقرب إلى ألفاظ الصوفية ومصطلحاتهم. تتضمن مائة وستة شعيرة بلا عناوين. وهي شعائر صوفية وليست عبادية، في الحقيقة وليست في الشريعة. يبدأ بعضها بمصطلح صوفي والآخر بآية قرآنية.^{٢١} الشعيرة الأولى كلها مصطلحات صوفية مائة وستة مصطلحات بلا ترتيب أبجدي أو موضوعي.^{٢٢} تتناثر موضوعاتها مما يجعلها في حاجة إلى إعادة تجميع في موضوعات أقل طبقاً لموضوعات التصوف الخلقي أو النفسي أو الفلسفي، النظري أو العملي. وتتفاوت أحجامها.^{٢٣} كما أن أسلوبها مملوء بالسجع والمحسنات البديعية. بعضها واضح مثل الحكم واللوح والهوية ومفاتيح الغيب والأزل والنور والنار والفلك ... إلخ. والبعض الآخر أقرب إلى الشفرات وأشبه بأسلوب الحلاج.^{٢٤} بعضها إخباري وهو الغالب، والآخر أمري موجه إلى المخاطب.^{٢٥} البعض صور

^{١٩} ابن عربي (١١)، جعفر الصادق (٥)، ابن الفارض (٤)، الجنيد، البسطامي (٢)، رويم، القشيري، السلمي، الكرخي، الحريري، أبو عثمان المكي، الشبلي، أبو حفص السعدي، أبو مدين، الصعلوكي، السبكي، أبو عقاب، أبو السعود، أبو سعيد البغدادي، محمد اللبان، كمال علي بن الحسين (١).

^{٢٠} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م، (٢)، ص ٨٧-١٨٩.

^{٢١} الشعائر التي تبدأ بالقرآن (٤)، بالحديث (١)، بالموضوعات (١٠٠).

^{٢٢} شعائر الفرقان، ص ٨٩-٩٤.

^{٢٣} أكبرها (٦ص) وأصغرها سطر واحد.

^{٢٤} مثل العدم بما كتب قلم البكم في لوح الصمم، لا سمع ولا تكلم، ولا علم ولا أعلم. كان الهو الأحد بلا عدد، يعلم علم المفرد، ويشهده شهادة الواحد الأحد، ويحصله تحصيل المجرّد بالمجرّد، لا يفرع فينجد، ولا يحدث فيتجدد، كثير أحدي الصمد، لم يلد ولم يولد. فأراد أن يُعرف وعلى مثاله الأعلى يتشرف ... السابق، ص ١٢٠. «انزل توجد، وارق تفقد، واعلم تعدم، واسكت تسلم، وقل تغنم، يا لا شيء كيف الشيء؟ ويا شيء كيف لا شيء؟»، السابق، ص ١٢٣.

^{٢٥} «مثل اعلم وفقك الله، احذر شرشرة المريد ...»، السابق، ص ١٢٨.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

وتشبيهات.^{٢٦} وتتعدد وسائل المعرفة.^{٢٧} ويتخللها دعاء.^{٢٨} والبعض في الذات والصفات، والنفي والإثبات.^{٢٩} ولا يذكر سبب التأليف بل فقط عبارات أدبية منمقة. وبعضها يبدأ بمخاطبة القارئ. وتعتمد على القرآن والحديث والشعر.^{٣٠}

(ب) «جامع الأصول في الأولياء» للنقشبندی الخالدي^{٣١}

هو نوع من التأليف الموسوعي في العصور المتأخرة تحت شعار الأولياء الذين أصبحوا مرادفين للصوفية في المرحلة الطرقية. فلا يوجد صوفي إلا وهو ولي. والولي درجة أعلى من الصوفي، وأقل من النبي. وهو تأليف لصالح الأولياء (الجزء الأول)، والطرقية (الجزء الثاني)، ثم تأتي المصطلحات، معجم الكلمات الصوفية (الجزء الثالث) في النهاية. والمؤلف أحد أعمدة الطرقية النقشبندية. فقد أصبح رؤساء الطرق مؤلفين. وتغيب بنية التصوف الرباعية في «الإحياء» أو السداسية في «الفتوحات» بل تتناثر الموضوعات. الهم جمع المادة بلا ترتيب. يتسم بالوضوح مثل كل الفكر الموسوعي.

وتتناثر الموضوعات بلا ترتيب، سبعة وسبعون موضوعاً في الأولياء وأوصافهم (الجزء الأول)، وستة وسبعون موضوعاً في الطرق الصوفية (الجزء الثاني)، وسبعة وعشرون جزءاً طبقاً للحروف الأبجدية وعددها. ويشمل جزء الأولياء كل موضوعات التصوف. فاحتوى الجزء الكل، ورد الكل إلى أحد أجزائه. فيذكر الأقطاب والأبدال (الأوتاد والنجباء)، وشروط المريد وآدابه والصحة وآدابها، وتوصف مصطلحات الطريق كالعزلة والخلاص من الدنيا. ويوصف الطريق من ذكر وجهاد النفس والأعمال والأوراد والشرعية والطريقة. ولا تذكر الأحوال والمقامات والترقي فيها إلا في موضوع واحد، والقبض والبسط

^{٢٦} مثل «شجرة لها أغصان عشرة»، السابق، ص ٢٧.

^{٢٧} «الصورة الجميلة، والحس المعتدل، والخيال الصادق، والنفس المطمئنة، والعقل الكامل، والقلب المدرك، والفؤاد الشاهد، والروح المستهلك، والسر المحقق، والمجموع من ذلك، والنتيجة كذلك»، السابق، ص ١٦٨.

^{٢٨} «دعاء: اللهم أعطني بسر التحقيق، ونور التوفيق من سوء الضيق وخرج الطريق» السابق، ص ١٨٣.

^{٢٩} «لا إله إلا الله» كلمة نفي وإثبات. تنفي كل شيء عن قيد الوهم. وتثبت بإطلاق الحقيقة. وما يثبت بالحقيقة لا يتحول إلى مجاز»، السابق، ص ١٣٧.

^{٣٠} الآيات (٨٢)، الأحاديث (٢٦)، القدسية (٩)، الأشعار (١٦).

^{٣١} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦ م، (٢)، ص ٨٩-٩٤.

ثالثاً: تقنين المصطلح

والمحبة والسكر والصحو والشرب والفناء والبقاء والورع والصبر والقناعة والمحبة والتوبة والعبودية، ومناهج التعليم مثل التلقين والسند والهواجس والخواطر واليقين، والغاية والتوحيد ورمزه الوجود والشهود والكشوف.

والطرق الصوفية لا تتعلق بها وحدها بل تشمل موضوعات التصوف كلها بالإضافة إلى النقشبندية والقادرية والشاذلية. وتتعلق كلها بعلاقة الشيخ والمريد وآداب الصحبة والتعلم والخلوة والعزلة ومجاهدة النفس والسماع. وتُعاد موضوعات التصوف الخلقي مثل الحسد والفضائل مثل الأمل والتواضع والخشوع والصدق والتقوى. وتظهر بعد الأحوال مثل النفي والإثبات والخوف والخشية والقبض والبسط والبكاء والحزن والصحو والسكر والمحو والذوق والشرب. كما تظهر بعض المقامات مثل الصبر والجوع والعبودية والصبر والقناعة والمحبة والتوكل والرضا. ولا فرق بين موضوعات الجزأين الأول والثاني بالرغم من اختلاف العنوانين.

أما معجم الكلمات الأبجدي فهو أقرب إلى المعاجم الحديثة. والأهم هو تحديد معنى كل لفظ طبقاً لأحد عشر منظوراً. منها ما هو شائع مثل الأخلاق والمعاملات والأحوال والحقائق ومنها ما يحتاج إلى تأمل مثل البدايات والنهايات والأصوات والولايات والأصول والأدوية والأبواب. فاللفظ الصوفي لم يعد داخل التصوف وحده بل له استعمالات أخرى في باقي العلوم.

والحجج العقلية قليلة لأن الفكر الموسوعي المعجمي لا يبرهن على شيء بل يجمع ويصنف ويرتب ويهذب. كذلك يغيب البرهان كلية. فليس المقصود الإقناع بل الحفظ من الضياع. وأسماء الأعلام قليلة. فلا يهم المؤلف بل التأليف. وفي العصور المتأخرة يطغى التأليف على المؤلفين في حضارة جماعية يساهم فيها الجميع قبل امتلاك الفكر وحقوق المؤلفين الفردية.

(ج) «معراج التشوف إلى حقائق التصوف» لابن عجيبة^{٣٢}

وهي رسالة في مصطلحات الصوفية. ليس لها سبب للتأليف إلا تعاليم الشارح ولكون التصوف أشرف العلوم. ويدل على ذلك ألقاب الشارح^{٣٣} وفي المثل الشعبي «ما يشكر

^{٣٢} اللطائف الإيمانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ، (٥)، ص ٢١٣-٢٥٥.

^{٣٣} مثل: «الشيخ الإمام، بحر الهمام، الصوفي الكامل، والعارف الواصل، بحر الحقائق العرفانية، وشمس المعارف العيانة...»، السابق، ص ٢١٣.

في نفسه إلا الشيطان»، ولا يوجد نسق معين في ترتيب المصطلحات لا موضوعياً ولا أبجدياً. البعض منها مصطلح بمفرده، والبعض الآخر مصطلحان معاً أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو سبعة.^{٣٤} ومادة الشرح من الشعر والحديث والقرآن،^{٣٥} وأحياناً تذكر أحاديث الرسول في المنام. وتذكر بعض أقوال الصوفية من أبي علي الدقاق ثم القشيري أصحاب المصطلحات ثم من الجنيد والتستري وابن الفارض ثم الحسن البصري وذو النون والكتاني والسيوطي وابن البنا والجيلاني والجريري وعلي الجمل وأبو العباس المرسي وآخرين.^{٣٦} ويصاحب ذلك تقريب بعضهم بالألقاب وإحصاء علامات الأقطاب.^{٣٧} ولا يحال إلى مصادر أخرى تقتبس منها التعريفات.

(د) «الحكمة الحاتمية والاقتباسات الإلهية» لابن عجيبة^{٣٨}

وهي حكم إلهية جارية على لسان بعض أهل الله. وهي أقرب إلى ألفاظ الصوفية ومصطلحاتهم في ست مجموعات: حكم إلهية، حدود الأصول، الاقتباسات الإلهامية، وشرح الشريعة والطريقة والحقيقة في حديث الرسول، قواعد التربي، أقوال ابن عربي.^{٣٩} وتحتاج إلى إعادة تصنيف في مجموعات أقل. وتعتمد على القرآن والحديث بالرغم من أن التعريفات النظرية هي الغالب عليها.^{٤٠}

^{٣٤} اللفظ الواحد مثل: الإنابة (٤٦ مصطلحاً). واللفظان مثل الرضا والتسليم (١٦)، والثلاثي مثل علم اليقين، عين اليقين، حق اليقين (١٣). والرباعي مثل: التواجد والوجد والوجدان والوجود (٣)، والخماسي مثل: الأحدية والإيجاد والفردانية والوحدانية والانفراد. والسباعي مثل: الصالحون والأولياء والبديلاء والنقباء والنجباء والأوتاد والقطب (١).

^{٣٥} الأشعار (١٩)، الأحاديث (١٥)، القدسية (١)، الآيات (٦).

^{٣٦} أبو علي الدقاق (٥)، القشيري (٤)، الجنيد، التستري، ابن الفارض (٢)، الحسن البصري، ذو النون، الكتاني، السيوطي، ابن البنا، الجيلاني، الجريري، علي الجمل، أبو العباس المرسي (١).

^{٣٧} معراج التشوف، ص ٢٥٢-٢٥٤.

^{٣٨} الواضح المنهاج في نظم ما للتاج (٢)، دار الكتب العلمية، ص ١٢١-١٣٦.

^{٣٩} الحكم الإلهية (١٥٦)، حدود الأصول (١٦)، الاقتباسات الإلهية (٩٨)، الشريعة والطريقة والحقيقة (٢٠)، قواعد التربي (٥)، أقوال ابن عربي (٣٩).

^{٤٠} الآيات (٣)، الأحاديث (١).

(هـ) فهرس شرح المصطلحات الصوفية عند الشيخ ابن عطاء الله السكندري
كما وردت في الحكم للدكتور عاصم إبراهيم الكيالي^{٤١}

وهو ثبت بالمصطلحات الواردة في الحكم مرتبة ترتيباً أبجدياً قام بها أحد الأساتذة الدكاترة المحدثين. لا جديد فيها إلا الرصد والشرح اعتماداً على الكتب القديمة المشابهة. يأتي في مقدمتها «لطائف الإعلام» للكاشاني ثم «موسوعة مصطلحات التصوف» لأحد الزملاء ثم «إيقاظ الهمم» لابن عجيبة المغربي ثم «اللمع» للطوسي ثم «الإنسان الكامل» للجيلي ثم «جامع الأصول» للنقشبندى ثم «المقصد الأسنى» للغزالي ثم «الفتوحات» لابن عربي وغيرها من القدماء والمحدثين.^{٤٢} وتؤخذ اقتباسات بعلامة «انتهى». كما يعتمد على القرآن والحديث والشعر.^{٤٣} ومن الصوفية يحال إلى ابن عجيبة ثم الجنيد ثم الجيلي والداراني والكاشاني، والنخشبي، وابن عطاء الله.^{٤٤}

^{٤١} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ، (٥)، ص ٩٧-٢١٣.

^{٤٢} لطائف الإعلام للكاشاني (٥٢)، موسوعة مصطلحات التصوف (٣٢)، إيقاظ الهمم لابن عجيبة (٢٤)، الإنسان الكامل للجيلي (١١)، اللمع للطوسي (١٠)، جامع الأصول للنقشبندى، التصوف للكلاباذي، مصطلحات الصوفية للكاشاني (٤)، المقصد الأسنى للغزالي، الفتوحات المكية لابن عربي، التنوير في إسقاط التدبير، كشف المحجوب للهجويري، الرسالة القشيرية، الإسفار عن رسائل الأنوار للجيلي (٣)، مصطلحات التصوف لرفيق العجم، الأنوار القدسية للشعراني، ترجمان الأشواق لابن عربي، إحياء علوم الدين، عقد اللآلي في شرح بدء الأمالي للأحسائي، قوانين حكمة الإشراق للشاذلي (١).

^{٤٣} الآيات (٢٩)، الأحاديث (٦)، الأشعار (٤).

^{٤٤} ابن عجيبة (٣)، الجنيد (٢)، الجيلي، الداراني، ابن عطاء الله، الكاشاني، النخشبي (١).

رابعًا: مناهج التفسير

أحد مصادر التصوف تأويل النصوص. ولكل نص حد ومطلع، ظاهر وباطن، حرف ومعنى، إشارة ومشار إليه، ويُستعمل لفظان «تفسير» أسوة بعلم التفسير بالعبارات الشارحة، و«تأويل» وهو التفسير الباطني بإخراج اللفظ من معناه الحقيقي إلى معناه المجازي. ويسمى أيضًا التفسير الإشاري. ونصوص التأويل إما تأويل جزئي لآية أو لحديث أو تأويل كلي لسورة من السور مثل سورة الفاتحة لصدر الدين القونوي أو تأويل شامل للقرآن كله مثل تفسير التستري أو ابن عربي. والأقل هو التأويل النظري أي قواعد التأويل دون تطبيقه على آية أو سورة أو جزء أو ربع أو القرآن كله. وعادة ما يكون التأويل للقرآن وليس للحديث. ورفع التعارض بين الحديث أو الآيتين كما فعل الكاشاني أيضًا من علوم التأويل. والصوفية الذين ساهموا في علوم التأويل هم السلمي (٤١٢هـ)، القشيري (٤٦٥هـ)، الغزالي (٥٠٥هـ)، ابن عربي (٦٣٨هـ)، القونوي (٦٧٣هـ)، الشافعي (٦٧٨هـ)، ابن عطاء الله السكندري (٧٠٩هـ)، الكاشاني (٧٣٠هـ)، محمد وفا (٧٦٥هـ)، الجيلي (٨٣٥هـ)، الكتاني (١٣٢٧هـ).

(١) «زيادات حقائق التفسير» للسلمي (٤١٢هـ)^١

والتفسير والتأويل من موضوعات التصوف النظري استثنائيًا لمرحلة تشكيل الوعي التاريخي من الوعي التاريخي اللغوي إلى الوعي النظري في تفسير القشيري «لطائف الإشارات»، وتفسير ابن عربي للقرآن، والجامي للفاتحة. وغيرها من التفاسير الكلية أو الجزئية. وبداية التفسير عند جعفر الصادق (١٤٨هـ)، والحلاج (٣٠٩هـ)، والتستري

^١ دار الشرق، بيروت، ط٢، ١٩٩٧م.

(٣٠٩هـ). وهو الموضوع المنهجي في علوم التصوف، كيفية التعامل مع النص، فهماً وتفسيراً وتأويلاً. وهي مجموعة زيادات صغيرة ذيلًا على التفسير الكبير «حقائق التفسير»، ومرتبطة ترتيباً زمانياً من سورة الفاتحة إلى سورة الناس. ليس للسور كلها بل لآيات مختارة منها باستثناء الفاتحة.^٢ وتتكرر الآيات والألفاظ لشرحها. وتتقطع إلى ألفاظ للتعليق عليها.^٣ والتفسير تعليق على الألفاظ أو المسائل مقتبسة ثلثاها من صوفية القرون الثاني والثالث والرابع مثل جعفر الصادق (١٤٨هـ)، وابن عطاء (٣٠٩هـ)، والتستري (٣١٩هـ)، والواسطي (٣٢٠هـ)، ومعظمها مفقود وتعتمد على الأحاديث.^٤ ولا يعتمد إلا على الموروث دون الوافد من أقوال الصوفية، التستري ثم جعفر الصادق ثم ابن عطاء، وآخرون كانوا معروفين في عصرهم مثل الأصفهاني والعنبري والذارع. ثم يأتي الجنيد والواسطي ثم الحلاج ثم الخراز ثم البلخي ثم النوري والترمذي ثم ذو النون ثم إبراهيم بن أدهم والبسطامي والداراني. وفي النهاية يظهر أويس القرني والحسن البصري. ومن الأنبياء يتقدم الرسول ثم موسى ثم إبراهيم ثم آدم.^٥

(٢) أعمال القشيري (٤٥٦هـ)

(أ) «نحو القلوب»^٦

وبالرغم من أنه ليس في التفسير إلا أنه في اللغة وطريقة فهم النحو. فالنحو ليس بناءً صورياً يتعلق ببناء الجملة والإعراب كما هو الحال في علم اللسانيات الغربي الحديث

^٢ حوالي ٦٠٠ آية.

^٣ حوالي ٢٠٠٠ لفظ.

^٤ الآيات (٧).

^٥ بعضهم (٣١٩)، التستري (٢٠١) جعفر الصادق (١٦٢)، ابن عطاء الآدمي (١٥٧) أبو نصر الأصفهاني (٩٩)، العنبري (٩١)، الذارع (٨٧)، الطائي (٨١)، الرسول (٨٠)، الجنيد (٧٥)، قبل (٧٢) علي الرضا (٦١)، الواسطي (٥٦)، الحيري (٤٣)، أبو الحسين الفارسي، المكي (٤٢)، أبو بكر الرازي، الجريري (٣٦)، الأبهري، الحلاج (٣١)، الخلد، الشبلي (٢٤)، الخراز (١٨) البلخي (١٧)، النوري، الترمذي (١٥)، ذو النون (١٢)، موسى، يوسف الزاهد (١١)، إبراهيم (١٠) آدم، الوراق، النهرجوري، النصراباذي (٩)، إبراهيم الخواص، يوسف الرازي (٨)، الدقاق (٧)، أبو سعيد القرشي (٦)، السراج، يحيى بن معاذ (٥)، أبو جعفر الرازي، الوراق، أبو حفص النيسابوري (٤)، إبراهيم بن أدهم (٣)، عمر بن عثمان المكي وغيرهم (٢) أيوب، البسطامي، أبو سليمان الداراني، أويس القرني، الحسن البصري وغيرهم (١).

^٦ دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

بل هو نحو القلب أي نحو شعوري نفسي كما هو الحال في علم اللسانيات النفسي الغربي الحديث.^٧ هو نحو إشراقي، إعادة بناء النحو طبقًا للتجربة الصوفية كما حاولت الظاهريات في الغرب المعاصر إعادة بناء الرياضيات والمنطق والفلسفة وعلم النفس على أساس شعوري.^٨ فالقلب عند القدماء هو الشعور عند المحدثين. وقد حاول ذلك الفلاسفة من قبل في المحاوراة الشهيرة بين المنطق والنحو، بين أبي بشر متى بن يونس وأبي سعيد السيرافي ونسبتهما إلى الفكر. فالنحو منطق العرب والمنطق نحو اليونان. ومن ثم فلا حاجة للعرب لمنطق اليونان، ولا حاجة لليونان إلى نحو العرب.^٩ والسؤال هو: هل هناك نحو صوفي غير النحو اللغوي أم أن هذا افتراض علمي وإعلان نوايا لم يتحقق منه شيء، ومن ثم يكون «نحو القلوب» مثل «منطق المشرقيين» الذي يعلن عن منطق خاص بالمشرقيين في المقدمة ثم يأتي المنطق صورياً أرسطياً خالصاً؟^{١٠} ونقطة الالتقاء بين النحو والتصوف هو القصد. فالنحو اشتقاقاً يعني القصد، القصد نحو المعنى، والتصوف هو قصد إلى الله. وقد تم التقابل على نحو الإيجاز مما يدل على إمكانية التطوير فيما بعد من القشيري أو من غيره لما كانت الحضارة مشروعةً مشتركاً بين الجميع.^{١١}

وينقسم الكتاب إلى أجزاء وأبواب وفصول غير مرقمة. وهناك الجزء الثاني دون الأول.^{١٢} وهناك خمسة أبواب عن أقسام الكلام، والأسماء واشتقاقها، وموانع الصرف، والإعراب والبناء، والبدل. ولا تتعلق الفصول بموضوع الأبواب إلا فصلاً واحداً للاسم وقسمته إلى صحيح ومعتل تحت باب الأسماء واشتقاقها. ثم تعود الأسماء في فصل تحت باب الإعراب والبناء. وتحت باب البدل توضع فصول النعت والعطف والتوكيد وحروف الجر. والسؤال هو: هل للنحو والتصوف بنية واحدة؟ وإذا كان التصوف هو الطريق إلى الله أي التوحيد فإن النحو أيضاً قائم على نظام للأولويات. الله حاضر في النحو كما

^٧ علم اللسانيات النفسي Psycho-linguistics.

^٨ انظر كتابنا تأويل الظاهريات، مكتبة النافذة، القاهرة، ٢٠٠٦ م.

^٩ جدل الوافد والموروث، قراءة في المناظرة بين المنطق والنحو بين متى بن يونس وأبي سعيد السيرافي،

هموم الفكر والوطن، ج١، التراث والعصر والحدث، ص١٠٧-١١٨.

^{١٠} من النقل إلى الإبداع، مج٣، الإبداع، ج٢، الحكمة النظرية، ج١، المنطق، ص٨٠-٨٥.

^{١١} نحو القلوب، ص٣.

^{١٢} السابق، ص٣٩.

أن اللغة حاضرة في التوحيد. فالمبتدأ في الجملة الاسمية سابق على الخبر. والفاعل له أولوية على الفعل، والموصوف على الصفة. وفي التصوف الله له الأولوية على العالم. فالله هو المنعوت والموصوف. وهو الاسم والفاعل. والإدغام في اللغة مثل الجمع في التصوف. والمضمر في اللغة هو الباطن في التصوف. النحو والتصوف إذن لهما بنية واحدة. والنحاة هم العارفون. واللغويون هم الواصلون. والحقيقة أن المقاربة بين النحو والكلام وليس التصوف لأن الكلام الأشعري هو الذي يعطي الأولوية لله على الإنسان والعالم، والقدر على الحرية، وللإرادة على قانون الطبيعة. أما التصوف فإنه لا فرق بين الله والإنسان والطبيعة، الحق حق، والخلق حق. والله إنسان كامل، والإنسان الكامل إله.

ويعتمد الكتاب على القرآن ثم الشعر ثم الحديث.^{١٣} وتتوالى الآيات في دفعات.^{١٤} والأحاديث متون بلا أسانيد لبعد عهد التدوين وعلم ميزان الرجال والجرح والتعديل وبعد أن استقرت المعارف عن الرواة. والشعر هو الذي يربط بين النحو والتصوف. وهو أساس التفسير كما قال عمر «عليكم بشعر جاهليكم فإن فيه تفسير كتابكم». كما يعتمد على بعض الأمثلة الفقهية لتوضيح الاقتران في النحو والفقه.^{١٥} ومن أعلام الصوفية لا يذكر إلا الشبلي على التحديد، والشيوخ على الإطلاق.^{١٦}

(ب) «التحبير في التذكير»^{١٧}

وله عنوان فرعي «دراسة لأسماء الله الحسنى وصفاته بقلم باحث صوفي وسني أشعري» والعنوان غريب «التحبير»، أي من حَبَّر أي التدوين والتحرير. و«التذكير» أي إثارة الانتباه لأسماء الله الحسنى. ويدل العنوان الفرعي أن المؤلف باحث صوفي أي أسماء الله الحسنى من وجهة نظر التصوف مثل «نحو القلوب»، النحو من وجهة نظر التصوف. والباحث سني أشعري ينتسب إلى فرقة كلامية بعينها هي فرقة أهل السنة الأشاعرة. وبين التصوف

^{١٣} الآيات (٢١)، الأشعار (١٥)، الأحاديث (٦).

^{١٤} نحو القلوب، ص ٤٤.

^{١٥} السابق، ص ١٧.

^{١٦} السابق، ص ١٤، ٢٤.

^{١٧} دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨ م.

والأشعرية وشائج قربي وأسس نظرية ورؤية للعالم مشتركة. وهو مجرد فصول بلا ترقيم. لكل اسم أو اسمين فصل.^{١٨}

ويمكن أن يدخل في «مناهج التأويل» في الوعي الموضوعي اللغوي أسوة بالوعي التاريخي اللغوي. فهي شرح صوفي لأسماء الله ودلالاتها على الطريق الصوفي. فالله ليس موضوعًا تتمحور حوله صفات مثل الجوهر والأعراض بل هو ذات أقرب إلى الإنسان الكامل. وكل ما به من حياة وعلم وشوق. ويمكن أن يدخل أيضًا في بداية الاغتراب في الوعي النظري نظرًا لأن المؤلف أيضًا له «كتاب المعراج». والأصح أنه محاولة للرد على المتكلمين من أجل إعادة نظرية الذات والصفات والأفعال والأسماء من الموضوع إلى الذات، ومن الخارج إلى الداخل، ومن الاغتراب إلى الأصل، ومن العقل إلى الوجدان، ومن الجدل العقيم إلى الآداب، ومن الحقيقة إلى المجاز وباختصار من الله إلى الإنسان حرصًا على التنزيه ودرءًا للتشبيه.^{١٩} لذلك تختلف الأسماء باختلاف العلوم ومستويات المعرفة.^{٢٠} تعبر عن حاجات الناس ومقتضياتهم وظروف عصرهم. فالأسماء هي مجموع الآمال والغايات والحاجات الإنسانية التي لم تتحقق.^{٢١} والدليل على ذلك الاشتقاق. فلا يوجد اسم إلا وله لفظ مشتق. بل إن لفظ «الله» الجامد لا اشتقاق له هو اسم سامي مشتق من «إل» أي المرتفع العالي، السامي، كما هو الحال في اللغة العبرية. لذلك يُلجأ باستمرار إلى لغة العرب.^{٢٢} بل إن أسماء الأنبياء مشتقة مثل نوح من كثرة النواح. وقد اكتمل ذلك كله في «الإنسان الكامل» عند ابن عربي والجيلي. ثم تشخصت في الحقيقة المحمدية ابتداء من ذو النون مرويًا بابن عربي حتى التصوف العملي واعتبارها واسطة بين الحق والخلق. ويستعمل أسلوب الحوار، وهو أسلوب التعلم بين الشيخ والمريد. والهدف من الكتاب هو القضاء على اغتراب المتكلمين وتصورهم الله في نظرية الذات والصفات والأفعال والأسماء

^{١٨} الفصول ٧٦ فصلًا.

^{١٩} ذكر لفظ الآداب عشر مرات.

^{٢٠} وقيل كاشف «الهم» بقوله ﴿هُوَ﴾، والمهيمن بقوله ﴿الله﴾، والعلماء بقوله ﴿أَحَدٌ﴾، والعقلاء بقوله ﴿الصَّمَدُ﴾، والعوام بقوله ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، التحبير والتذكير، ص ٢٦.

^{٢١} من العقيدة إلى الثورة، ج ٢ التوحيد، الأسماء، ص ٥٣٨-٦٠٠، رابعًا: إلهيات أم إنسانيات؟ ص ٦٠٠-٦٦٤.

^{٢٢} التحبير والتذكير، ص ٦١.

التي انفصلت عن أساسها في التجارب الإنسانية الحية. وتحجرت وتشيّأت وتحولت إلى موضوعات خارج الوعي الإنساني. ونموذج ذلك «المقصد الأسنى في معرفة أسماء الله الحسنی» للغزالي. فالأسماء والصفات الإلهية في أصلها ونشأتها أسماء وصفات إنسانية، وأحوال صوفية. وما أسهل من ردها إلى أصلها في المقامات والأحوال. ففي المقامات، التواب من التوبة، والغني من الفقر عن طريق القلب، والشكور من الشكر، والوكيل من التوكل، والصبور من الصبر. وفي الأحوال، القابض والباسط من القبض والبسط، والواجد من الوجد، والجامع من الجمع. ومن الفضائل، الكريم من الكرم. ومن أحوال الطريق وتهذيب النفس، الحسيب من المحاسبة، والرقيب من المراقبة، والمجيب من الدعاء، والولي من الولاية، والحق من الحقيقة. بل إن كثيرًا من الصفات والأسماء هي أصلًا مصطلحات الصوفية مثل العلي من العلو أو سمو، والظاهر والباطن مقولتان معرفيتان لقراءة النص، والواجد من الوجد، والجميل والجليل من الجمال والجلال. أما الصفات النقيضة التي تبدو بعيدة عن التجربة الإنسانية فإنها تؤوّل أيضًا تأويلًا إنسانيًا لردها إلى أصلها ولو عن طريق القلب مثل المنتقم الذي يعني العدل ضد الظلم، والجبار الذي يعني الجبر والمداواة مثل جيرة الطبيب، والمتكبر الذي يعني التواضع، والمميت الذي يعني المحيي، والقهار تعني المحبة لقهر الحب. والغاية من هذه الصفات التخويف من أجل الرجاء. فكل صفة أو اسم في الله هي في الأصل حال أو مقام إنساني. والخلاف بينما في الحقيقة والمجاز، هل هي في الله حقيقة وفي الإنسان مجازًا أم هي في الله مجازًا وفي الإنسان حقيقة طبقًا لقياس الغائب على الشاهد؟ فكل «ثيولوجيا» هي في الأصل «أنثروبولوجيا» مقلوبة، من الأرض إلى السماء. ولا تفهم إلا بردها إلى وضعها الصحيح، وتحويلها من السماء إلى الأرض، خاصة «المقدم والمؤخر» مما يساعدان على نشأة فلسفة في التاريخ وبلورة الوعي التاريخي الذي غاب في علم الكلام بسبب اغتراب الماضي في النبوة، والمستقبل في المعاد، والحاضر في الإمامة.^{٢٣} وتبقى بعض المسائل الكلامية التي لم تختف بعد مثل الجدل حول الاتحاد ضد النصارى.^{٢٤}

^{٢٣} السابق، ص ٨٢.

^{٢٤} السابق، ص ٩٤.

ويعتمد على القرآن ثم الشعر والحديث.^{٢٥} وتذكر المتون دون الأسانيد. يكفي «وفي الخبر» أو «وفي الأثر». كما يعتمد على كثير من حكايات الصوفية ورواياتهم وكراماتهم مثل ذي النون. وينهل من الإسرائيليات باعتبارها أحد المصادر الرئيسية عن الأنبياء السابقين، إبراهيم وداود وسليمان وموسى وعيسى.^{٢٦} ويعتمد على كثير من أقوال الصوفية. يتقدمهم الشبلي والجنيد، ثم التستري والدقاق، ثم البسطامي والخراز، ثم ذو النون ويحيى بن معاذ وحاتم الأصم وبشر الحافي وجعفر الصادق والسري السقطي والمرتعش والنصر أبانزي والجريري وإبراهيم بن أدهم وآخرون. ومن الفقهاء يحال إلى الشافعي، ومن المدن إلى بغداد وعسقلان. ويحال إلى جماعات مثل بعض المشايخ وبعض العارفين وأهل المعرفة وأهل الإشارة وأهل الحق والأكابر والحكماء أو بعضهم، ومن الفرق غير الإسلامية النصاري، وبعض الصالحين، وبعض الأفراد.^{٢٧} ويغيب التحليل العقلي. وتندر القسمة العقلية التي هي إحدى وسائل التعريف.^{٢٨}

(ج) «شرح أسماء الله الحسنی»^{٢٩}

لا يعني الشرح هنا المعنى الاصطلاحي للفظ تفصيل نص وتفسيره بنص آخر موازي بل يعني مجرد بيان وقراءة وتأويل. وهو استئناف لموضوع «التحبير والتذكير» مع مزيد من التفصيل، والهدف القضاء على الاغتراب الديني في علم الكلام، نظرية الذات والصفات والأفعال والأسماء والعودة بها إلى مصادرها في التجربة الإنسانية، والعودة بالإنسان الكامل إلى الإنسان المتعين.^{٣٠} للكتابان نفس الأسلوب ونفس المادة ونفس الهدف. وهو

^{٢٥} الآيات (١٠٩)، الأحاديث (٢٠)، القدسية (٤)، الأشعار (١٨).

^{٢٦} الإسرائيليات (١١).

^{٢٧} الشبلي، الجنيد (٨)، إبراهيم بن أدهم، ذو النون، البسطامي (٦)، التستري (٥)، الدقاق، الخراز (٤)، يحيى بن معاذ (٣)، بشر الحافي، ابن فورك، الكتاني، سلمان الفارسي، حاتم الأصم، جعفر الصادق، السري السقطي، المرتعش، النصر أبانزي، الأحنف بن قيس، الجريري، مالك بن فضول، الخواص، أبو عثمان الحيري. ومن الفقهاء الشافعي (٢) ومن الصحابة ابن عباس، أحمد بن خضرويه، عبد الله بن خفيف، النوري، أبو الدرداء، المحاسبي، الواسطي، الفضيل بن عياض (١).

^{٢٨} قسمة الناس أربعة أقسام والصبر في حق العباد إلى ثلاثة أقسام، التحبير والتذكير، ص ٥١، ٩٥.

^{٢٩} دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

^{٣٠} «من العقيدة إلى الثورة»، مج ٢، التوحيد (الإنسان الكامل)، مج ٣، العدل (الإنسان المتعين).

سبب التأليف.^{٣١} لذلك تكثر كلمة «آداب» أي إن الأسماء ليست حقائق نظرية مجردة بل هي آداب عملية وسلوك.^{٣٢} وكثير من الأسماء أحوال صوفية مثل القابض والباسط.^{٣٣} وينقسم الكتاب إلى أبواب وفصول، الباب عرض الاسم في علم الكلام على المستوى النظري المجرد الشيعي الموضوعي الثابت. والفصل ينقل الاسم إلى مستوى التجربة الحية والخبرة البشرية عودًا إلى الأصل، وقضاء على الاغتراب.^{٣٤} الأبواب الستة الأولى في الأسماء بوجه عام. والأبواب التالية في الأسماء التسعة والتسعين تفصيلًا. والهدف واحد وهو الانتقال من الصوري إلى العياني، ومن المجرد إلى التجريبي، ومن الآخر إلى الأنا. فإذا كان ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ في علم الكلام فإنها في التصوف «من عرف اسم ربه نسي اسم نفسه» أي علاقة الله بالنفس وليس علاقة الله بذاته. ولا فرق بين أسماء الله الحسنى وأسماء العبيد الحسنى.^{٣٥} والدعاء مشترك في العلمين. وإذا كان ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ في علم الكلام فإنه في التصوف تعظيم للرب وفضل البركة

^{٣١} «فقد كثر سؤال الراغبين في علم التذكير منا في إملاء كتاب يشتمل على أبواب في هذا الفن يكون تبصرة للمبتدئين، وتذكرة للمحققين. وكنت أزهد في الإجابة إلى ذلك لما ظهر من الخلل في هذه الطريقة، وإيثار كثير ممن ينتمي إلى هذه الصنعة العرض اليسير مما يجمعه من حطام الدنيا على ما أعده الله سبحانه لأهل العلم إذا نصحوا لله ولرسوله وللمؤمنين من الدرجات العلا والمثوبة الحسنى. ولما انضاف إلى خطأ مقاصدهم في الأغراض خطأ مقالتهن، وخطل كلماتهن حتى قل التحقيق وشاعت البدع على الأفواه، وزال التمييز، وكثر المتعاطون لهذه الحالة والمتصوفون بهذه الصفة رأيت في حكم النصيحة في الدين ومقتضى ما أخذه الله على العلماء من ترك الكتمان للحق أن أُملي كتابًا جامعًا يشتمل على حضور مجلس موسمي صالح من هذا العلم يتحقق به من تأمله. وربما لا يتفق لبعض الراغبين في الاعتاز حضور مجمع الذكر فيعتاض بالنظر فيه عما فاته التذكير»، شرح أسماء الله الحسنى، ص ١٠.

^{٣٢} فصل من آداب من عرف أن الملك لله تعالى، شرح أسماء الله الحسنى، ص ٦٨-٧٠، فصل من آداب من عرف اسمه تعالى القدوس، ص ٧١. فصل آداب من تحقق باسمه تعالى السلام، ص ٧٣-٧٦. فصل آداب من عرف أنه العزيز جل جلاله، ص ٨٤. آداب من عرف اسمه تعالى الجبار، ص ٧٨. فصل آداب من عرف أن الله تعالى المتفرد بالإيجاد، ص ٩٥-٩٦. فصل من آداب من علم أنه تعالى الفتاح، ص ١١٥-١١٧، آداب من علم أنه تعالى من الخفيات، ص ١١٧. فصل ومن آداب علمه تعالى عليا، ص ١١٨-١٢٠. فصل من آداب من علم أنه تعالى شكور، ص ١٤٧-١٤٨. فصل من آداب من علم أنه تعالى المحصي، ص ٢٠١-٢٠٢. فصل من آداب من عرف تلك الأسماء، ص ٢٢٩-٢٣٠.

^{٣٣} السابق، ص ١٢٠-١٢٢.

^{٣٤} الأبواب (٨٢)، الفصول (١٠٢)، الأبواب المزدوجة التي تتناول اسمين (٢١).

^{٣٥} شرح أسماء الله الحسنى، ص ١٣-١٤.

والإحسان. وإذا كان في علم الكلام ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ فالتسبيح في التصوف فعل ذاتي وتقديس الأعمال عن الرياء حتى يصدق التسبيح. وكل اسم مشفوع بتعبير «جل جلاله» للتعظيم. فتعظيم الأسماء لا يتنافى مع أصله الإنساني. ويعني القدوس للعابدين والزاهدين والعارفين. ويعني المؤمن إجازة الله لعبده وأمانه. ويعني العز طاعة الله. ويعني الجبار تفويض الأمور إليه، وترك ما تهوى النفس، والرضا بحكم المولى. وتعني المتكبر الصديق في المحبة والإخلاص في الود. ويعني القهار قهر نفوس العابدين وقلوب العارفين وأرواح المحبين. وتعني الرزاق ما خص به الله تعالى الأغنياء والفقراء، وطلب الله من الحوائج العظيمة. والفتاح ما يفتحه الله على الخلق، والخافض الرافع في الدنيا والعاقبة، والحليم لرجاء العفو، والعلي الكبير للتواضع والتقوى، والمقيت لاختلاف الأقوات، والحسيب للرقابة والحساب، والمجيب القصد إليه، والواسع الإحسان، والباعث أي الرجاء، والمحصي الإحصاء على النفس، والمبدئ والمعيد للأوقات، والمقتدر للكرم. والرشد هو الرشد للنفوس والقلوب والأرواح والأسرار. والحق مطلبه الشافي.^{٣٦}

ويستشهد الكتاب بالقرآن ثم الشعر ثم الحديث.^{٣٧} والمتون بلا أسانيد. يكفي في «بعض الأخبار» أو في «خبر مسند» أو في القصص.^{٣٨} كما يستشهد بعدد من روايات الصوفية وحكايات الصالحين.^{٣٩} ويذكر اسم ما يربو على ستين صوفياً يتقدمهم بطبيعة الحال حماد أبو علي الدقاق ثم الشبلي ثم يحيى بن معاذ، والتستري والجنيد، ثم ذو النون، ثم الخراز وأبو الحسن البصري، ثم البسطامي، وحاتم الأصم، ثم بشر الحافي، والسري السقطي، وإبراهيم الخواص، والفضيل بن عياض، ومعروف الكرخي، ثم مالك بن دينار، وشقيق البلخي، وإبراهيم بن أدهم، والسلمي وعشرات آخرون. ومن المجموعات يذكر بعضهم، ثم «بعض المشايخ»، وأهل الحق، وبعض أهل المعرفة، وبعض الحكماء، وأهل التحقيق، وبعض الصالحين وبعض المفسرين.^{٤٠} وتذكر أقوال متعددة لهم دون

^{٣٦} السابق، ص ١٥٢-١٥٤.

^{٣٧} الآيات (٣٢١)، الأشعار (١٣٠)، الأحاديث (٣٥).

^{٣٨} شرح أسماء الله الحسنى، ص ١٢، ١٠٣، ١٠٦.

^{٣٩} السابق، ص ٨٨.

^{٤٠} أبو علي الدقاق (١٨)، الشبلي (٨٦)، يحيى بن معاذ، التستري، الجنيد (٦)، ذو النون (٥)، الخراز، الحسن البصري (٤)، البسطامي، النوري، حاتم الأصم، الحواري (٣)، بشر الحافي، الواسطي، السري

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

تخطئة أحد. ويحال إلى متكلمين مثل الكرامية وإلى فقهاء مثل الشافعي.^{٤١} وتذكر بعض المصادر المدونة. ويستعمل أسلوب القيل والقال كما تذكر العديد من الإسرائيليات. ويغيب التحليل العقلي باستثناء القسمه.^{٤٢}

(د) «لطائف الإشارات» (٤٦٥هـ)^{٤٣}

وهو استئناف «زيادات حقائق التفسير للسلمي» في التفسير الإشاري كما يدل عليه العنوان. وهو تفسير طويل، من الفاتحة حتى الناس. لا يوجد منه إلا التفسير من الفاتحة حتى سورة النحل، أي ست عشرة سورة من مجموع القرآن. وهو يعادل الخمس تقريباً من حيث الكم مما يكفي لإصدار حكم عليه. وتقطع السور إلى آيات، والآيات إلى ألفاظ، من الكل إلى الجزء. فتتناثر الإشارات دون جامع نظري لها. ولا تسمى السور بأسمائها الحالية في البقرة وآل عمران ... إلخ، بل بالسور التي يذكر فيها البقرة، آل عمران. فالسور ليس لها أسماء بل موضوعات.

تكشف عن الصلة بين التصوف والأشعرية فهي نظرة مركزية واحدة للعالم مع اختلاف المنهج، النقل العقلي في الأشعرية والذوقي في التصوف. بل هو تصوف عائلي فالمؤلف زوج ابنة أستاذه أبو علي الدقاق، وأستاذه السلمي والجويني. قد يكون قد تحول إلى التصوف لمحنة سياسية ألمت به وهروبه وتهديده بالقتل. وقد رأى بعد تصوفه وهو على المنبر غريمه الوزير وهو يُقطع إرباً إرباً كما رأى عمر وهو على المنبر في المدينة معركة الشام وتنبئه سارية بالتفاف الأعداء حوله.

يعلن عن منهجه في التأليف منذ البداية، وهو المنهج الإشاري المستمد من إشارات القرآن وكما يرويها أهل المعرفة إما من معانيها أو من أصولها بطريقة الإيجاز خوفاً

السقطي، إبراهيم الخواص، الفضيل بن عياض، معروف الكرخي، الكتاني، الحيري (٢)، مالك بن دينار، شقيق البلخي، إبراهيم بن أدهم، السلمي، النصر أبانزي، سلمان الفارسي، أبو عثمان المغربي، فتحي الموصلي، سفيان الثوري، محمد المرتعش وعشرات آخرون.

^{٤١} شرح أسماء الله الحسنى، ص ١٣١، ١٣٥.

^{٤٢} السابق، ص ١٤٣.

^{٤٣} دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت).

من الملل ولو أن الإيجاز أصبح قصيراً للغاية أصغر من الآية نفسها أحياناً.^{٤٤} وأحياناً تكون الآية أوضح من تفسيرها السطحي المقتضب.^{٤٥} وقد يكون الدافع هو التحول في التصوف من الشكل إلى المضمون بعد أن أصبح لبس خرقة وإطالة لحية. فالتصوف بهذا المعنى حركة إصلاحية داخل التصوف نفسه، التجربة الذاتية في مقابل المظاهر الخارجية. ويتحول التفسير من مستوى المعرفة النظرية إلى مستوى الأخلاق العلمية، ومن المستوى الإلهي والطبيعي إلى المستوى الإنساني.

فماذا تعني الإشارة؟ تعني إحالة لفظ القرآن إلى شيء، ليس في الخارج، في التاريخ مثل القصص أو في الواقع مثل التشريع بل إلى تجربة إنسانية حية، إلى عالم الشعور. فالتصوف انتقال من الخارج إلى الداخل، والتحويل من العالم إلى الإنسان كما هو الحال منذ «إخوان الصفا»، الإنسان عالم صغير، والعالم إنسان كبير. لا تعني الإشارة المطابقة مع الخارج كما هو الحال في نظرية الصدق التجريبي بل كشف الإشارة لعالم داخلي في الشعور. وقد تختلف الإشارات باختلاف الأحوال النفسية في لحظات زمنية مختلفة. فلا توجد إشارة ثابتة في شعور متدفق جارف. فيتكرر تفسير البسملة مثلاً بتفسير حالات المفسر عبر الست عشرة سورة.

يعني التفسير الإشاري رد النص إلى التجربة الصوفية، واكتشاف التصوف داخل النص. فالمقامات والأحوال والطريق كلها في النص.^{٤٦} مثل إشارة النص إلى الزاهدين والقبض والبسط والبر والوسيلة والحمد والموعظة والفضل والقصص.^{٤٧} وتساعد المعاني

^{٤٤} «وكتابتنا هذا يأتي على ذكر طرق من إشارات القرآن على لسان أهل المعرفة، إما من معاني حقولهم أو قضايا أصولهم. سلكنا فيه طريق الإقلال خشية الملل»، لطائف الإشارات ج ١، ٥٣.

^{٤٥} وقد ساهمت طريقة التحقيق والطباعة في إبراز ذلك، بطباعة القرآن وكأنه شعر عمودي، والتفسير وكأنه نثر فني، فطال الشعر على حساب التفسير، وقصر التفسير لحساب الشعر، وتختلف التفسيرات كمّاً تبعاً لطول السورة: البقرة (١٦٥)، آل عمران (٩٢)، النساء (٨٦)، الأعراف (٨٥)، التوبة (٧١)، المائدة (٦٣)، الأنعام (٥٧)، الرعد (٥٣)، يوسف (٥١)، هود (٤٤)، الأنفال (٤٠)، النحل (٣٦)، إبراهيم (٢٤)، الحجر (٢٢).

^{٤٦} لطائف الإشارات، ج ١، ٦٩، ٧١، ٩٣، ١٠٢، ١٠٣، ١١٦، ١٢١-١٢٢، ١٢٤-١٢٥، ١٦٦-١٦٧، ٢٠٢-٢٠٣، ٢١٩، ٢٣٠، ٢٤١.

^{٤٧} من النص إلى الواقع، ج ٢، الباب الثاني، الوعي النظري. الفصل الأول، المنظوم (اللفظ) ثانياً: البيان، ص ٢٤٩-٢٦٢.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

الاشتقاقية على ذلك. فالمعنى الاشتقاقي هو الذي يحيل اللفظ إلى نشأته الحسية واستعماله العرفي التداولي قبل أن يتحول إلى معنى اصطلاحى. للقشيري تفسير آخر «التيسير في التفسير» يغلب عليه التفسير اللغوي الخالص مثل «إعراب القرآن» للزجاج. ولا يغرق في التصوف مثل «تفسير ابن عربي». ويصدر الجزء الثاني بدعاء.^{٤٨}

ويعتمد على ألفاظ القول مثل «قيل».^{٤٩} وترد عدة أقوال متفرقة في موضوع واحد مما يوحي بتعدد الآراء حتى عند الصوفية أنفسهم.^{٥٠} ويعتمد التفسير على الشعر أولاً ثم الحديث ثانياً. ويفوق الشعر الحديث بسبعة أضعاف مما يبين مدى التماهي بين التجربة الصوفية والتجربة الشعرية.^{٥١} وتذكر الأشعار دون الشعراء، والأحاديث دون المحدثين. فالهم هو النص وليس قائله أو راويه. وكثيراً ما يذكر «وفي الخبر». ولا يُذكر من أعلام الصوفية أحد. فالتجربة الصوفية تجربة ذاتية لا تروى ولا تُقص ولا تُحكى. ولا يتم التفسير عن طريق أقوال هذا الصوفي أو ذاك بل عن طريق التجربة الصوفية الذاتية للمفسر. ولا يظهر إلا أبو علي الدقاق، حماه، مرة واحدة. كما تظهر الإسرائيليات كمصدر رئيسي للأخبار عن الأنبياء السابقين مع بعض الآيات من الكتب المقدسة السابقة مثل الزبور.^{٥٢}

(٣) مؤلفات الغزالي (٥٠٥هـ)

(أ) «قانون التأويل»^{٥٣}

وهو عرض نظري لفرق التأويل أكثر منه لمناهجه. وهو إجابة على سؤال عن معنى حديث عن جريان الشيطان في الإنسان مجرى الدم.^{٥٤} هل مثل الماء بالماء أو الماء بالعود؟ وهل يمكن الجمع بين القول الشرعي القائم على النقل والقول الفلسفي القائم على العقل؟ وماذا

^{٤٨} لطائف الإشارات، ج ٣، ٣.

^{٤٩} السابق، ج ٣، ٦٤.

^{٥٠} السابق، ج ٣، ٦٧، ١٠٢، ١٠٣، ١٢١، ١٢٤-١٢٥، ١٦٦-١٦٧، ٢٣٠-٢٤١.

^{٥١} الأشعار (٣٢٤)، الأحاديث (٤٦).

^{٥٢} الإسرائيليات (٩)، لطائف الإشارات، ج ٣، ٧١.

^{٥٣} مجموعة رسائل الإمام الغزالي (٧) ص ١٢١-١٣٢.

^{٥٤} هو حديث «إن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم».

عن الصرع، من الجن أو الإنسان؟ وماذا عن إخبارهم بالغائب؟ وماذا عن إدبار الشياطين عند الأذان؟ وماذا عن البرزخ والملائكة والجنة والحوض؟^{٥٥} وهي موضوعات يصعب الخوض فيها.^{٥٦} فإذا ما تكررت فإنه يمكن الإجابة عنها بقانون كلي هو قانون التأويل. وهو الذي يقسم الناس إلى خمس فرق: العقل دون النقل، النقل دون العقل، النقل دون أساس العقل، العقل أساس النقل، التوحيد بين النقل والعقل وهو الوسط بين الأطراف.^{٥٧} وهي بنية أحكام التكليف الخمسة الواجب والمحرم والمندوب والمكروه والمباح.^{٥٨} وينتهي الغزالي بإعطاء ثلاث وصايا: عدم الاطلاع على كل ذلك، عدم تكذيب برهان العقل، الكف عن تعيين التأويل عند تعارض الاحتمالات لخطورة الظن والتخمين.^{٥٩} ويعتمد على القرآن والحديث.^{٦٠} ويحيل إلى الفلاسفة والطبيين، ومن الفقهاء إلى مالك.^{٦١}

(ب) «المقصد الأسنى، شرح أسماء الله الحسنى»^{٦٢}

وهو كتاب في الأسماء. وهي الدائرة الرابعة بعد الذات والصفات والأفعال.^{٦٣} ولا يعني شرح هنا تفسير النص، بل يعني بيان المعنى وتوضيح القصد وكشف الغاية. لذلك كان عنوان الفن الثاني «في المقاصد والغايات». وهو أكبر الفنون الثلاثة. الأول في

^{٥٥} قانون التأويل، ص ١٢١-١٢٣.

^{٥٦} «أسئلة أكره الخوض فيها والجواب»، السابق، ١٢٣.

^{٥٧} «بين المعقول والمنقول تصادم في أول النظر وظاهر الفكر. والخائضون فيه تحزبوا إلى مفرط بتجريد النظر إلى المنقول وإلى مفرط بتجريد النظر إلى المعقول وإلى متوسط طمع في الجمع والتلفيق. والمتوسطون وانقسموا إلى من جعل المعقول أصلًا والمنقول تابعًا فلم تشد عنايتهم بالبحث عنه وإلى من جعل المنقول أصلًا والمعقول تابعًا فلم تشد عنايتهم بالبحث عنه وإلى من جعل كل واحد أصلًا ويسعى في التأليف والتوفيق بينهما»، قانون التأويل، ص ١٢٣.

^{٥٨} من النص إلى الواقع، ج ٢، الباب الثالث: الوعي العملي، الفصل الرابع: أحكام التأليف ثانيًا: أحكام التكليف الخمسة (مستويات السلوك)، ص ٥٧١-٥٨٣.

^{٥٩} قانون التأويل، ص ١٢٦-١٢٨.

^{٦٠} الآيات (٤)، الأحاديث (٣).

^{٦١} الفلاسفة (٢)، الطبيعويين، مالك (١).

^{٦٢} مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٦١م.

^{٦٣} من العقيدة إلى الثورة، ج ٢، التوحيد، الفصل السادس: الوعي المتعين، ثالثًا: الأسماء ص ٥٣٨-٦٠٠.

«السوابق والمقدمات»، والثالث «في اللواحق والتكملات»، وهو أصغرهما.^{٦٤} ولكل من الفنين الثاني والثالث ثلاثة فصول، والأول أربعة. وهي بنية محكمة، المؤلف على وعي بها.^{٦٥} الموضوع الكلام الصوفي مثل «تحبير التذكير» و«شرح أسماء الله الحسنى» للقشيري (٤٦٥هـ). الفن الأول تحليل علمي وضعي لساني عن الاسم والمسمى والأسماء المتقاربة المعاني المختلفة المفاهيم وفي الاسم الواحد الذي له أسماء مختلفة. ثم يأتي التحول من الكلام إلى التصوف في الفصل الرابع «في أن سعادة العبد تخلقه بأخلاق الله» أي إن الأسماء مُثل عليا للسلوك الإنساني.^{٦٦} فاللفظ يُسمع، والمعنى يُفسر ويُفهم، والوضع يُرى بالقلب. فالتأويل له مستويات ثلاثة: اللفظ والمعنى والشيء.^{٦٧} وللنفس في الأسماء حظوظ منها السعي في اكتساب الحكمة، ومنها التخلق بها والتحلي بمحاسنها حتى يصير الإنسان إلهاً والآلة إنساناً كما هو الحال في «الإنسان الكامل».^{٦٨} وهذا يتطلب البعد عن تصور العوام الذي يقوم على التشخيص، والاقتراب من تصور الخواص الذي يقوم على التنزيه.^{٦٩}

^{٦٤} الفن الأول «في السوابق والمقدمات» (٢٨)، الفن الثاني «في المقاصد والغايات»، الفن الثالث «في اللواحق والتكملات» (٩).

^{٦٥} «صدر الكتاب. نرى أن نقسم الكلام في الكتاب إلى ثلاثة فنون. الفن الأول في السوابق والمقدمات. الفن الثاني في المقاصد والغايات. الفن الثالث في اللواحق والتكملات. وفصول الفن الأول تلتفت إلى المقاصد التفات التمهيد والتوطئة. وفصول الفن الثالث تنعطف عليها انعطاف التتمة والتكملة، ولباب المطلب ما تنطوي عليه الوساطة»، المقصد الأسنى، ص ٣.

^{٦٦} الفصل الرابع: «في بيان أن كمال العبد وسعادته في التخلق بأخلاق الله تعالى والتحلي بمعاني صفاته وأسمائه بقدر ما يتصور في صفة»، السابق، ص ٢٠.

^{٦٧} من النقل إلى الإبداع، مج ١، النقل، ج ٣، الشرح الفصل الأول: التفسير أولاً: الشرح، التفسير والتلخيص والجوامع (٣)، اللفظ والمعنى والشيء، ص ٢١-٢٢.

^{٦٨} «الحظ الثالث: السعي في اكتساب الممكن في تلك الصفات، والتخلق بها، والتحلي بمحاسنها. وبه يصير العبد ربانياً أي قريباً من الرب تعالى فإنه يصير رفيقاً للملأ الأعلى من الملائكة فإنهم على بساط القرب ...»، المقصد الأسنى، ص ٢١.

^{٦٩} وكذلك معرفة الله سبيلان: أحدهما قاصر، والآخر مسدود. أما القاصر فهو ذكر الأسماء والصفات وطريقة التشبيه بما عرفناه من أنفسنا. فإننا عرفنا أنفسنا قادرين عالمين أحياء، وأما السبيل الثاني المسدود فهو أن ينتظر متكلمين ثم سمعنا ذلك في أوصاف الله ... العبد أن تحصل له صفات الربوبية كلها حتى يصير رباً، السابق، ص ٢٦-٢٧، وأيضاً من العقيدة إلى الثورة ج التوحيد. الفصل السادس الوعي المتعين، رابعاً: إلهيات أم إنسانيات، ص ٥٨٦-٦٦٤.

وذلك يتطلب الجهد. ولا يتحقق عن طريق الانتظار. فكل اسم له تنبيه أو دقيقة أو فائدة تذكر حظ الإنسان فيه. فالأسماء لا تشير إلى موضوع خارجي بل إلى تجربة إنسانية. وهو موقف الصوفية.^{٧٠} وهو أفضل من حلول أربعة أخرى وهي المماثلة أو انتقال الأسماء الإلهية إلى الإنسان أو اتحادها معاً أو حلولها فيه. في الله الاسم غير المسمى لأن الاسم معلوم والمسمى مجهول. وفي الإنسان الاسم هو المسمى لأن الاسم معلوم والمسمى معلوم. فكل اسم ليس اسمًا في ذاته بل به الله. فالله ليس مسمى أي ليس شيئاً بل له دلالة إنسانية.^{٧١} فكل اسم لله هو تجربة إنسانية. ومجموع الأسماء الإلهية هي مجموع التجارب الإنسانية.^{٧٢} وهو الموقف الشرعي.^{٧٣}

^{٧٠} «إن الأسماء التسعة والتسعين تصير أوصافاً للعبد السالك وهو بعد في السلوك غير واصل (الكركاني)»، السابق، المقصد الأسنى، ص ٩٧-٩٨.

^{٧١} «لا تتعجب من هذا في صفات الله تعالى فإن المعنى الذي به الإنسان إنسان ظاهر باطن، فإنه ظاهر إن استدلل عليه بأفعاله المرتبة المحكمة، باطن إن طلب من أدرك الحس ...» المقصد الأسنى، ص ٨٨. وهو معنى حديث.

^{٧٢} فالمتكبر من العباد هو الزاهد العارف. والخلق والتصوير في القلوب البشرية. والغفار هو الذي يظهر الجميل ويستتر القبيح. والقهار من العباد من قهر أعداءه وأعدى أعداء الإنسان نفسه التي بين جنبيه. والوهاب جود العبد وهباته. والرزاق رزق العلم الهادي واللسان المرشد والمعلم واليد المنفقة المتصدقة. والفتاح انفتاح لسان الإنسان. والقبض والبسط إلهام بواقع الحكم وجوامع الكلم. والرفع والخفض للحق والباطل. والمعز والمذل أي الخلاص من ذي الحاجة وقهر الشهوة. والسمع والبصر للإنسان والحكيم حكمة الإنسان. والعدل جعل الشهوة والغضب أسيرين تحت إشارة العقل والدين وإلا وقع الظلم وهو العدل الشرعي مع النفس والأسرة والناس. والطف هو الرفق بالناس. والخبير هي الخبرة بما يجري في العالم أي المعرفة العلمية. والحليم لأن الحلم من محاسن الخصال. وهو أمر بديهي مستغن عن الشرح والإطناب. والعظيم من العباد والأنبياء والعلماء. والكبير هو الكامل. والحفيظ من الناس من يحفظ جوارحه وقلبه ودينه من الغضب والشهوة وخداع النفس وغرور الشيطان. والجليل والجميل من الناس من حسنت صفاته الباطنة والقلوب البصيرة والرقيب هو الانتباه من الغفلة. والواسع السعة في المعارف والأخلاق. و(الحكيم معرفة الأشياء وأفضلها)، والحميد من حمدت عقائده وأخلاقه وأعماله وأقواله. والصمد هو القصد في الحوائج لتحقيق الرغائب. والعفو هو العفو عن الظالم. والمقسط إنصاف المظلوم. والجامع الجمع بين الآداب الظاهرة في الجوارح وبين الحقائق الباطنة في القلوب. والمانع منع أسباب الهلاك والنقصان في الأديان والأبدان. والضر والنافع منع الضر وجلب المنفعة. والصبور ثبات العقل أو الدين في مقابل الشهوة والغضب.

^{٧٣} طبقاً لحديث «تخلقوا بأخلاق الله تعالى»، «إن لله تعالى كذا وكذا خلقاً. من تخلق بواحدة منها دخل الجنة.»

وهذه الأسماء التوقيفية غير مقصورة على العدد تسعة وتسعين بل تتجاوزه إلى ما لا نهاية. لذلك فهي أقرب إلى الاصطلاح طالما أن آليات التسمية معروفة والتجارب الإنسانية في حاجة إلى تشخيص فاعل للعجز عن تحليلها كأوضاع اجتماعية تحكمها العلل والأسباب.^{٧٤} إنما فائدة الإحصاء والتخصيص هو إعطاء النموذج والآلية والمفتاح.^{٧٥} ويمكن معرفتها قياساً عن طريق العقل.^{٧٦} وقد كان التأليف بناء على سؤال. وتمت الإجابة بالرغم من صعوبة الموضوع ومخاطرة الإفصاح عن الحق.^{٧٧} ويعتمد الكتاب على الحديث والقرآن والشعر والإسرائيليات.^{٧٨} وتتوالى الأحاديث.^{٧٩} ومع ذلك الاعتماد الأعظم على تحليل التجارب الإنسانية. كما يعتمد على بعض أقوال الصوفية مثل الجنيد والأستاذ (الدقاق) والقرمدي والكركاني. كما يعتمد على بعض المتكلمين كالأشعري والباقلاني، وعلى بعض الفقهاء مثل ابن حزم وأحمد والبيهقي. كما يشير إلى بعض الفرق الكلامية كالمعتزلة. ويحيل إلى الفلاسفة.^{٨٠} كما يحيل إلى بعض مؤلفاته الأخرى مثل «الإحياء» و«التهافت».^{٨١}

(٤) رسائل ابن عربي (٦٣٨هـ)

ويمكن تصنيف رسائل ابن عربي في الوعي النظري في موضوع التأويل: تأويل التنزيل، تأويل الحروف.

^{٧٤} «في بيان أن أسماء الله تعالى من حيث التوقيف غير مقصورة على تسع وتسعين بل ورد التوقيف بأسماء سواها...»، المقصد الأسنى، ص ١٠٦.

^{٧٥} «في بيان فائدة الإحصاء والتخصيص بتسعة وتسعين...»، السابق، ص ١٠٨.

^{٧٦} «في بيان أن الصفات والأسامي المطلقة على الله تعالى هل تقف على التوقيف أو تجوز بطريق العقل. والذي مال إليه القاضي أبو بكر (الباقلاني) أن ذلك جائز إلا ما منع منه الشرع إذا شعر بما يستحيل معناه على الله تعالى. فأما ما لا مانع فيه فإنه جائز». وهو عكس رأي الأشعري، السابق، ص ١١٢.

^{٧٧} «فقد سألتني أخ في الله يتعين في الدين إجابته شرح معاني أسماء الله الحسنى ... أحدهما أن هذا الأمر في نفسه عزيز المرام، صعب المنال، غامض المدرك ... والثاني أن الإفصاح عن كنه الحق فيه يكاد يخالف ما سبق إليه الجماهير وفطام الخلق عن العادات ومألوفات المذاهب عسير...»، المقصد الأسنى، ص ٢.

^{٧٨} الأحاديث (٣٣)، الآيات (٢٠)، الأشعار (٥)، الإسرائيليات (٢).

^{٧٩} المقصد الأسنى، ٧٧-٧٨.

^{٨٠} أحمد، البيهقي، ابن حزم (٣)، الأشعري، الباقلاني، الجنيد، القرمدي، الكركاني (١).

^{٨١} الإحياء (٤)، التهافت (١).

(أ) تأويل التنزيل

ويتناول تأويل التنزيل عدة موضوعات مثل: المحكم والمتشابه، وأسرار القلب، والمكاشفة والتنبيهات.

(١) المسائل لإيضاح المسائل^{٨٢}

وهي مسائل متفرقة، حوالي مائتين وثلاثين، حول آيات قرآنية كراس للمسألة أو كدليل عليها باستعمال القرآن الحر، فهي بلا عناوين. وهي مثل المسائل الفلسفية للفارابي تحتاج أيضاً إلى إعادة تجميع وتبويب في مجموعات أصغر. إذ تتناثر موضوعاتها حول كل مسائل الكلام والفلسفة والأصول والتصوف حتى لا تبدو متفرقة لا رابط بينها. الآيات القرآنية نفسها موضوعات. لذلك تقع في موضوع التفسير والتأويل بتحويلها إلى تجارب معاشة مع تنظير عقلي يبدو فيها ابن عربي أكبر ممثل للوعي الصوفي النظري. وقد يكون موضوع المسألة حديثاً أو شعراً أو أقوالاً من صوفية سابقين مثل الغزالي. وقد تحتوي المسألة على أكثر من آية. وفي رأس الموضوع وآخر كل مسألة اللازمة الأشعرية «الله أعلم». والخطاب موجه للقارئ بلفظ «اعلم». وتظهر بعض ألفاظ الوصل مثل «فائدة»، «تنبيه». وتعتمد على القرآن أكثر من الشعر والشعر أكثر من الحديث.^{٨٣} كما تعتمد على أقوال الصوفية، الغزالي ثم الحلاج ثم الشبلي ثم أبو مدين.^{٨٤} كما يذكر الأنبياء، موسى والخضر ثم هارون.^{٨٥} ومن شخصيات العهد القديم طالوت. ومن المتكلمين الأشعري، ومن المؤلفات يحال إلى «الإحياء» و«مختصر الإحياء».

(٢) «رد المتشابه إلى المحكم من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية»^{٨٦}

وهو في تأويل بعض الآيات والأحاديث التي قد توحى بالتجسيم أو التشبيه وإعادة تأويلها إثباتاً للتنزيه ضد المشبهات التي قيلت حول الصوفية مثل الحلول

^{٨٢} المسائل لإيضاح المسائل (١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م، ص ٢١-١١٨.

^{٨٣} الآيات (١٢٨)، الأشعار (١٤)، الأحاديث (١١)، القدسية (١).

^{٨٤} الغزالي (٥)، الحلاج (٣)، الشبلي، أبو مدين، إبراهيم بن أدهم، ومن المتكلمين الأشعري، ومن الصحابة علي (١).

^{٨٥} محمد، (محمدي) (٤)، موسى، الخضر (٣)، هارون (١).

^{٨٦} المسائل لإيضاح المسائل (٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م، ص ١٢١-١٩٣.

والاتحاد.^{٨٧} وقد يقوى التشبيه في الحديث لتفصيلاته ومخاطبته للعامة ولبسطاء الناس للتوضيح. فألفاظ التشبيه في القرآن والحديث معاً مع اختلاف الدرجة فحسب. ويتم الاحتكام إلى علم التشريح وإلى العلم الطبيعى لتوضيح بعض الأمور المتشابهة.^{٨٨} كما يتم الاحتكام إلى اللغة، فالتأويل لا يكون بالضرورة ضد اللغة. وأحياناً تقطع الآية لفظاً لفظاً كما هو الحال في تأويل آية الإسراء والمعراج.^{٨٩}

ويفصل أوجه التشبيه في الصورة والوحي والرؤية والسمع والبصر والعين، والنفس والقلب والبطن، والأيدي، والعينين، والقدم، والكلام، والجنب، والفوقية، والإسراء، والاستواء، والنزول، والمجيء والإتيان، والمعية، والحب، ولفظ عند وأين، والضحك، والرضا، والغضب ... إلخ. وكلها قياس للغائب على الشاهد، وإسقاط للإنسان على غيره، واستنباط المجهول من المعلوم. وتبرز الموضوعات بألفاظ «تنبيه» و«تبصرة» و«إشارة»، و«تحقيق»، و«تربية» ... إلخ.^{٩٠} ويعتمد على القرآن والحديث والشعر.^{٩١} ومن الصوفية يذكر السهيلي والحكيم الترمذي والهروي، ومن القضاة أبو بكر العربي. ومن الأنبياء محمد وموسى وشعيب.^{٩٢} ومن الفرق يذكر «المحققون من أهل النظر» و«المحققون» و«المحدثون» و«اليهود». كما يذكر عشرات المحدثين والرواة.

^{٨٧} «وبعد، فقد سألتني، أرشدني الله وإياك — عن أمر عظيم في هذا الزمان خطبه وعم ضرره. وهو ما تظاهر به بعض المبتدعة المنتسبين زوراً وبهتاناً إلى الأحاديث والفقه. وأشاعه في العامة والخاصة من اعتقاد وظواهر الآيات المتشابهة في أسمائه تعالى وصفاته، من غير تعرض لصفها عما لا يليق بجلاله وكبريائه. ويوهم التشبيه والتجسيم، وبرغم أنه في ذلك متمسك بالكتاب بالسنة، وماش في طريقة السلف الصالح. ويشنع على من تعرض إلى شيء منها بتأويل أو صرفه عن ظاهره بدليل إلى ما تعارف عليه في عرف العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، وينسبه في ذلك إلى مخالفة الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين لكونهم ما نقل عنهم التعرض لشيء من ذلك. وقد ضلّ وأضل كثيراً. وما يضل إلا ما هو قاصر الفهم ضعيف النور»، السابق، ص ١٢١.

^{٨٨} السابق، ص ١٧٧، ١٧٩.

^{٨٩} السابق، ص ١٦٧-١٦٨.

^{٩٠} تنبيه (٢٥)، تبصرة (١٠)، إشارة (٧)، تحقيق (٤)، تربية، اعتبار (٢)، إثبات، لطيفة، فائدة، تشكيك، مناجاة، إيضاح، بيان، تنمة (١).

^{٩١} الآيات (٣٤٢)، الأحاديث (٨١) القدسية (٢)، الأشعار (٣).

^{٩٢} محمد (٢)، موسى، شعيب (١).

(٣) لطائف أسرار القلب واللسان^{٩٣}

وموضوعها نزول القرآن على اللسان والقلب، الظاهر والباطن، الخارج والداخل، الصوت والسلوك. ويدل على ذلك الدعاء أول الرسالة «رب يسر لنا عويصات أسرار كتابك الكريم»^{٩٤} الإيمان ليس باللسان بل بالقلب. وهي نفس قضية الإيمان والعمل في علم أصول الدين.^{٩٥} فالإيمان شهادة باللسان، وعقد بالجنان، وعمل بالأركان، أي إقرار باللسان، وتصديق بالقلب، وعمل بالأركان. اللسان عربي، والقلب أعجمي للناس جميعًا. الأول حروف الهجو، والثاني حروف الثناء. وبينها حرف الشكر، وشهادة العقل، ورسالة الملك. والثناء زائد على الحمد. والشكر جامع بين الحمد والثناء. وصدق الورع من حسن المعرفة، وصدق اليقين من حسن الطاعة، وصدق الحرص على البر والتقوى من حسن الصبر. والكل في العقل. وهذا معنى «إن الله تعالى ضرب الحق على لسان عمر وقلبه» وأيضًا «المرء بأصغريه، قلبه ولسانه». وقد يطول الحديث بحيث يشمل الهجرة والجهاد.^{٩٦} الذكورة حمدية، والأنوثة ثنائية، والرجولية شكرية. النزول من سر الذكورة إلى الشعوب، ومن سر الأنوثة إلى القبائل. ومن الأسباط بين الشعوب والقبائل. الشعوب من العجم، والقبائل من العرب، والأسباط من العجم والعرب. السبط في ولد إسحاق كالقبيلة في ولد إسماعيل بين حسن الطاعة وصدق اليقين صحة الرجولية المودعة بين الذكورة والأنوثة. ومن صحة الرجولية صحة الروح في العقل الإنساني. وبصحة العقل في الإنسانية وصحة الروح في الرجولية وصحة القلب في الرسالة علم محل الإنسان بين الجمادات والحيوانات ومنزلته من الله والخطاب موجه للقارئ بفعل أمر «أعلم». ويعتمد على القرآن والحديث دون الشعر.^{٩٧} ومن الصوفية يذكر أبو سعيد الخدري. ومن الأنبياء

^{٩٣} المختار من رسائل ابن عربي (١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م، ص ٢٦-٥٨.

^{٩٤} السابق، ص ٢٦.

^{٩٥} من العقيدة إلى الثورة، ج ٥، الإيمان والعمل، الإمامة.

^{٩٦} سأل رجل عن الإسلام قال له الرسول «أسلم تسلم». فقال: وما الإسلام؟ قال «أن يسلم قلبك ويسلم المسلمون من لسانك ويدك»، وقال: فأني الإسلام أفضل؟ قال «الإيمان». قال: وما الإيمان؟ قال «أن تؤمن بالله وملأكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت». قال: فأني الإيمان أفضل؟ قال «الهجرة». قال: وما الهجرة؟ قال: «أن تهجر السوء». وقال: وأي الهجرة أفضل؟ قال «الجهاد؟»، قال: وما الجهاد؟ قال: «أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم، ولا تغل ولا تحنق»، السابق، ص ٥٧-٥٨.

^{٩٧} الآيات (٢٦)، الأحاديث (١٥)، القدسية (٣).

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

يستدعي موسى ثم يوشع وقارون، ثم آدم وإسماعيل وإسحاق.^{٩٨} ومن الصحابة عمر، ومن الرواة أبو قلابة، ومن الفرق المعتزلة.

(٤) «التنزيلات الموصلية»^{٩٩}

ويبين تنزيل الوحي على القلب لفهمه فهمًا مباشرًا. هو الوحي النازل الذي يقابل الوحي الصاعد كما حدث لعمر.^{١٠٠} كذلك يذكر جبريل الروح الأمين.^{١٠١} وقد وقع التنزيل في عدة موضوعات.^{١٠٢} تبين إمكانية وصول القلب إلى التأويل، واتفق التنزيل مع التأويل، والنازل مع الصاعد، والوحي النبوي مع الوحي الطبيعي. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر.^{١٠٣}

(٥) «المناسفة في حقيقة المكاشفة»^{١٠٤}

والموضوع هو التأويل القائم على الكشف. فالعلم ثلاثة أقسام، قسم بلا كلام، وقسم بالسلام، وقسم بالحديث والإلهام. والسفر ثلاث، إلى بيت الله الحرام، وإلى العباد بذهاب المقام في المقام، وإلى الله مجرد عن السهام والالتئام. والشرك تجنب عشرة أشياء: الشرك النظري، الجلي والخفي، والعقوق، وقتل الأولاد، وخشية الإملاق، وارتكاب الفواحش، وقتل النفس بغير حق، والإيمان يتطلب مجانية مال اليتيم، وبذل الإنصاف في المعاملات، والصدق في القول، والعدل في الفعل، ومتابعة السبيل بما تيسر إليه لوائح الدليل. ويعتمد على القرآن والحديث دون الشعر وأقوال الصوفية.^{١٠٥}

^{٩٨} موسى (٧)، يوشع، قارون (٢)، إسماعيل، إسحاق (١).

^{٩٩} رسائل، ج ٦ (١١)، ص ١٨٧-١٩٥.

^{١٠٠} «إن من أمتي محدثين وإن منهم عمر»، السابق، ص ١٨٧.

^{١٠١} جبريل (٢).

^{١٠٢} مثل: سر وضع الشريعة معرفة كون الرسول من جنس المرسل إليه، معرفة مقام الرسالة والرسول والخلافة والنبوة والولاية والإيمان والعالم والجاهل والظان والشاك والمقلدين لهم، وتلقي الرسالة وشروطها وأحكامها، وتلقي الرسالة الثانية الموروثة من النبوة، ومعرفة النية والفرق بينها وبين الإرادة والقصد والهمة والعزم والهاجس وأسرار التكبير، وأسمائه ومخاطبة آدم، وبيان الصلاة الوسطى ومعنى الدوام على الصلاة.

^{١٠٣} الآيات (٧)، الأحاديث (٢)، الأشعار (١).

^{١٠٤} المختار من رسائل ابن عربي (٣)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م، ص ٩٦-١٠٢.

^{١٠٥} الآيات (٥)، الأحاديث (١)، القدسية (١).

(٦) «رسالة التنبيهات»^{١٠٦}

وتضم خمسًا وثلاثين تنبيهًا بلا عناوين مثل كتاب المعرفة. وتدور معظمها حول بعض آيات القرآن، وتجليات الحق وصفاته، والحقيقة المحمدية، والإنسان الكامل، والقطب، والأرض، والوجود، والعقل الأول، والروح الكلي والقلم والعرش، والأنبياء، ومقام المحبة، والظاهر والباطن ... إلخ، في تنبيهات متفرقة يمكن تجميعها تحت عناوين جامعة لأكثر من تنبيه. وكل تنبيه ينتهي باللازمة الأشعرية «الله أعلم». وتعتمد على القرآن والحديث.^{١٠٧} ويذكر من الصوفية الحكيم الترمذي والقاضي عياض والسهورودي مع «عوارف المعارف»، ودحية الكلبي الذي أتى جبريل مشخصًا فيه. ومن الصحابة علي. ومن الأنبياء محمد وصفته محمدية وآدم^{١٠٨} والإنسان الكامل هو أكثر الموضوعات بروزًا. فهو الجامع لكل الكتب الإلهية. وهو نسخة من العالم الكبير. وهو أم الكتاب، واللوح المحفوظ.^{١٠٩}

(ب) تأويل الحروف

(١) «الألف وهو كتاب الأودية»^{١١٠}

وهو بين الحروف والتوحيد. وينعكس في الإنسان الذي هو أكمل الخلق، تقدمه للإنسان الكامل. وتبدو أهمية مريم التي يتجلى فيها الحق في الخلق. ويستشهد بالقرآن والشعر.^{١١١} ويحيل إلى رسائل سابقة مثل «كتاب الباء»، و«كتاب الهو»، و«كتاب الحروف».

^{١٠٦} رسائل، ج ٦ (٧)، ص ١٢٥-١٤٨.

^{١٠٧} الآيات (٢٥)، الأحاديث (٦)، القدسية (١).

^{١٠٨} محمد (١٠)، محمدية (١)، آدم (١).

^{١٠٩} «التنبيه الثاني عشر: اعلم أن الإنسان الكامل كتاب جامع لجميع الكتب الإلهية لأنه نسخة العالم الكبير. فمن حيث روحه وعقله هو الكتاب العقلي المسمى بأم الكتاب، ومن حيث قلبه كتاب اللوح المحفوظ، ومن حيث نفسه كتاب المحو والإثبات. فهي الصحف المكرمة المرقمة المطهرة التي لا يمسها ولا يدرك أسرارها إلا المطهرون من الحجب الظلمانية. وما ذكرنا من الكتب إنما هي أصول الكتب الإلهية. وأما فروعها فكل ما في الوجود فيها تنقش فيه أحكام الموجودات. فهي أيضًا كتب إلهية»، السابق، ص ١٣٣.

^{١١٠} رسائل ابن عربي، (١)، ج ١، (٣) ص ١٣-٢.

^{١١١} الآيات (٢٤)، الأشعار (١).

(٢) «كتاب الباء»^{١١٢}

والباء ثاني الحروف بعد الألف. وإذا كانت الألف حرف الأجدية، وأول حرف في كلمة «الله» فإن الباء أول حرف في البسملة. والقرآن حروف^{١١٣} وهي في أول السور. والحروف ليست مجرد أصوات يقسمها علم الأصوات إلى لسانية وشفئية وأنفية وحلقية. وليست مجرد حركات إعرابية. ليست الحروف أشكالاً ثابتة في الكتابة بل هي حركة، ليست ميتة، حياً على ورق بل حية. ليست الحروف مجرد حاملة للمعاني بل هي معاني بذاتها. ليست الحروف مجرد معاني بل هي الأشياء ذاتها تتحرك. فالحرف هو اللفظ والمعنى والشئ، وهي الأبعاد الثلاثة في الكلام. ولا يعرف ذلك إلا من خلال الكشف والرؤية والحلم. الحروف مقامات وأحوال تدل على ما في النفس من قرب وبعد، قوة وضعف. تشير الحروف إلى الحواس والنفس والعقل والإلهام والخيال.^{١١٤} الحروف زمان ومكان. تدخل في فعل الخلق ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ والخلق على مراتب في أيام الأسبوع طبقاً للحروف، والإنسان في اليوم السابع. والحروف أعداد.^{١١٥} وتشير إلى عالم الطبائع، إلى العناصر الأربعة. والحروف تدل على الحقيقة المحمدية. فالحروف كون ومحمد كون. الحروف وجود ومحمد وجود. الحروف قديمة ومحمد قديم. اللغة في حوار مع الطبيعة مع الكون وعالم الأفلاك كما هو الحال في «منطق الطير». فالحروف وجود. يشارك كلاهما في الشئية والشكل والرقمية.

والله هو كل شيء ليس فقط خمسة حروف أ ل ل ا ه بل يشمل الظاهر والباطن، الحواس والعقل والقلب، الذات والموضوع، الداخل والخارج. الكل موصول إلى الله.

^{١١٢} مكتبة القاهرة، ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م.

^{١١٣} كتب ابن سينا أيضاً رسالة في الحروف. وكذلك فعل إخوان الصفا. وهو موضوع في كل الحضارات، في القبالة اليهودية والكلمة في إنجيل يوحنا. انظر دراستنا تأويل الحروف عند ابن عربي، ندوة ابن عربي، دمشق، ٢٠٠٠م.

^{١١٤}

وغنا لي مني قلبي وغنيت كما غنا
وكنا حيث ما كانوا وكانوا حيث ما كنا

كتاب الباء، ص ٤.

^{١١٥} وقد ظهر ذلك في كل الحضارات القديمة عند الشرقيين والساميين وتأسس علم هو علم الأعداد Numerics.

الحروف هي الصفات. فالألف الأحادية. والله هو العرش. والله هو العالم.^{١١٦} الله هو الأفلاك والنجوم كما عبر عن ذلك في «مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار والعلوم». ورمز ذلك كله هو النكاح الذي يوحد الاثنين. ويدخل كل شيء في كل شيء، ويعهد كل شيء في كل شيء. فيمتزج العرقان والجهدان والمنيان. وتخرج منها وحدة أخرى بفعل الخصوبة والخلق الجديد.^{١١٧} وهو رد فعل على الفصل بين المستويات في علم الكلام، والثنائية المادة التي وقع فيها المتكلمون وبعض الفلاسفة مثل الممكن والواجب، الجوهر والعرض، القديم والحادث، التنزيه والتجسيم. وهو نوع من الشرك. في البدء كان اثنان وليس واحدًا، بقايا من الثنائية الروحية الشرقية القديمة، والثنائية العقلانية المثالية اليونانية الحديثة. والسؤال هو: هل هذا تفسير للقرآن أم أنه حدس صوفي وتجربة روحية والقرآن هنا مجرد غطاء وتبرير وشرعية كما هو الحال في علوم التفسير؟ وتعتمد الرسالة على القرآن والشعر.^{١١٨} وتظهر بعض أقوال الصوفية يتقدمهم الجنيد ثم الشبلي ثم أبو مدين شيخ ابن عربي. ويظهر بعض الفقهاء مثل الشافعي. ومن الأنبياء يتصدر عيسى وحده. وهو رمز وحدة الوجود.^{١١٩} ويحال إلى «الفتوحات المكية» الذي يتقدمه باب خاص عن «تأويل الحروف». وهو إجابة على سؤال واستفسار من أحد أبنائه أو مريديه وموجه إليه «يا ولدي». وهو جواب مؤقت لضيق الوقت وكثرة الأشغال.

١١٦

أيا عجبًا كيف يعصي الإله	أم كيف يجحده الجاحد
ولله في كل تحريكة	وتسكينة علم شاهد
وفي كل شيء له آية	تدل على أنه الواحد

السابق، ص ٩-١٠.

^{١١٧} «فأريت ليلة أني نكحت نجوم السماء كلها. فما بقي نجم في السماء إلا نكحته بلذة عظيمة روحانية. ثم لما أكملت نكاح النجوم أعطيت الحروف فنكحتها كلها في حال إفراها وتركيبها»، كتاب الباء، ص ١٠-١١.

^{١١٨} الآيات (٣)، الأشعار (٢).

^{١١٩} الجنيد (٣)، الشبلي (٢)، أبو مدين، الشافعي (١)، عيسى (٣).

(٣) «كتاب الجلالة وهو كلمة الله»

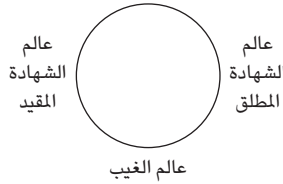
وهو أيضًا بين التوحيد والحروف. فلفظ «الله» ستة حروف. وهو مقسم إلى فصول صغيرة بلا عناوين.^{١٢٠} وتضاف إليه الرسوم التوضيحية لعالم الشهادة المطلق، وعالم الشهادة المقيد وعالم الغيب.^{١٢١} وفي الأدلة النقلية يأتي القرآن أولاً ثم الشعر ثم الحديث.^{١٢٢} ويحال إلى الغزالي والبسطامي وأبي طالب المكي. ومن الصحابة عمر في ندائه على سارية ورؤيته عن بعد، وتحذيره إياه من التفاف الأعداد حوله في القول المشهور «يا سارية الجبل، الجبل». ويحال إلى «كتاب العين».

(٤) «كتاب الميم والواو والنون»^{١٢٣}

وهو أيضًا في موضوع الحروف.^{١٢٤} يختلف فيه الصوفية في الظاهر ولكنهم متفقون في الباطن. وهي على ثلاث مراتب: فكرية، ولفظية، ورقمية. والرقمية مفردة أو مزدوجة. والنبوة تحيل اللغة إلى الوجود. والميم والواو والنون أعظمها لأنها من حروف العلة. ومنها يتكون الأمر ﴿كُنْ﴾. ومصدر هذا العلم الإلهام والقلب والعقل والتجربة البشرية. ويعتمد على القرآن والحديث.^{١٢٥} والقرآن في آخر الرسالة دفعة واحدة. وهو تصديق للتجربة الصوفية. ومن الأنبياء يذكر آدم ومحمد ثم عيسى.^{١٢٦} وهي سلسلة روحية واحدة. ومحمد

^{١٢٠} سبعة فصول.

^{١٢١}



^{١٢٢} الآيات (١٧)، الأشعار (٤)، الأحاديث القدسية (٢).

^{١٢٣} رسائل، (١)، ج، ١، (٨) ص ١٦-١٧.

^{١٢٤} «ولأحبابنا في هذه المسألة خلاف في الظاهر وليس بخلاف أصلاً إلا أن الواحد شاهد مشاهد لم

يشهدها الآخر وشاركه في مشاهدته. فهذا أعم وأخص»، السابق، ص ٣.

^{١٢٥} الآيات (٧)، الأحاديث (١).

^{١٢٦} آدم، محمد (٥)، عيسى (٢).

قديم كان موجودًا وآدم بين الماء والطين. ومن الصوفية يحال إلى جعفر الصادق والترمذي في «علم الأولياء»، وجابر بن حيان واضع علم الكيمياء، وابن مسرّة الجيلي، وأبي القاسم بن قسي صاحب «خلع النعلين».^{١٢٧} ومن الفرق الفيثاغوريون.^{١٢٨} ويحال إلى بعض مؤلفاته السابقة مثل «المبادئ والغايات بما تتضمنه حروف المعجم من العجائب والآيات، و«الفتوحات المكية»، (الفتح المكي).

(٥) «رسالة القسم الإلهي»^{١٢٩}

فقد أقسم الله في القرآن بموضوعات شتى من الحروف والرياح والملائكة والجبال والشجر والكواكب والساعات والليل والنهار واليوم والشمس والقمر والسماء والأرض والنفس والشفع والوتر والبلد والقرآن والقلم والبقاء والسفن والبهاء والكتّاب والسقف والبحر والبيت ومواقع النجوم، وما تدركه الأبصار وما لا تدركه، وبجميع الموجودات قديمها وحديثها، كما أقسم بنفسه خمس مرات. تجمع بين الحروف والأسماء. ويخرج الإنسان من ثنايا الوجود.^{١٣٠} فالإنسان برزخ أي ممر. وهو مقسم إلى فصول وأبواب.^{١٣١} ويعتمد على القرآن والحديث والشعر.^{١٣٢} كما يظهر النثر الفني في الفصول الأخيرة. فاللغة تعبير. ويُحال إلى كتاب «الجداول والدوائر».^{١٣٣}

(٦) «كتاب الباء»^{١٣٤}

وهو في موضوع الحروف. وبه عناوين فرعية مثل: بند من مناجاة الهو، ومن مناجاة الأنا، ومن مناجاة الإِن وهي الإنية، ومن مناجاة الأنت. ويعتمد على القرآن والشعر.^{١٣٥}

^{١٢٧} جعفر الصادق، الترمذي، جابر بن حيان، ابن مسرّة الجيلي، أبو القاسم بن قسي (١).

^{١٢٨} الفيثاغوريون (١).

^{١٢٩} رسائل، (١)، ج ١، (٩) ١-٢٩.

^{١٣٠} «وقد كان الإنسان أشياء لكن لم يكن إنسانًا»، السابق، ص ٢٠.

^{١٣١} خمسة فصول بلا ترقيم، ثم خمسة أبواب، ثم خمسة فصول مرقمة.

^{١٣٢} الآيات (٣٦)، الأحاديث (٦)، القدسية (٤)، الأشعار (١).

^{١٣٣} رسائل، ج ١، ص ٣.

^{١٣٤} رسائل (١)، ج ١ (٩)، ص ٩-١٥.

^{١٣٥} الآيات (١٧)، الأشعار (٢).

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

(٧) «الحروف الثلاثة التي انقطعت أواخرها عن أوائلها»^{١٣٦}

والحروف هي الموضوع الأبرز في كل مؤلفات ابن عربي. وهي الحروف الحية المتحركة التي ينعطف أواخرها على أوائلها تشبهاً بصفات الأول والآخر وهي الألف والواو والياء. والحروف على ثلاث مراتب: فكرية ولفظية ورقمية. والرقمية وضعان: المفرد والمزدوج. ولكل حرف دلالة ومعناه. ويعتمد على القرآن والحديث.^{١٣٧} ومن الصوفية يذكر الحكيم الترمذي. ومن الأنبياء يحال إلى محمد ثم إلى آدم وعيسى.^{١٣٨} كما تذكر المؤلفات السابقة في الموضوع مثل «الفتوحات المكية»، و«المبادئ والغايات». ولأول مرة يذكر الوافد مثل الفيثاغوريين ونظريتهم في الأعداد.^{١٣٩}

(٨) «كتاب العظمة»^{١٤٠}

وموضوعه الحروف مثل الباء والميم.^{١٤١} وعناوينه غريبة.^{١٤٢} ويتكون من سبعة أبواب. أول كل منها حرف، وآخرها حرف. وينتهي بفصل بلا عنوان. ثم تأتي الملاحق وهي مجموعة من الآيات والأحاديث والأشعار.^{١٤٣} ويعتمد على القرآن والشعر والحديث.^{١٤٤} ويحال إلى عديد من الصوفية.^{١٤٥} كما يحال إلى عديد من الأنبياء.^{١٤٦} والصحابة، ومن

^{١٣٦} رسائل ابن عربي، ج ١، (٣)، ص ١٣٣-١٤٢.

^{١٣٧} الآيات (٩)، الأحاديث (٢).

^{١٣٨} محمد (٤)، آدم، عيسى (٣).

^{١٣٩} كتاب الحروف الثلاثة، ص ١٣٨.

^{١٤٠} رسائل ابن عربي، ج ١، (٢)، ص ٧٧-١١٣. وله طبعة أخرى في دار الكتب العلمية.

^{١٤١} «باب أوله باء، وآخره ميم»، السابق، ص ٧٩.

^{١٤٢} مثل: حضرة التمييز الأول، من الحضرة عينها، أوله ألف وآخره ميم، باب أوله ميم وآخره نون، باب أوله وآخره دال، باب أوله ألف وصل وآخره نون.

^{١٤٣} السابق، ص ١٠٥-١١٦.

^{١٤٤} الآيات (٤١)، الأشعار (١١)، الأحاديث (٧).

^{١٤٥} البسطامي، الحلاج، العريني، ومن الصحابة ابن عباس.

^{١٤٦} وهم: آدم، إدريس، نوح، إبراهيم، يوسف، هود، صالح، موسى، داود، سليمان، يحيى، هارون، عيسى،

محمد.

الأنبياء يحال إلى معظم الأنبياء، من آدم حتى محمد. ومن الأعمال السابقة يحال إلى «الفتوحات».

(٩) «المبادئ والغايات في معاني الحروف والآيات»^{١٤٧}

وموضوعه الحروف كما يبدو من العنوان الصريح. وهو كتاب كبير وليس مجرد رسالة تشبه فصل الفتوحات عن تأويل الحروف. والعنوان له دلالة. الحروف مبادئ ولكن لها غايات. بدايات لكن لها نهايات. له بنية ثلاثية محكمة في المعاني والأعداد والحروف. فهناك صلة بين الحروف والمعاني. فالحروف بداية الألفاظ ... وهناك علاقة بين علم الحروف وعلم الأعداد، بين الجبر والحساب. والمؤلف على بهذه القسمة الثلاثية.^{١٤٨}

وترتيب الحروف أولاً طبقاً لاستعمال الحروف كأعداد في أبجد هوز حطي كلمن ... إلخ. ثم تبدأ أبجدياً من جديد. والخطاب موجه للقارئ. والحرف هو النطق. والنطق الفكر. والفكر الإرادة. ولكل حرف معنى يشتق من أول الكلمة نون في معنى النور ... إلخ.^{١٤٩} ويعتمد على القرآن والحديث والشعر.^{١٥٠} وأقوال الصوفية يتقدمهم أبو سعيد الخدري وأبو نعيم الأصفهاني وسعيد بن المسيب والكاشاني وغيرهم. ومن الصحابة أبو هريرة ثم علي وابن عباس ثم عمر ثم أبو بكر ثم ابن عمر وعثمان ومن المحدثين البخاري ثم البيهقي ثم الترمذي وابن حبان ثم النسائي والعسقلاني. ومن الفقهاء أنس وأحمد والسيوطي ثم مالك ثم الطبراني ثم العجلوني. ومن الأنبياء آدم ثم موسى ثم إبراهيم وعيسى، ومن الملائكة جبريل ثم ميكائيل.^{١٥١}

^{١٤٧} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦ م.

^{١٤٨} «وقد رتبته على ثلاثة مطالع»، السابق، ص ٣٧.

^{١٤٩} السابق، ص ٧٤-٧٥.

^{١٥٠} الآيات (١١٠)، الأحاديث (٧٢)، الأشعار (٤٢).

^{١٥١} الصوفية: أبو سعيد الخدري، أبو نعيم (٥)، سعيد بن المسيب، الكاشاني (٣)، الصحابة: أبو هريرة (١٦)، علي، ابن عباس (١٤)، عمر (١٣)، أبو بكر (٩)، ابن عمر، عثمان (٦). المحدثون: البخاري (١٢)، البيهقي (١١)، الترمذي، ابن حبان (١٠)، النسائي، العسقلاني (٣). الفقهاء: أنس، أحمد، السيوطي، مالك (٥)، الطبراني، العجلوني (١٦)، جبريل (٩)، ميكائيل (٣). الأنبياء: آدم (٥)، موسى (٣)، عيسى، إبراهيم (٢).

(١٠) «نقش الفصوص»^{١٥٢}

وهو غير «فصوص الحكم» بالرغم من الاشتراك في الصورة «فصوص» أي تجلي الحقيقة تدريجيًا مثل الفص. وهو مثل «الفصوص» في تقسيماتها وعناوينها. تسمى الحكمة وتُذكر كلمة نبياها.^{١٥٣}

(١١) «المدخل إلى المقصد الأسمى في الإشارات»^{١٥٤}

وهو كتاب في تأويل الأسماء الإلهية كما فعل الغزالي في «المقصد الأسنى». والعنوان الجانبي «فيما وقع في القرآن بلسان الشريعة والحقيقة من الأسماء والكنيات». الأسماء في الشريعة والكنيات في الحقيقة. ولا ينقسم إلى أبواب أو فصول بل إلى مجرد عناوين جانبية بلا ترقيم لإبراز الموضوع مثل «كناية في بسم». وهو العنوان الوحيد. ويضاف فعل في النهاية لخاتمة دون جديد فيها.^{١٥٥} ويعتمد على التجربة الخالصة وتحويل الآية إلى واقع نفسي وجودي. وتفوق الآيات الأحاديث والأشعار.^{١٥٦} وتظهر بعض الرسوم التوضيحية للدلالة على عالم الشهادة وعالم الغيب، الشهادة إلى أعلى والغيب إلى أسفل، وكأن الشهادة هي المشاهدة العيانية والغيب هو شهادة الحواس. الأولى باطنية، والثانية ظاهرة.^{١٥٧}

^{١٥٢} رسائل، ج ١، (٢٧)، ص ١-١٢.

^{١٥٣} تضم ٢٧ فصلاً: إلهية في آدم، وتثنية في شيت، وسبوحية في نوح، وقدوسية في إدريس، ومهيمنة في إبراهيم، وحقية في إسحاق، وعلية في إسماعيل، وروحية في يعقوب، ونورية في يوسف، وأحدية في هود، وفتوحية في صالح، وقلبية في شعيب، وملكية في لوط، وقدرية في عزيز، ونبوية في عيسى، ورحمانية في سليمان، ووجودية في داود، ونفسية في يونس، وغيبية في أيوب، وجلالية في عيسى، ومالكية في زكريا، وإيناسية في إلياس، وإحسانية في لقمان، وإمامية في هارون، وعلوية في موسى، وحمدية في خالد، وفردية في محمد.

^{١٥٤} رسائل ابن عربي، ج ١، (١٠)، ص ٢٤٩-٢٦١، وله طبعة أخرى في دار الكتب العلمية.

^{١٥٥} «وقد بينّا في هذا المدخل كيف ينبغي للعارف أن يأخذ الأسماء والكنيات وكيف ينزلها. فإننا لو وسّعناها حتى نستوفي ما ظهر في الوجود منها لطال الأمر، وحاف على وقتنا، وتركنا ما هو الأولى بنا عن الانشغال. فقد مهدنا السبيل، وعرفنا صورة التأويل».

^{١٥٦} الآيات (٢٢)، الأحاديث القدسية (٢)، الأحاديث (١)، الأشعار (١).

^{١٥٧} المقصد الأسنى، ص ٢٥١.

(١٢) «نسخة الحق»^{١٥٨}

وموضوعه الصلة بين الحق والخلق. فالخلق نسخة الحق ويعكس صورة الحق. ويرى الحق صورته فيه. فقد خلق الله العالم على صورته ومثاله. ولا ينقسم إلى أبواب وفصول بل إلى آيات وأحاديث وكأن الموضوع مستنبط من الفصوص. لذلك يدخل الكتاب في التفسير والتأويل أو في التوحيد. ويعتمد بطبيعة الحال على الآيات والأحاديث دون أشعار.^{١٥٩} يتكرر بعضها. ومن الصوفية يظهر أبو طالب المكي. ومن الأنبياء آدم وحواء وعيسى.^{١٦٠} والثلاثة رموز للحق والخلق. فآدم من طين. وحواء من نفسه. وعيسى من عذراء وتخصيب الروح القدس. وكلها صور أيضًا للإنسان الكل. وقد أوجد الله العالم على ثلاثة أنواع: الأول بكن وهو أكثر العالم. والثاني بكن ويد واحدة كالجنة والقلم والتوراة. والثاني بكن ويديه الاثنين كالإنسان. وهو تشبيه في تشبيه ويوضح ذلك الرسم.^{١٦١}

(١٣) «تفسير ابن عربي»

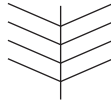
وبصرف النظر عن صحته التاريخية فإنه يعبر عن مكونات التفسير الصوفي لدرجة الشك في انتحاله والظن بصحته التاريخية. إذ كيف يقوم الانتحال بكل هذا التقليد لفلسفة ابن عربي ومنهجه في التفسير؟^{١٦٢} وهو نوع من التفسير الطولي، من الفاتحة إلى الناس، وانتقاء آيات مختارة أو أجزاء من آيات لبداية التفسير الصوفي منها. ويضم مجموع السور كلها. لذلك لا يقسم التفسير إلى أبواب وفصول أسوة بالتفسير الموضوعي. وتتقطع

^{١٥٨} رسائل ابن عربي، ج ١، (١١)، ص ٢٦٧-٢٧٦. وله طبعة أخرى في دار الكتب العلمية.

^{١٥٩} الآيات (١٤)، الأحاديث (٧).

^{١٦٠} آدم (٢)، حواء، عيسى (١).

^{١٦١}



^{١٦٢} «فشرعت في تفسير هذه الأوراق بما عسى أن يسمح به خاطر على سبيل الاتفاق غير حائم بقصة التفسير، ولا خائض في لجة من المصطلحات ما لا يسعه التقرير، مراعيًا لنظم الكتاب وترتيبه، غير معيد لما تكرر منه أو تشابه في أساليبه»، تفسير ابن عربي، ج ١، ٤.

الآية إلى عدة ألفاظ مما يقضي على المقصد الكلي للتفسير. وتوضع باقي السور في الهامش، حفاظاً على القرآن المتصل لمن يريد أن يعرف السياق. وقد تكون إضافة السور كلها على هوامش الصفحة من فعل النساخ لمساعدة القارئ. والأرجح أنه من الناسخ لأنه يحتوي على بعض التعليقات النقدية.^{١٦٣} كما تفسر الحروف في أوائل السور بإحالة الحرف إلى الوجود، واللغة إلى العالم، والإشارة إلى المشار إليه.

و سبب التأليف تجربة ذاتية، ذوق حلاوة القرآن.^{١٦٤} ويظهر مفهوم الفترة لأنها الحاوية لكل التجارب الذاتية.^{١٦٥} يفتح التفسير عالم الشعور موطن النص ولركيزته الأولى كما يحال إلى درجات الوعي، وعمق النفس.^{١٦٦} وتظهر المقامات مثل الشكر.^{١٦٧} وتظهر ثنائية السماء والأرض، والأعلى والأسفل، والروح والجسم، والنور والظلمة كمؤشر على حركة الروح. ويتفق منهج التفسير الباطني مع حديث يشير إلى النطق والصمت، والظهر والبطن، والحد المطلق، والتفسير والتأويل.^{١٦٨}

^{١٦٣} السابق، ص ٩.

^{١٦٤} «فإني طالما تعهدت تلاوة القرآن، وتدبرت معانيه بقوة الإيمان، وكنت مع المواظبة على الأوراد حرج الصدر، قلق الفؤاد، لا ينشرح بها قلبي، ولا يصرفها عني ربي حتى استأنست بها فألفتها، وذقت حلاوة كأسها وشربتها. فإذا أنا بها نشيط الصدر فلج الصدر متسع البال منبسط القلب فسيح الرطيب الوقت والحال مسرور الروح بذلك الفتوح كأنه دائماً في غبوق وصبوح. تنكشف لي تحت كل آية من المعاني ما يكل بوصف لساني. لا القدرة تعني بطبيعتها وإحصائها، ولا القوة تصبر على نشرها وإفشائها»، السابق ج ١، ص ٣.

^{١٦٥} السابق، ص ١١-١٢.

^{١٦٦} السابق، ص ٢٦.

^{١٦٧} السابق، ص ٢٠-٢١، ٢٦، ٣٧.

^{١٦٨} «فتذكرت خير من أتى ما ازدهاني مما وراء المقاصد والأمانى قول النبي الأمي الصادق عليه أفضل الصلوات من كل صامت وناطق «ما نزل من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن، ولكل حرف حد، ولكل حد مطلع». وفهمت منه أن الظهر هو التفسير، والبطن هو التأويل. والحد ما ينتهي إليه المفهوم من معنى الكلام. والمطلع ما يصعد إليه منه فيطلع على شهود الملك العالم، السابق، ج ١، ص ٣-٤. «فرأيت أن أعلق بعض ما يسمح لي في الأوقات من أسرار حقائق البطون وأنوار شوارق المطلعات دونما يتعلق بالظواهر والحدود فإنه قد يحين لها حد محدود. وقيل من فسر برأيه فقد كفر. وأما التأويل فلا يبقي ولا يذر. فإنه يختلف بحسب أحوال المستمع وأوقاته، وفي مراتب سكونه وتفاوت درجاته. وكلما ترقى عن مقامه انفتح له باب فهم جديد، واطلع به على لطيف معنى عتيده»، السابق، ص ٤.

والتفسير بالرأي غير التأويل الباطني. فالرأي يخطئ أو يصيب والباطن مكشوفة ومشاهدة ومعاينة.

ويختلف التأويل باختلاف أحوال المستمع وأوقاته، وتفاوت درجاته ومراتب سلوكه. فالعمق في النفس وليس في النص. وتتعدد التأويلات باختلاف المتأولين. فالتأويل تجربة ذاتية.^{١٦٩} وليست كل آية قابلة للتأويل وهي الآيات المصمتة التي لا تثير في النفس فرحاً ولا حزنًا، الآيات الإخبارية المحايدة التي لا تتعلق بالبواعث والغايات.^{١٧٠}

ولا حدود للتأويل. فالتأويل بلا حدود مثل العلم الإلهي الذي لا ينفد مهما نفدت الأقلام ومداد البحار.^{١٧١} التأويل مجرد نموذج لغيره من التأويلات. والظاهر لا يؤول. والباطن لا يبغي على ظاهره. تأويل الظاهر تعسف، ومن المروءة ترك التكلف.^{١٧٢}

ويعتمد على تفسير جعفر الصادق ويحيل إليه على عكس «فضائح الباطنية» للغزالي.^{١٧٣} وتظهر الإسرائيليات في التفسير نظراً لارتباط النبوة بتاريخ الأنبياء.^{١٧٤} ويذكر عيسى خاصة. ولا يوجد ذكر للصوفية أو فلاسفة أو متكلمين أو محدثين أو فقهاء أو

^{١٦٩} «وعسى أن يتجه لغيري وجوه أحسن منها طوع القياد فإن ذلك سهل لمن تيسر له من أفراد العباد»، السابق، ص ٤.

^{١٧٠} «وكل ما لا يقبل التأويل عندي أو لا يحتاج إليه فما أوردته أصلاً»، السابق، ص ٤.

^{١٧١} «ولا أزعم أنني بلغت الحد فيما أوردته كلا. فإن وجوه الفهم لا تنحصر فيما فهمت. وعلم الله لا يتقيد بما علمت. ومع ذلك فما وقف الفهم مني على ما ذكر فيه بل ربما لاح لي فيما كتب من الوجوه ما تهت في محاويه»، السابق، ص ٤، «ولله تعالى في كل كلمة كلمات ينفذ البحر دون نفادها. فكيف السبيل إلى حصرها وتعدادها؟ لكنها أنموذج لأهل الذوق والوجدان، يحتذون على حذوها عند تلاوة القرآن. فينكشف لهم ما استعدوا له من مكونات علمه. ويتجلى عليهم ما استطاعوا له من خفيات غيبه»، السابق، ص ٤-٥.

^{١٧٢} «وما يمكن تأويله من الأحكام الظاهر منها إرادة ظاهرها. فما أولته إلا قليلاً ليعلم به أن للفهم إليه سبيلاً. ويستدل بذلك على نظائرها إن جاوز مجاوز عن ظواهرها إذ لم يكن في تأويلها به من تعسف. وعنوان المروءة ترك التكلف»، السابق، ص ٤.

^{١٧٣} «وقد نقل عن الإمام الحق السابق جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: لقد تجلى الله لعباده في كلامه ولكن لا تبصرون. وروي عنه عليه السلام أنه خرّ مغشياً عليه وهو في الصلاة فسئل عن ذلك فقال: «ما زلت أردد الآية حتى سمعتها من المتكلم بها»، السابق، ج ٤، ص ١٢.

^{١٧٤} السابق، ص ١٠.

مفسرين نظرًا للاعتماد على التجارب الذاتية. كما يظهر تاريخ الأديان والإحالة إلى فرق المجوسية والثنوية.^{١٧٥}

وعادة ما يغيب الوافد من التصوف. ومع ذلك يظهر في التفسير بعض آراء أفلاطون مثل تقسيمه الثلاثي لقوى النفس. كما تنسب بعض المنتحلات لأرسطو إلى الرسول.^{١٧٦} ويفسر القرآن بالقرآن، والقرآن بالحديث. والسجع والمحسنات البديعية أسلوب في التعبير. فالأدب والتصوف لهما نفس الأشكال الأدبية، النثر والنظم. والغالب على التفسير هو التفسير الفلسفي خاصة بالعلاقة بين الحق والخلق أي التفسير الوجودي العام. وأقرب المداخل إلى ذلك السهروردي المقتول. وتبرز الحقيقة المحمدية كموضوع رئيسي.^{١٧٧} كما تظهر فلسفة التاريخ الصوفية مع الإحالة إلى كتاب «الجفر والحدثان» المنسوب إلى جعفر الصادق والذي يتم بواسطته التنبؤ بالحوادث المستقبلية قبل وقوعها.^{١٧٨}

(١٤) «كتاب القربة»^{١٧٩}

وهي القربة بين الله والإنسان في المعرفة الباطنية مثل معرفة الخضر وأولويتها على المعرفة الظاهرية مثل معرفة موسى، في قصة موسى والخضر، وقصة عمر وشيبان الراعي. المعرفة الباطنية في مرتبة الولاية. وتعتمد على القرآن والحديث.^{١٨٠} ومن الأنبياء موسى والخضر.^{١٨١} ومن الصحابة أبو بكر وعمر وخادمه شيبان الراعي.^{١٨٢} ومن الصوفية الغزالي والسلمي. ومن الفقهاء الشافعي.^{١٨٣}

^{١٧٥} السابق، ص ٢١.

^{١٧٦} مثل «من فقدوها فقد فقد علمًا»، السابق، ج ١، ٤-٥، ١٢، ص ٣٨.

^{١٧٧} السابق، ج ١، ٩.

^{١٧٨} السابق، ص ١٠.

^{١٧٩} رسائل، (١)، ج ١، (٦)، ٢-١٠.

^{١٨٠} الآيات (٥)، الأحاديث (١).

^{١٨١} موسى (٢)، الخضر (١).

^{١٨٢} أبو بكر (٤)، عمر (٢)، شيبان الراعي (١).

^{١٨٣} الغزالي (٢)، السلمي، الشافعي (١).

(٥) «إعجاز البيان في تفسير أم القرآن (سورة الفاتحة)» للقونوي (٦٧٣هـ)^{١٨٤}

ويتضمن منهجًا جديدًا في التفسير يمكن تسميته بالمنهج الموضوعي. وهو تفسير للنص ليس لفظًا لفظًا أو عبارة بعبارة على نحو متقطع كما هو الحال في علوم التفسير أو في «تفسير ما بعد الطبيعة» لابن رشد، التفسير الكبير، بل هو تفسير لموضوع السور ككل واكتشاف لبنيته وأقسامها انتقالاتًا من النص إلى موضوع النص، ومن اللغة إلى الوجود. صحيح أنه تفسير معرفي قبل أن يكون تفسيرًا كونيًا إلا أنه ليس تفسيرًا اجتماعيًا سياسيًا خاصة وأن السور تتحدث عن التوحيد وله انعكاساته على المجتمع والصراط المستقيم أي الخيارات الاجتماعية والسياسية، وعن المغضوب عليهم والضالين وهم فئات اجتماعية تضر بمصلحة المجموع.

وهو أيضًا قريب من التفسير الإشاري المعروف منذ القشيري أو من تأويل الحروف عند ابن عربي. فالقرآن إشارة وتنبيه وعلامة. والتفسير على وعي بمنهج التأليف وبمنهج التفسير في آن واحد.^{١٨٥} ويعتمد على عديد من الشواهد النقلية، القرآن والحديث والشعر والأمثال العامة.^{١٨٦} وهو تفسير القرآن بالقرآن نظرًا لغلبة الآيات. ومن الأعلام يذكر ابن سينا نظرًا لما بين الإشراق والتصوف من صلة.^{١٨٧}

ومع ذلك الكتاب على درجة عالية من التنظير. القسمة العقلية شائعة ومتكررة لمراتب العلم وأدوات توصيل المعلومات، الدلالة، والتعريف، وأفعال العباد.^{١٨٨}

^{١٨٤} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ.

^{١٨٥} «وها أنا أذكر المقدمة الموضحة مرتبة الفكر والبراهين النظرية وغايتها وحكم أربابها، وما يختص بذلك من الأسرار والنكت العلمية بلسان الحجة الإلهية على سبيل الإجمال ثم أبين أن العلم الصحيح الذي العلوم النظرية وغيرها من بعض أحكامه وصفاته عند المحققين من أهل الله، ما هو؟ وبماذا يحصل؟ وما أثره؟ وما حكمه؟ ... تنبيهًا للمحجوبين بأن الإعراض عما توهموه حجة وصفة كمًا وشرطًا في حصول العلم اليقيني، وأنه أتم الطرق الموصلة إليه ليس عن جهل به وبمرتبته بل لقلّة جدواه وكثرة آفاته، وإيثار موافقته لما اختاره الحق للكامل من عباده وأهل عنايته»، السابق، ص ١٩.

^{١٨٦} الآيات (١٦٨)، الأحاديث (٥٤)، القدسية (٣)، الأشعار (١٣)، الأمثال (١).

^{١٨٧} إعجاز البيان، ص ٢٧.

^{١٨٨} السابق، ص ٤٩، ٥٩، ٨٧، ١٧٣.

ويعتمد منهج التفسير الذي يتضح من خاتمة الكتاب على القواعد الآتية:

(أ) الإعراض عن البسط والإطالة والاكتفاء بالإيماء. والإشارة، وهو ما سماه فيما بعد في عرض منهج البحث والإيجاز.^{١٨٩} ولما كان المخاطبون هم المحققون من أهل الله وخاصته والمحبون لهم، المؤمنون بأحوالهم يتم الاكتفاء بالتلويح دون التصريح. ومع ذلك، هو تفسير طويل لسورة الفاتحة فكيف يكون تفسير السور الطوال؟

(ب) الجمع بين الكتم والإفشاء كما فعل النص القرآني.

(ج) الاعتماد على التجربة الذاتية المباشرة دون نقل أقاويل المفسرين المتفكرين وغير المتفكرين.

(د) تجاوز التفسير اللغوي الذي يوجبه حكم اللسان ويستدعيه الارتباط الثالث بين الألفاظ والمعاني وهي مجرد قوالب وظروف، والاكتفاء بالهبات الإلهية الذاتية.^{١٩٠}

(هـ) استعمال القول البرهاني لا الخطابي الذي استعمله أوائل الحكماء المشائين طبقاً لشريعتهم.^{١٩١}

وتمتلى المقدمة النظرية الأولى بالقواعد الكلية.^{١٩٢} ولكل أصل وصل أي لكل قاعدة تطبيق.^{١٩٣} وبالرغم من إحكام التحليل النظري إلا أن بنية الموضوع ما زالت غير محكمة. فهناك باب وفصلان اعتباطاً دون أن يشملا الموضوع كله. والأدلة النظرية لا تنفي ولا تثبت شيئاً لضعفها ولتفاوتها بحسب أربابها.^{١٩٤} وهم مختلفون أيضاً في القانون الفكري الذي يستعملونه. فبعض القرائن منتجة عند البعض، عقيمة عند البعض الآخر. وبعض القضايا لازمة عند البعض وغير لازمة عند البعض الآخر. والقانون ضروري ملزم عند البعض، وغير ضروري وملزم عند البعض الآخر. وما دامت الأقلية لا تحتاج إليه فالأولى ألا يكون ضرورياً للأغلبية. أما أهل التحقيق فيعتمدون على الأقلية. يعتمدون على الفطرة والذكاء

^{١٨٩} لذلك تظهر لازمة «ثم نرجع ونقول» باستمرار للدلالة على نهاية الاستطراد.

^{١٩٠} إعجاز البيان، ص ١٣.

^{١٩١} السابق، ص ١٧.

^{١٩٢} السابق، ص ٧١-٨٩.

^{١٩٣} يتكرر تعبير «وصل من هذا الأصل» سبع مرات.

^{١٩٤} إعجاز البيان، ص ٢٠-٢٢.

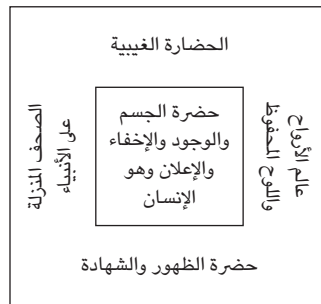
الطبيعي، وليس على الأدلة النظرية.^{١٩٥} يعتمدون على علوم الذوق وليس علوم الكسب.^{١٩٦} ويصعب على الإنسان الاستقلال بعلوم الذوق دون مران واطلاع وتعلم. ويتعذر على طلاب العلم معرفة الحقائق العلوية بالأدلة المجردة وهذا هو سبب الجهل بحقيقة الله. لذلك فضل السالكون وسائل تحصيل علوم الذوق وهي مشاهدة تجليات الحق دون حلول أو اتحاد. علم الله حقيقة وعلم العبد مجاز. في حين أن العلم الإلهي لا يُعرف نظرًا إلا قياسًا للغائب على الشاهد كما هو الحال عند المتكلمين. أما عند الصوفية فالعلم لدني قادر على معرفة الغيب المطلق والبرزخ الأول وأسرار علم التحقيق. ولا يمكن تعريفه إذ إنه في الوجود كله. وللعلم مراتب عديدة: معنوية كالتصورات والمفاهيم، وروحانية وصورية مثالية بسيطة كالحروف. والكلمات بالنسبة، ومركبة مادية. ويُعرف العلم بالتجلي الذاتي. والعلم حقيقة كلية ولكن له أحكام ونسب متعينة حسب كل مدرك والعلم يتعلق بالحق أو بالأغيار.^{١٩٧} والكتب الإلهية مفتوحة على الحضرة الإلهية وعلى الكون. وهي خمسة: الغيب وفي مقابلها الشهادة، والأقرب إلى الغيب مثل الروح، واللوح المحفوظ وفي مقابلها الأقرب إلى الشهادة وهي الصحف والكتب المنزلة، ووسطها الجمع، والوجود والإخفاء والإعلان وهو الإنسان.^{١٩٨} الآيات من الكلمات، والصور والآيات تتضمن الأحكام. والكتب المنزلة من السور تتضمن ترجمة الأحكام. والقرآن من الكتب صورة العلم المحيط.^{١٩٩}

^{١٩٥} «وفي الجملة قد بُيِّنَ أن غاية كل أحد في ما يطمئن إليه من العلوم هو ما حصل في ذوقه، دون دليل كسبي، أنه الحق. فسكن إليه، وحكم بصحته، هو ومن ناسبه في نظره، وشاركه في أصل ما أخذه، وما يستند إليه ذلك الأمر الذي هو منطق اطمئنانه»، السابق ص ٢٣.

^{١٩٦} السابق، ص ٢٥-٣٣.

^{١٩٧} السابق، ص ٣٣-٦٣.

^{١٩٨}



^{١٩٩} السابق، ص ١٣.

والقرآن مكون من حروف تظهر بها الكلمة. وينظم الكلمات تظهر الآيات، وينظم الآيات السور. فهذه أركان أربعة: الحروف، والكلمات، والسور، والآيات مظاهر الكلام الغيبي الأحدي «منازل ظهوره، وجداول بحره، وأشعة نوره».^{٢٠٠} والكلام نسبة من نسب العلم.^{٢٠١} والتراكيب في العربية ستة: الاسم مع الاسم والفعل. وفي التحقيق الاسم هو التجلي، وتركيب الاسم مع العين الثابتة.

وبعد هذه المقدمة النظرية عن الأصول الكلية للتفسير ومعرفة سر الإنسان الكامل، يأتي التطبيق. ولما كانت الفاتحة أم الكتاب وأصله فلزم معرفة معنى الأصل.^{٢٠٢} البسملة نظرية دورية تكشفها الحروف العاليات، تطابقاً بين الكتاب الكبير والكتاب الصغير.^{٢٠٣} ثم يأتي سر «الدين» وما فيه من أوامر ونواهي، وظاهر وباطن، وحد ومطلع.^{٢٠٤} ثم تأتي «إياك نستعين» بلسان الجمع والمطلع.^{٢٠٥} تليها ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ لطلب الهداية ومعرفة مراتب السلوك.^{٢٠٦} ومعنى ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ صور انحراف الإنسان ومراتب الغضب، ومراتب النعيم والرضا، ومراتب الضلال.^{٢٠٧} وهو في النهاية تفسير صوفي يتضمن كل العقائد الصوفية مثل عهد ﴿أَلَسْتُ﴾.

(٦) عز الدين بن عبد السلام الشافعي (٦٧٨هـ)، ابن عطاء الله السكندري (٧٠٩هـ)

(أ) «تلخيص العبارة في نحو أهل الإشارة» لعز الدين عبد السلام الشافعي^{٢٠٨}

وهو كتاب نظري في اللغة الإشارية مثل «نحو القلوب» لأبي طالب المكي. اللغة بطبيعتها إشارة، قسمة الكلام واشتقاقه وصرفه وإعرابه وبناءؤه، أسماؤه وأفعاله ومفعوله. حاله وتمييزه وبدله والصرف والعطف والتوكيد والجر والندب كلها تسمح بالإشارة. والنحو

^{٢٠٠} السابق، ص ١٤-١٥.

^{٢٠١} السابق، ص ٧١.

^{٢٠٢} السابق، ص ١٣.

^{٢٠٣} السابق، ص ١٠٦-١٦٥.

^{٢٠٤} السابق، ص ١٦٥-٢٠٩.

^{٢٠٥} السابق، ص ٢٠٩-٢١٧.

^{٢٠٦} السابق، ص ٢١٧-٢٤٩.

^{٢٠٧} السابق، ص ٢٤٩-٣١١.

^{٢٠٨} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م، ص ١٩-٤٤.

قصد. ويختلف الناس في المقاصد بين اللسان والقلب، بين الظاهر والباطن. وهذا هو سبب تأليف الكتاب.^{٢٠٩} النحو عند أهل العبارة أسماء أفعال وحروف، وعند أهل الإشارة أقوال وأحوال وأفعال. يشتركان في الأفعال.^{٢١٠} ولا النافية عند أهل الإشارة لها أسرار خفية.^{٢١١} وأسرارها في شعار التوحيد «لا إله إلا الله»، النفي والإثبات، القاعدة والاستثناء.^{٢١٢} والبنية اللغوية والبنية اللاهوتية واحدة في المبتدأ والخبر، منفصلان في اللغة متحدان في علم الكلام. وكذلك النكرة والمعرفة في اللغة وفي العقائد معرفة فحسب.^{٢١٣} ويعتمد على القرآن اعتماداً كبيراً قبل الحديث ودون الشعر.^{٢١٤} فالقرآن لغة وفكر، عبارة وإشارة. ولا يذكر أحد من الصوفية لأن الكتاب تنظير مباشر للغة.

(ب) «رسالة في قوله تعالى ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾»

وهي فاتحة الحزب الكبير» للشاذلي لابن عطاء الله السكندري^{٢١٥} وهي وسط بين التأليف والشرح. فهي ليست تأليفاً لأنها تعليق أو قراءة لمقدمة الحزب الكبير للشاذلي. وليست شرحاً للآية لأنها فاتحة الحزب الكبير. ومع ذلك فهي أقرب إلى التفسير والتأويل لأنها مركزة كلها على معاني الآية. وهو ليس شرحاً لفظاً بلفظ، بل إبراز للموضوعات المتضمنة في الآية مثل أوائل السور، والفقر والعصمة والعلم والتأييد والرضا بالقضاء والاعتراف

^{٢٠٩} «فإن النحو عبارة عن القصد. والناس مختلفون في المقاصد والموارد. فواحد كان تقويم لسانه مبلغ علمه. وواحد كان تقويم جنانه أكبر همه. فتذكرت في كتابي هذا ما يفرق بين الفريقين، ويوضح كلا الطرفين. وفرقت بين اللحن واللحن ليعلم أي الفريقين أحق بالأمن»، السابق، ص ٢٠.

^{٢١٠} السابق، ص ٢١.

^{٢١١} السابق، ص ٣٧-٣٩.

^{٢١٢} «ثم نظروا إلى أصل ما بني عليه التوحيد، فإذا هو حرف النفي. فعلموا أنه بالنفي يثبت التوحيد. وبالمحو يرسخ التفريد. فغلبت كلمة «لا» على «إله» فنفتها فقالوا «لا إله». ثم طولبوا بالإثبات فقالوا: كيف السبيل إلى الإثبات، ولا سبيل إليه إلا بدخول حرف النفي عليه؟ وكيف يثبت الشيء بالحرف النافي، وهذا متناف؟ فقول: ها هنا معنى خافي وسر شافي. وهو أن تأتوا إليه بألف التوحيد فتدخلوها عليه، وتتوسلوا بها إليه»، السابق، ص ٣٨.

^{٢١٣} السابق، ص ٢٧.

^{٢١٤} الآيات (٥٨)، الأحاديث (١).

^{٢١٥} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م (٢) ص ٩٥-١٠١.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

بالجهل، والمشاهدة والمكاملة، والكرامات، والفرج والرحمة. وتعتمد على القرآن والحديث والشعر دون الاعتماد على الاقتباس من أقوال الصوفية.^{٢١٦} ويضاف على الأدلة النقلية بعض التحليلات العقلية التي تقوم على القسمة مثل قسمة التصديق إلى إيمان بالشهادة وإيمان بالغيب، وقسمة طرق الإيمان إلى التقليد، والبرهان، والمشاهدة.^{٢١٧}

(٧) الكاشاني (٧٣٠هـ)

(أ) «فيما يتعلق ببطون الآية الكريمة ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾»^{٢١٨}

وهي رسالة قصيرة، صفحة واحدة، في موضوع التفسير بالرغم من وضوح الآية ودلالاتها على رسالة الإنسان في العالم. وهي حمل الآية وتحقيق الوحي، كلمة الله، كنظام مثالي للعالم. ومع ذلك، تعتمد كثيرًا على القرآن، تفسيرًا للقرآن بالقرآن.^{٢١٩}

(ب) «في تحقيق ما فعل آصف بن برخيا من حصول

عرش بلقيس عند سليمان عليه السلام»^{٢٢٠}

وهي رسالة قصيرة. صفحة واحدة في تفسير شخصية آصف بن برخيا. وهو عالم إنساني مؤيد بالروح الإلهي عند بلقيس. وهو الذي أجلى لها حقيقة شخص سليمان. وتصرف في عرشها بخلع صورته عن مادته. ونقله إلى سليمان بأسرع من ارتداد الطرف كما هو الحال في كرامات الأولياء ويعتمد على القرآن وحده دون الحديث أو الشعر أو أقوال الصوفية.^{٢٢١}

(ج) «الفوائد العربية في بيان قول النبي «الراحمون يرحمهم الرحمن»»^{٢٢٢}

وهي رسالة في المدخل اللغوي لفهم الحديث خاصة والقرآن عامة. تبحث في المترادفات وغير المترادفات، والعموم والخصوص في اللغة. فالرحمن أعم الأسماء. تعتمد على القرآن

^{٢١٦} الآيات (٣٠)، الأحاديث (٨)، الأشعار (١).

^{٢١٧} رسالة في قوله تعالى ... ص ٩٨-٩٩.

^{٢١٨} آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (١٦)، ص ١٧٣.

^{٢١٩} الآيات (١١).

^{٢٢٠} آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (٢٠)، ص ١٩١-١٩٢.

^{٢٢١} الآيات (٢).

^{٢٢٢} آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (٨)، ص ١٣٥-١٣٨.

والحديث دون الشعر وأقوال الصوفية.^{٢٢٢} كما تعتمد على بعض نواحي القسمة العقلية مثل قسمة الرحمة إلى عطاء وكسب وظهورها بالفاعل أو بالتحلي بها.

(د) «في الجمع بين الحديثين»^{٢٢٤}

وهي رسالة قصيرة، صفحتان في نفس الموضوع، مع تغيير العنوان من «التلفيق» إلى «الجمع» بين نفس الحديثين للرسول ولعلي، بين النبي والصحابي طبقاً للقاعدة والاستثناء. فالحديث النبوي الذي يفرق بين الظاهر والباطن هو الاستثناء. وحديث علي الذي يوحد بين الظاهر والباطن هو القاعدة. والجمع بين الحديثين ممكن على المستوى الطبيعي وليس المنطقي. التطابق بين الظاهر والباطن هو تطابق بين العلول والعلة. وهو ما يتفق مع أحاديث أخرى مجهولة أو معلومة.^{٢٢٥} وفي هذه الحالة يكون التلفيق هو التوفيق المنطقي. والجمع هو التوفيق الطبيعي.

(هـ) «في التلفيق بين الحديثين»^{٢٢٦}

وهي أيضاً صفحة واحدة. وموضوع الرسالة التعارض الظاهري بين الفصوص، بين حديث نبوي وقول لعل حول الظاهر والباطن.^{٢٢٧} الأول يفرق بين الظاهر والباطن، بين الشخص وعمله. والثاني يوحد بين الاثنين. والتوفيق عن طريق العموم والخصوص. المفهومين الأصوليين اللغويين. والتوافق المنطقي النظري عن طريق منطق الجهة والكلية والجزئية بوضع «بعض» مكان «كل». وهو تحليل نظري خالص لا يعتمد على أي دليل نقلي، قرآن أو حديث أو شعر أو قول صوفي.

^{٢٢٢} الآيات (٧)، الأحاديث (١).

^{٢٢٤} آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ.

^{٢٢٥} المجهولة مثل حديث «أنا كالديك النكاح»، والمعلومة مثل «خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام»، السابق، ص ١٤٩.

^{٢٢٦} آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ.

^{٢٢٧} حديث الرسول «إن الله يحب العبد ويغض عمله، ويحب العمل ويغض بدنه» وهو حديث مجهول. وقول علي «إن لكل ظاهر باطناً على مثاله. فما طاب ظاهره طاب باطنه، وما خبث ظاهره خبث باطنه.»

(٨) مؤلفات محمد وفا (٧٦٥هـ)، الجيلي (٨٣٥هـ)،

ابن عجيبة (١٢٢٤هـ)، الكتاني (١٣٢٧هـ)

(أ) «كتاب الأزل متحدث عن الحقائق الأزلية في شرح

تجليات الأسماء الإلهية»، لمحمد وفا الكبير^{٢٢٨}

والعنوان الفرعي قد يكون إضافة من المحقق. وهو قراءة للأسماء الإلهية وتجلياتها في الوجود مثل «تحرير التذكر»، و«شرح أسماء الله الحسنى» للقسيري و«المقصد الأسنى» للغزالي. ولا يبرر العنوان. ولا تذكر مناسبة التأليف. والأسماء الإلهية دوائر وليست ألفاظاً أي هي آفاق وميادين وفضاءات. كل دائرة تبدأ بمقدمة نظرية بالإضافة إلى المقدمات النظرية الطويلة الأولى.^{٢٢٩} تبدأ بالمصطلحات لدرجة أن الكتاب قد يدخل أيضاً في المصطلح الصوفي. ويمكن الجمع بين الاثنين لاستنباط المصطلحات من أسماء الله الحسنى مثل القبض والبسط ... إلخ.^{٢٣٠} فالكتاب يجمع بين المصطلحات الفلسفية والأسماء الإلهية. والخطاب موجه للقارئ بلفظ «اعلم»، «افهم». ويتم تقطيع النص بألفاظ مثل «فرع».^{٢٣١} والمقدمة مجرد إلهاميات ووجدانيات. وتعتمد كثيراً على القسمة العقلية. وقبل كل اسم مقدمة نظرية لشرحه. كما يعتمد على القرآن والحديث دون الشعر أو أقوال الصوفية.^{٢٣٢} والمؤلف هو أحقر العبيد وأفقرهم إلى مولاه الغني، تحقيراً للنفس وتعظيماً للآخر.^{٢٣٣} ودلالة ذلك كله أن الأسماء الإلهية بين المنطق والأخلاق بين التعريفات النظرية والمثل العملية.

(ب) «الكهف والرقيم في شرح باسم الله الرحمن الرحيم» للجيلي^{٢٣٤}

وهو عنوان غريب في جزئه الأول «الكهف والرقيم»، وخادع في الثاني «في شرح باسم الله الرحمن الرحيم» لأن الشرح كتابة نص والشرح هنا نص أول. وسبب التأليف أنه إجابة

^{٢٢٨} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م.

^{٢٢٩} السابق، ص ٦-٦٠.

^{٢٣٠} السابق، ص ١١-٢٦.

^{٢٣١} فرع (٥٧).

^{٢٣٢} الآيات (٦٨)، الأحاديث (١٣)، القدسي (٤).

^{٢٣٣} كتاب الأزل، ص ١٤١.

^{٢٣٤} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م، (١)، ص ١١-٣٤.

على سؤال^{٢٣٥} وهو شرح فيه من آثار ابن عربي، شرح البسمة حرفًا حرفًا ابتداءً من الباء والألف والميم. وللميم أربعون مرتبة منها القلم واللوح المحفوظ والكرسي والهيولى والهباء والأفلاك والعناصر الأربعة والإنسان وعالم الصور والمعاني والحقائق. يعتمد على القرآن والشعر والحديث^{٢٣٦}. ولا يحال إلى الصوفية السابقين بالرغم من الاعتماد على ابن عربي.

(ج) «تفسير الفاتحة الكبير لابن عجيبة» (١٤٢٤هـ) ^{٢٣٧}

وهو تفسير كبير لسورة صغيرة لا تحتاج إلى تفسير. يقرأها الناس كل يوم في صلواتهم عشرات المرات، مثل تفسير صدر الدين القونوي لنفس السورة. وبهذه الطريقة يمكن إعداد مئات الشروح تجميعًا من القدماء وإشباعًا لرغبة المحدثين للغرائب والخيالات والأحلام تعويضًا في المستقبل عن مآسيهم في الحاضر. وبالرغم من أن الشرح يبدو لفظًا بلفظ وآية بآية إلا أنه يجعل اللفظ أو الآية مناسبة لدراسة الموضوع بإسهاب وتفصيل وتجميع أكبر قدر ممكن من المعلومات عنه. فهو أقرب إلى الشرح الموضوعي منه إلى الشرح اللفظي مثل شرح الطرابلسي على شيخه الخلوتي. وتظهر أربعة موضوعات كبرى. الأول أسماء الله الحسنى التسعة وتسعون بمناسبة ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، والأخرويات ومشاهد القيامة والجنة والنار بمناسبة ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾. وكلها للتشويق وإثارة الخيال والمساهمة في خلق الوعي الزائف. والثالث أسرار العبارات والفقه الأخلاقي بمناسبة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. والرابع وهو الأهم ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ أي فرق المؤمنين بإجمال. وهي أصغرهما مع أنه كان يمكن إعادة قراءتها ووصف أحوال الأمة ومذاهبها وسط المذاهب والحضارات المعاصرة^{٢٣٨}. ثم تأتي أمور الجهاد ومقاومة الاحتلال وأشكال الهيمنة الجديدة، ودولة الفقراء يوم القيامة إبعادًا

^{٢٣٥} «فإني استخرت الله تعالى في إملء هذا الكتاب المسمى ... وذلك بعد باعث رحماني وإجابة لسؤال أخ عارف رباني، هو ذو الفهم الثاقب، والذكاء الباهر الراسخ المناسب، والتجريد والتفريد والقدم الصادق، في المطالب عماد الدين يحيى بن أبي القاسم التونسي المغربي سبط الحسن بن علي بعد مدافعتي إياه، وتأخري عن التقدم إلى ما يهواه ... بعثني صدق رغبته إلى موافقته، فاستخرت الله ولجات إليه ...»، السابق، ص ١٢.

^{٢٣٦} الآيات (٢٩)، الأشعار (١٢)، الأحاديث (٧).

^{٢٣٧} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ.

^{٢٣٨} أسماء الله الحسنى (٦٨)، المعاد (٤٧)، العبادات (٦١)، فرق المؤمنين (٢٦).

لهم عن دولة الأغنياء في هذا العالم.^{٢٣٩} ويعود إلى رصد فرق الواقع من أجل الإشارة إلى الفرقة الناجية طبقاً للاستعمال السياسي لهذا الحديث الضعيف طبقاً لابن حزم والعز بن عبد السلام لتأييد فرقة السلطان.^{٢٤٠} وكيف تتم الفائدة من هذا الشرح التجميعي وتطبيق هذه الغايات الثلاث من الشرح وهي التعلق والتخلق والتحقق خاصة في الأسماء الإلهية؟ أما المقدمات العشر فمستقاة من علوم القرآن بتفصيلاتها وموضوعاتها وإشكالاتها القديمة. والشارح على وعي بالبرنامج. يفصله في المقدمات.^{٢٤١} وكلها معلومات مدرسية مجمعة. القصد منها التعامل مع أن ناقل العلم وحامله ليس بعالم. وتبرز الاقتباسات بلفظ «انتهى». ويتم شرح القرآن بالقرآن وبالحديث. وبالشعر دون أقوال الصوفية.^{٢٤٢} وتستعمل بعض معطيات الطب الحديث.^{٢٤٣} واستكمالاً للمعلومات يذكر الوافد أرسطو كزينة للكلام.^{٢٤٤} ويظهر أسلوب القول بين الحين والآخر ليوحي الشارح بأنه يرد على الاعتراضات النظرية بأسلوب «قليل ... قلت». وهو لا يرد على أحد ولا يتوجه لأحد بالنقد، وليس له منهج في الشرح، ولا يرتبط المتن بالزمن الحاضر. ويقتصر على شرح القدماء بالقدماء.

(د) «الكشف والتبيان عما خفي عن الأعيان من سر آية ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ لأبي الفيض الكتاني^{٢٤٥}

وهي في علم التفسير والرد على المفسرين الذين يظنون البيعة هي الشرعية مع محمد الرسول وليست الروحية منذ عهد ﴿أَلَسْتُ﴾، البيعة الروحية، وهذا هو سبب التأليف.^{٢٤٦}

^{٢٣٩} تفسير الفاتحة، ص ٤٣٧-٣٥٣.

^{٢٤٠} السابق، ص ٥.

^{٢٤١} تفسير الفاتحة، ص ٢١١.

^{٢٤٢} الآيات (٤٨٥)، الأحاديث (١٩٤)، الأشعار (٤٢).

^{٢٤٣} تفسير الفاتحة، ص ٢٤٩.

^{٢٤٤} السابق، ص ٢٥.

^{٢٤٥} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م/١٤٢٥هـ (٢)، ص ١١٧-٢٠١.

^{٢٤٦} «اعلم أنه رفع إلينا سؤال يستكشف عن سر قول ربنا العظيم ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ ... اعلم أن ظاهر الآية مشكل وهي وما شاكلها من الآي القرآنية المقتضية لنفي الإيمان عن

فالحقيقة الأحمديّة هي الوجود كله، رحمة للعالمين قبل محمد وبعده. وهو الإنسان الكامل الذي يتوحد فيه الكون. وهي أفضل من جبريل على عكس المعتزلة الذين فضلوا الملائكة على الرسل. والقرآن مودع فيه. وتبدأً بقصيدة طويلة. وسبب التأليف السؤال عن معنى الآية الموجهة للرسول.^{٢٤٧} الإيمان والكتاب هم الظاهران من محمد، والسر والروح هما الباطنان في أحمد. وتعتقد لذلك ثلاث مقدمات تفسيرية لآية واحدة هي آية ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾. وهي تخاطب الحقيقة الأحمديّة. والرسالة والنبوة لا ينقطعان بالموت. وتظل الفيوضات على الحقيقة الأحمديّة. وتستعرض أقوال المفسرين وتأويلاتهم الغربية أو البعيدة من التأويل الصوفي ومنها الدين الطبيعي أو الدين الفطري العام الأساس الأول للوحي. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر.^{٢٤٨} ومن الصوفية يذكر الحلاج والتستري.^{٢٤٩} والفقهاء هم الأكثر ذكرًا مثل البيهقي ثم ابن أبي الدنيا والصابوني.^{٢٥٠} ويحال إلى عديد من المصادر.^{٢٥١} ويذكر بعض الأنبياء.^{٢٥٢}

أكمل الأنواع الإنسانية وأطهر الذوات الأدمية وأنزله العقول القدسية والأعلم بالله من جميع الخليقة الربانية، والمقتضية لنفي دراية الكتب، من المتشابه في حق الحضرة المحمدية، ومن المعمي في جانب الجلالة الأحمديّة. فلا يتبقى الخوض في ذلك إلا لأهل الكشوفات العرفانية ومظاهر الحقائق التنزيلية السابحين بسفن النور الإلهي في أبحر الغوامض، السابق، ص ١٢١.

^{٢٤٧} «ولكن لم يكن بد من ذكر فذلّة تنبئ عما وراءها. فالحق أحق أن يقال، وكتمان العلوم مذموم، وبذله لمستحقه أكيد محتوم، سيما العلم الذي فيه حفظ العقائد، وحيطة النور الإلهي المودع في الضمائر وليس إلا بحفظ الآداب مع جانب الرسالة...»، السابق، ص ١٢٢.

^{٢٤٨} الآيات (٨١)، الأحاديث (٢٣)، الأشعار (١١).

^{٢٤٩} «إن سيدنا محمد ﷺ هو الإنسان الكامل، وإنه مخلوق على صورة الله وعلى صورة الرحمن. وهو معنى حديث: «من رآني فقد رأى الحق»، السابق، ص ٨٢، ١٩٥.

^{٢٥٠} البيهقي (٣)، ابن أبي الدنيا، الصابوني (٢)، الجيلي، الطبراني (١).

^{٢٥١} «النطق المفهوم لابن ظفر بك السياق»، «المولد» لابن عائد، «شرح بردة المديح» للزركشي، «الروض» للواقدي.

^{٢٥٢} مثل: موسى (٢)، آدم، شيث، يوسف، هارون، يوشع، داود، دانيال (١).

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

(هـ) «تعبير الرؤى الغريبة أو الأنوار الباهرة في تعبير الرؤيا بالعبارة والإشارة»: لعبد السلام العمراني الخالدي^{٢٥٣}

وموضوعه تعبير الرؤيا مثل ابن سيرين. وتصنف حسب الموضوعات،^{٢٥٤} وتظهر بعض الموضوعات العصرية مثل الطائرة والسفينة والقطار والسيارة والدراجة والسينما والمقهى والنادي والملاعب. وكلها ظنون ودلالات ظنية شعبية شائعة تعتمد على الحس البديهي طبقاً للمثل الشعبي «الجعان يحلم بسوق العيش» أو «الي يخاف من العفريت يطلع له». وتعتمد على القرآن والشعر والحديث دون أقوال الصوفية أو الإسرائيليات.^{٢٥٥} ونظراً للتشابه الشديد بين التجربة الصوفية والتجربة الأدبية اختلطت التجربتان في الأشكال الأدبية بل وفي المضمون أيضاً بحيث يصعب التفرقة بين العمل الصوفي والعمل الأدبي.

^{٢٥٣} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م/١٤٢٥هـ (٣)، ص ٢٠٣-٢٥٩.

^{٢٥٤} وهو اثنا عشر موضوعاً: الله، والملائكة، والشيوخ والعوام، والقلم والزواج، والشمس، والقمر، والوضوء والغسل، والمركبات والأطعمة، والقصر والحبوب والأشجار والحيوانات والأسماك والسلاح، واللحوم والدود والجن والطير والسوق والخياط.

^{٢٥٥} الآيات (٧٣)، الأشعار (٦)، الأحاديث (٢).

خامسًا: الأشكال الأدبية

وقد عبر الصوفية عن مواجيدهم في عدة أشكال أدبية أولها النظم وهو الشعر. والثاني النثر الفني، الفصول والغايات والتمجيد والمواعظ، والحكم والمناجاة. والثالث القصص الرمزي. والرابع السيرة الذاتية. والخامس المكاتبات. والسادس الرسائل والمسائل. وهو تصنيف يقوم به نقاد الأدب وليس الباحثون في التصوف. ومع ذلك هو موضوع مشترك بين الأدب والتصوف خاصة الشعر الصوفي.

(١) النثر الفني: (الحكم، الوصايا، المناجاة، التجليات)

ويشمل النثر الفني الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ للمعري (٤٤٩هـ)، والحكم عند ابن عطاء الله السكندري (٧٠٩هـ) ومصطفى البكري (١١٦٢هـ)، والوصايا عند ابن عربي (٦٣٨هـ)، والمناجاة عند ابن عطاء الله (٧٠٩هـ) والمستغانمي (١٣٥٣هـ). والنثر الفني في الوعي النظري هو استئناف للوعي التاريخي اللغوي. وهو استعمال اللغة كجرس وموسيقى مثل القرآن الكريم بعد أن فرض نفسه كنوع أدبي جديد بين الشعر والنثر. وهو استمرار للمواقف والمخاطبات للنفري (٣٥٤هـ)، و«الإشارات الإلهية» لأبي حيان (٤٠٣هـ). والفرق بينهما هو تجلي الوعي التاريخي الخالص في طبقات الصوفية للسلمي (٤١٢هـ) وفي «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٤٣٠هـ).

(أ) «الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ» للمعري (٤٤٩هـ)^١

وهو كتاب يجمع بين التصوف والأدب، من شاعر وأديب لقبه «أمير الحكماء» كما أن التوحيدي «أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء». لذلك اتهمه الفقهاء بتقليد القرآن،

^١ الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧م.

فالقرآن جمع بين الأدب والأخلاق مثل التصوف في أسلوب بين النثر والنظم. وتُستعمل جميع المحسنات البديعية من جناس وطباق. وهو أسلوب لا يميز العصور المتأخرة وحدها، عصر المقامات، وقد يغالي في ذلك حتى يبدو الأسلوب متكلفًا مصطنعًا. تتحول فيه اللغة من وسيلة للتعبير إلى غاية في ذاتها^٢ وتُستعمل عدة ألفاظ لتقطيع الفقرات مثل «رجع» أي رجع الصدى. فاللغة أصوات. ويكشف الكتاب عن قدرة خارقة تصل إلى حد الإلهام على الإبداع اللغوي والتعبير عن المواجهات الصوفية بتعابير وأساليب أدبية. وهو إملاء شفاهي على مردييه يسمى غاية. ثم يفسر ألفاظه كما هو الحال في تفسير القرآن ويسمى «تفسيرًا». ثم يعود إلى الإملاء ويسمى «رجعًا». فالتأليف إيقاع ثلاثي، غاية فتفسير فرجع. والعنوان نفسه غامض. فماذا تعني «الفصول والغايات»؟ هل الفصول هي الفصول السبعة التي يتألف منها الجزء الأول؟ وهل الغايات هي الفقرات؟ في هذه الحالة لا يشير العنوان إلا إلى الأشكال الأدبية والتقسيمات الخارجية ووحدات الكتاب كما هو الحال عند بعض المحدثين الغربيين. لم يعثر إلا على الجزء الأول منه. وهو مقسم إلى فصول غير مرقمة طبقًا للحروف كغايات. أكبرها فصل غايته تاء وأصغرها فصل غايته ألف^٣. ولا يوجد فرق من حيث الموضوع بين فصل وغيره بين حرف وغيره. وهي مناجاة بين النفس والله مثل «اعترافات» أوغسطين. ويتوجه النداء مع الله إلى النفس والقلب والضمير والعقل والأنا والرجل الوحيد والطبيعة مثل الطيور والقبائل ثم إلى مظاهر الوجود الإنساني مثل الراعي والكهل والجسد والدنيا بل وإلى الأنبياء مثل آدم. وتتنوع الأشكال الأدبية للمناجاة بين الأوامر والمواظ والحكم والتحذير والأخلاق والاستغاثة وطلب المناجاة. ولا يتوجه النداء إلى شخص بعينه إلا أسامة بن زيد^٤.

ويعتمد على عديد من الأشعار ثم القرآن دون الحديث. فالمؤلف شاعر. يستشهد بشعره وبشعر غيره. فالنثر الفني يعتمد أحيانًا على الآيات. والأخلاق الصوفية تعتمد

^٢ وهي نفس التهمة التي وجهت إلى ديوان «جيم» للشاعر حسن طلب.

^٣ فصل غايته ألف (٤٧). فصل غايته باء (٦٠)، فصل غايته تاء (١٠١)، فصل غايته ثاء (٩٢)، فصل غايته جيم (٨٣)، فصل غايته حاء (٨١)، فصل غايته خاء (٩٠).

^٤ الفصول والغايات، ص ١٦٧.

في الاستشهاد على الأحاديث. فالشحنة الأدبية في القرآن أعلى من الحديث.^٥ والاستشهاد بالآيات لمقاربتها للنص في جانبها اللغوي وشكلها الأدبي ليس لمعناها أو مضمونها. ونادراً ما تعتمد «الفصول والغايات» على التحليل العقلي. ولا تظهر القسمة العقلية، وهي إحدى طرق التعريف إلا نادراً.^٦

(ب) حكم ابن عطاء الله السكندري (٧٠٩هـ)

ويتم القفز إلى الوجود عن طريق الأخلاق أي التصوف الخلقي أو عن طريق المعرفة في التصوف النفسي. وقد أبدعت أخلاق الوجود شكلاً أدبياً خاصاً بها هو «الحكم» كما أبدعها المبشر ابن فاتك في الفلسفة في «مختار الحكم في محاسن الكلم» طبقاً لحديث الرسول «أوتيت جوامع الكلم» أو الأقوال كما هو الحال في «أقوال التستري»^٧ فقد تعددت أشكال التأليف الصوفي بين الكتاب والرسالة والحكم والأقوال والشعر، والسؤال والجواب، والشرح والاختصار ... إلخ. وهي حكم كثيرة، غير مرقمة وغير مبوبة.^٨ معظمها قصيرة. أقلها الشعر وأكثرها النثر المسجوع، وهي موجهة إلى القارئ، أشبه بالمواظع، نصائح عملية لسالكي الطريق. وتدخل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية داخل صياغة الحكمة. والآيات أكثر من الأحاديث.^٩ ويظهر التحول من الأخلاق إلى الوجود في عديد من الحكم وذلك عن طريق تمثيل الحضور الإلهي في النفس وتحويلها إلى سلوك فاضل، وتجلي الله في كل شيء. وابن عطاء الله مالكي. فليس كل متصوف هو أشعري بالضرورة.

وأشوأ ما في الحكم هو مضمونها، إسقاط التدبير، وتسليم كل شيء لله، وعدم الأخذ بالأسباب، والتوكل على الله، عكس فشته وإقبال في نظرية الحرية ووضع الذات بالذات،

^٥ الأشعار (٣٥٠)، الآيات (١٠)، والأشعار من النابغة وذو الرمة وامرئ القيس وزهير وأممية وسحيم. ويخلو التحقيق من أي فهارس عامة ولو للشعر).

^٦ الفصول والغايات، ص ٤٧٣.

^٧ من النقل إلى الإبداع، مج ١، النقل، ج ١، التدوين، ص ٢٢٤-٢٢٦.

^٨ عند الشارح الأزهرى الشيخ عبد المجيد الشرنوبى ٢٦٤ حكمة، ولكنها في الحقيقة حوالي ٣٢٩ بالإضافة إلى المناجاة الأخيرة.

^٩ الآيات (٥)، الأحاديث (٢).

الذات تضع نفسها حين تقاوم. فالعمل من علامات ضعف الرجاء.^{١٠} وقبول الشر ضروري بلا اعتراض. «كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان.»^{١١} يبدأ الأمر بوحدة الشهود ثم يتحول إلى وحدة الوجود.^{١٢} وتتحوّل المقامات كالشكر والأحوال كالخوف إلى وجود. تتضمن مادة التصوف التقليدية ويُعاد تأويلها كوجود. أسوأ ما فيها الفناء عن الذات وتصغيرها. ويستمر الشارح في نفس الاتجاه. فهو أفقر العباد إلى مولاه.^{١٣} ومع ذلك تظهر لغة الذاتية. وكما بدأ التصوف كرد فعل على الفتن الداخلية وهروباً منها فإنه ينتهي أيضاً كرد فعل على هزائم العصر أمام الاستعمار الخارجي والقهر الداخلي.

(ج) «الغرر البديهيّة في الحكم الإلهية» لمصطفى البكري (١١٦٢هـ)^{١٤}

وهي مجموعة من الحكم مثل أقوال التستري مرتبة ترتيباً أبجدياً.^{١٥} تظهر الحكم كشكل أدبي. ويقع السجع بين شطري الحكمة كالكافية في الشعر دون تقسيم موضوعي لها. فالغاية هو المثل السائر. وهي عبارات قصيرة، ذات صياغة أدبية متكلفة أحياناً، نداء إلى القلب، اقتضاء فعل، دعوة إلى العمل، إرشاد إلى النفس، تشبه الأحاديث القصيرة من «جوامع الكلم». والشطحات مع الاحتراس في العبارة. وهي مكتفية وواضحة بذاتها دون شواهد نقلية باستثناء آية واحدة، وصوفي واحد، الحلاج.^{١٦} نبتت من القلب وسطرت بيد العبد الجاثي المتعفر في لحاق أرباب التفاني.^{١٧}

^{١٠} من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل، حكم، ص ٤.

^{١١} السابق، ص ٣٠.

^{١٢} «ولا عمل أرجى للقبول من عمل يغيب عنك شهوده، ويحتقر عندك وجوده»، السابق، ص ٣٧.

^{١٣} السابق، ص ٣.

^{١٤} البيان والمزيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (٢)، ص ١٢٣-١٩٠.

^{١٥} حوالي ١١٨١ حكمة.

^{١٦} مثل إقبال في تأملات تائهة Stray Reflections.

^{١٧} «فهذه نبذة في الحكم مرتبة على حروف المعجم جرت على القلب، ونطق بها الفم ورسمها في الطرس اليراع والقلم»، الغرر البديهيّة، ص ١٢٤.

(د) رسائل ابن عربي (٦٣٨هـ)

(١) «كتاب الوصايا»^{١٨}

وهو في نظرية المعرفة، الجمع بين علم الإيمان والدليل العقلي.^{١٩} ويعتمد على القرآن والحديث والشعر.^{٢٠} يخاطب القارئ في نوع أدبي جديد.

(٢) «الوصية»^{٢١} وهي غير كتاب «الوصايا» ولكنها في نفس النوع الأدبي. ومنها العمل بالعلم والصبر والشكر وعدم العلو في الأرض والخيلاء، وإقامة الحدود، والتسبيح، والحياء. وهي وصايا متوارثة بين الصوفية منهم إلى مريدهم وتعتمد على الحديث والقرآن والشعر.^{٢٢} وتذكر وقائع فعلية حدثت فيها الوصايا.^{٢٣}

(٣) «كتاب التجليات»^{٢٤} وهي عدة رؤى صغيرة مثل اللطائف والإشارات.^{٢٥} لكل تجلٍ عنوان ومثل شعبي صوفي. موضوعاتها متنوعة بين المعرفة مثل الإشارة والظن والباطن والمناظرة والمجادلة، الفطرة، والدعوة والتهذيب والولاية والرؤية والنور والقلب والعقل والكلام والعلاقة. وبعضها أخلاق مثل المراقبة والصدق والوصية والنصيحة والاستحقاق والتقرير والمباينة والمعارضة. وبعضها أحوال مثل الفناء والبقاء. وبعضها مقامات مثل المحبة التي تتكرر في أكثر من تجلٍ والانتظار والتسليم. وبعضها في الطريق مثل السبحات والحيرة والحظ والأمانى والشرائع والإيمان والأرواح والهمم. وبعضها

^{١٨} رسائل (١)، ج ٢ (٢٥)، ص ١-٥.

^{١٩}

للشعر نور وللألباب ميزان
والشرع للعقل تأييد وسلطان
والكشف نور ولكن ليس تدركه
إلا عقول لها في الوزن رجحان

السابق، ص ٢.

^{٢٠} الآيات (٣)، الأحاديث (١)، الأشعار (١).

^{٢١} رسائل (١)، ج ٢ (٢٨)، ص ١-٧.

^{٢٢} الأحاديث (٥)، الآيات (٢)، الأشعار (١).

^{٢٣} مثل ابن راهويه، وهارون الرشيد والبهلول.

^{٢٤} رسائل (١)، ج ٢ (٢٣)، ص ١-٥٣.

^{٢٥} التجليات (١٠٩).

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

في التوحيد الذي يتكرر في أكثر من تجلٍّ، والتنزيه والرحمة والجود والعدل والمغفرة والقدرة. وبعضها في الكون والخلق والنشأة والسريان والتحول، والمقابلة والقسمة والمزج والفردانية والمراتب والاستواء والعلة والشجرة والمعدوم. وبعضها في الزمان مثل الإنية والمعية. ويعتمد على الشعر والقرآن دون الحديث.^{٢٦} ويذكر من الصوفية الجنيـد ثم الحلاج ثم ابن عطاء ثم ذو النون وأبو سعيد الخراز.^{٢٧} ومن الأنبياء موسى.^{٢٨} ومن الصحابة علي وأبو بكر.^{٢٩} والأسلوب تقليد للقرآن خاصة في البداية. يخاطب القارئ ويدعو مثل أسلوب إخوان الصفا. ويحال إلى كتاب «الهياكل» وكتاب «الحروف» من «الفتوحات».

(هـ) «المنجاة الإلهية» لابن عطاء الله السكندري (٧٠٩هـ)^{٣٠}

وهي من الأشكال الأدبية في النثر الفني، مثل الوصايا والمواعظ والحكم والدعاء والأحزاب والأوراد ... إلخ. وهي أربع وثلاثون مناجاة تضع تقابلاً بين الإنسان والله مثل: الفقير والغني، الجاهل والعالم، القادر والعاجز، الفضائل والذائل، المتكلم والصامت، الحاكم والمحكوم، القاهر والمقهور. يعبر الإنسان فيه عن ذله واستجدائه بعبارة نداء «إلهي» أربعاً وثلاثين مرة دون ملل أو اكتفاء. يتوجه إليه بالطلب والرجاء بدلاً من التحقيق، والاستجداء بدلاً من الأداء. ليس بها أية أدلة نقلية من قرآن أو حديث أو شعر أو استشهاد بقول صوفي. ولا يوجد أي تحليل نظري أو دليل عقلي، بل مجرد ابتهالات وأدعية وتمنيات.

^{٢٦} الأشعار (٢١)، الآيات (١٤).

^{٢٧} الجنيـد (٥)، الحلاج، ابن عطاء (٤)، ذو النون، أبو سعيد الخراز (٢)، جعفر الصادق، الشبلي، يوسف بن الحسين، البسطامي، داود الطائي، أبو عبد الله القرشي، إبراهيم الخواص، أبو السعود البغدادي، الشيخ أبو ربيع الكفيف الأندلسي (١).

^{٢٨} موسى (١).

^{٢٩} علي (٢)، أبو بكر (١).

^{٣٠} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ، (٢)، ص ٦٩-٧٨.

(و) «النور الضاوي في الحكم ومناجاة الشيخ العلوي»
لأحمد المستغانمي (١٣٥٣هـ)^{٣١}

والمناجاة نوع أدبي، مناجاة الله مثل مدح الرسول وحزب الطريقة وورده. وهو سبب التأليف^{٣٢} صاحبها هو العبد الفقير إلى ربه المرتجي عفوّه. غرضها التقرب إلى الله بشيء من الأعمال النافعة وهي المناجاة أي القول النظري. وهي مملوءة بالشواهد القرآنية منذ البداية بدفقة متتالية من الآيات. والحديث أقل لأنه أقل بلاغة وأكثر اتجاهًا نحو العمل والشعر غائب لأن القرآن يقوم مقامه من حيث البلاغة.^{٣٣} تتلوها الحكم العلوية، اثنتان وخمسون حكمة مثل حكم ابن عطاء الله السكندري، مثل الأقوال المأثورة والأمثال العامة.^{٣٤} في معظمها وجدانيات وتمنيات، تحصيل حاصل، ليس بها موضوع محدد. ومعظمها نقل عن الآخرين.

(٢) القصص الرمزي

(أ) «رسالة الطير» للغزالي (٥٠٥هـ)^{٣٥}

وكما عبر الصوفية عن تجاربهم الصوفية بالشعر نظرًا للقرب بين التجربة الصوفية والتجربة الشعرية عبروا أيضًا عنها بالقصة التي تشارك الشعر في الخيال وإن افرقت عنه في النظم.^{٣٦} وهي قصة رمزية على سلوك الطريق وما به من مخاطر.^{٣٧} اجتمع الطير على اختلاف أنواعه لاختيار ملك، وكانت العنقاء الأصلح المقيم بالمغرب وربما الجزائر. فقرروا الذهاب إليها بشوق بالغ بالرغم من المهالك والأخطار واختلاف

^{٣١} دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٠٦م، (٣)، ص ١٢٥-١٤٤.

^{٣٢} أردت أن أتقرب إلى الله بشيء من الأعمال النافعة فما وجدت أنفع من العمل الذي يقربني ويقرب الخلق من الله فأطلقت لفكري العنوان...». السابق، ص ١٢٥.

^{٣٣} الآيات (٥٧)، الأحاديث (١).

^{٣٤} النور الضاوي، ص ١٤١-١٤٤.

^{٣٥} مكتبة الجندي، القاهرة، (د.ت).

^{٣٦} ولابن سينا أيضًا «رسالة الطير»، ولكنها دخلت في الفلسفة الإشراقية في «من النقل إلى الإبداع». وقد كان الطيران أحد أحلامي الدائمة.

^{٣٧} القصص العوالي من رسائل الإمام الغزالي، ص ٢٢٨-٢٣٢.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

الأجواء بين الحر والبرد.^{٣٨} موضوعها الطريق. هجرة طيور من المغرب إلى المشرق للبحث عن ملك لها هو العنقاء بالرغم من صوت التحذير من الهلاك. ونظرًا لشدة الحنين هاجر الطير بالرغم من الحرارة والبرودة. ثم سمعت صوتًا ينادي أنه لا ملك إلا هو، والصبر في السعي إليه دون يأس أو نكوص. فالطيور تعود إلى نشأتها الأولى منذ عهد ﴿أَلَسْتُ﴾ الذي يتطلب تجديد العهد بالوضوء والصلاة والذكر والخلو. وتعتمد الرسالة على القرآن أولاً ثم الشعر ثانيًا ثم الحديث أخيرًا.^{٣٩}

(ب) «حي بن يقظان» للسهروردي (٥٨٧هـ)^{٤٠}

ولابن سينا وابن طفيل أيضًا قصتان بنفس العنوان.^{٤١} وهي في مقامات الصوفية وأصحاب المكاشفات، وليست في علوم الحكمة. وتسمى أيضًا «الغربة الغربية»، أو «الغربة الغربية»، أو «الغريبة الغربية». بها رمز الغرب، مثل رسالة الطير للغزالي. فقد ذهب حي مع أخيه عاصم، شخصية ابن طفيل الذي عرف الوحي بالنور الطبيعي، لاصطياد طيور من الغرب، القيروان، وهي مدينة ظالم أهلها. فأمسك بهما أهلها وقيدوهما ورموهما بالبئر عليهما قصر مشيد. وهي صورة قرآنية ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾. ويقترح الهدهد عليهما طريقة للخلاص، وهو طريق الله. وتدخل الآيات القرآنية في نسيج العبارات.^{٤٢}

(ج) «منطق الطير» لفريد الدين العطار (٦٢٧هـ)^{٤٣}

وبه نفس رمز الطير أي السلوك في الطريق. وهو منطق أي طريق ومنهج. وهو أكبر كمًا وأغنى صياغة. يعبر أيضًا عن مدى التقارب بين التجربة الصوفية والتجربة الأدبية،

^{٣٨} «فكلام الطيور لا يفهمه إلا من هو من الطير»، السابق، ص ٢٣٢.

^{٣٩} الآيات (٩)، الأشعار (٧)، الأحاديث (١).

^{٤٠} السهروردي (المقتول): حي بن يقظان، لابن سينا وابن طفيل والسهروردي، تحقيق وتعليق أحمد أمين، ج ٣، دار المعارف، مصر، ص ١٢٤-١٢٧.

^{٤١} تم تحليلها في إعادة بناء علوم الحكمة، من النقل إلى الإبداع، مج ٣، التراكم، ص ٣١-٤١.

^{٤٢} حوالي ١١٩ آية.

^{٤٣} دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٤م/١٤٠٤هـ.

والتعبير عن الأزلي في موقف إنساني وبصيغة أدبية. هي قصة فلسفية، أدب يعبر عن فكر كما هو الحال في الأدب الغربي الوجودي المعاصر. تضم عدة مقالات، خمسًا وأربعين، في كل منها أكثر من حكاية. ومعظم المقالات في أذار الطيور عن الرحيل.^{٤٤} ومقالات أخرى عن الأسئلة الموجهة للهدهد عن مخاطر الطريق.^{٤٥} وباقي المقالات في وصف الطريق بعد اجتماع الطير وحديث الهدهد في طلب السيمرغ.^{٤٦} المقالة الأولى جمع الطيور للبحث عن إله واحد يعبدونه. والثانية توجيه الهدهد الطير إلى السيمرغ والمقالات من الثالثة حتى الثانية عشرة أذار كل طائر عن السلوك إلى الحضرة العلية. والثالثة عشرة عذر جميع الطيور. والرابعة عشرة سؤال الهدهد عن طريق السير. والخامسة عشرة اتفاق الطير على التوجه إلى السيمرغ، والسادسة عشرة مشاورة الطير مع الهدهد وما به من عقبات. والمقالات السابعة عشرة حتى الثانية والثلاثين أذار الطير. وفي نهاية المقالة الثامنة والثلاثين يعرض العطار الأودية السبعة وأولها وادي الطلب. والمقالات من التاسعة والثلاثين حتى الرابعة والأربعين الأودية السبعة: العشق، المعرفة، الاستسقاء، التوحيد، الخير، الفقر، الفناء. والمقالة الخامسة والأربعون وصول الطير إلى السيمرغ ووقوفه أمام الحضرة الإلهية. والنفس والطبيعة واجهتان لشيء واحد كما هو الحال عند إخوان الصفا في التقابل بين العالم الأصغر والعالم الأكبر. ويتم الانتقال من الخاص إلى العام ومن العام إلى الخاص، من الداخل إلى الخارج، ومن الخارج إلى الداخل. وقد تقصر الحكايات وقد تطول.^{٤٧} وهي قصة شعرية لا تغني ترجمتها إلى العربية نثرًا عن تذوق الأصل شعرًا. ويعني المنطق هنا اللغة والفكر والموقف وليس القضايا المنطقية. وهي أشبه برسالة «الحيوان» لإخوان الصفا.^{٤٨} اعتنى بها المستشرقون وترجموها وشرحوها عدة مرات. وتحتوي على استطرادات كثيرة داخل القصة أو مجموعة من القصص. فمن الصعب إيجاد ميزان متعادل بين الصياغة الأدبية والأفكار الفلسفية. وتنتهي القصة بمناجاة وهو

^{٤٤} وهي: البلبل، البغاء، الطاوس، البطة، الحجلة، الحمام، الصقر، مالك الحزين، البومة، الصعوة،

وباقى الطيور، منطق الطير المقالات ٣-١٢، ١٧-٢٩.

^{٤٥} السابق، المقالات، ١٤، ٣٠-٣٨.

^{٤٦} السابق، المقالات، ١-٢، ١٥-١٦، ٣٩-٤٥.

^{٤٧} أطولها حكاية الشيخ صنعان وعقدة الزنا لعشقه الفتاة المسيحية، السابق، ص ٢١٨-٢٤٠.

^{٤٨} رسائل إخوان الصفا، ج ٢، رسالة الحيوان.

شكل أدبي آخر. والحكاية تبدأ من واقعة كحامل للفكرة. الواقع يبدأ والخيال ينتهي. وتدور معظم الحكايات حول أحوال الصوفية وكراماتهم. والعنوان قرآني ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾. والشخصية الرئيسية «الهدهد» من قصة سليمان. روضها الشعري المزدوج هو «الثنوي».^{٤٩} والبداية بالمناجاة ثم مدح الرسول والخلفاء الأربعة ثم ذم التعصب بين السنة والشيعة، ومحادثة عمر وأويس، وحديث للرسول وشفاعته.

الموضوع هو المحبة أو العشق، موضوع الصوفية الأثير. يتجاوز منطق العقل والنقل وقضية الكفر والإيمان. هو التجربة الإنسانية الأصيلة.^{٥٠} كما يتجاوز المذهبين الشيعي والسني، والأشعرية والمعتزلة والعداء والتعصب بينهما.^{٥١} مع أن العطار من الملامية.^{٥٢} والعاشقان من طبقتين مختلفتين. ملك وجارية، حر وعبد، لبيان مدى بُعد المسافة بين الإنسان والله. وترمز القصة إلى العلاقة بين الشيخ والمريد، رغبة المريد في السير، وضرورة المرشد، وطاعة السالك. كما ترمز إلى العلاقة بين الله والعالم، بين الشيء وظله، الكل والجزء، الماء والقطرة، النور والظلمة، الواحد والكثير، الفاعل والمفعول. والعشق أسمى من العقل كما هو الحال عند الرومي وإقبال. يفنى فيه العاشق والمعشوق. وهو نوعان: دائم وهو عشق المعرفة، وزائل وهو عشق الصورة، والعشق يتضمن الغيرة والرضا والصبر وكل مقامات الصوفية وأحوالهم. ولا خير في الشذوذ الجنسي مثل عشق الملك فلاحه إياز وإعطائه بعض السلطة. وغاية الطريق الصوفي الإدراك والاتحاد والفناء مثل فناء القطرة في البحر ثم فناء الظل في الشمس ثم التحول إلى نور ثم البقاء. والشرط الابتعاد عن الدنيا ومقاومة الشيطان وذم النفس والسيطرة على أهوائها كما هو الحال في الديانات الهندية.

^{٤٩} وتتكون من ٦٥٠ بيتاً.

^{٥٠} وذلك بمعنى المقطع الألماني Ur في Urfarung. والسياسة ضلال، وسلوك الطريق هدى مما يبين أن التصوف رد فعل على الأزمة السياسية.

^{٥١} «أيها الجاهل المجاهد للحق. لا تجعل في نفسك مقيماً للخلافة. فإن كانت نفسك قد سيطرت عليك فتسبب آلاف الآلام والأحزان لك. وإذا أحد غيرهم قد تولى الخلافة لسيطرت على عهده الآفات والأزمات. وما دامت الروح تسري في الجسد فليست عهدة الخلق في الأعناق أمراً هيناً»، منطق الطير، ص ١٧٢.

^{٥٢} «فلتحفظني من التعصب على الدوام. ولتطهر روحي من التعصب»، السابق، ص ١٧٩.

المادة الأولى هي الآيات القرآنية والأحاديث النبوية مباشرة أو على نحو غير مباشر. نصاً أو بالعبارات والصور والألفاظ والتصورات.^{٥٣} ولكل نبي رمز، يوسف للطريق، وعيسى للامتحان، ومن الأدب الإسلامي تظهر قصة مجنون ليلي كرمز على العشق الإلهي. ومن التاريخ الإسلامي يبرز محمود الغزنوي.^{٥٤} وتذكر مناقب الخلفاء الراشدين. ويوظف التاريخ داخل القصة، طبيعة أو صنعة، ويتحول النص إلى موقف، والآية إلى حدث كما هو الحال في الإخراج المسرحي. ومن الوافد اليوناني يظهر الإسكندر وأرسطو والروحانيون اليونان.^{٥٥}

(د) «برقمة البلبل» للرواس (١٢٨٧هـ)^{٥٦}

وهو حوار جرى في رؤية بين بلبلين عن التصوف استمراراً للغة الطير ومنطقه الأثير عند الصوفية.^{٥٧} وفهم اللغة رجل غيبي. وعلمها للمؤلف بأمر نبوي. وقد حدثت في مكة، في بيت الله الحرام والمؤلف يذكر الله. وتعتمد على القرآن والشعر والحديث.^{٥٨} وتنتهي بقصيدة طويلة. والموضوع هو أنواع البشر، كل آدمي خيط من نور. وتجتمع الخيوط

^{٥٣} الآيات (٤)، الأحاديث (٨).

^{٥٤} الرسول (٢٢)، محمود الغزنوي (٢١)، يوسف (١٨)، عيسى (١٠)، آدم، موسى، أبو بكر (٩)، سليمان (٨)، عمر، علي، إياز (٧)، جبريل (٦)، إبراهيم، فرعون، العزيز، الإسكندر، رابعة، البسطامي، العطار (٥)، داود، الجنيد، الشبلي، أبو سعيد بن أبي الخير (٤)، آذر، إبليس، العباسة، عثمان، ليلي، المجنون، يعقوب (٣)، ابن حنبل، صنعان، عزرائيل، الواسطي، قارون، إسماعيل، ذو النون، يونس ... (٢)، هامان، مريم، أرسطو، عمر بن عثمان المكي، نظام الملك، النوري ... (١).

^{٥٥} السابق، ص ٤٣٦.

^{٥٦} دار الكتب العلمية، بيروت.

^{٥٧} «كنت سنة اثنتين وخمسين ومائتين وألف في مكة المكرمة، في بيت الله الحرام، وقد استقبلت القبلة، واشتغلت بذكر الله تعالى. فسمعت بلبلًا يبرقم بلغة كنت سمعتها في ديوان حضور. وعلمنيها رجل غيبي بأمر نبوي. فلذلك فهمت ما برقم به البلبل يخاطب رفيقاً له. فكتبت قوله والجواب الذي رُدَّ له في هذه الصفحات المباركة القليلة، سميت هذه الكلمات «برقمة البلبل». وإنها من أعجب العجائب، وأغرب الغرائب، يعرف سرها العارفون، وينتفع بها المحققون، ويخشع لمضمونها الموفقون، والأمر بين الكاف والنون»، برقمة البلبل، ص ٢٢٧.

^{٥٨} الآيات (٦)، الأشعار (٣)، الأحاديث (٢).

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

في جماعة هم العارفون والأولياء الحكميون والمهيمنون والوالهون والمطويون في ستر المحبوبة تحت قباء الغيرة.^{٥٩} والرسول زعيمهم.

(هـ) «صوت الهزار وزيق الفداء» لأبي الهدى الصيادي (١٣٢٨هـ)^{٦٠}

ويدل العنوان أيضًا على منطق الطير ولغته. موضوع الرسالة الأخلاق. والغرض منها التسلية. وهي من المبتكرات دون المنقولات.^{٦١} موضوعاتها متناثرة. تغلب عليها الأخلاق العلمية مثل التواضع والتعارف والصدق والعلم والمعرفة والوفاء والصحة والجهاد. تعتمد على الشعر أولاً ثم القرآن ثانيًا ثم السنة ثالثًا.^{٦٢} وتنتهي الرسالة بقصيدة طويلة.^{٦٣} وأحيانًا يذكر الشعراء وأحيانًا أخرى تذكر مصادر الشعر.^{٦٤} كما يتم الاعتماد على مصادر مدونة.^{٦٥} ويتم الاعتماد بصورة أقل على الصوفية السابقين باستثناء الجنيد ثم بعض المعاصرين.^{٦٦} ويتم نسبة الأولياء إلى الرسول حتى نوح في عشر حلقات.^{٦٧} وتستعمل بعض الألفاظ للتركيز مثل فائدة، تحفة، لطيفة، عجيبة، حكمة شريفة، استطراد مختصر

^{٥٩} برقمة البلبل، ص ٢٢٨.

^{٦٠} دار الكتب العلمية، بيروت. «هذه رسالة ظريفة، وقلادة در لطيفة كأنها محسن فصولها روضة بدبعة أزهارها ولذلك سميتها «صوت الهزار وزيق الفداء» جعلتها تسلية للخاطر الغائر. وقد تسكن الخواطر بمطالعة ما في الدفاتر. وقد صارت مع صغر فيها مجموعًا جامعًا، وعقدًا ساطعًا»، صوت الهزار، ص ١٣٩.

^{٦١} «لم أشعر فيما نسقته من هذه الجمل قول زيد. ولم أدمج في سدوتها أفكار عبيد. بل هي من المبتكرات الأحمدية والسنوحات التنزلية. وقد يوجد فيها من الاستدلالات أو العبارات العلمية من كلام السالفين والأئمة الماضين ما لا بد منه، ولا محيد عنه. فهو من ملتصقات الدرر التي تنظم بسلوكها، وتخرج بحبكها...»، السابق، ص ١٣٩.

^{٦٢} الأشعار (٨٤)، الآيات (٢٢)، الأحاديث (١٩).

^{٦٣} صوت الهزار، ص ١٨٧-١٩٠.

^{٦٤} السابق، ص ١٦٩.

^{٦٥} مثل الغاية في النسب، السابق، ص ٨١.

^{٦٦} مثل عبد الرحيم القناوي، أحمد البدوي، إبراهيم الدسوقي وآخرين. ومن الفقهاء الشافعي، السابق، ص ١٨٢.

^{٦٧} السابق، ص ١٨٣-١٨٥، ١٩٣.

لطيف.^{٦٨} ومع ذلك تظهر على استحياء القسمة العقلية مثل أنواع القربات العشرة.^{٦٩} وتوجد بعض الانتقادات لأحوال العصر مما يدل على أن التصوف الطريقي رد فعل عليه.^{٧٠}

(و) رسائل ابن عربي (٦٣٨هـ)

(١) «حكاية إبليس»^{٧١}

وهي من القصص الرمزي في صورة حديث بين محمد وإبليس الذي أتى في صورة شوهاء ليعلم أصحابه دون كذب والرسول ينهره ويناديه «أيها اللعين» وإبليس صادق في ردهه على أسئلة الرسول بأدب واحترام.^{٧٢} ورفض الرسول أن يقتله عمر لأنه من المنظرين. وطلب من الصحابة فهم ما يقول وسماعه. وقد أتى إبليس بناء على أمر إلهي عن طريق ملك لإخبار محمد عن أفعاله ببني آدم مع طلب الصدق. وخلاصة الإجابة أن محمدًا أبغض الناس له ثم شاب تقي وهب نفسه لله، ثم عالم ورع صبور، ثم من يداوم على الطهارة، ثم الفقير الصبور، ثم الغني الشاكر. الصلاة تصيبه بالردة والحمى، والسجود يرفع العبد درجة. والصيام قيد لإبليس حتى يفطر الصائم. والحج يصيبه بالجنون. وقراءة القرآن تذيبه كالرصااص. والصدقة شقته نصفين. وأبو بكر لم يطعه في الجاهلية ولا في الإسلام. يهرب من عمر. ويستحي من عثمان. ولا يتركه علي. والمخلصون للشيطان من أحب الدرهم والدينار والجاه والسلطان، ومن يكثر الالتفات في الصلاة. جلساؤه أكلة الربا، وصديقه الزاني، وضجيعه السكران، وضيغه السارق، ورسوله الساخر، وقرة عينه الحلف بالطلاق، وحبيبه تارك صلاة الجمعة، سهيل الخيل في سبيل الله يكسر ظهره، وتوبة التائب تذيب جسمه. وكثرة الاستغفار تنضج كبده، وصدقة السر تخزي وجهه، وصلاة السكر تطمس

^{٦٨} السابق، ص ١٤٦-١٤٧، ١٥٦، ١٧٠، ١٧٩-١٨٠، ١٨٣، ١٨٥-١٨٦.

^{٦٩} السابق، ص ١٧٢-١٧٣.

^{٧٠} وقد ابتلينا اليوم بأناس لا يفرقون بين الفن والعلم، ولا بين الحُلْم والحِلْم. يتعلم أحدهم لغة أجنبية، ولم يقف على غوامضها بالكلية. ويطلع على مادة فنية فيعدو جهله على النظريات، وينقلب على المناهج الدينية، فيصير في طريق ظلمة أوهامه لبعده عن العلم بالدين وأحكامه...، السابق، ص ١٤٨.

^{٧١} حكاية إبليس فيما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم، مكتبة صبيح، القاهرة، ١٩٦٧م.

^{٧٢} «شيخ أعور، كوسج في لحيته سبع شعرات كشعر الفرس. وعيناه مشقوقتان بالطول، ورأسه كرأس الفيل الكبير، وأنيابه خارجة كأنياب الخنزير، وشفتاه كشفتي الثور»، السابق، ص ٢٤.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

عينيه، وكثرة الصلاة في الجماعة تقمع رأسه، وتارك الصلاة أسعد الناس عنده، والبخلاء أتقى الناس لديه. مجالس العلماء تشغله عن عمله. يأكل بشماله وأصبعه. ويستظل بأولاده وقت الحرور والسوم تحت أظافر الإنسان. سأل الله عشرة أشياء: الشرك في بني آدم وأموالهم وأولادهم، والأكل من مال لا يزكى فيه، ومن الطعام الذي خالطه الربا والحرام، وكل مال وكل جماع لا يتعوذ عليه من الشيطان لأن الشيطان يجمع معه الزوج حتى يأتي الولد سامعًا مطيعًا له. ومن يركب دابة يسير بها إلى حرام يركب معه. بيته الحمام. ومسجده الأسواق، وقرآنه الشعر. وأذانه المزامير، وضجيجه السكران. وأعوانه القدرية. وإخوانه الذين ينفقون الأموال في المعصية. ولده عثمة يبول في آذان العبد حتى لا يصلي. وولده المثقاضي يكشف سر الصدقة ويعلمها. وولده كحيل يكحل عيون الناس. ويقعد عند مؤخرة المرأة وفي حجرها حتى تفسق. ويقوم بالسوسة والتزين وليس ضلالاً.^{٧٣} وبالرغم من هذا النسج الخيالي والإخراج الأدبي يعتمد على القرآن والحديث.^{٧٤}

(٢) «عنقاء مغرب»^{٧٥}

والاسم غريب. العنقاء طائر خرافي والمغرب هو الذي أتى من الغرب أو هو الغريب عن العالم. ومعه نفس القراءة المزدوجة لقصص السهروردي «الغربة الغربية» أو «الغربة الغربية». ومع ذلك فهي ليست قصة بل قطعة من النثر الفني الفلسفي. كان الاسم الملقى إليه ويعني أولًا هو «سدرة المنتهى وسر الأنبياء في معرفة الخليفة وخاتم الأولياء»، ولكن لم يجد هوى في نفسه. وفضل عليه الاسم بالإضافة إلى «نكتة سر الشفا في القرن اللاحق بقرن المصطفى».^{٧٦}

والعنوان الفرعي «في ختم الأولياء وشمس المغرب» ختم الأولياء، الحقيقة المحمدية أو خاتم الولاية وهو القطب. وهو أيضًا المهدي، وعيسى أي ما يختم به الزمان.^{٧٧} وهي الإمامة

^{٧٣} السابق، ص ٣٨-٤١.

^{٧٤} الأحاديث (١١)، الآيات (٥).

^{٧٥} مكتبة صبيح، القاهرة، (د.ت)؛ وأيضًا: رسائل ابن عربي، ج ٤، (٢)، ص ٧٩-١٦٢.

^{٧٦} السابق، ص ١٧، ٢٢.

^{٧٧} لذلك الحقيقة المحمدية هي الأكثر تكرارًا. الحقيقة المحمدية (٤)، الشريعة المحمدية (١)، محمد (٣)، عيسى (٢)، البخاري، مسلم (١).

على الإطلاق، أكبر من الإمامة الكبرى، إمامة الدولة، والإمامة الصغرى، إمامة الصلاة. وهي الإمامة عند المتكلمين والفقهاء. والحديث عن الإمام المهدي يوحى بهوى شيوعي نظراً لما بين التصوف والتشيع من أواصر قرّبي. فكلاهما حركتان للمعارضة، معارضة في الداخل، ومعارضة في الخارج. ولا توجد إحالات إلى أقوال الصوفية السابقين بل إلى بعض الصحابة مثل أبو هريرة وابن عباس والمحدثين مثل البخاري ومسلم والترمذي، وبعض الصوفية مثل أبو زيد، موسى الدينلي. يكتفي بالتجربة السنوحية.^{٧٨}

ويعتمد على الشعر أساساً ثم القرآن والحديث.^{٧٩} وتغيب الصوفية والفرق.^{٨٠} ويضاف رسم توضيحي. كما يحيل إلى بعض المؤلفات السابقة مثل «التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية». ويحيل إلى نظرية أن الإنسان عالم صغير مسلوخ من العالم الكبير. فكل ما ظهر في الكون الأكبر فهو في هذا العين الأصغر كما هو الحال عند إخوان الصفا. ومن الأنبياء يذكر عيسى ثم آدم وإدريس وهارون ويحيى وموسى ويوسف وإبراهيم. ويشترك من بعضهم مثل آدمي ومحمدي. ويظهر المهدي والختم.^{٨١}

ولا يوجد موضوع محدد بل مجرد تحليلات جزئية، تدخل في كلّ عام غير محدد. يتكون أساساً من ثمانى لآلى للعرش والكرسي والأفلاك والعناصر والدخان واليواقيت والحقيقة المحمدية. لكل منها مرجانات عشر. ويضاف إليها ثلاث نكات. وتنتهي بلؤلؤة ملحقة بالياقوتة السابعة. فلسفة الجواهر الكريمة هي السائدة. هي لغة البحار والأفلاك والغوص. بعضها بعناوين والأخرى دون عناوين. و«الله أعلم» في آخر كل موضوع. والطيران والأدنى والأعلى والعناوين بلا بنية محكمة. وتظهر ألفاظ الربط مثل «فصل» و«وصل»، ومعها السجع في العناوين مما يوحى بالغموض، ويستمر السجع في كل كتاب. فالسجع أهم من المضمون. وتتخلله بعض الحروف بلغة عجيبة

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيتها

السابق، ص ١٢٣.

^{٧٩} الآيات (٤٩)، الأحاديث (١٤)، الأشعار (١٢)، القدسية (١).

^{٨٠} الإمام أبو زيد، موسى الدينلي (١).

^{٨١} عيسى (٣) إدريس، آدم، هارون، يحيى، موسى، يوسف، إبراهيم، المهدي، الختم، آدمي، محمدي (١).

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

أقرب إلى السريانية.^{٨٢} ويغلب عليه طابع التجلي التدريجي للحقائق كما هو الحال في «الفصوص» ومركزه نشأة الإنسان بؤرة نشأة الكون، ووصف الأحوال والمقامات مثل وصف مراتب الوجود.^{٨٣} وتؤول العبارات طبقاً للنشأة والتكوين.^{٨٤} فالعبادات مثل الحج رموز وإشارات. ومعرفة الذات أساس معرفة الآخر والكون.^{٨٥}

(٣) «المعلوم من عقائد أهل الرسوم»^{٨٦}

وهي أشبه بالغربة الغربية أو الغربية للسهروردي. فقد اجتمع أربعة نفر من العلماء تحت خط الاستواء في قبة أرين في وسط الأرض بالهند، مغربي ومشرقي ويماني وشامي ممثلين للاتجاهات الأربعة، الغرب والشرق، والجنوب والشمال. وتناقشوا في العلوم، وأنها تعطي السعادة الأبدية. عند المغربي هو العلم القائم الحاصل، وعند الشرقي العلم بالحامل والمحمول، وعند الشامي علم الإبداع والتركيب، وعند اليماني علم التخليص والتركيب الذي لا يُعرف إلا بالإمام. ولا تنتهي الرسالة إلى رأي صحيح أو راجح. ويعتمد على التنظير العقلي الخالص باستثناء حديث واحد عند المغربي «كان الله ولا شيء معه» والاستشهاد بالأشعرية مرة واحدة.

^{٨٢} مثل «بحر طامس وبحري غاطس»، «مخاطرة أزلية على نشأة أبدية»، «اعتراض لمن أصاب الصيد بالمعراض»، «نكتة الشرف في غرف من فوقها غرف»، «النكتة المؤخرة في الدرة المدخرة»، «نكتة تمام الأنبياء في تعيين خاتم الأولياء» «إفصاح الكتاب العزيز بمقاماته والإعلام بأحواله وآياته» ... إلخ.

^{٨٣} السابق، ص ٧٥.

^{٨٤} السابق، ص ٥.

^{٨٥}

مواقف الحق أدبتني	وإنما يوقف الأديب
أشهد في ذاته كفاحاً	فلم أجذ شمسها تغيب
واتحدت ذاتنا فلما	كنت أنا العاشق الحبيب
أرسلني بالصفات كيما	يعرفني العاقل المصيب
فيأخذ السر من فؤادي	فتغتذي باسمه القلوب

السابق، ص ٢٨.

^{٨٦} رسائل، ج ٦، (٤)، ص ٧٧-٨٦.

(٤) «الاتحاد الكوني في حضرة الاستشهاد العيني»^{٨٧}

يجتمع فيه الشعر والنثر الفني. ولا يعتمد على آية أو حديث أو قول صوفي.^{٨٨} ولا يذكر إلا صخر بن سنان، والسيد الإبراهيمي الأكبر وموسى.^{٨٩} والعنوان الأصلي يزيد «بمحضر الشجرة الإنسانية والطيور الأربعة الروحانية» لمخاطب أبي الفوارس صخر بن سنان «مالك أزمة الجود والبيان ولكل أهل العرفان».^{٩٠} كتب في مدينة بخت الاستواء. يدور حول حديث النفس والقلب في السيد الإبراهيمي الأكبر. حسنة في زهرة الأحكام، وإمضائه في عطار الإفهام، وخلافته الإلهية في البدر الأرفع، وهيكله في العنصر المربع، في حوار مع المشير يكشف عن شجرة البستان. ثم تُسمع أربع خطب من المطرقة الوراق، ومن العقاب المالكة ومن الغريبة العنقاء يشير إلى عنقاء مغرب، ومن الغراب المالك. وبهذه الخطب الأربعة تتضح مقامات أمهات الأكوان وهي: الإنسان الكلي، والعقل الأول، والنفس الواحدة، الهيولى، والجسم الكلي.^{٩١}

(٣) الشعر الصوفي

وقد يكون الشعر الصوفي تصوفاً نظرياً من حيث الشكل إلا أنه كذلك من حيث المضمون. فالتجربة الصوفية أساساً تجربة شعرية ذات مضمون إلهي عن المحبة أو الوجود. فقد أخذ التصوف النظري أشكالاً أدبية مختلفة كوسائل التعبير منها الشعر والقصة. وقد عبر الصوفية السابقون عن بعض تجاربهم شعراً مثل رابعة والحلاج ولكن شعراء الصوفية هم الذين اكتفوا بالشعر دون النثر مثل ابن الفارض والبوصيري. في حين جمع البعض بين الشعر والنثر مثل ابن عربي والتلمساني وعبد الكريم الجيلي.

^{٨٧} رسائل، ج ٦، (٥)، ص ٩٣-١٠٦.

^{٨٨} الأشعار (٨).

^{٨٩} صخر بن سنان (٢)، السيد الإبراهيمي الأكبر، موسى (١).

^{٩٠} الاتحاد الكوني، ص ٩٥.

^{٩١} السابق، ص ١٠٦.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

(أ) «ديوان الحلاج (٣٠٩هـ)»^{٩٢}

التاريخ أم الشعر أيهما أكثر تعبيراً عن الحقيقة؟ الشعر سجل للتاريخ مثل شعر الملاحم. والملحمة الفردية في السيرة الذاتية مفعمة بالتاريخ. لذلك كانت السيرة الذاتية أحد العناصر المكونة للوعي التاريخي. ويتضمن الشعر معظم موضوعات التصوف، المقامات مثل: المحبة والعشق والرضا والصبر. والأحوال مثل: الفرق والمجمع، البعد والقرب، الوجد والفقد، الصحو والسكر، الحضور والغياب، القبض والبسط، الفناء والبقاء. كما يتحدث عن الوطن الروحي والطريق إليه والشهادة عليه والانتقال من وحدة الشهود إلى وحدة الوجود، وحدة الحق والخلق وما يتفرع عنه من حلول واتحاد.^{٩٣} ويكون الإنسان والله على

^{٩٢} الحلاج: الأعمال الكاملة، ص ٢٨٧-٣٣٥.

^{٩٣}

مازجت روحك روحي في دنوي وبعادي
فأنا أنت كما أنْ لك أني ومرادي

السابق، ص ٢٩٨.

فأنا الحق حق للحق حق لابس ذاته فما ثمَّ فرق

السابق، ص ٣١٥.

شغلت جوارحي عن كل شغل فكلي فيك مشغول بكلي

السابق، ص ٣١٨.

أنا من أهوى، ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا
نحن قد كنا على عهد الهوى نضرب الأمثال للناس بنا
فلذا أبصرتني أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا
أيها السائل عن قصتنا لو ترانا لم تفرّق بيننا
روحه روحي وروحي روحه من رأى روحين حلّاً بدنا

السابق، ص ٣٣٠.

التبادل في العبادة والهوية.^{٩٤} وهو طريق القلب والقضاء والقدر والكرب والذكر والتحول عن الظاهر إلى الباطن وقيادة الشيخ للمريد.

وموسيقى الشعر جزء من مضمونه. ليس بحوره وأوزانه بل ما تثيره في النفس من إيقاع يؤهل لفهم المعنى والإحساس به. الشعر أقدر في التعبير عن التجربة الصوفية من النثر بل إن النثر نفسه ينفجر في الشطحات والإشارات والمواقف والمخاطبات، في نثر شعري. فالتجربة الصوفية والتجربة الشعرية صنوان. والجمال الفني تعبير عن الجمال الإلهي. الشعر والشطح صنوان. وصاحب الشطح في نفس الوقت أعمى بصير، أبله فطن. يعبر بكلمات بها ظاهر وباطن.^{٩٥} يشعر الصوفي أن أمه ولدت أباه فأصبحت

٩٤

أدعوك بل أنت تدعوني إليك فهل ناجيت إياك أم ناجيت إياي

السابق، ص ٢٨٨.

ذكره ذكرى، وذكرى ذكره هل يكون الذاكران إلا معًا
وجوده بي، ووجودي به ووصفه فهو له وصف

السابق، ص ٣١.

أنا أنت بلا شك فسبحانك سبحاني
وتوحيدك توحيدي وعصيائك عصياني
وإسقاطك إسقاطي وغفرانك غفراني
ولم أجلد يا رب إذا قيل هو الزاني

السابق، ص ٣٢٧.

٩٥

أعمى بصير، وإني أبله فطن ولي كلام إذا ما شئت مقلوب

السابق، ص ٢٩٢.

بناته أخواته.^{٩٦} وهي كرامة له وليست حقيقة تاريخية ولا نتيجة زنا. والشطحة لا تفرق بين الكفر والإيمان. بل تجعل الكفر طريقًا له.^{٩٧}

والشعر شهادة. والشاعر شهيد، والشهيد شاعر. يطلب الحلاج أن يقتله الناس. فهو يتلذذ بقتله. مماته حياته، وحياته مماته. فقد سئمت روحه بدنه. ويطالب الناس بحرقه وحرق عظامه.^{٩٨} ثم يقصصصانه في شريط سريع كما يمر في لحظة الموت منذ أن كان طفلًا في حجور المرضعات إلى أن سكن في لحد القبر من أراضي السباخ. ثم يزرع القبر ويسقى فيعود إلى حياة الاخضرار.^{٩٩}

٩٦

ولدت أُمي أباهَا إن ذا من عجباتي
ليس من فعل زمان لا ولا فعل الزناة

السابق، ص ٢٩٤.

٩٧

كفرت بدين الله والكفر واجب عليّ وعند المسلمين قبيح

السابق، ص ٢٩٧.

٩٨

اقتلوني يا ثقتاتي إن في قتلي حياتي
ومماتي في حياتي وحياتي في مماتي
سئمت روعي حياتي في الرسوم الباليات
فاقتلوني واحرقوني بعظامي الفانيات
ثم مروا برفاتي في القبور الدارسات.

٩٩

إنني شيخ كبير غير مفقود الصفات
ثم إنني صرت طفلًا في حجور المرضعات
ساكنًا في لحد قبر في أراض سبخات
فازرع الكل بأرض تربها ترب موات
وتعاهدها بسقي من كئوس دائرات

(ب) «البردة» للبوصيري (٦٠٨هـ) ١٠٠

وهي نموذج من الشعر الصوفي. نظم بإلهام في ليلة واحدة. أثارت خيال الشعراء كي ينسجوا مثلها كما حدث في نهج البردة لشوقي. تنبع من آثار «الحقيقة المحمدية» في الاحتفال بالمولد النبوي. وتبدأ بشعر الطبيعة قبل أن تنتهي بالحب الإلهي. وتتكون من مائة وستين بيتاً في موضوعات متعددة مثل التحذير من هوى النفس قبل مدح النبي، ووصف سيرته العطرة ابتداءً من مولده، ثم معجزاته، ثم شرف القرآن الكريم، ثم الإسراء والمعراج، ثم جهاده، ثم شفاعته والتوسل به، ثم مناجاته وعرض الحاجات عليه. فهو طوق النجاة للغارقين، وتلبية طلب المحتاجين إذا ما انسدت الطرق، وعجزة الحيل، وضعفت القدرات.

(ج) ديوان ابن الفارض (٦٣٢هـ)

وهو شاعر الحب وسلطان العاشقين بالأصالة. عند الصوفية الحب تجربة إلهية. ولا يحب الإنسان إلا الله. فإن لم يعرفه أو ضَعَفَ فإنه يحب الإنسان. وعند علماء النفس الحب تجربة إنسانية. فإذا ضاعت أو صدمت حدث تعويض في الحب الإلهي. وعند الصوفية الأصل هو الحب الإلهي، والفرع هو الحب الإنساني. وعند علماء النفس الأصل هو الحب الإنساني والفرع هو الحب الإلهي. الأول من أعلى إلى أسفل، والثاني من أسفل إلى أعلى. ولا تتحدد مواضيع القصائد إلا نادراً مثل الصبابة، ومدح بعض القبائل وأخيراً التائية الكبرى في «نظم السلوك» ١٠١ وتعني تحويل السلوك الإنساني إلى قصيدة شعرية. وبالرغم

من جَوَارٍ ساقيات وسواقٍ جاريات

فإذا أتممت سبْعاً أنبتت خير نبات

الديوان، ص ٢٩٤-٢٩٥.

من أراد الكتاب هذا خطابي فاقراءوا واعلموا بأنني شهيد

السابق، ص ٢٩٧.

١٠٠ الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧م، حللنا «تائية السلوك إلى ملك الملوك» للشرنوبى (٩٩٤هـ) في سابقاً، الشروح والتعليقات والملاحظات.

١٠١ مصطفى الباي الحلي، القاهرة ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م، ديوان ابن الفارض، ص ١٧-٢٧، ٦٩-٧٢، ٧٨-١٢٦.

من القدر الهائل من الإبداع الفني إلا أن موضوع العشق والوله والبكاء وكراهية العالم والآخرين والتجرد لله وحده قد يراه البعض اغتراباً عن العالم وروح العصر الذي يحتاج إلى شعر المقاومة. ليت الله هو الوطن والأرض. يا ليت المناجاة للأمة والتاريخ كما هو الحال في شعر المقاومة في «عاشق فلسطين»: «إنني العاشق والأرض حبيبة. يا ليت كل هذا الحب المكشوف يكون تشجيعاً على الالتزام بقضايا الوطن والدخول بشوق في تحديات الأمة.

(د) دواوين ابن عربي (٦٣٨هـ)

(١) ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق^{١٠٢}

وهو ديوان ابن عربي الذي لا شك في صحته. نظم أولاً «ذخائر الأعلاق» ثم شرحه هو نفسه في «شرح ترجمان الأشواق»^{١٠٣}. وهو كما يدل العنوان في المحبة الإلهية مثل ديوان ابن الفارض خاصة «نظم السلوك». فالحب مغامرة.^{١٠٤} تنتهي بالشهادة.^{١٠٥} حب متبادل بين الإنسان والله.^{١٠٦} وتتنوع أسماء الحبيبات.^{١٠٧} وهو رمز لوحدة الأديان فكلها توحيد.^{١٠٨} ومع ذلك لا يخلو من لوم وعتاب.^{١٠٩} البداية غزل إنساني عندما رأى ابن عربي ابنة عذراء لشيخه.^{١١٠} والطريق إلى الله يبدأ بالرياضة والمجاهدة.^{١١١} وينتهي بالمشاهدة وتجتمع فيه الأضداد وكما هو الحال في المقامات والأحوال.^{١١٢} وينتهي الطريق بوحداية

^{١٠٢} نشر محمد عبد الرحمن الكردي، القاهرة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

^{١٠٣} السابق، ص ٧، ٧٣.

^{١٠٤} السابق، ص ٧٣.

^{١٠٥} السابق، ص ٦-٥، ١٠٠-١٠٢، ١٠٦، ١٠٩-١١٢، ١٢٤، ١٢٦.

^{١٠٦} السابق، ص ٢٣، ٥١، ١٠٦، ١٠٨.

^{١٠٧} السابق، ص ٤٣، ٤٩-٥٠.

^{١٠٨} السابق، ص ١٣٥، ١٣٩.

^{١٠٩} السابق، ص ٣٧، ٣٩، ٦٦-٦٧، ٨٥.

^{١١٠} هو ابن شجاع زاهر بن رستم بن أبي الرجاء الأصفهاني في مكة، ذخائر الأعلاق، ص ١-٤.

^{١١١} السابق، ص ٢٧، ٥٥-٥٨.

^{١١٢} السابق، ص ٢٨، ٣٢، ٧٥-٧١، ٩٦.

الله. يتجلى في الكثرة وفي الكون بالحسن والجمال.^{١١٣} والمعرفة الحاصلة ليست معرفة عقلية أو نقلية بل معرفة ذوقية كشفية.^{١١٤} وكله مبني على الحديث القدسي الشهير.^{١١٥}

(٢) الديوان^{١١٦}

والشكوك حول صحة نسبة الديوان قضية تاريخية استشرافية. ما يهم هو دلالتها على الشعر الصوفي بصرف النظر عن مؤلفه. فالعمل مستقل عن صاحبه. وقد تستطيع الدراسة الأسلوبية توضيح هذه النسبة إيجاباً أم سلباً.

ويضم الديوان عدة مقاطع. بعضها له موضوع. فالغاية هو الموضوع وليس طريقة التعبير عنه. والأكثر ليس له موضوع.^{١١٧} وبعضها شرح قصير يبين القصد أو المصدر، ربما من الجامع أو المنتحل. وعناوين المقاطع من بعض الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية أو بعض مشايخ الصوفية. وهي المصادر العامة للتصوف بعد أن تحول الشعر إلى طريقة في التعبير وليس مصدرًا.^{١١٨} وأحياناً قد يكون الموضوع صوراً قرآنية وليس آيات

^{١١٣} السابق، ص ٢٢، ٥٣، ٦٤، ٨٤، ١٤١، ١٤٣-١٤٤، ١٤٦-١٤٨، ١٦٥.

^{١١٤} السابق، ص ٦٦-٦٧.

^{١١٥} «ما زال العبد يتقرب إليَّ بالنوافل فإن أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به فبني يسمع وبني يبصر».

^{١١٦} مكتبة المنن، بغداد، طبعة بولاق، ١٢٧١هـ/١٨٥٥م.

^{١١٧} المقاطع حوالي ١٠٠٠ مقطع، والمقاطع التي بها موضوع حوالي ٦٠٠ مقطع.

^{١١٨} الآيات مثل ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾، ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾، ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾، ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْتَهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ﴾، ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾، ﴿يُطْبِعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارًا﴾، ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلْقَاها إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاها إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾، ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾، ﴿عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئْكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾، «... كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾، ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

مثل خلع النعلين ولباسهما وقد أصبحا رمزًا للتقديس. وقد يكون الحديث هو الأقرب إلى الحقيقة المحمدية ابتداءً من مركزية الرسول، سيد الناس يوم القيامة.^{١١٩} وبعض المقاطع لها شروح قصيرة لتخريج مصادرها في القرآن والحديث.^{١٢٠} ويحكم على الحديث بأنه صحيح أو غريب مثل وراثته خطيئة آدم كما هو الحال في المسيحية. وتتعرض بعض المقاطع لأسماء الأعلام مثل النور ابن رشيد أثناء أنطاكية.^{١٢١} مما يدل على أن التصوف يعكس أيضًا الأحوال السياسية وإجابة سؤال الشيخ عبد الله الغزال، والمتنبي ورجلين من أشبيلية. وقد يكونون جماعة مثل الإخوان. ويحال إلى «الفتوحات»، فالديوان إيجاز له.^{١٢٢} وقد يتحدد القول بالمكان أو الزمان.^{١٢٣} وأحيانًا تكون موضوعات

^{١١٩} مثل: «أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر»، «وجعلت قرة عيني في الصلاة»، «ولا تفضلوني على يونس بن متى»، «إن المرأة خلقت من ضلع أعوج فإن أردت تقويمها كسرتها وكسرها طلاقها وإن استمتعت استمتعت وبها عوج»، «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان والحج»، «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»، «المؤمن مرآة أخيه».

^{١٢٠} مثل «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ»، «وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا»، «لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ»، «وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى»، «وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ»، «وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ»، «إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ»، «وَاسْتَفْزَزَ مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجُلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدُّهُمْ»، «وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ»، «قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ»، «إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ»، «وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا»، «وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينُ»، «وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى»، «رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ»، «وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى»، «وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى»، والحديث مثل: «ارم فداك أبي وأمي»، إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة ومائة مرة، «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي»، «الحجر يمين الله»، «فنسي آدم فسيت ذريته»، «وجحد آدم فجددت ذريته».

^{١٢١} خطاب إلى النور بن الرشيد حين بشر بفتح أنطاكية، إجابة الشيخ عبد الله الغزال، ينظر إلى الأول قول المتنبي، ورجلين من أهل أشبيلية القنجباري، ووليه إسماعيل بن سودكين، ابن حزم وكتابه «المحلى في موضوع الأسماء الحسنى»، بعض الإخوان، الملك العزيز بن الملك العادل لما مات، شخص معين، فتية أهل الكهف، العز بن عبد السلام، شمس الدين الشيرازي، سعد بن أبي وقاص، عائشة، الأنصار، حسان بن ثابت، القوم.

^{١٢٢} وقد قرئ عليه الباب السابع لأبواب الفتوحات فتعجب من إيجاز وإعجاز.

^{١٢٣} وكتبه في دائر قاعة سكناه، وقال في دور الستة.

المقاطع من النظم وطرقه وأشكاله الأدبية مثل الدور والموشح.^{١٢٤} ومنه ما يدور في اليقظة، وما يدور في النوم، وما يدور في الصحة والمرض. وللزومية أحد الأشكال الأدبية مثل «لزوم ما لا يلزم» عند المعري. وكذلك التوشيح الأقرع والتوشيح المضفر الأقرع والتوشيح ذو المنقال، والتوشيح وله منقال، والنظم التوشيجي، وذوقية المجفة، والدور والمطلع، محضر وصف لما جرى، وما ألقى إليه على نحو لا شعوري والوارد وشرحه. وتصنف بعض المقاطع تحت الحروف الأبجدية من الألف حتى الياء.

وتظهر موضوعات المعرفة والإدراك. وتنتقل من علم النفس إلى علم الأخلاق. فالحقيقة بسيطة ومركبة، والبصر والسمع واللسان واليد مكلفة، بل والبطن والفرج والرجل والقلب كل ذلك مكلف. اشترك في البيعة التي تقابل عهد ﴿الْسْتُ﴾. والوجه له سبحات. ويظهر موضوع النفس والروح الإنساني في مقابل الروح الحيواني والإنسان الكامل. كما يظهر موضوع العقل، والعقل الأول. والتقليد ليس مصدرًا من مصادر العلم أسوة بباقي العلوم.^{١٢٥} ويظهر الحق في القلب. ويخاطب الأرواح.^{١٢٦} وعلوم التصوف علوم الأسرار المكنونة المستورة. والتصوف كشفها وفتح مغاليقها. وتبقى الأسرار في صدور الأحرار. والمعارف إلهامية مثل ما يحدث في ليلة القدر.^{١٢٧} وتظهر الرياضات الروحية والدلالات النفسية للأعداد والرسوم المسطحة والمكعبة كما هو الحال عند فيثاغورس،

^{١٢٤} أول قصيدة ظهرت من قلبي على لساني، إلى هنا انتهى ما وقع في الحس من هذه الواقعة: وما أذكره بعد هذا هو مما وقع في النوم. وأما النظم فإنه كله في حال النوم فكانت بشرى، وهذا ذكر ما بقي من النظم فيها، لزومية، لزومية التفصيل، ومن نظمه في التوشيح الأقرع، ذوقية محبته، الدور، المطلع، درج بها كلام يقوم في محضر يصف فيه ما جرى، التوشيح المضفر، نظم التوشيح، نظم التوشيح الأقرع المضفر المحير الممتزج، وقال في النوم مرتجلًا، وما ألقى إليه إلا بإقوائه على غير مأمور منه بذلك الوارد شرحه، وقال أيضًا في مرضه، نظم التوشيح المروس، نظم التوشيح وهو أحد أفرع نظم التوشيح ذي الرأس، في درج الكلام، الوقوف على قبر، النطق، لزومية نبوية، سر نبوي، نبوية، مسط.

^{١٢٥} ارتباط الحقيقتين، البسيط والمركب، المعارف، البصر المكلف، السمع المكلف، اللسان المكلف، اليد المكلفة، البطن المكلف، الفرج المكلف، الرجل المكلفة، القلب المكلف، المبايع، النفس، النفس الناطقة، الإنسان الكامل لا الإنسان الحيواني، العقل الأول، السبحات الوجهية، التبزي من التقليد، الوارد.

^{١٢٦} كون القلب خرقة لما وسع الحق، درج كلام يخاطب بعض الأرواح، حال يخاطب فيه الحق في تجلٍّ قلبي لسبب.

^{١٢٧} الوعاء المختوم على السر المكتوم، إيضاح حجة ومفتاح محجة، صدور الأحرار قبول الأسرار، ليلة قدر العارف، مخاطبة السر الوجودي، السر النبوي.

وإخوان الصفا، والتصوف المتأخر. فالتسديس أفضل من التثليث والتربيع.^{١٢٨} وتظهر الحروف ودلالاتها مثل الأعداد. فكل حرف دلالة. وهي الحروف في أوائل السور، وهي أرواح لتحقيق العظمة الإلهية.^{١٢٩} وكل سور لها حياة أو روح. وهو قلبها والموضوع الغالب عليها. ويشير بعضها إلى الفرق الكلامية وعقائدها مثل تجديد العالم عند الجبائية والأعراض عند الأشاعرة. وأحياناً يكتفي بروح السورة من غير تسميته.^{١٣٠}

^{١٢٨} تخصيص التسديس دون التثليث والتربيع.

^{١٢٩} الفخر ولا فخراً بالراء والزاي معاً، حروف أوائل السور المسماة لما وقع التلفظ بأسماء حروفها لا بحروفها، حروف لو ولولا وإن، حروف أوائل سور القرآن المجهولة. الحروف الصغار وهي حروف الحركات، حركات البناء وحركات الإعراب والجزم والسكون وحروف العلة، أرواح السور في تحقيق العظمة الإلهية من روح الفاتحة. الحياة البرزخية في البقرة. في من كمل من النساء في آل عمران. والدعاء بالتحذير بلسان النذير في النساء. الوقار تقليداً بلسان البشر في العقود. حال نزول السكينة في الغمام لتلاوة القرآن في سورة الأنعام. مشام العارفين من الأعراف الطيبة وهم المسمون عالم الأنفاس، وما رأيت بينهم سوى رجلين من الكل بأشبيلية ومحمد نزل عن الكمال منهم القننجاري في الأعراف. المصيب بالمصادقة ما هو الأمر عليه في الأنفال. لسان ألا يعاد والاعتبار في التوبة. بشرى بوراثه نبوية من يونس. تأثير الإخوان في هود. مكارم الأخلاق النبوية في يوسف. هبات الصاحب في إبراهيم. حق الإرسال والوراثه بالاتباع للأنبياء، نعت المؤمنين الصادقين ومقامهم في المؤمنين، تقسيم الأنوار والظلم في النور ثلاثة عينها واحد من سورة القصص، اشتقاق البيوت من المبيت في العنكبوت، الآيات المعتادة وغير المعتادة في الروم. الحكمة المجهولة عند النفس المعلومة في لقمان. والتقوى في الصلاة في السجدة. رؤية المقام المحمدي في الأحزاب. كلمة حقيقية إلهية خلقية في الملائكة. عدم تفضيل الرسول على يونس في الصافات. المغفرة في الزمر. الطبع في المؤمن. الولاية في فصلت. معنى المثليين وإن تقابلا في الشورى. الاتحاد بالنيابة في الفتح. التحجير وأربابه في الحجرات. الجبائية في تجديد العالم والأشاعرة في الأعراض في ق. القسم في الذاريات. الميل الحسي والمعنوي في الطور. الشهب العلمية في النجم، والأنوار والإهداء في الفجر. أداء الحقوق في الرحمن. النشاطان في الواقعة. تفصيل الشرائع في الحديد. الحشر والنشر في الحشر. الابتلاء في الممتحنة. الحب في الصف. والأنس في المنافقين. الغوث في تبارك الملك. الحروف المرقومة، نيابة النون عن العين.

^{١٣٠} سورة الرعد، الحجر، النحل، الإسراء، الكهف، مريم، طه، الحج، الفرقان، الشعراء، سبأ، ص، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف، المجادلة، الجمعة، التغابن، نون، الحاقة، نوح، الجن، المزمّل، المدثر، القيامة، الإنسان، المرسلات، النبأ، النازعات، الأعمى، التكويد، الانفطار، التطهيف، الانشقاق، البروج، الطارق، الأعلى، الغاشية، الفجر، البلد، الشمس، الليل، الضحى، الشرح، التين، العلق، القدر، لم يكن، إذا زلزلت، العاديات، القارعة، ألهاكم التكاثر، والعصر، الهمزة، الفيل، قريش، الدين، الكوثر، الكافرون، النصر والفتح، تبت يدا أبي لهب، الإخلاص، الفلق.

والوحي عام وليس خاصاً، للبشر جميعاً وليس للرسل وحدهم، وحي القلب والضمير وليس فقط وحي الرسل والأنبياء.^{١٣١} وتتضمن بعض المقاطع موضوعات كونية.^{١٣٢} وهي ليست مقصودة بذاتها بل بروحها أي بدلالاتها ومعانيها، مثل موافقة النجم الهلال. والكور والدور يشيران إلى دوران الأفلاك، وظهور البدر والشمس معاً في النهار. ويظهر موضوع النور من الطبيعة إلى الروح، ومن الجغرافيا إلى التصوف وأنواع النور، القمري والبدري والكوكبي والناري والسراجي والبرقي، ورجوم الشياطين. وللأدوار الفلكية تلوين. والطالع والغارب منازل ودليلان على الحضور والغياب. والأركان الأربعة من بقايا الطبيعيات القديمة. وبعض مكونات الطبيعة أشرف من غيرها مثل شرف جبل أبي قبيس. والعلم الإلهي عن طريق الصنعة أي التأمل في الكون.^{١٣٣}

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد والتعليم من الله.^{١٣٤} والعلم بالله. فالله هو المعلوم وطريق العلم. والعلم بالله فخر. وله رموزه، اللوح والقلم. وتتضمن مقاطع أخرى تاريخ الرسل وقصص الأنبياء كما هو الحال في «فصوص الحكم»، ودلالاتها على تطور الروح. وتكرر أسماء الأنبياء لتنوع دلالاتها. ويتفرد عيسى بمقام خاص.^{١٣٥} وتختتم النبوة وتبدأ الولاية.^{١٣٦} وأحياناً يكون موضوع المقاطع أرواح الصوفية أنفسهم باعتبارهم ورثة

^{١٣١} عموم الوحي الإلهي.

^{١٣٢} مثل: البحر المسجور، روح السماء الدنيا، موافقة النجم الهلال، الكور والدور، حكمة ظهور البدر والشمس معاً في النهار، تأخر الأنوار عن النور، النور القمري، النور البدري، النور الكوكبي، النور الناري، النور السراجي، النور البرقي، الجسم الكل، الرجوم، التلوين في الدور الفلكي، الطالع الإلهي الغارب بأسماء المنازل، الأركان الأربعة، مشرق أبي قبيس وهو الجبل الأمين، سير الجواري في البروج والمنازل وذكر أسمائها، زلزلة رآها في النور، الطبيعة، السحاب وما يمنح، ودور السنة، ليلة القدر وهي تنتقل في السنة كما يراه الإمام أبو حنيفة، الطبيعة والأخلاق والأركان، والكون جسم كلي له نفس وعقل

وروح.

^{١٣٣} العلم الإلهي عن طريق الصنعة.

^{١٣٤} حكمة تعليم من عالم حكيم، العلم بالله، العلم الخاص واللوح والقلم فخر العلم بالله، عزيزية.

^{١٣٥} . مثل: الكاتب العيسوي، الروح الإدريسي، الروح الأحمر الهاروني، روح القاضي الموسوي، حالة موسوي، الحال الموسوي، واعظ ظريف اسمه عيسى، نظرة الصعق المكي والموسوي، الوارث الموسوي، والوارث المحمدي.

^{١٣٦} خاتم النبوة والولاية، شرف المصطفى.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

صادقين محمدين مثل الصحابة ومقاماتهم، كأبي بكر الصديق. ويظهر الإمام والقطب والخليفة، والمفارد مثل الأقطاب والأبدال والأوتاد والنواب.^{١٣٧}

ويظهر التحول من الفقه إلى الأخلاق، ومن علم الجوارح إلى علم بواطن القلوب، ومن الشرع إلى الحقيقة. بل إن الكون كله عقود نكاح وشهود أعراس.^{١٣٨} والأحكام الشرعية ليست كمًا بل كيفًا. وهي أصول وليست فروعًا. وقد تخفى على النفوس أوامر. فالأوامر كلها ليست تعليمات بل تعاليم، والله هو المؤدب للصوفي. وتأخذ الشرائع مدلولات روحية، الصلاة، والصيام، والزكاة والحج. فالطهارة شرط الصلاة وهي طهارة القلب وليست فقط غسل البدن. والمسح على الخفين رمز مثل التيمم والغسل من الجنابة. والصلاة حالة نفسية وليست مجرد حركة ركوع وسجود، والصوم صوم القلب. والزكاة زكاة النفس. فقد يعرض طائف عن البيت لأن الطواف ليس بالبدن في المكان بل بالروح في الزمان. وتعظيم الكعبة حالة روحية وليس تقديسًا لوثن. واللباس ليس هو الرداء بل لباس التقوى خير.^{١٣٩}

وتظهر موضوعات الطريق من الإنسان إلى الله، ومن الشريعة إلى الحقيقة مثل إنكار الخلاف في الطريق لأنه يقوم على الصحبة والألفة من أجل الوصول إلى التوحيد. وهو طريق تدريجي من غرفة إلى غرفة. ومنها موضوعات الذكر الذي قد يتوه فيه الذاكرون، والحماسة، والتحرك في ضجر.^{١٤٠} والإنسان يعطى لضعفه ويعطى لقوته.^{١٤١} وتظهر المقامات والأحوال التي تعبر عن مراحل الطريق ودون فصل بينهما مثل الغنى والاستغناء،

^{١٣٧} أرواح الورثة الصادقين المحمدين، المقام البكري الصديقي، الإمام والقطب، الإمامة والخلافة، المفارد والنواب.

^{١٣٨} الشرع والحقيقة، نكاح عقده وعرس شهبه، المواقف الأدبية، ما يخف على النفوس من الأوامر، كمية الأحكام الشرعية، أقسام أحكام الشرع في العلم الإلهي.

^{١٣٩} قول ابن عمر في طائف معرض عن البيت، طواف وهاتف يجيبه، لباس أخته، حضرة الكعبة المعظمة بحال، توحيد في حضرة خيالية، ووقع لباسها بعد ذلك في الحر، الطهارة التي هي من شرائط الصلاة، المسح على الخفين، التيمم، الجنابة، الصلاة، أنواع الصلاة وأحوال المصلي، صلاة المسافر، الوتر، الجماعة، العيد، الجمعة، الكسوف، الاستسقاء، الاستخارة، الزكاة، صوم رمضان، الحج.

^{١٤٠} إنكار الخلاف في الطريق، غرفة من فوقها غرف، فيه الذاكرين في الله، الحماسة، تحرك عن ضجر.

^{١٤١} العبد يعطى لضعفه ويعطى لقوته.

والطمأنينة والخشية، والتوبة والإنابة والأوبة والهمة والظنون والتقوى، والمراد والمريد والرضا.^{١٤٢} ومن المقامات معلوم ومجهول. وبطبيعة الحال يظهر التوحيد الذاتي، فالله ذات وليس موضوعاً، حالة وليس شيئاً مثل الفخر بالله، والاتحاد به وحده ذات وشهود ووجود، والوحدة شريفة مما يدل على أنها ليست فقط حكم واقع بل حكم قيمة.^{١٤٣} والأسماء الحسنى أيضاً حالات نفسية حتى يتجلى الإنسان الكامل.^{١٤٤}

(هـ) «مثنوي» جلال الدين الرومي (٦٧٢هـ) ^{١٤٥}

وهو أضخم ملحمة صوفية في تاريخ الشعر الصوفي بالفارسية، والترجمة النثرية تفقد الشعر تجربته، والمعنى رونقه، والأسلوب عظمته. ولا يحصل القارئ من الترجمة النثرية أي تجربة أدبية أو صوفية. تفقد التجربة النثرية غنائية الشعر، ومخاطبته المباشرة للوجدان. تقرأ بالعقل ولا تدرك بالذوق. تبين أهمية الشعر كأداة لتوصيل علوم الذوق. وتتوالى الحكايات بلا رابط. وتتخللها بعض الآيات القرآنية كرابط. فكل حادثة تحقيق لمناط آية. ومعظمها حكايات عن الملك أو الحيوانات كما هو الحال في «منطق الطير». وتظهر المقامات والأحوال في ثنايا التجربة الصوفية. كما تظهر معجزات الرسول، وكرامات الدراويش، وقصة موسى والخضر، والحواريين، معاوية، وإبليس. ويظهر تاريخ الأديان والنبوات وفي مقدمتهم نوح وإبراهيم وعيسى وموسى ومريم ثم التركيز على شخصية محمد. وتنقد المجوسية في فارس وباقي أنبياء الفرس. ويظهر شعر الطبيعة الرمزي. فالبستان هو المرأة. وتبدو مناجاة الأفلاك جزءاً من شعر الطبيعة. ويذكر العديد من

^{١٤٢} الغنى والاستغناء، الطمأنينة، الخشية، التوبة، الإنابة، الأوبة، الهمة، الظنون، المشيئة، المراد والمريد، المتقي، رضا الله وسخطه، ما سواه، المقام المجهول المذكور.

^{١٤٣} مثل الفخر بالله، وصف حال إلهي، الاتحاد بل الأحد، شرف الوحدة الإنسان الكامل، في غلط القائل لا يصدر عن الواحد إلا واحد.

^{١٤٤} الفرق بين الأسماء الإلهية من كونه متكلاً وبين ما بأيدينا من الأسماء الحسنى وهي أسماء أسمائه الحسنى.

^{١٤٥} المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ١٩٩٦م (٦ أجزاء).

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

الآيات القرآنية داخل المشعر نصًّا أو روحًا.^{١٤٦} ومن الموروث يذكر الحلاج وإبراهيم بن أدهم.^{١٤٧} ويذكر الوافد أحيانًا مثل جالينوس، سوفسطائي. وبعض نواحي الطب.^{١٤٨} وتتخلله بعض جوانب الأدب الشعبي الممثل في شخصية جحا، وبعض الأمثال العامة وكليلة ودمنة.^{١٤٩}

(و) ديوان عفيف الدين التلمساني (٦٨٨هـ) ١٥٠

وهو موزع على حروف الهجاء من الهمزة حتى الذال. ويدور حول موضوعين المحبة والوحدة. فالمضمون الصوفي أضخم من محور العروض. وتظهر لغة الحب بحيث يصعب التفرقة بين الحب الإلهي والحب الإنساني، والجمال الجسدي والجمال الروحي. ولا ضير من استعمال لغة الحب المكشوف من خلع العذار للتعبير عن الاشتياق والطلب. كما تظهر لغة الجسد مثل لغة العيون ولمس الأيدي وتمايل الأجسام. وتظهر المقامات والأحوال مثل الصبر على الهجر والفرح باللقاء من ثنايا مقام المحبة. ويذكر الحلاج باعتباره شهيد العشق.^{١٥١}

(ز) ديوان البرعي (٨٠٣هـ) ١٥٢

وهو ديوان العارف بالله تعالى أحمد بن علي البرعي الهاجري اليماني. يؤكد على مدى التماثل بين التجربة الصوفية والتجربة الشعرية. تم تجميعه طبقًا للقافية. وتظهر اللازمة الشعرية في بعض أشعار الأبيات المتكررة.^{١٥٣} والموضوع مدح الرسول والثناء على الله والوعظ والاعتبار الصوفي. لا فرق بين الله والرسول والولي. ففي الرسول يكون

^{١٤٦} السابق، ج ١ (٣٥).

^{١٤٧} السابق، ج ١ ص ٨٣.

^{١٤٨} السابق، ج ١ ص ٨١.

^{١٤٩} السابق، ج ٢ ص ٢٣٦.

^{١٥٠} أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٩٠م.

^{١٥١} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ

^{١٥٢} ديوان عفيف الدين التلمساني، ص ١٠١.

^{١٥٣} السابق، ص ١٩.

الشوق إليه، والتغزل فيه، والابتهال إليه، والصلاة عليه.^{١٥٤} وفي الله يكون مدحه، وشكر نعمته وعدم الركون إلى خلقه، والشهادة على وحدانيته، والاستدلال عليه، والتوسل إليه، ورجاء فضله، وتقديس أسمائه الجميلة.^{١٥٥} وفي الولي ذكر فضائل الصوفية، والغزل في الكعبة، والطريق إلى الحق وبعض المقامات والأحوال مثل السكر، والوعظ والاعتبار بالقرون الماضية والنصيحة، والثناء على عشرات من المشايخ والأعلام بأسمائهم.^{١٥٦} كما يتم الاقتداء بآل البيت مثل علي والحسين وبعض كبار الصوفية. مثل الجنيد والشبلي ومعروف الكرخي والجيلاني ويظلم جبريل.^{١٥٧} كما يتم تحليل بعض التجارب الذاتية مثل إشراف ولده على الموت، وعتاب شيخه لعدم زيارته، ومواقف إنسانية أخرى تدل على أن التصوف جزء من التجارب الذاتية في الحياة اليومية.^{١٥٨} وتنتهي القصائد بأبيات من عمل بها جمع خير الدارين.^{١٥٩}

(ح) قصيدة «النادر العينية» لعبد الكريم الجيلي (٨٢٦هـ)

وهي أكبر قصيدة صوفية بعد تائية ابن الفارض.^{١٦٠} والعينية لأن قافيتها العين مثل قصيدة النفس عند ابن سينا. والنادر أي البوادر أو المبادرات. وهي قصيدة رمزية بلغة القوم ومصطلحاتهم. موضوعها المحبة آخر مرحلة في العلم، وأول مرحلة في المعرفة، وباطن العبادة، والتحول من الفقه إلى الأخلاق. والعالم من صنع الخيال لأن الله وحده هو الموجود الحق. بالإضافة إلى سيرة ذاتية للشاعر، والروح والجسم والأفلاك، وعلاقة الشيخ بالمريد.

^{١٥٤} السابق، ص ١٥، ١٩، ٢٢، ٨٧.

^{١٥٥} السابق، ص ٩٢-٩٣، ٩٩، ١٠٥، ١١١، ١٢٣.

^{١٥٦} السابق، ص ٢٥، ٣١، ٣٧، ٧١، ١٥٠، ١٧٧.

^{١٥٧} السابق، ص ٢٦.

^{١٥٨} السابق، ص ١٢٩، ١٣٣.

^{١٥٩} السابق، ص ١٢٩.

^{١٦٠} تتكون من ٥٣٤ بيتًا في حين أن الثانية ٦٦٧ بيتًا.

(ط) ديوان العارف بالله تعالى سيدي محمد البوزيدي المستغانمي (١٢٢٩هـ)^{١٦١}

ويتضمن خمس عشرة قصيدة. موضوعها المحبة مثل ابن الفارض وبعض الموضوعات الخلقية الأخرى. فالتصوف الخلقي طريق إلى التصوف النظري أي التوحيد.

(ي) «ديوان آيات المحبين في مقامات العارفين» للعارف بالله

الشيخ عدة بن يونس المستغانمي^{١٦٢}

ويتكون من ست وأربعين قصيدة. موضوعاتها رموز الحب مثل الشراب والعطش والسكر وما يتلوه من مشاهدة وقدر الوطن والقرية والهجر، والغزل في مصر.

(ك) «القول الحق في مدح سيد الخلق» للنبهاني (١٣٥٠هـ)^{١٦٣}

وهو نظم في مدح الرسول. ويدخل من حيث المضمون في مدح الرسول أي في الوعي العملي في العودة إلى عالم السيرة، وتشخيص الرسول وتجسيمه في الحقيقة الحمديّة. وهو ما طبع العقلية المعاصرة بطابع المديح لغير الرسول، حكام ووزراء وقادة ومسؤولين. ويخلو النظم من الآيات والأحاديث وأقوال الصوفية.

(ل) ديوان العارف بالله أحمد المستغانمي (١٣٥٣هـ)^{١٦٤}

ويتكون من إحدى وسبعين قصيدة من أوزان وأطوال مختلفة كلها في الحب الإلهي والشوق والسكر والشراب وبعضها في التصوف الخلقي والباطن والظاهر والخواص والعوام. والبعض الآخر في التصوف النفسي في الأحوال مثل القرب والبعد والقبض والبسط والمقامات مثل الرضا والشكر والزهد. وثالثهما في التصوف الفلسفي في الذات الإلهية وأشكال التوحيد والحقيقة الحمديّة ومدح الرسول، والفناء والبقاء. في طريق السالكين والوصل والحجاب. والستر والفرق والجمع، والبصر والبصيرة والأقطاب والأبدال. والبعض

^{١٦١} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م/١٤٢٧هـ (٢) ص ١٥٧-١٧٦.

^{١٦٢} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م/١٤٢٧هـ (٣) ص ١٧٩-٢١٨.

^{١٦٣} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م/١٤٢٧هـ.

^{١٦٤} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م (١)، ص ٨٤-١١.

في حيرة العقل ويقين الكشف والبعض في الإنسان. ويظهر القرآن الحر في داخل الشعر.^{١٦٥}
ولا يذكر أسماء الأعلام إلا روح الأستاذ البوزيدي.^{١٦٦}

^{١٦٥} مثل:

الكل لها أواني ونفس وما سواها

السابق، ص ٢٨.

وقد نذرت للرحمن صومًا إذ في الكتمان عز واحترام

السابق، ص ٣٩.

وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وله مزيد الحمد والثناء والشكر
واحلل عقدة من لساني، واجعل لي وزيرًا من أنصارك، ولا تخزني يوم الحشر

السابق، ص ٤١.

من صخر العرفان سقينا كيزان من يد ولدان مخلصينا
أهل الحقائق بين الحقائق على نمارق متكئينا
حال العارفين متقابلين على سرر مستبشرينا.
لهم احترام في كل العالم وعند الكرام الكاتبين

السابق، ص ٥٠.

بصراط مستقيم موصل للإيقان
فيها من ماء تسنيم من كل شيء زوجان

السابق، ص ٥٦.

فخلعت النعلين كذا الكونين لئلا يبقى من بيني ثم نديت

السابق، ص ٨٠.

تشكل بالإنسان وبالروح مني
أنا لست إنسان ولا من الجن

السابق، ص ٣٣.

^{١٦٦}

بشرى روح الأستاذ البوزيدي عين المدد إذ قال لي باجتهاد بعد أن قسم بالله

السابق، ص ٢٠.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

(م) الدرر المنظومة الرقيقة في شرح الشريعة والطريقة والحقيقة» للعمراني الخالدي^{١٦٧}

وهي أربع عشرة قصيدة في موضوعات التصوف المختلفة مثل التوحيد، والطريق، والأخوة، ومدح الشيخ، وتمجيد الرسول، والتشوق إلى الحضرة المقدسة، والتضرع إلى الله، والتوسل بأسماء الله، وذكره، وقراءة الورد، ومعنى الشريعة والحقيقة.^{١٦٨} أكبرها الثالثة عشرة في معنى الشريعة والحقيقة، ثم التوسل بأسماء الله الحسنى.^{١٦٩}

(٤) السيرة الذاتية

(أ) «المنقذ من الضلال» للغزالي (٥٠٥هـ)^{١٧٠}

وهو كتاب نموذجي في فن السيرة الذاتية الفلسفية ويتم فيها الانتقال من الفقه إلى الكلام إلى الفلسفة للحط أخيراً في التصوف، في تدرج من الأدنى إلى الأعلى.^{١٧١} وهو إجابة على سؤال غاية العلوم وأسرارها وغائلة المذاهب وأغوارها والمعاناة في استخلاص

صخرة مع علي وعمر وبو بكر عثمان زيد خالد وابن الجراح

السابق، ص ٨٢.

تشكل بالإنسان وبالروح مني
أنا لست إنسان ولا من الجن

السابق، ص ٣٣.

^{١٦٧} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤/١٤٢٥ هـ (٥) ص ١٥١-١٩٩.

^{١٦٨} هي: (١) التوحيد الخاص (٢) نهج طريق الصوفية الأخيار (٣) أخذ الحيلة عند الانتساب إلى طريق الصوفية (٤) الحث على حضور جميع الأخوة الصوفية (٥) مدح شيخ التربية الكامل (٦) الآداب مع شيخ القرية (٧) مدح أهل التوسل بهم إلى الله (٨) تمجيد الرسول (٩) التشوق إلى الحضرة المقدسة وشرح طريق الوصول إليها (١٠) التضرع إلى الله وطلب رضاه والوصول إلى حضرته (١١) ذكر الله وما له من قدر (١٢) قراءة الورد والاسم المفرد (١٣) معنى الشريعة والحقيقة (١٤) بغية المنى في التوسل بأسماء الله الحسنى.

^{١٦٩} السابق، ص ١٨٣-١٩١، ١٩٢-١٩٩.

^{١٧٠} مكتبة الجندي، القاهرة (د.ت).

^{١٧١} «فقد سألتني أيها الأخ في الدين أن أبث إليك غاية العلوم وأسرارها، وغائلة المذاهب وأغوارها، وأحكى لك ما قاسيته في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق، مع تباين المسالك والطرق، وما

الحق من بين اضطراب الفرق. وتباين المسالك والطرق، والتحول من التقليد إلى الفهم، وتجاوز المتكلمين والباطنية والفلاسفة حتى الوصول إلى التصوف وجلاء الحق. والتحول من العلم الكسبي والتحصيل إلى العلم الكشفي. وقد أناف السن على الخمسين. ولما كان العلم ممكناً تبدأ السيرة الذاتية بنقد الموقف السفسطائي وجدد العلوم.^{١٧٢} ثم تصنف الطالبين، المتكلمين أصحاب الرأي والنظر، والباطنية أصحاب التعليم وتقليد الإمام المعصوم، والفلاسفة أهل المنطق والبرهان. وأخيراً الصوفية خواص الحضرة وأهل المشاهدة والمكاشفة.^{١٧٣} ثم يبرز موضوع «حقيقة النبوة واضطرار كافة الخلق إليها».^{١٧٤} ثم تأتي المرحلة الأخيرة في السيرة الذاتية عن «سبب نشر العلم بعد الإعراض عنه».^{١٧٥} وهو العلم اليقيني وليس الظني، علم التصوف ضد أسباب فتور الخلق وضعف إيمانهم من الخائضين في الفلسفة والتصوف ودعوى التعليم ومدعي العلم.^{١٧٦} وننتهي السيرة الذاتية برفض الخرافات والخزعبلات والأحجية والسحر والأشكال الهندسية والمعجمية لعلاج الحامل التي عسر عليها الطلق وعلم التنجيم.^{١٧٧}

ويعتمد على القرآن والحديث والشعر.^{١٧٨} كما يحيل إلى الفرق الإسلامية، المتكلمين والباطنية والفلاسفة (اليونان) والصوفية والمتفلسفة الإسلاميين مثل ابن سينا والفارابي وإخوان الصفا.^{١٧٩} ويحال إلى الفرق غير الإسلامية مثل النصرانية. ولأول مرة يحال

استجرات عليه من الارتفاع إلى حضيض التقليد إلى يفاع الاستفسار، وما استفدته، أولاً من علم الكلام، وما احتويته ثانياً من طرق أهل التعليم القاصرين لدرك الحق على تقليد الإمام، وما ازدريته ثالثاً من طرق التفلسف، وما ارتضيته أخيراً من طرق التصوف، وما انجلي لي في تضاعيف تفتيش عن أقاويل الخلق من لباب الحق، وما صرفني عن نشر العلم ببغداد مع كثرة الطلبة، وما دعاني إلى معاودتي نيسابور بعد طول المدة فابتدرت لإجابتك على مطلبك بعد الوقوف على صدق رغبتك...» السابق، ص ٣.

^{١٧٢} مداخل السفسطة وجدد العلوم، السابق، ص ٧-١٢.

^{١٧٣} القول في أصناف الطالبين، ص ١٢-٥١.

^{١٧٤} السابق، ص ٥١-٥٧.

^{١٧٥} السابق، ص ٥٧-٦٠.

^{١٧٦} السابق، ص ٦٠-٦٦.

^{١٧٧} السابق، ص ٦٦-٧٠.

^{١٧٨} الآيات (١٧)، الأحاديث (١١)، الأشعار (١).

^{١٧٩} الصوفية (٢)، المتكلمون، الباطنية، الفلاسفة، المتفلسفة الإسلاميون (١)، ابن سينا (١)، الفارابي، إخوان الصفا (٣)، النصراني.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

إلى الفلاسفة بمعني الوافد أي فلاسفة اليونان «أرسطوطاليس» ثم أفلاطون ثم سقراط ثم فيثاغورس وجالينوس.^{١٨٠} وهم الإلهيون مع الطبيعيين والدهريين (الزنادقة). ومن الصوفية يحيل إلى المحاسبي ثم الجنيد والشبلي والبسطامي.^{١٨١} للتمييز بين المضمون الخلقي عند المحاسبي والتصوف النفسي عند الجنيد والشبلي والبسطامي. ويحال إلى الفقهاء أحمد بن حنبل ثم الشافعي ثم أبو حنيفة لبيان الاتفاق بين الفقه والتصوف، بين الشريعة والحقيقة.^{١٨٢} ويحيل الغزالي إلى عشرة من مؤلفاته الأخرى لبيان وحدة مشروعه سواء في الفقه مثل «فيصل التفرقة» أو في الكلام «المقصد الأسنى»، أو في الفلسفة في «تهافت الفلاسفة» أو في المنطق «في القسطاس المستقيم»، أو في التصوف في «الإحياء» و«كيمياء السعادة»، أو في الرد على الباطنية في «المستظهر» و«حجة الحق» و«فيصل الخلاف» و«الدرج المرقوم». ومن كتب الصوفية يحيل إلى «قوت القلوب» لأبي طالب المكي الذي دخل معظمه في «الإحياء» مع «اللمع» للطوسي. ومن المدن تذكر بغداد ونيسابور.

(ب) فهرست مؤلفات ابن عربي^{١٨٣}

والاسم ليس من ابن عربي. وهي إجازة للسلطان الرواية عما فيها بعد التعرف على الخط.^{١٨٤} لذلك تدخل في السيرة الذاتية كشكل أدبي. تبدأ بذكر الشيوخ.^{١٨٥} ثم

^{١٨٠} أرسطوطاليس (٧)، أفلاطون (٣)، سقراط (٢)، جالينوس، فيثاغورس (١).

^{١٨١} المحاسبي (٤)، الجنيد، الشبلي، البسطامي (١).

^{١٨٢} أحمد بن حنبل، أبو حنيفة (٣)، الشافعي (٢).

^{١٨٣} رسائل ابن عربي ج ١ (١) ص ٦٨-٤٣.

^{١٨٤} «وهذا لفظي. استخرت الله تعالى، وأجزت للسلطان الملك المظفر بهاء الدين غازي ابن الملك العادل المرحوم إن شاء الله أبي بكر بن أيوب وأولاده ولن أدرك حياتي الرواية عني في جميع ما رويته عن أشياخي من قراءة وسماع ومناولة وكتابة وإجازة وجميع ما ألفت وصنفته من ضروب العلم، وما لنا من نثر ونظم على الشرط المعتد بين أهل هذا الشأن. وتلفظت بالإجازة عن تقييدي هذا الخط. وذلك في غرة المحرم سنة اثنتين وثلاثين وستمئة بحروسة دمشق. وكان في استدعائه أن أذكر له من أسماء شيوخي ما تيسر لي ذكرهم منهم. وبعضهم مسموعاتي، وما تيسر من أسماء مصنفاتي. فأحببت استدعائه، نفعتنا الله وإياه بالعلم. وجعلنا وإياه من أهله. إنه ولي كريم»، السابق، ص ٤٣.

^{١٨٥} من الشيوخ يذكر ستين شيخًا، السابق، ٤٤-٤٩.

تثني بذكر المؤلفات.^{١٨٦} وقد كتبها قبل أن يتوفى بست سنوات بدمشق. وما ورد على قدر ما سمحت به الذاكرة. فهو ليس إحصاء شاملاً للشيوخ ولا للمؤلفات كما يفعل الباحثون اليوم خاصة والمستشرقين منهم. ولا يذكر القرآن إلا مرة واحدة.^{١٨٧} ولا يظهر الوعي التاريخي إلا مرة واحدة في إشارة إلى الحلاج.^{١٨٨} ومنها اختصار كتب الحديث والجمع بينها وبعض الأمور الباطنية مثل المثلثات الواردة في القرآن.

(ج) «رسالة اللمعة الموسومة بكشف الغطا عن إخوان الصفا» لابن عربي^{١٨٩}

ويتجلى الوعي التاريخي المتأخر عند ابن عربي لدى ذي النون وإخوان الصفا. ولا يذكر اسم «إخوان الصفا» في الرسالة. ولا يعتمد على أي آية أو حديث نبوي أو قدسي أو شعر أو قول صوفي. بل هي تنظير عقلي برهاني خالص كما تعبر المقدمة عن ذلك.^{١٩٠} يسميهم إخوان التجريد بالرغم من اعتمادهم على الشواهد النقلية، القرآن والحديث والشعر وأقوال الحكماء والكتب المقدسة بما في ذلك الديانات الشرقية وحكماء فارس والهند والأمثال العامة والثقافات الشعبية. ويقسم الرسالة إلى أربعة فصول بلا عناوين. الأول عن العلة والمعلول وكمالاته. والثاني عن العلم والملاحظة. والثالث عن معرفة الذات. والرابع في معرفة الكون. وكل درجة دنيا تؤدي إلى الدرجة العليا.

^{١٨٦} ومن مؤلفاته يذكر ٢٨٤ مؤلفاً. وهي تربو على الثلاثمائة كما أحصى بركلمان وعثمان ويحيى فيما بعد. وتدور حول موضوعات التصوف كلها ومراحلها الخلقية والنفسية والنظرية والعملية.

^{١٨٧} ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتَاهُ لَا أَبْرَحُ﴾ في العمل السادس «الاحتفال فيما كان عليه الرسول من سني الأحوال».

^{١٨٨} السراج الوقاد في شرح كلام الحلاج، العمل ٢٤، السابق، ص ٥٢.

^{١٨٩} رسائل ابن عربي ج ١ (٤) ص ١٤٩-١٥٣. وله طبعة أخرى في دار الكتب العلمية.

^{١٩٠} «فإن هذه اللمعة موسومة بكشف الغطا لإخوان الصفا»، «أبرزتها الرحمة الإلهية الأزلية لترقي أرباب النظر والبرهان إلى رتبة أصحاب العبر والعيان»، السابق ص ١٤٩.

(٥) المكاتبات والتراجم والرسائل والمسائل

(أ) رسائل ابن عربي (٦٣٨هـ)

(١) رسالة إلى الإمام الرازي^{١٩١}

ليس لها موضوع محدد بل مجرد رسالة. وفي نهايتها عناوين جانبية مثل: فعل، إشارة، إشارة أخرى، إشارة تالية، من كلام ابن عربي، كتاب العلاج، شعر لغز به، البسمة، كلام الشيخ مما يبين بنيتها الضعيفة. تعتمد على القرآن ثم الحديث والشعر.^{١٩٢} ومن الصوفية يذكر الغزالي. ومن الطرق يذكر المتكلمون والحكماء والفلاسفة. ويحال إلى كتاب «فضائل الشهادة» لأبي طالب المكي.

(٢) «كتاب التراجم»^{١٩٣}

ويوحي العنوان بأنه في السيرة الذاتية أو الوعي التاريخي، ولكن يعني في الحقيقة الترجمة عما في النفس والتعبير عن الأفكار. ويتكون من أبواب. وكل باب من لطائف وإشارات، وسؤال وجواب.^{١٩٤} وكل باب ترجمة لموضوع.^{١٩٥} وبعض الأبواب ترجمة فقط دون موضوع. وموضوع بعض الأبواب آيات قرآنية، وتكرر بعض الموضوعات مثل المنة والعبادة. ويبرز موضوع الإنسان الكامل، رجلاً أو امرأة. فهو ليس رجلاً بالضرورة.

^{١٩١} رسائل (١) ج ١ (١٥) ص ١-١٤.

^{١٩٢} الآيات (٣)، الأحاديث، الأشعار (١).

^{١٩٣} رسائل (١) ج ٢ (١٨) ص ١-٦١.

^{١٩٤} الإشارات (١٩٠)، اللطائف (١٤٠)، لطيفة إشارة، جواب (١).

^{١٩٥} مثل: القهر، الكبرياء، الفتح، الإجابة، التعريف، الثبات، العدل، التعظيم، المنة، الغيرة، الوجود، الجمع، التقديس، الاستواء، الباطن، الرحمة، الوعظ، الأثنية، السيادة، الوهب، التبعة، الكمال، الكتيب، الشريعة والحقيقة، خبيثة ابن صائد، التقلب، المشاورة، حمد الملك، المغفرة، الإخلاص، انبعاث نور الصديق، الصف الأول، الجمع والوجود، فتح الأبواب، مالك الملك، الاشتراك بين النفس والروح، القسمة، السبب، الأقصى، أرض العبادة، الأدب، البهائم، السعير، إياك أعني فاسمعي يا جارة، وأن إلى ربك المنتهى، العالم، العناية، القضاء، العبادة، الغيب، الوفاء، المفهوم، التوقيع، التسخير، السلب والتنزيه، القدرة، الذكر، المحبة، الصرف، النوراني، قدر القرب، الاستفهام، الجزاء، الهادي، الحجاب، الرداء.

ويعتمد على القرآن والحديث. والقرآن نصي وحر. والحديث نبوي وقدس. ^{١٩٦} ومن أسماء الأعلام يتقدم أبو السعود ثم أبو طالب المكي والغزالي وسهل بن عبد الله وأبو عقال المغربي. ^{١٩٧} ومن الأنبياء محمد. ومن الأتقياء آسية امرأة فرعون ومريم العذراء. ^{١٩٨}

(٣) «كتاب الكتب» ^{١٩٩}

وهي رسائل ابن عربي، حقيقية أو متخيلة. ^{٢٠٠} تعتمد على القرآن والشعر والحديث. ^{٢٠١} ويذكر بعض المرسل إليهم. ومن الصوفية الجنيد والمحاسبي. ^{٢٠٢} ومن الأنبياء موسى ويوسف ومحمد وهارون. ^{٢٠٣} ويعتمد الأسلوب على المحسنات البديعية.

(٤) «تاج الرسائل ومنهاج الرسائل» ^{٢٠٤}

والعنوان الكامل يضيف «المودعة في المعاني الروحية»، وهي ثماني رسائل متخيلة إلهية نزلت قدسية على عبد الحي، واتحادية على عبد العليم، وسريانية على عبد الشكور، ومشهدية على عبد النصير، وفردوسية على عبد السميع، وعذرية على عبد الودود، ووحدوية على عبد القادر. وهناك صلة بين موضوع الرسالة والرسول التي ترسل بها، الإلهية والقدسية والحياة، الاتحاد والعلم، السريانية والشكر، المشاهدة والبصيرة، الفردوس والسمع، القدسية والود، الوجود والقدرة. ويتخللها تأويل الحروف. ^{٢٠٥} والمرسل

^{١٩٦} الآيات (٥٥)، القرآن الحر (٢٢)، الأحاديث (٣)، القدسية (٢).

^{١٩٧} أبو السعود (٢)، أبو طالب المكي، الغزالي، سهيل بن عبد الله، أبو عقال المغربي.

^{١٩٨} آسية، مريم (١).

^{١٩٩} رسائل (١) ج ٢ (٢١) ص ٥٦-١.

^{٢٠٠} هي ٤٤ رسالة.

^{٢٠١} الآيات (٢٠)، الأشعار (١٤)، الأحادي (٣).

^{٢٠٢} أبو القاسم العماد بن السكري، أبو أحمد، أبو إسحاق بن طريف، أبو الحسن الخوئي، أبو عبد الله المحاسبي، الجنيد (١).

^{٢٠٣} موسى، يوسف (٢)، محمد، هارون (١).

^{٢٠٤} رسائل ابن عربي ج ٢ (٨) ص ٢٨٥-٢٣٧.

^{٢٠٥} السابق، ص ٢٦٠-٢٦١.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

محمد بن علي والمرسل إليها كعبة الحسن، الرسول الشيعي والمرأة الجميلة. ويوصف المرسل أحياناً بالودود أي المحب. والأسلوب أسلوب المخاطب. وتعتمد على القرآن والشعر والحديث.^{٢٠٦} ومن الصوفية يذكر الشبلي والبسطامي. ومن الصحابة بلال. ومن الشعراء بشار. ومن الأنبياء محمد ويوسف. ومن النساء زليخا.^{٢٠٧} في أولها الإجازة.^{٢٠٨} وفي آخرها الرواية السماعية.^{٢٠٩}

(هـ) «كتاب المسائل»^{٢١٠}

وهي مجموعة من المسائل الفلسفية مثل مسائل الفارابي. تطول وتقتصر. تبدأ بفصل بلا عنوان ثم ترقم المسائل.^{٢١١} تغلب عليها الموضوعات النظرية الفلسفية الخالصة. العاشرة منها في الحقيقة المحمدية. وتعتمد على القرآن والحديث والشعر.^{٢١٢} ومن الفرق يذكر الأشاعرة والمعتزلة والقدماء.^{٢١٣} وأسلوبها مثل أسلوب الإخوان «انظر وفقك الله».

(ب) رسائل ابن سبعين (٦٩٩هـ)^{٢١٤}

عرف ابن سبعين بأنه من أنصار «الوحدة المطلقة» مثل هيجل. لم يكتب مؤلفات بل ترك رسائل متفرقة، عشرين رسالة تتفاوت كمًّا. أطولها شرح عهد ابن سبعين لتلاميذه «في علاقة الشيخ بالمريد»، والرسالة الرضوانية، وعن التوبة.^{٢١٥} وتدور الرسائل حول عدة

^{٢٠٦} الآيات (١٥)، الأشعار (١٢)، الأحاديث (٥).

^{٢٠٧} البسطامي، الشبلي، بلال، بشار (١)، محمد (٢).

^{٢٠٨} تاج الرسائل ٢٣٥، ٢٨٤-٢٨٥.

^{٢٠٩} لم نستطع تحليل رسالة في سؤال إسماعيل بن سودكين نظرًا لسقوطها من الطبعة العثمانية عند

التجليد، رسائل (١)، ج ١، ١٤.

^{٢١٠} رسائل (١) ج ٢ (٢٢) ص ٣٦-١.

^{٢١١} هي ٥٣ مسألة.

^{٢١٢} الآيات (١٨)، الأحاديث، الأشعار (٢).

^{٢١٣} الأشاعرة (٣)، الأشعري (١)، المعتزلة، القدماء (١).

^{٢١٤} المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانتباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٥م.

^{٢١٥} شرح العهد (٨٤)، الرسالة الرضوانية (٤٠).

موضوعات في الأخلاق العلمية مثل «الرسالة الفقيرية» التي ينتقل فيها من الأخلاق إلى الوجود، «كتاب فيه حكم ومواعظ» «رسالة النصيحة أو التوبة»، ورسالة أخرى بلا عنوان وهي الفضائل، ورسالة في عرفة يتم فيها الانتقال من الفقه إلى التصوف.^{٢١٦} وهناك رسائل في التصوف النفسي ابتداءً من وصف الطريق وعلاقة الشيخ بالمريد مثل «عهد ابن سبعين لتلاميذه» وشرحها و«ملاحظات في يد العارف» و«وصية ابن سبعين لأصحابه». ثم هناك وسائل في المقامات مثل «الرسالة الرضوانية» في التوبة دون رسائل في الأحوال.^{٢١٧} ثم تأتي معظم الرسائل في التصوف الفلسفي عامة والوحدة المطلقة خاصة مثل «الرسالة القوسية» في رسم الكون و«كتاب الإحاطة» في وجود الكل ثم رسالة بلا عنوان في الذات الإلهية، ورسالة في «أنوار النبي» عن الحقيقة المحمدية، و«رسالة الله لسان نوره» وأربع رسائل بلا عنوان، ورسالة الألواح المباركة. كلها تدور حول الوحدة المطلقة. وتجلي الله في الكون. وتتردد في إحدى الرسائل لازمة «الله فقط».^{٢١٨}

وتتعدد الأساليب وطرق التعبير من النصائح والمواعظ والمناجاة ولكنها خالية من العرض النظري الخالص ومن الترتيب المنطقي. تتكرر فيها الموضوعات. لا يوجد مصطلح «الوحدة المطلقة» الذي عرف به، ولكن يستعمل لازمة «الله فقط» أو لفظ «الوحدة».^{٢١٩} وتوحي المناجاة بالانتقال من وحدة الشهود إلى وحدة الوجود. ينقد الفلاسفة المشائين الذين اکتفوا بالفلسفة العقلية المجردة دون أن يكون لها رصيد في التجربة الذوقية. ويستعمل الكثير من الآيات والأحاديث والأشعار.^{٢٢٠} والبيت الذي يعبر عن فلسفته هو:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

ومع ذلك يظل التنظير له الأولوية على الشواهد النصية والشعرية. كما يستعمل بعض آيات الزبور لداود.^{٢٢١} فكما أن الكون واحد، الأديان واحدة. ومن الصوفية

^{٢١٦} رسائل، ص ٣٨-١، ١٨٩-١٥١، ٢٠٧-٢٩٨.

^{٢١٧} السابق، ص ٤٣-١٢٩، ٢٤٧-٢٥٨، ٣١٢-٣١٥، ٣١٦-٣٥٦.

^{٢١٨} السابق، ص ٣٩-٤٢، ١٢٠-١٥٠، ١٩٠-٢٤٦، ٣٥٩-٣٩٧، ٣٥٧-٣٦١.

^{٢١٩} وصية ابن سبعين لأصحابه، الرسائل، ص ٣١٤.

^{٢٢٠} الآيات (٢٧)، الأحاديث (١٣)، الأشعار (٢٧).

^{٢٢١} رسائل، ص ١٦٤.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

المسلمين يذكر إبراهيم بن أدهم خاصة صاحب التجربة الشخصية، ومن الواقد يذكر سقراط وأفلاطون.^{٢٢٢} ومن العصر الوسيط يذكر الإفرنج والبابا وقد كان ابن سبعين في علاقة مع فردريك الثاني ملك صقلية كما يبدو ذلك في «المسائل الصقلية».^{٢٢٣}

(ج) مكاتبات ابن عطاء الله السكندري إلى بعض إخوانه ومريديه (٧٠٩هـ)^{٢٢٤}

وهي نوع أدبي، رسائل متبادلة بينه وبين بعض الإخوان. وهي خمس رسائل، مملوءة بالمصطلحات الصوفية. والبعض منها بناء على سؤال.^{٢٢٥} وأغلبها أخبار عن الطريق بدايته ونهايته أو نصائح عملية للسلوك. تعتمد على القرآن والحديث دون الشعر وأقوال الصوفية.^{٢٢٦}

^{٢٢٢} السابق، ص ١٦١-١٦٢.

^{٢٢٣} انظر دراستنا: روح الأندلس ونهضة الغرب الأحاديث، قراءة في المسائل العقلية لابن سبعين هموم الفكر والوطن، ج ١، الذات والعصر والحداثة، دار قباء، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ١٤٥-١٦٤.

^{٢٢٤} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ (٣) ص ٨١-٩٣.

^{٢٢٥} السابق، ص ٨٥.

^{٢٢٦} الآيات (١٦)، الأحاديث (٣).

خامسًا: تناثر البنية

ثم بدأت بنية العلم بعد أن اكتملت في القرن الخامس، «الإحياء» نموذجًا في الانحلال والامتداد عرضًا لا طولًا، في الاتساع وليس في العمق، نحو أقطاب جديدة مثل الكون والله والإنسان والكون أو الوجود أو العالم في «الفتوحات» والإنسان في «مكاشفة القلوب» و«روضة الطالبين» للغزالي (٥٠٥هـ)، و«فتوح الغيب للجيلاني» (٥٦١هـ)، في «منارات السائرين» و«مقامات الطائرين» للرازي (٦٥٤هـ) و«عوارف المعارف» للسهروردي (٦٣٢هـ)، و«كتاب فيه ما فيه»، للرومي (٦٧٢هـ)، و«طهارة القلوب» للديريني (٦٩٤هـ)، و«آداب الطريقة وأسرار الحقيقة» للكاشاني (٧٣٠هـ)، و«روضة التعريف بالحب الشريف» لابن الخطيب (٧٧٦) و«سر الأسرار» للقادلي (٩٦٣هـ)، و«نزهة المجالس» للعصفوري (١٠٤٣هـ).

(١) الغزالي (٥٠٥هـ)^١

(أ) «مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب في علم التصوف»

ويدل العنوان على الجمع بين التصوف النظري المعرفي في «مكاشفة القلوب» وعلى التصوف العملي كطريق في «المقرب إلى حضرة علام الغيوب». وهو أيضًا تلخيص «الإحياء» دون بنيته الرباعية. ويتكون من مائة وأحد عشر بابًا متناثرة الموضوعات. يتكرر بعضها. وتدور محاورها حول التصوف الخلقي، الرذائل والفضائل، والتصوف

^١ مكتبة صبيح، القاهرة (د.ت).

النفسي، المقامات والأحوال، والتصوف الفلسفي، الله والإنسان والعالم، والتصوف العملي كالطريق والطريقة وآداب الشيخ والمريد.^٢ ولا فرق بين الأصل «الإحياء» والاختصار من حيث كثرة الأدلة النقلية التي زادت على حساب الأدلة العقلية. والغرض من زيادة الفصول الإرهاب والتخويف والحذير.

ويعتمد على الآيات ثم الأحاديث ثم الأشعار.^٣ كما يعتمد على بعض الإسرائيليات بمناسبة قصص الأنبياء. وتذكر الأحاديث بلا أسانيد. فالغاية هي المتن لتعليق المطلوب عليه. ومعظمها حكايات أكثر منها أقوالاً، ومواعظ أكثر منها قضايا وتعريفات. وعلى الرغم من الوعي بالقسمة العقلية إلا أنها نادرًا ما تظهر.^٤ ويقل الربط بين الفقرات لأنها

^٢ «ضمن التصوف الخلقي تبرز موضوعات الأمانة في الصلاة والترحم، والقناعة، والفقر، والتواضع، والصدقة، وقضاء حاجات الناس، والإيمان. ومن تحول الفقه إلى أخلاق تبرز موضوعات الخضوع، والخشوع في الصلاة، والوضوء، وطاعة الله، والزكاة ضد البخل، وترك الحرام، والربا، وفضل المسجد، وصلاة الجماعة، وصلاة الليل، وفصائل رجب وشعبان ورمضان وليلة القدر والعيد والأيام العشرة لذي الحجة، وعقوبة شارب الخمر، والنهي عن البدعة، وتجنب الغيبة والنميمة، والزنا، وطول الأمل رغبة في الدنيا، وترك الدنيا ودمها وغرورها وذم المال والكبر والعجب والنفاق، وتلبس الحق بالباطل، وعقوبة علماء الدنيا، ومن التصوف النفسي تبرز المقامات مثل الصبر، والتوبة، والمحبة وما يتعلق بها من عشق، والتوكل والأرزاق، والشكر، والرضا، والأحوال مثل الخوف، وثنائيات أخرى مثل الضحك والبكاء، ومن التصوف الفلسفي تبرز موضوعات مثل محبة الرسول التي تؤدي إلى الحقيقة المحمدية، ومعراج النبي ووفاته، والملائكة، والولاية، والنفخ، والفزع، والحشر، والأعمال، والميزان، والصراط، وعذاب النار، والقضاء، وعلم اليقين وعين اليقين، وأحوال أهل القيامة، وصفات الجنة ومراتب أهلها. ومن التصوف العلمي تبرز موضوعات الطريق مثل الرياضة، والشهوة، وغلبة النفس، ومعاداة الشيطان، والغفلة والنسيان، وإبليس وعذابه رمزًا، وعداوة الشيطان ومكره، وذكر الموت والجنائز والقبر وشدته، والقبر وسؤاله، وسؤال يوم العرض، والسموات، والتفكر وذم الهوى، وفضل أهل الكرامة، ومحاسبة النفس، والسماع. ومن المعاملات بر الوالدين، وحقوق الأولاد، وحق الزوج على الزوجة. ومن الموضوعات السياسية يبرز الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنهي عن الظلم عامة، وظلم اليتيم خاصة، والإحسان إليه، وحقوق الإنسان (العبد)، وفضل الجهاد، وضيافة الفقراء، وحسن الخلق، وفضل القرآن، والعلم والعلماء، والإحسان إلى المساكين. وألقاب الغزالي والعالم العامل والحرير الفاضل الكامل عن أعيان أكابر العلماء وأستاذ الأساتذة الكلمة النجباء أستاذ الشريعة شمس مشايخ الإسلام الشيخ الغزالي بوأه الله دار السلام بسلام».

^٣ الآيات (٣٥٠)، الأحاديث (٢٧٠)، الأشعار (٥٢).

^٤ مكاشفة القلوب، ص ٤-٢.

مجتزأة من الكل. وتظهر بعض الألفاظ الرابطة مثل: نكتة، حكاية. ويتم الاستشهاد بأقوال الصوفية وبعض الحكماء بالرغم من الهجوم على الفلسفة والفلاسفة. فمن الصوفية يأتي في المقدمة الجنيد ثم الشبلي ثم ذو النون وإبراهيم بن أدهم ثم مالك بن دينار ويحيى بن معاذ ثم إبراهيم الخواص والحلاج والتستري وسفيان الثوري والدقاق وشقيق البلخي ورابعة والسري السقطي والفضيل بن عياض وبشر الحافي وأويس القرني وأبو سليمان الداراني وغيرهم.^٥ ومن الفقهاء يذكر الشافعي بطبيعة الحال نظرًا لما بين الشافعية والتصوف من قرى. ومن الفلاسفة يذكر الحكماء.^٦ ومن الشعراء الأدباء يذكر مجنون ليلى والفرزدق وابن المقفع والجاحظ، ومن النصارى يذكر كعب الأحبار. ومن الأنبياء يذكر عيسى رمز الولي، ويوسف رمز الصوفي، وموسى رمز الفقيه، وداود رمز القطب، وسليمان رمز الحكمة.^٧ ويستشهد بالتوراة والإنجيل. ومن الفرق غير الإسلامية يذكر اليهود والنصارى والصابئة والمجوس والمشركون. ومن الوافد لا يظهر إلا أفلاطون مرة واحدة.^٨ كما يحيل الغزالي إلى باقي مؤلفاته لبيان وحدة المشروع.^٩

(ب) «روضة الطالبين وعمدة السالكين»^{١٠}

وقد يدخل عملان مختلفان لمؤلف واحد تحت نوعين مختلفين من الوعي الصوفي. إذ يدخل «الإحياء» في الوعي الموضوعي الخالص و«مشكاة الأنوار» في الوعي النظري في

^٥ الجنيد (٩)، الشبلي (٦)، ذو النون، إبراهيم بن أدهم (٤)، مالك بن دينار، يحيى بن معاذ (٣)، إبراهيم الخواص، الحلاج، التستري، سفيان الثوري، الدقاق، شقيق البلخي، رابعة، أبو تراب النخشي، السري السقطي، الزنجاني، الفضيل بن عياض، بشر الحافي، أويس القرني، أبو الدرداء، داود الطائي، أبو زيد الرقاش، أبو سليمان الداراني ... إلخ (١).

^٦ الحكماء (٦)، الشافعي (٥).

^٧ كعب الأحبار (٤)، موسى (٢٥)، عيسى (٢٠)، داود (٧)، إبراهيم، لقمان (٢)، سليمان، يحيى بن زكريا (١).

^٨ مكاشفة القلوب، ص ٧٤.

^٩ باقي المؤلفات مثل: منهاج العابدين، بداية الهداية، رونق المجالس، مجمع اللطائف.

^{١٠} مكتبة الجندي، القاهرة (د.ت).

نظرية المعرفة و«روضة الطالبين» في الوعي النظري أيضًا في «تناثر البنية» وتفككها. ومع ذلك يمكن إعادة تجميع الأبواب في أنواع التصوف، الخلقي والنفسي والفلسفي والعملية بعد البداية بعلم الكلام «أركان الدين» وبالتحول من الفقه إلى الأخلاق. فمن التصوف الخلقي تظهر موضوعات الأدب والحياء والمراقبة والإخلاص وآفات اللسان والبطن ومخادعات الشيطان وحسن الخلق والفقر والمحاسبة والصدق ومكارم الأخلاق والقناعة وآفة الذنوب. ومن التصوف تظهر المقامات والأحوال، المقامات مثل: المحبة والتوبة والصبر والزهد والشكر والتوكل والرضا والشفقة. والأحوال مثل الأُنس والقرب والخوف والرجاء والغيبة. ومن التصوف النظري تظهر موضوعات التوحيد والمعرفة والنفس والروح والقلب والعقل وشرف العلم والأسماء الحسنى والاعتقاد والصفات والنبوة والخواطر والفكر. ومن التصوف العملي تظهر موضوعات السلوك والطريق والوصول والوصال والفتوة والنية والسائل وصلاة أهل الغرب. وسبب تأليف الكتاب كي يتمسك به طالب الحق ويستعين به على سلوكه مع وعي بالبنية في مقدمة الكتاب.^{١١} ويعتمد على القرآن والحديث والشعر.^{١٢} كما يذكر العديد من الفرق الكلامية مما يبين أن التصوف رد فعل عليها وفي مقدمتها المعتزلة أو القدرية. والصوفية هم الفرقة الناجية، أهل السنة والجماعة. والصوفي سني رشيد.^{١٣} ومن المتكلمين الأشعري. ويعتمد على بعض أقوال الصوفية وفي مقدمتهم الجنيد ثم التسري وذو النون والبسطامي وإبراهيم بن أدهم.^{١٤}

(٢) «فتوح الغيب» لعبد القادر الجيلاني (٥٦١هـ)^{١٥}

وتتناثر فيه البنية المحكمة إلى ثمان وسبعين مقالة حول موضوعات بلا نسق يجمعها. أقلها في التصوف الخلقي مثل ذم الدنيا والورع والصدق والنصيحة وذم الحسد أو في

^{١١} روضة الطالبين، ص ٩٨.

^{١٢} الآيات (٥٣)، الأحاديث (٢٧)، الأشعار (٨)، القدسية (٣).

^{١٣} المعتزلة (٤)، القدرية (٢)، الجبرية، المشبهة، المعطلة، الراضية، الفلاسفة، السنة والجماعة أو الناجية، الصوفية، الأشعري (١).

^{١٤} الجنيد (٤)، التسري، ذو النون (٢)، يحيى بن معاذ، البسطامي، سفيان الثوري، ابن عطاء، القاضي عياض (كتاب الشفا)، إبراهيم بن أدهم (١).

^{١٥} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥/١٤٢٦هـ، (٢) ص ٦٣-١٧٩.

التصوف النفسي والمقامات مثل التوكل والزهد والرضا والمحبة والشكر أو الأحوال مثل الخوف والرجاء والفناء أو في التصوف النظري مثل الموت. وأكثرها في التصوف العملي في الطريق مثل الابتلاء والتقرب إلى الله وملازمة بابه والدعاء والمجاهدة والمحاسبة. ويقوم على الأدلة النقلية، القرآن والحديث وبعض الأمثال العامة وتحليل التجارب الذاتية.^{١٦} أما الشعر فيأتي جملة واحدة في مجموعة من القصائد في النهاية، أولها من القصائد الطوال.^{١٧} ويشرح إحداها.^{١٨} وتذكر بعض الإسرائيليات.^{١٩} ولا يذكر أحد من أعلام التصوف.

(٣) «عوارف المعارف» للسهروردي (ت ٦٣٢هـ)^{٢٠}

فقد تناثرت بنية «الإحياء» الرباعية و«الفتوحات» السادسة إلى مجرد ثلاثة وستين باباً تضم موضوعات متفرقة. وبالرغم من أن العنوان نفسه «عوارف المعارف» يدل على مرحلة التصوف النظري. يغيب النسق وينفرد العقد. ويضم موضوع واحد عدة أبواب مثل الصوفية والتصوف، والملازمة. وهو أقرب إلى تعريف التصوف والصوفية.^{٢١} ثم يغلب موضوع الطريقة والسماع وعلاقة الشيخ بالمريد والسفر والصحة والرباط.^{٢٢} ثم يأتي موضوع الأخلاق والآداب أي التصوف الخلقي في المرحلة الأولى.^{٢٣} ثم يظهر موضوع الفقه والأخلاق، وتأويل الوضوء والطهارة والصلاة والصوم واللباس وتأويلاً باطنياً.^{٢٤} ثم تظهر آداب الليل كنوع من الرياضة والمجاهدة.^{٢٥} ثم يأتي الإنسان والخواطر وهي

^{١٦} الآيات (١٣٨)، الأحاديث (٦٧)، القدسية (١).

^{١٧} القصائد سبع عشرة قصيدة، ص ١٥١-١٧٩.

^{١٨} فتوح الغيب، ص ١٧٤.

^{١٩} السابق، ص ١١٤.

^{٢٠} مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٣٩م/١٣٥٨هـ، على هامش «الإحياء» ٤ أجزاء.

^{٢١} الأبواب ١-٩.

^{٢٢} السابق، ٢٥-١٠، ٥١-٥٥.

^{٢٣} السابق، ٢٦-٣٢.

^{٢٤} السابق، ٣٣-٤٠.

^{٢٥} السابق، ٤٥-٥٠.

ضمن العلوم الكشفية.^{٢٦} وأخيرًا تظهر المقامات والأحوال وهي صلب الطريق الصوفي في المرحلة النفسية في بابين اثنين.^{٢٧} ثم تأتي الخاتمة بعنوان «البدايات والنهايات».^{٢٨} وتغيب باقي أبواب الفقه عن الزكاة والحج. كما يغيب موضوع التوحيد، وهو لب التصوف النظري في حين يتسع موضوع الشيخ والمريد بحيث يشمل الأبواب كلها. ويظهر «الفناء والبقاء» في أحد الأبواب.^{٢٩} ويبدأ الصراع بين التصوف وباقي العلوم النقلية. فيتم نقد الفلاسفة الدهريين.^{٣٠} في حين يظهر التعاون بين التأويل والتنزيل. والصوفية أتباع الرسول والمقتدون بنسبه.^{٣١} وبه كثير من الإيمانيات. ويخف التحليل النظري. فالصوفية ورثة الأنبياء وليسوا فلاسفة. وتظهر مصطلحات جديدة مثل علم الدراسة وعلم الوارثة أي العلم الكسبي والعلم اللدني.^{٣٢} وتظهر مركزية محمد كما هو الحال في «الفتوحات» في نظرية «الحضرة المحمدية». وهي أحد الموضوعات الرئيسية في التصوف النظري. ويتم الحديث عن الصوفية باعتبارهم آخر، مما يدل على بداية التمايز بين الذات والموضوع، بين التصوف كتجربة ذاتية، والتصوف كموضوع. ويدرس الموضوع ثم يوضع الصوفية في أحد أقسامه. بل وهناك محاولة لإضفاء الشرعية عليهم بعد أن بدأ الصراع بينهم وبين الفقهاء، ورفع اللبس عنهم، وتبديد الشبهات حولهم. وهناك عود إلى المرحلتين السابقتين، التصوف الخلقي والتصوف النفسي لقلة الإحكام النظري.^{٣٣} ويستشهد بكثير من الأحاديث سننًا وامتناً وإجازةً.^{٣٤} ويبدأ كل باب بالسند قبل المتن. وتكرر نفس الأحاديث ونفس الآيات. وتكرر الإجازات في كل باب، كما يستشهد

^{٢٦} السابق، ٥٦-٥٧.

^{٢٧} السابق، ٥٨-٦٢.

^{٢٨} الباب ٦٣.

^{٢٩} السابق، ج ٢، ٢٧٦.

^{٣٠} السابق، ج ٢، ٣١٤.

^{٣١} السابق، ص ٣٥٤.

^{٣٢} السابق، ج ١ ص ٢٢٩.

^{٣٣} السابق، ص ٢٧٦.

^{٣٤} السابق، ج ١، ١٢٤، ٢٢١.

بعديد من روايات الصوفية وحكاياتهم.^{٣٥} أما الأقوال فهي قليلة، وتروى بعض الأحاديث القدسية المرسلة لأنها أقرب إلى إبداع الخيال.^{٣٦} كما يظهر الرسول في المنام محدثاً وراويًا.^{٣٧} ويعتمد على مصادر مدونة. فقد أصبح التصوف ليس مجرد تجربة ذاتية بل دراسة موضوعية موثقة.^{٣٨} وتظهر بعض الشواهد الشعرية في باب السماع وما يتبعها من طاعة وقبول. وليس ثورة أو غضباً. ويستعمل القرآن استعمالاً حراً لتقوية الأسلوب في جانبه الشعري.^{٣٩} والنص مطابق للتجربة الإنسانية، لا فرق بين الخطاب ودلالته الذاتية. ويختفي التحليل النظري. كما تختفي الحجج العقلية. ولا تبقى إلا القسمة العقلية.^{٤٠} ويشبه أسلوبه في التحليل النظري أسلوب ابن عربي في «الفتوحات» دون الغازي، مع مزيد من الوضوح. وهو أسلوب سهل تعليمي.

(٤) «منارات السائرين ومقامات الطائرين» للرازي (٦٥٤هـ)^{٤١}

والعنوان الكامل «منارات السائرين إلى الله، ومقامات الطائرين بالله». يشير إلى الطريق الرأسي من الإنسان إلى الله. فالسائر بالمنارات، والطائر بالمقامات. وهو استئناف لعمل آخر للمؤلف هو «مرصاد العباد من المبدأ إلى المعاد» بالفارسية. وكما انحلت القسمة الرباعية «للإحياء» إلى سداسية في «الفتوحات» كذلك انحلت القسمة السداسية للفتوحات إلى قسمة عشرية، بناء على ذكر العدد عشرة في القرآن وليس الموضوع ذاته.^{٤٢} والعشرة كلها مقامات بالمعنى العام للفظ مقام وهو درجة أو منزلة وليس بالمعنى الخاص في مقابل الحال أي درجة السلوك في الطريق.^{٤٣} يظهر الإنسان في ثلاثة مقامات، الإنسان

^{٣٥} السابق، ص ٢٥٨.

^{٣٦} السابق، ص ٢٨١-٢٨٦.

^{٣٧} السابق، ص ٢٧٣.

^{٣٨} السابق، ص ٣٤٠.

^{٣٩} السابق، ج ٣، ص ٣٦٧.

^{٤٠} السابق، ج ١، ص ٢٥٢، ٣٦٩ ج ٢، ص ٢٥١، ٣٢٧، ٣٣١، ٣٧٠ ج ٦، ص ٣، ٣٩.

^{٤١} دار سعاد الصباح، القاهرة، الكويت ١٩٩٣هـ.

^{٤٢} وهي آية ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾، منارات السائرين، ص ٢٩.

^{٤٣} وهي: المعرفة، التوحيد، النبوة، الولاية، الإنسان، الخلافة، الرجوع، النفس، القلب، الروح.

وخلافته في الأرض ورجوعه إلى الله. وتشغل النفس والقلب والروح ثلاثة مقامات أخرى. والولاية والنبوة مقامان. والمعرفة والتوحيد مقامان. ويظهر المقام بالمعنى الخاص كجزء من مقام الولاية بالمعنى العام مثل التقوى والزهد والصبر والرضا والمحبة. كما تبدو بعض الموضوعات الخلقية مثل الرذائل في مقام النفس مثل الكبر والمرض والحسد والشهوة والغضب والبخل والحقْد. وتختفي الأحوال. وتغلب الموضوعات النظرية مثل النفس والقلب والروح على الموضوعات العملية مما يدل على التوجه نحو التصوف النظري. وتُوضع القسمة الجديدة المفصلة في بداية الكتاب مما يدل على وعي بمبدأ البنية التجزئية الجديدة. وكان الدافع إلى التأليف طلب أحد الأصحاب تصنيف كتاب يشرح مقامات العارفين وكرامات السالكين ومنازل السائرين ومراحل الحائرين لفائدة المبتدئين.^{٤٤} والمعرفة والتوحيد، المقامان الأولان للعوام والخواص وخواص الخواص. ومقام الإنسان مستمد من إخوان الصفا والتقابل بين الإنسان كعالم صغير والكون كإنسان كبير. والجديد في المقام السادس عن خلافة الإنسان في الأرض العودة إلى الإحساس بالمسؤولية عن العالم والالتزام بقضايها، وتحمل الأمانة أو الرسالة. في الظاهر مقامات وأحوال طبقاً للعنوان، وفي الباطن نظرية الفيض المستمدة من الفلاسفة. فقد عادت المقامات والأحوال إلى لحظتها الأولى في أنها جزء من العلم وليست جزءاً مستقلاً عنه. لذلك يذكر «الحكيم» و«السماع الطبيعي».^{٤٥}

(٥) «كتاب فيه ما فيه» لجلال الدين الرومي (٦٧٢هـ)^{٤٦}

وهو نموذج للنص الذي تتناثر فيه البنية. إذ يضم واحداً وسبعين موضوعاً متفرقاً. يمكن إعادة تصنيفها في موضوعات التصوف الأخلاقي مثل: الدنيا والآخرة، والفقر والغنى، والخير والشر، وبعض الموضوعات في التصوف النفسي في المقامات والأحوال مثل المحبة وما يتعلق بها من العشق والشوق والسكر والرضا والشكر. وبعض موضوعات الطريق مثل الذكر والبلاء والجهد. وبعض موضوعات التصوف النظري مثل الحق

^{٤٤} منارات، ص ٢٨-٢٩.

^{٤٥} السابق، ص ٢٣٢.

^{٤٦} دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر دمشق ٢٠٠٢ م.

وتجلياته وعلاقة الإنسان به، والخلق وعهد ﴿الْأَسْتُ﴾ والتراب واليم والبحر وآدم. وبعض أمور المعاد مثل الموت والروح والجسد والجنة والنار. وبعض موضوعات المعرفة مثل الإيمان والكفر والظاهر والباطن والكشف والتجلي، ورؤية الأشياء كما هي، واليقين والنظر والمناظرة والنبوة والقرآن والرسالة والتأويل. والعنوان عبارة من ابن عربي. في الظاهر تحصيل حاصل «فيه ما فيه». وفي الباطن قانون الهوية للأشياء. وعناوين الفصول الواحد وسبعين إما آيات قرآنية أو أحاديث نبوية أو صور فنية.^{٤٧} وهو كتاب نظري لشاعر ولو أن أسلوب النثر يغلب عليه الطابع الشعري. ويتذوق الشاعر الشعر العربي للمتنبي وغيره من الشعراء. فالتجربة الصوفية تجربة شعرية. وقد جمع القرآن بين التجربتين. والتجربة عربية بأسلوب أدبي راقٍ وكأن النص مكتوب أصلاً بالعربية. ويعتمد الكتاب على عديد من الأدلة النقلية، الشعر ثم القرآن ثم الحديث.^{٤٨} وبعض الفصول آيات وأحاديث مثل «الفتوحات». لا يهتم السند في الحديث بل المتن. فقد بُدِّع العهد عن تدوين الحديث. ولا يذكر الرسول بل المتن فقط كمطلق. ما يهتم الشاعر هو النص كتجربة شعرية له أبعاده الجمالية سواء كان من القرآن أو من جوامع الكلم من الحديث وليس رواية أو حكاية. ولا يكاد يخلو موضوع من آية أو حديث أو بيت شعر باستثناء القليل.^{٤٩} وما وجد منها قصص خيالية ومواقف أدبية. وهي البنية التي يزدهر فيها الفكر الديني عامة والتجارب الصوفية خاصة. كما تذكر أحاديث حوارية بين الرسول والخضر وكأن الرسول وليٌّ من الأولياء.^{٥٠} وكثير من المتون رموز مثل أقوال الصوفية.^{٥١} وقد تذكر بعض الأقوال دون قائلها مثل ذكر المتن دون السند. فالمهم هو النص وليس صاحبه، والقول وليس مؤلفه.^{٥٢} تتوالى الأحاديث في دفعات كطلقات

^{٤٧} الأبواب التي عناوينها آيات (٥)، والتي عناوينها أحاديث (٦) الأبواب التي عناوينها صور فنية وتشبيهات مثل: المخاض الموصل، عرائس الأسرار، البحر والزبد، ماء الحياة، شيخ اليقين، أرض الله واسعة، لا يكون نقش دون نقاش، هذه القطرة من ذلك اليم، القرآن ديباج ذو وجهين، الشكر صيد للنعم، النطق شمس لطيفة، شعاع، الغنى، المعلم والصانع، جري الحصرم إلى سواد العنب، نفائس الكنز ... إلخ.

^{٤٨} الأشعار (١٣٧)، الآيات (١٣٥)، الأحاديث (٣٥).

^{٤٩} «كتاب فيه ما فيه، الحكايات» ص ٤٣-٤٤، ٤٩-٥٠، ٥٢، ٦٥-٦٦.

^{٥٠} السابق، الحكايات، ص ١١١.

^{٥١} السابق، ص ١١٦.

^{٥٢} السابق، ص ١٠٥.

مدفع رشاش. ويذكر حديث قدسي واحد يساعد على إثارة الخيال الشعري. ويروي عن الخضر، إمام الصوفية والتأويل.^{٥٣} كما يعتمد على بعض أقوال الصوفية مثل البسطامي الذي أخذ أحد أقواله عنواناً لفصل.^{٥٤} ويعتمد على تاريخ الأديان المقارن وحكايات عيسى ومريم وبعض حكايات المجوس عن أهرمان وأرمزدا.^{٥٥} وأحياناً يعتمد على تحليل التجارب. فالتجارب الشعورية أساس التجربتين الصوفية والشعرية.^{٥٦}

(٦) «طهارة القلوب والخضوع إلى علام الغيوب» للدريني (٦٩٧هـ)^{٥٧}

وتتناثر البنية الرئيسية للتصوف، الرباعية في «الإحياء» أو السداسية في «الفتوحات» إلى ثلاثين فصلاً كما حدث في «عوارف المعارف»، في موضوعات التصوف. كل موضوع مستقل بذاته ليبدأ بالبسملة والحمدلة. تتداخل فيها الفضائل من التصوف الخلقي كالإيمان والثناء والذكر والفكر والتقوى مع موضوعات الفقه الخلقي مثل ذكر شعبان وقدم رمضان والاجتهاد مع المقامات والأحوال في التصوف النفسي، المقامات مثل التوبة والفقر والمحبة أو الأحوال مثل الخوف والرجاء أو في التصوف النظري مثل أمور المعاد، القيامة والوعيد والجنة أو في التصوف العملي في الطريق مثل العمل والعبودية والفرار إلى الله والاصطبار والمراقبة والإنابة والحذر والدعوة والدعاء وفضل أمة محمد. وهذا هو سبب التأليف، مجرد جمع مادة للانتفاع بها دون رؤية خاصة.^{٥٨} وتكثر فيه الأدلة النقلية، القرآن والحديث والشعر.^{٥٩} وتدخل الإسرائيليات والاقتباس من الكتب المقدسة

^{٥٣} السابق، ص ١٩٠.

^{٥٤} من الصوفية يذكر أبو نعيم الأصفهاني (٢)، الترمذي، سرزي (١). ومن الفقهاء أبو حنيفة (١)، الخضر (٣).

^{٥٥} السابق، ص ٥٤، ٨٩، ١٣٩، ١٩٠، ٣٣١.

^{٥٦} السابق، ص ٢٣٥.

^{٥٧} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م/١٤٢٤هـ.

^{٥٨} «هذا كتاب فيه فصول يتذكر بها من أصغى إليها بسمع قابل. وينتفع بها من كان قلبه روضة يصيبها الطل والوابل. جمعتها ما بين آيات مفسرة، وأخبار مسندة مؤثرة، وخطب وعظية مبتكرة، وكلمات منقولة عن السلف الصالح، ونظم ونثر من كتب الأئمة العاملين...»، السابق، ص ٨.

^{٥٩} الآيات (٤٤٤)، الأشعار (١٣٦)، الأحاديث (١٣٥)، القدسية (٣).

السابقة.^{٦٠} وأخبار المعجزات روايات وليست أقوالاً مباشرة. وهي أضعف من الأقوال المباشرة. كما يعتمد على الصحابة وأقوال الصوفية. فالصوفية استئنافية للصحابة. يتقدمهم ذو النون ثم الحسن البصري والجنيد وسفيان الثوري ثم يحيى بن معاذ وإبراهيم بن أدهم وحاتم الأصم وغيرهم.^{٦١}

والنصف الأول من العنوان «طهارة القلوب» يوحى بالعودة إلى التصوف الخلقي. والنصف الثاني «الخضوع إلى علام الغيوب» بالعودة إلى التصوف النفسي أي نهاية التصوف النظري. ولزيد من التشويق ظهر العنوان في المنام مثل علم المأمون و«موافقات» الشاطبي.^{٦٢} ويتكون من ثلاثين فصلاً متناثرة الموضوعات بلا نسق. وفي آخرها «فصول تضرع نختم بها الكتاب».^{٦٣} وتختلط موضوعات التصوف الخلقي مع موضوعات التصوف النفسي مع موضوعات التصوف النظري. ويحل الإيمان والثناء والذكر والفكر وذكر النبي محل نظرية العلم.^{٦٤} ثم يظهر الاغتراب في الأخريات، القيامة والوعيد والجنة.^{٦٥} تم تظهر موضوعات التصوف النفسي، المقامات مختلطة بالأحوال، المقامات مثل التوبة والعبودية والمحبة، والأحوال مثل الخوف والرجاء.^{٦٦} وتظهر موضوعات التصوف الخلقي مثل التقوى والأسف والمراقبة والإنابة والحذر والفقر.^{٦٧} وتظهر موضوعات الفقه والأخلاق والمعاني الباطنية لشعبان ورمضان وليلة القدر ووداع رمضان مثل الاستعانة والاجتهاد والفرح.^{٦٨} وأخيراً تظهر موضوعات

^{٦٠} الإسرائيليات، طهارة القلوب، ص ٨٥-٨٦.

^{٦١} ذو النون (٥)، الحسن البصري، الجنيد، سفيان الثوري (٣)، يحيى بن معاذ، إبراهيم بن أدهم، الفضيل بن عياض، أبو الدرداء، حاتم الأصم (٢)، أبو طالب المكي، التستري، رابعة، ابن عيينة، النيسابوري، البرقاشي، الكسائي، الروزباري، البسطامي.

^{٦٢} «وإنما سميته بهذا الاسم لأني لما أكملته رأيته في المنام. وهذا الاسم مكتوب عليه بخط غليظ فسميته

بذلك»، طهارة القلوب، ج ١، ٨-٩.

^{٦٣} السابق، ج ٢، ٢٤٦-٢٧٦.

^{٦٤} الفصول ج ١، ١-٥.

^{٦٥} الفصول ج ٢، ٦-٨.

^{٦٦} الفصول ٩-١١، ١٨-٢٤، ٢٦.

^{٦٧} الفصول ج ١، ١٢، ٢٢.

^{٦٨} الفصول ١٣-١٧.

الطريق مثل القلوب والدعاء والتضرع.^{٦٩} وأخيراً تظهر موضوعات توحى بأزمة العصر مثل الإسلام وفضل أمة محمد أي مصير الإسلام ودور الأمة في التاريخ ومكانتها بين الأمم.^{٧٠} والفصول منفصلة عن بعضها البعض وكأنها وحدات مستقلة يبدأ كل منها بالبسملة والحمدلة والأدعية والابتهالات وليس فقط في مقدمة الكتاب كله. وسبب التأليف المنفعة وليس العلم، الهداية وليس النظر، النصيحة وليس التفكير. وهي من خصائص التصوف العملي.^{٧١} وهو تجميع من مصادر عدة. وهي سمة التأليف المتأخر قبل الشروح والملاحظات.^{٧٢} وبعض الكتب مجهولة. وأعلام الصوفية قليلة أشهرها الجنيد وذو النون.

تعتمد على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواقعية التي قالها الرسول في حياته والخيالية التي قالها الرسول في منامات الصالحين أو مع الأنبياء في الملأ الأعلى أو في حوار مع الله كما هو الحال في الأحاديث القدسية الطويلة.^{٧٣} فطغت الأدلة النقلية. وقلت الأدلة العقلية إلى الحد الأدنى إلا من بقايا قسمه.^{٧٤} وتمتلئ بالكونيات الخيالية.^{٧٥} ومعظمها مستمدة من الإسرائيليات وأساطير الخلق والكتب المقدسة السابقة مثل التوراة.^{٧٦} وبعض المرويات بلا أسانيد لأنها ضعيفة أو موضوعة يكفي ذكر «وروى».^{٧٧} والشعر كثير. فالشعر ديوان العرب. وهو الذي يعود في لحظة الضعف الحضاري باعتباره ثقافة العرب الأولى.

^{٦٩} الفصول ١٩-٢١، ٢٥، ٣٠ فصول تضرع يختتم بها هذا الكتاب.

^{٧٠} الفصول ٢٨-٢٩.

^{٧١} «هذا كتاب فيه فصول يتذكر بها من أصغى إليها بسمع قابل. وينتفع بها من كان قلبه روضة يصيبها الطل والواابل»، طهارة القلوب ج ١، ٨.

^{٧٢} «جمعتها ما بين آيات مفسرة، وأخبار مسندة مؤثرة، وخطب وعظية مبتكرة، وكلمات منقولة عن السلف الصالحين، ونظم ونثر من كتب الأئمة العاملين»، السابق، ج ١، ٨، ٤٠.

^{٧٣} السابق، ج ١، ص ٩٢.

^{٧٤} السابق، ج ١، ص ٤٥.

^{٧٥} السابق، ج ١، ص ٤٧-٥٢.

^{٧٦} السابق، ج ١، ص ٣٩-٤٠.

^{٧٧} السابق، ج ١، ص ٤٩.

(٧) «محبة الله تعالى» عند الإمامين الجليلين ابن تيمية الحراني (٧٢٨هـ) وابن القيم الجوزية (٧٥١هـ) للراوي^{٧٨}

وهو نوع من التأليف يقوم على تجميع النص من عدة مؤلفات حول موضوع واحد مثل المحبة عند ابن تيمية وابن القيم. وهو نوع من تناثر البنية عن طريق التجزئة ثم اختيار أحد الأجزاء والتأليف فيه بالعمق وليس بالعرض. يقوم على تجميع الفصوص من عدة أعمال سابقة أو فتاوى. فهو تأليف مصطنع عبر المؤلفات وليس مؤلفاً واحداً، وتجميع من نفس المدرسة السلفية.^{٧٩} والغرض إثبات أنه لا تعارض بين الفقهاء والصوفية في الحب بين ابن حزم في «طوق الحمامة» وابن الفارض في «التائية الكبرى» أو ابن عربي في «ترجمان الأشواق». تغلب على نصوص ابن تيمية الأدلة النقلية من القرآن والحديث وأقلها من الشعر.^{٨٠} وتظهر بعض الإسرائيليات حتى عند أهل السلف بعد أن أصبحت أخباراً أو آثاراً متناقلة.^{٨١} والعودة إلى النص الواضح المباشر أفضل من التحليلات النظرية العويصة على الفهم عند الفلاسفة والمتكلمين والصوفية. لذلك يغيب التحليل العقلي. ويغيب الاستشهاد بأقوال الصوفية إلا القليل منهم مثل إبراهيم بن أدهم، والفضيل بن عياض، وأبي سليمان الداراني ومعروف الكرخي. ويخاطب ابن القيم القارئ خطاباً مباشراً. يعطي تعريفات للمحبة.^{٨٢} ويظل التوحيد ملاذ المحتاجين.^{٨٣} ويعتمد أيضاً على الأدلة النقلية من القرآن والحديث والشعر.^{٨٤} كما يستشهد ببعض الإسرائيليات.^{٨٥} ومن الصوفية يذكر يحيى بن معاذ ثم ذو النون وأبو سليمان الداراني وسمنود.^{٨٦} وتظهر القسمة الفلسفية كنوع من الدليل العقلي.^{٨٧}

^{٧٨} دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ.

^{٧٩} مثل: فتاوى ابن تيمية (الجزء العاشر) «روضة المحبين ونزهة المشتاقين»، «الجواب الكافي»، «معارج السالكين»، «إغاثة اللهفان»، «في طريق الهجرتين» لابن القيم.

^{٨٠} الآيات (٥٧٠)، الأحاديث (١١٦)، القدسية (٥)، الأشعار (١).

^{٨١} محبة الله، ص ١١٣.

^{٨٢} السابق، ص ٢٢٢-٢٢٨.

^{٨٣} السابق، ص ٢٢.

^{٨٤} الآيات (٣١٧)، الأحاديث (١٢٠)، القدسية (٣)، الأشعار (٧٥).

^{٨٥} محبة الله، ص ٢٤٠.

^{٨٦} يحيى بن معاذ (٢)، أبو سليمان الداراني، ذو النون، سمنون (١).

^{٨٧} محبة الله، ص ١٩٨.

(٨) «آداب الطريقة وأسرار الحقيقة» الكاشاني (٧٣٠هـ)^{٨٨}

والعنوان نفسه بالرغم من أنه مصطنع يدل على التحول من التصوف النظري إلى التصوف العملي. وتحتوي على إحدى وعشرين رسالة يمكن تجميعها في ثمانية موضوعات ابتداء من الموضوعات النظرية الخالصة في الكلام والفلسفة والعلم إلى الموضوعات العملية الخالصة مثل سلوك الطريق وآداب الشيخ والمريد.^{٨٩} فمن علم الكلام تظهر موضوعات التراث والصفات، والقضاء والقدر والمعاد. ومن الفلسفة تظهر موضوعات النفس والبدن، والجوهر والأعراض، وفلسفة التاريخ من خلال دورات الأفلاك وقصص الأنبياء. ومن التصوف تظهر موضوعات المعرفة مثل الغيب والشهادة، والعرفان، والحقيقة في العلم الاستدلالي، علم العربية، وبعض العلوم النقلية القرآن والحديث. ومن موضوعات التصوف الصلة بين الحق والعبد، وجميع الموجودات مرايا لله، وتصوير المحبوب تصويراً حياً، وطرق السالكين، وآداب الشيخ مع المريدين. فالكاشاني نقطة تحول من التصوف النظري إلى التصوف العملي.

والرسائل ذات نفس قصير مما يدل على نهاية التصوف النظري من نوع «الفتوحات». أكبرها الرسائل في التصوف العملي مثل «تحفة الإخوان في خصائص الفتیان».^{٩٠} ثم تأتي الموضوعات النظرية. ثم تعود الموضوعات العملية بعد ذلك. وتعتمد

^{٨٨} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م، ١٤٢٦هـ.

^{٨٩} الموضوعات النظرية: (أ) الكلام مثل: رسالة في القضاء والقدر — الرسالة المعادية، رسالة في اتحاد الذات مع الصفات أو تغايرهما. (ب) الفلسفة مثل: في سبب تعلق النفس بالبدن، في شرح مسألة البسائط والأعراض، بيان مقدار السنة السرمدية وتعيين الأيام الإلهية، في تحقيق ما فعل آصف بن برخيا من حصول عرش بلقيس عند سليمان عليه السلام (ج) التصوف: السوانح الغيبية والمواهب العينية، الرسالة العرفانية ومن موضوعات التصوف أيضاً، ما الرابطة بين الحق والعبد؟ في بيان المراد بما وقع في كلام المحققين من ذكر الوجه والأشعار لمحبتهم، في تقييم السُّلَّك إلى أربعة أقسام، تحفة الإخوان في خصائص الفتیان. وفي العلم الاستدلالي، تعلية على الفصل في علم العربية. ومن العلوم علم الأحاديث: شرح حديث الحقيقة، الفوائد العربية في بيان قول النبي «الراحمون يرحمهم الرحمن»، رسالة في التلفيق بين الأحاديثين، رسالة في الجمع بين الأحاديثين، وعلوم القرآن مثل: فيما يتعلق ببطون الآية الكريمة ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾.

^{٩٠} تحفة الإخوان في خصائص الفتیان (٤١)، القضاء والقدر (١٩)، السوانح الغيبية والمواهب العينية (١٩)، بيان مقدار السنة السرمدية وتعيين الأيام الإلهية، الرسالة المعادية، شرح حديث الحقيقة، الرسالة

الرسائل على الآيات والأحاديث والأشعار.^{٩١} كما تعتمد على بعض المصادر المدونة والاقتباسات منها وضع علامة «انتهى».^{٩٢} وفي العصور المتأخرة وبداية الاتصال مع الفرنجة بعد الحروب الصليبية بدأ التوجه نحو التراث الغربي مثل الإحالة إلى إمبراطور الروم دقيانوس.^{٩٣}

(٩) «روضة التعريف بالحب الشريف» للسان الدين بن الخطيب (٧٧٦هـ)^{٩٤}

ويدل هذا العمل على مدى التماهي بين التجربة الصوفية والتجربة الأدبية في موضوع واحد وهو المحبة عند الصوفية أو الحب عند الشعراء. وكلاهما حب «شريف» أي الحب العذري الشهير في الأدب والغزل الإلهي الذي غناه سلطان العاشقين وإمام المحبين. يقوم على تجميع الأقوال الشعرية والصوفية عن الحب من أديب شاعر ووزير. وهذا هو سبب التأليف.^{٩٥} وهو في النهاية أقرب إلى الأدب منه إلى التصوف كما هو الحال عند ابن حيان في علوم الحكمة في «الصدقة والصدق» في الحكمة الأدبية وإخوان الصفا في العروض الأدبية الشعبية.^{٩٦} يعني تناثر البنية هنا التركيز حول موضوع واحد وليس بعثرتها في عدة موضوعات أي تجزئة البنية وتعميقها. التأليف في العمق وليس في العرض.

العرفانية، الفوائد العربية في بيان قول النبي «الراحمون يرحمهم الرحمن»، في تعلق النفس بالبدن (٤)، في شرح مسألة البسائط والأعراض (٣)، في اتحاد الذات مع الصفات أو تغايرهما، في التلقيق بين الأحاديثيين، في الجمع بين الأحاديثيين، ما الرابطة بين الحق والعبث؟ في بيان المراد بما وقع في كلام المحققين من ذكر الوجه والأشعار لمحبتهم، في تقسيم السلاك إلى الله أربعة أقسام (٢)، في ما يتعلق ببطون الآية الكريمة «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى الْعِلْمِ الْأَسْتَدْلَالِي، إن جميع الموجودات مرايا وجه الحق تعالى، في تحقيق ما فعل آصف بن برخيا من حصول عرش بلقيس عند سليمان عليه السلام، تعليقة على «المفصل في علم العربية» (١).

^{٩١} القرآن (٧٨)، الأحاديث (٢٨)، الأشعار (١٦).

^{٩٢} آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، ص ١٩٥.

^{٩٣} السابق، ص ١٤.

^{٩٤} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م/١٤٢٤هـ

^{٩٥} «ولم أترك فناً إلا جمعت بينه وبين مناسبة، ولا نوعاً إلا ضخمته إلى ما يليق به ويؤدي إلى الأنوف

روائح ريحانها...»، روضة التعريف، ص ٥٤.

^{٩٦} من النقل إلى الإبداع مج ٢ التحول ج ١ العرض.

لذلك كبر الحجم. أسلوبه أدبي، يغلب عليه المحسنات البديعية. ونظرًا لطول عهد الشعر العربي بالغزل والتشبيب وطول عهد الصوفية بالحب الإلهي منذ رابعة وذي النون والجنيد والحلاج حتى ابن الفارض وابن عربي فإن سبب قتل المؤلف ليس سبباً أدبياً أو صوفياً يחדش الحياء وهو يتكلم عن الحب الشريف أي الحب العذري بل بسبب الحساد أو الصراع السياسي.

يعلم عن برنامج الكتاب في المقدمة.^{٩٧} إذ يتكون من قسمين رئيسين: الأول خطبة الأغراس وتوطئة الفراس. والثاني الأسباب في حب اللباب. ووضح الأسلوب الأدبي الذي يقوم على تشبيه الحب بالجغرافيا، والتجربة الإنسانية بالتجربة الطبيعية في الزراعة والأرض والغرس. فالنفس والطبيعة عالم واحد كما قرر إخوان الصفا من قبل. ويضم القسم الأول مقدمة عن الأرض وأجزائها والفلاحة والعمل ومقايضة ذلك على النفس، والقلب والروح والعقل. ثم يعرض خمسة اختيارات. الأول في أنواع النفس الثلاثة، المطمئنة والأماره واللوامه. والثاني عن العزيمة والوعظ وذم الكسل. والثالث عن العقل والنقل كماء الفلاحة. والرابع في الحرث. والخامس في تنظيف الأرض أي إزالة الشوك. ويتضمن القسم الثاني موضوعات عدة. بعضها ينقسم إلى أصول أو فصول أو غصون أو فنون. وتعود موضوعات الباطن والشرع والعقل، والظاهر الطبع، والمحـب والمحـبـوب وآراء الفلاسفة الأقدمين وأهل الأنوار والإشراقين والحكماء الإسلاميين والمتكلمين وأهل الوحدة المطلقة من المتوغلين وأخيرًا الصوفية.^{٩٨} وينتهي بعلامات المحبة وأخبار المحبين.

ويعتمد على الشعر ثم القرآن ثم الحديث.^{٩٩} ويذكر من الأعلام الفلاسفة وفي مقدمتهم أرسطو والشيخ الرئيس الفارابي وابن رشد وابن طفيل والمتكلمين وأقلهم من الفقهاء والصوفية.^{١٠٠} ومن الصوفية يذكر ابن الفارض وابن عربي وغيرهم.^{١٠١} ومن

^{٩٧} السابق، ص ٦٠-٦٦.

^{٩٨} السابق، ص ١٨٩-١٩٠.

^{٩٩} الأشعار (٣٢٩)، الآيات (٢٦٧)، الأحاديث (٣١).

^{١٠٠} روضة التعريف، ص ٤٠٢.

^{١٠١} مثل: ابن سودكين الدمشقي الذي راسله ابن عربي، أبو بكر الصديق، أبو الحكم بن برجان، أبو الحسن بن قسي، أبو العباس البوني، السابق، ص ٤١٠.

أنصار الوحدة المطلقة يذكر ابن دهاق وابن سبعين والتستري وغيرهم من الأندلسيين.^{١٠٢} ومن الصوفية يذكر إبراهيم بن أدهم والفضيل بن عياض، ومعروف الكرخي، والسري السقطي، وبشر الحافي، والحارث المحاسبي، وداود الطائي، وشقيق البلخي، والبسطامي، والتستري والداراني، ويحيى بن معاذ، والنخشبي، والشبلي، وحمدون القصار، والجنيدي، والحلاج وغيرهم بالعشرات. كما يحال إلى بعض المصادر الرئيسية مثل «الرسالة القشيرية».^{١٠٣} تعرض الأعلام كلها أولاً ثم تعرض الأفكار العامة التي تجمعهم ثانياً. كما تذكر بعض مصطلحات الصوفية وأسماء الله الحسنى.^{١٠٤} وتُعرض الفلسفة عرضاً نظرياً خالصاً، تلخيصاً وتجميعاً لأقوال الفلاسفة.^{١٠٥} كما يُذكر العديد من أسماء الفرق والمذاهب والطوائف والملل والنحل.^{١٠٦}

(١٠) «سر الأسرار ومظهر الأنوار فيما يحتاج إليه الأبرار» للتاذلي (٩٦٣هـ)^{١٠٧}

وفيه تتناثر بنية التصوف إلى أربعة وعشرين فصلاً بلا نسق خاص بل طبقاً لعدد حروف الشهاداتتين، وعدد ساعات الليل والنهار وهو سبب خرافي ساذج.^{١٠٨} معظمها في التصوف العملي عن الطريق وليس التصوف الخلقي أو النفسي باستثناء مقام التوبة أو النظري مثل الإنسان والروح والذكر والفقر والطهارة والشرعية والطريقة والوجد والصفاء والخلوة والعزلة.

^{١٠٢} مثل: الشوزي، ابن مطرق الأعشى، ابن أحلى، الحاج المغربي، والجم الفقير من أهل شرقي الأندلس ووادي رفوط، السابق، ص ٤٢٥.

^{١٠٣} مثل: أبو حامد البلخي، النيسابوري، النوري، ابن الجلاء، رويم، الدقاق، سمنون، الخراز، مسروق، الجريري، ابن عطاء الله السكندري، إبراهيم الخواص، ممشاذ، الروزباري، النهرجوري، الدينوري، النصر أباذي ... إلخ، السابق، ص ٤٣٣-٤٣٤.

^{١٠٤} روضة التعريف، ص ٢١٣-٢٢٦.

^{١٠٥} السابق، ص ٤٠٢-٤٣١.

^{١٠٦} السابق، ص ٣٨١-٣٨٤.

^{١٠٧} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (١) ص ٧-٥٩.

^{١٠٨} «وهذا الكتاب على أربعة وعشرين فصلاً بعد حروف كلمة «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، وبعد ساعات الليل والنهار.

ويعتمد على القرآن والحديث دون الشعر.^{١٠٩} ويستشهد بأقوال بعض الصوفية مثل البسطامي ثم يحيى بن معاذ والجنيد ثم الغزالي.^{١١٠} ويذكر التفسير الكبير للرازي، وهو أقرب الحكماء إلى الصوفية لاشتراكه معهم في الفلسفة الإشراقية. تشرئب أحياناً القسمة العقلية كبديل عن الدليل العقلي. تكثر التشبيهات في الأسلوب نظراً للتقارب بين التصوف والأدب في أساليب التعبير وفي التجارب الذاتية.

(١١) «نزهة المجالس ومنتخب النفائس» للصفوري (١٠٤٣هـ)^{١١١}

وهو من الكتابات المتأخرة. وكما يبدو من العنوان الأول الاعتماد على الحكايات المسلية والروايات المشوقة كي يكون «نزهة المجالس»، وغياب التأليف الإبداعي، والاعتماد على التجميع سمة المؤلفات المتأخرة وكما يبدو وفي العنوان الثاني «منتخب النفائس» وهو سبب تأليف الكتاب.^{١١٢} وتتحدد فقراته بعناوين دالة مثل «حكاية»، «لطيفة»، «مسألة»، «فائدة»، «موعظة».

والكتاب مضطرب في بنيته بعد تفكيك البنية الرباعية في «الإحياء»، والسادسية في «الفتوحات»، بالرغم من تخصيص مقدمة لسرد ما اشتمل عليه الكتاب من الأبواب والكتب والفصول.^{١١٣} يبدو أن الغالب هي القسمة إلى أبواب، أربعة وأربعين باباً. ينقسم بعضها إلى عدة فصول، مجموعها اثنان وثلاثون فصلاً. وأحياناً تبدو القسمة كتباً، كتابان: الأول في العقائد، والثاني في الصوم، وتحت كل منها موضوعات أوسع وأشمل.^{١١٤} الأول أشبه بما تبقى من البداية بعلم العقائد دفاعاً عن الشبهات ضد الصوفية بالاتحاد والخروج على العقائد السنية. والثاني من بقايا الفقه وتحوله إلى أخلاق.^{١١٥} وأحياناً تبدو القسمة كلاماً، «الكلام على...».^{١١٦}

^{١٠٩} الآيات (١٣٩)، الأحاديث (٧٢)، القدسية (٢).

^{١١٠} البسطامي (٣)، يحيى بن معاذ، الجنيد (٢)، الغزالي (١).

^{١١١} دار الفكر، دمشق (د.ت) (طبعة مصورة).

^{١١٢} «فإن النفس لها ارتياح إلى سماع القصص الملاح، وأخبار أهل الخير والصلاح فأجبتها إلى مقصودها»، نزهة المجالس ج ١، ٢.

^{١١٣} السابق، ص ٢.

^{١١٤} «كتاب العقائد وفضل الذكر وآيات منه وسور»، السابق، ص ٦.

^{١١٥} كتاب الصوم، السابق، ص ١٥١.

^{١١٦} مثل «الكلام على العرش وصفته»، السابق، ج ٢، ٢٤٥. «الكلام على قارون» ج ٢، ٢٥٢.

ويمكن تجميع كل هذه الأبواب والفصول والكتب والكلام غير المرقمة في موضوعات التصوف بمراحله الثلاث: الخلقي والنفسي والفلسفي.^{١١٧} ومن التصوف النفسي تظهر بعض المقامات المتناثرة مثل المحبة والصبر والرضا والزهد والقناعة والتوكل والتوبة.

^{١١٧} فمن التصوف الخلقي يظهر أولاً الإخلاص، والأدب، والتقوى، وفعل الخيرات، وذم الكبر، والغيبة والنميمة، والإحسان إلى اليتيم، وفضل الجوع وآفاق الشبع، والبر بالوالدين، والحلم والصفح عن عشرات الإخوان، والكرم والفتوة، ورد السلام، وكرم الله، وفضل الصدقة، والمعروف، وإكرام الجار، وحفظ الأمانة، وذكر النساء، وفضل العدل، واجتناب الظلم، والشفقة على الخلق، وإكرام المشايخ. بل يتجاوز الأمر إلى حسن الهندام مثل الخضاب والتسريح ثم يظهر كتاب العقائد وفضل الذكر والقرآن وآيات منه وسور. وبدلاً من نظرية العلم يظهر الذكر وفضائل البسملة وأذكار غير القرآن وفوائدها وأذكار الصباح والمساء. كما يبرز فضل العقل وفضل العلم وأهله بالشام. وموضوعات الفقه والأخلاق مثل فضل الصلوات ليلاً ونهاراً أو متعلقاتها ومناقب السؤال وما ورد فيها من الآثار النبوية، والأذان وفضل الجمعة وليلتها وكرمها مع ذكر الدجال، وفضل الزكاة، زكاة الأنصار وهو كفها عن المحرمات. ثم يأتي الصوم، وفضل رجب وصومه، وشعبان، وفضل صلاة التسابيح، ورمضان والترغيب في العمل الصالح وما فيه من الفضائل، وليلة القدر وفضلها، وفضل عرفة والعديد والتكبير والأضحية، وفضل صيام عاشوراء والأيام البيض والسود، وفضل الحج وأركانه، وفضل الجهاد. وتظهر موضوعات الطريق مثل الدعاء، ثم تظهر ثقافة الموت في ذكر الموت وقصر الأمل. ويختتم الكتاب بذكر أشياء حرمها الله على النار مع ذكر الجنة. وتظهر بعض الموضوعات العلمية الطبيعية مثل الزراعة، وخلق الجنين، وخروج الماء من فم النائم. ثم يتخلل موضوع الإسرائاء موضوع فقهي خالص مثل تحريم الوالد أن يأكل من مال ولده بطريق غير شرعي. تبدأ بالرسول الإنساني مثل مولده ونسبه ورضاعته إلى الرسول المختل مثل الصلاة عليه والإسرائاء والمعراج وتفصيل مراكب المعراج مثل البراق من مكة إلى بيت المقدس وصلاته بالأنبياء، ثم من بيت المقدس إلى السماء ثم أجنحة الملائكة من السماء الدنيا إلى السماء السابعة ثم جناح جبريل من السماء السابعة إلى سدرة المنتهى ثم الرفرف إلى قاب قوسين واجتماعه بميكائيل وإسرافيل والروح ثم الوصول إلى العرش وصفته ثم وفاته. ثم تظهر كتب المناقب إيداناً بالعودة إلى الوعي التاريخي بداية بمناقب أمهات المؤمنين من أجل إبراز فضائل النساء على عكس الحكم الشائع اليوم بهتميش النساء في التراث الإسلامي القديم. ثم تذكر فضائل الصحابة مع بعض التقديس كما يظهر في ألقابهم. فعمر سراج أهل الجنة. ثم تذكر مناقب العشرة المبشرين بالجنة ثم يُعاد ذكر أفضل النساء فاطمة الزهراء. ويتخلل ذلك الواقع التاريخي المثالي، الخيال الشعري في ترويض حواء بأدم دون دليل إلا ببعض النقل الضعيف أو الموضوع المستمد من الإسرائيليات. ثم يعاد ذكر مناقب الحسن والحسين والعباس وحمة. ثم تذكر فضائل الآية كلها. ثم يذكر فضائل الأنبياء، إبراهيم وموسى وقارون وعيسى والخضر وإلياس. ثم يعود ذكر المشهورين بالكنية بأسمائهم وتواريخهم من الصحابة. السابق، ج١، ٣-٦، ٧٨، ٩٤-١٠٢، ١٤٢-١٥١، ١٩٦-٢٤١، ٢٥٧، ج٢، ٢-٣٥، ٤٤-٥٨، ٥٨-٧٦، ١٢٩-١٣٢.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

ثم تظهر الأحوال مثل الخوف.^{١١٨} ومن التصوف الفلسفي تظهر مناقب الرسول، سيد الأولين والآخرين إيماناً بظهور عقيدة الحضرة أو الحقيقة المحمدية.^{١١٩} وتكثر الحجج والأدلة النقلية، الآيات والأحاديث. ويرفع التناقض الظاهري بين الآيات. وتستعمل الآيات للسحر والشفاء وإحضار المنافع تعويضاً عن العجز على العلم والسيطرة به على العالم.^{١٢٠} وتذكر بأسانيد عندما تكون الأحاديث من صنع الخيال مثل أحاديث الله والرسول مع الأنبياء أو في المنام. وتذكر عندما تكون أقرب إلى الصحة. كما تذكر أقوال الصوفية بأسانيد لإثبات صدق الحكايات حول الكرامات. ويستشهد بالشعر على نحو مطرد. فالشعر ديوان العرب وذاكرتهم الجماعية والذي استطاع تدوين العلوم لحفظها بعد أن توقف الإبداع النظري. وتكثر حكايات اليهود والنصارى وتحولهم إلى الإسلام كدليل على كرامات الأولياء ومشايخ الصوفية.

^{١١٨} السابق، ص ٣٥-٤٤، ٧٨-٤٨، ٢٥٧-٢٤١ ج ٢، ٤٤-٥٨.

^{١١٩} السابق، ص ٢، ٨٧-١٢٩، ١٣٢-٢٦٥.

^{١٢٠} السابق، ج ١، ص ٢٩.

سادسًا: الشروح والتعليقات والملخصات

بعد تناثر البنية تحاول الشروح والتعليقات والملخصات لها من جديد عن طريق تجميع أكبر قدر ممكن من المعلومات حول نص عمدة يقوم بلم الشمل كخيط العقد الذي تتجمع فيه حبات الخرز. وعادة ما يكون بين المتن والشرح من قرن إلى ثمانية قرون طبقًا لأهمية النص. وأكثر النصوص شرحًا هي «الحكم» لما تتسم به من تركيز يحتاج إلى إسهاب وتطبيق. وتكون الشروح للنثر وللنظم على حد سواء. وأكثرها للنثر وقد يكشف الترتيب التاريخي للشروح عن تطور في فن الشرح كشكل أو كمضمون. كما يكشف عن مدى الفترة الزمنية بين المتن والشرح.

(١) شرح النثر

والشرح من حيث الشكل الأدبي نوعان شرح النثر وشرح النظم. ومن حيث الزمان شروح المحدثين وشروح المعاصرين وهناك ترتيبان زمنيان ممكنان للشروح. الأول طبقًا للنص المشروح مثل «الرسالة القشيرية» أو «الإحياء» أو «الفتوحات» أو «الفصوص» أو «الحكم» أو «البردة». والثاني طبقًا للنص الشارح مثل «الشجرة النعمانية» للقونوي أو «شرح الحكم العطائية» لزروق أو «شرح مشكلات الفتوحات» للجيلي أو «شرح الفصوص» للجامي أو «الرسالة القشيرية» لذكريا الأنصاري ... إلخ. والأول أفضل لأنه يكشف عن النص الشارح وهو المطلوب وليس النص المشروح الذي دخل من قبل في تطور المؤلفات الصوفية وبنيتها.

(أ) شروح المحدثين

وتعني الشروح بين القرنين السابع والرابع عشر وهي الشروح التي توفي أصحابها وأهمها:

(١) «الشجرة النعمانية» بشرح صدر الدين القونوي (٦٧٣هـ)^١

ويبدأ عصر الشروح والمختصات من القرن السابع في شرح القونوي (٦٧٣هـ) لكتاب «الشجرة النعمانية» لابن عربي (٦٣٨هـ). فبين المشرح والشارح خمسة وثلاثون عاماً. فإذا كان ابن عربي هو نهاية النص الإبداعي في التصوف النظري فإن القونوي هو بداية الشرح.

ولا يعني هنا الشرح الأكبر أو التفسير كما هو الحال لدى ابن رشد في «تفسير ما بعد الطبيعة» لأرسطو فصلاً بين النص المشرح والنص الشارح على مستوى اللفظ. ولا يعني أيضاً الشرح الأوسط وهي المختصات، بداية بالنص المشرح ونهاية بالنص الشارح على مستوى المعنى، ولا الشرح الأصغر وهي الجوامع على مستوى الشيء نفسه.^٢ بل يعني توضيح مضمون النص بنص جديد وبيان القصد والقراءة الكاشفة، وإعادة كتابة نص جديد. الشرح هنا يعني التأويل والقراءة كما هو الحال في علوم التأويل المعاصرة. تأليف جديد في الموضوع. وتبدو بعض الأشكال الأدبية مثل «تنبيه على أسرار عجيبة» لجذب الانتباه وتوجيه الشعور نحو كشف معين أو «تنبيه وتقرير»^٣. ويعتمد على الأدلة النقلية، القرآن والحديث والشعر.^٤ والآيات أكثر لما فيها من تجارب أولى مباشرة.^٥ وهو مرتبط بعلم الحروف أي الانتقال من الكتابة إلى الفكر، ومن الحرف إلى الوجود.

والأهم في «الشجرة النعمانية»، هو مركزية مصر، درة الدولة العثمانية وقلبها وجوهرتها. تقع بين حركات الأفلاك ودورات التاريخ والموقع الجغرافي. ويسمى أرض الكنانة كما سماها ابن خلدون «أم الدنيا»، وسماها آخرون «مصر المحروسة». ويؤمن بالمهدي كما يفعل الشيعة في الزمان، وأهل السنة في نهاية الزمان.^٦

^١ دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م، ١٤٢٥هـ (١) ص ١٩-٥٩.

^٢ من النقل إلى الإبداع مج ١، ج ٣ الشرح.

^٣ الشجرة النعمانية ٥٦، ٧٥.

^٤ الآيات (١٦)، الأحاديث (١)، الأشعار (٢).

^٥ بالمعنى الألماني للفظ Urfahrung.

^٦ الشجرة النعمانية، ص ٥٨-٥٩.

(٢) شروح الكاشاني (٧٣٠هـ)

(أ) «شرح فصوص الحكم»:^٧ وهو شرح يقوم كالعادة على تقطيع النص المشروح، فقرة فقرة أو عبارة عبارة أو أحياناً لفظة لفظة. وقد يطول النص المشروح أو يقصر. ويعتمد الشرح أحياناً على اللغة، المعنى الاشتقاقي والمترادفات والبحث عن معاني الألفاظ. فالشيطان من الشطط والانحراف. ويميز تحليل العبارة بين الجملة الرئيسية والجملة الاعتراضية.^٨ كما يوضع اللفظ أو العبارة في السياق. ويقوم بالربط بين الأجزاء.^٩ ويستعمل أسلوب التعليل خاصة العلة الغائية بالجمال الشرطية، فعل الشرط وجواب الشرط.^{١٠} ولا يكون الشرح لكل لفظ وعبارة إلا إذا استدعى الأمر. فهناك عبارات غنية عن الشرح. يكفي فيها ظاهر الكلام.^{١١} ولا يستفاض في الشرح.^{١٢} والأسلوب محكوم بالمحسنات البديعية طبقاً لهذا العصر المتأخر، القرن الثامن. وهناك بعض الألفاظ المعربة من الفارسية مثل «الأنمونامج» أو «الأنمونانج» أي النموذج.^{١٣} ويشير إلى نسخ أخرى إذا ما تعددت القراءة كاحتمال لتفاوت المعاني.^{١٤} ويستعمل أسلوب السؤال والجواب، والرد على الاعتراضات.^{١٥} وسبب التأليف هو طلب بعض الأصدقاء وأحد المبرزين منهم دون كتمان شيء من الكنوز.^{١٦}

^٧ دار الكتب العلمية، بيروت.

^٨ السابق، ص ٧-٩، ٢١٧، ٢٢٦.

^٩ السابق، ص ٨٦.

^{١٠} السابق، ص ٨-٩، ١٦.

^{١١} «وهذا غني عن الشرح» السابق، ص ١٠٢، ١٤٣، ١٧٥، ١٩٥. «وهذا ظاهر الكلام»، السابق ص ٢٥٧.

^{١٢} «هذا كلام ظاهر اللفظ والمعنى»، السابق، ص ١٦٠.

^{١٣} السابق، ص ٢٥، ١٧٢، ١٧٤، ٢٠٣، ٢٨٠.

^{١٤} «وهذا القدر كافٍ»، السابق، ص ٢٣٦.

^{١٥} السابق، ص ٢٥٢.

^{١٦} السابق، ١٠-١١، ٢٠٦.

^{١٦} «أقبل علي جماعة من إخوان الصديق والصفاء وأرباب الفتوة والوفا من أهل العرفان والتحقيق ومن أيدته العناية بالتوفيق خصوصاً كالصاحب المعظم العالم العارف الموحد المحقق شمس الملة والدين قدوة أرباب اليقين محمد بن مصلح المشتهر بالتبريزي متعه الله بما فيه وأطلعه على خوافيه أن أشرح لهم كتاب «فصوص الحكم» المنسوب إلى الشيخ الكامل المكلل البحر الخضم محيي الملة والدين أبي عبد الله محمد بن علي المعروف بابن العربي الطائي الحاتمي الأندلسي قدس الله روحه وكثر من عنده من

ويبدأ بثلاث مقدمات نظرية عامة تضع الشرح في إطاره النظري الكلي وهي «أصول فصول الحكم». الأولى في تحقيق حقيقة الذات الأحدية، حقيقة الحق، وهو الوجود اللا متعين. والثانية بيان حقائق الأسماء ولا تناهيهما. والثالثة بيان الشأن الإلهي والأمر التدبيري الدوري المسمى بلسان أهل الذوق البرزخ بين أحكام الوجوب والإمكان.^{١٧} والشرح بوجه عام يزيد فيه التحليل النظري على الشواهد النقلية. ومن التحليلات النظرية شرح العلاقة بين الحكمة والنبوة كما هو الحال في عناوين «الفصوص المتقابلة» مثل «حكمة إلهية» في كلمة آدمية «لإيجاد العلاقة بين الاثنين في أول كل فصل كمدخل نظري. ويشرح القسمة النظرية ويوصلها مع بعض الحدود المنطقية.^{١٨}

ويعتمد الشرح على التجربة الصوفية للشارح. وبالتالي فهو لا يشرح نصًا خارجيًا بل يقرأ نصًا داخليًا مثل شروح ابن رشد على أرسطو.^{١٩} ويستفاض في نبوة خالد بن سنان مع الحديث الشهير «حَبَّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثُ: النِّسَاءِ، وَالطَّيِّبِ، وَجَعَلَتْ قَرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ».^{٢٠} ويُفصل موضوع النكاح باعتباره رمزًا للوحدة. ويُسهب أيضًا في قصة موسى والخضر، الظاهر والباطن.^{٢١} وكل عبادة لها ظاهر وباطن مثل الحج.^{٢٢} وهو ما أفاض فيه ابن عربي من قبل في «الفتوحات». كما يعتمد الشرح على الأدلة النقلية من القرآن والحديث والشعر.^{٢٣} ويستعمل القرآن والحديث أيضًا استعمالًا حرًا داخل الأسلوب لتقويته. وتكرر بعض الشواهد الشعرية.^{٢٤} ويحيل على بعض الصوفية السابقين المذكورين في النص المشروح أو في النص الشارح.^{٢٥} ويأتي في المقدمة الجنيـد

فتوحه، شارطين عليّ أن لا أكتم شيئًا من جواهر كنوزه وأبرز ما أمكن من مفصلات مخفياته ورموزه. فأسعفتهم إلى ملتهم. وحذفت عنان همتي إلى تسهيل مقتبسهم مجتهدًا في حل ألفاظ الكتاب بقدر ما

يسر الله لي من فهم ما هو الحق والصواب ...» السابق، ص ٢-٣.

^{١٧} السابق، ص ٣-٤، ١٢٣.

^{١٨} السابق، ص ٣٠-١٤١.

^{١٩} من النقل إلى الإبداع مج ١ النقل ج ٣ الشرح.

^{٢٠} شرح فصوص الحكم، ص ٢٦٥، ٢٧٢.

^{٢١} السابق، ص ٢٥٧-٢٦١.

^{٢٢} السابق، ص ٢٦٨.

^{٢٣} الآيات (١٨٨)، الأحاديث (٣٤)، الأشعار (٦).

^{٢٤} شروح فصوص الحكم، ص ٦٣، ١٣٠.

^{٢٥} الجنيـد (٣)، البسطامي (٢)، الأصمعي، الغزالي، الترمذي (١).

ثم البسطامي ثم الغزالي والترمذي والأصمعي. كما يعتمد على الشراح السابقين.^{٢٦} وتذكر بعض الفرق الإسلامية مثل المعتزلة والأشاعرة والصوفية أو أهل التصوف والإشراقيون. ومن الواقد يظهر أغاثاذيمون.^{٢٧}

(ب) «كشف الوجوه الغر لمعاني نظم الدر»: ^{٢٨} وهو شرح لتائية ابن الفارض، شرح للنظم بالثر، بيتاً بيتاً أو مجموعة مجموعة بعد تقسيم القصيدة إلى موضوعات في أقسام وفصول. القسم الأول «في المعارف». ويشمل فصول: معرفة الذات والصفات والأفعال، ومعرفة العالم على الإجمال، والروح والنفس، والإنسان وخلافته، والنبوة والولاية. والثاني «في المواجيد». ويشمل خمسة فصول في المحبة والسكر، والوجد والوجود، والجمع والتوحيد. المعارف في الفلسفة، والمواجيد في التصوف. وهو ما يوحى به العنوان كشف وجوه المعاني. وهو شرح فلسفي نظري خالص. يشرح الشعر بالشعر، والقرآن بالشعر. يعتمد على القرآن والحديث والشعر أكثر من الاعتماد على أقوال الصوفية.^{٢٩} يتقدمهم الشبلي ثم الحلاج والدقاق والسهوردي. ومن الأصوليين الأمدي. ومن الأنبياء عيسى.^{٣٠}

(٣) شرح ابن عباد الرندي على الحكم (٧٩٢هـ)^{٣١}

وكما حدث في علم أصول الدين وعلم أصول الفقه وعلوم الحكمة شرح المتأخرون المتقدمين نثراً وشعراً. وكان أشهر الشروح للفصوص التكوينية المفصلية مثل «الرسالة القشيرية» و«الإحياء»، و«الفتوحات»، و«الحكم العطائية». كان الغرض من شرح ابن عباد الرندي هو إثبات أن «الحكم» في التوحيد مع أنها وصايا ومواعظ للمريدين. فالتوحيد عملي وليس نظرياً. وهو أفضل ما صنف في التوحيد لصغر حجمه، وعظم دلالته، وحسن عبارته. يبين طريق العارفين ومناهج السالكين. يعني الشرح هنا التنبيه

^{٢٦} السابق، ص ١٦.

^{٢٧} المعتزلة، الأشاعرة، الصوفية، أهل التصوف، الإشراقيون، أغاثاذيمون (١).

^{٢٨} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥ م/١٤٢٦ هـ.

^{٢٩} الآيات (٨٨)، الأحاديث (١٩)، القدسية (٤)، الأشعار (١٤).

^{٣٠} الشبلي (٣)، الحلاج، أبو علي الدقاق، السهوردي (شهاب الدين) (١)، ومن الأصوليين الأموي (١).

^{٣١} مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٣٩ م/١٣٥٨ هـ.

على بعض المعاني الظاهرة.^{٣٢} ولا يستطيع الشرح أن يكشف كل شيء ولا بيان كل شيء اشتمل عليه النص المشروح. فكلام الأولياء مليء بالأسرار التي لا يمكن بيانها. ولا يدعي الشرح أنه قادر على بيان قصد المؤلف أو مذاهب الأولياء بل هو شرح طبقاً للاجتهاد والطاقة. والمنهج هو تقديم النص المشروح ثم إلحاقه بالنص الشارح كما هو الحال في كتب التفسير وفي «تفسير ما بعد الطبيعة» لابن رشد، الشرح الكبير. وشرط الشرح أن تكون العبارة الشارحة أوضح من العبارة المشروحة حتى تتم الفائدة خاصة مع تداخل المعاني والفروع والمباني. وقد كان الشرح بناء على طلب الأصدقاء أي التعبير عن رغبة لدى القراء. والسؤال هو: هل تحتاج «الحكم» العطائية لشرح وهي واضحة وأقرب إلى الأسلوب الأدبي التعبيري؟ يعني الشرح هنا إعطاء التطبيقات العملية للوصايا النظرية، وبيان المناسبات التي يتحقق فيها. فهي تثير في النفس انفعالات عدة في مواقف متباينة وبالتالي تسمح بتعدد الشروح واختلاف التفسيرات طبقاً لمدى عمق شعور الشارح. يتحول النص إلى تجربة، ثم تتحول التجربة إلى نص. فالنص تجربة مدونة. والتجربة نص قبل التدوين.

وقد يطول الشرح أو يقصر طبقاً لإفاضة الشارح وامتلاء شعوره بالانفعالات بالحكم ومدى إثارتها للخيال. كما يتم شرح الألفاظ والمصطلحات الصوفية مثل لفظ «الأسباب». ويشرح الجزء بالكل إما داخل سياق «الحكم» أو بالإحالة إلى باقي مؤلفات ابن عطاء مثل «التنوير في إسقاط التدبير» و«لطائف المنن». ويشرح نفس النص أكثر من مرة حتى يتضح الشرح. ويستعمل النص المشروح كمشجب أو علاقة لإضافة مادة جديدة عليها. فالغاية ليس شرح النص بل إضافة معلومات عليه. ولا تقطع الحكمة إلى أجزاء، ولا تقسم إلى ألفاظ أو جمل يشرح كل منها على حدة كما تفعل بعض الشروح اللغوية. بل ترتبط الحكم بعضها ببعض في سياق متصل حتى يتم تجاوز الانقطاع بين الحكم وتواليها وكأن كلاً منها موضوع مستقل. ولا تقطع الحكمة إلا إذا طالت.^{٣٣} لذلك يخلو الشرح من الفهرس بالرغم من محاولة الناشر إكمال ذلك.

وتأتي مادة الشرح من الأمثلة والمواقف العملية على صدق «الحكمة»، وإيجاد التجارب الشعورية المطابقة لها. كما تأتي من مزيد من الأدلة النقلية والنفسية ومزيد

^{٣٢} السابق، ج ١، ٢-٣.

^{٣٣} السابق، ص ١٩-٢٠.

من الشواهد الشعرية. وتذكر الأسانيد لإيجاد مادة إضافية للشرح بالرغم من ضعفها. وتكرر أكثر من مرة في أكثر من مناسبة. كما تستعمل مؤلفات الصوفية السابقين ويحال إليهم مثل «الإحياء».^{٢٤} ويقتبس منها ووضع لفظ «انتهى» كعلامة على نهاية الاقتباس. وتأتي المادة من حكايات الصوفية ورواياتهم عن الكرامات والأولياء، وكل ما يستثير الذهن، ويستدعي الخيال. ويتم التركيز على المقامات والأحوال عصب التصوف وليس الطريق. كما يستعان بالإسرائيليات في قصص الأنبياء في كثير من الحوارات بين الله والملائكة والأنبياء من خلال الأحاديث القدسية. وقد شرحها أيضاً شيخ الإسلام عبد الله الشرقاوي على سبيل الاختصار من أجل نفع المريدين.^{٢٥}

(٤) شروح عبد الكريم الجيلي (٨٢٦هـ)

(أ) شرح مشكلات الفتوحات المكية: ^{٢٦} وهو شرح للباب ٥٥٩ فقط. عبارة عبارة. قسمه إلى عشرة أبواب أقرب إلى الشرح الأكبر أي الفصل بين النص المشروح والنص الشارح. ويعتبر النص المشروح أعظم نص صوفي.^{٢٧} ويحصل صاحب النص المشروح على أكبر قدر من الألقاب: الولي الأكبر، القطب الأعظم الأفخر ... إلخ.^{٢٨} والدافع على الشرح هو إسهاب كتاب «الفتوحات» وإطالته مع أنه يتناول حقائق الأشياء. لذلك لزم بيانها وشرحها وتأويلها بدلاً من العجز عن تحصيله أو عدم معرفة معناه.^{٢٩} ومفتاح

^{٢٤} السابق، ج ٢، ٥٢.

^{٢٥} «هذه تقييدات لطيفة على حكم العارف بالله سيدي أحمد بن عطاء الله قدس سره. وقصده بها في الغالب خطاب المريدين الصادقين وترقيهم إلى مكان العارفين. فينبغي لنا أن نقتصر على بيان مقصوده بقدر الإمكان، «شرح الشرقاوي على الحكم» ج ١ ص ٢.

^{٢٦} دار سعاد الصباح، القاهرة، الكويت، ١٩٩٩م.

^{٢٧} «أعظم الكتب المصنفة في هذا العلم نفعا، وأكثرها لغرائبه وعجائبه جمعا، وأجلها إحاطة ووسعا. تكلم فيها بألسنة كثيرة، وأفصح عن معاني غريبة وخطيرة. فصرح تارة عن حاله، ورمز أخرى عن حال، وأفصح طورا عن مقصود، وأدمج أخرى في المقال»، السابق، ص ٨٧.

^{٢٨} «الولي الأكبر»، والقطب الأعظم الأفخر، مظهر الصفة العلمية، ومجلى الكمالات العينية والحكمية، لسان الحقيقة وأستاذ الطريقة، المتبوع التابع لآثار الشريعة ... قدس الله سره، وأعلى عنده مقامه ...»، السابق، ص ٨٧.

^{٢٩} «ولم يزل ... يتكلم في هذا الكتاب على حقائق الأشياء حتى آل به الأمر إلى الإسهاب والإطناب ففسر على الأكثرين تحصيله. وفات عن الغالب معرفته وتأويله. وصار الناس فيه بين أحد رجلين: رجل عجز

الكتاب هو هذا الباب ٥٥٩ الذي جمع الرموز والأسرار.^{٤٠} فكان الشرح اتباعاً لترتيبه من أجل فهم المعنى وطرق الاستدلال واكتشاف حقائق الأشياء.^{٤١}

(ب) وتحليل أفعال القول يتضح أن الغالب هو «قال الشيخ» وهي نفسها صيغة الشرح الأكبر في «تفسير ما بعد الطبيعة» لابن رشد «قال أرسطو». تأتي أفعال مثل «تكلم»، «أراد» تبين الإرادة والقصد. ثم تأتي أفعال بيان المعنى مثل «يعني»، «بين»، «أشار»، «نبه»، «جمع» ... إلخ.^{٤٢} ثم تأتي أفعال وأسماء إشارة وحروف للدلالة على السبب.^{٤٣} فالشرح تحليل كما هو الحال في علم أصول الفقه. ثم تأتي حروف العطف مثل «لما» لبيان عناصر الربط بين المعاني والموضوعات، وطرق الاستدلال، والانتقال من المقدمات إلى النتائج في عدة صياغات مثل «ولما فرغ»، «ولما بين»، «ولما تحقق»، «ولما لاح هذا المعنى» ... إلخ. كما يعني الشرح البحث عن الأدلة وبيان منطق الاستدلال في «والدليل على ذلك». فالشرح نظرية في البرهان. ويتم الشرح على مستوى اللفظ مثل شرح لام التعليل، أو على مستوى المعنى والبيان، أو على مستوى الشيء نفسه بإيجاد المرادف له وهي العبارات التي تبدأ بالأسماء وليس بالأفعال كما هو الحال في «المقتطفات» الأخيرة.^{٤٤}

عن تحصيل الكتاب وعن انتوال الفائدة منه وخاب، ورجل حصل وعجز عن معرفة ما أراد الشيخ من كتابات عجيبة، وإشارات غريبة، فانقطع بالكلية عن درك علمه لأنه يختار عقل كل فاضل وليبيب في حل مشكل ذلك الرمز الغريب»، السابق ص ٨٧-٨٨.

^{٤٠} «لكنه ... صرح بأنه جمع معاني العلوم المبسوبة في ذلك الكتاب. وجعلها مرموزة في الباب التاسع والخمسين بعد الخمسمائة من الأبواب وكف ذلك النشر، وأدمج ذلك العلم الكبير القدر الكثير الفخر على وضعه العجيب وأسلوبه الغزير الغريب. فانغلق بالكلية فهم ما جعل لأجله ذلك الباب على كثير من أولي الألباب».

^{٤١} «فقصدت بشرح هذا الباب المخصوص، حل جميع مشكلات الكتاب. واختصرت في الكلام لئلا يفضي إلى الإسهاب والإطناب وسميته «شرح مشكلات الفتوحات المكية وفتح الأبواب المغلقات من العلوم اللدنية». غير أنني سأتحفه تهذيباً، وأجعله على أسلوب الكتاب ترتيباً ...»، السابق، ص ٨٨.

^{٤٢} تكرار الأفعال: قال (١١)، تكلم (٤)، أراد (٣). يعني (٣)، أشار ونبه، نبه، سمى، عبر، كنى، صرح (١)، ولهذا قال (٤)، ولهذا (٣)، سبب ذلك (٢)، ولأجل ذلك. ولذلك (١)، ولما فرغ (٥)، ولما بين، ولما تحقق، ولما لاح، وبعد هذا (١)، والدليل على ذلك (١).

^{٤٣} مثل: وأطلق لفظ الحقيقة.

^{٤٤} مشكلات الفتوحات، ص ١٣٦-١٥٣.

وهو الشرح الموضوعي.^{٤٥} ويبين الشارح قصده بأفعال «أردت»، «قصدت». وينبه القارئ على شرحه بأفعال «واعلم»، «أنبهك»، «يجب عليك» ... إلخ.^{٤٦} ومادة الشرح الأساسية هي القرآن، وإرجاع النص المشروح إلى المصدر الأول الذي خرج منه. وتتجاوز الآيات بمراحل الأحاديث والأشعار.^{٤٧} ويحيل الشارح إلى بعض مؤلفاته لاستكمال الموضوع.^{٤٨} ثم يكتشف الشرح القسمة العقلية للموضوع ويعددها محيلاً النص المشروح إلى العقل لاكتشاف بنيته.^{٤٩} كما يعتمد على بعض أقوال الصوفية مثل الحلج.^{٥٠}

(ج) «الإسفار عن رسالة الأنوار فيما يتجلى لأهل الذكر من الأنوار»: ^{٥١} وهو شرح على «رسالة الأنوار» لابن عربي، المتن أعلى الصفحة، والشرح أسفلها، أسوة بتفسير القرآن. ويقطع فيها المتن. ويتم الشرح لفظاً بلفظ، وعبارة بعبارة كما هو الشائع. الغرض منه الدفاع عن ابن عربي ضد منتقديه. فهو شرح دفاعي. يثبت أن أقوال الصوفية لا تخالف الكتاب والسنة أكثر من اختلاف المذهب الأشعري أو اتفاقه معها بالرغم من اختلاف وسائل المعرفة، الكشف عند الصوفية، والبرهان عند الأشاعرة. ومن ثم لا يجوز محاربة أولياء الله وإلا كانت عداوة للرسول. لذلك أخطأ من ردوا على ابن عربي وهم كثر.^{٥٢} والمقدمة نظرية طويلة عامة تتعلق بالمعرفة. فالله يبصر الأشياء وهي معدومة العين. كما أن صفة العلم غير صفة البصر. أما بالنسبة للإنسان فالتكاليف الشرعية مطابقة للحقيقة تمام المطابقة، ومن ثم شرعية من يريد الخروج إلى الجنات الأقدس والوصول إلى غايته. وقد رأى الشارح هؤلاء السالكين في طول البلاد وعرضها. الوصية إذن عدم مجادلة فقهاء الشريعة، والاعتقاد بأهل الحديث، وتجنب التأويل لأنه

^{٤٥} الموضوعي Thematic interpretation Islam in the modern world انظر دراستنا of method pp. 484-543.

^{٤٦} أردت، قصدت (١)، اعلم (٣)، أنبهك (٢)، يجب عليك (١).

^{٤٧} الآيات (٦٨)، الأحاديث (١)، الأشعار (١).

^{٤٨} الإحالة إلى كتاب «الناموس الأعظم»، شرح المشكلات، ص ١٢٨.

^{٤٩} «الناموس الأعظم» السابق، ص ٩٥-٩٦ (أنواع الحروف) ص ١٢٦ (أنواع الأجسام).

^{٥٠} السابق، ص ١١٥.

^{٥١} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤ / ١٤٢٥ هـ.

^{٥٢} السابق، ص ٢٤-٢٥.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

«دهليز الإلحاد»، والالتزام بالعزلة، وحفظ الله.^{٥٣} وبالرغم من تقطيع النص إلا أن الشرح حوله إلى مطالب وفصول ووصايا وموضوعات.^{٥٤} ومن المطالب كيفية السلوك إلى الله، وأقسام الواصلين، وتعدد طرق الوصول، والسفر والمشاهدة والمسامرة والرؤية، واتساع القلب وضيقه، وسجن الدنيا، والدخول إلى الحضرة، وبعض المقامات مثل الورع والزهد والتوكل ثم تأتي مطالب عالم الخيال والروح واللوح، ثم مطالب السموات واستقرار الأنبياء فيها. والموضوعات مثل السحق والمحق، والإثبات والإحضر. والأحوال مثل الفناء والبقاء. ويتم شرح القرآن بالقرآن والحديث بالشعر، لذلك تكثر الشواهد القرآنية.^{٥٥} كما تذكر بعض أقوال الصوفية خاصة الغزالي. ويحال إلى الأنبياء إدريس وعيسى وموسى.^{٥٦} ومن الفرق الصوفية تذكر الملامية. كما تستعمل باقي مؤلفات ابن عربي مثل «عقلة المستوفز».^{٥٧} وتستعمل بعض الرسوم التوضيحية البسيطة.^{٥٨}

(٥) «التمهيد لصائن الدين» للشيخ الأصفهاني (٨٣٥هـ)

وهو شرح لكتاب جده «قواعد التوحيد». والشرح على مساق أهل الاستدلال مع مقدمة نظرية على سبيل الإجمال وإبراز الموضوعات والمسائل وبيان مقاصد الرسالة وفوائدها.

^{٥٣} السابق، ص ٣٩.

^{٥٤} المطالب (١٠٦)، الفصول (٧)، الوصايا (٥).

^{٥٥} الآيات (١٨٥)، الأحاديث (١٨)، الأشعار (١٥).

^{٥٦} إدريس، عيسى (٣)، إبراهيم، موسى (٢)، آدم، هارون، إسحاق، إسماعيل، محمد (١).

^{٥٧} الأسفار، ص ١٨٢.



^{٥٨} السابق، ص ١٦٥.

^{٥٩} هو الشيخ أبو حامد بن محمد الأصفهاني، السابق، ص ٥-٦. دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م. والعنوان على الغلاف «تمهيد القواعد الصوفية». وهو عنوان من وضع المحقق الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الدرقاوي، وكذلك العنوان الفرعي «كتاب يبحث في الحقيقة المحمدية ومراتب التجليات الإلهية». وكان اسم الشرح في البداية، تمهيد القواعد العرفانية، ص ٣.

فهو شرح كلي وإن كان في التحقيق فقرة فقرة على نحو جزئي.^{٦٠} والمقدمة نظرية خالصة في المنطق باعتباره نظرية للعلم عند الفلاسفة، تتناول التصور والتصديق في العلم الإلهي، والألفاظ المتداولة عند الصوفية، والتوحيد بين الحق والوجود، والوحدة والكثرة الذاتية والاعتبارية.^{٦١}

ويدخل الشرح في فكر النص، موضوعه واستدلاله. يتحول الفكر إلى استدلال منطقي وقضايا كبرى وصغرى. ويتبع أحياناً طريقة العرض. وأحياناً أخرى يأخذ الطابع السجالي بأسلوب القول «فإن قال قلت، أقول، لا يقال، فإن قيل، لأننا نقول...». ثم يدخل في جدل الإثبات والنفي، إبطال المذهب المشائي ونقده، ودفاع عن مذهب المحققين وهو التصوف، وإنكار وجود المطلق في الأعيان، والتحقق من الشكوك، وحل الشبهات، ودفع ما يرد على الكون... إلخ.^{٦٢} ثم تبرز موضوعات الرسالة المشروحة مثل الحقيقة المحمدية والإنسان.^{٦٣} وبالرغم من الطابع النظري المجرد للرسالة إلا أنها لا تخلو من فائدة عملية للسالكين.^{٦٤} ويعتمد الشرح على الشعر والقرآن والحديث.^{٦٥} كما يشير إلى المعلم الأول والحكماء والمتأخرين دون الصوفية. والعجيب أن يتم هذا الشرح في زمان كامل آن فيه أوان اقتطاف ثمرة العلوم مما يفسر غياب النقد الاجتماعي والإيغال في التحليل النظري.^{٦٦} والخطاب موجه للقارئ بلفظ «اعلم».

^{٦٠} «ثم إنه لما كان سوق الكلام في هذه الرسالة إنما هو على مساق أهل الاستدلال ناسب أن نصدر الكلام بمقدمة مبينة لتصوير ما فيه على سبيل الإجمال، مميزة بين ما يختص بهذا العلم من الموضوع والمبادئ والمسائل، تأسيساً بهم، وجرياً على عادتهم في تقديم هذا المقال. وبعد ذلك نشرع فوي تحرير مقاصد الرسالة ونبين فوائدها»، السابق ص ٨.

^{٦١} السابق، ٥-٢٤.

^{٦٢} السابق، ص ٣٨-٥١، ٦٧-١٠١، ١١٠-١٢٢، ١٣٧.

^{٦٣} الحقيقة المحمدية، السابق، ص ٧٨-٨٣، جمعية الإنسان للمراتب الإطلاعية الحقيقية والقيدية العبدية، السابق، ص ١١٤-١١٧. دفع ما يريد على كون الإنسان غاية للحركة الإيجابية، السابق، ص ١٢٢-١٣١.

الإنسان هو المظهر الكامل والكون الجامع ص ١٣٨-١٥٠.

^{٦٤} فائدة كثيرة الجدوى يحتاج إليها السالكون، السابق، ص ١٦٩-١٧١.

^{٦٥} الأشعار (١٣)، الآيات (١٠)، الأحاديث (٢).

^{٦٦} «وإن زماننا هذا قد بلغ منتهى كماله. واستوى دوحه إقباله، وحان أوان اجتناء ثماره، وكشف القناع عن مخدرات أبقاره بما استنارت على صفحات أيامه من الآثار الموجودة في الكتب المنزلة السماوية والزبر الكشفية العالية»، السابق، ص ٦.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

(٦) «شرح شواهد الأسرار القدسية ومطالع الأنوار الإلهية» للشيخة ست العجم البغدادية (بعد ٨٥٢)^{٦٧}

وهو شرح لامرأة حتى تسعد الحركة النسوية لكتاب «المشاهد القدسية» لابن عربي. يقوم بتقطيع المتن وشرحه لفظاً لفظاً. وعبارة عبارة. وتعتمد على جمع المواد السابقة. لذلك سمي «تصنيفاً» أي «تجميعاً» وليس «تأليفاً». ويتم تقسيم الشرح مثل المتن إلى أربعة عشر مشهداً مع مقدمة وخاتمة. وتبين المقدمة أن مادة الشرح إلهام وليست كسباً، باختيار الله وليس بإرادة الشارحة. تقرأ المشاهد أكثر مما تكتبها.^{٦٨} فالشارحة من العامة لا تقرأ ولا تكتب بل ظهر لها ابن عربي في المنام وأملأها إياه لتشرح المتن بالقرآن وبالحديث دون الشعر.^{٦٩} كما تقتبس العديد من أقوال الصوفية يتقدمهم البسطامي ثم الشبلي والحلاج وأبو سعيد.^{٧٠} وتستعمل باقي فصوص ابن عربي مثل «فصوص الحكم». ومن المذاهب تظهر الأشعرية مع الصوفية والحكماء.^{٧١}

(٧) شروح عبد الرحمن الجامي (٨٩٨هـ)

(أ) «نقد الفصوص» للجامي (٨٩٨هـ) في شرح «نقش الفصوص» لابن عربي (٦٣٨هـ):^{٧٢} وهو شرح لنقش الفصوص الذي هو إعادة كتابة للفصوص حكمة من الحكم السبعة والعشرين. ويضم الشرح مقدمة من ثماني نقاط.^{٧٣} ولفظ «نقد» ليس في محله. فلا يوجد نقد بل شرح. ولماذا شرح النص الثاني «نقش الفصوص» وليس النص الأول «فصوص الحكم»؟ ويتخلل الشرح لفظ «وصل» لبيان أجزاء الشرح.^{٧٤} وتشمل المقدمة النظرية الأولى تجليات الحق في النور. وهو الوجود، الهوية الذاتية. وهناك

^{٦٧} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ.

^{٦٨} السابق، ص ٥١-٥٣.

^{٦٩} الآيات (١١٩)، الأحاديث (٤٨)، القدسية (٣).

^{٧٠} البسطامي (٢)، الشبلي، الحلاج، أبو سعيد (١).

^{٧١} الأشعرية، الصوفية، الحكماء (١).

^{٧٢} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م.

^{٧٣} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م، ص ٤٠-٦٥.

^{٧٤} وصل (٢٧).

خمس خطوات.^{٧٥} بها سلسلة من التعينات مثل الأعيان الثابتة والنفوس الإنسانية، وعالم الأرواح، والإنسان الكامل خليفة الله في الأرض. ثم يأتي الشرح فصلاً فصلاً، وحكمة حكمة، لفظاً لفظاً وعبرة عبرة.^{٧٦} ويعتمد على القرآن والشعر والحديث.^{٧٧} ومن الصوفية يذكر الجنيد والجندي والأنصاري والكاشي.^{٧٨} ويعتمد على عدة مصادر مدونة.^{٧٩}

(ب) «شرح الجامي على فصوص الحكم»:^{٨٠} وهو شرح بطريقة الشرح الأكبر أي الفصل بين النص المشروح والنص الشارح، عبارة عبارة مع اتباع نفس التبويب والترقيم والتنظيم على نحو تقليدي دون اكتشاف بنية أو قراءة أو تأويل. فالشارح والمشرح ينتسبان إلى نفس المدرسة الفكرية والطريقة الصوفية. والدافع على النص شرح مشكلات النص المشروح وكشف معضلاته، فتح مغاليقه وفك رموزه. مع أن النص المشروح إلهام من الرسول والنص الشارح من جهد البشر.^{٨١}

وتكشف ألقاب صاحب النص المشروح عن مدى التقديس له. فهو الشيخ الكامل المكمل، محيي الملة والدين، قدس الله روحه، وكثر من فتوحه. ويحال إلى عدة نسخ من

^{٧٥} وهي شنيئة الثبوت، عالم الجبروت، المثال المطلق، المثال المقيد، الحس والشهادة والملك، السابق، ص ٤٤-٤٥.

^{٧٦} مثل «مفتاح الغيب»، الفكوك» وكلاهما للقونوي.

^{٧٧} الآيات (١٧٣)، الأشعار (٨)، الأحاديث (٦).

^{٧٨} الجنيد، الغزالي، مؤيد الدين الجندي، إسماعيل عبد الله الأنصاري، كمال الدين عبد الرزاق، الكاشي (١).

^{٧٩} نقد النصوص، ص ٦٩-١٨١.

^{٨٠} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م/١٤٢٥هـ.

^{٨١} «ومن عجائب هذا النوع ما فاض من قلبه الأنور وروحه الأظهر كتاب «فصوص الحكم» بجملة ما فيه من الحكم والأسرار دفعة واحدة على قلب الشيخ الكامل المكمل محيي الملة والدين ... قدس الله تعالى روحه وكثر من عنده فتوحه. ثم إنني كنت برهة من الزمان مشغولاً بمطالعة، مشغولاً بمذاكرته، ولم أجد أستاذاً يمين على مستفيده بشرح مشكلاته ولا مرشداً يرشد مريديه إلى كشف معضلاته. فقصدت إلى جمع شروحه، وجعلتها مفاتيح أبواب مفتوحة. وطالعتها مرة بعد مرة. ورجعت إليها كرة بعد كرة حتى استقر رأيي على أن انتخبت منها ما يجذبني في حل مبانيه، ويكفيني فهم معانيه. وأضفت إليه ما سنح في أثناء المطالعة ليالي، وسمح به وقتي وحالي ...» شرح الجامي للفصوص، ص ١٣٩.

النص المشروح كما تبين عبارات مثل «في بعض النسخ»، «في نسخة أخرى»، «هكذا في النسخة المقروءة». ويتكرر ذلك أكثر من مرة.^{٨٢}

وبتحليل ألفاظ الفقرات تبدو غلبة فعل «القول» وصياغاته المختلفة مما يدل على الفصل بين النصين، المشروح والشارح. ثم يتبعها أفعال أخرى مثل: وصف، صرح أردف، استغرب، بالغ، بيّن، أيد. وكلها تصف أفعال فكر صاحب النص المشروح وكأن الشارح قد دخل فكره وأصبح قادرًا على وصف أفعال الشعور كما تبدو في النص. وهناك أفعال أخرى تدل على مسار الفكر من المقدمات إلى النتائج، ومن البدايات إلى النهايات يسبقها الظرف «لما» مثل: لما ذكر، لما فرغ، لما أشار، لما أنجز، لما كان ... إلخ. وهناك ألفاظ أخرى تدل على النتيجة مثل: الحاصل أو القياس أو ما سبق. وهناك أيضًا صيغ الشرط، التسليم بفعل الشرط يؤدي إلى التسليم بجواب الشرط. وهناك ألفاظ تدل على القصد والمراد مثل: المقصود. وهناك ألفاظ البيان أو عبارات تضع الأجزاء في مجموعها. وقد تدل بعض الألفاظ على التقييم والحكم النقدي مثل «هذا كلام زخرفة ظن الشيخ». ويتم الشرح على ثلاثة مستويات، مستوى اللفظ، وهي المترادفات والتعريفات مثل شرح النفط والروح لغة، وعلى مستوى المعاني وهو التوضيح والبيان مثل معنى السبوح، وعلى مستوى الأشياء وهو الكشف والرؤية في الفقرات التي تبدأ بالأسماء وليس بالأفعال.^{٨٣}

وتأتي مادة الشرح من القرآن ثم الشعر ثم الحديث.^{٨٤} والأولوية للشعر على الحديث لجوءًا إلى التجربة الشعرية كأساس وجودي للتجربة الصوفية.^{٨٥} وفي نفس الوقت يعتمد على القسمة العقلية حتى يكون للشرح بنية نظرية يوضع النص المشروح فيها.^{٨٦} وتتم

^{٨٢} حوالي خمسين مرة.

^{٨٣} قال (١٨)، قلت (١٠)، قوله (٨)، وصف، استشهد (٢)، أردف، أيد، أكد، بالغ، استغرب (٤) لما ذكر (١٦)، لما فرغ (١٤)، لما أشار، لما أنجز، لما كان (٤)، لما عرف، لما حكم، لما أثبت، لما نفى، لما فسر، لما قيد، لما انساق (٢)، الحاصل (٤). وعلى هذا القياس السابق، مثال ذلك، ما سبق، معناه، والإشارة إلى ذلك، بعد ما عرف هذا، وإذا عرفت ذلك (١). والمراد (١٤)، وكان المقصود، وإذا عرفت المعنى المراد (٢)، وبيان ذلك (٢)، وبالجمل، صفة لمجموع، وهذا مجمل لما فصل (٢).

^{٨٤} الآيات (٨٠)، الأشعار (١٤)، الأحاديث (٨).

^{٨٥} شرح الجامي للقصص، ص ١١، ٥٥، ٢٠١، ٢٠٤، ٢١٣، ٢٣٧، ٢٦١، ٢٧٧، ٢٧٩، ٣٢٨، ٣٤٦، ٤٩٢، ٥١٢.

^{٨٦} السابق، ص ٥٧، ٩١، ٩٨، ١٠٥، ١٣٣، ١٤٢، ٢٣٥، ٣٤٥، ٤٨٥.

الإحالة إلى باقي الشروح مثل شرح مؤيد الجندي وبعض الشارحين الآخرين. كما يحال إلى باقي أعمال صاحب النص المشروح مثل «الفتوحات» شرحاً للجزء بالكل. كما يحال إلى بعض القواميس والمعاجم والإصحاحات شرحاً للجزء بالكل وللعمل بباقي الأعمال ويتوجه الشرح إلى القارئ بلفظ «اعلم» في صيغة الأمر.^{٨٧}

(٨) «شرح الحكم العطائية» لزروق (٨٩٩هـ)^{٨٨}

وقد تكون الحكم العطائية أكثر الفصوص الصوفية شرحاً مثل مقدمة ابن الحاجب في علم أصول الفقه. وهي أكثر شرحاً من «الإحياء» و«الفتوحات» و«الفصوص». مؤلفها سكندري وليس قاهرياً. ومع ذلك ذاعت كنص مشروح لصياغتها الأدبية، ومضمونها الأخلاقي، وصيغتها العملية. ربما لأنها وعظ ديني في حاجة إلى بنية عقلية، وتحويلها من التصوف العملي إلى التصوف النظري، ومن الأخلاق إلى الفلسفة.^{٨٩} وربما لوضعها مئات الحكم في فصول أصغر، خمسة وعشرين فصلاً. والسؤال هو: لماذا خمسة وعشرون فصلاً؟ وتنقسم المناجاة إلى فصلين فقط. وهي خالية من القسمة لصعوبة ذلك.

ويعني الشرح هنا «التفسير» بالمعنى التقليدي أي الشرح الأكبر، فصلاً بين النص المشروح والنص الشارح كما هو الحال في تفسير القرآن. يبدأ النص الشارح بلفظ «قلت» تمييزاً له عن النص المشروح. والآيات في «المناجاة» قليلة لأن المناجاة كشكل أدبي إبداع فني خالص. وتكرر بعض الحجج النقلية أكثر من مرة.^{٩٠} وتأتي مادة الشرح كالعادة من القرآن والحديث. والقرآن أكثر من الشعر ثم الحديث أقلها.^{٩١} كما يتم الاعتماد على أقوال الصوفية كتراث متراكم في الوعي التاريخي. ويحال إلى باقي مؤلفات المشروح مثل «التنوير» و«لطائف المنن» وإلى مؤلفات الشارح مثل «التنبيه» لاستكمال الموضوع.^{٩٢}

^{٨٧} ذكر حوالي أربعين مرة.

^{٨٨} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ.

^{٨٩} القسمة العقلية حوالي (٢٦)، شرح الحكم العطائية، ص ١٦، ١٨، ٢٠-٢١، ٢٣، ٢٩، ٣١، ٤١-٤٢، ٧٠، ٧٣، ٧٩، ٩١-٩٢، ١٠٨-١٠٩، ١١٣، ١٤٤، ١٧٢، ١٨٤، ١٩٣-١٩٤، ٢٠٥، ٢١١، ٢٢١، ٢٢٧.

^{٩٠} السابق، ص ١٨٦، ٢٢٠، ٢٤٢.

^{٩١} الآيات (١٥١)، الأشعار (٥٣)، الأحاديث (٤٤).

^{٩٢} التنوير، شرح الحكم العطائية، ص ١٧، ٣٩، ٦٩، ٨٥، ١٤٣. لطائف المنن، السابق، ص ٥١، ٥٤، ٩٦،

١٠٢، ٤٠١، ٢٠٥، ٢٠٧، التنبيه، شرح الحكم، ص ١٨٧.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

وتؤخذ بعض الاقتباسات والدلالة عليها بلفظ «انتهى».^{٩٣} ويستشهد بأحمد بن حنبل دون صراع موهوم بين الفقهاء والصوفية.^{٩٤}

(٩) «شرح الرسالة القشيرية» لذكرى الأنصاري (٩٢٦هـ)^{٩٥}

وهو شرح ضخم في أربعة أجزاء، بين المؤلف والشارح ما يقرب من خمسة قرون، يتبع نفس التقسيم الثلاثي للرسالة: أسماء الأعلام، والألفاظ والمصطلحات، وأدب الشيخ والمريد. وهو من نوع الشرح الأكبر أي الفصل بين النص المشروح والنص الشارح بلفظ القول في صيغة «قوله» دون ذكر القول كله. ولا يذكر الدافع على الشرح. ربما كان تمريناً علمياً أو متطلباً دراسياً أو نيل درجة. فالشارح شيخ الإسلام، وأحياناً يجادل الشارح الفرق الكلامية، وينكر آراء المعتزلة أي القدرية.^{٩٦} ويتم الشرح على نفس المستويات الثلاثة للنص، اللفظ وهو الشرح اللغوي، والمعنى هو البيان والتوضيح، والموضوعي وهو كشف الموضوع ذاته. وتأتي مادة الشرح من القرآن ثم الشعر ثم الحديث.^{٩٧} كما يعتمد الشرح على مادة سابقة يقتبس منها بعلامة «أه» أي انتهى.^{٩٨}

(١٠) «شرح فصوص الحكم» لابن عربي لمصطفى باني زاده الحنفي (٩٦٠هـ)^{٩٩}

«والشرح بعد المتن بأكثر من ثلاثة قرون، عبارة بعبارة، ولفظاً بلفظ دون مقدمة نظرية تضع الغاية من الشرح ومنهجه وأسلوبه وسببه. والمتن من أكثر المتون شروحاً مع الحكم

^{٩٣} السابق، ص ٤٦، ٥٧، ٩٠، ٩٦، ١٤٦، ١٤٩، ١٥٠، ١٦١، ١٩٠، ٢٠٨، ٢١٦، ٢٢٦، ٢٣٦، ١٩٢، ٢٢٥.

^{٩٤} السابق، ص ٨٧.

^{٩٥} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م، ١٤٢٠هـ (٤ أجزاء في مجلدين).

^{٩٦} السابق، ص ٨١.

^{٩٧} القرآن (٦٨)، الأشعار (١٨)، الأحاديث (١٠).

^{٩٨} شرح الرسالة القشيرية، ص ١٠، ١٤.

^{٩٩} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م/١٤٢٤هـ (على الغلاف ١٠٦٩).

العطائية. ويوضح اللفظ المنقول باللفظ المعرب مثل الحسبانية أي السوفسطائية.^{١٠٠} لذلك أتى الشرح بلا هدف، مجرد تحصيل حاصل، دون قراءة أو تأويل أو نقد. وتوجد صفحات طويلة من المتن بلا شرح.^{١٠١} ويتبع الشرح نفس تبويب المتن. يضيف أحياناً قسمة عقلية مثل شرح كلمة نص في أربعة معانٍ.^{١٠٢} وفي النهاية يتم مدح الشارح والمشروح والسلطان. فالمشروح هو القطب، والشارح هو خليفة الصوفية. والسلطان الخاقان الأضخم خليفة الله الأعظم.^{١٠٣} ومادة الشرح القرآن والحديث دون الشعر أو أقوال الصوفية. والقرآن أكثر من الحديث لأنه المصدر الأول للتصوف.^{١٠٤} وبالرغم من أن المتن به أيضاً مصادره في القرآن والحديث إلا أن الشرح يزيد من الفصوص. وقد يكمل الشرح آية المتن. ويعتمد على تفسير البيضاوي.^{١٠٥}

^{١٠٠} السابق، ص ١٧٤.

^{١٠١} السابق، ص ١٥٢-١٥٦، ٢٩٣-٢٩٤.

^{١٠٢} السابق، ص ١٨.

^{١٠٣} صاحب المتن هو سيدنا قطب الوجود، حاتمي الأصل والعلم، معدن الفضل والجود، الإمام الرباني، الشيخ الأكبر، الغوث، الفرد، الصمداني، الكبريت الأحمر، سيدي ومولاي ووسيلتي ومنتماي ...»، السابق، ص ٣٢٦. والشارح لفصوص الحكم «بيد أنه كنز مغلق مطلسم، جلي العبارة، خفي الإشارة. فقد انتدب الجسم الفقير لفتح كنوزه، وحل مشكلات رموزه. وكان من جملة من أتى بالشرح المفيد، وذكر ما ليس عليه بمزيد، بشر زمانه وجنيد عصره وأوانه، العلامة الفاضل، الفهامة الكامل الشيخ بالي أفندي ... المعيد المبدي المكنى بخليفة الصوفية ...» السابق، ص ٣٢٦، وقد طبع الكتاب «بعون الملك الوهاب في عصر حضرة سلطاننا الأعظم وخابقانا الأضخم خليفة الله الأعظم على أفراد بني الإنسان ثاني الحميد بن صرامة وجزماً من ملوك آل عثمان من بسط رعيته سحائب الأمن والأمان فأصبحت الرعية ساكنة في ظل الأمان، داخلة في ثوب العز والامتنان، المؤيد المظفر، المعان المحفوف بعناية الملك الديان، بدر الملة الإسلامية، مجدد الدولة العثمانية، المحفوظ بالقرآن والسبع المئان، مولانا السلطان بن السلطان بن السلطان الغازي (عبد المجيد) خان الثاني. خلد الله أيام خلافته ما تعاقب الشهور والسنون، وأجرى أحكام سلطنته في أكناف الربيع المسكون، وحفظه وذريته وعائلته ومن يلوذ به ومملكته بالسبع من الست في الخمس من كل الآفات، بجاه فاء الفتح وطاء الطمس وعناية أهل الإشارات ...»، السابق ص ٣٢٦.

^{١٠٤} الآيات (٢٣٦)، الأحاديث (٦)، القدسية (١).

^{١٠٥} شرح فصوص الحكم، ص ٢٠٨.

(١١) «أشرف الرسائل إلى فهم الشمائل» لابن حجر الهيتمي (٩٧٤هـ)^{١٠٦}

وهو شرح لمتن «الشمائل النبوية» لأبي عيسى الترمذي الضرير (٢٧٩هـ). وبين النصين سبعة قرون. ولا يذكر لفظ الشرح في العنوان. وهو شرح عبارة عبارة بل لفظ لفظ مع زيادة في الروايات الخيالية عن حياة الرسول، مولده وجسده وطعامه وشرابه، خلطاً بين الخاص والعام، بين الإنسان والنبي. وكلها روايات وليست أقوالاً مباشرة له، حكايات عنه وليست كلاماً منه. لا فائدة منها. وأخبار كلها ضعيفة.^{١٠٧} يعتمد على الحديث والقرآن وحدهما دون الشعر أو أقوال الصوفية.^{١٠٨} ولا يوجد سبب معين للتأليف. ونظراً لتركيزه على شخص الرسول فإنه يمكن تصنيفه في علم السيرة وليست في علم التصوف لغياب الصوفية، أعلاماً ونظريات. ويخلو من الإسرائيليات مع أن المجال متسع في قصص الأنبياء والتنبؤ به في الكتب المقدسة السابقة. ويذكر من الصوفية القليل مثل الغزالي، ومن الفقهاء الشافعي والسبكي. ومن علماء القرآن الزركشي. ومن الفرق المعتزلة.^{١٠٩}

(١٢) «شرح حكم الشيخ الأكبر» لملا حسن القادري

الدمشقي الشافعي (١١٤٨هـ)^{١١٠}

وبين المتن والشرح أكثر من خمسة قرون. والشرح حكمة حكمة ثم لفظاً لفظاً بعد تقطيع الحكمة على ألفاظ ... والمحقق يطيل شرحه في الهوامش زيادة في التعامل. ومع الحكم تضاف الاقتباسات الإلهية وشرح لحديث وقواعد للتربي.^{١١١} ويبدأ الشرح بمقدمة

^{١٠٦} دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م/١٤١٩هـ.

^{١٠٧} يشمل المتن ستة وخمسين باباً عن خلقه وخاتمه وشعره وترجله وشيبه وخضابه وكحله ولباسه وعيشه وخفه ونعله وسيفه ودرعه وعمامته وإزاره ومشيته وجلسته، وتكأته وأكله وخبره وأدابه ووضوئه وتسميته على الطعام وقدحه وفاكهته وشربه وتعطره وكلامه وضحكته ومزاحه وسحره ونومه وعبادته وتطوعه وصومه وقراءته وبكائه وفراشه وتواضعه وخلقته وحيائه وحجامة وأسمائه وعيشه وسنة وفاته وميراثه ورؤيته.

^{١٠٨} الأحاديث (١٦٨)، الآيات (٩٤).

^{١٠٩} الشافعي (٢)، الغزالي، الزركشي، السبكي (١)، المعتزلة (٢).

^{١١٠} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ.

^{١١١} الحكم (١٦٠)، الاقتباسات الإلهية (١٠٠)، شرح حديث (٢٠)، قواعد التربي (٣٩).

نظرية طويلة عن تأويل الحروف، وهو الموضوع الأثير عند ابن عربي.^{١١٢} ويغرق الشرح في الإشراقيات الكونية. فأسماء الأفلاك مشتقة من أسماء الأنبياء^{١١٣} وبطبيعة الحال يتم الشرح بالقرآن والحديث والشعر واقتباسات من أقوال الصوفية.^{١١٤} وتنتهي الاقتباسات بلفظ «انتهى» أو «انتهى ملخصًا». وتختلط أقوال الرسول بأقوال أفلاطون مثل «مت بالإرادة تحيا بالطبيعة». وأهم الصوفية الجيلي ثم ابن عربي وإبراهيم المتبولي والجنيد ثم الشعرائي والجامي والكرخي والبسطامي وابن عطاء وغيرهم.^{١١٥} كما تستعمل باقي مؤلفات ابن عربي لشرح ابن عربي بابن عربي خاصة بالإحالة إلى «الفتوحات» و«الفصوص» بآيات وأحاديث وأشعار أكثر مما هو موجود في المتن. كما يستعمل شعر ابن عربي في شرح حكمه. وتذكر معلومات تاريخية عن صاحب المتن، ميلاده ووفاته وأعماله وشيوخه وتلاميذه، ومناقبه وكرامته.^{١١٦} وتستعمل بعض الإسرائيليات في روايات الأنبياء السابقين خاصة موسى وعيسى^{١١٧} ومع ذلك لا يخلو الشرح من القسمة العقلية وإعطاء بعض التعريفات النظرية.^{١١٨} والحكم نظرًا لبساطتها ليست في حاجة إلى شرح. قوتها في قصرها وتركيزها ومخاطبتها الوجدان مباشرة بعبارة شرطية، فعل الشرط وجواب الشرط. هي دعوة إلى الفعل وليس إلى الفهم. وهي مثل «جوامع الكلم» للرسول، بلاغة وحكمة. وتتمثل بلاغتها في محسناتها البديعية خاصة الجناس والطباق وكأنها شعر منثور. وما زال الخطاب موجهاً إلى القارئ وكأن الشرح ما زالت له رسائل ليتأملها.^{١١٩} ويحذر الشارح من القرن العاشر وقد أتى بعده بقرنين. هل لدورة ألفية في التاريخ كما هو معروف في تاريخ الأديان بالرغم من أن الدورة الإسلامية مائة عام،

^{١١٢} شرح الحكم، ص ١٣-٢٨.

^{١١٣} السابق، ص ١٨٣.

^{١١٤} الآيات (٣٣٠)، الأحاديث (١٤١)، القدسية (١٠)، الأشعار (٦٨).

^{١١٥} الجيلي (٣)، الجنيد، ابن عربي، إبراهيم المتبولي (٢)، الجامعي، الكرخي، الأشعاراني، إبراهيم الخواص، ابن عطاء الله، أبو طالب المكي، البسطامي، الهروي الأنصاري.

^{١١٦} شرح الحكم، ص ٩-١٢.

^{١١٧} السابق، ص ١٨٣.

^{١١٨} السابق، ص ٢٢٧، ٢٣١، ٢٨٥، ٢٢٩.

^{١١٩} السابق، ص ٢٤٣.

قرن من الزمان؟^{١٢٠} هل هو عصر الفتن والأهوال بالرغم من أنه ليس أكثر هولاً من القرن السادس وتدمير بغداد؟ والحروب الصليبية واحتلال الفرس لم تبدأ بعد. ويبدو أن النصيحة في وقت الفتن الاختباء والانعزال.

(١٣) «إحياء القلوب»، شرح الشيخ عبد القادر الراجعي الفاروقي الطرابلسي على حكم شيخه سيدي محمود الكرخي الخلوتي (١١٩٥هـ)^{١٢١}

وهو شرح عبارة عبارة، وليس لفظاً لفظاً. يتجاوز الشرح اللغوي النحو القاموسي الاشتقاقي للألفاظ إلى الشرح الموضوعي. فاللفظ مثل «الزهد» أو «التوكل» ليس مجرد لفظ له معنى بل يحيل إلى موضوع يعرضه الشارح ويؤلف فيه تأليفاً مستقلاً. يحتاج إلى المتن فقط كنقطة بداية، كمرشد ودليل، والاعتماد على شيء سابق، نظراً لعدم القدرة على وضع شيء جديد لنهاية عصر الإبداع وبداية عصر النقل. فالأصل عند القدماء، وليس للمحدثين إلا التهميش على المتن القديم، ربما لضعف العقل أو نقص في اليقين. وتتوالى الموضوعات متناثرة طبقاً لورودها في النص، ودون وضعها في أبواب وفصول. المتن عكاز، أو «مسند» للشرح. هو الذي يعطي الموضوع. والشرح تجميع لمواد عدة من القرآن والحديث والشعر وأقوال الصحابة والصوفية، قدماء ومحدثين.^{١٢٢} ويتقدم الصوفية ابن عربي، وابن عطاء الله السكندري والشعراني، ثم الجيلي والشاذلي، ثم مالك بن دينار، وإبراهيم بن أدهم، وبشر بن الحارث والغزالي وغيرهم.^{١٢٣} وتتخذ اقتباسات منهم بالعلامة (أ.هـ). كما يحال إلى مصادر مدونة.^{١٢٤} ويعتمد على الإسرائيليات وأقوال الأنبياء خاصة عيسى وموسى.^{١٢٥} وجاء الشرح بناء على رؤية الرسول في المنام. ويصنف

^{١٢٠} هذه هي الحكم الثلاثة، (٩٣) «في القرن العاشر من الأهوال ما يكفي عن المقال»، (٩٤) «في العاشر من القرون كن في الخمول مدفون»، (٩٥) «في العاشر من القرون تسوء بالصالحين الظنون»، السابق، ص ٣٤٦-٣٤٧.

^{١٢١} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ.

^{١٢٢} الآيات (٢٦٠)، الأحاديث (٢٥٥)، القدسية (٥).

^{١٢٣} ابن عربي، ابن عطاء الله السكندري، الأشعراني (٣)، الشاذلي (٢)، مالك بن دينار، إبراهيم الدسوقي، القشيري، إبراهيم بن أدهم، بشر بن الحارث، ابن السماك (١).

^{١٢٤} مثل: الأنوار القدسية في آداب العبودية للشعراني، السابق، ص ٩٧.

^{١٢٥} السابق، ص ١٦، ١٨، ٥٤. وتقتبس أقاويل من الجنيد والسقاف، وأبي مدين والجيلي.

كثيراً من مناقب المشايخ وكراماتهم.^{١٢٦} ومع ذلك لا يخلو الشرح من بعد التحليل العقلي مثل رصد بعض الموضوعات وإحصائها^{١٢٧} وأهم الموضوعات التي تناولها الشرح من التصوف الخلقي الجوع والحسد والغل والتكبر والجود والجهل، ومن الأحوال الخوف واليأس. ومن التصوف النظري نور الحق. ومن التصوف العملي الذكر والتفكير والعزلة، والطاعة، والمجاهدة، والجماعة.

(١٤) «توضيح المرام ومسرح الأفهام» للشيخ حسين بن آدم (١٣٣٥هـ)^{١٢٨}

والمتن هو «تنبيه الأنام في الصلاة على خير الأنام» لعبد الجليل بن عظم القيرواني (٩٦٠هـ). فبين المتن والشرح حوالي أربعة قرون. وهو بلا هدف إلا تجميع العلوم لإظهار علم العالم المنقول. لا جديد فيه، في حين أن تحميل المتن بشرح واقتباسات إضعاف له وإغماض لأثره وتقويض لمباشرته. لا قيمة له من حيث الموضوع. بل يكشف عن الذات، عقلية الشارح وطبيعة الحضارة المتأخرة. وهو شرح لفظ بلفظ للتأييد وليس للمعارضة. فلا توجد شروح معارضة من الأساس. كلها تأييد وتقريظ ومدح في المتن وصاحبه. وهو الدافع على الشرح. بالإضافة إلى الصدقة الجارية على أبيه وأمه.^{١٢٩}

وموضوعاته كلها حول شخص الرسول، ولادته ورضاعته ونسبه ونوره وانتقاله من صلب إلى صلب، والصلاة عليه وإطلاق ألقاب السيد والمولى والمحت والحافظ عليه، وأسمائه وصفاته وشماله وخصائصه وفضائله وأخلاقه وصفاته الحية، وعلو قدره على سائر الأنبياء، والإسراء والمعراج، وإخباره بالغيب. وما رآه بالعين، والدعاء لتفريج الكرب، وكراماته ومعجزاته ودعوته وأدعيته وعصمته وأوامره، ومقالاته ومناقبه وإمامته وأفعاله، وحسن الظن به والاشتياق إليه ... إلخ. ومن ثم تتحول الرسالة إلى الرسول، والنبوة إلى النبي.

^{١٢٦} السابق، ص ٧.

^{١٢٧} مثل إحصاء فوائد الجوع، ص ٥٧-٥٩.

^{١٢٨} دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٣م/١٤٢٤هـ.

^{١٢٩} هذا شرح وجيز مفيد إن شاء الله تعالى، وضعته على كتاب «تنبيه الأنام على خير الأنام» مع الثناء والمدح بما تضمنه خير الأنام تأليف الشيخ الإمام الجليل محمد بن أحمد بن عظم القيرواني المغربي. ولم أر من شرحه غيري. فأكون أنا الذي حل مغلقه ... وما حملني على شرحه الآن إلا إرادتي أن يكون لأبي حبيب بن آدم وأمي فاطمة بنت عبد الله من الصدقة الجارية ...، السابق، ص ٤.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

وتعتمد مادة الشرح على الحديث أولاً ثم القرآن ثم الشعر.^{١٢٠} وهو شرح ضخم في جزأين.^{١٢١}

(١٥) «سراج الطالبين على منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين للغزالي» لأحمد دحلان (١٣٦٠هـ)^{١٢٢}

وهناك ثمانية قرون بين المتن والشرح مما يدل على أن الزمان ليس عاملاً مؤثراً في اختيار المتن المشروح، قصر أم طال. وهو شرح مطول للغاية، لفظاً بلفظ كما تدل على ذلك محتويات الكتاب وحجم الشرح الذي يفوق ثلاثة أضعاف المتن. المتن في أعلى الصفحة. والشرح في أسفلها، أسوة بالمحدثين. يخلو من الفكر أو التأويل، مجرد تجميع لمواد من علوم الحديث والفقه دفاعاً عن التصوف ضد منتقديه، وإرجاعه إلى العلوم العقلية، وإفراغه من العلوم النظرية والذوقية.^{١٢٣} ويتم الاستطراد في علم الكلام لإدخال التصوف في علم العقائد، وبالتالي إضفاء الشرعية عليه.^{١٢٤} ويتطرق إلى موضوعات كلامية وفقهية وصوفية دون الفلسفية وباقي العلوم المشبوهة. والتصوف في النهاية فرقة من الفرق الكلامية.^{١٢٥} ولإبراز أهمية بعض الشروح تستعمل ألفاظ مثل «فائدة»، «فائدة جلية»، «تنمة»، «تنبيه»، «غريبة» ... إلخ.^{١٢٦} ويعترف الشارح بأن جهده ما هو إلا في الجمع من كلام العلماء الراسخين، يأخذ الصائب، ويترك الشارد بالرغم من عدم أهليته للحكم. وهذا أقصى جهده في التأليف. والجمع هم وحزن.^{١٢٧}

^{١٢٠} الأحاديث (١٦٠)، الآيات (٨٠)، الأشعار (٢٤).

^{١٢١} ج ١ (٤١١ص)، ج ٢ (٤١٣ص).

^{١٢٢} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ.

^{١٢٣} «قال ويعجبني من هذا الفقيه الذي استلب التصوف علمه وعقله أكثر مما يعجبني من هذا المستلب للثياب من الحمام. فيا ليت أبا حامد بقي مع القواعد الفقهية، واستغنى عن هذه الهذيان. والجواب عن هذا كله أن القوم مجتهدون في إحكام الطريق»، السابق، ج ١، ص ٣٠.

^{١٢٤} السابق، ج ١، ص ٣٩.

^{١٢٥} السابق، ج ١، ص ٣٠٣.

^{١٢٦} السابق، ج ١، ص ٩٤، ١٠٣، ١١٥، ٤٥٥.

^{١٢٧} «وما لي في هذا المجموع إلا التقلل والجمع من كلام العلماء الراسخين: والصلحاء العارفين. فإذا رأيت صواباً فمن هؤلاء الأعلام. وإن رأيت خللاً فمن وهم صدر مني لشروء الأفهام لعدم تأهلي لذلك،

والشارح على وعي بالشرح ويبرز اللفظ أكثر من مرة.^{١٣٨} وتأتي مادة الشرح من القرآن والشعر والحديث.^{١٣٩} ويضاف ما يضاف إلى الآيات كأسباب النزول. وتذكر الأسانيد مع المتن زيادة في جمع المادة. وتكثر الأحاديث عن الله مثل الأحاديث القدسية، وأحاديث الرسول في المنام.^{١٤٠} وتقتبس فقرات عديدة من المصادر المدونة مع علامة «أ.هـ» أو تلخيصها «انتهت عبارته ملخصاً». ^{١٤١} ومنها القواميس.^{١٤٢} ويتم شرح الغزالي بالغزالي بالإحالة إلى باقي مؤلفاته خاصة الإحياء ومعراج السالكين، ويحال إلى عديد من أعلام الصوفية ابتداء من أقوال الصحابة والتابعين والفقهاء والمحدثين. فالكل صوفية. والصوفية منهم ومعهم. ويحال إلى عديد من المصادر الفقهية عن العلم.^{١٤٣} كما يعتمد على الإسرائيليات في تاريخ النبوات. فالوحي متصل بصرف النظر عن درجة صحته التاريخية.^{١٤٤} وأحياناً يكون الشرح متصلًا دون تدخل أجزاء المتن المتقطعة. يعتمد على القسمة العقلية بالتصنيف. وتخلو من المنقول.^{١٤٥}

وقصوري عن الوصول إلى ما هنالك. فالمتصدي للتأليف والمعتني بالتصنيف ولو بلغ السها في النهي فقد استهدف. ومن أنصف أسعف. والله در بعض الأكياس حيث قال: من صنف فقد وضع عقله في طبق وعرضه على الناس. لا سيما من كان مثلي قليل البضاعة، في كل علم وصناعة. على أنني والله عز وجل يعلم في أكثر من مدة جمعي له في هم وحزن، مع قلة المعين والناصر والمنبه والمذاكر. فإن تصفح الناظر فيه الغلط فليصفح. ولا يكن من أناس بالأغاليط يفرحون. وليصلح بعد التأمل ما يجده فاسدًا...» السابق، ص ٣-٤.

^{١٣٨} «شرح لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وما جاء في فضلها»، السابق، ج ١، ٦١، «شرح علم المكاشفة...»، السابق، ص ٦٢، باب شرح العقبة الثالثة وهي عقبة العوائق»، «سراج الطالبين على منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين للغزالي» لأحمد دحلان (١٣٦٠هـ)، ص ١٦٣.

^{١٣٩} الآيات (٩٦٠)، الأشعار (٣٢٨)، الأحاديث (٢٨٠).

^{١٤٠} سراج الطالبين ج ١، ٤٧.

^{١٤١} السابق، ص ٥٨.

^{١٤٢} السابق، ص ٨٠.

^{١٤٣} مثل «بيان العلم وفضله» للقاضي ابن عبد البر، السابق، ص ٨١، ٨٥.

^{١٤٤} السابق، ص ٧٢.

^{١٤٥} السابق، ص ٧٥-٧٧، ٨٤-٨٥، ٩٩-١٠٠، ١٨٥.

وإذا كان المتن يتضمن سبعة أبواب في سبعة أبواب في سبعة عقبات فإن الشرح يعطي أكبر قدر ممكن من التفاصيل والمعلومات عنها.^{١٤٦} همه تعريف التصوف تعريفاً شرعياً وشرح مبادئه.^{١٤٧} ويتجه الشرح نحو شخص صاحب المتن، الغزالي، مجدد القرن الخامس الهجري، مولده ووفاته وكفنه وأعماله وإرثه.^{١٤٨} وتظهر بعض موضوعات الكلام مثل الاستدلال بالصنعة على الصانع والنظر والاستدلال بالذات والصفات والأفعال والأخرويات وقصص الأنبياء، يضاف إلى ذلك نقد الفرق الكلامية كالمعتزلة.^{١٤٩} ثم تبرز الموضوعات الصوفية من التصوف الخلقي، الرذائل مثل العجب والرياء، والفضائل مثل التقوى والصمت والإخلاص وخواطر النفس، ومن التصوف النفسي المقامات والأحوال، مثل التوبة والتوكل والرضا والشكر والفقر وأفعال القلوب. ومن التصوف النظري وفي مقدمتها شخص الرسول، والحقيقة المحمدية، يضاف إليها معجزات الرسول، ومدح الرسول. ومنها القرب من الله ومناجاته، والأبدال والأقطاب، وأحوال الطريق والعزلة والصحبة. ويظهر التصوف كنقد لأحوال العصر سواء في المتن أو الشرح مثل الانكباب على الدنيا. فالتصوف رد فعل على أوضاع البذخ والترف التي سادت حياة المسلمين.^{١٥٠}

(١٦) «تنبيه العارف البصير على أسرار الحزب الكبير لأبي الفيض الزبيدي (١٢٠٥هـ)»^{١٥١}

وهو شرح لفظي، لفظاً بلفظ، بعد كتابة شرح مختصر وصياغته. كتب هذا الشرح، وسطاً بين الإخلال والإطالة، ومعتمداً على مصادر سابقة. وهو حزب البر في مقابل حزب البحر. وفضائله كثيرة في الوصول إلى الغاية القصوى، وهي النجاة في الآخرة. ويعتمد

^{١٤٦} السابق، ج ١، ٥، ٢٣٢، ٢٣٤.

^{١٤٧} السابق، ص ٧-٩.

^{١٤٨} «من الدقائق التي أنكرها المنكرون وطعنوا فيها على الإمام الغزالي ما دفعت في مواضع من الإحياء»، السابق، ص ٢٥-٣٢.

^{١٤٩} السابق، ص ٨٦-١٢٥ ج ٢، ٣٣٢-٣٣٤.

^{١٥٠} «اعلم أن هذا الزمان قد أصبح في فساد عظيم»، السابق، ص ٢٠٥-٢٠٦.

^{١٥١} دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٣م/١٤٢٣هـ، ص ٣٢-١٠٩.

على القرآن والحديث والشعر وأقوال الصوفية.^{١٥٢} وفي مقدمة الصوفية المغيلي ثم ابن عربي (الشيخ الأكبر) ثم الترمذي والمروزي ثم الجنيد وآخرون.^{١٥٣} وتقتبس أقوال تنتهي بلفظ «انتهى». ومن الفرق المعتزلة والأشاعرة، ومن الأنبياء يذكر يوسف. وتستعمل أحياناً القسمة العقلية.^{١٥٤} ويقوم أحياناً على بعض التجارب الشخصية.^{١٥٥} وتظهر في الأسلوب بعض ألفاظ التلخيص والمراجعة مثل «وحاصله».^{١٥٦}

(١٧) شروح ابن عجيبة (١٢٢٤هـ)

(أ) «شرح صلاة القطب ابن مشيش»:^{١٥٧} ولا يوجد سبب خاص للتأليف إلا جمع المعلومات لإثبات علم الشارح بناء على طلب أحد المشايخ.^{١٥٨} والشرح لفظ بلفظ مع مقدمة عامة عن حكم صاحب النص قبل تقطيعه^{١٥٩} ومادة الشرح كالعادة من الشعر ثم القرآن ثم الحديث.^{١٦٠} ويعتمد الشرح على مصادر مكتوبة يقتبس منها، والإشارة إلى ذلك بعلامة «ا.هـ». ويضيف إلى زكريا همزة كما يضيفها إلى ابن سينا تعالماً خاطئاً. ومن الصوفية يذكر الحلاج وابن الفارض. ومن المؤرخين ابن خلدون.^{١٦١}

(ب) «الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية»:^{١٦٢} واستمر الشرح لفترة متأخرة وما زال مستمراً. فالعقلية الشارحة نتيجة الشروح المستمرة أصبحت طبعاً

^{١٥٢} الآيات (١٣٢)، الأحاديث (٦)، القدسية (١)، الأشعار (٢).

^{١٥٣} المغيلي (٥)، الترمذي (٤)، ابن عربي (٢)، الجنيد، الصيرفي، المحشي (١). ومن الصحابة الحسن بن علي (١). ومن الفرق: المعتزلة، الأشاعرة (١). ومن الأنبياء يوسف (١).

^{١٥٤} تنبيه العارف، ص ٤٣، ٦٥-٦٦.

^{١٥٥} السابق، ص ٥٧.

^{١٥٦} السابق، ص ٤٩.

^{١٥٧} اللطائف الإيمانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ (٣) ص ١٤٣-١٧٩.

^{١٥٨} السابق، ص ١٤٣.

^{١٥٩} السابق، ص ١٤٣-١٤٩.

^{١٦٠} الأشعار (٢٢)، الآيات (١٨)، الأحاديث (٣)، القدسية (١).

^{١٦١} الحلاج، ابن الفارض، ابن خلدون (١).

^{١٦٢} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م/١٤٢٠هـ.

وعادة. والمتن هو «المباحث الأصلية» لابن البنا السرقسطي. أراد الشارح أن يضع له شرحاً متوسطاً ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل، يبين المعنى ويحقق المبنى.^{١٦٣} ويتبع طريقة الشرح المعروفة، تقطيع المتن إلى المتناهي في الصغر، لفظاً لفظاً بل وحرفاً حرفاً، واتخاذ اللفظ تكأة يستند عليها لجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات من المصادر المدونة عليها بما في ذلك المعاني اللغوية للفظ وليس فقط المعاني الاصطلاحية. والعنوان مستمد من ابن عربي. ومع ذلك لا جديد فيه. كله حشو وجمع وتراكم، دون قراءة أو تأويل أو تجاوز أو نقد. يدافع عن التصوف ضد منتقديه. ومن ثم يسير في اتجاه معاكس للموقف الإصلاحى الناقد للتصوف مثل إقبال والأفغانى. الأنبياء صوفية، والصحابة صوفية، وكل العلماء صوفية. ويشفعه برسم توضيحي.^{١٦٤} الشرح هنا تأليف غير مباشر وتأليف بالمعنى المتأخر. هو تجميع لمعلومات سابقة خشية من الاندثار في الذاكرة الجمعية بعد الغارات على العالم الإسلامى من الغرب أولاً ومن الشرق ثانياً. وأحياناً يظهر نقد العصر بين الحين والآخر وهو ما سماه أحد الشيوخ «فساد الوقت».^{١٦٥} ويعتمد على الشعر والقرآن والحديث.^{١٦٦} كما يحيل إلى عديد من أعلام الصوفية ومؤلفاتهم وفي مقدمتهم زروق ثم السلمى ثم الجنيد ثم إبراهيم بن أدهم والقشيري والسري السقطي والغزالي والشاذلي وغيرهم.^{١٦٧} ومن الأعمال الصوفية يتقدم

^{١٦٣} السابق، ص ٤.

^{١٦٤} السابق، ص ١٣.

^{١٦٥} «وهي صورة دوائر الحس، النقطة الحصرة، والدائرة الأولى للنبين، والثانية للصدّيقين وهم الأولياء، والثالثة للشهداء وهم السائرون، والرابعة للصالحين ومن ورائهم علماء المسلمين».



^{١٦٦} الأشعار (٣٠٦)، الآيات (١٩٢)، الأحاديث (١٣٠).

^{١٦٧} زروق (١٤)، السلمى (٦)، الجنيد، أبو مدين (٥)، التستري (٤)، إبراهيم بن أدهم، القشيري، البوصيري، السري السقطي، الشاذلي، الغزالي (٣)، ذو النون (٢)، مالك بن دينار، يحيى بن معاذ، ابن عربي، علي الجمل، الفضيل بن عياض، حمدون القصار، بشر الحافي، السهروردي (١).

«الحكم» و«لطائف المنن» ثم «عوارف المعارف»، ثم «قوت القلوب».^{١٦٨} ومن الطرق الصوفية يتقدم الشاذلية.^{١٦٩} ومن الوافد يظهر بقراط وجالينوس للتعالم.^{١٧٠}

(ج) «شرح صلاة الشيخ الأكبر»: ^{١٧١} صاحب المتن هو الشيخ الأكبر وصاحب الشرح العبد الفقير إلى مولاه الغني عما سواه. والصلاة أوب إلى الوجدان في حين أن الشرح أقرب إلى العقل. ومن ثم فالصلاة لا تُشرح بل تمارس. وتظهر بعض المصطلحات في الشرح في حاجة إلى شرح آخر مثل «الذات المطلسم»، ويتجه الشرح نحو «الحقيقة المحمدية» أحد أشكال «الحقيقة المحمدية»، فالشرح عقائدي سابق على النص المشروح. الشرح مجرد مناسبة أو آلية أو ذريعة لتعليق عقائد الصوفية المتأخرة عليه. ومادة الشرح من الشعر والحديث والقرآن.^{١٧٢} ويحال إلى بعض الصوفية مثل ابن عربي ثم ابن مشيش والبوصيري.^{١٧٣}

(د) «شرح بعض مقتطفات التستري»: ^{١٧٤} وهو شرح على بعض مقتطفات وليس على نص كامل. ويذكر المقتطفات واحدًا تلو الآخر يتخللها الشرح. وأحيانًا يقطع المقتطف إلى ألفاظ، وتضاف معلومات خارجية على المتن، حياة صاحب المتن ومؤلفاته وأساتذته. ويعتمد الشرح على الشعر والقرآن والحديث.^{١٧٥} كما يعتمد على اقتباسات بعض الصوفية مثل ابن سبعين ثم الجنيد وابن عطاء الله وصاحب العينية والشاذلي والتستري.^{١٧٦} وينتهي كل اقتباس بعلامة «ا.ه».

(هـ) «إيقاظ الهمم في شرح الحكم»: ^{١٧٧} والشرح هنا مثل التفسير أي الشرح الأكبر فصلًا بين النص المشروح والنص الشارح. والشرح حكمة حكمة. وإذا طالت الحكمة

^{١٦٨} «الحكم» (٥)، لطائف المنن (٤)، عوارف المعارف (٣)، قوت القلوب (١).

^{١٦٩} الطرق الصوفية: الشاذلية (٣).

^{١٧٠} الفتوحات الإلهية، ص ٩٣-٩٤.

^{١٧١} اللطائف الإيمانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ (٦) ص ٢٥٩-٢٦٦.

^{١٧٢} الأشعار (٨)، الأحاديث (٢)، الآيات (١).

^{١٧٣} ابن عربي (٣)، ابن مشيش، البوصيري (١).

^{١٧٤} اللطائف الإيمانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ (٨) ص ٢٩٧-٣١٨.

^{١٧٥} الأشعار (١٢)، الآيات (٧)، الأحاديث (٥).

^{١٧٦} ابن سبعين (٢)، الجنيد، ابن عطاء الله، صاحب العينية، الشاذلي، التستري (١).

^{١٧٧} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ. يأتي شرح ابن عجيبة تاليًا لشرح زروق مع أن هناك شروحًا أخرى سابقة عليه مثل شرح مشكلات الفتوحات للجيلي (٨٣٢هـ) و«شرح الفصوص»

تقطع عبارة عبارة. والمناجاة مستقلة عن الحكم، وكذلك الرسائل الأربعة للمؤلف.^{١٧٨} كما يعقد الشارح مقدمتين عن تعريف التصوف وتعريف الشروح.^{١٧٩} والعنوان دال. فالمقصود من الشرح إيقاظ الهمم أي التذكير والتنبيه وجذب الانتباه والإيقاظ. وقسمت الحكم إلى خمسة وعشرين باباً مثل شرح زروق دون بيان الأسباب أو الدوافع أو الحكمة لذلك.^{١٨٠} كما لا توجد حكمة واضحة في قسمة الشرح إلى جزأين في كل منهما عدة حكم مقسمة بدورها إلى أبواب.^{١٨١} وقد لا يكون هناك داعٍ لهذا الشرح المسهب لحكم أخلاقية وعظمية عملية سهلة وواضحة وموجهة للسلوك المباشر. ويعني الشرح الدخول في منطق النص المشروح، مقدماته ونتائجه، استدلالاته وبراهينه، ووصف المسار الفكري والمنطق الداخلي للنص المشروح. لذلك يكثر استعمال لفظ «والحاصل» أو «وحاصله» أو «المحصل» للدلالة على النتيجة العامة للنص المشروح وخلاصته النهائية.^{١٨٢} ويفصل بين الاثنین فعل القول، «قلت». ويتم الربط بين الحكم في استدلال منطقي.^{١٨٣} ومع ذلك يبدأ تقديس النص المشروح ويصبح الشارح العبد الفقير الذليل. ولا يوجد نقد للنص المشروح. فالمقدس لا يُنقد. والكامل لا نقص فيه. وتأتي مادة الشرح من القرآن والشعر والحديث مع أولوية القرآن على المصدرين الآخرين، وأسبقية الشعر على الحديث.^{١٨٤} ويكثر الشعر في الشروح المتأخرة، فالشعر ديوان العرب الأول الحامل للذاكرة. فالشرح

للجامي (٨٩٨هـ) وشرح الرسالة القشيرية لذكريا الأنصاري (٩٣٦هـ)، و«الذخر والعدة في شرح البردة»، للصديق المكي (١٠٥٧).

^{١٧٨} المراسلات، إيقاظ الهمم، ص ٤٥٧-٤٩١.

^{١٧٩} السابق، ص ١٥-٢٢.

^{١٨٠} عدد الحكم ٢٥٤.

^{١٨١} الجزء الأول يشمل الترجمتين للشارح والمشرح والمقدمتين بالإضافة إلى ١٢١ حكمة مشروحة في اثني عشر باباً. والجزء الثاني يشمل ١٣٢ حكمة موزعة على ثلاثة عشر باباً.

^{١٨٢} والحاصل، السابق، ص ١٤٨، ١٧٨، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٥٢، ٢٩٦، ٣٠٠، ٣٣٧، ٣٤٢، ٣٥٦، ٣٧٧، ٤٠٩، ٤١٠، ٤٥١، ٤٦٥، ٤٦٨، ٥٠٣، ٥٣٨، وحاصله، السابق، ص ١٣٥، ١٥٨، ١٤٣، ٢٤٨، ٣١٧، ٣٢٧، ٣٩٥، ٤٩١، محصل، السابق، ص ٢٧٨، ٢٨١.

^{١٨٣} السابق، ص ١٣، ٤٥.

^{١٨٤} الآيات (٥٢٢)، الأشعار (بصرف النظر عن عدد الأبيات في كل شاهد) (٢٨٦)، الأحاديث (١٩٥).

موجه إلى القارئ محافظاً قدر الإمكان على أسلوب «الحكم».^{١٨٥} وتتكرر الحجج النقلية أكثر من مرة. ولا توجد أشعار في المراسلات. فالموضوع لا يحتمل ولا يحتاج. كما يعتمد على أقوال الصوفية والشروح السابقة خاصة شرح «زروق». ويقتبس من بعض المصادر المدونة.^{١٨٦} ويحال إلى مؤلفات الشروح الأخرى مثل «لطائف المنن» و«التنوير».^{١٨٧} وتتخذ عدة اقتباسات ووضع علامة «انتهى».^{١٨٨} ويحال إلى الحكماء مع الصوفية لاشتراكهم في الحكمة «الإشراقية» كما وضع ذلك عند ابن سينا والسهروردي. وتظهر الإسرائيليات في حكايات الأنبياء السابقين وأحاديث الله معهم.^{١٨٩} وهناك بعض اللزمات اللغوية مثل «الله أعلم» تعبيراً عن الأشعرية ومخاطبة القارئ ودعوته إلى الفهم في الصيغة الأمرية «فافهم».^{١٩٠}

(١٨) «شرح السبعات والصلوات» للدريد الجنيد (القرن الثالث عشر)^{١٩١}

والسبعات عشرة أشياء وسبعة. فالعدد سبعة عدد رمزي والعدد عشرة أيضاً كذلك طبقاً لعلم الأعداد الشرقي القديم. والشرح هنا ليس شرح لفظ بلفظ أو عبارة بعبارة ولكن تدعيم النص النظري المشروح بالأدلة النقلية من القرآن والحديث.^{١٩٢} من الصوفية يذكر مصطفى البكري ثم الجزولي والفاسي من المتأخرين، والحكيم الترمذي من المتقدمين.^{١٩٣}

^{١٨٥} الله أعلم، إيقاظ الهمم، ص ١٠١، ١١٨، ٢٢٨ فافهم، السابق، ص ١٣١، تنبيه ص ٣٠، ٣٩، ٨٦، فذلكلة، ص ٧٣.

^{١٨٦} السابق، ص ١٩٩.

^{١٨٧} السابق، ص ١٧٥.

^{١٨٨} لطائف المنن، إيقاظ الهمم، ص ٧٠، ١٢٤، ١٤١، ٢٠١-٢٠٢، ٢٧٤، ٤٣٢-٤٣٣. التنوير، السابق ص ٣٤، ١٣٩-١٤٠، ٢١٧، ٢٩٠، ٥٠٧.

^{١٨٩} السابق، ص ٤٦.

^{١٩٠} انتهى، السابق، ص ٦٤، ٧٢، ١١٨، ١٣١، ١٣٩، ١٤٢، ١٦٠-١٦١، ٥٠٨، ٥١١، ٥١٣، ٥٢٦، ٥٣٥، ٥٤٢.

^{١٩١} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ (٥) ص ٢١٧-٢٣٩.

^{١٩٢} الآيات (٨٣)، الأحاديث (٤٨)، الأشعار (٣).

^{١٩٣} مصطفى البكري (٢)، الجزولي، الفاسي، الترمذي (١).

وفي النهاية ينقسم النص إلى أربعة فصول. الأول عن التسبيح والثاني عن الحمد، والثالث عن التوحيد، والرابع عن الحوقلة.^{١٩٤}

(١٩) شروح المنلا (القرن الثالث عشر)

(أ) «الصلاة الكبرى في شرح الصلاة الصغرى»: ^{١٩٥} يحاول إبراز موضوعات المتن مثل فضل الصلاة على النبي وثمراتها وما قيل فيها نظمًا وفوائدها الثلاث مستنبطة من خصائصه ومن اسمه ومن حروفه الأربعة، وشرفه الأموي، والعمامة الخضراء للأشراف، وأبنائه وأزواجه وسراريه ونسبه ونسب أمه. ويتم التركيز على المناقب والكرامات. ويظهر لفظ «فصل» مرة واحدة وبلا عنوان.^{١٩٦} ويقطع النص قطعًا صغيرة للغاية، لفظًا لفظًا. ويسهب في الشرح بحيث فاق المتن مئات المرات. المتن مجرد مناسبة أو وسيلة أو أداة للشرح، مجرد خيط تنتظم حوله المعلومات من المصادر التي تبلغ المئات. فهو تأليف على تأليف. المتن مجرد «عكاز» للشرح. وبدونه لا يتم الشرح لغياب العنقود الحضاري الأول. ويعتمد الشرح على القرآن والحديث والشعر وأقوال الصوفية.^{١٩٧} ومنهم يظهر على استحياء الحسن البصري وسفيان الثوري والبسطامي من المتقدمين، والدباغ وابن عطاء من المتأخرين.^{١٩٨}

(ب) «شرح تسع صلوات للشيخ عبد القادر الجيلاني»: ^{١٩٩} وهو أيضًا شرح القليل بالكثير، وتقطيع المتن لفظًا لفظًا، واعتباره مناسبة لتجميع المعلومات من مئات المصادر السابقة. ويعتمد الشرح أساسًا على الأدلة النقلية، الحديث والقرآن والشعر.^{٢٠٠}

^{١٩٤} شرح المسبغات، ص ٢٣٢-٢٣٥.

^{١٩٥} السفينة القادرية للشيخ عبد القادر الجيلاني الحسني (٥٦١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت،

٢٠٠٢م/١٤٢٣هـ (٢) ص ٤٩-١١٦.

^{١٩٦} السابق، ص ٧٣.

^{١٩٧} الآيات (٢٥)، الأحاديث (٢١)، الأشعار (١٥).

^{١٩٨} الحسن البصري، سفيان الثوري، البسطامي، الدباغ، ابن عطاء، مصطفى البكري (١).

^{١٩٩} السفينة القادرية للشيخ عبد القادر الجيلاني الحسني (٥٦١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت،

٢٠٠٢م/١٤٢٣هـ (٣) ص ١١٩-١٧٧.

^{٢٠٠} الأحاديث (٥٧)، الآيات (٤٩)، الأشعار (١٥).

ويُرى الرسول في المنام. ويحال إلى بعض الصوفية على استحياء، مثل الترمذي والقشيري والسهورودي المقتول والشاذلي ومصطفى البكري وابن عطاء الله السكندري.^{٢٠١} ويحاول الشرح إبراز موضوعات المتن وهي فوائد الصلاة على الرسول الست عشرة مع التحول من الظاهر إلى الباطن.^{٢٠٢}

(٢٠) «المواهب الجلية في شرح حزب الوسيلة» لمحمد الأمين الكيلاني (القرن الثالث عشر)^{٢٠٣}

وهو شرح على نفس المنوال، تقطيع النص إلى ألفاظ يسبق كلاً منها «وقوله»، وتجميع أكبر قدر ممكن من المعلومات التاريخية حول اللفظ والموضوع. وتبرز عدة موضوعات في الشرح تجمع بين المناقب والصلاة وبعض الأخرويات. يبرر نسب الشيخ وأوصافه ومزاياه، والصلاة على النبي ومدى القطع بقبولها، وفائدة الدعاء مع أن القضاء لا مرد له، ومعنى الفقر والفناء، والفرق بين المعصية من المؤمن والمعصية من الفاجر، والتمييز بين نوعين من الظلم، ظلم النفس وظلم الخلق. ثم تأتي الأخرويات ابتداء من عذاب القبر وسؤال الملكين وحملة العرش. وأخيرًا تأتي عقوبة دعوى الولاية وهو سوء الخاتمة، وفائدة حديث «من عرف نفسه فقد عرف ربه»، وهل يجوز كتابة الصلاة على الرسول منحوتة. ومادة الشرح هي القرآن والحديث والشعر.^{٢٠٤} كما يحال إلى بعض الصوفية في مقدمتهم «الغزالي» في «الإحياء» ثم القشيري والحلاج والبسطامي وزروق وآخرون.^{٢٠٥}

^{٢٠١} الترمذي، القشيري، السهورودي المقتول، الشاذلي، مصطفى البكري، ابن عطاء الله السكندري (١).
^{٢٠٢} وهي حل الألفاظ، مفاخر الإسلام، مواصلة الصلاة، كتابتها، الاختلاف حول صلاة الله عليه وفائدتها، وتاريخ مشروعية الصلاة عليه، وهل تجوز الصلاة على نفسه، وهل تعبدت الأمم السابقة بالصلاة على أبنائها، وهل لها أجر؟ وهل يقطع بقبولها؟ وهي حبس على صاحبها، متفردة عن السلام، وحكم الصلاة على الملائكة وسائر الأنبياء، ومعنى كثرة الصلاة عليه، وتخصيص يوم الجمعة بالإضافة إلى فوائد أخرى نظمًا ونثرًا.

^{٢٠٣} «السفينة القادرية للشيخ عبد القادر الجيلاني الحسني (٥٦١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م/١٤٢٣هـ (٤) ص ١٨١-٢٥٢.

^{٢٠٤} الآيات (٧١)، الأحاديث (٥٢)، الأشعار (١٩).

^{٢٠٥} الغزالي (٣)، الإحياء (٢)، القشيري (٢)، إبراهيم بن أدهم، الحلاج، البسطامي زروق، ابن عطاء الله، أحمد التجاني (١).

كما تدخل بعض الإسرائيليات وروايات عيسى.^{٢٠٦} وتستعمل بعض العبارات الفارسية فيما يبدو. فالتصوف ليس له لغة معينة. وتبرز بعض الأفكار بالتنبيه عليها بألفاظ مثل «لطيفة»، «فائدة».^{٢٠٧}

(٢١) «كشف الأسرار لصلاة سيد الأبرار» للشيخ عمر العطار (١٣٠٧هـ)^{٢٠٨}

وهو شرح الصلاة الكبرى لابن عربي. يخلو من التقسيم الموضوعي، ويقتصر على الشرح اللغوي، لفظاً لفظاً. وبه مقدمة نظرية من المحقق مملوءة بالصلوات والدعوات والابتهالات، ولا تفيد في شيء.^{٢٠٩} ويعبر بأسلوب القول «فإن قال قلت» للإيحاء بالفكر والاستدلال. وتؤخذ مادة الشرح من القرآن والحديث والشعر.^{٢١٠} ومن الأشعار واحد فقط بالفارسية. ومع ذلك يعتمد على العد والإحصاء وهي صورة كمية للقسمة العقلية.^{٢١١}

(٢٢) شروح الخالدي (١٣١١هـ)

(أ) «جامع الأصول في الأولياء»: ^{٢١٢} وهو نموذج التأليف في تناثر البنية وتجزئتها وبعثتها ثم جمعها في موسوعة صغيرة أو كبيرة للم الشتات وإعادة تجميع الأجزاء. ويتم التجميع على الموضوع المركزي المتأخر وهم الأولياء أصحاب المناقب والكرامات. ويدل العنوان على ذلك «جامع الأصول» أي إعادة تجميع التصوف حول أصوله الأولى «في الأولياء» أي ابتداء من الأولياء، أنواعهم وأوصافهم وأصول كل طريقة ومهمات المريد وشروط الشيخ وكلمات الصوفية واصطلاحهم وأنواع التصوف.^{٢١٣} وهذا هو سبب

^{٢٠٦} السابق، ص ٢٣١.

^{٢٠٧} لطيفة (٢)، فائدة (١).

^{٢٠٨} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦/٢٧٤٤٢٧هـ.

^{٢٠٩} السابق، ص ٧-٩٣.

^{٢١٠} الآيات (١٤٤)، الأحاديث (١٠٠)، القدسية (٢)، الأشعار (٣٥).

^{٢١١} كشف الأسرار، ص ١٥٤-١٥٨، ٢٢٦-٢٢٧.

^{٢١٢} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م/١٤٢٣هـ (١)، ١١-١٣.

^{٢١٣} بيان (٤٨)، الفرق (٢)، خطبة، مظاهر، شروط، أقسام (١).

التأليف^{٢١٤} لا ينقسم إلى أبواب وفصول بالرغم من الإعلان عن جمع الفصول. وتظهر أمام الموضوعات ألفاظ مثل «بيان». وتتنوع الموضوعات بين أنواع التصوف الأربعة: التصوف الخلقي مثل: النية، الزهد، الورع، الإخلاص، اليقين، العلم، الإرادة، الكمالات. والتصوف النفسي مثل: الواجب والخواطر، المراقبة، المعرفة، اللطائف، البصيرة، الحقائق، العقل. والأحوال مثل القبض والبسط، الفناء والبقاء. والمقامات مثل المحبة. والتصوف الفلسفي مثل: التوحيد، الاستعانة بالله، الشفاعة، وحدة الوجود ووحدة الشهود، الحقائق الإلهية، الحقائق الأنبيائية. والتصوف العملي مثل: الطرق، العزلة والصحة، الأوراد والأذكار، السلوك، الشيخ والمريد، آداب المجالسة، الاقتداء، جهاد العدو وجهاد النفس، المصائب، الشر، القطب الولي، الكرامة، الولاية، الشريعة والطريقة والحقيقة. النقباء والأبدال والأقطاب والأوتاد. فأصبح الكتاب موسوعة في التصوف، تعريفات من السابقين، هم تاريخي مع أخذ بعض المواقف في الهامش.^{٢١٥} ويبدأ تقريظ الكتاب وهي صفة المدح للذات من سمات التأليف المتأخر.^{٢١٦}

والطرق الصوفية مثل الفرق الكلامية. ويتم التركيز على النقشبندية والشاذلية كما يتم التركيز في الكلام على الأشاعرة والمعتزلة أو السنة والشيعة.^{٢١٧} ويركز على نسب الصوفية، وهو تقليدي جاهلي.^{٢١٨} ويتم التقارب والتماثل بين أسماء الأولياء وصفات الله.^{٢١٩} وألقاب الرسول مثل ألقاب الصوفية «سيد الأكوان»، «أكمل المرشدين».^{٢٢٠} ويتم الاعتماد على القرآن والحديث والشعر.^{٢٢١} وتفصل أنواع بحور الشعر. وتكثر الأدلة

^{٢١٤} «لما رأيت الناس ضيعوا أصول الطريق أردت أن أجمع نبذة من أصولها وأوصافها، والأولياء وأنواعهم واصطلاحهم وأطوارهم وبعض أسرارهم وأدابهم ومسلكتهم وشروطهم إجمالاً مستعيناً بالله»،

جامع الأصول، ص ١١.

^{٢١٥} جامع الأصول، ص ٩٤-٩٥.

^{٢١٦} السابق، ص ٧-٩.

^{٢١٧} السابق، ص ١١.

^{٢١٨} السابق، ص ٢٢٨-٢٢٩.

^{٢١٩} السابق، ص ١٨-٢٨.

^{٢٢٠} السابق، ص ٣٨، ٢٣٥.

^{٢٢١} الآيات (١٠٩)، الأحاديث (٨)، القدسية (٤)، الأشعار (١).

النقلية. وهو الطابع للمؤلفات المتأخرة وكما هو الحال في كتب الحديث والتصوف الخلقي. كما يتم الاعتماد على القسمة العقلية والتقسيم الثلاثي المطرد.^{٢٢٢}

(ب) «متممات كتاب جامع فصول في الأولياء وأنواعهم»:^{٢٢٣} ولكي تكتمل الموسوعة وتزداد تفصيلاً أشفع الكتاب الأول بكتاب ثانٍ كتب له. والمتممة ثلاثة أضعاف الأصل تقريباً وتعطي فريداً من التفصيلات. وفي نفس الوقت تحاول تجميع موضوعات التصوف في أصول. يبدأ أولاً بمصطلحات الصوفية مرتبة ترتيباً أبجدياً.^{٢٢٤} ثم يأتي النقشبندي شيخ الطريقة. نسبته وولادته ومشايخه وتلاميذه والطريقة التي تحمل اسمه ونسبها إلى طريقة ابن عربي وطريقة الشاذلي وعلاقته بالمريدين.^{٢٢٥} ثم يأتي ثالثاً الطريق مع بعض المقامات والأحوال مثل الهيبة والأنس والقرب والبعد والفناء والبقاء وبعض النظريات الصوفية في الإنسان الكامل. ثم يأتي الطريق النظري وهو يعادل التصوف الفلسفي في التوحيد واليقين مع بعض المقامات مثل الشكر والصبر والعبودية والأحوال مثل الخوف والرجاء. وأخيراً تظهر بعض موضوعات التصوف العملي مثل الذكر والمجاهدة والولاية والمكاشفة والمحاضرة والمشاهدة مع تدخل المقامات والأحوال من جديد حوالي مائتي موضوع متناثر ومكرر لا جامع بينها ولا بنية فيها. تعتمد على القرآن والشعر والحديث.^{٢٢٦} كما يعتمد على الكثير من أقوال الصوفية يتقدمهم الشاذلي ثم النقشبندي ثم الشبلي ثم القشيري ثم البسطامي ثم ابن عربي ويحيى بن معاذ وذو النون ... إلخ، حوالي أربعين صوفياً. ومن الطرق الصوفية تتقدم النقشبندية ثم الشاذلية ثم السهروردية ثم حوالي أربعين طريقة أخرى.^{٢٢٧} ويرى الرسول في

^{٢٢٢} جامع الأصول، ص ٩٥-٩٨.

^{٢٢٣} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م/١٤٢٣هـ (٢) ص ١١٤-٤٢٩.

^{٢٢٤} السابق، ص ١١٤-١٦٤.

^{٢٢٥} متممات كتاب جامع الفصول في الأولياء وأنواعهم لضياء الدين الخالدي (١٣١١هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م/١٤٢٣هـ (٢)، السابق، ص ١٦٤-١٩٢.

^{٢٢٦} الآيات (١٤٨)، الأشعار (٥٤)، الأحاديث (٢٩).

^{٢٢٧} الشاذلي (٣٦)، النقشبندي (١٣)، الشبلي (٨)، الجنيد، البسطامي (٥)، ابن عربي، يحيى ابن معاذ، ذو النون (٤)، إبراهيم بن أدهم، الكرخي، الأشعاراني، إبراهيم الخواص (٣)، جعفر الصادق، ابن مشيش، محمد الكتاني، أبو علي الدقاق، الواسطي (٢)، الأحنف، ابن عطاء الله، السري

المنام.^{٢٢٨} وتخترق الطرق الصوفية كل المذاهب الفقهية الأربعة. ويحال إلى عدة مصادر أولية.^{٢٢٩}

(٢٣) «النفحات الأقدسية في شرح الصلوات الأحمدية الإدريسية»

لمحمد بهاء الدين البيطار (١٣٢٨هـ)^{٢٣٠}

وبين المتن والشرح ما يقل عن قرن. وهل تحتاج الصلاة إلى شرح؟ الصلاة فعل ومعاني، والشرح فعل عقلي. الصلاة تحتاج إلى ممارسة، والشرح يهدف إلى الفهم. وأحياناً الشرح يحتاج إلى شرح لاستعماله بعض المصطلحات الصوفية مثل البرزخ أو حديثه مثل «مغنطيس الكمالات».^{٢٣١} يبدو أن الغرض هو التعالم، وتجميع أكبر قدر ممكن من المعلومات حول المتن أسوة بالشرح في باقي العلوم، الكلام والفلسفة والأصول.^{٢٣٢} بل إن العنوان تغلب عليه المغالاة مثل «النفحات الأقدسية». وإذا كان الشرح أيضاً من علوم الذوق والكشف فإنه يحتاج إلى شرح إلى ما لا نهاية إن لم يكن الشرح فعل العقل والتحليل النظري اللغوي والتجريبي.

سبب التأليف هو مجرد الاستجابة إلى طلب أحد مشايخ الشارح، وإظهار علم التلميذ كما هو الحال في شروح ابن عجيبة.^{٢٣٣} ويتم الشرح صلاة صلاة، وعبارة عبارة،

السقطي، الروزباري، بشر الحافي، زروق، أبو مدين، نجم الدين كبرى، السهروردي، الجيلاني، الخراز، سفيان الثوري، مالك بن دينار (١) ومن الطرق الصوفية النقشبندية (٩)، الشاذلية (٤)، السهروردية (٣)، الرفاعية، الأحمدية، الأكبرية، الدسوقية، المولوية، الكبورية، الخلوتية، الجلوتية، الغزالية، الرومية، السعدية، الشعبانية ... إلخ (حوالي أربعين طريقة).

^{٢٢٨} السابق، ص ١٨١، ٢٧٢.

^{٢٢٩} مثل: الكواكب الظاهرة في اجتماع الأولياء في الدنيا والآخرة للشاذلي «وعوارف المعارف» للسهروردي (١)، ورسالة الخادمي (٣).

^{٢٣٠} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ (على الغلاف ت ١٣١٤هـ) وتوفي الإدريسي ١٢٥٣هـ.

^{٢٣١} السابق، ص ٧٣.

^{٢٣٢} من النقل إلى الإبداع مج ١ النقل ج ٢ الشرح. من النص إلى الواقع ج ١ تكوين النص ص ٤٣٣-٤٣٩. ^{٢٣٣} «أما سعد، فقد أمرني من لا تسعني مخالفتي، ولا تمكنني منازعته، وهو سيدي وأستاذي وعمدتي وملاني، مرشد العباد إلى الطريق، ومنجد القصاد لحرم المشاهدة والتحقيق، طبيب أمراض

بل ولفظًا لفظًا. فتضخم الشرح على حساب المتن اثنتي عشرة مرة.^{٢٣٤} ويتجه الشرح إلى الشارح، ومن المتن إلى صاحبه، ومن التحليل إلى التعظيم والتضخيم والتبجيل لإمام العارفين وحجة المحققين وسيد العارفين وقطب المحققين. وفي نفس الوقت تستعمل اللازمة المعروفة «الله أعلم». ويبدأ الشرح بذكر المتن أولاً بلا شروح.^{٢٣٥} ثم يذكر متن آخر بعنوان «الحصون النبوية المنيع» توشي بهم الرسول والحقيقة المحمدية.^{٢٣٦} ثم يشفع بمتن ثالث من الأوراد.^{٢٣٧} وهي متون واضحة بذاتها متجهة مباشرة إلى القارئ دون حاجة إلى شرح. لذلك يبدو الشرح استطرادًا خارج الموضوع الذي لا وجود له.^{٢٣٨} والخطاب موجه إلى القارئ مع الدعاء له «حياك الله ورعاك» «فافهم ذلك». وهو تقليد قديم من إخوان الصفا.

ويعتمد الشرح بطبيعة الحال على القرآن والشعر والحديث.^{٢٣٩} وواضح غلبة القرآن عشرة أضعاف الشعر وعشرة أضعاف الحديث. فالقرآن أقرب إلى الوجدان. وهو المصدر الرئيسي للصلوات. وهي آيات وأحاديث صوفية منتقاة يمكن انتقاء غيرها في اتجاه معاكس للتصوف. والقرآن به كل شيء ويمكن للشارح إمالته على الجانب الذي يريد. ردًا للكل إلى أحد أجزائه. ونظرًا لأن الشرح ليس له موضوع فقد أضاف الشارح عناوين فرعية من لديه كعصب للشرح وهيكل عظمي له. الشرح مجرد مناسبة للتعبير عن عقائد الصوفية خاصة الحقيقة المحمدية. كما يعتمد على أقوال الصوفية السابقين. ولكل منهم ألقابه: الشيخ الأكبر، وسلطان العارفين، والإمام ابن عربي، ثم

القلوب، الداوي سيدي الشيخ محمد الدندراوي، أن أشرح الصلوات الأحمديّة الإدريسيّة، وأجلو الحجب عن أسرارها الأقدسية لفحوص مداركها الخفية وشموخ معارجها الوفية ...»، النفحات الأقدسية، ص ٢٣.

^{٢٣٤} متن الأربع عشرة صلاة ١٢ صفحة والشرح ٣٥٩ ص.

^{٢٣٥} متن الصلوات الأحمديّة، السابق، ص ١١-١٦.

^{٢٣٦} «هذه الحصون النبوية المنيع لسيد العارفين وقطب المحققين سيدي أحمد بن إدريس رضي الله عنه»، السابق، ص ١٧-٢٠.

^{٢٣٧} «أوراد الطريقة الأحمديّة المنسوبة إلى إمام العارفين وحجة المحققين مولانا السيد أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه»، السابق، ص ٢١-٢٢.

^{٢٣٨} استطراد، السابق، ص ٣٣١، ٣٤٨.

^{٢٣٩} الآيات (١٢٨٠)، الأشعار (١٣٥)، الأحاديث (١٢٣)، القدسية (١٠).

الغوث القطب الجيلي، ثم سلطان العاشقين ابن الفارض، وأحمد الإدريسي صاحب المتن ثم الحلاج ثم علي وفا ثم الغوث الجيلاني ومحمد وفا الدباغ، ثم الغزالي والبكري، ثم النقشبندي والأبوصيري والبسطامي، ثم ابن عطاء الله والشبلي والخرّاز والقونوي والتستري وعبد القادر الجزائري والشاذلي وابن مشيش وجعفر الصادق وغيرهم.^{٢٤٠} وواضح الحضور الطاغي لابن عربي. وتظهر الاقتباسات بلفظ «انتهى». ^{٢٤١} ومن الأنبياء موسى وأدم ثم عيسى ثم حواء. ويلتقي البعض منهم خارج التاريخ في عالم الأرواح مثل لقاء ابن عربي بموسى، وابن عربي بالحلاج. ومن المصادر تأتي مؤلفات ابن عربي في المقدمة، «الفتوحات» ثم «الفصوص» ثم «التجليات» ثم «عنقاء مغرب». ^{٢٤٢} ومع ذلك لا تخلو بعض جوانب الشرح من القسمة والعدد والإحصاء. ^{٢٤٣} والأهم من ذلك كله تحول الشرح من المتن إلى صاحب المتن، من النص إلى الشخص، ابتداء من شخص المؤلف إلى شخص الشيخ إلى شخص الرسول، والتوجه بالشرح كله في النهاية إلى الحقيقة المحمدية والتي لها صياغات عديدة ابتداء من محمد الرسول إلى «السيد الأعظم» إلى «حقيقة محمد» إلى «كمال محمد» حتى «البحر المحمدي»، «المظهر المحمدي»، «السر المحمدي»، «المرآة المحمدية»، «الحضرة المحمدية»، «الحضرة الإلهية المحمدية»، «الربوبية المحمدية». وفي «الإنسان الكامل» يحى التمييز بين الله والرسول والولي. كما يختفي التمييز بين محمد والكون. فمحمد هو النور والخلق والدهر وهو على علم بالفلسفة اليونانية، المادة والهواء والعماء. ^{٢٤٤} وعلي خليفته ووصيه مما يوحي بالصلة الشهيرة بين التصوف والتشيع. ^{٢٤٥} وتؤول آيات موسى وهارون لتطبيقها على محمد وعلي.

^{٢٤٠} ابن عربي (٥٦)، الجيلي (١٤)، ابن الفارض، أحمد الإدريسي (١٣)، الحلاج (٦)، علي وفا، الدباغ (٤)، الغزالي، البكري، صاحب الإبريز (٣)، النقشبندي، الأبوصيري، أرسلان الدمشقي، الدندراوي، البسطامي (٢). ابن عطاء الله، الشبلي، الخراز، القونوي، التستري، عبد القادر الجزائري، الشاذلي، ابن مشيش، جعفر الصادق (١)، ومن الأنبياء موسى، آدم (٥)، عيسى (٣)، حواء (١).

^{٢٤١} السابق، ص ٣٢١، ٢٨٢.

^{٢٤٢} الفتوحات (٨)، الفصوص (٤)، التجليات (٢)، عنقاء مغرب (١).

^{٢٤٣} النفحات القدسية، ص ٤٢٩.

^{٢٤٤} السابق، ص ٣٤٦-٣٤٨.

^{٢٤٥} السابق، ص ٣٣٩-٣٤١.

(٢٤) «الإلهامات الإلهية على الوظيفة الشاذلية»

لأبي الشامات الدمشقي (١٣٤١هـ)^{٢٤٦}

وبين الشرح والمتن حوالي سبعة قرون. لا يضيف جديدًا، ولا هدف له. ومع ذلك الشرح عبارة عبارة ولفظًا لفظًا مع إعجاب بصاحب المتن أكثر من المتن. ويسميه الشارح «سيدي المؤلف»^{٢٤٧} وله مقدمة لا هدف لها إلا ذكر أكبر قدر عدد ممكن من المشايخ.^{٢٤٨} ويقع الشارح في الاستطراد.^{٢٤٩} وتعتمد مادة الشرح على الشعر ثم الحديث ثم القرآن.^{٢٥٠} وتتخذ عدة اقتباسات من الشاذلي ثم النابلسي. ويحال إلى أبي العباس المرسي وزروق، ومن الفقهاء إلى السيوطي والعز بن عبد السلام ومن الطرق الصوفية يحال بطبيعة الحال وباستمرار إلى الشاذلية وآخرين.^{٢٥١} وينتهي الاقتباس بلفظ «انتهى» ويحال إلى بعض المصادر المدونة.^{٢٥٢}

(٢٥) «كشف الأسرار لتنوير الأفكار» لمصطفى البيروني (١٣٥٠هـ)^{٢٥٣}

وبين المتن والشرح ما يقرب من سبعة قرون. المتن صغير والشرح كبير دونما حاجة إلى شرح الواضح وتنظير الابتهالات والدعوات والمناجيات والصلوات.^{٢٥٤} ومع ذلك يقطع المتن الصغير، عبارة عبارة، ولفظًا لفظًا بل وحرًا حرًا لتكبير الشرح، وجعله أكثر أهمية من

^{٢٤٦} الإلهامات السننية في شروح الوظيفة الشاذلية، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٣م/١٤٢٤هـ (٢) ص ١٠٩-١٤٩.

^{٢٤٧} السابق، ص ١١٧-١٣٣.

^{٢٤٨} السابق، ص ١٠٩-١٤٤.

^{٢٤٩} «وإنما أطلت الكلام»، السابق، ص ١٤٧.

^{٢٥٠} الأشعار (٣١)، الأحاديث (١٨)، القدسية (٢)، الآيات (٨).

^{٢٥١} الشاذلي (٦)، النابلسي (٤)، الشاذلية (٣)، أبو العباس المرسي، زروق، السيوطي، العز ابن عبد السلام (١)، ومن الصحابة علي. ومن الأنبياء آدم (١).

^{٢٥٢} مثل «شرح الجامع الصغير» للمناوي، «الجواهر الخامس في أجوبة حكم الإخلاص» لشمس الدين المرصفي.

^{٢٥٣} الإلهامات السننية في شروح الوظيفة الشاذلية، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٣م/١٤٢٤هـ (١) ص ١٠٥-١٠٥.

^{٢٥٤} متن الوظيفة الشاذلية ٩-١١، الشرح ١٠٥-١٠٥.

المتن عن طريق الزيادة الكمية.^{٢٥٥} ونظرًا لأن الشرح لا موضوع له فقد تم التحول من المتن إلى صاحبه ومد نسبه الشريف إلى الرسول مع سلسلة المشايخ التي تعادل سلسلة الرواة في علم الحديث. ويُرى الرسول في المنام وتؤخذ منه أحاديث مباشرة^{٢٥٦} ويعتمد الشرح على القرآن والشعر والحديث.^{٢٥٧} كما يتم اقتباس العديد من أقوال الصوفية وفي مقدمتهم الشاذلي الذي ينسب إليه المتن بالإضافة إلى أقواله وأدعية أخرى وأحزابه مثل حزب البر وحزب البحر وحزب اللطيف وغيرها.^{٢٥٨} ثم يحال إلى أبي العباس المرسى ثم إلى الدرقاوي والشعراني وابن عطاء الله وكتابه «لطائف المنن» و«الطبقات الكبرى» وابن دقيق العيد.^{٢٥٩} والمقدمة طويلة دون أن تتضمن أي إشكال أو قضية أو موضوع.^{٢٦٠} وتروى حكايات وكرامات عن مشايخ الطريقة. والشرح كله أقرب إلى الإبداع الأدبي والنثر الفني. يتخلله أسلوب القول للإيحاء بالحوار والنقاش والردود على الاعتراضات. ومن كثرة الإعجاب بالشرح يأتي تقريظه من بعض المشايخ في النهاية.^{٢٦١}

(ب) شروح المعاصرين

وتعني الشروح في القرن الرابع عشر للذين توفوا أو الذين ما زالوا على قيد الحياة. وأهمها:

(١) «تنوير الصدر شرح حزب البر» للشبراوي^{٢٦٢}

وهو شرح حديث يقوم على مادة منقولة من السابقين.^{٢٦٣} يبدأ بشرح موضوعي أولاً بإبراز موضوعات الحزب وإعادة عرضها. ثم ينتهي بالعبارة الشارحة التقليدية، لفظاً

^{٢٥٥} كشف الأسرار، ص ٨٩.

^{٢٥٦} السابق، ص ٣٠.

^{٢٥٧} الآيات (٢٤٨)، الأشعار (٣٥)، الأحاديث (٢٩).

^{٢٥٨} كشف الأسرار، ص ١٥-٤٢.

^{٢٥٩} الشاذلي (٣)، أبو العباس المرسى (٢)، الدرقاوي، الأشعراني، ابن عطاء الله، ابن دقيق العيد،

البسطامي، التستري، ابن عربي (١).

^{٢٦٠} السابق، ص ٢٥-٢٩.

^{٢٦١} السابق، ص ١٠٣-١٠٥.

^{٢٦٢} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤ م (٣)، ص ١٠٧-٢٣١.

^{٢٦٣} «وسألني أن أصنع لهم كتاباً على حزب القطب الشاذلي الكبير المسمى بحزب البر. وقد شرحه شيخنا الأستاذ الشيخ البهي شرحاً عظيماً، لكن لغرابته صعب تناوله على القاصرين من أمثالي. فأجبتة

بلفظ وعبارة بعبارة. والشارح شافعي مذهباً، وخلوتي، حمدي شاذلي طريقة أي تحديد المذهب الفقهي والطريقة الصوفية. وتبرز موضوعات التصوف الرئيسية مثل «الحقيقة المحمدية». وهو شرح بناء على سؤال واعتماد على المشايخ القدماء. وكلها استطرادات ونقول تبعد عن الموضوع. لذلك تظهر لازمة «فلنرجع لما نحن فيه ونقول». ^{٢٦٤} وأحياناً تظهر الشروح اللغوية. وتذكر اقتباسات عدة من أقوال السابقين بعلامة «انتهى». ^{٢٦٥} ويعتمد على القرآن والحديث والشعر وأقوال الصوفية مع إسهاب كثير. ^{٢٦٦} وتأتي مادة الشرح من «اليواقيت والجواهر» للشعراني، ومن الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي خاصة «الفتوحات» أو نقلًا عن الشيخ الأكبر الشعراني ثم ابن الفارض ثم الجيلي ثم النابلسي ثم القونوي ثم ابن عطاء الله السكندري والخواص والسبكي والتستري وإبراهيم الدسوقي وذو النون، ثم الجنيد والحكيم الترمذي، والكرخي، والجيلاني والشاذلي وعلى الخواص وحسن البصري وأبو نعيم الأصفهاني والقشيري وزروق ^{٢٦٧} ... إلخ ابن عربي هو الفريد بن العربي تعظيمًا له وتأكيده لتمييزه. ومن المصادر بالإضافة إلى «اليواقيت والجواهر» و«الكبريت الأحمر» يأتي «الإنسان الكامل»، و«الفتوحات» و«حلية الأولياء» و«لطائف المنن». ^{٢٦٨} ومن الفقهاء الشافعي وأحمد. ومن الأنبياء آدم وموسى ثم لوط ثم الخضر. ومن الصحابة ابن عباس. ويقتبس من التوراة ومن الفرق يذكر المتكلمون

لذلك وإن كنت لست أهلاً لما هنالك معتمدًا في ذلك على الملك الوهاب وعلى شرح شيخنا الأستاذ البهي وما يفتح الله به علينا مما تلقيناه عن أשיاخنا وكتب بعض العارفين»، السابق، ص ١٠٧.

^{٢٦٤} السابق، ص ١١٠، ١٦٨، ٢١٤.

^{٢٦٥} انتهى (٢٩).

^{٢٦٦} الآيات (٣١٠)، الأحاديث (٤٦)، الأشعار (٣٤).

^{٢٦٧} الشعراني (٢٩)، ابن عربي (٢١)، ابن الفارض (٧)، الجيلي (٦)، النابلسي (٤)، القونوي (٣)، ابن عطاء الله السكندري، الشيخ الخواص، السبكي، التستري، إبراهيم الدسوقي، ذو النون (٢)، الجنيد، الكرخي، الحكيم الترمذي، الجيلاني، الشاذلي (الشاذلية) علي الخواص، الحسن البصري، أبو نعيم، القشيري، زروق ... إلخ (١)، ويذكر أبو رضا الخياط الدمشقي، وصاحب الجوهرة وأبو الدرداء ودواد بن ماخل وإسماعيل السلمي والشيخ أرسلان ومحمد الولي والشرقاوي.

^{٢٦٨} اليواقيت والجواهر (١٨)، الكبريت الأحمر (٤)، الإنسان الكامل، الفتوحات (٣)، حلية الأولياء (٢)، لطائف المنن (١).

والمعتزلة.^{٢٦٩} ومن الشعراء أبو الفوارس. وفي البداية تذكر إنجازات النقل وهي الروايات الكتابية.^{٢٧٠} وتبرز بعض الموضوعات تحت ألفاظ «فائدة»، «تنبيه»، «لطيفة» ... إلخ.^{٢٧١}

(٢) «شرح حزب البر» للشاذلي المعروف بالحزب الكبير للفاسي^{٢٧٢}

ليس الشرح للفصوص الفاسية وحدها بل أيضاً للأحزاب والأوراد الطرقية. وقد اختير هذا الحزب لاشتهاره وذيوعه. وهو شرح لا جديد فيه، أقرب إلى تحصيل الحاصل. لا يوضع له إطار نظري جديد أو قراءة عملية جديدة. ومع ذلك يقول الشارح بأنه تم بإذن من الله والرسول في اليقظة والنوم.^{٢٧٣} هو شرح لفظ بلفظ، وعبرة بعبارة، أقرب إلى العبارة الشارحة. وتوضع نقاط جامعة للشرح بعد كل قطعة من الحزب كما هو الحال في التأليف المدرسي. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر.^{٢٧٤} كما تعتمد على عديد من اقتباسات الصوفية توضع بعدها علامة «انتهى».^{٢٧٥} ولا يهم ذكر أصحابها. فالأقوال والحكم قائمة بذاتها. ويستعمل أسلوب القيل والقال. كما يعتمد على أعمال الشاذلي السابقة.^{٢٧٦} يشرح النص بصاحبه.^{٢٧٧} كما تذكر بعض المصادر الأخرى مثل «شمس القلوب». وتستعمل الحكم استعمالاً مرسلاً دون الإشارة إليها^{٢٧٨} ويذكر من الصوفية، مالك بن دينار والسيد البدوي والبهزلي.^{٢٧٩} كما تذكر

^{٢٦٩} المتكلمون، المعتزلة (١).

^{٢٧٠} شرح حزب البر، ص ١٠٧-١٠٨.

^{٢٧١} فائدة (٤)، تنبيه (٢)، لطيفة (١).

^{٢٧٢} دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٤ م (١) ص ٢٣-٩١.

^{٢٧٣} «ما ثبت منه بكلمة إلا بإذن من ربي وأمر من رسول الله»، السابق، ص ٢٣.

^{٢٧٤} الآيات (٨٣)، الأحاديث (٣٤)، الأشعار (١٩).

^{٢٧٥} انتهى (٣٦).

^{٢٧٦} مثل «لطائف المنن» شرح حزب البر، ص ٤٦.

^{٢٧٧} السابق، ص ٨٠.

^{٢٧٨} الحكم (٣).

^{٢٧٩} البهزلي (٢)، عبد السلام، أبو اليزيد، أبو العباس المرسى، العراقي، القشيري، مالك ابن دينار، السيد البدوي (١).

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

من التوراة قصة بلعام بن باعوراء.^{٢٨٠} والعجيب بركات الحزب «فلو قرئ ببغداد ما أخذت».^{٢٨١}

(٣) «روح الكبريت الأحمر عن حكم الشيخ الأكبر» للداموني^{٢٨٢}

وهو شرح لمتن ينتمي كلاهما للقرن العاشر. لا يوجد سبب خاص للتأليف. وهو شرح عادي، لفظاً بلفظ، وعبارة بعبارة، أشبه بالأقوال المأثورة أو المثل السائرة أو «جوامع الكلم» أسوة بالحديث ويقوم الشرح بتحليل النص عقلياً وشرعياً ولغوياً وصوفياً. أتى الشرح إلهاماً كالعادة مع أنه مجرد تجميع من نصوص سابقة. ويتضمن الشرح تركيبة كلمة ومن كلمات عن أصول للسؤال عنها، واقتباسات إلهامية، وأحاديث للرسول، وقواعد خمسة للتربية، وبعض أقوال من الشارح.^{٢٨٣} يعتمد على القرآن والحديث والشعر وبعض اقتباسات من مصادر سابقة.^{٢٨٤} ومعظم الأحاديث ضعيفة.

(٤) «البيان والمزيد المشتغل على معاني التنزيه وحقائق التوحيد على

أنس الوحيد ونزهة المريد» لشهاب الدين باعشي^{٢٨٥}

المتن للغوث أبي مدين التلمساني. والشرح لفظاً بلفظ، وعبارة بعبارة، بالعبارة الشارحة اعتماداً على القرآن.^{٢٨٦} ولا يوجد صوفي واحد يُحال إليه إلا فقيهان، الشافعي وأبو حنيفة. ويقطع النص وتوضع له رءوس موضوعات مرقمة. وتترك بعض العبارات دون شرح لوضوحها أو لعدم وجود مادة لها.^{٢٨٧} وهو شرح واضح، مرتب، تعليمي. يركز

^{٢٨٠} قصة بلعام بن باعوراء، شرح حزب البر، ص ٦٧.

^{٢٨١} السابق، ص ٢٥.

^{٢٨٢} البيان والمزيد، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (٣)، ص ١٩٣-٢٨٤.

^{٢٨٣} الحكم (١٦١)، كلمات عن أصول للسؤال عنها (١٦)، اقتباسات إلهية (١٠٤)، قال (٢١) قواعد

التربي (٥)، قلت (٣٩)، ويكون مجموعها ٣٤٨.

^{٢٨٤} الآيات (٧)، الأحاديث (٦)، الأشعار (١).

^{٢٨٥} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ.

^{٢٨٦} الآيات (٢٧٥)، الأحاديث (٥١)، القدسية (١)، الأشعار (١).

^{٢٨٧} البيان والمزيد، ص ١٢، ٢١، ٥٤.

على الموضوعات دون استطرادات. يخاطب القارئ. ويبرز الحقيقة المحمدية في آخر الشرح مع أحاديث موضوعة في الغيبيات.

(٥) «النفحات القدسية لشرح الوظيفة الشاذلية» لمصطفى البقاعي^{٢٨٨}

وبين المتن والشرح حوالي ثمانية قرون. وسبب الشرح هو طاعة أمر الشيخ وليس نابغاً من الشارح بناء على قضية أو حلّاً لإشكال أو إعطاء لقراءة جديدة بعد هذا الزمان الطويل الذي تغيرت فيه الظروف وتبدلت الأحوال.^{٢٨٩} ويتم الشرح عبارة بعبارة، ولفظاً بلفظ دون إبراز الموضوع أو إدخال قسمة. وتأتي مادة الشرح من القرآن والحديث دون الشعر وأقوال الصوفية.^{٢٩٠} وتبرز أسماء المشايخ وكأنها مادة علمية. وهم الرواة الجدد الذين حلوا محل علم الحديث في النقل الكتابي وليس في النقل الشفاهي. بل وضعوا في نظم دون الاكتفاء بالنثر لسرعة حفظهم. فما زال الشعر ذاكرة العرب.^{٢٩١} الشرح يكمل الآية كما يؤديها آية جديدة. وفي النهاية تقريظ للشرح. فالشرح مدح للمتن، والتقريظ مدح للشرح.^{٢٩٢}

(٦) شروح الدرقاوي

(أ) «اللطائف الإلهية في شرح مختارات من الحكم العطائية»: ^{٢٩٣} وبين المتن والشرح أيضاً ما يقرب من سبعة قرون. ومع ذلك لا يضيف الشرح إلى المتن جديداً إلا

^{٢٨٨} الإلهامات السننية في شروح الوظيفة الشاذلية، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٣م/١٤٢٤هـ (٣) ص ١٥٣-١٨٧.

^{٢٨٩} السابق، ص ١٥٤.

^{٢٩٠} الآيات (٢٥)، الأحاديث (٣).

^{٢٩١} الإلهامات السننية، ص ١٥٦.

^{٢٩٢} السابق، ص ١٨٦-١٨٧.

^{٢٩٣} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م/١٤٢٤هـ (١) ص ٤٥-٩٢. ويتضمن الكتاب مقدمة للشارح تتضمن بحثاً في التصوف الإسلامي كما هو الحال في الكتب الجامعية والمدرسية، السابق ص ٩-٤١. كما يشمل الكتاب فصوصاً لابن عطاء الله نشرت من قبل عدة مرات وهي الحكم العطائية الكبرى (وهي ٢٦٤ حكمة) (ص ٩٥-١١٤). (٢) الحكم العطائية الصغرى (٦٠ حكمة) (ص ١١٧-١٢٠). (٣) المناجاة الإلهية (٣٤ مناجاة) (ص ١٢٣-١٢٦). (٤) مكاتبات ابن عطاء الله السكندري إلى بعض إخوانه ومريديه (ص ١٢٩-١٣٣).

زيادة المعلومات اللغوية والتاريخية. ويتم الشرح حكمة حكمة. مع الفصل بين المتن والشرح كما هو الحال في علم التفسير وفي «تفسير ما بعد الطبيعة» لابن رشد. ثم تقطع الحكمة، لفظاً لفظاً وأحياناً حرفاً حرفاً. وتظهر القسمة العقلية بين الحين والآخر لتجعل الشرح يقوم على النقل والعقل معاً.^{٢٩٤} وفي أحيان كثيرة تحول الحكمة إلى قسمة عقلية حتى يتجاوز الشرح اللفظ والمعنى إلى الشيء ذاته.^{٢٩٥} كما يتم الشرح بالقرآن والحديث وهما مصدر التجربة الصوفية والشعر، نظراً للتماثل بين التجربة الصوفية والتجربة الشعرية.^{٢٩٦} كما يحال إلى بعض الصوفية مع حضور واضح لابن عربي وعلي بن أبي طالب.^{٢٩٧} ومن الصوفية إبراهيم بن أدهم ورابعة، والحسن البصري، وجعفر الصادق، والترمذي، والتستري، وسفيان الثوري، والغزالي، وابن عطاء الله وغيرهم. ومن المصادر المدونة «لطائف المنن» للشعراني. وأحياناً يتحول اللفظ إلى موضوع مستقل مثل «الهوى».^{٢٩٨} وهو شرح واضح ومرتب بلا استطراد أو تعالم كما هو الحال عند ابن عجيبة. يخاطب القارئ «فعليك أيها المسلم».^{٢٩٩}

(ب) «فهرس لشرح المصطلحات الصوفية عند الشيخ ابن عطاء الله السكندري كما وردت في الحكم لمؤلف اللطائف الإلهية»:^{٣٠٠} وهو عمل أحد المحدثين كالدراسات الجامعية في الأدبيات الثانوية. يدخل في الشرح أكثر مما يدخل في المصطلح. يذكر خمسة وستين مصطلحاً في الحكم العطائية، مرتبة ترتيباً أبجدياً. وتُستمد مادة الشرح من القرآن والحديث والشعر.^{٣٠١} كما يستمد من مصادر موسوعات ومعاجم من القدماء

^{٢٩٤} اللطائف الإلهية، ص ٤٥، ٤٧، ٤٩، ٥٥.

^{٢٩٥} من النقل إلى الإبداع مج ١ النقل ج ٣ الشرح.

^{٢٩٦} الآيات (١٣٤)، الأحاديث (٥١)، الأشعار (٩).

^{٢٩٧} علي بن أبي طالب (٢)، الشافعي (شاعراً)، البوصيري، ابن عطاء الله (شاعراً)، إبراهيم بن أدهم، رابعة، جعفر الصادق، الوراق، الغزالي، الحسن البصري، الترمذي، التسري، سفيان الثوري (١)، ومن المتكلمين الجويني، ومن الشعراء أبو العتاهية (١).

^{٢٩٨} اللطائف الإلهية، ص ٧٢.

^{٢٩٩} السابق، ص ٦٦.

^{٣٠٠} اللطائف الإلهية في شرح مختارات من الحكم العطائية، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٣م/١٤٢٤هـ.

(٥)، ص ١٣٧-٢٠٠.

^{٣٠١} الآيات (٣٤)، الأحاديث (٥)، الأشعار (١).

والمحدثين، حوالي ثلاثة وعشرين مصدرًا يتقدمها «لطائف الأعلام» للكاشاني من القدماء ثم «موسوعة مصطلحات التصوف لرفيق العجم من المحدثين»^{٣٠٢} لكل مصطلح مصدر أو مصدران. ومصطلحان فقط بلا مصادر اعتمادًا على الذاكرة. وغالبًا ما يذكر المصدر في النهاية بلا رقم للصفحة ونادرًا ما يذكر في البداية أو في الوسط. وتُقتبس بعض التعريفات ووضع علامة «انتهى». ومن أعلام الصوفية يذكر ابن عجيبة ثم الجنيد ثم الهروي والجيلي ثم ذو النون ثم التستري والدقاق وأبو مدين والغزالي والقشيري وابن عربي والنخشبي والداراني وابن عطاء الله.^{٣٠٣}

(ج) «فهرس الحكم العطائية مرتبًا على الموضوعات في ثلاثين بابًا»: ^{٣٠٤} وهو عمل حديث آخر. يعيد الدرقاوي تصنيف الحكم طبقًا لثلاثين موضوعًا موزعة على التصوف الخلقي مثل الإخلاص، الصلاة، الطمع، التواضع، والوعظ والتصوف النفسي: المقامات مثل التوبة، الزهد، الفقر، التسليم، الصبر، الشكر، والأحوال مثل الخوف والرجاء، القبض والبسط. والتصوف النظري مثل العلم، الفكرة، الورد والوارد، الأنوار، المعارف، التفرس، والتصوف العملي في الطريق مثل العزلة، الوقت، الذكر، رياضة النفس، الدعاء، الألفاف، أو الطريقة مثل الصحبة، الاستدراج، مراتب السالكين، قرب العبد من

^{٣٠٢} وهي: (١) لطائف الأعلام للكاشاني (٦٢) (٢) موسوعة مصطلحات التصوف لرفيق العجم (٣٥) إيقاظ الهمم في شروح الحكم لابن عجيبة (٣٢) (٤) اللمع للطوسي (٥) الإنسان الكامل للجيلي (١١) (٦) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي (٥) (٧) جامع الأصول في الأولياء للنقشبندى (٨) الرسالة القشيرية (٩) اصطلاحات الصوفية للكاشاني (٤) (١٠) المقصد الأسنى للغزالي (١١) الفتوحات المكية (١٢) كشف المحجوب (١٣) التنوير في إسقاط التدبير لابن عطاء الله (٣) (١٤) إحياء علوم الدين (١٥) الإسفار عن رسالة الأنبار (١٦) منازل السائرين للهروي (٢) (١٧) غيث المواهب العلمية في شرح الحكم العطائية للنفري (١٨) الأنوار القدسية للشعراني (١٩) ترجمان الأشواق (٢٠) شرح بدأ الأمانى للداراني (٢١) عوارف المعارف للسهروردي (٢٢) آداب النفوس للمحاسبي (٢٣) مكاشفات العيون بالأبصار ومكاشفات القلوب بالاتصال للنوري (١).

^{٣٠٣} ابن عجيبة (٥)، الجنيد (٤)، الهروي، الجيلي (٣)، ذو النون، ابن عربي (٢)، أبو علي الدقاق، التستري، الفضيل بن عياض، أبو مدين، الغزالي، القشيري، النخشبي، الداراني، ابن عطاء الله، أحمد بن علي الرازي (١).

^{٣٠٤} للطائفة الإلهية في شرح مختارات من الحكم العطائية، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٣م/١٤٢٤هـ، ص ٢٠١-٢٠٣.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

الله وقرب الله من العبد. ومن الفوائد أيضًا في الدراسات الحديثة ذكر معظم الشروح على الحكم العطائية للدارسين وتبلغ خمسة وخمسين شرحًا.^{٣٠٥}

(٢) شرح النظم

(أ) «الذخر والعدة في شرح البردة» للصديقي المكي (١٠٥٧هـ)^{٣٠٦}

وهو شرح لغوي نحوي خالص، لفظًا لفظًا، وبيتًا بيتًا، بالإضافة إلى شرح الكلمات عن طريق المفردات. ولا علاقة له بالشرح الصوفي مع أن للشارح أعمالًا صوفية أخرى.^{٣٠٧} يعتمد على الشروح اللغوية السابقة. ومقدمتها لغير المتخصصين. فالشارح غير عربي. وإعراب القصيدة عمل علمي. ويبرز الشرح الجوانب النحوية والصرفية والبلاغية.^{٣٠٨}

(ب) «شرح قصيدة النادر العينية» للناقلي (١١٤٣هـ)^{٣٠٩}

وهو نوع من شرح الشعر بالنثر مع تقطيع القصيدة إلى مجموعة أبيات، وشرح كل مجموعة على حدة.^{٣١٠} والشرح معنوي موضوعي ويتجاوز الشرح اللغوي. يبدأ الشرح المعنوي بفعل «يعني». ويتطابق الشرح الموضوعي بين الصورة والشيء أو بين المثل والممثل وهو شرح معرفي خالص كما يتضح من العنوان «المعارف الغيبية في شرح القصيدة العينية» وتظهر الموضوعات الفلسفية الخالصة مثل قوى النفس.^{٣١١} وفي نفس

^{٣٠٥} السابق، ص ٢٠٤-٢٠٦.

^{٣٠٦} وقف كلية الإلهيات بجامعة مرمره، إسطنبول، ١٩٩٩م.

^{٣٠٧} السابق، ص ٦٧-٧٠.

^{٣٠٨} السابق، ص ٧٥-٧٦.

^{٣٠٩} دار الجبل، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

^{٣١٠} هي مجرد مقتطفات ألحقها الناشر بالقصيدة. لذلك لم نستطع إجراء تحليل مضمون كامل للشرح

ومن الصعب الحكم على التقطيع إلى فقرات هل هي من الشارح أم الناشر، السابق ص ٢٨.

^{٣١١} السابق، ص ١٤٥.

الوقت يظهر التصوف العملي في محور الشيخ والمريد.^{٢١٢} كما تتم مخاطبة القارئ والتوجه له بالشرح.^{٢١٣} ومادة الشرح كالعادة القرآن أولاً والحديث ثانياً والشعر ثالثاً.^{٢١٤} من أجل رد التجارب الصوفية الشعرية إلى أصولها الدينية والأخلاقية والأدبية.

(ج) شروح ابن عجيبة (١٢٢٤هـ)

(١) «شرح خمرة ابن الفارض»^{٢١٥}

وبين المتن والشرح ما يقرب من ستة قرون. وهو شرح بيت بيت، وأحياناً لفظ لفظ، الألفاظ العويصة بالاعتماد على قواميس اللغة. لا يوجد عرض موضوعي للقصيدة كما حدث في شروح البردة. لذلك غاب التبويب الموضوعي. ومادة الشرح من الشعر ثم القرآن ثم الحديث.^{٢١٦} ويقتبس من أقوال الصوفية قدماء ومحدثين مثل الجنيد والقشيري وابن الفارض والشاذلي والتستري وأبي العباس المرسى وغيرهم.^{٢١٧} ويحال إلى «لطائف المنن». ويُضاف حياة صاحب المتن، مولده ووفاته وأعماله وتلاميذه وشيوخه. وتروى حكايات عنه، وبعض مصطلحاته دون تعيين مصدرها. ويتبع أسلوب القول «فإن قيل ... قلت» لإدخال بعض الحياة في الشرح غير الموجه لمجرد مزيد من المعلومات. ومن الأنبياء يذكر موسى لإدخال تاريخ النبوة لتقوية الشرح.

^{٢١٢} السابق، ص ١٣٥-١٣٧.

^{٢١٣} السابق، ص ١٤١.

^{٢١٤} الآيات (٢٣)، الأحاديث (٢٠)، الأشعار (٤).

^{٢١٥} «اللطائف الإيمانية المكتوبة والحقائق الإحسانية الجبروتية في رسائل العارف بالله الشيخ أحمد بن عجيبة الحسيني»، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ (١) ص ١٣-٦٥. وتضم تسع رسائل للمؤلف، سبعة في الشرح، وواحدة في المصطلحات، وواحدة في علم الكلام تحت هذا العنوان، وهو عنوان متضخم ينم عن الغرور والمدح الزائد للمصنف من المحقق الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الدرقاوي.

^{٢١٦} الأشعار (٥٧)، الآيات (٢٨)، الأحاديث (٥)، القدسية (١).

^{٢١٧} الجنيد، القشيري، ابن الفارض، الشاذلي، التستري، أبو العباس المرسى، علي العمراني، إبراهيم التازي (١).

(٢) «شرح نونية الإمام التستري»^{٣١٨}

وبين المتن والشرح حوالي ستة قرون. ويهدف الشرح إلى الدفاع عن صاحب المتن وليس قراءة المتن أو تأويله أو تجاوزه ضد المهاجمين له مثل الشيخ زروق الذي لم يعرف علوم الذوق إلا في آخر حياته طبقاً للشارح. فهو معذور في نقده صاحب المتن واتهامه بالقول بالاتحاد والحلول مع أن زروق هو المصدر الأول للشارح. وهو الذي شرح قبل الشارح نونية التستري مقتصرًا على الشرح اللغوي لأنه لم يكن قد فتح عليه بعد.^{٣١٩} والشرح بيتًا بيتًا وأحيانًا لفظًا لفظًا، ويعني الشرح التأويل أي إبراز المعنى.^{٣٢٠} ويعني أيضًا إضافة المعلومات غير اللازمة لإظهار علم الشارح أكثر من إضاءة المتن المشروح.^{٣٢١} منها إضافة تاريخ حياة صاحب المتن وإعطاء تواريخ محددة مثل وفاة الجنيد. ويتعرض أحيانًا قليلة لبعض الموضوعات مثل الفقه والشرعة. وكثيرًا ما يصمت عن مصادره ومنها «الحكم».^{٣٢٢} وهي من عادات العرب.^{٣٢٣} والأخطر من ذلك هو إعطاء معلومات خاطئة يغلب عليها الخيال للتشويق وإعطاء بعض الحياة للشرح حتى لو كان إيهامًا، مثل أخطاء المعلومات حول الهوامش، وأرسطو وأبو قراط، واشتقاق اسم ابن جني نتيجة الاعتماد على قواميس اللغة وليس قواميس الفلسفة.^{٣٢٤} والحديث عن الفلسفة ينم عن جهل كبير ووظيفة الشرح العلم.^{٣٢٥} ويذكر الشرح رواية الخضر وموسى والكرامات.^{٣٢٦} وتأتي مادة الشرح من الشعر والقرآن والحديث. والشعر مجال مفتوح للشرح الأدباء.^{٣٢٧} ويذكر العديد من الصوفية على رأسهم زروق ثم الشبلي ثم الشاذلي ثم الحلاج

^{٣١٨} «اللطائف الإيمانية» دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ.

^{٣١٩} السابق، ص ٦٩-٧٠.

^{٣٢٠} السابق، ص ١٣٦.

^{٣٢١} السابق، ص ٧٠-٧٢.

^{٣٢٢} السابق، ص ٩٦.

^{٣٢٣} السابق، ص ٧٦، ١٢١.

^{٣٢٤} في القاموس الهرماس الأسد الشديد. تسميه الفلاسفة بذلك لشدة عقولهم وكفرهم، وكان أبو ابن جني جنديًا رومياً مملوكًا لسليمان الأزدي، السابق، ص ١٢٢-١٢٣، ١٢٨.

^{٣٢٥} السابق، ص ٣٠-١٣٣.

^{٣٢٦} السابق، ص ١٣٣-١٣٥.

^{٣٢٧} الأشعار (٤٦)، الآيات (٣٤)، الأحاديث (٨).

والغزالي ثم الجنيد ثم الشعراني وابن عربي، ثم التستري وأبو العباس المرسى والنفري (التوفري) وغيرهم.^{٢٢٨} ومن اللغويين الفلاسفة يذكر ابن سينا (ابن سينا) وابن طفيل وابن رشد ثم ابن خلدون وغيرهم.^{٢٢٩} ومن الوافد أرسطو ثم أفلاطون ثم بقراط لإظهار العلم بالفلسفة اليونانية.^{٢٣٠} ومن الأنبياء موسى ثم عيسى والخضر.^{٢٣١}

(٣) «شرح قصيدة «يا من تعظم» للرفاعي»^{٢٣٢}

وهو شرح بيتاً بيتاً وأحياناً لفظاً لفظاً من الشرح للعبد الفقير لمولاه الغني.^{٢٣٣} ومع ذلك تبرز بعض الموضوعات الخلقية مثل الإخلاص والإحسان. كما تروى بعض الحكايات عن أصحاب النظم لإظهار مدى علم الشارح مع بعض أقوال في مقدمة الشرح كإطار نظري عام. ومادة الشرح الأولى هي الشعر والقرآن والحديث.^{٢٣٤} وتقتبس بعض أقوال الصوفية من ابن مشيش ثم ابن الفارض والشاذلي ثم الجنيد والحلاج والشبلي وابن عربي وابن عطاء الله وسحنون ومكحول والوراق.^{٢٣٥} وأحياناً تظهر القسمة العقلية كحد أدنى من إعمال النظر في النص.^{٢٣٦}

^{٢٢٨} زروق (١٤)، الشبلي (٧)، الشاذلي (٦)، الحلاج، الغزالي (٥)، الجنيد (٤)، ابن عربي، الأشعاراني (٣)، التستري، أبو العباس المرسى، النفري (٢)، صاحب العينية (الجيلي)، ابن مشيش، علي الجمل، أبو مدين، البسطامي، النقشبدي، الجيلاني، التلمساني، السهروردي، السنوسي، ابن سبعين (١).
^{٢٢٩} ابن سينا، ابن طفيل، ابن رشد، ابن جني (٢)، ابن خلدون، السبتي، الرازي (١)، ومن الفقهاء مالك.

^{٢٣٠} أرسطو (٧)، أفلاطون (٤)، بقراط، الهرامس (٢)، ذو القرنين، اليونان (١).

^{٢٣١} موسى (٢)، الخضر، عيسى (١).

^{٢٣٢} اللطائف الإيمانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ (٤) ص ١٨٣-٢١٠.

^{٢٣٣} «يقول العبد الفقير إلى مولاه الغني به عمن سواه ...» السابق، ص ١٨٣.

^{٢٣٤} الأشعار (٣٠)، الآيات (١٦)، الأحاديث (٦)، القدسية (٢).

^{٢٣٥} ابن مشيش (٤)، ابن الفارض، الشاذلي (٢)، الجنيد، الحلاج، الشبلي، ابن عربي، ابن عطاء الله، الششتري، البوصيري، التستري، الوراق، مكحول (١)، ومن الشعراء كعب ابن زهير (١).

^{٢٣٦} شرح قصيدة «يا من تعظم» ص ١٩٥-١٩٦.

(٤) «شرح الأبيات الثلاثة لأبي القاسم الجنيد»^{٣٣٧}

وهو شرح لثلاثة أبيات فقط، بيتاً بيتاً، وشرطاً شرطاً، ولفظاً لفظاً. ليس هناك سبب للتأليف إلا الدفاع عن التصوف وإرجاعه إلى الكتاب والسنة. لذلك تعتمد مادة الشرح على القرآن والحديث والشعر.^{٣٣٨} ويحال إلى بعض الصوفية مثل الجنيد والقشيري وابن مشيش وغيرهم.^{٣٣٩}

(د) «بغية المستفيد لشرح منية المريد» للتجاني (١٢٦٠هـ)^{٣٤٠}

وهو شرح للنظم بالنثر وبنثر فني تغلب عليه المحسنات البديعية. شرح قصيدة «منية المريد» لأحمد التجاني (١٢٣٠هـ) مؤسس الطريقة التجانية من أحد أتباعه. أصلها سوداني. وانتشرت في المغرب. واستقبلتها «مصر المحروسة». وتتكاثر ألقابه، وفي مقدمتها العارف. وتشترك اسم الطريقة من اسم مؤسسها كما هو الحال في الفرق الكلامية، بداية من التشخيص وتعني الختمية خاتم الأولياء وليس خاتم النبوة، وبالتالي غلق الولاية مع أنها مفتوحة إلى يوم الدين.^{٣٤١}

والشرح بطريقة التفسير الكبير أي الشرح الأكبر أي الفصل بين النظم المشروح والنظم الشارح ويتم تقطيع القصيدة إلى بيت أو بيتين أو ثلاثة حتى خمسة عشر بيتاً. ولكل موضوع. ولكل فهرس تفصيلي. وقد استعمل الشرح كمناسبة للتأليف، ووضع مقدمة مسهبة تضم سبعة مطالب حول الطريق، وعلاقة الشيخ بالمريد، وتطبيق ذلك على الطريقة التجانية وسيرة التجاني أي الموضوعات الثلاثة الرئيسية في التصوف العملي.^{٣٤٢} ويذكر مشايخها وتواريخهم، المتقدمون منهم والمتأخرون.^{٣٤٣}

^{٣٣٧} اللطائف الإيمانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ (٩) ص ٣٢١-٣٢٧.

^{٣٣٨} الآيات (٧)، الأحاديث، الأشعار (١).

^{٣٣٩} الجنيد، القشيري، ابن مشيش، الشريشي (١).

^{٣٤٠} دار الفكر، دمشق ١٩٧٣م/١٣٩٣هـ (طبعة مصورة).

^{٣٤١} هو سيدي محمد العربي السائح الشرقي العمري التجاني، بغية المستفيد، ص ٧٢، ١٠٤، ١٦٥.

^{٣٤٢} السابق، ١٠-١٣٥.

^{٣٤٣} السابق، ٧٠.

يعني الشرح هنا نقل النص المشروح إلى عصر الشارح، وتأويله، وإعادة توظيفه طبقاً للظروف الجديدة، وتحقيقه في واقع معين وهي الطريقة التجانية. ويتردد لفظ العصر.^{٣٤٤} ويتم الشرح كالعادة على مستوى اللفظ، لفظاً بلفظ كما هو الحال في قواميس اللغة والاعتماد عليها. وأحياناً يكون على مستوى المعنى والمترادفات والتحليلات النظرية. ويلحق به منطق الاستدلال في النص المشروح، والانتقال من المقدمات إلى النتائج مع التعليل. وفي أغلب الأحوال يكون الشرح بتحقيق النص في الواقع بطريقة تحقيق المناط عند الأصوليين أي تحويل النص إلى واقعة.^{٣٤٥} وهي أسباب النزول على نحو معكوس، من النص إلى الواقع وليس من الواقع إلى النص. والقصيدة تعليمية تتغير قافيتها بين الشطرين في كل بيت حتى يسهل حفظها. تنصدها ثمانية أبيات للتعريف بالشيخ.^{٣٤٦} وتتناثر الموضوعات إيداناً بتناثر البنية وتفككها. وتضطرب الفصول وتختل كما بين الفصلين الأول والثاني.^{٣٤٧} يدور معظمها حول الطريقة التجانية ومشايخها وسيرهم وفضائلهم وأورادهم وكراماتهم، ورؤية مشايخهم في المنام خاصة في المطالب السبعة وسط الطرق الأخرى ومشايخها مثل الجيلي، والدفاع عن الطريقة ضد منتقديها مثل الثعالبي، وأورادها وأدعيتها وأركانها وذكرها.^{٣٤٨} وتترأى عن بعض الموضوعات الأخلاقية مثل الإخلاص والتواضع، والاعتدال والتقوى.^{٣٤٩} وتختلط السير مع الأقوال الذاتية مع الموضوعية.

ويتركز البعض الآخر حول الرسول، حضوره واستدعائه، والأخبار المروية عنه والصلاة عليه ورؤيته ومنافعها، وهي العناصر المكونة للحقيقة المحمدية. بل تظهر بعض الموضوعات الغيبية مثل الجن والبرهنة على وجوده والأخذ من مشهورش الصحابي وفي نفس الوقت التحذير من مخالطة الجن ومجالستهم أو الموضوعات الحسية مثل السبحة ووضعها في العنق، ولطيفة في التربية بقصة ديك. ولا يهم إذا كانت هذه

^{٣٤٤} السابق، ص ١٢١.

^{٣٤٥} السابق، ص ٥١، ٨٣-٨٥، ١١٩، ١٤٦، ١٩٨.

^{٣٤٦} السابق، ص ١٣٥.

^{٣٤٧} الفصل الأول، ص ٣٥٦-٣٩١ (٣٥)، الثاني، ص ٣٩١-٣٩٥ (٤).

^{٣٤٨} بغية المستفيد، ص ٢١٨.

^{٣٤٩} السابق، ص ٢٣٣-٢٣٥، ٣٢٥-٣٣٤.

الموضوعات في النظم المشروح أو في النثر الشارح؛ إذ إن إبرازها وتفصيلها في الشرح يجعلانها أقرب إلى النص الشارح منها إلى النص المشروح.

وتأتي مادة الشرح من القرآن والحديث والشعر.^{٣٥٠} وتروى بعض الأحاديث عندما تتم رؤية الرسول في المنام. والولي عمره خمس سنوات، وتكرر بعض الآيات والأحاديث. ويحال إلى بعض مؤلفات الصوفية مثل «عوارف المعارف» و«الفتوحات»، كما يحال إلى بعض كتب التفسير مثل السيوطي والطبري و«جواهر المعاني» في اللغة.^{٣٥١} و«لطائف المنن».^{٣٥٢} ويحال إلى عديد من الصوفية في مقدمتهم ابن عربي الذي هيمن على تاريخ التصوف من بعده. ثم الشعرازي ثم البسطامي ثم زروق ثم عشرات من مشاهير الصوفية ورؤساء الفرق الكلامية. ومن الفقهاء أحمد بن حنبل والعز بن عبد السلام.^{٣٥٣}

والطريقة التجانية جمعت بين الأحمدية والمحمدية والإبراهيمية والحنفية. وتظهر المنافسة بين الطرق على المريدين مثل المنافسة بين الشركات على الزبائن. وتظهر العديد من الاقتباسات بعلامة «أ.هـ».^{٣٥٤} ويحال إلى بعض المراجع أسوة بالدراسات الحديثة. كما تعتمد على العديد من الروايات الشفهية والتجارب المعاشة. فالمؤلف أحد أتباع الطريقة، وعلى صلة مباشرة بمشايعها ومريديها.^{٣٥٥} وتظهر بعض الإسرائيليات في أحوال الأنبياء السابقين. فكانت معرفة العرب باليهودية والنصرانية قبل الإسلام أحد المصادر دون أن يكون لها معنى قدحي كما هو الحال في هذا العصر بمعنى التشويه والخلط عن قصد للتشويه على الإسلام كما فعل عبد الله بن سبأ في نشأة التشيع.

^{٣٥٠} الآيات (١٥٧)، الأشعار (١٣٨)، الأحاديث (٨٧)، القدسية (٥).

^{٣٥١} بغية المستفيد، ص ٢١٤.

^{٣٥٢} عوارف المعارف (٣)، الفتوحات (٢)، لطائف المنن، قوت القلوب، نظرة الشرفا في الرد على أهل الجفا، تنوير الملك، نشر البنود على مراقي السعود، أحكام الجان.

^{٣٥٣} السيوطي (١١)، الطبري (٢)، الرازي (١)، ابن عربي (١٤)، الأشعاراني (١٢)، البسطامي (٤)، زروق (٣)، الترمذي، السهروردي، ابن عطاء الله، الرازي، الجنيد، السري السقطي، الشاذلي (٢)، يحيى بن معاذ، ابن عيينة، أبو طالب المكي، علي الخواص، الدقاق، الواسطي، محمد الفاسي، النيسابوري، أفضل الدين، الحلاج، ذو النون، علي ابن وفا، إبراهيم الدسوقي، السنوسي، القشيري، نجم الدين كبرى، ابن الجلاء، السلمى ... إلخ. ومن المتكلمين الباقلاني (٢)، الأشعري (١).

^{٣٥٤} السابق، ص ١٠، ٢٦.

^{٣٥٥} السابق، ص ٣٦، ٥٧، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٧٥، ٧٧، ١٠١، ١٣٩، ١٦٣، ١٧٣-١٧٤، ٢٢١-٢٢٣.

وتبرز الفقرات بألفاظ لاسترعاء الانتباه مثل: فائدة، تنبيه، تكميل، تنمة، دقيقة، تذييل، لطيفة، استدراك، نكتة ... إلخ. أو جمعاً مثل لطائف أو بلفظين مثل تنمة نافعة.^{٣٥٦} وأحياناً يشد الانتباه إلى الملخص بعد التطويل. وتتخلل الشواهد النقلية وأقوال الصوفية والمصادر المدونة والاعتباسات. وتظهر بين الحين والآخر القسمة العقلية كبقايا من التصوف النظري والتحليل العقلي الذي يكشف عن بنية الموضوع.^{٣٥٧} ويظهر أسلوب المحاجة العقلية في «يقول ... قلت».^{٣٥٨} وتتم مخاطبة القارئ كالعادة ومطالبته بالمراجعة والاشتراك والتصحيح. فالطريقة عمل جماعي.^{٣٥٩}

(هـ) «نحت حديد الباطل وبرده في أدلة الحق الذابة عن صاحب البردة» لداود النقشبندي (١٢٩٩هـ)^{٣٦٠}

وهو عنوان تشبيهي طويل للدفاع عن صاحب البردة، البوصيري. اعتماداً على العلماء خاصة الحنابلة منهم المدافعين عن العقيدة. فقد رواها العلماء وشرحها الفضلاء. تخلو من الشرك والكفر في الموضوع أو في التشطير في الشكل الشعري. تثبت الشفاعة بفعل القدرة الإلهية ضد الخوارج والمعتزلة، فعلم الغيب مكاشفة.^{٣٦١} وهو أكرم الخلق. والنداء

^{٣٥٦} السابق، ص ٧، ٣١-٣٣، ٤٠-٤١، ٧١، ٨١-٨٥١، ١٩٨.

^{٣٥٧} السابق، ص ٢٤٨.

^{٣٥٨} السابق، ص ٧٧.

^{٣٥٩} السابق، ص ١٨١.

^{٣٦٠} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م (١) ص ١٥-٩٦.

^{٣٦١} «أتاني سنة تسعة وتسعين ومائتين وألف من مكة المشرفة كتاب كريم فيه نبأ عظيم، وهو أن بعض من أخذ العلم علينا من أهل نجد معه بُردة المديح التي هي مرهم مجرب لكل جريح مع تشطيري لها الذي امتزج بها وزادها رونقاً وبهاء. قرأها بعض طغام في نجد فأنكر بعض ما وجد فيها من التشفع وجد، وأنه كتب بعضهم رسالة ينتقض فيها مقام صاحب الرسالة، وأظهر فسالة كلام يدعي فيه البسالة من اعتراضات على بعض أبياتها واهية وما أدراك ما هيه. سفاسف وترهات، وعلى الجهل المركب دالات. ويدعي أن صاحب البردة في قوله «يا أكرم الخلق ...» كفر وحصلت له الردة وأن من قرأها أو سمعها أو كانت عنده أو رضي به فقد كفر وتجاوز حده، وأوجب بالقتل حده. فصار ذلك المخبر لي بكتابه والمبدي ما فيه أوطابه يستنهض همتي لرد هذه الخرافات. فقلت عجباً، هؤلاء الأرجاس ما شبعوا من كل الخرافات حتى ظهر منهم هذه الأيام ظاهر، يثابر على تقويم معوج بدعتهم ويظاھر.

والطلب من الأموات ليس عبادة. والأدلة على ذلك أربعة عشر دليلاً. فلا خلاف إذن بين الحنابلة، ابن تيمية وابن القيم وابن رجب والفقهاء الأربعة على صدق إيمان البوصيري. وهذا هو سبب التأليف، الدفاع عن شعر المديح ضد الوهابية خاصة حول الشفاعة بين الإثبات والإنكار. هو أقرب إلى الشرح المؤيد للمشروح دفاعاً عنه ولو أن لفظ الشرح غير وارد في العنوان ولا في الرسالة. الشرح رد اعتبار للمشروح ضد تهم التكفير والردة. وتدخل أيضاً في الشروح والملاحظات. كما تدخل في الحقيقة المحمدية. وهي ليست أول قصيدة من نوعها بل تلتها قصائد عدة مثل القصيدة المحمدية، القصيدة المضرية، قصيدة الإمام العدني.^{٣٦٢}

تعتمد على الشروح السابقة وتنقل منها خاصة الحنابلة. وتؤخذ منها اقتباسات بعلامة «انتهى». وهو شرح متقطع بيتاً بيتاً وأحياناً شطراً شطراً. وأحياناً يتوجه الشرح إلى الألفاظ وتعداد المعاني وترقيمها. ويُستطرد فيه. هو شرح عقائدي وليس شرحاً فنياً للشكل الشعري. وأحياناً يشرح الشعر بالشعر.^{٣٦٣} كما يشرح بالقرآن والحديث. والأحاديث بلا أسانيد. وبعضها ضعيف من صنع الخيال.^{٣٦٤} وتذكر أحاديث الرسول في المنام.^{٣٦٥} ولا يذكر فلاسفة ولا متكلمون ولا صوفية. ويكثر المحدثون والفقهاء والرواة والأئمة. فالموضوع جدلي بين الخصوم. وقد أكثر المحدثون الحديث فيه. وفي مقدمتها إجازات الرواية.^{٣٦٦} والمؤلف هو الفقير إلى سيده ومولاه والراجي شفاعته نبيه في دنياه وآخره.^{٣٦٧} وتكثر أسماء الأعلام، رواة ومحدثين وفقهاء وأقلهم من الصوفية.^{٣٦٨} كذلك

فاستعنت الله تعالى على بيان رده، ورد رده إليه وإلى حزبه وجنده لتقر بذلك عين محبي المصطفى مما راق من الأدلة القوية وصفاً. فهي لعمر الله لا تحتاج لظهور فسادها رد. ولا تُحسب شيئاً ولا تُعد ولكن تحاشياً عن دخول سفاسفهم على بعض العقول ليدفع ما يتقوله هذا الخارجي بما تقول من أوضح النقول وسميتها...»، السابق، ص ١٦.

^{٣٦٢} السابق، ص ١٣٧-١٤٦.

^{٣٦٣} السابق، ص ٣٥.

^{٣٦٤} الآيات (٧٥)، الأحاديث (٢٨)، الأشعار (٩).

^{٣٦٥} نحت حديد الباطل، ص ٥٩.

^{٣٦٦} السابق، ص ١٧-٢٠.

^{٣٦٧} السابق، ص ١٥.

^{٣٦٨} ابن تيمية (٧)، ابن القيم، ابن عبد السلام، ابن قدامة، تقي الدين السبكي، ابن حجر ... إلخ (١).

قسمت البردة موضوعياً إلى: في الغزل وشكوى الغرام، التحذير من هوى النفس، مدح القبر، مولده، معجزاته، شرف القرآن ومدحه، إسرائه ومعرجه، جهاده، التوسل به، المناجاة وعرض الحاجات.

(و) «النفحات الشاذلية في شرح البردة البوصيرية»

لحسن العدوي الحمزاوي (١٣٠٣هـ) ٣٦٩

وهو شرح بمعنى تأليف بمناسبة النص المشروح والذي يستعمل مجرد حامل أو مناسبة لزيادات حوله بحيث يكون بؤرة تأليف جديد، وجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات حول الموضوع. ويدخل التصوف في منظومة أعم لباقي العلوم مثل التاريخ والفقه والسيرة. وتتراكم المعلومات. ويجتر العلم المنقول خاصة لو كان الشارح أزهرياً متعوداً على نقل القدماء، وإذا كان الشارح طريقياً شاذلياً فإن شرحه ينحو هذا النحو الطرقية الشاذلية كما هو واضح في العنوان «النفحات الشاذلية». ٣٧٠ يتكون الشرح من ثلاثة أجزاء. الأول في سيرة الرسول فضائله ونبذ عنه وشماله الظاهرة وأخلاقه وأعماله وخصائصه. والثاني ذكر ثلاثمائة حديث من جوامع كلم الرسول، الشخصي أولاً والكلام ثانياً. وتدور الأحاديث أولاً حول موضوعات التصوف الخلقي عوداً بالتصوف إلى علم الحديث. ٣٧١ وتدور ثانياً حول الإصلاح بين الناس. ٣٧٢ وتتناول أيضاً المقامات والأحوال. ٣٧٣ ثم تتناول موضوعات الفقه وثقافة الموت: المحتضر، والصلاة على الميت والجلوس على القبر نهاية

٣٦٩ دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م، ١٤٢٦هـ.

٣٧٠ وهو نفس المعنى الذي وضعه المحقق أو الناشر لست رسائل لابن عجيبة في عنوان فرعي هو «سته شروح شرعية وصوفية، الجواهر العجيبة من تأليف سيدي أحمد بن عجيبة».

٣٧١ ج ١ (١١٤)، ج ٢ (١١٦)، ج ٣ (٢١٨).

٣٧٢ مثل: الإخلاص والصدق والمراقبة والاستقامة، والمبادرة إلى الخير، الاقتصاد في العبادة، المحافظة على السنة، والذكر، والاستغفار، والدعاء والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والتعاون على البر، وتعظيم حرمان المسلمين، وتشمل أيضاً الوصية بالنساء، والنفقة على العيال، وحق الجار، والبر بالوالدين، وصلة الرحم، والتحذير من إيذاء الصالحين وبعض الأفعال مثل التوبة والصبر.

٣٧٣ مثل: الخوف والرجاء وبعض الفضائل مثل الجود والكرم، والإيثار والمواساة والتواضع والحلم وحسن الخلق، وإفشاء السلام وكيفية التعامل مع المرضى.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

بكرامات الأولياء.^{٣٧٤} ثم يأتي نص البردة.^{٣٧٥} ويخصص الجزء الثالث للشرح. فالشرح ثلث من ثلثين آخرين. بل إن الشرح يسبقه ترجمة للبوصيري ومقدمة لراحة الأرواح.^{٣٧٦} وهو تجسيد للحقيقة المحمدية وتضخم شخصي للرسول.

ويتم الشرح أيضًا على مستويات ثلاثة: اللفظ وهو الشرح اللغوي النحوي، والمعنى وهو الشرح بالتعريفات والمترادفات بحرف «أي» أو بفعل «يعني»، والثالث الموضوع وهو مضمون النص وفحواه. أما ألفاظ القول فتشير إلى القطع بين النص المشروح والنص الشارح. تظهر آليات الشرح في ألفاظ الاستدلال، والانتقال من المقدمات إلى النتائج.^{٣٧٧} كما تظهر بعض اللزمات للإشارة إلى النتائج مثل «فائدة»، و«تقدير الكلام»، الجواب والشرح بيتًا بيتًا، ونادرًا ما يكون لبيتين.^{٣٧٨} وتظهر لازمة «الله أعلم» للدلالة على نسبية المعرفة البشرية.^{٣٧٩} ومادة الشرح الكتاب والسنة والشعر مع أولوية الشعر على السنة.^{٣٨٠} نظرًا للقرابة بين النص القرآني والنص الشعري. ويحال إلى مصادر مدونة أخرى مثل «مشارق الأنوار».^{٣٨١} كما تتم الإحالة إلى باقي أعمال الشارح.^{٣٨٢} وتأتي المادة من عدة اقتباسات يشار إليها بالحرفين «أ.هـ» أو مجرد اختصار لنص.^{٣٨٣} ويأتي معظمها من القسطلاني. كما تستعمل بعض الإسرائيليات بالإحالة إلى الكتب المقدسة الأخرى، خاصة الأنجيل مصدر أقوال عيسى.^{٣٨٤} ونادرًا ما تأتي القسمة العقلية لتأسيس الموضوع نظريًا.

^{٣٧٤} بالإضافة إلى الإسراع بالجنائز، وقضاء دين الميت، والموعظة عند القبر، والصدقة على الميت، والنهي عن الجلوس عند القبر وتخصيصه والبناء عليه.

^{٣٧٥} وتقسم إلى موضوعات عشرة مثل: الغزل، شكوى الغرام، التحذير من هوى النفس؛ مدح النبي، مولده، معجزاته، شرف القرآن، إسرائه ومعجازه، جهاده، التوسل به، مناجاته وعرض الحاجات.

^{٣٧٦} النفحات الشاذلية، ص ٣١٩-٣٢٦.

^{٣٧٧} مثل: وظهر مما قلناه، خاتمة، فائدة التقدير الكلام، فالجواب، السابق، ص ٣٤٢، ٤٦٥، ٥١٢.

^{٣٧٨} السابق، ص ٥١٠.

^{٣٧٩} السابق، ص ٣٧٣.

^{٣٨٠} الآيات (٢٠٦)، الأشعار (١٠٦)، الأحاديث (٧٩).

^{٣٨١} النفحات الشاذلية، ص ٣٦٦.

^{٣٨٢} مثل المدد الفياض على السقاء، النفحات النبوية، السابق، ص ٣٨١-٣٤٦.

^{٣٨٣} النفحات الشاذلية، ص ٣٤٦.

^{٣٨٤} السابق، ص ٣٧١-٣٧٢.

(ز) «الدرة الخريدة شرح الياقوتة الفريدة» للنطيفي (تأليف ١٣١٩) ^{٣٨٥}

هو شرح مستفيض تفصيلي لقصيدة طويلة لفظاً لفظاً، وبيتاً بيتاً، وبيتين بيتين، وثلاثة أبيات ثلاثة أبيات. يغلب عليها التصوف الخلقي والفقه الخلقي فيما يسمى بأسرار العبادات. كما يغلب عليها الشرح اللغوي والصوفي خاصة مناقب الأولياء مثل السيد أحمد التجاني والحقيقة المحمدية. ^{٣٨٦} وألقابه سيد الوجود، وسيد الأنبياء. ^{٣٨٧} ويُشرح كل شيء، الدال وغير الدال، البسمة والحمدلة والحوقة. كما يركز على الطريقة، شيخها وصلاتها وتساييحها. ويركز الجزء الثاني على أخلاق الإخوان، المصافحة والبشاشة والبر والتقوى والمحبة، والنهي عن المقاطعة والحقد والغش والتهافت على الدنيا والإلحاح وأخذ الأجرة والغيبة. ^{٣٨٨} فكلها أوامر ونواهي متصلة بفصلين، الأول النهي عن إضاعة المال والثاني محبة الحق وأهله وكراهية الظلم وأهله. ^{٣٨٩} والجزء الثالث أدخل في التصوف بداية بالتحذير من الرياسة والقضاء والعدالة والفتيا، والأمر بالقسط وفضل الصدقة. ثم تأتي شعائر الطريقة مثل السبحة وتجنب شرب المتشابه. ثم تأتي الأوراد الأحمدية وشروط المريد وصفات الشيخ. ويبدأ النقد الاجتماعي لمتشيخي الوقت وهم من أجهل العباد بالسنة واتخاذ الزوايا لاصطياد الدنيا والمعاش والتجارة وتمرد المشايخ وظهورهم في الصدارة. ^{٣٩٠} والجزء الرابع كله في الطريقة الأحمدية، وأورادها وشعائرها، وملازمة الزوايا والذكر والأحزاب والحقيقة المحمدية. ^{٣٩١}

ومادة الشرح هي الحديث ثم القرآن ثم الشعر. ^{٣٩٢} ويضاف إلى ذلك حكايات الأولياء وكراماتهم ومناقب الشيخ. الآيات مختارة ومنقاة لتتفق مع اعتقادات الصوفية. ^{٣٩٣}

^{٣٨٥} دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م/١٤١٩هـ (أربعة أجزاء).

^{٣٨٦} السابق، ج ١، ٣٣-١٥٠.

^{٣٨٧} السابق، ج ١ ص ٤-٣٣.

^{٣٨٨} السابق، ج ١ ١٥٦-٢١٣.

^{٣٨٩} السابق، ج ٢، ٢٨٩-٣٤٨.

^{٣٩٠} السابق، ج ٣، ص ١٢٠-١٤١.

^{٣٩١} السابق، ج ٤، ٣٤٨-٣٥٤.

^{٣٩٢} الأحاديث (١٦١٦)، القدسية (٨)، الآيات (١٢١٦)، الأشعار (١٠٩٢).

^{٣٩٣} الدرة الخريدة ج ١، ٢٧٤.

ويُرى الرسول في المنام وتروى عنه الأحاديث. والأحاديث في مجملها بلا أسانيد لضعفها. ويبدو الرسول مؤسس علم الحروف. ويتم تشخيص كل مرة يذكر فيها اسم محمد في الحقيقة المحمدية.

ويقوم على التجميع من مصادر عدة يذكر بعضها. وتنتهي الاقتباسات منها بعلامة «أه». ويوضع قبل بعض الفقرات بعض ألفاظ الإيضاح مثل: تنبيه، تنمة، لطيفة. ويستعمل أسلوب الحجاج «فإن قيل قلنا»، وكأن الشرح له موقف، يجادل الخصوم. الشرح نفسه بلا هدف، معركة وهمية. يقوم على تجميع أقوال السابقين من المحدثين والفقهاء والصحابة. ونادرًا ما يذكر كبار الصوفية ومؤسسو مذهبهم.

(ح) «شرح تائية السلوك إلى ملك الملوك» لسعيد أحمد عرب الشرنوبلي (٩٩٤هـ) من الشيخ عبد المجيد الشرنوبلي الأزهري (١٣٢٨هـ) ^{٣٩٤}

وهناك ثلاثة قرون ونصف تقريبًا بين الشارح والمشرح. وهما من نفس عائلة «الشرنوبلي». فالشرح حفاظ على التراث الصوفي للعائلة. وسبب الشرح مجرد إعجاب الشارح بالمشرح دون هدف آخر لتطوير موضوع القصيدة أو دراسة الصلة بين التجربة الصوفية والتجربة الشعرية. ^{٣٩٥} والأسلوب يقوم على المحسنات البديعية حتى يكون النثر على نفس المستوى الأدبي للنظم ويشعر الشارح أنه أقل درجة من المشرح. فهو العبد الفقير، خَادم الأعتاب وتراب الأقدام. لا فرق بين الفقير للمولى الغني والخَادم للمولى الصوفي. ^{٣٩٦} وفي نفس الوقت تلحق بالمشرح ألقاب التعظيم مثل «العارف بالله»، «قطب الوجود». ويتم الشرح بيتًا بيتًا، وعبارة عبارة، ولفظًا لفظًا. ويبدأ الشرح أحيانًا بلفظ القول «أقول» ومادة الشرح بلفظ «يقال». ^{٣٩٧} ومن وظائف الشرح تحويل النظم

^{٣٩٤} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م، ١٤٢٤هـ.

^{٣٩٥} «وكان من أجمل ما ألف فيه هذه التائية الفريدة التي هي في بابها بديعة وحيدة، نسيجة قطب الوجود وعمدتي في خطوبي سيدي وسندي السيد أحمد عرب الشرنوبلي بادرت إلى ارتشاف حميا كأسها الشهي، وطفقت أنظم لؤلؤًا في جيدها البهي ليكون ذلك شرًا بديع المثال مفصلًا لتلك الدراري التي نسجت على أحسن منوال، ملتقطًا تلك اللآلئ المهدية من محار السادة الأعلام ذوي الكتوس الوفية ... تائية السلوك، ص ٧.

^{٣٩٦} «فيقول الفقير إلى مولاه الغني ... فإني خَادم أعتابهم وتراب أقدامهم»، السابق، ص ٧.

^{٣٩٧} السابق، ص ١٢-١٣.

إلى نثر، والشعر إلى مقال. فتبرز الموضوعات. ويوضع لكل مجموعة أبيات عنوان. وتتنوع الموضوعات بين التصوف مثل أصول الطريق والقناعة به والسهد له وآدابه والعزلة، وآداب الشيخ والمريد، والاستعداد والمدد، ولطائف التدبير، ووصف اليقين، ومراقبة النفس، وحد التصوف وبعض المواعظ والنصائح. وبعض الموضوعات أقرب إلى علم الكلام مثل أسماء الله الحسنی.

ويضاف إلى المشروح مادة ليست منه. فالمشروح مجرد مناسبة أو مشجب لتعليق الحفظ عليه. وقد أسفر ذلك عن طابع عام للتأليف في عصر النهضة.^{٣٩٨} فيضاف تاريخ حياة المشروح وقصيدة للأباصيري، وتقریظ الأفاضل للكتاب كنوع من المناقب وكما يحدث في النشر الحديث على ظهر الكتاب، وذكر أقوال له. وينتهي الشرح ببعض الأدعية.^{٣٩٩} وتبرز الكرامات كمادة أساسية للشرح، والحقيقة المحمدية. وتضاف معلومات عن الأشخاص ورؤساء المذاهب الفقهية الأربعة، الميلاد، والوفاة، والمكان.^{٤٠٠} كما تأتي المادة من الإسرائيليات وأقوال الأنبياء السابقين دون تحديد مصادرها.^{٤٠١} ويعبر عن بعض نتائج الشرح بألفاظ مثل «فائدة»، «تنبيه»، «لطيفة»، «تتمة». ويخاطب الشارح القارئ «اعلم أيها المريد».^{٤٠٢}

ويستعمل الشعر والقرآن والحديث. فالأولوية للشعر.^{٤٠٣} ويُشرح الشعر بالشعر. فالنثر أضعف وأقل قدرة من التعبير الشعري. وتؤدي الأدلة الشعرية وظيفتين، تأييد الشعر بالشعر أو الاستشهاد به على صدق الشعر. وتتنوع فنون الشعر مثل الغزل وليس بالضرورة الشعر الصوفي. فالشعر شعر بصرف النظر عن موضوعه. لذلك يستشهد بشعر أبي نواس وأبي العتاهية، كما يستشهد بأشعار ابن الفارض والجيلي وابن عربي

^{٣٩٨} وهذا واضح في مؤلفات الطهطاوي ورواية «علم الدين» لعلي مبارك.

^{٣٩٩} تائية السلوك، ص ١١٧-١٥٦.

^{٤٠٠} السابق، ص ١٤٦-١٤٧.

^{٤٠١} السابق، ص ٢٠، ٤٧، ١٢٦.

^{٤٠٢} السابق، ص ٣٣، ٤٨، ٧٦، ٧٧، ٩٤-٩٧، ١٠٩، ١١١، ١٣٤.

^{٤٠٣} الأشعار (٣٦٨)، الآيات (١١٠)، الأحاديث (٧٢).

والبوصيري وغيرهم من شعراء الصوفية.^{٤٠٤} وقد تطول القصائد الشارحة لبيت مشروح واحد.^{٤٠٥} وقد تتوالى في زخات.^{٤٠٦} وتستعمل الآيات القرآنية لإرجاع الشعر إليه. فلا فرق بين الشعر والقرآن، البيت والآية. كلاهما يعبر عن تجربة واحدة. والأصل هو التجربة الشعرية أساس التجربة الدينية. وقد تتوالى الآيات في دفعات.^{٤٠٧} ويستعمل الحديث المتن دون السند. فقد بعد العهد بالجرح وتعديل ونقد الرواة. المهم هو تطابق متن الحديث مع الآية القرآنية والبيت الشعري. ويُرَى الرسول في المنام كالعادة.^{٤٠٨} كما تأتي مادة الشرح من أقوال الصوفية والفقهاء والنحاة مع اقتباسات تنتهي بعلامة «اهـ».^{٤٠٩} ولا يوجد أي صراع بين الفقهاء والصوفية.^{٤١٠} ويأتي في المقدمة الجرجاني في «التعريفات» التي يحتاج إليها الشارح لتحديد معاني الألفاظ. كما تذكر بعض مصادر الصوفية مثل «عوارف المعارف» و«الفتوحات»، وبعض الحواشي مثل «حاشية الجوهرة» للصاوي.^{٤١١} كما يذكر بعض الصحابة باعتبارهم من أئمة التصوف مثل علي وابن عباس.^{٤١٢} وبالرغم من كثرة الأدلة النقلية إلا أن القسمة العقلية وهي إحدى وسائل التعريف تبرز بين الحين والآخر.^{٤١٣}

^{٤٠٤} من الشعراء: ابن الفارض (سلطان العاشقين) (٨)، ابن عربي (٥). صفى الدين الحلي (٢)، أبو العتاهية (٤)، المتنبي (٢)، البوصيري، اللقاني، أبو نواس، التهامي، الطغرائي (١).

^{٤٠٥} تائية السلوك، ص ٦٢-٦٦، ٧٥، ١٣٧-١٤٤، ١٥٥-١٥٦.

^{٤٠٦} السابق، ص ٢٤-٢٧.

^{٤٠٧} السابق، ص ١٣٤-١٣٦.

^{٤٠٨} السابق، ص ١٠.

^{٤٠٩} السابق، ص ٢٣، ٤٧، ٥١، ٥٨، ٨٥، ٨٧، ١٠٩، ١١٩.

^{٤١٠} أهمهم: السيد الشريف الجرجاني، الجيلي (٣)، الشاذلي، الفضيل بن عياض، الشبلي، الأشعاراني (٢)، الكتاني، رابعة، ابن زريق، القسطلاني، الوراق، البستي، ابن الوردي، السيد الرضي، الحسن البصري، أبو نصر الطوسي، السهروردي، البسطامي، السري السقطي، إبراهيم بن أدهم، الدميري، المقدسي، الجنيد، إبراهيم الدسوقي، أحمد الرفاعي، الغزالي، سعدون المجنون، أبو العشائر، ومن الفقهاء: الشافعي (٢)، أحمد، أبو حنيفة (١) ... إلخ.

^{٤١١} تائية السلوك، ص ٢١، ٩٦، ١١٩.

^{٤١٢} علي (٢)، ابن عباس، جعفر الصادق (١).

^{٤١٣} تائية السلوك، ص ٨، ٣٧-٣٨، ٥٦-٥٧، ٧٠، ٨٠.

(ط) «شرح ديوان ابن الفارض من شرحي البوريني» (١٠٢٤هـ) للنابلسي
(١١٤٣هـ): جمعه رشيد بن غالب اللباني (١٣٠٦هـ)^{٤١٤}

ويدل على طبيعة الشرح في العصور المتأخرة على أنها مجرد تجميع من شروح متقدمة وليست شرحاً أصيلاً. الجامع هو «المفتقر إلى عون الله الغني». وهذا هو سبب التأليف.^{٤١٥} وقد أخذ الجامع الشرح الأول برمته لأنه أبان كل ما يختص باللغة والشعر والبديع وكل الفنون العلمية دون الصوفية. ثم أضاف إليه مقتطفات من شرح النابلسي الصوفي الخاص بأهل الطريقة.^{٤١٦}

والشرح بيتاً بيتاً، وعبارة عبارة، ولفظاً لفظاً. وهو مجرد عبارات شارحة دون قراءة أو تأويل. شرح بلا هدف أو تجميع شرحين بلا غاية. لا مقارنة بين الشرحين السابقين، ولا مفاضلة بينهما. للشارح عقلية الجامع وليس الشارح. الشرح الأول لغوي. يتم أولاً بالإعراب ثم بيان المعنى. والثاني صوفي مملوء بالآيات والأحاديث والاقتراسات تنتهي بعلامة «ا.هـ».

وهو محبوب طبقاً للقصاصد.^{٤١٧} وتوضع أحياناً بعض العناوين من الأمثال الشعبية مثل «اشتدي أزمة تنفرجي». أما مادة الشرح فهي الشعر ثم القرآن ثم الحديث.^{٤١٨} وتضاف حكايات وروايات شفاهية.^{٤١٩} كما يتم الاعتماد على أقوال المحدثين والمفسرين

^{٤١٤} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م/١٤٢٤هـ.

^{٤١٥} «ولكوني طالعت شرحاً للشيخ حسن البوريني كامل الفائدة، وافر الفائدة. أبان فيه كل ما يختص باللغة والأشعار البديع وباقي الفنون العلمية. ولم يتعرض لشيء مما يتوّل إلى طريقة الصوفية. ووقفت على شرح ثانٍ للشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي الصوفي. استفرغ فيه مجهوده ببيان المقاصد الدقيقة المختصة بأهل الطريقة أخذت شرح الشيخ البوريني برمته. ثم أضفت إلى آخر شرح كل بيت نبذة من كلام الشيخ النابلسي فيما يذهب إليه أهل أمته إلا بعض أبيات اقتصرت فيها على كلام البوريني لمطابقة الشرحين. ولكون الإيجاز للكتاب زين. ونقلت من مجموع الشيخ النابلسي ديباجة الديوان، وتذليل العينية والميمية للشيخ علي سبط الناظم مع شرح أبيات وقصاصد من غير نظم المؤلف رغبت في جمعها إلى كتابه توسيطاً لمغنم طلابه»، السابق، ج ١، ص ٧.

^{٤١٦} خمس قصائد طوال في الجزء الأول، وثلاث عشرة قصيدة بالإضافة إلى ثلاثة وعشرين لغزاً من ألغاز الشيخ وتتمتع قصائد ومقاطع للشيخ في الجزء الثاني.

^{٤١٧} السابق، ص ١٧.

^{٤١٨} الأشعار (٤٢٠)، الآيات (١٣٥)، الأحاديث (١٨).

^{٤١٩} شرح ديوان ابن الفارض ج ١، ١١، ١٧، ١٩، ٨٤.

والفقهاء واللغويين والشعراء. ويقل الاعتماد على أعلام الصوفية الكبار والشعراء.^{٤٢٠} وتستعمل القواميس اللغوية وبعض المصادر المدونة الأخرى.

(ي) «إرغام المريد في نظم الشرح العتيد لتوسل المريد» للكوثري (١٣٧١هـ) ^{٤٢١}

وهو كتاب في شرح النظم من حيث الشكل وفي آداب المريد من حيث المضمون. ويبدو من العنوان «إرغام المريد» و«توسل المريد»، علاقة الشيخ بالمريد القائمة على إرغام المريد وتوسله إلى الشيخ مما يتنافى مع أصول التربية ومناهجها. وسبب التأليف هو شرح النظم لإزالة الشكوك عن معانيه والكشف عن معانيه مع ذكر تراجم السادات ضمن شرح الأبيات للاقتداء بها.^{٤٢٢} ومؤلفه أفقر العباد إلى سبيل الرشاد أسير المعاصي والذنوب البارز النقائص والعيوب.

وأهم ما فيه الرد على ابن تيمية في هجومه على التصوف ووصفهم بأنهم «أولياء الشيطان» وليسوا «أولياء الرحمن». فقد أنكر زيارة القبور والتوسل بأرواح الأموات بل ومنعوا زيارة الروضة المطهرة والتوسل بالنبي. فأفتى العلماء بحبسه ومات في السجن. فقد غلط في كثير من الأحكام. ورد عليه أبو الحسن، وتاج الدين السبكي، وعز بن جماعة، وابن حجر، وكثير من أئمة الحنفية والشافعية والمالكية لإثبات أن التصوف والتوسل بالسادات وتحلية النفس بالكلمات حق.^{٤٢٣} وفيها الرد على اليهود والنصارى والمجوس في التشبيه والتحريف. وهو شرح للنظم بيتاً بيتاً حتى سبعة أبيات لغويًا

^{٤٢٠} من الشعراء المتنبي (٣)، المعري، لبید، أبو تمام (١)، ومن الفقهاء، الشافعي، أبو حنيفة، أحمد (١). ومن المفسرين البيضاوي (١). ومن المتكلمين التفتازاني (١). ومن الصوفية: الجنيد، السهروردي، التلمساني، البكري، الجنيد، الشيخ الأكبر ابن عربي.

^{٤٢١} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م، ص ٣٧-١٠٧.

^{٤٢٢} «مفتقراً إلى شرح يزيل الشكوك عن مبادئه ويرفع النقاب عن وجوه معانيه أردت أن أشرحه على حسب اطلاعي وإن قصر في ذلك باعي مع ذكر تراجم السادات في ضمن شرح تلك الأبيات ليكون وسيلة لاستجلاب همهم الباهرة وذريعة للارتشاف من تلك البحار الزاخرة ...» السابق، ص ٣٧.

^{٤٢٣} «إلا أن ابن تيمية ومن هذا حذوه ممن دينهم الخلاف أنكروا زيارة القبور فضلاً عن التوسل بأرواح الأموات حتى اجترأوا على المنع من زيارة الروضة المطهرة بل على التوسل بالنبي عليه أكمل التحيات. وألف في ذلك كتاباً. فأفتى العلماء بحبسه رجاء لارتداعه، وإنقاذاً له عن غوايته وابتداعه لكن أصر إصراراً حتى قيل أن سيصل نارا. ومات في السجن سامحه الله. وهو وإن كان ممن قدم في العلم لكنه غلط في كثير من الأحكام على ما ذكره من العلماء الأعلام مع أنه من المجسمة المراغمة لأهل السنة. فلا

ونحوياً وفلسفياً. والأهم هو زيادة معلومات تاريخية عن مشايخ الصوفية. ومعظمها من المنقولات التي تنتهي بلفظ «انتهى» أو بعلامة «ا.هـ».^{٤٢٤} مما يوحي باجترار المعلومات مع ألقاب التقديس للمشايخ. فهي تواريخ ذاتية يبدو منها تدخل الوعي التاريخي داخل الشرح.^{٤٢٥} وتذكر مصادر المعلومات مثل «الفتوحات» و«تذكرة الأولياء» للعطار. وتظهر بعض الأبيات الفارسية.^{٤٢٦} ومن الصوفية يذكر العديد منهم مثل ابن عربي الشيخ الأكبر ثم البسطامي والجامعي والجيلي والناقلي والشاذلي.^{٤٢٧} ويعتمد على الشعر أولاً ثم القرآن دون الحديث.^{٤٢٨} ويتحدث عن «زماننا هذا» مما يدل على ارتباط التصوف بالعصر والتاريخ.^{٤٢٩}

(ك) «المنح القدوسية في شرح المرشد المعين بطريق الصوفية»

لابن علوية المستغانمي^{٤٣٠}

وهو شرح نظم بالنثر مثل شرح القصيدة العينية، وشرح البردة. وكما يبدو من العنوان «المنح القدسية»، الإيحاء بأن الشرح منحة قدسية وليس عملاً عقلياً تأويلياً في النص.

يكفي الطعن فيه بالألسنة بل بالألسنة. وقد انتصب جماعة من المحققين لرد أباطيله منهم الإمام المجتهد أبو الحسن السبكي ... حيث رد أباطيل ابن تيمية حق الردة في مؤلفاته سيما في شفاء السقام في زيارة خير الأنام. ومنهم التاج السبكي والإمام عز بن جماعة وابن حجر وأهل عصرهم وغيرهم من الحنفية والشافعية والمالكية. وأما من انتصر له ممن ينتمي إلى العلم، وناطق هؤلاء الجبال الشوامخ فليشفق على رأسه. والحاصل أن التصوف المعنوي الذي أثبت للأولياء ثابت بعد الممات. إذ هو أمر روحاني لا يعتره الفوات. فتخلص مما ذكرنا لزوم التوسل بالسادات في تحلية النفس بالكمالات. فلذا ترى القوم يأمرؤن المريدين بالتوسل بالسعادة للمتقين»، السابق، ص ٤٠-٤١.

^{٤٢٤} انتهى (٣٠).

^{٤٢٥} إرغام المريد، ص ٤٦.

^{٤٢٦} ابن عربي (٤)، ابن تيمية (٣)، البسطامي، الجيلي، الشاذلي، النابلسي، البكري، الرازي (الفخر)، المناوي (٢)، أبو نعيم، السيوطي.

^{٤٢٧} الأشعار (٣٣)، الآيات (٦).

^{٤٢٨} إرغام المريد، ص ٩٨.

^{٤٢٩} وتبدأ بسيرة الرسول ثم أبي بكر، سلمان الفارسي، جعفر الصادق، البسطامي، وحوالي تسعة وعشرين من مشايخ الطرق.

^{٤٣٠} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣ م/١٤٢٤ هـ.

والنص نفسه في الطريقة التي ينتقل فيها المريد من الشريعة إلى الحقيقة. لذلك أتى موضوعها في الفقه والتصوف، في التنزيل والتأويل. ولذلك أيضًا انقسمت القصيدة إلى قسمين. الأول في الفقه وهي «الأصول» وتشمل موضوعات الطهارة والوضوء ونواقضه والغسل والتيمم والصلاة وفرائضها وصلاة الجمعة، والزكاة والصيام والحج، وتطول موضوعات الطهارة، كناية عن طهارة الروح. والثاني في «مبادئ التصوف وهوادي التعريف» في التصوف. ويتجاوز حجم الفقه حجم التصوف إحدى عشرة مرة.^{٤٣١} واللفظ المستعمل «التصوف» أي كيف يكون الإنسان صوفيًا، و«هوادي» أي كيف يهتدي حتى يصل إلى المعرفة. فالشروح أيضًا في آداب الشيخ والمريد.

ويسبق ذلك مقدمتان، الأولى في شرف علم التصوف، والثانية في فهم اللفظ الواحد بعدة معاني. وهو الدافع على الشرح من أجل الضبط والإيضاح. والثالث الاعتقاد لبيان أن التصوف مطابق لعقائد أهل السنة، فهو أشعرية روحية كما أن الكلام أشعرية جدلية. فالنص يجمع بين الظاهر والباطن، بين التنزيل والتأويل. ولا يعطي الشارح جديدًا عما في النص المشروح. لا يتجاوز الشرح العبارة الشارحة.^{٤٣٢} وقد يصل أحيانًا إلى حد السطحية. فمن الصعب شرح الواضح وفتح غير المستغلق.^{٤٣٣} ووظيفة الشرح أحيانًا اجتراء المعلومات السابقة في العصور المتأخرة، واستعمال النص كشرنقة تلتف حولها المعلومات. فعمل العقل الحفظ وليس التفكير.

وتتم آليات الشرح كالعادة على ثلاثة مستويات: الأول اللفظ وهو الشرح اللغوي، النحو والإعراب. والثاني المعنوي، وهو توضيح المعنى عن طريق المترادفات. والثالث الموضوع وهو كشف الموضوع ومحاولة إيجاد بنية عقلية له تقوم على القسمة.^{٤٣٤} وقد تتداخل هذه المستويات الثلاثة في شرح لغوي منطقي فلسفي.^{٤٣٥} ويتم تقطيع القصيدة

^{٤٣١} الفقه (٢٢٢)، التصوف (٢٠).

^{٤٣٢} العبارة الشارحة Paraphrase.

^{٤٣٣} «ووفقني لفتح مغلفات هذا النظم العجيب، المحتوي ظاهراً على أركان الدين، وباطناً على مسلك من مسالك الإشارة غريب. فوجدته قد أقبل على ظاهره جم غفير من أهل الظاهر. وتوقف في التفحص عن باطنه أهل الباطن غيرة منهم على إفشاء السرائر...»، المنح القدوسية، ص ٦.

^{٤٣٤} إعراب الضمير، السابق، ص ٦٢، أي، السابق، ص ٩٤-٩٥-٩٩، قسمة قواعد الصلاة، قسمة عناصر الدين، قسمة الفرض، قسمة الحج، أقسام حكمة الشرع، السابق، ص ١١-٦٢، ٦٥، ٨٠، ٨١، ٢٦٧.

^{٤٣٥} السابق، ص ٢٠.

إلى بيت أو اثنين حتى سبعة أبيات. ويبدأ الشرح أحياناً بفعل القول وصيغته المختلفة الفعلية مثل «قال» أو الاسمية مثل «قوله». وتستعمل ألفاظ وصيغ أخرى للتعبير عن مسار الفكر في «النص المشروح»، مقدمتان ونتائج وطرق الاستدلال فيه أو العود على بدء مثل «تقدم الكلام».^{٤٣٦} كما تدل ألفاظ أخرى على الكشف عن المراد مثل «المراد». ويُعبر عن التحليل للربط بين الأشياء وإيجاد البرهان التجريبي بتعبير «ولهذا قال».^{٤٣٧} ومادة الشرح القرآن أولاً والشعر ثانياً والحديث ثالثاً.^{٤٣٨} فالشعر كفن أدبي أقرب إلى التجربة الصوفية. إذ يشترك الأدب والتصوف في النظم. وابن الفارض لم يكتب إلا نظماً. وهو المصدر الأول للشعر.^{٤٣٩} وتستعمل بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على نحو حر داخل الأسلوب.^{٤٤٠} وللشارح أيضاً نظمه. الذي يعتمد عليه بعد ابن الفارض.^{٤٤١} وقد يجمع البعض بين الفقه والشعر مثل الشافعي.^{٤٤٢} ويستشهد بكثير من أقوال الصوفية وأشعارهم غير ابن الفارض مثل التستري، والشيخ الحراق، والشاذلي، والجيلي، والجنيد، والشبلي، والغزالي، وابن عربي، والعز بن عبد السلام، وبومدين، وبعض الفقهاء مثل ميمون الفقيه، وبعض النحويين مثل سيوييه. ويشار إلى شعراء آخرين عن طريق قصائدهم مثل «صاحب العينية»، أو مؤلفاتهم مثل «الحكم العطائية»، أو صاحب «الإنسان الكامل»، أو حكيم الصوفية (الجيلي)، وربما هو الترمذي.^{٤٤٣} ويحال إلى مصادر مدونة مثل «حاشية الكشف». وهناك مصادر أخرى على العموم مع اقتباسات منها. فالتراث الصوفي ملك للجميع.^{٤٤٤}

^{٤٣٦} السابق، ص ٣١ س ٦.

^{٤٣٧} السابق، ص ١٧١، ٢٩٥، ١٣٤، ٨٧، ٣٣، ٤٥.

^{٤٣٨} الآيات (٢٥٧)، الأشعار (٢٢٣)، الأحاديث (٢٩)، القدسية (٤).

^{٤٣٩} الإحالة إلى ابن الفارض حوالي ٢٠ مرة، المنح القدسية، ص ٤٦، ٥١، ٦٩، ١٢١، ١٣٩، ١٤٢، ١٥٨، ١١٥، ١٨٠، ١٨١، ١٨٦، ١٩٣، ٢١٧، ٢٢٣، ٢٤٣، ٢٥٦، ٢٦٣، ٣٠٦.

^{٤٤٠} السابق، ص ٤٠.

^{٤٤١} السابق، ص ٣٦، ١١٦، ١٢١، ١٦٣، ٢١٨، ٢٤٤، ٢٧٦، ٢٨٢، ٢٩٠.

^{٤٤٢} السابق، ص ٢٤.

^{٤٤٣} السابق، ص ٣١٢، ٣٧، ٢٩، ٨.

^{٤٤٤} السابق، ص ١١، ٢٤-٢٦.

(ل) «المحب المحبوب أو شرح تائية الحراق وابن الفارض في الحب الإلهي» للكتاني^{٤٤٥}

وهي نهاية الشرح كشكل أدبي إلى الشرح كوظيفة مدرسية، شرح مدرس الفصل للتلاميذ، لذلك استعمل لفظ «إعداد» وليس شرحًا. والإعداد هو مجرد التوضيح بالعبارات الشارحة وتحويل الشعر إلى نثر في عدة مقطوعات من عدة أبيات. يربطها حرف عطف «ثم» وكأن القصيدة متوالية روائية. والحراق (١٢٦١هـ) يقلد تائية ابن الفارض بتائية أخرى. والمعد يشرح للتلاميذ بلا هدف خاص أو قراءة أو رؤية أو منهج يثبت أو ينفي، يؤيد أو يعترض، يعمق أو يقارن أو يضع في سياق.^{٤٤٦} يكفيه ترقيم الأبيات لسهولة الحفظ والإشارة. ولا يوجد سبب للإعداد أو الدافع عليه، مجرد تحويل النظم إلى نثر، ولا يعتمد الشرح على قرآن أو حديث أو أقوال صوفية. وقد تبع نفس الأسلوب في شرح تائية ابن الفارض ولكن بإفاضة أكثر.^{٤٤٧} ولا توجد مادة من تاريخ التصوف ولا دراسة مقارنة بين التائيتين. ولا يحدد معنى الشرح وغايته. ويتم التعامل مع القدماء أحيانًا بلا قراءة جديدة بالرغم من تعدد القراءات للنص الواحد. حتى الخاتمة ليس بها شيء. وتقطع القصيدة إلى موضوعات أكبر يصل بعضها إلى سبعة وسبعين بيتًا.^{٤٤٨} صحيح أن الموضوع الرئيسي في القصيدة هو المحبة ولكنها عرض أكثر منها تحليلًا. وتعتمد على أقل قدر من الشواهد النقلية.^{٤٤٩}

(م) «الأنوار السنية في شرح ثلاث قصائد صوفية» للعمrani الخالدي^{٤٥٠}

ويدخل في الشرح أكثر منه في الشعر كشكل أدبي بالرغم من أن القصائد الثلاث لابن عجيبة هي النص المشروح يبدأ الشرح بثبت بأهم مصطلحات الصوفية الخمسة عشر.^{٤٥١}

^{٤٤٥} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م.

^{٤٤٦} تائية الحراق ٥٣ بيتًا، السابق، ص ١٣-٣٧.

^{٤٤٧} شرح تائية الحراق (٢٥)، شرح تائية ابن الفارض (١١٩) (ص).

^{٤٤٨} أكبرها ٦٧ بيتًا ثم ٥٢ ثم ٣٧ ثم ٣٥ بيتًا وتائية ابن الفارض ٧٦١ بيتًا ص ٤٠-١٨.

^{٤٤٩} الآيات (٣)، الأحاديث القدسية (١).

^{٤٥٠} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م، ١٤٢٥هـ (٤) ص ٨٧-١٤٥ والقصائد الثلاث لابن عجيبة وهي:

في بعض الآداب الصوفية، «في شرح الخمرة الأزلية»، «في تفسير أطوار النفس البشرية».

^{٤٥١} السابق، ص ٨٨.

منها حالات مثل الصحو والسكر، والجمع والفرق، والفناء والبقاء أو حال واحد مثل الوجد. ومنها ألفاظ ميتافيزيقية خالصة مثل اللاهوت والناسوت.^{٤٥٢} ويتحول الشرح إلى تعريف بالمصطلحات وتحديد لمعاني الألفاظ. ويستعان على ذلك بالقرآن وبكتاب الناظم «معراج التشوف لحقائق التصوف» و«خمريّة» ابن الفارض و«تائية» شيخه البوزيدي و«التحفة العتيقة» لعبد السلام الأندلسي و«الذخيرة العتيقة» للمنزلي. فالشارح يعرض مصادره التي جمع منها شرحه. والشارح عمراني نسباً خالدي منشأً، عرائشي داراً، مدرس للغة العربية، وخطيب جمعة مهنة، ومرشد الفقراء بالشريعة والحقيقة هوية واختياراً. يعطي معلومات عن ناظم القصائد. ويعتمد على القرآن والحديث.^{٤٥٣} الشرح أقرب إلى العبارة الشارحة. لا تضيف جديداً إلا مزيداً من المعلومات الكمية من المصادر المدونة. وبطبيعة الحال يتقدم ابن عجيبة صاحب النص المشروح والحلاج.^{٤٥٤} وبالرغم من أنها ثلاث قصائد متميزة إلا أنها تمثل وحدة شعرية واحدة.

(٣) الحواشي والتلخيصات والتعليقات

(أ) «حاشية الدريد على قصة المعراج» للغيطي (١٢٠١هـ)^{٤٥٥}

والموضوع بين الكلام والتصوف، في معجزات الرسول وفي المسار الروحي كما هو الحال في القصص الصوفي عن الطير. وهو موضوع ثلاثي له دلالة صوفية، تصفية القلب والطريق إلى الله. ولا تعني الحاشية هنا تعليقاً على شرح بل شرحاً لنص. فالحاشية هنا شرح مباشر لنص. ويتم تقطيع النص مصدراً بلفظ «قوله» دون ذكر العبارة كاملة. ولا توجد مادة خارجية للشرح من القرآن أو الحديث أو الشعر أو أقوال الصوفية. إنما تعتمد على الخيال والخرافات. وتنقصها الأدلة العقلية والعقلية. وتظهر اقتباسات بين

^{٤٥٢} هي: الغيبة في الله، الذوق، الشرب، السكر، الصحو، الوجد، الوجدان، الوجود، الجمع والفرق، الحس والمعنى، السر القدرة والحكمة، المال والمنام، الفقهاء والبقاء، اللاهوت والناسوت، الأنوار السنية، ص ٩١-٩٥.

^{٤٥٣} الآيات (٢٥)، الأحاديث (١٩).

^{٤٥٤} ابن عجيبة، الحلاج (٣)، الجنيد، الشبلي، أبو مدين، ابن عطاء الله، البوصيري، النقشبندى، البوزيدي، ابن البنا (شاعر) (١) ومن الفقهاء مالك. ومن المصادر حكم ابن عطاء الله.

^{٤٥٥} مطبعة التقدم العلمية، القاهرة (د.ت).

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

الحين والآخر بعلامة «ا.هـ».^{٤٥٦} ونظرًا لأن الحاشية لا تقدم جديدًا فإنها تسترعى الانتباه باستعمال لفظ «تنبيه».^{٤٥٧}

(ب) «نتائج الأفكار القدسية في بيان معاني شرح الرسالة القشيرية»، حاشية العلامة مصطفى العروسي (١٢٩٣هـ)^{٤٥٨}

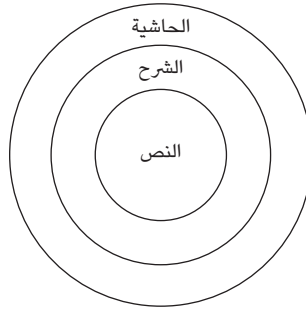
والحاشية تعليق على الشرح أو شرح الشرح بعد أن عجز الفكر الشارح عن التعامل مع النص مباشرة. فهو شرح من الدرجة الثانية، الدائرة الثالثة من بؤرة النص. ولا يغير في تسمية النص أو الشرح الثلاثة الأعلام، والألفاظ، وآداب الشيخ والمريد.^{٤٥٩} وتستعمل الحاشية كوسيلة لجمع المعلومات وحفظها وتعليقها على الشرح اعتمادًا على المعلومات المعرفة التي حفظتها الذاكرة. فالعلم اجتزاء ونقل. ويقطع الشرح إلى فقرات مسبقة بفعل القول «قوله» دون ذكر القول. يكفي أول لفظ فيها. والمادة الرئيسية للحاشية القرآن والحديث.^{٤٦٠} وتستخلص النتائج مسبقة بكلمة «فائدة».^{٤٦١} ولا جديد فيها،

^{٤٥٦} حاشية الدردير على قصة المعراج، ص ٢٦.

^{٤٥٧} السابق، ص ١٤.

^{٤٥٨} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م/١٤٢٠هـ (٤ أجزاء مجلدان).

^{٤٥٩}



^{٤٦٠} الآيات (٣٢٠)، الأشعار (٣٠٨)، الأحاديث (٢٤).

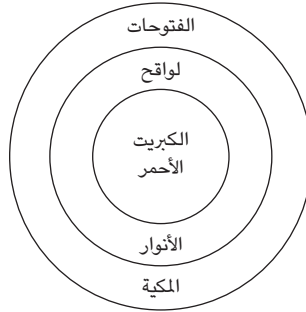
^{٤٦١} نتائج الأفكار القدسية، ص ٩٠، ١٠٨، ١١٢، ١٢٤.

مجرد إضافة لمعلومات سابقة. ويحال العلم إلى الله ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ «الله أعلم». ٤٦٢

(ج) مختصرات الشعراني (١٩٧٣هـ)

(١) «الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر» ٤٦٣

الكبريت الأحمر هو إكسير الذهب أي المعدن النفيس خلاصة الذهب، والشيخ الأكبر هو محيي الدين بن عربي. وهو مختصر لكتاب الشعراني «لواقح الأنوار القدسية» الذي هو بدوره اختصار «الفتوحات المكية». والقصد الكشف عن أسرارهِ وتحويلهِ من الظاهر إلى الباطن. فالباطن على درجات. فلا يوجد كتاب أجمع عليه أهل الطريق مثل «الفتوحات» خاصة فيما يتعلق بأسرار الشريعة، ومنازع المجتهدين، ومفسمي القرآن، وشارحي الأحاديث أو المتكلمين أو اللغويين أو المقرئين أو مفسري المنامات أو علماء الطبيعة وحكماء الطب أو علماء الهندسة أو النحويين أو المناطقة أو الصوفية أو علماء الأسماء الإلهية أو علماء الحروف. وتبلغ هذه العلوم حوالي الثلاثة آلاف علم. وقد عرضها الشعراني من قبل في كتابه «تنبيه الأغبياء على قطرة من بحر علوم الأولياء». وعلوم الشيخ كلها كشفية تظهر من الشك والتحريف.



٤٦٢ السابق، ص ٢٥١.

٤٦٣ دار صادر، بيروت، ٢٠٠٣م/١٤٢٤هـ. الفتوحات لواقح الكبريت الأحمر الأنوار المكية السابق، ص ٢-٣.

والسؤال هو: لم اختصار الاختصار؟ هل كان الاختصار الأول ما زال مسهبًا؟ فما هي مقاييس الاختيار في الاختصار؟ وكيف تم؟ هل عن طريق حذف فصوص وإبقاء أخرى أم عن طريق إعادة التعبير عن مضمون النص في عبارات أقل؟ الأقرب الطريقة الأولى أي الاختصار الكمي وليس الاختصار الكيفي، الاختصار اللفظي وليس الاختصار المعنوي.^{٤٦٤} ليس التلخيص للأبواب على التوالي بل هو انتقاء بعض الأبواب دون الأخرى. وهل تم اختصار الأدلة النقلية، القرآن والحديث؟ وهل يعني الاختصار الإقلال والتصغير دون إضافة أو زيادة ولو قليلة لربط الأجزاء المختصرة والتغطية على المحذوف؟ وما الدافع إلى التلخيص أساسًا؟ هل الإعجاب بالنص الأصلي أم تقديس صاحبه أم مجرد تمرين عقلي وإحدى طرق التعلم مثل النسخ والإجازة والقراءة والمناولة؟ هل الفرق بين التلخيص وتلخيص مجرد اختلاف في درجة التركيز من حيث الكم أم إنه أيضًا خلاف من حيث الاتجاه، اتجاه النص نحو بؤرة معينة؟ ما الجديد في التلخيص؟ هل هو عمل إبداعي حتى ولو كان يضيف معلومات أم إنه عمل آلي خالص مجرد بترقي عصر لا يقوى فيه أحد على قراءة بالموسوعات الكبرى. يريد القراءة السريعة كما هو الحال هذه الأيام؟ هو مجرد تمرين دون إبداع، وكتابة دون إضافة، وتجميع دون تفكير؟ يقلد القدماء، ويعجب بالسلف. ولا تتساوى الفقرات المستبقة في التلخيص. أحيانًا تطول، وأحيانًا أخرى تقصر.^{٤٦٥} ولا يوجد في كل الأبواب على التساوي. لا يوجد في الأبواب الأخيرة. وقد أطال فيه لأنه تلخيص واحد. إنما التلخيص في الباب الأول، ونادرًا ما يكون في النهاية.^{٤٦٦} وقد يشفع التلخيص برسم توضيحي لمزيد من التوضيح.^{٤٦٧} ويحتوي التلخيص على أحكام عدة على ابن عربي أقلها طول الأبواب والفصول، وأكبرها الحكم بالصواب أو الخطأ.^{٤٦٨} قد يكون الهدف من التلخيص حذف ما هو مدسوس على

^{٤٦٤} «فهذا كتاب نفيس انتخبته من كتابي المسمى بـ «لوائح الأنوار القدسية» الذي اختصرته من «الفتوحات المكية» خاصً فهُمَ بالعلماء الأكابر وليس لغيرهم منه إلا الظاهر. قد اشتمل على علوم وأسرار ومعارف لا يكاد يخطر علمها على قلب الناظر فيه قبل رؤيتها فيه»، الكبريت الأحمر، ص ٢.

^{٤٦٥} الكبريت الأحمر، تلخيص طويل، ص ١٣٧-١٥٩، ص ١٦٠-١٦٦.

^{٤٦٦} السابق، ص ١٧٢، ١٧٤.

^{٤٦٧} السابق، ص ١٥٤.

^{٤٦٨} حوالي ٤٥ حكمًا.

ابن عربي. وقد لا يعني الدس التشويه بل هو نوع من العمل الجماعي والإبداع الذاتي مثل الانتحال.^{٤٦٩}

وتعتمد على الأدلة النقلية، القرآن والحديث مع كثير من الأحاديث الخيالية دون أسانيد.^{٤٧٠} كما تعتمد على كثير من الاقتباسات من «الفتوحات» وحكايات ابن عربي وأسفاره، والإحالة إلى باقي مؤلفات صاحب النص مثل «الفصوص».^{٤٧١} وتبدأ كل فقرة بفعل القول في صيغة «قال». وينتهي الاقتباس بعلامة «انتهى».^{٤٧٢} ولا يخلو من بعض الأدلة العقلية للإحكام النظري وإفراد المسائل.

(٢) «مختصر تذكرة القرطبي»^{٤٧٣}

واسم الأصل «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة». وهو موضوع كلامي في ثقافة الموت وما يتعلق به من كفن وغسل وقبر وعذاب وسؤال الملكين، وميزان وصراف وشفاعة، وجنة ونار، وفتن وملامح، وأشراف الساعة. ولا يوجد أي جانب صوفي فيها باستثناء «إيمان القلوب».^{٤٧٤}

يعتمد على الآيات والأحاديث والأشعار. والأحاديث أكثر لأنها من السمعيات التي صمت القرآن عن تفصيلاتها.^{٤٧٥} وزادت أخبار الآحاد وفيه الأحاديث الضعيفة والموضوعة تفتقد شروط التواتر ومنها الإخبار عن حس. ولم يشاهد أحد الحياة بعد الموت. ولا تعرف إلا بقياس الغائب على الشاهد. ولا تذكر الأسانيد. وليست مهمة الحديث بيان موضوع عقائدي بل أوجه تحقيق السلوك. ويحال إلى كثير من أقوال الصوفية ومؤلفاتهم. ويأتي الغزالي في المقدمة وكتابه «كشف علوم الآخرة». كما يذكر الترمذي.^{٤٧٦}

^{٤٦٩} السابق، ص ١٨٣.

^{٤٧٠} الآيات (٤٣١)، الأحاديث (٥٩)، الأشعار (٢).

^{٤٧١} الكبريت الأحمر، ص ٩٣.

^{٤٧٢} السابق، ص ٧٦.

^{٤٧٣} مكتبة صبيح، القاهرة، ١٩٦٨م/١٣٨٨هـ.

^{٤٧٤} مختصر التذكرة، ص ٢١٠.

^{٤٧٥} الأحاديث (٣٠٠)، الأشعار (٩٩)، الآيات (٧٥).

^{٤٧٦} الغزالي (٤٨)، القرطبي (٣٠)، الترمذي (٤)، يحيى بن أكثم (٣).

وتؤخذ عدة اقتباسات من مصادر مدونة منتهية بعلامة «ا.هـ» أي انتهى.^{٤٧٧} وكثير منها مستمد من الإسرائيليات والثقافة الشعبية للموت عند المصريين. كله أدلة نقلية دون أي تحليل عقلي أو تأويل نظري. ويكثر الشعر في استشهاد الحسين ومراثيه.^{٤٧٨} ويذكر الشافعي شاعراً. والاختصار هو التركيز على الأدلة النقلية وإبرازها دون أسس عقلية أو تجارب صوفية. وتستعمل بعض الرسوم التوضيحية إذا لزم الأمر.^{٤٧٩} وهو موجه إلى القارئ للتعليم.^{٤٨٠} ويعبر عن تشبيه المعرفة كالعادة بتعبير «الله أعلم».

(د) «النوافح العطرية المختصرة من النفحة العنبرية في حل ألفاظ العشرينية في مدح خير البرية» للداعري (تأليف ١٣٧١هـ)^{٤٨١}

وهو عنوان مركب «النوافح العطرية» اختصار من «النفحة العنبرية» وهي بدورها شرح لقصيدة العشرينية في مدح خير البرية.^{٤٨٢} ولما كانت الصياغة الأخيرة الاختصار فإنها تقع في المختصر كشكل أدبي.

والشرح لفظاً بلفظ وتخميناً تخميناً للقوائد، مرتبة ترتيباً أبجدياً. ويتضمن الإعراب عوداً إلى اللغة لسان العرب. لا يتضمن سبب التأليف أو هدفاً أو غاية. والقصيدة في الأصل مدح للرسول على عادة العرب في المديح والهجاء. موضوعها الحقيقة المحمدية. ويتم الشرح بالقرآن والشعر والحديث.^{٤٨٣} يشرح الشعر بالقرآن وبالشعر عوداً إلى المصدر الأول قبل الإسلام لثقافة العرب وهو الشعر، وبعد الإسلام وهو القرآن. ويغيب

^{٤٧٧} مختصر التذكرة، ص ١١، ٦٩.

^{٤٧٨} السابق، ص ١٧٩-١٨٨.

^{٤٧٩} السابق، ص ١٠٤.

^{٤٨٠} السابق، ص ٥٢، ١٥٢.

^{٤٨١} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م/١٤٢٤هـ.

^{٤٨٢} «القصيدة العشرينية للوزير الفاضل أبي زيد عبد الرحمن بن أبي سعيد يخلفتن بن أحمد الفازازي الأندلسي، تم تأليفها عام ٦٠٤ في حاضرة قرطبة في بلاد الأندلس. رواها الإمام الحافظ يوسف بن سدي المهلب في المسجد الحرام عام ٦٢٤. وخمسها الشيخ الإمام أبو بكر محمد بن المهيب في صحراء المغرب. وشرحها «النفحة العنبرية» للشيخ محمد بن مسنة بن غم بن محمد بن عبد الله بن نوح البرنوي، السابق، ص ١».

^{٤٨٣} الآيات (٦٨٤)، الأشعار (١٥٠)، الأحاديث (٤٥).

التراث الصوفي في حين يحضر الشعراء الصوفية مثل البوصيري، ابن الفارض، أو الشعراء الخلص مثل كعب بن زهير، وقبل الإسلام مثل امرؤ القيس أو من المخضرمين مثل حسان بن ثابت. كما يحال إلى مقامات الحريري.^{٤٨٤} وللمؤلف قصيدتان في المدائح النبوية، وثالثة في مدح الغوث الأكبر سيدي أحمد التجاني.^{٤٨٥}

(هـ) «تعليقة على المفصل في علم العربية» للكاشاني (٧٣٠هـ)^{٤٨٦}

وهي رسالة قصيرة، صفحة واحدة، تعليق على موضوع في كتاب في اللغة العربية. والتعليق شكل أدبي في علوم الحكمة بعد الترجمة.^{٤٨٧} وهو تعليق للكاشاني على تعريف الزمخشري للكلمة كلفظة دالة على معنى مفرد بالوضع. وهي جنس تحته ثلاثة أنواع. في حين عند الكاشاني أن ذلك غير مستقيم لأن المعرّف يطابق المعرف. كما أنه متناقض لأن الجنس لا أنواع له. وإن كان المقصود التعريف المطلق فهو المعنى الذي أراده ابن الحاجب. ولا يعتمد على أي دليل نقلي من القرآن أو السنة أو الشعر. بل يعتمد على آراء الزمخشري وابن الحاجب بالإضافة إلى درجة عالية من التنظير.^{٤٨٨}

^{٤٨٤} البوصيري (٣)، ابن الفارض (٢)، كعب بن زهير، حسان بن ثابت، امرؤ القيس (١)، مقامات الحريري (١).

^{٤٨٥} النوافح العطرة، ص ٣٣٦-٣٦٤.

^{٤٨٦} آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ.

^{٤٨٧} من النقل إلى الإبداع، مج ١ النقل ج ٢ النص فصل ٣ التعليق.

^{٤٨٨} الزمخشري، ابن الحاجب (١).

الباب الثالث

الوعي العملي

يبدأ التصوف العملي الطرقي كرد فعل على التصوف النظري. لذلك تتضخم أجزاء أبواب آداب التصوف وعلاقة الشيخ بالمريد ولبس الخرقة بداية الطريقة.^١ ويتضمن الوعي العملي في التدوين، مئات المؤلفات، وفي الزمان حوالي سبعة قرون بعد قرب انتهاء التصوف عند عبد الحق بن سبعين. ويبدو أن الوعي العملي، المقاصد والأحكام في علم أصول الفقه، قد تناقص لصالح الوعي العملي في علوم التصوف التي استأثرت به.

ويبدأ التصوف العملي بالعودة إلى الوعي التاريخي كما بدأ في كتب الطبقات كي يتأسس في التاريخ من جديد كما تأسس أول مرة. ثم يبدأ ثانياً في التأسيس في علم الكلام لإثبات أن التصوف ما هو إلا علم كلام جديد، علم قواعد للعقائد كما انتهى إليه علم الكلام. ثم يبدأ ثالثاً في تأسيس نفسه في علم الفقه الأخلاقي وأسرار العبادات وآدابها أو أرواحها كما كان الحال في التصوف الخلقي. ثم يبدأ الانحراف في تضخيم شخصية محمد ومركزيتها في علم الحديث وعلم السيرة حتى يصبح التصوف كله مناجاة خير البرية وخير الأنام وسيد المرسلين. ثم يغترب التصوف مرة أخرى في السحر والخرافة

^١ الفتوحات ج١، ١٨٦.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

وأسرار الكون والأحجية والربط مع الأفلاك والطب النبوي. ثم يتحول إلى طريقة خالصة في المناقب والكرامات لمشايخ الطرق. ثم يصبح في النهاية تصوّفًا عمليًا خالصًا لوصف الطريق الصوفي الذي يتحول إلى طريقة تنتهي بآداب الشيخ والمريد.

أولاً: العودة إلى التاريخ

ويعود الوعي النظري الخالص إلى الوعي التاريخي في كتب الطبقات «سلوة الأحزان» لابن الجوزي (٥٩٧هـ) حتى «الكواكب الدرية» للمناوي (١٠٦١هـ).

(١) رسائل ابن الجوزي (٥٩٧هـ)

(أ) «سلوة الأحزان بما روي عن ذوي العرفان»^١

وهو أول ظهور للوعي التاريخي في بداية النهاية. يضم مائة وأربعة عشر علمًا. كلهم صوفية بالمعنى الواسع بما في ذلك الصحابة مثل أبي ذر، والخلفاء مثل عمر بن الخطاب، والنسك والزهاد، والعباد مثل بشر الحافي، وبعض الصوفية مثل التستري. بل ويظهر بعض الفقهاء مثل أحمد.

وتختلف الكتابة عن كل علم من حيث الكم ليس بالضرورة طبقًا للأهمية بل طبقًا لصورته في عصره. فأكبرهم مساحة عمر بن عبد العزيز صفحتان، وأصغرهم التستري، مجرد سطرين. منهم من ظل معروفًا على مدى التاريخ. ومنهم من كان معروفًا في عصره ولم يعيش في الذاكرة الجمعية.^٢ ويفرد للنساء مساحة، اثنتي عشرة امرأة.^٣ ولا

^١ دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م، ص ٧-٥٨.

^٢ من المعروفين: سعيد بن المسيب، جعفر الصادق، شقيق البلخي، الفضيل بن عياض، ابن مسروق، بشر الحافي، بشر بن الحارث، سفيان الثوري، الشبلي، أويس القرني، الحسن البصري، عبد الواحد بن يزيد، يحيى بن معاذ، إبراهيم الخواص، البسطامي، إبراهيم بن أدهم، أبو سليمان الداراني، ذو النون المصري.

^٣ هن: مليكة بنت المنكر، فاطمة بنت محمد بن المنكر، أخت بشر الحافي، موادة البصرية، حفصة بنت سيرين، رابعة العدوية، معيرة العابدية، رحمة العادة، سكيئة الطفالة، شعوانة، بركة العابدة، زهر الولهانة.

يذكر كبار الصوفية مثل الحلاج، والجنيد. ولا يقول أحد منهم بالحلول أو الاتحاد. ومع ذلك لا يظهر الغزالي. ومنهم من يتكرر.^٤ وأحيانًا يذكر اثنين معًا.^٥ وترسم الشخصية في حدها الأدنى دون تواريخ الميلاد والوفاة ومكان الولادة، والشيوخ والمريدين كما كان الحال في البداية. بل لكل صوفي تذكر حكاية ويورد قول. «وهو ما روي عن ذوي العرفان» كما يدل على ذلك العنوان الفرعي.

(ب) «كتاب المجالس»^٦

وبصرف النظر عن صحة النسبة التاريخية لصاحبه إلا أنه يعبر أيضًا عن الوعي التاريخي في بداية النهاية مثل «سلوة الأحزان». يصنف الأعلام التسعة عشر في ثلاثة مجالس.^٧ ويضم أيضًا الصحابة مثل ابن مسعود وابن عباس وأبي هريرة وعبد الله بن الزبير. ومن النساك وهب بن منبه ومن الصوفية القشيري. ولا يذكر أحدًا من النساء. وكل مجلس له موضوع. والموضوع آية. لذلك كثرت الشواهد من القرآن والحديث والشعر.^٨ ويكثر الشعر لأن المجالس مؤانسات مثل «الإمتاع والمؤانسة» لأبي حيان. معظم المادة أقوال. ولا يهم نسبة القصائد لأصحابها خاصة لو كانت طويلة ولم يُعرف عن أصحابها قرض الشعر مثل قصيدة القشيري أو قصيدة عبد الله بن عمر في نظم أقوال داود النبي وهو ساجد.^٩ وتظهر بعض الإسرائيليات كمصدر للأخبار عن الأنبياء السابقين. وتذكر بعض المصادر.^{١٠} ويروي المؤلف عن نفسه.^{١١} كما تبرز بعض الألفاظ مثل «فائدة» أهمية الموضوع.^{١٢}

^٤ مثل عبد الواحد بن يزيد، «سلوة الأحزان» ص ٤٣، ٥٧-٥٨.

^٥ مثل موسى بن جعفر وشقيق البلخي، السابق، ص ١٧.

^٦ دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣، ص ٦١-١٠٩.

^٧ يضم المجلس الأول اثني عشر علمًا، والثاني ثلاثة أعلام، والثالث أربعة.

^٨ الآيات (٣٠)، الأحاديث (٤٢)، الأشعار (١٨).

^٩ كتاب المجالس، ص ٨٧-٩٠.

^{١٠} مثل «فائدة من «كتاب المجالسة» للدينوري: ونقل الحافظ أبو عيم في كتاب «الحلية» السابق،

ص ٦٤-٩٢.

^{١١} فائدة (٦).

^{١٢} «ونقل ابن الجوزي في «النور ...»، كتاب المجالس، ص ٧٥.

(٢) «طبقات الأولياء» لابن الملقن (٨٠٤هـ) ١٣

وهو كتاب في الطبقات عودًا إلى الوعي التاريخي الأول مع التوحيد بين الصوفية والأولياء. فلا يوجد صوفي إلا وهو ولي، وتوحد العام وهو الصوفي بالخاص وهو الولي. وسبب التأليف هو ذكر هؤلاء الأعلام من كل قطر وإذن للاهتمام بآثارهم والاعتماد عليهم والعيش معهم فالمرء مع من أحب. ١٤ وقد ذكر حوالي مائتين وخمسين ولياً، مرتبين ترتيباً أبجدياً. ١٥ وتضاف فصول وذيول بعد القائمة الأولى. ١٦ كما تضاف قصيدتان قصيرتان «اللامية» و«الأرجوزة الوجيزة» للديريني. فالشعر أفضل وسيلة للتعبير عن التصوف. وينسب الولي إلى قطره مثل الخراساني، المصري ... إلخ، أو إلى المدينة مثل البغدادي، البصري ... إلخ، أو إلى المذهب الفقهي مثل الشافعي، وهو الأغلب، أو إلى صفة جسدية مثل الأصم، أو إلى القرابة مثل شفيق البلخي، أخت عبد الواحد بن يزيد. والغالب هو المهنة في مجتمع كان الحرفيون هم أهل الكلام والنظر مثل ابن الفكهاني، الحمال، النساج، الحلاج، المقرئ، خادم دويره.

وقد يوضع اسمان في رقم واحد. ١٧ منهم امرأتان. ١٨ الأولى نسبها طويل يمتد إلى علي بن أبي طالب. والثانية بشهرتها ودون ألقاب. وأحياناً يطول نسب البعض لإرجاع أصله إلى قريش أو إلى علي بن أبي طالب أو إلى أحد الخلفاء الآخرين مثل عثمان. ١٩ وتوزع الألفاظ بن لفظ واحد مثل: الزاهد، الصوفي، الواعظ، الحافظ، العابد، الفقيه،

١٣ دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ.

١٤ «فهذه جملة من طبقات الأعلام الأعيان، وأوتاد الأقطاب في كل قطر وأوان جمعته لهم لأهتدي بمآثرهم، وأقتفي بآثارهم، رجاء أن أنظم في سلكهم فالمرء مع من أحب. وأحيا بذكرهم، ويزول عني النصب وعلى الله الاعتماد. وإليه التفويض والاستناد»، السابق ص ٣٨.

١٥ هم بالضبط ٢٤٥ ولياً.

١٦ ذيول طبقات الأولياء: (١) فصل في طبقات أخرى. (٢) فصل من اشتهر بكنيته من غير ترتيب. (٣) ذيل آخر منه. (٤) فصل في طبقة أخرى تلي حقولاً، ماتوا في القرن الثامن. (٥) فصل آخر في الكنى.

١٧ مثل إبراهيم بن أدهم، أبو أسحق البلخي (حوالي عشر حالات).

١٨ هما: السيدة نفيسة ابنة الحسن الأثور بن أبي محمد زيد بن الحسين بن علي بن أبي طالب. رابعة العدوية، طبقات الأولياء، ص ٢٨٤.

١٩ وذلك مثل: (١٢٠) أبو السعود، صاحب الطائفة، ابن العشائر بن شعبان بن الطيب بن إبراهيم بن موسى بن إسحاق بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد الله بن عبد الكريم بن عبد الله بن محمد

ولفظين بالإضافة إلى الزاهد مثل: الزاهد الورع، وثلاثة ألفاظ مثل: الزاهد الصالح صاحب الكرامات، الزاهد العابد ولي الله، الزاهد العارف الضرير. وقد يكون الصوفي لقباً مثل الحافظ والعابد والفقير وقطب العارفين والحاقي. وقد يكون مركباً مثل الشيخ الأوحى القدوة.^{٢٠}

وترسم شخصية الولي بالإضافة إلى الكنية واللقب بمولده ووفاته وأماكن نشاطه وأسفاره وكراماته ومناقبه وحكاياته المروية عنه. وأصدقائه وأصحابه وتلاميذه وشيوخه وصورته في ذهن الآخرين، والأهم كلامه وأقواله. ويعتمد على الشعر أولاً ثم القرآن ثم الحديث في رسم الشخصية دون المصادر والإحالة إليها.^{٢١} ورؤية الرسول في المنام أحد مصادر العلم.

(٢) «نفحات الأنس من حضرات القدس» لعبد الرحمن الجامي (٨٩٨هـ)^{٢٢}

وهو إكمال لكتاب «طبقات الصوفية» للسلمي (٤١٢هـ)، ثم حاول الهروي إكماله والزيادة فيه بلسان قديم ولا يذكر كثيراً من المتقدمين والمتأخرين.^{٢٣} ويضم ستمائة وثمانية عشر علماً مرتبين طبقاً للحروف الأبجدية. ويبدأ بمقدمة نظرية في تعريف الولاية والولي، والمعرفة والعارف، والمتعرف والجاهل، والفرق بين الصوفي والتصوف، ولماذا سمي الصوفية كذلك، والملازمة والفقير، والتوحيد ومراتبه وأربابها وأصنافها، والفرق بين المعجزة والكرامة والاستدراج، وإثبات الكرامات وأنواعها وخوارق العادات.^{٢٤}

بن عبد الله بن أبي يزيد عقيل بن عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم العقيلي القرشي، (١٤٦) عبد الرحيم بن أحمد بن حجون بن أحمد بن محمد بن حمزة بن جعفر بن إسماعيل بن المأمون بن علي بن الحسين بن علي بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، (٢١٨) عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن خليل بن إبراهيم بن يحيى بن أبي عبد الله بن فارس بن أبي عبد الله بن يحيى بن سعيد بن طلحة بن موسى بن إسحاق بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان المكي العثماني الشافعي، السابق، ص ٢٨٣، ٢٩٩، ٣٠٠.

^{٢٠} السابق، ص ١٩٣، ٢٠٩، ٢١٨، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٦١، ٢٦٦، ٢٩١، ٣٠٧.

^{٢١} الأشعار (١٧٣)، الآيات (٢٩)، الأحاديث (٢)، طبقات الأولياء، ص ٣٣٤-٢٤١.

^{٢٢} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م/١٤٢٤هـ (جزءان).

^{٢٣} السابق، ج ١، ٧-٨.

^{٢٤} السابق، ص ١٠-٤٤.

ويتبع نفس الطريقة في رسم شخصية الصوفي، ولادته ووفاته، سبب موته، وجنازته وقبره، مكانه وزمانه، مشايخه، ومريديه، أقواله والحكايات المروية عنه. وأكبر من يذكر من الصوفية الجنيدي، ثم الشيرازي، ثم الشبلي، ثم أبو سعيد ابن أبي الخير، ثم ذو النون، ثم ابن عربي، ثم السري السقطي، ثم الجيلي، ثم جلال الدين الرومي، ثم البسطامي، والخراز، ثم نجم الدين كبرى، والتستري، ثم القونوي، ثم الروزباري، ثم ابن الجلاء، ثم الدقاق، ثم إبراهيم الخواص والجامي، ثم إبراهيم بن أدهم، ثم سنائي القونوي، ثم بشر الحافي، ثم الغزالي، ثم المكي، ثم القشيري ... إلخ.^{٢٥}

وتظهر مصطلحات الصوفية كالأبدال والأولياء والملازمة والملازمة، كما تظهر المذاهب مثل الروافض، والقلندرية، والقرامطة، وأصحاب الكهف، والمجوس، والنصارى، والعلوية. وتظهر الأقوام العجم والعرب والترك والإفرنج والأكراد. وتظهر الأماكن مثل خراسان وبغداد وهرات والبصرة.^{٢٦}

كما تظهر عديد من المصطلحات والألفاظ الفنية تبلغ سبعمئة وأربعاً وستين مصطلحاً مما يدل على أن تاريخ التصوف هو أيضاً تاريخ مصطلحاته وألفاظه. يتقدمها التصوف والصوفية والصوفي، ثم المعرفة والعارف، ثم السماع، ثم الفقر والفقراء، ثم

^{٢٥} الجنيدي (١٢٢)، الشيرازي (٥٩)، الشبلي (٥٨)، أبو سعيد بن أبي الخير (٤٢)، ذو النون (٣٧)، البيهقي (٣٢)، ابن عربي (٣١)، السري السقطي (٢٩)، النيسابوري، الجيلي، الحداد (٢٨)، جلال الدين الرومي، الخضر أبو العباس، النقشبندي (٢٥)، أحمد بن حمزة، روم (٢٤)، الخراز، البسطامي (٢٣)، نجم الدين كبرى، البغوي، التستري (٢٢)، صدر الدين القونوي (١٩)، الروزباري، الخرقاني (١٨)، ابن الجلاء، الرازي (١٧)، أبو علي الدقاق، إبراهيم الخواص، أحمد الجامي، الحريري، الأعلى (١٦)، إبراهيم بن أدهم، الأقطع، أبو علي الكاتب المصري، الكتاني (١٤)، الآدمي، سنائي القونوي، السيرواني، علي بن أبي طالب، التبريزي (١٣)، الترمذي، بشر الحافي، أبو سعيد (١٢)، أحمد الحواري، الغزالي، الخوافي، عمرو المكي، الترمذي، الهروي، الواسطي (١١)، أحمد البلخي، النهاوندي، السهروردي، الطوسي (١٠)، القشيري، الشيرازي (٩).

^{٢٦} مصطلحات الصوفية: الأبدال (١٤)، الملامتية (١٢)، العرفاء (٤)، أصحاب الكهف، المفردون (٢)، القلندرية (٣). المذاهب: النصارى، المجوس (٤)، مذهب أبو حنيفة، مذهب الثوري (٤). الأقوام: العجم (٨)، العرب (٦)، الترك (٥)، الروم (٤)، الأكراد، الإفرنج، القرامطة (٢). الأماكن: هرات (٤)، خراسان، بغداد (٤)، البصرة (٣)، أهل جام، دمشق، العراق، نيسابور (٢).

الكلام، ثم المحبة، ثم التوحيد والذكر والصحبة، ثم الأدب، ثم الدنيا، ثم الولاية، ثم التوكل، ثم الاثنينية والفتوة، ثم الحقيقة والرضا، ثم الدعاء والصدق والعشق والوقت، ثم الإخلاص والبلاء والتوبة، ثم الجذبة والحجاب والعبودية، ثم المشاهدة.^{٢٧} ويعتمد على عديد من الآيات والأشعار والأحاديث والأمثال.^{٢٨} والأشعار عربية أو فارسية الأصل مع شعرائها.^{٢٩} كما يعتمد على كثير من المصادر المدونة. ويأتي في المقدمة «الفتوحات» ثم «كشف المحجوب» للهجويري، ثم «طبقات الصوفية وتاريخ الصوفية» للسلمي، ثم «الرسالة القشيرية» و«عوارف المعارف» للسهروردي، ثم «الفكوك» للقونوي،

^{٢٧} مجموعها ٧٦٤ مصطلحاً: التصوف (٤٢)، السماع (٢٣)، المعرفة (٢٢)، الفقر (١٩)، الكلام (١٥)، المحبة (١٤)، التوحيد، الذكر، الصحبة (١٣)، الدنيا (١١)، الولاية (١٠)، التوكل (٩)، الإثنينية، الشغل، الفتوة، الوقت (٨)، الحقيقة، الرضا (٧)، الأكل، الدعاء، الرفض، الصدق، العشق، الوقت (٦)، الإخلاص، البلاء، التوبة، الجذبة، الحجاب، العبودية، المشاهدة (٥) الوحدة. وهناك أربعة وعشرون مصطلحاً يذكر كل منها أربع مرات، وتسعة وأربعون مصطلحاً يذكر كل منها ثلاث مرات، وسبعة وتسعون مصطلحاً يذكر كل منها سبعة وتسعين مرة، وما يقرب من خمسمائة مصطلح كل منها يذكر مرة واحدة.

^{٢٨} الآيات (١٥٢)، الأشعار (١٤٣)، الأحاديث (٤٨)، الأمثال (٧) الأشعار الفارسية الأصل (١٤٩).
^{٢٩} الفتوحات (٢٣)، مرآة الجنان لليافعي، كشف المحجوب للهجويري (٢٠)، طبقات الصوفية للسلمي (٩)، تاريخ الصوفية للسلمي، صديقة الحقيقة لسنائي، الرسالة القشيرية (٤)، عوارف المعارف للسهروردي، الرسالة الإقبالية لركن الدين، صحيح البخاري، العروة الوثقى لسنائي، اللغات للعراقي (٣)، الأربعين في شيوخ الصوفية للماليني، أعلام الهدى للسهروردي، تأويلات القرآن للكاظمي، روح من الرياحين لليافعي، سير السلف لإسماعيل بن محمد، شرح الشطحات لروزبهان، الفكوك للقونوي، قواعد العقائد للغزالي، قوت القلوب للمكي، كنز الرموز للحسيني، المحبوب للحموي، منازل السائرين للهروي وشرحه للتلمساني، موطأ مالك، نظم السلوك لابن الفارض، أسرار نامة للعطار (٢)، وعشرات آخرون، حوالي ثمانين مصدرًا يذكر كل منها مرة واحدة مثل الإحياء للغزالي، آداب الفقر للروذباري، الأنوار في كشف الأسرار لروزبهان، بحر الحقائق للرازي، تحفة البردة للبغدادي، تذكرة الأولياء للعطار، تفسير الحقائق للسلمي، تفسير سورة الفاتحة للقونوي، التفسير الكبير للرازي، تفسير العرائس لروزبهان، جامع الأصول للقونوي، جواهر القرآن للغزالي، حديقة الحقيقة لسنائي، ختم الولاية للترمذي، الدر النظيم لليافعي، رموز الأنبياء لسنائي، رشف النصائح للسهروردي، شرح الحديث للقونوي، عين الجمع للحلاج، النصوص ومفتاح الغيب والنفحات الإلهية للقونوي، لطائف الإشارات للقشيري، المثنوي للرومي، مشكاة الأنوار للغزالي، منازل السائرين للهروي، منطق الطير للعطار، ياقوت التأويل للغزالي... إلخ.

و«قواعد العقائد» للغزالي، و«قوت القلوب» للمكي، و«منازل السائرين» للهروي، و«نظم السلوك» لابن الفارض، ... إلخ، تزيد على المائة. ويتم الرجوع إلى الإنجيل والزبور. ومن الأماكن التي ينتسب إليها الصوفية تأتي في المقدمة بغداد ثم مكة ثم نيسابور ثم مصر ثم خراسان ثم شيراز وهرة ثم الشام ثم العراق ثم بلخ ثم مسرة ثم البصرة ... إلخ، مما يدل على انتشار التصوف في كافة أرجاء العالم الإسلامي ووسطه بغداد وشرقه خراسان وغربه مصر والشام.^{٢٠} ومن الأيام والوقائع والغزوات يتقدم يوم عرفة ثم محنة الصوفية ثم يوم عاشوراء وواقعة جنكيز خان، مما يدل على ارتباط التصوف بالأعياد الدينية والواقع السياسي.^{٢١} ولما كان الحيوان موضوعاً فكرياً أو سبباً كما هو الحال عند الجاحظ، فقد ظهرت أنواعه، وفي المقدمة الكلب ثم الطير ثم الفرس ثم الأسد ثم الحصان، ثم الجمل والبقرة والخيول والغنم والهرة والظبي والكبش، منها الأليف وغير الأليف، منها الريفى والحضرى. كما تظهر أنواع الطيور مثل الطير والباز والحمام والعصفور، بل والذباب والغراب والبلبل، كما تظهر الهوام والزواحف كالحيات والفئران والنملة والعقرب والثعبان، كما تظهر حيوانات المياه مثل الأسماك والحياتان ... إلخ. فالتصوف ليس فقط مرتبطاً بالبيئة الاجتماعية والسياسية بل أيضاً بالبيئة الطبيعية التي نمت الكرامات فيها.^{٢٢}

^{٢٠} بغداد (٩٥)، مكة (٧٦)، نيسابور (٦٤)، مصر (٥٧)، خراسان (٤٨)، شيراز، هرة (٤٥)، الشام (٣٥)، العراق (٢٩)، بلخ (٢٦)، مرو (٢٤)، البصرة (٢١)، الحرم. دمشق (١٦)، الحجاز، ملوس المغرب (١٥)، بخارى، الروم (١٤)، الري (١٣)، سمرقند (١٢)، عرفات، اليمن (١١)، أصفهان، همدان (١٠)، بيت الله الحرام، بيت المقدس، قونية، خوارزم، فارس (٩)، سرخس (٨)، دجلة، الرملة، طرطوس (٧)، فهندر، المسجد الحرام (٦)، الإسكندرية، ترمذ، الكعبة (٥).

^{٢١} يوم عرفة (٣)، محنة الصوفية (٢)، يوم عاشوراء، واقعة جانيكيز خان (١).

^{٢٢} الكلب (٢٧)، الطير (١٥)، الفرس (١٢)، الأسد (١٠)، الذباب (٩)، الحصان (٨)، الجمل، البقرة، الباز (٧)، الحمام، البغال، السباع (٦)، الخيل، الحمام (٥)، الدجاجة، العصفور، الغنم، الهرة (٤)، الحياتان، الظبي، الكبش، الذئب (٣)، الإبل، ابن آوى، الشاة، الثعبان، الجراد، الحنش، الدرة، الغراب، الفئران (٢)، الأرنب، البط، البلبل، الثعلب، الثور، الجدي، الحشرات، الخنازير، الدواب، دود الحرير، السمك، الضأن، العجل، العقرب، العنقاء، الغزلان، الكركي، المهر، الناقة، النعجة، النملة (١).

(٣) مؤلفات الشعراني (ت ٩٧٣هـ)

(أ) «لواقح الأنوار» (الطبقات الكبرى)^{٣٣}

وإذا كان الوعي التاريخي في البداية في «طبقات الصوفية» للسلمي (ت ٤١٢هـ) وفي «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» لأبي نعيم الأصفهاني فإنه يعود أيضًا في النهاية في «لواقح الأنوار في طبقات الخيار» المعروف باسم «الطبقات الكبرى» للشعراني. يعرض أعلام الصوفية، أربعمئة وخمسة وعشرين علمًا من أعلام الصوفية منذ القرن الثالث عند الخلفاء الراشدين حتى القرن العاشر عند مشايخ الطرق الصوفية. وقد ضم حوالي أربعمئة وخمسة وعشرين علمًا مما يدعو إلى الإبهار بهذا الحجم الهائل من المعلومات في مرحلة ما قبل وسائل الاتصال الحديثة.

ونظرًا لأن معظم أعلام التصوف بعد مرحلة التصوف الفلسفي حتى القرن السابع من مشايخ الطرق الصوفية فإن ذلك قد يفترض وجود مرحلة رابعة هي التصوف الطرقي استغرقت حوالي خمسة قرون هي الفترة العثمانية والحامدية الشاذلية في قمتها. وقد شجعتها الدولة العثمانية حتى الدولة الوطنية الحديثة لإلهاء الشعب بالمواليد والاحتفالات الدينية والبيارق والدفوف والرقص والسماع وال جذب والسحر والخرافة بعيدًا عن السياسة والتحزب السياسي ومعارضة السلطان. وقد تكون المرحلة الطرقية رد فعل على التصوف الفلسفي، تصوف الجماهير كتطور طبيعي لتصوف النخبة، وبالتالي يكون الوجه الآخر له. فقد تحولت الشطحات في المرحلة الأولى إلى أفعال جذب في المرحلة الثانية. وهي نوع من الشطحات العملية. وقد يتطلب ذلك أيضًا مرحلة خامسة وهي المرحلة الإصلاحية للطرق الصوفية عند كبار المصلحين، الأفغاني وإقبال وسيد قطب. ومن «الفناء إلى البقاء» يدخل في هذه المرحلة.

وإذا كانت «الطبقات» الأولى في البداية قد اعتمدت على الرواية أسوة بعلم الحديث فإن «الطبقات» الثانية اعتمدت على المدونات سواء «الطبقات» السابقة أو أعمال الصوفية

^{٣٣} مكتبة صبيح وأولاده، الأزهر، (د.ت)، «فهذا كتاب لخصت فيه طبقات جماعة من الأولياء الذين يقتدى بهم في طريق الله عز وجل من الصحابة والتابعين إلى آخر القرن التاسع وبعض العاشر. ومقصودي بتأليفه فقه طريق القوم في التصوف من آداب المقامات والأحوال لا غير. ولم أذكر من كلامهم إلا عيونه وجواهره دونما شاركهم غيرهم فيه مما هو مسطور في كتب أئمة الشريعة»، لواقح الأنوار ج ١، ٣.

أنفسهم ومواعظهم ورسائلهم.^{٣٤} هذا بالإضافة إلى الروايات الشفاهية عن المعاصرين والمعرفة الشخصية بهم مما دفع الشعراني إلى تخصيص قسم لهم كما هو الحال في «حلية الأولياء» بالنسبة لأهل الصفة.^{٣٥}

تلخص كثير من الأعمال خاصة للأعلام الكبرى. تذكر أسماء مؤلفاتهم. ويحال إلى رسائلهم ومواعظهم. وتذكر بعض نصوصهم، والإشارة إلى ذلك بلفظ «انتهى». وذلك مثل رسالة الحسن البصري الشهيرة إلى عمر بن عبد العزيز في كتب الطبقات عند المتقدمين، بالإضافة إلى مقتطفات من رسائل المريدين.^{٣٦} كما تضم مجموعة من النساء كما هو الحال في «حلية الأولياء»، وتشمل الخلفاء الراشدين والفقهاء الأربعة مع الصوفية المتقدمين كما هو الحال في «الحلية».^{٣٧} وتظهر مجموعة أخرى تضم مشايخ الشعراني ومعرفته بهم عن طريق التجربة المعاشة.^{٣٨} ويستطيع الإنسان أن يعايش المتقدمين بتمثل أقوالهم والاعتداء بأفعالهم.^{٣٩} ويحيل إلى باقي أعماله. فكتابة الطبقات جزء من مشروع فكري أعم.^{٤٠}

^{٣٤} لوائح الأنوار ج ١، ٨٦، ج ٢، ١٩-٢٠، ١١٦، ١٤٢، ١٤٥.

^{٣٥} «نبذة صالحة من أحوال العلماء العاملين من أجل مذهبنا فقط تبركاً بذكرهم، ونشر العبير مسكهم رضي الله عنهم»، الطبقات الكبرى ج ٢، ١٧٠-١٧٢.

^{٣٦} فصل في ذكر جماعة من عبادة النساء (١٦ امرأة)، السابق، ج ١، ٥٦-٥٨. منهن رابعة العدوية، رابعة بنت إسماعيل، ماجدة القرشية، عضيرة العابدة ... إلخ.

^{٣٧} «وختمت هذه الطبقات بذكر نبذة صالحة من أحوال مشايخي الذين أدركتهم في القرن العاشر وخدمتهم زماناً أو زرتهم تبركاً في بعض الأحيان. وسمعت منهم كلمة أو أدباً فأذكر ذلك عنهم عن طريق ما ذكرناه في مشايخ السلف» السابق، ص ٣.

^{٣٨} السابق، ج ٢، ١٠٤-١٧٢.

^{٣٩} «وإن كل من طالع في هذا الكتاب على وجه الاعتقاد وسمع ما فيه فكأنه عاصر جميع الأولياء المذكورين فيه وسمع كلامهم. وذلك لأن عدم الاجتماع بالشيخ لا يقدح في محبته وصحبته فإننا نحب رسول الله والصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين ولا رأيناهم ولا عاصرناهم. وقد اقتفينا بأقوالهم واقتدينا بأفعالهم كما هو مشاهد. فإن صورة المعتقدات إذا ظهرت وحصلت لا يحتاج إلى مشاهدة صور الأشخاص. ثم إن من طالع مثل هذا الكتاب ولم يحصل عنده نهضة ولا شوق إلى طريق الله عز وجل فهو والأموات سواء»، السابق، ص ٣. وهو ما سماه كير كجارد المتعاصر أو التلميذ من الدرجة الثانية.

^{٤٠} الإحالة إلى تلخيص كتاب الجواهر، السابق، ج ٢، ١٥٨. «وسلكت في هذه الطبقات نحو مسلك المحدثين وهو أن ما كان من الحكايات والأقوال في الكتب المسندة كرسالة القشيري والحلية لأبي نعيم

وترتيب الأعلام ليس مرقماً. بل تتوالى الأعلام، الواحد تلو الآخر. فهو أقرب إلى الترتيب الزمني منذ القرن الأول، عصر الخلافة الراشدة حتى القرن العاشر الذي عاش فيه الشعراي (ت ٩٧٣هـ)، ويخلو الترتيب الزمني من أي ولاية أو أي محاولة لاكتشاف قانون لتطور التاريخ في مراحل أو لوصف مسار التصوف أو لتحديد مكونات الوعي التاريخي الصوفي. ولا توجد محاولة لوصف منحنيات هذا المسار التاريخي الممتد عبر ألف عام أو تجميع الأعلام في مدارس صوفية متتالية أو متزامنة عبر التاريخ.^{٤١} وقد يساعد ذلك على إدراك رؤية المتأخرين للمتقدمين، والحكم على التصوف في مراحل الثلاث السابقة: الخلقية والنفسية والفلسفية من منظور التصوف الطريقي.

وتختلف الأعلام من حيث الحجم. أكبرها سيدي علي ولده، قد لا يكون معروفاً إلا عند مشايخ الطرق الصوفية. يليه الشيخ علي الدميري المجذوب، وهذا أيضاً من أقطاب مشايخ الطرق، ثم إبراهيم الدسوقي مؤسس الطريقة الدسوقية، ثم الشيخ داود الكبير بن ماخلا فالثلاثة الأوائل من مشايخ الطرق. ولا يأتي أعلام التصوف، والشاذلي مؤسس الطريقة الشاذلية، وعبد القادر الجيلاني مؤسس الطريقة الجيلانية، والسيد أحمد البدوي مؤسس الطريقة الأحمدية، وأحمد الرفاعي مؤسس الطريقة الرفاعية ... إلخ.^{٤٢}

ويذكر اسم العلم مع ألقابه. كما يذكر نسبه وشيوخه وتلاميذه. كما يُذكر مكان ولادته ووفاته وموطنه. ويذكر أيضاً تاريخ وفاته، ونادراً ما يذكر تاريخ مولده، وأحياناً يذكر عمره. وقليل ما يرد شيء من ذلك إما لمدى البعد أو لمدى القرب من المؤلف. ولا حرج من ذكر قتله بأيدي السلطان أو العامة لاتهامه بالكفر. كما تذكر مواعيد الموالد

وصرح صاحبه بصحة سنده أذكره بصيغة الجزم لأن استدلاله به دليل على صحة سنده عنده. وما خلا عن هذين الطريقتين فأذكره بصيغة التحريض ليحكى ويروى. ثم لا يخفى أن حكم ما في كتب القوم «كعوارف المعارف» ونحوه حكم صحيح السند. فأذكره بصيغة الجزم كما يقول العلماء قال في شرح المذهب كذا قال في شرح الروضة كذا ونحو ذلك»، السابق، ص ٣.

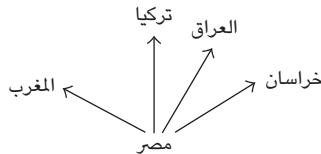
^{٤١} «ولكن هكذا وقع لنا ذكره وإن كنا لم نلتزم ذكرهم على ترتيب الزمان» السابق، ج ١، ١٧٥.

^{٤٢} سيدي علي ولده (٤٠)، الشيخ علي الدميري المجذوب (١٨)، إبراهيم الدسوقي (١٥)، سيدي الشيخ محمد أبو الذهب (١٣)، الشيخ داود الكبير بن ماخلا (١٢) شمس الدين الحنفي (١١)، أبو الحسن الشاذلي (٨)، المرسى أبو العباس، الشيخ أبو الفضل الأحمد، عبد القادر الجيلاني (٦)، السيد أحمد البدوي (٥)، أحمد الرفاعي (٤)، أبو السعود بن أبي العشائر، سيدي محمد المغربي الشاذلي، سيدي محمد بن عنان (٣)، أبو محمد سهل بن عبد الله، أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي.

لأهمية اشتراك الجمهور، وتخلو الأسماء الأولى من الألقاب. وأكثرها ذكرًا «الشيخ» ثم «سيدي».^{٤٣} كما يظهر لقب «المجذوب» الذي تحول فيما بعد من كنية إلى اسم. تذكر أقواله وتروى أفعاله خاصة كراماته، والأقوال أكثر من الأفعال، وللنساء لقب «سيدة» ولا تظهر الألقاب إلا في الفترة المتأخرة في العصر العثماني.

وتتوزع الأعلام المتقدمة على العراق، البصرة وبغداد، وخراسان وآسيا، وأذربيجان، أرمنية، في حين تتوزع الأعلام المتأخرة على مصر والمغرب وتركيا. وتبدو مصر وكأنها مركز التصوف الطريقي. ويغيب السودان بالرغم من أهمية المهدية والتيجانية والمرغنية والختمية والبرهانية. وقد ظهرت متأخرة بعد القرن العاشر. ومع ذلك يذكر الصوفية الأحباش في مصر. فصورة المجذوب أنه أسود الوجه كجزء من الخيال الشعبي مثل الذقن واللحية والعمامة والعيون الجاحظة والمنجرة. كما غابت شبه الجزيرة العربية ربما لسيادة النزعة السلفية التي أكدتها الوهابية فيما بعد. ويكشف عن اتساع رقعة العالم الإسلامي وانتشار التصوف فيه. وتذكر القسطنطينية عاصمة الخلافة، وينسب الصوفي إلى أفريقيا، مع انتشار الإسلام فيها في القرون المتأخرة.^{٤٤} وتحضر مصر حضورًا طاعيًا في العصر العثماني. فمعظم الصوفية منها أو عن طريقها من المغرب، القاهرة والإسكندرية، الأزهر والحسين والمجاورين وقرافات المقطم. وقد ربطت المالكية كما ربط

^{٤٣} الشيخ (١٢٢)، شيعي (١)، سيدي (٤٢)، الشيخ داود الكبير (١)، شيعي ووالدي وقودتي الشيخ (١)، شيخ الإسلام زكريا النصارى (١)، العارف بالله (إبراهيم الدسوقي)، العارف الكامل المحقق المدقق أحد أكابر العارفين بالله سيدي (١)، الشيخ العارف بالله سيدي (١)، سيد الطائفة (الحفيد) (٩)، السيد (٢)، الإمام (أبو العباس المرسى) (١)، السيد الحسين النسب أبو العباس سيدي أحمد البدوي الشريف (١)، أمين الدين إمام الجامع الغمري (١)، أستاذي سيدي (على الخواص) (١)، سيدة (٢)، عائشة بنت جعفر الصادق، نفيسة بنت الحسين، مجذوب (١٤)، المجنون (٢)، الحافي (١)، المحاسبي (١)، الواعظ (١١)، الكبير (١)، الأعمش (١).



الحج بين مصر والمغرب.^{٤٥} وكثير منهم حول فاس، العاصمة الثقافية للمغرب.^{٤٦} ولما ارتبط التصوف بالأشعرية والشافعية فقد اجتمعت المذاهب الثلاثة في الطرق الصوفية ومشايخها.

ويقل الاعتماد على الحجج النقلية، ويزيد الجانب العقلي حتى ولو عن طريق أقوال الصوفية. ويخف الحديث للغاية. وتزيد الآيات القرآنية حيث يبدو أن التصوف ما زال مرتبطاً بعلم التفسير وإن بدا انفصاله عن علم الحديث. وهنا يبدو التصوف وكأنه تفسير أخلاقي روحي باطني للقرآن. وأحياناً تدخل الآيات كاستعمال حر داخل الإنشاء دون أن تكون نصاً منفصلاً ومستقلاً عن التأليف. وهنا يبدو التصوف وكأنه تفسير مرسل. ولا توجد الأسانيد المختلفة لنفس المتن أو المتون المختلفة لنفس السند. فلم يعد الحديث هو الدعامة الأولى في الحديث عن الصوفي بعد أن ظهرت أقواله، واشتهرت أفعاله، وزادت كراماته. وينضم الشعر كمادة صوفية من أشعار الصوفية أنفسهم خاصة الصوفية الشعراء.^{٤٧}

وفي هذا العصر المتأخر تحولت اللغة من منطق محكم إلى خرافة وأحجيات توحى بألفاظها لا بمعانيها.^{٤٨} فهو كلام المغرب الذي لا يشاكل كل لغة العرب، ولا يفهم إلا

^{٤٥} «وجميعهم من مشايخ مصر المحروسة وقرأها رضي الله عنهم أجمعين» السابق، ص ٣.

^{٤٦} «من العقيدة إلى الثورة». من نفحات فاس ١٩٨٢-١٩٨٤ م.

^{٤٧} «الطبقات الكبرى» في حاجة إلى طبعة حديثة علمية تعتني بالفهارس العامة للتخفيف على الباحثين

تطبيق منهم تحليل المضمون بدلاً من الطريقة الأزهرية القديمة (مكتبة محمد علي صبيح وأولاده).

^{٤٨} كتب إبراهيم الدسوقي وهو من الفقراء صاحب الخرق إلى بعض مريديه وكان يتكلم بالعجمي والسريرياني والعبراني والزنجي وسائر لغات الطيور والوحوش «أنني أحب الولد. وباطني خلي من الحقد والحسد. ولا بباطني شطاً ولا حريق لظى ولا جوى من مضى، ولا مضض غضاً، ولا تكفي نصاً، ولا سقط نطاً، ولا ثطب غظاً، ولا عطل خطاً، ولا شتب سري، ولا سلب سباً، ولا عتب فجاً، ولا سمداً إن حيداً، ولا بدع رضاً، ولا شطف جؤاً، ولا حتف حرّاً، ولا خش خيش، ولا حفص عمص، ولا خفض خنس، ولا مولد كنش، ولا عنش كنس، ولا عسس ولا جيفل خندس، ولا سطاريس، ولا عيطافيس، ولا مطامرش، وبل شطامريش، ولا شوش أريش، ولا ركاش فوش، لا سملاد نوس، ولا كتب اسحطلول الرس، ولا بوس عكموس، ولا أفناد أفاد، ولا قمداد أنكاد، ولا بهداد، ولا شهاد ...» لوائح الأنوار ج، ١٤٥. «فتبدو له أنوار وعلوم مختلفة مانعة محجوبة، معلومة، معروفة لا معروفة، غريبة عجيبة، سهلة شطة، فائقة طعم، ورائحة وشم، ميم محل، جميل جهد، رأب غلوب، نفط

من كان له قلب أو أفهمه الرب. إذ يتكلم علماء الحقيقة بكل لسان. ولهم لسن عجام وتتسرب إليها أحياناً بعض الألفاظ العامة بعد أن أصبح التصوف ثقافة شعبية.

ولم تظهر الإسرائيليات كثيراً باستثناء قصص الأنبياء. ولم يذكر مع أعلام الصوفية النصارى المتحولين إلى الإسلام مثل كعب الأبحار ووهب بن منبه.

وتستمر «الحقيقة المحمدية» في الظهور منذ القرن الثالث الهجري عند ذي النون حتى الشعراني. ومنها خرجت الأدعية والابتهالات النبوية. فالتصوف النظري قد تحول إلى طرق صوفية في حاجة إلى رموز دينية وتجسيم وتشبيه. ويبدو المسيح حاضراً. فهو نموذج الاتحاد والحلول. كما تحضر قصة مريم، نموذج الحياة الروحية الباطنية.

نبوط، هوبط سهبط، حرموا عميطاً أغلب، عمن عسب غلب، عرماد عرجود، على عروس علماس، مسرود، قد قد، حرس صياح صبع صبوع بنوب، جهمل جماید جريوعس، فنبود، سماع بناع، سرنوع ختلوف، كداف كروب كمنوف شهد، اسهنبل، ختلوف، ختوف رصص، ما من قمن، قرفنوب سعي، طبوطا برطا، كمط كهرجه جهد. بيدفيلودات كهلودات، كيكل كلوب، فافهم برم، واهرم منعجم، وآخر سهدم، سوس سهيوس، كلافيد، لا تعز عن غبيل، سعد سجتريظ ولا تتكوكع، زيد صدام هدام. سكهدل ...»، السابق، نفس الصفحة. «في الأبرجة المعونقة والمجرة المعونقة والمثيرة المحتوتفة واللطيفات المختلفة المستوتجة والأرياح المتولوجة المستودجة، فالشهار والأنهار المستوطج والصفو المزوروق أو المفتودج والفتوع والسنبابول والسربايور والشوشاند والشربو شاسع والبرجواشاند ...» السابق، نفس الصفحة. أجميل المعنى سخي المرافش، أرخى المعاطف كريم الخلق، سني الصدق، عرفوط الوقت، ورو ساني الفهم، ثاقب المرصب، محبول الرحب، قطابة النقل، قدوح النمطة، ليدوح النباطجة، سراسامع الوجب، بهدياني الوعب، بهياني الحداقة، سهيري الناقة، موز الرموز، عموز النهوز، سلاحات أفق فانية، أحق شوامق البرامق، صيدو فرقيدو، فرغات الأسباط، وميط الساط، الكركولية، والقدد القيلولية، إن جدول شذول، وإن غزذل، خردل السبل، السبل يبطل العقود، النمكاسة النياصة، جاجوي نباكلكوتي، سبا مقطعات، حم ومحمات، حكيم بداع لواع، إن شدت أنشدت، عنيقات رسمانية، ناتوتية، نابهنتية، بانلية، أرس أرسون، كمين كبيوت، ناتون نون، وجيم ونقطة، عين تنعيم، أزمج همدج، بنسج هيچ، وهبرر عبوص، قيداف فيدوف، عرائش مجليات، شعشانية على ققط النبط، لا النمط والبعب لا الشطط، خلاق القندوم، خلاق الزيدم، وأبقي الهندم، أن طاطا فطا وفا، وإن تعاطي فاستبرق، يسمع عنين النبك، وعنين النبط، من أرباح قوائد. وأدراح قلائد، ليش من لفظ قس الأيادي، ولا له بها أيادي، إن تمادي قدي، إن نعد أعدد، لفظه بارق، لحظه حائق، إن ينشد ورد وونيه، قب اعتدلت بالرشاطاط، من خوروبان، كروم المرنبله ولا أشباه ألم تك والدتك والرنك»، السابق ص ١٤٦.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

وتظهر مشاركة الصوفية في الحياة السياسية بالحديث عن الأسر عند الإفرنج له أو لأولاده، لمشايخه أو لتلاميذه، كما هو الحال في الأغاني الشعبية، «ولدي يا ولدي، السلطة أخذت ولدي».^{٤٩} وكان الصوفية يحاربون بالكرامات ضد الإفرنج.

(ب) «الطبقات الصغرى»^{٥٠}

وتمثل أيضاً عوداً إلى الوعي التاريخي مثل باقي مؤلفات الشعراني التاريخية. وهو ليس تلخيصاً للطبقات الكبرى بل إضافة عليها من المعاصرين، الأموات والأحياء. ينقسم إلى ثلاث أقسام: الأول الصوفية الذين لم يقابلهم المؤلف. والثاني الصوفية الذين قابلهم دون أن يتلمذ عليهم ويقرأ لهم. والثالث الصوفية الذين قابلهم وما زالوا أحياء ومصادره عنهم مصادر مباشرة. قد يكون البعض منهم قد مات أثناء حياة المؤلف فيضمهم مع الأحياء. ومع ذلك يذكر تاريخ وفاتهم، والقسم الثالث لم يُستوف بعد. ويحال إلى كتاب آخر يتم فيه تناول الموضوع.^{٥١} ولأول مرة يتم تدوين الأحياء. ولم يُوضع كل الأحياء مما أثار بعضهم. وربما قصد حذفهم لأنهم كانوا حريصين على ذلك مما يقلل في آداب السلوك. فشرط الصوفي ألا يعلم عنه الناس أنه صوفي، حياءً وتسترًا. فالتصوف علم كبواطن القلوب. ومنهم من يلوط بالعبيد وبالحمير.^{٥٢} وكلهم تقريباً مصريون مما يدل على مساحة مصر في التدوين الثاني لعلم التصوف وظهور الوعي التاريخي من جديد. وهم مرتبون ترتيباً أبجدياً أسوة بباقي كتب الطبقات.^{٥٣}

ويكشف عن الحياة العلمية في عصر المماليك والعثمانيين خاصة في مصر، وقد يكون اللجوء إلى التصوف رد فعل على ذلك، ومن الصوفية من كانوا علماء أتقياء مستقلين عن السلطان في مناصب الإفتاء أو القضاء أو الإمامة، كما يكشف البعض الآخر عن الصراع بين العلماء والسلاطين وشكوى بعض العلماء الإهمال والعوز، وتصور الطبقات الصغرى الحالة العلمية في مصر في العصور المتأخرة. كما تبين حياة الشعراني نفسه،

^{٤٩} الطبقات الكبرى ج ٢ ٧٨، ٩٦، ١١٧، ١٦١، ١٦٣.

^{٥٠} الطبقات الصغرى - دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م/١٤١٩هـ.

^{٥١} السابق، ص ٢١.

^{٥٢} السابق، ص ١٣.

^{٥٣} القسم الأول ٣١ صوفيًا، الثاني ٢٢ صوفيًا، الثالث ٥١، والمجموع ١٠٤.

وحرصه على العلم عن طريق البحث عن المشايخ، وكثير منهم كانوا من الأزهر مما يبين دوره في إنجاب العلماء. كما يأخذ المؤلف موقفاً نقدياً من التصوف، ما يتفق منه مع العقل وما يخالفه. ويكشف عن بعض الحسد والخصومة بين الصوفية وكما يحدث في كل عصر من غيره العلماء.

وترسم شخصية الصوفي في عصره، مولده ومكان وفاته، بلده، وموطنه، وعلاقته بالسلطين والولاة وباقي العلماء. ويذكر مشايخه ومريديه، وتوصف عشرته، وطريقته في التعليم، وإصره على المريدين، وحسد المشايخ والعلماء له. وتذكر مكانته عند السلف، وأقواله وكراماته ومواقفه وحكاياته وألقابه مثل الورع الزاهد الولي الناسك. كما تذكر أوصافه وسماته وشمائله وأخلاقه، والمعالـم الرئيسية في حياته ومناصبه، والشهادة له بالصلاحية والدين ضد تهم الكفر والإلحاد. وتذكر مؤلفاته وأقواله وعباراته التي استشهد بها. كما يذكر مذهبه الفقهي للدلالة على تمسكه بالشرعية. بل تذكر أحياناً بعض ملامح حياته الخاصة مثل زواجه، مرة أو أكثر من مرة أو رهبنته، حبه للنساء أو كرهه لهن، ويذكر المؤلف مدة صحبته لهم التي قد تصل إلى أربعين عاماً كما حدث لبعض الأنبياء. كل ذلك يرسم صورة مثالية لصوفي دون نقد له أو ذكر بعض عيوبه ونقائصه. والله المثل الأعلى، ويتفاوت الصوفية في الحجم. يأتي في المقدمة جلال الدين السيوطي، ثم زكريا الأنصاري. ومعظمهم لا يتجاوز الفقرة أو الفقرتين.^{٥٤} ومن حيث الكيف يذكر الأئمة الأربعة ابتداء من أبي حنيفة ثم الشافعي مع أن معظم الصوفية من الشافعية لارتباطها بالأشعري.^{٥٥} ولم يذكر من الصحابة والتابعين والعلماء العاملين إلا من له كلام في الطريق. أو حال أو مقام.^{٥٦}

ومصادره الكتاب والشعر والأولوية للشعر وأقوال السابقين. وتذكر بعض أحاديث الرسول في المنام لمزيد من التشويق.^{٥٧} فالموضوع تاريخي خالص لا يحتاج إلى كثرة من الأدلة النقلية، كما تذكر بعض الاقتباسات وعلامتها «انتهى».^{٥٨}

^{٥٤} السيوطي (١٥)، زكريا الأنصاري (٧)، ستة أعلام (٢)، ثمانية أعلام (١٥)، أربعون علماً (صفحة واحدة)، وستة وأربعون علماً (نصف صفحة).

^{٥٥} الطبقات الصغرى، ص ٧.

^{٥٦} السابق، ص ٧٩، ١٢٢.

^{٥٧} الشعر (٢)، القرآن (١).

^{٥٨} الطبقات الصغرى، ص ٧٠.

(ج) «تنبيه المغترين أواخر القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر»^{٥٩}

هو أيضًا عودة إلى التاريخ عن طريق قياس الحاضر على الماضي، وبيان انهيار التاريخ من السلف إلى الخلف كما حدث في علم الكلام في الجزء الأخير عن الفرق، والمفضول والأفضل. حدث نفس الانهيار في التصوف، من الصوفية الأوائل إلى المغترين الأواخر. التصوف هنا دعوة سلفية إصلاحية. تجعل أخلاق السلف مقياس أخلاق الخلف. الصوفية هم أتباع السلف الصالح وخلفاء الأنبياء. وهو رد فعل على أخلاق العصر وفساد سلوك الأولياء والمشايخ. فهو نقد مثالي للعصر للتحويل مما هو كائن إلى ما ينبغي أن يكون.

وغيب البنية كالعادة في هذه المرحلة المتأخرة بالرغم من قسمة الكتاب إلى أربعة أبواب متشابهة في العنوان «في جملة أخرى من الأخلاق»^{٦٠}. ولا يوجد تصنيف لأخلاق السلف طبقًا لما عرف من التصوف الخلقي من تصنيف للرذائل والفضائل أو للتصوف النفسي من تصنيف للمقامات والأحوال، وكثير من أخلاق السلف أخلاق عادية لا تحتاج إلى بيان مثل ملازمة الكتاب والسنة. ومع ذلك يظهر السلوك الفاضل مثل العفو والصفح وتعظيم حرمة الناس وحسن الأدب مع الصغير والكبير. ومن السلوك العام ترك الرياسة والنصح للحكام والمحكومين، وتظهر الفضائل مثل الجوع والقناعة والعمل وحسن النية والحياء والفتوة والمروءة والكرم. ويتم التنبيه على الرذائل مثل الغيرة والحسد والغيبة، ويتم التركيز على الالتزام بالحلال وتجنب الحرام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عودًا إلى الفقه كمصدر أول للتصوف.

وتتناثر المقامات عبر الكتاب وتفقد وضعها كموضوع خاص مثل الصبر على جور الحكام وأذى الزوجات والبلايا والنوازل، والتوبة والزهد، والمحبة، والتسليم، متناثرة ومتباعدة. وكذلك تتناثر الأحوال مثل الخوف من الله ودخول الآفات على العلم وضياح الذرية والحزن وما يصاحبه من بكاء والتفريط، وقلة الفرح. وتبرز موضوعات الطريق، مثل نبذ الدنيا والرياضة والمجاهدة والعزلة والصمت. وتظهر ثقافة الموت والارتعاش مما بعد الموت، وزيارة المقابر. ويعتمد على الحجج النقلية دون العقلية. وتذكر أحوال

^{٥٩} مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر ١٩٣٠م/١٣٥٦هـ.

^{٦٠} السابق، ص ٦٠، ٤٦، ٩٢، ١٣٤.

أولاً: العودة إلى التاريخ

الصوفية وتروى أقوالهم وحكايتهم باعتبارهم خلفاء للأنبياء. ويخاطب القارئ «يا أخي» لأنها دعوة تربوية.^{٦١}

(د) «لطائف المنز والأخلاق في وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق» أو «المنز الكبرى»^{٦٢}

ويتم التركيز على طبقة واحدة بل على فرد واحد فيها هو المؤلف نفسه كنوع من السيرة الذاتية ومدح النفس وبيان تأثرها وهو ما يتنافى مع قيم التواضع وإنكار الذات. وهو ما يتناقض مع توصية المريدين بعدم إفشاء سر المشايخ والأولياء الصالحين حتى لا يقعوا في الغرور والجهل. فهناك توحيد بين التصوف والصوفي، والولاية والولي، استمراراً في عبادة الشخص منذ «الحقيقة المحمدية» حتى شيخ الطريقة. وفي المثل الشعبي «لا يشكر في نفسه إلا الشيطان».

والعنوان خادع. إذ يوحي بأنه عود إلى المرحلة الأولى التصوف الخلقي، مرحلة المحاسبي والترمذي والتستري، خاصة وأنه مستمد من آية قرآنية ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾. إلا أنه يعني المنز التي يتوهم الصوفي أن الله خصه بها بما في ذلك من كرامات. وقد جرت العادة على الدس على الصوفية وإقحام نصوص غريبة على مؤلفاتهم كما حدث في «الفتوحات». وهنا يختلط التصوف بالنصب والاحتيال على عكس تعريفه الأول بالصفاء والصفو. وقد يكون الهدف التعلم عن طريق المشاركة، وعرض الشيخ لمناقبه حتى يشارك فيها المريـد.

ويتكون من ستة عشر باباً بلا عنوان. ولا تعبر عن مراحل العمر كما هو الحال في السير الذاتية. وكل باب يبدأ بعبارة واحدة مكررة «وفي جملة أخرى من الأخلاق». ولا تدل على شيء إلا على نعم متوهمة وكرامات خاصة عادة يستحي صاحبها من ذكرها حتى لا ينال مديح الناس. ولا يوجد مسار تراكمي فيها أو هدف كما هو الحال في «المنقذ من الضلال» للغزالي كمسار معرفي لصاحبه من العلوم النظرية إلى العلوم الذوقية. ومن العلوم العقلية إلى العلوم الكشفية، ومن العلم الإنساني إلى العلم

^{٦١} السابق، ص ٢٩.

^{٦٢} عالم الفكر، ميدان الحسين، الأزهر الشريف ١٩٧٦ م.

الدُّنْيَى، بهدف معرفة الحقيقة ومشاهدتها، انتقلاً من علم اليقين (الكلام) إلى حق اليقين (الفلسفة) إلى عين اليقين (التصوف). بل هي ممن مادية خالصة لا يصدها عقل وأقرب إلى المعتقدات الشعبية.^{٦٣} وتكاثر الطعام وطاعة الجن ومعرفة ما في القبور من أحياء وأموات أيضاً جزء من التدين الشعبي.^{٦٤} والإحساس بالفقراء إحساس إنساني طبيعي ولا يتطلب نعمة ربانية خاصة. وعدم الاهتمام بزيادة مغنم الدنيا وعدم كراهية أحد إحساس طبيعي كذلك. وكراهة الجلوس في المسجد على حدث أصغر إحساس طبيعي بالنظافة. وعدم البخل في الإنفاق على الأسرة وإدخال الفرح والسرور على الأهل والأقارب والجيران، وعدم بغض أحد حتى ولو كان من الأشراف والأنصار، وإرشاد المريدين على تحمل الأذى من الناس، والنصيحة بالاعتاظ بسماع القرآن، وإكرام أهل الحرف النافعة، وصلاة الاستخارة والاعتراف بالفضل، كل ذلك سلوك عام للفضلاء وليس سلوكاً خاصاً للأولياء، ومحبة صفات الله وكراهة أصدادها مطابق لتعريف التصوف بأنه إسقاط الصفات الدنية والتحلي بالصفات السنية، إسقاط الأوصاف البشرية والتحلي بالصفات الإلهية. وسماع القرآن والذكر ليلاً، والحذر من أهواء النفس كل ذلك جهد إنساني عام وليس فضلاً خاصاً.

ويبدأ الكتاب كالعادة بعرض أبواب الموضوع الستة عشر وكلها مدح للذات.^{٦٥} ومن النعم ما لا دخل للإنسان فيها مثل شرف النسبة والانتساب إلى ذرية الإمام محمد بن الحنفية، أو الصحابة الأطهار. وحتى شرف الأنبياء لا يأتي من ذريتهم، ولا شرف البشر لأنها جاهلية. والعلم لا يأتي من الإجازة بل من النور الباطني. ونفور النفس من ادعاء العلم نفور طبيعي ليس في حاجة إلى نعمة خارجية. ومشاهدة النفس لقدراتها الداخلية وحسن السلوك كل ذلك هبات فطرية وتعليم كسبي. والقناعة وعدم سؤال

^{٦٣} «تم بيسير جميع ما يحتاج إليه في الزاوية من طعام ولباس وغيرهما من غير سؤال ولا ذل في طريق الوصول إلى ذلك، ثم إرسال الحق جل وعلا إلي كل سنة من غسل النحل نحو عشرة قناطير، ومن غسل القصب نحو خمسة عشر قنطاراً، ومن القمح ثلاثمائة إردب ... ثم إرساله تعالى لنا كل سنة من البطيخ الهندي نحو ألفي حبة فنطعم منها الفقراء والضيوف طول السنة حتى يطلع البطيخ الجديد غالباً، ثم عدم اعتمادي على وقف أو هدية أو على مخلوق دون الله تعالى ...»، لطائف المنن، ص ٣٣.

^{٦٤} «ثم وجود البركة في رزقي حتى ربما أقدم للضيف ما يأكله واحد فيكفي العشرين نفساً، ثم طاعة الجن لي ... ثم معرفتي للولي إذا زرت في قبره هل هو حاضر أم غائب ...» السابق ص ١٦.

^{٦٥} السابق، ص ٩-٣٨.

الناس سلوك أخلاقي طبيعي يقوم على الحياء، والاعتماد على النفس. والرضا دون زيادة في الكسب، وعدم الخوف من الناس والعزلة عن الحكام سلوك طبيعي للإنسان الفاضل. وكثرة الثناء على الله، وقبول المكروه، ورعاية اليتيم والجار «والمرأة الجار إذا غاب زوجها»، وقضاء الحوائج من الحكام حق مشروع واختيار سياسي وليس توجهاً إلهياً. وقبول البلاء تجربة وامتحان. وكراهية زيارة الحكام واللباس زهد طبيعي وإيثار لأعمال الروح. وعدم الزواج من ابنة الشيخ يوحي بأن ذلك كأنه تقليد للتقرب له وورثة منصبه ورياسة طريقته كما يحدث عند المتسلقين والطلابين للمناصب الدنيوية. والرفق بالحيوان إحساس فطري. والأخلاق لا تكون إلا ذاتية طبيعية فطرية تنبع من حرية الاختيار والتمييز العقلي بين الحسن والقبيح. أما لطائف النعم فإنها جبر إلهي مثل الجبر الطبيعي أو الاجتماعي، وهذا الإنسان الكامل الفاضل الإلهي لا وجود له في الواقع، وما أكثر ما قيل أيضاً في مفسدات الأشياخ والمريدين خاصة المفسدات الجنسية.

وذئوع الكرامات ضد الحياء. فمن شروط الولاية ألا يعرفها الناس. وسماع الجمادات كرامة للولي ومعجزة للنبي.^{٦٦} والحماية من التداوي بإشارة يهودي. وكما يقوم الصوفي بأفعال فوق العادة فإنه يقوم أيضاً بأفعال تحت العادة مثل تعدد الزوجات، الزواج من أربع ومنعهن من حضور الأعراس لما فيها من مظاهر للفساد.^{٦٧} ومن نعم الله عليه إصلاح زوجاته الأربع اللاتي تزوجهن على التعاقب لدينهن. وكان في عمله وهو الخطبة لا ينظر إلى المخطوبة حياء باستثناء الوجه والكفين. ويهبه الله من العلم اللدني دون تفكير أو استدلال أو تدبر وكأن إلغاء العقل نعمة إلهية وليس علم الطبائع الأربعة عند الفلاسفة. كما يحرسه من تعلم «علم الحرق والرمل والهندسة والسيما» وغير ذلك من علوم الفلاسفة عندما تحولت الفلسفة إلى خرافة.

أما تقليد «الأشياخ» والاحترام الزائد للمعلمين فإنه يمنع التجريد والنقد وإعادة البناء. فاحترام المعلمين الأشياخ يكون بتطويرهم وتجاوزهم كما فعل أرسطو مع أفلاطون، والديكارتيون مع ديكارت، والكانطيون مع كانط، والهيغليون الشبان مع هيغل، والوجوديون مع ظاهريات هوسرل.^{٦٨} وقد تضمنت ألقاب الأشياخ مثل ألقاب

^{٦٦} السابق، ص ١٨.

^{٦٧} السابق، ص ٢٣-٢٤، ٣٣، ٣٧.

^{٦٨} السابق، ص ١٧، وقد قمنا بتحقيق ذلك في «حوار الأجيال».

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

الشعراني، العارف بالله، القطب الرباني، المحقق الصمداني، أبو المواهب. مذهب الشافعية، وأصوله مغربية. وتعتمد هذه السيرة الذاتية غير المعلنة على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وحكايات الصوفية وأقوالهم وكأنها كلها تثبت لطائف المنن على الصوفي. قد تبدأ الحديث قبل الآية. وقد تبدأ الرواية قبل الحديث. والآية بلا نسق في أوليات المصادر كما كان متبعاً في الإحياء». ويعتمد على أقوال الصوفية بأسانيدهم وعلى كثير من الاقتباسات من نصوصهم.^{٦٩} وتضخم الكتاب بلا سبب إلا الجمع والتجميع.

(٤) الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية (طبقات الصوفية، الطبقات الكبرى) لزين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١هـ)^{٧٠}

واستمر الوعي التاريخي حتى القرن الحادي عشر. ويدل على تحول التصوف إلى صوفية، والعلم إلى أعلام، والطريق إلى مشايخ ومريدين. وله عدة عناوين: الأول «الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية» مشيراً إلى أنه تراجم مصنفة تصنيفاً أبجدياً. والثاني «طبقات الصوفية» مشيراً إلى أن التراجم قد صنفت طبقاً للطبقات، وكل طبقة قرن من الزمان. ولما كان المؤلف قد توفي في ١٠٣١هـ، فهناك إحدى عشرة طبقة. ولما كان الكتاب قد استكماله الابن ببعض الاستدراكات ظهر العنوان الثالث «الطبقات الكبرى» للأب تمييزاً له عن «الطبقات الصغرى» لابن. وهو نفس اسم كتاب الشعراني.

ويغلب على الأسلوب الخطابة والمبالغة والمحسنات اللفظية والبديعية كما هو الحال في أسالس الكتابة المتأخرة، وأهمها «تنبيه»، «تتمة»، «خاتمة»، «فائدة»، «عجيبة».^{٧١} وتستعمل بعض التعبيرات بدلاً من فعل «مات» أو «توفي» مثل: «وخر النجم من السماء»، «وهوى»، «وأصبح التراب ملأ أجفانه»، و«انقبر»، «خلا شخصه وزهب»، «فصار إلى رحمه ربه إلى خير مقيم»، «صعدت روحه»، «لحق بمن تقدمه من الأبرار»، «أناخ الحمام ببابه»، «عدمته أم قرى».^{٧٢}

^{٦٩} السابق، ص ٤٧-٤٨.

^{٧٠} دار صادر، بيروت، ١٩٩٩م (٥ أجزاء).

^{٧١} السابق، ج ١، ١٩-٢١، ٢٠٥-٢٠٦، ٦١٤-٦١٥.

^{٧٢} السابق، ج ٢، ٤٠٣، ٤٣١، ٥٠٦، ٣٤٤، ٣، ٣٤٣، ٤٩٣، ٢٦٧، ٤١٥.

ونادراً ما تظهر الظروف السياسية والاجتماعية التي نشأ فيها أعلام الصوفية والتي دفعتهم إلى التصوف دفعاً فأصبحوا شهداء للسلطين أو فقهاء لهم.^{٧٣} مثل ما حدث لإبراهيم بن أبو شريف مع السلطان الغوري، ورفضه الحكم برجم زانيتين لصحة رجوعهما ويذكر عديد من أسماء الملوك والسلطين حتى يكشف عن السياق السياسي للتصوف. ويذكر بعض جهاد الصوفية وغزوهم في سبيل الله مثل محمد بن عنان (ت ٩٢٢هـ).^{٧٤}

ويصنف الصوفية طبقاً للطبقات. والطبقة مفهوم تاريخي، طبقاً للقرون. الطبقة الأولى في القرن الأول، والطبقة الثانية في القرن الثاني، حتى الطبقة الحادية عشرة في القرن الحادي عشر، قرن المؤلف الذي توفي ١٠٣١هـ. ليست طبقة الأهمية أو الفضل أو الخير.^{٧٥} وداخل الطبقة يذكر الصوفية طبقاً للترتيب الأبجدي وليس طبقاً للأهمية أو للوجود داخل القرن في أوله أو في وسطه أو في آخره، باستثناء الرسول والخلفاء الأربعة الذين يأتون في المقدمة. أما مشاهير التابعين فيدخلون في الترتيب الأبجدي.^{٧٦} ويختلف عدد الصوفية داخل كل طبقة. أكبرها الثانية وأصغرها الخامسة.^{٧٧} ويكرر بعض الصوفية مثل إبراهيم النجفي (٩٩هـ) وغيره في الطبقتين الأولى والثانية.^{٧٨} ويذكر القليل منهم خارج طبقته مثل شاه بن شجاه الكرمانى (ت ٢٧٠هـ) فهو موضوع في الطبقة الرابعة. وقد يرجع الاختلاف الكمي بين الأعلام ليس فقط إلى الأهمية بل أيضاً إلى توافر المصادر والمادة التاريخية، وقد يكبر المعاصرون لوفرة المصادر الشفاهية عنهم.

^{٧٣} السابق، ج ٣، ٣١١-٣١٢.

^{٧٤} «وكان يغزو بلاد الإفرنج كل ليلة، ويرجع إلى بلده قبيل الفجر ويقول: لا يكون الفقير كاملاً حتى يطوف المشرق والمغرب، وهو مضطجع على جنبه» السابق، ص ٤٣٩.

^{٧٥} السابق، ج ١، ٣-٤.

^{٧٦} السابق، ص ١٩١.

^{٧٧} الطبقة الأولى (١٠٨ صوفي)، الثانية (١٦٥)، الثالثة (٧٨)، الرابعة (٩٥)، الخامسة (١٩)، السادسة (٥١)، السابعة (١٢٨)، الثامنة (٨١)، التاسعة (٧٣)، العاشرة (١٠٦)، الحادية عشر (٣٥). ويكون مجموعهم ٨٩٩. ومجموع الصوفية في «الطبقات الصغرى» ٦٢٧ صوفياً.

^{٧٨} طبقات الصوفية ج ١ ٢٠٨-٢٠٩، ٢٧١، ٢٨٠، ٢٩٥، ٢٩٨، ٣٢٣، ٣٣٢.

ويكتب اسم العلم ولقبه وكنيته وتاريخ وفاته وربما ميلاده وأحياناً عمره. ومكان ولادته ومحل إقامته. ولا يوجد تواريخ وفاة للنساء لأنهن أقل ذكراً وحضوراً في الوعي الجمعي، باستثناء رابعة العدوية ورابعة بنت إسماعيل.^{٧٩} وفي الغالب لا يزيد حجم المادة عن المرأة عن صفحة واحدة، وليس للكل تاريخ وفاة. والبعض يذكر بالقرن فقط دون تحديد للسنة، في أوله أو آخره. وبعض التواريخ تذكر على وجه التقريب بلفظ «نيف». ولا تذكر تواريخ وفاة غير المشهورين. وأحياناً تذكر مراسم دفنه وجنازته وراثؤه إذا كان معاصراً للمؤلف. وعادة ما يكون الدفن في المساجد والزوايا أو في الصحراء أو في مقابر المسلمين، وليس في المقابر الخاصة. وإن لم يعرف تاريخ الوفاة فإنه يحدد بتواريخ حكم السلاطين.^{٨٠} كما يذكر شيوخه وتلاميذه. وتذكر مؤلفاته وشروحه وملخصاته. كما تذكر معالم حياته خاصة كراماته، وبوجه خاص في الطبقات المتأخرة عندما تحول الصوفي إلى شيخ. ثم تذكر أقواله أو نماذج منها وهي الأهم. وترسم شخصية الصوفي بصفات كلها أقرب إلى صفات الكمال ولا يذكر شيء من صفات النقص.

والمؤلف من تونس، ينتسب إلى سلسلة من الصوفية والعلماء. صوفي يكتب عن الصوفية ويتعاطف معهم سواء كان أقرب إلى الموضوعية أم الخيال.^{٨١} معظم مؤلفاته شروح. فهو ينتسب إلى العصر المتأخر، عصر الشروح والملخصات.^{٨٢}

^{٧٩} طبقات الصوفية ج ١، ٢٣٠-٢٤٣، ٢٤٣-٢٤٣. نساء الصوفية، السابق، ج ١، ٢٣٠-٢٤٣، ٢٤٣-٢٤٣، ٢٦٨، ٢٨٥، ٢٩٤، ٣٢٧-٣٢٨ ج ١، ب ٣٩٠-٣٩٣، ٤٦٥، ٤٦٨، ٥٥٦، ٦١٧-٦١٦، ٦٩٣، ٧٢٣-٧٢٥ ج ٢، ١٢١-١٢٢ الطبقات الصغرى، ص ٢٩٥، ٣٠٦.
^{٨٠} الطبقات الصغرى، ص ٢٩٣-٢٩٤.

^{٨١} وقد أحسن الناشر صنعاً بتخصيص الجزء الخامس للفهارس العامة حتى أصبح بالإضافة إلى الهوامش والإحالات إلى المصادر الأخرى نموذجاً للنشر العلمي الجيد، بالرغم من المقدمة الخطابية له التي يبدو فيها تعاطفه مع الصوفية وانتسابه إليهم. بل إن الإهداء للصوفية، «إلى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، رجال الله، رجال الرسول، رجال الأمة، رجال صدقوا، وما بدلوا تبديلاً»، طبقات الصوفية ج ١، ٥.

^{٨٢} له حوالي ١١٧ كتاباً.

وتتمثل «طبقات الصوفية» الكبرى والصغرى بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية. والآيات أكثر من الأحاديث.^{٨٣} وتذكر الأسانيد مع الأحاديث زيادة في التوثيق والتبيين. وتكثر أحاديث الرسول في المقامات، كما تعتمد على المدونات السابق من أعمال الصوفية والاعتباسات منها. وعلامة انتهاء الاقتباس «انتهى». ويحال إلى «الإحياء» وغيره من الكتب العمدية في التصوف.^{٨٤} ويعتمد أيضاً على أقوال الصوفية السابقين. كما يعتمد على أقوال الفقهاء نظراً للاتفاق بينهما في الشريعة والأخلاق كما كان الحال في بداية التصوف. وبالرغم من أن معظم الصوفية شافعية إلا أن كثيراً منهم حنفية ومالكية وحنابلة. فقد استطاع التصوف اختراق كل المذاهب الفقهية، وتذكر مصادر مجهولة. يكتفي منها بلفظ «قيل» في المبني للمجهول. كما يعتمد على الأشعار. وتبرز بعض الإسرائيليات.

ويظهر الوافد حتى في صورة المنتحلات مثل «كتاب التفاحة» لأرسطو، وهو كتاب إشرافي عن خلود النفس بعد الموت أسوة بسقراط في «محاورة فيدون». فليس المعلم الأول أقل روحانية من أحكم البشر. وكان من ضمن قراءات عبد القادر الأدفوي.^{٨٥} وقبل التراجم هناك مقدمة صوفية من الكرامات. فالصوفية أصحاب كرامات خاصة عند المتأخرين.^{٨٦} وهي موجودة في القرآن لدى أهل الكهف، وسليمان، وزكريا، وعيسى، ومريم، والرسول.

وهناك مقدمة نظرية أخرى عن الرسول باعتباره أول الصوفية ورئيسهم.^{٨٧} فتذكر سيرته من مولده إلى وفاته، صفاته الظاهرة، وصفاته الباطنة، أخلاقه الظاهرة وأخلاقه الباطنة، معجزاته وخصائصه، كلامه وأدعيته، وأقواله وبعض أحاديثه دون ذكر لمقاييس اختيار مائة وثمانية من أربعة آلاف حديث. وما مقياس اختيار واحد وأربعين دعاء من

^{٨٣} الأحاديث (٤٦٨)، الآيات (٣٦٥)، الأشعار (٢٨٢)، الأمثال (٢٩)، أنصاف الأبيات (١٧)، الدوبيت والبلقيات والموشحات (١٢).

^{٨٤} طبقات الصوفية ج ١، ١٥٠، ج ٢، ٤٩٤، ج ٣، ١١٩، ٣٤٥، ٢٠٢، المصادر الشفاهية، ص ١٠٣، ٣١٧، ٤٥٨، السابق، ص ١٠٨.

^{٨٥} طبقات الصوفية ج ٣، ٥١-٥٢، ج ٤، ٤٣٧.

^{٨٦} السابق، ج ١، ٥-٢١.

^{٨٧} السابق، ج ١، ٢٢-٦٩.

مئات أخرى؟ وتستعمل أحاديث الرسول كمصدر للتصوف وكمادة للصحابة، وزهادهم وعبادهم.

ويتم الدفاع عن التصوف بالرد على المعتزلة في إنكار المعجزة، فالتصوف نظرة أشعرية للعالم. وحجج إنكار المعجزات والكرامات أنها توجب التباس النبي بغيره، وتفضي إلى السفسطة، وأنها دعوى بلا بينة لا يصدقها الناس، تنهض العادات. وتسد باب إثبات النبوة المعتمدة على المعجزة، وتخل بجلال الأنبياء. ولا تتميز عن السحر. ويعرف التصوف داخل التراجم أكثر من مرة كي ينطبق التعريف على التراجم، ولإثبات أن الجميع صوفية، فالصوفية في كتب الطبقات بالمعنى الواسع الذين يضم الصحابة والتابعين وتابعي التابعين والقراء والمحدثين والفقهاء والمفسرين والنحويين والأدباء. الكل صوفي.

ويتغير العنوان في «الطبقات الصغرى» إلى «إرغام أولياء الشيطان بذكر مناقب أولياء الرحمن». وهو مستلهم من عنوان ابن تيمية النقيض «الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان».^{٨٨} وهو من تأليف الابن محمد لاستكمال ما فات الأب دون التقسيم إلى طبقات بل الاكتفاء بالترتيب الأبجدي للصوفية.^{٨٩} ولم يشأ الابن إدخال هذه الاستكملات ضمن كتاب الأب بعد أن انتشر في العالم وخشية اضطراب النسخ بين ناقصة وهي نسخة الأب وكاملة وهي نسخة الابن، مع الخوف من تضخيم حجم الكتاب. أثر الابن تخصيص جزء خاص به هو الجزء الرابع. وضمه إلى كتاب الأب بعنوان مستقل، وإن كان للكتاب اسم جامع واحد «طبقات الصوفية».^{٩٠}

وهناك خمسة مقاصد من «الطبقات الصغرى»: «التنبيه على أهمية كلام الأولياء والتحبیب فيهم، الرد على إنكار الكرامات بالأدلة النقلية، الإشارة إلى المقصود من كرامات

^{٨٨} زين العابدين محمد عبد الرؤوف المناوي: إرغام أولياء الشيطان بذكر مناقب أولياء الرحمن»، تحقيق وإعداد محمد أدیت الجادر، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩م.

^{٨٩} عدد الصوفية ٦٢٧ صوفياً من كافة الطبقات، من الثانية حتى الحادية عشرة.

^{٩٠} «لما تيسر، والله الحمد، إكمال كتاب «الكواكب الدرية في مناقب السادة الصوفية» اطلعت بعد تمامه على جماعة من القوم من العجم والروم والحرمين واليمن والشام ومصر، فأحببت أن لا يخلو كتاب الكواكب» منهم، فأردت إلحاقهم فيه. فصدني عن ذلك أمران: الأول أن الكتاب قد انتشر في الأقطار، ونقل إلى البلاد النائية فتختلف النسخ وتضطرب. الثاني أن في حجمه كبراً بالنسبة إلى همم أهل العصر»، طبقات الصوفية ج ٤، ٥.

الأولياء، بيان طبقات الأولياء ومقاماتهم وأحوالهم، ذكر أصول علم التصوف.^{٩١} والاعتماد الأكبر على ابن عربي، وتلخيص كلامهم في المقصد الرابع وتصنيف الصوفية إلى أربع وثلاثين طبقة.^{٩٢} وهم كثر، المعروفون وغير المعروفين، رجالاً ونساءً، بشرًا على الأرض أو على قلوب الملائكة في السماء، أبداناً أو نفوساً، فرادى أو في الزمان يتكررون في كل زمان، يعبرون عن دورة التاريخ.

وهناك تسع وخمسون أصلاً فقط، يقوم عليها التصوف دون تبرير للعدد أو لكثرة الأصول.^{٩٣} كل منها مؤيد بالأدلة النقلية القرآن والحديث. وهي ستة بعلم القواعد الفقهية الذي يربط بين الأصول والفقه. هي علم القواعد الصوفية الذي يربط بين الأصول والتصوف. هناك أصول صوفية خالصة مثل صدق التوجه والرياضة أي تمرين

^{٩١} «وينحصر المقصود منها في أبواب: الأول: في التنبيه على جلالة كلام الأولياء والترغيب في مجالستهم. الثاني: في الرد على من أنكر حكاية الكرامات بالأدلة العقلية المؤيدة بالبراهين النقلية. الثالث: في الإشارة إلى المقصود من ظهور الكرامات على الأولياء والترغيب في مجالستهم والأخذ عنهم، وبيان ما أتوا من أنواع الكرامات والمنازل والمقامات على وجه الإجمال. الرابع: في بيان طبقات الأولياء ومقاماتهم وأحوالهم ومكان أصحاب الوظائف منهم. الخامس: في ذكر شيء من أصول علم التصوف المهمة، لا يستغني عنها مطالع هذا الكتاب، الطبقات الصغرى، ص ٦.

^{٩٢} هي (١) الأقطاب (٢) الإمامان (٣) الأوتاد (٤) الأبدال (٥) النقباء (٦) النجباء (٧) الحواريون (٨) الرجبون (٩) الختم (١٠) ثلاثمائة نفس على قلب آدم. (١١) أربعون نفساً في كل زمن (١٢) سبعة في كل زمان (١٣) خمسة على قلب جبريل (١٤) ثلاثة على قلب ميكائيل (١٥) واحد على قلب إسرافيل (١٦) جماعة على قلب داود (١٧) رجال الغيب العشرة (١٨) الظاهرون بأمر الله عن أمر الله والثمانية عشرة (١٩) رجال القوة الإلهية الثمانية (٢٠) رجال الحنان والعطف الخمسة عشر (٢١) أربعة في كل زمن (٢٢) رجال الفتح الإلهي الأربعة وعشرون (٢٣) رجال العلى السبعة في كل زمان (٢٤) رجال التخت الأسفل الواحد والعشرون (٢٥) رجال الإمداد الإلهي والكوني الثلاثة (٢٦) الرحمانيون الثلاثة في كل زمن (٢٧) رجال الأيام الستة (٢٨) امرأة واحدة في كل زمان (٢٩) رجل واحد في كل زمان (٣٠) رجل أو امرأة في كل زمان له أولها رقائق ممتدة في العالم (٣١) رجال الغني بالله الاثنان (٣٢) رجال من التحكيم والزوائد العشرة (٣٣) البدلاء الاثنا عشر (٣٤) رجال الاشتياق الخمسة في كل حال لا يحصرهم زمن هم الملامتية، والصوفية، والعباد، والزهاد، والعلماء والأفراد والأشياء والقراء، والأحباب، والمحدثون، والسمراء، والورثة، والأواهون، رجالاً نساء، والأجناد والإلهيون، والأخيار، والأوابون، والمخبثون، والمنيبون إلى الله، والمهاجرون، والمشفقون، والموقنون بعهد الله، والواصلون، والخائفون. وليس للتصنيف نهاية، السابق، ص ٢٠-٤٤.

^{٩٣} الطبقات الصغرى، ص ٤٥-٥٧.

النفس على حسن الأخلاق على أخذ الشيء وتركه، وتحلية الإيمان بالإيمان، ثم هناك قواعد أصولية.^{٩٤} وهناك بعض القواعد اللغوية.^{٩٥} وقد أودى الأولياء وأنكر عليهم.^{٩٦}

^{٩٤} مثل: إسناد الشيء إلى الأصل، والفرع إلى الأصل، والمتبوع للتابع. والاشتراك في الأصل يقضي الاشتراك في الحكم. والشيء مستفاد من أصوله، والمتكلم يلحق الفرع بالأصل ولا يرد، وفهم الأصل يؤدي إلى فهم الفرع. واعتبار الفرع بالأصل، ولزوم التحقق من الأصل، وتشعب الأصل يقضي بتشعب الفرع، وتقلب لا يقضي رفع الأحكام الشرعية، والتوقف في مجال الاشتباه والتشديد في التعبد منه، وتحديد ما لم يرد في الشرع ابتداءً، وبسطا الشريعة يقضي بأخذ الواضح.

^{٩٥} مثل: الاصطلاح والمعنى، ووحدة القصد واختلاف السبل أي وحدة الغاية واختلاف الوسائل، واختلاف المسالك راحة للمسالك. وبقدر وجود الحسن يتعدد الاستحسان، وأصل الطريق للكمة والخلطة. والمقصود موافقة الحق ومخالفة الهوى، والأجر على قدر الأتباع، والعلم بفائدة الشيء تبعث على الاهتمام به، واعتبار المهم من كل شيء وطلب الشيء من وجه واحد أسهل في نيته، والعائد على قدر الفائدة، وأهلية الشيء تقضي بلزوم بذله، ودوام الشيء بدوام ما رتب عليه، والتزام اللازم للزوم، وشرف الشيء لذاته أو لصفته، ولا مدح أو ذم إلا للذات، ووجه الاستحقاق مستفاد من شاهد الحال، والطبع يعين للنفس، وفي كل علم الخاص والعام، والنسب في الواقع يقضي تخصيص الحكم وكل علم مثل الفقه عام في عمومته، والفقه مقصود لإثبات الحكم في العموم، ولا يصح العمل بالشيء إلا بعد معرفة حكمه، ونظر الصوفي أخص من نظر القضية، وكل حقيقة لها دعوى يقتضيها، واستخراج الشيء من محله بإدخال الضوء عليه، ولا علم إلا من الشارع أو نائبه، والعلماء يصدقون فيما ينقلون، ولا يتجاوز أحد العلم الصحيح الواضح، والعلم مبني على البحث والتحقيق، ومبني الحال بالتسليم، ويؤخذ العلم من أربابه ومشايخه ومن التجارب المشتركة، وتجنب تصوف الفلاسفة، وإقامة رسم الحكمة لازم. ولاحظ للعامي سوى الجذر، والخواص في الأقوال والأفعال، وإظهار الكرامة وإخفاؤها حسب النظر، ويقتضي الكرم مغفرة الذنوب.

^{٩٦} فمنهم من تم حصاره في منزله حتى مات مثل ابن أبي حجرة. ومنهم من لفظت كتبه قبل أن يستعيدها من البحر مثل كتب الترمذي «نواذر الأصول»، «ختم الأولياء»، «علل الشريعة». وقد كُفر الخراز بسبب كتبه واقتطاف أقوال منها خارج السياق، ونفي من البلاد. كما نفي النابلسي مقبداً بالسلاسل من المغرب إلى مصر. ونفي النصر أباندي إلى مكة حتى مات، وكذلك نفي السجزي بسبب كتابه «الفوائد الحديثية»، كما نفي الشاذلي من المغرب إلى مصر. ونفي العفيف التلمساني. ونفى السلطان الغوري شيخ الإسلام ابن أبي شريف لأنه قبل توبة الزانين فقتلتهما السلطان على بابها ووجهها ونفاه إلى حلب. ومنهم من نفي من البلاد فمات غريباً كما حدث للبوشنجي، ومنهم من اتهم بالجنون ودخل البيمارستان حتى مات مثل السبكي، وضرب ابن سمعون ومنعوه من الوعظ حتى مات. ورموا أبا القاسم بن جميل بعظائم الأمور حتى مات. وحوكم عز الدين بن عبد السلام بسبب علمه في العقائد. وقتل الحلاج والإمام أبو القاسم بن قسي صاحب «خلع النعلين وابن برجان صاحب «التفسير»، والمرجاني حسداً وإغارة للسلطان عليه. وأمر السلطان بيبرس بشنق ابن بنت الأعز. وقتل صلاح الدين

أولاً: العودة إلى التاريخ

وبالرغم من تحذير الصوفية من الفلاسفة إلا أن الفلسفة الإشراقية مثل فلسفة الرازي مقبولة.^{٩٧} والصوفية المتأخرون هم الأولياء وأصحاب الكرامات، ويفسر الصوفية الحديث الشهير «من حارب لي ولياً» على أن الصوفية هم الأولياء.

وكلما تقدم الزمن زادت ألقاب الصوفية وازدادوا قدسية وتقديساً مثل «زين الإسلام»، «حجة الإسلام». وتبدأ الألقاب بالمذهب الفقهي كالشافعي والمالكي والحنفي والحنبلي والظاهرية أو الطريقة الصوفية كالقادرية والرفاعية أو معهد العلم كالأزهري أو المهنية مثل الخواص، الغزالي، أو المدينة مثل البغدادي، البصري، الدمشقي، أو القطر مثل العراقي، المصري، أو صفة البدن مثل الجاحظ.

ومن حيث الكم يتقدم ابن عربي الذي طغى على الصوفية اللاحقين عليه تلمذة وشرحاً، ثم يحيى المنادي والد المؤلف، ثم ذو النون الذي خصص ابن عربي دراسة عليه، ثم البسطامي صاحب الشطحات»، ثم الغزالي صاحب «الإحياء»، ثم الطوسي صاحب «اللمع»، ثم الجنيد صاحب «الشطحات»، ثم التستري من مؤسسي التصوف الخلقي، ثم ابن دقيق العيد الذي جمع بين التصوف والأدب على عكس التوحيدي الذي لا يذكره أحد في «الإشارات الإلهية»، ثم الشاذلي في القرن العاشر، ثم إبراهيم بن أدهم في القرن الثالث، ثم إبراهيم المتبولي وزين العابدين بن المؤلف لا فرق بين المتقدمين والمتأخرين، ثم الشبلي والواسطي، ثم الرفاعي مؤسس الرفاعية، ثم الحلاج وابن الفارض والشعراني، ثم الحسن البصري ومالك ابن دينار وإبراهيم الخواص، ثم الجيلاني والتلمساني. والعجيب ألا ينال عبد الحق بن سبعين القدر الكافي نظراً للتحويل عن التصوف النظري إلى التصوف العملي.^{٩٨}

بفتوى العلماء الشيخ عمارة اليميني. «في الإشارة إلى بعض ما أودى به أولياء الله تعالى من الإنكار عليهم وغير ذلك»، الطبقات الصغرى ص ٥٥-٦٣.

^{٩٧} السابق، ص ٤.

^{٩٨} ابن عربي (٣٠)، يحيى المناوي (٢٨)، ذو النون (١٩)، البسطامي (١٨)، الغزالي، الطوسي (١٧)، الجنيد، محمد الحنفي (١٥)، التستري، الرازي، ابن دقيق العيد، علي بن وفاء السكندري (١٤)، الشاذلي (١٣)، إبراهيم بن أدهم، إبراهيم المتبولي، زين العابدين المناوي (١٢)، الشبلي، إبراهيم الواسطي (١١)، أحمد الرفاعي، محمد بن زغدان (١٠)، بشر بن الحارث، الحلاج، ابن الفارض، الشعراني (٩)، الحسن البصري، الفضيل بن عياض، مالك بن دينار، إبراهيم الخواص، شعيب المغربي، عبد الله المنوفي،

ويكثر المصريون لدى الصوفية المتأخرين. فهم الذين وضعوا قواعد للتصوف العملي. وحولوا التصوف النظري إلى تصوف عملي. بدأ التصوف في الشرق في البصرة وبغداد، وانتهى في الغرب من مصر والمغرب العربي.

ويتداخل الصحابة مع الصوفية. فالصحابه أتباع الرسول، والرسول أول الصوفية. ويتقدم علي ثم عمر، ثم الحسن والحسين، ثم عثمان، ثم أبو بكر.^{٩٩} كما يتداخل الخلفاء مع الصوفية مثل عمر بن عبد العزيز.^{١٠٠}

ويدخل الفقهاء مع الصوفية لا فرق بينهما على عكس ما هو شائع في الصراع بين أهل «التأويل» وهم الصوفية وأهل «التنزيل» وهم الفقهاء.^{١٠١} فيتقدم الشافعي ثم ابن حنبل، والثوري، وزكريا الأنصاري. والصوفية من كل مذهب فقهي، يتقدمهم الأشاعرة للاتفاق بين التصوف والأشعرية، وهي الأساس العقائدي للشافعية، ثم المالكية فالتصوف واقع عملي مثل المالكية كواقع فقهي، ثم الحنفية فشتان ما بين العقل والذوق، وأخيرًا الحنبلية فشتان ما بين النص والتجربة.^{١٠٢} ومع ذلك، عبد القادر الجيلاني حنبلي.

عبد القادر الجيلاني، العفيف التلمساني (٨)، الداراني، أبو العباس المرسى، علي الخواص، المنزلوي (٧)، داود الطائي، رابعة، سفيان الثوري، إبراهيم ابن عيسى، أحمد الحواري، السري السقطي، الحداد، أحمد بن عمر بن محمد، علي بن أحمد، محمد بن عنان، أحمد الزاهد، إسماعيل زروق، أبو بكر الحلبي (٦)، أبو تراب النخشبي، يحيى بن معاذ، الروزباري، محمد بن يوسف الرازي، الفيروزآبادي، أحمد البدوي، مروان الخلوتي، إبراهيم بن أبي شريف، مدني الأشموني، محمد الخلوتي، محمد الغمري، دمرداش الخلوتي (٥)، أويس القرني، سفيان بن عيينه، طاووس بن كيسان، عامر بن عبد الله، عبد الواحد البصري، كعب الأحبار، محمد بن صبيح، وهب بن منبه، علي المقدس، علي بن مطيع، محمد بن حمزة، يوسف بن أشباط، المحاسبي، الترمذي، ابن خفيف، الكتاني الواسطي، الدقاق، محمد القرشي، البوني، داود بن فخلان، شهاب الدين السهروردي، القونوي، محي بن غانم المقدسي، عبد الله الياقعي، يوسف العجمي (٤) ... إلخ.

^{٩٩} علي (١٧)، عمر (١٤)، الحسن بن علي، الحسين بن علي (٨)، عثمان (٦)، أبو بكر، سليمان الفارسي، عبد الله بن مسعود، عبد الله، علي بن الحسين، النعمان بن ثابت (٥)، عبد الله بن عمر، ابن عباس، عبد الله بن الزبير (٤).

^{١٠٠} عمر بن عبد العزيز (٧).

^{١٠١} الشافعي (٩)، أحمد بن حنبل، سفيان الثوري، زكريا الأنصاري (٥).

^{١٠٢} الصوفية الشافعية (٨٠)، المالكية (١٩)، الحنفية (١٣)، الحنبلية (٥)، الظاهرية (٢)، القادرية الصوفي (٨).

والظاهرية الأقل فشتان ما بين الظاهر والباطن، وبالرغم من أن شيخ الصوفية ابن عربي ظاهري. كما بدأ الصوفي ينسب نفسه إلى طريقة مثل «القادرية» ويكنى بها. وأحياناً يجمع الصوفي بين المالكية والشافعية.^{١٠٢} ويحرص الصوفي على أن يكون له لقب في البداية مثل فخر الدين» وكنية في النهاية تدل على المذهب الفقهي. ونادراً ما يوجد صوفي معتزلي أو خارجي، معارض عقلي أو بالسلاح.

ويتطابق تكرار أسماء الأعلام مع مساحتها. إذ يتقدم ابن عربي ثم الشعراني ثم أبو العباس الخضر نقيب الأولياء، ثم سفيان الثوري، ثم والد المؤلف يحيى المناوي ثم نو النون ثم عبد القادر الجيلاني، ثم الشبلي، ثم أبو العباس المرسى.^{١٠٤}

ومن الصحابة يتقدم على اعتباره رئيس الصوفية ثم أبو بكر وعثمان.^{١٠٥} ومن أصحاب المذاهب يتقدم الشافعي ثم مالك ثم أبو حنيفة ثم أنس بن مالك ثم الأوزاعي.^{١٠٦} من العلماء ابن عباس حبر الأمة ثم معاذ بن جبل.^{١٠٧} ومن الخلفاء عمر بن عبد العزيز

^{١٠٢} الطبقات الصغرى، ص ١٥٢.

^{١٠٤} ابن عربي (١٣٤)، الشعراني (٧٧)، أبو العباس الخضر نقيب الأولياء (٥٨)، سفيان الثوري (٤٩)، يحيى المناوي (٤٨)، ذو النون (٤٤)، ابن حجر (٤٣)، عبد القادر الجيلاني (٤٢)، أبو الحسن الشاذلي (٣٦)، الحمصاني (٣٢)، الشبلي، أبو مدين المغربي، أبو العباس المرسى (٣١)، الحسن البصري، البسطامي (٢٩)، إبراهيم المتبولي (٢٨)، إبراهيم الخواص (٢٧)، علي الخواص (٢٦) إبراهيم بن أدهم، بشر بن الحارث (٢٤)، السري السقطي (٢٧)، مالك بن دينار (٢٥)، عفيف الدين اليمنى (٢٣)، ابن الفارض، التستري (٢٢)، القشيري (٢١)، مدين الأشموني، ابن عساكر (٢٠)، الخراز، زروق، الفضيل بن عياض (١٩)، أبو نعيم الأصفهاني، الواسطي، أبو الحجاج الأقفري، أبو سليمان الداراني (١٨)، القوسي، أحمد الرفاعي (١٧)، عز الدين بن عبد السلام (١٦)، أبو تراب النخشي، ابن الجوزي (١٥)، القرشي، عبد الرحيم القنائي (١٤)، ابن عطاء الله السكندري، ابن الجلاء، عبد الله المبارك (١٢)، إبراهيم الدسوقي، ابن عطاء (١١)، السهروردي المقتول (١٠)، نفيسة بنت الحسين (٩)، حاتم الأصم، معروف الكرخي (٨)، الجنيد (٧)، حمدون القصار (٦).

^{١٠٥} علي (٧٢)، أبو بكر (٤٧)، عثمان (٣٠)، عبد الله بن محمد (٢٧)، الحسن بن علي (٩).

^{١٠٦} الشافعي (٤٣)، مالك بن أنس (٢٨)، الحسين بن علي (١٩)، أبو حنيفة (١٤)، أنس بن مالك (١٢)، الأوزاعي (١٠).

^{١٠٧} ابن عباس (٣٧)، أبو هريرة (١٤)، معاذ بن جبل (٨).

ثم معاوية ثم السلطان الغوري ثم هارون الرشيد، محمد الفاتح والخليفة المنصور.^{١٠٨}
ومن الأنبياء آدم.^{١٠٩} ومن الملائكة جبريل.^{١١٠}

ومن الأمم والقبائل والشعوب والجماعات والمذاهب يتقدم الشافعية، المذهب الأثير عند الصوفية ثم الأبدال وهم من مراتب الصوفية. ومن الشعوب والأقوام يأتي أولاً أهل الروم ثم العرب وقريش، وبنو إسرائيل، ثم الفرنج، واليهود، ثم بنو أمية والحنفية ثم الخلوتية، ثم التتر والرافضة ثم الملامتية والنصارى، ومن الأماكن تتقدم مصر ثم العراق والمغرب ثم البصرة، ثم اليمن. ومن الموضوعات الخيالية يظهر الجن.^{١١١}
ومن الأماكن والبلدان تتقدم مصر. فأغلب الصوفية المتأخرين ورؤساء الطرق منها. ثم تأتي مكة لأن أغلب الصوفية يحجون إليها ويكتبون بها كما فعل ابن عربي في «الفتوحات المكية».^{١١٢}

ومن المصادر المدونة المذكورة يتصدر «إحياء علوم الدين» مما يدل على أنه عمل مفصلي ومنبع فكري، ثم «الفتوحات المكية» الذي يحول التصوف من النفس إلى الوجود، ومن الداخل إلى الخارج وما بينهما، ثم «التنبيه» للشيرازي في علم الكلام مما يدل على التصاق التصوف بعلم أصول الدين، دفاعاً عن نفسه، ورداً على تهم الإلحاد ونظريات الاتحاد والطلول ووحدانية الوجود. ثم تأتي «الرسالة القشيرية» التي هي بمثابة «الرسالة» للشافعية في علم الأصول لأنها أول من حددت مفاهيم للتصوف من خلال تحليل

^{١٠٨} عمر بن عبد العزيز (٢٣)، الغوري، معاوية (٢١)، هارون الرشيد (١٣)، محمد الفاتح، الخليفة المنصور (١٢).

^{١٠٩} موسى (٣٩)، آدم (٢٣)، إبراهيم الخليل، داود (١٢)، سليمان (١٠)، نوح (٦).
^{١١٠} جبريل (٢١).

^{١١١} (١) الشافعية (٤٢)، الأبدال (٣٣)، مصر (٢٤)، اليمن (٢٠)، أهل الروم (١٨)، العرب، قريش، بنو إسرائيل (١٤)، الفرنج، اليهود (١٣)، بنو أمية، الحنفية (١٠)، الخلوتية، العراق، المغرب (٩)، التتر، الرافضة، البصرة (٨)، الملامتية، النصارى (٧)، اليمن، بغداد (٦).

^{١١٢} (٢) مصر (٢٥٣)، مكة (١٢١)، بغداد (٨٤)، الشام (٦٩)، المدينة، القرافة (٥٦)، القاهرة (٤٩)، دمشق (٤٨)، المغرب (٤٤)، اليمن (٤١)، الإسكندرية (٣٨)، الكعبة (٣٤)، بيت المقدس (٣٦)، قوص (٣٢)، الجامع الأزهر (٣٠)، خراسان (٢٨)، البصرة (٢٧)، القسطنطينية (٢٦)، زاوية المنير (٢٣)، نيسابورا النيل (٢٢)، بورسا (١٦) الحجاز (١٥)، بولاق (١٤)، أدنة (١٣)، الجيزة، المدرسة الإصلاحية (٨)، جامع الزاهد، المدارس الثمانية، المسجد الحرام (٧)، مراکش (٦)، مرو (٥)، الكوفة (٥).

الألفاظ وتعريف المصطلحات. ثم تأتي «الأخلاق المتبولية» للشعراني فهو الشخصية الأكثر حضوراً في التصوف المتأخر بعد ابن عربي، ثم يأتي «البسيط» للغزالي مرة ثانية مما يدل على حضور الغزالي في تاريخ التصوف المتقدم والمتأخر. ثم تأتي «التوراة» و«الإنجيل» مما يدل على دخول الإسرائيليات وارتباط التصوف بتاريخ الأديان. ثم يأتي «الإرشاد» للسعد التفتازاني الذي يجمع بين الكلام والتصوف، ثم تأتي الطبقات الصغرى» عمل المؤلف نفسه.^{١١٣}

وإذا كان لألفاظ الحيوان دلالة نظراً للقصص الرمزي على لسان الحيوانات، يتقدم الكلب لما فيه من صفات الوفاء، وهو من مكونات قصة أهل الكهف ومن الصور القرآنية السلبية، ثم «الأسد» «رمز القوة»، ثم «السبع» «رمز الشراسة»، ثم الطير كما ظهر في قصص ابن سينا والغزالي والطار، ثم الحمار رمز البلادة، والحية رمز المكر، ثم الغنم والفرس، والذئب، وكل ما هو في بيئة البدوي في الصحراء.^{١١٤}

وبتحليل المصطلحات الصوفية يتقدم لفظ الدنيا، ثم التصوف والصوفية كحركة رفض لها واحتجاج على التكالب عليها، ثم الكرامة فالتصوف دفاعاً عن كرامة الإنسان، ثم الأحوال وهو قلب التصوف النفسي، ثم الزهد وهو من مقامات الطريق، ثم الحق والحقيقة والحقائق، فالتصوف طريق إلى الحقيقة، ثم الفقر من مقامات الطريق، ثم العبادة والذكر من مسالك الطريق، ثم الفقه نظراً لارتباط الحقيقة بالشرعية، ثم الطريق والطريقة في ثلاثة ألفاظ الشريعة والطريقة والحقيقة، ثم العلم، ثم القلب، فالتصوف نظرية في العلم ابتداءً من القلب، ثم النور والكشف، ثم الموت فالتصوف تعلم الموت وثقافة الموت من أجل الانتقال من الدنيا إلى الآخرة، ثم الحديث فالتصوف استئناف

^{١١٣} مصادر الكتاب حوالي ٥٨ مصدراً هي: إحياء علوم الدين (١٥)، التنبيه للشيرازي (١٢)، الفتوحات المكية، الوحيد في علم التوحيد للقوسي (٩)، الرسالة القشيرية، البخاري الصغير للزويني (٨)، الأخلاق المتبولية للشعراني (٥)، الألفية، بستان العارفين للنووي، البسيط للغزالي، التوراة (٤)، أنباء الغمر لابن حجر (٣)، مختصر الإحياء للبلالي، الإرشاد للسعد التفتازاني، الطبقات الصغرى ألفية الحديث، الإنجيل (٢).

^{١١٤} الكلب (٥١)، الأسد (٤٥)، السبع (٤١)، الطير (٣٦)، الحمار (٢٨)، الحية، البغلة (٢٥)، الغنم (٢٠)، الفرس (١٩)، الذئب (١٦)، الجمل، الدجاجة (١٥)، الثعبان الضخم (١٠)، الفأر والعصفور (٩)، السمك، الثور (٨)، الخنزير، القط، العقرب (٧)، البقرة (١٢)، النمل، الغراب، الغزال (٦)، الناقة، الجراد، العنكبوت، الفيل، القرد (٥)، الوحش (٤)، الثعلب، الناموس (٣) ... إلخ.

للحديث، والمحدثون من الصوفية الأوائل، ثم الولاية وهي فن التصوف والتحقيق، فالولي قلب الصوفي، ثم الحكمة والحكيم والخلوة، فالتصوف حكمة نظرية وعملية، ثم الزاوية مكان الطريقة، والمحبة سبيل الوصول، ثم الخواطر والمحبة والخوف والأنس والمشاهدة جمعاً بين الأحوال والحقائق ثم القبر والعبودية كمؤشرات على الفناء، ثم الإمام وهو شيخ الطريقة، والإيمان والبلاء، ثم الوجد والتوحيد والعمل، والمجاهد أو السياحة والجوع والصبر والإخلاص والتوكل والتوبة والصدق ... إلخ.^{١١٥}

^{١١٥} الدنيا (٢٧٦)، الصوفية (٢٦٥)، الكرامة (٢٠٩)، الأحوال، الزهد (١٩٢)، حق، حقيقة، حقائق (١٨٧)، الفقر (١٧٩)، الطريق، المعارف (١٥٧)، الطريقة (١٥٦)، التصدق (١٤٥)، العابد (١٣٧)، الذكر، الفقه (١٣٦)، العلم (١٢٤)، القلب (١١١)، الموت (١٠١)، النفس (١٠٠)، الحديث (٩٤)، الأولياء، حكمة، حكيم، خلوة (٨٧)، محبة (٨٥)، الأدب، النور (٨١)، (٧٩)، الزاوية (٧٨)، المقام، الولاية (٧١)، الإمام (٦٥)، الخواطر (٦١)، الخوف (٥٩)، الكشف (٥١)، العمل (٤٧)، المشاهدة (٤٦)، العالم (٤٥)، التوحيد (٤٤)، الأنس (٤٢)، القبر (٤٠)، الوجد (٣٨)، المجاهدة، العبودية (٣٧)، الصبر (٣٦)، الإخلاص، والتوكل (٣٥)، الجذب، العقل (٣٤)، الجوع، السياحة (٣٣)، الإيمان والبلاء (٣١)، الأصول (٢٩)، الهوى (٢٨)، التوبة، الصدق (٢)، الحزن، الربوبية، الآخرة (٢٦)، الرحمة، الروح، النار (٢٥)، الأسرار، الإشارات، التسليك، الحضور، السلطان (٢٤)، الخاطر، السلوك، الشيطان (٢٢)، الشريعة (٢١)، الإسلام (٢٠)، الأحكام (١٩)، التحقيق، الحجاب، الصحة، القدر (١٨)، التجريد، الرجاء، الشوق (١٧)، أهل الطريق (١٦)، الشطحات، النصراني (١٥)، الاختيار، الإخفاء، التدبير، الذوق (١٤)، الأخلاق، الأداء، التفسير، العرفان، المراقبة (١٣)، الأبدال (١٢)، الاجتهاد، الشكر (١١)، الاتحاد، الإحسان، أهل الله، الباطن، الرهبان، الطاعة (١٠).

ثانيًا: العودة إلى علم الكلام

(١) كتاب المعراج للقشيري (٤٦٥هـ)^١

وهو اغتراب مبكر للوعي الصوفي خارج الزمان والمكان بالرغم من أن المؤلف حاول أيضًا القضاء على الاغتراب في نظرية الذات والصفات والأفعال والأسماء، وإرجاعها إلى أصلها في التجارب البشرية. لم يؤوله تأويلًا روحياً، الطريق إلى الله، ولكنه اعتبره واقعة شيعية حدث بالفعل في الزمان والمكان كما هو الحال عند المحدثين والفقهاء. الغاية التحقق من وقوعها عن طريق صحة الأسانيد والروايات. لذلك تسود الحجج النقلية، الآيات والأحاديث والأشعار.^٢ وتذكر الأسانيد مع المتون. والأحاديث طويلة للغاية. صيغت بطريقة الإخراج المسرحي: الحوار، والمناظر، والألوان، والرقى من السماء الأولى حتى السابعة، ومشافهة الأنبياء، وحكاية كل نبي وصلته مع أمته خاصة ما صعب عليها. وكلها من نسج الخيال الأدبي. تطول الأحاديث. وتغرق في الصور الفنية للبراق والسموات وقصور الأنبياء. وهو ما يخرج عن الهدف من الحديث إعطاء تفصيلات على الأحكام مثل المواريث، «لا وصية لوارث»، وبيان بعض أوجه السلوك مثل الصلاة، «صلوا كما رأيتموني أصلي». وكيف تفرض الصلاة في ليلة الإسراء والمعراج والمسلمون يصلون قبلها بثمان سنوات؟ وكثير منها مستمد من الإسرائيليات. والقصد المنافسة بين الديانات وأنبيائها، أيهم أكثر إثارة للخيال كدليل على العظمة خاصة وأنه قد عرض على الرسول

^١ دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٩٦٤م / ١٣٨٤هـ.

^٢ الآيات (١١٢)، الأحاديث (٢٢)، الأشعار (٩).

ليلة المعراج اليهودية فرفضها ثم المسيحية فرفضها، ثم الإسلام فقبله.^٣ لذلك ينتهي المعراج بمعارج الأنبياء السابقين إدريس وإبراهيم وإلياس وموسى وعيسى بل ومعارج الأولياء مثل معراج البسطامي.^٤

وتأتي أقوال الصوفية من أبي علي الدقاق بطبيعة الحال باعتباره زوج ابنته ثم الواسطي ثم جعفر الصادق والحلاج والشبلي، ثم السري السقطي، والبسطامي والجنيد وآخرين.^٥ كما تظهر بعض الفرق الكلامية غير الإسلامية كالملاحدة، والطباطئيين، والمناوية، والإسلامية كالمعتزلة والروافض. وتظهر بعض الإسرائيليات في أخبار الأنبياء السابقين.^٦

ويدور الموضوع حول أسئلة عقلية سبعة تدعو إلى التشكك في صحة الروايات لو صحت إجاباتها.^٧ وهي:

- (أ) هل يكون المعراج بالبدن أم بالروح؟ والإجابة شيئية حديثة أنها بالبدن طبقاً للأشعرية. والأدلة نقلية وليست عقلية.
- (ب) متى كان المعراج؟ قبل البعثة أم بعدها وفي أي مكان؟ وتختلف الإجابات حول الزمان والمكان مما يوحي بتركيب القصة ووضعها في التاريخ.
- (ج) ما فائدة المعراج؟ وهل قدرة الله في حاجة إلى إثبات على هذا النحو الخيالي ومنهج القرآن في الإثبات هو التأمل في الطبيعة؟
- (د) هل تدل القصة على أن الله من فوق وأنه في جهة وأنه يدنو ويتدلى ويقترّب؟ هذا هو الخيال الشعبي، الربط بين الله والسماء، والله والفوق، والله والأعلى.

^٣ لما ركب البراق لم يعرج على شيء. وكان ينادي من يمينه ومن يساره، ثم قال له جبريل: الذي ناداك عن يمينك داعي اليهودية، والذي ناداك عن يسارك داعي النصرانية. ولو ألتفت يا محمد لتهودت وتنصرت أمتك. فلم يعرج على شيء ليعلم أن من صح إلى الله قصده لم يلتفت في طريقة إلى شيء، كتاب المعراج، ص ١٠٢-١٠٣.

^٤ السابق، ص ١٢٩-١٣٥.

^٥ أبو علي الدقاق (٨)، الواسطي (٣)، جعفر الصادق، الحلاج، الشبلي (٢)، السري السقطي، البسطامي، الجنيد، الحريري، ابن عطاء، بندار بن الحسين، أبو عثمان (١).

^٦ الإسرائيليات (٧).

^٧ كتاب المعراج، ص ٦٥-٧٦.

(هـ) هل كان المعراج بالليل أم بالنهار؟ اختلفت الإجابات، ولكن الليل أكثر مدعاة للخيال لرؤية الألوان والأنوار المبهرة.

(و) هل كان لغير الرسول من الأنبياء معارج؟ واختلفت الإجابات بين الميزة الخاصة للرسول وعمومها على الأنبياء السابقين، إدريس وإبراهيم، وإلياس وموسى وعيسى.

(ز) هل كان لغير الرسول من الأولياء معارج؟ يبدو أن الرد بالإيجاب بدليل معراج البسطامي. فالولي خليفة النبي، ومعجزة النبي مثل كرامة الولي.

(٢) «معراج السالكين» للغزالي (٥٠٥هـ)^٨

وهو مثل «كتاب المعراج» للقشيري. ويشارك في الموضوع الكلام، الحياة بعد الموت، والفلسفة والمعاد الروحاني، والتصوف للتذكر والتدبر بالموت، دخل في التصوف لأن المعراج الرابع في شرح آية النور ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أدخل في التصوف. كما أن المعراج السادس في التأويل هو منهج الصوفية. والدافع على التأليف فساد الزمان والاعتقاد لولا سياسة الملوك. وزادت هذه الآراء لعدم الرد عليها أو للرد عليها عن جهل وإنكار العلوم العقلية الخالصة كالحساب والهندسة والمنطق والفلك.^٩ وهو كتاب جدلي بين الكلام والتصوف. إذ يصنف الناطقين بالشهادة إلى سبع فرق: الناطقون بالشهادتين دون فهمهما، والناطقون بهما تقليدًا، والمعتقدون بالشرعية بالنظر والاستدلال، والمصدقون الموقنون، والمعتقدون بالإسلام لكن اعتقادهم في ذات الله وصفاته في حاجة إلى تصحيح، والمعتقدون بالإسلام وبالله ولكن اعتقادهم في النبوة تشوبه شائبة، والمظهرون الإسلام المبطنون للتعطيل.^{١٠}

^٨ مكتبة الجندي، مصر، (د.ت).

^٩ «ما شاهدناه من فساد الزمان وأخذه في الازدياد وكثرة الآراء وفساد الاعتقاد، وعدم ذاب يبذل فيها الاجتهاد، ويمررها على كف الانتقاد. ولولا سياسة الملوك لعمت الخافقين ظلمها، ولرسخ في كل الأقطار قدمها ... ولكن تعاقب الزمان وطرو الحوادث وكثرة الصوارف وفتور الهمم داعية إلى الفساد. والداء يزداد كل يوم، أغذية السوء كالذنوب. فرأيت إبراز هذه النبذ لتكون مغنية للسائلين، ومعينة للسالكين، ومنفعة باقية في الآخرين ...» السابق، ص ٢٢٠.

^{١٠} معارج السالكين، ص ٢٢٢-٢٢٤.

والمعارج مستويات إثبات للنفس. وهي سبعة: الأول مراتبها وارتباطها بالجسم وخصوصيتها اعتماداً على علم الطب. والثاني إثباتها والاستدلال على بقائها. والثالث في الأفلاك وحدوث الأجسام والأفلاك وعلم الله بها، والرابع في أن الله نور السموات والأرض والمعاني الستة للنور، ومعاني المشكاة والزجاجة، والمصباح والزيتونة. والخامس في النبوة. والسادس في الخبر والتأويل وتفسير البعث والحشر وتبديل السموات والأرض وكل الآيات المتشابهات. والسابع الموت وحياة الكواكب والسعادة والشقاء. ويعتمد على القرآن والشعر والحديث.^{١١} كما يحيل إلى المتكلمين والمعتزلة والفلاسفة.^{١٢} ومن أسماء الأعلام يتقدم الفارابي.^{١٣} ومن الوافد يظهر أفلاطون ثم أرسطو.^{١٤} ويحيل الغزالي إلى بعض مؤلفاته مثل «مشكاة الأنوار» و«شفاء الغليل» و«رسالة الأقطاب».^{١٥}

(٣) قطب العارفين في العقائد والتصوف للجائي (٥٩٩هـ)^{١٦}

وكما خرج التصوف من علم الكلام كفعل أو كرد فعل فإنه عاد إليه من جديد ابتداء من القرن السادس لاستمرار التصوف النظري اعتماداً على علم الكلام كما اعتمد هو نفسه على علوم الحكمة، لكنه علم كلام صوفي يقوم على الذوق والإشراق. ويقوم «قطب العارفين» على ثلاثة أقطاب: الأول معرفة الله، والثاني التهذيب والرياضة، والثالث البواطن والأسرار. أكبرها الثالث، وأصغرها الأول.^{١٧} الأول في علم الكلام التقليدي مع جعل أول الواجبات معرفة الله وليس النظر في الطبيعة لإثبات وجوده أولاً بالرغم من عجز العقول والأوهام عن إدراك صفاته. ثم يبدأ التنزيه بنفي القبلية والبعدية عنه، والحركة والسكون، والتخييل والتكييف، والتمثيل والتلوين والتشبيه، ونفي الظلم والجور، والمكان وكل صفات التجسيم مثل القرب والبعد والحلول بالعرش

^{١١} الآيات (٥٨)، الأشعار (٧)، الأحاديث (٦).

^{١٢} المتكلمون، المعتزلة، الفلاسفة (٢)، الأوائل (١).

^{١٣} الفارابي، الزيدوني، إسماعيل القاضي (١).

^{١٤} أفلاطون (٢)، أرسطو (١).

^{١٥} معراج السالكين، ص ٢٧٨، ٢٩٩-٣٠٠.

^{١٦} دار صادر، بيروت، ٢٠٠١م/١٤٢٢هـ.

^{١٧} الثالث (٦٣ص)، الثاني (٤٥ص)، الأول (٢٢ص).

والسموات والأرضيين والاستواء والغمام والنجوى والمجيء والضحك والرؤية والمثال والنزول والعلو، ومعرفة صفاته، القدرة والسمع والبصر والتدبير وهي الإرادة والتي تشمل الرحمة والغضب وباقي الانفعالات، ثم الكلام وسمعه والآيات. وما بلغ الناس من الكلام ما تمثله العقول من أسرارهِ والدخول في بواطنه دون الوقوف على الظواهر. وترتيب الصفات أيضًا له دلالة. ويظهر الجانب العملي في فوائد القرآن والعبادة والتفكير والتمسك بالإيمان، والعلم النافع، والفرق بين علم اللسان وعلم القلب.^{١٨}

أما القطب الثاني:^{١٩} «في التهذيب والرياضة» فهو الطريق الموصل إلى الله والتهذيب للقاء، والأدب مع النفس والخلق والحق، ومعرفة الدنيا والآخرة من ورائها، وزرع الطبيعة، والتخلص من الشوائب والعوائق. والنظر إلى الثرى يمنع العروج إلى سدرة المنتهى. ثم تبدأ المعارج الثلاثة إلى بساط الأنس ثم العروج إلى مقام الزهد. وتصرف الهمم إلى الله. ثم تبدأ المقامات بالرضا دون الأخذ بالأسباب، وقبول المقادير، والأحوال مثل الغيبة، وتفتح أبواب السعادة إذا حفظت النفس السر وسارت في مقاماتها الخمسة من الخوف. ثم يظهر مقام المحبة حتى يمتلأ قلب السالك نورًا.

والقطب الثالث «في البواطن والأسرار» في نظرية المعرفة التي تأتي في نهاية الطريق بعد السلوك، وليس في بدايته. فالمعرفة كشف. والوجود يسبق المعرفة. فليس كل سر يُكشف، ولا كل حقيقة تتجلى. المعرفة جنة ونعيم. لذلك أصبح العرفان مرادفًا للتصوف، ويأتي النظر على قدر صحة الإيمان وقوة نوره كما هو الحال في الفراسة. والأنوار في علم القلوب. وترتقي الأرواح، الروح العقلي والروح القدس. ثم في القرب تحصل المشاهدة. وعند مشاهدة الحال تقع الغيبة في حال الوصال. وهي معرفة الخواص وليس العوام. فالناس على مراتب في المنطق والنظر والسمع. ومقام العارف مع الله في الإرادة والاعتماد عليه وحركاته وسكناته، استغراقه في بحر الجود والألطاف، ويرى العارف نفسه، ونظرًا لعاهات النفوس التي تعيق الوصول إلى المعارف تعبر جسور وهي: الرياء، والعجب، والكبر، والحسد، وحب الثناء، والتسويق، والجزع.^{٢٠}

^{١٨} قطب العارفين، ص ٤٣-٦٤.

^{١٩} السابق، ص ٦٥-١٠٩.

^{٢٠} قطب العارفين، ص ١١٠-١٧٢.

ويعتمد على قدر كبير من الأدلة النقلية، الآيات والأحاديث دون الأشعار. والآيات أكثر.^{٢١} ولا تظهر أعلام كثيرة. يتقدمها الأنبياء مثل موسى، ثم نوح، ثم أيوب، ولوط وداود، وهود ويحيى، ويعقوب، ومحمد، ومعهم جبريل. ثم تظهر الصوفية والمحدثون والصحابة، مثل الغزالي والترمذي والبخاري والخراز، وأبو بكر وعمر وأبو هريرة، وعمرو بن العاص.^{٢٢} وأكثر ألفاظ الصوفية تردداً المقامات.^{٢٣}

(٤) «القصدي إلى الله تعالى» لأبي الحسن الشاذلي (٦٥٦هـ)^{٢٤}

وهنا يتجه التصوف النظري إلى الله في محور رأسي من الإنسان إلى الله.^{٢٥} وتتخلل البنية الرباعية في «الإحياء» والسادسية في «الفتوحات» والعشرية في «منارات السائرين» إلى ستين باباً متناثرة. وتصبح المقامات والأحوال إحدى موضوعات التصوف وليست موضوعات مستقلة بذاتها. وتدور كلها حول الطريق ابتداءً من العزلة والصحة وأداب المجالس والسماع والسؤال وموضوعات النفس الداخلية مثل الخواطر والمراقبة، ثم موضوعات الأخلاق مثل الطاعة والعزة والتواضع والتقوى والورع والإخلاص والكرامة والمجاهدة والرياضة مثل جهاد العدو والإرادة وجهاد النفس والتخلص من الدنيا، ثم موضوعات المعرفة الباطنية مثل اليقين والعلم والإيمان والإسلام. ولا تشغل المقامات والأقوال إلا حيزاً بسيطاً من الأحوال مثل القبض والبسط، والفقد والوجد، والعبودية والحرية، والمقامات مثل التوبة والمحبة. وتظهر بعض مصطلحات علم الأصول مثل العموم والخصوص، وبعض موضوعات الكلام مثل الشفاعة. ويعتمد على العديد من الحجج النقلية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية مع أقل قدر من التنظير العقلي، بالإضافة إلى بعض الحكايات عن الصوفية دون ذكر لأعلامهم.

^{٢١} الآيات (٩٩)، الأحاديث (٣١).

^{٢٢} موسى (٤)، نوح، الترمذي، الغزالي (٣)، جبريل، أيوب، البخاري (٢)، لوط، داود، هود، يحيى، يعقوب، محمد، رابعة، أبو سعيد الخراز، أبو هريرة، أبو بكر، عمرو بن العاص، الجويني، عمر، الفرجي، الموصي، عبد الله بن قيس (١).

^{٢٣} المقامات (٤)، أندال، حقيقة، حقيقة الحقائق، هوس، هبة، الوصل، وعمر الطريق (٢).

^{٢٤} دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩١م.

^{٢٥} وهو نفس عنوان «حركة الذهن إلى الله» للقديس بوتا فنتورا: L'esprit Saint Bonaventure l'itinéraire de à Dieu والقديس أوغسطين في «الاعترافات».

(٥) «الله القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد»

لابن عطاء الله السكندري (٧٠٩هـ)^{٢٦}

وهو عود إلى الموضوع الرئيسي في علم الكلام الذات والصفات والأفعال دون ذكر الصياغة الأشعرية. وينقسم إلى قسمين: الأول «في معرفة اشتقاقه وأقسامه وذكر تفصيل حروفه وتعلق أقسامه ومقتضى أحكامه»^{٢٧} والثاني «في معرفة فضله وشرف قدره وشرح معاني أسرارهِ، واختصاص فوائده وذكره»^{٢٨}. والثاني أكبر من الأول.^{٢٩} والعلاقة بين القسمين غير واضحة. إذا كانت قسمة الذات والصفات فأين الأفعال والأسماء؟ قد تكون العلاقة بين الموضوع والذات، بين الله في العقل والله في القلب.^{٣٠} إنما فقط يعاد تصنيف الأسماء ووضعها في نسق، والتصوف ما زال نظريًا.^{٣١}

ولا يتضح السبب في الكتاب كما هي العادة في مقدمات مؤلفات الصوفية. قد يكون العجز عن مواجهة العالم. والانعراج إلى أعلى، وتركيز الطاقات المهذرة في القاعدة على القمة. فإثبات الذات تعويض عن نفي الموضوع، والتحول من الأفقي إلى الرأسي. وقد تدل المقامات والأحوال على التركيز على الجانب الذاتي وهو الجانب الصوفي. ولا يثير الكتاب أي مشكلة. والتجريد ليس في القصد بل في الموضوع. ولا يتضمن مشكلة كلامية مثل التشبيه والتنزيه والعلاقة بين الذات والصفات، بالهوية أو الاختلاف. بل أحيانًا يتحول الفكر إلى لفظ، واللفظ إلى كتابة، وكتابة اسم الجلالة بالخط العريض وكأن الوجود مجرد وجود في العين وفي الخط وليس في الذهن أو على اللسان أو في القلب.^{٣٢}

^{٢٦} صبيح، القاهرة (د.ت).

^{٢٧} السابق، ص ٥-٦٨.

^{٢٨} السابق، ص ٦٨-١٠٣.

^{٢٩} الأول (٦٣ص)، الثاني (٣٦ص).

^{٣٠} وتعبير الظاهريات، بين موضوع الشعور Noème وذات الشعور Noése.

^{٣١} «وقسمتها في العقول إلى سمعية وذاتية وفعلية، وقسمة معاني الأسماء الحسنی أربعة أقسام الأول الذات المنزهة، الثاني الصفة القديمة وهي تنقسم بدورها إلى عدة أقسام صفات الذات، وصفات الإرادة، وصفات القدرة. والثالث صفة الأفعال، والرابع صفة التنزيه». من العقيدة إلى الثورة، ج ٢ التوحيد.

^{٣٢} ابن عطاء الله السكندري: الله، القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد، ص ٣٤، ٦٤، ٦٩، ٨٨.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

ويعتمد الكتيب على عديد من الأدلة النقلية، الآيات والأحاديث والأشعار. والآيات أكثر من الأحاديث، والأحاديث أكثر من الأشعار.^{٣٣} وقد تكثر الآيات والأحاديث لإعادة توظيفها. وقد تطول القصائد أو تقصر. ويذكر اسم الشاعر أو لا يذكر. ومن الصوفية السابقين يظهر الجنيد، ثم الشبلي، ثم أبو الحسن الثوري.^{٣٤} كما يذكر بعض الشيوخ.^{٣٥} ويحال إلى نصوص من التوراة.^{٣٦} فالكتاب له دلالة على التصوف النظري المتأخر والانعزال عن العالم وإن لم تكن له دلالة داخلية في النص ذاته.^{٣٧}

(٦) رسائل الكاشاني (٧٣٠هـ)

(أ) «في اتحاد الذات مع الصفات أو تغايرهما»^{٣٨}

وهي رسالة قصيرة لا تتجاوز الصفحتين عن مشكلة كلامية وهي علاقة الذات بالصفات في علاقة تماهي مثل المعتزلة أو تغاير مثل الأشاعرة. وتعتمد على التنظير العقلي الخارجي دون أي أدلة نقلية أو أقوال للصوفية. تعتمد على الدليل المنطقي الخالص، واستنباط النتائج من المقدمات، ورفض التصورين معاً مما يؤدي إلى ضرورة حل ثالث خارج التصورات الجوهرية للذات والصفات بل من خلال تعين الحقائق في الموجودات.

(ب) «بيان مقدار السنة السرمدية وتعيين الأيام الإلهية» (٧٣٠هـ)^{٣٩}

وهي رسالة قصيرة بلا أبواب ولا فصول. موضوعها الذات الإلهية وتعيناتها في التاريخ. فالسنة هنا تعني القانون وليس الخبر. وهو معنى خلق الله الكون في ستة أيام أي تعينه

^{٣٣} الآيات (١٢٠)، الأحاديث (٤٢)، الأشعار (٣١).

^{٣٤} الجنيد (٢)، الشبلي، الثوري (١).

^{٣٥} ابن عطاء الله السكندري، الله ... ص ٦٧.

^{٣٦} السابق، ص ٧٠.

^{٣٧} «ومع ذلك أجريت عدة رسائل دكتوراه على الحكم» و«الله».

^{٣٨} آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ. ص ٧٤ (٩)،

ص ١٤١-١٤٢.

^{٣٩} آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (٣) ص ٨١-٨٥.

في الكون على مراحل زمانية. وهو موضوع جديد في علم الكلام المعاصر وفي الفلسفة المعاصرة.^{٤٠} تعتمد على القرآن والحديث وحدهما دون الشعر وأقوال الصوفية.^{٤١} فالقرآن هو المنبع الرئيسي للفكر.

(ج) «في بيان المراد وقع في كلام المحققين من ذكر الوجه والشعر لمحبوهم»^{٤٢}

وهي رسالة صغيرة، صفحتان في موضوع كلامي رئيسي وهو التوحيد بين التجسيم والتشبيه والتنزيه.^{٤٣} وهي إجابة على سؤال في حالة وصف المحبين.^{٤٤} فقد استعار المحبون، بالرغم من صفاء عواطفهم، سترًا للحال وتورية لغيرها ألفاظًا موضوعة للصور المادية، تفهم إشارات بدلالة المشابهة بين المستعار منه والمستعار له. فيعني الوجه الوجود لأنه موقع النظر إلى الذات، ويعني الشعر العدم الثابت، الممكن الذي يستر الواجب. ويوصف الوجه بالإشراق والنور، والعدم الظلمة والسواد، ويعتمد على القرآن وحده دون الحديث أو الشعر أو أقوال الصوفية.^{٤٥}

(د) «ما الرابطة بين الحق والعبد؟»^{٤٦}

وهي رسالة قصيرة، صفحتان، تتعرض لقضية التوحيد والخلاف بين التصور الثنائي عند المتكلمين الواضح في نظرية الخلق والتصور الأحادي عند الصوفية الذي يتجلى في

^{٤٠} وذلك واضح لدي محمد باقر الصدر في سُنن التاريخ في القرآن» وفي امن النقل إلى الإبداع» ج ١ الإبداع ج ٣ الحكمة العلمية، الفصل الثالث، التاريخ. وهو واضح أيضًا عند جمال الدين الأفغاني، انظر كتابنا: جمال الدين الأفغاني، المانوية الأولى (١٨٩٧/ ١٩٩٧)، دار قباء، القاهرة، ١٩٩٩ ص.

^{٤١} الآيات (١٣)، الأحاديث (٣).

^{٤٢} آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥ م/ ١٤٢٣ هـ (١٣) ص ١٥٧-١٥٨.

^{٤٣} من العقيدة إلى الثورة، ج ٢ التوحيد، ص ١٧٧-٢٣٨.

^{٤٤} الآيات (١).

^{٤٥} «وبعد، فقد أجبك أيها الأخ في الله ... عما سألتني عنه من بيان المراد بما وقع في كلام المحققين من ذكر الوجه والشعر لمحبوهم وحالهم أعلى وأجل من الافتتان والتقيد بحسن الصورة ...» السابق، ص ١٥٧.

^{٤٦} آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥ م/ ١٤٢٦ هـ (١٥٣-١٥٤).

وحدانية الذات أو وحدة الشهود أو وحدة الوجود. وهو الخلاف بين التصور الثابت الجوهرى الساكن بين الذات والصفات والأفعال والأسماء والتصور الحركي لتجلي الذات في الصفات، وتجلي الصفات في الأفعال، وتجلي كليهما في الأسماء. وهو سبب التأليف.^{٤٧} فيعتمد على القرآن وحده دون الحديث أو الشعر أو أقوال الصوفية.^{٤٨}

(هـ) «في أن جميع الموجودات مرايا وجه الحق تعالى»^{٤٩}

وهي رسالة في الحق والخلق، وانعكاس الحق في الخلق كانعكاس الصورة في المرآة. وهذا هو معنى الشهادة المتبادلة بين الحق والخلق. الحق يشهد على نفسه في الخلق، والخلق يشهد على نفسه في الحق. وهو معنى «السفر عند صدر الدين الشيرازي»، السفر من الحق إلى الخلق، والسفر من الخلق إلى الحق. وماذا عن الصورة في مرآة الذات، الصورة المنعكسة، وهو سفر الحق إلى الحق وهو ما لا يمكن معرفته أو سفر الخلق إلى الخلق وهو ما يمكن التحقق من صدقه بالتجربة الذاتية؟ ويعتمد على القرآن وحده دون الحديث أو الشعر أو أقوال الصوفية.^{٥٠} ذلك بالتنظير العقلي الميتافيزيقي الرفيع.

(و) «في شرح مسألة البسائط» للكاشاني^{٥١}

وهي رسالة في الطبيعيات في علم الكلام فيما يسمى باللطائف، بناء على طلب المولى الملك الأعظم، السلطان إلى العالم، من العبد الفقير إلى رحمته تعالى.^{٥٢} لا تهم الحكم في شيء

^{٤٧} السابق، ص ١٥٣.

^{٤٨} الآيات (١١).

^{٤٩} آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (١٩) ص ١٨٧-١٨٨.

^{٥٠} الآيات (١).

^{٥١} آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥-١٤٢٦هـ (١٩) ص ١٦١-١٦٤.

^{٥٢} «فقد رسم المولى الملك الأعظم، مولى ملوك العالم، سلطان علماء الشرق والغرب، برهان حكماء، العجم والعرب، صاحب الرياستين المعنوية والصورية، جامع الفضيلتين العلمية والعملية، آصف العهد بل سليمان الوقت المسخر للشيطان بالقهر والمقت، شمس الحق والدين، عز الإسلام والمسلمين ... أعز الله أنصار دولته، وأذل أعداء مملكته، بأن يكتب هذا الفقير ما حضره في مسألتي البسائط والأعراض، ويملي بعض ما يتعلق بلا معجولية الأولى وتجدد الثانية بالأعواض. فامتثل مرسومه حسب إشارته العالية، واغتم مأموره لكونه مطاعاً في العصر الخالية. فإن وافق رأيه المنير فالعبد هو الظافر، وإلا فألأمور معدور من كرمه الوافر، فإنه العاذر ونعم العاذر!»، السابق ص ١٦١.

بل هي ترف مطلق. والعالم يرد ليس بالنصيحة لأولي الأمر بل بالرد في مسألة نظرية خالصة «أعوذ بالله من علم لا ينفع». البسائط غير مجعولة والأعراض مجعولة لأن البسيط لا انقسام فيه مثل الحقيقة الأحادية، مما يدل على ارتباط الإلهيات بالطبيعات، وأن الطبيعيات إلهيات مقلوبة إلى أسفل، وأن الإلهيات طبيعيات مقلوبة إلى أعلى.^{٥٣} تعتمد على القرآن وحده دون الحديث أو الشعر ودون إحالة إلى أقوال الصوفية.^{٥٤}

(ز) رسالة في القضاء والقدر^{٥٥}

وهي رسالة في موضوع كلامي دخل في التصوف من خلال الجبرية والأشعرية. تبين معنى القضاء والقدر والفرق بينهما وبين العناية، وبيان محلها وبيان الأفعال الاختيارية، وفائدة تكيف الطاعات والدعوة بالآيات وتأثير السعي والجهد، وتوجيه الوعد والوعيد وبيان الابتلاء، والاستعدادات وتنوعها والسعادة والشقاوة، تعتمد على القرآن والحديث والشعر دون أقوال الصوفية.^{٥٦} كما تعتمد على بعض التحليلات النظرية مثل مراتب شهادة الإنسان في الروح والقلب والخيال والحواس.^{٥٧} كما يقسم مراتب العلم في الإدراك والنفس والقدرة والإرادة.^{٥٨} وأيضًا قسمة السعادة إلى دنيوية وأخرية، والدنيوية إلى بدنية وخارجية (اجتماعية)، والأخرية إلى علمية وعملية.^{٥٩}

(ح) «في سبب تعلق النفس بالبدن»^{٦٠}

وهي قضية كلامية فلسفية في صلة النفس بالبدن عن طريق المزاج والتناسب بين العناصر. وهي النظرية «الفزيولوجية». وسواء حدث ذلك في القلب أو الروح الحيواني، هذه الحرارة العزيزية آلة النفس في أفعالها. وتعتمد على آية واحدة من القرآن دون

^{٥٣} من العقيدة إلى الثورة، ج٢، التوحيد، ص ٦٠٤-٦١٤.

^{٥٤} الآيات (٣).

^{٥٥} آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (٢)، ص ٥٥-٧٨.

^{٥٦} الآيات (١٤)، الأحاديث (٩)، الأشعار (٢).

^{٥٧} رسالة في القضاء والقدر، ص ٦٤.

^{٥٨} السابق، ص ٦٨.

^{٥٩} السابق، ص ٧٦.

^{٦٠} آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (١٥) ص ١٦٧-١٧٠.

حديث أو شعر أو قول صوفية. وتعتمد أكثر على التنظير العقلي، الحديث في الطبيعة بلا براهين علمية بل باستعمال قسمة نظرية. فالطبيعة أحد فروع الحكمة.

(ط) «الرسالة المعادية»^{٦١}

وهو موضوع كلامي من السمعيات مثل النبوة، والإيمان والعمل، والإمامة.^{٦٢} تعتمد على القرآن والحديث وحدهما دون الشعر وأقوال الصوفية.^{٦٣} كما تعتمد على القسمة العقلية.^{٦٤}

(٧) «الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل» لعبد الكريم الجيلي (٨٢٦هـ)^{٦٥}

الإنسان الكامل هو الله، الإنسان كما ينبغي أن يكون وليس ما هو كائن، صورة الإنسان المثلّي عن نفسه. فالإنسان يخلق مثله الأعلى خارجه.^{٦٦} الذات والصفات والأفعال مشتركة بين الله والإنسان. ومن ثم توحد علم الكلام مع التصوف الفلسفي في نظرية واحدة، الذات والصفات والأفعال. وكما التفت الفلسفة حول علم الكلام في علم الكلام المتأخر عند الأبيجي التف علم الكلام على التصوف في التصوف النظري. وأصبح موضوع التصوف الطريق إلى الله أو الله. فعلم الكلام والفلسفة يقودان إلى غاية واحدة هو الله، يقوم التصوف النظري على علم الكلام على نحو نسقي، في الإلهيات والنبوات أو العقلية والسمعيات أو الذات والصفات والأفعال من ناحية والأخرويات من ناحية أخرى.

^{٦١} آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (٤) ص ٨٩-٩٣.

^{٦٢} من العقيدة إلى الثورة، ج ٤، النبوة - المعاد.

^{٦٣} الآيات (١٣)، الأحاديث (١).

^{٦٤} «فالناس إما علماء وإما جهال. والعلماء إما راسخون أو غير راسخين، عاملون محبوبون وقاصرون أو غير عاملين. الأولون أهل الأسرار والباقيون أهل المحبة. والتاركون للأعمال الشرعية قسمان إما عن رسوخ الذنوب أو عن غير رسوخها. والجاهلون قسمان لسذاجة نفوسهم فطرة أو متكررة أو لغير سذاجتها. والقيامات في القرآن ثلاث: صغرى كالمح ووسطى مثل الموت بالإرادة الإحياء بالطبيعة، والكبرى وهو البعث».

^{٦٥} مكتبة صبيح، القاهرة، (د.ت).

^{٦٦} الاغتراب الديني عند فيورباخ، دراسات فلسفية، الأنجلو المصرية، ١٩٨٧م، ص ٤٠٠-٤٤٥.

يتكون «الإنسان الكامل» من ثلاث وستين بابًا، الثلاثون الأولى منها نظرية الذات والصفات والأفعال.^{٦٧} والكتاب والقرآن وأم الكتاب والتوراة والإنجيل والتنازل والطور وكل ما ينطق بالوحي في العشرة أبواب التالية.^{٦٨} وتشمل تشخيصات العرش والكرسي والحكم واللوح وسدرة المنتهى عشرة أبواب ثالثة. ثم تأتي أبواب العلم المشخص في الروح القدس والملك والروح والقلب والعقل والوهم والهمة والفكر والخيال. وموضوع النفس والغواية والحياة وأدم وحواء قبل الخلق أو أشراط الساعة والموت وما بعده بعد الخلق في العشرة أبواب الأخيرة. فلم يعد يبقى شيء من التصوف الخلقى، الفضائل والرزائل أو التصوف النفسي، المقامات والأحوال. وتضخم موضوع «الله» بحيث ابتلع كل شيء. ولم يبق شيء خارجه. الله والإنسان والكون والتاريخ والماضي والمستقبل وما قبل الخلق وما بعد الخلق، والزمان والخلود ... إلخ كل ذلك من تجلياته. وتعرض الأبواب في البداية إحساسًا بأهمية الوضع الجديد للعلم.

ويطغى الشعر على النثر ابتداءً من كبار شعراء الصوفية كابن الفارض وابن عربي والناقلي. ولا يوجد موضوع كلامي صوفي إلا وله صياغتان، شعرية ونثرية. وهناك اقتباسات من شعر ابن عربي، وكان «الإنسان الكامل» شرح لديوان ابن عربي خاصة وأن المفهوم نفسه «الإنسان الكامل» من ابن عربي. يأتي الشعر أولاً ثم النثر شرح له، وواضح الحضور الطاعني لابن عربي على الصوفية بعده مثل الشاذلي والناقلي وغيرهم. ونظرًا لأن الشعر يقوم بدور الحجج النقلية فقد قلت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية إلى الحد الأدنى، وتستعمل الآيات الحركية من أجل دلالاتها مثل ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾. فالآية حركة في الكون، وليست معنى في الذهن. كما تستعمل الآيات القرآنية على نحو مباشر لتقوية الخطاب النثري بالصور الفنية في الخطاب القرآني. وتتنوع أساليب الخطاب بحيث تضم الرواية المتخيلة «قال الراوي».^{٦٩} ويقل الاعتماد على أقوال السابقين. فقد أصبح العلم موسوعيًا يصب فيه السابقون، ولا مشخصًا بحيث توارت الأسماء، وموضوعيًا بحيث اختفى المؤلفون، بالرغم من أن العنوان الفرعي «في معرفة الأوائل والأواخر» أي السابقين واللاحقين.

^{٦٧} الإنسان الكامل، ص ١٢-٦٢.

^{٦٨} السابق، ص ٦٢-٨٠.

^{٦٩} السابق، ص ٩.

ويتوجه الخطاب إلى القارئ كما فعل إخوان الصفا من قبل وكل الدعاة. ولما كان الصوفية دعاة للحق فقد خاطبوا القارئ مباشرة لتبليغ الرسالة ودعوتهم إلى الهداية. والهدف من التأليف مساعدة السالك إلى الرفيق الأعلى. ويعتمد على الكشف الصريح والخبر الصحيح بتعبير الفقهاء «موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول إلا أن صريح المعقول هنا هو صريح الكشف»^{٧٠}. كتب مرة ثم تم الإحجام عنه. ثم كتب مرة ثانية بمزيد من الشجاعة.

(٨) «تأييد الحقيقة العلية وتشبيد الطريقة الشاذلية» للسيوطي (٩١١)^{٧١}

وبالرغم من أن العنوان يوحي بأنه يتعلق بالطريقة في التصوف العملي خاصة الطريقة الشاذلية إلا أنه في الحقيقة في العلاقة بين الكلام والتصوف دفاعاً عن عقيدة الصوفية في التوحيد ودرأتهم الاتحاد والحلول والوحدة المطلقة التي روجها الفقهاء ضدهم، كما يعتمد الكتاب على الفقه دفاعاً عن التصوف وليس ضده، وبيان لأواصر الصداقة بين الصوفية والفقهاء، وتنصلاً من التصوف المزيف لصالح الفقه والشرع^{٧٢}. وينقسم إلى فصول غير مرقمة وبلا عناوين. والعنوان عن إبطال الاتحاد والحلول بلا فصول. وتظهر ألفاظ قسمة النص مثل «فصل»، «مسألة»، «تهذيب»^{٧٣}. ويقوم على الاستشهاد بنصوص بلفظ «انتهى»، ويظهر أسلوب القول «فإن قال هذا القائل...» ويعتمد على القرآن والحديث والشعر^{٧٤}. ويذكر السند مع المتن مثل أوائل المحدثين. ويستشهد بكثير من أقوال الصوفية^{٧٥}. وتقتبس أقوال كثيرة من مدوناتهم. ويروي

^{٧٠} السابق، ص ٤.

^{٧١} دار الكتب العملية، بيروت، ٢٠٠٦م (١) ص ٧-٨٩.

^{٧٢} «باب في الاتحاد والدليل على بطلانه»، السابق، ص ٨٠-٨٣، «باب في ذكر الحلول والدليل على بطلانه والرد عليهم»، السابق، ص ٨٤-٨٦.

^{٧٣} فصل (٤٢)، مسألة (٢)، تذنيب، فائدة (١).

^{٧٤} الآيات (٥١)، الأحاديث (٢٣)، القدسية (٢)، الأشعار (٩).

^{٧٥} ذو النون (١٥)، صاحب التعرف (١٢)، الجنيد، القسطلاني (٦)، الغزالي (٥) القشيري (٤)، الداراني، الشاذلي، القونوي (٣)، الحسن البصري، ابن عباد، داود الطائي (٢)، جعفر الصادق، أويس القرني، مالك بن دينار، الفضيل بن عياض، إبراهيم بن أدهم، الخراز، عبد الرحيم القنائي، الترمذي،

الصوفية عن بعضهم البعض. ويذكر الصوفي باسمه مثل الغزالي أو بعمله مثل صاحب التعرف (الكلاباذي). ويذكر المصدر بمفرده دون الإشارة إلى صاحبه مثل «منازل السائرين» (الهروي)، «الإحياء» و«الروضة». استقللاً للعمل عن المؤلف. ويطلق على القسطلاني لقب «القطب». ومن الفقهاء يأتي السبكي ثم ابن الصلاح ثم العز بن عبد السلام، ثم الشافعي نظرًا لما بين الشافعية والتصوف من أواصر قربي. ومن المذاهب الفقهية المالكية والشافعية.^{٧٦} ومن الأنبياء عيسى وموسى والخضر.^{٧٧} ومن المصادر «الإحياء» و«منازل السائرين».

(٩) رسائل الشعراي (٩٧٣هـ)

(أ) «القواعد الكشفية الموضحة لمعاني الصفات الإلهية»^{٧٨}

وهي في نظرية الذات والصفات والأفعال مثل «التحبير والتذكير» للقشيري، و«شرح أسماء الله الحسنى» للغزالي، وهي ليست في الصفات الإلهية وحدها بل في كل موضوعات علم الكلام، متناثرة بلا بنية أشعرية، العقلية والسمعية أو الإلهيات والنبوات أو اعتزالية، الأصول الخمسة. هو نوع من علم الكلام الصوفي حيث تتجلى الذات الإلهية ليس فقط في الصفات والأفعال بل أيضًا في الكون كله، في الكون والإنسان. الحق والخلق واحد. والقضاء يضم كل شيء. لا توجد قسمة إلى أبواب وفصول، فالتوحيد لا ينقسم. وسبب التأليف هو إعادة التأليف في أجوبة الأنبياء والمرسلين والصحابة والتابعين وتابعي التابعين بعد أن كان المؤلف قد صنف فيه من قبل جزأين. نفس المادة يعاد جمعها

يحيى بن معاذ، أبو نعيم الأصفهاني، عبد الواحد بن يزيد، سفيان الثوري، أبو علي الدقاق، النصر أباندي، السري السقطي، الكرخي، ابن الفارض، علي بن وفا، السهروردي، المرسى أبو العباس، البسطامي، ابن عطاء الله السكندري، الخراز، الطوسي، أبو طالب المكي (١).

^{٧٦} ومن الفقهاء السبكي (٩)، ابن الصلاح، العز بن عبد السلام (٢)، الشافعي، الدارقطني، السجستاني، ابن حجر (١)، ومن المتكلمين الجويني (١).

^{٧٧} الإحياء (٥)، منازل السائرين (٣)، جمع الجوامع (٢)، لطائف المنن، اللمع، الفردوس، الروضة، قوت القلوب (١).

^{٧٨} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ.

عبر عشرة قرون، ولكن على نحو مختصر.^{٧٩} ويكرر نفس الهدف في مقصود الكتاب، الدفاع عن عقائد السنة والجماعة ضد الجهلة الملحدون.^{٨٠} فهو كتاب سجالي، دفاعاً عن العقائد ضد الشبهات حولها من الفلاسفة والمتكلمين. يأخذ التصوف هنا دور علم الكلام التقليدي ويصحح عقائده ضد شبهة أن عقائد الصوفية معارضة بل ومناقضة لعقائد أهل السنة. لذلك يكثر استعمال لفظ «توهم».^{٨١} كما تدل باقي الألفاظ على التحليل العقلي للموضوعات.^{٨٢} وفي نفس الوقت تعرض الخصائص الباطنية للعلم.^{٨٣} ويستعمل أسلوب القول «فإن قال قائل طبقاً لأساليب الحجاج التقليدية في علم الكلام. ويخاطب القارئ لدعوته إلى الفهم الجديد.^{٨٤}

ويعتمد على القرآن والحديث دون الشعر.^{٨٥} فالموضوع عقلي وليس وجدانياً. ومن أعلام الصوفية يتصدر ابن عربي ثم علي الخواص، ثم علي الرضفي، ثم القزويني، وعلي بن وفا، ثم التسطري، ثم إبراهيم المتبولي، والجنيد، والغزالي. ومن الفقهاء أحمد بن حنبل.

^{٧٩} «وبعد، فقد كان سبق مني تأليف كتاب عظيم في الأجوبة عن الأنبياء والمرسلين والصحابة والتابعين وتابعي التابعين إلى عصرنا هذا وهو سنة إحدى وستين وتسعمائة. فما تركت من شيء بلغني أنه نقل عن الأنبياء ومن بعدهم لا يقبل التأويل عند بعض العلماء إلا وأجبت عليه. وقرئ بحضرة أهل العلم مرات. واستحسنوه. وهو في مجلدين ضخمين وهذا كتاب ذكرت فيه الأجوبة عن صفحات الحق جل وعلا. وما يتوهمه الملحدون وضعفاء الحال في العلم بحسب مقامي غيرة على جناب الحق، جل علاه، أن يتوهم أحد فيه ما لا يليق بجنابه تعالى. وقد أطلعت عليه بعض العلماء الأكابر فاستحسنوه وقال: كتاب حقه أن يكتب الأحداق»، السابق، ص ٦٣.

^{٨٠} «بيان جملة صالحة من الأجوبة مما يتوهمه الجهلة أو الملحدون في جناب حق القدوس وأسمائه وصفاته، مصدرًا ذلك عقيدة صالحة، جامعة شدة اختصارها لأهميات عقائد الأكابر من أهل السنة والجماعة ليرجع إليها من استشكل شيئاً من الأجوبة الآتية فإنها مزيلة إن شاء الله تعالى جميع إشكالات المحجوبين وزاجرة لجميع الملحدون»، السابق ص ٨٢.

^{٨١} توهم (٥٥)، السابق، ص ١٠٣.

^{٨٢} وذلك مثل: مذهب، باب، كلام (٤)، عقيدة، أقوال (٣)، شروط، مفهوم، معنى، محاجة، شبهة، مقصود، تفاوت، الجواب، الباعث، تعلق، تخصيص، كيفية، تمهيد، وصية، حجة، فرق، تأويل ... إلخ (١).

^{٨٣} السابق، ص ٦٤-٦٥.

^{٨٤} السابق، ص ٣٤٥.

^{٨٥} الآيات (٢٢٨)، الأحاديث (١١٩)، الأشعار (٢٨)، الأمثال (١).

ومن المتكلمين الأشعري، والماتريدي.^{٨٦} ومن الصحابة علي. ومن الأنبياء الرسول ثم آدم، ثم موسى ثم عيسى. ومن الفرق الأشعرية والماتريدية. وتذكر بعض الإسرائيليات.^{٨٧}

(ب) «اليواقيت والجواهر في بيان الأكابر»^{٨٨}

لم تكتف المؤلفات المتأخرة بعقد فصل عن «علم العقائد» دفاعًا عن عقائد الصوفية ضد الاتهامات الموجهة ضدها بالانحراف عن العقائد السنية بل أبدعت «علم الكلام الصوفي»، أو «التصوف الكلامي» حتى أصبح علمًا مستقلًا من الصعب التمييز فيه بين «الكلام والتصوف»، بين العلوم العقلية والعلوم الكشفية، بين علوم العقل والذوق. ويعني النصف الأول من العنوان «اليواقيت والجواهر» اللب والجوهر. ويعني النصف الثاني «في بيان عقائد الأكابر» عقائد الصوفية باعتبارهم أكابر القوم.

وتتوالى ألقاب التقديس للصوفية. فالشعراني هو الإمام العارف الرباني سيدي عبد الوهاب الشعراني. وتليها الدعوات له نفعا الله والمسلمين ببركاته، وأفاض علينا من نفعاته آمين، مما يدل على التوجه العملي في الطريقة بعد التصوف النظري.

وهذا هو سبب تأليف الكتاب «بيان عقيدة الشيخ المختصرة المبرأة له من سوء الاعتقاد».^{٨٩} فالشيخ محيي الدين هو نموذج الصوفي الذي طغى على التصوف على مدى قرون من القرن السابع حتى النابلسي في القرن الثاني عشر. وهو مبرئ من القول بوحدة الوجود، وهل في الاعتقاد صواب وخطأ وتصحيح وتخطئة أم هي وجهات نظر متعددة. لذلك أتى الأسلوب خطابًا للقارئ كما هو الحال لدى «إخوان الصفا».^{٩٠} وهذا لم يمنع من نقد ابن عربي بين الحين والآخر في بعض أوجه الاستدلال التفصيلية.^{٩١}

^{٨٦} ابن عربي (٨٨)، علي الخواص (٢٦)، علي المرصفي (٢٤)، القزويني، علي بن وفا (٨)، التستري (٤)، إبراهيم المتبولي، الجنيد، الطبراني، الغزالي (٣)، أحمد الرفاعي، البسطامي، الترمذي، الحلاج، سيدة العجم، الشاذلي، المناوي، النقري، أحمد بن حنبل (٢). وآخرون بالمئات. الأنبياء والرسول (٥٣)، آدم (٢)، موسى (١٨)، عيسى (٩).

^{٨٧} القواعد الكشفية، ص ٢٥٩.

^{٨٨} مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٩٥٩م/١٣٧٨هـ.

^{٨٩} السابق، ج ١، ٤-٦.

^{٩٠} السابق، ص ٥٨.

^{٩١} السابق، ص ٧٨.

ويتكون الكتاب من أربعة فصول. أكبرها الرابع والذي يشمل بمفرده واحدًا وسبعين بابًا. الأول عن نبذة مختصرة عن حياة الشيخ محيي الدين.^{٩٢} والثاني تأويل كلمات أضيفت إليه ورواها جماعة ابتلوا بالإنكار عليهم والشيخ نموذجهم. فقد بدأ الدس على الصوفية لتشويه سمعتهم وعقائدهم.^{٩٣} والثالث إقامة العذر لأهل الطريق لتكلمهم بعبارات مغلقة على غيرهم ومصطلحًا ورموز لا يعلم معانيها إلا هم.^{٩٤} والرابع جملة من القواعد والضوابط التي يحتاج إليها من يريد التبحر في علم الكلام، وهو المقصود.^{٩٥} وهو ما يتصدر الكتاب.^{٩٦}

وتتوزع موضوعات علم الكلام على واحد وسبعين مبحثًا داخل الفصل الرابع أسوة بنسق علم الكلام الأشعري بداية بحدوث العالم بغير حاجة إليه ولا موجب عليه، وأنه لم يبدعه في ذاته ودون أن يحل أو يتحد معه كما يشاع عن الصوفية، وأنه أبدعه على غير مثال سابق، ودون تفصيل في الأدلة على وجود الله.^{٩٧} علم الأشياء قبل وجودها، وأوجدتها على ما علمها، مع تفصيل صفة خلق عيسى. ولا توجد نظرية للعلم كما هو الحال في علم الكلام الأشعري عن العلم والعلوم قبل البداية إثبات حدوث العالم. إنما فقط بعض البدايات فيها مثل وجوب معرفة الله على كل عبد قدر وسعه بالرغم من صحة أخذ الله العهد والميثاق على بني آدم وهم في ظهريه عليه. وهو ميثاق المعرفة والفضيلة. كذلك يظهر موضوع الخواطر الواردة على القلب داخل موضوعات الإيمان.^{٩٨} ثم تظهر نظرية الذات والصفات والأفعال والأسماء، لب نظرية الأشاعرة في التوحيد. فالله واحد منفرد في ملكه لا شريك له وهو مخالف للحوادث. لا يحويه مكان ولا يدخل في زمان، موجود دائمًا. هو الأول والآخر، الظاهر والباطن. وهي موضوعات الذات. وهو سر لا يمكن معرفته عند الأشاعرة.^{٩٩}

^{٩٢} السابق، ج ١، ٦-١١.

^{٩٣} السابق، ص ١١-١٥.

^{٩٤} السابق، ص ١٥-٢١.

^{٩٥} السابق، ج ١، ٢١-١٦٨، ج ٢، ٢-٢٠٤.

^{٩٦} السابق، ص ٣-٤.

^{٩٧} المباحث ٢، ٨-٦، ١١-١٢، ٢١.

^{٩٨} المباحث ٣، ٢٠، ٥٧.

^{٩٩} المباحث ١، ٤، ٧-١٠.

ثم تأتي الصفات. وهي قديمة كما هو الحال عند الأشاعرة. فالله لم يزل موصوفًا بمعاني أسمائه وصفاته كما تقتضي بذلك قواعد التنزيه. وهي صفات عين وغير ولا عين ولا غير.^{١٠٠} ولا يجوز تأويل آيات الصفات كما فعل السلف خوفًا من الوقوع في التشبيه. وهنا يبدو أن التصوف المتأخر أكثر حرفية من الأشعرية المتقدمة. والكلام والكرسي واللوح والقلم والاستواء على العرش أيضًا تقع بين التنزيه والتشبيه. والله مرئي للمؤمنين بالقلوب في الدنيا، وفي الآخرة بأبصار بلا كيف. وأسماء الله توقيفية، وليست اصطلاحية. وهي ثمانية: الحي، العالم، القادر، المريد، السميع، البصير، المتكلم، الباقي، مع أنه في النسق الأشعري الصفة الثامنة. الباقي من أوصاف الذات وليست من الصفات.^{١٠١} ومع ذلك يدخل الإيمان بوجود الجن وكأنه موضوع ضروري للتوحيد.^{١٠٢} ثم تأتي الأفعال لبيان أن الله خالق لأفعال العباد مثل خلقه لذواتهم. وهو الحجة البالغة عليهم. ولا رازق إلا الله.^{١٠٣} والتكليف للإنس والجن بشرط العقل وليس درجات القرب. وهنا يجب الكلام التصوف ونظرية إسقاط التدبير. وأفعاله عين الحكمة وليست بالحكمة خوفًا من الوقوع في التعليل بالغاية والغرض، كما هو الحال في النسق الأشعري.^{١٠٤}

وبعد الإلهيات أي العقليات تأتي السمعيات أو النبوات ابتداءً بالنبوة.^{١٠٥} وتشمل المعجزات والفرق بينها وبين السحر كالشعوذة والكهانة، واستحالة المعجزة على يد الكاذب كالمسيح الدجال، والفرق بين معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء. وتشمل أيضًا الحكمة من بعث الرسل بالرغم من نفي الغاية الغرض، وعصمة الأنبياء من أي فعل أو حركة أو سكون ينقص من كمالهم، وثبوت رسالة النبي وهو أفضل الخلق على الإطلاق، خلطًا بين الرسالة والرسول، والفرق بين النبوة والرسالة الأولى، رأسية، والثانية أفقية. ثم تتحول النبوة والرسالة والبعثة إلى تشخيص في النبي والرسول والمبعوث وذكر فضائله قبل الوقوع في الحضرة أو الحقيقة المحمدية. قصة الإسراء والمعراج واقعة

١٠٠ المباحث ١٣-١٩.

١٠١ من العقيدة إلى الثورة، ج ٢، التوحيد، ص ١٣٣-١٤٢.

١٠٢ المباحث ٢٣، من العقيدة إلى الثورة ج ١، المقدمات النظرية، ص ٦٢٢-٦٢٧.

١٠٣ المباحث ٢٤-٢٨.

١٠٤ من العقيدة إلى الثورة، ج ٣، العدل، ص ٥٣٣-٥٤٣.

١٠٥ المباحث ٢٩-٤١.

تاريخية، ومحمد خاتم الأنبياء. ورسالته عامة للجن والإنسان، والإذعان والطاعة لكل ما جاء به دون اعتراض. وهو أفضل الخلق، وأفضل الأنبياء الذين أرسلوا أو لم يرسلوا والملائكة خواصًا وعوامًا، وواجب بر الأنبياء وعدم الخوض في حكم أبوي النبي وأهل الفترة، وأن منفعة الأنبياء للبشر وليس لله.^{١٠٦} ثم يأتي ذكر الأولياء، وهو موضوع صوفي خالص، خارج علم الكلام التقليدي. فالولاية جزء من النبوة. ولا فرق بين أولياء الصوفية والصحابة. فأفضل الأولياء أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، دون الدخول فيما شجر بينهم. وأكبر الأولياء بعد الصحابة القطب ثم الأفراد ثم الإمامان ثم الأوتاد، ثم الأسدال. ووحى الأولياء إلهامي. ومقاماتهم متعددة ثم مقامات الرسل. وجميع الصوفية والأئمة المجتهدين على هدي من الله. والكرامات نتيجة للعمل طبقًا للكتاب والسنة دون تدخل خارجي وخرق للعادات.

ثم تأتي موضوعات الإيمان والعمل قبل الأخرويات مثل الفرق بين الإسلام والإيمان، وربط الإيمان بالمشيئة الإلهية، وأن الفسق لا يخرج من الإيمان. والتوبة واجبة على الفاسق قبل الغرغرة وعلى كل عاص. ولا يجوز تكفير أحد من أهل القبلة بذنب أو بدعة والتكفير منسوخ أو مؤول بأنه تغليظ وتشديد. وملاذ الكفار في الدنيا استدراج من مع الله أن الله خير لا يفعل إلا الخير. وهو الذي يتولاهم.^{١٠٧} ولا تذكر الإمامة إلا في مبحث واحد في وجوب نصب الإمام الأعظم ونوابه على البشر وليس على الله ووجوب طاعته وعدم الخروج عليه.^{١٠٨} وأخيرًا تظهر الأخرويات التي هي في النسق الأشعري الموضوع الثاني بعد النبوات، مستقبل البشرية بعد ماضيها في النبوة، نظرًا لأهمية الأخرويات في التصوف النظري. فالمرتبة انتهاء الأجل. والنفوس باقية بعد فناء الجسد. والأرواح مخلوقة من أمر الله، ولا يمكن للعقل معرفة كنهها. وسؤال منكر ونكير وعذاب القبر ونعيمه حق خلأً للمعتزلة والروافض، وليست مجرد ترغيب وترهيب نفسيين. وأشرط الساعة حق، وليست مجرد علامات أو مؤشرات على النهاية بمعنى تحقيق الغرض. ويعاد البشر كما خلقوا أول مرة، وتُهيئ الأجساد لقبول الأرواح. والحشر بعد البعث وتبديل الأرض غير الأرض والسموات غير السموات. والحوض والصراف والميزان حق وتطابير الصحف

^{١٠٦} المباحث ٤٢-٥٠.

^{١٠٧} المباحث ٥١-٥٦، ٥٨-٥٩.

^{١٠٨} المبحث الستون.

والعرض على الله يوم القيامة حق كذلك. والرسول أول شافع يوم القيامة. والجنة والنار حق مخلوقتان قبل آدم.^{١٠٩}

والحقيقة أنه لا يوجد فرق بين علم الكلام الأشعري وعلم الكلام الصوفي إلا في أقل القليل من حيث الترتيب والانتهاء بالأخرويات وليس بالإمامة أو في الكم صغر حجم الإمامة للاستعاضة عنها بالأقطاب والأبدال والأوتاد أو النقص مثل نظرية العلم أو الزيادة مثل الولاية والكرامة. لم يخرج علم الكلام الصوفي عن علم الكلام الأشعري التقليدي. ولا يوجد علم كلام كشفي في مقابل علم الكلام العقلي. وهل يتفق علم الكلام العقلي وعلم الكلام الكشفي إن وجدا على النسق الأشعري؟ وهذا يدل على أن التصوف أشعرية روحية ذوقية وأن الأشعرية تصوف عقلي جدلي. والخطورة وقوع الكشف في التجسيم في حين أن النسق الأشعري يكتفي بالتشبيه. والاعتزال ذهاب إلى التنزيه إلى الحد الأقصى.^{١١٠}

والاعتماد شبه كلي في علم الكلام على المصادر الصوفية والكلامية السابقة خاصة ابن عربي في «الفتوحات»، بابًا بابًا ودون ترتيب مما يدل على الحضور الهائل لكتاب «الفتوحات» على التصوف النظري والعملي على مدى ستة قرون. بل تحول ابن عربي نفسه إلى طريقة صوفية هي الطريقة «الأكبزية». وأسلوبه نقل النصوص والرد على الاعتراضات. وهو أكثر الكتب إحالة إليه مما يضع سؤالاً حول تأليف الشعراني التي كلها اقتباسات وتجميع من السابقين. لذلك كثرت وتضخمت. ومع ذلك علوم أهل الكشف موجودة أيضًا خارج «الفتوحات». وما «الفتوحات» إلا نموذج.^{١١١}

^{١٠٩} المباحث ٦١-٧١.

^{١١٠} «حاولت فيه المطابقة بين عقائد أهل الكشف وعقائد أهل الفكر حسب طاقتي وذلك لأن الحوار في العقائد على هاتين الطائفتين: إذ الخلق كلهم قسمان: إما أهل نظر واستدلال وإما أهل كشف وعيان. وقد ألف كل من الطائفتين كتبًا لأهل دائرته. فربما ظن من لا غوص له في الشريعة أن كلام إحدى الدائرتين مخالف للأخرى. فقصدت في هذا الكتاب بيان وجه الجمع بينهما ليتأيد كلام أهل كل دائرة بالأخرى. وهذا أمر لم أر أحدًا سبقني إليه ... وأوصي كل من عجز عن الوصول إلى تعقل كلام أهل الكشف أن يقف مع ظاهر كلام المتكلمين ولا يتعداه ... وذلك لأن عقائد أهل الكشف مبنية على أمور تشهد، وعقائد غيرهم مبنية على أمور يؤمنون بها. هذا ميزانهم في كل ما لم يرد فيه نص قاطع. والنفوس تجد القوة في اعتقاد ما عليه الجمهور دونما عليه أهل الكشف لقلة سالكي طريقهم». اليواقيت والجواهر، ص ٢-٣.

^{١١١} «إنني طالعت من كلام أهل الكشف ما لا يحصى من الرسائل، وما رأيت في عبارتهم أوسع من عبارة الشيخ الكامل المحقق، مربى العارفين ... ولذلك شيدت هذا الكتاب بكلامه من «الفتوحات» وغيرها دون

(ج) «كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان»^{١١٢}

والعنوان يوحي بالاغتراب خارج العالم، عالم الجان ولكنه في الحقيقة في علم الكلام الصوفي، أسئلة الجان هي أسئلة المتكلمين وكشف الحجاب والران هي أجوبة الصوفية. وتضم ثمانين سؤالاً موزعة بين موضوعات الكلام التقليدية وموضوعات التصوف. وقد تم التعبير بإخراج مسرحي خيالي، الجان تسأل وهم المتكلمون، والصوفية تجيب، والشعراني نيابة عنهم. والإجابة نثرًا ونظمًا، نثرًا من المتكلمين وشعرًا من الصوفية، شفاهة وكتابة دفاعًا عن التصوف ضد الشبهات التي قيلت عنه خاصة حول الاتحاد والحلول.^{١١٣}

ويحال إلى الشيخ محيي الدين بن عربي ثم الشبلي، ثم الجنيد، وعلي بن وفا وعبد القادر الجيلاني، وعلي الخواص.^{١١٤} وألقاب الشعراني هذه المرة، العارف بالله، العلامة المحقق، أبو المذاهب اللدنية، سيدي الشيخ. وكلها صوفية عرفانية. وقد تحتاج الأجوبة إلى مراجعة العارفين. فالفتح متنوع وطبقًا للوقت.^{١١٥}

كلام غيره من الصوفية لكني رأيت في «الفتوحات» مواضع لم أفهمها فذكرتها لينظر فيها علماء الإسلام ... السابق، ص ٣.

^{١١٢} مكتبة صبيح، القاهرة، (د.ت.).

^{١١٣} «فهذه أسئلة غريبة سألني عنها مؤمنو الجان حفظهم الله تعالى. وطلبوا مني الجواب عنها مشيدًا بإنشادات أهل الطريق في ذلك. وأخبروني أن روحانيتهم تميل إلى النظم أكثر من النثر. فأجبتهم إلى ذلك مستعينًا بالله تعالى متنشقًا من نسيمات الأسحار قوة الاستعداد لأجوبتهم. فإنها أسئلة معجزة ... وقد أتتني هذه الأسئلة مكتوبة في قرطاس في فم شخص من الجان في صورة كلب أصفر لطيف ككلاب الرمل. وكانت الورقة قدر فرخ ورق من الورق الإفرنجي مرقومة بخط عربي مردومة. ففتحتها فإذا فيها ما قول علماء الإنس في هذه الأسئلة المرقومة الواصلة إليكم صحبة حاملها قد أشكلت علينا. وسألنا عنها مشايخنا من الجان فقالوا: هذه التحقيقات لا تكون إلا من علماء الإنس، ودخل على حاملها من باب القاعة. فمنعه المجاورون لظنهم أنه كلب حقيقة. وطهروا الزاوية من مواضع مشيه. فلما أخبرتهم عجبوا من ذلك غاية العجب. وندموا على إزعاجهم له. فالحمد لله الذي من علينا بإرشاد إخواننا الجان في هذا الزمان ...»، كشف الحجاب والران، ص ٧-٦.

^{١١٤} ابن عربي (٤)، الشبلي (٢)، الجنيد، عبد الكريم الجيلاني، علي بن وفا، علي (١) الخواص (١).

^{١١٥} «فتأملوا وأنعموا النظر. وإن توقفتكم في أي شيء فراجعوني أو راجعوا غيري من العارفين. وقد أجبتمكم بحكم الوقت. فربما فتح الله علي بعد ذلك بما هو أرقى منه»، السابق، ص ١٣١.

ويمكن تصنيف الأسئلة الثمانية في عدة موضوعات كلامية طبقًا للنسق الأشعري، نظرية العلم، الذات والصفات والأفعال لب الإلهيات أو العقليات، والسمعيات أو النبوات، النبوة والمعاد، والإيمان والعمل، وتسقط الأسئلة الإمامة أي السياسة فالجن لا يهتمون بالسياسة.

وموضوعات نظرية العلم: استحالة إدراك الحق بالأدلة كما يحاول المتكلمون وإمكانية ذلك بالكشف عند الصوفية، استحالة إدراك الجسم الروح مع أنه قائم به، سبب تكييف العقول للحق، والحق لا يكيف ولا يمثل ولا يشبه، إمكانية معرفة الله كما يعرف الإنسان نفسه، اختلاف الخلق في وجوه المعارف. وصواب الكل، واعتماده على كلام الله، كيفية الخروج من علوم الأوهام إلى العلم اليقيني. وتثار عدة أسئلة: وإذا كان العلم نورًا والجهل ظلمة فالإنسان ميت لجهله بنفسه، وفي موضوع التفكير في العالم أيهما أتم الذكر أم الفكر؟ وفي موضوع طبيعي خالص إذا كان الظل لا ينفك من الشخص، فالشخص هو القائم وهو المتمسك بالظل إن شاء أوجده أو أعدمه، وهو تشبيهه على أن العالم ظل الله.^{١١٦}

ففي نظرية الذات والصفات والأفعال يتم السؤال عن السبب في وقوع الخلق في التشبيه وابتعادهم عن التنزيه، والاتحاد عند أهل الإلحاد، وإرجاع الحق إلى العبد، والخلول، بالرغم من وجود بعض الأحاديث القدسية التي توحى بالاتحاد مثل «كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها»، ومعنى «أنا الحق»، ولماذا لا يكون العبد عين الحق، أول مرتبة في الوجود والمشاركة فيه؟ وعدم جواز رؤيته مع أنه أقرب إلينا من حبل الوريد. وهل تتطلب الرؤية التميز في المكان؟ واستحالة سماع كلام الله بالرغم من قرب، وقراءة الإنسان القرآن بصوته. وقوله قال الله، ورؤية العبد للرب في المنام صورة صحيحة أو خيالًا لأن الله لا يظهر في صورة؟ هل يمكن الوصول إلى التنزيه المطلق؟ وهل صفات الله صفات كمال في الحق دون تأويل أم أنها ليست كذلك وفي حاجة إلى تأويل؟ وتبرز صفة العلم وحدها وليس باقي الصفات، إذ كيف يتفق العلم الأزلي مع حدوث العلوم؟^{١١٧}

^{١١٦} الأسئلة ٧-٥، ١١، ٢٥، ٣١-٣٢، ٥٧، ٧٢.

^{١١٧} الأسئلة ١-٤، ٨، ١٣-١٤، ١٧، ٢٣، ٢٦، ٣٠، ٣٣-٣٥.

ومن الأفعال عند الأشاعرة أو العدل عند المعتزلة يبرز سؤال إذا كانت الأفعال حسننها وقبحها من الله فلماذا الشقاء؟ وإذا كانت أفعال العباد مخلوقة من الله فلم التوبة؟ وما ثمرة وجوب النية؟ وهل تغني الأسباب عن الله؟ وهل تمنع المقادير العبد من الحذر والتربص؟ وهل تحرر أحد من رق الأكوان؟ وإذا كانت الأمور برجع إلى الله فلماذا الشقاء؟ وكيف يستدرج الله الإنسان من حيث لا يعلم، والمؤاخذات الإلهية لا تكون إلا بعد علم؟^{١١٨}

وفي السمعيات عن المعاد هل النار من الأعمال حتى تتفاوت أم مستقلة عنها؟ وفي النبوة هل بلغ أحد من الخلفاء الأكابر من الرسل مرتبة فعل ما يشاء من غير تحجير عليه؟ وهل الرؤيا الصادقة قسم من الوحي؟ وهل بين النبوة والصديقية لأحد؟ وهل بين الرسالة والولاية مرتبة؟ وهل في الملائكة أولياء وأنبياء من غير رسالة كالنبي؟ وهل الولاية استدراج ما دام الحق سمى نفسه ولياً؟ وهل يحتاج الرسول لإبلاغ الوحي إلى نية؟ وفي موضوع الإيمان والعمل إذا كان الحياء الإيمان فهل هو مطلق أم مقيد؟^{١١٩}

وهي نفس المشاكل في الحديث مثل «وسعني قلب عبيد المؤمن». فهل الله يحل في مكان؟ وكيف يصاحب الله العبد في سفره «اللهم أنت صاحب في السفر»؟ وكيف يوصف الله بالغيرة في الحديث، والغيرة نقص؟ وكيف يمدح الناس الجوع والرسول يدينه بقول «الجوع بئس الضجيع»، وهل الموت خير من دوام التوحيد في حديث «سيأتي على الناس زمان يصير فيه الموت تحفة لكل مسلم»؟^{١٢٠}

وهناك بعض الموضوعات خاصة بالقرآن من أجل رفع التناقض الظاهري فيه أو من حيث أثره على النفس مثل شيب الرسول من سورة هود وأمثالها وخوفه من عصمته ويقينه أن الحق لا يمكر به، وآيات أخرى نوحى بالعصمة مثل ﴿وَلَوْلَا أَنْ تَبْتَئَا لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾، ومعارضتها الظاهري مع آية ﴿لَئِنْ أَشْرَكَكَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. وكيف يكون الإيمان بالله مع الشرك به في آية ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾؟ وإذا تبرأ الله من العبد فمن يمسك عليه وجوده

^{١١٨} الأسئلة ٢٠، ٢٨، ٣٧، ٤٨، ٥٩، ٦١، ٧٣، ٧٧.

^{١١٩} الأسئلة ٢٤، ٢٩، ٤١، ٥٠-٥٤، ٥٨.

^{١٢٠} الأسئلة ١٨، ٤٧، ٥٥، ٦٩، ٧٦.

طبقًا لآية ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾؟ وإذا تخلص الأنبياء من الشرك فكيف يؤمرون بالإخلاص؟ وما تأويل إضافة الله الجوع والظما إلى نفسه؟^{١٢١}

وتظهر موضوعات علم الكلام الكشفي مثل مقام المحبة، وشكوى المحب من البعاد بالرغم من كشفه له في قلبه. وأيهما أفضل في الحب الوصل أم الهجر، الشوق للمحب أم الاشتياق للمحبيب؟ ويظهر مقام الفناء والبقاء وأيهما أسلم؟ ومقاما الشكر والصبر على بلاء الأولياء، وهل الشكر واجب؟ وإذا كان الزهد ترك شيء ليس للزاهد فهو جاهل لأنه يزهد فيما لا وجود له. ويظهر موضوع الأولياء وهل تستطيع أرواحهم الوصول إلى الأخلاق؟ وهل الولي كثير الكرامات أم قليلها؟ والترقي في مقامات السالكين هل هو للإنس والملائكة أم للإنس وحدهم؟ والحضور والغياب صفتان لله أم حالتان للنفس؟ ولماذا لا تحزن الأكابر على ما فاتهم من أمور الدنيا، والحزن على فوات الطاعات محمود؟ وهل يصح الأنس بالله من الخلق مما يتطلب مناسبة بين الخالق والمخلوق؟ وهل تجلياته في القلب هي عين ذاته في الحق؟ وهل بعد الفتح على المسالك خوف من جهة مكر الله أم يزول عنه الخوف ويصبح في أمان؟ وهل تصح الخلوة مع الله بنور الإيمان وهو ليس في مكان؟ وهل الطريق حقيقة أم كشف؟ وما هو أقرب طريق للوصول إلى الهزة؟ ولماذا يعاقب الإنسان إذا ما اتبع هواه؟ وأيهما أفضل البقاء في البيت أم السباحة في البوادي؟^{١٢٢}

ومن موضوعات التصوف الخلقي، الفضائل والردائل. والرياضة والمجاهدة في أول الطريق في التصوف النفسي. وهل يمكن زوال الصفات الروحية للنفس والقناعة؟ وفي الصفة والأخلاق كيف يذهل العارف في الصلاة؟ ولماذا ذم الخشوع في الصلاة والله مدح الخاشعين؟ وكيف تتكون الأعمال الصالحة بعلاقة الشيخ بالمريد أم بجذب الله؟ كما تظهر نظرية العلم الكشفي مثل: هل يصح سلب اليقين من العبد كما يسلب العلم؟ وهل يأتي الإلهام لمن صفت نفسه من الكدورات؟ وهل في المنام يقع تكييف الواقع طبقًا للحق أو هو راجع للعبد؟ ولماذا الإشارات والرموز التي لا يفهما أحد من الإنس والجن مع أنها علوم قائمة على قواعد الشريعة؟ وكيف تعقل الوحدة والإنسان لا يقل إلا اثنين: الروح والجسم، وليس وحدتهما؟^{١٢٣}

^{١٢١} الأسئلة ٩-١١، ١٢، ٢٢، ٦٠، ٦٦.

^{١٢٢} الأسئلة ١٥-١٦، ١٩، ٢١، ٢٧، ٣٣، ٣٦، ٣٨-٣٩، ٤٤-٤٦، ٤٩، ٥٦، ٦٢، ٦٤، ٦٧، ٧٠-٧٠، ٧٤.

^{١٢٣} الأسئلة ٤٠، ٤٢-٤٣، ٦٣، ٦٥، ٦٨، ٧٥، ٧٨-٨٠.

(١٠) «الفتح الرباني والفيض الرحماني» للنابلسي (١١٤٣هـ)^{١٢٤}

وهو نفس العنوان لكتاب الجيلي. ويمثل العودة إلى علم الكلام بقراءة صوفية. وهو مقسم إلى أبواب. الأول في بيان الذنب. والثاني في التوبة. والثالث في العقيدة الصحيحة خاصة فيما يتعلق بالكلام المنزل على محمد. والرابع في بيان الكفر، كفر اليهود والنصارى والمجوس وبقية المشركين. وحقيقة النفاق. والخامس في الإسلام. والسادس في الإيمان. وتدخل معظمها باستثناء الباب الثالث في موضوع الإيمان والعمل في علم الكلام.^{١٢٥} وتبرز الموضوعات بألفاظ الوصل والتنبيه والإيضاح.^{١٢٦} ويعتمد على القرآن والحديث والشعر.^{١٢٧} ومن الصوفية يذكر ابن عربي ثم الشعراني ثم الجنيد، ومن الصحابة أبو بكر، وعمر وعلي الرضا. ومن الفقهاء أحمد والشافعي وأبو حنيفة ومالك. وابن حجر. ومن الفرق اليهود والنصارى والنصيرية.^{١٢٨} والخطاب موجه إلى الإنسان.^{١٢٩} والمؤلف هو «العبد المفتقر إلى مولاه والراجي عفو ربه وهده» نابلسي نسباً، وحنفي مذهباً، وقادري مشرباً، ودمشقي وطناً ومولداً.^{١٣٠}

(١١) «سلك الدرر في ذكر القضاء والقدر» لابن عجيبة (١٢٢٤هـ)^{١٣١}

وهي رسالة في موضوع جزئي في علم الكلام دفاعاً عن عقائد الصوفية كما جرت العادة في التأليف المتأخر خاصة في مؤلفات ابن عربي التي تبدأ بإعلان عقيدته السنية

^{١٢٤} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.

^{١٢٥} من العقيدة إلى الثورة، ج ٥، الإيمان والعمل الإمامة، ص ٥-١٦١.

^{١٢٦} الآيات (١٤٢)، الأحاديث (٥٨)، القدسية (٢)، الأشعار (٢٨).

^{١٢٧} مثل وصل (٢٣)، وصل لإيضاح الأصل، وصل لهم (٤)، وصل آخر، وصل فيه رجوع إلى الأصل (٣)، وصل موضوع وصل مهم، وصل متمم للأصل، وصل في بيان هذا الفصل، وصل له عنوان ... إلخ (١).

^{١٢٨} ابن عربي (٣)، الشعراوي (٢)، الحسن البصري، أبو العباس المرسى، علي زين العابدين، الدينوري (١).

^{١٢٩} «اعلم أيها الإنسان»، السابق، ص ٧.

^{١٣٠} الفتح الرباني، ص ٦.

^{١٣١} اللطائف الإيمانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ (٧) ص ٢٦٩-٢٩٣.

الأشعرية. وبالرغم من صغر الرسالة إلا أنها تضم خمسة أبواب كما يُعلن عن ذلك في المقدمة. الأول في حقيقة القدر. والثاني في الاستدلال عليه من النص. والثالث في الحكمة والقدرة. والرابع إبطال العدوى والغيرة. والخامس اكتساب اليقين.^{١٣٢} والخطورة هو الدفاع عن العقيدة الشعبية التي طالما نقدها المصلحون قبل الأفغاني، بالرغم من إنكار الفأل والطيرة دون الاتساق في نقد الأزمات والأنصاب والحسد وكل مظاهر الخرافة والتعرف على المستقبل أو الاستسلام للماضي. والطاعون ليس قدرًا يفر منه بل مرض يعالج بالحجر الصحي لعدم انتقال العدوى ثم بالأدوية الخاصة به، والمادة انتقائية من القرآن والحديث والشعر طبقًا للتدرج النمطي.^{١٣٣} كما يعتمد على أقوال الصوفية والفلاسفة والخلفاء الراشدين.^{١٣٤} وينتهي الاقتباس بعلامة «أ.ه»، ويلحق بها بعض الحكايات المستخرجة لإقناع الناس بالعقيدة الشعبية والاستسلام لها.^{١٣٥}

(١٢) «طي السجل» للرواس (١٢٨٧هـ)^{١٣٦}

وهو عنوان من آية كريمة.^{١٣٧} ويعني نهاية العالم، وقفل الملفات، وانتهاء الحياة على الأرض، وطي السماء كما نطوي الكتب. كما يعني كشف الحقائق ونهاية عالم الظاهر، ظاهر الحياة الدنيا، وبداية عالم الباطن، عالم الروح، نهاية الفقه وبداية التصوف، نهاية أعمال الجوارح وبداية عالم القلوب.

ويمتد نسب المؤلف إلى الرسول. فالصوفي لم يعد مجرد عالم بل هو عالم بامتياز، صاحب خوارق.^{١٣٨} والتأليف لديه إلهام بل إنه المحقق أيضًا، أبا عن ابن، ملهم من

^{١٣٢} السابق، ص ٢٧٠.

^{١٣٣} الآيات (٦٠)، الأحاديث (٢٠)، الأشعار (٥).

^{١٣٤} من الصوفية الترمذي، الشاذلي، أبو العباس المرسى، الدرقاوي (١)، ومن الفلاسفة ابن رشد (١)، ومن الخلفاء عمر بن عبد العزيز (١).

^{١٣٥} سلك الدرر، ص ٢٨٣.

^{١٣٦} دار البشائر، دمشق، ١٩٩٧م/١٤١٧هـ.

^{١٣٧} هي الآية ١٠٤ من سورة الأنبياء ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ﴾.

^{١٣٨} «خوارقه الشريفة وأحواله المنتقية رضي الله عنه»، طي السجل، ص ٢٣-١٩.

السماء. جمع ما تبقى من نظم المؤلف.^{١٣٩} وهو من العراق، من البصرة إلى بغداد. يشعر المحقق أمامه بالذل إجلالاً لعظمته، وهي بداية الطريقة والمناقب، وتعظيم المشايخ وتوالي الألقاب.^{١٤٠} رأى الرسول سبعين مرة.^{١٤١} يؤلف شعرًا ونثرًا. فالتجربة الشعرية والتجربة الصوفية صنوان. ويشرح عقيدة الصوفية شعرًا لتبرئتهم.^{١٤٢} والأدعية والمناجاة بداية التصوف العملي مثل مناجاة المؤلف يتوجه بها إلى الله بعيدًا عن العالم.

والتصوف هو الحل. به تنتصر الأمة.^{١٤٣} وهم أبرياء عما لصق بهم من التهم.^{١٤٤} مهمة المؤلف القضاء على البدع والابتداع، والدفاع عن التقليد والاتباع.^{١٤٥} ويدافع عن التوسط والاعتدال ضد التعصب المذهبي والتشدد الديني. يدافع عن التنزيه ضد الاتحاد. ولا يشق عصا الطاعة على الحكام.^{١٤٦} فالمحكوم هو الفرع، والحاكم هو الأصل. الصوفية

^{١٣٩} سماه لكيبكة من رجال الآل تزرى بالبدور وتميس لثباتها الرجال هم سادة محافلنا وقادة جحافلنا» طي السجل، ص ١٩-٢٣.

^{١٤٠} ألقاب المؤلف هي «العلامة الكبير، والفهامة التحرير، القطب الفرد الجامع، الوارث المحمدي، والنائب الأحمدي»، والمحقق والمعلق هو الفقير إلى الله تعالى. عفي عنه». السابق، ص ١. وهو «طفيلي مائدتهم وخادم نعال القائمين بحضرتهم وروضتهم. السابق ص ٢.

١٤١

رأيت رسول الله سبعين مرة تجهزني حالاً إلى خدمة الشرع

السابق، ص ٢.

^{١٤٢} السابق، ص ١٠٥-١١١.

^{١٤٣} «وهم المقصودون في حديث «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين».

^{١٤٤} شرح عقيدة القوم الذين برأهم الله في عالم قدسه من اللوم، طي السجل، ص ٣٢-٣٣.

^{١٤٥} مشهد الأتباع، والتبري من الإبداع، والابتداع، وشغف القلب يجيب الرب، السابق ص ٣٩-٤١.

١٤٦

ويصلتني سيفًا على كل بدعة وأصحابها أهل الغواية بالطبع
وأن لا أرى التشديد في الدين منهجًا وأن لا أرى قبض العنان عن الردع
وأن لا أرى شق العصي ذريعة وأن أر حكم الوصل للأصل بالفرع

السابق، ص ٢.

هم أهل الحق، أهل الإيمان الكامل والاتباع الصادق.^{١٤٧} وهم المجددون لأمر الدين.^{١٤٨} هم الفرقة الناجية كما تدعوها السلفية، أهل السنة والجماعة، والبيعة معهم ولهم وبهم كأصحاب الطرق وليس كولاة الأمر، تحولاً من السلطة السياسية إلى السلطة الدينية. والرفاعي هو النائب.^{١٤٩} تظهر صلتهم بالحكام الذين بدءوا باستغلال الطرقية كدين شعبي للسيطرة على العامة، وإلهائهم به بعيداً عن شئون الأمة والمصالح العامة. يؤخذ بيد ولي الأمر، وإسعافه بالسر، والدعاء له بالجهر، بداية بالخطاب المزدوج، النقد سرّاً والمدح علناً.^{١٥٠} ولا يملك المسلمون إلا الدعاء للإمام بالحكمة والموعظة الحسنة.^{١٥١} وتجب طاعة الإمام في مقابل رعايته لسادة القوم وشرائه للنخبة.

ويتضمن الكتاب عشرة موضوعات بلا ترقيم، وبلا أبواب وفصول مما يعلن عن نهاية البنية النظرية. الأول مقدمة المؤلف وفيها يعلن عن أن التصوف هو الكل، وأن الصوفية تعم الفرقة الناجية، وأنهم المبدعون والمجددون، أصحاب التوحيد والتجريد والاتباع دون الابتداع. بهم تنتصر الأمة. وهم الظاهرون على الحق إلى يوم القيامة. والثاني في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، متحولاً من الخارج إلى الداخل، ومن العالم إلى النفس، ومن الآخر إلى الأنا. والثالث الجهاد في سبيل الله متحولاً أيضاً من الخارج إلى الداخل ومن جهاد العدو إلى جهاد النفس، ومن الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، بالرغم من الإفاضة والتفصيل في الجهاد الأصغر مثل اقتناء الحيل وإعداد وسائل القوة، والغدوة والروحة وغزو البحر دون الاكتفاء بالأرض، والآثار الوخيمة للنكوص والتخلف، وأهمية النية ونيل الشهادة. ولا ينسى فضل الذكر والصلاة والصوم في الفرد والجهاد. والرابع في الجهاد الأكبر بمناجاة المولى بالأدعية الماثورة والآيات والسور المشهورة. والخامس ذكر الله والسماع والإنشاد ومقامي المحبة والشكر. والسادس

^{١٤٧} السابق، ص ٤٣-٤٨.

^{١٤٨} السابق، ص ٤٨-٥٢.

^{١٤٩} «الأخذ بيد ولي الأمر وإسعافه بالسر والدعاء له بالجهر»، السابق، ص ٣٨٤-٣٨٥، موقف المسلمين من إمامهم الذين يلي أمرهم والدعاء له»، السابق، ص ٣٨٥-٣٨٩.

^{١٥٠} «الإمام الذي تجب طاعته، وما يجب عليه للآل الكرام الذين هم سادة الناس وساداته»، السابق، ص ٣٩٧-٣٩٩.

^{١٥١} السابق، ص ٣٠٣-٣٠٥، ٣٢٧-٣٥٦.

الصلاة، والسابع معجزات الرسول بالتفصيل بداية بالتشخيص، الحقيقة المحمدية. والثامن كرامات الأولياء التي تستأنف معجزات الأنبياء. والتاسع الطريقة، وفي مقدمتها الرفاعية من خمس عشرة طريقة. والعاشر «شوارق الإرشادات وبوارق البشارات» عن المعرفة اللدنية وهي أكبرها.^{١٥٢} ويصبح الكتاب وكأنه في الفقه أولاً وفي التصوف ثانياً. المقدمة في أصل الدين والموضوعات الأربعة الأولى في الفقه، والموضوعات الخمسة الأخيرة في التصوف. وأحياناً يتم تناول موضوع صوفي من منظور فقهي مثل الذكر، صمماً أم جهازاً، وحكم السماع بين التحريم والتحليل ورأي الفقهاء وليس الصوفية فيه.

ويعتمد الكتاب على كثير من الأدلة النقلية، الحديث أولاً ثم القرآن ثانياً ثم الشعر ثالثاً.^{١٥٣} كل الأدعية من القرآن. وأحياناً تتوالى الآيات في زخات متتالية دون أي تحليل عقلي.^{١٥٤} ويذكر نفس الحديث بروايات متعددة وصياغات مختلفة حرصاً على شكله أكثر من الحرص على مضمونه، عوداً إلى علم الحديث الذي منه خرج التصوف الخلقي في القرنين الثاني والثالث. وتتوالى الأحاديث في دفعات وكأن الكتاب في علم الحديث دون أي تحليل عقلي أو شعوري للموضوع. وتستعمل أحاديث الرسول في المنام مثل بعض الأحاديث القدسية لمزيد من الإخراج والتشويق في الفن القصصي، ولتبرير شرعية الطرق الصوفية. ومعظم المعجزات روايات وليست أقوالاً، خيالية وليست واقعية. أما الشعر فإنه صنو القرآن في الوجدان العربي، يقومان بنفس الوظيفة الأدبية.^{١٥٥} ويستشهد أيضاً بعدد من الآثار والأخبار وأقوال الصوفية والإسرائيليات. ويحال إلى بعض المصادر المدونة. ومنها تؤخذ بعد الاقتباسات بعلامة «انتهى».^{١٥٦}

^{١٥٢} الترتيب الكمي: العاشر (١١٣)، التاسع (١٠٥)، السابع (٥٥)، الخامس (٤٩)، الثالث (٣٣)، الثامن (٢٤)، الخامس (٢٢)، المقدمة (٢١)، الرابع (٢٠)، الثاني (٤).

^{١٥٣} الأحاديث (٥٧٢)، الآيات (١٦٩)، الأشعار (١٠١).

^{١٥٤} طي السجل، ص ١٠٠-١٠٥.

^{١٥٥} «دخل رجل على الرسول فوجد قوماً عنده يقرءون القرآن، وآخرون ينشدون الشعر فسأل: يا الله قرآن وشعر؟ فأجاب «من هذا مرة، ومن هذا مرة»، السابق، ص ١٥٤-١٥٥.

^{١٥٦} السابق، ص ٢٨٣-٣٥٨.

(١٣) رسائل الكتاني (١٣٢٧هـ)

(أ) «سلم الارتقاء في منشأ التصوف ووجوب شيخ التربية»^{١٥٧}

وهو دفاع عن التصوف وإحلاله محل علم الكلام. إذ يُعتقد أن التصوف مخالف لظاهر الشريعة في حين أن مراتب الناس بين الظاهر والباطن. والملازمة مجرد شبهة. وعلم الحديث وعلم رياضة النفوس شيء واحد. والسؤال يوم القيامة عن علمي الكتاب والسنة. وعلم الفقه والتصوف علم واحد. والله لا يقبل إلا العبادة الخالصة، وذكر الله عبادة له. ولا يوزن من طلب الله بميزان غيره. وعلوم الحكمة وعلوم الكشف علوم واحدة. والنص مجمل باستثناء أربع وصلات في النهاية عن تغير الزمان وعن «شيخ التربية»، وهو ما يسميه الدروز «شيخ العقل» والشيعة «المهدي». وجوده حتمي ومستمر لا ينقطع. له أوصافه. ومنه يستمد الصالحون أوصافهم.

(ب) «البحر المسجور في الرد على من أنكر فضل الله بالمأثور»^{١٥٨}

وهو كتاب سجالي دفاعاً عن التصوف ضد منتقديه، وإثبات أن الصوفية هم الفرقة الناجية، وليس المتكلمين أو إحدى فرقهم. وينقسم إلى ثلاثة فصول: الأول والثاني بلا عناوين، الثالث بعنوان «المقصد». ومع ذلك يتناول الأول حصر أصناف المنكرين على الصوفية عن عيان أو إشاعة ودعاية أو بسبب الأهواء وحظ النفس، والثاني يستدل بقصة الخضر على أحوال الصوفية. وهي غير منسوخة. تعضدها الشريعة. وتبين أهمية العلم اللدني وحتمية السفر إلى طلبه. يقوم إنكارها على استحالة خرق العوائد، وإنكار الحساب الخيالي. وقد كان سر التقاء موسى بالخضر الإذن في تعلم الحقائق وبثها وقبول السامع لها حتى لا يخالف ظاهرها الشرع. والثالث المقصد هو نفي قول الصوفية بالحلل والاتحاد، وإثبات الفرق بين إيمان العوام وإيمان الخواص، مع إيراد ثبوت بمصطلحات الصوفية. وتعني بعض أقوالهم، وليس ألفاظهم مع وضع ضوابط للتكفير وبيان موانعه. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر.^{١٥٩} ومن الأنبياء بطبيعة الحال يذكر الخضر ثم موسى، ومن الصوفية يذكر الغزالي ثم الجنيد والبسطامي، ثم الخدري،

^{١٥٧} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (٢)، ص ١٥٣-١٩٩.

^{١٥٨} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (١)، ص ٦٩-١٥٠.

^{١٥٩} الآيات (٩٣)، الأحاديث (٤٢)، القدسية (١)، الأشعار (١٨).

والخراز، وابن الفارض، والكرخي، والشعراني. ومن الفقهاء أبو حنيفة، ثم الجرجاني والآمدني وابن الحاجب وغيرهم.^{١٦٠} ومن المصادر يقتبس من «فيصل التفرقة» للغزالي، ومصادر أخرى خاصة كلامية وفقهية.^{١٦١} وكما يدافع الفقهاء عن الصوفية يدافع الصوفية عن الفقهاء واستنباط الأحكام نظرًا لتغير الزمان وتجدد الوقائع.^{١٦٢}

(١٤) «القول المقبول فيما تتوصل إليه العقول» لأحمد المستغامي (١٣٥٣هـ) ١٦٣

وهو في علم الكلام الصوفي كما يبدو ذلك من سبب التأليف.^{١٦٤} لذلك جاءت العقائد شعورية على ثلاثة أقسام. الأول فيما يجب على المكلف الشعور به وهو التوحيد، والثاني فيما يجب التسليم به وهي الأخرويات. والثالث فيما يجب الإيمان به وهي النبوات. والإيمان اعتقاد وإقرار. ومع ذلك يقوم على بعض الأدلة النقلية من القرآن والحديث دون أقوال الصوفية.^{١٦٥}

^{١٦٠} من الأنبياء: الخضر (١٨)، موسى (الكليم) (١٥)، من الصوفية: الغزالي (٧)، الجنيد، البسطامي (٢)، الشعراني، الخدري، الخراز، ابن الفارض، الكرخي (١)، ومن الفقهاء والمتكلمين: أبو حنيفة، الجرجاني، الأمدني، ابن الحاجب (٢)، مالك، الأسيوطي، المخزومي، ابن حجر، المالكي، السبكي، الأنصاري، السعد، اليوسي، الأشعري، الحاكم، الإيجي، التفتازاني، المحلي، الأمدني، ابن الهمام (١).

^{١٦١} «فيصل التفرقة» للغزالي (٤)، «شرح المواقف» للجرجاني، و«الروضة» للنووي (٢)، «تنبيه الغبي في تبرة ابن عربي» للأسيوطي، «تحرير المطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب» للمالكي، «أسنى المطالب» للأنصاري، «شرح المقاصد» للسعد، «الحواشي الكبرى» لليوسي، «مقالات الإسلاميين» للأشعري، «المختصر من كتاب المنتقى» للحاكم، «شرح المواقف» للأيجي، «التلويح» للأيجي، «القشيرية»، «المنقذ من الضلال»، «الإحياء» للغزالي، «شرح المنهاج» لابن دقيق العيد.

^{١٦٢} «ومن هذا ارتكب الأمة الاستنباط. فألحقوا ما حدث بما لم يحدث، وإلا فسائر جزئيات العبادة المنصوص عن الفقهاء اليوم بالضرورة لم تكن موجودة في زمن (الرسول) ولم تقع. ولو وقعت ونص عليها ما وجدنا لمن يتصرف اسمه الاجتهاد لأن ليس ثمة ما تستفرغ فيه الطاقة والجهد حتى يقال لمن قام به: مجتهد لأنك فرضت أن جزئيات العبادات وغيرها وقع الإفتاء في جملها وتفصيلها في زمنه...»، السابق، ص ٨٩.

^{١٦٣} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م (٤) ص ١٤٧-١٥٦.

^{١٦٤} «قد سألتني بعض المحبين أن نذكر له نبذة من عقائد الدين بكيفية يسهل تناولها للمبتدئين بدون احتياج لفهم اصطلاح المناطق في ترتيب المقدمات ونتائج البراهين»، السابق، ص ١٤٧.

^{١٦٥} الآيات (٢٠)، الأحاديث (١).

(١٥) «تبرئة الذمة في نصح الأمة» لجامعه محمد عثمان عبده البرهاني^{١٦٦}

وهو نموذج التأليف الذي يقوم على النقل من السابقين دون فكر نظري أو إبداع فكري. وهو ما يعترف به صاحبه بأنه جامع وليس مؤلفًا. وبالرغم من إمكانية تفسير العنوان في أكثر من اتجاه عملي لأنه ينصح الأمة أو أخلاقي لأنه يبرئ الذمة إلا أن موضوعه الرئيسي هو ما سماه الصوفية «الحقيقة المحمدية» أي إنه موضوع نظري منذ ذي النون حتى ابن عربي. وله عنوان فرعي «تذكرة أولي الألباب للسير إلى الصواب». ويدل على اتجاه عملي مغلق. فهناك طريق واحد هو الصواب ودونه خطأ مما ينفي التعددية الفكرية أي الأيديولوجية العملية أي السياسة. صاحبه مؤسس الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية أي إنه شيخ طريقة.^{١٦٧}

وينقسم إلى أربعة أجزاء وكل منها له عنوان طويل. الأول فضل النبي وأسبقيه نوره، وبيان أن كل الديانات مستمدة منه وخصائصه. وهي الحقيقة المحمدية وجودًا ومعرفًا ووحيا، ولزوم محبته وشفقته على أمته، ونزول جبريل عليه بالقرآن والهداية، وحديث عن الخضر وإلياس، وخاتم الأنبياء، وعموم نبوته للخلق، لم يصل أحد إلى قربه من العرش مثله، وقدسية روحه وكماله المعنوي، ووفاته الشريفة. وهو ولي الأولياء ورئيس المقربين والعارفين والزاهدين والمؤمنين العاملين قدوة للناس، وشفاعته لهم. والثاني قصة الإسراء والمعراج وإثبات رؤى النبي للمولى وما جاء في كتاب جواهر البحار وهو التفسير الحسي الجسمي المكاني للإسراء والمعراج مع الاعتماد على المصادر المدونة وإثباتها بالجسم والمكان والحركة، والرد على من جعلها بالروح، معجزة له مثل كرامة الولي. والثالث جواهر جلال الدين السيوطي ومحبي الدين بن عربي أي مجرد نقل عن القدماء دون موضوع محدد مع أن المضمون في ما بلغ عنه الرسول من شريعة وشفاعته واختصاصه إعجاز القرآن، ودعوة الناس كافة، وبقسم الله حياته وعدم سؤاله في القبر، وتحريم نكاح أزواجه، والجمع بين الشريعة والحقيقة، والرؤية الصادقة، والكلام بغير واسطة، والجمع بين النبوة والسلطة، وشرح الصدر، ووضع الوزر، ورفع الذكر، وطاعته، ووصفه في القرآن، وتقضيله بناته وزوجاته وأصحابه، والصلوات، والعمامة والائتزار. وذكره

^{١٦٦} مطبوعات الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية، (د.ت).

^{١٦٧} قابلته في الخرطوم عام ١٩٧٦م لأتعرف على الطريقة في السودان وإمكانية تحويلها إلى حزب نوري، ورأيته يبصق على الأرض، ويأخذ المريدون بصاقه ليدهنون به ساقيه فاحجمت.

في التوراة والزبور، وبقاء أمته، ومقامه المحمود، وشفاعته، وولائه للمؤمنين، وأول من يجتاز الصراط، ويدخل الجنة. يشاور ويقابل ويزكي ويحلل ويحرم. ويقبل وهو صائم، ويلعن. معصوم من الذنوب ... إلخ. والرابع مراتب الدين والسير إلى الله، وفيه مراتب الغيب وأسرار الفتنة الكبرى، والوسيلة والتوسل والتبرك بآثار الصالحين، والشفاعة مرة أخرى. فالرسول هو الطريق إلى الله. والنظر بنوره والتوسل به والسير إلى الله عن طريقه. وهو سابق لآدم ويعقوب ويوسف. ويتلوه الحسين وزين العابدين والخلفاء وبلال وأبي سفيان. ويدعم مكانة الشيخ إبراهيم القرشي الدسوقي. وأكبرها الثالث.^{١٦٨}

والدافع الرئيسي على التأليف ليس فقط نجاح وذيوع الكتاب الأول «انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان» للمؤلف نفسه على منوال كتاب ابن تيمية الشهير ضد الصوفية «الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» للرد على العقائد الفاسدة بل بسبب تغير معالم الدين بسبب نقص المعرفة والإرشاد وتصنيف الأحاديث وتأويل الآيات حسب الأهواء، والانتقاص من قدر الرسول، واستحالة وجود نبي أو ولي أو إمام بعد الرسول، والحكم عليه بأنه كان جاهلاً قبل أن يأتيه الوحي وهو ما لاحظته أيضاً المريدون.^{١٦٩}

ويعتمد على الأدلة النقلية إلى الحد الأقصى وبالمئات من الآيات والأحاديث والأشعار. كل منها بالمئات بحيث لا تكاد تخلو صفحة واحدة من آية أو حديث أو بيت شعر. كما يعتمد على مصادر مدونة لتقي الدين السبكي وعبد الكريم الجيلي ومصطفى البكري وابن أبي الدنيا في «كتاب الأولياء»، والحكيم الترمذي في «نوارد الوصول» وأبي محمد الخلال في كتاب «كرامات الأولياء». كما يقتبس من كلام البسطامي والغزالي. ويستمد الجزء الثالث كله من جواهر جلال الدين السيوطي وجواهر ابن عربي فيما يتعلق باختصاصات النبي. أما الجزء الرابع فإنه يستند إلى تفسير الفاتحة للإمام الحسين ورسالة «مرآة العارفين» للإمام زين العابدين و«خطبة الكوفة» لعلي بن أبي طالب، كما يعتمد على آثار الأنبياء مثل إبراهيم ويوسف والصحابة والصالحين، ويعترف المؤلف في المقدمة بأنه اعتمد على مصادر مكتوبة.^{١٧٠}

^{١٦٨} الأول (٧٨ص)، الثاني (٦٢)، الثالث (١١٢)، الرابع (٥٩).

^{١٦٩} تبرئة الذمة، ص ٣-٤.

^{١٧٠} «وقد رجعنا فيما كتبنا لكتب السادة الأعلام سيدي عبد القادر الجيلاني، وسيدي محيي الدين بن عربي، والشيخ النابلسي، والشيخ عبد الكريم الجيلي، والشيخ جلال الدين السيوطي، والشيخ جلال

(١٦) رسائل الخالدي

(أ) «البراهين القطعية في أن الصوفية هم الجامعون للتربية النبوية والمتحركون بالنسبة المحمدية»^{١٧١}

وهو دفاع من الصوفية باعتبارهم الفرقة الناجية كرد فعل على الهجوم عليهم. وتقوم أيضًا على الاقتباسات والمنقولات من البداية إلى النهاية.^{١٧٢} والموضوع مكرر من الرسالة السابقة.^{١٧٣} وهو سبب التأليف، إثبات اتفاق الصوفية مع السنة وأنه لا فرق بين الصوفية والفقهاء. فالفقهاء صوفية، والصوفية فقهاء.^{١٧٤} الغاية النصح.^{١٧٥} ويتضمن أربعة موضوعات تحكمه منذ البداية: الأول نظرة عن التصوف والصوفية كما تفعل الدراسات الثانوية. والثاني التصوف فرض عين وبه يتحقق مقام الإحسان وهو ما يخرج عن حكم الفقهاء، أنه فرض كفاية. والثالث الصوفية هم الوارثون للأخلاق النبوية

الدين المحلي، والشيخ ابن حجر العسقلاني، والإمام الذهبي، والشيخ إبراهيم اللقاني، والشيخ المقرئ، والشيخ أبي طالب المكي، والشيخ الطوسي ابن نديم، وكتاب جنة الخلد للشيخ عبد الرازق المحدث، وكتاب نفح الطيب لابن تيمية (وهو ليس لابن تيمية)، السابق، ص ٤.

^{١٧١} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤ م (٢) ص ٢٧-٤٦.

^{١٧٢} «المقططات من ابن عجيبة والكلاباذي وحديث ضعيف» الشريعة مقال، والطريقة فعال والحقيقة مالي، السابق، ص ٥، ونص الكلاباذي من «التعرف». والصوفية هم الذين سبقت لهم من الله الحسنى، وألزمهم كلمة التقوى، وعزف بنفوسهم عن الدنيا، صدقت مجاهداتهم. فنالوا علم الوراثة. وصفت سرائرهم فأكرموا بصدق الفراسة. ثبتت أقدامهم وزكت أفهامهم، وأنارت أعمالهم، فهموا عن الله وساروا إلى الله، وأعرضوا عما سوى الله. خرقت الحجب أنوارهم. وجالت حول العرش أبصارهم، فهم أجسام روحانيون. وفي الأرض سماويون»، السابق، ص ٢٥.

^{١٧٣} «فإن التمسك السنة المحمدية أساس السعادة في الحياة الدنيوية والأخروية والسنة النبوية أفعاله وأقواله وأخلاقه. فمن اتبع أفعاله أو أقواله أو أخلاقه فقير تابع لسنته، ولا يهتدي بهديه. فالذي يدعي أنه نبي ولا يعمل إلا بأقوال النبي أو أفعاله أو أخلاقه فليس بنبي. والنبي الحقيقي هو من جمع بين أفعاله وأقواله وأخلاقه. وما جمعها إلا الصوفية. فالذي نسب السنة لنفسه والبدعة لغيره فمن يعمل ببعض أفعاله وأقواله فحجته باطله. ولرفع هذه الإشكالية ألقت هذا الكتاب الصغير الحجم»، السابق، ص ٢٧.

^{١٧٤} «وما أريد من هذا التأليف وهذا التوضيح إلا النصح»، السابق، ص ٤٦.

^{١٧٥} السابق، ص ٢٧.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

وبالتالي هم الفرقة الناجية. والرابع الصوفية هم خلفاء الله في البرية. يتصرفون في الكون بهمتهم العالية. ويعتمد على الأشعار ثم الآيات ثم الأحاديث.^{١٧٦} كما يقتبس أقوالاً من ابن عجيبة ثم الشاذلي ثم الجنيد ثم الحسن البصري والحريري والكلاباذي وزروق والغزالي والبوصيري والجيلاني من القدماء، والبوزيدي وأبو مدين والوزاني من المحدثين.^{١٧٧} ومن الفقهاء العز بن عبد السلام، ويحيل إلى بعض مؤلفاته الأخرى ومؤلفات الصوفية الآخرين.^{١٧٨}

(ب) «برهان العيان بأن التصوف في الإسلام كالقلب في الأجسام»^{١٧٩}

وهو تأليف الهدف منه الدفاع عن التصوف ضد منتقديه، وبيان أنه لب الجسم كما يدل العنوان. ولا يوجد سبب خاص للتأليف إلا التأليف ممن «زاده الله في المدد آمين».^{١٨٠} ويعلن المؤلف عن أبوابه الثلاثة في المقدمة: الأول «في الأعلام» وما قالوه في التصوف من كلام، والثاني «في التصوف وذكر رجاله». والثالث «في السلوك العام والنصح الذي هو نهاية الحرام».^{١٨١} وكلها منقولات عن آخرين أسوة بالتأليف المتأخر الذي هو أقرب إلى الدراسات الثانوية. وتنتهي الاقتباسات بلفظ «انتهى».^{١٨٢} وهو موجه إلى القارئ. ويعتمد على الشعر ثم الحديث ثم القرآن.^{١٨٣} ومن الصوفية يذكر الجنيد من القدماء ثم

^{١٧٦} الأشعار (٥٠)، الآيات (١١)، الأحاديث (٥)، القدسية (١).

^{١٧٧} ابن عجيبة (٨)، الشاذلي (٥)، الجنيد، الحسن البصري، سهيل، ابن عربي، ابن عطاء الله (٤)، الشبلي، الحريري، الكلاباذي، زروق، الغزالي، البوصيري، الجيلاني (١)، ومن المحدثين البوزيدي، أبو مدين، الوزاني (٢)، العز بن عبد السلام (١).

^{١٧٨} من مؤلفاته «قبسات الأنوار في شرح طريق الصوفية الأخيار». ومن الأعمال الصوفية «الإحياء»، و«الحكم العطائية»، «التنوير في إسقاط التدبير» لابن عطاء الله، «معراج التشوف» لابن عجيبة.

^{١٧٩} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م/١٤٢٥هـ (١) ص ٧-٢٤.

^{١٨٠} المؤلف ينتمي إلى مدرسة ابن عجيبة بالعرائش في المغرب. وله أيضاً: الأقباس النورانية في تعبير الرؤي الحسية والذوقية، ورسالتان عن ابن عجيبة: «قطرات جبرونية متعاقبة على عجيبة»، «الكرامات الربانية على الشيخ سيدي عبد القادر بن الشيخ سيدي عبد القادر بن عجيبة»، السابق، ص ٤.

^{١٨١} السابق، ص ٤.

^{١٨٢} انتهى (٤).

^{١٨٣} الأشعار (٢٠)، الأحاديث (١١)، الآيات (١٠).

ابن عجيبة من المحدثين ثم الشاذلي من القدماء والقشيري والتستري، وابن عطاء الله، ثم الحسن البصري والسبكي، والبسطامي، وأبو العباس المرسى، وزروق وعبد الرحمن المجذوب.^{١٨٤} ومن الفقهاء أحمد والسبكي وابن سريج ثم مالك والشافعي والشيرازي والعز بن عبد السلام، وابن دقيق العيد. ومن المتكلمين إمام الحرمين.^{١٨٥} ومن المذاهب الفقهية الشافعية. ومن المصادر «لطائف المنن» لابن عطاء.^{١٨٦} ولا يوجد فقيه إلا وأخذ علمه من الصوفية.^{١٨٧}

(ج) «الكنز الثمين في كشف أسرار الدين»^{١٨٨}

وهو وضع للتصوف مع باقي العلوم مثل القرآن والسنة والفقه والكلام. ويضم خمسة أبواب. الأول أسرار العبادات أي الفقه الباطني.^{١٨٩} والثاني التصوف وهو من أسرار الدين ولب كلام رب العالمين وروح العلم واليقين.^{١٩٠} والثالث القرآن وعلومه.^{١٩١} والرابع السيرة وأدعية الرسول.^{١٩٢} والخامس الفرقة الناجية.^{١٩٣} والمؤلف على وعي بالتبويب الخماسي

^{١٨٤} الجنيد (٤)، ابن عجيبة، الشاذلي (٣)، القشيري، التستري، ابن عطاء الله (٢)، الحسن البصري، الشبلي، البسطامي، عبد الرحمن المجذوب، أبو العباس المرسى، زروق (١).

^{١٨٥} أحمد، ابن سريج، السبكي (٢) مالك، الشافعي، الشيرازي، العز بن عبد السلام، ابن دقيق العيد (١)، ومن المتكلمين إمام الحرمين (١)، الشافعية (٢).

^{١٨٦} لطائف المنن (١).

^{١٨٧} «وإن غالب من يشار إليه من علماء الظاهر بوفرة العلم وإتقانه إنما نال بمخالطة بعض العارفين بالله، كابن سريج بمخالطة الجنيد، وعز الدين بن عبد السلام بمخالطة أبي الحسن الشاذلي، والتقي ابن دقيق العيد بمخالطة أبي العباس المرسى» (نقلًا عن ابن الحاج)، السابق، ص ١٣.

^{١٨٨} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م/١٤٢٥هـ (١) ص ٥-١٥٨.

^{١٨٩} مثل أسرار الشهادتين والطهارة والوضوء والغسل والتيمم، والأذان والصلاة والزكاة والصيام، الحج، وزيارة قبر النبي، والزكاة والجهاد والنكاح والبيع والإجازة، السابق، ص ١١-٣٤.

^{١٩٠} ويتضمن «أسرار علم الطريقة» و«منازل السائرين» و«أسرار علم الحقيقة»، و«الأولياء وعلامات الغوث»، السابق، ص ٣٥-٦٨.

^{١٩١} مثل: الظاهر والباطن، والحروف والإشارات والرموز، والمحكم والمتشابه، والتفسير والقدر، وسر الشفاء بالقرآن، السابق، ص ٦٩-٩٨.

^{١٩٢} مثل: نور محمد والصلوات والأحزاب والأدعية لتفريج الهم، السابق، ص ٩٩-١٣٨.

^{١٩٣} وتشمل: وسوسة الشيطان، والعهود المحمدية الخمسة، السابق، ص ١٣٩-١٥٨.

في المقدمة.^{١٩٤} ويعتمد على القرآن والحديث والشعر.^{١٩٥} لذلك تغلب الأدلة النقلية، وتغيب الأدلة العقلية. ويشرح القرآن بالحديث. ويذكر العديد من الصوفية يتقدمهم ابن عجيبة ثم الشعراني ثم علي الخواص وزروق ثم القشيري وغيرهم.^{١٩٦} ويحال إلى بعض المصادر المدونة مثل «الحكم» و«لطائف المنن» و«شرح العقائد النفسية» للتفتازاني و«حسن المحاضرة» للنبھاني. والكتاب كله يقوم على التجميع والاقتراسات بعلامة «انتهى» مثل الكتب الجامعية المقررة ومصنفات مشايخ الصوفية لتعليم المريدين. يخلو من الإبداع. ويساهم في تجميد التصوف وتحنيطه بالرغم من مخاطبة القارئ. الصوفية هم الفرقة الناجية مع تكفير الفرق الضالة.^{١٩٧} والمؤلف هو الأستاذ الصوفي. وهو صاحب كرامات. يرى الرسول في المنام مما يعطي المدرسة السلفية القديمة والحديثة الحق في رفض التصوف والصوفية وعقائدهم في الحقيقة المحمدية. ولا يشفع لذلك استعمال المعلومات الطبية الحديثة.^{١٩٨}

(١٧) «التصوف الشرعي الذي يجهله كثير من مدعيه ومنتقديه»

لسيد نور بن سيد علي^{١٩٩}

وهي دراسة حديثة دفاعاً عن التصوف الشرعي ضد مدعيه من الصوفية المزيفة ومنتقديه القدماء والمحدثين الصوفيين الشرعيين والإصلاحيين. فالتصوف الشرعي يسد الفراغ الروحي عند الأفراد والجماعات.^{٢٠٠} فقد نشأ التصوف كرد فعل روحي على

^{١٩٤} السابق، ص ٧-٥.

^{١٩٥} الآيات (١٣٠)، الأحاديث (٨٥)، القدسية (١)، الأشعار (٤٠).

^{١٩٦} ابن عجيبة (١٥)، الشعراني (٦)، علي الخواص، زروق (٣)، الشاذلي (٢)، جعفر الصادق، السهروردي، الجنيد، معروف الكرخي، الجزولي (١). ومن الفقهاء الشافعي ومالك والعز بن عبد السلام، ومن الفلاسفة الرازي. ومن المفسرين الواقدي.

^{١٩٧} الكنز الثمين، ص ١٤٠-١٤٥.

^{١٩٨} السابق، ص ١٦.

^{١٩٩} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م/١٤٢١هـ.

^{٢٠٠} ويستعرض آراء ابن تيمية وابن خلدون والرازي والشاطبي وابن القيم والسهروردي والجنيد من القدماء، والشاذلي ومحمد بن عبد الوهاب والندوي والعقاد وبدوي وإقبال والشرباصي، وشكيب أرسلان والسيد أحمد بالهند، ومحمود قاسم من المحدثين.

الحياة الدنيوية التي اتجه إليها الناس. اتهم بإسقاط التكاليف والتدبير بالرغم من دوره في نشر الدعوة الإسلامية خاصة في أفريقيا وآسيا وجهاده ضد المستعمرين كالسنوية والمهدية، ورد شبهه دعوة الصوفية للإفرنج لغزو القدس. التصوف طريق إلى الله بعون المرشد. شنع عليهم بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود وهم منها براء. الصوفية هم الفرق الناجية.

يعتمد على القرآن والحديث دون الشعر.^{٢٠١} ومن الصوفية يذكر الجنيد ثم السهروردي والجيلاني، ثم السري السقطي، والشبلي، ثم القشيري، ثم البسطامي، وعمر المكي، ثم الحسن البصري وإبراهيم بن أدهم والسلمي وغيرهم. ومن الفقهاء ابن تيمية وابن القيم ثم التهانوي، ثم الشاطبي، ثم محمد بن عبد الوهاب، ثم رشيد رضا، ثم الفقهاء الأربعة، وغيرهم. ومن الصحابة عثمان.^{٢٠٢} ويحال إلى بعض المصادر الصوفية المتأخرة.^{٢٠٣} ومن الفرق يذكر الصوفية أولاً.^{٢٠٤}

^{٢٠١} الآيات (١٢)، الأحاديث (٧).

^{٢٠٢} الجنيد (٢٠)، جابر الجزائري (٨)، السهروردي، الجيلاني (٥)، السري السقطي، الشبلي (٤)، الثوري، القشيري (٣)، شقيق البلخي، البسطامي، عمرو بن عثمان المكي (٢)، الحسن البصري، عبد الواحد بن يزيد، إبراهيم بن أدهم، حاتم الأصم، نقشبند، الجشطي، السلمي، الحريري، الداراني، الفضل البلخي، ومن المحدثين: محمود قاسم (٨)، النوري (٥)، بدوي (٣)، العقاد، الشرباصي، شكيب أرسلان، محمود صبحي (٢)، أبو زهرة، عبد الحليم محمود، الدهلوي، عبد القادر عيسى، عبد الله بدران، صالح العثيمين (١)، ومن المستشرقين ماسينيون. ومن الفقهاء ابن تيمية (٢٧)، ابن القيم (١١)، التهانوي (٩)، الشاطبي (٨)، محمد بن عبد الوهاب (٣)، رشيد رضا (٢)، ابن رجب (٢)، مالك، أبو حنيفة، أحمد بن حنبل، الإسفراييني، البقاعي.

^{٢٠٣} مثل الصوفية والفقهاء لابن تيمية، مدارج السالكين لابن القيم، الفتوحات، طبقات الشعراني، جامع النبهاني، عوارف المعارف، شرح منازل السائرين.

^{٢٠٤} الصوفية (١٤)، الزنادقة، الحقيقة، القادرية، السنوسية، الشاذلية، الدرقاوية، الحكمة اليونانية، العلويون المصريون، اليهود، لورانس العرب اليهودي.

ثالثاً: العودة إلى العلوم النقلية

ويبدو أن التصوف حماية لنفسه ودفاعاً عن شرعيته احتذى بالعلوم النقلية الخمسة: القرآن، والحديث، والتفسير، والسيرة، والفقه. والتي لا يشك في شرعيتها أحد. في حين أن الكلام والفلسفة موضوعات شك. والكلام شرعاً هو «المضنون به على غير أهله» و«إلجام العوام عن علم الكلام». والفلسفة شرعاً هي «ترجيح أساليب القرآن على منطق اليونان». وعلوم القرآن والتفسير صغيرة الحجم لأنها أدخل في الوعي النظري على علوم التفسير والتأويل. وعلوم الكلام والفقه أوسع قليلاً خاصة الفقه لأن التصوف قد عاد من قبل إلى علم الكلام للاحتماء بالعقيدة. والعودة إلى الفقه لأن الفقه هو الشريعة. ولا تعارض بين الحقيقة والشريعة والطريقة. ثم يعود التصوف إلى الفقه والأخلاق. فالتصوف أخلاق الفقه أو فقه الأخلاق، أسرار العبادات، وآداب المعاملات. الفقه هو الظاهر والأخلاق هو الباطن.

(١) علوم القرآن والتفسير

(أ) «خلاصة علوم الإسلام» للشعراني (٩٧٣هـ)^١

وهو اعتراف بالعودة إلى العلوم النقلية مع الخلط بينها وبين العلوم العقلية النقلية. فالعلوم المذكورة بصرف النظر عن الترتيب، القرآن والتفسير، والفقه دون الحديث ودون السيرة، مع وضع أصول الدين وأصول الفقه والتصوف معها في حين أنهما من العلوم

^١ دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م (٢) ص ٦٤-٨٠.

النقلية العقلية، وإضافة علوم اللغة والتصوف مثل النحو والمعاني والبيان، وهي من علوم الآلات مثل المنطق.

وسبب التأليف هو قصر همة الناس عن حفظ متون الكتب، وقد نشأ التصوف ضد العلم المحفوظ. فالرسالة نموذج لتذويب العلوم حتى يحفظها الناس دون ممارستها أو البحث عن علوم أخرى مثل العلوم اللدنية^٢ أما من حيث الترتيب فعلم القرآن تسبق علوم التفسير وليس العكس، والحديث والسيرة الغائبان يأتيان قبل الفقه. وعلم أصول الدين كعلم نقل يسبق علم أصول الفقه. كما تسبق علوم الحكمة علوم التصوف، وتأتي علوم اللغة في البداية كآلة للعلم مثل المنطق. وتخلو من أية رؤية على عكس «حصار العلوم» للفارابي أو «فسحة العلوم» لابن سينا.^٣ وتعتمد الخلاصة على القرآن والحديث والشعر.^٤ ويحيل إلى كتاب «الاقتباس في معرفة أحكام القياس».^٥

(ب) «المواقف الروحية والفيوضات السبوحية»

للأمير عبد القادر الجزائري (١٣٠٠هـ)^٦

وهي مجموعة من ثلاثمائة واثنين وسبعين موقفاً. تختلف فيما بينها بين القصر والطول.^٧ وهي أشبه ببعض أعمال التوحيدي في «المقابسات» و«الإمتاع والمؤانسة» وفي الأدب الشعبي «ليالي ألف ليلة وليلة». وهو نفس عنوان الإيجي والنفري.^٨

^٢ «فلما رأيت الناس قد قصرت همتهم عن حفظ متون الكتب عن ظهر قلب، وقل انتفاعهم بما يتورطون في مطالعته من الشروح والكتب المطولة بالفروع العاطلة التي لا يسأل أحد عنها إلا في النادر، ولا يعملون بها، استخرت الله تعالى في ذكر زيد تلك العلوم لجماعة إخواننا المتعبدين، وأهل الحرف النافعة من المؤمنين، تقريباً للطريق عليهم لعدم تفرغهم للاشتغال كما يشغل طلبة العلم من الفقهاء»، السابق، ص ٦٤.

^٣ من النقل إلى الإبداع مج ٢ الإبداع ج ١ نشأة الحكمة، فصل ٣ تصنيف العلة.

^٤ الآيات (٨)، الحديث (٤)، الشعر (١).

^٥ خلاصة علوم الإسلام، ص ٧١-٧٢.

^٦ دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م/١٤٢٥هـ (جزآن).

^٧ أكبرها الموقف ٤٨ (٤٣).

^٨ أكبرها الموقف ٣٥٨ (٦٥)، ثم الموقف ٤٨ (٤٣)، ثم الموقف ٣٦٦ (٣٩)، ثم الموقف ٢٩٧ (٣٧)، ثم الموقف ٣٥٥ (٢٩)، ثم الموقف ٣٤٦ (١٨)، ثم الموقف ٣٦٧ (١٤) ثم الموقف ٢٧٧ (١٢)، ثم

وتعني المواقف اختيار بعض الآيات القرآنية وتفسيرها وليست المواقف الاجتماعية والسياسية الغالبة على زعماء الإصلاح والمجاهدين مثل الأمير. المواقف عود إلى علم التفسير الذي كان أحد مصادر التصوف في نشأته الولي.^٩ فالعنوان غير المضمون، العنوان «مواقف» والمضمون تفسير نص. العنوان موضوع، والمضمون تفسير. والعودة إلى العلوم النقلية في التفسير والحديث والفقه. رد فعل على اتهام التصوف بالكفر والإلحاد على يد الفقهاء والخروج على العقائد الشرعية. وبعض المواقف تبدأ بالأحاديث النبوية. وقد تبدأ بعض المواقف بالشعر.^{١٠} وتبدأ مواقف أخرى بأقوال بعض الصوفية وهي الأقل من الشاذلي أو من نص طويل لابن عربي^{١١} ونادرًا ما تخلو بعض المواقف من أي نص تبدأ منه. والخاتمة مجرد دعاء.^{١٢}

لذلك يصعب إعادة تصنيف المواقف طبقًا لمضمونها لأنها بلا مضمون. وهو تفسير نازل مستنبط من النص كما هو الحال في التفسير التقليدي وليس تفسيرًا صاعدًا مستقرى من الواقع كما هو الحال في التفسير الإصلاحي الحديث ويتم شرح الآية بالآية، والقرآن بالقرآن. كما يتم شرح يخالف صلة الأصل، وهو القرآن، بالفرع، وهو الحديث. وقد تأتي مادة التفسير من أقوال الصوفية. ولا تأتي مطلقًا من الواقع الاجتماعي السياسي أو من التجارب الشخصية. ولماذا اختيار هذه الآيات بعينها دون غيرها؟ هل يكفي أن المؤلف تلميذ ابن عربي، يقتفي أثره؟ فقد وضع ابن عربي الآيات موضوعًا لأبوابه وفصوله في «الفتوحات». والمؤلف أيضًا يعتمد على شرح «الفصوص». وقد تتوالى الآيات بعضها وراء بعض في دفعة واحدة.^{١٣} وإذا بدأ الموقف من الحديث فإنه يتم شرحه بحديث آخر من نفس الدرجة. وهد يتم شرحه بآية قرآنية قلبًا لعلاقة الأصل بالفرع

الموقف ٢٩٢ (٢٩)، ثم الموقف ٢٩١، ٣٦٩، ٣٧٠، (٨)، ثم الموقف ٢٢٦، ٣٦٨ (٦)، ثم الموقف ٢٣٩، ٢٤٢ (٥)، ثم الموقف ١٠٩، ٢٣٧، ٢٠٨ (٤)، ثم الموقف ١، ٥١، ١٩٥، ٩٨، ١٠٢، ١٠٨، ١٠٩، ١٢٦، ١٢٨، ١٣٤، ١٤٢، ١٥٣، ١٥٨، ١٧٥، ٢٠٥، ٢٠٩، ٢٣١، ٢٤٤ (٣)، والباقي أكثرها صفتان، وأقله صفحة واحدة.

^٩ السابق، ج ٢، ٢٩٠.

^{١٠} المواقف ٢٥، ١١٠ مثل قول الشعراني ج ٢، ٢٩١، ٣٤٥، ابن عربي ج ٢، ٣٦٦.

^{١١} المواقف ٦، ٧، ١٧، ٢٩، ٣٠.

^{١٢} السابق، ج ٢، ٥٨٥-٥٨٩.

^{١٣} المواقف الروحية ج ١، ٢٥٥، ج ٢، ٤٢-٤٣.

فالقرآن يشرح الحديث، القرآن على مستوى النظر وإن أعطى تفصيلات على مستوى العمل.

وقد يكون الشرح بالشعر، فالمؤلف شاعر وأديب.^{١٤} وقد تتوالى القصائد والأشعار تباعاً^{١٥} ويبدأ الكتاب بقصيدة وينتهي بقصيدة مما يكشف عن الصلة بين التجربة الصوفية والتجربة الشعرية.^{١٦} وقد يعتمد الشرح على بعض الأمثال العامية، كمادة للشرح.^{١٧} وقد تدخل الإسرائيليات كمادة للشرح، وهي ثقافة العرب اليهودية والنصرانية عبر التاريخ.^{١٨} وقد يكون الشرح اعتماداً على بعض أقوال الصوفية مع اقتباسات منهم تنتهي بلفظ «انتهى».^{١٩} ويأتي في المقدمة ابن عربي ثم الشاذلي، ثم الحلاج والجنيد، ثم ذو النون والجيلي والخراز وأبو نعيم.^{٢٠} ويطفئ حضور ابن عربي بإطلاق لفظ «سيدنا» عليه أو الشيخ أو الإمام سيدنا ومولانا، وسيدنا الشيخ الأكبر، وسيدنا سيد العارفين قاطبة. وقد يحال إلى بعض أعمال الصوفية الرئيسية مثل «الفصوص» لابن عربي والحكم لابن عطاء الله.^{٢١}

وبالرغم من الطابع الروحي العملي الأخلاقي للمواقف إلا أن بعضها ظل أسير الموضوعات النظرية في التصوف الفلسفي مثل نظرية الفيض، والأفلاك، والعناصر الأربعة مع الإشارة إلى بعض المذاهب الفلسفية والفرق القديمة مثل السوفسطائية والمذهب الحسي.^{٢٢} وكلها خارج ثقافة العصر.^{٢٣}

^{١٤} الآيات (١٧٥٠)، الأحاديث (٢٥٠)، الأشعار (٢٠٠)، القدسية (٨).

^{١٥} المواقف الروحية، ص ٣١-٤٠.

^{١٦} السابق، ج ١، ٣٠-٤١، ج ٢، ٥٢٢-٥٣١، المثل السائر ج ٢، ٤٣١.

^{١٧} السابق، ج ١، ٤٨.

^{١٨} السابق، ج ١، ١٤١، ١٤٩، ج ٢، ٤٢٧.

^{١٩} السابق، ج ١، ٤٦٦.

^{٢٠} ابن عربي (٩)، الجيلي (٦)، الشاذلي (٣)، الحلاج، الخراز (٢)، ذو النون، الغزالي، أبو نعيم الأصفهاني (١)، ومن المتكلمين إمام الحرمين في كتابه البرهان (١)، أرسلان الدمشقي، أبو مدين القطب عبد السلام مشبي (١)، ومن الفقهاء الشافعي، وأحمد (١).

^{٢١} ذكر حوالي ١٤١ مرة، ج ٢، ٤٨٩، ٤٣٦.

^{٢٢} المواقف الروحية ج ١، ١٦٦-١٦٨، ١٨٣، ٢٤٨.

^{٢٣} خاصة الموقف ج ١، ١٤، ٨٤.

ومع ذلك لم تستطع «المواقف» تحويل الآيات إلى تصورات والنصوص إلى مفاهيم مما يدل على انهيار التصوف النظري تمامًا. وتبدو القسمة أحياناً بين السطور من بقايا التحليل العقلي.^{٢٤} وتبرز الحقيقة المحمدية والإنسان الكامل بين الحين والآخر تشبهاً بآبن عربي، وموضوع الرؤية، والنبى هو الحكيم الأكبر. ويتم شرح الآية بمظهرية الإنسان وسؤال الوجود^{٢٥}

والمواقف أسلوب تتخلله بعض ألفاظ التنبيه.^{٢٦} وقد تكون عبارات كاملة مع مجموعة.^{٢٧} وقد ينقسم الموقف إلى مجموعة من الفصول منها موضوع.^{٢٨} ويخاطب القارئ.^{٢٩} فقد كانت المواقف دروساً شفاهية في حلقات صوفية قبل أن يطلب المريدون تدوينها. لذلك تظهر عبارات مثل «سألني بعض الإخوان»، «اعلم يا أخي».^{٣٠} وتأتي عبارات أخرى شبيهة بعبارات «فصوص الحكم» مثل «حكمة قلبية في كلمة شعبية»، «فص حكمة إلهية في كلمة آدمية».^{٣١} كما يُحال إلى عنقاء مغرب.^{٣٢}

^{٢٤} السابق، ج، ٤٤٣-٤٤٥.

^{٢٥} السابق، ج٢، ٥٠٣-٥٢٣.

^{٢٦} مثل: وصل، نقض وصل، فصل بل وصل، تنبيه، فائدة، فائدة نفيسة، تتمه، تدقيق، تحقيق، تبصرة، تذييل، مطالب، لطيفة، خاتمة، الأشكال، المواقف الروحية ح ١، ٣٧٦-٣٧١، ٤١٤-٤٥٠، ٤٧١-٤٧٣، ٤٧٩-٤٨٠، ٤٨٨-٤٩٢، ٤٩٩-٥٠١، ٥٠٨-٥٠٩، ٥١١-٥١٤، ٥٨٥، ج٢، ١٦٠-١٨٣، ٣٦٧-٤٢٢، ٤٣٧-٤٧٤، ٤٧٨-٤٨٨، ٤٩١-٤٩٤.

^{٢٧} مثل كشرط طلسم وإيضاح مهم، إفصاح وإيضاح، حل مشكل وفتح مقفل، وطاء وكشف غطاء، إفشاء سر وهتك ستر، إقامة جدار لإخراج كنوز وأسرار، تمهيد أوائل لإيجاد صورة الإنسان الكامل، إشارة لأهل البشارة، مثال لمن ليس له مثال، إنك رمز وفتح كنز، السابق، ج١، ٤٦٥-٤٧٠، ٤٧٤-٤٧٨، ٤٨١-٤٨٥، ٤٩٣-٤٩٤، ٥١٠، ٥٧٦-٥٨٤.

^{٢٨} فصل في الكرسي وهو العرش الكريم، فصل في الفلك الأطلسي، فصل في فلك الثوابت، وفصول أخرى في الأرض والماء والهواء وركن النار وخلق السموات، وأسماء الدنيا والسموات من الثانية حتى السابعة، وفصول في المعدن من المولدات الأربعة، وفي النبات والحيوان والجآن، والمرتبة السادسة مع باب في الاستحالات، السابق، ج١، ٤٨٧-٤٨٦، ٥٢٧-٥٣٢، ٥٤٠-٥٧٢.

^{٢٩} السابق، ج٢، ١٠٩، ٢١٩.

^{٣٠} السابق، ج٢، ٤٢٥.

^{٣١} السابق، ص ٤٢٥.

^{٣٢} السابق، ص ٤٧٧.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

والسؤال هو «لماذا لم تتحول المواقف عند المجاهد الكبير إلى مواقف نضالية وظلت مواقف «روحية»، مستمدة من الواقع السياسي الاجتماعي، وظلت «فيوضات سبوحية»؟ هل هو غرور القائد الذي يريد أن يبين طاقته الروحية، بالإضافة إلى حكمته السياسية ونضاله الوطني؟ هل التصوف مجرد طاقة روحية وراء النضال السياسي؟ وهي نفس المشكلة في الثورة الإسلامية المعاصرة في إيران وسندها الروحي عند مللاً صدرًا.^{٣٣} وإذا كان لا بد من اتباع مناهج المفسرين، البداية بالنص، فلماذا لم يختار آيات الجهاد والمقاومة والاستعداد للعدو والقتال؟ فهو دين بلا سياسة كرد فعل على سياسة بلا دين، مع أن التصوف رد فعل على السياسة كما أن السياسة رد فعل على الدين. وهو حال كثير من الطرق الصوفية الجهادية كالمهدية في السودان، والسنوسية في ليبيا. وقد انتسب الأمير إلى الشاذلية، واستقر في القادرية. جهادها العملي لا تسنده أصول نظرية ثورية، و«من الفناء إلى البقاء» يكمل هذا النقص لجعل التصوف إيديولوجية ثورية لمشروع ثوري يتجاوز نقص الثورة الإسلامية في إيران، ثورة في العمل وتصوف في النظر.

(٢) علم الكلام والفقه

(أ) رسائل أحمد الخلوتي (١٠١٧هـ)

(١) «رسالة في الأرواح»^{٣٤}

وموضوعه علم الكلام الصوفي مع التركيز على أمور المعاد، الجنة، والنار، والأنفس، والأرواح، والحلال، والحق. ومن هنا تأتي ضرورة التأويل للذهاب من الظاهر إلى الباطن. تعتمد على الأدلة النقلية وحدها، القرآن والحديث، دون الشعر وأقوال الصوفية.^{٣٥}

(٢) «الأرواح»^{٣٦}

وبالرغم من التمايز بين الرسالتين إلا أنهما يمثلان وحدة واحدة تجمع بين الكلام والفقه. والأرواح لفظ جديد لا يعني أرواح الأبدان بل أرواح الأشياء أي بواطن الأمور.

^{٣٣} انظر دراستنا: الحكمة المتعالية إلى الحكمة المتدانية، حصار الزمن ج ٣ (علوم) ٦٩٧-٧١٦.

^{٣٤} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (٢) ص ٢٢١-٢٥٦.

^{٣٥} الآيات (١٦٨)، الأحاديث (٢٣)، القدسية (٢).

^{٣٦} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٥هـ (١) ص ١٣-٢١٨.

وهو ما سماه الصوفية من قبل أسرار العبادات وآدابها. الروح الفرقاني هو الشيء الباطني. الروح المحمدي هو الظاهر والروح الأحمدي هو الباطن. فالروح هو الباطن. روح الوحي وروح الشريعة وروح الكلام. هو لفظ عام للغاية. يعني أن كل شيء له روح. موضوعات التصوف مثل الاستغفار والتسبيح والحمد والأذكار والتفكير لها أرواح. والعبادات مثل الوضوء والغسل، والحدث والسواك والأذان والصلاة والمساجد والصيام والزكاة والصدقات والحج لها أرواح. والمعاملات مثل الربا والرصيد والعقد والتفليس والشركة والوكالة والعارية والقرض والوديعة والركاز والنفقات لها أرواح. والكائنات الحية كالملائكة والشياطين، والحيوان والسباع والحشرات لها أرواح. والحدود مثل القذف والزنا والنكاح والطلاق والنصاب وقطع الطريق لها أرواح. كل شيء له وصف وروح، ومعنى. ويعتمد على القرآن أكثر من الحديث.^{٣٧} ولا يعتمد على الشعر ولا على أقوال الصوفية. يكفي الآية والتجربة المباشرة. ومن الأعلام يظهر السبكي.

(ب) «تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب»

لمحمد أمين الكردي الأردني (١٣٣٢هـ)^{٣٨}

وهو كتاب يجمع بين العقيدة والفقه والتصوف أيضاً. العقيدة دفاعاً عن التصوف كنظرية في التوحيد، وعن الصوفية باعتبار أن عقائدهم هي عقائد أهل السلف، والفقه والتصوف لإعلان التمسك بالظاهر قدر تمسكهم بالباطن. والشريعة مثل الحقيقة. الفقه أكبر الأقسام الثلاثة ثم التصوف، والعقيدة أصغرها.^{٣٩} العنوان صوفي والمضمون فقهي. الصوفي نقشبندي، والفقه شافعي، والعقيدة أشعرية.^{٤٠}

وتشمل العقائد الإلهيات والنبوات والسمعيات، والسمعيات أكبر.^{٤١} فالتصوف ينعرج إلى أعلى، ويغترب في الأخرويات بعيداً عن العالم. والنبوات والسمعيات متمايزان

^{٣٧} الآيات (٢٥٧)، الأحاديث (١٣٠).

^{٣٨} دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م/١٤١٦هـ.

^{٣٩} القسم الأول، فيما تجب معرفته على كل مكلف من العقائد الدينية (٩٩)، القسم الثاني، الفقه على

مذهب الإمام الشافعي (٣٠٣)، القسم الثالث، في التصوف (١٨٤).

^{٤٠} تنوير القلوب، ص ١٢١.

^{٤١} الإلهيات (٢٥)، النبوات (٢٢) — السمعيات (٤٣).

مع أنهما شيء واحد في علم العقائد الأشعري. موضوع الإلهيات التوحيد، والنبوات النبوة، طبقاً لأحكام العقل الثلاثة. السمعيات الأخرويات بما في ذلك الإيمان والعمل. ويشمل الفقه أحد عشر كتاباً دون تبويب أو ترويم: الطهارة، والصلاة والزكاة، والصوم، والحج والعمرة، والبيوع وغيرها من المعاملات، والفرائض والزكاة، والصلاة، الجنائيات، والحدود. أكبرها الصلاة، وأصغرها الجنائيات، وهو موضوع الدية، نظراً لتسامح الصوفية وعفوهم عن المسيء.^{٤٢} وهي موضوعات تقليدية لا جديد فيها. قد يكون الهدف من الفقه إعطاء شرعية للتصوف مثل هروب الكلام المتأخر إلى الفلسفة في العقائد المتأخرة.

والمؤلف كردي من أربيل. وهي هوية عرقية انتهت إلى ما يقرب التقسيم الآن، وانفصال شمال العراق عن وسطه السني وجنوبه الشيعي. وللأدلة النقلية الأولوية المطلقة على الأدلة العقلية. وللقرآن الأولوية على الحديث وللحديث الأولوية على الشعر.^{٤٣} ويكثر الحديث ويتوالى حتى أنه ليوحي بعودة التصوف إلى علم الحديث الذي نشأ منه. كما يعتمد على كثير من أقوال الصوفية. وتقل الأحاديث القدسية التي يتكلم فيها الله وللملائكة وللأنبياء وللرسول. والخاتمة نصية خالصة.^{٤٤} ويحال إلى المصادر المنقول منها.^{٤٥} وتأتي بعض الأشكال الأدبية في الأسلوب وأشكال الكتابة مثل «تنيه» «فلذة».^{٤٦} والأسلوب جدلي ضد المعتزلة كما هو الحال في علم الكلام المتأخر في إنكار الكرامة والشفاعة.^{٤٧} والنهاية موضوع آداب الشيخ والمريد مثل «الرسالة القشيرية» مما يدل على التحول من التصوف النظري إلى التصوف العملي. وتشمل الخاتمة أيضاً تقديس النص بمدحه أو التعليق عليه فالنص عمل جماعي، يضم الموضوع والذات، المؤلف والمحقق.^{٤٨}

^{٤٢} الصلاة (٩٤)، البيوع (٣٩)، الحج (٣٨)، الفرائض (٣٢)، الطهارة (٣٠)، النكاح (٢٣)، الطلاق (٢١)، الحدود (١٣)، الزكاة (١٠)، الصوم (٨)، الجنائيات (٥).

^{٤٣} الآيات (٤٢٨)، الأحاديث (٢٥٨)، الأشعار (٥٣)، الأحاديث القدسية (٤).

^{٤٤} تنوير القلوب ج ١ ٢١٨.

^{٤٥} السابق، ص ٥٩٣-٦٠١.

^{٤٦} السابق، ص ٤٨٢، ١٩١.

^{٤٧} السابق، ص ٤٤٣.

^{٤٨} السابق، ٦٠٣-٦١٠.

(ج) «الفوز والنجاة في الهجرة إلى الله» لمحمد السيد التيجاني^{٤٩}

الكتاب يدل على الطريق إلا أنه يجمع بين الكلام دعامة من أعلى، والفقه دعامة من أسفل، والتصوف المطلوب تأسيسه. فهو لا يناقض التوحيد بحيث أصبح كدائرة معارف لعلوم ثلاثة: التصوف بين الفقه الأكبر بتعبير أبو حنيفة وهو العقيدة والفقه الأصغر وهو الفقه. الكلام من حيث الكم أصغرهما والفقه أوسطهما والتصوف أكبرهما.^{٥٠}

ولا يُوجد فصل بين العلوم الثلاثة بل تتداخل فيما بينها بلا أبواب أو فصول باستثناء مرة واحدة، «الكلام على التوسل والاستعانة وعلى زيارة الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين وشد الرحال إليها»، وفصول ثلاثة في التجويد في الذكر، وفي أعمال الفكر في معاني الذكر، وفيما يحض على الذكر وفضله، وكلها داخل التصوف.^{٥١} ويعرض الكلام تحت عنوان «عقائد التوحيد وهي أول معاني الإسلام»، اعتمادًا على صاحب المواقف في الحكم على عدم جواز إيمان المقلد بما يعطي الفرصة للتصوف للإبداع بتأويل العقائد واعتمادًا على شعر بعض أهل الإشارات. فالتجربة الصوفية والتجربة الشعرية صنوان. ولا يُعرض إلا موضوعان، التوحيد والعدل في التوحيد، الاستواء بين التجسيم والتشبيه والتنزيه، واللوح المحفوظ، وصور العلم، والرد على الدهرين لإثبات وجود الصانع، والعدل في إثبات القضاء والقدر، والرد على المعتزلة، والانتساب إلى الأشاعرة. ومن السمعيات تأتي النبوة كمكارم للأخلاق في شخص الرسول.^{٥٢} وفي الفقه، فضل التفقه في الدين.^{٥٣} وتذكر التفصيلات الحرفية واختلاف الفقهاء لدرجة الصورية مما يساعد على فهم رد فعل الصوفية على هذه الحرفية الشعائرية إلى المضمون الأخلاقي الروحي.

^{٤٩} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ.

^{٥٠} الكلام (١٩)، الفقه (١٣٧)، التصوف (١٦١).

^{٥١} السابق، ص ١٥١-١٦٧، ١٦٨-١٧١.

^{٥٢} السابق، ص ١١-٣٠.

^{٥٣} والطهارة والاستنجاء والوضوء والتميم والغسل والحيز وأركان الصلاة، وصلاة المريض وسجود السهو، والنوافل والأذان، وصلاة الجمعة، والجماعة، والصلوات الخمس، وقصرها، ومبطلاتها، وفضائلها، والأضحية، والعقيقة، وما يتعلق بالميت، ثم الزكاة، والصدقة، ثم الصيام وفضائله، ثم الاعتكاف والحج، وزيارة روضة النبي، ورؤية الرسول في النوم واليقظة، والتعويض على من مات وعليه واجبات عند الأحناف، السابق، ص ٣٠-١٥١.

ثم يبدأ التصوف ابتداءً من التوسل والاستغاثة وزيارة الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين وشد الرحال إليهم في مناسك الحج. ثم يأتي الذكر وهو أفضل من تحطيم السيوف في سبيل الله تعالى.^{٥٤} فالحرب باللسان وليست بالأفعال. ثم يتداخل التصوف الخلقي مثل تحريم الغيبة، والاستغفار والعلم والرخاء والجود، ومع التصوف النفسي مثل الخوف والرجاء، ومع التصوف الفلسفي مثل التوحيد والعنقاة الكبرى والصغرى والاعتماد على الله في الرزق، والعقد مع الله والعرش والرحمة، ومع التصوف العملي مثل الصلاة على النبي وسيادته ومصب كل ذلك في تاريخ الأنبياء مثل حكاية زكريا وإيليس وسليمان والنملة، والتوراة وما أنزل على موسى وداود ويحيى والخليل ومحمد (الظاهر)، وأحمد (الباطن). والمعجزات الدالة على النبوة والكرامات الدالة على الولاية والدعوات المرجوة لإجابة جميع المطالبة كما هو الحال الآن.^{٥٥} مع الصحابة عمر، وابن المبارك، وسفيان، وابن الحسين، وجعفر الصادق، وعمر بن عبد العزيز، ومعاذ، وأبو هريرة، وأبو ذر، ومع الصوفية مثل حاتم الأصم، والشاذلي، والفضيل بن عياض، وأهل الصفة والجند والشبلي، والفقهاء مثل الشافعي.

ويتم الاعتماد على الكلام، التأسيس النظري للتصوف لدفع الشبهة عنه، أنه ضد العقائد، وحماية للصوفية من تهمة الإلحاد والكفر وتقرباً للفقهاء لنزع العداوة بينهم وبين الصوفية، وعوداً إلى الأصل المشترك. ويتم الاعتماد على الفقه للتأسيس العملي للتصوف لرفع الشبهة عنه بإسقاط التدبير على ما تفعل الملامتية والقلندرية ولبيان أن الصوفية ملتزمون بالشرع وبتطبيق الشريعة. فلا حقيقة، بلا شريعة. ولا نقطة إياب بلا نقطة زهاب. وفي كلتا الحالتين يحسن الصوفية صورتهم أمام العامة ضد اتهام المتكلمين لهم بأنهم خرجوا على العقيدة وضد اتهام الفقهاء لهم بأنهم خرجوا على الشريعة. بل وأحياناً تتم المغالاة في ذلك بالإيغال في إثبات الصفات وإثبات القضاء والقدر مع الأشاعرة ضد التوحيد بين الذات والصفات وإثبات خلق الأفعال عند المعتزلة. فيتحد التصوف بالأشعرية بعقائد العامة، التشبيه والقدرية، ضد تأويل الخاصة بالتنزيه وخلق الأفعال. وننقل المواقف الفقهية القديمة بكل اختلافاتها بين المذاهب الفقهية دون إبداء

^{٥٤} السابق، ص ١٧٣-١٧٦. إبراهيم بن أدهم ويحيى بن أكثم، والبسطامي، والتستري، وأبو الدرداء.

^{٥٥} السابق، ص ١٥١-١٣١.

رأي وترجيح أحديهما ضد الآخر أو تجاوزها كلها لإبداء رأي جديد، وهذا هو سبب التأليف.^{٥٦}

والمادة كلها من المنقولات والاقتباسات من المصادر مع علامة «ا.هـ»، وحكايات وكرامات وروايات. ويستند إلى أقوال الفقهاء في التوحيد لإثبات صحة التصوف. ويعتمد على مجموعة من الأدلة النقلية من الحديث والقرآن دون الشعر وأقوال الصوفية والإسرائيليات.^{٥٧} والأحاديث بلا أسانيد كاملة أقرب إلى الضعف منها إلى القوة، وإلى الوضع منها إلى النقل. يرى الرسول في بعضها في المنام.^{٥٨} وبعضها حكايات خرافية خاصة في موضوع زيارة قبر النبي والصحابة. منها الرسول يشرب القهوة.^{٥٩} كما يتم الاعتماد على الإسرائيليات فيما يتعلق بقصص الأنبياء.^{٦٠} وأحيانًا يطلق الحديث بالفاظ «في الخبر»، «في الأثر»، «في الجامع»، «قيل» ... إلخ، لتفادي ضعف السند، وتختلط أحيانًا المتون بالأسانيد دون بداية أو نهاية للمتن. ومعجزات الرسول روايات أكثر منها أقوال مباشرة وإذا جمعت بين الاثنين كانت الروايات أطول. ونظرًا لأهمية الأدلة النقلية يعقد فصل خاص لها.^{٦١} تكثر الأحاديث القدسية وحوارات الله مع جبريل أو الرسول بلا ضابط أو سند بل بكثير من الخيال والإبداع القصصي في أدب الحوار. والحديث القدسي نفسه يضع تساؤلًا عن ضرورة وجود وحى وسط بين القرآن والسنة، أقل من القرآن، وأكثر من السنة، مملوء بروايات تتجاوز الحس ووظيفة الحديث العملية. توضيح متشابه أو تفصيل أوجه السلوك. ومعجزات الرسول التي تمتلئ في

^{٥٦} «فإن هذا الكتاب قد حوى الكثير من المواضع الشرعية من فقه وعقيدة وسيرة وأحاديث في الأذكار إلى معجزات النبي ثم إلى كرامات الله لأوليائه، مهيمنة عليه صبغة روحانية وفسحة من الصفاء النفسي والتقرب إلى الله رب العالمين. وليس هذا بعجب. فإن مؤلفه من أصحاب الطريقة التجانية التي تدعو هي وأمثالها من الطرق إلى تزكية النفس، وتنقية الروح وترويضها على الخضوع لله رب العالمين، والامتثال لأوامر رسوله الكريم، بالإضافة إلى ضرورة تعلم العقيدة التي يأمن بها المسلم على دينه، وسلامة عبادته»، الفوز والنجاة، ص ٣.

^{٥٧} الآيات (٣١٥)، الأحاديث (٦٣٩) وسط هذا الزحام النظري تبرز فائدة علمية تاريخية (٨٠)، وبنوه.

^{٥٨} الفوز والنجاة، ص ٥٠، ٦٣، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٣، ٣٠٩. الصوفية وسط العشرات.

^{٥٩} السابق، ص ١٤٠، من الأعلام والمؤلفين.

^{٦٠} السابق، ص ١٨٤، ١٩٥، ٢٠٠، ٢٠٩-٢١٢، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٣٤.

^{٦١} السابق، ص ١٧١-١٧٣.

النهاية حكايات وروايات أكثر منها من أقوال مباشرة. وهي أقرب إلى الظن منها إلى اليقين، وتكثر الحكايات عن وقائع حدثت في مصر والمغرب والعراق، مصادر التصوف الثلاثة.^{٦٢} ولأهمية الحديث يظهر كعنوان.^{٦٣} وتؤصل الأحوال والمقامات عمليا في حياة الأنبياء والصحابة والصوفية.^{٦٤} وتكثر أقوال الصوفية في الفصل الثالث بطبيعة الحال عن التصوف مع شهادة الحسين وأخبار معاوية ويزيد استعطافاً ولجوءاً إلى الوجدان. تقل الأحاديث وتزيد الكرامات، وتبدأ بعض الموضوعات الحديثة مثل الطب لفهم الصوم الحديث عند الإفرنج نظراً لبداية الوافد على الموروث.^{٦٥} ووسط هذا الركam النظري تبرز فائدة علمية تاريخيه.^{٦٦} وينوه الصوفية وسط العشرات من الأعلام والمؤلفين والشرح والمصادر المدونة.^{٦٧}

(٣) علم الفقه

(أ) «منهاج العابدين للغزالي» (٥٠٥هـ)^{٦٨}

وقد تكتمل البنية في الوعي النظري في «الإحياء» ثم تعود إلى الفقه في الوعي العملي في «منهاج العابدين» الذي هو أقرب إلى تلخيص «الإحياء» كمادة دون بنيته الرباعية كهيكل. إذ يتضمن عدة أبواب دون ترقيم، معظمها في الفقه، وأقلها في الأخلاق والمقامات والأحوال والطريق.^{٦٩} ويقوم نحو المريدين على ثلاثة أصول: الخوف والرجاء والحب،

^{٦٢} السابق، ٢١٥.

^{٦٣} السابق، ص ٢٣١، ٢٤٢.

^{٦٤} السابق، ص ٢٢٦-٢٢٨.

^{٦٥} السابق، ص ١٠٩، ٣٠٣.

^{٦٦} السابق، ص ٢١٤، ١٤٠.

^{٦٧} مثل: الحسن البصري (٣)، مالك بن دينار، إبراهيم بن أدهم، الغزالي، ابن عربي، حاتم الأصم، معروف الكرخي (١).

^{٦٨} مكتبة الجندي، القاهرة ١٩٥٤م/١٣٧٣هـ

^{٦٩} هي سبعة وعشرون باباً تضم الفقه مثل: اللبس، القيام، السواك، التبرز، الطهارة، الخروج والدخول من المسجد، افتتاح الصلوات، القراءة، الركوع، السجود، التشهد، الدعاء، الصوم، الزكاة، الحج، العبادة، والأخلاق مثل النية، والمقامات مثل الشكر، والطريق مثل المريدين والرعاية والذكر.

حالان ومقامان.^{٧٠} وأحكام القلوب أربعة: روع وفتح وخفض ووقف. الرفع بالذكر، والفتح بالرضا، والخفض في الاشتغال بغير الله، والوقف في الغفلة.^{٧١} والرعاية هو العلم وطلبه بذكر الموت.^{٧٢} ويعتمد على القرآن ثم الحديث ثم الشعر.^{٧٣} ومن الصوفية لا يظهر إلا الحسن البصري والفضيل بن عياض لاعتماد التصوف على التجربة المباشرة وليس على النقل.

(ب) «صفوة التصوف» لابن القيسراني (٥٠٨هـ)^{٧٤}

وهو كتاب يجمع بين الفقه والتصوف، مجرد تجميع لآراء السابقين. يشمل اثني عشر بابًا. وهي في الحقيقة عشرة فقط لتكرار العبادات والأطعمة والأشربة، خمسة في الفقه وخمسة في التصوف. في الفقه العبادات، واللباس، والأطعمة، والأشربة، والهدية والقسمة، وفي التصوف المشايخ والخدام، والمعاشرة، والسفر، والآداب، والزهد، ومعظمها في آداب الطريق والشيخ مع المريد. أكبرها الآداب وأصغرها اللباس.^{٧٥} ويضم اللباس لباس الخرقة من يد الشيخ. وتضم الأطعمة والأشربة طرق الصوفية في الطعام والشراب. وتضم الهداية والمعيشة التهادي مع السلاطين. أما أبواب التصوف فتتضمن الزهد وآداب الشيخ مع المريد والمعاشرة، والمجاراة والاستغفار والسفر. ويضم الزهد قصر الأمل والقناعة والفقر. أما الآداب فهي الأخلاق العامة مثل تجنب الكذب والمراعاة والنميمة والنفاق. وسبب التأليف الدفاع عن الصوفية ضد المنكرين عليهم.^{٧٦}

^{٧٠} منهاج العارفين، ص ٨٢.

^{٧١} السابق، ص ٨٢-٨٣.

^{٧٢} السابق، ص ٨٥-٨٤.

^{٧٣} الآيات (٣١)، الأحاديث (١٢)، الأشعار (١).

^{٧٤} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ.

^{٧٥} الآداب (٦٧)، المعاشرة (٤٤)، الزهد (٣٢)، السفر (٢٧)، العبادات (٢١)، المجاراة والاستغفار (٢١)، الأطعمة والأشربة (٢١)، الهداية والقسمة (١٥)، المشايخ والخدام (١٤)، اللباس (١٢).

^{٧٦} فإنك ذكرت ما أهمك من أمر المنكرين على أهل الصفة في زماننا هذا. فأعلم تولاك الله بالحسنى أن المنكرين في زماننا على هذه الطائفة أكثر ممن يوافقها، ولعمري إن المنكر وجد إلى الإنكار سبيلًا. وأقام عليه حجة ودليلاً عند ظهور هؤلاء الأحداث المتشبهين بالقوم قول المباينين لهم فعلاً الذين لم يتأدبوا

ويعتمد على الحديث ثم القرآن ثم الشعر وبعض الإسرائيليات.^{٧٧} وتأتي الأسانيد مع المتون لمزيد من الاطمئنان على صحة الأحاديث. وتكثر الأدلة النقلية على حساب العقلية. وتتكرر الأحاديث بتكرار الروايات. ومعظم الأعلام محدثون وليسوا صوفية.^{٧٨} بل إن ترقيم الفقرات من المحقق قد تم طبقاً للأحاديث. كل فقرة بها حديث قول أو حديث فعل. ومن الفقهاء يذكر الشافعي. ومن الفرق الصوفية تذكر الملامتية وأبطالها.^{٧٩}

(ج) «طب القلوب» لابن تيمية (٧٢٨هـ)^{٨٠}

وهو يجمع للموضوع من المحقق وليس تأليفاً واحداً. تنقصه وحدة التأليف. ومع ذلك يدل على موقف الفقهاء من الصوفية. موقف التألف والتشابه والتماثل على عكس ما يقال عن الصراع بين الفقهاء خاصة المدرسة السلفية والصوفية. يجمعهما الأخلاق، وفي مقدمتها تصفية القلب. فقد اتفق الفقهاء والصوفية على الأخلاق في البداية. فلا فرق بين «كتاب الزهد» لأحمد بن حنبل و«كتاب الزهد» للمحاسبي بدأ الفقه والتصوف بالأخلاق وانتهيا بالأخلاق.

ومرض القلوب مصطلح قرآني ﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾. ومن ثم لزم له طب من نفس النوع، طب القلوب. وهو ما سمي في التصوف منذ «الإحياء» المهلكات والمنجيات طبقاً لحديث الرسول. ويعني طب القلوب محاسبة النفس أو مراقبة النفس كما هو الحال عند المحاسبي. ونظراً لأنه مؤلف تجميعي فإنه يضم فصولاً بلا عناوين. ولا يقوم على بنية واحدة، ويعتمد على الأدلة النقلية وحدها، القرآن ثم الحديث وأقلها الشعر.^{٨١}

بشيخ صحبه، ولا تفقهوا في علم درسه، جعلوا هذه الطريقة ذريعة إلى بلوغ أغراضهم، ووسيلة إلى تحصيل آمالهم. وإنما اعتمد المنكر فيما أنكره من أحوالهم وأفعالهم. صفوة التصوف، ص ١٩.

^{٧٧} الأحاديث (١٠٤٧)، الآيات (٦٩)، الأشعار (٣٠)، القدسية (٣)، الإسرائيليات (٢).

^{٧٨} باستثناء ابن عيينة، الفضيل بن عياض، أبو سعيد الخدري، علي التستري. ومن الفقهاء يذكر الشافعي.

^{٧٩} صفوة التصوف، ص ٢٥١.

^{٨٠} طب القلوب عند الإمامين الجليلين ابن تيمية الحراني، وابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت،

٢٠٠٣م / ١٤٢٤هـ (١) ٦٣-٢٧٨.

^{٨١} الآيات (٨٦٤)، الأحاديث (١٧٤)، الأشعار (٢).

هناك فصول بلا عناوين، وعناوين بلا فصول، وفصل بعنوان.^{٨٢} ويتضمن شرح كلمات الشيخ عبد القادر في كتاب «فتوح الغيب».^{٨٣}

(د) «طب القلوب» لابن القيم الجوزية» (٧٥١هـ)^{٨٤}

وهو نفس الموضوع من نفس المدرسة مع أدلة نقلية أقل، وأدلة عقلية أكثر باستعمال القسمة العقلية والعرض الواضح المتسق مع البرهان والاستدلال العقلي. ويزداد الشعر.^{٨٥} ولا يحال إلى أعلام الصوفية. ففي المحاسبة لا يذكر المحاسبي.^{٨٦} فالمصدر الكتاب والسنة والأدب وليس أقوال الصوفية.

ويتضمن موضوعات متناثرة لا تنتظمها فصول أو أبواب. ومع ذلك تظهر موضوعات القلب المريض الميت، والقلب السليم اليقظ، وأثر الفتن والمعاصي والعمى على القلب، وسبب أمراضه وشفائها بتعظيم الرب وذكره. وسلامة القلب في التقرب إلى الله وعبادته والشوق إلى الآخرة. والقرآن يتضمن كل هذه الأدوية. وتفصل أنواع النجاسة والمعاصي والمفاسد وأنواع النفس.

(هـ) «النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية» لزروق (٨٩٩هـ)^{٨٧}

ويمثل العودة إلى الفقه الذي خرج منه التصوف الخلقي، عوداً على بدء. ليس به أبواب أو فصول ولكنه يشمل موضوعات الفقه المعروفة في العبادات: دون المعاملات الطهارة، والصلاة، والصيام، دون الشهادة، والزكاة، والحج، والتركيز على الآفات في كل منها كنوع من النقد الاجتماعي مثل آفات الصيام. والموضوع الرئيسي هو إبراز محارم الأعضاء مثل اللسان والفرج والبطن واليد والبدن أي الأخلاق السلبية وأوامر النهي.

^{٨٢} الفصول بلا عناوين (١٢)، العناوين بلا فصول (٣)، الفصول بعناوين (١).

^{٨٣} طب القلوب عند شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني، ص ١٦١-١٧٥.

^{٨٤} طب القلوب عند الإمامين الجليلين ابن تيمية وابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م/١٤٢٤هـ (٢) ص ٢٩١-٢٧٥.

^{٨٥} الآيات (٣٨٤)، الأحاديث (٣٤)، القدسية (٢)، الأشعار (١٨).

^{٨٦} طب القلوب، ص ٣٧١-٣٧٢.

^{٨٧} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.

فمحارم اللسان الكذب والغيبة والفضيحة والباطل. والفضيحة سحابة وبهتان ونميمة وإفشاء سر. والمحارم النظرية النظر إلى المرأة والصبي والنظر في كتاب إنسان بغير إذن، وحب الاستطلاع. ومحارم الفرج اللواط، والزنا، واللواط خارج الفرج، والاستمنا باليد. ومحارم البطن، أكل الخنزير والميتة والدم وشرب الخمر. والمحارم القلبية الرياء، والعجب، والبخل، والغضب والتعدي والسرقة، وأكل مال اليتيم والربا. والمحارم البطشية الضرب والعقوق. وتعتمد على الحديث والقرآن والشعر.^{٨٨} ويحال إلى بعض الصوفية.^{٨٩} وتذكر متون الأحاديث دون الأسانيد. ويغيب التحليل العقلي. ويتقدم الفقهاء والمتكلمون.

(و) «رسائل الشعراني» (٧٣١هـ)

(١) «منح المنة في التلبيس بالسنة»^{٩٠}

وهو عودة إلى علم الحديث الذي هو أصل علم الفقه. ويدل على ذلك العنوان «منح المنة» وهو العنوان الصوفي، و«التلبيس بالسنة» وهو العنوان النقلي. ويدل العنوان الفرعي على ذكر أربعين حديثاً يتعلق بالفقه.^{٩١} ولقبه «أبو المواهب» لتشعب مؤلفاته وكثرتها.^{٩٢} وينقسم إلى أبواب عن الطهارة، وأربعة كتب عن الصلاة والزكاة، والصيام والحج. ولا يوجد باب أو كتاب يوحى بالتصوف إلا آخر كتاب الحج بعنوان «باب جامع لأدب جميع ما تقدم». وهو ما يشير إلى التصوف الخلقي، و«لزوم الجماعة» وهو ما يشير إلى التصوف العملي في الطريقة.^{٩٣} ولا يذكر الأصل الأول وهو الشهادة وهو الأصعب والأول على التصوف مما يدل على العودة من التصوف إلى الفقه، ومن أعمال القلوب إلى أعمال الجوارح.

^{٨٨} الأحاديث (١٢٦)، الآيات (٥٥)، الأشعار (٣).

^{٨٩} من الصحابة: الحسن (٣)، ابن سيرين، الصديق (١)، ومن الفقهاء: مالك، الشافعي، أحمد (٢)، الأوزاعي، أبو بكر بن العربي الباجي، السمانى، أبو يوسف، إمام الحرمين (١)، إبراهيم بن أدهم، أبو العباس المرسى، ابن الفارض، التستري، ابن سبعين، سفيان الثوري، الجنيد (١)، ومن المذاهب الفقهية الشافعية (١).

^{٩٠} دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م/١٤٢٠هـ.

^{٩١} «يحتوي على أربعين باباً من الحديث الشريف في ما لا بد للمريدين من معرفته من الإسلام والعلم والطهارة والوضوء والصلاة والصيام والزكاة وما إلى ذلك».

^{٩٢} بلغت حوالي خمسين مؤلفاً. منح المنة، ص ٣-٥.

^{٩٣} السابق، ص ١٤٣-١٥٠.

وتطغى الحجج النقلية. ويطغى الحديث على القرآن ويغيب الشعر. ويعود التصوف إلى علم الحديث كما بدأ منه.^{٩٤} فالكتاب أقرب إلى «في التلبس بالسنة» منه «إلى منح المنة». وتغيب أقوال الصوفية بل وأقوال الصحابة والتابعين إلا نادرًا. وتوجد بعض الاقتباسات من أقوال السابقين مع لفظ «انتهى». ويظهر القرآن في الخاتمة والتأويل الخلقي الصوفي للفقه، عودًا إلى الأصل. فقد انتهت دورة التاريخ. يخرج التصوف من الحديث وإلى الحديث يعود. وتتصدر الكتاب مقدمة عن أخلاق الرسول مع أصحابه وأزواجه تغلب عليها الأفعال والروايات لا الأقوال المباشرة. وتظهر صفته أيضًا في التوراة والإنجيل. فالوحي ممتد في التاريخ وحدة واحدة على مراحل متعددة.^{٩٥}

(٢) «الفتح المبين في جملة من أسرار الدين» أو أسرار أركان الإسلام^{٩٦}

وهو عود إلى علم الفقه لاكتشاف أسرار ومعانيه الباطنية. واللفظ المستعمل «أسرار» في الشهادة وحدها. والجمع بين لفظي «الآداب» و«الأسرار» في باقي الأركان مثل «آداب الوضوء وأسراؤه» ... إلخ.^{٩٧} وهو سبب تأليف الرسالة.^{٩٨} ويبدو التراجع النظري في جعل الإيمان موقوفًا على الخبر بلا برهان.^{٩٩} والشهادة ليست نفياً ولا إثباتاً على الحقيقة.^{١٠٠} والناس في التوحيد على خمسة مقامات من العامة إلى الخاصة تصاعديًا، الأول الاعتقاد بلا بحث، والثاني التصديق بعد الاعتقاد بالنظر في المخلوقات وهو مقام

^{٩٤} الأحاديث (٣٧٨)، الآيات (٥٠).

^{٩٥} منح المنة، ص ٢٥-٤٠.

^{٩٦} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦ م.

^{٩٧} أسرار شهادة لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، السابق، ص ٢٢-٢٩.

^{٩٨} آداب الوضوء وأسراؤه، آداب الصلاة وأسراؤها، آداب الزكاة وأسراؤها، آداب الصوم وأسراؤه، آداب الحج وأسراؤه.

^{٩٩} «فيجب على كل مريد مطالعة هذه الآداب، وملازمة ملاحظتها في حال عبادته ولو حفظ عبارتها عن ظهر قلبه كان ذلك أعون له على العمل لكونه يستحضرها في قلبه. فكلما باشر عملاً يدلّه فهم العبارة على العمل بها بخلاف ما إذا كانت عنده في كتاب لا يقرؤه فلا ينتبه منها إلى شيء من الآداب إلا الآداب الظاهرة اكتفاء بما ألفه الناس فيها من الكتب المنتشرة بين أظهر الناس، بخلاف الآداب الباطنة فقليل من الناس من صنف فيها لعزة العارفين بها وعزة العالمين فهذا كان سبب تأليفنا لهذه الرسالة»، السابق، ص ٢٢.

^{١٠٠} السابق، ص ٢٣.

المتكلمين، والثالث الارتقاء من رؤية الموجودات إلى الإيجاد، ومن المصنوع إلى الصنع، والرابع مشاهدة الأشياء بالله، والخامس الغياب عن الفعل كله بعد المحبة والاستغراق في المحبوب.^{١٠١} وتعتمد على القرآن والحديث دون ذكر الشعر أو الأقوال الصوفية.^{١٠٢}

(٣) «الميزان الخضرية»^{١٠٣}

والخضرية نسبة إلى الخضر نموذج العارف الباطني الصوفي. والميزان مؤنث وصفته مؤنثة. وهو عود إلى الفقه بسبب ضعف التصوف والعودة إلى البداية الأولى التي نشأ فيها، ودفاعاً عن النفس ضد التهم الموجهة للتصوف بالقول بالاتحاد والحلول ووحدة الوجود منذ ابن تيمية، وإثبات أن التصوف متفق مع الشريعة، وتقرباً للجمهور الذي يوحد بين الدين والفقه وبين الفقه والشريعة والذي يشك في الكلام والفلسفة ولا يشك في الفقه. انزوى التصوف في الفقه حماية له. وهذا أضعف الإيمان. فالطريق مسدود، ولا يمكن عمل شيء إلا من خلال سلطة الفقهاء. وسبب التأليف هو الجمع بين المذاهب، ونزع أسباب الخلاف بينها. ولم يتم ذلك إلا برؤية الخضر والرسول في المنام فأولاً المؤلف العبد الفقير، على الطريق إلى ذلك.^{١٠٤} وتذكر حياة الخضر واجتماع العلماء به وصفه وملبسه وطعامه.^{١٠٥}

^{١٠١} السابق، ص ٢٨-٢٩.

^{١٠٢} الآيات (٤٢)، الأحاديث (٢١)، القدسية (١).

^{١٠٣} دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م/١٤٢٠هـ.

^{١٠٤} «لما من علي الله بالتبحر في علم الشريعة أسوة أمثالي، وصرت أطلع كتب الشريعة المطهرة في الخلاف النازل والعالي، واتسع عندي الخلاف جدّاً صرت أطالب من نفسي المطابقة بالجنان واللسان في الاعتقاد الجازم أن سائر أئمة المسلمين على هدي من ربهم أقدر على ذلك. فسألت عنه جميع من وجدته من علماء مصر وضيوفها فلم يطلعني أحد منهم على وجه جامع. وصرت كلما اجمع بين هوليين أو مذهبيين في باب، يتناقض الأمر علي في باب آخر. فتوجهت إلى الله تعالى. وسألته أن يجمعني على سيدنا ومولانا أبي العباس الخضر عليه الصلاة والسلام ... بسطح جامع الغمري حيث كنت ساكناً فيه. فشكوت إليه حالي. فقلت له: أريد أن تعطني يا نبي الله مزايا أجمع بها بين مذاهب المجاهدين ومقلدهم وأردها كلها إلى الشريعة ...» السابق، ص ٩.

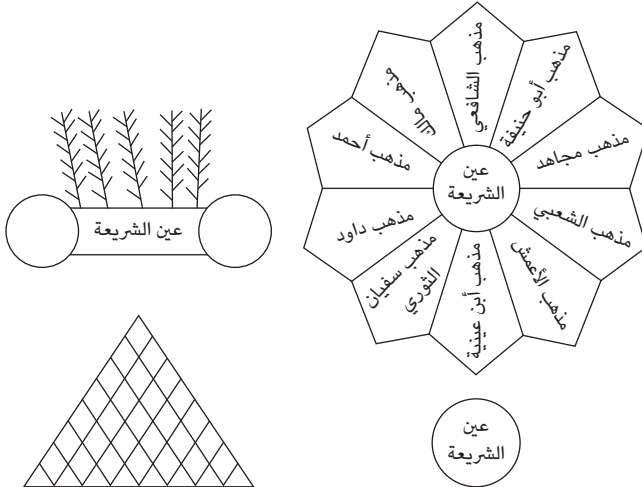
^{١٠٥} السابق، ص ١٣-١٦.

وكله توجه نحو الماضي وليس الحاضر أو المستقبل باستثناء الحديث مرة عن ذلك الزمان.^{١٠٦} والخطاب موجه إلى القارئ «فافهم»، «فتأمل»، وتستعمل الصورة التوضيحية لإبراز الفكر بصرياً وهو من وضع علي الخواص على شكلين نباتيين وهم.^{١٠٧}

والكتاب نص واحد بلا أبواب ولا فصول باستثناء عنوان واحد «خاتمة» فيه يقسم النص إلى قسمين. الأول في اختلاف المذاهب الفقهية وهو الأكبر. والثاني في الوضوء والصلاة وهو الأصغر. والجدال في الشريعة من النفاق. والشريعة المطهرة تقوم على تقليد الأئمة وحسن الظن بهم. والبيوت على تقليد المذهب الواحد، بالرغم من كثرة الأدلة، ولكن الفضل للمجتهدين، وتعظيم الأئمة. فكلهم من الأئمة الوريثين. ولأبي حنيفة مناقبه وعدم تعارض مذهبه مع باقي المذاهب.^{١٠٨} فيحدث عدم التفرق في الدين وإيقاع التناقض في الشريعة، وتقييم كلام المجتهدين بميزان الشريعة، ومعرفة أحكامها يقيناً لا ظناً. والعمل بالمذهب الراجح على الترتيب الوجودي لا على التمييز. وكل مجتهد مصيب. ومن الأفضل

^{١٠٦} «فانظر إذا كان هذا كلام المغني في ذلك الزمان، فكيف بالأئمة المجتهدين في تقليدهم بالكتاب والسنة في ذلك الزمان»، السابق، ص ٤٢.

^{١٠٧}



^{١٠٨} السابق، ص ٧-٨٠.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

عدم التقيد بمذهب واحد. وبالشرعية تخفيف وتشديد. وهو معنى الرخصة والعزيمة. ولا يجوز استعمال القياس الذي يؤدي إلى الفتنة. ولا يستعمل إلا عند الضرورة الشديدة وبعد الكتاب والسنة.

ثم تأتى التطبيقات على الوضوء والصلاة.^{١٠٩} ويعتمد على الحديث والقرآن دون الشعر.^{١١٠} ففروع الفقه في الحديث وأصوله في القرآن. وتستعمل بعض الأمثال العامة باعتبارها جهة سلطة. ومن الصوفية يتقدم علي الخواص على الجميع ثم ابن عربي ثم جعفر الصادق ثم سفيان الثوري والشبلي ثم ذو النون وأويس القرني والبسطامي وإبراهيم بن أدهم، والشاذلي، والقشيري وأبو العباس المرسى وابن عيينة ... إلخ.^{١١١} ومن الفقهاء يتقدم أبو حنيفة ثم الشافعي ثم مالك ثم أحمد وابن حزم، ثم المزني، ثم أبو يوسف والأوزاعي والبقاعي وابن عبد البر.^{١١٢} ومن الفلاسفة والمتكلمين الرازي والجويني.^{١١٣} ومن الفرق «المكلمون» وتؤخذ اقتباسات كثيرة بعلامة (انتهى)، وهناك أسماء عديدة من الرواة والمحدثين.^{١١٤}

^{١٠٩} فالطهارة واجبة بالماء وتوافر النية والترتيب. ومس الفرج لا ينقضه ولا لمس النساء. والتيمم والمسح على الخفين في غياب الماء وجوب الغسل ونجاسة الحيوان. ويدخل في ذلك جواز الاستمتاع بما بين السرة والركبة من الحائض وزمان أقل الحيض وستر الأمة كالحرّة، وتبدأ الصلاة بالاستعاذة والبسملة ووضع اليدين والفاتحة والصلاة على النبي والشهادتان والتشهد والانصراف يميناً ... إلخ، السابق، ٨٠-١١٤.

^{١١٠} الأحاديث (٥٠)، القدسية (١)، الآيات (٣٨)، والمثل العالمي «من جعل كل شيء سواء هما لعلته دواء»، السابق، ص ١١٢.

^{١١١} على الخواص (١٩)، ابن عربي (٤)، جعفر الصادق (٣)، سفيان الثوري، الشبلي (٢)، أويس القرني، ذو النون، إبراهيم الخواص، البسطامي، إبراهيم بن أدهم، الشاذلي، أبو العباس المرسى، القشيري، المتبولي، ابن عيينة (١).

^{١١٢} أبو حنيفة (٣١)، الشافعي (٣٠)، مالك (١٢)، ابن حزم، أحمد المزني (٢)، أبو يوسف البقاعي، ابن عبد البر الأوزاعي، ابن تيمية (١).

^{١١٣} الرازي، الجويني (٢).

^{١١٤} انتهى (٣١).

(ز) رسائل الشوكاني (١٢٥٠هـ)

(١) «رفع الريبة فيما يجوز ولا يجوز من الغيبة»^{١١٥}

وهي بين الفقه والأخلاق وإن كانت أقرب إلى الفقه نظرًا للبحث عن الحكم الشرعي للغيبة. ولا يذكر سبب للتأليف أو سياقه. وتخلو من الأبواب والفصول لصغرهما. وتكتفي بالعناوين. يعتمد على الحديث أولاً ثم القرآن دون الشعر.^{١١٦} كما تعتمد على القسمة العقلية كما هو الحال في المنهج الفقهي.^{١١٧} وتنتهي الرسالة بالحل الفقهي.^{١١٨} ولا يذكر إلا المحدثون والفقهاء مثل النووي دون الصوفية. ويوضع الحديث في التاريخ، فالكذب فيه كان قبل انقضاء القرن الثالث. لذلك قام الأئمة في كل عصر بالجرح والتعديل للتحقق من صدق الحديث.^{١١٩}

(٢) «الإيضاح لمعنى التوبة والإصلاح»^{١٢٠}

واستمر موضوع التوبة في الوعي العملي في التصوف المتأخر عند المصلحين المحدثين. وهي نقطة تطبيقية في توبة القاذف بلا شهود مثل الاتهام بارتكاب الزنا وآراء الفقهاء في تطبيق حد القاذف وليس حد الزنا. وهو أقرب إلى الفقه منه إلى الأخلاق. وسبب التأليف هو سؤال بالشعر عن الموضوع.^{١٢١} وهو عدم اكتمال النصاب في شهادة الزنا مع عدم الكذب لا عقلًا ولا شرعًا ولا عادة. وأحكام القاذف إما الحلفان أو

^{١١٥} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م (٥) ص ٨٣-١٠٢.

^{١١٦} الأحاديث (٩)، الآيات (٤).

^{١١٧} مثل: المواضع التي تباح فيها الغيبة، الجمع بين أدلة المسألة، السابق، ٨٥، ٩٣.

^{١١٨} السابق، ٨٥-٨٧، ٩٦-٩٩.

^{١١٩} «وهكذا يرتفع الأشكال عن القارئ لتلك الكتب. فلا يقال له: إنه لا يروي بالألقاب ويغتاب أهلها بقرائها في كتب السنة، السابق، ص ١٠٢.

^{١٢٠} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م (٣)، ص ٥٩.

^{١٢١}

إني أتيناك سائلًا لمهم أمر قد جرى
في فتية شهدوا على زيد بفاحشة ترى

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

رد الشهادة أو الحكم بالفسق. وتتعدد آراء الفقهاء.^{١٢٢} والجديد هو لفظ «الإصلاح» أي عقد العزم والنية على عدم العودة إلى ذلك. والمؤلف من المصلحين.^{١٢٣} لذلك يذكر الفقهاء وفي مقدمتهم مالك وأبو حنيفة والشافعي وعشرات آخرين مثل شريح القاضي. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر.^{١٢٤} وتظهر القسمة العقلية تأييدًا للدليل النقلي والرأي الفقهي.^{١٢٥} ولا يذكر من الصوفية إلا الحسن والبصري وسفيان الثوري. ويستعمل أسلوب القول «فإن قال ... قلت» نظرًا للطابع السجالي الفقهي للموضوع.

(ح) «الحقيقة الباهرة في أسرار الشريعة الطاهرة»

لأبي الهدي الصيادي (١٣٢٧هـ) ^{١٢٦}

وهو عود إلى آداب العبادات وأسرارها إلى الفقه الأخلاقي أو الأخلاق الفقهية كما يتضح ذلك من شعب الإيمان تفسيرًا لحديث «الإيمان بضع وسبعون شعبة»، سبع وسبعون شعبة.^{١٢٧} ومنها كراهية الظلم، وإمالة الأذى عن الطريق. أما الطاعة لإمام المسلمين فليست مطلقة بل مشروطة بطاعة الشريعة، فالسلطان ليس ظل الله في الأرض، ولا يقتل

قالوا زنى لكنهم دون النصاب وقد سرى
بم توبة النفر الذي ن رأوه يفعل منكرا
أيكذبون نفوسهم في الصدق أم ماذا ترى؟

^{١٢٢} السابق، ص ٥٩. «فأعلم أنه قد اختلف أهل العلم في كيفية التوبة التي يرفع عنه بها الفسق عند الجميع. وتقبل بها شهادته عند الجمهور لا عند غيرهم كما سبق. وهذا هو محل السؤال ومكان الإشكال»، السابق، ص ٦٢.

^{١٢٣} السابق، ص ٦٩-٧٠.

^{١٢٤} الآيات (١٠)، الأحاديث (٣)، الأشعار (١).

^{١٢٥} الإيضاح ... ص ٦٣-٦٧.

^{١٢٦} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦م (١)، ص ٣-٥٨.

^{١٢٧} تبدأ بالشهادتين ثم العبادات، الغسل، والوضوء، والصلاة، والزكاة، والصوم والحج، والجهاد، والهجرة، ثم الاستقامة، والجماعة، والنصيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعدل، والأمانة، والصدى، والوفاء بالعهود، وكف الأذى عن الناس، والبر، وإكرام الضيف، والصمت، والغيرة، وترك ما لا يعنيه، والتقوى، والورع، والقناعة، وتصديق القلب بإقرار اللسان، والإيمان بالصفات والأسماء، وبالأنباء والرسول، وبالكتب المنزل، والملائكة، والجن والشياطين، وعدم تكفير أحد، والنية، والإخلاص، والتوبة، والصبر، والشكر، والزهد، والتوكل، والرضا.

من يحرج عليه بعدم النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.^{١٢٨} ثم تظهر المقامات مثل التوبة والصبر والشكر والزهد والتوكل والرضا والمحبة، وبعض الأحوال مثل الخوف والرجاء. فالتصوف كأخلاق يرتكن إلى أعلى موضوع في التوحيد، موضوع علم الكلام، ويرتكز إلى الشريعة من أسفل موضوع علم الفقه. فالتصوف لا هو ضد الفقه، ولا هو ضد الشريعة. وقد تظهر بعض ملامح الطريقة ومناقب المشايخ وكراماتهم.^{١٢٩} ويعتمد على القرآن والحديث والشعر.^{١٣٠} كما يحال إلى بعض الصوفية مثل الحسن البصري وأحمد الرفاعي والتستري ثم الجنيد والحسن وغيرهم.

(ط) «البيان والتبيان في أن الصوفية مذهبها السنة والقرآن» لسيدي المختار العلوي التجاني الشنقيطي^{١٣١}

وهي رسالة في الدفاع عن الصوفية ضد الهجوم عليهم والإنكار لهم من المتكلمين والفقهاء. فالصوفية هم الفرقة الناجية وليس المتكلمين. وتنقسم الرسالة إلى واحد وثلاثين فصلاً في موضوعات عدة. وتبرز الفصول في أول الكتاب.^{١٣٢} والتنبيه على الاختصار. ويعتمد على الأحاديث والآيات والأشعار دون أي تحليل نظري.^{١٣٣} والأحاديث كلها من المجموعات المتأخرة وليست الإصحاحات الأولى. كما يعتمد على المنقول من المتأخرين. وتحذف

^{١٢٨} السابق، ص ١٤٢-١٤٨.

^{١٢٩} السابق، ص ٥٥-٥٦.

^{١٣٠} الآيات (١٠١)، الأحاديث (٧٥)، القدسية (٣)، الأشعار (١٢).

^{١٣١} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.

^{١٣٢} مثل: الأول التحذير من تعلم غير الدين ومن علماء الدنيا أهل علم اللسان، الخوارج غزاة الدين، والفرق الضالة، والتحذير من معاداة أولياء الله واغتيالهم، والتحذير من تكفير السلمي. والثاني مبادئ التصوف، والأذكار والأوراد والطرق الصوفية الأربعين مثل القادرية، والشاذلية، والخلوتية، والتيجانية. والثالث ثبوت الاجتماع بالنبي في اليقظة والمنام، الاستفتاح بالقرآن في الأوراد، وفضل الاستغفار، وفضل الصلاة على النبي والشهادة والصلاة على النبي، والسبحة، وتخصيص أوقات الصباح والمساء والثلاث الأخير من الليل، والاجتماع للذكر مع أقوام شتى والمتحابين في الله، والخلة ومحبة الرسول وآله. والرابع علم الباطن وموسى والخضر وأويس بن عامر، والشعراني، والتمسك بالسنة والتوسل بالأنبياء والأولياء والصالحين، السابق، ص ١٠-١٢.

^{١٣٣} الأحاديث (٢٦٤)، الآيات (١٨١)، الأشعار (١١).

الأسانيد لصالح المتون.^{١٣٤} ويذكر المحدثون والفقهاء وكثير من الصوفية مثل الشعراني، ثم الحسن البصري، ثم الشاذلي والجنيدي، وأويس القرني، والشيخ زروق، وعبد القادر الجيلاني، والسهروردي، ثم جعفر الصادق، والبوصيري، وابن الفارض، وابن عربي، وابن عطاء الله السكندري والسنوسي، والغزالي، والسيوطي، وأبو مدين، والطوسي، والمتبولي، أبو العباس المرسي ... إلخ.^{١٣٥} ومن الطريقة الشاذلية، والسهروردية، والقادرية، والتجانية. ومن الفقهاء مالك، وابن حجر. ومن المذاهب الفقهية، المالكية. ويحال إلى عدة مصادر تؤخذ منها عدة اقتباسات تنتهي بعلامة انتهى». ^{١٣٦} والمؤلف هو الفقير إلى الله الغني به عن كل ما سواه، المعترف بجهله وقصوره من الطريقة التجانية، والمذهب المالكي. وسبب التأليف هو الدفاع عن الصوفية ضد الهجوم عليهم مثل البوصيري مادح الرسول وابن الفارض، وابن عطاء الله، وابن عربي، والتجاني.^{١٣٧}

(ي) «الشموس المشرقة في شرح الطريق الجامع للشرعية والحقيقة» للخالد العمراني^{١٣٨}

وهي أيضاً في اتفاق الفقه والتصوف، الشرعية والحقيقة. وسبب التأليف هو الحاجة إلى شرح بسيط ومختصر يتناسب مع فقراء هذا العصر وإلى مرشد في الطريق للوصول

^{١٣٤} مثل «الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية» للسنوسي و«الإحياء» للغزالي، و«أنوار القلوب في العلم الموهوب» للمقلي، و«الطبقات الكبرى» للشعراني.

^{١٣٥} الشعراني (٥)، الحسن البصري، الجنيدي (٤)، أويس القرني، الشاذلي (٣)، زروق، الجيلاني، السهروردي (٢)، جعفر الصادق، البوصيري، ابن الفارض، ابن عربي، ابن عطاء الله السكندري، السنوسي، الغزالي، أبو مدين، الإدريسي، الدريدري، الكرخي، الطوسي، الكوراني، المتبولي، أبو العباس المرسي، القناوي ... إلخ (١).

^{١٣٦} مثل «الحجة البالغة في كون إذاعة القرآن سائغة» لإبراهيم بن الحاج، «ريحانة القلوب في التوصل إلى المحبوب» للعجمي، «شرح المواهب» للزرقاني، «شواهد الحق» ليويسف النبهاني، «انتهى» (١٥).

^{١٣٧} «إني منذ زمن وأنا أسمع أن بعض من ينتسب للعلم يقدر في أولياء الله تعالى الصوفيين، بأبشع ما يكون من القدر وعلى الخصوص سيدي محمد البوصيري ... وابن الفارض وابن عطاء الله، وابن عربي ... والتجاني»، السابق، ص ٧. وهي مجموعة الدعاة. فدعوتهم تتركز أساساً على تكفير الصوفية عامة وتضليل أهل المذاهب الأربعة. فإلى ليت شعري من هم المسلمون إذ ألغى منهم جميع الصوفية وجميع المذاهب الأربعة؟ وأي مصلحة للإسلام في هذا النقص الكبير الذي لا طائل من ورائه؟»، السابق، ص ١٢.

^{١٣٨} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤ / ١٤٢٥ هـ (٣)، ص ٥١-٨٣.

إلى التحقيق. بالرغم من كثرة التأليف في الموضوع.^{١٣٩} لذلك جاء الكتاب مدرسياً تعليمياً له مراجع في النهاية.^{١٤٠} تضم العلوم العصرية والعلوم القديمة.^{١٤١} ويعلن عن الموضوعات العشرة حول الذكر والولاية والمقامات والنفس والعلم والنور والعبادة والملك والملوك والجبروت.^{١٤٢} وفيها آثار مصطلحات ابن عربي مثل العبودة. تعتمد على الشعر والحديث والقرآن وأقول الصوفية ومقتبسات من أعمالهم بعلامة «انتهى».^{١٤٣} ومن الصوفية يتقدم ابن عجيبة الذي ينتسب إليه المؤلف ثم ابن عطاء الله ثم الجنيد والشاذلي، ثم ابن الفارض، ثم الغزالي وابن عربي، والجيلاني، وغيرهم. ومن الفقهاء الشافعي، والقرافي.^{١٤٤} ويحال إلى بعض المصادر القديمة والحديثة.^{١٤٥} ومع ذلك يعتمد الكتاب على القسم العقلية، قسمة الموضوع إلى ألفاظ تجعله أقرب إلى المصطلحات مع عرض نظري رصين.^{١٤٦} مثال ذلك قسمة فوائد العزلة، وفوائد الجوع إلى عشرة، ومنازل

^{١٣٩} «وبالرغم مما ألفناه في الشريعة والطريقة والحقيقة، وما ألفه غيري من ذوي الهمم المشرقة يحتاج كل ذلك إلى شرح مبسط ومختصر ليناسب فقراء هذا العصر. وقد طلب منا إخواننا الفقراء المنورين، أصحاب الأوراد السنية والهمم العالية، أن أضع لهم مرشداً لهم في الطريق يذريها لهم حتى يصلوا إلى عين التحقيق...» السابق، ص ٥١.

^{١٤٠} مراجع الكتاب، السابق، ص ٨٣.

^{١٤١} مثل العلوم الاجتماعية، وعلم الحساب والهندسة، والطب، والصيدلة، والعلوم التوقيفية، والفلكية، السابق، ص ٨٠.

^{١٤٢} هذه الموضوعات العشرة هي: (١) مراتب الذكر اللساني والقلبي (٢) ركائز الولاية الخاصة (٣) مقام الإسلام والإيمان والإحسان، الشريعة والطريقة والحقيقة (٤) مقامات المقربين الاثني عشرة (٥) منازل السائرين (٦) الملك والملوك والجبروت، والناسوت واللاهوت والرحموت (٧) أنوار التوجه والمواجهة انطلاقاً من جنود القلب والنفس الأمارة (٨) أطوار النفس البشرية التي هي النفس والعقل والقلب والروح والسر المكمل (٩) العبادة والعبودية والعبودة (١٠) العلم والمعلوم، السابق، ص ٥١-٥٢.

^{١٤٣} الأشعار (٣١)، الأحاديث (١٧)، الآيات (١٥).

^{١٤٤} ابن عجيبة (١٥)، ابن عطاء الله صاحب الحكم (٦)، الجنيد، الشاذلي (٣)، ابن الفارض، أبو العباس المرسي (٢)، الحسن البصري، داود الطائفي، الكرخي، السري السقطي، القشيري، أبو علي الدقاق، (١). ومن الفقهاء: الشافعي، القرافي (١)، ويحال إلى ستة مؤلفات لابن عجيبة وواحد شارح لثلاث قصائد للمؤلف.

^{١٤٥} مثل: «الإحياء»، «شروق أنوار المعارف في أفق سماء القلوب» لابن عجيبة.

^{١٤٦} السابق، ٥٧، ٥٩، ٦١، ٦٣-٧١.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

السائرين والاستقامة والتقوى والإخلاص والصدق والتوبة والخوف والرجاء والورع،
والزهد، والصبر، والشكر. والتوكل، والرضا، والتعليم والمراقبة والمحبة إلى ثلاثة والألفاظ
والمصطلحات تجعله أقرب إلى القواميس والمعاجم.^{١٤٧}

(ك) رسائل السماع

«كتاب السماع» لابن القيسراني (٥٠٨هـ)^{١٤٨}

وهو كتاب في الفقه أكثر منه في التصوف كما أن كتاب «الأغاني» في الشعر وليس
في الغناء. والصوفية تقرض الشعر وتتذوقه. وهناك الصوفية الشعراء كالحلاج وابن
الفارض وابن عربي والتلمساني وغيرهم. ويقوم الكتاب على قسمة جدلية بين أدلة تحليل
السماع وأدلة تحريمه بالرغم من عدم وضوح ذلك في التنفيذ.^{١٤٩} إذ يشمل الكتاب بعد
خطبة المؤلف على الكلام على الغناء على الإطلاق، والقول في حزب الدف بدون ترقيم. ثم
يأتي الجزء الثاني. ويضم القول في استماع اليراع والكلام في استماع القضيب والأوتار،
والقول في المزامير والملاهي. ثم يأتي فصل بلا ترقيم، الكلام على الأحاديث المحتج بها
على تحريم السماع. وهو الفصل الثاني المعلن عنه مما يدل على أن السابق كله كان في
الفصل الأول الذي يدل على التحليل. ثم يأتي فصل بلا ترقيم عن «مزاح الحسن مع
المرأة التي جاءت تسأله». ويعتمد على الأدلة النقلية خاصة الحديث ثم القرآن ثم الشعر،
دون الإسرائيليات.^{١٥٠} ومع ذلك هناك الأدلة الذوقية المتضمنة في التحليل أو التحريم
المستقلة عن الأحاديث أو التي تركز الأحاديث عليها. وتذكر الأحاديث مع رواياتها.
فصحة الحديث متوقفة على السند دون المتن.^{١٥١} وأحاديث التحريم روايات أفعال.

^{١٤٧} مثل: تعريف الشريعة والحقيقة والطريقة، الملك والملوكوت، والجبروت، الناسوت، واللاهوت،
والرحموت، والنفس والقلب والروح والسر، والعبادة والعبودية والعبودة، والعلم والعلوم ... إلخ.

^{١٤٨} المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٠م/١٣٩٠هـ.

^{١٤٩} «وأنا أبين ذلك إن شاء الله تعالى في فصلين. الفصل الأول يشمل على جواز استماعه بالأدلة الصحيحة
الواضحة، والفصل الثاني يشتمل على ما احتجوا به على تحريمه وبيان بطلانه»، كتاب السماع، ص ٣٣.
^{١٥٠} الأحاديث (٦٠)، الآيات (١٦)، الأشعار (١٥).

^{١٥١} من نقد السند إلى نقد المتن، حصار الزمن ج ٣ ص ٥٣-١٥٦.

وهي أضعف من أحاديث التحليل، وهي روايات أقوال. ولا يذكر إلا الفقهاء والمحدثين والشعراء وأقلهم من الصوفية. فمن الفقهاء الشاذلي وأحمد ومالك. ومن الشعراء أبو نواس. ومن الصوفية سفيان بن عيينة وسفيان الثوري.^{١٥٢}

(٢) «بوارق الإلماع إلى مسألة السماع» لأحمد بن محمد الغزالي (٥٢٠هـ) ^{١٥٣}

وهو موضوع في الوعي العملي في الطريق أو في الفقه. فهو من سلوك أهل الطريق. وفي نفس الوقت هو جدل بين فقهاء التحريم مثل أبي حنيفة والتحليل مثل جموع الفقهاء. وسبب التأليف كالعادة سؤال من بعض العلماء عن السماع فوائده، وشروطه اعتماداً على القرآن والحديث والرد على منكره. والرد بعد الاستخارة وليس المبادرة بناء على قرار حر. وهو «عبد الله المفتقر إلى إنالة فيض فضل الله تعالى، الملتجئ إلى جنات الله».^{١٥٤} والسماع له زمان ومكان وإخوان. الزمان أوقات صفاء القلوب، والمكان الزوايا والخوانق والمساجد، والإخوان المؤمنون وإخوان الصغار والمواجيد والمعارف والتغاريذ والذوق والشوق والكمال. وهم الإخوان بالحقيقة. ويعتمد على الأدلة النقلية من القرآن والحديث والشعر وأقوال الصوفية.^{١٥٥} ويذكر من الصوفية الجنيد والشبلي والكرخي وابن خفيف الذين يجيزون السماع. ومن الفقهاء أبو حنيفة الذي يحرمه وأبو البيان. وتؤيد الأدلة العقلية الأدلة النقلية، مثل حركة الأرواح في الأجساد، وتقوية العقل بالغذاء الروحي، والتوجه من الظاهر إلى الباطن، واتصال الصوت بالقلب. هو سكون في

^{١٥٢} ويذكر أيضاً أبو عبد الرحمن الصوفي راوياً وأحمد بن علي بن الحسين الصوفي، كتاب السماع، ص ٤٢، ٩٣.

^{١٥٣} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥ م (٧)، ص ١٣١-١٥٧.

^{١٥٤} «سألني بعض العلماء المتوجه إلى الله في السراء والضراء أن أكتب لأهله خاصاً للطلاب عامّاً رسالة في السماع وفوائده وشروط فعله لظهور فوائده مستشهداً عليه بالقرآن والحديث وأفعال الصحابة والرد على منكره وما يلزمهم من المحذورات شرعاً. وأستدل بالكتاب والسنة والمنقول والمعقول، على أن من قال إن السماع حرام مطلقاً لزمه الاعتراف بأن النبي فعل حراماً ونظر بالحرام، وأقر غيره على الحرام. ومن اختلج في ظنه ذلك كفر بالإجماع، وسدت عليه طرائق المنائح والإلماع. فلما رأيت صدق رغبته أجبته سؤاله وحصلت نواله بتحرير هذا الكتاب من حضرة الملك الوهاب ...» السابق ص ١٣١-١٣٢.

^{١٥٥} (٤) الآيات (٢٦)، (الأحاديث (١٩)، (الأشعار (٨).

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

الباطن وحركة في الظاهر. وهو من النهايات الكمالية للمقامات. هو السماع المعتبر عند الأولياء أرباب الأحوال والمقامات لتحريك أرواحهم إلى عالم القدس وتذكراهم مقام الأنس.^{١٥٦}

(٣) «إيضاح الدلالات في سماع الآلات» للناقلي (١١٤٣هـ)^{١٥٧}

وهو نموذج للنصوص الفقهية الصوفية بحيث يصعب التفرقة بين الفقه والتصوف كما كان الحال في البداية عندما كتب المحدثون في الشكر والزهد كما كتب الصوفية. والصراع بين الفقهاء الصوفية، بين «التنزيل» و«التأويل» هو صراع منهجي في التعامل مع النص بين الظاهر والباطن وليس صراعاً موضوعياً حول القيم الإسلامية كما هي في المقامات والأحوال. وإذا كان التصوف قد ارتبط بالشافعية نظر لاتفاقها في التطور وفي الرؤية وفي التصور للعالم إلا أن بعض الصوفية حنفية مثل الناقلي وبعضهم مالكية، والبعض حنابلة بالرغم من عداة السلفية للتصوف كما وضع عند ابن تيمية في «الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»، وهجومه على وحدة الوجود عند ابن عربي والتلمساني والقونوي وعلى الشطحات عند الحلاج والبسطامي والشبلي. وتجتمع المذاهب الفقهية الأربعة على رأي واحد وهو رأي الصوفية في أن السماع حلال. ولا يعني السماع فقط الموسيقى والآلات بل أيضاً الشعر والأناشيد والابتهالات والمناجاة أي كل فنون الإيقاع. وإبطال السماع إبطال للقرآن لأنه فن صوتي في التجويد والتنغيم والقراءة.

وسبب تأليف الكتاب هو لغط الفقهاء بتحريم السماع. وهو جهل بالشرعية. هنا يتفق الصوفية مع الفقهاء، والحقيقة مع الشريعة. يعتمد على الأدلة النقلية من المذاهب الأربعة جميعها وعلى أقوال معظم الصوفية لرفض التحريم وإثبات التحليل.^{١٥٨} ويعتمد

^{١٥٦} بوارق الإلماع، ص ١٤٧-١٤٩.

^{١٥٧} دار الفكر، دمشق ١٩٨١م/١٤٠١هـ.

^{١٥٨} «لما رأيت أكثر الناس أكثروا الكلام بين الخواص ومنهم العوام في مسألة سماع الآلات بالنغمات المطربات، وأطبق الجهال ألسنتهم بالحرمة من غير معرفة تفصيل ولا اطلاع على برهان في ذلك ولا دليل، وحملهم التقليد لبعضهم بعضاً، واستباحوا لمن خالفهم في غلطهم ديناً وعرضاً فطلب مني بعض

على منهج يقوم على قاعدتين: الأولى: التمييز بين الإطلاق والتقيد. والثانية: معرفة وجه الحكم.^{١٥٩} كما يعتمد على النوازل وما حل بدمشق ببلاد الشام.^{١٦٠} وما زال الاستدلال يعتمد على القسمة العقلية ومعرفة وجوه الموضوع.^{١٦١}

ويعتمد الكتاب على العديد من الأدلة النقلية من الآيات والأحاديث، والأحاديث أكثر. كما يعتمد على عديد من الأشعار التي تعبر عن التجارب الإنسانية العامة.^{١٦٢} والاعتماد الأكثر على المصادر الفقهية المدونة.^{١٦٣} ومن الأعلام يتقدم أيضاً ابن حجر العسقلاني بعد الرسول. ويعتمد على الصوفية مثل ابن عربي، وشهاب الدين المقدسي، والشيخ العيني، وشهاب الدين الحديدي، والغزالي، والجنيد، والخواص، وأبي طالب المكي، والقشيري. والفقهاء مثل مالك والقاري والعمادي وابن حجر والشافعي وأبي حنيفة، والسبكي.

الأصحاب كتابة شيء في بيان هذه المسألة لأولي الألباب وإن كان العلماء المتقدمون والمتأخرون أكثرها فيها البيان على وجه الصواب. ولهم فيها الرسائل العديدة والعبارة المفصلة المفيدة، ولكن الجهال ما لهم اطلاع لعجزهم عن التحقيق في فقه الأحكام وقصر الباعة فكتبت هذه الرسالة لأهل الإنصاف من الإخوان، إرشاداً إلى ما هو الحق والصواب في هذا الشأن، وإنقاذ الأصحاب من ورطة الجاهلين المعاندين في أحكام هذا الدين ... إيضاح، ص ١٥-١٦.

^{١٥٩} السابق، ص ١٩-٢٠.

^{١٦٠} «لا سيما أهل بلدتنا هذه دمشق الشام من دون سائر بلاد الإسلام»، السابق ص ٤٧.

^{١٦١} قسمة السماع إلى ثلاثة أقسام، السابق، ٧٢٨-٧٣.

^{١٦٢} الأحاديث (٤٢)، الآيات (٢٩)، الأشعار (١٩).

^{١٦٣} حوالي ٦٦ نصاً منها: «كف الرعا» لابن حجر العسقلاني (١٠)، «الحاوي» للماوردي، «ربيع الأبرار» للزمخشري، «السماع» للحديدي، «صحيح البخاري»، «قوت القلوب» لابي طالب المكي، «الأغاني»، «اقتناص السوانح» لابن دقيق العيد، «تاريخ بغداد» للبغدادي، «التذكرة الحمدونية» لابن حمدون، «تحفة الأكياس»، «جامع الفتاوى» للقاري، «السماع» للبغدادي، «صحيح مسلم»، «طبقات الشافعية» للسبكي، «الفتاوى البزازية»، «قنية الفتاوى» لابن مسعود، «المبتغى» للقوشهري (٢)، «إحياء علوم الدين»، «الأم الإمتاع بحكم السماع» للخضري، «البحر الرائق» للمصري، «الدائع» للكسائي، «البيان» للميني، «تنوير الأبصار» لابن ترمتاش، «التهذيب» للبغوي، «تحفة أولي الألباب في العلوم المستفادة من الناس والشباب» و«صخرة بابل وغناء البلابل» للناقلي، «الرسالة» للشافعي، «روح القدس في مناصحة النفس» لابن عربي، «شجون المسجون» لابن عربي، «الطبقات الكبرى» للشعراني، «العقد الفريد» «المطالب الوفية في علم الصوفية» للناقلي ... إلخ (١).

كما يعتمد على أقوال الصحابة.^{١٦٤} بل يخصص النابلسي جزءاً من الكتاب لرصد كلام الفقهاء في المتصوفة ومراده منهم.^{١٦٥}

(٤) «أحكام الذكر والسمع عند الصوفية» لسعيد بلبل (١٣٨٨)^{١٦٦}

وهو موضوع فقهي تقليدي درسه المعاصرون مع التمييز بين الذات والموضوع، بين الباحث وموضوع البحث، أسوة بالدراسات الجامعية الحالية التي ينفصل فيها الباحث عن موضوعه بدعوى الموضوعية والحياد. فالباحث شيخ صوفي يدرس موضوعاً فقهياً عند الصوفية. ويشعر الباحث بالدونية أمام موضوعه، ويحقر ذاته على عادة المحدثين في تسمية أنفسهم «العبد الفقير إلى رحمته تعالى»، «العبد الضعيف الذليل».^{١٦٧}

وتضم موضوعات متفرقة متناثرة بلا أبواب أو فصول. ولا يستغرق موضوع أحكام الذكر والسمع، حلاًّ أو حراماً مع الفتاوى إلا حيزاً جزئياً من بين ثلاثة عشر موضوعاً في السماع كأصوات مثل الذكر والإنشاد وتجويد القرآن ومخارج الحروف، والهز والتمايل والرقص، والدف والأصوات، والتصفيق.^{١٦٨} ثم تتحول الفنون السمعية إلى بصرية في الخرقه والحزام والراية، وعلاقة الشيخ بالمريد، والصوفية والمتشبهين بهم والسيرة الذاتية لبعضهم. ويعتمد على فتاوى السابقين واللاحقين.^{١٦٩} وفي النهاية تذكر

^{١٦٤} الرسول (٥٥)، ابن حجر العسقلاني (١٢)، الشافعي، ابن قتيبة (١) عمر (٩)، الزهري، أبو طالب المكي، عائشة، البغدادي، (٧) معاوية (٦)، أبو بكر، البيهقي، عبد الله بن جعفر مالك (٥)، ابن حنبل، البخاري، حسان بن ثابت، أبو حنيفة، سفيان بن عيينة، ابن عباس، عبد الله بن عمر، عمرو بن العاص، الأصفهاني (٤)، البغدادي، المقد الموصلي، النابلسي، النيسابوري، الزمخشري، سعيد بن المسيب، الشعبي، ابن عبد البر، ابن عوف، الغزالي، الماوردي، ابن عربي (٣)، بلال، البيضاوي، ابن دقيق العيد، الجنيد، ابن الجوزي، الحجاج، حمزة، السبكي، شريح، المناوي، ابن الأرقم، الصديق، ابن جريج، قيس، مسلم، المغيرة (١).

^{١٦٥} السابق، ص ٧٤-١١٢.

^{١٦٦} المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق ٢٠٠٢ م.

^{١٦٧} «جمعها أحقر الوري وأفقر الفقراء»، أحكام الذكر، ص ٣١.

^{١٦٨} السابق، ص ٤٩-٥٣، ٦٤-٦٥، ٧٩-٨٧.

^{١٦٩} السابق، ص ٣١.

إجازة الشيخ تفاخراً.^{١٧٠} وهي مجرد ذكر لمشايخه وتثبت بالنصوص والشروح والحواشي التي قرأها.

وتعتمد على القرآن والحديث والشعر.^{١٧١} وتكثر الأحاديث القدسية لما فيها من طابع فني يتفق مع الموضوع. ويتم رؤية الرسول في المنام. وتطبق الآيات القرآنية عن العهد والولاية وعمل الصوفية.^{١٧٢} كما تعتمد على عديد من المصادر المدونة ينقل منها حتى يبدو الكتاب وكأنه تجميع لبعض النصوص في الموضوع مع علامة «انتهى».^{١٧٣} أو «اه».^{١٧٤} وتستعمل الشروح والحواشي.^{١٧٥} ولا يذكر إلا أعلاماً قليلة من الصوفية.^{١٧٦}

ومع ذلك يعتمد الموضوع أحياناً على القسمة العقلية مما يكشف عن بقايا أعمال العقل والتصوف النظري.^{١٧٧} ويدل التمسك بالعقيدة والتوحيد على درأ الصوفية عن أنفسهم شبهات الخروج على العقيدة وقولهم بالحلل والالاتحاد ووحدة الوجود.^{١٧٨} وترد الرسالة على الشبهات التي قيلت حول الصوفية والتصوف.^{١٧٩} ويتوجه الخطاب إلى القارئ لتجنيد.^{١٨٠} وبالرغم من أن المؤلف سوري الأصل.^{١٨١} إلا أنه يدرك أهمية

^{١٧٠} السابق، ص ١٠٥-١٠٨.

^{١٧١} الآيات (٢٢)، الأحاديث (٢٢)، الأشعار (١٨)، القدسية (٤).

^{١٧٢} السابق، ص ٦٦، ٨٠.

^{١٧٣} السابق، ص ٣٥، ٥١، ٥٥، ٦٥، ٨٤، ٨٦، ٩٤.

^{١٧٤} السابق، ص ٧٤.

^{١٧٥} السابق، ص ٤٣.

^{١٧٦} السابق، ص ٥٩.

^{١٧٧} مثل: إبراهيم بن أدهم، توبان، الجنيد، الحلاج، البسطامي، الغزالي، النابلسي، الشعراني، الجيلاني، إبراهيم الدسوقي، أبو نعيم الأصفهاني، العسقلاني، ذو النون، الدقاق، الشعراني، السهروردي، ابن الفارض، الترمذي، الغزالي، الشاذلي، السنوسي، أبو طالب المكي، زروق. ومن الفقهاء ابن حنبل، الشافعي، الماوردي، السرخسي، ومن المتكلمين الباقلاني، ومن المفسرين القرطبي والرازي. السابق، ص ٧٧-٧٨.

^{١٧٨} أحكام الذكر، ص ٣٢-٣٣، ٦٤-٦٦.

^{١٧٩} السابق، ص ٧٧-٧٨.

^{١٨٠} السابق، ص ٩١-٩٦.

^{١٨١} السابق، ص ١٠٣.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

مصر المحروسة.^{١٨٢} وتبين المقدمة استعمال السلطة العثمانية للطرق الصوفية وأذكارها وسماعها للسيطرة على العامة.^{١٨٣}

(٤) علم الأخلاق

وبالرغم من أن علم الأخلاق ليس علمًا نقليًا من العلوم الخمسة: القرآن، والحديث، والتفسير، والسيرة، والفقه، إلا أنه نظرًا لاستناده على الأدلة النقلية فإنه أشبه بالعلوم النقلية. وهو ضمن الحكمة العملية نظرًا لاستناده إلى الأدلة النقلية.^{١٨٤}

(أ) «سر الأسرار وكشف الأنوار» لأحمد بن محمد الغزالي (٥٢٠هـ)^{١٨٥}

وهي مجموعة من المسائل النظرية على شكل أسئلة خمسة عشر. الخمسة الأولى عن الفقر والفقر الصادق، وعلاقة الفقر الكامل والفقر النافع وأحاديث الفقر، وهو أحد المقامات، والثلاثة التالية في السلوك الكامل للواصل وحقيقة السلوك ومراتبه وعلامة السالك. والخمسة التالية في الخلوة ومراتب الذكر، وأفضل آية للقراءة في الخلوة، وحضور السماع للخلوتي وضرورتها وأنواعها. والاثنان الأخيران ما يمنع الإنسان كالعلم وطريق السلامة الكلية. والمقدمة أشبه بالإطار العام وهو الارتقاء من حضيض البشرية إلى فنن الرحمانية، والوصول إلى الكمال الخلقي والتحرر من القوى الثلاث السبعية والغضبوية والشهوية.^{١٨٦} ومؤلفها العبد الفقير إلى الله تعالى الراجي رحمة ربه الجليل القدير أخو حجة الإسلام. ولا يعتمد إلا على القرآن والحديث دون أشعار أو أقوال الصوفية أو محدثين أو فقهاء.^{١٨٧}

^{١٨٢} السابق، ص ٨٨.

^{١٨٣} السابق، ١٤-١٩.

^{١٨٤} من النقل إلى الإبداع، مجد، الإبداع حد، الحكمة العملية. الفصل الأول: الأخلاق.

^{١٨٥} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥ م (٦)، ص ١٠٥-١٢٧.

^{١٨٦} سر الأسرار، ص ١٠٥.

^{١٨٧} الآيات (١٥)، الأحاديث (٤).

(ب) «الورع» للإبياري (٦١٦هـ)^{١٨٨}

وهو في التصوف الخلقي ينقسم إلى أربعة فصول. الأول في حقيقة الورع وحده وبيان لفظه في اللغة والشرع. والثاني في حكمه وتفاوت مراتبه ودرجاته. والثالث في بيان محاله ومعرفة مناط متعلقه. والرابع في بيان وساوس بعض الناس وتلبيس إبليس في جعل ما ليس بورع ورعًا وهو الورع الكاذب. ويعتمد على الحديث والقرآن وحدهما دون الشعر والصوفية.^{١٨٩} وتكثر الإشارة إلى الفقه وكأن الورع موضوع فقهي. كذلك يتقدم مالك وحده من الفقهاء.^{١٩٠}

(ج) رسائل ابن عربي (٦٣٨هـ)

(١) «الوصايا»^{١٩١}

ولا تحتاج الأخلاق إلى المرور بتجاوز الفقه دائمًا بل يمكن أن تتجه إلى الأخلاق مباشرة عن طريق المواعظ الأخلاقية والنصائح العملية. وهي وصايا إلهية، نبوية، روحية، موسوية، عيسوية، محمدية، أو وصايا الصالحين والعارفين. وتتعدد أشكالها الأدبية بين الوصايا والحكاية والحكمة والنصيحة والموعظة والتوبيخ والتنبيه والتحذير والتحريض والتذكرة والتعريف والبيان. قد يكون الهدف منها اللطف أو المنفعة في طهارة الجوارح أو الأخبار أو الإقبال على شيء أو الإعراض عنه أو ترك الفضول أو رجاء شيء أو ذم انبساط الأمل ونسيان الأجل أو الإجارة والاستجارة. وتعتمد على كثير من الأدلة النقلية، الآيات والأحاديث والأشعار.^{١٩٢} وقد تتوالى الآيات تباَعًا في دفقة طويلة النفس.^{١٩٣} وقد تكون الوصايا من القرآن وحده فليس هنا أبلغ أثرًا منه.^{١٩٤} وتكثر الأحاديث القدسية

^{١٨٨} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ، ١١٥-١٥٥.

^{١٨٩} الأحاديث (١٠)، الآيات (٨).

^{١٩٠} مالك (٩).

^{١٩١} مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، (د.ت).

^{١٩٢} الآيات (٣٢٥)، الأحاديث (٢٧٠)، الأشعار (٥٢).

^{١٩٣} الوصايا، ص ٢١٨-٢٢٦، ٢٩٢-٢٩٤.

^{١٩٤} السابق، ص ٢١٨-٢٢٦، ٢٨٠.

لما لها من خيال وإخراج مسرحي في أشكال أدبية متعددة وحوارات بين الله والأنبياء أو بين الأنبياء والرسول أو بين الله والملائكة أو بين الملائكة والأنبياء. وكل ذلك دون أسانيد تاريخيه مضبوطة، ويكفي «وقد ثبت أن»، و«في الخبر» دون سند. وقد يطول الحديث مع نداءات مستمرة «يا أبا هريرة»^{١٩٥} تتوالى الأحاديث تباعاً^{١٩٦} وقد تكون الوصية شعراً^{١٩٧} فالشعر يكفي. وهو ديوان العرب. وبه دونت العلوم الإسلامية للمساعدة على الحفظ في عصر الموسوعات الكبرى والشروح والمختصات خوفاً من الضياع بعد الغارات على العالم الإسلامي من الغرب ومن الشرق. وتدخل وصايا من التوراة طبقاً للإسرائيليات، ومن أقوال الأنبياء مثل لقمان^{١٩٨} ومن أعلام الصوفية يتقدم ذو النون، ثم أويس القرني، والبسطامي، والعريني، وأبو مدين، والغزالي، وابن طفيل صوفياً.

(٢) لطائف الأسرار» أو «تنزيل الأملاك من عالم الأرواح إلى عالم الأفلاك»^{١٩٩}

وكما خرج التصوف من الفقه والأخلاق فإنه عاد إلى الفقه والأخلاق من جديد عندما ضعف التصوف النظري. وقد حدث ذلك في كثير من مؤلفات ابن عربي ورسائله، بالرغم من أنه في قمة التصوف النظري^{٢٠٠} والكتاب له عنوانان، وكلاهما بعيد عن المضمون. الأول العنوان الأطول «تنزيل الأملاك من عالم الأرواح إلى عالم الأفلاك» ويعني نزول الحقائق وهي الملائكة من التصوف النظري إلى التصوف العملي. وعالم الأرواح يرمز إلى الحقائق النظرية. وعالم الأفلاك يرمز إلى الواقع العملي^{٢٠١} وهو ما يتضح في العنوان الثاني لطائف الأسرار» أي التحول من الفقه إلى الأخلاق عن طريق التأويل والانتقال

^{١٩٥} السابق، ص ٢١٢.

^{١٩٦} السابق، ص ٢٢٧.

^{١٩٧} السابق، ص ٩٢-٢٠١.

^{١٩٨} السابق، ص ٢٦٠-٢٧٣.

^{١٩٩} دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦١ / ١٣٨٠هـ.

^{٢٠٠} ويشبه الأربعين في «أصول الدين» للغزالي في الجمع بين الفقه والعقائد.

^{٢٠١} «بهؤلاء السادات في سرتي لهذه العلوم تأسيت بهم، وفيها اهتديت. وسميت هذا الكتاب ... على أوامر صفات العلام الإله المالك والقهار الفاتح على أبواب الأبواب الصافات عند الباب، السرائر صلوات أيام الليل الحالك والنهار الواضح»، السابق، ص ٣٦.

من الشريعة إلى الحقيقة، ومن أعمال الجوارح إلى أعمال القلوب، كما كان التصوف في البداية.

والكتاب قائم على اللغز والرمز كي تصح المناجاة. لذلك أيضاً «لطائف الأسرار».^{٢٠٢} والهدف هو إخفاء المعاني الباطنية والعلوم الكشفية عن أهل الظاهر عقوبة لهم على إنكارها.^{٢٠٣} وينقسم إلى أربع وخمسين باباً متتالية. ولكن المحقق ردها إلى ستة فقط.^{٢٠٤} والكتاب كله تقريباً في الصلاة. وليس الفقه فقط هو الأخلاق بل هو الكون كله. ولا تطابق الشريعة الحقيقة فقط بل تطابق الموجودات كما لاحظ إخوان الصفا من قبل. والأدلة النقلية كثيرة. الأشعار أولاً ثم الآيات ثم الأحاديث مما يدل على أولوية التجربة الشعرية.^{٢٠٥} كما يظهر القرآن الحر كجزء من الأسلوب. وبعض الفقرات موجهة إلى القارئ ببناء «يا أخي» مثل إخوان الصفا. فالتصوف دعوة وتجنيد للناس وليس فقط تأملاً نظرياً فردياً.

^{٢٠٢} «فهو مبني على اللغز والرمز ليتحقق المدعي في مناجاة ربه عند وقوفه على هذه النتائج بالحصر والعجز»، السابق، ص ٣٥.

^{٢٠٣} «وإنما قصدت أيضاً ستر هذه المعاني الإلهية في هذه الألغاز الخطابية غيرة من علماء الرسوم، وعقوبة لهم من أجل إنكارهم. كما ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم. وجعل غشاوة على أبصارهم. فلم يدركوا من روائع الحقائق شمسه...»، السابق، ص ٣٥.

^{٢٠٤} الباب الأول (ص ٨)، الثاني (٤ ص)، الثالث (٩ ص)، الرابع (٧ ص)، الخامس (٥٢ ص)، السادس (٨٨ ص)، الأول في ذكر اسم الكتاب وعنوانه. والثاني في التكليف والمكلف والتكاليف. والثالث في الشريعة، سبب وضعها، واتفاق الرسول مع المرسل إليه، ومقام الرسالة والرسول، وتلقي الرسالة وشروط أحكامها، وتلقي الرسالة الثانية الموروثة من النبوة وهي الولاية. والرابع في الصلاة، الصلوات الخمس وعلة أسمائها وشروط الإمام والخامس في الطهارة وأركان الصلاة، سببها، والتيمم، والنية والغسل، والاستنجاء، والاستحمام، والمضمضة، والاستنشاق، والاستنثار، وغسل الوجه واليدين إلى المرفقين والقدمين، ومسح الرأس والأذنين كل ذلك من أجل نزول الروح على القلب ثم التشهد والانصراف إلى الصلاة، وطهارة الثوب وأركان الصلاة من تكبير ورفع اليدين والتوجه إلى الصلاة والوقوف والقراءة، الفاتحة، والسورة، والركوع والسجود، والجلوس والتشهد، والسلام وسجدة السهو. والسادس في الإمام وأيامه. وهو أكبرها. فلكل صلاة يوم، الإمام الأحد، والمأموم الاثنين، والعشاء الثلاثاء، والعصر الأربعاء، والظهر الخميس، والمغرب الجمعة، والصبح السبت، وأهمية الصلاة الوسطى ودوام الصلاة. والمقصود من ذلك كله بيان الاختصاصات والانفعالات.

^{٢٠٥} الأشعار (٧٢)، الآيات (٥٢)، الأحاديث (٢).

(د) «تاج العروس المؤدي لتهديب النفوس» لابن عطاء الله السكندري (٧٠٩هـ) ٢٠٦

وهو نص مجمل يبدأ بالتوبة. وينتهي ببيان للمعتبرين وهداية للمتبرين وبفضل في مناجاة الحق لعبده وليس مناجاة العبد لربه. ويعتمد على الكتاب والسنة والشعر. ٢٠٧

(هـ) «بيان فضل خيار الناس والكشف عن مكر الوسواس»

لابن ميمون الغماري (٩١٧هـ) ٢٠٨

وهو أيضًا نص مجمل في الأخلاق صنو الفقه والمرحلة الأولى في التصوف. وموضوع الوسواس ينتمي إلى التصوف النفسي مع الخاطر. الغاية الوصول إلى درجة الإخلاص ومنع الرياء أشد أنواع الشرك. فالعمل عمل القلب. ومنعًا أيضًا للعجب، والرياء والعجب وسواسًا من النفس. القلب العبد. لذلك حرم الفقه الرياء والعجب وما شابههما من الكبر والحسد والحقد والغضب وحب الرياسة والجاه وحب الدنيا مثل باقي المعاصي، شرب الخمر وقتل النفس والغيبة والنميمة. يدفع الوسواس إلى تجاوز المباح. والرياء والعجب يفسدان العبادة. ومعرفة ذلك بالعلم. والعلم بالمعلم. والوسوسة نوعان للخاصة في أعمال القلوب، وللعمامة في أفعال الجوارح. والذريعة في الحالتين «هكذا وجدنا مشايخنا» أي الاستسلام لعادة العصر. ٢٠٩ ويعتمد على القرآن والحديث دون الشعر. ٢١٠ ومن الصوفية الأوائل من التابعين يستدعي إبراهيم النخعي والجنيد. ٢١١

٢٠٦ دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥/١٤٢٦هـ (١)، ص ٤-٤٥.

٢٠٧ الآيات (٦١)، الأحاديث (١٥)، الأشعار (١).

٢٠٨ دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ (١)، ص ٩١-١٠٨.

٢٠٩ «وقل من يلاحظ في هذا الزمان الصعب هذا، بل استولت النفوس على أربابها بطلب حظوظها الدنيوية. ولم يبق من يطلب طريق الآخرة على أصل الكتاب والسنة إلا قليلًا. بل ارتكب الشيء على الوهم والهوى، بدليل أنك إذا سألت أحدًا ممن ينتسب إلى الآخرة في زماننا هذا عن أقواله وأفعاله يقول «هكذا وجدنا مشايخنا» وربما تكون أقوالهم وأفعالهم مخالفة للكتاب والسنة ... واتبعوا المشايخ على غير الكتاب والسنة بل على مخالفتها بالظاهر والباطن»، السابق، ص ٩٩.

٢١٠ الآيات (٦٢)، الأحاديث (١١)، القدسية (٢).

٢١١ إبراهيم النخعي (٤)، الجنيد (١).

(و) «أصول الهداية» لابن باديس (١٣٥٩هـ)^{٢١٢}

موضوعه التوبة، عودًا إلى التصوف الخلقي. وهو أيضًا أول مقام في التصوف النفسي، تمييزًا بين التوحيد العلمي والتوحيد العملي. الأول مرتبط بنظرية المعرفة ابتداء من الحواس والسمع والبصر والفؤاد. والثاني مرتبط بالأخلاق. والأخلاق تبدأ بالنفس وبالأخر، بر الوالدين. وأخلاق النفس صلاحها وطاعتها وتوبتها، وإيثار الحقوق لأربابها. والإنسان مدني بالطبع يتوق إلى المجتمع السعيد، وتكوين المجتمع الرشيد، مجتمع الحقوق، حق القريب وحق المسكين وحق ابن السبيل. والعدل في الإنفاق. والناس في الحظوظ، بين الأكثر والأوسط والأقل. والحد الأدنى مقاصد الشريعة، الحفاظ على النسل، وحفظ العرض، وحفظ الثروة، وحفظ العقل، وكرامة الإنسان. وواضح الموقف الإصلاحية الذي يأخذ التصوف أداة للإصلاح. ويعتمد على الأدلة النقلية، القرآن والحديث والشعر.^{٢١٣} ومن الصوفية يتقدم الشاذلي ثم أبو العباس المرسى.^{٢١٤}

(ز) «ففرّوا إلى الله لا ملجأ من الله إلا إليه» لأبي ذر القلموني^{٢١٥}

وهو عنوان صوفي بالأصالة، اللجوء إلى الله وهو التصوف ولكنه بشروط بالفقه. فالتصوف في هذا العصر المتأخر ينشأ من الفقه من جديد كما نشأ أول مرة. والعجز قاسم مشترك في اللحظتين، العجز عن مقاومة ظلم الأمويين في الداخل، والعجز عن مقاومة الحاكم القاهر في الداخل والاستعمار في الخارج.

ويتكون من ثلاثة عشر بابًا، ستة في الفقه وسبعة في التصوف على التداخل.^{٢١٦} والخطاب موجه إلى القارئ والقارئة «وارباه، أيا أختاه» نظرًا لسيادة الخطاب النسوي

^{٢١٢} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥ م (١)، ص ٥٠-١٠٩.

^{٢١٣} الآيات (٨١)، الأحاديث (٢٣)، الأشعار (٢).

^{٢١٤} الشاذلي (٢)، أبو العباس المرسى (١).

^{٢١٥} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦ م/١٤٢٧هـ.

^{٢١٦} ويتعلق الفقه بالصلاة والدعاء مع صلاة الحاجة والاستخارة، وحكم الإسلام في الغناء ورأي الفقهاء الأربعة، وحكم تغطية وجه المرأة، وعملها خارج البيت، وعلاج الصرع والسحر وفك الربط وهو الفقه عندما تحول إلى طب نبوي خرافي، والنصيحة وهي أكبر الأبواب أما أبواب التصوف فتتعلق بالتوبة أول المقامات، وذم الدنيا وتذكر الموت، والذكر، والعشق داء ودواء، السابق، ص ٤١-٤٥.

المعاصر. كما تظهر الحياة العصرية وإغراءاتها من مال وسيارات وعقارات. وتظهر أحكام الجنس المعاصرة من الاستحاضة والريح والفرق بين المني والمذي والودي، عندما انزوى الإسلام إلى غرف النوم بعيداً عن الحياة العامة.^{٢١٧} وتظهر أهمية الدعاء المستجاب لقضاء الحاجات، والتوسل بالأنبياء، وصلاة الحاجة والاستخارة لتحقيق المطالب ومعارضة ابن تيمية لذلك.^{٢١٨} وفي الفقه أيهما أفضل التسبيح بالأصابع أم بالسبحة؟^{٢١٩} وفي الغناء ما الفرق بين مزمور الرحمن ومزمور الشيطان.^{٢٢٠} ومن آداب سورة النور جواز توصيل الرجل ابنة عمه أو عمته وكلها آداب جنسية مثل غض البصر، وحفظ الفرج، وخلوة الرجل بالمرأة دون محرم، وتغطية وجه المرأة، والحجاب وعمل المرأة خارج البيت ومقارنتها بالمرأة الأوروبية وتعليمها.

وتبدو بعض الظواهر الاجتماعية المعاصرة مثل البقشيش والقمار والهدية والرقية بالترتيل، ومواضيع أخرى كان ينبغي إدراجها في الكتاب. كما تذكر ظاهرة المهر (الدوطة). ويلاحظ سيادة السلفية، ابن تيمية وابن القيم. وتشمع بعض الرسوم التوضيحية مثل جدول محاسبة النفس.^{٢٢١} ويوضع البرنامج أول الكتاب.^{٢٢٢} ويعتمد على القرآن والحديث والشعر.^{٢٢٣} ويقتبس من مصنفات الفقهاء والصوفية، شروحها وملخصاتها.^{٢٢٤} ويذكر العديد من الصوفية والفقهاء والمفسرين. يتقدمهم ابن القيم، ثم ابن كثير، وأبو حنيفة، الشافعي، وابن تيمية.^{٢٢٥} ومع ذلك تظهر القسمة

^{٢١٧} السابق، ص ٦٠-٦٢.

^{٢١٨} السابق، ص ٦٥-٨٦.

^{٢١٩} السابق، ص ١٠٥.

^{٢٢٠} السابق، ص ١١٦-١١٧.

^{٢٢١} السابق، ص ١٨٩.

^{٢٢٢} السابق، ص ٧-٨.

^{٢٢٣} الآيات (٢٩٠)، الأحاديث (١٥٥)، الأشعار (٨).

^{٢٢٤} مثل: الجواب الكافي، إغاثة اللهفان، زاد المعاد، لابن القيم، مختصر منهاج القاصدين، أحكام القرآن لابن العربي.

^{٢٢٥} ابن القيم (٦)، ابن كثير، الشافعي، ابن تيمية، أبو حنيفة، البوطي (٤)، أحمد الشاطبي (٣)، الشوكاني، أبو يوسف الألوسي (٢)، النووي، مالك، ابن الجوزي، الرازي، الطبري، الجنيد، ذو النون، الصابوني، سفيان الثوري، النووي، الحنابلة (١).

ثالثاً: العودة إلى العلوم النقلية

العقلية مثل شروط المعصية الثلاثية وآثار المعاصي الأربعة والأربعين، ومقامات البلاد الثلاثة القوي والمتوسط والضعيف.^{٢٢٦}

^{٢٢٦} السابق، ص ١٣-٢٤، ٦٧.

رابعًا: علوم الحديث والسيرة

وهما من العلوم النقلية. إذ يعود التصوف إلى علم الحديث وعلم السيرة. ومنهما قد نشأ في مرحلة التصوف الخلقي. والآن يعود التصوف ليجد فيهما ملجأً وملأً للحقيقة المحمدية. ويبعد التصوف الخلقي إلا فيما ندر. وكما كان الأمر في البداية، لا فرق بين كتب الحديث وكتب التصوف، كذلك عاد نفس الأمر في النهاية. فقد أصبحت كتب التصوف مجموعات في علم الحديث. ثم أصبح علم السيرة هو الحامل للحقيقة المحمدية. وكلما تضخمت شخصية الرسول من علم الحديث إلى علم السيرة، من القول إلى الشخص كذلك تضخم علم السيرة من شخص الرسول إلى الحقيقة المحمدية، من محمد البشري إلى محمد الإلهي، من محمد الرسول إلى محمد الحقيقة، من محمد الظاهر إلى محمد الباطن، وبتعبيرات الصوفية من محمد إلى أحمد.

وبالرغم من أن الترتيب الزمني قد يقطع الموضوع الواحد المتصل بفقرات الزمان المتقطعة إلا أنه يحافظ على المسار التاريخي لمعرفة كيفية تخلق الموضوعات عبر الزمان المتصل. فالوعي الموضوعي يقوم بدور الوعي التاريخي والمنهج التاريخي. والجمع بين الاثنين، الموضوع والتاريخ يبرز الموضوع في تطوره التاريخي.

(١) علم الحديث

(أ) «التوبة» لابن عساكر الدمشقي (٥٧١هـ)^١

هو موضوع بين التصوف الخلقي لأنه من أفعال القلوب، والتصوف النفسي لأنه أول المقامات. يغلب عليه علم الحديث، خمس عشرة ومرة في كل منها حديث. وواحدة فقط

^١ دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م (٢)، ص ٤٧-٥٣.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

بها شعر. يحضر النقل ويغيب العقل كما هو الحال في الوعي العملي في التصوف المتأخر. معظم الأعلام من المحدثين والفقهاء والصحابة والتابعين. وأقلهم من الصوفية الأوائل مثل سعيد بن المسيب. وتعتمد على الحديث أولاً ثم الشعر ثانياً، دون القرآن، مما يدل على غلبة علم الحديث على علوم القرآن.^٢

(ب) «الذنب عمن تاب من الذنب طالباً لمرضاة الرب»

لابن ناصر الدين الدمشقي (٨٤٢هـ)^٣

وهي رسالة في التوبة، أول مقام من مقامات الصوفية في التصوف النفسي. وهي أحد جوانب التصوف أيضاً. فالعودة إلى الأخلاق أحد مظاهر التصوف المتأخر في الوعي العملي، وتنقسم إلى ثلاثة فصول بلا عناوين. الأول وهو أطول الفصول أن التوبة أفضل من عدمها لآثارها النفسية الإيجابية وتخفيف الكرب والإحساس بالذنب والثاني التلطف بالتائبين والإحسان إليهم، والثالث صدق التوبة. وهذا هو تأليف الرسالة.^٤ وأهم ما فيها عدم الاحتجاج بالقدر على ارتكاب الذنب والتخلي عن المسؤولية عن الأفعال.^٥ وتعتمد على القرآن والحديث والشعر.^٦ كما تعتمد معظمها على أقوال الصحابة والتابعين والمحدثين والمفسرين والفقهاء كما هو الحال في الأشعرية. وأهل السلف بحيث يسود النقل على العقل وهو ما يميز الوعي العملي في التصوف المتأخر.^٧ ولا يظهر من الصوفية إلا الأقل. وتورد اقتباسات آخرها «انتهى». وتحضر بعض الإسرائيليات في حديث آدم الطويل في الجنة ومخاطبة الله له باعتباره أول المذنبين وأول التائبين.^٨

^٢ الأحاديث (١٤)، الأشعار (١).

^٣ دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م (١) ص ٩-٣٩.

^٤ «فهذه رسالة في الذنب عمن تاب من الذنب طلباً لمرضاة الرب، أردت بها موافقة الله تعالى ورسوله في جبر قلب التائب وردع المشنع عليه والعائب، ورد الخجل له والعائب» السابق، ص ١٠.

^٥ السابق، ص ١٢.

^٦ الآيات (٢٣)، الأحاديث (٢٢)، القدسية (٢)، الأشعار (١).

^٧ مثل ابن سيرين، أحمد، مالك، ابن القيم. ومن الصوفية الحسن البصري.

^٨ الذنب عمن تاب ... ص ٢٢-٢٣.

(ج) جواب سؤال عن الصبر والحلم» للشوكانى (١٢٥٠هـ)^٩

والجواب هو الحاضر دون السؤال. الصبر من المقامات، ومن أسماء الله الحسنى الصبور، والحلم من الفضائل. وهناك علاقة بين الاثنين الحلم أحد مظاهر الصبر، أي الهدوء والعقل وعدم الانفعال والأناة. ويقوم التحليل الخلقي للمقامات على أسس نفسية وتربوية. كما يعتمد أيضًا على بعض المفاهيم الأصولية مثل العموم والخصوص وبعض التعريفات اللغوية المعجمية. وتعتمد الرسالة على القرآن والشعر والحديث.^{١٠} كما تعتمد على كثير من النقول خاصة «التعريفات» للجرحاني. وتوضح الاقتباسات بعلامة «انتهى».^{١١}

(د) «هادي المريد إلى طرق الأسانيد» للنبهاني (١٣٥٠هـ)^{١٢}

وهو في أسانيد الصوفية بالرغم من نقدهم علم الرواية لصالح المعرفة «المباشرة»، «عن قلبي عن ربي أنه قال» والمؤلف هو الفقير، وكتابه ثبتته. يتضمن أربعين سنًا وأربعين فائدة وخمس إجازات، وحجة إثبات أجزاز المؤلف بها. أحدهما يتضمن اثنين وأربعين ثبتًا، تشمل أكثر أسانيد العلماء.^{١٣} وتتكون من عدة إجازات. وهي النقل المدون في مقابل النقل الشفاهي في علم الحديث.^{١٤} وتمثل نوعًا من تبعية المريد للشيخ، واقتفاء أثره، ونقل علمه. ويجمع المؤلف بين حياته ونقوله، بين أسفاره وأسانيده. ويعتمد على القرآن وحده.^{١٥}

^٩ دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م (٤)، ص ٧٣-٧٨.

^{١٠} الآيات (٥)، الأشعار (٢)، الأحاديث (١).

^{١١} صاح التعريفات (٤)، انتهى (٢).

^{١٢} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ (٣)، ص ١٦١-١٩٥.

^{١٣} السابق، ص ١٦٢.

^{١٤} وهي إجازات الشيخ إبراهيم السقا، محمود أفندي حمزة، الشيخ محمد الحاتي، السيد محمد أبي

الخير عابدين، الشيخ محمد أمين البيطار الشامي.

^{١٥} الآيات (١٤).

(هـ) «المنتقى المفيد من العقد الفريد في علم الأسانيد» للأروادي (١٢٧٥)^{١٦}

وهو كتاب في أسانيد الصوفية ومشايخهم كما يدل عليه العنوان، الأشياخ المصريون والشاميون. يبدأ بذكر أربعة أحاديث مرويه عن الخلفاء الأربعة ثم بالأحاديث الأربعين متصلة بالإمام الحسين، متون دون أسانيد. ثم تأتي أسانيد الأئمة الأربعة وأسانيد الإصحاحات الستة والإحالة إلى باقي كتب الحديث المتصلة بالأسانيد، والمعاجم الثلاثة للطبراني والأحاديث التي اعتنى بها إصحاح الإثبات مع بعض السلسلات وأسانيدها، وفي أولها وآخرها والانتقاء، إجازة التلميذ الكمشاوي وانتقاء الكوثري. مؤلفه هو العبد الفقير والعاجز الحقير. ومصادره عديدة من مؤلفات الصوفية.^{١٧}

(٢) علم السيرة

وهو أضخم علم دخل التصوف فيه، وعبر عنه «الحقيقة المحمدية» خلاله حتى أصبح من الصعب التمييز بين علم السيرة والتصوف. ويصعب العرض التاريخي الخالص دون إبراز الموضوع. كما يصعب إبراز الموضوع دون تطوره التاريخي، وعرض الموضوع من خلال التاريخ.

تتضمن شخصية الرسول تدريجياً من البشرية إلى الإلهية، من مدح فعاله إلى مثاله الأخلاقي إلى سيرته الكاملة من الميلاد حتى تلقي الوحي. ثم يتضخم الرسول إلى محمد الحقيقة من الصلاة عليه وقراءة الأوراد إلى مدحه وتعظيمه وتفخيمه إلى الاستغاثة به ورجاء الشفاعة منه إلى محمد الكوني القديم الذي خلق العالم منه وخرجت النبوة من ثناياه، خلق وآدم بين الماء والطين. وهو سيد ولد آدم ولا فخر.

(أ) مدح النعال

ويعني «مدح النعال» التركيز على أحد جوانب لبس الرسول وهو النعل ومدحه. فكل شيء في لبس الرسول، نعله، وعمامته وردائه موضوع للكمال ومن ثم للمديح.

^{١٦} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤ م (٣)، ص ١١٥-١٢٤.

^{١٧} مثل: ابن عربي والسيد البدوي والرفاعي والكيلاني وإبراهيم الدسوقي والشاذلي وابن عطاء الله السكندري. وشرح الحكم لابن عباد، ومنازل السائرين للهروي، وعوارف المعارف للسهروردي، وقوت القلوب لأبي طالب المكي، وعشرات من شروح الأحاديث، السابق ص ١١٨-١٢٠.

(١) «فتح المتعال في مدح النعال (وصف نعال النبي)»
للمقرئ التلمساني المغربي (١٠٤١هـ)^{١٨}

وتبلغ قمة تعظيم الرسول في مدح نعاله وهي جزء من لباسه، ولباس جزء من جسده. يجمع بين النثر والشعر بين الأدب والسيرة. و«النعل» لفظ قرآني ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ فاخلع نعليك. وذكر أيضاً في الحديث. والمقصود المعنى الحرفي نعل الرسول وخفه. ما يوضع في القدمين، وليس المعنى المجازي، خلع النعلين حين وطأ المقدس، واحتراماً للمكان الطاهر.

والمؤلف على وعي بالموضوع ووسمته التي يذكرها في البداية.^{١٩} وتتكون من أربعة أبواب: الأول النعال الشريفة في الروايات. والثاني المثال العظيم البركات والمنافع. والثالث القطعات والمقاصد في مدحه مرتبة على نحو أبجدي. والرابع الخواص والمنافع المجربة منه أي المعجزات والكرامات مع نقش مدحه في الصخر، كما هو الحال في الحجر الأسود.^{٢٠} أكبرها الثالث، الشعري. وأصغرها الثاني في المثال العظيم.^{٢١} والنعل مجرد علامة بحر الشعر واللحية والصبغة وغيرها من علامات الجسد. وهو خلط سن السنة والعادة، السنة القولية والسنة الفعلية. فالنعل عادة عربية في الشكل واللون مثل الخف المغربي المعروف. وليس فيه من السنة والاقتداء مثل الشوارب واللحي. والعجيب أن يثير النعل كل هذا الخيال الشعري وهو ما يحدث في الأغاني الشعبية مثل «يا شبشب الهنا يا رتني كنت أنا» مع الغزل في الكعب العالي ورنه الخلخال في أحكام السوق. وفي شعر الأندلسيين حنين إلى الحجاز. وبركة الحذاء في حمايته لصاحبه وتوفير الأمن له كما تفعل الجند المهزومة في الصحراء وهي تخلع الحذاء وتسير حافية القدمين، بين نار الحذاء ونار الرمل في صورة الجندي المنحدر حاملاً حذائه الميري عائداً إلى الوادي. وله ما يشبه في تاريخ الأديان في رداء المسيح الذي ظل يفعل المعجزات حتى بعد وفاته، وسيف علي، وشعرة النبي في معظم مساجد الهند. وينتقل النعل بمفرده من مكان إلى

^{١٨} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ.

^{١٩} السابق، ص ١٢-١٣.

^{٢٠} السابق، ص ٢٧٢.

^{٢١} الأول (٦١ص)، الثاني (٢٧)، الثالث (١٣٦)، الرابع (٦٧).

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

آخر حتى بعد أن يتوفى صاحبه.^{٢٢} هي الحقيقة المحمدية في أدنى مستوياتها هبوطاً من الكون إلى النعل، ومن التاريخ إلى الخف، ومن السرمدية إلى الحذاء. ويعتمد الكتاب على الشعر أولاً ثم الحديث ثم القرآن.^{٢٣} ولا توجد إسرائيليّات أو أقوال صوفية. ومن الأشعار القصائد الطوال. وبها يختتم الكتاب. وتذكر الأسانيد في مثل هذا الموضوع حرصاً على عدم الاختلاف في المتون ورصد زياداتها. معظمها روايات وليس أقوالاً مباشرة. ففي الرواية ينشط الخيال. وقد تظهر الإسرائيليات عن بعد في لون النعل الأصفر مثل البقرة الصفراء لدى بني إسرائيل علامة القداسة.^{٢٤} وتضاف الرسوم التوضيحية لنعل الرسول ممن لم يرها.^{٢٥} كما يعتمد على عديد من المصادر المدونة واقتباسات منها تنتهي بعلامة «ا.هـ» أو بلفظ «انتهى». ويستطرد في الحديث. ويتم التنبيه على العودة منه إلى الموضوع. وينبه أحياناً على الفوائد العملية للموضوع.^{٢٦} ولا يخلو الامر أحياناً من تبرير عقلي ولو في حياء.^{٢٧}

(ب) الكمال الأخلاقي

«ويعني الكمال الأخلاقي» وصف شمائل الرسول وحسن أخلاقه وصفاته، وأمانته، وصدقه، وإخلاصه، وورعه، وتقواه، وزهده، وكأنه أحد الصوفية في مرحلة التصوف الخلقي. وأهم متونها:

(١) «الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية» للجيلي (٨٣٢هـ)^{٢٨}

وموضوعه الحقيقة المحمدية التي بلغت مستوى الذات الإلهية. فالأسماء الإلهية أيضاً صفات لمحمد. أسماء الله هي أسماء الرسول. والإنسان الكامل هو الله والرسول.

^{٢٢} فتح المتعال، ص ٢٧٨-٣٠٤.

^{٢٣} الأشعار (٣٠٤)، الأحاديث (١٠٠)، الآيات (٣٦).

^{٢٤} فتح المتعال، ص ٧٢-٧٣.

^{٢٥} السابق، ص ١٠٤، ١٠٧، ١١١-١١٤.

^{٢٦} السابق، ص ٦٨، ٨٢، ٨٧.

^{٢٧} السابق، ص ٦٩.

^{٢٨} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.

وينقسم إلى أربعة أبواب في محمد كنسبة بين الله والإنسان، محمد كواسطة. والثاني في صفات الله وأسمائه وهو أكبر الأبواب.^{٢٩} والثالث اتصاف محمد بالصفات والأسماء الإلهية بل وتوحده مع الذات، تأليه محمد واستيعابه الكمالات الخلقية في هيكله المحسوس وأخلاقه الباطنية، واستيعاب الكمالات الإلهية صورة ومعنى، ظاهرًا وباطنًا، وصفًا وتحقيقًا، ذاتًا ونعتًا، جمالًا وجلالًا. والرابع ما في الإنسان من الأمور الكمالية من الصفات والأسماء الإلهية وكيفية التحقق من ذلك أي «تأليه الإنسان» و«تأنيس الله». فالله ومحمد والإنسان حقائق أزلية. الذات والصفات والأسماء والأفعال واحدة. والإنسان والعالم أيضًا شيء واحد نظرًا لمظهرية الإنسان للعالم صورة ومعنى، علوًا وسفلاً، ظاهرًا وباطنًا، فاعلًا ومنفعلًا. فالله والرسول والإنسان والعالم بنية واحدة. وهناك فصول فرعية بلا عناوين، وبعض ألفاظ التنبيه مثل: تنبيه، إشارة، وصل أو عبارة إشرافية مثل صدر الدين الشيرازي.^{٣٠}

ويعتمد على الأدلة النقلية، القرآن والحديث والشعر.^{٣١} كما يعتمد على الأدلة العقلية ويخصص لها قسمًا من الباب الثالث، «في الدلائل العقلية المؤيدة عند الخواص بالكشف الصريح وعند العوام بالخبر ليعلم بذلك تفرد في تحقيقه بالذات الإلهية والكمالات الوجودية».^{٣٢}

ومن الصوفية يحضر ابن عربي ثم الجنيد. ومن الصحابة أبو بكر. ومن الأنبياء بطبيعة الحال محمد وحده.^{٣٣} ويحال إلى ستة من مؤلفات الجيلي الأخرى وإلى مصدر آخر واحد.^{٣٤}

^{٢٩} الباب الأول (٤)، الثاني (٧٩)، الثالث (٥٣)، الرابع (١٨).

^{٣٠} فصل (٦)، نكت (٥)، إشارة (٢)، وصل، درة يتيمة في لجة عظيمة (١).

^{٣١} الآيات (١٩٨)، الأحاديث (٧٥)، القدسية (٦)، الأشعار (٧).

^{٣٢} السابق، ص ١١٥-١١٧.

^{٣٣} ابن عربي (٤)، الجنيد (٢)، أبو بكر (٢)، محمد (٤).

^{٣٤} من مؤلفات الجيلي: الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر (٤)، المملكة الربانية المودعة في النشأة الإنسانية (٣)، حقيقة الحقائق، قطب العجائب وفلك الغرائب (٢)، الخضم الزاخر والكنز الفاخر، جنة المعارف وغاية المريد والعارف، الكهف والرقيم في شرح باسم الله الرحمن الرحيم (١). ومن المصادر الأخرى «الشفاء» للقاضي عياض.

(٢) «شمس الآفاق بنور ما للمصطفى من كريم الأخلاق»

للبركري الصديقي الشافعي المكي (١٠٥٧) ^{٣٥}

وهو عود إلى السيرة الخلقية للرسول توجيهاً من حديث «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». وفي قطعة واحدة بلا قسمة إلى أبواب وفصول، موضوعات متناثرة بين حسن الخلق مثل الكرم والحياء والعفو والجود والشجاعة والتواضع والرضا والرفق وكظم الغيظ. ثم تأتي صفات سلوكه الشخصي مثل الضحك والبكاء والمنطق والألفاظ، والمشية والقول. ثم تأتي كيفية اللباس، القميص والجبة والإزار والرداء والحلة والبردة والعمامة والقلنسوة والسراويل والصوف واللباس والخف والنعل. ثم تأتي أدوات الحرب، القوس والرمح والسيف والدرع واللواء والراية والحربة والقضيب والكرسي والقبعة والخيل والسرّج والبلغة والحمار والناقة والشعار. ثم يأتي الفراش واللحاف والقطيفة والوسادة والسرير والحصير والاكتمال والمرأة. ثم تأتي عباداته، القراءة والقيام ليلاً والاجتهاد والتضرع. ثم يأتي الطعام والشراب والمائدة والسفرة والصفحة وأكله السمن والعسل والرطب والتمر والتين وشرب النبيذ، وأكل القرع والخل والزيت وغسل اليدين، وحبّه للنساء والطيب والصلاة، وعلاقاته الاجتماعية مثل عيادته المرضى واستعمال اليمين ومشورته لأصحابه وسلامه وتشجيع الجنّاة وجلوسه. وهو خلط بين السنة القولية والسنة العادية. وبين السنة والعادة. وهو رسم لشخصية الرسول كما يفعل المخرج السينمائي أو المسرحي. يتكلم الفارسية والحبشية دون ذكر للقبطية التي كان يحتاج إليها للحديث مع مارية القبطية، هدية المقوقس له. شخصية الحبيب الاجتماعي. يغلب عليه الضحك أكثر من الحزن.

ويعتمد على الحديث أولاً ثم القرآن دون الشعر وأقوال الصوفية. ^{٣٦} وسبب التأليف هو السير في نفس التقليد في تقرّيز الشمائل النبوية مثل «أخلاق النبي»، «النبأ العظيم للنبي في شرح أخلاق النبي» دون تطويل والتأسي بالأخلاق النبوية. ويعترف بالاعتماد على المصادر والزيادة عليها. ^{٣٧} وتذكر الأسانيد مع المتن.

^{٣٥} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م/١٤٢٥م.

^{٣٦} الأحاديث (٢٢٠)، الآيات (١٤).

^{٣٧} شمس الآفاق، ص ٢٢-٤٣.

(٣) رسائل النبهاني (١٣٥٠هـ)

(أ) كتاب الأسمى للنبي الأسمى^{٣٨} وهو نفس موضوع الرسالة السابقة. ولما كانت الأسماء الإلهية صفات خلقية وكان أحد تعريفات التصوف «التخلي عن الصفات الدنية والتحلي بالصفات السنية» أصبح موضوع شرح أسماء الله الحسنى على أساس خلقي أحد المداخل للتصوف الأخلاقي. ويضم أسماء الرسول مع فوائدها، عربية وأعجمية، مرتبة ترتيباً أبجدياً، والأعجمية في غالبيتها معربة من العهد الجديد والعهد القديم. وقد تحول كل فعل من أفعال الرسول إلى اسم. ولما كانت الأفعال لا نهاية لها فإن الأسماء أيضاً كذلك. ويشارك الرسول الله في ثلاثين اسماً^{٣٩}. ويتم شرح كل اسم لفظاً ومعنى عن طريق الاشتقاق والترادف. وهي إما عربية أو معربة من اليونانية أو الرومية أو العبرية أو السريانية نظراً لتبشير الكتب المقدسة السابقة بقدمه في التوراة والإنجيل.^{٤٠} وهي ثلاثمائة وتسعون اسماً يمكن تصنيفها إما لفظاً مثل الأمي، مع مترادفات ومشتقات منه قد تصل إلى العشرين.^{٤١} وقد تكون لفظين، مضاف ومضاف إليه مثل «أخذ الصدقات» أو جازاً ومجوراً مثل «الآخذ بالحجرات». وقد تكون في صيغة أفعال تفضيل من الدرجة الأولى، «أفضل» مثل أحمد أو من الدرجة الثانية «الأفضل» مثل «الأزهر»، وقد تظهر صفة التفضيل مثل «أصدق الناس لهجة» و«أرجح الناس عقلاً». وقد يكون مذكراً وهو الأغلب أو مؤنثاً وهو الأقل مثل «تذكرة». وقد تكون عبارة شارحة مثل «الحائد لأتمته عن النار»، «الحريص على أهل الإيمان»، «حجة الله على الخلائق»، «حامل لواء الحمد يوم القيامة»، «صاحب الدرجة العالية الرفيعة». وبعضها مستمد من القرآن لفظاً مثل «الجبار» من آية ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾، أو عبارة مثل ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. وأقلها من الحديث مثل الرحمة في حديث «أنا رحمة مهداة». بل إن الحروف في أوائل السور أسماء مثل «طه»، «ياسين» حتى «ص»، «كهيعص». وبعضها مشتق من فعل واحد بصمتين تفيدان درجة شدة الفعل مثل «الضحك»،

^{٣٨} دار الكتب العلمية، بيروت. كتاب الأسمى للنبي الأسمى، النبهاني ١٣٥٠، ص ٤٠.

^{٣٩} السابق، ص ١٥٨.

^{٤٠} مثل أخريا، القتال في التوراة، البارقليط، حابنطا في الإنجيل، والبرقليطس بالرومية، سرخيطس بالسريانية، السابق، ص ١٣٢، ١٣٥، ١٣٧، ١٤١.

^{٤١} السابق، ص ٣٢، ١٣٦-١٣٧.

الضحوك.^{٤٢} وكل ذلك تعظيم لشخص محمد، وتحول «الحقيقة المحمدية» التصوف النظري إلى شخص محمد «المغيث» في التصوف العملي. وتعتمد الأسماء على القرآن والحديث والشعر^{٤٣} وتتم رؤية النبي في المنام والرواية عنه. كما تعتمد على بعض المصادر المدونة^{٤٤} ومنها للمؤلف نفسه^{٤٥} وتؤخذ منها بعض الاقتباسات ووضع علامة «ا.هـ». ولا يوجد أي تحليل نظري. بل إن الفوائد السبعة من الأسماء مستخرجة من أحاديث.^{٤٦}

(ب) «أحسن الوسائل في نظم أسماء النبي الكامل»^{٤٧} وهي قصيدة تضم أسماء مزدوجة تقليدًا لأسماء الله الحسنى في قصيدة شعرية تتوحد فيها قافية الشطرين كما هو الحال في القصائد التعليمية المتأخرة في باقي العلوم للمساعدة على الحفظ بعد ما توقف الإبداع. وهي مقسمة إلى ثلاثة أقسام تسهيلًا للقارئ ودون أي معيار للقسمه والتصنيف الأبجدي أو المعنوي أو قياسًا على أسماء الله الحسنى. ومجموعها ثمانمائة وأربع وثلاثون اسمًا، عربيًا ومعربًا، دون بيان لسبب هذا العدد ومصدره. وهل هي توقيف مثل أسماء الله الحسنى أم اصطلاح يشتق من أفعال الرسول. وفي هذه الحالة لا تنتهي الأسماء لعدم انتهاء الأفعال.

(ج) الاستغاثة والشفاعة

وقد غلبت على الأدعية المتأخرة بحيث أصبح الرسول وسيطًا بين الحق والخلق. وتعني تحول الرسول من وصف خارجي جزئي لأحد مكونات ملائسته إلى كماله الخلقي إلى الاستغاثة به وطلب الشفاعة منه. وتتحول الاستغاثة إلى أحزاب وأوراد للقلب اللاهي. يقضي الحاجات، ووسيلة الولد الملهوف، ويفرج الكرب ومفرج القلوب. والحمدلة لها فوائد، لا فرق بين التصوف والمنفعة، بين الوهم والعجز.

^{٤٢} كتاب الأسمى، ص ١٤٥.

^{٤٣} الآيات (٣٠)، الأحاديث (٤)، الأشعار (٢). فائدة لرؤية النبي في المنام، السابق، ص ١٥٩.

^{٤٤} مثل «شرح المواهب للزرقاني»، «الرياض الأنيقة» للسيوطي.

^{٤٥} مثل «الفضائل المحمدية»، السابق، ص ١٢٨-١٣٨.

^{٤٦} السابق، ص ١٢٧-١٣٤.

^{٤٧} دار الكتب العلمية، بيروت، ص ١٠٣.

(١) «مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام عليه الصلاة والسلام في اليقظة والمنام» للمزالي المراكشي (٦٨٣هـ)^{٤٨}

ويصعب التفرقة في مثل هذه المؤلفات بين علم الحديث وعلم السيرة وعلوم التصوف. فالكتاب في الاستغاثة بالرسول في اليقظة والمنام. رواية منه في اليقظة أو رؤية له في المنام^{٤٩} وهو مجموعة من القصص والروايات في ستة أبواب غير متوازنة كمًّا، وغير متضمنه الموضوعات، استغاثة آدم بالنبي، شفاعته، استغاثة الموحدين به في النار، المستغيثين به عند القحط، الاستغاثة به حين الجوع، الاستغاثة به حين العطش. أكبرها السادس^{٥٠} هناك إذن محوران. الاستغاثة بالرسول في خمسة محاور، والشفاعة به محور واحد. وكلاهما في الدنيا والآخرة. وتحليل بدايات الروايات يأتي لفظ «ذكر» أولاً ثم «رواية» ثم «استغاثة» ثم «قصة»، و«ملاذ» و«شكوى»^{٥١}. وسبب التأليف هو الاستمرار في تقليد التأليف في موضوع الاستغاثة في الأزمات بعنوان «الفرج بعد الشدة»^{٥٢}. والاستغاثة ليست فقط من الأحياء بل من الأموات، وليست فقط من الحاضرين بل أيضاً من الغائبين. فقد استغاث آدم بالنبي للمغفرة. فالنبي مخلوق قبل آدم كحقيقة أحمدية

^{٤٨} دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

^{٤٩} السابق، ص ٨٣، ٩٦، ١٧٩، ١٥٣، ١٤٨، ١١١، ١١٥، ١٨٢.

^{٥٠} الأول (٧ص)، الثاني (٣)، الثالث (٥)، الرابع (١٣)، الخامس (١٠)، السادس (١٧٤).

^{٥١} «ذكر» (١٩٤)، «رواية» (٢٤)، «استغاثة» (٤)، «شكوى»، «ملاذ» «قصة» (١).

^{٥٢} «فانه سبق جماعة من العلماء الأعلام إلى جمع أخبار من استغاث بالله في الأزمات ولجأ إليه عند الطلبات فبلغه الله تعالى طلبته وأمنيته، وفرج عنه كربته وشدته، فجمع في ذلك الإمام أبو بكر بن أبي الدنيا كتاباً سماه «الفرج بعد الشدة»، وكتاباً سماه «مجابي الدعوة». وللإمام التنوخي وكنيته أبو القاسم في ذلك كتاب كبير سماه «الفرج بعد الشدة» أيضاً، ونسج على منوالها جماعة منهم الإمام أبو الوليد يونس بن عبد الله بن مغيث، محدث قرطبة والقاضي بها. ألف في ذلك كتاباً سماه كتاب «المستصرخين بالله عند نزول البلاء»، وبلديه الإمام أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال. وألف بذلك كتاباً سماه «المستغيثين بالله». وهذا باب واسع. فإن باب الحق عن عبيده غير مسدود، وعطاؤه سرمدًا غير مجذوذ ولا محدود. فقصدت أن أذكر ما وقع لي ممن استغاث بالنبي ﷺ ولان به في شدته وتوسل إلى الله عز وجل إذ هو خيرته من خليقته. ولم أر فيما علمت من جمع شيئاً من ذلك. فاستخرت الله تعالى. وذكرت ما وقع لي من ذلك بعدما أقدم ما شاهدته، مما نجوته. خبراً إلا خبراً، عيناً لا أثراً، صباح الظلام ١٥-١٦.

وبعده كظاهر، كحقيقة محمدية.^{٥٣} كما يشفع لجميع الأنبياء في حديث يخضع لآليات الإخراج المسرحي وأساليب الحوار. وكما يستغيث المحتاجون بالله، يستغيث المستغاث به وهو الرسول بالله. الحيوان بالرسول. ويتكلم البعير والحصان. وتتحقق المطالب والحاجات بالمعجزات والكرامات.^{٥٤} ويعظم الصحابة إلى مستوى فوق البشر كالرسول.^{٥٥} ويعتمد الكتاب على الحديث أولاً ثم القرآن ثم الشعر دون أعلام الصوفية.^{٥٦} والأحاديث في النوم، وهي لا يعتد بها لأنها تفقد شروط التواتر الأربعة، وفي اليقظة.^{٥٧} وكلها أدلة عقلية. وتخلو من كل دليل عقلي. وكثير من الأحاديث قدسية غيبية يظهر الله فيها مع جبريل والرسول كمحاورين مما يسمح بتدخل الخيال. وهي أحاديث طويلة تخرج عن الهدف الموضوع لها، توضيح الغامض على المستوى النظري، وبيان أوجه وسلوك والممارسة على المستوى العملي. ويتداخل الحديث مع القرآن وكأنه شرح له ولتقويته. وتظهر أهمية الحديث فإن يصبح عناوين مستقلة لبعض الموضوعات كما يعتمد على مصادر مدونة.^{٥٨}

(٢) رسائل النبهاني (١٣٥٠هـ)

(أ) «حزب الاستغاثات بسيد السادات»^{٥٩} ويضم استغاثات أربعين ولياً بالنبى. وهو أيضاً تجميع من القدماء^{٦٠} والعدد أربعون مألوف عند الصوفية في علم الحديث كعدد لزبدة الأحاديث والصوفية. وتخرق هذه الاستغاثات المذاهب الفقهية حتى الحنابلة.^{٦١} وقد أصبح حزباً أي جماعة وتياراً وفريقاً وليس مجرد اختيار أو سلوك أو حل شخصي.

^{٥٣} السابق، ص ٢٦-٣٥.

^{٥٤} السابق، ص ١٩٠، ١٩٣.

^{٥٥} السابق، ص ٧٩-٩١.

^{٥٦} الأحاديث (١٨٩)، الآيات (٤٥)، الأشعار (٣٥).

^{٥٧} من النص إلى الواقع ج ٢، الباب الأول، الوعي التاريخي.

^{٥٨} السابق، ص ٧٨-٩١.

^{٥٩} دار الكتب العلمية، بيروت.

^{٦٠} وأشهرهم الغزالي، والجيلاني، والدسوقي، والشاذلي، والديريني، والتاج، والسبكي، والسخاوي، ومحمد

وفا، وعلى وفا، وأبو العباس المرسى، والشعراني، والنقشبندى، والمرغني ... إلخ، السابق، ص ٨٦-٨٨.

^{٦١} مثل الشيخ محمد تقي الدين الحنبلي، حزب الاستغاثات، ص ٨٧.

ولا يعتمد إلا على آية قرآنية واحدة.^{٦٢} والاستغاثة عجز عن درأ المخاطر وحل الأزمات وتفريج الكرب، والتخلص من الهموم. في المجتمعات التراثية، الاستغاثة الأنبياء والأولياء والصالحين. وفي المجتمعات العلمية نداء الاستغاثة بعلامات النجدة.^{٦٣}

(ب) «مفرج الكرب ومفرح القلوب» للنبهاني (١٣٥٠)^{٦٤} ويحتوي على مائة واثنين وخمسون دعاء لتفريج الكرب وقضاء الحاجة كما ورد عن النبي وغيره من الأنبياء والمرسلين والصحابة والأولياء مع تخريجها ونسبتها إلى قائلها. وتنقسم الأحزاب إلى أربعة حصون. الأول لابن عربي، والثاني للشاذلي، والثالث للنووي، والرابع لعبد القادر الجيلاني.^{٦٥} والسؤال هو: ما مقاييس الاختيار؟ لماذا هؤلاء الأربعة دون غيرهم؟ وتكشف عن البعد النفسي والعجز عن مواجهة الواقع وحل مشاكله واللجوء إلى تخفيف الكرب وضيق النفس بالدعاء. وهو أشبه بالعلاج النفسي. وهو ما يدل عليه النصف الثاني من العنوان «ومبلغ الخائف» من حصول الأمن وحصونه «غاية المطلوب». تكثر الأدلة النقلية وتغيب الأدلة العقلية بتاتًا. ويصبح الكتاب أقرب إلى علم الحديث منه إلى التصوف لكثرة الحديث فيه. ثم يتلخص علم الحديث إلى الأدعية وحدها دون غيرها من التفاصيل العملية الأخلاقية والاجتماعية والسياسية. ويعاد توظيف الحديث من مصدر الخبر إلى وسيلة لتخفيف الهم، ومن دعوة إلى العمل إلى نداء للدعاء. وتتحول الحقيقة المحمدية النظرية الكونية إلى واسطة الرسول والدعاء له والاستغاثة به. ويتحول الحديث من الكلمة إلى الشخص، ومن القول إلى القائل، ومن الرسالة إلى الرسول. ويعود التصوف إلى علم الحديث الذي خرج منه. ولا يعود هناك فرق بين أدعية الرسول ومناجاته وأحزاب الصوفية وأورادهم وأدعيتهم. ويقع كل ذلك في إطار الاغتراب الديني، والتحول من الخارج إلى الداخل، ومن الفكر إلى النص، ومن العمل العام إلى الفعل الخاص، ومن التغير الاجتماعي والسياسي إلى الانكفاء على الذات والخلاص الفردي، ومن الحزب السياسي إلى الحزب أي الورد الصوفي، بحيث يصبح الدين «أفيون الشعوب» وليس «زفرة المضطهدين» بالتعبير الشائع في الوافد الغربي. ويدل على عجز الدولة العثمانية عن

^{٦٢} السابق، ص ٨٩.

^{٦٣} تسمى SOS اختصار عبارة Save Our Souls.

^{٦٤} دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٦ ٢٠٠٦ م/ ١٤٢٧ هـ.

^{٦٥} السابق، ص ٣، ٩-٣٩.

حل أزمات الداخل، القهر السياسي، وتفكك الدولة، والتخلف، وأزمات الخارج، الخطر من القوى الاستعمارية الكبرى في القرن التاسع عشر وضعف الخلافة. ويدخل أيضًا في علم الحديث لأن مادته أساسًا من الحديث. لذلك يخصص القسم الثاني من الكتاب إلى تخريج الأحاديث.^{٦٦} وهو أكبر من الأول مما يدل على أولوية السند على المتن. لذلك تأتي الأحاديث أولاً من حيث الكم، ثم الآيات ثم الأشعار.^{٦٧} ويدل على أن الكتاب يقوم على الجمع والنقل والتجميع وهو ما يدل عليه الجزء الثالث من العنوان «جمع يصح هذه اللطيفة ...» مع إعلان ذلك الجامع «الفقير يوسف». وفي كل حصن أي مجموعة من الأدعية للصوفية الأربعة، يُذكر أولاً أدعية الأنبياء ثم أدعية الصالحين من الصحابة ثم أدعية الصوفية.

ويعتمد على عديد من المصادر، وكتب الحديث خاصة.^{٦٨} كما يعتمد على كتب المؤلف الأخرى لبيان وحدة الرؤية والموقف.^{٦٩} وكثير من الأدعية يرويها الرسول في المنام بلا سند إلا الرؤية الشخصية مما يضعفها ويجعلها عرضة لتدخل الخيال الشعبي.^{٧٠} بل إن الرسول يميل على الصوفي في المنام دون سند تاريخي. وهو موضوع دراسة في علم تفسير الأحلام الذي بدأه سيسرون ثم استأنفه ابن سيرين ثم أحكمه فرويد لكشف المكبوت النفسي^{٧١} وكثير منها قدسي. وهي أيضًا أقل يقينًا وأكثر ظنًا نظرًا للطابع الغيبي لها، وهو ما يخرج عن مهمة علم الحديث العملية التفصيلية في أوجه السلوك. فكيف ينقل دعاء يونس وهو في بطن الحوت ولم يسمعه أحد؟ بل إن بعض الأحاديث تأتي من أصوات مجهولة في السجن كما فعل السيد المسيح عندما ظهر لتلاميذه في الغرفة العليا بعد صعوده إلى السماء.^{٧٢} بل إن إحصاء الفوائد في خاتمة الرسالة امتلأت أيضًا

^{٦٦} السابق، ص ٤١-٨١.

^{٦٧} الأحاديث (٨٠)، الآيات (٣٢)، الأشعار (٤).

^{٦٨} مثل «حل العقال» للحلبى، «الجامع الكبير» للسيوطي، «الإحياء» للغزالي، «غاية المغنم للموصلى، أسنى المطالب في مناقب علي بن أبي طالب» لابن جماعة، «الجواهر الخمس» لخطير الدين، «الإرج»

للسيوطي، إلخ، مفرج الكرب، ص ٤٣، ٥٨، ٦٢، ٨٠.

^{٦٩} مثل «المعدة الواقية والجنة الوافية».

^{٧٠} مفرج الكرب، ص ٥١، ٥٧، ٦٦-٦٨.

^{٧١} السابق، ص ١٥٨.

^{٧٢} السابق، ص ٦٨.

بالأحاديث دون أي قدرة على عدها عقليا في صياغات نظرية.^{٧٣} ويظهر الخضر أيضًا كمحاور في علم الحديث مع باقي الأنبياء خاصة مع موسى. والخضر هو إمام الصوفية. ويمثل الباطن أمام موسى الذي يمثل الظاهر. وهو الحاضر الغائب، مصدر العلم المباشر عند الصوفية.^{٧٤}

(٣) «إغاثة القلب اللاهي بالصلاة على أكرم رسل الله؟ لمحمد بن حمزة الكتاني»^{٧٥}

وهي ثمان وعشرون صلاة مرتبة ترتيبًا أبديًا، تعتمد على الشعر ثم القرآن ثم الحديث نظرًا لاتفاق الشعر مع الصلاة، والتجربة الشعرية مع التجربة الصوفية.^{٧٦} وتكثر أسماء الرسول أحمد ومحمد وصفتا محمدي وأحمدي^{٧٧} كما يظهر آدم صنوان محمد أول الخلق الباطن، وأول الخلق الظاهر. ويوصي في الصلاة بأهل مصر الأقباط وبلاد الأردن أرض الحشر والرباط، والطائفة التي على الحق في المغرب ذي الاغتباط.^{٧٨} وهذا يدل على أن غم الأمة لم يكن غائبًا عن الوعي الصوفي.

(٤) «فائدة استعمال القافات لقضاء الحاجات»^{٧٩}

ويدل العنوان على الفائدة من الصلوات لقضاء الحاجات. فالصلاة في الظاهر تعبير عن إيمان، وفي الباطن قضاء مصلحة. وهي أقرب إلى الخرافة باستعمال الأحجية والرسوم التوضيحية في مربع من ست أقدام طولًا وعرضًا. في كل مربع حروف أو أعداد انتسابًا إلى البوني تلميذ الغزالي. وتعتمد على القرآن ثم الشعر ثم الحديث.^{٨٠}

^{٧٣} السابق، ص ٧٩-٨٠.

^{٧٤} السابق، ص ٧٦.

^{٧٥} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م/١٤٢٤هـ، (٣)، ص ٦٧-٩٩. (من جمع الناسخ محمد بن مصلوح الكدواني).

^{٧٦} الأشعار (٣٤)، الآيات (١١)، الأحاديث (١).

^{٧٧} أحمد (٢٦)، محمد (٢)، أحمدي، محمدي (١)، آدم (١).

^{٧٨} «فأوصى خيرًا بأهل مصر الأقباط. وأخبر أن بلاد الأردن أرض الحشر والرباط، وأن الطائفة التي على الحق لا يضرها من خذلها في المغرب ذي الاغتباط...» إغاثة القلب، ص ٨٦.

^{٧٩} مجموع رسائل صوفية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م/١٤٢٥هـ (٢)، ص ١٠٥-١٠٧.

^{٨٠} الآيات (١٩)، الأشعار (٢)، الأحاديث (١).

(٥) «وسيلة الولد الملهوف إلى جده الرحيم العطوف»

لعبد الحي الكتاني (١٣٨٢هـ)^{٨١}

وهي مجموعة من الصلوات مرتبة ترتيباً أبجدياً تسعة وعشرين حرفاً، أولها «عالمه غالية» وإعذار وإنذار»، وأخرها «خاتمة وتنبيه» دون دلالة واضحة على الربط بين الصلوات والحروف الأبجدية. وهي قطعة واحدة من النثر الفني، تتكرر لازمته «سيدنا محمد» في كل فقرة مئات المرات. ويتغير اسم محمد إلى طه. ويُنوع اسم محمد تدليلاً بأحمد وأحمد.^{٨٢} ولا فرق بين مدح النبي ومدح المؤلف.^{٨٣} وتتداخل الحروف فيما بينها لأنها غير جامعة مانعة.^{٨٤} وتعتمد على القرآن والشعر والحديث دون أقوال الصوفية.^{٨٥} وفي آخر بعض الصلوات سور بأكملها، وتخرج بعض الأحاديث بالرغم من النقل الخاص عند الصوفية، «عن ربي عن قلبي أنه قال»، «ويحال إلى بعض المحدثين وإلى بعض المصادر».^{٨٦}

(٦) «غنية العبد المنيب في التوسل بالصلاة على النبي الحبيب»^{٨٧}

وموضوعها التوسل بالنبي بالصلاة عليه. وهي مرتبة ترتيباً أبجدياً طبقاً لآخر حرف في العبارة، وفي كل حرف خمس وثلاثون صلاة. وتتراوح الحروف فيما بينها كما دون أن تحتوي على أي فكر أو هدف أو إحالة خاصة إلى التصوف. تظهر فيها اللازمة النثرية فوق الألف.^{٨٨} فالغاية هو الإيقاع من أجل الإنشاد وترديد المستمعين وراء المرشد.

^{٨١} الصلوات الكتانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م/١٤٢٤هـ (٤)، ص ١٠٣-١٤٥.

^{٨٢} السابق، ص ١٢٧.

^{٨٣} السابق، ص ١٣٨.

^{٨٤} السابق، ص ٢٤٦.

^{٨٥} الآيات (١١)، الأشعار (١٠)، الأحاديث (١).

^{٨٦} وسيلة الولد الملهوف، ص ١٤٠-١٤٢.

^{٨٧} مجموع رسائل صوفية (١)، ص ١١-١٠٣، مجهول المؤلف.

^{٨٨} وهي «اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله سيدنا محمد (١٠٤١) مرة.

(٧) «فائدة الحمد لله» للشيخ محمد بن عمران^{٨٩}

وهي رسالة قصيرة. ويتضح من العنوان أن للعلامات والدعوات والابتهالات والنداءات فوائد. فالموضوع فائدة الحمدة. يقوم على الحديث، والشعر دون القرآن.^{٩٠} وتعتمد على اقتباسات من مصادر سابقة وخاصة القطب الرازي الذي يجمع بين الحكمة والتصوف في المباحث الشرعية أو الفلسفة الإشراقية.

(د) الصلاة والسلام

(١) «مسالك الحنفا إلى مشارع الصلاة على المصطفى» للقسطلاني (٩٢٣هـ)^{٩١}

الاستغاثة والشفاعة بالرسول تأتي الصلاة عليه والتوجيه من آية ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ وكيف يصلي الله وهو الكل على النبي وهو الجزء؟ وكيف تصلي الملائكة على الأنبياء وهم أفضل منهم؟ وسبب التأليف التعرف على مسالك الحنفاء لمشارع الصلاة على الرسول كما يدل العنوان.^{٩٢} وقد أتاه إلهاً وليس تجميعاً مع أن كلها تجميع من مصادر مدونة يشار إليها.^{٩٣} والمؤلف على وعي بخطط الكتاب المعلن عنها في البداية.^{٩٤} إذ تتكون من أحد عشر مسلكاً. أطولها الأخير. وفيه عشرة مطالب. والخامس منها به وصلان. والثامن به أنواع. وموضوع المسالك سبب نزول الآية الموجهة. ومعنى الصلاة لغةً واصطلاحاً، واشتقاق الملك والنبي

^{٨٩} مجموع رسائل صوفية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م/١٤٢٥هـ، ص ٢٠٣-٢٠٥.

^{٩٠} الأحاديث (٤)، الأشعار (٢).

^{٩١} دار الكتب العلمية بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ.

^{٩٢} «يعتني باعث التزامم للتراحم في السلوك في مسالك الحنفا لمشارع الصلاة» على السيد المصطفى. فسرت مسرور السرائر إلى مصون بطون الدفاتر، مقادها للفكر في مجالس الذكر، مصليةً مسلماً، مفوضاً إلى الله ومسلماً. وجمعت هذا الكتاب مستعيناً بالملك الوهاب، مبتدأً بآية الصلاة على صفوة خلق الله تعالى. وسلكت في مشارع الوصول إلى حقائق دقائق كنوزها مسالك مقربة، إن شاء الله تعالى للقايد والسالك». السابق، ص ٣٦.

^{٩٣} السابق، ص ٣٦.

^{٩٤} السابق، ص ٣٦-٤٠.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

وإعرابها وما بها من علم المعاني وأصول الفقه والكلام والقراءات والأسئلة والأجوبة والإشارات الصوفية والأحكام الشرعية. أما المطالب فهي الأعلام بتشريفه وشرفه وعظيم منزلته، ومشروعية الصلاة عليه وجوبا وندبا، والجمع بين الصلاة والسلام، فوائدها وثمراتها، وتخصيصها بالصلاة وفي أوقات مخصوصه. وهي على أنواع كثيرة. وتتم في اليقظة والنام وعلى باقي الأنبياء. وتضمن الخاتمة آداب الصلاة.

ويعتمد الكتاب على الحديث والقرآن والشعر.^{٩٥} وتتكرر الأحاديث في أكثر من صيغة. ويدخل بعضها مع القرآن في تركيب مصطنع من أجل تقويته، ودرء الظن باليقين. وكثير منها يتعلق بالغيبات مع إصدار حكم، «حديث غريب».^{٩٦} وكثير منها رؤي الرسول في المنام وهو ما يناقض شروط التواتر.^{٩٧} ونظرًا لغرابتها يتم توضيحها بألفاظ «ومن المعلوم»، «يوضحها»، «تنبيه»، مع شرح الاقتباسات.^{٩٨} وتحيل إلى المصادر التي يتم الاقتباس منها. كما تظهر بعض الإسرائيليات.^{٩٩} ويبرز بعض المصطلحات الصوفية كالأوتاد من داخل الحديث.^{١٠٠} ومن أعلام الصوفية يظهر الحسن البصري ثم الغزالي ثم المحاسبي والخدري والسبكي. ومن الفقهاء أبو حنيفة ثم مالك وابن العربي. ومن المتكلمين الأشعري.^{١٠١}

(٢) رسائل مصطفى البكري (١٤١٠هـ)

(أ) «الصلوات البرية في الصلاة على خير البرية»: ^{١٠٢} وهي نفس الشكل الأدبي، صلوات على الرسول، ألف واثنتان وأربعون صلاة، مرتبة ترتيبًا أبجديًا. معظمها أحاديث للرسول

^{٩٥} الأحاديث (٦٢٠)، الآيات (٢٦٠)، الأشعار (٢٨).

^{٩٦} مسالك الحنفاء، ص ١٧٨.

^{٩٧} السابق، ص ١٥٩، ١٦٢-١٦٣، ٢١٣.

^{٩٨} السابق، ص ٩٣-٩٤.

^{٩٩} السابق، ص ١٩٠.

^{١٠٠} السابق، ص ٢٤٨.

^{١٠١} الحسن البصري (٤)، الغزالي (٢)، المحاسبي، الخدري، القاضي عياض، الشبلي (١)، ومن الفقهاء

أبو حنيفة (٣)، مالك، ابن عربي (١)، ومن المتكلمين الأشعري (١).

^{١٠٢} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥ م (٢)، ص ٦٧-٢٠٧.

في هذه الصيغة. «وصل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد القائل» ثم يوضع حديث. وهي في معظمها أحاديث أقوال أكثر منها أحاديث أفعال، سنن قولية أكثر منها سنن فعلية.^{١٠٣} وهي أكبر من الرسالة الأولى.^{١٠٤}

ويكتب المؤلف عمليين من نفس النوع لمجرد التمرين والشهرة وكثرة التأليف والتقرب إلى الناس، والقرب من السلطان الذي يسعد بتركيز كل صفات الكمال في شخص المدوح، لا فرق بين الله والسلطان في الإنسان الكامل، ولا بين الرسول والسلطان في الصلوات النبوية. فالنبي والسلطان كلاهما خير البرية. وتتبع نسب المؤلف إلى الرسول، اقتفاء أثر في الظاهر، وجاهلية في الباطن. وتظهر المحسنات البديعية في التوليف بين صياغات الحديث بحيث يظهر الجنس والطباق. وتبدو النمطية إلى حد الملل في صياغة أكثر من ألف صلاة على هذا النحو إلى حد السؤال: ما العبقرية في مثل هذا التأليف، وما الفائدة؟ ويمكن بدراسة أخرى لصفات الأقوال والأفعال معرفة حاجات المجتمع التي لم يتم إشباعها في الواقع، وتحويلها إلى أمنيات في الصلوات على الرسول القادر على تحقيق مطلق لما عجز عنه الناس في الزمان والمكان. ولا توجد آية قرآنية واحدة، بالرغم من وجود آيات تتعلق بالرسول بأشكال متعددة، وفي ألفاظ شتى مثل الرسول، النبي، محمد ... إلخ. ومن الأنبياء يظهر موسى وإدريس في الأحاديث.

(ب) «الدر الفائق في الصلاة على أشرف الخلائق»:^{١٠٥} وهي مجموعة من الصلوات على النبي مرتبة ترتيباً أبجدياً، تبلغ حوالي ثلاثمائة وستين صلاة بنفس الصياغة «اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد» ثم تتنوع الصفات بين الحبيب والمجيب الطيب والعريق ... إلخ. ومعظمها صفات أفعال لا أقوال أي سنة فعلية وليست قولية. كلها متمركزة حول الرسول وليس حول الله. والأبجدية طبقاً لآخر حرف في الصفة وليس أولها كما هو الحال في القواميس العربية القديمة. وسبب التأليف هو تقليد هذا النوع الأدبي مع ترتيبها أبجدياً ليسهل حفظها. وهو سبب غير كاف لأنه مجرد تكرار لما هو موجود سلفاً.^{١٠٦} الوسيلة التجميع، والهدف الحفظ، والمبادرة

^{١٠٣} أحاديث القول (٧٠٦)، أحاديث الفعل (٣٣٦)، المجموع (١٠٤٢ حديثاً).

^{١٠٤} الدر الفائق (٣٩ ص)، الصلوات البرية (١٤١).

^{١٠٥} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥ م (١)، ص ٢٥-٦٣.

^{١٠٦} مثل «اللهم أني أسألك يا الله، يا الله، يا الله، يا هو، يا هو، يا من هو هو، يا من ليس هو هو»، السابق، ص ٦١.

استخارة من الله وليس قرأاً حرّاً من الإنسان. وأحياناً تتحول الصلوات إلى نوع من الجذب الصوفي بتكرار لفظ «هو»^{١٠٧} وتعتمد على القرآن دون الحديث أو الشعر أو أقوال الصوفية.^{١٠٨} فالأحاديث من الرسول توجيهاً للناس وليست مدحاً وتعظيماً لذاته. والشعر لا يكفي في التعظيم بالرغم من المدائح النبوية. وأقوال الصوفية هي التي تم تجميع هذه الصلوات منها دون الإحالة إليهم.

(ج) **الفتح القدسي والكشف الأنسي والمنهج القريب إلى لقاء الحبيب المسمى ورد السحر**:^{١٠٩} وهو عنوان متكلف مسجوع يجمع بين النثر والنظم. تتحول فيه الصلوات على النبي إلى الأوراد والأذكار لتعليم المريدين.^{١١٠} تظهر لازمتان «إلهي» و«اللهم». ويختتم «بأن» ودعاء الخضر.^{١١١} يعتمد على القرآن والشعر دون الحديث لأنه أقل صياغة أدبية.^{١١٢}

(٣) «المسبعات والصلوات» للشيخ الدردير (١٢٠١هـ)^{١١٣}

وهي ضمن «مجموع رسائل صوفية في الصلوات على خير البرية» تشمل خمس عشر رسالة لمعاصرين حول موضوع واحد، الصلاة على النبي. لا يهتم مؤلفوها بقدر ما يهم النص نفسه. وهو نص مجمل يتضمن الصلوات على الرسول مرتبة ترتيباً أبجدياً. يعتمد

^{١٠٧} «فإني لما رأيت كثيراً من الناس قد صنفوا في الصلاة على النبي وأفاضوا علينا من عجائب تلك الصلوات الشريفة سحياً أردت أن أشاركهم فيما يمنحونه بسبب ذلك من الإمداد. فعسى بركة الصلاة عليه أحظى بنيل القبول والإسعاد. ثم إنني لم أرد أن أتطفل على جنابه الشريف وإن لم أكن أهلاً لمثل ذلك استخرت الله تعالى وسألته أن يسلك بنا أحسن المسالك ورتبت هذه الصلوات على حروف المعاجم ليسهل حفظها على الطلاب من أهل الرغبة في الصلاة والتسليم عليه من الأحباب». السابق، ص ٢٥. ١٠٨ الآيات (٥).

^{١٠٩} مجموع رسائل صوفية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م/١٤٢٥هـ (٨)، ص ١٥٣-١٦٣.

^{١١٠} مجموع رسائل صوفية، ص ١٦٣.

^{١١١} إلهي (٣٧)، اللهم (٤).

^{١١٢} الآيات (١٠)، الأشعار (٢).

^{١١٣} مجموع رسائل صوفية، دار الكتب العلمية، وطبعة أخرى في دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٤م/١٤٢٥هـ (١)، ص ١٦٥-١٧٥. وطبعة أخرى في دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ (٤)، ص ٢٠١-٢١٤.

على الآيات وحدها دون النظر إلى الأحاديث والأشعار وأقوال الصوفية.^{١١٤} ولا يذكر سبب التأليف. والتكرار إيقاع موسيقي رتيب ولكنه يفيد في الرياضة الروحية في إيقاع ثلاثي يسهل تذكره. والعدد سبعة عدد رمزي في حضارات الشرق القديم الذي نشأ التصوف فيها. وهي مملوءة باللازمات الطويلة والقصيرة.^{١١٥}

(٤) «ثلاث صلوات صغرى» لأبي الفيض الكتاني (١٣٢٧هـ)

وهي صلوات ذات مستوى عال من التجريد باسم الأودية. ولكل صلاة اسم. الأولى صلاة المرتدي، والثانية الأنموذجية. والثالثة صلاة القاسم مزج الأنموذجية. وتعتمد على القرآن وذكر أحمد ومحمد.^{١١٦}

(٥) «جامع الصلوات ومجمع السعادات في الصلاة على

سيد السادات» للنبهاني (١٣٥٠هـ)

وقد تحولت الحقيقة المحمدية من موضوع نظري إلى موضوع عملي في الصلوات والابتهالات والأوراد والأدعية له كواسطة بين الحق والخلق. وهو ما شاع في المذاهب والموايد النبوية، وكأن محمد هو الله، وكأنه المفتاح السحري لكل المشاكل، والمخلص من كل الكرب، لا تتضمن أي فكر. ولا تقوم على أي أساس. وهي سبعة أوراد. يعلن عنها في البداية.^{١١٧} ثم يفصل بعد ذلك.^{١١٨} ولا توجد عناوين خاصة لها بل هو نفس العنوان الذي يتغير مع تغيير العدد من الورد الأول حتى السابع.^{١١٩}

^{١١٤} الآيات (١٢).

^{١١٥} اللازمات الطويلة مثل «اللهم، إني أعوذ بك من ...» (٩)، «اللهم صل وبارك على سيدنا محمد»

(٥٥). والقصيرة مثل «اللهم» (١٥).

^{١١٦} الصلوات الكتابية، دار الكتب العلمية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م/١٤٢٤هـ (٢)، ص ٦١-٦٣.

^{١١٧} الآيات (٣)، أحمد (٢)، محمد (١).

^{١١٨} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٥هـ.

^{١١٩} السابق، ص ١٣-٢٦.

^{١٢٠} السابق، ص ٢٧-١٥٥.

^{١٢١} مثل «الورد الأول من جامع الصلوات، ومجمع السعادات في الصلاة على سيدنا محمد سيد السادات»، السابق، ص ٢٧-٤٦.

وهو تأليف تال لمؤلف سابق، بنفس العنوان تقريباً «أفضل الصلوات على سيد السادات».^{١٢٢} وهو تجميع من صلوات سابقة ثم جمعت صلوات أخرى في الباب الثامن من «سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونين».^{١٢٣} ثم أعيد تجميع الصلوات في هذا الكتاب مع ترتيب جديد من الصعب التعرف عليه. وقسمت على أيام الأسبوع. وبهذا الطريقة يمكن عمل عشرات الكتب لا يكون الدافع إليها علمًا بل ربما التجارة أو شهرة أو المنصب أو كثرة التأليف في المذاهب النبوية لنيل الحظوة لدى الناس. ثم يتفرع منها كتاب آخر «صلوات الثناء على سيد الأنبياء» مثل إعادة توزيع أوراق اللعب. والغريب أن المؤلف يعتبره أفضل كتاب.^{١٢٤}

وتكشف هذه الصلوات على ما وراءها من حاجات ومطالب للناس تعجز عن تحقيقها فتضعها في صلوات وأدعية وابتهالات للرسول. وهو ما يعترف به المؤلف نفسه. فالتعبير عن الرغبات ووهم تليبيتها أحد طرق إشباعها.^{١٢٥} وبالتالي تلحق هذه الصلوات بالاستغاثة والشفاعة والوسيلة وقضاء الحاجات. وتبدأ كلها بنفس الآية.^{١٢٦} والغاية تمثل الأمر الإلهي في تعظيم النبي والصلاة عليه. فإن التمثل والإخلاص هما قطب الأعمال الصالحة وروح جميع العبادات.^{١٢٧} وتعتمد على القرآن وحده دون حديث أو شعر أو قول صوفي.^{١٢٨} وفي المقدمة تذكر عشرات المصادر التي تم استيفاء الأوراد السبعة منها.^{١٢٩} فالأحاديث من الرسول المطلوب الصلاة عليه من مصدر أعلى وهو القرآن وليس من الحديث أو الشعر أو أقوال الصوفية.

^{١٢٢} السابق، ص ١١.

^{١٢٣} حوالي مائتي صلاة، سبعون في الكتاب الأول، ومائة وثلاثون في الثاني.

^{١٢٤} والقول الفصل في هذا الكتاب أنه لا نظر له في هذا الباب، وأنه أعلى وأرفع من كل هذه العبارات، وأجمع وأنفع الكتب المؤلفة في الصلوات»، السابق، ص ١٢.

^{١٢٥} «وقدمته مني أعظم هدية لجميع الأمة المحمدية. يتكفل لقارئه بدفع كل بلية وبلوغ كل أمنية من الأمناني الدنيوية والأخروية»، السابق، ص ١٢.

^{١٢٦} وهي ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

^{١٢٧} «وقد ابتدأت كل ورد من الأوراد السبعة بالآية الشريفة ليكون القارئ من أول الأمر ممتثلًا لأمر الله تعالى في تعظيم النبي والصلاة عليه بهذه الصلوات. فإن امتثال أمره تعالى مع الإخلاص هو قطب الأعمال الصالحات وروح جميع العبادات»، السابق، ص ١٢.

^{١٢٨} الآيات (٦٥).

^{١٢٩} جامع الصلوات، ص ١٣-٢٦.

(٦) «كنوز الأسرار في الصلاة على النبي المختار» للخياط الفاسي^{١٣٠}

فالصلاة أسرار، ولها كنوز. وكلها في الصلاة على النبي التي تفعل الأعاجيب. كيفية الصلاة على الرسول، الشجرة الأصلية النورانية، سيد السادات، ومراد المرادات، فاتح الدورة الكلية الربانية الإلهية القدسية بالخاتمة العنبرية النية المسكية. وألقابه «النبي المختار»، «سيد الخلائق»، «سيد السادات» «أشرف الخلائق»، «خير البرية»، «المصطفى» ... إلخ. وهي مقسمة صورياً إلى أربعة أرباع دون أن يكون لكل ربع موضوع خاص متميز. لا يعتمد إلا على القرآن دون الحديث أو الشعر وأقوال الصوفية.^{١٣١}

(٧) «أفضل الصلوات العشر» لأبي القاسم الجنيد اليماني^{١٣٢}

وهي صلوات عشر تقرأ صباحاً ومساءً لاستجابة الرضا الأكبر والأمن من السخط، وتوالي الرحمة والحفظ الإلهي. وكلها صلوات على الرسول، فهي وسيلة لاستدراج الفعل الإلهي. ولا شيء دال فيها. ولا صعوبة في عمل عشرات صلوات أخرى على نفس المنوال.

(٨) «رسالة» للفقيه أحمد عبد العزيز الهلالي^{١٣٣}

وهي مجرد رسالة إلى السادات الأشراف بإذن السيد والمولى القوت الجامع. لا تتضمن إلا بعض التوصيات العامة الساذجة مثل خطب المساجد. تعتمد على الشعر ثم القرآن دون أحاديث أو أقوال صوفية.^{١٣٤}

(٩) «رقية» للفقيه العلامة عبد الهادي بن علي بن طاهر^{١٣٥}

هنا تتحول الصلوات إلى دعوات، والدعوات إلى رقيات لإسكان الأوجاع للصابرين الشاكرين. يعتمد على آية قرآنية واحدة. وتظهر اللازمة مع البسملة.^{١٣٦}

^{١٣٠} مجموع رسائل صوفية، بيروت، ٢٠٠٤م/١٤٢٥هـ (٣)، ص ١٠٩-١٣٠.

^{١٣١} الآيات (٢٢).

^{١٣٢} مجموع رسائل صوفية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م/١٤٢٥هـ (٥)، ص ١٤٧-١٤٨.

^{١٣٣} السابق (٦)، ص ١٤٩-١٥٠.

^{١٣٤} الأشعار (٢)، الآيات (١).

^{١٣٥} مجموع رسائل صوفية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م/١٤٢٤هـ.

^{١٣٦} من الله وبالله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (٤مرات).

(١٠) «صلوات الشيخ الحضرمي»^{١٣٧}

وهي قصيدة واحدة تتلوها نظرة شارحة. تعتمد على الحديث دون القرآن أو أقوال الصوفية.^{١٣٨} والصلاة على محمد لازمة في معظم الآيات في الشطر الثاني.

(١١) «ورد الجيوب في الصلاة على الحبيب المحبوب» للجزولي^{١٣٩}

وهنا أيضاً يبدو من الصعب التمييز بين الصلاة على الرسول والورد والدعاء. وينقسم إلى فصلين، الأول بعض فضائل ما احتوت عليه الصلوات والأدعية. وفيها ما يقرأ ثلاث مرات أو سبع مرات أو عشر أو مائة أو ألف أو عشرة آلاف مرة. في حين أن التكرار يدل أيضاً على الرتبة والنمطية.^{١٤٠} والثاني الشروع في المقصود. فالغاية من الصلاة على النبي تحقيق الحاجة وتلبية المصلحة. وهي مئات الدعوات تبدأ معظمها بنداء «اللهم» والبعض الآخر بنداء أطول «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد» أو «اللهم صل على سيدنا محمد» أو «اللهم صل على محمد». وتوزع على ثلاثة أقطاب.

(١٢) «صلوات العارف بالله سيدي علي بن وفا»^{١٤١}

وأحياناً تكون الصلاة غير دالة على شيء، لا من عنوانها، ولا من مضمونها، ولا من عناصرها المكونة لها، ولا على دلالتها في هذا الشكل الأدبي، مجرد صلاة ودعاء من أحد أعلام الصوفية.

(١٣) «صلاة الشيخ العالم العلامة أبي شامة الركابي»^{١٤٢}

وتقسم الصلوات على فترات زمان اليوم، وهي سبعة: الغداة، والضحى، والظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، والنوم. ويعتمد على القرآن وعلى رؤية الرسول في المنام.^{١٤٣} ويصعب

^{١٣٧} مجموع رسائل صوفية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م/١٤٢٤هـ (١٠)، ص ١٨١-١٨٣.

^{١٣٨} الأحاديث (٤)، الأشعار (٣).

^{١٣٩} مجموع رسائل صوفية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م/١٤٢٤هـ.

^{١٤٠} ويعطي نموذج أربعين صلاة.

^{١٤١} مجموع رسائل الصوفية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م/١٤٢٥هـ (١٤)، ص ٢٢٧-٢٢٨.

^{١٤٢} مجموع رسائل الصوفية، ص ٢٢٩-٢٤٥.

^{١٤٣} الآيات (٥٤).

التفرقة في كثير من الصلوات بين الأحاديث والدعوات المستقلة نظرًا لغياب الأسانيد وأفعال القول كمقدمات للأحاديث.

(١٤) «نفح الطيب في الصلاة على النبي الحبيب» للمختار الكنتي^{١٤٤}

وهي مجموعة من الصلوات تقسم صورياً إلى أربعة أرباع بلا سبب. سبب التأليف رؤية الرسول في المنام وطلبه الصلاة عليه.^{١٤٥} وتبدأ عدة لازمات في أول الفقرات بصيغ قصيرة أو طويلة.^{١٤٦} ويعتمد على القرآن ثم الحديث، دون أشعار أو أقوال صوفية.^{١٤٧}

(هـ) المدائح النبوية

(١) «القصائد الوترية في مدح خير البرية» للبغدادي الشافعي (٩٦٢هـ)^{١٤٨}

وهي من أقدم المدائح تمت صياغته في حلم ظهر فيه النبي مع أبي بكر وهو معجب بها يمررها على أصحابه. وظهر له مرة ثانية بخبره بأن الله شفعه في أهله وزوجه وخادمه وجميع أصحابه. أكمل النظم بالأندلس (عام ٦٥٢هـ)، ثم هذبت في مصر (عام ٦٦١هـ). وهي مرتبة ترتيباً أبجدياً طبقاً للقافية. لا تنقسم إلى موضوعات بل تشمل موضوعات السيرة كلها من المولد حتى البعث بما في ذلك مدح القبر والشفاعة والجسد والروح. وفي النهاية «تمت وبالحير عمت».

^{١٤٤} مجموع رسائل صوفية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م/١٤٢٥هـ (١٣)، ص ٢٠٧-٢٢٦.
^{١٤٥} «وسبب تأليفه له أن النبي ﷺ أتاه فيما يحكي النائم فقال له مالك لا تصلي علي؟ قال: كنت أصلي عليك في كتبتي كلها فقال «ما ذاك أريد؟ قال: ما تريد؟ قال: أريد أن تفرد لها تأليفاً على حدة» السابق، ص ٢٠٧.

^{١٤٦} اللهم (١٥)، اللهم صل (٢)، اللهم صل وسلم (٦٠)، اللهم صل عليه (٦١)، اللهم صل على سيدنا محمد (٥٤)، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد (٥١)، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد (٢).

^{١٤٧} الآيات (٢٠)، الأحاديث (٢).

^{١٤٨} مجموع لطيف أنسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (٣)، ص ٥٧١-٥٩٤.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

(٢) «قصيدة البردة»، و«القصيدة الهمزية» و«القصيدة المضرية» و«القصيدة المحمدية» للبوصيري (٦٠٨هـ)^{١٤٩}

وكلها قصائد في مدح الرسول. الأولى الأشهر.^{١٥٠} وقد تم تحليل «البردة» من قبل في الأشكال الأدبية.^{١٥١} وتقسم طبقاً لموضوعاتها: التحذير من هوى النفس، مدح النبي، مولده، معجزاته، شرف القرآن ومدحه، الإسراء والمعراج، جهاده، التوسل به، مناجاته، وعرض الحاجات، تم تذييل لغير الناظم، وأبيات في النهاية.^{١٥٢}
أما «القصيدة الهمزية» فهي قطعة طويلة واحدة، لم يقسمها الناظم أو أحد الشراح إلى موضوعات. تمدح الرسول في كل مراحل سيرته.^{١٥٣} و«القصيدة المعزية في الصلاة على خير البرية»، و«القصيدة المحمدية» مثلها.^{١٥٤} أما «القصيدة البرعية» فتظهر اللازمة في الخماسي. وتنتهي المجموعة بمنهج البردة الشهيرة لأمر الشعراء، تواصلًا مع الماضي وجمعًا بين القديم والجديد.^{١٥٥}

(٣) رسائل النبهاني (١٣٥٠هـ)

(أ) «صلوات الثناء على سيد الأنبياء»:^{١٥٦} وموضوعها صلوات الثناء على محمد.^{١٥٧} وهي أوراد على أربعة أنواع حسنة الترتيب والتقدير والتقارب الكمي. الأول الثناء عليه في القرآن. والثاني في الحديث. والثالث والرابع عند العلماء الصوفية دون تمايز بينهم.^{١٥٨}

^{١٤٩} السابق (٣٠)، ص ٥٢٩-٥٦٨.

^{١٥٠} رابعًا: الأشكال الأدبية (راجع التقسيم حتى يستقيم مع إشارة المؤلف المرجعية).

^{١٥١} مجموع لطيف أنسي، ص ٥٢٩-٥٣٦.

^{١٥٢} السابق، ص ٥٣٧-٥٥٣.

^{١٥٣} السابق، ص ٥٥٤-٥٥٦.

^{١٥٤} «وهي: فبحقه صلوا عليه وسلموا (٤٠ مرة)، وهي لعبد الرحيم البردعي» السابق ص ٥٥٧-٥٦١.

^{١٥٥} السابق، ص ٥٦٢-٥٦٨.

^{١٥٦} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ (١)، ص ٧-١٥١.

^{١٥٧} السابق، ص ٦٧-٩١.

^{١٥٨} وهم ستة وعشرون: علي، ابن مسعود، زين العابدين، ابن عباس، الشافعي، النقشبندي، محمد وفا، علي وفا، أبو المواهب، الرازي، الفاكهاني، ابن ظهيرة، ابن عجيل، المسرعي، النعماني، المسالك، ابن عراق، الشوقي، السابق، ص ٩٢-١١٩.

والثناء عليه في الحديث يتضمن الثناء عليه في الكتب السماوية السابقة، وفضائله وقبل وجوده أسوة بالسيد المسيح، وفي الآخرة، ومحاسن صورته وأخلاقه وعباداته، ودلائله ومعجزاته. ويشمل الثالث ثناء الصحابة والفقهاء والصوفية، والرابع أصحاب الطرق.^{١٥٩} وقد أثبت هذه الثناءات من رؤية الرسول في المنام. هدفها واحد بيان صفات الرسول مع اختلاف الصيغ. وتوضح المقدمة طرق الصياغة ومصادرها من الكتاب والسنة والشروح السابقة.^{١٦٠} كما تشمل فوائد الصلوات. تعتمد على أربعين حديثاً في فضل الصلاة على النبي.^{١٦١} كما تضم المقدمة اثني عشر مطلباً في فضل الصلاة عليه ومعنى الصلاة والمقصود منها التعظيم والتوقير، والفرق بين صلوات المخاطبات وصلوات المعجزات، ومحبة والتعلق به، وإثبات سيادته وتواضعه ورفض إطرئه والصلوات كلها إطرء.^{١٦٢} وتعتمد على القرآن والحديث والشعر دون أقوال الصوفية لأنها تجارب مباشرة بلا وسيط.^{١٦٣} ووضع القرآن داخل الورد إقلال عن شأنه، وانتقاء الآيات حول محمد رد الكل إلى أحد أجزائه، وتحكم بالأهواء في التفسير. ويذكر بعض الصوفية مثل محمد وفا، وبعض الأحاديث كرويته في المنام. وهي تقليد لأسماء الله الحسنى واستنباط الرسول منها.

ويخلو من أي تحليل عقلي أو أدلة نظرية. كله تجميع من مصادر سابقة واقتباسات منها بالعشرات، ينتهي بعلامة «انتهى». وقد كتب المؤلف من هذا النوع عشرات الكتب الأخرى حتى أصبحت الصلوات على الرسول تجارة رائجة شعبياً وسياسياً لغلبة المديح عليها. وتتدخل الأمثال العامة كالأحاديث كحجة سلطة.^{١٦٤} ويحال إلى

^{١٥٩} وهم حوالي سبعة عشر: أبو الحسن البكري، محمد البكري، زين العابدين البكري، أبو سلعة الخلوئي، محمد غوث الله، محمد المكي، عبد الله الشعايف، محمد السمان، التيجاني، ابن إدريس، الميرغني، الدرقاوي، الفاسي، النووي، القسطلاني أبو المواهب، المواهي.

^{١٦٠} صلوات الثناء، ص ١١-١٥. وهي حوالي ٤٤٥ صيغة، منها عشرون صيغة حول دلائل الرسول ومعجزاته مكررة، وخمس وثلاثون أخرى مكررة، فتكون مجموع الصيغ خمسمائة، السابق، ص ١١.

^{١٦١} السابق، ص ١٦-٢٣.

^{١٦٢} السابق، ص ١٥-٤٠.

^{١٦٣} الآيات (١٨٢)، الأحاديث (٦٣)، القدسية (١)، الأشعار (١١).

^{١٦٤} مثل: «من أحب شيئاً أكثر من ذكره»، صلوات الثناء، ص ٣١.

عشرات المصادر لنفس المؤلف أو لآخرين.^{١٦٥} ويحال إلى بعض الصوفية وعلى رأسهم ابن عربي. ومعظمهم من المتأخرين ومن مشايخ الطرق.^{١٦٦}

(ب) «جامع الثناء على الله»:^{١٦٧} وهو أيضًا في علم الحديث مع أن موضوعه هو الله. هو الثناء على الله ومن صوفي علم التوحيد من خلال علم الحديث، وللكتاب بنية منطقية في تصنيف الأحاديث في الثناء على الله: فصول أربعة. الأول لأربعين حديثًا قدسيًا. والثاني لأربعين حديثًا نبويًا. والثالث في أقوال أربعين وليًا. والرابع الأوراد السبعة ونسبتها إلى أصحابها. ويتضمن كل ورد الأحاديث النبوية فيه، ثم أوراد أحد الصوفية الأولياء، ثم أدعية السلف الصالح. في الورد الأول الجيلاني والإمام الليث وأوراد «الإحياء». وفي الثاني أوراد ابن عربي ومناجاة الدريني. وفي الثالث ثناء الشاذلي. وفي الرابع دعاء أبي العباس المرسى، ومناجاة ابن عطاء الله السكندري. وفي الخامس ثناء محمد وفا وعلى وفا والشاذلي. وفي السادس ثناء أبي الحسن البصري وزين العابدين البكري. وفي السابع ثناء الشعراني وأبي السعود الخارجي، وثناء الحزب السيفي. وهم أربعة عشر صوفيًا. وللمؤلف مجموعة من الألقاب مثل «خادم السنة وقامع البدعة فقيد الإسلام» ملتزمًا بالقدماء ضد المحدثين. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر.^{١٦٨} والأحاديث القدسية أضعف الأحاديث لما بها من خيال يتفق مع الثناء. وتعظيم يتفق مع المديح.^{١٦٩} وإذا كان الورد مجموعة من الآيات المتتالية فإن قراءة القرآن تغني عنه.^{١٧٠} والسؤال هو:

^{١٦٥} ابن عربي (٣)، السخاوي، الشعراني، الشاذلي، الجيلاني، البدوي، العيدروس، البكري، التجاني، الدردير، البلقيني، الدباغ.

^{١٦٦} لنفس المؤلف مثل: «سعادة الدارين (٤)»، «أفضل الصلوات»، «الفضائل المحمدية»، «حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين»، وللآخرين مثل: «القول البديع» للسخاوي (٢)، «الرياض الأنيقة في أسماء خير الخليقة» للسيوطي، «المواهب اللدنية» للزرقاني، «الدر المفصود» لابن حجر، «اليواقيت والجواهر» للشعراني، «مسالك الحنفاء» للقسطلاني، «لوائح الأنوار القدسية» للشعراني، «كنوز الأسرار» للهاروشي، «الرماح» للغوثي، «شرح دلائل الخيرات» للفاقي، «تذكرة الخواص وعقيدة الاختصاص» لابن عربي ... إلخ.

^{١٦٧} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م/١٤٢٤هـ.

^{١٦٨} الآيات (٢٤)، الأحاديث (٥)، الأشعار (٥).

^{١٦٩} جامع الثناء، ص ١١-٢٠.

^{١٧٠} السابق، ص ٥١-٥٢.

هل الثناء على الله في حاجة إلى أدلة نقلية؟ وإذا كان في حاجة إليها فهل يجوز إثبات الثناء على الله بالحديث وهو فرع للقرآن أم من القرآن نفسه؟ كيف يثبت الفرع الأصل؟ وإذا كان الحديث يحتاج إلى تقوية من أعلى القرآن، فهو لا يثبت شيئاً بمفرده؟ الأدلة كلها نقلية من القرآن والحديث. ويغيب التحليل العقلي كما تغيب التجارب الإنسانية التي تعبر الأشعار عن بعضها. الأدلة النقلية مجرد رصد كمي دون تحليل موقف أو لجوء إلى أسباب نزول. وهل الأولياء حجة على الله إذا كان الحديث ليس كذلك؟ وبهذه الطريقة يمكن تأليف مئات الكتاب من جمع مادة القدماء. فالكتاب «جامع» سواء للثناء أو للكرامات من قبل. ألا يؤدي في النهاية الثناء على الله إلى الثناء على السلطان؟ فالله والسلطان يقومان بنفس الوظيفة الأبوية في الوعي، مصدر السلطة الدينية والسياسية. وكل ذلك يؤدي إلى تعظيم الحديث وصاحب الحديث، استثنافاً للحقيقة المحمدية على مستوى الخبر مما يبرر ثورة الوهابية على الوساطة بين الحق والخلق، ورفض السلفية للحقيقة المحمدية عند الصوفية.

(ج) المجموعة النبهانية في المدائح النبوية: ^{١٧١} وهي أكبر مجموعة من المدائح النبوية مرتبة ترتيباً أبجدياً طبقاً لقافية القصائد. لذلك قد يتكرر الشاعر في أكثر من حرف أبجدي طبقاً لقافية القصيدة. ومعظمهم من الشعراء المداحين وليسوا من كبار الشعراء مثل المتنبي والذين كانوا يقومون بالمديح والهجاء للخلفاء والأمراء والحكام وعمال الأمصار. المدح مختلف والمدح واحد. ولا يوجد سبب للتأليف إلا الإكثار من الإنتاج. فالجامع له ما يزيد على المائتي مصنف. كلها في العلوم النقلية، خاصة الحديث والسيرة. كان يمكن تصنيفها في الأشكال الأدبية وفي الوعي النظري، ولكن ينقصها وحدة الديوان. وأهم ما فيه المقدمة النظرية التي كانت في البداية رسالة «الخلاصة الوفية في رجال المجموعة النبهانية»، ومقدار ما لكل واحد منهم فيها من المدائح النبوية. ^{١٧٢} وتضم اثني عشر فصلاً. يذكر في المقدمة الشعراء والمداحون من الصحابة وغير الصحابة. وتقدم معلومات مفيدة عن حياة الشعراء، مولدهم، ووفاتهم، ونبذة عن حياتهم وأعمالهم. تتناول دوام منح الله الرسول أنواع الفضائل والكمال، وديوان نفحة القبول للناقلي، وغنى النبي عن المديح بالرغم من الفيض فيه، وضرورة مدح الحجاز مهد النبوة.

^{١٧١} دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م/١٤١٧هـ (٤ أجزاء).

^{١٧٢} السابق، ج ١، ٣.

والشعر سجية عربية. والتجربة الصوفية تجربة شعرية، وقصائد التشبيب بالولدان والنساء، وكثرة المداحين، وعدم مدح كبار الشعراء كالمتنبي وفوائد المديح بالرغم من عيوبه ﴿قَتَلَ الْخَرَّاصُونَ﴾، وقول الرسول عندما سمع أحدًا يمدح أحدًا آخر «لقد قتلت صاحبكم»، وأوزان البحور الستة عشر في مدح النبي.^{١٧٣} وتعتمد على الاقتباسات وفي آخرها لفظ «انتهى». وقد اشتملت المجموعة على ٢٥٠٦٩ بيتًا، وشعراؤها ٢١٣ شاعرًا جمعت وطبعت أيام خلافة السلطان عبد الحميد مع كيل المدائح له مثل الرسول.^{١٧٤}

(و) المولد النبوي

وتبدأ الحقيقة الحمديّة قمة تشخيص النبي في الكون كله بالتركيز على المولد. ويشمل المولد سيرة النبي حتى نزول الوحي، بشائره وعلاماته، ومولده ورضاعته وتربيته وأحداث عصره مثل حرب الفجار وحلف الفضول، وتحنّته في الغار، ورعيه وكراماته حتى نزول الوحي عليه ونهاية بالإسراء والمعراج، وزواجه الأول ورحلاته إلى الشام، مما تزرخ به كتب السيرة التقليدية.

(١) «حسن المقصد في عمل المولد» للسيوطي (٩١١هـ) ^{١٧٥}

وهو في السيرة الفقهية، وليس الصوفية كرد فعل على الحقيقة الحمديّة. وإن لم تختلف السيرتان كثيرًا خاصة بالطابع الإعجازي لها، في المولد والحياة والممات مثل الأنبياء السابقين خاصة السيد المسيح. فقد بشرت الكتب السماوية، بمولده ونسبه الطاهر وبعثه. وكرد فعل على الموالد الشعبية وما يتم فيها من أعمال منكّرة هناك المولد الفقهي. وهذا هو سبب تأليف الرسالة، سؤال عن المولد النبوة في شهر ربيع الأول محمود أم مذموم، أي مندوب أو مكروه وهل يثاب فاعله أم لا؟^{١٧٦} وهي مثل فتوى ابن رشد

^{١٧٣} السابق، ج ١، ٣-٧٦.

^{١٧٤} «وكان تمام جمعها وطبعها في أيام خلافة السلطان الأعظم والحاكان الأفخم، مجدد الدولة العثمانية، ومؤيد الملة الإسلامية الحمديّة حضرة سيدنا ومولانا السلطان الغازي عبد الحميد خان الثاني أمير المؤمنين وخادم الشرع الشريف والدين المبين. أدام الله به عز الدولة والدين المبين، وأطال عمره بالعز والنصر والتأييد والتمكين، بجاه سيدنا محمد سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين»، السابق، ج ٤، ٣٦٠.

^{١٧٥} دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م/١٤٠٥هـ.

^{١٧٦} السابق، ص ٤١.

عن النظر هل هو واجب بالشرع أم محرم أو مندوب أو مكروه أو مباح في «فصل المقال»؟ ويأخذ صف التحريم.^{١٧٧} وقد دخله العديد من العادات الاجتماعية.^{١٧٨} ويعتمد على القرآن والحديث والشعر.^{١٧٩} كما يعتمد على الفقهاء أكثر من اعتماده على الصوفية، كما يحيل إلى بعض المصادر الفقهية.^{١٨٠}

(٢) «إسعاف الراغب الشائق بخبر ولادة خير الأنبياء

وسيد الخلائق» للحسني (١٣٤٥هـ)^{١٨١}

وهو مجرد أحاديث معظمها جمع ضعيف بما في ذلك الأحاديث القدسية عن خبر ولادة الرسول. كلها تمجيد وتعظيم ومدح. تتخللها لازمة واحدة للصلاة والسلام على المولود.^{١٨٢} تعتمد على الشعر ثم الحديث ثم القرآن. فالشعر أقرب إلى المدح. والحديث يسهل فيه الوضع.^{١٨٣}

^{١٧٧} «لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب الله تعالى ولا سنة رسوله ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة الذين هم القدوة في الدين المتسكون بآثار المتقدمين. بل هو بدعة أحدثها البطالون، وشهوة نفس اعتنى بها الأكالون»، السابق، ص ٤٦.

^{١٧٨} «ولا سيما إن انضاف إلى شيء من الغناء، مع البطون الملأى بآلات الباطل من الدفوف والشبابات، واجتماع الرجال مع الشباب، والمرء مع النساء الفاتنات إنما مختلطات بهن أو مشرفات، والرقص بالثني والانعطاف والاستغراق في اللهو ونسيان يوم المخاف. وكذلك النساء إذ اجتمعن على انفرادهن رافعات أصواتهن بالتنهيد والتطريب في الإنشاد والخروج في التلاوة والذكر عن المشروع وعن الأمر المعتاد»، السابق، ص ٤٨. «أن يكون المغني حسن الصوت والكسوة والهيئة فينشد التغزل ويتكسر في صوته فيفتن بعض من معه من الرجال والنساء فتقع الفتنة في الفريقين، ويثور من المفاصد ما لا يحصى. وقد يؤول ذلك في الغالب إلى فساد حال الزوج وحال الزوجة. ويحصل الفراق والنكد العاجل وتشتت أمرهم بعد جمعهم» السابق، ص ٦٠.

^{١٧٩} الآيات، الأحاديث (٢)، الأشعار (١).

^{١٨٠} الفقهاء مثل العز بن عبد السلام (٣)، ابن الحاج، الشافعي، اللخمي (٢)، ابن كثير، ابن خلكان، الفاكهاني، تاج الدين، ابن رجب، ابن عمر (١).

^{١٨١} السفر الصوفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (٢)، ص ٥٥-٨٣.

^{١٨٢} وهي «عطر الله مجالسنا بأعطر صلاة وأطيب تسليم على أكمل مولود وأجل مودود وأفضل كريم. اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله واجعلنا يا مولانا من أعظم المخصوصين لديه والمتعلقين بأذياله». (٢٥ مرة).

^{١٨٣} الأشعار (٢٢)، الأحاديث (٩)، القدسية (٢)، الآيات (١).

(٣) «جواهر النظم البديع في مولد الهادي الشفيح» لإسماعيل النبھاني^{١٨٤}

وهي ثمان قصائد من شعر المديح. تظهر فيها موضوعات: تحية النبي عند القيام، وتحية أخرى عند القيام عند قراءة مولده. تتخللها لازمة قرآنية، الآية التي وجهت كل هذه الأدبيات عن الصلاة على النبي.^{١٨٥}

(٤) «ابتهالات النصر والفرج للداعي إلى الله تعالى» للحسن اليماني^{١٨٦}

تقال عند ابتداء المولد الشريف، وهي قصيدة: قد تدخل في الأشكال الأدبية في الوعي النظري مع دواوين ابن الفارض وابن عربي والتلمساني، وقد تدخل هنا في علم السيرة. وهي إلى السيرة أقرب لأنها تخلو من الإبداع الأدبي. وأقرب إلى المدح المباشر.

(٥) الكبريت الأحمر في الصلاة على من أنزل عليه ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾
لابن عجيل اليماني^{١٨٧}

وهي أقرب إلى الصلوات والدعوات الإنشائية. مجرد خطاب إنشائي لا يعتمد إلا على آية قرآنية واحدة.

(٦) «تحية معجزة إسراء ومعراج خاتم النبيين» لمحمد بن عبد الهادي العجيل^{١٨٨}

تقرأ في المولد الشريف تبركاً بها. وتحتوي على الميلاد والإسراء وسائر الأحداث الإسلامية. وهي مجرد قصيدة تخلو من أي قسمة للموضوعات وتنتهي بدعاء «الدعاء بعد القيام».^{١٨٩} ومعها «حصن الأمان في مناجاة الرحمن» تقرأ بعد ختام المولد وبدخلها سورة الصمدية.^{١٩٠}

^{١٨٤} مجموع لطيف أنسي، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (١٧)، ص ٣٧٤-٣٨٩.

^{١٨٥} وهي ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾. اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (٥ مرات).

^{١٨٦} السابق، مجموع لطيف أنسي، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (١٨)، ص ٣٧-٣٧٣.

^{١٨٧} السابق (١٩)، ص ٣٩٠-٤٠٢.

^{١٨٨} السابق (٢٠)، ص ٣٩٤-٤٠١.

^{١٨٩} السابق، ص ٣٩٩.

^{١٩٠} السابق، ص ٤٠٠-٤٠١.

(٧) «بلوغ القصد والمراد بقراءة مولد خير الأنام» للحجوني الحسني^{١٩١}

وهي قراءة للمولد أي وجهة نظر. فالمولد ليس حادثة موضوعية بل رؤية ذاتية. ومركزية محمد هي مركزية بني هاشم ومركزية قريش ومركزية العرب. «لو كان محمد كل العرب فإن كل العرب محمد». فتحت أبواب الجنان، وأغلقت أبواب النيران ساعة مولده ويتحول الخطاب إلى دعاء بالسلام.^{١٩٢} وتظهر لازمة تتكرر.^{١٩٣} وأوائل بعض العبارات نفسها لازمة مثل «السلام عليك». وتعتمد على الشعر أولاً ثم الحديث ثم القرآن.^{١٩٤} والأحاديث كلها نظرية تتداخل فيها القدسية والنبوية. تدور حواراتها خارج الزمان والمكان بين الله والملائكة والأنبياء ومحمد الأحمدي. كما تعتمد على بعض المصادر بالإضافة إلى كتب الحديث.^{١٩٥}

(٨) «شفاء السقيم بمولد النبي الكريم» لمزور^{١٩٦}

وهو أقرب إلى النثر الفني. يعتمد على الجانب الأدبي أكثر من الوصف التاريخي. والأدب يسمح بالخيال وتحويل الواقع إلى مثال، مملوء بالخرافات والأساطير كما هو الحال في معظم الديانات مثل أساطير ميلاد المسيح، وميلاد أي زعيم، قراءة للحاضر في الماضي. وسبب التأليف هو شيوع التأليف في الموضوع. المولد النبوي له ألف اسم، مثل بوذا عندما تتكرر صورته.^{١٩٧} ويذكر مولده ووطنه وشأنه بالرغم من قوله «لا ترفعوني فوق عدنان». يذكر نسبه من ناحية أمه وأبيه على طريقة الجاهلية التي استبدل بها الإسلام الأعمال.

^{١٩١} مجموع لطيف أنسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (٤)، ص ٨٣-٩٠.

^{١٩٢} السابق، ص ٧٨-٨٨.

^{١٩٣} وهي: «اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم» (٧مرات).

^{١٩٤} الأشعار (٧)، الأحاديث (٥)، الآيات (٣).

^{١٩٥} مثل: «الدلائل» للبيهقي، «الأوسط» للطبراني، «الأمالي» لابن حجر.

^{١٩٦} مجموع لطيف أنسي، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (٥)، ص ٩٣-١٤١.

^{١٩٧} السابق، ص ١٠٠.

يعتمد على الشعر ثم الحديث ثم القرآن.^{١٩٨} كما يعتمد على عديد من الاقتباسات من مصادر سابقة تتلوها علامة «أه» وفي النهاية يتحول التاريخ إلى أدعية. ويذكر الرازي في أدعية الصوفية. وهو أكثر الفلاسفة ذكراً نظراً لكتابه «المباحث المشرقية». والأسانيد ضعيفة والأحاديث غريبه.^{١٩٩} وتظهر اللازمة المعتادة في أول النص وفي وسطه وفي آخره.^{٢٠٠} وتظهر لازمات أخرى جزئية في أول العبارات مثل «السلام عليك».^{٢٠١} وتحيل إلى بعض المصادر سواء بمفردها أو مع مؤلفيها.^{٢٠٢} وقد دخل فيها الأعاجم، الأتراك والفرس، والذين عرفوا بتعظيم الكياسرة والقواد. وتعتمد على كتب السيرة التي عظمت الرسول كما فعل أهل الكتاب مع أنبيائهم، بالرغم من قول الرسول «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم»، وظهرت على يديه المعجزات والخوارق على طريقة الأنبياء السابقين بالرغم من تصريح القرآن ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾. ورفض الرسول الاستجابة لمطلب المعجزات ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِنَا اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرِفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا * وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا * قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾. وبشر به المنجمون والرهبان كما فعل المجوس مع المسيح. وتذكر رحلاته المتعددة إلى الشام ومقابلاته وحجابه مع الرهبان والتي

^{١٩٨} الأشعار (٢٥)، الأحاديث (١٨)، الآيات (١٧).

^{١٩٩} السابق، ص ١١٥.

^{٢٠٠} وهي «اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، الخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم — وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم» (١٤ مرة).

^{٢٠١} مجموع لطيف أنسي، ص ١١١-١٠٨.

^{٢٠٢} مثل المواهب اللدنية «شرح البردة» لابن مرزوق، «الدر النظيم في مولد النبي الكريم» لابن طغرل بك، «التفسير الكبير» للرازي، «سيرة ابن إسحاق»، «الدلائل» لأبي نعيم، «شرح المواهب» للزرقاني، «روح السير» لإبراهيم الحلبي، «التنوير بمولد النبي البشير» لابن دحية «المدخل» لابن الحاج، «شرح القرطبية» لزروق ... إلخ.

اعتمد عليها المستشرقون لبيان مصادر نبوته.^{٢٠٣} وتذكر أزواجه الأربعة عشرة.^{٢٠٤} ومن الصوفية يذكر جعفر الصادق والتستري. وتظهر ظروف العصر مثل محاصرة الإفرنج مدينة عكا عام ٦٣٠هـ.^{٢٠٥}

(٩) «مجموع مبارك في المولد الشريف نثرًا وشعرًا» للزبيدي^{٢٠٦}

وهي قصيدة على موضوعين. «لا إله إلا الله» و«محمد رسول الله». الشطر الأول من كل بيت لازمة «اللهم صل على محمد» ثابتة. والشطر الثاني متغير.^{٢٠٧} ثم تأتي أربعة آيات قرآنية كفواصل يتلوها قصيدة ثانية. لا تتعلق بالمولد بل مجرد مديح نبوي.

(١٠) «مولد الدبعي أو مختصر في السيرة النبوية» لابن الربيع الشيباني^{٢٠٨}

وينسب المولد لمؤلف وليس للمولود ونظرًا لأهمية التأليف في المديح. والموضوع ليس لحظة الميلاد بل مجموع السيرة النبوية. يجمع بين النثر والنظم. ويبدأ بحديثين الأول عن بحر العلم الدافق، والثاني عن السيرة. الأسلوب أدبي إنشائي. يقول كل شيء ولا شيء. تدخل الملائكة في الحوار وحليمة. تمدح صفاته وأخلاقه. ونقتبس عدة أدعية من آخرين أو عدة قصائد.^{٢٠٩} فالمدح عمل مشترك، المقصود هو المديح وليس المداح. ويلحق القصيدة الجواب أي التأكيد على ما جاء فيها وكأنه موافقة السامعين. وكل مداح هو السيد أو سيدنا بالرغم من قول الرسول «لا تسيدوني». والقصائد لا موضوع لها إلا المديح، والتنقل من موضوع إلى موضوع طبقًا للإبداع الشعري، يدخل فيها كل شيء،

^{٢٠٣} السابق، ص ١٢٧-١٢٨.

^{٢٠٤} السابق، ص ١٣١-١٣٢.

^{٢٠٥} السابق، ص ١٣٤.

^{٢٠٦} مجموع لطيف أنسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (٦)، ص ١٤٥-١٤٧.

^{٢٠٧} الشطر الأول مكرر (١٩) مرة.

^{٢٠٨} مجموع لطيف أنسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (٧)، ص ١٥١-١٨٦.

^{٢٠٩} مثل دعاء محمد علوي المالكي الحسيني، السابق، ص ١٥٧-١٥٨، وقصيدة عبد الله بن علوي بن حسن العطاس، السابق، ص ١٧٣.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

مقارنة بالأنبياء السابقين آدم وموسى ونوح وإبراهيم وعيسى.^{٢١٠} الشعر فيه أكثر من الأحاديث.^{٢١١}

(١١) «فتوى في إباحة الضرب بالدفوف عند الاحتفال بالمولد الشريف»^{٢١٢}

تجمع بين الفقه والتصوف. وهي فتوى العلماء دون تعيين أحدهم. تقوم على الاقتباسات. والحكم الإباحة مطلقاً. وهو حكم السماع وكل ما يلحق من رقص وغناء. وهو الذي تحول إلى ممارسات شعبية في المولد النبوي من الطرق الصوفية بكل أنواع الدفوف والتمايل على إيقاعها. وتعتمد على الحديث والقرآن.^{٢١٣} كما تعتمد على أقوال الطرق الصوفية والصوفية.^{٢١٤} ويضاف إليهم الفقهاء.^{٢١٥} وهناك العديد من المصادر التي ينقل بعضها عن البعض الآخر. ومعظمها مجموعات الفتاوى.^{٢١٦} والأسلوب هو السؤال والجواب.

(١٢) «قصة المولد النبوي لخير البرية ملخصة من

سيرته الزكية» للهوراري الصوفي^{٢١٧}

ويدل العنوان على تقليص السيرة الكلية في المولد الجزئي. تجمع أيضاً بين النثر والنظم، تذكر نسبه، وحمله وولادته وصفاته وصلته بسلسلة الأنبياء السابقين، إبراهيم وعيسى. كما تعتمد على الشعر ثم القرآن ثم الحديث دون ذكر لأقوال الصوفية.^{٢١٨} لها لازمة متكررة.^{٢١٩} ولا تعتمد على مصادر سابقة. فهي أقرب إلى الإبداع الخالص.

^{٢١٠} آدم، موسى (٢)، نوح، إبراهيم، عيسى.

^{٢١١} الأشعار (٥١)، الآيات (٤)، الأحاديث (٢).

^{٢١٢} مجموع لطيف أنسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥ م/١٤٢٦ هـ (٨)، ص ١٨٩-١٩٣.

^{٢١٣} الأحاديث (٣)، الآيات (٢).

^{٢١٤} الطرق الصوفية: البسطامية، القادرية، السعدية، الصمادية، الرفاعية (١). ومن الصوفية البسطامي، الرفاعي، الجيلاني (١).

^{٢١٥} الفقهاء: عز الدين بن عبد السلام، البراء بن مالك.

^{٢١٦} مثل مختصر الشافعي، المحرر للرافعي، فتاوى أبي الليث، الشرح الكبير للسيوطي، وهو شرح الجامع الصغير، الإحياء للغزالي، الرسالة القشيرية.

^{٢١٧} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥ م/١٤٢٦ هـ (٩)، ص ١٩٧٠-٢٠٢.

^{٢١٨} الأشعار (٧)، الآيات (٥)، الأحاديث (٢).

^{٢١٩} «اللهم صل على هذا النبي الكريم، صاحب الخلق العظيم، صلاة لا نهاية لها. كما لا نهاية لكمالك وعد كماله» (٥ مرات).

(١٣) «المولد النبوي الشريف» للعلمي الفاسي^{٢٢٠}

وهو نص متصل أقرب إلى الإبداع منه إلى النقل عن القدماء. به أحاديث آمنة عن الملائكة. ومع ذلك يعتمد على الحديث، ورؤية الرسول في المنام.^{٢٢١} والحديث المروي عنه لا تتوافر فيه شروط التواتر. وله مصادره.^{٢٢٢}

(١٤) «مولد إنسان الكمال» للشنجيطي التيجاني^{٢٢٣}

وموضوعه الإنسان الكامل كما يوحي بذلك العنوان. وهو نص واحد بالرغم من قسمته إلى ثلاثة أقسام. يبدأ كل منها بالبسملة. موضوعه تجليات النور المحمدي ومحمد الذبيح الثاني بعد إسماعيل الذبيح الأول. ويضم مدح آمنة وحملها وولادتها النور، ورضاعه، والرعي في الفيافي، ورحلاته إلى الشام للتجارة والعلم. ففي الأسفار سبع فوائد، ونزول الوحي عليه في سن الأربعين، وإسرائئه ومعرجه، وأخيراً شمائله وخلقه، وعلمه ثم الصلاة عليه. ثم تأتي الخاتمة، قصيدة في مدحه. وتأتي اللازمة عدة مرات في البداية والوسط والنهاية.^{٢٢٤} ويعتمد على القرآن والشعر والحديث دون أقوال الصوفية أو من الإسرائيليات.^{٢٢٥} ولا تعتمد على مصادر سابقة.

(١٥) «فيض الأنوار في ذكرى مولد النبي المختار» لبا عمر.^{٢٢٦}

وهي قصيدة واحدة يذكر شطر البيت الأول كلاً من^{٢٢٧} وفي قصيدة أخرى تتغير اللازمة.^{٢٢٨} ويتخلل القصائد عنوانان: محل القيام، ومحل الدعاء.^{٢٢٩} ويعتمد على القرآن

^{٢٢٠} مجموع لطيف أنسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (١٠) ص ٢٠٥-٢٠٩.

^{٢٢١} الأحاديث (٣).

^{٢٢٢} مثل «المواهب اللدنية».

^{٢٢٣} مجموع لطيف أنسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (١٠) ص ٢١٣-٢٢٨.

^{٢٢٤} اللازمة هي «اللهم صل على الفاتح لما أغلق من التعيينات العينية والخاتم لما سبق منها في علم ذي الجلال» (١٤ مرة).

^{٢٢٥} الآيات (١٤)، الأشعار (١٣)، الأحاديث (٢).

^{٢٢٦} مجموع لطيف أنسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (١٠)، ص ٣٠٥-٣٢٠.

^{٢٢٧} وهي يا رب صل على محمد (١١ مرة).

^{٢٢٨} وهي «اللهم صل وسلم وبارك عليه» (١٢ مرة).

^{٢٢٩} فيض الأنوار، ص ٣٠٩، ٣١٥.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

والشعر في صلب الموضوع وليس استشهداً به.^{٢٣٠} ويخلو من الحديث لأنه خال في معظمه من التركيز على الشخص المتعالي إلا نادراً. وينتهي النص بتقريظ شعري من الآخرين.^{٢٣١}

(١٦) «البيان والتعريف في ذكر المولد النبوي الشريف»

لمحمد بن علوي المالكي الحسني^{٢٣٢}

وهو نص موضوعي يضع المولد الجزئي في إطار السيرة الكلية.^{٢٣٣} ويقسم المولد إلى عدة موضوعات: اليوم، القيام، الحامد والمحمود، بشر ليس كالبشر، الشفاعة، الأخلاق، العقود والصبر، الأطفال، إصلاح المجتمع معاملة الذميين، الجود، التواضع والحياة المعيشية، الحروب والشجاعة، السياسة، المعجزات، ثناء الله عليه في القرآن. يتحول المولد إلى الرسول، والرسول إلى الرسالة. وتمتد الرسالة إلى قراءة عصرية في إصلاح المجتمع ومعاملة الذميين وحقوق الأطفال ووضع السياسات وقيادة الجيوش. فالرسول نبي عصري. في العدالة الاجتماعية أنصف الضعيف من القوي، والفقير من الغني بدلاً عن الشيوعية والاشتراكية والرأسمالية والعلمانية وغيرها من القوانين الوضعية. وينقذ البشرية من شرور الإباحية. شخض أمراض المجتمع ووضع علاجها. حرم الخمر والقمار والإسراف والحمية الجاهلية. ودعا إلى العفاف والشهامة والإخاء وحسن الجوار. ثار على الخرافات والتواكل والجمود، أخذ بالأسباب. ومنع الطمع والبخل والبطالة والرشوة والغش والاحتكار. أقر حقوق الإنسان، وأزال الفوارق العنصرية. منع الحرب وأرسى السلام منع استبداد الحكام، وأقر الشورى. أعلن المساواة بين الناس والحرية للجميع. حرر المرأة واحترم الأم وحقوق الزوجة. فرض العلم على الجميع وحرر الرقيق. وحارب المرابين والمستغلين.^{٢٣٤} وتظهر اللازمة الموسيقية.^{٢٣٥} وتبرز لازمة أخرى تنتهي بآية

^{٢٣٠} الأشعار (١٧)، الآيات (٤).

^{٢٣١} السابق، ص ٣١٦-٣٢٠.

^{٢٣٢} مجموع لطيف أنسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (١٠)، ص ٣٤١-٣٦٨.

^{٢٣٣} السابق، ص ٣٥٧.

^{٢٣٤} وهي «اللهم صل وسلم وبارك عليه» (٤ مرات).

^{٢٣٥} وهي «الصلاة والسلام عليك يا من قال في حظك»، السابق، ص ٣٦٢-٣٦٥.

قرآنية.^{٢٣٦} وتخرج لازمة شعرية ثالثة في الشطر الأول من القصيدة. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر طبقًا لنظام الأولويات التنظيري.^{٢٣٧}

(١٧) «نظم مولد الحافظ عماد الدين بن كثير» لأبي بكر بن سالم^{٢٣٨}

وهو مجرد إعداد من مؤلف مجاور بالكعبة لنظم ابن كثير (٧٧٤هـ)، إعجابًا به ودرءًا للشبهات ضده ممن ينكرون المولد من السلفيين أتباع ابن تيمية من أجل إجازته ومنع الحرج عنه. وهذا هو سبب التأليف.^{٢٣٩} فالمتن من القرن الثامن. والتقديم من القرن الرابع عشر (١٣٨٤هـ). تبدأ القصيدة بآية قرآنية.^{٢٤٠} وموضوعات القصيدة ثلاثة: صفة الرسول، ومولده، ورضاعة وإرضاع حليلة السعدية له. وله لازمة تقطع القصيدة.^{٢٤١}

(١٨) مولد البرزنجي (نثرًا)^{٢٤٢}

وهو نص واحد نثري بلا موضوعات إلا المولد. وينسب إلى مؤلفه أكثر مما ينسب إلى موضوعه. يذكر اسمه ونسبه وحقيقته الحمديّة، حمله ووضعه وخوارق الطبيعة، وأسفاره، وزواجه، ونزول الوحي عليه، وأول من آمن من النساء والرجال والصبيّة، والإسراء والمعراج والهجرة. يعتمد على القرآن وحده.^{٢٤٣} واللازمة شعرية ثلاثية بيتًا وشطرًا.^{٢٤٤}

^{٢٣٦} وهي «السلام عليك» (٤٧ مرة)، السابق، ص ٣٦٦-٣٦٧.

^{٢٣٧} الآيات (٥٦)، الأحاديث (١٢)، الأشعار (١١).

^{٢٣٨} مجموع لطيف أنسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥ م/١٤٢٦ هـ (١٠)، ص ٤٢٣-٤٣٧.

^{٢٣٩} السابق، ص ٤٢٣.

^{٢٤٠} ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ السابق، ص ٤٢٥.

^{٢٤١}

يا ربنا صل وسلم أبدًا على النبي الهاشمي أحمدًا (٨ مرات).

^{٢٤٢} مجموع لطيف أنسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥ م/١٤٢٦ هـ (١٠)، ص ٤٤١-٤٥١.

^{٢٤٣} الآيات (٤).

^{٢٤٤}

عطر اللهم قبره الكريم بعرف شذى من صلاة وتسليم

اللهم صل وسلم وبارك عليه (٢١ مرة).

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

(١٩) مولد البرزنجي (شعرًا)^{٢٤٥}

وهو نص واحد شعري بعد النص النثري. يبدأ بيت من الشعر كالعزف المنفرد.^{٢٤٦} موضوعها الجنة ونعيمها. سعد لمن يصلي ويسلم ويبارك عليه ومحل القيام. تتعرض لنفس الموضوعات منذ الولادة حتى البعثة. وتظهر اللازمة الشعرية التي يرددها المستمعون.^{٢٤٧}

(٢٠) «سمط الدرر في أخبار مولد خير البشر وماله من أخلاق وأوصاف وسير» للحبشي^{٢٤٨}

يجمع بين الشعر والنثر. عنوان طويل يجمع بين الولادة العضوية والصفات الخلقية. يتناول الصلاة الأولى والصلاة الثانية ومحل القيام. لازمتها شعرية.^{٢٤٩} كما يتوحد الشطر الأول من القصيدة الأولى.^{٢٥٠} يعتمد على الشعر أولاً ثم القرآن ثم الحديث.^{٢٥١}

(٢١) «مولد النبي محمد» للشاذلي البشرطي^{٢٥٢}

وتضم ستة أحزاب بالإضافة إلى محل دعاء. وتعتمد على القرآن وحده.^{٢٥٣}

^{٢٤٥} مجموع لطيف أنسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (٢٣).

^{٢٤٦} السابق، ص ٤٥٣.

^{٢٤٧} إلهي روح ضريحه بعرف شذى من صلاة ورضوان (١٨ مرة).

^{٢٤٨} مجموع لطيف أنسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (٢٣)، ص ٤٦٩-٤٧٩. (والاسم

بالكامل الإمام العارف بالله علي بن محمد بن حسين الحبشي).

^{٢٤٩}

اللهم صل وسلم أشرف الصلاة والتسليم على سيدنا ونبينا محمد الرؤوف الرحيم

(١٣ مرة).

^{٢٥٠} يا رب صل على محمد (٢٩) مرة.

^{٢٥١} الأشعار (٨)، الآيات (٤)، الأحاديث (٢).

^{٢٥٢} مجموع لطيف أنسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (٢٦)، ص ٤٨٣-٤٨٦.

^{٢٥٣} الآيات (٦).

(٢٢) «مولد العزب» لمحمد العزب^{٢٥٤}

وهي مجموعة من القصائد تقرأ عند المقام في المولد لشعراء متعددين.^{٢٥٥} واللازمة شعرية.^{٢٥٦}

(٢٣) «فوائد المواهب اللدنية في مولد خير البرية» لمصطفى نجا^{٢٥٧}

ويتضمن ثلاثة فصول: ولادة النبي، قدومه إلى المرتبة المعزوة، بشائر مولده. ليس بها جديد إلا التعبير بالنثر الفني. تعتمد على الحديث ثم القرآن.^{٢٥٨} بميلاده زالت دولة كسرى وقامت دولة التوحيد ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوُلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ وتتداخل الصلوات مع الميلاد، الترانيم مع القداس. وتعود الرسالة مع الرسول. فقد دخل الناس في دين الله أفواجا. فالميلاد حركة في المجتمع والتاريخ.

(٢٤) «مولد المصطفى» لخير الدين وائلي^{٢٥٩}

والغاية منه ليس فقط رصد الماضي بل تغيير الحاضر. ليس المقصود الحشو والغلو بل البساطة والوضوح. ولا يُحتفل به في مناسبات خاصة بل يتم التأسي بها في كل لحظة.^{٢٦٠} وتشمل أخلاقه، عفوه وصبره، جوده وتواضعه، بساطته، وتوحيده لربه،

^{٢٥٤} مجموع لطيف أنسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (٢٧)، ص ٤٨٩-٥٠٠.
^{٢٥٥} هم الشيخ عمر، عبد الله الحداد، أحمد بن محمد المخضار، عبد الله بن حسين بن طاهر، علي بن محمد بن حسين الحبشي.
^{٢٥٦}

يا رب عطر بالصلاة ضريحه وأدم عليه سلام ذاتك مدا (٨مرات)

^{٢٥٧} مجموع لطيف أنسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (٢٨)، ص ٥٠٣-٥٠٨.
^{٢٥٨} الأحاديث (٦)، الآيات (٣).

^{٢٥٩} مجموع لطيف أنسي، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (٢٩)، ص ٥١١-٥٢٥.

^{٢٦٠} «فلم تعد أكثر الموالد تفي بحاجة العصر، تبعاً لسنة التطور. لذا رأينا أن نعرض سيرة الرسول العظيم محمد ﷺ عرضاً جديداً، يأخذ منها القارئ عبرة وتوجيهاً. وقد توخينا أن نسرد ما صحَّ من سيرة النبي ﷺ وأقواله بأسلوب مبسط سهل ليس فيه تعقيد ولا حشو. وقد حافظنا فيها على النهج

مولده ومعجزاته، الصلاة عليه وصيغتها. ويتم ذلك في إطار دعوته الكلية في علاقاته الاجتماعية والسياسية، وحبه للأطفال، وحسن معاملته لأهله وللزميين، وإصلاح المجتمع، وسياسته وحروبه، وشجاعته، ونداء إلى المسلمين عن حال الأمة «أيها المسلمون». وأهمها الإصلاح الاجتماعي.^{٢٦١} وهي نفس الدعوة في رسالة «البيان والتعريف في ذكرى المولد النبوي الشريف» للمالكي الحسني. وتضيف الرسالة المقتسبة منها دون الإشارة إليها. إنما أضافت الثانية فقط بعض الفقرات وبعض الأشعار. وتعتمد الرسالة كالعادة على

القديم في الموالد المقفاة التي يسهل إنشادها وحفظها. وإنا نلفت أنظار المسلمين إلى أن تلاوة سيرة الرسول ﷺ لا ينبغي أن تقتصر على وقت مولده أو في مناسبات معينة فقط بل يجب علينا دراسة هذه السيرة العظيمة من عدة كتب على الدوام لنستفيد نحن وأهلونا بما فيها من توجيهات كثيرة منها حماية الإيمان وقوة العزيمة والجرأة في الحق للدفاع في طريق الجهاد والإصلاح الاجتماعي»، السابق، ص ٥١١.

^{٢٦١} «إصلاحه للمجتمع. دعا الناس إلى التعاون والتحاب والعدالة الاجتماعية. وأنصف الضعيف من القوي. وقارب بين الفقراء وذوي اليسار. جاء بدين يغني عن الشيوعية، وينقذ من شرور الإباحية، ويُشخص أمراض المجتمع. فيصف أحسن علاج في هذا المضمار. حرم الخمر والزنا وحسن الجوار. ثار على الخرافات والتواكل والجمود، وأمر باستخدام القوى الكونية، ومنع الطمع والبخل والبطالة والرشوة والغش والاحتكار، كان أول من قرر حقوق الإنسان. وأزال الفروق العنصرية، فمنع بذلك الحروب، ووطد السلام في الديار. هل تعرفون الذي منع استبداد الحكام، وقرر الأصول الشورية، وأعلن المساواة بين الناس، فكلهم متساوون أحرار، وأنقذ المرأة بمنع الوأد واحترام الأم وحفظ الحقوق الزوجية؟ هل تعرفون الذي فرض طلب العلم على الكبار والصغار؟ وأنصف العمال والكادحين، وخلص الرقيق من المعاملة البربرية، ودعا للرفق بالإنسان والحيوان ومنع الاستعمار؟ لا شك أنكم تعرفونه. فهو محمد رسول الرحمة والإنسانية. وهو الذي لولاه لसार الكون إلى الانهيار. أعلن الحرب على المرابين الذين يسببون الضائقات الاقتصادية، ويمتصون دماء الفقراء بالظلم والاستئثار. حض على الرياضة. وأمر بالصلاة وهي رياضة روحية وجسمية. ودعا للنظافة والمداواة والبعد عن الأمراض والانتحار. نهى عن التقليد الأعمى. ورفع شان العقل والشجاعة الأدبية. وأمر بالتيقظ. وحرم الإشاعات الكاذبة والخيانة وإفشاء الأسرار. حث على الدعوة إلى الله بالطرق السلمية. ولم يكره أحدًا على الإسلام بل ترك للناس الخيار. وأمن النبي ﷺ بما تقدمه من رسائل سماوية. ولقد بشرت به الأنبياء والكتب وعرفه الرهبان والأخبار. جاء الناس بالتسامح والتكافل والآداب الاجتماعية. وأمر بالعدل والإحسان والتناصح والإيثار. صلوات الله وسلامه على من قال أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه». صلوات الله وسلامه على من قال «ليس المؤمن من يشبع وجاره جائع إلى جنبه». صلوات الله وسلامه على القائل «لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، ولا أسود على أبيض إلا بالتقوى»، السابق، ص ٥١٤-٥١٥.

الحديث ثم الشعر ثم القرآن»^{٢٦٢} ولا يحال إلى أقوال صوفية أو إلى مصادر مدونة مع أن بها بعض النقول من رسائل سابقة دون الإعلان. وفي آخرها أربعة تقارير مадحة للنص، وقصيدة «بانت سعاد» في مدح خير البرية.^{٢٦٣}

(ز) رسائل الحسني

(أ) «روضات الجنان في مولد خاتم الرسالات»^{٢٦٤}

وتتكون من ثلاث وعشرين روضة. تتعرض للنور المحمدي وخلق الكون منه، ونهل النبوة. ثم تأتي السيرة الفردية، ميلاده وعجائبه، ونسبه، وزواج أبويه ووفاتهما، وكفالاته، ورحلاته إلى الشام مرتين حيث كسب الخبرة والمعرفة، وزواجه، وحضوره حرب الفجار وحلف الفضول لنصرة المظلوم ضد الظالم، وهو الإسلام الفطري الطبيعي، وخلق حلقه ورؤيته لوحدة العرب، وإرهاصات النبوة، ونزول الوحي عليه. وأهم من ذلك كله إصلاحه الاجتماعي ودور أمته في التاريخ.^{٢٦٥} فللرسالة المحمدية فضل على المجتمع البشري.^{٢٦٦} غيرت مسار التاريخ من النقص إلى الكمال، ومن الفرقة إلى التوحد. وتعتمد

^{٢٦٢} الأحاديث (١٨)، الأشعار (٧)، الآيات (٤).

^{٢٦٣} السابق، ص ٥٢١-٥٢٥.

^{٢٦٤} مجموع لطيف أنسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (٣١)، ص ٥٩٧-٦٣٥.

^{٢٦٥} وهي: أولوية النور المحمدي، نوايا الحضرة النبوية والحقيقة الأحمديّة، سر إيجاد الخلق وبعثة الرسل، النور النبوي في ظهر آدم وفضل العرب وتقلب الرسول في الساجدين نسبه، زواج أبويه، اصطحاب روحانيته بجسمانيته، إشراق شمس على الكون، السلام عليه، عجائب ليلة ميلاده، رضاعه، شرح صدره، وفاة أمه وجده وكفالة عمه، خروجه إلى الشام أول مرة وحضوره حرب الفجار وحلف الفضول، خروجه ثاني مرة وزواجه بخديجة، موقفه الحكيم أثناء إعادة بناء الكعبة، إرهاصات نبوته، بدأ الوحي عليه، المجتمع البشري قبل البعث، خلقه، خلق مآثره، خصائص أمته.

^{٢٦٦} «نعم، وبعد أن مرت على الإنسانية عدة قرون لم تر فيها رسولاً يعرفها بخالقها وممدها، ويهديها سواء السبيل فكثرت فيها الضلال وعم الكلام واشتد العمى وانتشر الجهل في جميع الدول والشعوب حتى عبدت الشمس والقمر، والنهار والليل، واتخذت كل قبيلة لنفسها صنماً تعبد، وتقديسه وتنحرف له الذبائح كل سنة وعمت الفرقة بين الشعوب والأقطار والبلدان والقبائل والعائلات وفشا نظام الطبقات فشوا ما عليه من مزيد. وأصبحت الكلمة الأخيرة للسيف فظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ... ووضع لهم من القوانين ما يصبحون به أعزاء بعد أن كانوا أذلاء، وسادة بعد أن كانوا عبيداً،

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

على القرآن ثم الحديث ثم الشعر.^{٢٦٧} كما تعتمد على النقل والاقتباسات. وتتخللها أدعية. وتظهر اللازمة في الروضة التاسعة.^{٢٦٨} وتظهر لازمات أخرى في مآثر محمد.^{٢٦٩}

(ب) «نيل المنى وغاية السؤل بذكر معراج النبي المختار الرسول» للحسني^{٢٧٠}

وهي سيرة من الولادة إلى المعراج. وكلاهما معجزان، تعتمد على القرآن والحديث والشعر، وأكثر الأحاديث ضعيفة. أحاديث جرت بين الله وجبريل ومحمد في المعراج.^{٢٧١} ويحيل إلى ابن عربي في «الفتوحات». وتتكرر اللازمة ثمان مرات.^{٢٧٢} وتنتهي الرسالة بدعوات لله لتفريج الهم، وقسمة الدنيا، ومغفرة الذنوب، ونصرة سلطان المسلمين، وقهر أعدائه الظالمين.^{٢٧٣}

وموحدين بعد أن كانوا مفرقين ومثلاً علياً للخير بعد أن كانوا مثلاً دنياً للشر. وهكذا شهدت الإنسانية ميلاد الأمة الإسلامية في وقت هي أحوج ما تكون إليها بقيادة خاتم الأنبياء لتضمن كل من استضاء بنورها كل خير ديني ودنيوي وأحمدي، وتسلكه في عقد خير أمة أخرجت للناس، وتجعله هادياً مرشداً موفور الكرامة عزيز الجانب مشاركاً في بناء صروح المجد والفخار لجيله وللأجيال التالية بعده إلى يوم الدين ...»، السابق، ص ٦٢٤-٦٢٥.

^{٢٦٧} الآيات (٤١)، الأحاديث (٣٠)، الأشعار (٨).

^{٢٦٨} وهي «صل الله عليك وعلى الك وسلم»، السابق، ص ٦٠٩-٦١١.

^{٢٦٩} هي «سيدنا محمد» في أول كل عبارة (٦ مرات)، وكذلك «يا رب إني أجد في الألواح أمة» السابق، ص ٦٣٠.

^{٢٧٠} السفر الصوفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (٤)، ص ١٣١-١٥٠.

^{٢٧١} الآيات (٩)، الأحاديث (٤)، الأشعار (٢).

^{٢٧٢} وهي «عطر اللهم مجالسنا بذكره وطيب رباه، ومن علينا بلثم راحته الكريمة وتقيل محياه. وصل وسلم وبارك وأسعد وأنعم به وعليه صلاة تقريباً منه وإليه، وتزيدنا فيه محبة وشوقاً، وتكسبنا بجانبه العظيم تعلقاً وعشفاً على صحابته وآله، وكل من له تعلق بأذيله».

^{٢٧٣} «اللهم انصر سلطان المسلمين ودولتهم، وأعل بفضلك وكرمك على كل معقل كلمته، واخذل الفجرة والفسقة الماردين ودعوتهم. واقطع دابرهم وصولتهم، وأصلح اللهم ولاة أمور المسلمين، ووقفهم لسلوك سبيل رضاك أجمعين، وخلقهم بالرحمة التي خلقت بها نبيك وحبيبك سيدنا محمد الأمين ...» نيل المنى، ص ١٥٠.

(ج) من السيرة الإنسانية إلى الحقيقة المحمدية

وتعني «السيرة الموضوعية» السيرة بالمعنى التقليدي التي يصف حياة الرسول منذ الميلاد حتى الوفاة، كما يفعل المؤرخون تتخللها باستمرار بعض العجائب والغرائب والعلامات خاصة في الميلاد وهي بعض عناصر الحقيقة المحمدية. وأهم نصوصها:

(١) «نسيم السحر» للجيلاني (٥٦١هـ):^{٢٧٤} والعنوان شاعري. والموضوع سيرة الرسول في اثني عشر فصلاً ابتداءً من اعتزاله الناس ورعايته للأغنام، وسفره للتجارة بالشام حتى إيثاره بالعلم الإلهي والكتاب المبين واللوح المحفوظ ... ثم تتحول السيرة الإنسانية إلى الحقيقة المحمدية، والمنزلة الذرية وبطون الأمهات والعالم الدنيوي والبرزخ والحشر والجنة والنار والأعراف. ثم تعود الحقيقة المحمدية إلى السيرة الذاتية، في الرزق تحت الرمح ووضع المرء لنفسه، وتحبب النساء إليه والطيب والصلاة، وشوقه إلى الأصحاب ثم يتم التحول من السيرة الإنسانية إلى الحقيقة المحمدية من جديد في قربه إلى الله أكثر من ملك مقرب أو نبي مرسل، والثناء على الله، والانتقال إلى الرفيق الأعلى. وتعتمد على الشعر ثم القرآن ثم الحديث.^{٢٧٥} والشعر له الأولوية لقدرته على المدح. وهي تجربة شخصية لا تحتاج إلى الاعتماد على أقوال الصوفية.

(٢) «مولد العروس» لابن الجوزي:^{٢٧٦} وهي تورية فالعروس هو الرسول. ومنذ البداية يحتاج إلى الزفاف، وكل مظاهر التكريم والترحاب. يجمع بين النثر والنظم. المولود صاحب الناموس أي واضح الشريعة مع أن الشريعة وضعية قائمة في مجال السلوك البشري كما قال الشاطبي. ليلة مولده انشق إيوان كسرى، ومنعت الشياطين من الصعود إلى السماء. ولد مكحولاً مدهوناً مطيباً مختوناً مسوراً. من نوره خرج نور الأنبياء، ومنه خلق العرش والكرسي واللوح والقلم كالشمس والفجر والكواكب والإيمان ومحمد. أخبر آدم آمنة بحملها سنة مولده انتهى القحط. وينتهي المولد باستغفار الشيخ العلمي وبنهج البردة لأحمد شوقي. يعتمد على الشعر ثم الحديث ثم القرآن دون ذكر

^{٢٧٤} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م (٣)، ص ٦٥-١٠٦.

^{٢٧٥} الشعر (٤٤)، الآيات (٤٥)، الحديث (١٤).

^{٢٧٦} مجموع لطيف أنسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (١٣)، ص ٢٧٧-٣٠٢.

لأقوال الصوفية أو اعتماد على الإسرائيليات.^{٢٧٧} وتظهر اللازمة الشعرية في الخماسي في مقاطع القصيدة.^{٢٧٨}

(٣) «فتح الله في مولد خير خلق الله» للبناني (١٣١٠هـ):^{٢٧٩} وهو كتاب في المولد النبوي كما يدل على ذلك العنوان. البداية الإعجازية للرسول قبل النهاية في الحقيقة المحمدية. ويضم أحد عشر مبحثاً بلا ترقيم عن محبة الرسول وعلاماتها. وأول ما خلق الله نوره، هو أحب الناس إليه وامتداده لأدم. ويذكر نسبه وطهارته وإسلام أبويه ورد كيد أبرهة الفيل، وصفات حمل النبي وولادته والوقوف والقيام حين سماع اسمه ووصفه، والفرح والاحتفال بمولده والتوسل به.^{٢٨٠} وهو تصور ميتافيزيقي كوني شخصي للرسول. أقدم من آدم وسيد البشر. وظهرت بعض الخوارق والآيات والدلائل والعلامات حين ولادته. والتوسل به كواسطة بين العبد والخالق. ويعتمد على الشعر ثم الحديث ثم القرآن.^{٢٨١}

(٤) رسائل الكتاني (١٣٢٧هـ)

(أ) «فتوح الجوارح (أول الخيرات في الصلاة على سيد الكائنات)»: ^{٢٨٢} وهي دراسة في الثمان حواس للرسول: العقل والسمع والبصر واللسان والشم واليد (اليمني) والنفس والقلب وما بها من فتوحات أي قدرات إدراكية أعلى من حواس البشر. وتعتمد على القرآن وحده تقريباً. ومرة واحدة حديث ضعيف ومرة واحدة شعر دون حديث أو أقوال للصوفية.^{٢٨٣} ويذكر محمد وحده كاسم وصفة، وأحمدي كصفة.^{٢٨٤} وكلها دعوات وابتهالات وطلبات وأسئلة واستنجات وشحاذات.

^{٢٧٧} الأشعار (٢٩)، الأحاديث (٥)، الآيات (٣).

^{٢٧٨} وهي «صلوا عليه وسلموا تسليماً» (٨).

^{٢٧٩} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م/١٤٢٤هـ، طبعة أزهرية قديمة مصورة حديثاً.

^{٢٨٠} السابق، ص ١-٤.

^{٢٨١} الأشعار (١٠٠)، الأحاديث (٥٧)، الآيات (٤١).

^{٢٨٢} الصلوات الكتانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م/١٤٢٥هـ (١)، ٢١-٥٨.

^{٢٨٣} الآيات (٥١)، والحديث «ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن»، السابق، ص ٢١.

^{٢٨٤} محمدي (٦١)، أحمدي (١١)، محمد (٧).

(ب) «السانحات الأحمديّة والنفثات الروعيّة في مولد خير البرية»: ٢٨٥ وهو أيضًا في الحقيقة المحمدية أو بالأحرى الأحمديّة. فالجانب القدسي في هوية الهويات. في الكون، وهو الحقيقة الأحمديّة ضمن مراتب الوجود وانطباعها في جميع الصور، روحًا وجسمًا. بعد ذلك يأتي ضمن ولادته والسلام عليه وشرح صدره. ومع ذلك فالباطن هو الأغلب على الظاهر. ومراتب الوجود أربعون. تضم الألوهية والأفلاك والأرض والإنسان والمعاد. ٢٨٦ مولد الرسول ليس بجسده أو حتى بشره صدره بل بروحه. فقد كمنت الجناية الأقدس في هويته فبرزت الحقيقة الأحمديّة مرتبتها في الوجود، وانطباعها في كل الصور. وبالتالي تغلب حقيقته الباطنية على حقيقته الظاهرية. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر. ٢٨٧ وتخلو من أسماء الأعلام، صوفية وفقهاء. وتعتبر نموذجًا للنثر الفني. تتخلله صلوات على الرسول أشبه بالشعر. ويتكرر الشطر الثاني للبيت كلازمة.

(ج) «رسالة في أبوته ﷺ للمؤمنين، وأن كل نبي أب لأُمته»: ٢٨٨ وهو نص واحد مجمل صغير لا ينقسم إلى أبواب أو فصول. يبين أن الرسول أب للأمة كما أن كل نبي أب لأُمته دون دفع الأمور إلى حد أن الرسول أب لكل الأمم طبقًا لآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾. وهي صورة فنية. فلكل أمة زعيم أو قائد، وللأمة الإسلامية أيضًا قائدها. وهي وظيفة اجتماعية سياسية للرسول. هي أبوة معنوية وليست أبوة حرفية. وتشدد المغالاة أن يصبح أبًا للوجود كله، الحيوان والنبات، والجماد، وليس للبشر وحدهم وقد تصل الأبوة إلى حد الاسترقاق الشرعي، بالواسطة والعقلي بالضرورة والطبيعي بالطبع الإنساني. ويعتمد على القرآن، والحديث

٢٨٥ دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م/١٤٢٥هـ (٤)، ص ٤١٧-٤٣٨.

٢٨٦ وهي: للألوهية البطون الذاتي، العماء، الأحديّة، الواحديّة، الألوهية، الرحمانية، الريبة، وللكون: الجسم (العرش)، القلم الأعلى، النفس الكلية، العقل الكلي، الهيولى، الهباء. وللأفلاك: فلك العناصر، موكب الكواكب، أفلاك البرزخ، زحل، المشتري، المريخ، الشمس، الزهرة، عطارد، القمر، الأثير، الهواء، الماء، التراب، المولدات المسيطة، الجوهر الكوني. المعادن: النباتات، الحيوانات، ثم عالم الإنسان مثل: الإنسان، عالم الصور الذي فيه تلحق بالدنيا، عالم المعاني الذي منه يلحق البرزخ، عالم الحقائق الذي يلحق به يوم الدين، المحشر والجنة والنار، الكتيب الأبيض الذي تقع فيه الرؤية لأهل الجنة، السابق، ص ٢٢٣-٢٢٤.

٢٨٧ الآيات (٦٤)، الأحاديث (٥)، الأشعار (٤).

٢٨٨ دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م/١٤٢٥هـ (٣)، ص ٢٠١٣-٢١٥.

والشعر.^{٢٨٩} ويحال إلى عديد من أعلام الصوفية وشعرائهم مثل البوصيري. كما يحال إلى عديد من الفقهاء مثل الشافعي، ومذهبه.^{٢٩٠} كما يحال إلى مصادر عدة.^{٢٩١}

(د) «الديوانة في وقت ثبوت الفتح للذات المحمدية»:^{٢٩٢} وتعني الديوانة، وهي من أصل فارسي، مجموعة الصحف أو السجلات الروحية التي سطر فيها العلم اللدني. وهي في الحقيقة المحمدية، وتحول علم السيرة من محمد الرسول إلى محمد الحقيقة، من المحمدية إلى الأحمدية. وهو سبب تأليف الكتاب.^{٢٩٣} وهو إلهام ورؤية متى يبدأ محمد، منذ الخلق أو منذ الولادة أو بكمال الأربعين؟ محمد الرسول هو الظاهر، ومحمد الحقيقة هو الباطن. ارتقت روحه في المعارج الإلهية. وشاهدت الجمال والحلال. فهو كامل البشرية وكامل الروحية. ثبت الفتح لذاته وزال الحجاب بينها وبين الروح. وهو المقصد من الكتاب، العنوان الأوحى فيه. واصطحبت الأحمدية المحمدية منذ الأزل. والخاتمة صوفية خالصة في الفناء والبقاء، ومقامات الحب، وبحار الأحمدية ووصله إلى غيب مفتاح بطون التأليف. وهو الماهية. هي رسالة في توقيت الفتح أي العلوم الكشفية وليس الوحي، الباطن وليس الظاهر. للذات المحمدية وليس لمحمد الرسول. وهو سبب الفرق بين محمد الرسول البشري وصاحب الشريعة، وأحمد الرسول الإلهي القادر على الارتقاء في المعارج الإلهية ومشاهدة الجمال والجلال. تجليها وبرزخها واصطحاب الاثنين معاً، زوال الحجاب بين الذات والروح ضد من زعم أن جسم الأنبياء هو نهاية كل شيء. ويعتمد في ذلك على القرآن والشعر والحديث دون أقوال الصوفية.^{٢٩٤} وتكرر

^{٢٨٩} الآيات (١٦)، الأحاديث (٤)، الأشعار (١).

^{٢٩٠} ومنهم الشافعي (١)، الشافعية (١)، البغوي، البيضاوي النيسابوري، الفخر الرازي، ابن كثير، الراغب الأصفهاني.

^{٢٩١} مثل: المواهب نقلاً عن عنقاء عقرب، شرح الهمزية لابن حجر، «الروضة» ... إلخ.

^{٢٩٢} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م/١٤٢٥هـ (١)، ص ٥٧-١١٤.

^{٢٩٣} «وقع بينه وبين بعض الخلان ممن له المشرب الصافي في هذا الشأن نزاع في وقت ثبوت الفتح لذاته صلى الله عليه، وزوال الحجاب بينها وبين الروح، هل من أول قدم أم بعد كمال الأربعين فوق لي إذن باطني في أن أسطر ما به أخبر الراوي وهو النون العرشي. فقدمت بين يدي نجواي مقدمة. وبعدها نشرع في المقصود. وسميته «الديوانة»، السابق ص ٥٨.

^{٢٩٤} الآيات (١٠٢)، الأشعار (١٧)، الأحاديث (١٥).

صفحة المحمدية والأحمدية على التساوي.^{٢٩٥} وتخطب الرسالة القارئ وتهيب بوجوده وإدراكه.

(٥) «النائب العام عن كل ما تقدم من الحكم والأحكام للرواس» (١٢٨٧هـ)^{٢٩٦}

والنائب العام هو أحمد والوارث هو محمد، الباطن والظاهر، التصوف والفقه، وهو نوع من النثر الفني دون موضوع معين إلا العهد الصوفي.^{٢٩٧} يعتمد على الشعر وشرحه، وأقل القليل من القرآن دون الحديث.^{٢٩٨} والشعر قصائد طوال يشرحها صاحبه أو المؤلف. ويحال إلى بعض المصادر مثل «رفرف العناية» للرفاعي، و«مراحل السالكين» للرواس.

(٦) محمد الكتاني (١٣٤٥هـ)

(أ) «جلاء القلوب من الأصداء الغينية ببيان إحاطته بالعلوم الكونية»: ^{٢٩٩} ويهدف إلى الإقناع بإحاطة الرسول بجميع العلوم الكونية. والسبيل إلى معرفة ذلك هو جلاء القلوب من صداها. والعلوم ثلاثة: علم الشريعة الظاهرة، وعلم الحقيقة الباطنة، وعلم الغيب.^{٣٠٠} ولا يتضمن الكتاب أبوابًا أو فصولًا بل مقصدين. الأول في بيان إحاطة الذات المحمدية بالعلوم الكونية وهي أقرب إلى علوم الغيب مثل القدر استثناء الروح والساعة. ومنها أمور الآخرة، ومسائل الذات والصفات والأسماء وتجلياتها ومراتبها ووحدة الوجود، وعلم الجفر والحدثان أي التنبؤ بالمستقبل.^{٣٠١} والموضوعات متعالية مثل الإسراء والمعراج والحقيقة المحمدية والميلاد المعجز للنبي كما هو الحال في الطريقة.

^{٢٩٥} المحمدية، الأحمدية (١٥).

^{٢٩٦} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (٢)، ص ٥٥-٨٧.

^{٢٩٧} «أفاض علي حبيبي عهدًا جامعًا في حضرة قربه، بين الحجابة الأعيان عن آله وصحبه، وخلص أتباعه وخاصة حزبه، في مشهد مشاهدة، ومحضر مكافحة، ومحاضرة في سدر مشافهة. استغرقت بنورها، وانغمست بسرورها. وهذا نص العهد المبارك المتمثل المطابع المؤيد المؤبد الذي لا ينحل إن شاء الله عقده ولا ينقض عهده»، النائب العام، ص ٥٥.

^{٢٩٨} الأشعار (٢٢)، الآيات (٣).

^{٢٩٩} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (جزءان).

^{٣٠٠} جلاء القلوب، ص ٦١-٧٠.

^{٣٠١} السابق، ج ١، ١١٥-١١٩.

ويعتمد على القرآن والحديث والشعر وأقوال الصوفية.^{٣٠٢} وتكرر الآيات والأحاديث لأنها هم متصل. وتتوالى بحيث يبدو الكتاب وكأنه مجموعة من الأدلة النقلية.^{٣٠٣} وللأحاديث أكثر من صياغة. ومن الصوفية يحضر ابن عربي بوضوح. وتوضع له ترجمة في المقدمة.^{٣٠٤} وهو الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر. يليه تلاميذه مثل النابلسي مع تقديره لأشخاص الصوفية المتأخرين. ويحال إلى «الفتوحات» و«فصوص الحكم» لابن عربي وإلى «الحكم العطائية» و«لطائف المنن».^{٣٠٥} ومن هذا الباب خرج موضوع الإسلام والعلم. فالقرآن به كل شيء. والثاني في كونه خليفة الله الأكبر. وهي أيضاً علوم غيبية مثل العماء والعقل الأول والروح الأعظم وتفضيل الأنبياء على الملائكة والختم المحمدي وتصرف الولي. تتخللها عناوين جانبية مثل «الكلام في»، «الدليل»، «فصل»، «مسألة»، «الأجوبة»، «بحثان»، «رأي الجمهور».^{٣٠٦}

ويقوم على التجميع كما هو الحال في التأليف المتأخر مثل الكتب المدرسية التعليمية والمقررات الجامعية، مملوءة بالنقل وتخلو من الإبداع ودون معايشة للتجربة الصوفية.^{٣٠٧} وتتخذ اقتباسات عديدة بعلامة «ا.هـ» أو بعبارة «انتهى» بلفظة أي النقل الحر في جسد بلا روح، مجرد هيكل عظمي بلا لحم ودم بالرغم من مخاطبة القارئ.^{٣٠٨} ويعتمد على المعاجم والقواميس والشروح السابقة. وفي نفس الوقت الذي يعتمد فيه على العلوم الغيبية يعتمد أيضاً على الفقه والحديث لبيان اتفاق التصوف، موضع

^{٣٠٢} الآيات (٦٣٨)، الأحاديث (٢١٤)، الأشعار (١٠٦).

^{٣٠٣} جلاء القلوب ج ١، ١٥٥-١٥٨، ١٧٩-٢٠٠، ج ٢، ٢٥، ٥٤-٥٥، ١٤٤-١٤٧، تتوالى الأحاديث ج ٢، ١٢١-١٤٢، ١٩٥، ٢٠١، ٢٠٣-٢٠٤-٢٠٨-٢٠٩.

^{٣٠٤} ابن عربي (٢٠)، النابلسي (٨)، السهروردي، صاحب عوارف المعارف، الشاذلي، المناوي، الشعراني (٤)، البكري، الغزالي، القشيري، الجنيد، التستري، أبو نعيم، الجيلي، علي الخواص، أحمد الرفاعي، إبراهيم الدسوقي، الجيلاني، السيوطي، الكاشاني، الترمذي، وهب بن منبه، ابن عطاء الله (٢)، ومن الفقهاء السيوطي (٤)، العز عبد السلام. ابن حجر، الشافعي، ابن الجوزي (٢). ومن الفلاسفة ابن رشد فقيهاً (٢)، ومن المتكلمين الجرجاني (٢)، وهناك عشرات من المحدثين.

^{٣٠٥} الفتوحات، فصوص الحكم (٤)، الحكم العطائية، لطائف المنن (٢).

^{٣٠٦} الكلام في (٤)، الدليل (٣)، بحثان، مسألة، أجوبة، فصل، رأي الجمهور (١).

^{٣٠٧} جلاء القلوب ج ١، ١٩٣.

^{٣٠٨} «سنذكر شيئاً من علومهم». السابق، ص ٥٩.

الشبهة، مع العلوم النقلية. فقد خرج التصوف من الفقه والحديث ثم عاد إليهما. ونظرًا لضعف الأحاديث فإنها تأتي من التجميعات المتأخرة بعد الإصحاحات الخمسة. فتتكرر الأحاديث، وتختلف صياغاتها دون تحليل لمنطق الزيادة والنقصان بين الروايات.^{٢٠٩}

وبالرغم من عدم وجود مقدمة نظرية أو سبب للتأليف. فالمقدمة مجرد مدح وتقريظ للصحابة، والاعتذار عن وحدة الوجود وفهمها فهمًا مطابقًا للشرع إلا أن القسمة العقلية شائعة.^{٢١٠} وتستعمل بعض المصطلحات الصوفية التي تحتاج إلى شرح مثل.^{٢١١} «البرزخ»، بالرغم من «التنبيهات» وأسلوب القول فإن قال ... قلت. ومن الوافد يظهر «أفلاطون» لاستكمال علم المؤلف بالداخل والخارج، بالموروث والوافد.^{٢١٢}

(ب) «إسعاف الراغب الشائق بخبر ولادة خير الأنبياء وسيد الخلائق» لمحمد الكتاني:^{٢١٣} وهو أيضًا في المولد النبوي. يجمع بين الابتهالات والروايات. يركز على الميلاد العضوي ومدة الحمل التي يجب أن تكون فريدة بين المدد المعروفة السبعة والتسعة أشهر. ويكرر نفس الأحاديث الغيبية المعروفة التي يروي فيها الرسول عن خلقه الكوني الأول دون معرفة مصدره المعرفي الله أو جبريل أو «هو نفسه»، هل هو قدسي أم نبوي؟ ويحيل الميلاد إلى البعث وأمور المعاد بنفس التفرد الأول والآخر. ويظهر محمد البشري الذي خرج من نكاح ولم يخرج من سفاح. وكل الأنبياء كذلك. في حمله عجائب، وفي وضعه غرائب. تحدثت السماء والأرض به، وعجبت من هذا النور، وهما منه. وتحدثت الملائكة لأتمته كما بشرت اليصابات أم مريم، وكما بشر جبريل مريم بحملها.

ويعتمد على الحديث أولًا ثم الشعر ثانيًا ثم القرآن أخيرًا.^{٢١٤} ويتكلم الله محاورًا. ويدخل جبريل في الحديث. كما تظهر الإسرائيليات في حديث الله مع عيسى وأمره الإيمان بمحمد.^{٢١٥} وتبدأ «اللازمات» في الظهور في فن «التأليف». و«اللازمة» هي عبارة أو فقرة

^{٢٠٩} انظر دراستنا ظاهريات التأويل (الترجمة العربية)، ص ١٥٧-٢٢٢.

^{٢١٠} جلاء القلوب ج ١، ٣٩٩-٤١١.

^{٢١١} السابق، ج ١، ٢١١، ٢١٨.

^{٢١٢} السابق، ج ٢، ٣٩.

^{٢١٣} مجموع لطيف الأسنى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (٢)، ص ٣٥-٤٩ (المؤلف

بالكامل محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني (المغرب)).

^{٢١٤} الأحاديث (١١)، الأشعار (١٠)، الآيات (١).

^{٢١٥} مجموع لطيف أنس، ص ٤٠.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

أو صلاة أو دعاء أو ابتهاج يتكرر عبر التأليف عشرات المرات كما هو الحال في فن الغناء وفن الشعر، وكما هو شائع في ردود المستمعين على المنشدين.^{٣١٦} وتعتمد على بعض المصادر المدونة بالإضافة إلى كتب الحديث والتاريخ.^{٣١٧}

(٧) «اليمين والإسعاد بولادة خير العباد» للحسني (١٣٤٥هـ)^{٣١٨}

وهو أيضًا في ولادة الرسول. ويتكون من أربعة عشر فصلًا عن كونه أول مخلوق، وأصل خلقته من الكمال، وإرهاصات الحمل به، وما وقع أثناء الحمل، والوضع الشريف، وجعل الأئمة المولد عيدًا سنويًا، والقيام عند ساعة الولادة، والرقص إذا كان المولود ذكرًا، وهو من بقايا العادات الذكورية قبل الإسلام، وتاريخ الولادة، ومرضعته ونشأته وتطوره في مراقي العز، وهو اليتيم حتى نبوته، وأحواله الخلقية والخلقية. وصفاته الباطنة، وأفضليته على سائر الخلق، ووجوب محبته وآل بيته، والدعاء له. وفي بداية الأبواب لازمة واحدة تتكرر خمس عشرة مرة.^{٣١٩} وتبدو بدايات التأليه الوثني. والسؤال: ما قيمة وصف جسد النبي في النبوة؟ ويعتمد على الأحاديث الحقيقية ثم الأشعار. وأقلها القرآن الذي يؤكد كالحديث على بشرية الرسول.^{٣٢٠}

(٨) «حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين» (١٣٥٠هـ)^{٣٢١}

وكما جمع المؤلف من قبل كرامات الأولياء فإنه يجمع هذه المرة معجزات الأنبياء. وتعتمد كلها على علم الحديث. وأقلها على القرآن. فالقرآن لم يذكر إلا الإسراء والمعراج وليس عشرات الأحاديث عن المعجزات الواردة في أخبار الآحاد.

^{٣١٦} مثل «عطر اللهم مجالسنا بأعطر صلاة وأطيب تسليم على أكمل مولود وأجل مودود وأفضل كريم. اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله واجعلنا يا مولانا من أعظم المخصوصين لديه والمتعلقين بأذنيه»، (١٤ مرة).

^{٣١٧} منها «شرح البردة» لابن مرزوق، شارح الاكتفاء.

^{٣١٨} السفر الصوفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م / ١٤٢٦هـ (٣)، ص ٨٧-١٢٧.

^{٣١٩} وهي «عطر اللهم مجالسنا بطيب ذكر حبيب الله الأعظم وثناه، ومن علينا بسلوك سبيله وهده.

وصل وسلم وبارك عليه وعلى آله صلاة وسلامًا تتخلص بهما من محن الوقت وأهواله.

^{٣٢٠} الأحاديث (٣٧)، الأشعار (٤)، الآيات (٣).

^{٣٢١} دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م / ١٤١٧هـ.

بنيته محكمة. تضم أربعة أقسام.^{٢٢٢} وينقسم كل قسم إلى أبواب وفصول أو مباحث. الأول عن البشائر، نبوة الرسول في الكتب المقدسة السابقة، وفي أخبار اليهود والربان والكهان مع الجن والأصنام وبشائر أخرى متنوعة. وكيف يتم الاعتماد على الكتب المقدسة السابقة وهي محرفة؟ وكيف يمكن الحديث مع الجن والأصنام؟ والقسم الثاني في انتقال نوره في الأصلاب من الأجداد إلى الأحفاد من خلال الأم وآيات الحمل والولادة والرضاع والحياة قبل البعثة. وهو مقصود بيولوجي للنبوة، عيني حسي. والنبوة ليست ضرورة في الذرية ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ وكيف يعرف النور من خلال الأرحام للأباء والأجداد؟ والثالث المعجزات على النبوة أثناء البعثة، معجزة القرآن، والمتعلقة بالعالم العلوي، وإحياء الموتى، وشفاء الأمراض، وتبديل الأعيان، وتكليم الجمل، والغزوات. والرابع المعجزات بعد وفاته أسوه بالسيد المسيح في منامات الصالحين وقضاء حاجات المستغيثين، وأشراط الساعة وعلاماتها. والكتاب على هذا النحو يجمع بين عدة علوم، السيرة والحديث، والتصوف.

والعنوان نفسه غريب «حجه الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين». وهل يحتاج الله إلى حجج لإثبات معجزات الرسول بعد إيمان الناس بالرسالة؟ ولم اجتزاء جزء من حياة الرسول وهي المعجزات دون باقي جوانب حياته في تقديس العمل، وقوانين الحياة، والعقل، والمعرفة؟ بل إن القرآن نفسه لم يعتمد على المعجزات كدليل لإثبات النبوة ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾. ولا يستطيع الرسول أن ينزل من السماء كسفاً أو أن يقيم صرحاً يصعد إليه إلى السماء ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَنَا بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرِفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفُيقِكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾.

وكثير من أخبار المعجزات تمت صياغتها قياساً على روايات معجزات السيد المسيح خاصة الميلاد وإحياء الموتى ومعجزاته بعد البعث.^{٢٢٣} ومعظمها روايات لا أقوال،

^{٢٢٢} أكبرها الثالث (٣٠١) ثم الثاني (١٣٩)، ثم الرابع (١٢٧)، ثم الأول (٥٧).

^{٢٢٣} حجة الله على العالمين، ص ١٨.

حكايات وقصص عن أفعال شاهدها الرواة مباشرة أو غير مباشرين، وليست كلمات مباشرة من الرسول. ومعظم أحاديث الإسراء والمعراج أقوال مباشرة يغلب عليها الخيال والتصوير والإخراج المسرحي وكل عناصر التشويق والإبهار بالضخامة للبراق وأجنحته وأنواع الأحجار الكريمة والحوار مع الأنبياء السابقين. وتطول بحيث لا تستطيع الذاكرة استدعاءها. ومعظمها تفصيلات من إبداع الخيال الشعبي الجماعي، فالقرآن لم يذكر إلا الإسراء في آية واحدة دون المعراج. وهناك روايات أخرى من إحدى زوجات الرسول تنفي أنه ما فارقها هذه الليلة قط. وقع في أول البعثة تشجيعاً للرسول وتقوية له ضد خصومه وقومه الذين ما زالوا ينكرونها ولا يصدقونه، وتدعيماً له ضد جماعات اليهود والنصارى.^{٣٢٤} فقد حاور الأنبياء السابقين جميعاً. ونال درجة أعلى من درجاتهم. يصلي كل نبي بأمته ويصلي الرسول بالأمم جميعاً ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾. صلى بالأنبياء جميعاً يؤمهم في المسجد الأقصى، والمعراج من الأرض إلى السماء، ثم الصلاة من السماء إلى الأرض. وإذا كانت الصلاة قد فرضت أثناء المعراج فكيف صلى الرسول بالمسلمين وهي لم تفرض بعد وتقتن في خمس؟ والمعجزة في الحقيقة هي رد فعل على العجز عن تغيير الواقع وتطبيق الرسالة، والتحول عن الرسالة إلى الرسول، ومن القول إلى الفعل. أنكرها المعتزلة.^{٣٢٥} فالكتاب يأخذ جانب رأي دون رأي. ولا يوجد أي نقد تاريخي للروايات كما فعل القدماء مثل ابن حزم وكما فعل ابن خلدون في بيان أغلاط المؤرخين. وما زالت الأحاديث تروى لصحة سندها وليس لصحة متنها واتفاقه مع الحس والعقل ومجرى العادات وقوانين الطبيعة.^{٣٢٦} وتروى أحاديث المعراج ممن لم يعاينها ويشاهدها وهو ما يتنافى مع أحد شروط التواتر، الإخبار عن حس.

وأهم ما فيها هي المقدمة النظرية التي تضم أربعة مباحث: معنى المعجزة والفرق بينها وبين خوارق العادات، تفوق معجزات الرسول على باقي معجزات الأنبياء وخروجها منها، ظهور وكثرة ودوام معجزاته على معجزات سائر الأنبياء، طرق المعرفة

^{٣٢٤} حجة الله على العالمين، ص ٢٦٩.

^{٣٢٥} السابق، ص ٤٠.

^{٣٢٦} السابق، ص ٢٧١.

بها وإفادتها للعلم.^{٢٢٧} وكلها قائمة على أفعل التفضيل، فضل معجزات الرسول على معجزات سائر الأنبياء كما وكيفاً. وتدور الخاتمة حول الصدق والكذب في الإخبار عن المعجزات في ثلاثة مباحث، مدح الصدق وذم الكذب، وذم الكذب على الرسول، وتحريم رواية الحديث المكذوب.^{٢٢٨} ويُلحق بالكتاب رسالة المؤلف، «خلاصة الكلام في ترجيح دين الإسلام».^{٢٢٩} تكشف عن قصد التقريظ والمدح للرسول، وترجيح دين الإسلام على سائر الأديان، وتكشف المعجزات عن الدين الطبيعي الفطري وأنه لا حاجة لإثباته عن طريق أفعال خارقة للعادة.^{٢٣٠} وبالرغم من أنها مقدمة نظرية إلا أنها تعتمد أيضاً على الأدلة النقلية وليس على التحليل العقلي أو مناهج الاستدلال. صحيح أن الموضوع سمعي فإذا كان المنهج أيضاً سمعياً، فيزدوج السمع بدلاً من الاعتماد على العقل تطويراً لما تركه القدماء سمعياً خالصاً.

ويعتمد الكتاب على كثير من الأدلة النقلية من القرآن والحديث والشعر.^{٢٣١} فهو مجرد بجميع لها دون ربط أو تحليل عقلي أو استدلال أو برهان. وتتوالى أحياناً الآيات القرآنية في زخات متتالية مثل المعجم الفهرس.^{٢٣٢} والأحاديث كثير منها ضعيف أو مشهور. ويطعم كثير منها بالقرآن لتقويتها. والقدسي منها يغلب عليه الطابع الغيبي وهو ما يخرج عن وظيفة علم الحديث في إعطاء التفصيلات العملية للأحكام وأوجه تطبيقها. وقد تتوالى الأشعار في قصائد طوال.^{٢٣٣} بل إن الشيطان نفسه يقرض الشعر. كما يعتمد على عشرات من المصادر المدونة من كتب الحديث.^{٢٣٤} ومنها ما للمؤلف نفسه.^{٢٣٥} وتتخذ منها عدة اقتباسات يشار إليها بلفظ «انتهى» أو بالحرفين «أ هـ»

^{٢٢٧} السابق، ص ٦٣-٧.

^{٢٢٨} السابق، ص ٦٢٥-٩٢٨.

^{٢٢٩} السابق، ص ٩٢٩-٦٣٥.

^{٢٣٠} السابق، ص ١٩٥-١٩٦.

^{٢٣١} الآيات (١٩٠)، الأحاديث (١٠٠)، الأشعار (٩٥).

^{٢٣٢} السابق، ص ٥٠-٥١.

^{٢٣٣} السابق، ص ١٧٨-١٧٩، ١٤٢.

^{٢٣٤} مثل «المواهب اللدنية»، «القاموس»، وعديد من الشروح لابن الحاجب، الجواب الصحيح لمن بدل دين

المسيح» لابن تيمية، السابق، ص ١٣، ٢٤٣، ٣٨٧.

^{٢٣٥} مثل «أفضل الصلوات على سيد السادات»، السابق، ص ٤٣.

والتجميع ليس عيباً في حد ذاته في حضارة يغلب عليها الإبداع الجمعي وليس حقوق الملكية الفردية. فالثقافة والعلم كالماء والهواء، مشاع بين الناس، لا يجوز امتلاكها ملكية فردية كما هو الحال في الغرب الحديث. وتظهر الإسرائيليات في عديد من روايات البشارة بقدوم الرسول في روايات الكتب المقدسة السابقة.^{٢٣٦} ويجمع أربعون حديثاً لبيان فضل سيد المرسلين طبقاً للعدد النبوي المفضل والذي على أساسه تم نسج عديد من كتب الأحاديث مثل «الأربعون النووية».^{٢٣٧} وتتحول كثير من المعجزات المبهرات إلى قصائد شعرية في المديح النبوي أشبه بالقصائد الشعبية في مدح أبطال الأساطير الشعبية مثل أبو زيد الهلالي والزيناتي خليفة. وتكرر الأشعار كما تتكرر الأدعية.^{٢٣٨}

(٩) «روضات الجنات في مولد خاتم الرسالات» للكتاني الحسني (١٣٨٤هـ)^{٢٣٩}

وهو كتاب في السيرة. يتكون من ثلاث وعشرين روضة عدد بعثته حول النور المحمدي السابق على الخلق، ثم ولادة محمد الرسول، وعجائب ليلة مولده، ورضاعه، وشرح صدره، ووفاء أبويه وكفالة عمه، وخروجه إلى الشام، وحكمته أثناء بناء الكعبة، وإرهاصات نبوته، ثم نزول الوحي في ظروف خاصة، ثم وصف خلقه ومآثره وخصائص أمته، ثم اللجوء إليه كوسيلة إلى الله.^{٢٤٠} ويحتم المؤلف رسالة لوزير العدل ضد تعيين ذوي

^{٢٣٦} السابق، ص ٢٤.

^{٢٣٧} السابق، ص ٢٥-٣١.

^{٢٣٨} السابق، ص ٩٢، ١٩٦.

^{٢٣٩} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م/١٤٢٥هـ.

^{٢٤٠} وهي على النحو التالي: (١) أولوية النور المحمدي. (٢) بعض مزايا الحضرة النبوية والحقيقة الأحمديّة. (٣) سر إيجاد الخلق وبعثة الرسل. (٤) النور النبوي في ظهر آدم وفضل العرب. (٥) نسبه. (٦) زواج أبويه. (٧) روحانيته في جسمانيته. (٨) إشراق شمس على الكون. (٩) السلام عليه. (١٠) العجائب ليلة مولده. (١١) رضاعه. (١٢) شرح صدره. (١٣) وفاة أمه وجده وكفالة عمه. (١٤) خروجه إلى الشام. (١٥) خروجه إلى الشام للمرة الثانية وزواجه من خديجة. (١٦) حكمته أثناء بناء الكعبة. (١٧) إرهاصات النبوة. (١٨) بدأ الوحي. (١٩) المجتمع وقت النبوة. (٢٠) خلقه. (٢١) خلقه. (٢٢) مآثره. (٢٣) خصائص أمته.

الثقافة الأجنبية في القضاء.^{٣٤١} وهناك لازمة مكررة في آخر كل روضة.^{٣٤٢} ويعتمد على القرآن والحديث والشعر.^{٣٤٣} وسبب التأليف سؤال أحد الإخوان.^{٣٤٤}

وتبدو روح العصر في الروضة التاسعة في «السلام والصلاة» عليه «يا أول داع إلى الوحدة العالمية»، «يا من رفع مستوى المعيشة بسن العباد»، «يا من حقق أسمى مظاهر العدالة الاجتماعية بين الأفراد والطبقات»، «يا من كافح الجهل والغش والبطالة»، «يا من قاوم المرض والفقر والرذيلة»، «يا رافع منار اللغة العربية»، «يا بطل المعارك الفكرية»، «يا بطل المعارك الاجتماعية»، «يا بطل المعارك الحربية». وماذا عن النداء عليه في فلسطين والعراق وأفغانستان والشيشان وكشمير وسبته ومليلة وباقي أراضي المسلمين المحتلة؟^{٣٤٥}

(١٠) «مجموع لطيف أنسي في صيغ المولد النبوي القدسي (نثرًا ونظمًا)» جمع عاصم الكيالي^{٣٤٦}

ويحتوي على ثلاثين مولدًا نبويًا شريفًا لمجموعة من العلماء العارفين بالله والمعاصرين. وقد يضم عمل واحد أكثر من شكل أدبي، النثر والنظم. ويمكن عرضها جميعًا كعمل واحد، وشكل أدبي واحد، وموضوع واحد وهو المولد النبوي. وبالتالي يفقد كل عمل خاصيته وعناصره التي تكونه وخصائصه بل ورؤيته التي يتميز بها. لذلك كان من الأفضل عرض الأعمال، كل على حدة للإبقاء على فردية كل واحد منها.

^{٣٤١} السابق، ص ٧٥-٧٧.

^{٣٤٢} وهي «طيب اللهم مجالسنا بالصلاة والسلام على سيدنا محمد. وثبت اللهم قلوبنا على محبة سيدنا محمد. واجمع اللهم أتباع سيدنا محمد. وأظهر اللهم دينه على البرايا. وباعد وبين جميع البلايا وعلى آله الطاهرين وصحابته الأكرمين ملأ ما علمت، وعدد ما علمت، وزنة ما علمت».

^{٣٤٣} الآيات (٤٣)، الأحاديث (٩)، الأشعار (٧).

^{٣٤٤} فقد سألتني جماعة من الإخوان ... أن أكتب لهم قصة المولد النبوي المحمدي تيمناً واهتداء بالرسول الكريم الهادي. وبأسلوب يهيج القلوب إلى حضرة علام الغيوب، ويشوق الظمآن للارتواء من بحور العرفان ...». ورتبته على ثلاث وعشرين روضة على عدد سنين من حين البعثة إلى حين الوفاة ...».

السابق، ص ٣٠.

^{٣٤٥} السابق، ص ٤٥-٤٦.

^{٣٤٦} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ.

ولا يعني المولد النبوي ما يحدث في الحياة الشعبية من مظاهر الاحتفال به كموالد الأولياء والقديسين والصالحين والزعماء السياسيين «وعروسة المولد» و«حصان المولد»، و«زفة المولد» وأروقة الطرق الصوفية، والأعلام والبيارق، والمسارات الشعبية، والإعلام الديني والوظيفة السياسية بل يعني المولد الكوني، انبثاق النور الأول القديم الذي فيه نشأ الكون، وصدرت النبوات. يعني «الحقيقة المحمدية»، الأسدية الأزلية السرمدية. تعني الأحمدية وليس المحمدية. محمد الباطن وليس محمد الظاهر، تعني مركزية الشخص، وعبادة الشخص، والتحول من الرسالة إلى الرسول، ومن النبوة إلى النبي، ومن المبدأ إلى الفرد كما يحدث في الحياة السياسية. تقوم الحقيقة المحمدية، على «عبادة الشخص» في الدين أولاً وفي السياسية ثانياً كما حدث في المسيحية، وتحول المسيحية من المواعظ على الجبل الخلقية إلى عبادة المسيح وتأليهه.

وتفاوتت بين الكبر والصغر. أكبرها الخامسة «شفاء السقيم بمولد النبي الكريم» وأصغرها الثانية «إسعاف الراغب الشائق بحبر ولادة خير الأنبياء وسيد الخلائق»، والتاسعة عشر «حصن الأمان في مناجاة الرحمن».^{٣٤٧} ويصعب عرضها حسب الترتيب الزماني لمعرفة تطورها لأن بعض مؤلفيها ما زالوا أحياء. ويصعب ترتيبها حسب موضوعاتها لتداخل الموضوعات بين الرسول الكوني، والرسول الطبي العلاجي، بين الرسول الإلهي والرسول البشري. ولا يهم المؤلف بقدر ما يهم العمل. فالمؤلفون غير معروفين في حين أن العمل دال. معظمهم من المغرب العربي، خاصة المغرب الأقصى أحد بقاع التصوف الرئيسية مع مصر والعراق.

والدافع على التجميع هو التعبير عن الفرح والاستبشار والسرور بيوم مولده. في حين أن الطفل لا يولد إلا في ولادته الثانية عندما يصبح وعياً، وجوداً واعياً. ويتحقق الوعي إما بنزول الوحي أول مرة أو بالهجرة حيث انتصار الرسالة، والتحول من السر إلى العلن. ونزول الوحي أفضل لأنه يمثل الوعي الفردي في حين أن الهجرة تمثل الوعي الجماعي. وجعل الولادة العضوية بداية التاريخ الهجري هو خلط بين الوجود العضوي والوجود الواعي. والمولد النبوي هو احتفال بالوجود العضوي للنبي. والاحتفال بنزول الوحي هو احتفال بالوجود الواعي، وجعل التاريخ الإسلامي يبدأ بالهجرة من عذاب مكة إلى نصر المدينة.

^{٣٤٧} (١) السابق، الخامسة (ص ٥٣)، الثانية، التاسعة عشر (٢).

(١١) «إعلام جهال بحقيقة الحقائق بأسنة نصوص كلام سيد الخلائق» لابن أبي جماعة^{٣٤٨}

والعنوان دال إعلام الجهال بالرسول الكوني بنصوصه وأحاديث سيد الخلائق وهو أحد ألقابه وكان وظيفة الحديث تأسيس ميتافيزيقا كونية وليس توضيح معنى أخلاقي أو بيان تطبيق عملي وهما الوظيفتان الرئيسيتان للحديث. وهو ما دفع بعض المستشرقين إلى القول بآثار الأفلاطونية المحدثة في تدوين نظر الوجود ولغة النور والفيض والواحد والمراتب الكونية. ويعتمد على الحديث ثم القرآن ثم الشعر.^{٣٤٩} ولا يحال إلى أي من الصوفية السابقين. وتتداخل الأحاديث القدسية مع النبوية وحوارات الله مع جبريل والرسول والملائكة والأنبياء. وهي طويلة غيبية. تتحدث عن عوالم مفارقة خارج نطاق وظيفة الحديث العملية للتوضيح النظري والبيان العملي. تخلو من الأسانيد لضعفها.

محمد نور. بل هو نور الأنوار خرجت جميع الأنوار منه. نور قبل الخلق. ومنه خلق القلم ثم اللوح ثم العرش. ومن القسم الرابع خلق الكون، السماء والأرض والجنة والنار ثم المعرفة والبصيرة والرؤية والتوحيد. وتختلف صياغات الحديث لتعطي نفس القصد مما يدل على قدر كبير من الإبداع والخيال، وتتضارب الروايات عن أول الخلق: القلم أو الروح أو العرش أو اللوح المحفوظ أو النور المحمدي. وهو سيد ولد آدم، وخلق آدم بين الماء والطين. هو حضرة الجمع وحضرة الوجود وحضرة الأودية. وهو الإنسان الكامل. هو أبو الأرواح وادم أبو الأشياخ، هو التعين الأول والفتح الأكبر إلى آخر هذه التعبيرات الأدبية للتفخيم والتعظيم، وكما تتضارب النظريات في البداية تتضارب أيضًا في النهاية. فهو أول المبعوثين أو آخرهم. كلها تعبير عن نظرية الفيض كما هو الحال في «هياكل النور» للسهروردي. الأنبياء كلهم منه. له مصادر كثيرة، متون وشروح. البعض العمل ومؤلفه، والبعض الآخر العمل دون مؤلفه. والبعض الثالث آراء المؤلف دون عمله.^{٣٥٠}

^{٣٤٨} مجموعة لطيف أنسي، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢ (١)، والعنوان الكامل «إعلام جهال بحقيقة الحقائق بأسنة نصوص كلام سيد الخلائق ممزوجًا بالمولد النبوي في مدح أصل النبي المولدي» لمؤلفه العالم العلامة فريد عصره وأعجوبة دهره سيدي الحاج الأحسن بن محمد بن أبي جماعة السوسي البيضاوي (تونس).

^{٣٤٩} (١) الأحاديث (٣٧)، الآيات (٢٣)، الشعر (٢).

^{٣٥٠} مثل «كشف الكشاف في شرح البردة» للشيخ الأكبر، «تأويلات سورة الإسراء» لنجم الدين كيري. «الوفا» و«بهجة النفوس» لابن الجوزي، «الأسماء والصفات» للبهيمي، «الخصائص» للسيوطي،

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

كما يتم الاعتماد على الإسرائيليات، خاصة التوراة في نظرية الخلق، من «سفر التكوين»، وحديث موسى وكلامه مع الله.^{٣٥١}

(١٢) «اليمن والإسعاد بمولد خير العباد» لجعفر الكتاني^{٣٥٢}

ويدل العنوان على مدى التبرك بالمولد العضوي للرسول الذي يحضر اليمن والإسعاد للخلق. وهو الرسول الكوني، رسول كل الأنبياء. وهو مملوء بالإنشادات والعجائب قبل النبوة، والأهم بعدها. ويتم التركيز على الحمل، ومدته، والرضاعة، والصفات الخلقية التائهة وسط مركزية الرسول التي يطلبها لنفسه. وهو ما يتنافى مع بشريته وبساطته في تقليد آخر ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ «ما أنا إلا ابن امرأة كانت تأكل القديد». وهو أقرب إلى مدح الرسول مثل «البردة»، وأقرب إلى الخيال منها إلى التاريخ، وإلى التمني منها إلى الواقع. ويشارك الشعراء في مدحه مثل الجزبي وأبي تمام.^{٣٥٣} تتخللها لازمة تتكرر عشرات المرات.^{٣٥٤} ويعتمد كالعادة على الحديث ثم القرآن والشعر.^{٣٥٥} كما يعتمد على الإسرائيليات وأحاديث موسى.^{٣٥٦} ويحيل إلى بعض المصادر المدونة، بالإضافة إلى كتب الحديث المغيرة للإصحاحات الخمسة والتي جمعت العديد من الأحاديث الضعيفة

«المواهب» للقسطلاني، «الدرر النظيم في مولد النبي الكريم» المواهب اللدنية»، «الدر المنثور» وآراء جعفر الصادق والحلي والبيهقي والكرماني.

^{٣٥١} السابق، ص ١٥.

^{٣٥٢} مجموع لطف أنسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥ م (٣)، ص ٧٩-٥ (الاسم بالكامل الشريف العلامة المحدث الكبير سيدي محمد بن شيخ الجماعة سيدي جعفر الكتاني الحسيني حفظه الله المغرب).

^{٣٥٣} السابق، ص ٧٣.

^{٣٥٤} هي: «عطر اللهم مجالسنا بطيب ذكر حبيب الله الأعظم وثناه. ومن علينا بسلوك سبيله وهده، وصل وسلم وبارك عليه وعلى آله صلاة وسلاما نتخلص منها من محن الوقت وأهواله» (١٤ مرة).

^{٣٥٥} الأحاديث (٢٥)، الآيات (٣)، الأشعار (٣).

^{٣٥٦} مجموع لطيف أنسي، ص ٦١.

والغريبة.^{٣٥٧} ويدعو للحفاظ على النفس من نوائب الزمان وسطو السلطان ووسوسة الشيطان حيث يختلط التاريخ بالسياسة بالوهم.

(١٣) الأسرار الربانية في مولد النبي لمحمد عثمان الميرغني^{٣٥٨}

وتجمع بين النثر والنظم. والقصائد موضوعات مثل «تحية لقدومه تقال بعد وضعه» و«المنبهجة التي تقرأ قبل المولد الشريف عند الجلوس لقراءته قبل التهليل».^{٣٥٩} ويعرض خلقه ونسبه إلى آدم ونوره الذي منه فاض الخلق كله، وعجائب يوم مولده، ورضاعته وتحننه في الغار، والصبر على خبائث قومه، وشمائله الخلقية، والخطاب موجه إلى الحاضرين. وتنتهي بقصيدة لابن عربي بثلاث قصائد للمؤلف. آخرها يحتوي على لازمة في الشطر الثاني.^{٣٦٠} تعتمد على الشعر ثم القرآن ثم الحديث.^{٣٦١}

(١٤) «مولد المناوي» للمناوي (١٠٢١هـ)^{٣٦٢}

والنص ملحق بمؤلفه وليس بموضوعه وكأن المناوي هو الذي يولد وليس الرسول. يجمع بين النثر والنظم. يحلل اسمه وحروفه الأربعة وأسرارها. يرى المؤلف الرسول في المنام ويسر بالذات المحمدية. ويبين أسرار الصلاة عليه وارتباطه بالكائنات العلوية وأرواح النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. ومولد محمد مناسبة لقصة خلق آدم من طين وحواء من ضلعه كما هو الحال في الأساطير الشعبية. ويتخلل الشعر النثر، عتاب آدم بالشعر وهبوطه إلى الأرض بالنثر. ثم ينتقل نوره من صلبه إلى نسبه كما تقول الشيعة في الأئمة. حملت أمه من نوره، وتلألأت الكائنات منه. وظهرت العجائب بمولده وبرضاعه. وبدأت أمارات النبوة عليه منذ طفولته، رعي الغنم. وبدأت حكمته

^{٣٥٧} مثل: «مطالع المسرات» للعمرائي، و«الرسائل الكبرى» للنفري، «شرف المصطفى» للنيسابوري.

^{٣٥٨} مجموع. أنسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (١٥)، ص ٣٢٣-٣٢٨.

^{٣٥٩} السابق، ص ٣٣٣.

^{٣٦٠} وهي «صلى الله عليه (٢٤ مرة) السابق، ٣٣٧-٣٣٨.

^{٣٦١} الأشعار (٦)، الآيات (٥)، الأحاديث (١).

^{٣٦٢} مجموع لطيف أنسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (١٢)، ص ٢٣١-٢٧٣.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

وأمانته وصدقة. تزوج ورحل إلى الشام ليتعلم من الأسفار وقام برحلته الروحانية وهو في سن الواحد والخمسين. ورأى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ وتظهر اللازمة الشعرية التي تضبط إيقاع النص.^{٣٦٣} ويعتمد على الشعر ثم القرآن ثم الحديث.^{٣٦٤} والحديث أقل لأن الرسول هو صاحبه. وشخصه له الأولوية على قوله.

(١٥) «قرة العين بجواب أسئلة وادي العين» للعلوي الحسنى^{٣٦٥}

تجمع بين الفقه والتصوف. وهي إجابة على أسئلة ثلاثة. الأول عن بدع مولد الرسول. والثاني ختم القرآن على الميت. والثالث الاستغفار والتشهد، عقب الصلاة جهراً. وهذا هو سبب التأليف. يبدأ بتوضيح معنى البدعة وأقسامها. والثانية قراءة القرآن العظيم للأموات. والثالث الجهر بالاستغفار والتشهد عقب الصلاة، والحكم بالجواز. وما روي عن المولد بدع حسنة لأنها ليست محرمة ولا مكروهة. وروايات المولد مثل قصص الأنبياء. وقد أباحها السيوطي في «حسن المقصد في عمل المولد».^{٣٦٦} وتقوم على الاقتباسات والإشارة إليها بلفظ «انتهى». وتعتمد على الحديث ثم القرآن ثم الشعر.^{٣٦٧} وتستعمل أحياناً القسمة العقلية.^{٣٦٨}

^{٣٦٣} وهي (اللهم عطر خبره بالتعظيم والتحية وأغفر لنا ذنوبنا والآثام (٣٨ مرة). السابق ص ٢٣٢.

^{٣٦٤} الأشعار (١٦)، الآيات (٧)، الأحاديث (٣).

^{٣٦٥} مجموع لطيف اسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥/١٤٢٦ هـ (٢١)، ص ٤١١-٤٢٠. (والاسم الكامل للمؤلف: العبد الفقير إلى الله محمد بن سالم بن حفيظ بن عبد الله بن الشيخ أبي بكر بن سالم العلوي الحسنى. عفا الله وتقبل منه آمين. وتدخل مع الرسائل التالية تحت عنوان: «باقة عطر من صيغ الموالد والمدايح النبوية الكريمة» لنخبة من علماء الإسلام وشعرائه مع مقدمة إضافية عن حكم الاحتفال بالمولد النبوي الشريف لفضيلة العلامة الجليل السيد محمد بن علوي المالكي الحسنى، خدام العلم في بلد الله الحرام)، السابق، ص ٤٠٣.

^{٣٦٦} السابق، ص ٤١٥-٤١٦.

^{٣٦٧} الأحاديث (١٦)، الآيات (٧)، الأشعار (١).

^{٣٦٨} السابق، ص ٤١١.

خامسًا: الاغتراب في السحر والخرافة

وقد سمحت الحقيقة المحمدية «بفتح الباب على مصراعيه لاغتراب التصوف في السحر والخرافة والأسطورة حتى تحول إلى أحجيات ووصفات سحرية للعلاج الجسدي والنفسي إيجابًا أو الربط بالكواكب سلبيًا، وجلب المنافع أو دفع المضار».

(١) مؤلفات البوني (٦٢٢هـ)

(أ) «شمس المعارف»^١

وبتناثر البنية وضعف النظر وقع التصوف في أعمال السحر والخرافة في علم الحروف أو علم التنجيم. ويتكون الكتاب من أربعين فصلا متكررة الموضوعات مثل الحروف المعجمة وما فيها من أسرار وإشارات، والكسر، وأسرار البسملة، ما بها من ضواحي وبركات، وأسماء الملوك الذين يريدون الزمان مع أسماء الله الحسنى، لا فرق بين أسماء الملوك وصفات الله، وأوائل السور والربانيات والقدسيات، وأسرار الفاتحة.^٢ وتضاف فوائدها وما لها من الدعوات المستجابة، وآية الكرسي وما لها من البركات وتحويل بعض الآيات إلى طلسمات ناقصات، وأسماء الله الحسنى وأنماطها وما لكل نمط من الدعوات. ومنها حروف خاصة لا تعرف إلا بالقواعد الجغرافية. وتحيل الحروف إلى الأفلاك والبروج الاثني عشر.^٣ وتحلل أسماء الله الحسنى وخفاياها كالجلجلوتية والرحموتية.^٤

^١ طبع على نفقة عباس عبد السلام شقرون بالفحامين بمصر (د.ت).

^٢ الفصول ١، ٥، ٨، ٩، ١٠، ١٣، ١٧، ١٨، ١٩، ٢١، ٢٣-٣١، ٣٣-٣٤، ٣٩.

^٣ الفصول ٢، ٣، ٤.

^٤ الفصول ١١، ١٢، ١٦.

وتحدد أوقاتها النافعة للأوراد والتوحيد، والأذكار والأدعية المستجابة. وتظهر معجزات الأنبياء في إطار السحر والخرافة مثل الأسماء التي كان عيسى يحيى بها الأموات.^٥ وتبرز الطرقية وموضوعاتها مثل الخلوة والاعتكاف.^٦ ثم يظهر التجسيم في العروش المعنوية التي تقابل الأفلاك والحروف.^٧ وتتجلى نظرية الفيض الرباني والنور الشعشاني المستمدة من الفلسفة.^٨ وتظهر علوم السحر مثل أعمال السيميا.^٩ أما النصر على الأعداء فيتحول إلى فصيل، جزء من فصل عن خواص بعض الأوقات والطلسمات النافعات عن طريق آية ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾ وآية ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾.^{١٠} وهناك أيضًا فصل لرد الأبق ولو كان في السلاسل والأغلال، رده إلى العبودية دون تحريره.^{١١} وتذكر بعض الحكايات عن مشايخه.^{١٢} ويستشهد بأقوال الصوفية مثل ذي النون المصري.^{١٣}

(ب) «منبع أصول الحكمة».^{١٤}

وهو مجموعة من أربع رسائل في «العلوم الحرفية والوفقية والدعوات والأقسام» وغير ذلك. الأولى «الأصول والضوابط المحكمة»، الثانية «بغية المشتاق في معرته وضع الافاق»،

^٥ الفصول ٧.

^٦ الفصول، ص ٦، ١٤، ١٥، ٤٠.

^٧ السابق، الفصول ٣٢.

^٨ السابق، الفصول ٣٦.

^٩ السابق، الفصول ٣٧. وقد ألحق بالكتاب أربع رسائل من نفس النوع لعبد القادر الحسيني. (أ) رسالة ميزان العدل في مقاصد أحكام الرمل. (ب) رسالة فواتح الرغائب في خصومات أوقات الكواكب. (ج) رسالة زهر المروج في دلائل البروج. (د) رسالة لطائف الإشارة في خصائص الكواكب السيارة. السابق، ص ٥٣٨-٥٧٦.

^{١٠} شمس المعارف، ص ٢٣٥-٢٤٣.

^{١١} السابق، ص ٢٤٢-٢٤٨.

^{١٢} السابق، ص ٢١٤.

^{١٣} مثل أبي عبد الله السبتي، السابق، ص ٢٥٠-٢٥١.

^{١٤} التزام مكتبة ومطبعة عباس عبد السلام بن شقرون الحمزاوي بمصر ١٩٥٦م/١٣٧٥هـ ويليها رسالتان أخريان من نفس النوع: الأولى، السر المظروف في علم بسط الحروف للشيخ محمد الشافعي الخلوتي الحنفي. والثانية الدرة البهية في جوامع الأسرار الروحانية لعلي بن محمد الطنثاني القاري.

الثالث «شرح البرهنية المعروف بشرح العهد القديم»، الرابعة «شرح الجبلوتية الكبرى». وتقل الرسائل واحدة واحدة في الرؤية ووسائل التعبير. ويتم إحالة بعضها إلى البعض الآخر.^{١٥} ومؤسسو هذا التيار هم الشيعة والصحابة والملائكة. وهنا توحد علوم الأسرار الفرق، سنة وشيعة، والخلق بشرًا وملائكة.

وتتحول الفلسفة الإلهية إلى خرافات. وتزدهر الفلسفة الإشراقية. ويعتبر أرسطو المعلم الأول ومؤسسها وليس مؤسس المنطق والطبيعة والميتافيزيقا. ويتحول التصوف النظري إلى علوم سبعة: وعلم الأعداد، وعلم الأفاق، وعلم الحروف، وعلم الطبائع الأربع، وعلم الكواكب والأفلاك والبروج والمنازل، وعلم الاختيارات النجومية وسعدها ونحسها وشرقتها واتصالاتها، وعلم الأسماء والرقى والدعوات.^{١٦} ويتحول التصوف النظري إلى نصائح عملية سحرية ووصفات بلدية. وهو ما زال سائدًا حتى الآن.

الرسالة الأولى «الأصول والضوابط المحكمة» كلها رموز.^{١٧} وهي مملوءة بالجداول الرقمية والأبجدية والرسوم البيانية والتخطيطات الإنسانية. فلا فرق بين جسد الإنسان وجسم الطبيعة.^{١٨} لم ترتب الرسالة على أبواب أو فنون أو مقالات بل إلى فصول أسوة بالحكماء الأقدمين.^{١٩} ومع ذلك الرسالة مقسمة إلى عشر تحف.^{٢٠} وتظهر المصادر اليونانية وتغلغل الفلسفة اليونانية في هذا التصوف السحري. ففي شرح الجبلوتية يأتي في المقدمة هرمس مثلث العظمة ثم أرسطو وأفلاطون، ثم سقراط ثم بوقراط، ثم الإسكندر، ثم بطليموس، وجالينوس وفيثاغورس، ودمرغاس.^{٢١} ومن المجموعات

^{١٥} منبع أصول الحكمة، ص ٣٤-٣٦.

^{١٦} السابق، ص ٣.

^{١٧} السابق، ص ٥-٥٥.

^{١٨} السابق، ص ٣٠-٣١، ٣٣، ٤٠، ٤٢، ٤٤.

^{١٩} السابق، ص ٥.

^{٢٠} علم الحروف، الأوقات المختارة لأعمال الخير، اختيار الأوقات والكواكب ومعاندها وحروفها، البسط والتكسير، كيفية استخدام الملائكة على العموم، ما كان منها مشهورا بين الحكماء أو عرف اسمه مشافهة، صفة استخدام الخدمة السفلية الحكام على قبائل مثل الجن، ما ذكره الحكماء في الزواج وما يقوم مقامها، وضع الافاق وتنزيل الأعداء فيها واستنطاقها، ذكر أسماء الله الحسنى، وصايا الحكماء لأولادهم وتلاميذهم.

^{٢١} هرمس مثلث العظمة، أرسطو (١٥)، أفلاطون (١٤)، سقراط، ديمقريطس، ذو مقراط، ذي مقراطليس (٧)، بقرات (٣)، الإسكندر، أبو معشر (٢)، جالينوس، بطليموس، فيثاغورس، مرغاش (١).

يتقدم الحكماء حكماء الهند، ثم الحكماء الأقدمون، ثم حكماء الروم. فالحكمة تتجاوز اليونان إلى الهند والرومان. والحكيم والحكمة والحكماء من الألفاظ الأكثر تكرارًا. كما تستعمل المنتحلات مثل وصايا أرسطو إلى الإسكندر.^{٢٢} ومن المصادر الخرافية الأخرى كتابة الحوارين لبعض الحكماء.^{٢٣} وتعتمد على كثير من الاقتباسات التي يشار إليها بنهايتها «أه».^{٢٤} ولا تخلو الرسالة من الآيات والأحاديث بالرغم من الوافد اليوناني أو الموروث الإسلامي.^{٢٥} وتعمل الآيات القرآنية سحرها وأثرها وليس بالعمل بمقتضاها. وتظهر الإسرائيليات من خلال قصص الأنبياء وأحاديث الله والرسول معهم كما هو الحال في كثير من الأحاديث القدسية، وبالتالي يعود الإسلام إلى الوراثة. ويفسر باليهودية والمسيحية ولا تفسر اليهودية والمسيحية بالإسلام. ويعاد إلى العبرية السريانية أصل العربية. ولا تفسر العربية السريانية والعبرية. كما تظهر الأشعار العربية، فالشعر متمم للقرآن ووارث له.^{٢٦} ويظهر الموروث الداخلي مثل صاحب المشتور ثم الإمام علي مع محمد الرسول والنبي إدريس، ثم الحسن بن علي ومحمد بن الحنفية، وعيسى، والحسن البصري.^{٢٧}

ويظهر أسلوب إخوان الصفا بالدعوة للقارئ «يا معشر الإخوان»، «فاعلم أيها الطالب».^{٢٨}

وفي «بغية المشتاق في معرفة وضع الآفاق» تعود البنية إلى الضبط والتحديد في مقالات ثلاث.^{٢٩} كل منها فصلان أو ثلاثة فصول. المقالة الأولى في وضع الأوفاق الطبيعية وهي في الرياضيات، ووضع الأعداد وأشكالها في الفرد والزوج. والثانية في أصول الأوفاق،

^{٢٢} الحكماء (١٤)، الحكيم (٤)، حكماء الهند (٢)، الحكماء الأقدمون، حكماء الروم (١).

^{٢٣} منابع أصول الحكمة، ص ٥٥، وأيضًا من النقل إلى الإبداع، مج ١، النقل ج ١ التدوين فصل الانتحال، ص ٢٩٩-٣٩٥.

^{٢٤} منبع أصول الحكمة، ص ٤١.

^{٢٥} الآيات (١٤)، الحديث (٣).

^{٢٦} منبع أصول الحكمة، ص ٤٨.

^{٢٧} صاحب المشتور (٣)، محمد الرسول، الإمام علي، النبي إدريس (٢)، الحسن بن علي، دمرغاشي، عيسى، محمد بن الحنفية، الحسن البصري، عيسى.

^{٢٨} منبع أصول الحكمة، ص ٥، ٦٧.

^{٢٩} السابق، ص ٥٦-٦٦.

ووضح الأسماء والآيات، والانتقال من الأعداد إلى الأسماء والآيات، ووضعها بطريق التكسير وطريق التكعيب. والثالثة في عمل الأوفاق، واستخراج نتائجها. وهو الانتقال من الكتابة إلى الخير والشر، والتوازي بين طبائع الأعداد، وموازين الحروف، ثم التحول إلى الخرافة في استخراج الملائكة والبحورات. والقسم. ثم تأتي الخاتمة في شروط الخلوة والتلاوة والمناسبة للوفق وهو التحول من الإعداد والحروف والأسماء والآيات إلى الطرقية والخلوتية. وتزداد الجداول العددية والأبجدية. وتدخل العناصر الأربعة ضمن التوافقات. وتختفي الآيات والأحاديث وأسماء الأعلام، فالخرافة لا تحتاج إلى دليل نقلي أو عقلي بل إلى استعداد نفسي.

وفي «شرح البرهنية المعروف بشرح العهد القديم» تتضح سيادة الإسرائيليات وما بها من سحر وخرافة.^{٣٠} فميثاق العهد القديم ينتقل إلى ميثاق الصوفية، ميثاق ﴿الْسْتُ﴾، وتعرض لثمانية وعشرين اسمًا مع أوزانها العربية.^{٣١} وكلها أسماء سريانية أو عبرية مع عبارات من اللغتين أو من لغة ثالثة لمزيد من التعجب والدهشة. وتمتلئ بالجداول العددية والأبجدية مع جداول بحروف ورسوم وأسماء الملائكة في مربعات وخطوط مائلة أو مستقيمة، واسم الجلالة، وعبارات عن التوكل «توكلوا يا خدام». وتقل الآيات القرآنية إلى الحد الأدنى. ويختفي الحديث. وتظهر الأشعار العربية خاصة لشرح الإلغازات النثرية، ويظهر قصص الأنبياء عن سليمان ودأود. فالرسالة شرح على العهد القديم، ويظهر بعض أسماء الأعلام من التصوف السحري الخرافي.^{٣٢}

وفي «شرح الجدلوتية الكبرى»، وهي أكبر الرسائل، تتناثر البنية فيها في موضوعات متناثرة بلا أبواب أو فصول أو أقسام أو مباحث.^{٣٣} وهي أشبه بالوصفات العملية لتصريف شئون الحياة العملية والصحية والعمرانية والروحانية والإيمانية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية. فمن الموضوعات العملية معرفة الأسماء العربية والسريانية

^{٣٠} منبع أصول الحكمة، ص ٩٠-٦٧.

^{٣١} وهي: البرهنية، كرب، تنليه، طوران، فرجل، يزمل، ترقب، برهش، غلمش، خوطبر، قلنهود، برشان، كظهير، نمو شلح، برهيولا، بشكيلخ، قزمن، أنغلليط، غياها، كيدھولا، شمخاھر، شمخاھر، بكھاظھرنية، بشارش، ملونش، شمخاباروح.

^{٣٢} مثل: الإمام شمس الدين البهنساوي، الأستاذ الكبير جمال الدين القيرواني، أبو العباس المرسى.

^{٣٣} منبع أصول الحكمة، ص ٩١-٣٢٥.

وخواص البسمة وأسماء الله الحسنى والحروف وفهم العلوم وزوال البلادة والمعرفة. وهناك عدة طرق لذلك.^{٣٤} وهناك الموضوعات الاخلاقية مثل تجسيد الأخلاق، وإحياء القلب بنور المعرفة وطرد الخوف والفرع ودرأ الحسد، والمحبة وتأليف القلوب. وهناك الموضوعات الإيمانية لتقوية اليقين وتثبيت الإيمان وتنوير القلب وإصلاح المفاسد. وهناك طرق لمنع أذى الجن والوسواس. وهناك الموضوعات الاقتصادية مثل الغنى والصلاح والفلاح وتيسير الأرزاق وزيادتها. وهناك الموضوعات السياسية للعز والرفعة، والهيبة والوقار. وهناك موضوعات المقاومة للظالم، وقهر الأعداء وكفاية شرهم، وتحريق شمل العدو وفتح داره، وغلبة الأعداء ونهر الجبابرة أو تسخير الحاكم الجبار لقضاء الحوائج للفتح والتيسير ومنع التعب وحصول الخير والبركة والحفظ من الجن واللصوص، وتسخير الملوك للانتقام من الظالم، والخلاص من السجون، والخلاص من الشدائد، وتسليط الحمى على الظالم. وهناك الموضوعات الاجتماعية لقضاء الحوائج وجلب الزبائن. وهناك الموضوعات الطبية لدواء الأمراض وطرق العلاج، وتجنب أمراض البرد ول منع السوس من الحبوب وطرد البق، ومنع الحمى والنزيف ومنع الصداع ووجع الرأس. ولا يعتمد على قرآن وحديث، ولا على وافد ولا موروث، باستثناء ذكر بعض الطرق العملية النافعة.^{٣٥} ويمتلاً بالجدول الرقمية واللفظية.^{٣٦} ويدعم بالشعر. وهو مملوء بالألفاظ السريانية والعبرية.^{٣٧} ومنها قصيدة طويلة.^{٣٨}

^{٣٤} طريقة الكشف والاستخبار لقضاء كل أمر، وطريقة الهواتف الباطنية لعطف القلوب وطريقة المحبة، وطريقة المثلث، المطرق، والطريقة الذاتية.

^{٣٥} وهي طرق الإمام علي، والسيد كهيال، وشمس الدين الأصفهاني، والخوارزمي.

^{٣٦} مثل اسم الملك وفلان والمربعات وداخلها رسوم هلالية ونجمية، ودوائر بها بعض الآيات القرآنية على محيطها، وجداول بها البسمة موزعة كألفاظ طولاً وعرضاً. وجداول أخرى لأسماء الله الحسنى، ودوائر بصورة الآيات القرآنية ومربعات وداخلها دعوات للتوكل، «توكل يا كهيال»، ومثلثات بها جرف الهاء في شكل هرمي أو دائري، أو مستقبل، ومكملات بلا أطر رياضية بل مكتوبة بأشكال بيضاوية والأشكال حوالي ٢٦٠ شكلاً.

^{٣٧} الأشعار حوالي ٦٨ مقطعاً.

^{٣٨} منبع أصول الحكمة، ص ١٨٣-١٩٥. والقصيدة بعنوان: الطريقة الكبرى أيضاً، ص ٩٧-٩٥، بعنوان الطريقة الصغرى.

(٢) رسائل ابن عربي (٦٣٨هـ)

(أ) «المقصود من الوصل المحمود»^{٣٩}

وهو عنوان يوحى بالتأويل المثالي للنصوص ويدفعها خارج عالم الشهادة إلى عالم الغيب بالتأويل البعيد وليس بالتفسير القريب. يبدأ بخلق آدم وحواء كواقعة تاريخية وليس كرواية. فخلق آدم فعل يشمل على الأمر والروح والخلق والعقل والرزق والنفس والعمل والقلب والعلم والسر والمكان والحس.^{٤٠}

والرسالة تفسير للمصطلحات مثل المجيء وهو مجيء الرسول إلى الولي المقبول، والإتيان وهو إتيان الله، والوضع وهو وضع الولي في الولي.^{٤١} وكذلك تعريف القدرة والسواد والظلمة. وتوضع الحقائق مثل أن أول الكلام الإرادة ثم العلم ثم الفعل.^{٤٢} وسر الكلام في لا النفي، وسر العلم في «اسم الإله». وسر الكلام في العلم في لفظ لا. وسر الفعل في حقيقة كلمة الله في شرح «لا إله إلا الله». ويركز على النساء. وهن من صورة الغيرة والسماع والمعارف والعبادات والتي لا يعقل معناها.^{٤٣} والخلق ستة. رئيسهم النبي المصطفى وخاتم الأنبياء، وإبراهيم خليل الرحمن، وموسى كليم الله، وآدم وداود. كل اثنان موضوعان لبعضهن.^{٤٤} والله عباد آخرون ستة: عيسى وإدريس ونوح والخضر وذو القرنين ومالك رضوان الجنة. ومن الصحابة عمر. ومن الرواة ابن عباس ومقاتل.^{٤٥} ويذكر كثير من الأنبياء، آدم ثم حواء ثم إبراهيم، موسى، وعيسى، ونوح، والخضر،

^{٣٩} المختار من رسائل ابن عربي (٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م، ص ٦٤-٨٩.

^{٤٠} مخرج الروح الأمر، ومخرج العقل الخلق، ومخرج النفس الرزق، ومخرج العلم القلب، ومخرج السر العلم، ومخرج الحس المكان، السابق، ص ٦٤.

^{٤١} السابق، ص ٦٥، ٨١-٨٤.

^{٤٢} السابق، ص ٦٥. ومثله «للعبد مستقر في المسح، ومستمر في الاستخراج، ومستمر في الرد والإعادة، المستقر للنفس في الرد، والمستقر في المسح للمدح، والمستقر في الاستخراج للعقل والأمر والنبأ»، السابق، ص ٦٧، والنقاط ثلاثة: أبيضية وأسودية، وأحمرية، السابق ص ٧٤.

^{٤٣} السابق، ص ٧٢-٧٣.

^{٤٤} السابق، ص ٧٦.

^{٤٥} ابن عباس (٢)، عمر، مقاتل (١).

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

وإدريس، ثم هود، ويوسف. ولا يكاد يذكر محمد. ومن الملائكة مالك الرضوان.^{٤٦} ومن الملوك عزيز مصر وذو القرنين.^{٤٧} ويعتمد على القرآن والحديث.^{٤٨} كما يعتمد على التحليل العقلي القائم على القسمة.^{٤٩} والكلام موجه إلى القارئ بصيغة «اعلم».

(ب) «تبصرة الطالب وطالبة القارب إلى موطن الغرائب والعجائب»^{٥٠}

وهو عنوان غريب يحيل إلى عالم السحر والغرائب. وهو نثر فني حول نشأة الإنسان. إذ تخاطبه الرسالة «اعلم أيها الإنسان». فقد اقتضى واجب الوجود اقتفاء ظهور الإنسان في عين الشهور، الإنسان من حيث إخلاده إلى سجن الطبيعة ظالم ومظلوم، ومن حيث حقيقته حاكم ومحكوم. ويوفي الإنسان بعمل يوم القيامة. فإذا كبر صار هو الإمام القائم وهو معشوق لأنه جامع لحقائق الوجود ورقائق الشهود. يكفر الإنسان إذا بقي في مقام الطبيعة. وتنتهي الرسالة بنصح الإنسان بتصفية نشأته وفطرته.^{٥١}

(ج) «كتاب الإسرا إلى مقام الأسرى»^{٥٢}

وهو من أكبر الرسائل، وصف للإسراء والمعراج على نحو صوفي. وهو ما يخرج عن نطاق الحس. ولا يعتمد إلا على الرواية. وينقسم إلى أبواب لها عناوين جانبية لبيان

^{٤٦} آدم (١٨)، حواء (١١)، إبراهيم (١)، خليل الرحمن (١)، موسى (١)، كليم الله (١)، عيسى، بوح، الخضر، إدريس (١)، داود، هود، يوسف (١).

^{٤٧} العزيز، ذو القرنين (١).

^{٤٨} الآيات (٣١)، الأحاديث (٨)، القدسية (١).

^{٤٩} المسحات خمسة، والإفراجات خمسة، والاستخراج استخراجتان، والصلب صلبان، والظهر أربعة ظهور، والبطن أربعة وعشرون بطنًا، والصفحة صفحتان، والرد على ثلاثة أنواع، والإعادة ثلاثة ... وأصل فعل الإنسان فعلان ... السابق، ص ٨٥.

^{٥٠} رسائل، ج ٦، (٦)، ص ١١١-١٢٠.

^{٥١} «فاجهد في تصفية نشأتك الإنسانية، وفطرتك المطهرة الأصلية القائمة بحقائق الوجود الأزلية، ورقائق الشهود الأبدية عند اضمحلال الأعيان والأكوان، وبقائك بالحق وشهودك له على ما عليه كان. وهذا آخر ما تكلمنا به في نشأة الإنسان»، السابق، ص ١٢٠.

^{٥٢} رسائل (١) ج ١ (١٣) ص ١-٩٢.

أقسام الموضوع.^{٥٣} ثم يأتي بعض مصطلحات المعراج.^{٥٤} وتبدأ بعض المناجاة بالبسملة أو بعناوين أخرى مثل «حضره أوحى» أو بباب «الأخبار ببعض ما حد لي الستار». ويتم الانتقال من المناجاة إلى الإشارات مثل مناجاة إشارات أنفاس النور وهي تمحيض متفرقات الإسراء. والإشارات من الأنبياء أدعية وموسوية وإبراهيمية ويوسفية ومحمدية. وتعتمد على القرآن نصاً أو روحاً ثم الشعر ثم الحديث.^{٥٥} ويذكر الأنبياء، محمد، ثم موسى، ثم إبراهيم، ثم يوسف، ثم عيسى، ثم نوح وزكريا وإسماعيل ومريم وإدريس، وهارون، والخليل، ويحيى.^{٥٦} وتتحول الأسماء إلى صفات محمدية ثم موسوية وإبراهيمية، ويحيوية، ويوسفية، ثم آدمية.^{٥٧} ومن الصوفية يذكر الغزالي. ويحال إلى «جواهر القرآن» له.

(د) «عقلة المستوفز»^{٥٨}

وهو عنوان غريب، لا يعرف معناه على وجه التحديد ولكنه يضم أربعة عشر باباً. الأول في نظم ما يحتوي عليه الكتاب شعراً. وآخر في الكمال الإنساني. واثنان في الخلق، خلق الأرواح. وخلق العقل الأول، وأربعة في العروش، العرش العظيم وهو اللوح المحفوظ، والعرش الرحماني في الجامع للموجودات الأربعة.^{٥٩} والعرش الكريم

^{٥٣} مثل: سفر القلب، عين اليقين، صبغة الروح، الكلي، الحقيقة، العقل والأهمية للإسراء، النفس المطمئنة وهو البحر المسجور، ثم تتوالى السموات السبعة ولكل سماء نبي: الوزارة لآدم، سماء الكتابة لعيسى، سماء الشهادة ليوسف، سماء الإمارة لإدريس، سما الشرطة لهارون، سماء القضاة لموسى، سماء الغاية لإبراهيم دون ترتيب زمني للأنبياء.

^{٥٤} مثل: سدره المنتهى، حضرة الكرسي، والرفارف العلا، والأخيران يبدأ بالبسملة. تبدأ المناجاة بعناوين قرآنية مثل مناجاة ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ مناجاة ﴿أَوْ أَدْنَى﴾، أو آيات مناجاة أبى حامد، ومناجاة اللوح الأعلى، ومناجاة الرياح، وصلصلة الجرس وريش الجناح، ومناجاة التقديس، ومناجاة المنه، ومناجاة التعليم، ومناجاة أسرار مبادئ السور. ومناجاة جوامع الكلم، مناجاة السمسم، ومناجاة الدرة البيضاء.
^{٥٥} الآيات (٦٥)، القرآن الحر (١٣)، الأشعار (٢٨)، الأحاديث (٧).

^{٥٦} محمد (٣٠)، موسى (٧)، إبراهيم (٥)، يوسف (٤)، آدم، عيسى (٣)، نوح، زكريا، يحيى، مريم، إدريس، هارون، الخليل (٢).

^{٥٧} محمدية (٥)، موسوية، إبراهيمية، عيسوية، يوسفية (٢)، آدمية (١).

^{٥٨} رسائل ابن عربي ج ٢ (٢)، ص ٦٩-١٣٠.

^{٥٩} وهي: الطبيعة، الهباء، الجسم، الفلك.

وهو الكرسي لوضع القدمين.^{٦٠} وبابان في الفلك، فلك البروج، وهو الأطلس، وباب فلك الكواكب الثانية، وأربعة كواكب في الخلق، خلق الدنيا، في الاستحالات، والنكاح والتوالد، ونشأة الإنسان الأول. وهو موجه إلى القارئ بلفظ «اعلم». يعتمد على القرآن والحديث النبوي والقدسي والشعر.^{٦١} كما يذكر من الصوفية جعفر الصادق وابن مسرة وأبو مدين.^{٦٢} ومن الأنبياء إسرائيل ثم جبرائيل وميكائيل، ورضوان، ومالك.^{٦٣} ومن الأنبياء آدم وإبراهيم، ومحمد، وعيسى، والمجتبى.^{٦٤} وتستعمل بعض الرسوم التوضيحية «للعناصر الطبيعية».^{٦٥} ومن مؤلفاته الأخرى يحال إلى «كتاب النفس» و«كتاب الزمردة الخضراء» «الدرة البيضاء».

^{٦٠} والعروش أيضًا خمسة: عرش الحياة وهو عرش الهوية، وعرش الرحمانية، والعرش العظيم، والعرش الكريم، والعرش المجيد، عقلة المستوفز، ص ٨٤.

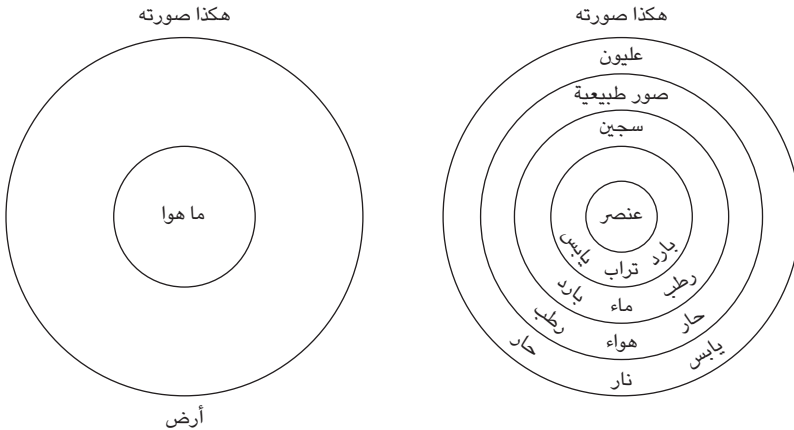
^{٦١} آيات (٧٩)، الحديث (١٠)، القدسي (٣)، الشعر (٧).

^{٦٢} ابن مسرة، جعفر الصادق، أبو مدين، موسى الدارابي، يوسف بن يخلف (١).

^{٦٣} إسرافيل (٣)، جبرائيل، ميكائيل، رضوان، مالك (٢).

^{٦٤} آدم (٣)، إبراهيم، محمد (٢)، عيسى، المجتبى (١). هكذا صورته عليون صور طبيعية سجين عنصر بارد تراب يابس رطب ماء بارد رطب حار هواء نار حار هكذا صورته ما هوا.

^{٦٥}



(هـ) «رسالة المراثي المسماة بالمبشرات»^{٦٦}

وهي رؤية الرسول في المنام. انتهت النبوة ولكن رؤية الرسول في المنام مستمرة، وهي على ثلاثة أقسام. رؤية من الله وهي المبشرات، ومن النفس يحدث بها الإنسان نفسه في اليقظة، ومن الشيطان يحزن الإنسان. ويذكر ابن عربي عدة مبشرات وقعت له ولغيره.^{٦٧} والسؤال هو ما الضامن على صدق الرؤية؟ وتعتمد على القرآن والحديث دون الشعر وأقوال الصوفية.^{٦٨}

(و) «معقل العقول في انشقاق القبر عن الرسول»^{٦٩}

وهو موضوع عام. وهو بداية البعث تحول إلى موضوع خاص بالنسبة للرسول تعظيمًا له. وهو ما يتنافى مع الحقيقة الحميدة الخالدة الأبدية القديمة الباقية مثل الله. تعتمد على العقل كما يوحي بذلك العنوان بالرغم من الاعتماد على آيتين قرآنيتين.^{٧٠} وهو العقل الخرافي الذي يتكون من خمسة أشكال طبقًا لتغير الحروف الثلاثة ع ق ل ليطابق غيبيات خمسة.^{٧١}

ثم يخرج عن الموضوع إلى قسمة أسماء الله إلى أسماء الذات وأسماء الصفات وأسماء الأفعال كما هو الحال في علم الكلام. وتشقت الأسماء أيضًا إلى تشقق الصورة، وتشقق المعاني، وتشقق المسمى. وهو ما يتناقض مع قدم الأسماء. وفي كل مرة تشقق الأسماء تشقق الأشياء كالسموات والحد والجبال والحجب والقلم واللوح. ويصعد الأنبياء. وتشقق الأشياء بالعمل الصالح في مشارق الأرض ومغاربها. ويشقق الإنسان إلى أطراف. ونفس الإنسان أولاده، وقبره أهله، ولحده ماله.^{٧٢}

^{٦٦} رسائل ج (١٣) ص ٢٠٩-٢١٦.

^{٦٧} حوالي سبع عشرة مبشرة في الزمان والمكان والشخص.

^{٦٨} الآيات (٩)، الأحاديث (٣).

^{٦٩} رسائل ج (٤) ص ١٠٨-١١٩.

^{٧٠} السابق، ص ١١٢.

^{٧١} العقول: علق - قلع - لعق - لقع - قعل.

^{٧٢} الغيبيات: القبر - النفس - اللحد - القلم الدواة.

(٣) «بغية الطالب على ترتيب التجلي لكليات المراتب»

للأمير عبد القادر الجزائري (١٣٠٠هـ).^{٧٣}

وهو عنوان مركب، صعب الفهم ولكنه في الحقيقة تلخيص للموقف المائتين والثامن والأربعين من كتابه «المواقف الروحية والفيوضات السبوحية». وهي بدورها عروض على «الفتوحات المكية» لابن عربي. وهو ما يفسر المضمون الطاغي لابن عربي واستعمال مصطلحاته مثل الألوهة وإبراز اقتباساته بلفظ «انتهى»، وإعطائه ألقاب «إمام أهل الكشف» و«إمام أهل الله».^{٧٤}

ووضعت تقسيماته التي استعملها أيضاً صدر الدين الشيرازي وكل الفلسفة الإشراقية.

بنيته إشراقية خالصة مصطلحاتها وعناوينها الفرعية.^{٧٥} كلها رموز وكنوز، وطلاسم وأغطية، وأسرار وأستار وأسرار. يتحدث عن موضوعات غيبية خالصة مثل الكرسي والعرش وعن الأفلاك، فلك الأرض وفلك الثوابت، والسموات السبع والعناصر الأربعة والاستحالات والمولدات والنبات والحيوان. بل إنه يعقد فصلاً عن الجان، مادته، وحياته، وتناسله، وغذاؤه واستخدامه وأنواعه والفرق بينهم وبين الشياطين.^{٧٦} وهي كلها موضوعات غيبية لا سبيل إلى معرفتها إلا قياساً للغائب على الشاهد. ولا يوجد معيار لصدقها أو وسيلة للتحقق من صدقها. تتداخل مع الأشعرية كما يمثلها إمام الحرمين. ولا جديد فيها. وهل التصوف علوم طبيعة أم علوم روح؟^{٧٧}

تعتمد على القرآن والحديث والشعر بغزارة وبقدر ما تكثر الأدلة النقلية يغيب التحليل العقلي المجرد والبرهان النظري الخالص. كما يعتمد على بعض الأمثال العامة كحجج سلطة. كما تعتمد على أقوال صوفية آخرين مثل الغزالي والجيلي في

^{٧٣} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.

^{٧٤} السابق، ص ٩٧، ٩٩.

^{٧٥} مثل فصل (٨)، فصل بلا وصل (٤)، كسر طلسم وإيضاح مبهم، حل مشكل وفتح مقفل، امتثال سر وهتك، إقامة جدار لإخراج كنوز وأسرار، أنك رمز ووتح وطاء وكشف غطاء، إشارة لأهل البشارة، مثال لمن ليس له مثال، إفصاح وإيضاح (١)، تنبيه (٤)، تكميل، تدقيق، تميم، حقيق، لطيفة (١).

^{٧٦} بغية الطالب، ص ١٤٦-١٤٩.

^{٧٧} الآيات (٢٠٤)، الأحاديث (٤١)، القدسية (٣)، الأشعار (١).

«الإنسان الكامل»، وفلاسفة مثل أبو بكر الرازي، ومتكلمين مثل الجويني في كتاب «البرهان». ومن الفقهاء أحمد. ومن الفرق المعتزلة.^{٧٨} ومن الألفاظ الوافدة القديمة السوفسطائية.^{٧٩} ومن العلم الغربي الحديث الذرة والفوطوغراف.^{٨٠} والسؤال هو: كيف يأتي ذلك من مصلح اجتماعي وقائد عسكري، ومؤسس دولة ومناضل ضد الاستعمار؟ وهو نفس الخلف في الثورة الإسلامية في إيران بين ثورية النظام وتقليدية الأيديولوجيا.^{٨١}

^{٧٨} ابن عربي (٨)، الغزالي (٢)، الرازي (أبو بكر)، الجيلي، الجويني.

^{٧٩} مثل «ولا عطر بهدفة وبس»، بغية الطالب، ص ٥٩.

^{٨٠} بغية الطالب، ص ٨٠، ١٦٦، ٤٢.

^{٨١} انظر دراساتها: «من الحكمة المتعالية إلى الحكمة المتدانية»، عند صدر الدين الشيرازي، حصار الزمن، حج ٣ ٦٩٧-٧٣٠.

سادسًا: المناقب والكرامات

ازدهر التأليف في المناقب والكرامات في العصور المتأخرة في المرحلة الطرقية عندما تحول التصوف من التصوف النظري إلى التصوف العملي. وهي على أنواع: مناقب ولي واحد مثل البياع أو التجاني مثل: محمد التجاني عن أحمد التجاني في «غاية الأمانى»، أو حسن الرفاعي عن الغوث الرفاعي في «قلادة الجواهر». أو مناقب اثنين مثل «الطائف المنن» لابن عطاء الله السكندري، وبها مناقب أبي العباس المرسى، وشيخه أبي الحسن الشاذلي أو مناقب مجموعة من مشايخ إحدى الطرق الصوفية كالرفاعية والقادرية. وقد تكون عن مجموعة من الصوفية وليس واحدًا فقط مثل اليافعي في «نشر المحاسن الغالية في فضل مشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية»، أو النبهاني عن آلاف من الأولياء في «جامع كرامات الأولياء». ومناقب النفس قد يكتبها الصوفي ذاته مثل «روح القدس في محاسبة النفس» لابن عربي، و«المجالس السبعة» للرومي أو «تحفة الكرام» لابن قوام أو قد يكتبها غيره مثل: «مقامات أبي سعيد» للمهيني، «الكوكب الدرّي في مناقب ذي النون المصري» لابن عربي، «مناقب النووي» للسخاوي، ومناقب الغواص» للشعراني. أو القاري عن أويس القرني في «المعدن الصوفي» وهو الأكثر شيوعًا.

(١) مناقب النفس

(أ) «روح القدس في محاسبة النفس» لابن عربي (٦٣٨هـ)^١

وهي نوع من السير الذاتية يكتبها أصحابها لأنفسهم كما فعل ابن عربي في هذه الرسالة. وهو نوع من الاعترافات أو التربية الذاتية، أو سيرة يكتبها صوفي عن آخر.

^١ دار الكتب العلمية، بيروت.

وهي خليط من السيرة الذاتية، والمناقب والطرق والمقامات والأحوال والشعر والفقه والتراجم دون ترتيب. تأتي السيرة الذاتية لابن عربي في وسط الرسالة بعد مناقب الشيخ القرشي.^٢ ثم تأتي مناقب أويس القرني بعد الطريق والمقامات والأحوال.^٣ ثم تأتي التراجم في النهاية لأربع وخمسين صوفيًا.^٤ والسيرة الذاتية نوع من الاعترافات ومناصرة النفس أو محاسبتها في زمان رديء لا حل لأزمته إلا سلوك الطريق المطابق للكتاب والسنة ولحال أهل الصفة.^٥ ويتخلل حديث النفس تحليل بعض الأعمال وسبب كتابتها مثل «عناء مغرب».^٦ وأويس القرني هو القطب في عصر التابعين طبقًا لحديث الرسول، والتراجم لصوفية العصر ومنهما سيدتان.^٧ ثم يعود حديث السيرة الذاتية في حوارين الأنا والآخر بين الفرد والجماعة.^٨ والمادة من القرآن أولًا والشعر ثانيًا والحديث ثالثًا.^٩ فابن عربي شاعر أيضًا. والتجربة الشعرية والتجربة الصوفية صنوان.

(ب) المجالس السبعة للرومي (٦٧٢هـ)^{١٠}

وهو كتاب ثري يدون مجالس سبعة للرومي مثل «الإمتاع والموانسة» و«المقابسات» للتوحيدي، و«ليالي ألف ليلة وليلة» في الأدب الشعبي.^{١١} وقونية تربط بين إيران وتركيا. توحد ما فرقته السياسية والصراع بين الصفويين والعثمانيين كل مجلس حكاية حول

^٢ روح القدس، السيرة الذاتية، ص ٤١-٣٠، مناقب الشيخ القرشي، ص ٢١-٣١.

^٣ السابق، ص ٦٨-٧٥.

^٤ روح القدس، ص ٧٥-١٢٦.

^٥ السابق، ص ٢٢-٤٢.

^٦ السابق، ص ١٢٢.

^٧ هما شمس أم الفقراء وفاطمة بنت ابن المثنى، السابق، ص ١٢٦.

^٨ السابق، ص ١٢٧.

^٩ الآيات (١٢١)، الأشعار (١٦)، الأحاديث (٩).

^{١٠} دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٤م/١٤٢٥هـ.

^{١١} «لا يجوز للمترجم وضع عنوان فرعي من عنده مثل «آفاق جديدة ورائعة في الرمزية الإسلامية».

موضوع، أشبه بمحاورات أفلاطون. وتتخللها بعض الأشكال الأدبية كالمناجاة والحكاية والحديث.^{١٢}

والموضوعات سبعة تذكر مناقب الرومي، فوائده، وكلامه، وأسراره، وبيانه، ومعارفه. وتتكرر الفوائد في المجلس السابع. والمجلس الأول بلا موضوع، مجرد تمهيد. وفي كل مجلس دعوة بالرزق من فوائد الفوائد، والفيض من أنعام كلامه، والنور من أسرارهِ، والعرفان من بيانه، وفيض اللطائف من المعارف.^{١٣}

ويعتمد على الأشعار والآيات والأحاديث.^{١٤} والشعر غنائي. وبعض الحكايات رمزية على لسان السماك.^{١٥} ولا يذكر من الصوفية إلا الحسن البصري.^{١٦}

(ج) «تحفة الكرام في مناقب سيدي أبي بكر بن قوام» لابن قوام (٧١٨هـ)^{١٧}

وهو تاريخ حياة لأحد الأولياء، ابن قوام من أصحاب الكرامات. تعتمد على روايات أكثر مما تعتمد على أقوال مباشرة. يظهر فيها الرسول والخضر في المنام مما يدل على السياق الخيالي للتاريخ بذكر البداية والنهاية. كيف بدأ الولي الطريق وإلى أي شيء انتهى. وهو ما حاوله الفارابي من قبل في كتابة «سير ومذاهب أفلاطون وأرسطو».^{١٨} وبين البداية والنهاية ما فتح عليه به من أحوال وكرامات. يعتمد على القرآن والشعر والحديث.^{١٩} والأعلام المذكورة مؤرخون وفقهاء أكثر منهم صوفية. ويظهر الخضر وحده نموذج القطب صاحب الكرامات.

^{١٢} أكبرها المجلس الأول (٥٥)، وأصغرها السادس (٦).

^{١٣} مثل مناجاة، المجالس السبعة، ص ١٦، ٧٠، ٩٠، ١٢٣، ١٣٧. حكاية، ص ٤٠، ٩٨. حديث، ص ٧٢، حكاية وحوار.

^{١٤} الأشعار (١٥٩)، الآيات (١٥٧)، الأحاديث (٦)، القدسية (٢).

^{١٥} المجالس السبعة، ص ١٥٣-١٥٤.

^{١٦} السابق، ص ٤٣.

^{١٧} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ، (٢)، ٨٩-١١٧.

^{١٨} من النقل إلى الإبداع، مج، التحول، ج ١، العرض.

^{١٩} الآيات (٥)، الأشعار (٣)، الأحاديث (١).

(٢) مناقب الآخر

(أ) «أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد» لمحمد بن أبي سعيد بن أبي الخير الميهني (القرن الخامس)^{٢٠}

وهو أول كتاب تقريباً في السير وتدوين المناقب لمشايخ الصوفية. كتبه الميهني أحد أحفاد الشيخ أبي سعيد بن أبي الخير (٤٤٠هـ)، وذكراه ما زالت حية في وجدان الأحفاد. كتبه بالفارسية. واعتمد على بعض المصادر المدونة والروايات الشفاهية.

(ب) الكوكب الدري في مناقب ذي النون المصري» لابن عربي (٦٣٨هـ)^{٢١}

ومن كتب المناقب ما يكتبه صوفي لاحق عن صوفي سابق اعترافاً بفضله مثل كتاب ابن عربي عن ذي النون. لفظ «مناقب» في العنوان، فلماذا اختار ابن عربي ذا النون؟ هل قرأ نفسه فيه خاصة فيما يتعلق بالتوحيد والمحبة والحقيقة المحمدية؟ هل هي دراسة تاريخية لذي النون أم قراءة ابن عربي له؟ ذو النون هو ابن عربي قبل الأوان، في القرن الثالث الهجري. وابن عربي هو تجسيد بعدي لذي النون في القرن السابع أي بعد أربعة قرون. هل هو تاريخ ذي النون أم تاريخ ابن عربي؟ لماذا اختار ابن عربي ذا النون دون غيره، خاصة وأن ذا النون لم يكتب شعراً كابن الفارض. ولم يفرض نفسه على صوفية القرنين الثالث والرابع كالحلاج، والبسطامي، والشبلي، والتستري، والترمذي، وفي القرن الخامس كالغزالي.

كان ذو النون مجرد مناسبة لعرض التصوف. لم يكن المقصود به شخصه. يبدأ اسمه ونسبه وبلده ونعته، وفضله وكماله، ووفاته وتربيته، وبدأ نشأته، وأنه كان من أهل الحديث. ثم يذكر محنته مع الخليفة وهجرته وفنونه وأحواله ومناجاته وكراماته وكلامه. ثم يعرج على التصوف ذاته جمعاً بين الأخلاق والمقامات والأحوال بلا تميز أو ترتيب.^{٢٢} ثم تعود سيرة ذي النون في ذكر من لقي من العابدين المجتهدين.

^{٢٠} الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، (د.ت).

^{٢١} رسائل، ج٣، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠٠٢م.

^{٢٢} من الأخلاق: الورع، الثقة بالله، الجوع، القناعة، الصمت، اليقين، التقوى، الإخلاص، التواضع، الجود، الخلق، السخاء، الرحمة، الحياء، الحلم، الصدق، الأدب، الفتوة، العطف، الحياة، الغنى، التسليم، المراقبة،

ويعتمد في كتابة السيرة على الشعر أولاً ثم القرآن ثانياً والحديث ثالثاً.^{٢٣} فالشعر مصدر للتجارب الوجودية التي على أساسها تقوم التجارب الصوفية. والقرآن تفسيره في الشعر. كما يعتمد على بعض الإسرائيليات في قصص الأنبياء.^{٢٤} ويقوم كل ذلك على التوثيق. لذلك تتكرر كلمة بإسناد وليس «عن قلبي عن ربي أنه قال». كما يحال إلى باقي مؤلفات ابن عربي مثل أنس المنقطعين إلى الله تعالى.^{٢٥} ويذكر ابن عربي في البداية مصادره كما يفعل المحدثون حين يضعونها في آخر دراساتهم. وهي حوالي عشرة.^{٢٦}

(ج) «غبطة الناظر في ترجمة الشيخ عبد القادر» لابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)^{٢٧}

وهو أول نص في «السفينة القادرية» للشيخ عبد القادر الجيلاني الحسني (٥٦١هـ). وهو عنوان خادع لا وجود له. هو مجرد عنوان يجمع بين نصوص أربعة، ترجمه للشيخ وثلاثة شروح على الصلاة الصغرى، وتسع صلوات أخرى، وحزب الوسيلة للجيلاني. والعنوان دال، «غبطة الناظر» أي سرور القارئ لترجمة الشيخ. ويتكون من ثمانية أبواب تعرض مولده، ونسبه وصمته، ونشأته وسعة علمه، ومشايخه، وأحواله، وثناء الناس عليه، وما تقبله أهل عصره من الكرامات والخوارق مع سند الروايات لمزيد اليقين، ونبذة من بليغ كلامه، وأخيراً وفاته. ومعظمها روايات على لسان الجيلاني مع ذكر مصادرها التي تبلغ المئات. تخلو من الأدلة النقلية، قرآنًا أو حديثًا أو قولًا صوفيًا.

حسن الظن ... إلخ. ومن المقامات: التوبة، الزهد، التوكل، الصبر، الشكر، المحبة، أو الفقر، الرضا ... إلخ. ومن الأحوال: الخوف، الرجاء، الهيبة، الأنس ... إلخ. ومن الطريق: المجاهدة، الصمت، الابتلاء، قصر الأمل، الذكر، الولاية، الأخوة، الإرادة، التفرد، والعزلة، الخلوة، السماع. ومن الفقه والشريعة: العبادة، العبودية، الإسلام والإيمان، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ومن المعرفة: العقل، العاقل، قول العارفين ... إلخ.

^{٢٣} الأشعار (٨٦)، الآيات (٢٥)، الأحاديث (٩).

^{٢٤} روح القدس، ص ١٢٧.

^{٢٥} السابق، ص ٥٤.

^{٢٦} السابق، ص ٥٥-٥٦.

^{٢٧} السفينة القادرية للشيخ عبد القادر الجيلاني الحسني (٥٦١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م/

١٤٢٦هـ (١)، ص ١٩-٤٦.

وهو تاريخ بارد للشيخ باستثناء الباب السادس عن كراماته وخوارقه.^{٢٨} وسبب التأليف هو الاستجابة لطلب. والتبويب الثماني طبقاً لعدد أبواب الجنة. والاعتماد على الله هو المنهج وليس منهج كتابة السير.^{٢٩}

(د) «المنهل العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء النووي» للسخاوي (٩٠٢هـ)^{٣٠}

وهو إثبات لمناقب أحد المشايخ، النووي. داخل سيرته ميلاده ووفاته ونسبه وأقاربه، ومشايخه، وتلاميذه، ومؤلفاته، وأقواله، وخصاله وشماله، وعجائبه وكراماته. وهو نص متصل. به أقسام، أبواب أو فصول. ويعتمد أساساً على كتب التاريخ والفقهاء والمحدثين، وليس بالضرورة من كتب الصوفية. هو أشبه بكتب الطبقات مع تضخيم أحد الأعلام والتركيز عليه. يغلب عليه جمع المعلومات والاقتباسات بعلامة «ا.هـ» أو بلفظ «انتهى». كما يجعل حياة الشيخ تمتلئ بمجموعة من الآيات والأحاديث والأشعار.^{٣١} والأشعار أكثر من الأحاديث لما لها من دلالات على التجارب البشرية. ويبين احتياجات التأليف مثل فراغ البال، وجمع الكتب، وحسن النية.^{٣٢} ويستعمل أسلوب القول لتظهر الحاجة وطرق الاستدلال. ويختم ببعض الأحاديث والتركيز عليها. فحياة الولي تجسّد لمتطلبات الحديث.

(هـ) «درر الغواص على فتاوى سيدي علي الخواص» للشعراني (٩٧٣هـ)^{٣٣}

ونظراً لعودة التصوف إلى الفقه، والتأويل إلى التنزيل، والحقيقة إلى الشريعة، أصبح من المناقب فتاوى الصوفية كما فعل الشعراني مع شيخه علي الخواص في فتاويه. وفي صيغة السؤال والجواب. واحد وخمسون سؤالاً والجواب عليها. والموضوع مائة وست

^{٢٨} السابق، ص ٣٩-٤٥.

^{٢٩} «فهذا تعليق موجز في ترجمة شيخ الزمان السيد عبد القادر الجيلاني كتبها إجابة لطلب من يتعين إسعاف طلبة والمسارة إلى تحصيل رغبة. وقد رتبها على ثمانية أبواب بعدد أبواب الجنة، واتخذتها فخراً لتكون لي بركته من كل محذور أحسن جنة، وعلى الله اعتمادي وعوني وإياه أسأل عن الخطأ

صوني، لا إله إلا هو، عليه توكلت وإليه أنيب»، السابق، ص ١٩.

^{٣٠} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (١)، ص ٩-٧٩.

^{٣١} الآيات (٣٧)، الأشعار (١٩)، الأحاديث (١٠).

^{٣٢} السابق، ص ٣٠.

^{٣٣} دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م/١٤٢٠هـ.

وعشرون سؤالاً. وهي مقطعة ألفاظ «سألت» «سمعت».^{٣٤} وبعض الأسئلة مكررة مثل السؤال عن التفكير في القرآن، وأرباب الأحوال، وسريان الأحذية في الوجود. وكان الشيخ أمياً لا يقرأ. ومع ذلك جمع التلميذ فتاويه طبقاً لما أداه إليه سمعه وحفظته ذاكرته واختار الألفاظ لأدائه.^{٣٥}

وتتناول الأسئلة موضوعات رئيسية. الأول حول القرآن، مثل النسخ، والتفكير، والتدبير، وتفسير سورتي التكويد والانفطار. والثاني حول الفقه مثل الصلاة، والتكليف، والقيلة. والثالث حول التصوف وهي أكبر الأسئلة مثل طرق الأولياء وتنوعها، والدعاء على الظلمة، والنور على وجوه قوام الليل، وأرباب الأحوال والخوارق، والزهد والورع والصوفية، والعلاقة بين الشيخ والمريد. والرابع حول التوحيد، وهو أقرب إلى علم الكلام الصوفي مثل الأحذية السارية في الوجود وظهورها مع خفائها، وعلاقة الصفات بالذات، ونزول الحق في الثلث الأخير من الليل، وماهية التوحيد، وصحة توحيد العبد لله، والحكم بعدم العبد لإثبات وجود الحق. والخامس حول الإنسان مثل ادخار القوت، والاستحقاق، والميزان، والقهر والمنازعة، وكامل الأوصاف. والسادس حول الأخريات مثل مقام المجاذيب في الجنة، واشتياق الجنة إلى أربع، وحقيقة الشجرة التي أكل منها آدم، والجن والإنس، والبرزخ هل هو عالم الخيال؟ وهل يتم الوصول إليه؟ والنور المنبثق منه، ومفارقة الروح الجسد. والسابع قول المعرفة مثل العلوم، والغيب والشهادة، وخوارق العادات، والخيال والوهم وكمال العالم، والخواطر، والعلوم المدونة، والعلوم القلبية، والفن والمكاتب والثامن الطبيعيات مثل السببية، أمراض الأطفال، والبهايم، قساوة العبد أحياناً، وسببها كفر. وهي موضوعات طبيعية وإنسانية.

والمادة مستمدة أساساً من القرآن والحديث والشعر.^{٣٦} وتستعمل بعض أقوال الصوفية الفقهاء مثل ابن عربي والمتبولي. وتتخذ بعض الاقتباسات ووضع علامة «انتهى» في نهاية بعضها، وأحكام الفقه نسبية لأنها تقوم على الاجتهاد. والخطاب موجه إلى القارئ بلفظ «فافهم».

^{٣٤} السابق، ص ٢٥-٢٧، ٣٨، ٤٨، ١٦، ٥٥.

^{٣٥} السابق، ص ٥-٦.

^{٣٦} الآيات (٧٤)، الأحاديث (٢٤)، الأشعار (٢).

(و) «قلائد الجواهر في مناقب تاج الأولياء ومعدن الأصفياء وسلطان الأولياء
الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلاني» للنازي (٦٩٣هـ) ٣٧

وهو كتاب في مناقب عبد القادر الجيلاني، وتوحي ألقابه بدرجة التعظيم. من مؤلف عظيم أيضًا، وألقابه «العلامة الشيخ». وسبب التأليف أن التأليف السابق في مناقبه كان مختصرًا لا يفي بدرجة التعظيم. فأطنب التأليف الجديد في المناقب والآثار. ٣٨ يقوم الكتاب كله على الاقتباسات التي تنتهي بعلامة «انتهى»، وكثرة أسماء الأعلام. وسلسلة المشايخ مثل سلاسل الرواة في علم الحديث. شُخص التصوف في الصوفية، والطريق في الطريقة، والشيخ في أحد المشايخ. كما تم تشخيص الحديث في السيرة ثم تأليه السيرة في «الحقيقة المحمدية».

وتقل الأدلة النقلية والعقلية نسبيًا باستثناء الشعر الذي يفوق القرآن والحديث لأنه أقرب إلى المديح على عادة العرب قبل الإسلام وبعده. ٣٩ كما يعتمد على كثير من الحكايات الشعبية التي يظهر فيها المزج بين الواقع والخيال. ويتردد الوعي التاريخي بين العام وهو التصوف والخاص وهو الطريقة. ولذلك لا يذكر من الصوفية إلا الجنيـد. ويخلو تمامًا من الفكر وأي عرض نظري.

يخلو من أي قسمة إلى أبواب أو فصول. فالنص وحدة واحدة، حول شخص صاحب المناقب، وأزواجه، وأولاده، وذرياتهم. خلطًا بين الخاص والعام، مع جمع بعض أقواله في العمل الصالح، والفناء، والخلق، والاسم الأعظم، والفقه، والورع. ٤٠ ثم يذكر المشايخ الذين أثنوا على مناقبه. ٤١ وتذكر أيضًا مناقبهم وأشعارهم.

٣٧ دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ، (٣)، ص ١٨٥-٣٩٨.

٣٨ «فإني لما اطلعت على «التاريخ المعبر في أنباء من غير» تأليف قاضي القضاة مجير الدين عبد الرحمن العليمي العمري المقدسي الحنبلي، تغمد الله برحمته، وجدت المؤلف قد اختصر في ترجمة سيدنا ومولانا وشيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى الشيخ عبد القادر الجيلاني الحنبلي، رضي الله عنه، ولم يذكر إلا اليسير من مناقبه فتعجبت من ذلك. وقلت في نفسي لعله اكتفى بشهرته فاختصر ... فحركتني الإرادة لنيل السعادة أن أجمع مما وقفت عليه في كتب متفرقة ومما سمعته من الثقات ومما هو على خاطري من مناقبه ...»، السابق ص ١٨٥.

٣٩ الأشعار (٨٨)، الآيات (٢٠)، الأحاديث (٥).

٤٠ قلائد الجواهر، ص ٢٧٤-٣٠٣.

٤١ وهم حوالي ثمانية وعشرين شيخًا.

(ز) «مناقب سيدي أبي العباس السبتي» لعبد الرحمن العمادي (١٠٥١هـ)^{٤٢}

وهي أيضاً سيرة أحد الأولياء، السبتي، كيف ابتدأ وإلى أي شيء انتهى. تضاف إلى كراماته بركاته. وتعتمد على القرآن والشعر دون الحديث أو أقوال الصوفية.^{٤٣}

(ح) «المعدن القرني في فضل أويس القرني» لمحمد القاري (١١٢٣هـ)^{٤٤}

وهو كتاب مناقب وكرامات بناء على حديث للرسول. يتنبأ فيه لأويس القرني بحسن الحال. وهو نص صغير إلا أن هوامش المحقق ومقدمته وشروحه فاقته عشرات المرات. يعتمد أساساً على الأحاديث.^{٤٥} وهو القطب زمن الرسول كنوع من قراءة الحاضر في الماضي. والموضوع الثاني إمامية أبدال الشام وأقوال الصوفية عنهم.

(ط) «الإبريز من كلام العارف بالله تعالى سيدي عبد العزيز الدباغ»
لأحمد المالكي (١٢٥٦هـ)^{٤٦}

ويتضمن ثلاثة فصول: الأول مناقبه قبل الولادة. والثاني سيرته حتى الفتح. والثالث كراماته بعد الفتح، وهو أكبر الفصول.^{٤٧} ويتطابق ذلك التقييم الثلاثي لسيرة النبي، قبل المولد، وقبل البعثة، وبعد البعثة، فهناك موازنة بين سيرة النبي وسيرة الولي. وتشمل الكرامات الردود على معاني الأحاديث والآيات وكلام الأولياء وديوان الصالحين. كما تشمل تفسير دلالات الأشياء مثل الظلام الذي يدخل على ذوات العباد وأعمالهم وهم لا يشعرون، والتشايع والإرادة، وشيخ التربية، وخلق آدم، والفرق بين الفتح النوراني والظلماني، والبرزخ وحلول الأرواح فيه، والجنة والنار. ويدخل العلم أيضاً مع

^{٤٢} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ، (٣)، ص ١٢٥-١٤٢.

^{٤٣} الآيات (٣)، الأشعار (١).

^{٤٤} دار نهضة الشرق، القاهرة، ٢٠٠٢م.

^{٤٥} الأحاديث (١٢٨)، القرآن (٢)، الحديث القدسي (١).

^{٤٦} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ.

^{٤٧} الأول (٨ص)، الثاني (١٣ص)، الثالث (٥٧٩ص).

المناقب والكرامات أي كل شيء حسن في الممدوح. ويُذكر نسب الشيخ، والنسب جاهلي، مولده، وسيرته، ومؤلفاته، ومشايخه، وتلاميذه، وكراماته، ومناقبه، وبركاته، وآثاره. تعتمد على القرآن والحديث والشعر وأقوال الصوفية.^{٤٨} الأحاديث روايات أكثر منها أقوالاً، وحكايات أكثر منها أحكاماً. وكلها ظنية ينقصها شروط التواتر بل والآحاد لأن معظمها من وضع الخيال.^{٤٩} تخلو من الأسانيد لعدمها أو لعدم وجودها. ويستبدل بها رؤية الرسول في المنام. وتعطى كل الصياغات للحديث كبديل عن السند الضعيف.^{٥٠} وتعتمد على اقتباسات من عدة مصادر يشار إليها بلفظ «انتهى». تطول أحياناً ثم يُعاد إلى الموضوع.^{٥١} ويذكر بالاستطرادات. وتظهر موضوعات صوفية خارج موضوع الكرامات مثل المقامات والأحوال والحروف.^{٥٢} ويستعمل أسلوب القول لإدخال بعض الحجج وأساليب الإقناع. لذلك تظهر القسمة العقلية أحياناً.^{٥٣} ويحال إلى عديد من الصوفية في مقدمتهم الغزالي ثم السهروردي صاحب عوارف المعارف وابن عربي.^{٥٤} وتذكر «الرسالة النظامية» لإمام الحرمين، و«الانتصار» للباقلاني، و«الإتقان» للسيوطي، و«القسطاس» للغزالي. وتذكر أسماء مئات من المشايخ والفقهاء وأقلهم من الصوفية حتى غلب المحدثون على القدماء، والمشايخ على العلماء، ومشايخ الطرق على الحكماء. في نظرة متدرجة للتاريخ ابتداء من القرن الثالث الهجري.^{٥٥} ويحال إلى فلاسفة الكفر. فلاسفة اليونان: سقراط، وبقرات وجالينوس، وأفلاطون مع أن أفلاطون إمام الصوفية، وسقراط أحكم البشر، واضع «اعرف نفسك بنفسك» التي نسج عليها يحيى بن معاذ

^{٤٨} الآيات (٤٣٠)، الأحاديث (٢١٦)، الأشعار (٣٥).

^{٤٩} الإبريز، ص ٣٠-٣٥.

^{٥٠} السابق، ص ١٤٥-١٥٥.

^{٥١} السابق، ص ١٢٣.

^{٥٢} السابق، ص ١٠٩-١١٠، ٢٦٥-٢٦٥.

^{٥٣} السابق، ١٠١.

^{٥٤} الغزالي (١٤)، السهروردي، ابن عربي (٤)، أبو طالب المكي، زروق (٢)، البسطامي، ذو النون، السلمي، الداراني، الجيلي، الشعرائي (١) ومن الأصوليين القرافي (١)، ومن المذاهب الفقهية الحنفية (١)، ومن الفرق الكلامية المعتزلة (١)، ومن الأنبياء موسى وعيسى، ويوسف (١).

^{٥٥} الإبريز، ص ٣٨.

«من عرف نفسه فقد عرف ربه». وهو ما ينسب أيضاً إلى الرسول. وبقراط وجالينوس من دعائم الطب عند الحكماء.^{٥٦}

(ي) «جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني» لعلي حرازم الفاسي (القرن الثالث عشر)^{٥٧}

وتركز على ولي واحد في خمسة أبواب. التعريف به وبمولده، مواجيدته وأحواله وكمال سيرته، وعلمه، وكرمه، وسخاؤه، ترتيب أولاده وأذكاره، أجوبيته عن الآيات القرآنية، كراماته وتعريفاته. وتفسير القرآن هو أكبر الأبواب عن التفسير الإشاري.^{٥٨} يعطي الأولوية للأقوال على الشخص. وسبب التأليف هو التعريف به لاستفادة الناس من سيرته.^{٥٩} تكفي ألقابه لمعرفة مدى ما يصل إليه المدعي.^{٦٠} ومنهج التأليف هو التجميع من المدونات السابقة.^{٦١} وتعرض الأبواب والفصول منذ البداية.^{٦٢} ويتم الاستعراض لمعرفة تعريف التصوف وعلوم الذوق.

^{٥٦} السابق، ص ٥٤٩.

^{٥٧} دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م/١٤١٧هـ (جزءان في مجلد واحد).

^{٥٨} التعريف به (٢٢)، مواجيدته (٢٣)، علمه (٢١)، أولاده وأذكاره (٣٩)، تفسيره للآيات القرآنية (٢٦٦)، كراماته (٦٠).

^{٥٩} «وإني لما من الله علي بمعرفته والانحياش إلى حزبه وزمرته، ورأيت من شيمه وشمائله ومحاسنه وفضائله، وسمعت من كلامه ومعارفه وإشارات ولطائفه ما عز وجوده وقل وروده وعدم مثله وفقد شكله مما هو جدير أن يفاد ويستفاد، ويقصد إليه ويراد، وتسطره في الكروس والأقلام، وتدونه في الدواوين الأعلام، حدا في ذلك مع ما طلبه مني بعض الإخوان والأخبار والأعيان أن أتعرض لما تيسر لدي وساقه الله إلي من التعريف به وبطريقته وعرفانه وتحقيقه ونشأته وسيرته وخلقه وشيمته وكلامه وإشارته ومكاشفته وكرامته وغير ذلك من مآثره وآيته»، السابق، ص ٧.

^{٦٠} «شيخنا وسيدنا وسندنا ووسيلتنا إلى ربنا، الشيخ الواصل القدوة الكامل، الطود الشامخ، العارف الراسخ، جبل السنة والدين، وعلم المتقين والمعتدين، العلامة الدراكة المشارك الفهامة، الجامع بين الشريعة والحقيقة، الفاضل النور والبركات على سائر الخليفة، الواضح الآيات والأسرار، ومعدن الجود والافتخار، البحر الزاخر، الطام المعترف بخصوصيته الخاص والعام، نادرة الزمان ومصباح الأوان، الشريف العفيف ذي القدر المنيف...»، السابق، ص ٧.

^{٦١} «فجمعت في هذا التأليف ما استحضرت من ذلك مما هو بعض ما هناك»، السابق، ص ٧.

^{٦٢} السابق، ص ١١-١٠.

يعتمد على القرآن والحديث والشعر.^{٦٣} ويفرض جزء لحل التناقض بين الأدلة النقلية خاصة بين الأحاديث بالنسبة لمحمد، مرة حقيقة أبدية أزلية خالدة، ومرة ابن امرأة كانت تأكل القديد. يحرم التسيد «لا تسيدوني»، والإطراء «لا تطروني». ومن ألقابه «سيد الوجود». كما يحال إلى بعض الصوفية يتقدمهم الجنيد، والجيلاني، ثم الشعراني وزروق والقشيري.^{٦٤} وتكثر الأدلة النقلية. وتتوالى بالعشرات كما تُستعمل نصوص من الكتب المقدسة السابقة. ويُرى الرسول في المنام.

وقد تضم المناقب النظرات الفلسفية للولي بحيث ينضم الكتاب إلى التصوف النظري.^{٦٥} مثل الأسماء الإدرسية.^{٦٦} فالمناقب أفكار وليست فقط أفعالاً. لذلك تظهر الحاجة العقلية والقسم المنطقية.^{٦٧} وهنا تبرز الحقيقة المحمدية كعقيدة مركزية، أساس الإيمان. ويخاطب القارئ «واعلم». ويستعمل فعل القول لإبراز الحجاج والرد على المعارض. ونبرز ألفاظ «فائدة»، «تنبيه وبيان»، «لطيفة» أمام بعض الأفكار للتركيز عليها.^{٦٨} وتبدأ النعمة الإصلاحية في نقد ممارسات الطرق الصوفية خاصة المشيخة.^{٦٩} وكما أن مدح الرسول مقدمة لمحذ الأشياخ فإن مدح الأشياخ مقدمة لمحذ السلاطين.

ويحال إلى بعض المصادر المدونة مثل «الفتوحات» لابن عربي.^{٧٠} والكثير من الإملاء المباشر لصاحب المناقب أو إجابة على أسئلة ومضاهاتها بأجوبة الرسول.^{٧١} وتضاف

^{٦٣} الآيات (٦٠٠)، الأحاديث (١٥٠)، القدسية (٤)، الأشعار (١٠١).

^{٦٤} الجنيد، الجيلاني (٣)، الشعراني، زروق، القشيري، الجريري، البسطامي (٢)، الخراز، الشاذلي، أبو العباس المرسي، إبراهيم الدسوقي، ابن عطاء الله، أبو مدين، أحمد التجاني (١).

^{٦٥} السابق، ص ٥٣، ١٠٩، ٣١٤.

^{٦٦} السابق، ص ٢٩.

^{٦٧} السابق، ص ١٣٨-١٣٩، ١١٤، ٢٩٧، ٢٩٩-٣٠٠، ٤٠٤.

^{٦٨} السابق، ص ١٠٨، ١٤٢، ١٤٨.

^{٦٩} «كلنا واحد في الانتفاع. فلا فضل لأحد على الآخر في دعوة المشيخة إلا سوء الابتداء»، السابق، ص ٢٩.

^{٧٠} وأيضاً «روض الرياحين».

^{٧١} السابق، ص ٢٨٠.

نصوص من صاحب المناقب، رسائل أو مكاتبات. والخاتمة في محبة الرسول والصلاة عليه.^{٧٢}

(ك) رسائل عبد السلام العمراني الخالدي

(١) «كرامات سيدي عبد القادر بن عجيبة أو الكرامات الربانية المتعاقبة على الشيخ سيدي عبد القادر بن عجيبة المنامية واليقظية في حياته الدنيوية والبرزخية»^{٧٣}

وهو عنوان طويل للتأكيد على موضوع الكرامات ووصفها بالربانية في اليقظة والنام، في الدنيا والآخرة. وبعد مدخل نظري قصير للكرامات، تصنف إلى منامية ويقظية.^{٧٤} ثم يأتي كلامه وأقواله في الحقائق والوصايا النورانية والمحبة والتربية والتقرب إلى الله، وإفراد القلب له، وسوق النفوس إلى الخير، وبعض وصاياه للمريدين والفقراء، وطرق العادة بفعل «كن».^{٧٥} وهناك حديث عن بعض الموضوعات المتعالية مثل كيفية قبض عزرائيل الأرواح.^{٧٦} ويعتمد على القرآن والحديث والشعر.^{٧٧} ولا تذكر أقوال الصوفية أو الرواية عنهم للاعتماد على التجارب الشخصية.

(٢) «قطرات جبروتية متعاقبة من كرامات سيدي عبد القادر بن عجيبة قدس الله سره»^{٧٨}

وهي في المناقب والكرامات. وهي روايات مسموعة في أزمنة متداخلة ومتلاحقة. تمت في اليقظة والنام. ولا تعتمد إلا على شاهد شعري واحد دون القرآن أو الحديث. كلها روايات ظنية لا يمكن إثباتها بنقل يقيني من الكتاب والسنة.

^{٧٢} السابق، ص ٣٩٦-٤٠٢.

^{٧٣} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م/١٤٢٥هـ (٢)، ص ١٦٣-١٩٨.

^{٧٤} السابق، ص ١٦٣.

^{٧٥} السابق، ص ١٦٤-١٨٨.

^{٧٦} السابق، ص ١٩١.

^{٧٧} الآيات (١٣)، الأحاديث (٤)، الأشعار (٢).

^{٧٨} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م/١٤٢٥هـ (٢) ص ٣١٢-٣٤٠.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

(ل) «جواهر الدرر في مناقب ابن حجر» لعبد الله الشافعي^{٧٩}

والمناسبة تقديم ابن حجر (٩٧٤هـ) في «شرح أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل» للترمذي الضرير (٢٧٩هـ) إعجاباً من أحد المحدثين بالشارح وتقليداً للقدماء في أدبيات المناقب.^{٨٠} وهي مجرد أخبار قاموسيه عن ميلاده وحياته ووفاته. لا يستشهد بأية أو حديث إلا من تسعة قصائد قصار وطوال. لا يذكر مناقب ولا يبدع من خيال.

(م) أبو الهدي الصيادي (١٣٢٧هـ)

(١) «روح الحكمة»^{٨١}

وهو نص واحد بلا أبواب أو فصول. يريد أن يكون تحليلًا نظريًا خالصًا أو حكمة نظرية أو تصوفًا نظريًا ولكنه يتحول إلى وجدانيات وانفعالات أشبه بالنثر الفني عند أبي حيان. فالإنسان من ماء وطن. والكلمات الحكمية الأحمديّة سر. والوجود أسرار، والروح إشارات، والآثار لطيفة، والإنسان وجود، وللأنبياء آداب، وللحروف دلالات، وفي الفؤاد معاني، وللعقل صفاء، وللآيات دلالات، وللواحدية سر. وتبرز بعض الموضوعات للفظ «تنبيه». وتتضمن في نفس الوقت مناقب أحمد الرفاعي وتقريضه وتمجيده واقتباسات من كلامه المبارك وأقواله الشريفة.^{٨٢} وللرسول ألقابه للتنظيم والتجريد.

يعتمد على القرآن ثم الحديث والشعر.^{٨٣} ويحال إلى أحمد الرفاعي ثم محمد مهدي الصيادي الرفاعي ثم الرواس والشعراني والمناوي وآخرون. ومن الفقهاء الشافعي وأحمد وبعض المتكلمين.^{٨٤} وتبرز صورة علي بن أبي طالب زعيمًا للصوفية. ويحال إلى «طي السجل» للرفاعي.

^{٧٩} دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م/١٤١٩هـ، ص ١٩-٢٧.

^{٨٠} وهو حاصل على ليسانس الحديث من كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، وعنوانه الأندلس: الهرم، القاهرة. وواضح الرغبة في الجمع بين التقليد والحدثة.

^{٨١} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ.

^{٨٢} السابق، ص ٨٨.

^{٨٣} الآيات (٦٥)، الأحاديث (٣٩)، الأشعار (٣٩).

^{٨٤} أحمد الرفاعي (١٥)، محمد مهدي الصيادي الرفاعي والرواس (٩) الشعراني، المناوي (١)، ومن الفقهاء الشافعي، أبو حنيفة، أحمد (١).

(٢) «راحة الأرواح»^{٨٥}

وموضوعها مناقب الشيخ الرواس. ومصدرها الإلهام. وتستطرد في عدة موضوعات متناثرة من التوطيد النظري إلى الفضائل العملية.^{٨٦} ومنها التخلص من الدنيا ومن آفات العصر. ومنها كسب الفضائل مثل الفقر والإخلاص والصدق والصفح والنصيحة والتخلي عن الرذائل مثل الحسد والادعاء والغرور. ومنها موضوعات العقل والعقل، والمعرفة والعارف، والمعاني والصور والقلب والنفس والروح. والعلم النافع، والإلهام الصحيح، والعلم الصريح، والحكمة، والكشف. ومنها موضوعات الطريق مثل جمع الهمة، والتوسط بين خوف والرجاء، والأحوال. ومنها موضوعات النبوة والإلهام، والمعجزات والكرامات، وعصمة المرسلين. ومنها موضوعات التوحيد مثل التسليم للقدر، والرضا بالمقدور، والإيمان بالغيب. ومنها آداب الشيخ والمريد، وتقاليد الصحبة. وقد يكون ذلك كله طريقاً للإصلاح ضد المتفهمة، دعاة الفقه، والمتصوفة، دعاة التصوف، والمتقيشفة، أدعياء التقشف.^{٨٧}

ويعتمد على الشعر والقرآن والحديث. والأولوية للشعر بالرغم من اعتقادات بعض الفقهاء. وتختتم الرسالة بقصيدة طويلة.^{٨٨} وتكاد تخلو من الأدلة العقلية في صورة

^{٨٥} المكتبة العلمية، بيروت.

^{٨٦} «هذه رسالة لطيفة ذات فصول شريفة. انتقيتها من كلمات شيخي وسيدي خاتمة الزاهدين، تاج الحكماء الربانيين، فخر العلماء العاملين، درة قلادة الأولياء العارفين، بهاء الملة والشريعة والدين، المقبل على الله المعرض عن الناس، القطب الفرد الكبير ... قدس الله روحه وسره وأفاض علينا بره. ومزجتها بشيء من كلمات كانت وردت عليّ أو هبطت من حضرة الإلهام إلي. وفيها استطرادات تتضمن شيئاً من كلام خواص الزمان، مظهر المجد المصان، لسان العرفان ... رسالة يستل منها ينابيع الحقائق النبوية. وتلمع فيها بوارق الرقائق الوجدانية، تفيض بيد العزم الرباني بركة الذوق الطيب لإفهام الموفقين. تطلع بجذوة المدد الرجائي صبح العرفان في سموات الباب المخلصين. وسميتها «راحة الأرواح» وذلك المعنى يشير إلى مضامينها الشريفة ودقائقها اللطيفة التي تبهج بها أسرار المحققين، وترتاح لها أرواح أهل العرفان واليقين»، راحة الأرواح، ص ٥.

^{٨٧} «أرى أناساً من المتفهمة اليوم ينكرون على من يزور القبور ويشنعون عليه ...»، السابق، ص ٤٢، «فإن ذلك من التدليس في مصلحة الأمة»، السابق، ص ٤٣.

^{٨٨} الأشعار (٧٠)، الآيات (٤٢)، الأحاديث (٨)، القدسية (١). أهلك القرآن والأخبار حتى تأتي بالشعر؟ راحة الأرواح، ص ٥٠-٥٣، ٨٠.

قسمة أو برهان باستثناء مشتقات فعل القول التي تدل على السؤال والجواب مثل «قلت». وتتم رؤية الرسول في المنام. كما تعتمد على كثير من المصادر المدونة.^{٨٩} وتؤخذ عدة اقتباسات منها بعلامة «انتهى».^{٩٠} وتظهر كثير من ألفاظ الانتباه للتركيز وشدة الانتباه نحو الموضوع مثل: فائدة، تحفة، لطيفة، نكتة طريفة، تمغة عظيمة، استطراد لطيف.^{٩١} ومن الصوفية يحال إلى الرفاعي ثم الشعراني والقوصي. ومن الشعراء إلى حسان بن ثابت. ومن الأئمة إلى جعفر الصادق. ومن المفسرين إلى السيوطي والطبري. ومن اللغويين إلى الفيروزآبادي. ومن المؤرخين إلى الذهبي.^{٩٢} وتتعدد الألقاب بالعشرات مما يدل على تعظيم الشيخ إلى درجة التأليه.^{٩٣} وتكثر الدعوات له بالرضا والرحمة والغفران ونفع الأمة بعلمه.^{٩٤} ولا يقتصر ذلك على الرفاعي وحده بل يمتد إلى سائر المشايخ.^{٩٥}

^{٨٩} مثل «القواعد الكشفية الموضحة لمعاني الصفات الإلهية» للشعراني، «الوحيد في سلوك أهل التوحيد» للقوصي، «كشف النقاب» للطبري، السابق، ص ٣٤-٧٥، ٦١.

^{٩٠} السابق، ص ١٠، ٤٣.

^{٩١} السابق، ص ٣٢-٣٣، ٣٨، ٣٩، ٦٥، ٧٨.

^{٩٢} الرفاعي (٧)، الشعراني، القوصي، جعفر الصادق (٢)، حسان بن ثابت، السيوطي، الطبري، الذهبي، الفيروزآبادي (١).

^{٩٣} منها: قطب الوقت، مرشد الزمان، خواص الوقت، عارف زمانه، سيد العارفين في أوانه، خواص الزمان، الغوث الأمل، عارف الوقت، غوث الزمان، مرشد الأوان، مرشد الوقت، علامة العصر، عارف الزمان، العارف الكبير، القطب، الغوث الجامع، الإمام الجليل، العلم الطويل، إمام أولياء العصر، العلامة الخطير، ملاذ القطب، القوت الأكمل، الوالد الماجد، سيدي وشيخي، سيدنا وملاننا.

^{٩٤} رضي الله عنه، ونفع المسلمين بعلمه، طيب الله ثراه، طاب مرقده، سقى الله ضريحه بوابل الرحمة، قدس الله سره، قد الله سره وروحه.

^{٩٥} الإمام الهمام، شيخ المشايخ الإسلام، حجة الله على الأولياء والأعلام الأتم يد جده المصطفى ... سلطان الأولياء، برهان الأصفياء، كعبة القرب، ندبة المكروب، وسيلة كل داعي ... الغوث الأكبر، والإمام الجامع، الأمرد الأشهر، شيخ الشيوخ، سيد أهل التمكن والرسوخ، حبيب رسول الله، تاجر أولياء الله ...، السابق، ص ٥٤، «شيخي وسيدي وتاج رأسي ونور باصرتي وملجئي وعمدتي وولي نعمتي، القطب الغوث الجامع، والبدر المتلالي الساطع العلامة التحرير الفهامة الخطير، رب التحبير والتقدير، علم المعارف، بحر العوارف، شيخ الحضرات في العصر، صاحب الخوارق التي تجل عن الحصر، وارث علوم جده سيد الكونين، نائب أبيه أبي العلمين المرشد الذي ترفع في زمنه عن القياس»، السابق، ص ٢١٧.

(ن) (السيف الرباني في عنق المعترض على القوت الجيلاني» للإدريسي (١٣٣٤هـ)^{٩٦}

ويقوم على ذكر المناقب سلبيًا أي الرد على الاعتراضات والانتقادات التي وجهت إلى القطب الغوث، كامل الأوصاف، صاحب المناقب والكرامات بطريقة ذبح المعترضين ووضع السيف في أعناقهم. يقع في بابين. الأول نسب الشيخ وعشيرته، والثاني في حاله وطريقته. يعتمد على الأدلة النقلية والشعر والقرآن والحديث.^{٩٧} وتظهر بعض روايات الإسرائيليات.^{٩٨} ولا يعتمد على الصوفية السابقين. وينتهي الكتاب بقصيدة مدح في الغوث صاحب المناقب دفاعًا عن غوثيته في «ختام نافع وإلهام رافع».^{٩٩}

(٣) المناقب الجماعية

(أ) لطائف السنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرسى وشيخه الشاذلي أبو الحسن» لابن عطاء الله السكندري (٧٠٩هـ)^{١٠٠}

صوفي، وهو ابن عطاء الله، يكتب عن صوفي هو أبو العباس المرسى وعن شيخه الشاذلي تعظيمًا وإجلالًا من اللاحق للسابق.^{١٠١} ويضم أيضًا عشرة أبواب، ربما تيمنًا بالعشرة المبشرين بالجنة. المقدمة في أن الرسول أفضل البشر وهو خارج الموضوع. والفصل الأول دون فصول أخرى عن الكرامات مما يدل على أنها المنظور الأول في كتابة المناقب. والباب الأول في شهادة الشيخ له. والثالث في مجرياته ومكاشفاته من خلال رؤية الأصحاب له وإدراكهم لأفعاله اعتمادًا على الروايات وليس الأقوال. والرابع في علمه وزهده. والخامس في تفسيره للآيات، والسادس في تفسيره للأحاديث. والسابع في تفسيره لأقوال أهل الحقائق، وهم الصوفية. والثامن في كلامه في الحقائق والمقامات. والتاسع في شعره.

^{٩٦} دار الكتاب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ.

^{٩٧} الأشعار (٥٥)، الآيات (٤٩)، الأحاديث (٢٣)، القدسية (٣).

^{٩٨} السيف الرباني، ص ٤٥٣.

^{٩٩} السابق، ص ٤٩٠-٤٩١.

^{١٠٠} عالم الفكر، القاهرة، ١٩٧٢م.

^{١٠١} توفي أبو العباس المرسى عام ٦٠٦هـ. وتوفي أبو الحسن الشاذلي عام ٦٥٦هـ.

والعاشر في أذكاره وأدعيته. أكبرها بعد المقدمة الثامن، وأصغرها العاشر.^{١٠٢} وينتهي الكتاب بحزبين أي وردين: الأول لأبي العباس، والثاني للشاذلي وبدعاء الشاذلي.^{١٠٣} تكثر الأدلة النقلية وتغيب الأدلة العقلية. فالمناقب والكرامات لا دليل عقلي عليها إلا الرواية كما هو الحال في النبوات أو السمعيات في علم الكلام. والآيات أكثر من الأحاديث، والأحاديث أكثر من الأشعار.^{١٠٤} وتكرر الآيات والأحاديث، وتكثر في الحزب الثاني حتى يتحول الحزب إلى مجرد رصد متتالٍ للآيات. وتطبق بعض الآيات على الكرامات. وينظر إلى الكرامات من خلال الآيات وكأنها تحقيق لها مثل اعتبار الخليفة في الأرض ليس آدم أو داود أو الإنسان بل الصوفي الولي صاحب المناقب والكرامات. وكل الفوائد مستنبطة من النص وليس من تحليل تجريبي.^{١٠٥} وتقل الآيات والأحاديث في المناقب. وتكثر الروايات الشفاهية من الآخرين التي تخضع لإدراك التعظيم والتبجيل لدرجة التقديس للشيخ. ومن الأحاديث ما يتم في المنام لإفساح المجال للخيال للوضع.^{١٠٦} والمناقب بالضرورة كرامات وليست آثارًا طبيعية على المريدين أو في الواقع الاجتماعي. وعندما تعز السيطرة على الطبيعة بالعلم أي بالذهن فإنه يتم السيطرة عليها بالكرامة أي بالإرادة. وهو نفس الصراع بين ابن رشد الذي يريد إعطاء الأولوية للحكمة لتدبير العالم، والغزالي الذي يريد إعطاء الأولوية للإرادة. وتظهر أحيانًا القسمة العقلية التي تدل على محاولة إيجاد بنية عقلية للموضوع دون برهان.^{١٠٧} كما تعتمد السيرة على أقوال صاحب السيرة وعلى مؤلفاته مثل «الحكم».^{١٠٨} وتعتمد على أقوال بعض الصوفية مثل الغزالي وبعض الشعراء مثل ابن العطار.^{١٠٩} وتحيل إلى بعض الإسرائيليات في

١٠٢ المقدمة (٣٥)، الفصل الأول (٩)، الباب الأول (١٦)، الثاني (١٠)، الثالث (٩)، الرابع (١٩)،

الخامس (١٤)، السادس (١٢)، السابع (٤)، الثامن (٢٩)، التاسع (١٠)، العاشر (٢).

١٠٣ حزب المرسى (٧)، حزب الشاذلي (٥)، دعاء الشاذلي (٢).

١٠٤ الآيات (١٧٠)، الأحاديث (٧٥)، الأشعار (٤٧)، الأحاديث القدسية (٣).

١٠٥ لطائف المنن، ص ١٤٨-١٤٦، ١٢٤-١٣٢.

١٠٦ السابق، ص ١٤٤.

١٠٧ السابق، ص ٩٧-٩٩، ١١٤-١٣٢.

١٠٨ السابق، ص ١٤٤.

١٠٩ السابق، ص ١٦٩.

قصص الأنبياء وحواراتهم مع الله أو الملائكة أو مع أنفسهم أو مع الرسول.^{١١٠} وتوضع بعض العناوين للتركيز مثل: «تنبيه»، «إعلام»، «وصية وإرشاد».^{١١١} ويتوجه الخطاب إلى القارئ بلفظ «اعلم». فالغاية من المناقب والكرامات الوعظ والإرشاد والتأسي بل وطلب العزة والنصر حتى عن طريق الوهم، وليس عن طريق الفعل، عن طريق النص وليس عن طريق الواقع.^{١١٢}

(ب) «أخبار الأولياء ومناقبهم» للأزدي (٦٥٧هـ)^{١١٣}

ويعطي أخبار الأولياء بناء على مشاهداتهم وليس الروايات عنهم، ومعايشتهم ومعرفتهم ومشاركتهم في تجاربهم الصوفية.^{١١٤} وهو الوعي التاريخي الزائف أي أخبار الصوفية الخاصة بالمناقب والكرامات. يخلو من الأبواب والفصول والأقسام. تقوم على الحكايات وليس على الأدلة العقلية أو العقلية والتحليلات النظرية. والآيات القرآنية أكثر من الأحاديث النبوية. والدليل النقلي مجرد تطابق بين الحدث والآية كما هو الحال في الإنجيل وتنميط الحوادث طبقاً لآيات العهد القديم. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر.^{١١٥} وتذكر عشرات الأسماء من المشايخ مثل القرشي وابن عربي وابن الدقاق.^{١١٦} ومن الأنبياء يظهر الخضر. ومن الحضارات المجاورة الشيخ الولي الكبير اليوناني.^{١١٧} ويظهر الشيخ حاضرًا في النص ثم الرسول ثم الأستاذ ثم العرش، وأبو مدين والخضر وأبو العباس.^{١١٨}

^{١١٠} السابق، ص ١٥٧.

^{١١١} السابق، ص ٩٣، ١٦٦.

^{١١٢} ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، السابق، ص ٩٤.

^{١١٣} دار كنعان للنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٦م/١٤٢٦هـ.

^{١١٤} «... يسألني ولدي إبراهيم أن أجمع له شيئاً من أخبار الأولياء الذين رأيتهم فاستخرت الله تعالى ... السابق، ص ٧.

^{١١٥} الآيات (٨)، الأحاديث (١)، الأشعار (١).

^{١١٦} ابن عربي، القرشي، ابن الدقاق (٢)، أبو العباس، الشاذلي (١).

^{١١٧} الخضر (٣)، الشيخ الولي الكبير اليوناني (١).

^{١١٨} الشيخ (٨٧)، محمد (٢٦)، الأستاذ (٢٠)، القرشي، أبو مدين (٨)، الخضر (٧)، أبو العباس (٥).

وواضح تركز المشايخ في مصر والمغرب والشام والعراق.^{١١٩} وهم مع الناس والملوك والأمراء والأولياء.^{١٢٠} ينتسبون فيما بينهم برباط المصاهرة، الزواج من ابنة الشيخ لتكوين مجتمع مغلق. وتوجد رسالة داخل النص. فالكتاب وثيقة وسيرة ذاتية. ولا حرج من الكشف عن العلاقة بالسلطان أو ببلاد الكفرة.

(ج) «النطق المفهوم من أهل الصمت المعلوم» لعمر بن أرسلان (٦٧٠هـ)^{١٢١}

وهو من مناقب الأولياء كما يدل عليه العنوان. وهي القدرة على فهم لغة الطير والحشرات والجماد والنبات والحيوان. وينقسم إلى سبعة أقسام، وكل قسم إلى أبواب، وكل باب إلى فصول.^{١٢٢} فالعالم لغة وعلامة وإشارة. ويعيش الإنسان في عالم من الرموز. ﴿أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾. والصمت عند الصوفية لغة. يفضلون لغة الإشارة والكناية على لغة الكلام والتصريح. ومن هنا يأتي جمال العنوان. البنية محكمة والقسمة معلنة منذ

^{١١٩} ديار مصر (٦٤) دمشق (٢٠)، مصر (١٩)، القاهرة (١١)، الجليل، القرافة، الإسكندرية، مكة، المغرب، الأرض (١٠)، ديار مصر (٨)، العراق، البلد (٨) أشبيلية (٦)، الرباط (٤)، الشام (٣)، بلاد الصعيد (٣).

^{١٢٠} الفقراء (٢٠)، أكابر (١٩)، أعيان الناس، الرجال (١٦)، الملوك، الفقيه (١٣)، الكامل (٩)، الخلوة (٨)، الأمراء (٥)، الطائفة (٤)، السلطان (٣).

^{١٢١} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ.

^{١٢٢} القسم الأول نطق الحيوان في نطق آدم، نطق الأجنة والأطفال، والخرسان والمسوخ. ونطق الوحوش: الأسود والدب والذئب والضب والظباء والفيل والقنفذ. ونطق الأنعام: الإبل والبقر والغنم. ونطق الدواب: الخيل والحمير والكلاب. ونطق الحشرات: الحيات والدود والنمل. ونطق الحيوانات المائية: السمك والضفادع. ونطق الشجر: التين والخروب والرمان والورد. ونطق النبات: التمر والحشائش والزرع. ونطق الطير المعروف من كل ذلك والمجهول (المعروف: البعوض، البلبل، الخطاطيف، الدجاج، الديوك، الطاووس العصافير، العقارب، الغراب، التنير، النسور، الهداهد، البعوض، الجراد، الحداة، الحمام، العنقاء، غيرها). وهو أكبر الأقسام. والقسم الثاني النطق بعد الموت من بني آدم قبل القبر أو بعده والرءوس المقطوعة والجماجم النخرة، ونطق الشاة المسمومة ونطق الخشب مثل عصا موسى وجدع الشجرة، والعود. والثالث ونطق الجماد مثل السحاب والأرض والمال والأبنية والأحجار والصخور والأواني. والرابع نطق الفيا في مثل البحر والطعام والنار والوحش والسفينة والمال والسوط والسبحة والخبز والبكرة وغيرها. والخامس أنين النبات مثل الشجر والتفاحة، وأنين الموت وأنين الجماد. والسادس إشارات تقوم مقام النطق إشارات الحيوان، بني آدم وكل الكائنات الحية.

البداية.^{١٢٣} تدور كلها حول معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء. والحديث مع الحيوانات مثل حمار النبي وناقته بالكلمات. تعتمد على الإسرائيليات وعلى أحاديث ضعيفة أو خالية من الأسانيد. معظمها روايات وليست أقوالاً مباشرة. بعضها أقرب إلى الخيال الشعبي والأمثال العامة. تعبر عن حديث الضمير وأمنيات النفس. تخلو من أي تحليل نقدي للرواية. تعتمد على الأحاديث أكثر من الآيات والأشعار.^{١٢٤} ومن الأعلام يذكر من الأنبياء خاصة عيسى وسليمان. وأكثر مما يذكر من الصوفية خاصة إبراهيم الخواص وأبو سعيد الخراز.^{١٢٥}

(د) «روض الرياحين في حكايات الصالحين» لليافعي اليمني المكي (٧٦٨هـ)^{١٢٦}

ويضم في لبه خمسمائة حكاية لصوفية متعددين. عبد الواحد بن يزيد له أكثر من حكاية. وكلهم أولياء أصحاب كرامات. والكتاب غريب في تبويبه. مقدمة بها فصلان: الأول عن فضائل الأولياء في الأخبار. والثاني عن كراماتهم في الحكايات. وهو أكبر الفصول. وخاتمة بها فصلان: الأول الرد على إنكار بعض الفقهاء هذه الفضائل والكرامات، والثاني عقيدة المشايخ العارفين الربانيين المكاشفين المحققين المدققين. ثم فصل آخر ختام الخاتمة، في توحيد الرحمن ومدح خاتم الأنبياء بقصيدة طويلة.^{١٢٧} ويبدأ بفضيلة الفقر.^{١٢٨}

^{١٢٣} السابق، ص ٥-٦.

^{١٢٤} من الأنبياء عيسى (٣)، سليمان (٢)، يوسف، موسى، إبراهيم، داود، إدريس، يونس، الخضر (١). ومن الصوفية إبراهيم الخواص، الخراز.

^{١٢٥} التسري، الشبلي، الروزباري (٢)، الخدري، البسطامي، الجنيد، ذو النون (١)، ومن الفقهاء أحمد بن حنبل (١).

^{١٢٦} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م/١٤٢١هـ، والكتاب له اسم ثانٍ طويل هو «نزهة العيون النواظر وتحفة القلوب الحواضر، في حكايات الصالحين والأولياء والأكابر» روض الرياحين، ص ٤٣٤-٤٣٩.

^{١٢٧} المقدمة، الفصل الأول (٥٦)، الثاني (٣٦٥)، الخاتمة، الفصل الأول (١٥)، الثاني (١٧)، الخاتمة (١٨).

^{١٢٨} السابق، ص ١١-٣٦.

ويعتمد الكتاب على الأشعار ثم الآيات ثم الأحاديث. وواضح غلبة الشعر وعود له، وهو ديوان العرب.^{١٢٩} وتتوالى الأشعار، والآيات، والأحاديث في زخات متتالية. وتؤول كلها بحيث تنطبق على كرامات الأولياء. والكرامة مثل المعجزة حدث طبيعي. ومعظم الحكايات مطعمة بالأشعار والآيات، والأحاديث سند لها وللايهام بصحتها وحدوثها وتسويقها بالشعر. ويرى الرسول في المنام وكذلك الخضر وجبريل.^{١٣٠} يبدأ الكتاب بأحاديث وينتهي بأخرى عن الجنة لمزيد من التشويق.^{١٣١} وبعض الحكايات على الإطلاق لبعض العارفين. وليس لكل الصوفية حكايات وكرامات ومناقب مثل الغزالي.^{١٣٢} في حين أن لبعض الفقهاء حكايات مثل بعض أصحاب أحمد بن حنبل.^{١٣٣} وبعض الحكايات أبطالها الخلفاء والأمراء الذين يشاركون أيضًا في كرامات الأولياء.^{١٣٤} ومعظمها روايات من الصوفية عن أنفسهم مما يجعل نسبة تصديقها قليلة. والمؤلف له حكايات رآها ورواها أو هو موضوعها. وليست مرتبة ترتيبًا زمنيًا. ولا تصنف طبقًا لأنواع الكرامات كما فعل النبهاني.^{١٣٥} وتعتمد الحكايات على الإشارة إليها بعبارة «انتهى كلامه».^{١٣٦} ولا تخلو من الإسرائيليات.^{١٣٧} وهي مصدر حكايات يونس، وداود، وسليمان، وموسى، ويحيى، وعيسى، وبني إسرائيل.^{١٣٨} ويعتمد على بعض المصادر المدونة.^{١٣٩}

^{١٢٩} الأشعار (٦٠٠)، الآيات (٢١٠)، الأحاديث (١٠٨)، القدسية (٢).

^{١٣٠} روض الرياحين، توالي الأشعار، ص ٤٠١-٣٩٩، توالي الآيات، ص ١١، ٢٩٤، توالي الأحاديث ص ١٢-٤٢٦.

^{١٣١} السابق، ١٢٥-١٢٦، ١٥٧، ١٦٠، ١٨٩، ٣٠٢، ٤٠٨.

^{١٣٢} السابق، ص ٤٤١-٤٦٦.

^{١٣٣} السابق، ص ٥٣، ٥٥.

^{١٣٤} السابق، ص ١٧٨-١٨٨.

^{١٣٥} السابق، ص ١٨٨.

^{١٣٦} حكايات هارون الرشيد، السابق، ص ٦٥-٦٦.

^{١٣٧} السابق، ص ٣٤.

^{١٣٨} السابق، ص ٣، ١٨، ٩٤، ١٩٩، ٢٣٣-٢٣٤، ٢٤٢، ٢٥٨، ٢٧٠-٢٧١، ٢٨١، ٢٩٥-٢٩٦.

^{١٣٩} السابق، ص ٧-٩.

ويذكر كثير من أعلام الصوفية يتقدمهم ذو النون ثم الجنيد، ثم عبد الواحد بن يزيد، ثم الشبلي، ثم إبراهيم الخواص، من القدماء والمحدثين ثم السري السقطي، ومالك بن دينار، ثم التستري، وإبراهيم بن أدهم، وغيرهم من الصوفية.^{١٤٠} ومنهم بعض النساء.^{١٤١} وبعض الحكايات مجهولة المصدر وهي الأكثر. والبعض الآخر يرويها المؤلف نفسه. والبعض الآخر من الصالحين أو بعض أهل العلم أو بعض الناس. والبعض عن الملوك والأمراء والمشايخ والسلف.^{١٤٢} ولا توجد حكايات لابن عربي وابن الفارض وابن سبعين والسهروردي في التصوف النظري. معظمها في التصوف الأخلاقي أو في التصوف العملي.

(هـ) «نشر المحاسن الغالية في فضل المشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية» لليافعي (٧٦٨هـ) ^{١٤٣}

وقد تكون السير أحياناً للجماعات وليس للأفراد دون تمييز بينهم. فهم جميعاً سواء في المناقب والكرامات كيفاً وإن اختلفوا كمّاً. وهو ما يدل عليه عنوان «نشر المحاسن الغالية» لليافعي. تجمع السيرة عدة موضوعات في صيغة أسئلة وردود، النوع الأدبي الفقهي الشائع. وتتنوع الأقسام بين فصول عشرة، وأنواع عشرة، ومقامات عشرة، وحكايات سبع، ومهام أربع، ومسالك سبعة، وأجوبة أربعة، بالإضافة إلى الذكر والبيان والإشارة والمقدمة والخاتمة. القسم الأول عن الكرامات والفرق بينها وبين المعجزات.

^{١٤٠} ذو النون (٣٦)، الجنيد (١٥)، عبد الواحد بن يزيد (١٠)، الشبلي (٩)، إبراهيم الخواص (٨)، السري السقطي، مالك بن دينار، أحمد بن مقاتل (٧)، التستري، إبراهيم بن أدهم (٦)، محمد بن السماك، شقيق البلخي، أبو سعيد الخراز، كعب الأحبار (٣)، الشاذلي، بشر الحافي، الدقاق، علي بن الموفق، بشر بن الحارث، ابن الجلاء، الحسن البصري، الكرخي، الرفاعي (٢)، القرشي، الجريري، الضحاك، ابن مسروق، رابعة، الغزالي، أويس القرني، الروزباري، حفار القبور ... (١).

^{١٤١} مثل زيتونة، شعوانة، عمرة، فاطمة، روض الرياحين، ص ١٧٦، ١٩٢، ٢١٨، ٢٥٠، ٣٧٨.

^{١٤٢} وقال بعضهم (٥٠)، بعض الصالحين (٢٧)، المؤلف نفسه (٢٢)، بعض المشايخ (١٢)، بعض السلف، (٧)، بعض الملوك (٦)، بعض أهل العلم (٣)، بعض الناس (١).

^{١٤٣} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م/١٤٢١هـ

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

والكرامات متداخلة مع المعجزات على أنواع.^{١٤٤} أما مقامات السالكين فهي: التوبة، والورع والزهد (في المطعم والسكن والأثاث والمنكح) والصبر والفقر، والشكر، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرضا، جمعاً بين المقامات والأحوال.^{١٤٥} ثم يأتي قسم رابع للدفاع عن الصوفية والاعتذار عنهم بالسكر وبالحكاية عن الله وبالأمر، وبإرادة النفع للخلق، وبتأويل الظاهر، وبالإذن في التصريف، وبالتخريب أو اقتضاء الإنكار، وبسماع القول والحركات، وبغزلتهم عن الناس.^{١٤٦} والخامس في ذكر كلامهم في المعارف والحكم والآداب والمحبة والإسراء والخطاب.^{١٤٧} والسادس في بيان ماهية التصوف وتسمية الصوفية بهذا الاسم ومتى بدأ ومن هم الصوفية، والفرق بين التصوف والزهد والفقر، وبين الصوفي والمتصوف والمتشبه به، وفضل الطائفة على سائر الطوائف، وسماتهم، وشرف الرسول زعيمهم.^{١٤٨}

وتبدأ السير بالأدلة العقلية على إثبات المعجزات والكرامات ضد المعتزلة وإنكارهم لها.^{١٤٩} وهو سبب التأليف.^{١٥٠} ثم تتلو الأدلة النقلية في جدال كلامي تقليدي، الأدلة ثم تفنيد الأدلة المضادة للخصوم والرد على تفنيدهم لأدلة الإثبات، ثم تفنيد الأدلة المضادة

^{١٤٤} مثل: إحياء الموتى وكلامهم، انغلاق البحر وجفافه، انقلاب الأعيان، العلم المسبق بالحوادث قبل وقوعها والاطلاع على ما في الضمائر، زوي وجه الأرض لهم من غير حركة منهم، انفجار الماء، كلام الجمادات والحيوانات إبراء العلل، طاعة الأشياء، نشر المحاسن العالية، ص ١٤-١٢٩.

^{١٤٥} السابق، ص ١٢٩-٢٧٨.

^{١٤٦} السابق، ص ٢٧٨-٣٢٣.

^{١٤٧} السابق، ص ٣٥٧-٣٧٤.

^{١٤٨} السابق، ص ٣٧٥-٤٠٦.

^{١٤٩} نشر المحاسن الغالية، ص ٨-٥.

^{١٥٠} «ما تقول السادة الفقهاء، أئمة الدين، ومصابيح المسلمين، وفقهم الله تعالى لاتباع الحق في العلم والعمل، وحفظهم من الزيغ والزلل في كرامات الأولياء، هل هي حق أم لا؟ فإن قلتم هي حق، فهل يجوز أن تبلغ الكرامة مبلغ المعجزة في حسننها وعظمها؟ وما الفرق بين الكرامة والمعجزة؟ وكذلك ما الفرق بينها وبين السحر؟ وهل ظهرت الكرامات وكثرت في زمن الصحابة كما ظهرت وكثرت فيما بعد؟ فإن قل ظهورها فيما بعد أكثر فلم ذلك والصحابة أفضل الأمة؟ وهل يقال بكفر من قال المؤمن يعلم الغيب أم لا يقال به حتى يسأل ماذا أراد بذلك فإن قلتم يسأل فسئل ففسر ذلك بشيء يقولون بجوازه، في الجواب عن قوله عز وجل ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾؟ وهل أصحاب الكرامات من الأولياء أفضل أم بقية الأولياء أفضل أم بقية الأولياء الذين ليس لهم كرامات؟ وهل علماء

في جدل رباعي بين الإثبات والنفي. وينفصل النوعان من الأدلة العقلية والنقلية.^{١٥١} ويظهر أسلوب الحجاج في فصل القول «فإن قلت ... قلت». وتكثر الآيات ثم الأشعار ثم الحديث.^{١٥٢} وأحاديث الرسول في المنام. وتكرر بعض الأحاديث.^{١٥٣} ويستشهد بكثير من أقوال الصوفية والمتكلمين وعلى رأسهم القشيري ثم الغزالي والسهروردي والباقلاني والرازي والبيضاوي والطوسي، وتذكر بعض الاقتباسات بعلامة «انتهى».^{١٥٤}

(و) «الروض الفائق في المواعظ والدقائق» لشعيب المصري الحريفي (٨١٠هـ)^{١٥٥}

ولا يتعلق بالمناقب والكرامات للأولياء وحدهم بل أيضاً للأماكن مثل الكعبة والنيل. وتتكون من ستة وخمسين مجلساً مثل الإمتاع والمؤانسة للتوحيدي. تبدأ بالصلاة على النبي ومولده وزيارة قبره، ونزول الوحي عليه. وتدور المجالس الأخرى حول عدة موضوعات مثل مناقب الصالحين والأولياء وإثبات كراماتهم خاصة الفقهاء، أبا حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، والخلفاء الأربعة، والخليفة عمر بن عبد العزيز، وأقلهم من الصوفية مثل الكرخي. كما تذكر مناقب رمضان وليلة القدر والحج والكعبة وأنواع الصدقات ويوم عاشوراء بمعنى الفضائل. كما تذكر مناقب الفقراء والبكائين والصالحات التائبات الصابرات من النساء.^{١٥٦} كما تظهر بعض فضائل ذكر الموت. وجلاء القلب والمحبة والتزويد والشهادة بالتوحيد. لا فرق بين الصوفية والفقهاء، بين الشبلي والكرخي والسري ومالك وأبي حنيفة والشافعي وبين العلماء والخلفاء.^{١٥٧} ويعتمد على الشعر قبل القرآن والحديث.^{١٥٨} وتؤخذ بعض الآيات عناوين للمجالس. ولا يوجد إلا باب واحد في

الباطن العارفون بالله أفضل أم علماء الظاهر أعني علماء الشرع؟ وهل بين الشريعة والحقيقة فرق أم لا؟ أفتونا مأجورين إن شاء الله تعالى»، نشر المحاسن، ص ٩.

^{١٥١} السابق، ص ٨٠-٨٦.

^{١٥٢} الآيات (٣٤١)، الأشعار (٢٦٠)، الأحاديث (١٢٠).

^{١٥٣} السابق، ص ٢٣٤.

^{١٥٤} السابق، ص ٢٨٩-٣٤٢.

^{١٥٥} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م/١٤٢٥هـ.

^{١٥٦} السابق، ص ٣٤٧-٣٥٤.

^{١٥٧} السابق، المجالس، ٢، ١٦، ١٨، ٢١، ٢٨.

^{١٥٨} الأشعار (٥١٥)، الآيات (٣٧٢)، الأحاديث (٢٤٥).

صفة الفقير.^{١٥٩} وكلها حكايات وروايات. تخاطب القارئ. وتدخل الإسرائيلية كمصدر لتاريخ الأنبياء.^{١٦٠}

(ز) «نسمات الأسحار في المناقب وكرامات الأولياء الأخيار» للشيخ علوان (٩٣٦هـ)^{١٦١}

والمناقب هنا بالمعنى الواسع، فضائل كل شيء في الموضوع ومدح كل شيء من الذات. فالمناقب ليست للصوفية وحدهم بل للخلفاء مثل عمر بن عبد العزيز والسفاحين مثل الحجاج وللحكام وكيفية الدخول عليهم. وقد تكون المناقب في الوالدين والأرحام كما هي في الإبدال. وقد تكون في الشعائر والعبادات، الوقوف بعرفة وفضائل الكعبة، وفضل الجمعة، والصلاة على الرسول. وقد تكون لسيد الأئمة وأفضل الخلق. المناقب والكرامات مدح أي شيء، حجر أو مدر أو بشر. وتعتمد على نقل المعلومات من بطون الكتب وتجميعها مع إبراز بعض النكات والتنبيهات والفوائد.^{١٦٢} وتطول الحكايات.^{١٦٣} وتعتمد على القرآن والحديث والشعر.^{١٦٤} وتدخل بعض الإسرائيلية.^{١٦٥} ويحال إلى عديد من المصادر الصوفية مثل «الإحياء» الغزالي.^{١٦٦} كما يحال إلى بعض الصوفية الآخرين مثل إبراهيم بن أدهم، والقشيري، والفضيل بن عياض، والحسن البصري، والجيلاني، وغيرهم.^{١٦٧} ولا تخلو من القسمة العقلية.^{١٦٨}

^{١٥٩} الروض الرائق، ص ١١٠-١١١.

^{١٦٠} السابق، ص ١٥٣-١٥٤.

^{١٦١} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م/١٤٢١هـ.

^{١٦٢} فائدة (١٠)، تنبيه، نكتة (٣).

^{١٦٣} نسمات الأسحار، ص ١٧٢، ١٨٧.

^{١٦٤} الآيات (٤٦٣)، الأحاديث (٣٤٧)، الأشعار (٨٨).

^{١٦٥} نسمات الأسحار، ص ٢٦٨.

^{١٦٦} الإحياء (١٦)، روض الأفكار (٢)، مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار، الدرة الفاخرة (١).

^{١٦٧} الغزالي (١٩)، إبراهيم بن أدهم، الفضيل بن عياض، القشيري، الحسن البصري، الجيلاني (٢)، سفيان الثوري، الكرمانلي، المحاسبي، سفيان بن عيينة، البسطامي، الطرطوسي، عمران بن سينا، إبراهيم الخواص، الروزباري، بشر بن الحارث ... إلخ (١)، ومن الفقهاء والمفسرين والمتكلمين: الشافعي،

الباقلاني، الأمدي، الأوزاعي، العز بن السلام (١)، ومن الفرق: المعتزلة (٣)، الشيعة (١).

^{١٦٨} الروض الرائق، ص ١٧٥-١٧٦.

(ح) «المعاني الدقيقة الوفية فيما يلزم نقباء السادة الصوفية» للأبشيهي (١٠٢١هـ)^{١٦٩}

وهو في موضوع المناقب والكرامات مع تعرض للأولياء وآداب الشيخ والمريد دون أبواب وفصول. فالنقابة خدمة لا صحبة. لها شروطها وتعريفها والقيام بوظائف القرآن وآدابها وتوبتها، والتمييز بين المشايخ، وسلوك طريق المريدين. الصوفية هم السالكون لطرق الله واتباع أوامره، وما يقوله الشيخ توحد بين الله والشيخ. وفي الولاية كرامات الأولياء وعلاماتهم. ويتطلب ذلك طرق وأساليب طرد الشيطان والتمسك بالصدق كمفتاح لأبواب المعارف، وخدمة الفقراء، ومحاسبة النفس، والابتعاد عن التكلف واللغو في المساجد، وسبب التأليف أقرب إلى منهجه المعتدل المختصر دون إطالة، وكتابة ما يفهم من المصادر دون إعجام أو شطح.^{١٧٠}

ويعتمد على الأدلة النقلية من الحديث والقرآن دون الشعر بحيث يصبح الموضوع أقرب إلى علم الحديث.^{١٧١} ويذكر العشرات من أعلام الصوفية في مقدمتهم الجنيد ثم الغزالي.^{١٧٢} ومن الفقهاء يتقدم أحمد. ومن المتكلمين إمام الحرمين. ويعتمد على اقتباسات من «المنقذ» و«منهاج العابدين» و«الإحياء» للغزالي وكتاب «التوابين» لابن الجوزي.^{١٧٣} وفي آخرها لفظ «انتهى».

^{١٦٩} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ

^{١٧٠} «وقصدت الاختصار. وأخذت من كل مسألة يحصل بها الاختيار. وحذفت ما جاء ذلك من التطويل. وأبطلت القول والقليل. وليس ذلك والله من ملالة وإنما هو خوف الإطالة، وذلك لقصر همة الطالبين ورغبة الراغبين. فأخذت من كل دليل معناه لأنه من دخل فيه أعناه. ومن عاب له أفناه. وحذفت الأقاويل المعجمة...»، السابق، ص٧.

^{١٧١} الأحاديث (٧٩)، الآيات (٧٣)، القدسية (٢).

^{١٧٢} الجنيد (٧)، الغزالي (٤)، الحسن الأحاديث (٩٧)، الآيات (٧٣)، القدسية (٢). البصري، الشعراني (٣)، البسطامي (٢)، بشر الحافي، ذو النون، يحيى بن معاذ، ابن الفارض، ابن عربي، الرفاعي، الطوسي، الكاشاني، الهروي، إبراهيم الدسوقي، ... (١)، ومن الفقهاء أحمد السبكي (٢)، مالك، الشافعي، الأوزاعي، أبو حنيفة، الواسطي، ابن الهمام، ابن تيمية، ابن حجر، ابن الجوزي، السيوطي (١)، ومن المتكلمين إمام الحرمين. ومن الصحابة أبو ذر.

^{١٧٣} ويعتمد أيضًا كما صرح في المقدمة على «موارد الإسلام»، «أدلة القوم»، «الإنسان الكامل» (للأستاذ الأعظم)، «الطينة» للشعراني، «كتاب الوحيد في ترجمة أهل التوحيد»، «الاعترافات القدسية في الخواطر الرحمانية» لابن عربي، السابق، ص٧.

(ط) «الروضة الريا فيمن دفن بداريا» لعبد الرحمن العماوي (١٠٥١هـ) ١٧٤

وهي سيرة مجموعة من الصالحين يجمعهم مكان واحد في الموت. وسبب التأليف زيارة قبور الصالحين والتبرك بهم. ومن ثم لزم التعريف بهم. ١٧٥ الهدف إبراز كرامات الأولياء، وتعتمد على مصنفات المؤرخين والفقهاء. كما تعتمد على الحديث قبل القرآن والشعر. ١٧٦ فالأحاديث بداية للخيال. وتذكر بكل صياغاتها. ١٧٧ وتعتمد من كتب الصوفية على «الإحياء» للغزالي و«عوارف المعارف» للسهروردي. ويذكر الداراني والقسطلاني. ١٧٨

(ي) «غاية الأماني في مناقب وكرامات أصحاب الشيخ سيدي أحمد التيجاني»
لمحمد السعيد التيجاني (١٢٣٠هـ) ١٧٩

وهو تأليف أسري سوداني لإبراز كرامات شيخ الطريقة وأصحابه. يجمع بين السيرة للفرد والسير للجماعة، وإن كان إلى السير الجماعية أقرب. يذكر ثلاثة وأربعين وليًا. لكل ولي نسبه وفضله وشيوخه وأقاربه وأصدقائه وألقابه وكراماته ومؤلفاته ونماذج من كتاباته ومراسلاته وحكاياته وأشعاره وطريقته. ولا يتوزعون في طبقات ولا طبقًا للحروف الأبجدية ولا طبقًا للأهمية. يتفاوتون في الكم وإن كانوا متساوين في الكيف. فالكل أصحاب كرامات.

ويتخلل الأولياء بعض الاستطرادات، قصائد في مدح الشيخ أو بشارات و ضمانات من حضرة النبي، وشاردة، ولطيفة فيها فائدة عظيمة، ولطيفة في شأن عدم الاحتلام لمن ابتلي به أو فوائد جلية من رسائل أو بعض المسائل القديمة مثل البسملة، جزءًا

١٧٤ دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (٤)، ص ١٤٩-١٦٥.

١٧٥ «إن زيارة الصالحين من أقرب القربات. وهي لاستمطار سحائب البركات من الأمور المجريات. وقد أمرنا بالتعرض للنفحات. ولا شك أن مواطنهم من أكبر مظنات إجابة الدعوات. ثم لما كان من أعظم مزارات الشام الموضوع مزارات داريا الكبرى، القرية المعروفة، جمعت هذه النبذة في شأنها تعريفاً بعظم قدر سكانها وتشنيقاً للأسماع بذكر من دفن بمكانها...»، السابق، ص ١٤٩.

١٧٦ الأحاديث (١٠)، الآيات (٣)، الأشعار (١).

١٧٧ الروضة الريا، ص ١٦٣-١٦٥.

١٧٨ «الإحياء» للغزالي، الداراني (٢)، «عوارف المعارف» للسهروردي، القسطلاني (١).

١٧٩ مكتبة القاهرة، (د.ت).

من السورة أم لا أو في نفيسة مثل حياة الذكر بعد الموت أو فائدة لقضاء الدين عن المدين تلبية للحاجات وتفريجاً للكروب أو لمغفرة الذنوب أو التصديق جزاء التصرف بالكرامات أو جعل الشهوات لضعاف الخلق. وقد تتحول هذه الموضوعات العرضية إلى قسم بأكمله بين وليين.^{١٨٠} يضم موضوعات في الطب النبوي، والرياضة الروحية، وكيفية قضاء الحاجات.^{١٨١} والمادة الرئيسية من الشعر أولاً ثم الحديث ثانياً، ثم القرآن ثالثاً.^{١٨٢} فالشعر مادة خصبة للخيال. والحديث مناسبة ميسورة للوضع ورؤية الرسول في المنام. والقرآن هو الأصعب. ويستشهد ببعض آراء الصوفية السابقين كالبسطامي.^{١٨٣} وتوضع اقتباسات عديدة من مصادر مدونة مع علامة «ا.هـ» أو «انتهى» وتظهر أوروبا ونفائسها قبل ظهور التبغ لديها ونقل المسلمين منها وهو ما قد حرّمه الأفغاني بفتواه الشهيرة لتحريمه لمقاطعة بضائع الأوربيين.^{١٨٤}

(ك) رسائل الرواس (١٢٨٧هـ)

(١) «بوارق الحقائق» (تجلي الأسرار الروحية من وراء حجب المشاهد القدسية)^{١٨٥}

وهي سياحة في مدن الشام والعراق والحجاز ومصر مهبط الأنبياء ومنبع الأولياء، وكشف الحجاب عن الأماكن التي تظهر فيها بوادر الحقائق وتتجلي الأسرار الروحية من وراء حجب المشاهد القدسية وهي الأضرحة والقباب وأنوار النبي تسطع في كل مكان. ولقبه

^{١٨٠} غاية الأمانى، ص ١١-١٣، ٤٥-٥٠، ١٠٧-١١٠، ١١٣-١٢٢.

^{١٨١} مثل فائدة من إملاء الولي، والطب النبوي دواء البياض والدمعة النازلة من العين، وخواص أسماء أهل الكهف، وبعض شروط الرياضة، ووصية في حقوق الأخوة، وفوائد النظر إلى البدر، وتخفيف سكرة الموت، وفائدة من دخل بلدًا ولم يعرف فيها أحدًا، والوصول إلى الكمال، وزيارة الشيخ ورؤيته، وأذكاره، وكتبه، ومشايخه، والترغيب في قيام الليل، وختم الولاية، وتحريم التبغ، وفصائل ليلة الجمعة، والأذكار روح الأعمال، وذكر أشياء لرؤية الرسول واستدعائه في النوم، وإهدائه الصلاة عليه، السابق، ٦٣-١٠١.

^{١٨٢} الأشعار (٣٢)، الحديث (٢٦)، الآيات (٣).

^{١٨٣} غاية الأمانى، ص ٣٧.

^{١٨٤} السابق، ص ٩٢.

^{١٨٥} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ.

سيد الوجود.^{١٨٦} والعنوان ضخّم وطويل ولكنه يكشف عن مضمونه. وهي قطعة من النثر الفني تجعلها بين التصوف والأدب. فهي تأملات حول المدن والأضرحة بداية بالنبوي ورؤيته في المنام، وعقد حوار مع الصوفية، وردود على مغالطات الشيطان.^{١٨٧} ومحمد هو كل شيء، وكل شيء محمد.^{١٨٨} تتضمن خطوطاً بلغة غريبة أقرب إلى السريانية حيث تظهر فيها كلمة محمد في أشكال متعددة.^{١٨٩} كما تتضمن خطابات ورسائل مدونة.^{١٩٠} وتُسمع أصوات مجهولة. وتقرأ ألفاظ كردية مثل «هيوها يا». ^{١٩١} وتُشفع به رسوم سحرية توضيحية.^{١٩٢} فهو كتاب صوفي ملغز، به بعض الشطحات يباع فيها المؤلف الأولياء بعبارة نمطية «بويعت في الحضرة» مع استبعاد أشياء أخرى «ما لا يلتفت إليه». ^{١٩٣} ويستمد كثير من الإسرائيليات واقتباسات من التوراة.^{١٩٤} محوره وليان أحمد الرفاعي وأحمد التجاني. وكلاهما أحمد باطن محمد، يعتمد على القرآن ثم الشعر ثم الحديث.^{١٩٥} ويقتبس كثيراً من أقوال الصوفية مع إبراز «فائدة»، «تحفة». ^{١٩٦} وينتهي بالإجازة للرواية.^{١٩٧}

^{١٨٦} واسم لادن دمشق، حمص، حماة، معرة النعمان، حلب، البيرة، الرها، ماردين، بغداد، طوس، سُرّ من رأى، مصر، المدينة ... إلخ، أنوار النبي، السابق، ص ٧٠-٧١.

^{١٨٧} بوارق الحقائق، ص ٧٧.

^{١٨٨} «وهي عبارة مشهورة لميشيل عفلق في خطابه الشهير في ذكرى المولد النبوي: لو كان محمد كل

العرب، فإن كل العرب محمد»، السابق، ص ٨٢.

^{١٨٩} بوارق الحقائق، ص ٩٢-٩٧.

^{١٩٠} السابق، ٩٢، ١٠٠.

^{١٩١} السابق، ص ١٠٦-١٠٧.

^{١٩٢} السابق، ص ١٢٣.

^{١٩٣} السابق، ص ١٢٥-١٩٠.

^{١٩٤} السابق، ص ٧٦.

^{١٩٥} الآيات (١٦٠)، الأشعار (١٤٢)، الأحاديث (٨٩).

^{١٩٦} فائدة (٣)، تحفة (١)، السابق، ص ٩٣، ١٩٠، ٢٤١.

^{١٩٧} مشايخ الطرق الصوفية يظهر أحمد الرفاعي (١٥)، الشبلي (٢)، أويس، أبو الدرداء، الحسن البصري، وكثير من الرفاعية، الرفاعي الإشبيلي، نور الدين الرفاعي، شمس الدين الرفاعي ... إلخ (١)، ومن الفقهاء ابن تيمية، ومحمد الغزالي، ومن الأنبياء عيسى. بوارق الحقائق، ص ٢٤٢-٢٤٤.

(٢) «الدرة البيضاء»^{١٩٨}

وهي رسالة تضم ثلاثة موضوعات، الله والرسول والأولياء:^{١٩٩} وتنتهي ببعض الوصايا والمواظب الأخلاقية.^{٢٠٠} وهي مفصلة إلى تسعة أبواب. وتطول عناوين بعضها في الرسول، مما يدل على غياب التصورات وحضور العبارة الشارحة.^{٢٠١} الغرض منها تجميع موضوعات عدة لطلاب الحق.^{٢٠٢} وتعتمد الرسالة على عديد من الآيات والأشعار والأحاديث يسبق الشعر فيها الحديث.^{٢٠٣} وهي إلهام من الرسول. ويتم فيها تقليص العلم والعلماء إلى العرفان والعارفين.^{٢٠٤} وتتنوع أشكالها الأدبية بين اللطيفة والإشارة الافتتاحية.^{٢٠٥} وتزداد الألقاب تعظيماً للشيخ الذي يصل إلى درجة التأليه.^{٢٠٦}

^{١٩٨} دار الكتب العلمية، بيروت.

^{١٩٩} التوحيد، ص ١٠٨-١١٦، الرسول، ص ١١٦-١٢٠ (٤)، الأولياء، ص ١٢٠-١٢٣ (١٣).

^{٢٠٠} رقائق الحكم، السابق، ص ١٣٣-١٣٦، (٤).

^{٢٠١} «باب في معرفة مقادير آل النبي وأصحابه الكرام، ووجوب محبتهم وحرمتهم ومحبة الصالحين والعارفين والعلماء العاملين والنظر إلى المسلمين بعين الرعاية والحرمة إجلالاً لشأن النبي، هذا مع الشفقة على خلق الله كلهم على اختلاف أجناسهم وأديانهم ومعارف ذواتهم»، الدرة البيضاء، ص ١١٨.

^{٢٠٢} «هذه رسالة مباركة سميتها «الدرة البيضاء»، جمعت والحمد لله لباب أسرار الشريعة السمحاء والطريقة الغراء، ينهج بها الصالحون ويهرع لها طلاب الحق المرضيون، ويصد عنها المخذلون. وما هي إلا آية حق، مقتبسة من كتاب الله وسنة رسول الله. خلصت نقية كاسمها. فاغتنمها أيها المحب اللبيب فإنها من لطائف النفحات النبوية ومن عوارف البركات المصطفوية. أمرني بكتابتها وإذاعتها ... حبيبي ﷺ. فهي منصوصة مخصصة، جملها جميلة، وكلماتها خلية، وبركاتها جزيلة، وسجلها كنز فضيلة. وها هي في مجلاها درة بيضاء ...» السابق، ص ١٠٧.

^{٢٠٣} الآيات (٢٧)، الأشعار (١٤)، الأحاديث (٧)، القدسية (١).

^{٢٠٤} الدرة البيضاء، ص ١٢٠.

^{٢٠٥} لطيفة تناسب هذه الجمل الشريفة، السابق، ص ١٢٧، فائدة، ص ١١٤، إشارة، ص ١٣٢، إشارة افتتاحية ١٢٩، تنمة لهذه الخاتمة المباركة، ص ١١٣.

^{٢٠٦} شيخ مشايخنا الجد الأمجد القوت المفرد مولانا السيد أحمد الكبير الرفاعي الحسيني رضي الله عنه وعنا به، السابق، ص ١١٣.

(ل) «قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر» للرفاعي (١٣٢٨هـ) ٢٠٧

وهي سيرة تجمع بين الفرد والجماعة، بين الشيخ «الرفاعي» والطريقة «الرفاعية». وهو مقسم أيضًا إلى عشرة أبواب تيمناً بالعشرة المبشرين بالجنة، الأول في نسبه الطاهر تعظيمًا له وإجلالاً ورفعًا إلى مستوى الأنبياء. والثاني ولادته وظهور النور كما حدث لمحمد والمسيح ولكل العظماء. والثالث أخلاقه ومواهبه وكأنه أكمل البشر بلا نقائص. والرابع كراماته العلية التي تعادل معجزات الأنبياء. والخامس عبوديته والتزامه وطاعته لدرجة الذل. والسادس كلماته الشريفة وأجوبتهم الصائبة مع أنها اجتهد يخطئ ويصيب. والسابع أدعيته وصلواته لحصول الفرج وحل العقد ودفع الضرر ورفع الكرب حين العجز الفعلي عن تحقيق ذلك في الواقع فيتحقق في الوهم والخيال. والثامن مشايخه وآداب طريقته وتربيته رضوان الله عليه، وكأنه من المبشرين بالجنة. والتاسع أعيان ذريته وأصحابه مع أن النبوة لا تورث ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾. والعاشر بركة التشبث بأذنيه مع أن التقليد لا يجوز، وليس مصدرًا من مصادر العلم. ثم يذكر أصحابه من أكابر القوم والأعيان وأشياخ الطريق وأهل العرفان وأشياخ الفرقة وقادة وسادة فرسان الحنفية. ومنهم القطب الغوث وحامل لواء المعاني، وقائد ركب الأعمالي الواقف منذ المنهاج الحقيقي^{٢٠٨}. وقبل ذلك المقدمة. وينتهي الكتاب بثلاث قصائد للتوكل على الله ومدح الرسول ومدح الرفاعي صاحب المناقب والكرامات.

ويعتمد على الأشعار أولاً ثم الآيات ثانياً ثم الحديث ثالثاً^{٢٠٩}. وكثرة الاعتماد على الشعر في المناقب طبيعي؛ فكلاهما مدح مع أن «المدح هو الذبح». والخاتمة شعر^{٢١٠}. وتأتي الأبيات في زخات متتالية حتى يبدو الكتاب وكأنه مجموعة من القصائد^{٢١١}. وأحاديث الرسول رؤى في المنام تتجاوز منطق الرواية، التواتر والآحاد^{٢١٢} وينتهي

^{٢٠٧} دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م/١٤٢٠هـ.

^{٢٠٨} مثل أبو سليمان داود بن نصير الطائي الكوفي، أبو محمد محيي الدين عبد القادر، الحسيني

الجيلاني، إبراهيم الدسوقي، السابق، ص ٤٨٨-٤٧٦.

^{٢٠٩} الأشعار (٢٧٥)، الآيات (٩١)، الأحاديث (٨١).

^{٢١٠} قلادة الجواهر، ص ٤٧٠-٤٧٦.

^{٢١١} السابق، ص ١٢٧-٢٤١.

^{٢١٢} السابق، ص ٣٥.

النسب إلى الرسول. فكل الأولياء أشراف. ومن ثم لا يمكن تناول الولي بالنقد. يحاط بهالة من التقديس. وتجب له الطاعة. فطاعته من طاعة الرسول. وإذا كان المجتمع كله يقوم على الطاعة. فلا فرق بين طاعة السلطة الدينية وطاعة السلطة السياسية.^{٢١٣} وفن السيرة للأولياء مشتق من سيرة الرسول في علم السيرة. وكلام الولي أشبه بكلام الرسول. ورواياته أشبه بروايات الرسول. وكراماته مثل معجزات الرسول، بل تتم مطابقة أقوال الرفاعي مع أقوال الرسول لبيان مدى قربهما لأنهما من مصدر واحد، لا فرق بين إلهام الولي ووحى النبي. ومعظمها روايات شفاهية تسمح بسرchan الخيال مثل روايات الكتب المقدسة.^{٢١٤} لذلك تظهر بعض الإسرائيليات وروايات موسى وعيسى. وتتضمن كثير من الروايات حكايات عن الكرامات، السيطرة على مظاهر الطبيعة، والقدرة على فهم لغة الحيوانات أشبه بقصص الأطفال.^{٢١٥} وتعتمد على بعض المصادر المدونة مثل «جلاء الصدر».^{٢١٦} ويؤخذ منها كثير من الاقتباسات وفي نهايتها علامة «ا.هـ» أي انتهى.^{٢١٧} ويشد الانتباه نحو موضوعات معينة يشار إليها بلفظ «تنبيه».

(م) «جامع كرامات الأولياء» للنبهاني (١٣٥٠هـ)^{٢١٨}

وهو عود إلى الوعي التاريخي عن طريق أسماء الأعلام من منظور الكرامات، كما يدل على ذلك العنوان، وطبقاً للترتيب الأبجدي وليس لأنواع الكرامات الطبيعية، الجماد والحيوان، أو الإنسانية، الحياة والموت والرزق. ويتكرر الاسم مرة بالكنية أو اسم العائلة، ومرة بالاسم الشخصي فيحال إلى اسم العائلة.^{٢١٩} ويتم التوحيد بين الصوفية والأولياء أصحاب الكرامات، ودون طبقات أي عصور متتالية أسوة بالسابقين المتقدمين مثل أبي نعيم والمتأخرين مثل المناوي. وداخل الحرف يتم الترتيب طبقاً للعصور.

^{٢١٣} السابق، ص ١٦.

^{٢١٤} السابق، ص ٢١٠-٢١١.

^{٢١٥} السابق، ص ١٣٨.

^{٢١٦} قلادة الجوهر، ص ٢١.

^{٢١٧} حوالي ٣٥ اقتباساً.

^{٢١٨} المكتبة التوفيقية، القاهرة، (د.ت)، (جزءان).

^{٢١٩} تم ذلك في أكثر من ستين اسماً.

ومع ذلك يبدأ بالصحابة، الأولياء أصحاب الكرامات الأوائل.^{٢٢٠} ويضم الصحابة الخلفاء الاربعة، وذرية علي والفقهاء والقادة، ثم يثني بكرامات من يبدأ اسمه بمحمد تيمناً باسم الرسول.^{٢٢١} ثم تبدأ الحروف الأبجدية بعد ذلك. أكبرها الألف اسماً حتمياً حتى الثاء، ثم ابتداء من الجيم حتى الياء مجرد حروف دون أسماء. وكثير منهم غير معروفين. والمشهورون قليلون. وعددهم بالآلاف. وهل الكرامات شائعة إلى هذا الحد؟ بل إن الفقهاء كأحمد والشافعي أصحاب كرامات.^{٢٢٢} بل إن أم أحمد الداية صاحبة كرامة في التوليد.^{٢٢٣} ويختلفون فيما بينهم من حيث الكم وتوفر المادة التاريخية.^{٢٢٤} ويضم الأولياء عدداً من النساء فالولاية ليست خطراً على الرجال.^{٢٢٥} والنجاشي من الأولياء سواء كان أسلم أم ناصر المسلمين وبقي على نصرانيته.^{٢٢٦} فالكل له كرامات. ومن ليس له كرامات؟ وأحياناً تأتي بعض الاستطرادات في نهاية بعض أسماء الأعلام وهم قلة مثل الشافعي والغزالي، الشافعي دفاعاً عن مذهبه ضد فتاوى ابن الصلاح بتكفير العالم كله باستثناء أهل السلف، والغزالي فيما يتعلق بالقصيدة

٢٢٠ «هذه كرامات أربعة وخمسين ولياً من أصحاب رسول الله مرتبين على الحروف»، جامع كرامات، ص ١٢٩-١٦٦.

٢٢١ وهم ٢٤٥ ولياً، ذكر كرامات من اسمه محمد من الأولياء، السابق، ص ١٦٦-٣٨٦.

٢٢٢ مجموع عدد الأولياء، ج ١، ٦٤٦، ج ٢ ٧١٣ = ١٣٥٩ ولياً.

٢٢٣ وهم: السيدة زينب، أم كلثوم، أم أيمن، الزنيرة، أم شريك، الدوسية، الفريرة الأنصارية، آمنة بنت موسى الكاظم، آمنة الرملية، أم أحمد القابلة، أم ربيع الزبيدة، أم سطل السعيدة الشريفة العابدة الزاهدة، السابق، ص ١٦٦-١٦٤، ٣٨٦، ٦٠٢-٦٠٤. رابعة العدوية، رابعة بنت إسماعيل، رؤية بنت الشيخ داود العمادي، زهراء الوالدة، شعوانة، عائشة بنت أبي عثمان النيسابوري، عائشة بنت عبد الله البكرية، عروس الصحراء، فاطمة النيسابورية، فاطمة العينية ابنة قاسم الطيب بن محمد المأمون بن جعفر الصادق، فاطمة بنت عباس، السيدة مريم بنت عبد الله بن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن القاسم المرسي بن طباطبا، نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، السابق، ص ٧٥، ٨٠، ٨٧، ١٢٤، ٣٢٠، ٤٦١-٤٦٣، ٤٥١، ٥٤٤ (٢٣ ولية).

٢٢٤ علي العمري (٢٤)، عبد العزيز الدباغ (١٢)، النقشبندي (١٣)، ابن عربي، مصطفى البكري (١٢)،

الموصلي (١٠)، الشعرائي (٩)، السابق، ج ١، ٤٨٣، ١٦٨-١٧٠.

٢٢٥ السابق، ج ١، ٦٠٢.

٢٢٦ السابق، ج ١، ١٤٦.

المنفرجة.^{٢٢٧} وهو ما يكسر حدة الملل وتكرار أسماء الأعلام. ويزداد عدد الأولياء بتقديم الزمان. فكلما ضعفت الأمة وانهار التاريخ زاد عدد الأولياء كرد فعل من النصر الروحي على الضعف الجسدي. وتظهر ألقاب الأولياء مثل «المجذوب» ومعظمهم عرب وأقلهم ترك وفرس.

والمنهج المتبع في جمع الكرامات هو المصادر المدونة أو الروايات الشفاهية. ويذكر النبهاني في المقدمة أسماء الكتب التي نقل منها، حوالي واحد وأربعين كتاباً.^{٢٢٨} وتسند كل كرامة لصاحبها إن كان معلوماً وهو الأكثر، أو إلى راويها إن كان مجهولاً وهو الأقل أو إلى المشاهدة العيانية المباشرة.^{٢٢٩} والقصد منها إثبات صحة هذا الدين.^{٢٣٠} فكرامات الأولياء من معجزات الأنبياء في حين أن الإسلام صادق بتصوره للعالم، العقيدة، وبنظامه الاجتماعي، الشريعة، وهناك كرامات مجهولة ليس لها أصحاب معظمها مستمد من القشيري وهي من نسج الخيال الشعبي كما هو الحال في الأمثال العامة التي لا يعرف قائلها.^{٢٣١}

وتعتمد كرامات الأولياء على عدد من الآيات والأحاديث والأشعار.^{٢٣٢} معظمها في المقدمة النظرية الأولى. وقليل منها يدخل في رسم شخصيات الأعلام. فكثرت في أولياء الصحابة وتقل تدريجياً كلما بعد الزمن. ثم يظهر الرسول يغير ذلك في المنام لاستئناف الحديث في العصور المتأخرة التي يشتد فيها الضنك، وينشط الخيال. ومما يدل على صعوبة التمييز بين معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء إيراد مائة حديث عن معجزات الرسول كدلائل على نبوته لا تستوي كلها في درجة اليقين لأنها بين الصحيح والحسن، أقل

^{٢٢٧} فائدة مهمة تتعلق بمذهب الشافعي، السابق، ج ١، ١٧١-١٦٨، مبشرة تتعلق بالقصيدة المنفرجة للإمام الغزالي، السابق، ج ١، ١٨٨-١٨٤.

^{٢٢٨} جامع كرامات ج ١، ٩-١١.

^{٢٢٩} «وأسند كل كرامة إلى صاحبها إن كان معلوماً، وهو الغالب، أو إلى راويها إن كان الولي مجهول الاسم، وهو قليل، وعزوت كل واحدة منها إلى الكتاب الذي نقلتها منه، سوى ما شاهده أو حدثني به من شاهده»، السابق، ج ١، ١٠.

^{٢٣٠} السابق، ج ١، ١٣.

^{٢٣١} السابق، ج ٢، ٥٧٤-٥٧٦.

^{٢٣٢} الآيات (١٩٢)، الأحاديث (١٦٠)، الأشعار (٧١).

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

من ذلك أو أكثر.^{٢٣٣} معظمها روايات وحكايات عن الآخرين وطبقاً لرؤاهم وإدراكاتهم للرسول بين التبجيل والتعظيم والتي تصل إلى حد التقديس. وإن كانت روايات أقوال فإنها تكون قصيرة. ويتحول الحديث أحياناً إلى حكاية قصيرة أو إلى قصة طويلة تتدخل فيها ملائكة وأصوات مجهولة كما هو الحال في روايات الأنجيل. والكرامة تحقيق للآية وتصديق للحديث. تقع الكرامة إثباتاً بصحة الدين وصدق الرسول.^{٢٣٤}

وهناك مقدمة نظرية لإثبات كرامات الأولياء ضد المنكرين لها من المعتزلة باستثناء الحسن البصري وصاحبه محمود الخوارزمي.^{٢٣٥} والأدلة نقلية في معظمها، بل إن الأدلة العقلية هي أدلة نقلية.^{٢٣٦} وهي ليست أدلة لإثبات افتراض بل لإيجاد شرعية للاعتقاد بالكرامات سلفاً. فهي أدلة تشريعية وليست أدلة برهانية. وتفسر آيات «الولاية» في القرآن بأنها الولاية الصوفية كما تفسرها الجماعات الإسلامية الحالية على أنها أعضاؤهم في خلاياهم الذين لا يحتاجون إلى دفاع لأن ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾. الولي ليس فقط اشتقاقاً لغوياً بل هو الذي يظهر عليه الفعل الخارق للعادة لإثبات أو دون إثبات دعوى. والدعوى إما أن تكون إلهية أو نبوية أو ولايتية أو سحرية من الشيطان. وتظهر الكرامة دون دعوى على أيدي الأولياء الصالحين. وهي مشروطة بطاعة الله وإلا فهو الاستدراج. ومعظم الأحاديث روايات لا أفعال، وحكايات لا أقوال. وبعضها أحاديث قدسية بها كثير من الخيال وعنصر التشويق والإخراج المسرحي والفن القصصي.

ولا يعني إنكار الكرامة أي نيل من قدرة الله أو عظمة الإيمان. فقدرة الله في الخلق العام وليست في خلق الأفعال. والإيمان يتجلى في السيطرة على قوانين الطبيعة بعد اكتشافها. وما يؤكده العرف من القيام بأفعال تفوق الطاقة مخالفة لقاعدة شرعية وهو عدم جواز تكليف ما لا يطاق. والطاقة بلا حدود. قد تأتي بأفعال غير متوقعة كما

^{٢٣٣} «مائة حديث عن معجزاته، دلائل نبوته فيما بين صحيح وحسن. وأكثرها من الصحاح»، جامع

كرامات، ج ١، ص ١٠٠-١٢٩.

^{٢٣٤} السابق، ج ١، ص ٧٥.

^{٢٣٥} «المطلب الأول في إثبات كرامات الأولياء»، جامع كرامات، ج ١، ص ١٥-٢٦.

^{٢٣٦} السابق، ص ٢٠-٢٣.

هو الحال في الحروب والقدرة على تجاوز العقبات. والكرامة ليست فقط فعل الروح. فالروح لا تفعل إلا من خلال البدن وفي عالم يخضع لقوانين طبيعية. وتظل الشبهات لإنكار الكرامة قائمة وهي أن المعجزة دليل على النبوة وليست الكرامة دليلاً على الولاية. ولا دليل عليها، ولا يمكن اختصارها على البعض دون البعض الآخر.

والتمييز بين الكرامة والاستدراج لا يؤدي إلى إثبات الكرامة بل إلى نفيها نظراً لأنها يمكن أن تكون استدراجاً أي تحايلاً، والله يستدرج كما يستدرج الولي المحتال ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾. الله يمكر ويخادع ويملي، ويأخذ بغتة. ولا يوجد دليل قاطع على الكرامة. فالفرق دقيق بين الاستحقاق والغرور. والكرامة مغايرة للحق وكذلك الفرع بها. والغرور جهل حتى وإن كان الغرض من الكرامة إثبات التواضع وخدمة الناس. والشيطان قادر على إظهار الأفعال الخارقة للعادة. يستغني عنها الكريم دون افتخار. وليست من صفات الأنبياء وحب الأولياء لذواتهم وليس لكراماتهم. والتقوى أساس الأفعال وليست القدرة على فعل خوارق العادات.^{٢٣٧} وكما أن من شرط الصوفي ألا يعرف الناس أنه صوفي كذلك شروط الولي ألا يعرف الناس عنه أنه ولي.^{٢٣٨} والكرامة تظهر الولاية. وظهور الولاية يبطلها. الولاية اختيار من الله وليست كسباً للعبد. يعرفه الآخرون ولا يعرف هو نفسه. وشيوع الكرامة ليس دليلاً على إثباتها. فالشيوع مثل الشهرة في الحديث لا يعطي خبراً يقينياً بل يخضع للخيال الشعبي وقوانين تمدد الرواية في القصص الشعبي، وهي جزء من الفن القصصي في القرآن في الماضي وليس في الحاضر مثل قصص الأنبياء وأهل الكهف وغيرها.

والكرامات على أنواع. وهي أساس تصنيف الأولياء، وليست الحروف الأبجدية. منها ما يتعلق بالموت والحياة مثل إحياء الموتى كما فعل السيد المسيح، وكلامهم وهو ما لم ترد به رواية أو يشاهده أحد. ومنها انقلاب الأعيان، وانقلاب البحر وانزواء الأرض وقوانين الطبيعة ثابتة ومطرودة. ومنها كلام الجماد والحيوان وهو موضوع لعلم اللغة باعتباره علم الإشارة، ولكل لغته، الطير والحيوان والنبات والجماد ذرات حية. ومنها إبراء العلل وهو ما يخضع لعلم الطب النبوي وعلم الطب النفسي. وطاعة

^{٢٣٧} السابق، ج ١، ٢٥-٢٩.

^{٢٣٨} «مسألة في أن الولي هل يعرف كونه ولياً»، السابق، ج ١، ٢٩-٥١.

الحيوانات، وطى الزمان ونشره، واستجابة الدعاء والإخبار عن الغيب، والتصريف، والقدرة على الصبر عن الغذاء أو الإكثار منه، ورؤية المكان البعيد ... إلخ.^{٢٣٩} كل ذلك قدرة على الرؤية والتأثير والتبصر والاحتواء والتحكم في النفس. أما إمساك اللسان وتأليف القلوب، والهيبة والأمان فإنها ثقة بالنفس وقدرة على التعامل مع الآخر.^{٢٤٠}

والكرامات نتائج الطاعات. ولا تكون الطاعات للجوارح، بل للقلوب والأفعال.^{٢٤١} فالجوارح لا تعقل. وهي موجهة بالإرادة والقصد. طاعة العين والأذن واللسان واليد والبطن والفرج والقدم من طاعة القلب. والكرامة المعنوية هي القدرة على التأثير على الآخرين وفرض احترام الذات وهيبتها عليهم وأثرها على مسار الحوادث. وللأولياء طبقات أي مكانات ومراتب:^{٢٤٢} الأقطاب، الأئمة، الأوتاد، الأبدال، النقباء، النجباء، الحواريون، الرجبون، والختم، ... إلخ، ولكل وظيفة معرفية. وهناك أيضاً مجموعات على قلوب الأنبياء: نوح، الخليل، داود. والملائكة: جبريل، ميكائيل، إسرافيل. ومنهم مجموعات أخرى مثل رجال الغيب والظاهرون بأمر الله، ورجال الجنان والعطف الإلهي ومنهم نفوس في كل مكان مجموعات أو أفراد.^{٢٤٣} والدلالة العامة هو خلق أفراد متميزين لقيادة العمل الروحي وللعيش في مجتمع مثالي بديل عن المجتمع

^{٢٣٩} «المطلب الثاني: في أنواع الكرامات»، السابق، ج ١، ٦٣-٥١.

^{٢٤٠} يذكر النبهاني خمسة وعشرين نوعاً من مائة نوع، السابق، ص ٥٥-٦٣.

^{٢٤١} المطلب الثالث: «في أن الكرامات هي نتائج الطاعات، ولا بد أن تكون بينها وبين الأعضاء المطيعة التي تصدر عنها مناسبات»، السابق، ص ٧١-٩٣.

^{٢٤٢} المطلب الرابع في طبقات الأولياء ومراتبهم وأصنافهم»، جامع كرامات، ص ٧١-٨٣.

^{٢٤٣} «أربعة أنفس في كل زمان، وأربعة وعشرون نفساً في كل زمان، هم رجال الفتح، أنفس في كل زمان، واحد وعشرون نفساً وهم رجال الفتح وسبعة أنفس في كل زمان، واحد وعشرون نفساً وهم رجال التحت الأسفل، وثلاثة أنفس إلهيون رحمانيون في كل زمان. منهم رجلان هما رجال الغني بالله، ورجال عين التحكيم والزوائد، ومنهم اثنا عشر نفساً بدلاء وليسوا كذلك، وخمسة أنفس رجال الاشتياق، من ملوك أهل طريق الله، وستة أنفس في كل زمان. ومنهم رجل واحد أو امرأة في كل زمان، ورجل واحد مركب في كل زمان، ورجل أو امرأة له رقائق ممتدة إلى جميع العالم، ورجل واحد هو سقيط الرفرف أو ساقط العرش، وشخص واحد يتكرر بقلبه في كل نفس.»

الواقعي. وهناك مجموعات أخرى لا يحصرها عدد.^{٢٤٤} وهناك أيضاً أهل الولاية من البشر.^{٢٤٥}

(ن) «بيت السادة الوفائية بالديار المصرية» لتوفيق البكري (١٣٥١هـ)^{٢٤٦}

وهو كتاب في الطريقة، السادة الوفائية، أنسابها وتراجمها، وزواياها وبيوتها وكنياتها واختصاصاتها. وكلهم أصحاب مناقب وكرامات. يشوبهم التعظيم والإجلال والتقديس. ويتوارث الشيخ، أباً عن جد، وابناً عن أب حتى تبقى السلطة المشيخية في الأسرة الواحدة كما هو الحال في أنظمة الحكم الوراثية. والسؤال إذا كان في الأمة كل هؤلاء الأولياء القادرين على صنع المعجزات فلماذا انهارت الأمة، وعجزت عن المقاومة، واحتلت أراضيها وتخلفت وتجزأت وقوع عليها القهر والتسلط من الداخل والخارج؟ ولا يذكر أحدًا إلا الشيخ حسن العطار، له بنية ممكنة. فهو مقسم إلى ثلاثة أبواب: الإنسان، والتراجم، والوظائف والزوايا والمواسم.^{٢٤٧} وتعتمد على الشعر ثم القرآن ثم الحديث.^{٢٤٨} فالشعر أقرب إلى المدح والقرآن أقرب إلى النقد، والحديث أقرب إلى التوجيه.

^{٢٤٤} مثل الملامتية، والفقراء، والصوفية، والعباد، والزهاد، ورجال الماء الذين يعبدون الله في قصور البحار، والأفراد وهم المقربون بلسان الشرع، والأمناء، والقراء، والأحباب، والمحدثون مثل عمر بن الخطاب، والأجلاء مثل إبراهيم، والسمراء وهم الذين يחדثون الله والورثة، السابق، ج ١، ٨٣-٨٩.

^{٢٤٥} وهم الأنبياء. فأصبحت النبوة فرعاً من الولاية، والرسول، والصدّيقون، والشهداء، والصالحون، والمسلمون، والمسلمات، أي الأمة كلها، والمؤمنون، والمؤمنات، والتائبون، والتائبات، والصادقون، والصادقات، والصابرون، والصابرات، الخاشعون، والخاشعات، والمتصدقون، والمتصدقات، والصائمون، والصائمات، والحافظون لحدود الله والحافظات، والذاكرون لله كثيراً والذاكرات، والتائبون، والتوابون، والتائبات، والمتطهرون، والمتطهرات، والحامدون، والحامدات، والسائمون، وهم المجاهدون في سبيل الله، والسائمات، والراكعون والراكعات، والساجدون والساجدات، والحلماء، والأواهون، والأجناد الإلهيون وهم الذين لهم غلبة على الأعداء، والأخيار، والأوابون والمنبتون وهم المطمئنون، والمنيبون، والمبصرون، والمهاجرون، والمشفقون، والموفون بعهد الله، والواصلون ما أمر الله به أن يوصل، والخائفون، والكرماء، كل ذلك رجالاً ونساء، السابق ص ٨٩-٩٩.

^{٢٤٦} دار الكتب العلمية، بيروت (١)، ص ٧-٨٠.

^{٢٤٧} السابق، ص ٧.

^{٢٤٨} الأشعار (٤١)، الآيات (١٧)، الأحاديث (١٤).

(ق) «لوامع الأنوار وروض الأزهار في الرد على من أنكر على المتكلمين بالسنة الأحوال والأسرار» لعبد الحافظ بن علي الأزهري (١٣٠٣هـ) ^{٢٤٩}

وهو كتاب للدفاع عن الأحوال والأسرار بما في ذلك المناقب والكرامات والشطحات ضد المنكرين لها من الفقهاء. والعنوان طويل ولكنه كاشف عن مضمونه السجالي. والمؤلف مالكي المذهب خلوتي الطريقة، راجي عفو ربه. سبب التأليف الدفاع عن الأحوال. فعند ذكر السماع وصفاء الوقت، تهب عليهم رياح روحانية وتنهار منهم فيوضات، طرب ونشوة من القرب من الله، ورقص وتمايل وشق ثياب، وصياح ولسان أعجمي. فيحكم أهل الظاهر بأنها بدع خارجة على الإسلام. ^{٢٥٠} تعتمد على كثير من نقول الغير خاصة لوائح الأنوار؟ للشعراني، وهو مملوء بأسماء المشايخ وأصحاب الكرامات بالمئات. كما يعتمد على القرآن والشعر والحديث ^{٢٥١} والخطاب موجه إلى القارئ ويذكر الكثير من أعلام الصوفية. ^{٢٥٢}

^{٢٤٩} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م.

^{٢٥٠} «تكرر على المرة بعد المرة والكرة بعد الكرة، وفي مدة مديدة وأعوام عديدة من جم عمير وجمع كثير من الفقهاء أرباب الأحوال أجزاء الله لي ولهم الفضل والنوال، أنهم عند الذكر والسماع وطيب الوقت وصفائه من النزاع تهب عليهم نسيمات رجائية، وجذبات ربانية، وفيوضات وإفارة، وسطوات عز باهرة، وسكر من صافي الشراب، وطرب من شهود نور الاقتراب، وحال من الله غالب لا دافع له ولا مغال، فتارة يرهصون ويتميلون، وتارة يشقون الثياب، ويصيحون، وتارة يتكلمون بلسان الحال المفاض عليهم من ساحة الجود والفضل، وتارة يقع منهم غير ذلك مما لا يحيط بكنهه إلا السيد المالك، فيراهم الأغبياء الجاهل، وهم على هذه الصفات والأحوال فيعترضون على أحوالهم، ويحوضون بجهلهم في مقالهم، ويمزقون أعراضهم كل التمزيق، ليس لهم من يرد عنهم من حميم ولا صديق. فتارة يرمونهم بالفجور والزور والكذب والبهتان، وتارة يرمونهم بالجنون والمجون والسفه واركتاب المحرم وعدم الإيمان، وتارة يتوعدونهم بضرب النعال. ويقولون لهم من أين لكم هذا اللسان وعمن أخذتموه، وهل لكم عليه دليل؟ فطلبوا مني هؤلاء أن أجعل لهم رسالة في شأن ذلك لتكون عوناً لهم على رد هؤلاء الخائضين في تلك المهالك...»، السابق، ص ٦.

^{٢٥١} (١) الآيات (٦٠)، الشعر (٥٠)، الحديث (١٦)، القدسي (١).

^{٢٥٢} مثل: ابن عربي، ابن الفارض، الغزالي، الحلاج، الشعراني، الشاذلي، أحمد الرفاعي، ذو النون، الخراز، سمنون، البسطامي، الجيلي، الشبلي، التستري، الجنيد، أبو طالب المكي، إبراهيم الدسوقي، محمد وفا، رابعة، يحيى بن معاذ، الحسن البصري ... إلخ. ومن الفقهاء الأئمة الأربعة، والسبكي، والناقلي، والجويني، والسيوطي.

بعض الأبواب والفصول لها عناوين، والبعض الآخر خلو منها. ومع ذلك الكتاب ذو بنية محكمة خمسة أبواب، في كل باب من البابين الأولين ثلاثة فصول. وفي الباب الثالث فصل واحد. وفي الرابع أربعة. وفي الخامس ستة. كل الأبواب والفصول تسير نحو هدف واحد، الدفاع عن الأحوال والأسرار لدى أهل الجذب والمناقب والكرامة. فالباب الأول عرض لهذه الأحوال التي لم يفهمها أهل الظاهر.^{٢٥٣} يتم عرض هذه الأحوال وإثبات شرعيتها.^{٢٥٤} عليهم الستر من الله وحمايتهم من أعدائهم.^{٢٥٥} من الناس من رماهم بالكفر والسحر والإلحاد والزندقة.^{٢٥٦} وفي الباب الثاني تثبت الأحوال والرد على منكريها.^{٢٥٧} واعتبار الجهل وعدم التمييز بين الحال والمقام هو السبب.^{٢٥٨} ومن ثم لا يعتد بأقوالهم وظنونهم.^{٢٥٩} والحال له أهله من الصديقين وليس من الجاهلين.^{٢٦٠}

^{٢٥٣} الباب الأول: «في بيان أحوال الأخيار وما وقع لهم من المنكرين الأشرار الذين سد عليهم الجهل والحقد والحسد باب الإنصاف، وأفضى بهم الله إلى التعصب والجور الاعتساف»، لوامع الأنوار، ص ٨-٢٧. ^{٢٥٤} الفصل الأول: «في ذكر أقوال وأحوال السادة الأقدمين الذين جعلهم الله رحمة للأمة، وهداة للعالمين، بها يتبين صدق أحوال المحبين المحبوبين، ويتضح بها فساد أقوال الجهلة المحبوبين، وتحصل لهم الرهبة والارتداع والانزجار، وللمحبين الرغبة والاتباع والتأسي بمن سبق قبلهم من الأخيار»، السابق، ص ٨-١٤.

^{٢٥٥} الفصل الثاني: «في بيان ستر الله تعالى لأوليائه عن غالب خلقه لجلالتهم عنده ولرحمته بعباده، إذا لو كانوا ظاهرين فيما بينهم وآذاهم إنسان لكان قد بارز الله بالمحاربة فيهلكه»، السابق، ص ١٥-١٨. ^{٢٥٦} الفصل الثالث: «في ذكر من رمي من أكابر هذه الطائفة بالكفر والسحر والإلحاد والزندقة، وما دفع لهم من الفتن والمحن وغير ذلك»، السابق، ص ١٩-٢٧.

^{٢٥٧} الباب الثاني: «في إثبات الحال والرد على منكريه. وفي بيان ما تشيره الأحوال من البكاء والصيام والاعتزاز والرقص وشق الثياب والتحكم بلسان الحال من سريرية أو غيرها من السنة الأعاجم»، السابق، ص ٢٨-٧٩.

^{٢٥٨} الفصل الأول: «في بيان الحال والمنام، وفي أرباب الأحوال والمنكرين عليهم الذين كان سبب إنكارهم الجهل وعدم التفرقة بين الحال والمقام»، السابق، ص ٢٨-٤٠.

^{٢٥٩} الفصل الثاني: «لا تغتر بما تقوله الجهلة المبطلون الذين قست قلوبهم، وفشت عيوبهم، وسارت منهم الظنون، وكثرت جرائمهم، وانحلت عزائمهم، وبطل ما كانوا يعملون، وحكموا بما تهووا أنفسهم من الزور والبهتان وتشاغلو بما لا يجدي إلا الخزي والحرمان...»، السابق، ص ٤١-٥٥.

^{٢٦٠} الفصل الثالث: «في الكلام على لسان الحال وفي من تكلم به من الرجال، وفي الرد من الصديقين، والإبطال على من أنكره من المتمردين الحسدة والفجرة الجاهلين الذين كذبوا بما لم يحيطوا به علماً

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

تم يأتي في الباب الثالث في السماع.^{٢٦١} والرابع في المحبة والشوق والعشق وال جذب.^{٢٦٢} والخامس في الخلوة بشرط آدابها.^{٢٦٣} وأدلتها في الكتاب والسنة، والخواطر التي ترد على القلب، وفائدتها من واقعات ومشاهدات وتجليات ومكاشفات ووصول. وكلها حكايات عن الجن والمناقب والكرامات.

(٤) الطريقة

ونظراً لطول فترة التصوف العملي من القرن التاسع حتى القرن الرابع عشر حوالي سبعة قرون فإنه يمكن التفكير في مرحلة رابعة مستقلة للتصوف تاريخياً وبنية.^{٢٦٤} والتصوف العملي رد فعل على التصوف النظري، وعود من الفلسفة إلى الأخلاق، ومن أعمال القلوب إلى أعمال الجوارح، ومن التأملات الفردية إلى الممارسات الجماعية، لخلق مجتمع مثالي جديد بديلاً عن المجتمعات المعاصرة، وكما تفعل الجماعات الإسلامية الحالية طبقاً لمبدأ «المفاصلة».

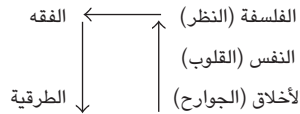
وتتنوع مؤلفات التصوف العملي بين ثلاثة اتجاهات: الأول وصف الطريق وصفا نظرياً قبل أن يتحول إلى طريقة عملية. والثاني الطرق الصوفية، مشايخها وتلاميذها، والثالث آداب الشيخ والمريد، والعلم والمتعلم.

وخاضوا فيما لا يعنيه طغياناً وظلماً، وخلطوا الحق بالباطل، وباءوا بحرمانه يقيناً لا شكاً ولا همّاً... السابق ٥٦-٧٩.

٢٦١ السابق، ص ٨٠-٨٨.

٢٦٢ السابق، ص ٨٩-١١١.

٢٦٣ السابق، ص ١١١-١٧٢.



٢٦٤ الفلسفة (النظر) النفوس (القلوب) الأخلاق (الجوارح) الفقه الطريقة.

(١) «كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب» للعياشي سكيرج القاضي (القرن الرابع عشر)^{٢٦٥}

إذا كانت المناقب والكرامات للأفراد أي مشايخ الطرق أو للجماعات أي الأصحاب والطريقة والأماكن الطاهرة والمدن المكرمة والبقاع الشريفة مثل مكة والمدينة مهبط الأنبياء، وللعبادات والشعائر بمعنى فضائل الصلاة والصوم والزكاة والحج ... إلخ، فهذا نموذج طبقات الأصحاب، مائتان وخمسة عشر صاحباً للتجاني، بالإضافة إلى اثنين وخمسين، مجرد ذكر لأسمائهم لغياب المعلومات التي تسمح بالكتابة عنهم. فالكتابة تجميع لمعلومات قديمة وليست بحثاً عن معلومات جديدة كما تفتضيه مناهج البحث العلمي، ومنها بعض الإملاءات المباشرة من أصحاب الشيخ بعد وفاته بقرن من الزمان تقريباً.^{٢٦٦}

والتبويب طبقاً لأسماء الأعلام وليس الموضوعات كما هو الحال في كتب الطبقات. ولولا أنهم من طريقة واحدة حول شيخ واحد لكان أدخل في «العود إلى التاريخ»، أول بعد في الوعي العملي. وتختلف كم الكتابة عن كل علم من واحد إلى خمسين ضعفاً.^{٢٦٧} ويذكر الشيخ، أبنائه ومشايخه وتلاميذه أي محيطه في القرابة والعلم، وتسعة منهم استطراداً.^{٢٦٨} ومنهم سيدتان.^{٢٦٩} ويذكر لكل علم حياته، مولده ووفاته، كراماته ومناقبه، نسبه، أخوه وابن عمه، وابواه وأبنائه وأعمامه. لكل ألقاب، بل وأكثر من لقب، والقاسم المشترك هو «سيدي» ثم «السيد» بالرغم من قول الرسول «لا تسيدوني» على شخصه فما بال الأشايخ؟ ثم يأتي لقب «الحاج» وهو ختم النسر للولاية، ثم «الفقيه»، لبيان عدم التعارض بين الفقه والتصوف، ثم المقدم؟ وهي رتبة في الجيش والشرطة أيضاً فلا فرق بين مشايخ الصوفية وعسكر السلطان، بين مدح شيخ الطريقة، ومدح السلطان، ولقب «سيدي» شائع في المغرب العربي، «سيدي على»، «سيدي حرازم» منابع مياه

^{٢٦٥} دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م/١٤٢٠هـ.

^{٢٦٦} تمتد هذه الإملاءات من ١٣٠٦ حتى ١٣٢٤. وقد توفي التجاني في ١٢٣٠هـ.

^{٢٦٧} أكبرهم الخليفة الأكبر سيدي الحاج علي حرازم برادة (٢٢). وأصغرهم سيدي مسعود بن قوتية، وخمسة وخمسون آخرون (أقل من صفحة واحدة).

^{٢٦٨} كشف الحجاب، ص ١٥٢-١٦٣، ١٦٧-١٧٠، ٢٠٠-٢٠٢، ٢٣٦-١٤٨، ٢٥٢-٢٥٨.

^{٢٦٩} هي السيدة صفية لبادة، لالة منانة، السابق، ٣٨٢-٣٨٣، ١٤٤.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

وأضرحة أولياء مثل «كفر» في فلسطين، و«الأبو» في مصر. وقد أخذ مؤسس الطريقة التجاني أكبر قدر ممكن من ألقاب التعظيم.^{٢٧٠} ومن ألقاب الرسول «سيد الوجود»، ولا فرق في المديح بين الثناء على الله ومدح الرسول وتعظيم شيخ الطريقة ومدح السلطان.^{٢٧١} وتتكرر الصلاة على النبي وزوجه.^{٢٧٢} والرسول هو الذي أعطى المؤلف وصاياه. وسبب التأليف من العبد الفقير الذي ما زال يمرج على أبواب فضل ربه، ويدعو غفران الزلل. وتقبل العلم هو اقتراح أحد الأصدقاء بالكتابة عن محيط الشيخ المعاصرين له.^{٢٧٣}

^{٢٧٠} (١) الألقاب: سيدي (٨٠)، السيد (٤٢)، الحاج (١٧)، الفقيه (١٤)، المقدم (١٢)، الشيخ، العلامة، مولاي (٤)، عم، الشريف، سيدي الحاج، شيخ الإسلام، الخليفة الأكبر، القاضي، البركة، المحب ... إلخ (١).

^{٢٧١} «ونصلي ونسلم على الواسطة فيها للأئام شمس المعرفة البازغة في أفق المكونات لاستنارة كل ظلام سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين، وقائد الغر المحجلين، وعلى آله والطيبين الطاهرين وجميع أصحابه الهادين المهتدين إلى يوم الدين، ورضي الله عن سيدنا وسندنا الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر، والقطب المكتوم، والختم المعلوم.

سيدنا أحمد التجاني شمس الهدى ملجأ الأئام
من حاز في ذروة المعالي برفع شأن أعلى مقام

كشف الحجاب، ص ٥.

^{٢٧٢} السابق، ص ٧١-٧٣.

^{٢٧٣} «وقد حملتني سيادتك أيها الأخ في الله ما لا أقدر على حمله. من هذا الاقتراح الذي لست أنا من أهله حيث كلفتنني أن أذكر لك بعض أصحاب سيدنا رضي الله عنه المعاصرين له أخذ عنه مشافهة أو بواسطة من تقدمه فيه لكنه اجتمع به وتبرك بالنظر إليه. فلم أرَ إلا امتثال أمر ما أعلمه من صدق محبتك في هذا الجنب مع انشراح صدرك طالبت مني ألا أذكر اسمك في الجواب طلباً للخمول بين الأصحاب. فها أنذا أذكر لك من ثبتت عندي صحبته لسيدنا رضي الله عنه، واجتماعه به على وجه التبرك بأسماء الجمع قدس الله أرواحهم في الجنان لما قيل:

اسرد حديث الصالحين وسمهم فبذكرهم نتنزل الرحمات
واحضر مجالسهم تنل بركاتهم وقبورهم زرها إذا ما ماتوا

السابق، ص ٥.

والمؤلف على وعي بمنهجه الذي يقوم على خمس قواعد:

(أ) تجاوز المنهج التاريخي في كتب الطبقات بذكر تاريخ الميلاد وتاريخ الوفاة، الفائدة من معرفتهما دون سماع مباشر، فالروايات قد تخط. والتأكد من بالرغم من صدقها لقاء دعوة صالحة وليس توخياً لمقتضيات البحث العلمي وقواعد النقد والتاريخ.

(ب) انتقاء البعض دون البعض الآخر، بعد أن امتد الأصحاب عبر الأرض شرقاً وغرباً.^{٢٧٤} وهم عامة الأصحاب.^{٢٧٥}

(ج) التركيز على الخاصة الدين خلفوا شيخ الطريقة واتبعوا سنته.^{٢٧٦} لذلك يحذر من وقوع هذا التأليف في أيدي العامة.

(د) نقل ما تستوعبه العقول وتصفيه الروايات من الخرافات والأساطير الشعبية، ودون إقلال من شأن أحد.^{٢٧٧}

^{٢٧٤} «ولم أسلك في هذا التقييد. سلك المؤرخين في ذكر تاريخ الولادة أو الوفاة. فإن ذلك وإن كان من أحسن الأمور وأوكدها في تواريخ الدهور لكن لعدم المعين على ذلك في هذا الزمان ولسوء الحظ في عدم ملاقاتي بعد تمييزي لواحد من أصحاب سيدنا رضي الله عنه أو لأحد من معاصريه حتى ألتقى ذلك على لسانه ولكنني إسعافاً لك ولتلك من الإخوان ذكرت بعض ما قدرت على جمعه من التثبيت في النقل رجاء دعوة صالحة من اخ صالح. والأعمال بالنيات»، السابق، ص ٦.

^{٢٧٥} «لم أذكر إلا القليل منهم، ولم ات بما اختص به كل واحد منهم من المزايا إلا بالتافه اليسير فإن سيدنا رضي الله عنه لم يخرج من الدنيا بأصحابه رضي الله عنهم ولا يوجد مكان شرقاً وغرباً خالياً منهم كما يشهد بذلك تواتر الأخبار»، السابق، ص ٦.

^{٢٧٦} «وقد تلقينا عن بعض الخاصة من أهل الفتحة في الطريقة أن سيدنا رضي الله عنه ترك من أصحابه عند وفاته عدد الصحابة الكرام لأنه محمدي الطريق ومقام الخلافة المحمدية يقتضي ذلك. وهذا من الأمر المكتوم على غير أصحاب سيدنا رضي الله عنه أن من فيه رائحة التسليم لا يستبعد هذا منه. ولولا أن هذا التأليف يقع في بعض من لا إلمام لهم بالاطلاع على ما خص الله به الأكابر من أصفياؤه لذكرنا ممن أخذ عن سيدنا رضي الله عنه ما يقتضي العجب أو يسارع إلى إنكاره المؤدي به إلى العطب»، السابق، ص ٦.

^{٢٧٧} «وقد وقفنا في مشاهد الخليفة الأكبر أبي الحسن سيدي الحاج علي حرازم رضي الله عنه على من أخذ عن سيدنا رضي الله عنه من الخلائق ما تقف عن الخوض فيه العقول، وتعجز عن إدراك حقيقته الفحول. فلذلك رأيت أولاً عدم الخوض في جمعهم هو الأولى»، السابق، ص ٦.

(هـ) استعمال بعض المصادر المدونة من كبار السن بخطهم بالإضافة إلى الروايات الشفاهية.^{٢٧٨}

وتشمل المقدمة المولد ووفاة الأبوين وبداية شيخ الطريقة ووفاته والزاوية التي عاش فيها والتبرك بها، والاحتفال بالمولد النبوي فيها، وحفر الاسم الأعظم. عليها، والاحتفال بليلة القدر، وأخيرًا الحديث عن أولاد الشيخ. وبالتالي أصبح الضريح مركزًا للاحتفالات الدينية، لا فرق بين الرسول والشيخ.^{٢٧٩} تمدح زخرفتها، وتعد لها رسوم توضيحية ومواعيد زيارتها، لا فرق بين أعتاب الزاوية وأعتاب القصر.^{٢٨٠} ويصل التبرك إلى حد التبرك بخشب التابوت بعد تقطيعه إلى قطع صغيرة. ومدح الأموات يؤدي إلى مدح الأحياء. ويعتمد على الشعر والقرآن والحديث. والشعر أفضل وسيلة لفن المديح كما هو الحال في الشعر العربي القديم.^{٢٨١} ويعتمد على عديد من الاقتباسات من الرسائل والمكاتبات وتنتهي علامة «ا.هـ».^{٢٨٢} وتخلو بعض الأعلام من الأدلة النقلية، ويحال إلى بعض أعمال المؤلف السابقة.^{٢٨٣}

ويعتمد الأسلوب على السجع. فلا فرق بين الانغلاق في المجتمع الديني والانغلاق في فن الكتابة. فالنثر أصبح كالزاوية. وتظهر أسماء عبرية مثل صلصائل، وبعض الحروف السريانية والسحرية.^{٢٨٤} ويظهر موضوع الحروف الأثير عند ابن عربي.^{٢٨٥} ولا توجد أي دعوات للإصلاح. وما زال وضع المرأة كما هو. فالإماء إما للتسري وللتزويج أو للبيع أو للتحرير. والحديث عن المجازيب بلا حرج. ويذكر الفرنسيون دون إشارة إلى الاستعمار، والطريقة تنتقل من المغرب إلى

^{٢٧٨} «وقد استعنت في ذكر بعض أصحاب سيدنا رضي الله عنه بأخبار بعض المتقدمين وبعض المسنين الأكابر المتقين وتقاييد وقتها بخط بعض الإخوان في الله»، السابق ص ٦.

^{٢٧٩} السابق، ص ٧-٥٤.

^{٢٨٠} السابق، ص ٤٠-٤٤.

^{٢٨١} الأشعار (٣٢٨)، الآيات (٤٩)، الأحاديث (٢٥).

^{٢٨٢} كشف الحجاب، ص ٦٦-٧٠.

^{٢٨٣} السابق، ص ٦٦-٦٧، ٨٩.

^{٢٨٤} مثل «نور السراج»، السابق، ص ٢١٤.

^{٢٨٥} السابق، ص ٨٩-٨١، ١٣٥-١٤٠.

تونس.^{٢٨٦} والزاوية عالم مغلق، والاستعمار في العالم الفسيح. ومع ذلك يتم إبراز بعض الفوائد المحدودة.^{٢٨٧}

(٢) «أعلام في التراث الصوفي من آل بيت النبي ﷺ» للحاج روايدة^{٢٨٨}

وهو تأليف حديث على طريقة القدماء بالإضافة إلى بعض المقارنات مع الوافد الغربي، وجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات عن التصوف. فأصحاب المناقب والكرامات مجرد مناسبة لتجميع المعلومات، وخطط يجمع التصوف. مؤلفه أحد الأحياء من الهواة الذي يريد ترك بصماته واسمه في تاريخ التصوف.

ويضم ثلاثة مشايخ، الأول أبو الحسن الشاذلي، والثاني محمد العربي الدرقاوي، والثالث مصطفى عبد السلام القلاني.^{٢٨٩} ويتم العرض بنفس الطريقة. الأول عرض النسب، والولادة، والوفاة، والآثار، والصفات، والمسائل، والمشايخ، والتلاميذ. بل ويوصف كمال جسده وجماله. فهو كامل الأوصاف. والثاني علمه وفلسفته، ومؤلفاته، ومحبته للنبي، وحكمته، وتوجيه كل شيء في حياة الولي إلى الله. والثالث شخصيته، وما في حياته من ابتلاء واغترار وفتنة، وقضاء للحاجات. والرابع الطريق الصوفي والذكر والعلم، والمذاكرات والتلاميذ، والسلوك والتجريد والزهد والفناء ومعالجة النفوس. والخامس المعارج والمرائي، والذكر والدعاء، والأحزاب والأوراد، والنصائح والوصايا والكرامات، ومؤلفاته ومراسلاته وزواياه. والسؤال هو: لماذا هؤلاء المشايخ الثلاثة دون غيرهم من كبار مشايخ الطرق الصوفية؟

وهو كتاب هادئ مدرسي. يقوم على التفريط التقليدي. مؤلفه صوفي يكتب عن صوفية، وطرقية يكتب عن الطريقة. والكل إلى رسول الله منتسب، كما يدل على ذلك العنوان «من آل بيت النبي ﷺ». وهو أقرب إلى الدعاية منه إلى التصوف والدعوة إلى الانخراط فيه. ويعتبر نموذج انهيار التأليف في التصوف. وتبدو أحياناً كخطبة مسجد.

^{٢٨٦} السابق، ص ٩٩.

^{٢٨٧} السابق، ص ٢٨٤، ٣٠٩.

^{٢٨٨} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ، دار الكتاب الثقافي، دار المتنبّي، إربد الأردن. وثلاثة

ناشرون يدعو إلى التساؤل.

^{٢٨٩} الأول، ص ٢٥-١٥٣، والثاني، ١٥٧-٢٦٣، والثالث، ٢٦٧-٣٥٦.

والمدح خطاب متصل. لا فرق بين الثناء على الله، ومدح الرسول، وتبجيل مشايخ الطريقة، وتعظيم السلطان. فالموقف النفسي واحد. وبنية الخطاب واحد. والأسلوب إنشائي مدرسي ساذج. ولا يوجد نقد واحد موجه إلى المشايخ الثلاثة الذين بلغوا أقصى درجات الكمال. والخاتمة في التصوف والصوفية، معارجهم ومراتبهم وأقوالهم في التفسير والتأويل، وطريقهم الصوفي، ومعالجتهم للقلوب والنفوس، والمحبة للنبي والمناجاة والحكم والكرامات، والعلم والزهد والورع، والمراسلات والأسئلة والأجوبة، والأبحاث في العلوم الكونية (الفلك)، والعقائدية والفكرية والعقلية (الفكر والفلسفة)، وهي ضعف الحديث كل شيخ من المشايخ الثلاثة.^{٢٩٠} ولفظ تصوف من أربعة حروف رمز التوبة والصفاء والولاية والفناء.^{٢٩١}

يعتمد على القرآن والحديث والشعر.^{٢٩٢} وتتكرر الأدلة النقلية أكثر من مرة. والأولوية للقرآن باعتباره المصدر الرئيسي للتصوف كما يقرر الصوفية دون واقع اجتماعي سياسي فرض قراءة القرآن على نحو صوفي، وانتقى آيات دون غيرها، ورد الكل إلى أحد أجزائه. وتتوالى الآيات تباعاً في زخات.^{٢٩٣} كما يتم الاعتماد على الكتب المقدسة الأخرى وعلى بعض الآثار المدونة. كما يحال إلى بعض أعمال المؤلف السابقة.^{٢٩٤} وكثير أسماء الأعلام قديماً ومحدثين، صوفية ومؤرخين وفقهاء محدثين ومفسرين. وتتكرر المادة العلمية من أجل تضخيم الكتاب.^{٢٩٥} والاعتماد الأكثر على الذاكرة بالإضافة إلى المدونات مع تحليل بعض التجارب الشخصية وبدخلها حوار بالعامية.^{٢٩٦} وسلسلة المشايخ مثل سلسلة الرواة.

ونظرًا لأن المؤلف ما زال على قيد الحياة يحضر لديه الوافد بوضوح.^{٢٩٧} ويتجلى الوافد في الرد على المستشرقين ضد إنكار المصدر الداخلي للتصوف والدفاع عن التصوف

^{٢٩٠} السابق، ص ٣٦٩، ٨، ٣٨٥.

^{٢٩١} السابق، ص ٤٩٥-٤٩٦.

^{٢٩٢} الآيات (٦٧٠)، الأحاديث (٢٠٠)، القدسية (٤)، الأشعار (٦٠).

^{٢٩٣} أعلام التراث الصوفي، ص ١٤٤-١٤٩، ٣٥٨-٣٦٥، ٣٩٧.

^{٢٩٤} السابق، ص ٢٠.

^{٢٩٥} يقع الكتاب في ٥٩٢ ص.

^{٢٩٦} أعلام التراث الصوفي، ص ٣٣١، ٣٣٤.

^{٢٩٧} المؤلف من مواليد ١٩٤١م من أربد - الأردن.

ضد منتقديه، والدفاع عن المعجزات ضد منكريها.^{٢٩٨} ويدافع عن رينيه جينو، المفكر الغربي الذي اعتنق الإسلام، ومارتن ليمز الذي أصبح الحاج أبو بكر سراج الدين. ويعتمد على المصادر القديمة والحديثة، على المصادر والمراجع. والحديث كله مترجمات جامعية لنصوص ودراسات.^{٢٩٩} وتتم المقارنات مع الغرب الوسيط والحديث.^{٣٠٠} الفلسفة الإسلامية القديمة يمثلها الغزالي وهو معاد للفلسفة، وهي فلسفة ابن سينا أساساً. ويكتب بالهمزة ابن سينا والفلسفة اليونانية هي فلسفة سقراط، وأفلاطون وأرسطو، وجالينوس.

ويكثر من ذكر أعلام الفلسفة الغربية.^{٣٠١} ويشير إلى بعض إنجازات العلم الحديث في الغرب مثل وصول أرستونج إلى القمر، ويحيل إلى بعض المؤلفات مثل «حكمة الغرب» لرسل في ترجمته العربية دون ذكر اسم المترجم.^{٣٠٢} ويدل ذلك كله على التعامل والتباهي والتفاخر بالمعلومات القديمة والحديثة مع إطلاق الأحكام العامة الشائعة على تاريخ الفلسفة في الكتب المدرسية والمقررات الجامعية. ويضع البعض منها في صورة سؤال وجواب وكأن المؤلف فيلسوف حوار.^{٣٠٣} ويوضع التاريخ الميلادي مع الهجري لتقابل المسارين الإسلامي والغربي في اللحظة المعاصرة. وتوضع صور للمؤلف في عصر الكاميرا. ويظهر بعض الألفاظ المستحدثة مثل السيارة.

^{٢٩٨} أعلام في التراث الصوفي، ص ١٣-١٦، ١٨، ٣٢.

^{٢٩٩} أعلام في التراث الصوفي، ص ٥١.

^{٣٠٠} السابق، ص ٤٤، الفلسفة الإسلامية، السابق، ص ٥٢٧-٥٢٩.

^{٣٠١} مثل: ديكارت، بيكون، هيوم، هوبز، اسبينوزا، هيجل، سل، هاملتون، الوضعية.

^{٣٠٢} أعلام التراث الصوفي، ص ٥٦٢.

^{٣٠٣} السابق، ص ٤٦-٥١، ٥٠٤، ٥٠٧.

سابعاً: الطريق، والطريقة، والشيخ والمريد، والمجتمع المثالي

ويستمر التصوف العملي على مدى تسعة قرون منذ القرن الخامس حتى الآن، منذ الغزالي وهو نقطة تجمع التصوف الأخلاقي والتصوف النفسي والتصوف النظري والتصوف العملي حتى الطريقة منذ العصر العثماني حتى اليوم عندما أصبحت مشيخة الطرق الصوفية جزءاً من رياسة الجمهورية. يعين رئيسها بقرار جمهوري. وتحضر الاحتفالات في المناسبات الدينية والسياسية مع الحزب الحاكم كجزء من مؤسسات الدولة الحديثة التي ترفض خلط الدين بالسياسة، وتأسس أحزاب سياسية على أسس دينية. ويبدأ الطريق كمسار روحي وجداني، داخلي باطني. ثم يتحول إلى طريقة خارجية جماعية. تتحدد في علاقة الشيخ بالمريد. وتكوين مجتمع مثالي من الأقطاب والأبدال والنقباء والأوتاد كمجتمع بديل عن المجتمع الذي يعيش فيه الناس، مجتمع مفارق مغاير للمجتمع الإنساني.

(١) الطريق

ويعني مسار الروح الرأسي من أدنى إلى أعلى كتوجه وقصد ويظهر ذلك في:

(أ) مؤلفات الغزالي (٥٠٥هـ)

(١) «منهاج العابدين»^١

ويكشف العنوان أنه في الطريق. فالمنهاج أسلوب حياة وطريقة سلوك. وهو لفظ قرآني ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾^٢ وهو آخر ما صنفه الغزالي مع

^١ مكتبة الجندي، القاهرة ١٤٩٥م/١٣٧٣هـ (١)، ص ٣-١٩٤.

^٢ وهو العنوان الأثير للجهة الثابتة لمشروع «التراث والتجديد» عن التنظير المباشر للواقع (نظرية التفسير).

«المستشفى»^٣ وألقابه العلامة الإمام حجة الإسلام. ويدور حول تخطي سبع عقبات: العلم، والتوبة، والعوائق، والعوارض، والبواعث، والقوادح، والحمد والشكر. وأكبرها الثاني. وأصغرها العلم والتوبة.^٤ وتعرض المقدمة المعوقات الأربعة: الدنيا والخلق والشيطان والنفس. تجمع بين الواقع والرمز.^٥ ويتم تجاوزها بأربع وسائل: التجرد من الدنيا، والتفرد عن الخلق، والمحاربة مع الشيطان، والقهر للنفس. ثم تظهر عوارض أخرى مثل: طلب الرزق، الخوف من الأخطار، شدة المصائب، مر القضاء. ويمكن تجاوزها مرة ثانية بأربع وسائل: التوكل، والتفويض، والصبر والرضا. ثم تظهر صعوبات غياب البواعث الذي يؤدي إلى الفتور. وتظهر آفتا الرياء والعجب. ثم تظهر عقبة القوادح التي يمكن تجاوزها بالإخلاص وذكر المنة. ثم تظهر عقبة غياب الحمد والشكر. وسبب التأليف هو كتابة نص يحظى بالإجماع ويحصل به الانتفاع.^٦

ويعتمد على القرآن والشعر والحديث والإسرائيليات^٧ وتتوالى الآيات. وتطول الأحاديث.^٨ كما يعتمد على العديد من أقوال الصوفية في مقدمتهم الحسن البصري ثم سفيان الثوري ثم البسطامي، والفضيل بن عياض، وأويس القرني، وإبراهيم بن أدهم، ومحمد بن واسع، سم يحيى بن معاذ، وسهل التستري، وأبو سعيد الخدري، وإبراهيم الخواص، ومالك بن دينار. ومن المتكلمين يذكر إمام الحرمين، والباقلاني. ومن الفرق يذكر المعتزلة أو القدرية ثم الكرامية. ومن الفرق غير الإسلامية اليهود. ومن الشعراء امرئ القيس.^٩ وتذكر روايات الصوفية وكراماتهم. ويحيل الغزالي إلى باقي مؤلفاته مثل

^٣ منهاج العابدين، ص ١.

^٤ العلم (٦)، التوبة (٦)، العوائق (٧)، العوارض (٣٤)، البواعث (٢٠)، القوادح (٢٧)، الحمد والشكر (٢٥).

^٥ «تصنيف كتاب عليه الإجماع، ويحصل بقراءته الانتفاع»، منهاج العابدين، ص ٢.

^٦ منهاج العابدين، ص ٤.

^٧ الآيات (٢٤٥)، الأشعار (٦٤)، الأحاديث (٥٣)، الإسرائيليات (٧).

^٨ توالي الآيات، منهاج العابدين ٤١-٤٤، ٩١، ١٣٠-١٣١. طول الأحاديث ١٥٦-١٦٦.

^٩ الحسن البصري (٤)، سفيان الثوري (٣)، البسطامي، الفضيل بن عياض، وأويس القرني، إبراهيم بن أدهم، محمد بن واسع (٢)، يحيى بن معاذ، أبو سعيد الخدري، سهل التستري، إبراهيم الخواص، مالك بن دينار (١)، ومن المتكلمين إمام الحرمين، الباقلاني (١)، ومن الفرق المعتزلة، القدرية (٢)، الكرامية (١)، ومن الشعراء امرئ القيس (١)، ومن الملوك المقوقس ملك الإسكندرية.

«الإحياء» وغيره.^{١٠} ويعتمد الكتاب أيضًا على التجارب الذاتية كما هو الحال في «المنقذ من الضلال» فترتيب العقبات إلهام.^{١١} وهي تجارب في اليقظة وفي النوم. كما يعتمد على القسمة العقلية.^{١٢} وهو كتاب مختصر غير مطول. وهناك إحساس عام بالاستطراد.^{١٣} ويتبع أسلوب القول، السؤال والجواب، والرد المسبق على الاعتراض، ويخاطب القارئ، ويناجي النفس.

(٢) الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين»^{١٤}

وهو كتاب في آفة الغرور لأصناف المغرورين وكيفية التخلص منه. يقوم على القسمة العقلية المحكمة والتأليف القائم عليها والتحليل النظري العقلي الخالص أكثر من الاعتماد على الأدلة النقلية، القرآن أو الحديث دون أشعار أو إسرائيليات.^{١٥} ولا يعتمد على أقوال الصوفية بل على تحليل التجارب الحية تحليلًا مباشرًا.^{١٦} ويقوم على الاختصار والتركيز الشديد.^{١٧}

^{١٠} الإحياء (٦)، القرية إلى الله تعالى، الغاية القصوى، أسرار معاملات الدين (١).

^{١١} «فهذا هو الترتيب الذي ألهمني مولاي في طريق العبادات منهاج العابدين، ص ٦، وأيضًا ص ١٦، ١١١.

^{١٢} السابق، ص ١٥٩.

^{١٣} «ولهذا الباب شرح يطول فلا يحتمله هذا المختصر»، السابق، ص ١٦، ولنرجع إلى المقصود ص ٩٣.

^{١٤} مكتبة الجندي، القاهرة ١٩٥٤م/١٣٧٣هـ (٢)، ص ١٩٦-٢٢٣.

^{١٥} الآيات (٢١)، الحديث (٥).

^{١٦} مثل: الخلق حيوان وغير حيوان. والحيوان مكلف وغير مكلف، والمكلف مؤمن وكافر. والمؤمن طائع وعاصي، وكل منهما عالم وجاهل. ويشارك الكل في الغرور. والمغرورون أربعة: علماء وعباد وأغنياء ومتصوفة، بالإضافة إلى غرور الكفار. وغرور الصوفية للمبتدئين والمخدوعين والمتمشيخين منهم. وغرور الشيوخ في مجالس الذكر والمتسكعين حولهم. ويشمل غرور العلماء غرور العباقرة والفقهاء والمتكلمين والمحدثين اللغويين والقراء. ويشمل غرور العباد غرور الحجاج والوعاظ ومجاوري مكة. ويضم غرور أرباب الأموال غرور الأنبياء والمتصدقين والبخلاء. ويرتبط الغرور بأحوال النفس كالمبالغة في التخوف منه والوسوسة.

^{١٧} «وأنا إن شاء الله تعالى أكشف عن غرورهم، وأبين الحجة فيه، وأوضحه غاية الإيضاح وأبينه غاية البيان. وأوجز ما يكون من العبارة، وأبدع ما يكون من الإشارة»، الكشف والتبين، ص ١٩٧.

(٣) «بداية النهاية»^{١٨}

ويوحي العنوان بالطريق. ويتأرجح بين الفقه والتصوف، بين الشريعة والحقيقة. إذ ينقسم إلى ثلاثة أقسام الأول في الطاعات، والثاني في اجتناب المعاصي، والثالث في آداب الصحبة. أكبرها الأول، وأصغرها الثالث.^{١٩} تتحول الطاعات من الفقه إلى الذكر، واجتناب المعاصي من الجوارح إلى القلب، وآداب الصحبة عند الصوفية.^{٢٠} وينتهي الكتاب بالحث من أهل هذا الزمان ومثقفيه المشغولين بالخلاف والجدال مما يدل على أن التصوف رد فعل على العصر.^{٢١}

ويعتمد على الحديث والقرآن والشعر والإسرائيليات.^{٢٢} وتتوالى الأحاديث في زخات.^{٢٣} ويطول أحد الأحاديث بحيث يكون مدعاة للشك في صحته.^{٢٤} وتذكر حكاية موسى والخضر للتمييز بين الظاهر والباطن. ويذكر الحكماء مرة واحدة. ولا يذكر أحد من الصوفية نظرًا لاعتماد الكتاب على التحليل العقلي الخالص والتجارب الذاتية دونما حاجة إلى

^{١٨} مكتبة الجندي، القاهرة ١٩٥٤م/١٣٧٣هـ (٣) ص ٢٢٤-٢٨٠.

^{١٩} الطاعات (٢٩)، اجتناب المعاصي (١٢)، آداب الصحبة (٩).

^{٢٠} تشمل الطاعات آداب الاستيقاظ من النوم، والخلاء، والوضوء، والغسل والتيمم، والمسجد، ويشمل فقه الصوفية الذكر والمراقبة، واجتناب المعاصي للعين والأذن واللسان واليدين والرجلين والفرج، والغيبة، والكذب، والمراء والجدل، وتزكية النفس ولعن الناس والدعاء عليهم وأكل الحرام. وعند الصوفية طهارة القلب واجتناب الحسد والرياء والعجب. وتشمل آداب الصحبة مع الشيوخ والوالدين والجهلة والأخيار والحذر من مخالطة متفقهة الزمان.

^{٢١} «واحذر مخالطة متفقهة الزمان لا سيما المشتغلين بالخلاف والجدال. واحذر منهم فإنهم يتربصون بك بحسدهم ريب المنون، ويقطعون عليك بالظنون. ويتغامزون وراءك بالعيون. ويمضون عليك ثمراتك في عشيرتهم حتى يهجوكم بها في حال غيظهم ومناظرتهم. لا يقبلون لك عثرة، ولا يغفرون لك زلة، ولا يسترون عليك عورة. يحاسبونك على النقيير والقطمير. ويحسدونك على القليل والكثير. ويحرضون عليك الإخوان بالنميمة والبلاغات والبهتان. إن رضوا فظاهروهم الملق. وإن سخطوا فباطنهم الحنق. ظاهرهم ثياب وباطنهم نئاب. هذا ما قطعت به المشاهدة على أكثرهم إلا من عصمهم الله تعالى. فصحبتهم خسران ومعاشرتهم خذلان. هذا حكم من يظهر لك الصداقة فكيف من يجاهرك بالعداوة؟!» السابق، ص ٢٧٨.

^{٢٢} الأحاديث (٢٢)، الآيات (١٤)، الأشعار (٦)، القدسية (٢)، الإسرائيليات (١)، الحكماء (١).

^{٢٣} بداية النهاية، ص ٢٥٥.

^{٢٤} السابق، ص ١٦٩-١٧٠.

الاستعانة بروايات الصوفية. ويتبع أسلوب القول للرد مسبقًا على المعارضة العقلية. وفي نفس الوقت هو أقرب إلى الدعوات والمواظ في كل خطوة وأثناء كل فعل.^{٢٥} ويحال إلى «الإحياء» لبيان وحدة المشروع.^{٢٦}

(٤) «ميزان العمل»^{٢٧}

وهو كتاب في اقتران العلم بالعمل بالسعادة. وهو سبب تأليفه.^{٢٨} ويدور حول عدة موضوعات.^{٢٩} والصوفية نموذج الاقتران بين العلم والعمل والسعادة. وهم يفارقون غيرهم في العلم.^{٣٠} ويتطابق مذهب الأشعرية. فالمذاهب إما أن تكون تعصبًا في المباحة

^{٢٥} وهو ما يحدث أيضًا في الأرثوذكسية اليهودية.

^{٢٦} إحياء علوم الدين (٥).

^{٢٧} مكتبة صبيح، القاهرة، ١٩٦٣م/١٣٨٢هـ.

^{٢٨} «لما كانت السعادة التي هي مطلوب الأولين والآخرين لا تُنال إلا بالعلم والعمل، وافترق كل واحد منهما إلى الإحاطة بحقيقته ومقداره ووجب معرفة العلم والتمييز بينه وبين غيره بمعيار وفرغنا منه، وجب معرفة العمل المسعد، والتمييز بينه وبين العمل المشقي. فافتقر ذلك أيضًا إلى ميزان. فأردنا أن نخوض فيه ونبين أن الفتور عن طلب السعادة حماقة، ثم نبين أن لا طريق إلى السعادة إلا بالعلم والعمل. ثم نبين العلم وطرق تحصيله، ثم نبين العمل المسعد وطريقه. وكل ذلك بطريقة يترقى عن حد التقليد إلى حد الوضوح لو استقصى بحقيقته وطول الكلام فيه ارتقى إلى حد البرهان على الشروط التي ذكرناها في «معيار العلم». وإن كنا لسنا نطول الكلام ولكن نرشد إلى أوله وقوانينه»، ميزان العمل، ص ٣.

^{٢٩} مثل الصلة بين العلم والعمل وأنهما طريق السعادة، وشرف العقل والعلم والتعليم، وأنواع الفعل، ووظائف المتعلم والمعلم، وأحوال العلم وصنيع القدماء فيه، والتحذير من الفتور في طلب الإيمان والسعادة، وتزكية النفس وقواها وأخلاقيها، وارتباط قواها بعضها ببعض الآخر، ومراتب النفس في مجاهدة الهوى والفرق بينه وبين الفعل، وإمكانية تغيير الخلق، وطريق تهذيب الأخلاق والبواعث عليها والصوارف عنها، والأخلاق في مرتبة الفقه، والفضائل التي بها تتحقق السعادة وأمهااتها مثل الشجاعة والعفة والحكمة، وأنواع الخيرات ومراتب السعادة، والمحمود والمذموم من أفعال شهوة البطن والفرج والفضل، وكسب المال من الوظائف، وطبقات الناس في الدين، ومراتبهم بين المنهمكين في الدنيا، والغارقين في الدين، والجامعين بين الدنيا والدين، وكيفية نفي الغم في الدنيا ونفي الخوف من الموت، وأخيرًا منازل السائرين إلى الله وحقيقة القرب منه وعلامات المنزلة مثل الاتفاق مع الشرع وحضور القلب مع الله.

^{٣٠} ميزان العمل، ص ٢٣-٢٩.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

والمناظرات أو ما تساويه في التعليمات والإرشادات أو ما يعتقد الإنسان في نفسه مما انكشف له من النظريات. والأغلب هو المعنى الثاني.^{٣١} ويعتمد على القرآن والحديث والشعر.^{٣٢} ولا يذكر أحد من أعلام التصوف اعتمادًا على التجارب الذاتية والتحليل العقلي بالإضافة إلى الأدلة النقلية. وتذكر الفرق الكلامية كالأشعرية والمعتزلة. كما يذكر الصوفية والفلاسفة خاصة الإلهيين الإسلاميين منهم. كما تذكر المذاهب الفقهية كالشيعوية والمعتزلة.^{٣٣} ومن الواقد اليوناني يذكر أرسطو وأفلاطون، والشرقي الصين.^{٣٤}

(ب) «التوبة» لابن عساكر الدمشقي (٥٧١هـ)^{٣٥}

وهو أول مقام تعتمد فقط على الأدلة النقلية، الحديث ثم الشعر دون القرآن أو أعلام الصوفية.^{٣٦} ولا يذكر إلا سعيد بن المسيب محدثًا وليس صوفيًا، وشارحًا لغويًا لمعنى «آداب» الذي يذنب ثم يتوب.^{٣٧}

(ج) «مشرب الأرواح، ألف مقام ومقام من مقامات العارفين بالله»

لروزبهان (٦٠٦هـ)^{٣٨}

وهي مقامات الطريق التي تبلغ الألف مقام ومقام أسوة بألف ليلة وليلة. وهي غير المقامات مع الأحوال في التصوف النفسي التي لا تزيد عن سبع أو تسع أو أحد عشر أو ثلاثة عشر بحدٍّ أقصى، عدد فردي لا ينقسم. وهي أقرب إلى أحوال النفس، خلجاتها وخواطرها وانفعالاتها منها إلى المقامات الثابتة. تدل على الحركة والتغير والارتقاء. هي محطات على سلم الوصول. لذلك كان العنوان غير دقيق، «مشرب الأرواح» إلا إذا كان

^{٣١} ميزان العمل، ص ١٢٤-١٢٦.

^{٣٢} الآيات (٨٥)، الأحاديث (٧٥)، الأشعار (٧).

^{٣٣} الصوفية، الأشعرية (٣)، المعتزلة، الشيعوية، الحنفية، الفلاسفة (٢).

^{٣٤} ميزان العمل، ص ٧، ٢٨.

^{٣٥} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (٢)، ص ٤٧-٥٣.

^{٣٦} الأحاديث (١٤)، الأشعار (١).

^{٣٧} التوبة، ص ٥٣.

^{٣٨} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ.

المقصود «مسار الروح». وقد يكون أوضح عرض للطريق الروحي في هذا الوقت المبكر قبل التحول إلى الطريقة العملية في المرحلة الطرقية.^{٣٩}

وهي ذات بنية محكمة، عشرون باباً. وفي كل باب خمسون فصلاً باستثناء الباب الأخير واحد وخمسون. وهو تأليف تم بناء على توجيه من الخضر في لحظة كشفية. وأنواع السالكين عشرون.^{٤٠} وهي قسمة تفصيلية تحتاج إلى إعادة تصنيف منذ أولهم المجذوبون وآخرهم الأقطاب. فهناك تشابه بين المحبين والمشتاقين والعاشقين. وهناك تشابه آخر بين السالكين والسابقين والواصلين. وهناك تشابه ثالث بين النقباء والنجباء والخلقاء والبلاء والأقطاب. وهناك تشابه رابع بين المجذوبين والصديقين والعارفين والشاهدين والمقربين طبقاً لمراحل الطريق، البداية والوسط والنهاية. البنية محكمة، والقسمة الرئيسية والفرعية رياضية، لذلك لا تخلو من رتابة.

ويعتمد على القرآن والحديث والشعر.^{٤١} فلكل مقام دليل نقلي من القرآن أو الحديث أو قول العارف «والله أعلم». وبعض المقامات لها عناوين من الآيات. ويندر وجود مقام بلا دليل نقلي. وإذا خلا المقام من الآية والحديث فإنه لا يخلو من قول العارف. وتكرر بعض الآيات أو الأحاديث. ويبدو من عناوين المقامات والأدلة النقلية عليها أن الموضوع كله أقرب إلى التفسير الموضوعي للقرآن أي تجميع بعض الآيات والأحاديث حول موضوع واحد هو المقام. وتشير المقامات كلها إلى خلجات النفس وخواطرها وما يرد عليها وأحوالها كما هو الحال في الانفعالات الإنسانية. هي أقرب إلى أحوال الذات منها إلى الجماعات السياسية. وقد تستخدم أية واحدة عنواناً لمقام أو لمقامين.^{٤٢} ومن الصوفية يتقدم الواسطي ثم ذو النون والنبي الخضر ثم البسطامي والجنيد ثم سهل التستري والنهرجوري ويحيى بن معاذ ومحمد الكتاني والحلاج.^{٤٣}

^{٣٩} «ويعادله في التصوف المسيحي كتاب القديس بونافنتورا» طريق الروح إلى الله Ltenerarium Mentis in Deum.

^{٤٠} وهم المجذوبون، السالكون، السابقون، الصديقون، المحبون، المشتاقون، العاشقون، العارفون، الشاهدون، المقربون، الموحدون، الواصلون، النقباء، الأصفياء، الأولياء، أهل الأسرار من النجباء، المصطفون، الخلفاء، البلاء، الأقطاب.

^{٤١} الآيات (١١٢٠)، الأحاديث (٤٨٠)، الأشعار (٤).

^{٤٢} مشرب الأرواح، ص ٢٥٣، ٣١٦.

^{٤٣} الواسطي (٥)، ذو النون، الخضر (٣)، النهرورجي، أحمد الكتاني، سهل، يحيى بن معاذ، الحلاج (١).

(د) رسائل ابن عربي (٦٣٨هـ)

(١) «تحفة السفرة إلى حضرة البررة»^{٤٤}

وفي المرحلة الأخيرة يتحول التصوف النظري إلى تصوف عملي بوصف الطريق ثم تحديد الطريقة وأخيراً آداب الشيخ والمريد. ويمثل «تحفة السفرة» تحول المقامات والأحوال وهي لب الطريق الصوفي النظري إلى تصوف عملي كما يوحي العنوان، السفر إلى الحضرة. ويتكون من عشرة أبواب تيمناً بالعشرة المبشرين بالجنة. الستة الأولى في المقامات مثل التوبة، والمحبة، وما يتعلق بها من شوق وعشق وبالأخلاق مثل الإخلاص والاعتقاد. والأربعة الأخيرة وصف الطريق مثل الرياضات والأطوار وآداب الخلوة، وصفة المريد. وينتهي ببيان المعرفة والمقام والحال. فالعمل يأتي قبل النظر. والنظر حصيلة للعمل. أكبرها صفة المريد ثم كيفية الرياضات ثم الخلوة وآدابها مع المعرفة والمقام والحال.^{٤٥} وأهم الألفاظ المذكورة، القلب ثم الروح ثم النفس ثم المحبة مما يدل على الأساس الوجداني للطريق، ثم التجلي والعقل أي التصوف النظري، ثم الحجاب والجمال والفناء، ثم باقي المقامات والأحوال وعلامات الطريق.^{٤٦} ويعتمد الكتاب على الآيات والأحاديث والأشعار.^{٤٧} كما يحيل إلى عديد من الصوفية السابقين يتقدمهم الحلاج والجنيد ثم البسطامي والسلمي ورابعة والحسن البصري ويحيى بن معاذ والأنطاكي وأبو عثمان المكي.^{٤٨}

^{٤٤} دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د.ت).

^{٤٥} صفة المريد (٢٥)، كيفية الرياضات (١٤)، الخلوة وآدابها، المعرفة والمقام والحال (٨)، التوبة، الإخلاص، المحبة، العشق (٦)، الاعتقاد، الشوق (٤).

^{٤٦} القلب (٢٣)، الروح (١٩)، التجلي، العقل (١٠)، الحجاب (٧)، الجمال، الشهوة، الفناء (٦) الإخلاص، المكاشفة، الخلوة، المال، الإيمان، التوبة، الحلال، الكشف (٥)، البقاء، التوحيد، حق اليقين، عين اليقين، الشهود، الغيث، المجاهدة، الواقعة (٤)، الرياضة، العشق، العيان، القبض، الواحدية، الوصول، اليقين (٣)، الإنابة، البسط، التزكية، التمكن، الجبروت، الحضرة، الحضور، الخاطر، عالم الملكوت، العزلة، علم اليقين، غبن، الفيض، المثال، الهمة، الوحدة، الذوق (٢)، وأربعون مصطلحاً، كل منها مرة واحدة.

^{٤٧} الآيات (٥٢)، الأحاديث (٣٣)، الأشعار (٥)، القدسية (٢).

^{٤٨} الحلاج، الجنيد (٢)، السلمي، الحسن البصري، رابعة العدوية، يحيى بن معاذ، الأنطاكي، البسطامي، أبو عثمان (١).

(٢) «شجون المسجون وفنون المفتون»^{٤٩}

وهو عنوان أدبي يوحى بالشطحات والجنون. وهو في فلسفة العمل أو في الأخلاق العملية. قسمته ثلاثية محكمة: العمل، والعامل، والمعمول. أكبرها العامل، وأصغرها المعمول.^{٥٠} وهو مثل «تهذيب الأخلاق»، لمسكويه. هو في التصوف الخلقي وليس في التصوف النفسي أو النظري. يغلب عليه الأسلوب الأدبي. وهو تأليف رصين بعيداً عن عبقرية اللغة. تكثر فيه الأدلة النقلية. والقرآن أكثر من الشعر، والشعر أكثر من الحديث.^{٥١} تظهر فيه أخلاق ذي النون، وإخوان الصفا.^{٥٢} ويستعمل ملخص مظفر بن سنان للرد على الفلاسفة.^{٥٣} وسبب التأليف هو محاولة فهم الكتاب ومعانيه دون تقليد. واعتماداً عليه وحده. ثم طلب ملك الوقت منه علماً وسجناً عاماً فكتب هذه الرسالة دون ترتيب بل مجرد جمع حتى يستفيد كل قارئ منه كما يشاء.^{٥٤} فهل هو سجن بدني أم سجن روحي؟ وهي وصايا عملية للقارئ. يتقطع الخطاب بالفاظ لإبراز معانيه مثل: «مثال»، «وصية»، «نبأ»، «بيان»، «تحقيق ... إلخ»^{٥٥}

^{٤٩} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م، ص ٤٩-١٢٨.

^{٥٠} العمل (٢٦)، العامل (٣٣)، المعمول (٢).

^{٥١} الآيات (٩٧)، الأشعار (٩٤)، الأحاديث (٣).

^{٥٢} شجون المسجون، ص ٨٠-٨٣.

^{٥٣} السابق، ص ٦٢-٦٣.

^{٥٤} «ثم بعد ذلك شفاني الله تعالى من ذلك المرض. فعدت إلى ما أعتقد أنه نهاية الفرصة، وهو الاجتهاد في فهم معاني كتاب الله، من غير عدول إلى تقليد أو ميل عنه إلى شيء سواه. فلما كمل ما ظفرت به منه وفهمته عنه طلبني ملك الوقت ببأس شديد على خيل البريد من مسيرة خمسة عشر يوماً، وطلب مني علماً لا قبيل لي به. ثم سجنني عاماً بسببه. فجمعت لنفسني تذكرة بما وصل إليّ، وفتح عليّ وسميتها: «شجون المسجون، وفنون المفتون» ... لم أقيد الترتيب فيها على وفق الواجب بل جمعتها جمع الحاطب ليكون كل فصل خاتماً بنفسه. يستفيد الناظر له بحسب نظره وحده وجعلتها ثلاثة أبواب لأنها زبدة، ما فهمته من الكتاب، الباب الأول في العمل، والباب الثاني في العامل، والباب الثالث في المعمول به. وكل باب فيه مما قبله. وبذلك جهدي في كشف ما عندي نصيحة لمن يراه»، السابق، ص ٥٢.

^{٥٥} مثال (٩)، وصية (٧)، بيان، (٦)، نبأ، تعريف (٥)، تحقيق، زيادة (٤)، علاج، مضارع، فعلية (٣)، خاتمة، وهج، فصل، أصل، نفس، معراج، تحذير، إيضاح، موعظة، تحذير، إعلام، (٢)، حماية، معين، إخبار، متيقظ، حجة، حديث، تقوية، تعليق، عاشق، حال، منصح، تلخيص، تخليص، تخصيص،

وقد يكون اللفظ لفظين مثل «تجربة وعلم» ... إلخ.^{٥٦} وقد يكون عبارة كاملة.^{٥٧}

(٣) «النور الأسنى بمناجاة الله بأسمائه الحسنى»^{٥٨}

وهو تحويل الأسماء الإلهية إلى موضوع للمناجاة يسبقها حرف النداء ويتحول الاسم إلى رجاء «يا رحمن ارحم»، «يا سلام سلم»، «يا غفار اغفر»، «يا وهاب هب»، «يا رزاق ارزق»، «يا فتاح افتح» بدلاً من تمثيلها في الواقع كما هو الحال في تعريف التصوف، التخلي عن الصفات الدنية والتحلي بالصفات السنية. وتنتهي ببعض الحكم.^{٥٩} وهي قضايا قصيرة مركزة للإحياء بالعمل المباشر.

(٤) تهذيب الأخلاق^{٦٠}

وهو نفس اسم كتاب مسكويه الشهير في التصوف الخلقي مع تبويب جيد تظهر فيه القسمة الأفلاطونية للنفس إلى شهوانية وغضبية وناطقة. كما تنقسم الأخلاق إلى

رسول، تعليق، إنجاز، دعوي، عجيب، فكر، موت، حكاية، تشبيه، معرفة، شكر، نظر، تدرج، تفهم، إنجاز، رجعة، خيال، سلامة، ممانعة، تجريد، بداية، سير، وصول، رجل، عبد، عبودية، إظهار، ميل، مطمئنة، سؤال، جواب، نهى، تكملة، صلة أمر، موعظة، تنمة، تغريب، صحة، نظر، زهد، شيطان، حق، إلحاق، تهذيب، كشف، كمال، تلاح، جهل، تنبيه، رضا، ذوق، نظرة، تجريد، إشارة، اطلاع، عقل، ضلال، فكر، تنزيه، حال، إصباح، ميل.

^{٥٦} مثل: شرعية: شريعة بحكمة، تجربة وعلم، بيان وافٍ، حالة للنفس، هداية وكشف، ترهيب وترغيب، إغاثة وعلاج، تعريف وتوقيف، تنبيه ووصية، معراج وغاية، موعظة ووصية، محدود وغير محدود، موعظة في وقفة، عمل بحذر، عذر وتفهيم، كشف وإرشاد.

^{٥٧} مثل: تفضيل التفصيل، وتحصيل التنصيل، دقيقة فرقان في حقيقة إنسان. إرادة عديدة في حكمة فردية، وصية مخلص ونصيحة تتخلق، كلام في النفس وفيما هو من جملة الحكمة في إيجادها، نقل من الروحية الأنف، إيضاح شريعة بحكمة رقيقة، موعظة لهم وذكرى، كشف ردى وسبيل هدى، لمحة الجنان من ملمة الجنان، يا عجيب ووعظ قريب غاية في الباب لمن عنده علم الكتاب، برهان على ما تقدم، وجود وإشارة وغاية، تفهيم وإيضاح وتفهم، زيادة فيما اشتبه من الألفاظ.

^{٥٨} المختار من رسائل ابن عربي (٦)، دار الكتب العلمية، ص ١٨٢-١٨٩.

^{٥٩} اثنتان وثلاثون كلمة، ص ١٨٨-١٨٩.

^{٦٠} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م، ص ١٣٣-١٧٢.

مذمومة وممدوحة، كما هو الحال في الرذائل والفضائل الصوفية. تم تأتي الأخلاق العملية وطريقة ارتياضها للتعود عليها. وتنتهي الرسالة في «أوصاف الإنسان التام الجامع لمحاسن الأخلاق وطريقته التي بها يصل إلى التمام».^{٦١} وتعتمد على التنظير العقلي الخالص دون قرآن أو حديث أو شرع أو أقوال صوفية. فهل هي إبداع خالص أم نقل عن القدماء، صوفية وفلاسفة، دون الإشارة إليهم؟

(٥) «منهج البيان لأهل الرضوان»^{٦٢}

وهو الطريق إلى الله الذي يبدأ بخطوتين: الأولى ترك الدنيا ظاهرًا وباطنًا بخلو اليد عن الآمال والقلب عن الأماني والاعتصار على الضروري. والثاني قصر الأمل وحصر الحياة على النفس. وتعتمد على تحليل التجارب الإنسانية دون أدلة نقلية من قرآن أو حديث أو شعر أو أقوال صوفية.

(٦) رسائل المحبة^{٦٣}

وهو المقام الأثير عند الصوفية. وله أربعة ألقاب: الحب، والود، والعشق، والهوى. وتعتمد على القرآن والشعر دون الحديث وأقوال الصوفية.^{٦٤}

(٧) «الأشعار عن نتائج الأسفار»^{٦٥}

هو مثل «الأسفار الأربعة» لصدر الدين الشيرازي، ثلاثة فقط منها.^{٦٦} من الخلق إلى الحق، ومن الحق إلى الحق، ومن الحق إلى الخلق، دون من الخلق إلى الخلق، وهو الأهم

^{٦١} السابق، ص ١٦٣-١٧٢.

^{٦٢} رسائل ج ٦ (١٤) ص ٢٢١-٢٢٢.

^{٦٣} رسائل، ج ٦ (١٢)، ص ٢٠١-٢٠٣.

^{٦٤} الآيات (٣)، الأشعار (٣).

^{٦٥} رسائل، (١)، ج ٢، (٢٤).

^{٦٦} «أما بعد فإن الأسفار ثلاثة لا رابع لها. أثبتتها الحق عز وجل. وهي سفر من عنده، وسفر إليه، وسفر فيه. وهذا السفر فيه هو سفر النية والحيرة، فمن سافر من عنده فربحه ما وجد. وذلك هو ربحه. ومن سفر فيه لم يربح سوى نفسه. والسفران الأولان لهما غاية يصلون إليها ويحيطون عن رحالهم. وسفر

في وجود الإنسان في العالم الأفقي وليس العالم الرأسي تنزيلاً أو تأويلاً أو العالم المفارق المتعالي الذي لا يعرف إلا قياساً للغائب على الشاهد. التنزيل والتأويل لهما غاية وهدف. أما السفر الثالث فهو النية والحيرة.

وللأسفار أسماء تفصيلية.^{٦٧} والمسافرون من الله ثلاثة: مطرود كإبليس، وغير مطرود كالعاصي، واجتباء واصطفاء مثل المرسلين. والمسافرون إليه ثلاثة، مسافر مشترك، ومسافر منزّه، ومسافر معصوم. والمسافرون فيه اثنان، الأول بالمفعول والأفكار مثل الفلاسفة، والثاني قادتهم الأسفار إلى ما هم فيه مثل الرسل والأنبياء، والأولياء والصوفية. فالأسفار هي الحركة. والمسار تطور كما هو الحال في فلسفة التاريخ.

ويعتمد على القرآن والشعر والحديث. ويستعمل القرآن أحياناً على نحو حر.^{٦٨} ومن الصوفية يذكر أبو العباس الشيخ ثم أبو مدين، ثم البسطامي ثم التستري، ثم الجنيد، والحسن البصري، غيرهم.^{٦٩} ومن الصحابة يذكر الحسن والصدّيق وعمر.^{٧٠} ومن الأنبياء موسى وآدم ولوط.^{٧١} ومن الفرق يذكر الفلاسفة ثم الصوفية والمعتزلة والأشاعرة.^{٧٢}

النية لا غاية له. والطريق الذي يمشي فيه المسافرون طريقان: طريق في البر وطريق في البحر، السابق، ص ٣.

^{٦٧} هي ستة عشر سفرًا هي (١) سفر رباني من العماء إلى عرش الاستواء الذي تسلمه الاسم الرحمن. (٢) سفر الخلق والأمر وهو سفر الإبداع. (٣) سفر القرآن العزيز. (٤) سفر الرؤية ... الله والاعتبار من. (٥) سفر الابتلاء وهو سفر الهبوط. (٦) سفر إدريس وهو سفر العز مكاناً ومكانة. (٧) سفر النجاة وهو سفر نوح. (٨) سفر الهداية وهو سفر إبراهيم. (٩) سفر الإقبال وعدم الالتفات وهو سفر لوط إلى إبراهيم. (١٠) سفر المكر والابتلاء في ذكر يعقوب ويوسف. (١١) سفر الميقات الإلهي لموسى. (١٢) سفر الرضا. (١٣) سفر الغضب والرجوع. (١٤) سفر السعي على العائلة. (١٥) سفر الخوف. (١٦) سفر الحذر.

^{٦٨} الآيات (١٠٤)، الأشعار (٢٢)، الأحاديث (٤).

^{٦٩} أبو العباس الشيخ (٥)، أبو مدين (٢)، أبو يزيد، سهل بن عبد الله، الجنيد، الحسن البصري، أبو العباس العريني، الهونجي، فرقد السنجي، عبد الله المروزي (١).

^{٧٠} الحسن (٤)، الصدّيق (٢)، عمر (١).

^{٧١} نوح، موسى (٥)، آدم، الخليل (٤)، لوط، السامري، هارون، إدريس (٣)، إبراهيم، يوسف، محمد (١). ومن الشخصيات التوراتية لوط وحواء (١).

^{٧٢} الفلاسفة (٢)، الصوفية، المعتزلة، الأشاعرة (١).

(٨) «منزل المنازل الفهوانية»^{٧٣}

وهو كتاب في المراتب والمستويات والدرجات. يحكمها كلها العدد تسعة عشر للذات وموضوعها وللمقام وأهله، وللأصول وأصحابها. بينها تطابق وسجع وجناس. وقد يطول اسم المنزل ويتوالى التطابق أكثر من مرة.^{٧٤} ولا يعرف معنى الفهوانية تمامًا. وهو مصطلح للصوفية منذ ابن عربي. ويعني خطاب الحق بطريق المكافحة في عالم المثال. ثم يتلوها تسعة عشر منزلًا للذات وصفاتها.^{٧٥} وتسمى هذه المنازل عند صوفية آخرين «المواقف» أو «البشائر» أو الموارد. وقد ينقسم كل منزل إلى أقسام مثل قسمة منزل الرموز إلى خمسة أقسام. كل منها يشتمل على عدة منازل بحيث يصعب استيعاب المثالث منها، والتعرف على درجاتها. ويعتمد على الشعر والقرآن دون الحديث النبوي أو القدسي.^{٧٦} ومن الصوفية يذكر العلاج وحده، ومن أزواج الرسول عائشة، ومن الأنبياء

^{٧٣} رسائل ابن عربي، ج ١، (٦)، ص ١٦١-١٨٩. وله طبعة أخرى في دار الكتب العلمية.

^{٧٤} (١) منازل الثناء والمدح لأرباب الكشوفات والفتح. (٢) منازل الرموز والألغاز لأهل الحقيقة والمجاز. (٣) منازل الدعاء والنداء لأهل الإشارة والإقصاء. (٤) منازل الأفعال لأهل الأحوال والوصال. (٥) منازل الابتداء لأهل الخواطر والإيماء. (٦) منازل التنزيه لأولى الاستنباطات والتوحيد. (٧) منازل التقريب للمثاله الغريب. (٨) منازل التوقع لأصحاب السبحات والتبرقع. (٩) منازل البركات لأهل الحركات. (١٠) منازل الأقسام للمدبرين. عوالم الأجسام. (١١) منازل الدهر لمن اغترف من النهر. (١٢) منازل الآنية لأرباب المشاهد الفانية. (١٣) منازل لام الألف لأهل السر الذي لا ينكشف إلا بعد قيام الألف من رقدتها وحل اللام من عقدتها. (١٤) منازل التقرير لعلماء الإكسير. (١٥) منازل خباء الكون للمستورين خلف حجاب الصون. (١٦) منازل الألفة لأصحاب الأمان والفرقة. (١٧) منازل الوعيد للقائمين بالعرش المجيد. (١٨) منازل الاستخيار للغارقين بالأسرار. (١٩) منازل الأمر للمتحققين بحدائق السر، السابق، ص ١٦١-١٦٢.

^{٧٥} (١) فالمتدحون بأوصافهم زاهون. (٢) والرامزون من الاعتراض فائزون. (٣) والمتألّهون بأوصاف الربوبية متخلقون تائهون. (٤) والواصلون على العين حاصلون. (٥) والمسيرون عند التبليغ حائزون. (٦) والمستنبطون مصيبون وغالطون. (٧) والغرباء المقربون عند صولة الكون منكسرون. (٨) والمتبرقعون من سطوة السبحات خائفون. (٩) والمتحركون بغيرهم مرزوقون. (١٠) والمدبرون بالفكر سالكون. (١١) والممكنون بوضع الحدود مكلفون. (١٢) والمشاهدون إذا سألهم حاجمون. (١٣) والكاظمون مجهولون فهم سالمون. (١٤) والعالمون على الأشياء والمعلومات حاكمون. (١٥) والمستورون عند الحقيقة منتظرون. (١٦) والأمنون في مواطن الدنيا مخدوعون. (١٧) والقائمون عند الله قاعدون. (١٨) والملمهون في الأكوار محكمون. (١٩) والمحققون بالثلاثة الأحوال ظاهرون، السابق، ص ١٦٢-١٦٣.

^{٧٦} الأشعار (٢٠)، الآيات (٨).

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

إبراهيم. ومن المؤلفات الأخرى يحال إلى «أسرار الصلاة من التنزيلات الموصلية». وتعطى إجازة نسخ الكتاب وروايته في النهاية.

(هـ) «حل الرموز ومفاتيح الكنوز» لعز الدين المقدسي (٦٧٨هـ)^{٧٧}

وبالرغم مما يوحي العنوان أنه في التأويل إلا أنه في الحقيقة في الطريق، المقامات والأحوال، قبل أن يتحول إلى طريقة وعهود بين الشيخ والمريد. ويتكون من أربعة وعشرين فصلاً غير مرقمة تدور حول ستة موضوعات رئيسية. الأول الطريق بدايته ونهايته ومنازله ودرجات القرب من الله، والمجاهدة، والتكوين والتمكين، والطريق من المبدأ إلى المعاد.^{٧٨} والثاني في المقامات مثل المحبة والأحوال مثل أحوال الرسول وما ينزل عليه من الواردات وأحوال القوم في الأسفار.^{٧٩} والثالث معرفة النفس كمقدمة لمعرفة الرب، وتشبيهه مملكة النفس بالمدينة، والروح والقلب.^{٨٠} والرابع المعرفة، معرفة الله بالله، وما يجب معرفة الله به وعلامات العارف.^{٨١} والخامس السماع وهو الطريق إلى المعرفة، ومن حضر من السلف، مفهومه وأقسامه، وحكم الضرب بالدف والرقص والغناء وأحوال أهل السماع.^{٨٢} والسادس كرامات الأولياء والتصوف الصحيح بعد أن بدأ بالانحراف والتحول إلى الشعوذة والخرافة.^{٨٣} تحول الفقر إلى مراعاة باللباس، وحلق الرعوس وترقيع اللبوس. تحولت العبادة إلى حمل السجادة، والزهادة إلى التخشين الوسادة،

^{٧٧} دار الكتب العلمية، بيروت.

^{٧٨} بدايات الطريق، المجاهدة، منازل الطريق، درجات القرب من الله، التلويح والتمكين، الطريق من المبدأ إلى المعاد، حل الرموز، ص ٦٩-٨٧، ١٠٧، ١١١، ١١٩-١٢٣، ١٤٥-١٥١.

^{٧٩} أحوال المحب، تبادل الحب بين المحب والمحبوب، حقيقة المحبة، أحوال النبي وما كان ينزل عليه من الواردات، أحوال القوم في الأسفار، السابق، ص ٨٧-١١١، ١٥١-١٥٥.

^{٨٠} معرفة النفس وما يلزم منها من معرفة الرب، مملكة النفس كالمدينة، قوت القلوب والأرواح، السابق، ص ١٢٣-٣١، ١٨١، ١٨٥.

^{٨١} فيما يجب من معرفة الله، بالله عرفنا الله، علامات العارف، السابق، ص ١٣١-١٤٥.

^{٨٢} السماع فيجب السماع من السلف، مفهوم السماع وأقسامه، حكم الضرب بالدف والرقص والغناء، أحوال أهل السماع، السابق، ص ١٥٥-١٨١.

^{٨٣} كرامات الأولياء، التصوف الصحيح، السابق، ص ١٩٣-٢٠١.

والمديح إلى حمل المسبحة، ولبس الطاقية والتعامل على العكاز ... إلخ.^{٨٤} ويعتمد على الآيات والأحاديث والأشعار.^{٨٥} وتتكرر الأحاديث. وتظهر الأحاديث القدسية بما فيها من خيال وإخراج مسرحي وفن قصصي. ويظهر الرسول في المنام ويحدث الأولياء. وتنقل عنه الأحاديث.^{٨٦} ويحال إلى الصوفية السابقين يتقدمهم الشبلي، ثم أبو طالب المكي، وأبو عثمان المغربي، ثم البسطامي، والمحاسبي، والسري السقطي، وذو النون، ومعروف الكرخي، ويحيى بن معاذ، وغيرهم مثل قضيبي البان، وعبد الكريم بن عبد الواحد، كما يحال إلى «إحياء علوم الدين».^{٨٧} ويظهر التوافق بين الفقهاء الصوفية بالإحالة إلى أحمد بن حنبل ثم الشافعي.^{٨٨} كما تبدو الإسرائيلية. وتبرز المحسنات البديعية كالسجع، والتكلف في الأسلوب وكأنه من الشطحات كنوع أدبي.

(و) «عنوان التوفيق في آداب الطريق» لابن عطاء الله السكندري (٧٠٩هـ)^{٨٩}

السلوك هو الطريق، آدابه المستقلة عن آداب الشيخ والمريد. هي آداب الذات مع نفسها. وهو خطاب موجه إلى القارئ لإرشاده وتوجيهه. يعتمد على القرآن والحديث والشعر، والأولية للشعر ثم للحديث.^{٩٠} ولا يحال إلى أحد من الصوفية لأنها إرشادات للمريدين.^{٩١} ولا يوجد موضوع نظري محدد. إنما هي تنبيهات على أن اللذة في صحبة الطريق، وهي

^{٨٤} «وأما من ظهر من جهال الطريق، ويبرز بالعدول عن التحقيق، وتقصفوا تكشف أهل التجريد والتمزيق حتى أوقعوا عقول العامة في الحرج والضيق وهووا وإياهم بأهوائهم في مكان سحيق فأولئك هم والله الأسوءون حالاً، الأخسرون أعمالاً، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا»، السابق، ص ١٩٣.

^{٨٥} الآيات (١٠٦)، الأحاديث (٤٣)، القدسية (٧)، الأشعار (٢٧).

^{٨٦} حل الرموز، ص ١٢.

^{٨٧} الشبلي (٣)، أبو طالب المكي، أبو عثمان المغربي، البسطامي (٢)، المحاسبي، يحيى بن معاذ، قضيبي البان، عبد الكريم بن عبد الواحد، ذو النون، معروف الكرخي، يحيى بن الواحد، القشيري، رابعة، الدينوري ... إحياء علوم الدين.

^{٨٨} أحمد بن حنبل (٣)، الشافعي (٢).

^{٨٩} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م/١٤٢٤هـ (١)، ص ٩-٥٧.

^{٩٠} الأشعار (٢٢)، الأحاديث (٧)، الآيات (٢).

^{٩١} لا توجد إلا إشارة إلى واقعة زيارة السلطان لقبر أبي يزيد البسطامي، عنوان التوفيق، ص ٥٢.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

صحبة الفقراء في صمت. ويصل الأمر إلى اتهام الذات بالفقر والعجز والذل والعبودية، ومطالبتها بالتواضع والانكسار والانخفاض والاعتراف بالذنب وطلب المعذرة والاستغفار.

(ز) «في تقسيم السلاك إلى الله أربعة أقسام» للكاشاني (٧٣٠هـ)^{٩٢}

وهي رسالة قصيرة في الطريق. فطالبو السلوك إلى الله أربعة: الراسخون في العالم، أصحاب الفطر الطبيعية، الجامعون بين الاثنين، والخالون منهما، والنفحات الإلهية فائضة على الجميع. وتختلف النفوس التي هي في الأصل نفس واحدة في استعداداتها في المواهب والمكاسب والرياضات والمجاهدات، والظاهر والباطن. وتعتمد على القرآن وحده دون الحديث أو الشعر أو أقوال الصوفية.^{٩٣} وتعوض عن ذلك بالتنظير العقلي والقسمة.^{٩٤}

(ح) رسائل زروق الفاسي (٨٩٩هـ)

(١) «كتاب الإعانة»^{٩٥}

وتعني الإعانة هنا المساعدة على سلوك الطريق. ووضع قواعد للتصوف أشبه بعلم القواعد الفقهية الملحق بعلم أصول الفقه. والعنوان الطويل هو «إعانة المتوجه المسكين إلى طريق الفتح والتمكين» يبين الهدف من الكتاب وهو مساعدة سالك الطريق.^{٩٦} يستعمل لفظ التمكين قبل استعمال المعاصرين له في علم الاجتماع لوصف الدور المتزايد للمرأة في الأسرة والمجتمع.^{٩٧} وبقدر ما يقوم على الأدلة النقلية الأحاديث والآيات والأشعار فإنه يعتمد على القسمة العقلية المتعددة والتي يصعب معها وضعها في فصول أو أبواب مرقمة كالشجرة المتفرعة من الجذع إلى الفروع أو العنقود المتنوع من العنقود

^{٩٢} آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ، (١٧)، ص ١٧٧-١٧٩.

^{٩٣} الآيات (٢).

^{٩٤} حل الرموز، ص ٦٩-٧٠، ٧٢، ١٣٧.

^{٩٥} الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس ١٩٧٩م/١٣٩٩هـ.

^{٩٦} السابق، ص ٤٠.

^{٩٧} التمكين Empowerment.

الكبير إلى العناقيد الصغيرة.^{٩٨} ولا يذكر لفظ «فصل» إلا مرة واحدة وكأنه الكتاب كله بالرغم من تقسيماته فصل واحد.^{٩٩} وتحتاج إلى رسم بياني للكشف عن القسمة التي هي بنية الموضوع وهو الطريق. وينقسم إلى ثلاثة مواقف: الأول التوبة، والثاني الاستقامة، والثالث التحقيق. الأول للماضي، والثاني للحاضر، والثالث للمستقبل. الأول التخلي، والثاني التحلي، والثالث التجلي. وأكبرها الموقف الأول وأصغرها الثالث. وينقسم الموقف الأول إلى ثلاثة أقطاب: تحقيق النية، ورد المقام، واجتناب المحارم. أكبرها الثالث وأصغرها الأول.^{١٠٠} ثم ينقسم القطب الأول تحقيق النية إلى دواعي الثبات ودواعي الرجوع. ودواعي الثبات هي: الفرار من كل ذنب، اتهام النفس بالنزوع، إشعال النفس بما يقابله. وتنقسم دواعي الرجوع إلى: الغفلة عن الندم، معاودة طرق محل الذنب، الثقة بالنفس في عزمها على التوبة. ثم ينقسم القطب الثاني وهو رد المظالم إلى ثلاثة معالم: الأول سيئات مجردة، والثاني استدراك الحقوق، والثالث مظالم العباد.^{١٠١} ثم ينقسم القطب الثالث، اجتناب المحارم إلى أربعة أركان: العالم الباعث عليها، ووجوه العمل بالتقوى، وأحوال التقوى، ومداخل العلل.^{١٠٢}

^{٩٨} الأحاديث (٣٦)، الآيات (٢٢)، الأشعار (٣).

^{٩٩} الموقف الأول (٣٨)، الثاني (١٧)، الثالث (٦).

^{١٠٠} القطب الأول (٢١)، الثاني (١٤)، الثالث (٣).

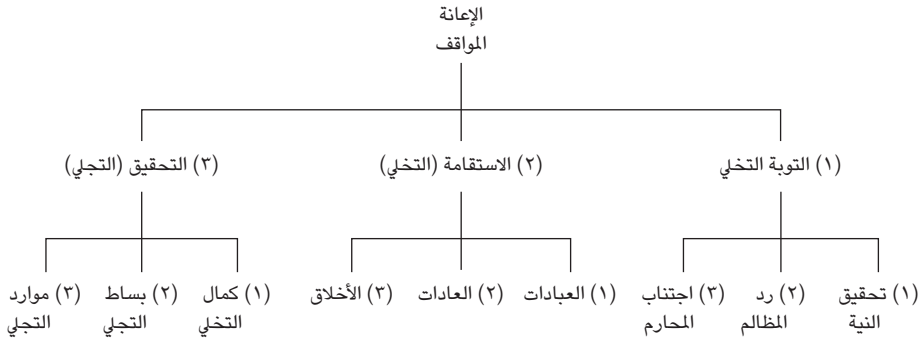
^{١٠١} ففي السيئات المجردة علامة صدق التوبة ثلاث: حلاوة الترك، ونسيان الخلق، والعمل بأسباب الثبات. وعلامة بقائها في النفس ثلاث: الاستئناس بذكر الذنب، منافرة النفس في مقاماته، والتشوق لمن يلي به. وميراث الترك ثلاثة: لذة العبادة، وتحقيق الإرادة، ووضع النجاة وميراث المعصية ثلاثة: الذلة في النفس، ظهور الكشف، وبخس الحظ. والمعلم الثاني استدراك الحقوق ثلاثة أيضاً: محصورة وغير محصورة، ومشكوكة. وميراث العمل ثلاثة: تسهيل الاستقامة، إفراغ القلب، الوقوف في محل الصدق. وميراث الإهمال الثلاثة الميل إلى الرخص، التشدد في الإقامة، والإكثار والاستعجال. والمعلم الثالث، مظالم العباد ثلاثة: الظلم في النفس، والظلم في المال، والظلم في المرض. ومصادره ثلاثة: إلحاق الضرر، والمعرفة، والنقص، وميراث رد المظالم ثلاثة: تنوير القلب، وتحقيق القصد، ووجود العز. وميراث التمسك بالمظالم ثلاثة: تمكن الظلمة، زيارة المرأة، نقص التوبة. ودواعي التمسك بالمظالم ثلاثة: الكبر والبخل، التوهم. ودواعي التحامل على ردها ثلاثة: احتقار النفس، والصلة بالله، وانتعاش الهمة.

^{١٠٢} والركن الأول العلم الباعث عليها أربعة أنواع: العلم بفضلها، وذم نقيضها، والعلم بتفاصيلها، والعلم بمواقفها. والعلم بتفاصيلها ثلاثة أصول: تمكين الحقيقة، والالتفات للذنوب، والالتفات لمطلق التحصيل. والعلم بمواقفها أربعة أطراف: موضع التقوى من العبادات، وموضعها من العادات، والأخلاق

والموقف الثاني، الاستقامة، ينقسم إلى ثلاثة بسط «العبادات، والعادات، والأخلاق والمعاملات»^{١٠٣} والموقف الثالث، التحقق، له ثلاث مقدمات: كمال التخلي، وبسط التحلي، وموارد التجلي.^{١٠٤}

والنصيحة، وتعرف المجهولات. وموقع التقوى من العبادات ثلاثة أوجه: الخطأ في الفعل، وفي المعاني، وفي الحكم. والموقع من العادات ثلاثة مواقع. الأخذ والترك، والتناول، والتقلب. والناس في ذلك ثلاثة: عال الهمة، وصاحب الرفعة، ومتهور. ولعالي الهمة ثلاثة عوارض: الطمع، والبخل، والكبر. ولصاحب الرفعة ثلاثة أصول: قلة المبالاة، والاستظهار، والاصطلاح للمخالفات. وللمتهور ثلاث آفات: التجسس، والاسترشاد مع الطبيعة، والتعزز والاستبداد. وتعرف المجهولات بثلاثة أوجه: معرفة الوجوه المحمودة، وكيفية العمل، ومقاصد أمور الخلل. والخطأ في الحكم ثلاثة: بدعة صريحة، وبدعة إضافية، وبدعة خلافية. وفي البدع الخلافية الناس ثلاثة: عالم، ومقتدٍ، وعامي. والمنبهات ثلاثة: تسلط الخلق، وامتداد النفس، والمحنة بالذنوب. والذنوب ثلاثة، مفكرات، ومذكرات، وعقوبات. والركن الثاني، وجوه العمل بالتقوى ثلاثة تكمن العلم بفائدها وضع عوارض الذنب، والاحتياط منه. والركن الثالث أحوال التقوى ثلاثة: إرسال اللسان بالغيبة، وتولف القلب بالخلائق، وعدم التوقف في التناول. والركن الرابع، مداخل العدل ثلاثة: غلبة الشهوة، والهوى، والغفلة. أما وضع العلم نفسه فأربعة أوجه: بصيرة نافذ، وشيخ صالح، وأخ صالح ورجوع إلى الحق.

١٠٣



^{١٠٤} وكمال التخلي ثلاثة أشياء: تحقيق التقوى بالورع، وكمال الاستقامة بالاتباع، ونفي الشواغل. وبسط التخلي ثلاثة أمور: إضعاف قوى النفس، وتقوية الدواعي بالذكر، وانتهاج الحقيقة. وموارد التجلي ثلاثة أقسام: ظهور الفاقة، ووجوه الإطلاق، وإعطاء كل حقيقة حكمها. وذلك يتطلب ثلاث ضروريات: وجود المربي، والأخ المعين، وتفقد الحال. كتاب الإعانة، ص ٨٣-١٠٤.

ويعتمد كتاب «الإعانة» على الأحاديث ثم الآيات ثم الأشعار.^{١٠٥} وهذا يدل على الخروج من الفروع أكثر من الأصول. كما يعتمد على الصوفية السابقين، يتقدمهم الجنيد ثم المحاسبي والسلمي ثم الشبلي والغزالي، والجيلاني والجريري والشاذلي وغيرهم.^{١٠٦} ويحيل إلى مصادر مدونة. كما يقتبس من النصوص المتأخرة بعلامة «ا.هـ».^{١٠٧} ويبدو على الكتاب طابع التجميع. بل إنه يبدأ بتقسيم القلب طبقاً للطب. فلا نفس بلا بدن. وحياة البدن الإقلال من الطعام.^{١٠٨} وتستعمل عدة ألفاظ للتنبيه على مقاطع الكتاب مثل: تنبيه، تقسيم، رجوع، فصل، خاتمة، نكتة، فائدة، تكملة. وتتعدد أقسامه إلى مواقف وأقطاب وأطراف وأركان وبسط وضروب ومراصد، وتراكيب، ومقدمات وخواتيم.^{١٠٩} ويتم ذلك كله في إطار من نسبية المعرفة في تعبير «الله أعلم» ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ ويتوجه الخطأ للقارئ بلفظ «فافهم» وندائه بالأخ.^{١١٠} والتصوف يخترق المذاهب الفقهية الأربعة. فالجنيد ثوري، والمحاسبي شافعي، والشبلي مالكي، والحريري حنفي، والجيلاني حنبلي، وابن عربي صاحب التأويل ظاهري.^{١١١} والفرق بين الفقهاء والصوفية أن الأصولي الفقيه يسقط الحرج، والصوفي يؤثر الكمال. الأول يأخذ بالأوقع، والثاني يتحرى الأحسن. وكلاهما صواب.^{١١٢} ويأخذ الصوفية بمذهب السلف في الاعتقادات، نفي التشبيه وإثبات التنزيه دون تأويل أو أباطيل. ويقولون بقول مالك الشهير في الاستواء.^{١١٣}

^{١٠٥} الأحاديث (٣٧)، الآيات (٢٣)، الأشعار (٣).

^{١٠٦} الجنيد (٣)، المحاسبي، السلمي، الشاذلي، مالك (٢)، الغزالي، الشبلي، الجيلاني، الجريري، يوسف

بن الحسين ابن الحجاج، الشاطبي، البازلي، مالك (١).

^{١٠٧} الإعانة، ص ٨٦.

^{١٠٨} السابق، ص ٣٨.

^{١٠٩} السابق، ص ٤٥-٤٠.

^{١١٠} السابق، ص ٤٥، ٦٦.

^{١١١} السابق، ص ٦٩.

^{١١٢} السابق، ص ٦٧-٦٩.

^{١١٣} «فالصوفي لا يفارق السلف في معتقده، ولا يفارق الفقهاء في معتمده لأن العقائد رأس ماله، والأحكام أساس أعماله، فالمخاطرة بهما ضرر، والعمل بغير المذهبين المذكورين فيهما غرر»، السابق، ص ٦٨.

(٢) «قواعد التصوف»^{١١٤}

وهو مثل قواعد العقائد في علم الكلام المتأخر عندما يضع كم قاعدة على المؤمن أن يؤمن بها ثماني وأربعين تزيد حتى اثنتين وخمسين في الله وفي الرسول طبقاً لأحكام العقل الثلاثة الواجب والممكن والمستحيل.^{١١٥} وتضم مائتين وخمسة وعشرين قاعدة بلا عناوين. تبدأ بقواعد نظرية خالصة أدخل منها في نظرية العلم والمنطق عند الأصوليين، أصول الدين وأصول الفقه. تحتاج إلى إعادة تصنيف في مجموعات أقل. فيصعب على السالك أن يتبع هذه المئات من القواعد.^{١١٦} القواعد تعريفات وموضوعات ووصايا. وليست كلها في صيغة الأوامر والنواهي الفقهية والمواظب والوصايا الخلقية. وهي على درجة عالية من التنظير والتجريد. تبدأ بالمنطق، تعريفاته وحدوده، تصوراتهِ وتصديقاتهِ، ومستقاة من علم أصول الدين بشقيه، علم أصول الدين وعلم أصول الفقه. وتغلب عليه مصطلحات علم أصول الفقه مثل الأصل والفرع، والعموم والخصوص، والإحكام والتشابه. والسؤال هو: إذا كانت قواعد التصوف، نصائح عملية للمتعلمين فلماذا هذا المدخل النظري العملي المنطقي؟ قد يدل ذلك على أن التصوف العملي لم يخلُ من تأسيس نظري. ويتجلى التحليل النظري في القسمة وهي إحدى طرق التعريف.^{١١٧} ويفضل المؤلف الطريقة الشاذلية.^{١١٨}

وتعتمد على القرآن، والحديث أكثر.^{١١٩} وتتوالى الآيات أحياناً في دفعات متتالية.^{١٢٠} ويطبق النص مع التجربة الصوفية، وهو دليل على الصدق أفضل من السند.^{١٢١} كما تعتمد على خمسة وثلاثين قولاً من مائة وخمسة وثلاثين علماً من أعلام الصوفية والفقهاء

^{١١٤} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ، ص ١٩٥-٢٠٢.

^{١١٥} من العقيدة إلى الثورة، ج ١، المقدمات النظرية، ص ١٩٥-٢٠٣.

^{١١٦} مثل الحدود والتعريفات للعلم، تعريف التصوف، الذات والصفات، الأصل والفرع، العلم والعمل، الطريق والطريقة، العبادة، السماع، المعجزات والكرامات، الفضائل والرزائل، المواظب والوصايا، محاسبة النفس، ... إلخ.

^{١١٧} القسمة، قواعد التصوف، ص ٣٠، ٣٤، ٤٥، ٥٠، ٥٤-٥٦، ٦٠-٦١، ٨٤-٨٥، ٩٠-٩١، ٣١-٣٢.

^{١١٨} السابق، ص ٥٨.

^{١١٩} الأحاديث (٩٩)، الآيات (٦٢).

^{١٢٠} قواعد التصوف، ص ١٠٤.

^{١٢١} السابق، ص ٦٠.

والصحابا. يتقدمهم الجنيد ثم الشاذلي ثم الجيلاني والمحاسبي ثم أبو بكر. ومن الأنبياء يظهر موسى، ومن رموز الصوفية المتخيلين الخضر. يتلوهُ سفيان الثوري وابن عربي والشبلي والداراني وأبو العباس المرسى وابن سبعين والسهورودي والتستري والغزالي، ثم ابن عطاء الله وابن الفارض والبوني، ثم القشيري والخرّاز وأبو نعيم الأصفهاني وابن الجلاء والحسن البصري والحلاج والخواص وسمنون والسلمي وسهيل والكرخي. ومن الفقهاء مالك بعد الجنيد، ثم الشافعي، ثم ابن الجوزي، ثم أبو بكر بن العربي، ثم أبو حنيفة وابن حزم وابن فورك وابن حنبل وغيرهم، ثم الطرطوشي.^{١٢٢} ومن الصحابة يتقدم عمر ثم علي ثم ابن عباس ثم أبو هريرة. كما يعتمد على كتاب المؤلف الآخر «عدة المريد الصادق».^{١٢٣} ويأخذ منه عدة اقتباسات تنتهي بلفظ «انتهى».^{١٢٤} ويعتمد أحياناً على بعض الإسرائيليات.^{١٢٥} ويخاطب القارئ على نحو مباشر لدعوته وتجنيدِهِ.^{١٢٦} وتنتهي بعض الفقرات بلازمة «والله أعلم» تأكيداً على نسبية المعرفة.^{١٢٧} وبالكاتب نزعة إصلاحية ضد مدعي التصوف وإسقاط التدبير والكرامات.^{١٢٨} فقد كُتِب أثناء سقوط الأندلس. وتوفي المؤلف عامين بعده.^{١٢٩}

^{١٢٢} الجنيد (١٤)، مالك (١٠)، عمر بن الخطاب (٩)، الشافعي، ابن أبي جمرَة (٦)، الشاذلي، الحاتمي، الخضر، الجيلاني، المحاسبي (٥)، أبو بكر، الحضرمي، ابن العريف، سفيان الثوري، ابن عربي، الشبلي، علي بن أبي طالب (٤)، أبو سليمان الداراني، أبو العباس المرسى، أبو عبد الله القوري، ابن الحاج، ابن سبعين، ابن سيرين، ابن عباس، ابن المسيب، السهورودي، التستري، عثمان، الغزالي، النووي (٣)، أبو مدين، أبو هريرة، أبو يعلى، ابن عطاء الله، ابن الفارض، البوني، الطرطوشي، القشيري ... إلخ (٢). أبو بكر بن العربي، أبو حنيفة، الخراز، أبو نعيم الأصفهاني، ابن الجلاء، ابن حزم، ابن عباد، ابن فورك، ابن حنبل، الحسن البصري، الحلاج، الخواص، سمنون، السلمي، سهيل، معاذ، معروف، الثوري، الهروي ... إلخ (١).

^{١٢٣} قواعد التصوف، ص ١٤.

^{١٢٤} السابق، ص ٣.

^{١٢٥} السابق، ص ١٣٥.

^{١٢٦} بلفظ «فافهم»، السابق، ص ٢٥، ٣١.

^{١٢٧} السابق، ص ٢٥.

^{١٢٨} السابق، ص ١٢٦-١٢٨.

^{١٢٩} «كان العصر عصر اضطرابات في أواخر الدولة المرينية. احتلت البرتغال ثغورها عام ٨١٨هـ. والقصر الكبير عام ٨٦٣، وطنجة عام ٨٦٩، وأصيلة في ٨٧٦. وطرد الإسبان أهل الأندلس من غرناطة وشَرْدوهم ونكلوا بهم حتى أسقطوها في ٨٩٧هـ. وادّعى السياف النبوة ونزول الوحي عليه»، السابق، ص ٦.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

لذلك يجمع بين التصوف والفقه^{١٣٠} فالكتاب نوع من الفقه الصوفي أو التصوف الفقهي. يتعامل مع المذاهب الفقهية قدر التعامل مع الطرق الصوفية،^{١٣١} يحارب أهل البدع والأهواء. وينقد تعدد الطرق وتنافرها فلكل شيخ طريقة. البعض يعتمد على الأدلة النقلية وحدها في حين يعتمد البعض الآخر على التأويل الباطني.^{١٣٢}

(ط) «رسالة الإخوان إلى سائر البلدان» لابن ميمون الغمري (٩١٧هـ)^{١٣٣}

وهي رسالة في الطريق، طريق السلوك إلى الله. تبدأ بنظرية الذات والصفات والأفعال إلى الله. وهي غاية الطريق ومنتهاها بالرغم من صياغته النظرية التي لا تفيد في الطريق العملي، ثم تبدأ الأحوال وتفصيل المقامات ابتداء من التوبة والزهد والتوكل والرضا والمحبة ونهاية بالأبدال والأقطاب. ولكل مقام ثلاثة مستويات عامة وخاصة وخاصة الخاصة. فالعلم طبقاً لمستويات فهم العالم. وسبب تأليف الرسالة هو إجابة على سؤال عن كيفية الدخول في الطريق وآداب السلوك.^{١٣٤}

وكانت الإجابة بعد الاستشارة وليس بقرار شخصي. وتبرز علاقة التصوف بالأشعرية. والرسالة موجهة إلى القارئ، وتعتمد على القرآن والحديث والشعر.^{١٣٥}

ويُحال إلى بعض المتكلمين مثل النسفي والأشعري، وبعض الفرق مثل المعتزلة والأشاعرة والخوارج والزيدية والروافض والحنفية، كما يذكر بعض الصحابة مثل علي. ومن الأنبياء يحال إلى موسى وداود ومحمد والخضر.^{١٣٦} ويحال إلى «منهاج السالكين» وتظهر بعض مصطلحات العلم الحديث مثل المغناطيسية.^{١٣٧}

^{١٣٠} «فالقصد بهذا المختصر وفصوله تمهيد لقواعد التصوف وأصوله على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة، ويصل الأصول والفقه بالطريقة»، السابق، ٢١.

^{١٣١} السابق، ص ١١٨-١١٩.

^{١٣٢} السابق، ص ٥.

^{١٣٣} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣ م (٢)، ص ٧-٥٣.

^{١٣٤} «فقد سألتني بعض الإخوان في الله، المريدون لله، أن أرسم رسالة إلى الإخوان في سائر البلدان، أذكر فيها كيفية الدخول في باب هذا الطريق، وآداب السلوك من أهل هذا الفريق ...» السابق، ص ٧.

^{١٣٥} الآيات (٤٩)، الأحاديث (١٢)، الأشعار (٦).

^{١٣٦} موسى، داود (٣)، محمد، الخضر (١).

^{١٣٧} السابق، ص ٣٢.

(ي) «رسالة الإخوان من أهل الفقه وحملة القرآن»

لابن ميمون الفجاري (٩١٧هـ) ١٣٨

وهي رسالة في الطريق. وهو سبب تأليفها. ١٣٩ تضم سبعة فصول، عناوينها آيات قرآنية. ١٤٠ كل فصل أصل. الأصل الأول عن الذكر، الفرق بين الذكر والعلم، والظاهر والباطن والفقه والفقر، وعلى وجه الاختصار. لا فرق بين علم المؤلف وحياته الشخصية وتجاربه ورحلاته. والثاني موضوع الذات والصفات والأفعال. وهو موضوع نظري خالص في علم الكلام المتأخر طبقاً لأحكام العقل الثلاثة. ليس له علاقة مباشرة بأحوال الطريقة. ١٤١ والثالث عبادة الإنس والجن، ظاهراً وباطناً، والحديث عن الجن قياساً للغائب على الشاهد. والرابع العبادة والإخلاص. والخامس النفس الأمانة بالسوء. والسادس عداوة الشيطان وكأنه موضوع معروف. والسابع غرور الدنيا. والآية بديل عن التصور أو الموضوع مما يدل على عجز في الوعي النظري. ويستعمل القرآن والحديث والشعر وبعض الأمثال العامة. ١٤٢ وتكثر أسماء المشايخ إلى حد لا يمكن حصرها. إذ تتوالى المشايخ كما يتوالى الرواة والرسول صدى لأحوال العصر والزمان، سيادة فقه اللسان على فقه القلوب. ١٤٣

١٣٨ دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣ م (١)، ص ٢٩-١٣٣.

١٣٩ «سنح في سري أن أكتب رسالة على ما اقتضى سلوك الطريقة المحمدية المدة من أسرار العلوم الدنية حسبما من به عليّ على يد أستاذي الشيخ العارف بالله أبي العباس أحمد بن محمد الدباسي الأفريقي...»، السابق، ص ٣١.

١٤٠ الفصل الأول ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ الفصل الثاني ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾. الفصل الثالث ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾. الفصل الرابع ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾. الفصل الخامس ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ الفصل السادس ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾. الفصل السابع ﴿فَلَا تَعْرَنُكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ السابق، ص ٣٣.

١٤١ من العقيدة إلى الثورة ج ١، المقدمات النظرية، الفصل الثاني: بناء العلم، ص ١٩٥-٢٠٣.

١٤٢ الآيات (٤٦٥)، الأحاديث (٧٣)، القدسية (٥)، الأشعار (١)، المثل العامي (١). والمثل العامي مثل «يوم الامتحان يكرم المرء أو يهان»، رسالة الإخوان، ص ١٠٥.

١٤٣ «فأما المنتسبون إلى الفقه، وأعني بالفقه المصطلح عليه في هذا الزمان وهو فقه اللسان. وأما فقه القلب الذي هو الفقه الحقيقي فهو معدوم في زماننا هذا بفقد حامله»، السابق، ص ٩٣.

(ك) رسائل أحمد المستغامي (١٣٥٣هـ)

(١) «الله القول المعتمد في مشروعية الذكر بالاسم المفرد»^{١٤٤}

وهي مشكلة جواز ذكر الله بالاسم المفرد مثل «الله»، «الله» دون وضعه في جملة مفيدة، مبتدأ أو خبرًا، مفعولًا أو فاعلًا، موضوعًا أو محمولًا. فالاسم المفرد دال بذاته، موضوع بلا محمول. وهذا هو سبب التأليف.^{١٤٥} لذلك جاء المدخل لغويًا.^{١٤٦} فالمنادى من أقسام الكلام. قد يظهر فيه حرف النداء وقد لا يظهر إلا بالصوت. وكانت تلك طريقة العرب في نداء الرب. ولما كان الموضوع سجاليًا فقد ظهر أسلوب القول «فإن يقل ... قلت»، والترجيح بين المذاهب دون الاستبعاد والإقصاء لأحدهما على الإطلاق. لذلك يجمع بين الأدلة النقلية، الحديث والقرآن والشعر، والأدلة العقلية.^{١٤٧} كما يعتمد على كثير من أقوال الصوفية اقتباسًا منهم بعلامة «انتهى».^{١٤٨} والأهم هو الإضافات التي تمت على النص الأول والتي تبلغ الضعف من علماء القرويين (حوالي أربع عشرة إضافة). وهي عادة غير متبعة في التأليف إلا بدافع احترام الزملاء وتقدير تعليقاتهم، تجعل التأليف يبدو مصطنعًا. يقوم على النقل من القدماء والمحدثين وليس على التجربة الذاتية.^{١٤٩} وتقوم الرسالة على التفرقة بين العلم المنقول والعلم الكشفي العياني.^{١٥٠} كما يحال

^{١٤٤} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م (٢) ص ٧٨-١٢٢.

^{١٤٥} «رأيكم فيها موغر الصدر على إخوانكم العلويين ... لا لذنب ارتكبه سوى أنهم مولعون بإجراء الاسم المفرد على أسنتهم وهو قولهم «الله». فظهر لكم أن ذلك مما يستحق العتاب أو نقول العقاب لأنكم قلتم إنهم يلهجون بذكر ذلك الاسم بمناسبة أو بغير مناسبة سواء عليهم في الأزمة أو غيرها من الأماكن التي لا تليق للذكر حتى إن أحدهم إذا طرق الباب يقول «الله»، وإذا ناداه إنسان يقول «الله»، وإذا قام يقول «الله»، وإذا جلس يقول «الله» ترون هذا الاسم لا يصلح أن يكون ذاكرًا. لا هو من أقسام الكلام المفيد جريًا منكم على ما اشترطه النحويون من لزوم التركيب في تعريفهم الكلام المفيد ...»، السابق، ص ٨٨.

^{١٤٦} السابق، ص ٩٠.

^{١٤٧} الأحاديث (٢٦)، الآيات (٢٣)، الأشعار (١٣).

^{١٤٨} الغزالي (٤)، السبكي (٢)، ابن فورك، القشيري، الرازي (١)، انتهى (٣).

^{١٤٩} الله القول المعتمد، ص ١٠٠-١٢٢.

^{١٥٠}

ما زلت أسمع عن إحسانكم خبرًا الفضل يسنده عنكم ويرفعه
حتى التقينا فشاهدت الذي سمعت أذني وأضعاف ما قد كنت أسمع

سابعًا: الطريق، والطريقة، والشيخ والمريد، والمجتمع المثالي

إلى بعض المصادر مثل «الإحياء» و«مشكاة الأنوار» للغزالي.^{١٥١} ومقدمها هو العبد الفقير.^{١٥٢}

(٢) «إرشاد الراغبين إلى ما احتوت عليه الطريقة العلوية من الفتح المبين»^{١٥٣}

وهو ملحق برسالة «القول المقبول فيما تتوصل إليه العقول» لنفس المؤلف الموقن بالوعد، راجي التجيز، المفتقر إلى الله. فقد جرت العادة زيادة إضافات لأصحاب الطرق من الأوراد والأحزاب والمناجاة والمدائح كتطبيقات للرسائل النظرية.^{١٥٤} وهو ورد الطريقة الشاذلية العلوية والتي يكون بها الخلاص. وتبدأ بالتعريف بالطريقة العلوية مع المغالاة الشديدة المعروفة في شعر المديح.^{١٥٥} والإثبات والإنكار للطريقة لا يأتي عن طريق الخبر بل عن طريق التجربة.^{١٥٦} ثم يثني بنتائج الطريقة وهو إسقاط التدبير والرضا بالقضاء والقدر. ويكون المريد مع الشيخ مثل الجثة في يد المغسل.^{١٥٧} لا اعتراض بل تسليم

فإذا لم ترَ الهلال فسلم لأناس رأوه بالأبصار

السابق، ص ١٠٧.

^{١٥١} أيضًا شرح الأجهوري على خليل، السابق، ص ٩٥.

^{١٥٢} السابق، ص ٦٧.

^{١٥٣} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦ م (٤)، ص ١٥٧-١٨٣.

^{١٥٤} «هذا وقد فكرت وأنا لدى الطبع، ورأيت للمناسبة وتعميم الفائدة والنفع أن نلحق بهذا الكتاب المشار إليه مناجاة المؤلف رضوان الله عليه وكذا ذكر الورد العام في الطريقة الشاذلية العلوية والتنبيه لذكرها الخاص، وما يكون به إن شاء الله الخلاص. ولكن وددت أن نأتي قبل ذلك بنبذة تكون إن شاء الله كافلة ببيان فضائل هذه الطريقة وما لها من الخيرات ...» السابق، ص ١٥٧.^{١٥٥} مثل:

حلف الزمان ليأتين بمثله حنثت يمينك يا زمان فكفر

السابق، ص ١٦٧.

^{١٥٦}

ومن شاء فلينكر ومن رام فليختبر

السابق، ص ٦٩.

^{١٥٧}

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

مطلق، ثم يذكر الورد العام والورد الخاص وذكر علم القوم وهو جزء من علم الكلام أي من صلب العقيدة.^{١٥٨} وهو علم كلام صوفي، علم الأسرار الذي لا يُباح به وإلا أريق الدم.^{١٥٩} وفي النهاية يأتي سند الطريق وهي روايات الصوفية عن بعضهم البعض أسوة بعلم الحديث. ويعتمد على القرآن والشعر والحديث.^{١٦٠}

(ل) «الأصول العلوانية في الآداب والأخلاق الصوفية» لأحمد الخلوتي (١٠١٧هـ) ^{١٦١}

وهي أشبه بقواعد العقائد في علم التوحيد المتأخر. تهدف إلى النصح لعباد الله والدين النصيحة من الفقير الحقير أحمد العلواني خَادم الطريقة العلوانية التي ما في وقتنا هذا أحد يعرفها.^{١٦٢} تضع واحدًا وثلاثين أصلًا.^{١٦٣} وتتراوح بين العبادات والأخلاق، وتعتمد

وإن ساعد المقدور أو ساقك القضا	إلى شيخ حق في الحقيقة بارع
فقم في رضاه واتبع لمراده	ودع كل ما من قبل كنت تصانع
وكن عنده كالميت عند مغسل	يقلبه ما شاء وهو مطاوع
ولا تعترض فيما جهلت من امره	عليه فإن الاعتراض تنازع

السابق، ص ١٧٢.

١٥٨

أيها المقتدي لتطلب علمًا كل علم عبد لعلم الكلام

السابق، ص ١٧٧.

١٥٩

يا رب جوهر علم لو أبوح به لقل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي يرون أقبح ما يأتونه حسنا

السابق، ص ٧٧.

١٦٠ الآيات (٤٠)، الأشعار (١٢)، الأحاديث (٩).

١٦١ دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (٣)، ص ٢٦١-٢٨٢.

١٦٢ السابق، ص ٢٥٩.

١٦٣ تبدأ بالشهادة ثم الصلاة ثم التوبة ثم الاستغفار ثم التفكير والاعتبار ثم منع الخواطر من القلب ثم ذكر الموت ثم ذكر الملكية ثم ذكر القيامة، والقبر، والبعث، والصلاة، والفقر، وعدم صحبة أهل التخليط والنصح للمسلمين، وغض الطرف عن مساوئ الناس، وترك المدح، والذم، والمسامحة، والخوف المخلص

سابعًا: الطريق، والطريقة، والشيخ والمريد، والمجتمع المثالي

على القرآن ثم الحديث ثم الشعر.^{١٦٤} ولا يذكر أحدًا إلا أحمد بن حنبل. يكفي الحس الأخلاقي البسيط.

(م) «السير والسلوك إلى ملك الملوك» لقاسم بن صلاح الدين الخاني الحنفي الحنبلي (١١٠٩هـ)^{١٦٥}

وموضوعه الطريق كما يدل على ذلك العنوان، السير إلى ملك الملوك، ابتداء من النفس، والتخلي عن الرذائل، والتحلي بالفضائل. وهو تأليف جيد يتضمن عشرة أبواب. الأول في ذم الدنيا. والثاني في الحث على الطريق. والثالث في الحجب التي بين العبد والرب. والسبعة الأخيرة في أنواع النفس: الأمارة، اللوامة، الملهمة، المطمئنة، الراضية، المرضية، الكاملة. أكبرها النفس اللوامة. والخاتمة في صفات المرشد وأوضاعه وأحواله أي في آداب الشيخ والمريد. ويلخص الباب في أوله لإبراز موضوعه.^{١٦٦} والمقدمة عرض لأهم مصطلحات الصوفية.^{١٦٧} والمؤلف عارف بالله، حنفي حنبلي، جمعًا بين مذهبين فقهيين. يخاطب القارئ، ويرشده إلى الترقى في المقامات والأحوال.^{١٦٨} يعتمد على الحديث ثم

للغور، وعدم الاستدانة إلا عند الضرورة، وعدم السؤال، ومحاسبة النفس، وذكر الله، وعدم الحديث إلا بخير، وصلاة الليل، والشفقة، والنوافل، والحب، والمراقبة، عدم صحبة صاحب المصلحة ...
١٦٤ الآيات (٤٧)، الأحاديث (٢٣)، القدسية (١)، الأشعار (١).
١٦٥ دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م/١٤٢٣هـ.
١٦٦ السابق، ص ٢٩.

١٦٧ «في تعريف ما يحتاج إلى ذكره في هذه الرسالة من اصطلاحات أهل التحقيق. وهي حوالي اثنين وستين مصطلحًا بما في ذلك ثنائيات الأحوال مثل القبض والبسط. والهيبة والأنس. يتكرر بعضها مثل النفس والتجلي وهي: التصوف، الشريعة، الطريقة، الطب الروحاني، المرشد المسلك، المراقبة، المشاهدة، الشهود، التجلي، تجلي الأسماء، تجلي الصفات، تجلي الأفعال، الشوق، المحبة، الحال، علم اليقين، عين اليقين، حق اليقين، الشطح، السر، الملكوت، المرتبة الأحدثية، العماء، الطبيعية، العبودية، الطمس، الغناء، البقاء، الهوية السارية في جميع الموجودات، الفهوانية، القبض، والبسط، الهيبة والأنس، الغضب، الحقد، الحسد، الكبر، العجب، الغرور، الرياء، الجاه، الخمول، الإخلاص، كيمياء السعادة، كيمياء العوام، كيمياء الخواص، الحجب، الجمع، جمع الجمع، الفرق الأول، الفرق الثاني، التجريد، الكون، الجرس، الطوالع، الطهارة، الهمة، التقوى، الظل، النفس الشهوانية، النفس الناطقة، السابق، ص ٣١-٦٤.
١٦٨ السابق، ص ١٤٩-١٥٠.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

القرآن ثم الشعر.^{١٦٩} وتكثر الأحاديث وكأن الكتاب في علم الحديث. ومن الصوفية يتقدم ابن الفارض ثم الغزالي وابن عطاء الله. ومن الأنبياء عيسى.^{١٧٠} ومن الفقهاء أحمد. ومن الصحابة أبو بكر. ومن المصادر يحال إلى «حكم» ابن عطاء الله.^{١٧١}

(ن) «الحكم المهدوية الملتقطة من درر الإمدادات النبوية» للرواس (١٢٨٧هـ)^{١٧٢}

الحكم شكل أدبي مثل القصة الرمزية والسيرة الذاتية والنظم والنثر الفني، والورد، والحزب، والمناجاة، والصلاة، والرسالة. وهي موجودة عند الفرس.^{١٧٣} ومن حيث المضمون علامات الطريق مثل الذكر والبقاء مع الله، والزهد والدعاء ومداراة اليأس، وحسن التدبير وبعض التحذيرات من سوء الرفقة والحسد. وتظهر بعض هموم التجديد والإصلاح نظرًا لأحوال العصر، وسيادة أهل الباطل، وإهمال رجال الحق، وضرورة ظهور على رأس كل مائة سنة من يجدد الدين.^{١٧٤} وتعتمد على القرآن والحديث والشعر دون أقوال الصوفية.^{١٧٥} وهي أقرب إلى الإمدادات النبوية منها إلى النقل عن آخرين أو الإبداع الذاتي وكما يوحي بذلك العنوان. والسند الغالب «وقال لي حبيبي في حضرة شهود».^{١٧٦} وتظهر بعض المسائل النظرية مثل التوحيد. ويأخذ الرسول لقب سيد البشر.^{١٧٧} ولا تخلو عن عرض نظري خالص.^{١٧٨} مثال ذلك إرشادات إلى علم الحروف.^{١٧٩} ومن

^{١٦٩} الأحاديث (١٣٩)، القدسية (٢)، الآيات (٥٨)، الأشعار (١١).

^{١٧٠} الصوفية: ابن الفارض (سلطان العاشقين)، الغزالي، ابن عطاء الله (٢)، معاذ، الجنيد، بشر بن الحارث، الواسطي، الخدري، السنوسي، أبو العباس الجزائري، أحمد، أبو بكر (١)، عيسى (٢)، محمد (١).

^{١٧١} الحكم (٢).

^{١٧٢} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (١)، ص ٧-٥١.

^{١٧٣} السابق، ص ٤٣.

^{١٧٤} السابق، ص ٢٩-٣١.

^{١٧٥} الآيات (٤٧)، الأحاديث (٤١)، الأشعار (٢١).

^{١٧٦} السابق، ص ٩، ١٢، ١٥-١٦، ٢٣.

^{١٧٧} السابق، ص ٩.

^{١٧٨} السابق، ص ٢١.

^{١٧٩} السابق، ص ٤٦.

سابعًا: الطريق، والطريقة، والشيخ والمريد، والمجتمع المثالي

الصوفية يظهر الإمام الغوث الأكبر السيد أحمد الرفاعي الحسيني وأبو الدرداء وأكثر الصوفي.^{١٨٠}

(س) رسائل الجنيدى (القرن الثالث عشر)

(١) «السير والسلوك إلى الله تعالى»^{١٨١}

وهو طريق نفسي ابتداء من ذم الدنيا ولذاتها حتى النفس الكاملة. وهي عشرة أبواب. الثلاثة الأول في ذم الدنيا، والحث على سلوك الطريق، وبيان الحجب بين الإنسان والله. والسبعة الأخيرة في أنواع النفوس، الأمارة، واللوامة، والملهمة، والمطمئنة، والراضية، والمرضية، والكاملة. ولكل نفس مقام، مقام الاعتماد للنفس الأمارة، ومقام الأنوار للنفس اللوامة، ومقام الأسرار للنفس الملهمة، ومقام الكمال للنفس المطمئنة، ومقام الوصال للنفس الراضية، ومقام تجليات الأفعال للنفس الراضية، ومقام تجليات الصفات والأسماء للنفس المرضية. ويعلن عن البرنامج من البداية.^{١٨٢} وتضم المقدمة شرحاً لأهم ألفاظ الصوفية مثل التجلي، تجلي الصفات، الشوق، المحبة، الحال، عين اليقين، حق اليقين، الملكوت، السر، المرتبة الأحدية، الشطح، العماء، الطبيعة، العبودية، الطمس، الفناء، البقاء، الفهوانية، القبض والبسط، الخوف والرجاء، الهيبة، والأنس، الغضب، الحقد، الحسد، النفس الناطقة. وتصنف الأدعية أبجدياً.^{١٨٣} وتكثر الأدلة النقلية خاصة الحديث والقرآن والشعر.^{١٨٤} ومن الصوفية يذكر الغزالي ثم إبراهيم بن أدهم، وابن الفارض، وإبراهيم الدسوقي، وابن عطاء الله، والبوني. ومن الفرق القدرية.^{١٨٥} والخطاب موجه إلى القارئ بفعل «واعلم». والرسالة منقولة من رسالة «السير والسلوك إلى ملك الملوك».

^{١٨٠} السابق، ص ١٨.

^{١٨١} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ (٢)، ص ٥٥-١٨٣.

^{١٨٢} السابق، ص ٥٦-٥٨.

^{١٨٣} الأحاديث (١٤٦)، الآيات (٨٨)، الأشعار (١٥).

^{١٨٤} السير والسلوك، ص ١٣٢-١٨٣.

^{١٨٥} الغزالي (٢)، إبراهيم بن أدهم، ابن الفارض، ابن عطاء الله، البوني (١)، القدرية (١).

(٢) «الصدق والتحقيق لمن أراد أن يسير بسير أهل الطريق»^{١٨٦}

وهو نص واحد بلا أقسام إلى أبواب أو فصول عن الطريق. يعتمد على النقول الأحادية والآيات والأشعار وأقوال الصوفية.^{١٨٧} ومنهم يذكر الجنيد وابن الفارض والشعراني.^{١٨٨} ويقتبس من أقوال القدماء بعلامة «انتهى». وهي أشبه بعلم الحديث مجرد رصد أحاديث في مواضيع معينة. والغاية من التأليف بيان فضل الصلوات وفضل الاستغفار والذكر والمداومة على الأوراد.^{١٨٩} ومع ذلك تعتمد الرسالة على القسمة العقلية وبعض التحليل العقلي. ومؤلفه أفقر العباد إلى الله المتطفل على أبواب الذل والافتقار.^{١٩٠} والخطاب موجه إلى القراء. ويحال إلى بعض المصادر.^{١٩١} وتكثر المنقولات والاقتباسات وعلامة «انتهى»^{١٩٢}.

(٣) «أصول الطريق»^{١٩٣}

وهو نص مجمل لا ينقسم إلى أبواب أو فصول للعبد الفقير الحقير الجنيدي موضوع الطريق كعلامة بين الشيخ والمريد والمريدين مع بعضهم البعض.^{١٩٤} تعتمد على الأدلة

^{١٨٦} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ (١)، ص ٩-٥٢.

^{١٨٧} الأحاديث (١١٣)، الآيات (٧٠)، الأشعار (٤).

^{١٨٨} الجنيد، ابن الفارض، الشعراني، الشاذلي، إبراهيم التيمي، القابوني، ابن عربي.

^{١٨٩} «ونذكر هنا لمن يريد طريق القوم ويسير بسير أهلها كلاً في فضل صلوات التهجد وفي فضل قيام الأسحار والوقوف في تلك الأوقات بين يدي الملك الجبار وآيات كثيرة وأحاديث شهيرة. وتذكر المسببات المروية عن الخضر عليه السلام، وما يترتب على قراءتها من الخير والثواب، وكيفية الاستغفار وفضله وما يترتب عليها من الثواب، وكيفية اجتماع الإخوان في الذكر ومداومتهم على الأوراد وما يترتب عليها من الثواب. ونبين علم ما يجب عليهم في طريق القوم...»، الصدق والتحقيق، ص ٩.

^{١٩٠} الصدق والتحقيق، ص ٣٨.

^{١٩١} السابق، ص ٩.

^{١٩٢} مثل: «الدلالة على الله» للشعراني.

^{١٩٣} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ (٢)، ص ١٨٧-١٩٨.

^{١٩٤} «هذه نبذة شريفة، وتحقيقات متبعة، مشتملة على أصول الطريق وشروطها، وعلى أصول ما تداوى به علل النفس وعلى شروط الشيخ الذي يلقي إليه المريد نفسه وأداب المريد مع الشيخ وأداب فوائده بعضهم مع بعض...» السابق، ص ١٨٧.

النقلية القرآن والحديث والشعر.^{١٩٥} كما تعتمد على أقل قدر من أقوال الصوفية.^{١٩٦} والاعتماد الأكبر على القسمة العقلية. فالطريق اعتمد على ابن عربي خمسة أشياء أولها التقوى.^{١٩٧} ويكون من ذلك بخمسة أشياء أولها علو الهمة.^{١٩٨} وأصول المعاملات خمسة أولها طلب العلم.^{١٩٩} وأصول ما تداوى به علل الخمسة أيضاً أولها تخفيف المعدة من الطعام.^{٢٠٠} ثم تأتي آداب الشيخ مع المريد، والمريد مع الشيخ.^{٢٠١}

(ع) «معارج المقربين» لمحمد ماضي أبو العزائم^{٢٠٢}

وهو طبقاً للعنوان في «الطريق» بالرغم من أن مادته جامعة لموضوعات صوفية أخرى متناثرة في إطار تناثر البنية وهي العلم، والفكر، والإيمان، والمقامات والأحوال، والفقه، والكلام، والحكمة، والأخلاق، بلا نظام أو ترتيب، وبلا أبواب أو فصول. أكبرها الطريق وأصغرها الحكم.^{٢٠٣} العلم هو العلم الشرعي الصوفي الذي يجمع بين الظاهر والباطن، بين الشريعة والحقيقة عبر الطريقة، بين علم اليقين وعين اليقين. والتفكير في آيات الله وظواهر الكون تؤدي إلى المعرفة بالكائنات ثم إلى العلم. والكتاب بلا مقدمة توضح الهدف منه وسبب التأليف لأنه مجرد تجميع بلا هدف، ويخلو من أي بعد اجتماعي أو سياسي وهو في خضم «أزمات العصر». ألف عام ١٣٣٠هـ/ ١٩١١م أي بعد حادثة

^{١٩٥} الآيات (٨)، الأحاديث (٧)، الأشعار (٦).

^{١٩٦} . الغزالي، الدريد، ابن عربي (١).

^{١٩٧} هي: تقوى الله في السر والعلانية، واتباع السنة في الأقوال والأفعال، والإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار، والرضا عن الله في القليل والكثير، والرجوع إلى الله في السراء والضراء، السابق، ص ١٨٩.

^{١٩٨} «وهي: علو الهمة وحفظ الحرمة، وحسن الخدمة، ونفوذ الفرقة وتعظيم النعمة»، السابق ص ١٩٠.

^{١٩٩} «وهي: طلب العلم، وصحبة المشايخ والإخوان، وترك الرخص، والتأويلات، وضبط الأوقات بالأوراد، واتهام النفس للخروج عن الهوى والسلامة»، السابق، ص ١٩٠.

^{٢٠٠} «وهي: تخفيف المعدة من الطعام والشراب، والالتجاء إلى الله، ودوام الاستغفار، وصحبة من يدل على الله، والحركة حسب الثواب من الله»، السابق، ص ١٩٠-١٩١.

^{٢٠١} السابق، ص ١٩٢-١٩٧.

^{٢٠٢} السابق، دار الثقافة العربية للطباعة، القاهرة ١٩٨٤م.

^{٢٠٣} الطريق (٩٧)، الفقه (٧٥)، العلم والتفكير (٥٤)، الأخلاق (٤٥)، الإيمان (٣٣)، الكلام (١٩)، الحكمة (١٣).

دنشواي بخمس سنوات، مجرد كلام تقليدي منقول دون الإحالة إلى أصحابه مثل الأدلة على وجود الله دون ذكر ابن رشد. ودون أي تسلسل منطقي. هو العبد المنكسر القلب المسكين الذليل الحقير، صاحب مشروع. يحيل إلى مؤلفاته السابقة.^{٢٠٤} لكل منها قصد، علوم اليقين، أو علوم النفس أو الاصطلاحات وتزكية النفس وألقابه تعظيمية.^{٢٠٥} ويخاطب القارئ كصاحب دعوى.^{٢٠٦}

وفي الإيمان تدخل بعض المقامات والأحوال مثل التوكل والصبر والرضا والخوف والرجاء مع بعض الفضائل مثل الأخلاق. والطريق مشروط بالتخلي عن الرذائل مثل التنافس. فالطريق له أصلان: صفاء جوهر النفس، والاستقامة. وتلك مهمة المرشد ونوابه والمريدين وأدب الشيخ والمريد والسماع والذكر والمراقبة. كل ذلك مع التمسك بأركان الإسلام الخمسة واتباع طريقة السلف في العقيدة. والصوفية فرقة كلامية وطريقة صوفية في آن واحد. أما فقه المعاملات فيقوم على رعاية الحقوق والتي تقوم على أخلاق الطاعة والتوسط، ويقدم المؤلف كعادة القدماء أسمى آيات الذل في نفس الوقت الذي تتم فيه مناجاة الرب.^{٢٠٧}

تغلب عليه الأدلة النقلية على نحو تقليدي، القرآن فالحديث فالشعر.^{٢٠٨} وتتوالى الآيات أحياناً الواحدة تلو الآخر في زخات.^{٢٠٩} والأحاديث أيضاً تأتي في دفعات.^{٢١٠} وقد حذفت الأسانيد من الأحاديث لألفة المتون أو التهرب من صحة الأحاديث وضعفها.^{٢١١} وبلغت كثرتها بحيث أصبح الكتاب مثل المؤلفات المتأخرة مجرد جمع للآيات والأحاديث

^{٢٠٤} «وإني أنا العبد المنكسر القلب، المسكين الذليل الحقير ... معارج المقربين، ص ٤». «لك الحمد يا من وسعت رحمتك كل شيء، ولك الشكر والثناء يا واسع المغفرة وقابل التوب. ولك المجد والكبرياء والعزة، يا من أكملت النعمة على خلقك ببيعتك رسلك ... لك الثناء الحسن الجميل كما أنيت على نفسك فإنه لا يقدر قدرك إلا أنت ... إلخ»، السابق، ص ٣.

^{٢٠٥} مثل أصول الأصول، السابق، ص ٦-٧، ١٣٨، ٢٧٨.

^{٢٠٦} مثل الإمام السعيد.

^{٢٠٧} السابق، ص ٢٨، ٧٨، ١٥٧.

^{٢٠٨} الآيات (٣٢٩)، الأحاديث (١٦٠)، الأشعار (١٩)، القدسية (٢).

^{٢٠٩} معارج المقربين، ص ١١-١٢، ٢٨٦، ٢٨٧.

^{٢١٠} السابق، ص ١٣-٢٦.

^{٢١١} السابق، ص ٩.

سابعاً: الطريق، والطريقة، والشيخ والمريد، والمجتمع المثالي

والأشعار والأمثال في الموضوع. وهو أشبه بالتعليم المدرسي السطحي الساذج. يخلو من العمق. وتنطبق الآيات والأحاديث على الصوفية كنوع من تحقيق المناط.^{٢١٢} ولا يرتبط بتاريخ التصوف. ولا تذكر أسماء كبار الصوفية بل فقط بعض المحدثين. ويذكر مصادفة بعض أوائل الصوفية الأخلاقيين مثل الترمذي، وإبراهيم بن أدهم، ومالك بن دينار، والفضيل بن عياض، وابن عيينة، وسعيد بن المسيب.^{٢١٣} ومع ذلك يمتلأ الكتاب بالقسمه للموضوعات المنقولة من القدماء دون تبرير عقلي، مجرد رصد وبنفس طريقة توالي الآيات والأحاديث ودون أي فكر استدلاي أو كشف لبنية الموضوع.^{٢١٤}

(ق) «الطريق إلى الله» للمزيدي^{٢١٥}

والاسم دال على الموضوع. والطريق بداية ووسط ونهاية. البداية في التوبة والاستغفار، والوسط في الدليل والراد، والنهاية في الجنة. والخطاب موجه إلى القارئ، نداء إلى سلوك الطريق. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر.^{٢١٦} ولا يذكر من الأعلام إلا ابن القيم.

(ص) «الرسائل المضيئة لكشف ظلمة السير إلى الحقيقة» لمحمد التجاني^{٢١٧}

وهي رسالة في الطريق إلى الله، تحتوي على مواعظ. وهي عشرون رسالة تدخل أيضاً في الأشكال الأدبية. تدور كلها حول الطريق إلى الله ابتداء من طاعة الرسول ودعوته إلى العمل والخشوع وطريق الإحسان، ثم الخوف والرجاء، ثم الموت خير موعظ، ثم الولاية والعداوة والخلاص، ثم الاستغفار والزهد والتوحيد، ثم الصلاة والمحبة والحق المكتوم.^{٢١٨} كل رسالة وحدة بذاتها تبدأ بالبسملة، والحمدلة. وتتعرض لمقام أو حال،

^{٢١٢} السابق، ص ٢٦٦-٢٦٧.

^{٢١٣} السابق، ص ٢١٤-٢١٥.

^{٢١٤} مثل مصادر المعرفة (الأخبار، والعمل، والافتداء بالإمام المرشد)، السابق ص ٣١.

^{٢١٥} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (٤)، ص ١٦١-١٦٦.

^{٢١٦} الآيات (٢٧)، الأحاديث (٦)، الأشعار (١).

^{٢١٧} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ.

^{٢١٨} وهي على النحو الآتي: (١) دعوة إلى العمل. (٢) طاعة الرسول. (٣) الخشوع وطريق الإحسان. (٤) الخوف من الله طريق الاستقامة. (٥) الخوف والرجاء. (٦) الموت خير موعظ. (٧) القهر والخلاص.

ومؤاخاة ونكاح الجن.^{٢١٩} والخطاب موجه إلى القارئ مثل خطب الجمعة، مملوءة بالمواعظ والنصائح إلى «أخي وأختي»، دون تمييز بين رجال ونساء.^{٢٢٠} تعتمد على الحديث والقرآن والشعر.^{٢٢١} والأولوية للحديث، ويبدو وكأنه كتاب في الحديث بما في ذلك روايات الرسول عن معجزاته وكراماته.^{٢٢٢} ويعتمد على عديد من أقوال الصوفية والفقهاء وروايات المحدثين.^{٢٢٣} من الصوفية في مقدمتهم ابن عربي. ومن الفقهاء أحمد. ومن المتكلمين الجويني. ومن المفسرين الزمخشري. ومن الأنبياء عيسى. ويعتمد على بعض المصادر القديمة.^{٢٢٤} وتؤخذ منها الاقتباسات مع علامة «ا.هـ». وهو موجه أيضًا للزمن، أحداث العصر. فلكل زمن مساوئه وحسناته. وأفضل العصور الزمان الأول طبقًا للتصور النهار للتاريخ. وقد وقع البلاء بعد عصر الرسول مباشرة، زمن الفتنة الكبرى. وما زال يقع في كل عصر.^{٢٢٥}

(٨) أولياء الله. (٩) أولياء الشيطان. (١٠) أعداء ابن آدم من الشيطان إلى القرن. (١١) كيف النجاة. (١٢) التوبة. (١٣) الاستغفار. (١٤) لا إله إلا الله. (١٥) الذكر. (١٦) التوحيد. (١٧) الصلاة كالرسول. (١٨) محبة الرسول. (١٩) محبة آل البيت. (٢٠) الحق المكتوم الذي لا بد من ظهوره.

^{٢١٩} السابق، ص ٤٩.

^{٢٢٠} السابق، ص ٦٢.

^{٢٢١} السابق، ص ١٥٢.

^{٢٢٢} الأحاديث (٢٣٠)، الآيات (١٢٤)، الأشعار (٨).

^{٢٢٣} ابن عربي، الغزالي (٢)، الحسن البصري، رابعة العدوية، القاضي عياض، الشاذلي، الرازي، الديلمي، زروق، مالك بن دينار، الشبلي، ذو النون، الفضيل بن عياض، يحيى بن معاذ (١)، ومن الفقهاء أحمد (٥)، أبو الدرداء (٣)، الشافعي (٢)، مالك، أبو حنيفة. ومن المتكلمين إمام الحرمين، ومن المفسرين الزمخشري وابن كثير والشعراني، ومن الأنبياء عيسى (٥)، موسى والخضر وإبراهيم، داود.

^{٢٢٤} «إن كل زمن له مساوئه وحسناته، وله عيوبه ومميزاته، وله إيجابياته وسلبياته، ولكن إذا رجعنا إلى الوراء نجد أن أفضل العصور والأزمنة هي عصر النبي ثم الذي يليه ثم الذي يليه من الأعلى إلى الأدنى»، الرسائل المضيفة، ص ٨٣. «فإن كل هذه الفتن حدثت في عصر ليس ببعيد من زمن المصطفى. وكان كل زمن بعد زمنه يشكو من كثرة البلاء والمعاناة. وكتب السيرة وأخبار أزمنة التابعين مليئة بمثل هذه الويلات. فما بالنا نحن بزماننا»، السابق، ص ٨٤.

^{٢٢٥} مثل: الفوز والنجاة (٣)، «دلائل النبوة» للبيهقي، «أسباب التنزيل» للواحدي، «مكاشفة القلوب» للغزالي، «ميزان الرحمة»، «حل الرموز ومفاتيح الكنوز» للعز بن عبد السلام، «آداب الذكر» وغيرهم من المحدثين.

(ف) «قبسات الأنوار في شرح طريق الصوفية الأخيار، أذواق نخبة من فقهاء الشيخ ابن عجيبة الأغر» لعبد السلام العمراني الخالدي^{٢٢٦}

وهي في الطريق «طريق العارفين إلى الله ونهج الصوفية بين الرسالة والنظم» فمعظمها قصائد. يبدأ بالتوحيد الخاص، غاية الصوفيين. والبداية من الحضور مع الأخوة، ومدح أهل الله وقراءة الورد والآداب مع الشيخ، وتمجيد الرسول. والتشوف إلى الحضرة المقدسة، والتضرع إلى الله. وتعتمد على الشعر أولاً ثم القرآن والحديث.^{٢٢٧} والأشعار قصائد طوال. ولا يذكر من الصوفية إلا ذو النون.

(٢) الطريقة

وتضم كتابات عن طريقة صوفية معينة كالرفاعية أو الشاذلية أو النقشبندية من كل جوانبها، شيوخها ومريدها وأساليبها أو عن مشايخ طريقة بعينها. فالمشايخ هم عمد الطريقة ووسيلة بقائها في التاريخ، شيخاً عن شيخ، تمهيداً وتواصلًا وسندًا أو الأوراد والأحزاب والدعوات والصلوات التي تُقال في كل طريقة، وتتداخل هذه العناصر الثلاثة دون حد فاصل بينها. والغالب هي الأوراد والأحزاب التي تميز كل طريقة.

(أ) «الوظيفة الشاذلية» لابن مشيش (٦٢٢هـ)^{٢٢٨}

تبناها أبو الحسن الشاذلي وجعلها من صلواته، ثم مزجها الدرقادي بفتوحاته الربانية بحيث يصعب التمييز بين المتن والصياغة الجديدة. وهي مجموعة من الوجدانيات والانفعالات. وهو معنى لفظ الوظيفة. وهي فقيرة فكرياً. تعتمد على القرآن وحده دون الحديث أو الشعر أو أقوال الصوفية هي تجربة ذاتية خالصة.^{٢٢٩}

^{٢٢٦} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م/١٤٢٥هـ (٤)، ص ٢٦٣-٣١٦.

^{٢٢٧} الأشعار (٣٣)، الآيات (١٢)، الأحاديث (٢)، القدسية (١).

^{٢٢٨} الإلهامات السنوية في شروح الوظيفة الشاذلية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م/١٤٢٤هـ.

^{٢٢٩} السابق، ص ٣-٤.

(ب) «الحزب الكبير» للشاذلي (٦٥٦هـ) ٢٣٠

والحزب هو ما تقرؤه الطريقة وتمرن عليه المريدين. يبدأ بمدح الله والرضا بقضائه، والاعتراف بسلطانته وجبروته وإرادته وقضائه وقدره، والاعتراف بالعجز الإنساني، ثم استدعاء رحمته لتلبية الحاجات. ويتخلل ذلك تكرار أسمائه وصفاته مثل «يا الله»، «يا رحمان»، «يا قيوم».^{٢٣١} يعتمد على القرآن وحده دفقة واحدة في البداية أو النهاية دون أحاديث أو أشعار أو أقوال صوفية.^{٢٣٢}

(ج) «المفاخر العلية في المآثر الشاذلية» لأحمد الشاذلي ٢٣٣

كتاب في الطريقة الشاذلية أو في المناقب والكرامات لمشايخها. وهو تأليف جيد محكم. يتضمن خمسة أبواب. الأول في وصف الشيخ نثرًا ونظمًا، صفة نسبًا ومولدًا وأسفارًا. والثاني مناقبه وكراماته مع تعريف القطب. والثالث وفاته واستخلافه للمرسي. والرابع طريقته وكلامه وكلام أصحابه. وهو أكبر الأبواب وأهمها لبيان ما يخص الشاذلية كطريقة. ويتكون من اثنين وسبعين فصلًا في موضوعات تفصيلية تشمل أوصاف الطريقة وخصائصها.^{٢٣٤} والخامس في الأحزاب والأوراد والدعوات والأذكار.^{٢٣٥} والخاتمة

^{٢٣٠} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م/١٤٢٣هـ (١)، ص ٢٥-٣٢.

^{٢٣١} مثل «يا شديد البطش، يا جبار، يا قهار، يا حكيم»، السابق، ص ٢٧، أغثنا، أغثنا، يا رب يا كريم، ورحمنا يا رحيم، السابق، ص ٣١.
^{٢٣٢} الآيات (٧).

^{٢٣٣} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م/١٤٢٥هـ.

^{٢٣٤} وتشمل موضوعات العزلة وجهاد العدو. والخواطر والتوبة والاستغفار والذكر والمراقبة. ومن الأحوال القبض والبسط والفقد والوجد. ومن آداب الشيخ والمريد الاقتداء وآداب المجالسة والسؤال. ومن المقامات المحبة. ومن الأعمال الاستخارة والنية. ومن القراءات الأوراد والأحزاب. ومن العبادات الزهد والطاعة والإرادة والتدبير، وجهاد النفس. ومن الفضائل العزة والتواضع والتقوى والإخلاص. ومن الرذائل الذنب الشر، والمعصية والظلم والدين والمصائب والعقوبات. ومن العلم الإيمان والإسلام والمعرفة والبصيرة والحقائق والعقل والتلقين والسند والخواطر والشريعة والحقيقة الطريقة وما يظهر في النوم واليقظة. ومن التوحيد العبودية. ومن الرياضة السماع والصحة والبعد عن الدنيا والوصية.

^{٢٣٥} وهي تسعة عشر حزبًا: الكبير، والآيات، والفتح المشهور، المعروف بالبركات، والنور، واللطيف، والطمس، والنصر، والبر، والكفاية، والشكوى، والفلاح، والدائرة، والتوصل.

سابعاً: الطريق، والطريقة، والشيخ والمريد، والمجتمع المثالي

عن الدائرة والخاتم والحرز والسيف. وكلها أسماء لمسمى واحد. وضبط أسمائها لمعرفة كيفية نطقها. العدو هو الشيطان كرد فعل على العجز في الفعل، والعقل لصالح الخيال.^{٢٣٦} والمؤلف هو العارف بالله العبد الفقير. وتوضع قسمته موضوع في المقدمة.

ويقوم التأليف على التجميع والحكايات كما يحدث في الأحزاب السياسية والفرق الرياضية والنعرات القبلية وجماعات المصالح. ومعها بعض الرسوم التوضيحية العددية الرمزية المتقابلة مع اللفظية أو بالدوائر والمربعات الهندسية.^{٢٣٧} ويعتمد على القرآن والشعر والحديث.^{٢٣٨} ومن الصوفية يتقدم الشاذلي بطبيعة الحال خليفته أبو العباس المرسي، ثم نمودجه ابن عطاء الله السكندري. ثم مروجته الحديث أبو العزايم ماضي.^{٢٣٩} ومعظم الصوفية من سلسلة الشاذلي، وتؤخذ اقتباسات عديدة بعلامة «انتهى». وتوجد كثير من الأسماء التركية فقد ازدهر التصوف المتأخر في تركيا. وله مصادره المعلنة أو الفعلية.^{٢٤٠}

(د) حزب الأحذية لابن عربي (٦٣٨هـ)^{٢٤١}

ويعني الحزب الورد للقراءة وليس الحزب السياسي. ويعتمد على القرآن وحده دون حديث أو شعر أو ذكر لصوفي. وتتوالى الآيات دفعة واحدة في أول الرسالة لافتتاح الحزب وفي نهايتها لختمها. وهي الأحزاب التي تكاثرت في التصوف العملي.

^{٢٣٦} المفاخر العلية، ص ٥٥-٥٦.

^{٢٣٧} السابق، ص ١٤٥، ١٨٥، ١٩٥، ٢١٨-٢١٩.

^{٢٣٨} الآيات (٤٨٣)، الأحاديث (٢٧)، القدسية (١)، الأشعار (٢٨).

^{٢٣٩} الشاذلي، أبو العزايم ماضي (٧)، المرسي (٤)، ابن عطاء الله (٣)، أبو مدين، الشعراني (٢)، الجيلاني، الشاطبي، علي وفا، إبراهيم المواهبي، البسطامي، زروق، الشاشي، الجنيد، السري السقطي، معروف الكرخي، داود الطائي، حبيب العجمي، ابن سيرين.

^{٢٤٠} المعلنة مثل «درة الأسرار» للصباغ، «لطائف المنن» لابن عطاء الله. والفعلية مثل: «طبقات الصوفية» للمناوي.

^{٢٤١} رسائل ج ٦ (١٠) ١٧٩-١٨١.

(هـ) «تحفة الإخوان في خصائص الفتيان» للكاشاني (٧٣٠هـ)^{٢٤٢}

وهي رسالة في فرقة صوفية معينة هم أهل الفتوة، بيان حقيقتها، منبعتها ومظهرها، مبادئها ومبانيها، آفاتها وقوادحها، والفرق بين الفتى والمتفتي والمدعي، وطريق اكتساب الفتوة، وبيان مأخذها وابتداء طريقها، وخصائص أرباب الفتوة وسيرهم وطريقتهم.^{٢٤٣} ويتخلل ذلك بعض الفضائل الصوفية مثل السخاء والتواضع والمن والصدق والهداية والنصيحة والوفاء وبعض مقاماتهم مثل التوبة.^{٢٤٤} الفتوة في فصول ستة. والفضائل والمقامات في أبواب ثمانية. ولهم مقامات كثيرة والأولى الإيجاز.^{٢٤٥} واللفظ قرآني. يوصف به إبراهيم. ونبوي يوصف به علي. ويوصف به ابن البلد، ويربط بالشهامة والشعر. وتعتمد على القرآن والحديث والشعر.^{٢٤٦} ولا يُعتمد على أقوال الصوفية. ولا يذكر أحد من أعلامهم قدماء ومحدثين. ويذكر الإنجيل والملك دقيانوس.^{٢٤٧}

(و) «الإرشاد والتطريز في فضل ذكر الله وتلاوة كتابه العزيز، وفضل الأولياء والناسكين والفقراء والمساكين» لليافعي (٧٦٨هـ)^{٢٤٨}

وموضوعه الأوراد والأذكار التي تقرأ في الطريقة. والأوراد هنا بالمعنى الواسع الذي يضم الأذكار والوعظ والمدح وبيان الفضل للذكر والتلاوة والتسبيح والحمد والشكر لله، والصلاة على النبي، والدعاء والاستغفار والترغيب والترهيب في عشرة فصول. أكبرها الثاني في الوعظ ومدح الصالحين ورياضاتهم وأقوالهم ومعاملاتهم وفضائلهم وكراماتهم.^{٢٤٩} ويُعلن عن بنية الموضوع في البداية، وكلها صياغات تجمع بين التصوف

^{٢٤٢} آداب الطريقة وأسرار الحقيقة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (١)، ص ١١-٥٢.

^{٢٤٣} السابق، ص ١٣-١٩، ١٧٩-١٨١.

^{٢٤٤} السابق، ص ١٩-٣٩.

^{٢٤٥} «وحكايتهم في الأنبياء أكثر من أن تحصى. فالأولى بالإيجاز أن تدرج وتطوى»، السابق ص ٢٣.

^{٢٤٦} الآيات (٧٨)، الأحاديث (٢٨)، الأشعار (١٦).

^{٢٤٧} تحفة الإخوان، ص ١٤.

^{٢٤٨} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م/١٤٢٤هـ.

^{٢٤٩} السابق، ص ٤٦-١٦٧.

والآداب، بين التجربة الصوفية والتجربة الأدبية. تقال في كل حركة والتفاتة حتى يصبح السلوك الإنساني في الحياة اليومية مغلفًا بالأدعية الدينية التي قد تمنعه أحيانًا من رؤية العالم ومن الثقة بالنفس ومن السلوك التلقائي الطبيعي.

ويعتمد على علم الحديث أساسًا لدرجة أن يدخل الكتاب أيضًا في علم الحديث. والحديث هو وحدة التحليل في الباب الخامس في فضائل التسبيح ونحو من الأذكار و«في الباب العاشر» في أحاديث الترغيب والترهيب.^{٢٥٠} الصوفية محدثون وفقهاء، والفقهاء المحدثون صوفية. والصحابة حيثما كانوا صوفية أو محدثين أو فقهاء. ويشرح الحديث لغويًا لأنه المصدر الأول للورد.^{٢٥١} ومع الأحاديث والمرويات تدخل الحكايات. ويجمعها الخيال الشعبي. ويرى الرسول في المنام.^{٢٥٢} لذلك تعتمد على الحديث قبل الشعر والقرآن.^{٢٥٣} ومع ذلك لا يخلو النص من بعض إعمال العقل عن طريق القسمة العقلية.^{٢٥٤} ومن الصوفية يذكر إبراهيم بن أدهم والجنيد ثم التستري والغزالي، ثم الخدري ثم ذو النون، ثم أبو علي الدقاق، ثم إبراهيم الخواص والسري السقطي، ثم الشاذلي والفضيل بن عياض والبسطامي، ثم الشبلي ويحيى بن معاذ، ثم الخراز ومالك بن دينار، ثم النخشي وسمنون والشاذلي والقشيري، ثم الحسن البصري والداراني، ثم أويس القرني وتميم الدارني وداود الطائي والجيلاني وابن عربي، ثم السهروردي، والروزباري.^{٢٥٥} وواضح توارى التصوف الفلسفي وتقدم التصوف الخلقي والنفسي.

^{٢٥٠} السابق، ص ١٩٤-٢١١ (٣٩ حديثًا)، ١٢٦-٢٨٦ (٧٣ حديثًا).

^{٢٥١} السابق، ص ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٥.

^{٢٥٢} السابق، ص ٢٣٨.

^{٢٥٣} الأحاديث (٣٤١)، الأشعار (١٩٦)، الآيات (١٤٦).

^{٢٥٤} إبراهيم بن أدهم، الجنيد (٢١)، التستري، الغزالي (١٣)، أبو سعيد الخدري (١١)، ذو النون (١٠)، أبو علي الدقاق (٩)، إبراهيم الخواص، السري السقطي (٨)، الشاذلي، سعدي، الفضيل بن عياض، البسطامي (٧)، الشبلي يحيى بن معاذ، الحيري (٦)، أبو الدرداء، الخراز، مالك بن دينار (٥)، أبو بكر الكتاني، النخشي، سمنون، الشاذلي، القشيري، الجريري (٤)، الحسن البصري، سليمان الداراني (٣)، أويس القرني، تميم الدارني، وداود الطائي، الجيلاني، ابن عربي، الواسطي (٢)، السهروردي، الروزباري (١).

^{٢٥٥} الإرشاد والتطريز، ص ٢٦٧.

كان الغرض من هذه الأدعية المتلاحقة تحرير الوجدان الإنساني من عبادة للأصنام والتذكير بالله في كل لحظة كقوة بديلة. ثم أصبحت وسيلة للحصول على النصر السريع، ولو عن طريق الوهم. حين الإحساس بالعجز وعدم الحيلة. والقرآن يفعل السحر في مثل هذه اللحظات. لذلك كثرت الأحجية والوصفات السحرية وليس العمل.

(ز) «المكتوبات الربانية» للنقشبندی (١٠٣٤هـ) ٢٥٦

وهي رسائل إلى بعض المشايخ لأحد مشايخ الطريقة النقشبندية. مجموعها خمسمائة وثلاث وأربعون رسالة. وهي علامة على التحول من التصوف النظري إلى التصور العملي، ومن الطريق إلى الطريقة. ومعظمها رسائل قصيرة. ٢٥٧ تخشى من طول الشرح. ٢٥٨ وبعضها ردود على رسائل. وقد عم التصوف مصر وتركيا وأواسط آسيا خاصة المغرب الأقصى، حيث سادت النقشبندية والشاذلية والقادرية والمولوية. وتكثر ألقاب المؤلف. فهو إمام رباني، وغوث صمداني، وقطب سبحاني، وعارف رحمانى ... إلخ. ٢٥٩ وتكشف عن أحوال العصر، وأحوال الطريقة، وعلاقة الشيخ بالمريد، والمسلمين بغير المسلمين في عصر انهيار الحضارة الإسلامية وصعود الحضارة الأوروبية.

٢٥٦ دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م/١٤٢٤هـ (ثلاثة مجلدات).

٢٥٧ تدرج الرسائل من حيث عدد الصفحات كالاتي: رسالة واحدة (٢٩)، رسالة واحدة (٢٧)، رسالة واحدة (٢٢)، رسالتان (١٩)، رسالة واحدة (١٥)، خمس رسائل (١٤)، رسالة واحدة (١٢)، ثلاث رسائل (١٠)، رسالة واحدة (٩)، ست رسائل (٨)، عشر رسائل (٧)، ثلاث عشرة رسالة (٦)، عشر رسائل (٥)، ثلاث وأربعون رسالة (٣). والباقي موزع بين صفتين وصفحة واحدة.

٢٥٨ المكتوبات ج ١، ٢٠، ٨٨.

٢٥٩ «للإمام الرباني، والغوث الصمداني، والقطب السبحاني، والعارف الرحمانى، نقطة دائرة الإرشاد، رحلة الأبدال والأوتاد، قدوة الكملاء الأفراد، واقف الأسرار الإلهية، كاشف دقائق المتشابهات القرآنية، برهان من الولاية الخاصة المحمدية، سمي سيد المرسلين وأفضل البرية، بالاسم الذي بشر به المسيح على نبينا وعليه الصلاة والسلام والتحية، سيدنا وسندنا ومولانا ووسيلتنا إلى الله القديم الكريم الأحد الأبدي، الشيخ أحمد بن الشيخ الأحد السرهندي محتدًا، الفاروقي نسبًا، النقشبندی مشربًا، الحنفي مذهبًا، الشهير عند الأقباط والأداني بمجدد الألف الثاني، قدس الله سره، وروّج روحه، ونور ضريحه، وأفاض علينا من بركاته، وجعل لنا نصيبًا وافرًا من جميع مقاماته بحرمة أشرف العباد وآله الأمجاد»، السابق، ص ٥.

وتدور المكتوبات حول عشرات الموضوعات، في مقدمتها الطريقة والشرعية والحقيقة. الشريعة بداية والحقيقة نهاية.^{٢٦٠} ثم تأتي موضوعات الفقه والشرعية، ثم التصوف الخلقي، ويجمع المؤلف بعضها في مقدمة كتابه.^{٢٦١} ثم تأتي موضوعات التوحيد والمعرفة. وأخيرًا تأتي آداب الشيخ والمريد. والرسائل ذات طابع إصلاحية. تدخل في معارك الدفاع عن الصوفية وتنفذ المزيفين منهم وعلماء السوء.^{٢٦٢} وتعتمد على الأشعار أولاً ثم القرآن ثانيًا ثم الأحاديث ثالثًا.^{٢٦٣} ويدخل القرآن الحر ضمن الأسلوب. ولا تظهر بعض الأمثال التي تحولت في الثقافة الشعبية داخل سلطة النص.^{٢٦٤} وتتكرر بعض الأشعار إما البيت كله أو شطر منه. وتتكرر بعض الآيات كلازمة في أول المكتوب أو وسطه أو نهايته.^{٢٦٥} وبعض الأشعار بالفارسية مع ترجمتها العربية أو بدونها.^{٢٦٦} ويظهر أكثر من تسعمائة

^{٢٦٠} الطريقة والشرعية والحقيقة (٥٤)، الروح والنفس والقلب (٣٦)، متابعة الرسول والاقتداء بسيد البشر (٣٣)، الأحوال والتوحيد (٣٠)، فضاء الحوائج وحقوق الفقراء (٢٤)، المحبة والشوق (١٨)، الأولياء، الإنسان، الوقت (١٥)، ذم الدنيا، الشيخ والمريد، التعزية، الإسلام والكفر (١٢)، الجذب، التواضع، الولاية، الكمال، العبادة (٩)، المقامات، الترقيات، رمضان، الظاهر والباطن، علماء السوء، تصحيح العقائد، الأسرار، الذكر، علو الهمة، السير والسلوك، الأعمال الصالحة (٦). الفرائض، القرب والبعد، الفناء والبقاء، الخواجة، النصيحة، التمكين، شكر المنعم، الواجب، الجواهر الخمسة، تعظيم العلماء، السفهاء، الرفق، العالم، الانقطاع، الصلاة، خدمة الوالدين، الورع والتقوى، الحضور، الغرور، الذل، والانكسار، المريض، العافية، الآفاق، تاريخ الأديان، اللذة والألم، الفرقة الناجية، الخاصة والعامة، ضد الرأي، ضد السبب الواحد، الشباب، التسبب، غلبة الكفار، ضعف الإسلام.

^{٢٦١} «بعضها في ذم الدنيا الدنية، وبعضها في الحث والتحريض على ما يمنع في الآخرة ودرجاتها العلية، وبعضها في النصائح والمواظب البهية وللقبول حرية، وبعضها في الترغيب في ترويج أحكام الشريعة المصطفوية، وأكثرها في بيان أسرار الشريعة المحمدية، وتحقيق حقائقها، وحل رموز الطريقة النقشبندية الأحمدية، وكشف وقائعها، مقتبسة من أنوار منابعه السنة السنية مقتطفة من أشجار اقتفاء السيرة المصطفوية وملقطة من موائد فوائد التأديب بالآداب النبوية...»، السابق، ص ٦.

^{٢٦٢} المكتوبات، ج ١، ٢٣٣، ٢٨٢، ٤١٢-٤١٥.

^{٢٦٣} الأشعار (٦٣٠)، الآيات (١٨٩)، الأحاديث (٦٦).

^{٢٦٤} وذلك مثل «كل إناء بما فيه ينضح»، المكتوبات ج ١، ١٣٩.

^{٢٦٥} وذلك مثل ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ في نهاية كثير من المكتوبات، السابق، ج ١، ١٤٥.

^{٢٦٦} السابق، ج ١، ٢٢، ٥٨، ٧٧.

علم من أعلام الصوفية. فكل كتاب موجه إلى علم. معظمهم من الهند أو فارس كما توحى بذلك بعض أسماء الأعلام.^{٢٦٧} ويتقدمها النقشبندية، والنقشبندية، والإشارة إلى الأول باسم شيخه المعظم أو المكرم أو المحترم. كما يذكر بعض مشاهير الصوفية مثل النابلسي وآخرين في مقامات مثل الكرخي وأبي سعيد الخراز، وآخرين في مقام تحتاني مثل السمناني ونجم الدين الكبري.^{٢٦٨} ومع ذلك ظلت بعض بقايا القسمة العقلية.^{٢٦٩} كما يظهر أسلوب الحجاج العقلي «فإن قيل».^{٢٧٠}

وأسلوب الرسائل أسلوب مميز في البداية بالدعوة والحمد. يبدأ البعض فيها بلازمات معروفة منذ رسائل «إخوان الصفا» «أكرمكم الله»، «أسعدكم الله».^{٢٧١} وتبدأ بلازمات أخرى عن ضرورة المعرفة مثل «ومما ينبغي أن يعلم».^{٢٧٢} وبعض الرسائل يبدأ بلفظ «عريضة» أي عرض قضية.^{٢٧٣} فهي رسائل موضوعية وليست شخصية. ويحضر صاحب الرسالة نفسه ويسمي نفسه أصغر الخدام، أقل العبيد، وأصغر الخدمة ... إلخ.^{٢٧٤} وبرز الموضوع بين الحين والآخر بلفظ «والحاصل»، غاية ما في الباب.^{٢٧٥} وهو مملوء بالمحسنات البيعية خاصة السجع. فالمكتوب نوع أدبي متأخر. ويخاطب القراء «أولادي الكرام»، أيها المخدمون.^{٢٧٦}

^{٢٦٧} . مثل: اللاهوري، خان خانان، خليم خان، خواجه خان، خواجه عمك، قليج الله بن خليج، خليج خان، اسكندر خان، المرزا علي خان، المرزا فتح الله، لا لباك، الدهلوي، الملا، مظفر، الكشميري، السرهندي، الروسي، الكابلي، السمرقندي، البدخشي ... إلخ.

^{٢٦٨} المكتوبات ج ١، ١٦-١٧.

^{٢٦٩} السابق، ج ١، ٢٨-٣٠، ٣٩-٤٠.

^{٢٧٠} السابق، ج ١، ٣٣٠، ٣٣٥، ٣٨٨، ٤١٧-٤١٨، ٤٢٠.

^{٢٧١} السابق، ج ١، ١٤٠-١٤١.

^{٢٧٢} السابق، ج ١، ٧١، ١١٩.

^{٢٧٣} السابق، ج ١، ١٥، ١٩، ٢٤، ٣٤، ٣٩، ٦٥-٦٦.

^{٢٧٤} أقل العبيد، السابق، ج ١، ٢٥، ٢٨، ٣٩، ٤٧-٤٨، ٥٠، ٥٩، أصغر الخدمة، ص ٥٨، ٦٥، ٦٦، أصغر

الخدام، ص ٢٤، أيها المخدمون، ص ٢١٦، الحاضر الغائب، الواجد الفائد، المقبل المعرض، ص ٥٣.

^{٢٧٥} السابق، ج ١، ص ٢٨، ٤١٧.

^{٢٧٦} السابق، ج ١، ٤٧٤، ٣٩١، ٤٥٩، ٤٧٦، ٤٨٨.

(ح) «العهود الوافية الجلية في كيفية صفة الطريقة الإسماعيلية»
لإسماعيل بن عبد الله (١٢٣٩هـ)^{٢٧٧}

وبالرغم من أن العنوان يشير إلى أن موضوعه هو العهود بين الشيخ والمريد إلا أنه بعض الطريقة «الإسماعيلية السودانية»، الطريقة الختمية للسيد الميرغني من بين عدة طرق أخرى كالنقشبندية والجنيدية والشاذلية والقادرية. وتنتسب إلى علي بن أبي طالب.^{٢٧٨} وتعتمد على التجارب الصوفية أكثر من اعتمادها على النصوص، بالرغم من استنادها إلى بعض الآيات في الأوراد والأختام والأدعية والمناجاة والتوسلات.^{٢٧٩} تجمع بين التجارب النفسية، العزلة عن العالم، من أجل خلق عالم أفضل، والتجارب البطولية من أجل السيطرة على العالم حتى عن طريق الوهم أو الخيال، والتجارب الجمالية، جمال الروح الممثل في فنون الشعر والسماع. ويضم ذلك إلى النوافل والذكر القلبي. ولا تذكر أقوال للصوفية السابقين أو نظريات من التصوف الفلسفي. بل تتجه العهود إلى الممارسات العملية.

(ط) «الأنوار الأقدسية في الأوراد القدسية» أوراد وحصون وأحزاب وصلوات
لأحمد بن إدريس الحسيني (١٢٥٣هـ)^{٢٨٠}

وهي ما يقرأ أفرادًا أو جماعات داخل الطريقة كنوع من التمرينات القولية للراقي الروحي. وهي أشكال أدبية متداخلة، الورد والحزب، الصلاة والحصن. الابتهاال والمناجاة. صاحبها العارف بالله تعالى مولانا القطب أي إنه شيخ الطريقة الواصل. «الأوراد لها خاتمة» مستقلة، للوقوف بين يدي الله والاستسلام لها.^{٢٨١} ولها «تهليل» وهو إعلان الشهادتين.^{٢٨٢} ولها «صلاة عظيمة» وهو إثبات لوجود الله وخلود النفس.^{٢٨٣} ولها «استغفار كبير» وهو طلب المغفرة من المعاصي المقدرة لنيل الرضا.^{٢٨٤}

^{٢٧٧} دار الكتب العلمية، بيروت.

^{٢٧٨} العهود الوافية، ص ٩.

^{٢٧٩} الآيات (١٠)، الأشعار (٢)، الأحاديث (٣).

^{٢٨٠} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ.

^{٢٨١} السابق، ص ٥.

^{٢٨٢} السابق، ص ٥.

^{٢٨٣} السابق، ص ٦.

^{٢٨٤} السابق، ص ٧.

وأما «الحصون المنيعة النبوية» فهو تقديم أمام يدي الله، كل خاطرات النفس، البسمة والحمدلة والحوقة. كل منها ثلاث مرات للتكرار مثل إيقاع الموسيقى ولازمة الغناء والشهادتين وإعلان الربوبية والقدسية والربانية والألوهية لله كما تقول الجماعات الإسلامية المعاصرة في «الحاكمية»، والاستعاذة من الشيطان والاستجارة به. وتعتمد على القرآن وحده دون الحديث فهو أقرب إلى القلب والمباشرة والوجدان من الحديث، مثل الشعر.^{٢٨٥} وتتكرر بعض السور القصار مثل سورة الصمد.

ويستأنف «ورد النور الأعظم والكنز المطلسم» نفس المدخل في إعلام الحضور الإلهي الشامل، وطلب الصلاة على محمد والعبودية للربوبية والوصول إلى مقام الاستيلاء الجامع عن طريق الآيات القرآنية التي تعلن الربوبية وإثبات توحيد الذات.^{٢٨٦} ويعتمد على القرآن وحده دون الحديث أو الشعر أو أقوال الصوفية. فلا وقت للتأمل والجدل والاستدلال في التجربة المباشرة.^{٢٨٧}

ويستمر «ورد التجلي الأكبر» في تأكيد نفس الموقف بآيات أخرى بعضها مكرر مثل «آية الكرسي» بالإضافة إلى بعض الأحاديث القصار، وشاهد شعري واحد.^{٢٨٨} ويتجه الورد كله نحو الذات الإلهية. وهو نوع من التصوف النظري بلا استدلال عقلي مثل موسى أمام النار. كل شيء تجل لله بما في ذلك الشريعة التي هي تجل للحقيقة عبر الطريقة. الغيب حضور، والكبرياء تواضع. هو تجل في مقام الإحسان وفي حال المحبة والشوق كما عبر عن ذلك الشعراء في التجربة الشعرية. ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾، وسبحان من له الدوام.^{٢٨٩}

و«الصلوات الإدريسية» هي أربع عشرة صلاة قصيرة تعبر عن الذات أكثر مما تصف الموضوع، لا فرق بين الذات الأحمدية والحقيقة المحمدية كما هو الحال في «الإنسان الكامل».^{٢٩٠} لا تتميز صلاة عن أخرى بل تتشابه الصلوات جميعاً في المديح.

^{٢٨٥} الآيات (٩).

^{٢٨٦} السابق، ص ٢١-٤٥.

^{٢٨٧} الآيات (١٩).

^{٢٨٨} الآيات (٢٠)، الأحاديث (٤)، الأشعار (١).

^{٢٨٩} السابق، ص ٤٦-٧٨.

^{٢٩٠} السابق، ص ٧٩-٩٤.

تخلو من الأدلة النقلية، القرآن والحديث والشعر وأقوال الصوفية. فالوجد وجود لا يحتاج إلى دليل. هي ذات متضخمة اتحدت مع موضوعها فابتلعت، بحيث لم يعد هناك تميز بين الذات والموضوع، بين الشاهد والمشهود، وهو أحد مصادر سيادة الخطاب الإنشائي على الخبر في الخطاب العربي الإسلامي المعاصر.

(ي) رسائل أبي الهدي الصيادي (١٣٢٨هـ)

(١) «الطريقة الرفاعية»^{٢٩١}

وهو نص واحد بلا أبواب أو فصول «للعبد الضعيف اللائذ بأعتاب الجنب النبوي الشريف، أحقر الوري»^{٢٩٢}. يصف الطريقة الرفاعية في ثمان وعشرين سمة لا يختلف عليها أحد. ولا تختلف من طريقة إلى طريقة إلا في الولاء لمؤسسها وقبولها عقائد الصوفية وشطحاتها النظرية والعملية.^{٢٩٣} ويعتمد الوصف على القرآن والحديث والشعر.^{٢٩٤} كما تذكر أقوال أعلام الصوفية القدماء والمحدثين وعلى رأسهم أحمد الرفاعي والحسن البصري ثم الرواس ثم الجيلاني والسيوطي ثم النابلسي ثم الشعراني والغزالي والنفري والجيلي وغيرهم.^{٢٩٥} ومن الفقهاء أحمد ثم البيهقي والشافعي وابن القيم. ومن المذاهب والفرق، المذاهب الأربعة والرفاعية. ويحال إلى بعض المصادر المدونة للرفاعي وغيره.^{٢٩٦}

^{٢٩١} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ (١)، ص ٧-٧٨.

^{٢٩٢} السابق، ص ٧.

^{٢٩٣} وهي: أحكام التوحيد، الكتاب، الإيمان، القلب واللسان، المحبة، حب الرسول، تعظيم أصحابه، توقير الأولياء، إنكار الوحدة المطلقة والطلول والشطحات، الاتفاق مع أحد الأئمة الأربعة، رفض التوسط بالأرواح، الإيمان بالقدر، التفكير في صنعة الله، ذكر الله بالجهر والأدب، المباينة، حفظ النعمة، قراءة القرآن، الاجتماع على الذكر، اتخاذ حرفة، ترك ما لا يعني، الشريعة، تعظيم الأنبياء، مراعاة الآداب، المحاضرة مع الأرواح، أخذ وثيقة السند، تعظيم مؤسس الطريقة وإجلاله.

^{٢٩٤} الآيات (٦٠)، الأحاديث (٢٣)، القدسية (١)، الأشعار (١١).

^{٢٩٥} أحمد الرفاعي (٨)، الحسن البصري (٥)، الرواس (٤)، الجيلاني، السيوطي (٣)، ابن حجر،

النابلسي (٢)، الشنطوني، الشعراني، الغزالي، سعيد بن المسيب، النفري، الكرخي، الجيلي (١).

^{٢٩٦} مثل «البرهان المؤيد» للرفاعي، «طي السجل»، «لهجة الأسرار».

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

(٢) «القواعد المرعية في أصول الطريقة الرفاعية»^{٢٩٧}

وهي أيضًا في الطريقة الرفاعية وقواعدها وهي تسع.^{٢٩٨} وهي تمثل عقدًا بين المريد وشيخ الطريق، عقد الانضمام إلى جماعة لا هي سرية مثل إخوان الصفا، وجماعات التشنيع، ولا هي علنية مثل جماعات أهل السنة وهيئات السلطة القائمة. هي بيعة وعهد، خلوة وذكر، زي وصحبة، طاعة والتزام، خرقة وورثة عن النبي. وتعتمد على القرآن والحديث والشعر.^{٢٩٩} ومعظم القرآن سورًا قصارًا بأكملها.^{٣٠٠} والشعر قصيدة واحدة طويلة.^{٣٠١} ومن الصوفية يذكر بطبيعة الحال أحمد الرفاعي وآل الرفاعي والرفاعية ثم الحسن البصري والجنيد وداود الطائي والسري السقطي ومعروف الكرخي والروزباري. ومن الفقهاء السيوطي. ويفضل نسب الرفاعي عودًا إلى أنساب الجاهلية والأشراف.^{٣٠٢} والدعوة إلى الله مثل الدعوة إلى الشيخ مثل الدعوة إلى السلطان «اللهم انصر سلطاننا».^{٣٠٣}

(٣) «الرقائق الرواسية»^{٣٠٤}

وهي مجموعة من الأقوال للرفاعي في موضوعات متناثرة ومسجوعة.^{٣٠٥} وتعني الرقيقة القول المأثور الأخلاقي العملي دون الشطحات. وهي نوع أدبي جديد.^{٣٠٦} يجمع بين

^{٢٩٧} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ (٢) ص ٨١-١٠٨.

^{٢٩٨} وهي: البيعة وتلقين الذكر، سلوك الطريقة، الخلوة الأسبوعية، الزي واللباس، الورد والذكر، الخوارق، أدب المرشد والمريد، الأدب مع مؤسس الطريقة. لبس الخرقة وسندها.
^{٢٩٩} الآيات (٢٧)، الأحاديث (٣)، الأشعار (١).

^{٣٠٠} السابق، ص ٩٢-٩٤.

^{٣٠١} السابق، ص ٩٤-٩٧.

^{٣٠٢} السابق، ص ١٠٤-١٠٦.

^{٣٠٣} اللهم انصر سلطاننا أمير المؤمنين، خادم شريعة سيد المرسلين، وأيد به حكمة الحق والدين، واحفظ به ثغور بلاد المسلمين، اللهم انصره وانصر عساكره، واجعل على أعدائنا وأعدائه من سوء دائرة، اللهم من أرادنا أو أراد ديننا أو أراد بلادنا بسوء فاجعل دائرة سوء عليه. اللهم ارم نحره في كيده، وكيدته في نحره حتى يذبح نفسه بيديه. اللهم اكفنا والمسلمين سوء بما شئت وكيف شئت. إنك على ما تشاء قدير...، السابق، ص ٩٩.

^{٣٠٤} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ.

^{٣٠٥} وعددها ثلاث وثلاثون.

^{٣٠٦} الآيات (٢٢)، الأحاديث (١٢)، الأشعار (٧).

النثر الفني والموضوعات الصوفية. منها ما يدور حول نظرية المعرفة، مثل العلم والعقل والرأي والرزانة والأدب. ومنها ما يدور حول الطبيعة مثل الكون. ومنها ما يدور حول الشبهة في القصائد، والبداء والإعادة والقدرة والنعمة والقدرة والجلال. ومنها ما يتعلق بالقرآن والنص والنبوة والسنة واتفاقها مع الأخلاق، ودور الرسول كمرشد وسفير. ومنها ما يتناول بعض الموضوعات الغيبية مثل جبريل. وتظهر بعض الموضوعات الصوفية مثل العشق والمحبة. كما تظهر بعض موضوعات الطريق مثل التقشف والورد والصديق والفاجر. وتبدو بعض عبارات الإصلاح ضد المتقشفة والمتصوفة والمتفقيهة دفاعاً عن الصوفية. وتعتمد على القرآن والحديث والشعر كما تعتمد على أقوال الرواة، وبعض المصادر المدونة.^{٣٠٧} ولا يذكر إلا الرفاعي شيخ الطريقة. ويقرن به عديد من ألقاب التعظيم والتفخيم والإجلال لدرجة التأليه.^{٣٠٨}

(٤) الفجر المنير في بعض أقوال الرفاعي الكبير»^{٣٠٩}

من حيث الشكل الأدبي هي مجموعة من الوصايا لولده وللفقراء وللمشايع.^{٣١٠} وفي نفس الوقت هي ذكر لمناقب شيخ الطريقة أحمد الرفاعي. مرضه وموته ووصيته إلى أهله.^{٣١١} وهي ثالثاً أجوبة على أسئلة علماء بغداد، حين سئل عن السماع.^{٣١٢} وهي رابعاً أقوال في شأن المشايخ الأولياء العارفين الواصلين.^{٣١٣} وتعتمد على القرآن والحديث والشعر.^{٣١٤} ويحال إلى بعض الصوفية مثل الشعراني والجيلي وكثيرين غيرهم.^{٣١٥}

^{٣٠٧} مثل «زبدة الحقائق» للهمذاني، الرقائق الرواسية، ص ٩٧.

^{٣٠٨} شيعي وعمي وهرة عيني وتاج رأسي أبي المعالي والبراهين غوث أعظم الواصلية شمس العرفان، فرد الزمان، قطب الوقت، والأوان سيد أهل هذا الشأن، علامة العصر، فهامة الدهر، الشامخ المجد، المتين الأساس، غريب الغرباء، مولاي وملجئي ...، السابق، ص ٨٧. «شيخ الأمة الغوث الأكبر والكبريت الأحمر والقمر الفاطمي الأزهر»، السابق ص ١٠٣.

^{٣٠٩} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (٣)، ص ٩٣-١٥٨.

^{٣١٠} السابق، ص ١٠٨-١٢١، ١٣٤-١٣٦، ١٤٤، ١٤٩.

^{٣١١} السابق، ص ٩٣-٩٧.

^{٣١٢} السابق، ص ١٢١-١٣٠، ١٤٩، ١٥٢.

^{٣١٣} السابق، ص ١٤٩.

^{٣١٤} الآيات (٤١)، الأحاديث (٢٢)، الأشعار (٦).

^{٣١٥} الشعراني (٢)، الجيلي (١).

(ك) «تهذيب المواهب السرمدية في أجلاء السادة النقشبندية»
لمحمد أمين النقشبدي (١٣٣٢هـ) ٣١٦

وهو كتاب في الوعي التاريخي الخاص بمشايع الطريقة. يذكر أولاً أسماء واحد وثلاثين شيخاً. لهم ألقابهم مثل «سيدنا»، أو «الشيخ»، أو «سيدنا الشيخ»، أو «سيدنا الدرويش»، أو «سيدنا ومولانا»، أو «مولانا ومشايعنا». وكلها ألقاب التعظيم والتفخيم والإجلال للمشايع مما يتنافى مع الاعتراض والنقد وتجاوز القدماء. وتتضمن حكايات المشايخ مناقبهم وكراماتهم. ويقوم التاريخ على قراءة الحاضر في الماضي. فمن مشايخ النقشبندية الرسول وأبو بكر وسلمان الفارسي وجعفر الصادق والبسطامي. ثم تأتي سبعة فصول في النهاية في التصوف، والتوبة والذكر وأنواعه، وعدم الاعتراض على الجذبة. وتعتمد على القرآن والحديث والشعر. ٣١٧ ويحال إلى عديد من الصوفية قدماء ومحدثين وإلى الطرق الصوفية. ٣١٨ يأتي في المقدمة الجنيدي ثم ابن عربي ثم غيرهم مثل الحسن البصري والبسطامي. كما يذكر عدد من الفقهاء والطرق الصوفية. وتكثر أسماء الفرس والترك أي العجم غير العرب. ٣١٩ ومع ذلك تظهر بعض التحليلات النظرية الخالصة مثل شروط التوبة. ٣٢٠

(ل) «الورد الشريف» للحسني (١٣٤٥هـ) ٣٢١

وهو ورد للقراءة صباحاً ومساءً مرة على الأقل كل يوم دون خروج عليه. ويتكون من قراءة الفاتحة والتعوذ بالله الشيطان (مائة مرة)، والصلاة والسلام على الرسول

٣١٦ دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م/١٤٢٥هـ.

٣١٧ الأحاديث (١٠١)، الآيات (٨٠)، القدسية (٤)، الأشعار (١٦).

٣١٨ الشيخ الأكبر ابن عربي (٣)، الجنيدي (٢)، شقيق البلخي، القشيري، ابن أبي الخير، سهيل، الحسن البصري، الشاذلي. ومن الفقهاء الشافعي، الجويني، وابن الجوزي، ومن الطرق الصوفية النقشبندية (٣)، السهروردية، القادرية (٢)، الكبروية الجشتية (١).

٣١٩ مثل خوردم، كلال، الخرقاتي، الغامدي، الفجرواني، الزيوكري، الانجير فغنوس، الجرضي، الخواجكي، الأمكنكي، جان جاتان.

٣٢٠ تهذيب المواهب، ص ١٥٣.

٣٢١ السفر الصوفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (٥)، ص ١٥٣-١٥٦.

(خمسین مرة)، والدعوة له.^{٢٢٢} (اثنتا عشرة مرة)، والتشهد (إحدى عشرة مرة)، ويا ودود، ويا لطيف، والتشهد كل منها (مائة مرة)، والله (١١١ مرة) ... إلخ. فالأوراد تفعل بذاتها، ويؤثر بسحر كلماتها.

(م) «الدرر المرضية في كيفية سلوك الطريقة الرفاعية» للبطاوي^{٢٢٣}

وهو كتاب في الطريقة الرفاعية، كما يدل العنوان. جمعه صاحبه وليس ألفه من مصادر سابقة. يعتمد على الفقه والحديث.^{٢٢٤} قلد «الحكم» كشكل أدبي مثل جوامع الكلم. تجمع بين الطريقة وآداب الشيخ والمريد. ولا يوجد سبب خاص للتأليف. يتضمن خمسة أبواب. الأول في ترجمة صاحب الطريق أحمد الرفاعي. وهي أقرب إلى وصف الطريق منه إلى تاريخ حياة مؤسس الطريقة. تتعرض لآداب المريد، ومقامات النفوس السبعة، وكيفية تلاوة الأسماء. والثاني المباشرة وأصول الخلافة وهي مرتبة الدرويش. والثالث مقتطفات من أقوال القطب الكبير وهو أكبر الأبواب.^{٢٢٥} والورد بعد كل صلاة. وفي الخاتمة نبذة من جوامع الكلم وشرط لبس شرف الصالحين، وعبد القادر الجيلي هو النموذج، والرابع فضل الذكر والذاكر، والتحذير من ترك الذكر واختبار الذاكرين. والخامس في التوحيد والمعرفة وبيان معاني التدبير والإيمان، وحديث الفاتحة في «الفتوحات» وعظماء القدر والمقام عند الرفاعيين، وأخيرًا أحوال أدعية التصوف في كل مصر.^{٢٢٦}

^{٢٢٢} مثل «أدركنا يا رسول الله. اجبر كسرنا يا حبيب الله. خذ بأيدينا يا أكرم الخلق على الله».

^{٢٢٣} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ.

^{٢٢٤} السابق، ص ٩٩-٢٠٣.

^{٢٢٥} ويشمل آداب الذكر والرابطة الأحمدية، ومراسم الطريقة، أقسام السلاح والنار والآفات. السيف والدبوس والشيش والصاج واللث (الدف والسحق) والنار والحبة والحنش والعقرب والسم والماء والتدفيف. وهناك أقسام أخرى لمن انفلتت دابته، والبركة في الطعام، وإيقاف الفرس.

^{٢٢٦} «أرى من الفقراء في هذا الزمان أناسًا قد ادعوا المشيخة وظنوا أنهم من الذين حازوا الولاية الكبرى، وهم كالأنعام بل هم أضل حيث صار ممن تشبه بالقوم ... أذن له شيخه أم لم يأذن له. صار يستفتح الذكر ويلقي العهد ويجمع بالقوم من أهل الصنائع والحرف وأكثر وقده تاركين الصلاة من العوام الزنادقة. وهو مع هذا يدعي أنه قائم في الخلق مكان نبيهم. وكفى بذلك جهلاً وكفرًا وسوء أدب. وأين المقام من المقام، وأين الملائكة من الشياطين؟ ولعمري الكامل في هذا الزمان من جهل وصف الإسلام، بل هو الضال المضل على الدوام ما لم يتفقه في الدين ثم في أصول السالكين. وإنني أرى الآن في هذا الزمان من تصدر للمشيخة وهو أجهل من حمار توما ...»، السابق، ص ١٣٢.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

معظمها حكايات كرامات وخوارق ووصفات شعبية للدواء.^{٣٢٧} ويتوجه الخطاب إلى القارئ.

يعتمد على القرآن والحديث والشعر.^{٣٢٨} كما يعتمد على كثير من المقتبسات بطبيعة الحال من صاحب الحكم، أبي عطاء الله، ثم أحمد الرفاعي مؤسس الطريقة، ثم الشعراني والخواص والبسطامي وإبراهيم بن أدهم، ثم الجنيد وسهيل وابن عربي وغيرهم.^{٣٢٩} ومن الفقهاء أحمد ثم الشافعي.^{٣٣٠} ومن الفرق الرفاعية ثم الصوفية.^{٣٣١} ومن المصادر المذكورة «الفتوحات» و«الإحياء».^{٣٣٢} وأخرى من المصادر المعلقة.^{٣٣٣}

(٣) الشيخ والمريد

وهو الباب الأخير في التصوف كطريق أي في الوعي الذاتي ويضم العلاقات الاجتماعية بين الصوفية أي التجربة المشتركة الداخلية. وتتضمن آداب الشيخ والمريد، ووصايا الشيخ للمريد.

(أ) آداب الشيخ والمريد

(١) «الأدب في الدين» (الغزالي ٥٠٥هـ)^{٣٣٤}

وهو في الآداب العامة في العبادات والمعاملات. لا يعتمد على قرآن أو حديث أو شعر أو إسرائيليات بل على البداهة الخلقية والإحساس الفطري الطبيعي. ولا يذكر اسم علم واحد باستثناء لفظ «الحكماء» في الآداب الجامعة.^{٣٣٥} وبعض الآداب تقوم على

^{٣٢٧} السابق، ص ٧٠، ٧٦.

^{٣٢٨} الآيات (٩٣)، الأحاديث (٩٢)، القدسية (٣)، الأشعار (١٠).

^{٣٢٩} صاحب الحكم (٢١)، أحمد الرفاعي (١٠)، الغزالي (٥)، علي الخواص، الشعراني، البسطامي، إبراهيم بن أدهم (٣)، الجنيد، ابن عربي، الشاذلي، سهيل (٢)، السبكي، ابن عطاء الله، الترمذي، محمد بن سيرين، القشيري، أبو مدين، بشر بن الحارث، الفضيل ابن عياض، مالك بن دينار (١).

^{٣٣٠} أحمد (٣)، الشافعي (١).

^{٣٣١} الرفاعية (الرفاعيون) (٧)، الصوفية (٢).

^{٣٣٢} الفتوحات (٢)، الإحياء.

^{٣٣٣} مثل «بهجة الأسرار»، و«أم البراهين».

^{٣٣٤} مجموعة رسائل الإمام الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٦-١٤٧٧هـ (٥) ص ٨٩-١٩٩.

^{٣٣٥} الأدب في الدين، ص ١٣٤.

الخوف والارتعاش والوجل من الله والتوكل عليه وتقييد الجوارح واليأس مما في أيدي الخلائق.^{٣٣٦} والأولى آداب الطمأنينة والثقة بالنفس. والبعض الآخر آداب اعتزال الناس والأولى مشاركتهم.^{٣٣٧} أما الخسوف والاستسقاء ودوران الأفلاك وسقوط الأمطار فإنها ظواهر طبيعية وليست أفعالاً إنسانية لها آداب.^{٣٣٨} والبعض في أدب السيد مع عبده والعبد مع سيده وقد انتهى نظام العبودية إلى نظام المساواة بين البشر الأحرار.^{٣٣٩} أما آداب السلطان مع الرعية وآداب الرعية مع السلطان فيحكمها الدستور.^{٣٤٠} وتدور الآداب بالإضافة إلى بعض الآداب الجامعة حول عدة محاور حول الله في أدب المؤمنين بين يدي الله اعتباره الآخر المطلق.^{٣٤١}

(٢) «رسالة في أدب العلم» لابن عطاء الله السكندري (٧٠٩هـ) ^{٣٤٢}

وهو نص مجمل أقرب إلى أدب «العمل» منه إلى أدب «العلم»، فالعلم عملي، التصوف نموذجاً. الخطاب مجرد أوامر وإرشادات ونصائح موجهة إلى القارئ. ويخلو من الأبواب

^{٣٣٦} السابق، ص ١٠٧-١٠٩.

^{٣٣٧} السابق، ص ١١٤.

^{٣٣٨} السابق، ص ٢٣.

^{٣٣٩} السابق، ص ١٣٢-١٣٣.

^{٣٤٠} السابق، ص ١٣٣.

^{٣٤١} ومجموعها ستة وسبعون آداباً. منها آداب العلم، العالم والمتعلم، ومعلم الصبيان، والمقرئ والقارئ، والمحدث وطالب الحديث والكاتب والواعظ والمستمع. وآداب القاضي والشاهد. ومنها آداب المناسك واعتزال الناس والصوفي والشريف وهي الآداب الصوفية. وهي جزء من الآداب العامة. ومنها آداب فقهية شرعية مثل آداب النوم والتهدج، والخلاء والحمام، والوضوء، ودخول المسجد، والاعتكاف، والأذان، والإمام والصلاة، والقراءة والدعاء والجمعة والخطيب، والعيد والمريض والمعزي والمشي مع الجنائز، والصيام، والحج والإحرام، ودخول مكة والمدينة، وآداب الأكل والشرب. ومنها آداب اجتماعية اقتصادية مثل آداب المتصوف والسائل والغني والفقير والمهدي واصطناع المعروف والتاجر والصيرفي والصائغ. ومنها آداب الطريق مثل الصحبة والاستئذان والمعاشرة، وآداب الإخوان والجار وآداب العلاقات الاجتماعية. ومنها آداب الأسرة، الزواج، والخطبة، والجماع، والزواج مع زوجه، والولد مع والديه، والأولاد مع الوالد. ومنها آداب لذات الرجل مع نفسه، والمرأة مع نفسها، فالإنسان ذات قبل أن يكون آخر، ومنها آداب الجهاد والأسير، آداب النصر والهزيمة.

^{٣٤٢} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ (٢)، ص ٤٥-٦١.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

والفصول إلا من عنوانين فرعيين إشراقيين على طريقة صدر الدين الشيرازي.^{٣٤٣} على المريد التزامات عشرة.^{٣٤٤} وفي الخطاب القرآني للرسول عدة فوائد منها مجاملة النبي، والبداية بالآخر بعد أمر النفس، والصبر على التكليف. ويعتمد على القرآن والحديث دون الشعر.^{٣٤٥} ولا يذكر من الصوفية إلا الحلاج وشيخ يسأل عن شيخه.^{٣٤٦}

(٣) «تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم» لابن جماعة (٧٣٣هـ) ^{٣٤٧}

وهو كتاب من أحد الشافعية في آداب الشيخ والمريد على نحو تفصيلي لدرجة كيفية جلوس العالم على الكرسي.^{٣٤٨} ويتكون من خمسة أبواب، الأول في فضل العلم والعلماء. والثاني في أدب العالم في نفسه أي تربية الذات. والثالث في آداب المتعلم أي المريد، وهو أطول الأبواب لأنه الأكثر حاجة إلى تعليم. والرابع في الآداب مع الكتب وكيفية التعامل معها، فالكتاب أداة العلم. والخامس في آداب سكن المدارس.^{٣٤٩} وينقسم الباب الثاني إلى فصول، والفصول إلى أنواع. وينقسم الرابع والخامس إلى أنواع فقط دون فصول. وهو كتاب تربوي تأديبي للطريقة، العالم والمتعلم، والآلة بينهما، والكتاب والمدرسة. والغاية من التأليف احتياج الطلبة.^{٣٥٠} يكشف عن الصلة بين العلم والأخلاق.

^{٣٤٣} هما «بيان واعتبار واستشراق أنوار»، «تنبيه وإعلام لأمر ينبغي للمتسبين أن يلزموها»، السابق، ص ٤٨-٤٩.

^{٣٤٤} هي: ربط الحزم، والوضوء، ووداع الأهل في الله حين الخروج، والبسملة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، السكينة والوقار، وذكر الله في السوق، وعدم الانشغال بالبيع والشراء، وترك الحلف والإطراء لسلفه، وعدم الغيبة باللسان.

^{٣٤٥} الآيات (٣١)، الأحاديث (٢١).

^{٣٤٦} هما أبو الحسن يسأل عن شيخه عبد السلام، آداب العلم، ص ٥٧.

^{٣٤٧} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م/١٤٢٣هـ.

^{٣٤٨} السابق، ص ٣٩.

^{٣٤٩} الباب الأول (٨)، الثاني (٣٦)، الثالث (٨٠)، الرابع (٢٢)، الخامس (٣٦).

^{٣٥٠} «دعائي ما رأيت من احتياج الطلبة إليه. وعسر تكرار توقفهم عليه إما لحياء فيمنعهم الحضور، أو لجفاء فيورثهم النفور إلى جمع هذا المختصر مذكراً للعالم ما جعل إليه ومنبهاً للطالب على ما يتعين عليه وما يشتركان فيه من الأدب وما ينبغي سلوكه من مصاحبة الكتب ثم أدب من سكن المدارس منهاياً أو طالباً لأنها مساكن طلبة العلم في هذه الأزمنة غالباً، تذكرة السامع والمتكلم، ص ١٥.

فالعلم ليس فقط معلومات محصلة، بل أيضًا سلوك العلماء وتهذيب النفس. وإنما يضيع العلم بضياغ العلماء. ويعتمد على الحديث ثم القرآن ثم الشعر.^{٣٥١} وتتوالى الآيات والأحاديث في دفعات متتالية.^{٣٥٢} وتقل الأدلة النقلية في آخر الكتاب اعتمادًا على الملاحظات التجريبية.^{٣٥٣} ويعتمد على بعض أقوال العلماء بالإضافة إلى بعض المصادر الشفاهية. والعلماء محدثون وزهاد وفقهاء، وصوفية. كما يعتمد على بعض القصص مثل إلهام الحيوانات.^{٣٥٤} ويعتمد الأسلوب على السجع من أجل التأثير على الطلاب ومساعدتهم على حفظه.^{٣٥٥}

(٤) «البهجة السنية في آداب الطريقة العلية الخالدية النقشبندية»

لمحمد النقشبندي (١٢٧٩هـ)^{٣٥٦}

وهو في «آداب الشيخ والمريد» خاصة والطريقة عامة. ويتضمن كتابين متساويين تقريبًا. الأول «كتاب الآداب» وهو الأصغر. والثاني «كتاب الأذكار»، وهو الأكبر.^{٣٥٧} يتضمن الأول ثلاثة أبواب في آداب المريد مع الشيخ، ومع أخوته وآداب الشيخ. والثاني يتضمن عشرة فصول. خمسة منها في آداب الشيخ والمريد.^{٣٥٨} وباقي الفصول في الأذكار، آيات تخصيص القلب بالإيمان والإنابة والخشية والذكر والتقوى والسلامة. وأهمها وأطولها الثالث في طرق الوصول إلى الله والفناء فيه عند النقشبندية. وهي أربعة: الأولى صحبة الشيخ الحقيقي الكامل، وهي الأقوى. والثانية الرابطة. والثالثة الالتزام بما لقنه الشيخ

^{٣٥١} الأحاديث (٣٣)، الآيات (٢٧)، الأشعار (١٦).

^{٣٥٢} تذكرة السامع والمتكلم، ص ١٧، ٢٠، ٢٤.

^{٣٥٣} السابق، ص ٩٠-٢٠٨.

^{٣٥٤} السابق، ص ١٥-١٦.

^{٣٥٥} السابق، ص ١٩.

^{٣٥٦} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م/١٤٢٤هـ.

^{٣٥٧} السابق، ص ٦٣-٨٠.

^{٣٥٨} أخذ الشيخ العهد على المريد، أو الشروع في ذلك، ووقوع تفرقة أو وسوسة أو قبض المريد أثناء الذكر أو الأحوال العجيبة والخوارق الغريبة، وطريقة التصوف في باطن المريد.

من الأذكار. وأول الذكر لفظ الجلالة مع حضور القلب، وثانيه فعلا النفي والإثبات في الشهادة «لا إله إلا الله». والرابعة التوجه والمراقبة.^{٣٥٩} هذا بالإضافة إلى تكميل الصلوات والوظائف التي أمر بها الشيخ، والآداب الظاهرة مع الحق، وأخيراً حالا الفناء والبقاء. أما الخاتمة، ففي مناقب الشيخ ومن تولوا المشيخة من بعده.^{٣٦٠} ولكل ألقابه. فالمؤسس هو «حضرة مولانا ... قدس سره» والثاني سيدنا الإمام الرباني مجدد الألف الثاني الشيخ ... قدس سره، والثالث حضرة مولانا ... المجددي العثماني قدس سره. وسبب التأليف هو سؤال عن الطريقة وكيفية الوصول إلى الذروة العليا.^{٣٦١} وكانت الإجابة بعد الاستشارة من الله والإجازة من سلسلة مشايخ الطريقة. والتأليف كثيرة، يتفق كل منها مع عصره. فالتاريخ يفرض نفسه على التأليف.^{٣٦٢} كل جيل يقرأ الجيل السابق حتى يستمر التواصل في الفهم طبقاً للغة كل عصر. وإذا كانت لغة التأليف هي الفارسية فيما وراء النهر فإن لها مصطلحاتها العربية.^{٣٦٣} ولا يوجد سبب خاص للتأليف أو منهج جديد إلا النقل عن المشايخ وليس إبداع المريدين. وتذكر صور الإجازات المقابلة لأسانيد الروايات. وواضح أن مناطق الزخم الصوفي في مصر في الوسط القاهرة أو الإسكندرية ملتقى المغاربة والمصريين، أو في الغرب في المغرب العربي خاصة المغرب الأقصى، وفي

^{٣٥٩} المؤسس هو بهاء الدين محمد شاه نقشبند، والثاني أحمد الفاروقي الحنفي السرهندي. والثالث أبو البهاء ضياء الدين خالد النقشبندي.

^{٣٦٠} الطريقة العليا، ص ٦٨.

^{٣٦١} «فقد سألتني بعض الأحبة ... أن أكتب لهم شيئاً من آداب السلوك في طريقة سادتنا النقشبندية فأجبتهم إلى سؤالهم وإن لم أكن أهلاً لذلك اعتماداً على فضل الكريم المالك؟ وما أجبتهم إلا بعد الاستشارة الشرعية النبوية والاستجارة من روحانية سادة السلسلة العليا النقشبندية ...»، السابق، ص ٧.

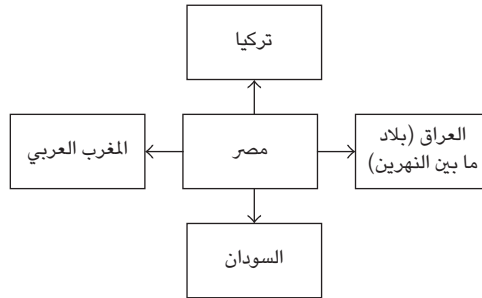
^{٣٦٢} «علم أيها الغالب أن كتب الطريقة كثيرة، واضحة شهيرة ولكن لا بد كما قال بعضهم لكل عصر من مترجم يترجم كلام أهل العصر الذي قبله حتى يفهمه أهل العصر الذي بعده ...» الطريقة العليا، ص ٧.

^{٣٦٣} يضرب المثل بأحد عشر مصطلحاً. وقوف زمني، وقوف عددي، وقوف قلبي، هو شيء دردم هوش (العقل، الظرف، النفس)، نظر برقدم (النظر إلى القدم)، سفر در وطن (السفر إلى الوطن)، خلوة دار انجمن (خلوة جمعية الناس)، يا دكرد (النفس والإثبات) بازكشت (الرجوع)، تكاد داشت (الحفظ)، ياد دشت (حفظ القلب)، السابق، ص ٨٠-٨٨.

الشرق في العراق وبلاد ما وراء النهر، وفي الشمال في تركيا خاصة في عصر الطريقة، وفي الجنوب في السودان وأفريقيا.^{٣٦٤}

ويعتمد على القرآن والسنة والشعر.^{٣٦٥} ومع الأدلة النقلية يظهر أحياناً التحليل العقلي الخالص. كما تؤخذ عدة اقتباسات من أقوال الصوفية ووضع علامة «انتهى».^{٣٦٦} ويحال إلى كثير من الصوفية قدماء ومحدثين يتقدمهم البسطامي وابن عربي والشعراني وعلى الخواص، ثم الجنيد والشاذلي، ثم الحلاج وذو النون والغزالي. والسهروردي وغيرهم.^{٣٦٧} ومن الفقهاء ابن الهمام وابن الشبلي وابن حجر وزكريا الأنصاري وغيرهم. ومعظمهم من الحنفية، جمعاً بين العقل الفقهي والطريقة الصوفية.^{٣٦٨} فقد استطاع التصوف أن يخرق الفقه، وأن يوحد بين المذاهب. كان لكل صوفي مذهب فقهي بطريقة صوفية.^{٣٦٩} وتذكر الطرق الصوفية كحقائق نظرية، وحوادث تاريخية مثل

٣٦٤



^{٣٦٥} الآيات (٥٣)، الأحاديث (١٦)، القدسية (١)، الأشعار (٢٩).

^{٣٦٦} انتهى (١٠).

^{٣٦٧} البسطامي، ابن عربي، الشعراني، علي الخواص (٥)، الجنيد، الشاذلي (٣)، أبو علي الدقاق، الغزالي، السهروردي، ذو النون، الحلاج (٢)، الرومي، ابن الفارض، الكرخي، الجيلي، الهروي، الداراني، الكتاني، الجيلاني، إبراهيم الدسوقي، القشيري، حافظ، السري السقطي، القاضي عياض، الشبلي، الخراز، ابن عطاء الله ... إلخ (١).

^{٣٦٨} ابن الهمام، ابن الشبلي، الشرنبلالي، الرملي، الحموي، زكريا الأنصاري، ابن حجر (١).

^{٣٦٩} ومن الحنفية: ابن الهمام، ابن الشبلي، الشرنبلالي، الرملي، الحموي. ومن الشافعية: العز عبد السلام، الغزالي، السبكي، السيوطي، زكريا الأنصاري، ابن حجر. ومن المالكية الشاذلي، المرسي ابن عطاء الله، ابن أبي حجر، اللقاني، ومن الحنابلة عبد القادر الجيلي، الهروي، الفتوح، وغيرهم، السابق، ص ١٠.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

أعلام المشايخ. وفي كليهما تكثر حكايات المناقب والكرامات.^{٢٧٠} وهناك بعض المصادر المعلنة وأخرى مستعملة.^{٢٧١} وتحال إلى الإسرائيليات مرة واحدة.^{٢٧٢}

(٥) «نعت البدايات وتوصيف النهايات» لابن مامين (ألف عام ١٣٠٠هـ)^{٢٧٣}

وهو أيضًا في آداب الشيخ والمريد من خلال وصف بداية الطريق ونهايته. للبدايات نعت، وللنهايات وصم. والنعت والوصف شبيهان. لذلك انقسم الكتاب إلى كتابين: الأول «نعت البدايات وما يصلح لأهلها إلى النهايات للمريد». والثاني «توصيف النهايات وما يصلح لأهلها إلى الممات للشيخ».^{٢٧٤} والثاني ثلاثة أضعاف الأول تقريبًا.^{٢٧٥} وينقسم كل كتاب إلى أربعة أبواب في بنية ثلاثية: آداب المريد شيخه ومع ربه ومع أخواته ثم مجموعة من الأقوال والأفعال للانتفاع بها. ويضم الثاني آداب الشيخ مع ربه ومع تلاميذه ومع الخلق أجمع. ثم تنكر مجموعة من الأقوال والأفعال للانتفاع بها. وهي بنية محكمة على عكس الأعمال الصوفية المتأخرة بعد تناثر البيئة أو غيابها كلية. ونظرًا لأهميتها فإنها توضع في البداية في مقدمة الكتاب بعد العنوان.^{٢٧٦} وسبب التأليف هو الحاجة إلى وضع تصنيف فيه، يبين وصف المريد وشيخه المربي، وما يجب على كل منهما فيما يليه. وهو أيضًا رد فعل على ما آل إليه التصوف في هذا العصر المتأخر من وهن الهمم وكثرة الادعاء.^{٢٧٧}

^{٢٧٠} من الطرق: الملامية القلندرية، الحيدرية، الحريرية، الأحمدية، الدسوقية، الرفاعية، المسلمية، البسطامية ... إلخ.

^{٢٧١} المعلنة مثل: «الرسالة الملكية» للبرقائي، الحديقة الندية»، «مشارق الأنوار القدسية»، ومن المستعملة «الإحياء».

^{٢٧٢} الطريقة العلية، ص ٤٥.

^{٢٧٣} دار الكتب العلمية، بيروت.

^{٢٧٤} الأول (٥٨)، الثاني (١٦٩).

^{٢٧٥} نعت البدايات، ص ٦-٥.

^{٢٧٦} السابق، ص ٥.

^{٢٧٧} «وقد وضع القوم فيه كتبًا جليلة، وافية بشروطه، حسنة جليلة، لكن قصر عنها وعن شروطها أهل هذا الزمن، وتعدّر عليهم معرفتها لكون تحريك علو هممهم سكن. وذلك وقوع فيه لأجل موافقتهم

ونموذج علاقة الشيخ بالمريد هي علاقة الرسول بأصحابه. لذلك كثر الحديث عن الرسول، وكثر الاستشهاد بالأحاديث حتى أصبح الكتاب أقرب إلى علم الحديث أو إلى تشخيصه في علم السيرة، وتحويل أدعية إلى أوراد في المناسبات.^{٢٧٨} وأحيانًا يبدو وكأنه مؤلف في علم التفسير المتأخر وتحويل الآيات إلى أحجية للشفاء كما هو سائد في الدين الشعبي.^{٢٧٩} وتضاف إليها رسوم توضيحية بالحروف في المربعات للشفاء وجلب الحظ والسعد. فالشفاء بالحروف بعد أن كان بالطت النبوي، وكما هو الحال عند ابن عربي في كتاب الحروف «في الفتوحات».^{٢٨٠} لكل حرف دلالة وأثره. ويتم شرح أسماء الله الحسنی كقواعد للسلوك.^{٢٨١} وللصور كرامات. ولكل سورة كرامتها.^{٢٨٢} وقد يكون لذلك كله أصول في بعض الأحاديث.

وتتنوع الأوراد طبقًا للطريقة الصوفية. فلكل طريقة أورادها طبقًا لطرقها في الذكر وأساليبها في الرياضة والمجاهدة.^{٢٨٣} وتتنوع الطرق والأوراد بين المشرق والمغرب. ويعتمد على كثير من الأدلة النقلية، القرآن والحديث والشعر.^{٢٨٤} ويسبق الشعر الحديث. وتكرر الآيات والأحاديث في زخات متتالية.^{٢٨٥} والخاتمة كلها شعرية. كما يعتمد على كثير من أقوال الصوفية دون أحد بعينه وكثرة ذكره والاعتماد عليه. ومنهم اللغويون والنحاة والفقهاء والرواة والشعراء والقادة.^{٢٨٦} ويأتي في مقدمتهم الغزالي

للمألوفات الداعية للوهن وعدم مجاهدتهم لأنفسهم لينقل عنهم ما فيهم منها عدن. ومع ذلك كثر فيهم للبدايات والنهايات المدعون الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم»، السابق، ص ٥.

^{٢٧٨} وهي أول السنة وآخرها، ويوم عاشوراء، وليلة النصف من شعبان، وأدعية كل يوم من أيام الأسبوع، السابق، ص ١٦٥-١٧٢.

^{٢٧٩} السابق، ص ١٩٩.

^{٢٨٠} السابق، ص ١٧٧-١٨٦، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٩، ٢٠٢.

^{٢٨١} السابق، ص ١٥٧-١٦٥.

^{٢٨٢} السابق، ص ١٩١-٢٢٩.

^{٢٨٣} السابق، ص ١٧٣-١٧٤. مثل القادرية والتيجانية.

^{٢٨٤} الآيات (٢٦٤)، الأشعار (٢٨٦)، الأحاديث (٢٨٢)، القدسية (٢).

^{٢٨٥} نعت البدايات، ص ٤١، ٥٩-٦٢، ١٢٨-١٢٩، ١٤٨-١٥٨، ٢٤٦-٢٦٩.

^{٢٨٦} الغزالي (٣)، الرازي، الشعراي (٢)، علي الخواص، القشيري، القلشاني، قس بن ساعدة، سفيان بن عيينة، عبد الواحد بن يزيد، السهروردي (العارف).

ثم الرازي (الفخر)، والشعراني، ثم الحسن البصري والجنيد، وابن عربي والقشيري، والسهورودي (العارف) ... إلخ.^{٢٨٧} وتذكر بعض المصادر المدونة مثل «مفاتيح الغيب» للرازي، و«تفسير القرطبي» و«آداب المريدين» للسهورودي «أبو النجيب»، و«القاموس» للجوهري. وهناك مصادر مدونة أخرى مثل النفحات الشاذلية في شرح البوصيرية لحسن العدوي. كما يستشهد المؤلف بكثير من الروايات الشفاهية التي سمعها. ويعتمد خاصة على علم التفسير والحديث. ومن الفقهاء ابن الصلاح وتاج الدين السبكي. ومن النحويين الخليل بن أحمد، ومن اللغويين الجوهري، والزجاج. ومن الشعراء كعب بن زهير، ولكل منهم لقب. فالجنيد سيد الطائفة، وابن عربي الشيخ الأكبر، والسهورودي العارف. وتظهر الإسرائيليات في قصص الأنبياء وأقوال عيسى.^{٢٨٨} وتبدو أحياناً بقايا القسمة العقلية للحصر.^{٢٨٩} ويتوجه الكتاب إلى القارئ بعدة لازمات طويلة مثل «اعلموا إخواني وفقني الله وإياكم لما فيه الرضا» أو قصيرة مثل «اعلم»، أو «اعلموا».^{٢٩٠} وتتخلل الفقرات بعض ألفاظ التنبيه للتركيز مثل «فائدة»، «حكاية» ... إلخ.^{٢٩١}

(ب) آداب الشيخ

(١) «داعياً لفلاح إلى سبيل النجاح» لمحمد المرصفي (٩٦٦هـ)^{٢٩٢}

وهو نص مجمل بلا أبواب وفصول في آداب الشيخ. ومنها يعرف الطريق الصوفي بمراحله الثلاث: الخلقي والنفسي والفلسفي، ثم التحول إلى العملي في الطريق والطريقة. فمن التصوف الخلقي التجلي عن مساوئ الصفات والتحلي بمحاسنها، وهذا هو

^{٢٨٧} نعت البدايات، ص ١١٨.

^{٢٨٨} السابق، ص ٥٤، ١١٥، ١٩١.

^{٢٨٩} السابق، ص ١٧-١٨، ٥٤، ٥٦، ٦٨، ١٣٠، ١٥٣-١٥٤، ١٧٢-١٧٣، ٢٣٤-٢٣٥.

^{٢٩٠} السابق، ص ١٥٥.

^{٢٩١} فائدة، فائدتان، حكاية، حكاية مضحكة، السابق، ص ٣٠، ٧٩، ٨١، ١٩٩، ٢٠٣، ٩٩، ٧١.

^{٢٩٢} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (٢)، ص ٨٧-١٤٠.

سبب التأليف.^{٣٩٣} ومن النفسي التحول من الظاهر إلى الباطن، والترقي في الأحوال السيئة، والتجرد الحقيقي من أجل الكمال وأنواع الخواطر. ومن المقامات والأحوال الفقر والزهد. ومن التصوف الفلسفي مراتب التوحيد. ومن الطريق الذكر والوصل والوصال والوصول والاتصال. ومن الكرامات الكثير.^{٣٩٤} وعلامات الأولياء أكثر عند الموت والخروج من الدنيا.^{٣٩٥} وكلها تفصيلات في السلوك الإنساني في نقل الفوارق الفردية بين الناس. ويعتمد على الأحاديث ثم القرآن ثم الشعر.^{٣٩٦} كما يعتمد على بعض أقوال الصوفية القدماء مثل الجنيد والتستري ثم الكيلاني والياضي والسهروردي وغيرهم.^{٣٩٧}

(٢) «الآداب المرضية لسالك طريق الصوفية» لمحمد بن أحمد

البوزيدي المستغانمي (١٢٢٩هـ)^{٣٩٨}

وهي في موضوع آداب التعامل مع الشيخ. ينقسم إلى تسعة فصول بلا عناوين، وفصلين بعنوانين.^{٣٩٩} وكل الآداب نواهي تبدأ بلفظ «عدم».^{٤٠٠} وكلها آداب تجعل الشيخ محط

^{٣٩٣} «فقد سألتني أيها السائل عن الزهد وتجريد الظاهر بخشونة العيش والثياب هل هو ركن يعتمد عليه في طريق الصوفية؟ فقد رأيت من تنأى فيه إلى كشف العورة والرأس ... إلخ. وما هو الشيخ المربي والمريد المهذب والمزكي وأدبه؟ وما سلسلة طريق الجنيد والشاذلية؟ وهل لك بالطريقين صلة أو بإحدهما أم لا؟ وما هو التصوف؟ وما هو الصوفي؟ وما الفرق بين التصوف والفقر؟ والزهد والصوفي والمتصوف والمتشبه...؟» السابق، ص ٨٧.

^{٣٩٤} مثل: انغلاق البحر وجفافه، انقلاب الأعيان، العلم بالحوادث، قبل وقوعها والاطلاع على ضمائر الناس، كلام الحيوان والجماد، إبراء العليل، طاعة الأشياء، السابق ص ٢٦-١٣٥.

^{٣٩٥} السابق، ص ١٣٥-١٤٠.

^{٣٩٦} الأحاديث (٥٢)، الآيات (٢٨)، الأشعار (٨).

^{٣٩٧} الجنيد (٤)، التستري (٣)، الياضي، الكيلاني، السهروردي (٢)، الداراني، الدقاق، بشر بن الحارث، السري السقطي، النووي، رويم، الروزباري، الشبلي، الحلاج، ذو النون، السراج، البسطامي، شعوانة ... إلخ.

^{٣٩٨} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ. (١) ص ٩-١٥٤.

^{٣٩٩} «فصل في أدب السائر في سيره إلى حضرة ربه»، «فصل في أدب الفقر الصادق الذي تعلق به بعض

الإخوان بعد إذن الشيخ أن يذكر»، السابق، ص ٩٥-٩٩.

^{٤٠٠} الفقرات التي تبدأ بلفظ «عدم» خمسون فقرة.

التقديس والإجلال والتعظيم والهيبة.^{٤٠١} وهذا هو التأليف.^{٤٠٢} يخاطب المؤلف القارئ وهو المرید، كلها تقريباً ما ينبغيات وتحذيرات.^{٤٠٣} ويظهر أسلوب القول «فإن قيل ... قلت» للرد على المعارضين. ويحال إلى بعض المصادر مثل «الحكم» بصرف النظر عن صاحبها. ويظهر نقد العصر مما يدل على أن التصوف رد فعل عليه.^{٤٠٤} وتبدأ بعض الفقرات بنداء «اللهم» كالمناجاة.^{٤٠٥} وتستعمل بعض الأمثال العامة للتقريب إلى الأذهان وإقناع المريدين. فالتصوف للعامة وليس للخاصة، جزء من الثقافة الشعبية.^{٤٠٦} يعتمد على القرآن والحديث والشعر.^{٤٠٧} والاقتراسات من الصوفية قليلة تبرز بعلامة «انتهى»، وتظهر بعض الإسرائيليات.^{٤٠٨} والاعتماد الأكثر على التجارب الشخصية. ولا يخلو أحياناً من الاستطراد.^{٤٠٩} ومع ذلك تظهر القسمة العقلية كحد أدنى من التحليل العقلي.^{٤١٠}

^{٤٠١} مثل: عدم الإكثار من الجلوس معه أو الضحك أو الكلام أو النظر إليه أو إقرار بعض المسائل العلمية في حضرته، والجلوس أمامه جلسة العوام، والمشي معه على التساوي، والجلوس بوصفه والأكل والنوم معه، ومناداته، والجلوس أمام منزله، والدخول إلى منزله بغير إذنه، وتقريب العيال من عياله إلا بعض التبرك، لبس فضلته، لبس الجديد دون إذنه، شكوى الحوائج، الإسراع في الرد على مشورته، إظهار العلم، الالتفاف إلى غيره، المطالبة بالكرامات، ضرورة إذن الشيخ، الظن به، كتمان محبته، نقل الكلام بين الناس، أخذ مكانه في الحلقة، بسط سجاده في غيبته، الاستعلاء عليه، الجلوس معه على نجاسة، المشاركة في الرأي معه، الكلام في وجوده، الاستعلاء عليه، التفخيم في حضرته، مجاورته إلا للخدمة، التجارة معه، تزويج مطلقة أو أرملته وكأنه رسول.

^{٤٠٢} «لما كانت الطرق إلى الله تعالى، وخصوصاً طريقنا هذه، لا تسلك إلا بالآداب وإلا زلت قدم السالك وأسرع إليه العطب لكونها صعبة المرام، عظيمة النفع على الدوام، والأدب أساس الطريق، عليه تبنى الأعمال والأحوال، ومن كل صادق صديق، رأيت أن أثبت نبذه من الآداب، من علينا بها الكريم الوهاب ...» السابق، ص ٩.

^{٤٠٣} السابق، ص ٣٧-٣٨.

^{٤٠٤} «هذا هو العالم، ووجوده في هذا الزمان قليل»، السابق، ص ٤٦.

^{٤٠٥} السابق، ص ٢٨، ٣٧، ١٥٢، ١٥٤.

^{٤٠٦} السابق، ص ٤٥، ٦١، ١٢٢.

^{٤٠٧} الآيات (١٢٩)، الأحاديث (٣٨)، القدسية (٤)، الأشعار (٦).

^{٤٠٨} الآداب المرضية، ص ٥٣.

^{٤٠٩} السابق، ص ٨٥، ٨٨، ١٢٢، ١٢٥، ١٢٦، ١٩٦، ١٥١.

^{٤١٠} السابق، ص ٣٢، ٥٥، ٦٦-٦٧، ٧٠، ٧٥-٧٦، ٦٦، ٩٢-٩٣، ٩٥، ١٠٠، ١٠٣-١٠٤، ١٢٣-١٢٤، ١٢٧، ١٣٩.

(٣) «وظيفة الإمام الأوحـد الهمام الولي الصالح أبي العباس سيدنا أحمد الحبيب».^{٤١١}

وواضح أن مدح الشيخ مثل مدح الرسول. فكلاهما إمام أوحـد، وولي صالح، سيد وحبيب. وكلها دعوات وابتهالات واستغفار وحمدلات وبسملات وصلوات وتشهدات. في كل حركة دعاء. ويتكرر كل دعاء وتسبيح عدة مرات، طبقًا لأسرار الأعداد الثلاثة أو السبعة أو العشرة. ويصعب التفرقة بين الحديث النبوي وأدعية الولي بعد أن استقل الحديث عن السند والراوي وأصبح من جوامع الكلم. لذلك يصعب التعرف على الأحاديث لأنها بلا أسانيد ولا مصادر ولا أفعال القول ودرجاته المختلفة.^{٤١٢} ولا توجد أشعار، فالدعوات أشعار مفقودة. لا يوجد إلا القرآن.^{٤١٣} وتذكر بعض أعلام الصوفية مثل أبي طالب المكي، والترمذي، والكرخي، وزرّوف، والشاذلي.^{٤١٤}

(٤) «فصل الخطاب فيما تنزلت به عناية الكريم الوهاب» للرواس (١٢٨٧هـ)^{٤١٥}

وهو عن بيعة الشيخ في الحضرة بيعات متتالية.^{٤١٦} ليس لها موضوع محدد. إنما هي أقرب إلى النثر الفني. الكتاب كله إلهام.^{٤١٧} وهو موجه إلى القارئ. وتضاف إليه وصايا من الخلفاء والصحابة. ويبرز حب العرب.^{٤١٨} ويتأول الحروف.^{٤١٩} ولا ينقسم إلى أبواب أو فصول بالرغم من وجود عناوين فرعية كثيرة عن الطريقة الرفاعية والشريعة والحقيقة ومكارم الأخلاق. وهناك عناوين أخرى مثل العناوين الإشرافية

^{٤١١} مجموع رسائل صوفية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م/١٤٢٥هـ (٤)، ص ١٣١-١٤٦.

^{٤١٢} من النص إلى الواقع، ج ٢، بنية النص، الباب الأول: الوعي التاريخي، ص ٩٩٠-٢٤٣.

^{٤١٣} الآيات (٥٠).

^{٤١٤} أبو طالب المكي (٢)، الترمذي، الكرخي، زرّوق، الشاذلي (١).

^{٤١٥} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ.

^{٤١٦} وهي ١١٠ بيعة.

^{٤١٧} فصل الخطاب، ص ١٥٢.

^{٤١٨} السابق، ص ١٨٢-١٨٣.

^{٤١٩} السابق، ص ١٩٦.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

لصدر الدين.^{٤٢٠} ويعتمد على القرآن والحديث والشعر.^{٤٢١} كل بيعة لها شاهد من آية أو حديث أو من كليهما معًا. وبعض البيعات دون شواهد. وهو في النهاية كتاب سجالي. ينعت حال التصوف لدى المشيخة في كل الأفكار العربية والبلاد الإسلامية. وأحياناً يتم التنبيه على ما لا يلتفت إليه.^{٤٢٢} وتذكر مناقب الشيخ إذ يصعب التمييز بين الطريق والطريقة وآداب الشيخ والمريد. ويحال إلى «طوالع البدور ومطالع السرور»، و«معراج السالكين».^{٤٢٣} ومن الأعلام يحال إلى أحمد الرفاعي الكبير ثم سراج الدين الرفاعي ثم المهدي بن علي الرفاعي، وسراج الدين الرفاعي، وسفيان الشوري، والشبلي.^{٤٢٤}

(٥) «البحوث السنية عن بعض رجال أسانيد الطريقة الخلوتية» للكوثري (١٣٧١هـ)^{٤٢٥}

وهي رصد لمشايخ الطريقة بطريقة الأسانيد في علم الحديث. لذلك غلبت عليه الأعلام وقلت الشواهد النقلية والأدلة العقلية.^{٤٢٦} وغابت المتون لصالح الأسانيد. وهي روايات عن طريق المشايخ والمريدين وليس عن طريق علم الحديث وإن كانت من آثاره. وقد تدخل أيضاً في الوعي التاريخي نظراً لأنها أقرب إلى كتب التراجم المتقدمة أو المتأخرة. وكلها مشايخ وليس بالضرورة أصحاب تأليف. وتبدأ سيرة كل شيخ بمولده ومكان ولادته ووفاته، ومكانها وزمانها، ثم مشايخه وتلاميذه، وأقاربه وأسرته ومؤلفاته والطريقة

^{٤٢٠} مثل: أسمى مرتبة وأشرف مأدبة، أعظم وصية دينية، توجه لأشرف هيئة سياسية، حجج واهية، ومغالطات يدحضها العارف بصريح الآيات، بيان وإيضاح بأخبار صحاح، ما أعظمه من عهد وما أصدقه من وعد، مكارم الأخلاق ليهناً المتخلق، وليشكر الله المحقق، زبدة السلوك وأدب الملوك، أيها المسترشد إليك صفات المرشد، أكبر منه الالتحاق بأهل السنة، بعض صفات أهل الحسد الانتقاد والنفاق والنكد ... إلخ.

^{٤٢١} الآيات (٧٠)، الأحاديث (٦٤)، الأشعار (١٦).

^{٤٢٢} وهي ثلاثة وثلاثون تحذيراً، فصل الخطاب، ص ٢٢٧-٢٤٠.

^{٤٢٣} السابق، ص ١٦٥.

^{٤٢٤} أحمد الرفاعي (٧)، سراج الدين الرفاعي (٢)، محمد أبو الهدى الرفاعي، المهدي بن علي الرفاعي، الشبلي، سفيان الثوري (١).

^{٤٢٥} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م (١)، ص ٢١-٣٤.

^{٤٢٦} الأشعار (١).

الصوفية التي ينتسب إليها مثل الخلوتية وما يتفرع عنها من طرق أخرى، وهي أقرب إلى روح البحث التاريخي الحديث القائم على الرصد والتسجيل في دراسة لموضوع أقرب منها إلى موضوع دراسة، كاشفة لأوضاع أكثر منها أوضاع كشف. يغلب عليها طابع السذاجة والرصد المدرسي. وتظهر من خلالها آداب المريدين مع المشايخ. وهم أربعة عشر شيخاً. تعتمد على المصادر وتذكرها لمزيد من المعلومات.

(ج) آداب المريد

(١) «آداب المريدين» لمحمد البكري (٥٦٣هـ) ^{٤٢٧}

وهو مقسم إلى حوالي ثمانية وعشرين فصلاً بلا عناوين مع مقدمة عن «مذهب الصوفية في الاعتقاد» في علم الكلام الصوفي لإثبات سلامة عقائد الصوفية، كما تصدر كتب ابن عربي بوثيقة عن اعتقاداته وفروع الدين وأحكامه وأحكام المذاهب. ^{٤٢٨} وتتنوع موضوعات الفصول وتتجزأ موضوعاتها ثم تبدأ موضوعات التصوف الخلقي مثل الفقر أو على وجه العموم في الأخلاق الصوفية وآداب التصوف، ومعرفة أخلاق النفس، وآدابهم في اللباس والطعام والنوم والسماع والتزويج والمرض والموت ووقت البلاء والرخص. وتبدو موضوعات التصوف النفسي في الطريق من الإنسان إلى الله ومعاملات القلوب ومقامات السالكين وآدابهم والطريق والصحة والأسفار ومصاحبة الجنس البشري أي الإنس في مقابل الجن. وتبدو موضوعات التصوف الفلسفي في فضل العلم وتأويل الشطحات. ويعتمد على الحديث قبل القرآن والشعر. ^{٤٢٩} معظمها معروفة ومكررة. كما يعتمد على أقوال الصوفية السابقين وعلى رأسهم الجنيد البسطامي ورويم وغيرهم. ^{٤٣٠} كما يذكر الحكماء. وهو تأليف رصين وواضح. يخلو من المغالاة. الصوفية هم الكاملون، الفرق الناجية. والتأليف المبكر أفضل من المتأخر لأن له قضية، وضع اتجاه، وليس مجرد تجميع من السابقين كما هو الحال في التأليف المتأخر.

^{٤٢٧} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (١)، ص ٧-٨٤.

^{٤٢٨} مذهب الصوفية في أصل الاعتقاد، السابق، ص ٩-١٢.

^{٤٢٩} الأحاديث (١٥٧)، الآيات (٩٩)، القدسية (١)، الأشعار (١٦).

^{٤٣٠} الجنيد (٦)، البسطامي، رويم (٢)، جعفر الصادق، الحيري، الجبري، الحسن البصري، الشبلي، الدينوري، محمد الديلمي، ذو النون، النصر أبانزي، الروزباري ... إلخ (١).

(٢) «أنس الوحيد ونزهة المريد» لأبي مدين (٥٩٤) ^{٤٣١}

هي قطعة واحدة بلا أبواب أو فصول من أجل أنس الوحيد ونزهة المريد. تشمل على حوالي مائة وست وسبعين حكمة شرطية مكونة من فعل الشرط وجواب الشرط حول مسائل نظرية كالحق والنفس والقلب والبصيرة والمعرفة ومحاسبة النفس وسلامة القلب. أو مسائل عملية كالعبودية والرزق، ورفض الدنيا. أو مسائل نفسية مثل الصبر والتسليم والفقر والزهد والصدق والتوكل والمحبة والورع والخوف والمدينة الفاضلة في الخيال. ^{٤٣٢} وأحياناً تنقلب الحكم إلى دعوات مسبوقة بنداء «اللهم». ^{٤٣٣} وتظهر بعض الحكايات بين الحكم وكذلك الأجوبة على بعض الأسئلة. ^{٤٣٤} والخاتمة ملحق برثائية المؤلف الناظم.

(٣) «ترتيب السلوك» لابن عطاء الله السكندري (٧٠٩هـ) ^{٤٣٥}

وهو نص مجمل لا قسمة فيه باستثناء قسمة صورية إلى ثمانية فصول. الخامس منها له عنوان «فصل لأهل النهاية». ^{٤٣٦} ويدور مجمل النص على شروط المريد أكثر من شروط الشيخ، وعلى واجبات الضعيف وليس على حقوقه، وعلى حقوق الشيء، وليس على واجباته كما هو الحال في الصلة بين الحقوق والواجبات بين القوي والضعيف. فمن شروط المريد الطاعة، والذكر باللسان والقلب والجوارح، وعدم الشك مع أن الشك أول النظر، ومعرفة الخواطر، ولا يعتمد على دليل نقلي واحد. ولا يذكر من الصوفية إلا اثنتان. ^{٤٣٧}

^{٤٣١} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م/١٤٢٤هـ (٢)، ص ٧١-٩٠.

^{٤٣٢} السابق، ص ٧٤.

^{٤٣٣} السابق، ص ٨٠.

^{٤٣٤} السابق، ص ٨٦.

^{٤٣٥} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ (١) ص ٢١.

^{٤٣٦} السابق، ص ٢٥.

^{٤٣٧} هما أبو الفوارس وأبو الحسن (الغماري)، السابق، ص ٢٩.

(٤) «لوائح الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية» للشعراني (٩٣٠هـ) ٤٣٨

القواعد هي علاقة الشيخ بالمريد، وعلاقة المريد بالمريد، وربما علاقة الشيخ بالشيخ. وينقسم إلى ثلاثة أبواب. الأول آداب المريد مع نفسه، والثاني مع شيخه، والثالث مع إخوانه. أكبرها الثاني وأصغرها الثالث. ٤٣٩ وتختلط الموضوعات الثلاثة عبر الأبواب الثلاثة. ٤٤٠ وتتخلل هذه الآداب بعض الموضوعات التقليدية مثل التصوف والفقه. فالصوفي فقيه، والفقه في الدين مفتاح الطريق، والأخذ بالأحوط، والصلة بين الشريعة والحقيقة، وهلاك الولايم، والخير في الاتباع، والشر في الابتداء، ولطائف الحب، وصفات المحبين، ولغة العاشقين. ٤٤١

ويعتمد الكتاب على الآيات والأحاديث والأشعار. ٤٤٢ ومن الأحاديث ما تم حدوثها عند رؤية الرسول في المنام. وتكرر الأدلة النقلية. ٤٤٣ ويعيب التحليل العقلي باستثناء القسمة العقلية للموضوعات. ٤٤٤ وتكثر أسماء الصوفية جمعاً بين القدماء والمحدثين وبين الفقهاء والصوفية. ٤٤٥ وتذكر المصادر المدونة للشعراني مثل «العهود المحمدية» و«المنز

٤٣٨ دار الفكر، بيروت، (د.ت).

٤٣٩ الباب الأول (٦٤)، الثاني (٨٨)، الثالث (٢٥).

٤٤٠ وتشمل آداب المريد مع نفسه الحذر من النفس، والتوبة الصادقة، ومعالجة النفس، وجلاء القلب بذكر الله، وتربية النفس، والتجرد، وشرف الهمة، وطلب العلم، والتخلص من آفات القلوب، والدعاء قبل الصبح، وعدم الذكر بعد المشاهدة، وتنويع الأوراد، وتجنب الظاهر، وإيثار الآخرين، والصدق، والحذر من الأعداء، وإطمئنان القلب بذكر الله، ونظافة الظاهر والباطن، وعدم الاعتراض، والعبادة حتى الفتح، وشرط المريد الصادق، ومراحل المريد، والتخلي عن أمراض النفس، ومقامات المريد، وطريقه ووحدانيته وأوراده ومراحله وأساسه، والوصول إلى حضرة الحق وعلامات خلاصه. والثاني علاقته بالشيخ كيفية اختياره، وهل يختار أكثر من شيخ في حياته أو بعد وفاته، وملازمته، وامتحانه، وانقطاعه عنه، والعهد للنساء، واستئذان الشيخ لسلوك الطريق، وعدم سؤال الشيخ عن السبب، وعدم الاعتراض عليه، وحياة الأولياء في القبور، أو نقض العهد. الثالث آداب المريد مع إخوانه وكيفية دعوة الناس وكيفية الحفاظ بمحبة الإخوان، ومتى يحين التصدي للإرشاد، والنهي عن مجالس الغافلين.

٤٤١ لوائح الأنوار، ص ٣١-٣٥، ٩١-٩٥.

٤٤٢ الآيات (٤٠)، الأحاديث (٢٦)، الأشعار (٢٦).

٤٤٣ لوائح الأنوار، ص ٨٧.

٤٤٤ السابق، ص ١٦-١٩، ١٦٩، ١٧٢.

٤٤٥ علي المرصفي (٤٢)، ابن عربي (٢٥)، علي الخواص (٢١)، علي بن وفا (١٧)، القشيري (١٦)، إبراهيم الدسوقي (١٤)، الشبلي، المرسى أبو العباس (١١)، الجنيد (١٠)، الحسن البصري (٩)، يوسف

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

والأخلاق»، و«الطبقات الكبرى» و«كشف الغمة».^{٤٦} وتشمل المقدمة «جملة من عقائد القوم وبيان موافقتها لعقائد أهل السنة والجماعة».^{٤٧} كما تضم «سند التلقين الصوفي»، من جيل إلى جيل لبيان اتصال التراث الصوفي بداية بعلي بن أبي طالب حتى الشعراني.^{٤٨} وقد يكون الدافع على التأليف الدفاع عن التصوف والصوفية، ودفع الشبهات عنهم، وإثبات صحة عقائدهم، وأنهم على طريق التوحيد، ومطبقون للشريعة.^{٤٩}

والسؤال هو: ما الدافع إلى كتابة تاريخ الطبقات في القرن العاشر؟ هل استكمال «حلية الأولياء» الذي توقف حتى القرن الرابع واستمرار الوعي التاريخي حتى القرن العاشر؟ أم أن القضية أعمق من ذلك، وهو نهاية التصوف، وإن النهاية كالبداية، عود على بدأ؟ وقد يكون الدافع هو حركة التدوين الثاني التي تمت إبان الحكم العثماني، عصر الموسوعات الكبرى، والشروح والمختصات، والحفاظ على التراث من الضياع بعد غزوات التتار والمغول من الشرق وقد تم التدوين أساسًا في تركيا ومصر. يعتمد على النقل

العجمي، محمد الشناوي، أحمد الرفاعي (٧)، الشاذلي، أبو مدين المغربي، أفضل الدين (٦)، أحمد بن حنبل (٥)، إبراهيم المتبولي، السري السقطي، السهروردي، ذو النون، محمد الغمري (٤)، محمد الحنفي الشاذلي، أبو علي الدقاق، ابن الفارض، الرازي، زكريا الأنصاري (٣)، شقيق البلخي، أبو المواهب الشاذلي، التستري، إبراهيم بن أدهم، أبو سليمان الداراني، إبراهيم الخواص، معروف الكرخي، نجم الدين البكري، أبو عثمان المغربي، أبو سعيد الخراز، العز بن عبد السلام، أبو السعود الجارحي، الخوانجسي، أحمد الزاهد، عبد العزيز الديريني، الشافعي، علي السروي، الغزالي (٢)، وحوالي تسعين صوفيًا، ذكر كل منهم عبد القادر الجيل، أبو الحجاج الأقصري، أحمد الحواري، الصعلوكي، أبو جعفر الخالدي، أحمد الأبيوردي، الثوري، الشريف الأحمدي، أبو العشائر، الفضيل بن عياض، المحاسبي أبو عثمان الميري، ابن فورك، الإمام الحسن ... إلخ.

^{٤٦} لوائح الأنوار ٤، ١٤، ١٧، ٢١٦.

^{٤٧} السابق، ص ٧.

^{٤٨} من علي بن أبي طالب إلى الحسن البصري إلى العجمي إلى داود الطائي إلى معروف الكرخي إلى السري السقطي إلى الجنيد إلى رويم إلى الشيرازي إلى النهاوندي إلى الزنجاني إلى وجيه الدين إلى السهروردي الأول ثم الثاني إلى برغوش الشيرازي إلى النطنزي إلى الشميري إلى سجم الدين إلى الأصفهاني إلى الكوارني إلى التستري إلى الزاهد إلى مدين إلى السروي إلى المرصفي إلى الشعراني، السابق، ص ١٣.

^{٤٩} «وصدرته بمقدمة نافعة تزيد الناظر فيه اعتقادًا في هذه الطائفة إلى اعتقاده، وبشير من طرف خفي إلى أن الإنكار على هذه الطائفة لم يقل عليهم في كل عصر، وذلك لعلو ذوق مقامهم على غالب القول ولكنهم لكمالهم لا يتغيرون كما لا يتغير الجبل من نفخة الناموسة»، لوائح الأنوار، ص ٣.

والتجميع دون تطوير أو إبداع، وقد يكون الدافع هو الدفاع عن شرعية التصوف اعتمادًا على تاريخه بعد اتهام الفقهاء وأصحاب الطرق بالجنون والجب والكر والزندقه، عودًا على بدء، بعد أن ذاع صيتهم، وانتشرت كراماتهم، وعظم أثرهم واشتدت سيطرتهم على العامة ومثلوا الدين الشعبي في مقابل الدين الرسمي.^{٤٥٠}

(٥) «فذلكة الحقيقة في أحكام الطريقة» للرواس (١٢٨٧هـ) ^{٤٥١}

وهو نص واحد يتكون من مائة وثلاثة عشرين بندًا للطريقة أشبه بمجموعة قوانين قلبية للمريدين. تحتاج إلى إعادة تجميع في بنود أقل. تشمل كل جوانب التصوف الخلقي والنفسي والنظري والعملي. بها بعض التكرار. ولم يجعل ثلاث عشرة مادة منفصلة عن الثلاثمائة الأخرى دون ما يميزها. ويبدو الاتجاه الإصلاحى فى الطريقة، لبعء عن أدياء

^{٤٥٠} «ومقصودى بتأليفه فقه طريق القوم فى التصوف من آداب المقامات والأحوال لا غير. ولا أذكر من كلامهم إلا عيونه وجواهره دونما شاركهم غيرهم فيه مما هو مسطور فى كتب أئمة الشريعة. وكذلك لا أذكر من أحوالهم فى بداياتهم إلا ما كان منشطًا للمريدين كشدة الجوع والسهر، ومحبة الخمول، وعدم الشهرة، ونحو ذلك، أو كان يدل على تعظيم الشريعة دفعًا لمن يتوهم فى القوم أنهم رفضوا شيئًا من الشريعة حين تصوفوا كما صرح به ابن الجوزي فى حق الغزالي بل فى حق الجنيد والشبلى. فقال فى حقهم. ولعمري لقد طوى هؤلاء بساط الشريعة طيًّا. فيا لتهم لم يتصوفوا! قلت: وكذا قال لى جماعة من أهل عصري حين اجتمعت بالفقراء واشتغلت بطريقهم»، السابق، ص ٣.

^{٤٥١} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ (٣)، ص ١١٥-١٦٨. مثل: (١) اعتقاد السلف الأشاعرة والماتريدية، التفقه فى الدين، البعد عن البدع، التمسك بالسنة، السنة قبل العادة، الوقوف مع الشرع، اختيار السنة، التنزيه. (٢) محبة الرسول، تعظيم النبوة، الإيمان بالأنبياء. (٣) دوام الحضور ضد الغفلة، الذكر، التذكير، ترويح القلوب، الوقاية من نسيان الذكر. (٤) التفكير فى صنع الله، عدم القنوط، ترقب اللطف الإلهي، الحقائق لا الخوارق، التفكير، العقل. (٥) صفاء النية، الصدق، الوفاء، الأمانة، محاسبة النفس، الصبر، الزهد، التواضع، السخاء، التعاون على البر والتقوى، التخلي عن الطمع، الإخلاص، التجرد، عدم الكبر، الاستغفار، الرضا، التوبة. (٦) رد الأمور إلى الله، جمع الأمور على الله، الانتصار لله، وحدة القلب مع الله، التسليم لله، الخوف من الله، الولاء لله، التذلل لله، الانتصاب لله، الغيرة لله، الهجرة لله. (٧) الأدب فى القول والفعل، أدب النظر والسمع، الظاهر والباطن، طرح الشهرة، السكوت، عدم التلصص، ستر الكرامات، عدم التجسس، الاعتبار، رفض المظاهر، طرح المبالغات. (٨) تلاوة القرآن، تعلمه وتعليمه. (٩) احترام الأولياء، محبة الصالحين، عدم الاعتزاز بالمشايخ، التباعد عن

التصوف.^{٤٥٢} ورفض الإيمان بالسحر وضرب الرمل والكهانة وعدم الالتفات إلى الكرامة وعوالم الجن.^{٤٥٣} والتطور مع الزمن وإلا فالموت.^{٤٥٤} وبعض المواد الأخرى في حاجة إلى إصلاح مثل تعظيم أرض الحجاز.^{٤٥٥} فالمقدس ليس المكان والزمان بل المحمول عليها وهو الوحي. وكذلك الارتباط بالسلطان. والدعوة له إذا كان صالحًا. وليس ظالمًا.^{٤٥٦} وكذلك الاستغاثة بالرسول.^{٤٥٧}

أهل الجذب، الرأفة بالمجازيب، محبة العلماء والصوفية، موالاة الفقهاء. (١٠) الشفقة على الخلق، مودة الإخوان، الترفع عن الأدنى، لين الكلمة، البشر والبشاشة، حب الخير للإخوان، الإحسان للمسيء، الرحمة، المساواة بين الغريب والقريب، الانتصاف من النفس قبل الغير، العمل المشترك، تجنب السؤال، الموالاة للأولياء، عدم الفرقة، طاعة أولي الأمر، عدم القيل والقال، حفظ المجالس، الطهارة من اللغو، العفو، رفض الظلم، عدم الغلظة، عدم الطغيان بالمال، خوف القصاص، حرمة الحيوان، السلام على المسلمين، أحكام الطعام، ترك الخصام، عدم التشدد الكلام، حسن الظن، محبة الأصدقاء، عدم الكذب، زيارة المقابر، حب السالكين، المزاح المتوسط، التعرف على المسلمين، كل بني آدم واحد، آدمية بني آدم، الإصلاح بين الناس، كف الأدنى عن المسلمين، إمطة الأدنى عن الطريق، (١١) النصيحة، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، صلاح خدمة ذوي الأمر، طاعة أولي الأمر، إجلال شيخ الطريقة، الدعاء للخليفة. (١٢) عدم التقيد بالطعام والشراب، عدم الانشغال بالدنيا، قهر النفس، ترك الفانيات، القناعة. (١٣) الالتصاق بالعالم الصالح، تعلم الدين. (١٤) الخشية في الصلاة. (١٥) العمل الصالح. (١٦) حفظ الحقوق، الوقوف مع الحق.

^{٤٥٢} «المادة ١٢٤: التباعد عن المتصوف الذي يقول بالشطحات الفاسدة والدعاوى الزائدة، الشقائق ويستقطعها بالمزالف فإن مثل ذلك الرجل اندفع لحق دينه لأجل ويحوض دنياه»، فذلّة الحقيقة، ص ١٣٩.

^{٤٥٣} «المادة ١٨٩: عدم تصديق أهل حرفة الرمل والسحر والكهانة والجزم بتكذيب مواعيدهم»، السابق، ص ١٤٩.

^{٤٥٤} «المادة ٢٤٠: معرفة الوقت فإن لم يتطور بطور زمنه فدمه هدر»، السابق، ص ١٥٦. «المادة ٢٧٣: عدم الالتفات إلى الكرامة»، السابق، ص ٣٦١. «المادة ٢٨٠: عدم الالتفات إلى انقياد عوالم الجن والإنس»، السابق، ص ١٦٢.

^{٤٥٥} «المادة ٢٠٦: تعظيم أرض الحجاز وجميع أماكنها التي أعظمها الله كالكعبة المكرمة والحرم والحجر والمصلى والبشر والميزاب والأركان المباركة وجبل عرفات ...» السابق ص ١٥١.

^{٤٥٦} «المادة ٢٣٥: الدعاء لخليفة المسلمين بالخير ارتباطاً لإعلاء شوكة العصابة الإسلامية وإعزاز أمر الأمة المحمدية فإن السلطان عصام أمر الأئمة. وبه يعلو شأنها، وتستقيم أحوالها. وقد أمرنا بالدعاء للرجل الذي يوليه الله أمر المسلمين تعظيماً للنبي الأمين»، السابق، ص ١٥٥.

^{٤٥٧} «المادة ٣١١: الاستغاثة بروح رسول الله والاستعانة بها ...» السابق، ص ١٣٧.

(د) وصايا الشيخ للمريد

(١) رسائل الغزالي (٥٠٥هـ)

(أ) «المواعظ في الأحاديث القدسية»: ^{٤٥٨} وهي ثمان وثلاثون موعظة كالتي يوجهها الشيخ إلى المريد. تعتمد على الأحاديث القدسية. ولها سلطة أكثر من الأحاديث النبوية. كما تعتمد على الدليل النقلي وحده دون أدلة عقلية. ويستعمل القرآن مباشرة أو على نحو غير مباشر لتقويته بالنص الأول. وموضوعها الموت الذي يقتضي عدم الفرح، والرضا بالقضاء، وعدم الحزن على الدنيا، والتحرر منها ومن الدرهم، وأولوية الآخرة عليها، والعمل والطاعة والعبادة، وترك الحسد واجتناب الحرام وعدم لعن المخلوقين، والعجب، وضرورة التوبة والشكر وعبادة الله، والغاية من الخلق ضد العبث، والرضا والصبر، والذكر والمحبة، والإحسان للناس والكف عن الأذى، وفعل الخير.

(ب) «القواعد العشرة»: ^{٤٥٩} وهو كتاب في الأخلاق العملية، في وصايا الشيخ للمريد في قواعد عشر: النية الصادقة، العمل الخالص لله، موافقة الحق، الاتباع لا الابتداع، الهمة العلية دون تسويف، العجز والذلة إلا بقدرة الحق، الخوف والرجاء، ودوام الورد، مداومة المراجعة، العلم الظاهر وهو الفقه وتطبيق الشريعة. تجمع بين التوحيد الخلقي والفقه الأخلاقي وبعض الأحوال. ^{٤٦٠} وتعتمد ولا تحيل إلى أقوال على الحديث ثم القرآن والشعر دون الإسرائيليات. ^{٤٦١} الصوفية، بل تعتمد فقط على سلطة الشيخ والمواعظ الخلقية. إنما يذكر فقط بعض الصحابة وهم الخلفاء الراشدون كالأقطاب. ^{٤٦٢}

^{٤٥٨} مجموعة رسائل (٧) ص ٨٥-١٢٢.

^{٤٥٩} السابق (٥)، ص ١٤٣-١٥٦.

^{٤٦٠} القواعد العشرة، ص ٩٩-١٠٦.

^{٤٦١} الأحاديث (١١)، الآيات، الشعر (١).

^{٤٦٢} وهم أبو بكر، أبو حفص (عمر)، أبو عمر (عثمان)، أبو تراب (علي)، القواعد العشرة ص ٩٩.

(ج) «أيها الولد»: ^{٤٦٣} وهي رسالة في نصائح الشيخ للمريد بالفارسية ثم ترجمت إلى العربية وبعض اللغات الأجنبية. وسبب تأليف الرسالة طلب أحد المريدين بعد تتلمذه على يد الغزالي، كتابة رسالة في تعليم المريدين وكيفية تحصيلهم. ^{٤٦٤} وتصف الرسالة العلاقة بين الله والعارف، محبة العارف لله ورحمته، وشرط العمل والهمة والعبادة، وواجبات المسالك، وفوائد الطريق، والإخلاص لله والعبودية له، والحذر من التكلف ومن نفرة الخلق في مجلس الوعظ، والتوجه إلى الله بالدعاء. يعتمد على الحديث والقرآن والشعر. كما يعتمد على البعض الإسرائيليات. ^{٤٦٥} ويحيل أقوال بعض الصوفية وحكاياتهم مثل شقيق البلخي، ثم الجنيد والحسن البصري ويحيى بن معاذ وحاتم الأصم. ^{٤٦٦}

(٢) رسائل ابن عربي (٦٣٨هـ)

(أ) «الكنه فيما لا بد للمريد منه». ^{٤٦٧} وهو في التصوف العملي في علاقة الشيخ بالمريد. يضم نصائح نظرية عن الاعتقاد بالتوحيد والتنزيه، وما يجوز طبقاً لأحكام العقل الثلاثة في التوحيد المتأخر، الواجب والممكن والمستحيل، وكذلك الإيمان بالرسول دون غيرهم أو الطعن فيهم، والاستعانة بشخص موافق ومعين وهو الشيخ المرشد لممارسة الشعائر في أوقاتها ومحاسبة النفس ومراعاة الخواطر، والحرص على الطهارة، ومكارم الأخلاق، وعدم الاقتراب من أبواب السلطان أو مصاحبة المتنافسين في الدنيا، والكرم دون البخل، وهي من آثار التصوف الخلقي. وكظم الغيظ، والإحسان والحياء والذكر

^{٤٦٣} مكتبة الجندي، القاهرة (د.ت).

^{٤٦٤} «اعلم أن واحدًا من الطلبة المتقدمين لازم خدمة الشيخ ... واشتغل بالتحصيل وقراءة العلم حتى جمع من دقائق العلوم، واستكمل من فضائل النفس، ثم إنه فكر يومًا في حال نفسه وخطر على باله فقال: إني قرأت أنواعًا من العلوم، وصرفت ريعان عمري على تعلمها وجمعها. فالآن ينبغي أن أعلم أي نوع ينفعني إذا مت»، ويؤانسني في قبري وأيها لا ينفعني حتى أتركه ... «أيها الولد، ص ١٢٣.

^{٤٦٥} الأحاديث (١٣)، الآيات (١٢)، الأشعار (٢)، الإسرائيليات (٣).

^{٤٦٦} شقيق البلخي (٢)، الجنيد، الحسن البصري، يحيى بن معاذ، حاتم الأصم (١).

^{٤٦٧} رسائل ابن عربي ج ٢ (٥).

والاستغفار، والتقوى في السر والعلانية، والورع والزهد، وهي مقامات التصوف النفسي وأحواله. وتعتمد على القرآن والحديث وحدهما دون الشعر وأقوال الصوفية.^{٤٦٨} ويتوجه الأسلوب إلى المريد «واعلم أيها المريد وفقك الله وإيانا لطاعته» مع الدعاء كما هو الحال في رسائل إخوان الصفا.

(ب) «رسالة نسبة الخرقه وشروطها»:^{٤٦٩} والخرقة هو اللباس المميز للصوفية. ظاهر يعلن عن باطن ولا يخفيه دون ادعاء الباطن بظاهر لا يعبر عنه. والخرقة أقل لباس ضروري يستر السوء، وهو لباس التقوى. هي زينة الله في الباطن، من الصوف الخشن دلالة على الصدق والصفاء والإخلاص. وتنتهي بعنوان «فصل بلا وصل» يذكر فيه لبس الخرقه من شيخ إلى مريد مثل الإجازة والمناولة للكتب.^{٤٧٠} تعتمد على القرآن والحديث.^{٤٧١} ولا يذكر من الصوفية إلا الشبلي.

(٣) «رسائل الأسمر إلى مريديه» لعبد السلام بن سليم الإدريسي (٩٨١هـ) ^{٤٧٢}

ونادراً ما كان أسلوب الرسائل المتبادلة أو من اتجاه واحد شكلاً أدبياً في التصوف يعادل النظم والنثر. ومع ذلك وجدت رسائل الأسمر إلى مريديه، إحدى عشرة رسالة مملوءة بالوصايا والتحذيرات. وهي في مجموعها رسائل قصيرة باستثناء الأخيرة.^{٤٧٣} وعادة ما لا يعتمد على مصادر مدونة لأنها نابعة من القلب، من القلب إلى القلب رسول. ويبدو أنها مكاتب أي رسائل مصطنعة مؤلفة من مصادر تؤخذ منها بعض الاقتباسات، ويشار إليها بعلامة «ا.هـ»، والعبارات تبدأ بالفاظ مثل «إخواني»، «أوصيكم»،

^{٤٦٨} الآيات (١٠)، الأحاديث (٨)، القدسية (١).

^{٤٦٩} رسائل ج ٦ (٩)، ص ١٦٧-١٧٣.

^{٤٧٠} السابق، ص ١٧٣-١٧٢.

^{٤٧١} الآيات (٤)، الأحاديث (٢)، القدسية (١).

^{٤٧٢} دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢ م.

^{٤٧٣} السابق، ص ٢٨٣-٣٧٢.

«واعلموا»، «فائدة» ... إلخ. والرسالة الخامسة بها إحالات لبعض الصوفية.^{٤٧٤} وهي رسائل موجهة إلى أتباع الطريقة لتكوينهم روحياً دون أن يكون لكل رسالة موضوع محدد. وهي بأسماء المرسل إليهم. ليس لها عناوين أو موضوعات عامة أو خاصة. الرسالة الرابعة عن بعض الموضوعات النظرية في علم الكلام.^{٤٧٥} تخلو من الفكر، مجرد وصايا لا نفع منها، قول بلا عمل، ونصيحة بلا اتباع، إنشائية خطابية مجانية بلا ثمن، وصايا شيخ طريقة يعمل بغير ما يقول، وأتباع أيضاً يعملون بغير ما يسمعون. بعض الأدعية تقرأ ألف مرة. ومن من الأتباع يستطيع العد بالسبحات مهما بلغ طولها وعدد حبات خرزها؟ وهي أدعية متكررة وشاملة في كل حركة والتفافة، في كل همسة ولمسة حتى غلفت حياة الإنسان. الحاجة إلى إرجاعها إلى مصدرها الأول وهو الرسول.^{٤٧٦} كما تظهر بعض الإسرائيليات كمصادر للمعلومات عن تاريخ الأنبياء السابقين.

(٤) «البحر المورود في المواثيق والعهود» (العهود الصغرى) للشعراني (٩٣٠هـ)^{٤٧٧}

وهي نماذج من عهود المريدين على المشايخ، عشرة منها أقرب إلى النصائح العملية ذات التوجه الخلقى. تتوجه إلى المخاطب مباشرة «اعلم يا أخي»، «فافهم»، «فافهم وقدر». وهي عهود صغرى تفترض وجود نموذج عهود كبرى.^{٤٧٨} وينقسم كل عهد إلى وصايا تفصيلية. فالعهد وصية أخلاقية والتزام سلوكي، وعادة ما توضع كملحق لكتب الطبقات. وهي عهود سجالية، ضد الفقهاء الذين يكتفون بالرسوم الشرعية، دون الروابط الإنسانية، ومن يدسون على العهود ما ليس منها من أعداء الصوفية. تعتمد على الأحاديث والآيات والأمثال والأشعار.^{٤٧٩} كما يحال إلى بعض أعلام الصوفية.

^{٤٧٤} مثل إبراهيم الخواص، إبراهيم بن أدهم، السري السقطي، حاتم الأصم، سليمان الداراني، عبد القادر الجيلاني، أبو الحسن الشاذلي، أحمد زروق، السابق، ص ١٤٩-١٦٦.

^{٤٧٥} السابق، ص ١٣٩-١٤٨.

^{٤٧٦} السابق، ص ٢٨٨.

^{٤٧٧} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م/١٤٢٤هـ.

^{٤٧٨} البحر المورود، ص ٣٥-٣٦.

^{٤٧٩} الآيات (٩٠) الأحاديث (٩٤)، الأمثال (١٧)، الأشعار (٧).

يتقدمهم علي الخواص أستاذ الشعراني، ثم أخو الشعراني، ثم إبراهيم المتبولي، ومعظمهم من مصر. ويتداخل الفقهاء مع الصوفية مثل الشافعي، ومالك. ويظهر الصوفية المتقدمون كالجنيد، والشبلي والحسن البصري والبسطامي والتستري وذو النون وإبراهيم بن أدهم، والمتأخرون مثل ابن الفارض والسهورودي وابن عربي وعبد الحق بن سبعين، والجيلي، وأحمد البدوي.^{٤٨٠} ويظهر الأنبياء كأم يوسف، والصحابه كأبي بكر. وتبدو مصر هي الأوفر حظاً من ظهور المشايخ ثم الحجاز.^{٤٨١}

ويعتمد على مصادر مدونة للشعراني ولابن عربي والقشيري وابن أبي شجاع.^{٤٨٢} ويتم الاقتباس منها وفي نهايتها علامة (انتهى).^{٤٨٣} وتظهر فيها بعض الإسرائيليات. وأهم مصطلحاتها أصحاب النوبة.^{٤٨٤} وتدور بعض نصائحها على لسان الحيوان وفي المقدمة الكلب ثم الحمار ثم الغنم ثم الدجاجة ثم الدر والناموسة.^{٤٨٥}

وتضم العهود المائة وواحد وخمسون عدة موضوعات متناثرة في حاجة إلى تجميع في موضوعات أقل. وبالرغم من قصرها إلا أن بعضها خضع لقسمة عقلية تكشف

^{٤٨٠} علي الخواص (٣١)، أفضل الدين بن أحمد الشعراني (٢٤)، إبراهيم التبولي (١٢)، الشاذلي (٦)، الشافعي، عبد القادر الجيلاني، ابن عربي، (٥)، أحمد البدوي، أبو بكر الصديق، أبو زيد الهلالي، عبد القادر الدشوطي، عمر بن الفارض، محمد الشناوي، محمد بن عنان (٤)، الجنيد، حاتم طي، البسطامي (٣)، إبراهيم الدسوقي، أنس بن مالك، الحسن البصري، التستري، عصفور المجذوب، ذو النون (٢)، إبراهيم بن أدهم، الحلاج، ابن سبعين، السهروردي، السبكي، عبد الرحيم القناوي، الشعراني، الغزالي، القشيري، مالك بن أنس (١).

^{٤٨١} مصر (٢٤)، الحجاز (٦)، جامع الأزهر - العجم، الروم، الشام، مكة (٣)، جامع الحاكم (١).
^{٤٨٢} الشعراني الجواهر والدرر، وصايا العارفين (٢)، الرسالة القدسية، فرائد العقائد، كشف الغمة (١)، الرسالة القشيرية الفتوحات والمشاهدة ونسب الخرق لابن عربي مختصر ابن أبي شجاع.
^{٤٨٣} البحر المورود، ص ١٤٩، ١٦٦، ٣٨.

^{٤٨٤} أصحاب النوبة (٦)، الحملة، الدرجة، المساميح الهدية (٩؟). الزيارة، النفاق، الذكر المحمود (٣)، الأنبياء، أهل الكشف، السدعة، البغض، حضرة الحق، الدعاء، الصوفية، الطعام، قضاء الحوائج، المحاور، العلوم، الناظر، المولد، النصيح، النوم (٢)، وحوالي مائة وأربعين موضوعاً تذكر كل منها مرة واحدة.
^{٤٨٥} الكلب (١٠)، الحمار (٨)، الغنم (٤)، الدجاجة، الدر، الناموسة (٣) البقر، الديك، السمك، الناقة، النملة (٢) وحوالي تسعة عشر حيواناً يذكر كل منها مرة واحدة.

بنيته.^{٤٨٦} منها موضوعات التصوف الخلقي، رذائل للنص عنها.^{٤٨٧} وتغيب موضوعات التصوف النفسي، فقد خرج التصوف من الداخل إلى الخارج، ومن أعمال القلوب إلى أعمال الجوارح، ومن عالم الخيال إلى عالم الواقع. ومنها موضوعات التصوف الفلسفي.^{٤٨٨} ومنها موضوعات التصوف العملي.^{٤٨٩} ومنها موضوعات الآداب الاجتماعية

^{٤٨٦} البحر المورود، ص ١٦٥، ١٨٣-١٨٥.

^{٤٨٧} مثل: المنافسة في الدنيا، تناول ما به شبهة حرام وهي المساميح، الحزن على فوات شيء منها، حب الذهب، الاهتمام بأمور الدنيا أو الاستكثار منها، قبول شيء وآخر أحوج إليه، بتصغير قرص الخبز، العودة إلى محبة الدنيا، تناول طعام الناس، الغرور، وقلة الاستغفار والندم، عدم التصديق بالقليل الدائم، والعطاء انتظار مكافأة، خفية مع نجوى، أخذ رهن على سلعة، الاحتفاظ بدينار أو درهم ليلة واحدة، السعي إلى الموائد والموائد، عدم الرضا بالرزق، عدم إكرام الضيف، البعد عن الرحمة، تعاطي أسباب الدنيا، التبرؤ من الكمالات واستحقاق المال والثياب، الزهد في الدنيا لنعيم الترك، قبول الهدية والصدقة وعدم توزيعها على الفقراء، التوسع على النفس والعيال، الشح، الإكثار من الطعام والشراب، طلب الثواب من الأعمال، ادعاء الكمال في الإيمان والدين، التقدم على قوم يكرهون ذلك، الغيبة أو إساءة الظن بأحد، مرض النفس، مخالفة النفس في كل خاطر والتخلي عن أخلاق العظمة والكبرياء، معاملة الوجود كله بسوء الأدب مع كل فرد.

^{٤٨٨} مثل: الرجوع إلى الله في كل شيء، وعموم رحمة الله على خلقه، وعدم الدعاء على أحد، وشكره على نعمه، والاعتراف بحدود الله أو الإعلان عنها، وحفظ أمانة الله، والإخلاص في التوحيد بالأفعال والأقوال، وقبول الضيق استحقاقًا، والاعتراف بذم الله، والتوسط بين الطمع والرحمة الإلهية، واعتبار حقوق الله لا تنتهي، وعدم شكاية ظالم إلى الله بمجرد الشكوى، وعدم الخوض في ذاته، والنصيحة لله وللأئمة وللعمامة، وتعظيم الذاكرين لله، وعدم الأمان لمكر الله، واختياره، وشكره وعدم سؤال التفضيل، وعدم الغرور بنعم الله، وذكره، وإخلاص الصحبة له، وطلب الحوائج منه، وتعلق القلب به، وسؤاله، وتوزيعه مننه، وتحبيب العباد له. وقبول المقدر وحسن الظن بالله.

^{٤٨٩} مثل: علاقة الشيخ بالمريد والطريقة، العزلة والصحبة والدعوة إلى الإخوان، عدم التعصب لشيخ دون شيخ، عدم ترك الحرفة بعد الكشف، المناصحة دون كشف العيوب، متابعة الإخوان الأحياء والأموات، عدم مجالس المجازيب، استشارة الإخوان، تجنب مجالس القيل والقال، الابتعاد عن صحبة الأشرار، عدم التمايز عن العلماء والفقراء، مصاحبة الفقراء، قربة الله، التسامح مع الأذى والرفق بالمعسر وبالمدين، مشاورة الفقراء دون تزيين الكلام عدم التعرض للذكر وفي البلد أعلم به، عدم أخذ العهد على من هو أكبر سنًا، الاقتراب من الإخوان بقدر قربهم، عدم الصخب في وجه الآدمي، عدم سماع الأولياء مباشرة،

وهي الأكثر.^{٤٩٠} ومنها موضوعات اقتصادية.^{٤٩١} ومنها موضوعات إنسانية.^{٤٩٢} ومنها موضوعات الفقه.^{٤٩٣}

عدم النظر إلى زينة الدنيا، عدم تأديب أحد بقطع رزقه، عدم إسقاط النفس على التلميذ، عدم الاحتجاج بالإرادة على الشريعة، عدم الموعظة قبل التربية، عدم منع التلاميذ زيارة الاقتران، ألا يسقط التلميذ نفسه على شيخه، الكشف عن الأدعياء الذين ليس فيهم رائحة الطريقة، البداية بالدستور قبل الوعظ، الهروب من طريق الناموس وصاحب الأسرار، عدم المعاناة من الخلوة، منع محاكاة المريدين للمشايخ، عدم اعتقاد التلاميذ أن المشايخ أعرق أهل زمانهم، عدم التكدر عند مغادرة واحد الصحبة، وعدم الالتزام بورد معين أو نذر نذر، الدعاء عند الخروج إلى مكان بعيد، تحمل الكلف عن الأصحاب، الحديث بحب الحاضرين، عدم المغالاة في محبة المقبلين، محبة الفقراء، عدم الغضب حين مخالفة الأوامر، إثارة الفقراء بالخرقة إجابة للدعوة.

^{٤٩٠} مثل: عدم التبسط مع من هو أدنى، وفي حين التزام الأدب مع أصحاب النوبة وهم الأولياء المجاذيب، الادب مع ذوي البيوت، عدم مجالسة الكبار، عدم إكراه أحد من المسلمين. زيارة المرضى إذا كان فيها تخفيف المرض، عدم الزيارة بصحبة العيال، زيارة الإخوان ولو عراة، احترام الآخرين، لبس الثياب الحسنة عند مقابلة العلماء والأكابر، عدم التكلف لضييف، إكرام الناس حسب تمهم في الكون، مخالطة الفقراء والسالكين والمرضى.

^{٤٩١} مثل: منع التجار من الوثوب على السلع دفع المعسر المال للموسر، عدم قبول دعوة العلماء والتجار، والاجتماع بوعاظ الرزق في الزمان، والرزق موضوع اقتصادي وليس وعلي.

^{٤٩٢} مثل: الرفق بالحيوان، ومنها قضاء حاجات الناس، بالقلب حتى مع الإحساس بالضيق، الانشغال بما ينسج الناس، مساعدة أصحاب التوبة، مشاركة أصحاب الهموم في بلاياهم، الاستغاثة عند حدوثها، وإكرام الناس طبقا لتواضعهم. ورفض المدح، فالمدح هو الذبح بل ممارسة النقد الذاتي، وفي نفس الوقت عدم التوسط لأحد للحصول على وظيفة، التسامح مع الناس درء الحدود بالشبهات، عدم إيذاء أحد أي النوم معه تحت لحاف واحد، عدم الاعتراض على قيام أحد بأمر نفسه.

^{٤٩٣} مثل: عدم الزواج أو الحج إلا بعد الكفاية، عدم إخراج ريح في المسجد، التوضؤ في المكاره، عدم النوم على وتر، رعاية الواجبات قبل الحقوق، عدم قبول الحرام، الأمر بالمعروف الدائم تعظيم المساجد، عدم ضرب الزوجة بالنهار وجماعها بالليل، الذهاب إلى صلاة الصبح والعشاء بسراج، الغتسال كل يوم جمعة، الاسرع بتزويج البكر، الشهادة على الزواج ومستحقات الزوجة، تكليف الزوج ما لا يطاق، الأمر بالمعروف، تعليم العيال الآداب الشرعية والعرفية، عدم التردد في إزالة المنكر، عدم النظر إلى العورات، تجنب الشبهات والحرمان، المبادرة إلى صلاة الجماعة والنوافل، عدم المشي إلى المسجد بناسومة وحلفاية (الخف)، الجلوس في المسجد بحياء، جعل الصلاة على الجنائز بعد العلم بمغفرة الله، الإتيان بالرفض

ومنها بعض الموضوعات السياسية.^{٤٩٤} وهناك موضوعات في العلم والمعرفة.^{٤٩٥}

أحياناً، إظهار الضعف، الوقوف ضد البدع، عدم الاعتراض على الأولياء الذين يعمرن المساجد، السعي في فكك الرقبة عن النار، البداية بالدعاء، عدم نصيحة أحد من المعاندين، عدم الإنكار على أحد من الفقراء، الجهر بالأعمال الصالحة، الإقبال على الآخرة بعد الأربعين النية الصالحة شرط المنقبة والكرامة، الحذر من المحسن قبل الحذر من المسيء فقد يظهر المحسن غير ما يبطن.

^{٤٩٤} مثل: التصديق قبل الذهاب إلى الوالي بتهمة وكأن الصوفية تكفي في الدفاع عن النفس، تعاضيم ولاية الأمور من القضاء والوزراء وشتان ما بين السلطتين القضائية والتنفيذية، عدم مكاتبة الأولياء بنقصان شيء من مال السلطان وهو ضد اللامركزية، عدم الاعتراض على تولية قاض مع أن في ذلك نصح وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، عدم السعي لأحد في توليته الحسبة حتى لا ينال حظوة لديه، عدم القرب من الأمراء والأكابر إلا لضرورة حرصاً على صفاء الضمير، عدم التكدر من الولاية والحكام حين رد الشفاعة لأن الخطأ في طلبها أولاً، الكبر بالإخوان عند مقابلة أحد من الأمراء لتأكيد الجماعة، عدم زيادة الحال حين الدخول على ولي أو أمير، عدم الاستخفاف بالفتن، عدم الدعاء على الظلمة، ليس انتظاراً للعدل بل لأن الدعاء لا يسترد الحق، الامتناع عن جر قافية الظالم، ربما بداية بالحسنى والقانون والصبر عليه، نصرة المظلوم عند الحاكم استقواء به. ومنها الدوران مع أهل الزمان ومسايرتهم دون معارضة. وملازمة البيوت في وقت الفتنة، تنبيه التجار على أحوال الزمان، إعطاء أجر الفقراء، عدم الإكثار من النوم. منها موضوع جديد وهو علاقة المفاصلة مع الطوائف الأخرى، النصارى واليهود والمجوس، عدم التداوي عند أطبائهم وفي نفس الوقت عدم إيذاء أهل الذمة أو العدوان على الطوائف أو بغض أحد من الأنصار، الاعتذار للمؤمنين، الصلح بين الأخوة في حالة الغضب، العفو والصفح عن جميع الأمة، الرفق بالسيئين منهم، المساواة بين المسلمين في التوقير والحرمة.

^{٤٩٥} مثل: عدم السؤال عن تفسير آية أو حديث حتى لا يتم الانشغال بالأمور النظرية والابتعاد عن التأويل والمجادلة للأفضل، عدم إفشاء الأسرار، سماع كلام العلماء بصرف النظر عن عملهم، عدم الدخول في التشابه، عدم قراءة حديث قبل تقديم صدقة، عدم التعبير عن الكشف، عدم مطالعة كتب ابن عربي والتوهان في الأمور النظرية، القيام لحملة القرآن والعلم، عدم استعمال أسماء السهروردي والبوني، أي الإشراق والخرافة، عدم الرد على الفرق الإسلامية أو التكدر من ردودها، عدم ازدراء العلماء، عدم الحجر على العامة، الالتزام بمذهب معين، ترك الفقهاء التنبيه على البدع، عدم الخوض في أحوال أهل البرزخ ومعاصي الأنبياء أو في علم الكلام، تدبر معاني القرآن، احترام الفقراء والعلماء عدم إقامة موازي العقول والنقول على أبواب الأحوال. الأخلاق (١٣٨)، النفس والمعرفة (٨٠)، الله (٧٢)، الظاهر والباطن (٧٠)، المقامات والأحوال (٦٤)، الطريق (٤٩)، الحقيقة والطريقة والشريعة (٤٧)، الوجود (٤٥)، الفقر والجوع (٤٣)، المعرفة بالله، الخلق (٤٠)، الإنسان، الشيخ والمريد (٣٤)، العبودية (٢٠)، التجريد، العامة والخاصة (١٩)، الجمال والجلال (١٨)، العلم والعمل (١٦)، الخير والشر، والخصوصية (١٥)، الولي

(٥) «نصيحة المريد في طريق أهل السلوك والتجريد» (اليواقيت الحسان في
تصريف معاني الإنسان) للعمراني الجمل (١١٩٣هـ)^{٤٩٦}

وهو كما يبدو من العنوان نصائح للمريد مع أنه في مضمونه مجموعة من الموضوعات الأخلاقية والنفسية والفلسفية، وعلاقة الشيخ بالمريد أو أحدها. وله عنوان آخر «اليواقيت الحسان في تصريف معاني الإنسان». فالإنسان أحد الموضوعات المتناثرة داخل ثمانمائة وسبعين موضوعًا. يختص بأربعة وثلاثين منها فقط. وقد يكون العنوانان مجرد سجع وإيقاع وموسيقى دون دلالة أعمق من حيث المعنى والقصد. ويخلو الكتاب من أية قسمة إلى أبواب وفصول، بل مجرد فقرات قصيرة، تسبقها أيضًا، وبعدها «اعلم» في الغالب. وموضوعات الفقرات من المحقق وليست من المؤلف، صاحبها من الطريقة الشاذلية. يشبه «المكتوبات الصوفية» للنقشبندي. ويعتمد على الآيات ثم الأشعار ثم الأحاديث.^{٤٩٧} وتتكرر بعض الآيات والأحاديث. كما يعتمد على أقوال الصوفية السابقين، وفي مقدمتهم سيدي العربي (أحمد بن عبد الله)، ثم صاحب الحكم ابن عطاء، ثم الشاذلي والشاذلية، ثم التستري ثم ابن الفارض ثم البسطامي ... إلخ.^{٤٩٨} ويحال إلى بعض المصادر المدونة مثل «لطائف المنن» لابن عطاء.^{٤٩٩} وبالرغم من كثرة الأدلة النقلية إلا أنه كثيرًا ما يعتمد على القسمة العقلية للموضوع لاكتشاف بنيته.^{٥٠٠} ويبرز المؤلف الموضوع بلفظ

(١٤)، الملك (١٢)، القول والعمل (١٠)، الصمت والكلام (٩)، الموت والحياة (٨)، تعلم الحكمة (٦)،
الجب (٤)، الفن (٣)، الخمر (١).

^{٤٩٦} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م، ١٤٢٦هـ.

^{٤٩٧} الآيات (٢٣٧)، الأشعار (١١٠)، الأحاديث (٣٨)، القدسية (٤).

^{٤٩٨} سيدي العربي أحمد بن عبد الله (١٦)، صاحب الحكم (١٣)، الشاذلي والشاذلية (٧)، التستري،
أحمد اليماني (٤)، عبد الرحمن المجذوب، ابن الفارض (٣)، البسطامي: زروق، يوسف الفارسي، أحمد
الفضيل، أبو المواهب، قاسم الخصاصي (١).

^{٤٩٩} لطائف المنن (٤).

^{٥٠٠} نصيحة لمريد، ص ١٦، ١٩، ٢٠، ٢٤، ٥٧، ٦٧، ١٢٩، ١٩٦، ٢١٩، ٢٢٣-٢٢٢، ٢٢٧، ٢٣٦، ٢٨٩،
٢٣٦، ٢٧٥، ٢٨٨.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

«حاصله». ويخاطب القارئ بلفظ «اعلم» و«يا ولدي». ويعبر كالعادة عن نسبية المعرفة بتعبير «الله أعلم». ٥٠١

(٦) «النصيحة القدسية» لأبي الهدى الصيادي (١٣٢٨هـ) ٥٠٢

وهي كشكل أدبي نوع من النصائح، كمضمون توجيهات الشيخ للمريد، وتعتمد على القرآن والحديث والشعر دون أقوال الصوفية. ٥٠٣

(٧) «حكم هواتف المريد في إرشاد أهل البداية وأهل السلوك من العبيد» (مفتاح الورود في نيل أوطار المقصود) للوزاني ٥٠٤

وهي نصائح أخلاقية عملية للمريد وهو في سلوكه في بادية الروح. والمريدون عبيد حتى يتحرروا بعد سلوك الطريق. وهي قطعة واحدة بلا فصول أو أبواب أو مقاطع. نزلت على المؤلف إلهامًا. وهو أفقر الوري وأقل العبيد. ٥٠٥ وهي حوالي خمسمائة حكمة مثل حكم ابن عطاء في عبارات قصيرة. ولها اسم ثاني هو «مفتاح الورود في نيل أوطار المقصود». ٥٠٦ وهي بين التصوف الخلقي والنثر الفني، بين التجربة الصوفية والتجربة الأدبية. هي مجرد أحكام قاطعة وأوامر ناهية، وإلزامات من الشيخ إلى المريد بالترهيب والترغيب، بالإرهاب والتمني. تقطع بعبارتي «ما نصه» أو «من ذلك» لأن الوصايا تأتيه

٥٠١ السابق، ٣١٧، ٣٢٢، ٣٢٤.

٥٠٢ دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ (٤)، ١٦١-١٧٠.

٥٠٣ الآيات (٨)، الأحاديث (٤)، الأشعار (١).

٥٠٤ دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م، ص ٥١-٧٩.

٥٠٥ السابق، ص ٥١.

٥٠٦ «لما توالى على قلبي تنوعات أسرار الحكم، وأملأها الوارد علي في صورة قوالب التسجيع والرجز والنظم، فما وسعني إلا كتب ذلك بعد رجائي في الله أن يلهمني رشد الصواب في جمع ما هناك. ثم سطرت ذلك وأحصيت عدده فوجدته خمسمائة حكمة وتزيد على ذلك بنحو العشرة أو ثلاث وعشرين أو تنقص عن تلك العدة بنزر يسير» السابق، ص ٥١.

سابعًا: الطريق، والطريقة، والشيخ والمريد، والمجتمع المثالي

إلهامًا من السماء. والمؤلف مجرد ناقل أو راو لها. ولا تعتمد إلا على حديث قدسي واحد دون القرآن أو حديث نبوي أو قول صوفي.^{٥٠٧}

(٨) «الإجازة الأيوبية في ذكر مشيخة العلم والأسانيد إلى الطرق الصوفية» للحسني (١٣٤٥هـ)^{٥٠٨}

وهي رسالة في طرق أسانيد الصوفية عن طريق إجازات المشايخ للمريدين، وهو ما يسمى في علم أصول الفقه «النقل الكتابي» في مقابل النقل «الشفاهي».^{٥٠٩} وكان التأليف استجابة لطلب أحد المشايخ لأن العلم هو إحدى وسائل نقله. وهو ما يعادل الرواية في علم الحديث. والمؤلف هو الكسير البائس الحقير الذي استصغر نفسه للاستجابة إلى هذا الطلب من مولاه.^{٥١٠} وهو خال من الجرح والتعديل. يغلب عليه مدح المشايخ وتقريظهم. وهم خمسة وعشرون شيخًا أقرب إلى الوعي التاريخي الخاص بالطبيعة وليس إلى الوعي التاريخي العام عند الصوفية.^{٥١١} وبرسم صورة الشيخ وكيفية التعلم منه، مواهبه واسم الطريقة التي ينتسب إليها، شيوخه وتلاميذه، مآثره وفوائده. يخلو من الفكر.^{٥١٢} وينتهي بذكر أسانيد كل طريقة وفروعها. وهي ست عشرة طريقة.^{٥١٣} ولا تعتمد على قرآن أو حديث أو شعر أو مصادر صوفية.

^{٥٠٧} السابق، ص ٦٦.

^{٥٠٨} السفر الصوفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ، اسم المؤلف الكامل وألقابه: أبو عبد الله محمد بن جعفر الكتاني الإدريسي الحسني (١) ص ١٥-٥٢.

^{٥٠٩} من النص إلى الواقع ج ٢ ص ١٦٧-١٩٠.

^{٥١٠} «ألتمس مني، وأنا الكسير البائس الحقير أن ... أقيد له جماعة من الأعيان ممن انتفعت بهم في هذا الشأن، طريقة وحقيقة، وبعض أسانيد في الطريقة، وأن أجيّزه فيما عنهم أو عن غيرهم أخذته، وفيما صنفته أو قيده، إجازة تامة، مطلقة تامة ...» السفر الصوفي ص ١٥.

^{٥١١} انظر: الباب الأول: الوعي التاريخي.

^{٥١٢} الإجازة الأيوبية، ص ١٥-٣٧.

^{٥١٣} هي: القادرية، الشاذلية، الخلوتية، السهروردية، النقشبندية، السعدية، الباعلوية، الرفاعية، الريسونية، الكرزازية، التجانية، المحمدية الكتانية، الأحمديّة الكتانية، السنوسية، الرشيدية، الميرغانية الختمية، طريقة الشيخ عبد المالك العلوي الضرير، السابق، ص ٣٨-٥٢.

(٤) المجتمع المثالي

(أ) رسائل ابن عربي (٦٣٨هـ)

(١) «كتاب التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية»^{٥١٤}

في الظاهر الكتاب في الفلسفة السياسية، وفي الباطن في السياسة الروحية ابتداء من سياسة البدن. فالإنسان عالم صغير كما أن العالم إنسان كبير كما هو الحال عند إخوان الصفا.^{٥١٥} البدن صورة صغيرة للمجتمع والدولة وللعالَم والكون والوجود مثل الفارابي في «آراء أهل المدينة الفاضلة»، وكما هو الحال في الطب عند الحكماء. والعنوان دال بذاته. هي رؤية إلهية للتجمع الإنساني ابتداء من البدن والمجتمع والدولة كما هو الحال في قسمة المدينة الفاضلة، طبقاً لنظرية الفيض، الله والعقل والنفس والمجتمع.^{٥١٦} والتدبيرات جمع أي عدة تدبيرات وليس تدبيراً واحداً. في حين أن الملكة مفرد أي الدولة التي يعيش فيها الإنسان. ويبدو أن المصطلح سياسي بدليل وضع لفظ الإصلاح في العنوان.^{٥١٧} ولكنه في الظاهر في السياسة وفي الباطن في الدين. في الظاهر في الدنيا، وفي الباطن في الآخرة.^{٥١٨} وقد يكون المقصود السياسة، واستعمال التصوف كآلية للدفاع في وقت كان يحكم الأندلس فيه ملوك الطوائف، وتتساقط مدنها واحدة تلو الأخرى. ويدل على ذلك قسمة الملوك إلى أربعة: سخي على نفسه ورعيته، ولئيم على نفسه وعلى رعيته، وسخي على نفسه ولئيم على رعيته، ولئيم على نفسه سخي على رعيته.^{٥١٩} ويعقد باباً عن السفراء والرسل المتوجهين إلى الثائرين بمدينة البدن وربما بالدولة.^{٥٢٠} وتأتي الثورة من أهواء النفس أو من المعارضة السياسية. وقد يكون التفكير في سياسة القواد والأجناد

^{٥١٤} رسائل ج (٩)، ص ٢٩١-٤٠٦. وله طبعة أخرى في دار الكتب العلمية.

^{٥١٥} السابق، ص ٢٩٧، ٣٠١.

^{٥١٦} وهو مثل «جمهورية أفلاطون»، و«مدينة الله» عند القديس أوغسطين.

^{٥١٧} «فهذا الكتاب ينتفع به خَادم الملوك في خدمته، وصاحب طريق الآخرة في نفسه. وكل يُحشر على

نيته وقصده»، التدبيرات الإلهية، ص ٣١١.

^{٥١٨} ويستعمل ابن عربي لفظه «المفيض»، السابق، ص ٣١٥.

^{٥١٩} السابق، ص ٣٣٩.

^{٥٢٠} السابق، ص ٣٧٠-٣٧١.

ومراتبهم وسياسة الحروب وترتيب الجيوش عند اللقاء رسالة إلى حكام الطوائف.^{٥٢١} وأحياناً يظهر هوى التشيع في عدم استقلال العقل بالإصلاح دون الإمام.^{٥٢٢} وتظهر مصطلحات التصوف مثل الفراسة، الاستدلال بعلامات الجسم على صفات النفس.^{٥٢٣} وهو مثل كلام المتصوفة مبني على الاستعارات والمجاز. فقد جرى القرآن على لغة العرب ومع ذلك الإنكار عليه شديد.

وهو كتاب حسن التأليف، مترابط وشامل. ينقسم إلى واحد وعشرين باباً. ثلاثة في وجود الخليفة أي الرأس. واثنان في وجود الإمام، واثنان في العدل والوزارة أي نيابة الرئاسة. واثنان في الفراسة، ومعرفة الكاتب أي في نظرية المعرفة. وثلاثة في العاملين وأصحاب الجبايات والخراج، والسفراء والرسل إلى الثائرين بمدينة البدن، وهي الحواس. وثلاثة في سياسة القواد، والحروب والتغلب على الأعداء. واثنان في الغذاء الروحي وخواص الأسرار المودعة في الإنسان. وخمسة في الصراع بين العقل والهوى، وإفاضة العقل نور اليقين على ساحة القلب، والحجب المانعة من إدراك القلب الملكوت، واللوح المحفوظ، والزفرات والوجبات والتحريك عند السماء، وأخيراً الوصية للمريد السالك. وهو على فصول فرعية كخاتمة للكتاب، وتوضع خطة الكتاب منذ البداية.^{٥٢٤} ويعقد لها فصلاً خاصاً.^{٥٢٥} وتظهر بعض ألفاظ القسمة مثل: اعتراض، تنبيه، تذكرة، سياسة، لمزيد من إبراز الموضوعات الفرعية. وتقع حوارات خيالية بين الأشياء. ويخاطب القارئ. وهو موجه إلى الخاصة والعامة.

الإنسان هو بؤرة الكون. وأول الخلق. أودعت فيه الأسرار وهو من حملة الثمرات. ينمو كنموها.^{٥٢٦} وفي العالم ملائكة كما أن في الإنسان طهارة. الإنسان مكلف مسخر

^{٥٢١} السابق، ص ٣٧٢-٣٧٦.

^{٥٢٢} «إذا أراد العقل معرفة شيء في تدبير الملك وإصلاحه افتقر ذلك إلى مشاهدة الإمام. فعند لمشاهدة يلوح له المراد فيه. فيقوم له التجلي منزلة الخطاب»، السابق، ص ٣٤٦، ٣٧٢-٣٧٦.

^{٥٢٣} السابق، ص ٣٤٨-٣٥٨.

^{٥٢٤} السابق، ص ٣٣٧.

^{٥٢٥} «وهو يشتمل على مقدمة وتمهيد وواحد وعشرين باباً من دقائق التوحيد في تدبير الملك الذي لا يبيد على التدبير الحكمي والنظام الإلهي»، ص ٢٩٣ فصل في فهرسة الأبواب ص ٣٠٧-٣٠٩.

^{٥٢٦} في العالم ماء مالح وعذب وزعاف. وكذلك في الإنسان. المالح في عينيه. والزعاف في منخره، والمر في أذنيه، والعذب في فمه. في العالم تراب وماء وهواء ونار وفي الإنسان كذلك. وفي الإنسان أربع قوى جاذبة

مثل العالم. ويضاهي الإنسان الله.^{٥٢٧} وتقابل حضرته الحضرة الإلهية في تطابق ثلاثي بين الله والعالم والإنسان.^{٥٢٨}

ويعتمد على القرآن والحديث والشعر والحديث وباقي الكتب المقدسة مثل التوراة.^{٥٢٩} كما يذكر بعض الصوفية مثل الغزالي ثم أبا مدين ثم البسطامي وآخرين في عصره.^{٥٣٠} ومن الصحابة عثمان. ومن القادة الأنبياء ذو القرنين. ومن النصارى كعب الأخبار. ومن الملائكة إسرافيل. ويظهر الحكيم والمعلم الأول دون تعيين أرسطو أو غيره. ومن الفرق يظهر الحكماء ثم المتصوفة والصوفية والتصوف ويبدو الارتباط بالغزالي والفلاسفة.^{٥٣١} ويحال إلى بعض المؤلفات السابقة مثل «مطالع الأنوار الإلهية» و«إنشاء الجداول».^{٥٣٢} وتبدو بعض الفقرات تنظيراً علمياً خالصاً دون حاجة إلى أدلة نقلية.^{٥٣٣}

(٢) «المنزل القطب ومقاله وحاله»^{٥٣٤}

وموضوعه القطب. وهو رئيس الصوفية كجماعة وقطب الكون كمحور، وله منزل كما أن للبدل والوحد والإمام منازل، وهو ما يتضح من العناوين الفرعية مثل «منزل القطب

وماسكة وهاضمة ودافعة. وهي في العالم كذلك، سباع وشياطين وبهائم في الإنسان الافتراس والقهر والغلبة والغضب والحق والحسد والفجور والطعام والشراب والنكاح والتسامح.

^{٥٢٧} «الحمد لله الذي استخرج الإنسان من وجود علمه إلى وجود عينه في أول إبداعه، وسحر ذلك القصد إنساناً. تصوره وشق سمعه وبصره وأحكم ترتيب وجود كل شيء في العالم الأكبر فيه. والإنسان عالم أصغر «التدبيرات الإلهية»، ص ٢٩١، ٢٩٥. «فسبحان من أودع هذه الأسرار في وجود حضرة الإنسان المقدسة المطهرة» ص ٢٩٣. «إن الإنسان من جملة الثمرات، ينمو كنموها» ص ٢٩٥.

^{٥٢٨} «الباب السابع عشر، في خواص الأسرار المودعة في الإنسان. وكيف ينبى في أن يكون السالك في أحواله. وفي هذا الباب أودعت مضاهاة نفس الإنسان وحضرة الباري تعالى»، السابق، ص ٣٠٨.

^{٥٢٩} الآيات (١٩٠)، الأحاديث (٢٦)، القدسية (٥)، الأشعار (١٠)، التوراة (٢).

^{٥٣٠} الغزالي، الحكيم، (٣)، أبو مدين (٢)، البسطامي، الشريف الرضي، ابن برجان، عبد الملك بن حبيب، عثمان، كعب الأخبار، ومن الوافد المعلم الأول، ذو القرنين (١).

^{٥٣١} الحكماء (٤)، المتصوفة، التصوف (٢)، الصوفية (١).

^{٥٣٢} التدبيرات الإلهية، ص ٣١٣-٣١٤، ٣٨٦.

^{٥٣٣} السابق، ص ٤٠٠-٤٠٦.

^{٥٣٤} رسائل (١) ج ٢ (١٩) ص ١٨-١.

ومقامه وحاله»، «منزل الإمام الأكمل»، «منزل الإمام الروحاني». وللحروف أيضًا منازل مثل «حم عسق مناجاة هذا المنزل». وهناك عناوين جانبية أخرى مثل «محاضرة قطبية». فالقطب معرفة ووجود. وهناك «فصل بلا عنوان». والملائكة أيضًا جواهر وليست وظائف. وعلوم القطب كشفية. ويعتمد على القرآن والحديث والشعر.^{٥٣٥} ومن الصوفية يحال إلى البسطامي ثم إلى ذي النون ثم إلى يوسف بن الحسين.^{٥٣٦} ومن الصحابة الحسن والحسين. والأكثر ذكرًا هم الأنبياء والملائكة، أسماء وصفات مما يدل على منزلة قرب القطب منهم.^{٥٣٧} ومن صفات الفرق «يهودي»، «نصراني».^{٥٣٨} ويحال إلى مؤلفات ابن عربي الأخرى مما يدل على وحدة المشروع.^{٥٣٩} والأسلوب مخاطبة القارئ «اعلموا وفقكم الله» مثل إخوان الصفا.

(٣) «حلية الأبدال»^{٥٤٠}

ويوحي الكتاب بأنه في البديل وهو البديل عن القطب. وهو في الحقيقة في الشعر والطريق، في القيام وليس في الوصول. وسبب التأليف سؤال عن زيارة عبد الله بن العباس عم الرسول وما ينتفع به في الطريق إلى الآخرة.^{٥٤١} وهو مقسم إلى فصول. بعضها له عناوين

^{٥٣٥} الآيات (١٧)، القرآن الحر (١)، الحديث (٦)، الشعر (٢).

^{٥٣٦} أبو يزيد (٧)، ذو النون (٣)، الشيخ بو مدين، عبد الوهاب، يوسف بن الحسين (١) ومن الصحابة الصديق (٣)، الحسن، الحسين (٩٩).

^{٥٣٧} محمد (٣)، محمدي (٣)، إبراهيم (٢)، إبراهيميون، إبراهيمية (١)، إسحاق، إسماعيل، لوط، عيسويون، موسويون (٢)، يوسفيون، نوحيون، آدمية (١)، ومن صفات الملائكة، مكائلية، إسرائيلية، جبريلية، رضوانية، مالكية (١).

^{٥٣٨} يهودي، نصراني (١).

^{٥٣٩} مثل «مبايعة القطب في حضرة القرب»، «مفتاح أقفال إلهام التوحيد»، «عتقاء مغرب».

^{٥٤٠} رسائل (١)، ج ٢، (٢٦)، ص ١٠-١.

^{٥٤١} «أما بعد، فإني استخرت الله تعالى ليلة الاثنين الثاني عشر من جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وخمسائة بمنزل المية الطائف في زيارتنا عبد الله بن العباس ابن عم رسول الله ﷺ. وكان سبب استخارتي سؤال صاحبي أبي محمد عبد الله بن بدر بن عبد الله الحبشي عتيق أبي الغنائم بن أبي الفتوح الحراني رحمه الله، وأبي عبد الله محمد بن خالد الصوفي التلمساني، وفقني الله أن أقيد لهما في

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

مثل الجوع، والسحر. ويعتمد على القرآن والشعر والحديث.^{٥٢} ويذكر من الصوفية أبو طالب المكي في «قوت القلوب».

(٤) «القطب والنقباء»^{٥٣}

وهو في موضوع المدينة الفاضلة أو الجغرافيا الروحية عند الصوفية، مدينة الأقطاب والأبدال والنقباء والأوتاد. وهو مقسم إلى أبواب بلا ترقيم.^{٥٤} الأول منها في الإشارة إليهم. والثاني في أسماء النقباء في عهد الرسول. فهم ليسوا من صنع الخيال بل لهم وجودهم التاريخي. وقطب النقباء هو الأول من اثني عشر نقيبًا. والأقطاب هم مدار أفلاك العالم. ولما كان للفلك قطبان كذلك لمدار العالم قطبان، روحاني جنوبي دائم الوجود وهو الله، وجسماني شمالي يفنى بفناء مدته ويحل محله آخر. ولا يوجد في زمان واحد قطبان. وقد يكون له خليفتان. ولهم رؤساء آخرين كالسدنة. وهم أكثر في الزمان. ولكل قطب إمامان: ربابي وملكي، وأوتاد أربعة، وأمناء سبعة.^{٥٥} والقطب ينظر إلى الكل وينظر الكل إليه، هو مرآة الحق، ومتمنزل الأمر. يفضل الأقطاب بعضهم على بعض، وإن جمعهم مقام القطبية والرسالة. وهم من ولد آدم حتى محمد. والنقيب السابع حواء.^{٥٦}

هذه الأيام، الزيارة ما ينتفعون بها في طريق الآخرة. فاستخرت الله في ذلك. وقيدت لهما هذه الكراسة التي سميتها «حلية الأبدال»، السابق، ص ١.

^{٥٢} الآيات (٣)، الشعر (٢)، الحديث (١).

^{٥٣} رسائل، ج ٢، (١)، ص ٢٥-٦٠.

^{٥٤} أربعة عشر بابًا وفصلًا.

^{٥٥} «القطب الروحاني الدائم هو العقل الأول والقطب الجسماني هو النفس. والإمامان قوتان لهما العلامة والفعالة. والأوتاد الأربعة للمشرق والمغرب، والاستواء والحميص، والطبيعة دون النفس، والأركان دون الفلك، والأخلاط التي يظهر بها البدن. والسبعة هي الكواكب السبعة للأقاليم السبعة. كل بدل يحفظ إقليمًا بحكم الأمانة. والأوتاد يحفظون الجهات. والإمامان يحفظان عالم الأمر وعالم الخلق، والغيب والشهادة والملك والملكوت»، السابق، ص ٢٥-٢٧.

^{٥٦} السابق، ص ٤٩-٥٠.

(٥) رسالة الاستعداد الكلي، كتاب الخلوة^{٥٤٧}

وهما عنوانان عام وخاص، رئيسي وفرعي. والخلوة لها معنيان معنى شرعي، خلوة الرجل بالمرأة، ومعنى صوفي الخلوة مع الله والعزلة عن الناس. الأولى لها حكم شرعي بالإباحة، والثانية الخلوة الصمدانية أبدية. وتتخللها عناوين فرعية في أبواب لإبراز موضوعات النص^{٥٤٨} وتقرأ فيها الأوراد والأدعية وبعض عباراتها غير مفهومه^{٥٤٩} وهي إجابة على سؤال^{٥٥٠} وتعتمد على القرآن والحديث^{٥٥١} ويذكر من الصوفية التستري وحده. كما يذكر ابن صياد من أهل يهودي أو دجال تحدث مع النبي ودعاه إلى الإسلام. وتحيل إلى «رسالة الأنوار». ويعتمد على القرآن والحديث، دون الشعر وأقوال الصوفية^{٥٥٢}. ومن الأنبياء يذكر آدم ومحمد وإبراهيم^{٥٥٣} ومن الملائكة إسرافيل وجبرائيل وميكائيل ورضوان ومالك^{٥٥٤} كما يذكر الحكيم على الإطلاق، ومن الصحابة عبد الله بن عمر.

(ب) «أشرف الخطاب لأشرف الأقطاب» للرواس (١٢٨٧هـ)^{٥٥٥}

وهي عبارة عن ست محاضرات أتت إلهاماً من القطب، الغوث الأكبر أحمد الرفاعي^{٥٥٦}. ليس لها موضوع خاص في مجملها أو محاضرة، مجرد إنشاء بلا أدلة نقلية، أو عقلية أو استشهاد بأقوال صوفية قدماء أو محدثين أو معاصرين.

^{٥٤٧} رسائل ج، (٨) ص ١٥٣-١٦١.

^{٥٤٨} مثل «باب ما ينبغي أن يكون صاحب الخلوة، باب ذكر الخلوة المطلقة. خلوة الهدد، خلوة الصمدانية، خلوة العزيز».

^{٥٤٩} مثل: تهلف، سلطيط، اسماطون، أطون، نهكس، يوفس، الخلوة، ص ١٦٠.

^{٥٥٠} «سألت عن الخلوة المطلقة ولم تسأل عن الخلوة المقيدة. وأنا أجبتك إلى ما سألت، وأريد من الخلوة المقيدة ما تيسر فإنها كثيرة».

^{٥٥١} الآيات (٣)، الأحاديث (٣).

^{٥٥٢} الآيات (٢٧)، الحديث (٤).

^{٥٥٣} آدم، محمد (٣)، إبراهيم (٢).

^{٥٥٤} إسرافيل، جبرائيل، ميكائيل، رضوان، مالك (٢).

^{٥٥٥} دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ (٤) ص ١٧٣-١٧٩.

^{٥٥٦} «فقد ورد على وارد إلهام وأنا في أم عبيدة، حضرت المداد السعيدة فحاضرت روح سيدي ومولاي القطب الغوث الأكبر، والقمر المنير الأزهر، علم الله المنتور، بحر العناية المسجور، شيخ الأحقاب

(ج) «تحفة الأكياس في حسن الظن بالناس» للمصري (١١٢٧هـ)^{٥٥٧}

وهو كتاب في الترابط الاجتماعي والتعاون بين الأفراد بناء على حسن الظن وإن لم يكن في آداب الشيخ والمريد. ينقسم إلى فصلين فقط. الأول «حسن الظن»، والثاني «سوء الظن». والأول سبعة أضعاف الثاني.^{٥٥٨} فحسن الظن بين الناس هو القادر على بناء الثقة. وهو موضوع لا يخص الصوفية وحدهم بل يخص كل الناس في علاقاتهم الاجتماعية. فكل الناس صوفية، فقهاء أو متكلمين أو فلاسفة خواص أو عوام، من أنصار الظاهر أو الباطن. يشير إليه النابلسي في «سماع الآلات»، يتحول التصوف إلى أخلاق، والتصوف النظري إلى علاقات بين الناس. تقوم على الثقة المتبادلة وافترض حسن النية على عكس التصوف النظري في فارس والهند ونظريات الوحدة والاتحاد والحلول. وتظهر موضوعات التصوف النظري من بعيد مثل الحقيقة المحمدية، والآيات والأحاديث التي تعتمد عليها.^{٥٥٩} وتكاد تختفي المقامات والأحوال.^{٥٦٠} وسبب التأليف هو سؤال بعض الإخوة جمع شيء من كلام القوم في الأمور التي تسبق إلى الذهن بسوء الظن.^{٥٦١} وتبدو فيه علاقة الصوفية بالسلطين. وكثير من التحليلات بها تطويل، وتبعد عن الموضوع. ويخاطب القارئ.

ويعتمد على عديد من الآيات والأحاديث والأشعار.^{٥٦٢} وتتوالى الآيات في زخات متتالية.^{٥٦٣} ويظهر الرسول في المنام. كما يعتمد على عديد من أقوال الصوفية واجترار

والعصور، الهزيز الغيور، حجة الله على أوليائه المتمكنين، الممتاز على كبار صدور الحضرات بلثم يد جده سيد المرسلين، عليه الصلاة والسلام في كل حين. ألا وهو الإمام المندوب في جهات الدواعي أبو العلمين مولانا السيد الدين أحمد الرفاعي»، السابق، ص ١٧٣.

^{٥٥٧} مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٦م/١٤٢٦هـ.

^{٥٥٨} الأول (١٢٠)، الثاني (١٨).

^{٥٥٩} الآيات مثل ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ والأحاديث مثل: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»، «خلقت وآدم بين الماء والطين» «أنا أول شافع وأول شفيع» تحفة الأكياس، ص ٢٣.

^{٥٦٠} السابق، ص ١٢٦.

^{٥٦١} السابق، ص ٢٧.

^{٥٦٢} الآيات (٥٤)، الأحاديث (٢٣)، الأشعار (٢١).

^{٥٦٣} تحفة الأكياس، ص ١١٨-١١٩، ٥٥.

الذاكرة التاريخية مخزونها التاريخي. تكثر أسماء الصوفية المصريين المتأخرين أصحاب الكرامات يتقدمهم شيخه علي الخواص ثم ابن عربي، ثم الشاذلي ثم الجنيد والبسطامي، والشافعي ومالك، لا فرق بين الفقهاء والصوفية، والأحمدية والبرهانية، والرفاعية والقادرية والمطاوعة، لا فرق بين الصوفية والطرق الصوفية، بين التصوف النظري والتصوف العملي. وتتزايد ألقاب مشايخ الطرق مثل الشيخ، الزاهد، المجذوب، سيدي ... إلخ. وللعل لقب السيد بما في ذلك الأنبياء وأصحاب الكرامات وآدم وداود والسيدة حواء. وتستعان ببعض ألقاب الشيعة مثل المعصوم الأكبر.^{٥٦٤} وكلهم على مذهب أهل السنة والجماعة كرد فعل على التكفير وتهمة الإلحاد. ويحال إلى بعض الأعمال مثل «شرح ترجمان الأشواق» كما يعتمد على بعض الاقتباسات بعلامة «ا.هـ».^{٥٦٥} فالكتاب تجميع من أقوال الصوفية وحكاياتهم وكراماتهم بما فيها من تشويق مثل إكثار القطب الجماع.^{٥٦٦} ويتفق الصوفية والفقهاء على الموضوع. وتظهر بعض الإسرائيليات.^{٥٦٧}

^{٥٦٤} علي الخواص (١٦)، ابن عربي (١٠)، أفضل الدين الأزهرى (٩)، الشافعي (٨)، الشاذلي (٦)، الشيخ مدين (٥)، علي المرصفي، عبد القادر الجيلاني (٤)، عبد العزيز الديري، أحمد البدوي، إبراهيم المتبولي، يوسف الكردي (٣)، الجنيد، البسطامي، أحمد الزاهد، الإمام زين العابدين، الغزالي، سفيان الثوري، القادرية، محمد بن هارون، عمر المجذوب، محمد المغربي، الدشوطي، التستري، الحسن البصري علي بن أبي طالب، زكريا الأنصاري (٢)، وحوالي ستين علما ذكر كل منهم مرة واحدة، منهم: الشبلي، القشيري، ابن الفارض، ابن عينة، الشعراني، الحجاج الأقصري، الشعراني، بشر الحافي، جعفر الصادق، صاحب الحكم، ... إلخ.

^{٥٦٥} تحفة الأكياس، ص ١٠٢-١٠٦، ١١١، ١٢١.

^{٥٦٦} القطب يكثر الجماع، السابق، ص ٤٣-٤٤.

^{٥٦٧} السابق، ص ٩٩.

الباب الرابع

الوعي العلمي

أولاً: مقاييس التصنيف

يتم تصنيف العلوم طبقاً للموضوع: علوم شرعية وعلوم غير شرعية أو طبقاً للمنهج: علوم نقلية وعلوم عقلية، علوم عقلية وعلوم قلبية أو طبقاً للتاريخ، علوم السلف وعلوم الخلف، أو طبقاً للعقائد، علوم الدنيا وعلوم الآخرة. وقد يجمع التصنيف بين الموضوع والمنهج في قسمة العلوم إلى علم العقل وعلم الأحوال علم الأسرار، علم الظاهر وعلم الباطن، علم التنزيل وعلم التأويل. وبالرغم من كل هذه التقسيمات الثنائية أو الثلاثية للعلوم إلا أنها تنتهي كلها إلى أن العلم علم واحد، وهو العلم الإلهي. ويقال العلم والمعرفة على التبادل ولكن الغالب هو العلم فقسمة المعرفة إلى نقلية وعقلية هي نفسها قسمة العلم. وتسير هذه التصنيفات الثنائية طبقاً لنسق واحد. وفي الحقيقة هي قسمة واحدة متكررة في أشكال متعددة. فعلوم الشرع والنقل والعقل والظاهر والتنزيل والسلف والدنيا علم واحد. والعلوم غير الشرعية هي علوم القلب والتجربة والباطن والتأويل وعلوم الخلف وعلوم الآخرة وعلم الأحوال والأسرار. وفي النهاية هذه الثنائيات هي الظاهر. وباطنها وحدانية العلم الذي لا تمييز فيه بين شرع ولا شرع. بين نقل وقلب، عقل وتجربة، ظاهر وباطن، تنزيل وتأويل، سلف وخلف، دنيا وآخرة، أحوال وأسرار.

(١) العلوم الشرعية أو غير شرعية^١

وتنقسم العلوم إلى شرعية أو غير شرعية.^٢ الشرعية من الأنبياء والدين لا تستند إلى العقل مثل الحساب، ولا التجربة مثل الطب، ولا السماع مثل اللغة. والعلوم غير الشرعية تنقسم

^١ الإحياء، ج ١، ٢٤.

^٢ الإحياء، ج ١، ٢٤.

إلى محمود ومذموم ومباح. المحمود مرتبط بمصالح الدنيا كالطب والحساب. والمذموم كالسحر والطمسماط والشعوذة والتلبيسات. والمباح كالشعر والتاريخ دون إسفاف. وقد يتداخل الكم مع الكيف في تحديد المحمود والمذموم. وبالتالي يكون العلم ثلاثة أقسام: الأول مذموم قليله وكثيره وهو ما لا نفع فيه. والثاني محمود قليله وكثيره مثل العلم بالله، صفاته وأفعاله، ومثل العلم بالكتاب والسنة. والثالث يحمده الكفاية، ويذمه الفضل.^٣

ويذم العلم لأسباب ثلاثة: أن يؤدي إلى ضرر لصاحبه أو لغيره مثل علم السحر والطمسماط وهو مذكور في القرآن، وأن يكون مضرًا بصاحبه في الغالب كعلم النجوم الحسابي أو أحكام النجوم التي يستدل بها على الحوادث والأسباب مثل طب الأبدان. وهو مضر بالخلق، تخمين خالص، لا فائدة منه.^٤ وينقسم المحمود إلى فرض كفاية وفرض عين أي فضيلة. فرض الكفاية هو الضروري الذي لا يمكن الاستغناء عنه كالطب للأبدان والحساب للصناعات، والفلاحة والحياسة والسياسة والحجامة والخيطة.^٥

والعلوم الشرعية محمودة كلها. ولها أصول وفروع ومقدمات ومتممات. والأصول أربعة: الكتاب والسنة والإجماع وآثار الصحابة دون القياس. والفرع ما فهم من هذه الأصول بموجب معانيها وليس ألفاظها. منها ما يتعلق بمصالح الدنيا وهو الفقه، ومنها ما يتعلق بأمور الآخرة مثل كتاب «الإحياء». والمقدمات هي علوم الآلات والوسائل كاللغة والنحو والكتابة والخط. والمتتمات مثل ما يتعلق باللفظ في علوم القرآن وهي القراءات، وإلى ما يتعلق بالمعنى مثل التفسير واعتماده على نقل اللغة، وإلى ما يتعلق بالأحكام مثل الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والنص والظاهر، وهو علم أصول الفقه. والمتتمات في الأخبار والآثار مثل العلم بالرجال والجرح والتعديل وعلم مصطلح الحديث لضبط الرواية.

^٣ «بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة»، السابق، ج ١، ٤٥-٤٨.

^٤ «فيما يعده العامة من العلوم المحمودة وليس منها وفيه بيان الوجه الذي يكون به بعض العلوم مذمومًا، وبيان تبديل أسامي العلوم وهو الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة، وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها ...» السابق، ج ١، ٢٣-٢٥.

^٥ السابق، ج ١، ٢٣-٢٥.

والعلم المحمود هو الكلام عند المتكلمين فهو علم التوحيد. وعند الفقهاء هو الفقه لمعرفة العبادات والحلال والحرام في المعاملات. وعند المفسرين والمحدثين هو علم الكتاب والسنة أساس العلوم كلها مثل حديث أركان الإسلام الخمسة.^٦ وعند الصوفية هو علم التصوف، علم المقامات والأحوال. هو العلم بالإخلاص وآفات النفوس. هو علم الباطن. هو علم المعاملة التي كلف بها العاقل. وهي ثلاثة: اعتقاد وفعل وترك. الاعتقاد مثل الشهادتين تقليدًا عند العامة، وبرهانًا عند الخاصة.

والفقه أشرف من الطب لأنه علم شرعي مستفاد من النبوة في حين أن الطب علم إنساني خالص. هو علم للجميع في حين أن الطب علم للمرضى وحدهم. وهو مجاور لعلم الآخرة لأن أعمال الجوارح لصيقة بأعمال القلوب.^٧ والفقهاء والمتكلمون مثل الخلفاء والقضاة والعلماء. فالعلم علمان: علم الأمراء وعلم المتقين. علم الأمراء هو علم القضاء. وعلم المتقين هو علم اليقين والمعرفة.^٨ ولا يفتي إلا ثلاثة: أمير أو مأمور أو متكلف. الأمير هو الإمام العالم. والمأمور هو صاحب منصب الفتيا. والمتكلف هو العالم بالقصص وعبر التاريخ. يمثل الأمير الوعي العلمي السياسي، والمفتي الوعي العلمي الاجتماعي، والقاضي الوعي العلمي التاريخي.^٩ وأحياناً يتفق الفقهاء والصوفية في تصنيف العلم. فالعلم علمان: علم الأديان وعلم الأبدان كما قال الشافعي. علم الأديان علم الحقائق والمعارف. وعلم الأبدان علم السياسات والرياضيات والمجاهدات.^{١٠}

والعلم علمان: علم الأمراء وعلم المتقين. الأول علم القضايا، والثاني علم اليقين والمعرفة. والقضاء ثلاثة: قاضي يقضي بالحق وهو يعلم، فهو في الجنة. وآخر يقضي بالجور وهو يعلم، فهو في النار. وقاضي يقضي بالجور وهو لا يعلم، فهو أيضاً في النار. وماذا عن القاضي الذي يقضي بالحق وهو لا يعلم؟

^٦ «في العلم المحمود والمذموم وأقسامهما وأحكامهما وفيه بيان ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية، وبيان أن موقع الكلام الفقه من علم الدين إلى أي حد هو وتفضيل علم الآخرة»، السابق، ج ١، ٢٠-٣٥.

^٧ السابق، ج ١، ٢٦.

^٨ قوت القلوب ج ١، ٢٧٨.

^٩ حديث «لا يفتي الناس إلا ثلاثة: أمير ومأمور أو متكلف»، السابق، ص ٤٨٠.

^{١٠} طبقات الصوفية، ص ٤٨٠.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

ويمكن إدخال علوم التصوف ضمن منظومة العلوم الشرعية. والنظرة الكلية للعلوم أو بما يسمى «تقسيم» العلوم أو «إحصاء» العلوم أو «تصنيف» العلوم هي القدرة على تحديد ميدان كل علم وغايته. فعلم الشريعة أربعة أقسام:

(أ) علم الرواية والآثار والأخبار، ينقله الثقات عن الثقات. مثل علم الحديث.

(ب) علم الدراية، وهو علم الفقه والأحكام المتداول بين العلماء والفقهاء والذي يعتمد على الاستنباط وإعمال العقل والمصلحة.

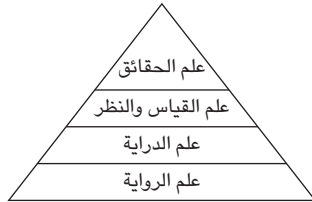
(ج) علم القياس والنظر والاحتجاج على المخالفين، وهو علم الجدل لإثبات الحجة على أهل البدع والضلالة لنصرة الدين مثل علم الكلام.

(د) علم الحقائق والمنازلات، علم المعاملة والمجاهدات، والإخلاص في الطاعات والتوجه إلى الله من جميع الجهات والانقطاع إليه في جميع الأوقات، وصحة المقصود والإرادات، وتصفية السرائر من الآفات، وإدانة النفوس بالمخالفات، والصدق في الأحوال والمقامات وحسن الأدب في السر والعلانية، والإعراض عن الدنيا، والوصول إلى الكرامات والاكتفاء بخلق السموات. وهو أعلى مراتب العلوم. وكل علم مسئول عن أخطائه يصححه أهله.^{١١}

(٢) العلوم نقلية أو قلبية

العلوم نوعان: نقلية من ميت عن ميت، وقلبية من الحي الذي لا يموت. الأولى المعارف النقلية كالقرآن والحديث والتفسير والسيرة والفقه. والثانية المعارف الذوقية كالتصوف.^{١٢} الأولى ينقلها الناس والثانية ينهل منها الصوفية.^{١٣} وقد خصت الأمة بثلاثة

^{١١} باب في تفسير العلوم، وبيان ما يشكل على فهم العلماء من علوم الخاصة وتصحيح ذلك بالحجة، للمع ٤٥٥-٤٥٨، ٤٧٦-٤٧٧.



^{١٢} «مساكين أخذوا ميتاً عن ميت وأخذت علماً من الحي الذي لا يموت»، شطحات، ص ١٠٠.

^{١٣} «الناس يقولون به، وأنا أقول منه»، السابق، ص ١٠٠-١٠٤.

علوم: الإسناد، حفظ الكتاب، وعلم الإيمان، وثباته في القلوب.^{١٤} العلمان الأولان نقليان. والثالث علم قلبي. وفي تصنيف آخر خصت الأمة الإسلامية بأربعة علوم: الإسناد، وحفظ الكتاب، وشيوع العلم عند كل الناس وليست عند طبقة معينة مثل الأخبار والقسيسين، وثبات الإيمان في القلوب ضد الشك والظن. يحسن العلم بالرواية لمن يطلب. أما طلب العلم للترزين به عند الخلق فإنه يبعد عن الرسول.^{١٥} والعالم الذي يكون علمه من الله، يأخذ عنه ما يشاء كيف يشاء بلا تحفظ ولا كتب.^{١٦} ويرخص في النقل بالمعنى واستعمال المرسل والمقطوع لأنها ليست باطلة يقيناً وغير مخالفة للكتاب، وحسن الظن أحد مراتب اليقين، والأخذ بالضعيف دون الرأي والقياس.^{١٧}

ولا تأتي المعرفة من العلم المدون بل بالتجربة مثل الشك. فإذا ابتدأ الإنسان بالشك كتب الحديث فتر. وإذا ابتدأ بكتب الحديث ثم تنسك نفذ.^{١٨} لا يستمد العلم من بطون الكتب ولا من أقوال المتقدمين بل من الأحوال النفسية. فالعلم حالة شعوره.^{١٩} ليس العلم بكثرة الرواية. إنما العالم من اتبع العلم واستعمله واقتدى بالسنن وإن كان قليل العلم.^{٢٠} فالعلم ليس نقلاً بل ممارسة. كانت المعرفة في القلوب ثم صارت في الكتب.^{٢١} وليس الخبر كالمعاينة.^{٢٢}

ما كتب صحيح إلى صحيح، وما لقي صحيح صحيحاً، وما افترقا في الحقيقة.^{٢٣} فالتدوين تدوين قلبي. المعرفة غايتها الاتحاد. ومن عمل بعلم الرواية ورث علم الدراية ثم علم الرعاية ثم هدي إلى سبيل الحق.^{٢٤} فالعلم طريق من الرواية إلى الدراية إلى الحق.

^{١٤} قوت القلوب ج ١، ٢٧٩-٢٨٠.

^{١٥} «إنما حسن طلب العلم وإخبار الرسول لمن يطلب الخبر به أو المخبر عنه. فأما طلبه ليزين نفسه عند الخلق فإنه يزداد بعداً من الله ورسوله»، السابق، ص ١٥٠.

^{١٦} السابق، ص ١٥٥.

^{١٧} «تفضيل الأخبار وبيان طريق الإرشاد وذكر الرخصة والسعة في النقل والرواية»، السابق، ٣٥٩-٣٦٤.

^{١٨} طبقات الصوفية، ص ٥٥.

^{١٩} التستري، ص ١٣٥، ١٦٦.

^{٢٠} طبقات الصوفية، ص ٢٨٥.

^{٢١} السابق، ص ٥٠٣.

^{٢٢} قوت القلوب ج ١، ٢٣٨.

^{٢٣} السابق، ص ٣٠٧.

^{٢٤} السابق، ص ٤٢١.

المعرفة مقامان: معرفه سمع ومعرفة عيان. الأولى تصديق من الإيمان، والثانية مشاهدة عين اليقين. وأعلى العلوم علم المشاهدة عن عين اليقين. وهو علم المقربين. وأدناها علم التسليم والقبول دون إنكار أو شك. وهو لعموم المؤمنين. علم الإيمان والتصديق لأهل اليمين. وما بينهما مقامات.^{٢٥} واليقين ثلاث مقامات: يقين معاينة مطابق للخبر، وهو علم الصديقين والشهداء، ويقين تصديق واستسلام للخبر، وهو يقين المؤمنين الأبرار، ويقين ظن يقوي بدلائل العلم والخبر وأقوال العلماء وهو يقين المتكلمين. والفلسفة ليست علما. وهي أربعة أجزاء. الأول الهندسة والحساب مباحان. والثاني المنطق وهو داخل في علم الكلام. والثالث الإلهيات، وهي في النهاية رأي قوم مثل الاعتزال يخطئ ويصيب. والرابع الطبيعيات وأكثر الخطأ فيها وهي أقل فضلا من الطب.^{٢٦}

والعلم الشفاهي غير المدون هو العلم القلبي غير المكتوب، «عن ربي عن قلبي» وليس «من ميت عن ميت». الأول علم الأحياء، والثاني علم الأموات.^{٢٧} وتبدأ بعض المواقف بقرآن غير مباشر مثل ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا﴾. ثم يتحول التنزيل إلى تأويل، والنص إلى تجربة حية، والعلم المدون عن طريق اللغة إلى العلم المباشر عن طريق القلب.^{٢٨} العلم المباشر رؤية، والعلم المدون مكتوب. و«كلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة».^{٢٩} العلم كشف، والعبارة حجاب. العلم تجل والعبارة ستر. لذلك كان الصمت أولى من الكلام. ويعرف الحال من المستند. وإذا كان المستند ذكرى رد إلى الله.^{٣٠} والعلم مباشر بين العالم والعلوم ليس علما باللوح والقلم.^{٣١} العلم حدسي، رؤية مباشرة، لا يستطيعها

^{٢٥} «فضل علم المعرفة واليقين على سائر العلوم، وكشف طرق علماء السلف الصالح من علماء الدنيا والآخرة»، السابق، ج ١، ٢٦٧-٢٧٧.

^{٢٦} السابق، ص ٢٩-٣٠.

^{٢٧} «وقال لي: هذه عبارتي وأنت تكتب، فكيف وأنت لا تكتب؟»، المواقف، ص ٧٠.

^{٢٨} السابق، ص ١١١-١١٣.

^{٢٩} السابق، ص ١١٥.

^{٣٠} السابق، ص ١١٦.

^{٣١}

فخذ حديثي، حسبي، أنت تعلمه لا اللوح يعلمه حقًا ولا القلم

الديوان، ص ١٢٠.

الفهم. يلوح في الضمير وأدق من الفهم.^{٣٢} وعندما يتكشف الحق، لا حاجة إلى دليل نقلي وبرهان عقلي. يغني عن دليل القوم والحدوث ودليل الصنعة والصانع. فالحديث لا يثبت القديم. وهو نفس النقد الذي وجهه ابن رشد فيما بعد لأدلة وجود الله عند الأشاعرة. الدليل من الله وإلى الله والله. هو دليل التفرد، دليل وجود من يحبه.^{٣٣} العلم المكتوب يولد السقم والظنى والملل. لا يهيم في الفؤاد. في حين أن العلم الحي نتيجة للبكاء الدائم الذي تجري به السفن كما هو الحال عند الحسن البصري الذي كان يترك بركة من دموع بعد السجود في الصلاة. هو نتيجة للتهجد وسهر الليالي.^{٣٤} والرسائل المتبادلة بين العبد والرب ليست رسائل مدونة بل رسائل روحية. والحب

٣٢

أشار لحظي بعين علم
بخالص من خفي فهم
ولائم لاح في ضميري
أدق من فهم وهم وهمي

السابق، ص ١٣٠.

٣٣

لم يبق بيني وبين الحق تبياني
لا يعرف الحق إلا من يعزه
لا يستدل على البارئ بصنعته
كان الدليل له منه إليه به
كان الدليل له منه وبه وله
هذا وجودي وتصريحي ومعتقدي
هذي عبارة أهل الانفراد به
هذا وجود وجود الواحد له

ولا دليل بآيات وبرهان
لا يعرف القدي من المحدث الفاني
رأيتم حدثاً من ينبي عن أزمان؟
من شاهد الحق في تنزيل فرقان
حقاً وجدنا به علماً بتبيان
هذا توحد توحيدي وإيماني
ذوي المعارف في سر إعلان
التجانس أصحابي وخلاني

السابق، ص ٣٢٤-٣٢٣.

٣٤

إن كتابي يا أنا
وعن فؤادي هائم
وعن بكاء دائم
وعن جفون أرقت

من فرط سقم وضمي
وعن سقام وعني
جري فأجري للفنا
فما تذوق الوسنا

السابق، ص ٣٣.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

المتبادل بين الحبيين لا يحتاج إلى خطاب بل هو حب روعي. وإذا أرسل الله القرآن كتابًا فإن رده يكون بالروح.^{٣٥}

علم الصوفية يوجب إنكار كل علم مرسوم. وهو كل علم معلول. وما بان شيء فيمتحي. ليس علمًا مدونًا. وإن كشف فإنه يتحول إلى مدون ولا يكون علمًا. كان العلم في الصدور فأصبح في كتاب مطمور.^{٣٦} العلم يورث الخوف، والوجل، والسكينة والطمأنينة على قدر أحوال الناس مقاماتهم. وتصح الأحوال إذا كانت عن نتائج العلوم.^{٣٧} فالعلم شعوري بين السلب كالخوف والوجل والإيجاب مثل السكينة والطمأنينة. وما فائدة علم لا يتخارج، ولا يتحول إلى معلوم يستفيد منه الناس؟ «أعوذ بالله من علم لا ينفع». وبالرغم من تأكيد التصوف النفسي على العلم والمعرفة إلا أن الأحوال النفسية تجب العلم.^{٣٨} العلم تجربة ذاتية ونظر خاص ومشاركة الآخرين فيها.^{٣٩} وحجة القائل تقنع إن كان ما يؤيدها في التحقيق. والسماع لا يفهم.

٣٥

كتبتُ ولم أكتب إليك وإنما	كتبت إلى روعي بغير
وذلك أن الروح لا فرق بينها	وبين محبيها بفصل خطاب
وكل كتاب صادر منك وارد	إليك بلا رد الجواب جوابي

الديوان، ص ٢٩.

^{٣٦} طبقات الصوفية، ص ٤٩٠.

^{٣٧} السابق، ص ٤٩٦.

٣٨

لا يبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه

الإشارات، ص ٢٢٣.

^{٣٩} «هذا ما أفضى إليه نظري. ووقف عليه بصري. واحتوي نحوه وردي وصدري. وطاح في عرضه خطري وغرري بعد الاستخارة المقدمة والاستشارة المتممة وبعد توجه القلب لصفاء الضمير ... فإن سرك أن تبرز بهذه الخلعة، وتتملص من ضرورة الخدعة، وتفوز بضرائب المتعة عد المتعة فأفعل. فإن الحظ في ذلك كله لك، والربح في يدك، والغبطة مكتنفة نظرتيك مشتملة عليك»، السابق، ص ٣٣٦-٣٣٧.

هناك ما يؤيده من وجد السامع.^{٤٠} فالتجربة المشتركة هي عنصر التفاهم بين القائل والسامع. لا يعرف النار إلا القداح، والحزن إلا النواح.^{٤١} ونموذج التدوين هو علم الحديث الذي يعتمد في صدقه على السند. يعطي العلاج سندا آخر من الطبيعة. فالطبيعة هي التي تحدث. والصوفي يسمع صوت الطبيعة ويتلقى علومه منها. فلا السند ولا المتن صحيحان تاريخياً ولكنهما دالان روحياً.^{٤٢} وقد يروي الحديث عن الشأن والقلب بعد السند وقبل المتن. ويعطي سبعة وعشرين حديثاً جديداً في السند والمتن. وقد تتفاوت سلسلة الرواة من اثنين إلى سبعة.^{٤٣} وقد يصل إلى الله وقد لا يصل. يكفي الملاء الأعلى أو الطبيعة أو القلب أي السماء والأرض والنفس وما بينهما. وقد يكون الحديث مركباً من سنيين أو ثلاث يبدأ كل منها بلفظ «حدثنا».^{٤٤} وقد يرد حديثان بإسناد واحد.^{٤٥} ولا فرق بين ظواهر الطبيعة وعوالم الملاء الأعلى وعالم النفس والقلب والجوارح ومعاني النص الديني، القرآن والحديث. فالواقع والعقل والوحي شيء واحد. ولا يوجد تطابق ضرورة بين الظواهر على مستوياتها الثلاثة. إذ كلها تخضع لتأويلات متعددة. لذلك كثر الشراح بين الحقيقة والمجاز. وقد يكون السند من الأفراد مباشرة مثل الحسن أو رمزاً مثل ساعة الساعات وهو آدم بجميع قوى النفس مثل الإرادة، إرادة الصفات القائمة بالذات القديمة، مع بعض الصفات الأخلاقية مثل الإحسان، إحسان القدرة أو المعرفة.^{٤٦} وقد تكون سلسلة الرواة من نظرية المعرفة، من الإيمان المعروف إلى اليقين الموجود عن العلم القديم.^{٤٧} ومن

^{٤٠} «القول حجة على القائل متى لم يؤيدها بما يحققه. والسماع وبال على السامع متى لم يؤكده بما يشهد الوجد به»، السابق، ص ٣٦٣.

والنار يعرفه من كان قداحاً والشكل يعرفه من كان نواحاً

السابق، ص ٤٠٩.

^{٤٢} العلاج: الأعمال الكاملة، الروايات أو الأحاديث، ص ٢٧٥-٢٦٩.

^{٤٣} «قال: الشأن والقلب مما خالا»، السابق، ص ٢٧٢.

^{٤٤} «حدثنا بالرؤيا الصادقة عن الملك الحكيم»، السابق، ص ٢٦٩.

^{٤٥} السابق، ص ٢٧٠.

^{٤٦} «حدثنا ساعة الساعات، عن الحسن، عن الإحسان، عن الإرادة، عن الله»، السابق، ص ٢٧٢.

^{٤٧} «حدثنا عن الإيمان بالمعروف عن اليقين الموجود عن العلم القديم»، السابق، ص ٢٦٩.

الفهم المبين عن القرآن المجيد عن محمد عن جبريل عن الله.^{٤٨} وقد يكون السند من الاسم العزيز عن الروح القديم عن المعنى المحيط عن الله.^{٤٩} وتدخل الفطرة الساطعة كإحدى وسائل المعرفة مع المعرفة الأصلية والكلمة العليا وصنع المجيد.^{٥٠} ويدخل الحق الأعلى، والجليل الوحيد، والحدان، الركن والمقام، كوسائل علوية للمعرفة.^{٥١} وقد يدخل القدم والغيب ضمن وسائل المعرفة مثل روح الحياة ونور السمع والبصر.^{٥٢} وقد تدخل السماء والأرض مع الفطرة والقدرة والجلال.^{٥٣}

وقد تتدخل الملائكة في نظرية العلم مثل «الملك الحكيم» كناية عن جبريل أو «الكروب الكبير» كناية عن إسرافيل مع الرؤية الصادقة، واللوح المحفوظ، والعلم. ومن ثم تكون الرواية على مرحلتين، راو وهو «الرؤيا الصادقة» عن راو آخر «الكروب الكبير».^{٥٤} عن الطور عن ياقوت النور وهي الشمس عن صاحب الميزان وهو إسرافيل. وقد وقع التجلي في الطور، مع نور الشمس مع نور الوحي.^{٥٥} وقد يرمز إلى قوى النفس بالملائكة أو الملوك. فالمملوك البصير هو العقل الناطق أو النفس المطمئنة أو الخيال المبصر. والملك هو ملك الإلهام أو كشف الغيب. والملك الشاخص هو الروح المقدسة المراقبة لمشاهدة الغيب. والمالك المتدبر هو العقل الكلي أو الروح الكلية.^{٥٦}

^{٤٨} «حدثنا الفهم المبين، عن القرآن المجيد، عن محمد، عن جبريل، عن الله»، السابق ص ٢٧٠.

^{٤٩} «حدثنا الاسم العزيز عن الروح القديم عن المعنى المحيط عن الله تعالى»، السابق ص ٢٧١.

^{٥٠} «حدثنا الفطرة الساطعة. قالت حدثتني المعرفة الأصلية عن الكلمة العليا وصنع المجيد»، السابق، ص ٢٧٤.

^{٥١} «حدثنا العيان اليقين. قال: حدثنا الحق الأعلى عن الجليل الوحيد عن الحدين: الركن والمقام، السابق، ص ٢٧٤.

^{٥٢} «حدثني روح الحياة ونور السمع والبصر قال: حدثنا القدم. قال: حدثني الغيب عن الاسم المبين عن الله»، السابق، ص ٢٧٤.

^{٥٣} «حدثنا السماء والأرض. قالوا: حدثتنا الفطرة عن القدرة عن الجلال القريب عن الله»، السابق، ص ٢٧٤.

^{٥٤} «حدثنا بالرؤيا الصادقة عن الملك الحكيم. قال: حدثنا الكروب الكبير عن اللوح المحفوظ عن العلم»، السابق، ص ٢٦٩.

^{٥٥} «حدثنا الطور، عن ياقوت النور، عن صاحبة الميزان» السابق، ص ٢٧١.

^{٥٦} «حدثنا المملوك البصير عن الملك عن الملك الشاخص عن المالك المتدبر عن الحي السميع البصير»، السابق، ص ٢٧٢-٢٧١.

وقد تكون حلقات السنة معرفية أخلاقية نصية مثل الميثاق، والبرهان، ومجمع القرآن. والميثاق ينزل على قلب العارف.^{٥٧} وقد يكون السند من أبعاد الوجود الإنساني مثل البلاء والنعمة، والقضاء والقدر المتصل بالركن والعرش.^{٥٨}

وقد تتداخل العوالم العلوية في نظرية المعرفة مثل سدرة المنتهى مع العقل الوجيه والحياة الدائمة والروح المكنون. العقل هو العقل الفعال عند الفلاسفة. وكلها ألفاظ معرفية لها دلالات علوية عرشية.^{٥٩} وقد تتداخل العوالم العلوية مع وسائل المعرفة مثل الحكمة والكلمة. قوس الله المشرقة بالأنوار عن المشارق، والبروج عن القطب، وصاحب هبابة المراح عن المدبرات.^{٦٠} وقد يكون السند كله من الملأ الأعلى مثل بيت الله، وقوس الله، بيت الله الوسيط. وبيت الله هو الكعبة أو كناية عن القلب. وقوس الله قوس قزح، وقوس الحق أو قوس القدر والقضاء أو قوس العلم أو قوس الأزل والأبد.^{٦١} ورجب اسم الشهر واسم الله ولسان شهادة الخير من الغيب، والعزة ملك العزة. وخادم البيت المعمور عيسى أو جبريل وصاحب الستر الأقصى عزرائيل وميكائيل والسفير الأعلى إسرافيل.^{٦٢}

وقد يبدأ السند من علم المعادن مثل الياقوت الأحمر، والضيء المخمر، والصورة الكائنة، والشأن المشهود ثم يرجع إلى الله.^{٦٣} وقد تكون كناية عن الطبيعة فالياقوت الأحمر قرص الشمس أو عن القلب. والضيء المخمر ضياء الكرسي أو العرش. والصورة الكائنة آدم أو الروح أو العقل أو القضاء والقدر. والشأن المشهود مراد الحق من الخلق أو لوح العلم أو خبر الحق أو عالم الأمر.^{٦٤} وقد يكون السند من مظاهر الطبيعة

^{٥٧} «حدثنا الميثاق، عن البرهان، عن جمع القرآن»، السابق، ص ٢٧٠.

^{٥٨} «حدثنا البلاء والنعمة عن القضاء والقدر عن الركن عن صاحب الركن واليمين»، السابق ص ٢٧١.

^{٥٩} «حدثنا العقل الوجيه عن سدرة المنتهى عن الحياة الدائمة عن الروح المكنون»، السابق، ص ٢٦٩.

^{٦٠} «حدثنا قوس الله المشرقة بالأنوار عن المشارق عن البروج عن القطب عن صاحب هبابة المراح عن المدبرات عن الحكمة عن الكلمة المتصلة الكبرى»، السابق، ص ٢٧٣.

^{٦١} «حدثنا بيت الله تعالى، عن قوس الله، عن بيت الله الوسيط»، السابق، ص ٢٧٠.

^{٦٢} «حدثنا رجب. قال: حدثتنا العزة عن صاحب الحجاب على خادم البيت المعمور قال: حدثنا صاحب ستر الأقصى عن السفير الأعلى»، السابق، ص ٢٧٢.

^{٦٣} «حدثنا رجب قال: حدثتنا العزة عن صاحب الحجاب عن خادم البيت المعمور قال حدثنا صاحب ستر الأقصى عن السفير الأعلى»، السابق، ص ٢٧٢.

^{٦٤} «حدثنا الياقوت الأحمر عن الضياء المخمر، عن الصورة الكائنة، عن الشأن المشهود، عن الحق جل جلاله»، السابق، ص ٢٧٠.

وحدها: عن خضرة النبات وألوان الأنوار عن حياة القوم. وقد تكون خضرة النبات كناية عن رياض القلب وأنوار الغيب والتجلي. وحياة القدم هي حياة النبات.^{٦٥} وقد تكون مظاهر الطبيعة كلها من «الأثار العلوية» بتعبير الفلاسفة أي الظواهر الجغرافية، الظل والنور. إذ يتحدث الخلق أي الكون عن الظل الممدود عن شاهد المعظم وهي الشمس عن النور الفريد وهو الرسول.^{٦٦} وترمز كل ظاهرة من الأنوار لعالم روحاني في فريخ الجنوب منها الأفق العلوي إلى بحر الغيب في السماء السابق. وميم الخازن عين ملك المحيط الذي يهب الفيض. وعقاد المن هو عاقد فقار السموات والأرض أو عقد ذنب أو برج العقرب أو حلقات ذوائب المالك أو أكتاف إسرافيل.^{٦٧} وقد يتداخل الملك اللطيف مع مظاهر الطبيعة مثل السحاب المتراكم، والبرق الخاطف، والرعد المقدس، والقوة المحمية بالغيب المنهمر في أفق النور بين الشمس والقمر، والملك اللطيف هو الذي بيده خزائن المطر. وقد تكون هذه الظواهر الجغرافية ملائكة. وقد يكون ذلك كله كناية عن عالم القلب.^{٦٨} وقد تتداخل مظاهر الطبيعة بين الأرض والسماء، الأرض مثل السجنج وهي صحراء المشرق أو أرض عرفات أو أرض مكة أو الوادي المقدس أو كناية عن القلب أو الصدر، والقدس وعدن المعبود. وقد تكون الكعبة أو زوار قوائم العرش والسماء مثل الفردوس الأعلى، والقبة الأزلية فوق العرش.^{٦٩}

وقد تتداخل جميع أنواع الرواة مثل الهلال اليماني، وهو قمر يظهر في الآخرة أو الكعبة أو الحكمة اليمانية أو أويس القرني أو النور بين عيني جبريل، عن الطائر الميمون هدهد سليمان، وحيدرة الملك أسد الملك أو العرش أو الثريا، عن نشر التشوب

^{٦٥} «حدثتنا خضرة النبات وألوان الأنوار عن حياة القدم»، السابق، ص ٢٧١.

^{٦٦} «حدثنا الخلق عن الظل الممدود عن شاهد المعظم عن النور الفريد»، السابق، ص ٢٧١.

^{٦٧} «حدثنا ربح الجنوب عن ميم الخازن عن عقاد المن عن جبل البروق عن بحر من البحر الشعاعي»، السابق، ص ٢٧٢.

^{٦٨} «حدثنا السحاب المتراكم، عن البرق الخاطف، عن الرعد المقدس، عن الملك اللطيف، عن القوة المحمية الغيب المنهمر في أفق النور بين الشمس والقمر»، السابق، ص ٢٧٠.

^{٦٩} «حدثنا السجنج، عن الفجر، عن القدس، عن الفردوس الأعلى، عن عدن المعبود، عن قبة الأزلية»، السابق، ص ٢٦٩.

وهو نشور القدم، عن النور الثابت وهو نور الإيمان، عن لسان الغيب اللطيف وهو الإلهام أو حكمة القلب.^{٧٠}

وقد يكون الرواة من الزمان والبروج مع تحديد السنوات. فالميزان هو برج الميزان عام ٢٧٠. والعصر لسان الدهر أو الغيب.^{٧١} وقد يتداخل الزمان مثل الجمعة في الأشخاص مثل آدم مع رواد الكعبة وشهود الحق.^{٧٢} وقد يتداخل الزمان كتاريخ، العصر الماضي مع الأمر والمالك.^{٧٣}

وينقسم المتن إلى نوعين: مباشر وهو القول عن الله عز وجل، وغير مباشر أقرب إلى الخبر أو رواية الفعل. وهو نوع من الوضع بالمعنى، «ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن» وليس فقط نقلاً بالمعنى.

ويتضمن المتن الموضوعات الصوفية المعروفة دونما حاجة إلى تغيير السند مثل التعارض بين الشريعة والحقيقة، الظاهر والباطن، الدنيا والآخرة والمحبة. وكلها متون عرفانية لا شأن لها بالحياة العملية، وهي الغاية من الحديث كمصدر ثان للوحي.

(٣) العلوم عقلية أو تجريبية

يطلب العلم بثلاثة مناهج: طريق الاستدلال والاعتبار، وطريق البحث والنظر، وهو جزء من المنهج الأول، وطريق التوقيف والأثر وهو العلم النقلى الذي يعتمد على الرواية. وهي القسمة السابقة للعلوم بين العلوم العقلية والعلوم النقلية. كما يتبع العلم طرقاً أخرى مثل: طريقة الجدل التي استعملها المتكلمون، وطريق تحليل العلل الذي استعمله الأصوليون، وطريق الذوق والكشف والإلهام وهو طريق الصوفية، طريق الحدس. لذلك تنقسم العلوم إلى عقلية وقلبية، برهانية وكشفية، نظرية وذوقية. وتعتمد هذه القسمة

^{٧٠} «حدثنا الهلال اليماني، عن الطائر الميمون وحيدرة الملك، ونشر التشوب وصورة الجود، عن النور الثابت، عن الوجود، عن لسان الغيت اللطيف»، السابق، ص ٢٧٣.

^{٧١} «حدثنا عن الميزان سنة مائتين وسبعين. قال حدثنا العصر الخاطب سنة سبعا من المبعث عن الولي القريب»، السابق، ص ٢٧٣.

^{٧٢} «حدثنا الصورة الحسنة عن الجمعة القائمة عن شاهد الكعبة»، السابق، ص ٢٧٣.

^{٧٣} «حدثنا العصر الماضي عن الأمر المبين عن المالك الكبير»، السابق، ص ٢٧٤.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

الثانية على منهجين سابقين: منهج الوقوف والتسليم وهو أشبه بتوقيف الحكم انتظارًا لمنهج أفضل. ومنهج إعلان العجز والتقصير وترك ذلك لتقدم المعارف، انتظارًا للفرج الرباني.^{٧٤}

واستقراء كرام الأصول يؤدي إلى مكارم الأخلاق مثل إحسان المحسن والتجاوز عن المسيء، والعفو عن الزلة، وإقالة العثرة، وقبول المذرة، والصفح عن الجاني، ومثل هذا من مكارم الأخلاق.^{٧٥} والحكم غير التجربة. والوصف غير المغازلة.^{٧٦} وهي نفس قسمة العلم إلى علمين: علم العلماء والعلم التجريبي. الأول يقوم على النظر. والثاني على الذوق. الأول مكتسب والثاني مطبوع. الأول خارجي، والثاني داخلي.^{٧٧} فالعلم مخاطبة بالقلب ثم مشافهة باللسان.^{٧٨} وقلوب العارفين ترى ما لا يراه الناظرون. وتناجي الألسنة بأسرار تغيب عن الكرام الكاتبين وهم ملائكة يورث الشراب علوم الغيب وتتجاوز علوم

^{٧٤} قوت القلوب ج ١، ٢٦٤، ٢٩٩.

^{٧٥} الفتوحات «في معرفة الاستقراء وصحته من سقمه»، ج ١، ٢٨٤-٢٨٥.

له حكم ولا يعطيك	علما فصورته كمنزلة الظلال
فلا تحكم بالاستقراء قطعاً	فما عين الغزالة كالغزال
وإن ظهرت بالاستقراء علوم	فما حكم التضمير كالهزال

السابق، ص ٢٨٤.

^{٧٦} طبقات الصوفية، ص ٣٩٩.

^{٧٧}

للعلم أهل وللإيمان ترتيب	وللعلوم وأهلها تجاريب
والعلم علمان، مطبوع ومكتسب	والبحر بحران مركوب ومرهوب

الحلاج، الديوان، ص ٢٩١-٢٩٢.

^{٧٨}

خاطبني الحق من جناني فكان علمي على لساني

السابق، ص ٣٢٩.

القدماء. وعليها شواهد ضد كل منكر. هو علم الخاصة الذين أخلصوا في السر حتى وصلوا إليه.^{٧٩}

وبدلاً من قسمة العلم أو المعرفة تقسم المشاهدة. فالمشاهدة مقامان: مشاهدة الاستدلال، ومشاهدة الدليل. مشاهدة الاستدلال قبل المعرفة من الخبر أي السمع ومشاهدة الدليل بعد المعرفة أي العيان. أولى العلوم علم المشاهدة عن عين اليقين. وهو علم المقربين. وأدناها علم التسليم والقبول دون إنكار أو شك وهو لعموم المؤمنين. علم الإيمان والتصديق لأهل اليمين وما بينهما مقامات^{٨٠} لا يأتي علم الإيمان واليقين نتيجة الذهن وثمره العقل بل عن طريق المشاهدة والتحقيق وإلا وقع في الشرك والنفاق. وعلم التوحيد والصفات لا خلاف عليه. والخلاف فيه بدعة لا تغتفر على عكس أخطاء علوم الظاهر^{٨١} وهو على عكس العلماء ورثة الأنبياء^{٨٢}

وقد تنقسم المعرفة إلى كسبية وإلهامية. إذ تأتي المعرفة من مصدرين من عين الجود، ومن بذل المجهود. الأولى إلهام، والثانية اكتساب. وهو نفس التمييز بين الحال

٧٩

قلوب العارفين لها عيون	تري ما لا يراه الناظرون
وأسنة بأسرار تناجي	تغيب عن الكرام الكاتبينا
وأجنحة تطير بغير ريش	إلى ملكوت رب العالمينا
وترتع هي رياض القدس طورا	وبشرب من بحار العارفين
فأورثنا الشراب علوم	تشف عن علوم الأقدمينا
شواهدا عليها ناطقات	تبطل كل دعوى المدعينا
عباد أخلصوا في السر حتى	دنوا منه وصاروا واصلينا

السابق، ص ٣٣١-٣٣٢.

^{٨٠} قوت القلوب ج ١، ٢٨٢.

^{٨١} «الغالون هم الشاطحون لأنهم قد جاوزوا العلم ومحو الرسم فأسقطوا الحكم. والمبطلون هم المدعون المبتدعون لأنهم حاولوا بالباطل ليدحضوا به الحق وافتروا بالدعوى وابتدعوا بالرأي والهوى. والجاهلون هم المنكرون لغرائب العلم المفترون لما عرفوا من ظاهر العقل»، السابق، ج ١، ص ٣٥٦.

^{٨٢} «العلماء الذين هم ورثة الأنبياء هم الورعون في دين الله، الزاهدون في فضول الدنيا، الناطقون بعلم اليقين والقدرة لا علم الرأي والهوى، الصامتون عن الشبهات والآراء. لا يختلف هذا إلى يوم القيامة عند العلماء الشهداء على الله برأي قائل، ولا بقول مبطل جاهل» السابق، ص ٣٥٨.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

والمقام^{٨٣} والعلم علمان: ما جاء من فوق إلهاما من غير تعلم، وما جاء من تحت مثل علم الكلام. الأول إيمان، والثاني زندقة^{٨٤} الإلهام علم يصدق في القلب بلا تعلم أو كسب مثل بوادي وخواطر النفس عند الصوفية، والحدس عند الفلاسفة. ويتطلب الاهتمام الذي يتحول إلى هم وحصر، وعيا يقظا قادرًا على الاستقبال^{٨٥} وهو إبداع في صياغاته وأشكاله الأدبية. الروح إلهام، وأشكال التعبير عنها إبداع^{٨٦}. ومع ذلك قد تنهار بعض العلوم. فهناك أربعة علوم: الديانة، والطب، والنجوم، والكيمياء. ولكل منها آفة. آفة الديانة الكلام في القدر. وآفة الطب التجربة. وآفة النجوم الحكم. وآفة الكيمياء التعرض والإظهار على النفس^{٨٧} وآفة الفلك علم أحكام النجوم. وآفة الكيمياء السحر وكشف بواطن الأمور.

^{٨٣} «ما قالوا في المعرفة وصفة العارف، وحقيقة ذلك ببيانها»، اللمع ٥٦-٦٠، «ثنائية المعرفة في رأي أبي سعيد الخراز»، السابق، ص ٥٦. في صفة العارف وما قالوا فيه»، السابق، ص ٦٢-٦١ «قول القائل بم عرفته الله، والفرق بين المؤمن والعارف»، السابق ص ٦٣-٦٤.
^{٨٤} «تفضيل علم الإيمان واليقين على سائر العلوم والتحذير من الزلل فيه»، السابق، ج ١، ٣٥٣-٣٥٩.
^{٨٥} «في معرفة تحصيل علم الإلهام بنوع ما من أنواع الاستدلال ومعرفة النفس»، الفتوحات ج ١ ٢٨٥-٢٨٧.

لا تحكمين بإلهام تجده فقد	تجده وي غير ما يرضاه واهبه
فاحذره إن له في كل طائفة	حكما إذا جهلت فينا مكاسبه
لا تطلبين من الإلهام صورته	فإن وسواس إبليس يصاحبه

السابق، ص ٢٨٥.

^{٨٦} «في معرفة أسرار أهل الإلهام المستدلين ومعرفة علم إلهي خاصة على القلب تفرق خواطر وتشتتها»، السابق، ٢٨٨-٢٩٢.

إذا أعطاك الإلهام علمًا	تحققه فأنت سه سعد
فحقق والتمس علما وحيًا	كعلمك إنك الخلق الجديد

السابق، ٢٨٨.

^{٨٧} التستري، ص ١٨٧.

وقد بدلت ألفاظ خمسة من العلوم وتغير قصدها مثل الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة. تخصص الفقه بالفروع الغريبة في الفتاوى وتفصيلاتها. وكان يطلق العلم على الله وأفعاله وآياته. ثم تحول إلى جدال مع الخصوم في مسائل خلافية. تحول علم التوحيد إلى صناعة الكلام والجدل مع الخصوم. وتحول الذكر والتذكير إلى «ما نرى الوعاظ في هذا الزمان». وهو القصص والأشعار والشطح والطامات والقصص، وليس التذكير بالموت والآخرة وعيوب النفس وآفات الأعمال. وشطحات الصوفية دعوات عريضة في العشق الإلهي حتى ادعاء الاتحاد وارتفاع الحجاب والوصول إلى الرؤية والمشاهدة والمشاهدة كما حدث للحلاج والبسطامي. وهي أيضًا كلمات غير مفهومة يدل ظاهرها على غير باطنها. وأطلق لفظ الحكيم على الطبيب والشاعر والمنجم.^{٨٨}

وظهر علم الخلاف وأقبل الناس عليه لتشعب المسائل بعد عصر النبوة والخلافة الأولى، واحتياج الناس إلى الفقهاء والمتكلمين لاستنباط الأحكام والدفاع عن العقيدة^{٨٩} وتشبيه هذه المناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف مجرد تلبيس، دافعه الخصومة وليس مصالح الأمة. اشتغل الأوائل بالعلم لأنه من فروض الكفايات وليس الأعيان. ولا يوجد فرض كفاية أهم من المناظرة. ويفتي الناظر برأيه لا بمذهب فقهي معين وإلا كان تحزبًا. ولا يناظر إلا في مسألة واقعة أو قريبة الوقوع. وتكون المناظرة في الخلوة وليس في المحافل وأمام الأكابر والسلطين، بغيا للشهرة والحظوة. ويطلب الحق بصرف النظر عن مظهره هو أو غيره من الخصوم. ويجوز الانتقال من نظر إلى نظر، ومن دليل إلى دليل، ومن إشكال إلى إشكال والرجوع إلى الحق. وأخيرًا يناظر من هو أهل المناظرة من العلماء الفحول لإظهار الحق وليس للعراك مع الصغار والانتصار عليهم^{٩٠} تهدف المناظرة إلى إفحام الخصوم وإظهار الفضل والشرف والبراعة والبطولة

^{٨٨} «بيان ما يذل من ألفاظ العلوم»، الإحياء ج١، ٣٨-٤٥.

^{٨٩} «في سبب إقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل آفات المناظرة والجدل وشروط إباحتها»، السابق، ج١، ٤٨-٤٥.

^{٩٠} «ألا يناظر إلا في مسألة واقعة وقريبة الوقوع غالبًا فإن الصحابة ما تشاوروا إلا فيما تجدد من الوقائع أو ما يغلب وقوعه كالفرائض. ولا نرى المناظرين يهتمون بانتقاد المسائل التي تعم البلوي بالفتوى فيها بل يطلبون الطبوليات التي تسمع فيتسع مجال الجدل فيها كيفما كان الأمر. وربما يتركون ما يكثر وقوعه، ويقولون هذه مسألة خبرية أو هي من الزوايا وليست من الطبوليات»، السابق، ص ٥٠.

بقصد المباهاة والمماراة واستحسان الناس واستمالتهم. تقوم على العجب والكبر من ناحية وعلى الحسد والمراءاة من ناحية أخرى، تزكية النفس والتقليل من الآخر. يتتبع الناظر عورات الخصوم ليظهر به، ويشخص الموضوع. كما يقوم على الاستكبار والعناد والغضب والبغضاء وحب المال والجاه^{٩١} والحذر من المراء في القرآن. والمراء هو الجدل. والحذر أيضاً من الجدل في الدين، والكلام في التحديد أي في المنطق وقضايا الحد والتعريف^{٩٢} فالعقل والمحااجة والتصورات ليست طريقاً. والجدل ليس علماً. والكلام الناشئ عنه ليس علماً لأنه يقوم على الخصومة^{٩٣}.

ولا ينظر إلى صحة العقائد من جهة علم الكلام. يكفي إيمان العوام وسلامة الفطرة، والبعد عن الخصومات، ومعرفة الحق دون تأويل يخطئ ويصيب، ويناقض ظاهر الشرع. العلم عن طريق التواتر والقطع على المعلوم^{٩٤} يكفي القرآن كدليل وصحة الألفاظ كبرهان. وهو نفس موقف الغزالي في «إلجام العوام عن علم الكلام» والمضنون به على غير أهله». تكفي الشريعة لسلوك الناس. وهو طريق الأنبياء. وهي غير عقيدة أهل الكشف والوجود. ليس أمام العوام إلا التقليد^{٩٥} وقد اجتمع أربعة من العلماء، مغربي لديه العلم بالحامل القائم، ومشرقي لديه علم بالحامل المحمول اللازم، وشامي لديه علم الإبداع والتركيب، ويمني لديه علم التلخيص والترتيب. وهي الاتجاهات الأربعة مما يوحي بتعددية المنظور في العلم^{٩٦}.

واعتماد أهل الاختصاص بالنظر والكشف. ولا يفترق كثيراً عن علم الكلام الأشعري فيما يتعلق بنظرية المعرفة، وحدود العقل، واستحالة معرفة المطلق بالمقيد فيما يتعلق

^{٩١} «بيان آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق»، الإحياء ج ١، ٥١-٥٤.

^{٩٢} المحاسبي رسالة المسترشدين، ص ٧٧-٧٩.

^{٩٣} «عند أحمد بن حنبل أهل الكلام زنادقة، وعند أبي يوسف من طلب العلم بالكلام تزندق»، قوت القلوب ج ١، ٢٨٢.

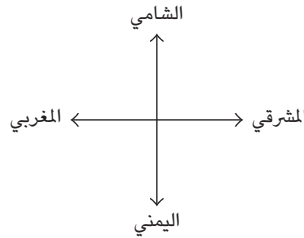
^{٩٤} الفتوحات ج ١، ٣٤-٣٥.

^{٩٥} «فهذه عقيدة العوام من أهل الإسلام أهل التقليد وأهل النظر ملخصة مختصرة»، السابق ص ٣٨.

وقد كتب فيها ابن عربي «رسالة المعلوم من عقائد أهل الرسوم».

^{٩٦} السابق، ٣٨-٤١.

بالموجود أو فيما يتعلق بالذات الإلهية أو الصفات أو الأفعال^{٩٧} هناك حكم إرادي وليس اختياري. ومع ذلك لا يوجب جبريل اختياراً ولا قضاء وقدراً بل كسباً وفعلًا حرًا. وتقوم المعرفة الكلامية على قياس الغائب على الشاهد. فمعرفة الشاهد أولاً ثم الغائب ثانياً. ثم بعد معرفة الغائب قد لا يلتفت إلى الشاهد. والتذبذب بين الاثنين يفقدهما معاً^{٩٨} والتوحيد القلبي أفضل من التوحيد في علم الكلام. الأول يقوم على الذوق، والثاني على الحجاج والمناظرة والمهاترة مع الخصوم. تنشأ المهاترة من التنافس من أجل الغلبة. والمقصود من المذاكرة طلب الفائدة. والمناظرة متوسطة بين المهاترة والمذاكرة^{٩٩} زلت أقدام المتكلمين، ونظروا في الآية بعقولهم، وهي لا تفهم إلا بالوجدان^{١٠٠}



^{٩٧} الفتوحات ج ١، ٤١-٤٧.

^{٩٨} «من عرف في الشاهد لم يخل بالغائب. ومن اعتنق الغائب لم يلتفت إلى الشاهد. ومن تذبذب بينهما فهو الساقط الهابط»، التوحيدي: الإشارات الإلهية، ص ٣٧٥.

^{٩٩} «عد بنا إلى متن التوحيد وإلى عمق المعرفة وإلى عقبان الوجد وإلى آخر مدى التوكل وإلى العلل العارضة في هذه الأحوال وإلى الواضحات الواردة بالأشكال وإلى المشكلات الصادرة بالداء العضال. فإن الخوض في هذه الأشياء أنفع من المهاترة فيما كنا فيه لأن الكلام مع الخصم من المهاترة والمناظرة والمذاكرة. فأما المهاترة فباب ينشأ من التنافس وإيثار الغلبة. وأما المذاكرة فالمقصود بها طلب الفائدة كالرأي المعروض على العقول المختلفة إلى أن يقع الاختيار عليه بعد الاتفاق. وأما المناظرة فمتوسطة بين المهاترة والمذاكرة قد تفضي إلى المنافسة وقد توجد بها الفائدة»، السابق، ص ١٠٨.

^{١٠٠} «هنا زلقت أقدام المتكلمين، وانتكست أعلام المتحذلقين ... ونظروا في الآية مستهزئين. وركنوا إلى عقولهم مفتخرين متمعزين فنكسوا على أعقابهم خائبين خاسرين»، السابق، ص ١١٢.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

يتردد العقل ويحترار لاكتشاف سر الحياة. في حين أن لغة الشكر قادرة على إبرازها^{١٠١} ويستمتع بها إلى هاتف الحقائق، والتحرر من عيوب العبودية.

(٤) علوم الظاهر وعلوم الباطن

وتقوم قسمة العلوم إلى علوم الظاهر وعلوم الباطن على قسمة أخرى بين الشريعة والحقيقة، بين أعمال الجوارح وأعمال القلوب، بين علوم الدنيا وعلوم الآخرة. علم الظاهر هو علم الراغبين في الدنيا والملابسين للأمر^{١٠٢} وأجمل حالات المؤمنين الظاهر. وهو ما تقتضيه الشريعة^{١٠٣} العلم ظاهر، والحقيقة باطن. ومن نظر إلى الخلق بعين العلم مقتهم وهرب إلى الله. ومن نظر إليهم بعين الحقيقة عذرهم.^{١٠٤}

وعلم الباطن له فضل على علم الظاهر^{١٠٥} هو علم القلوب لا الألسنة. لا تصدر عن الأعمال بل مقامات اليقين وصفات المتقين. وهو علم الخشوع والزهد الذي يخشاه الشيطان. والإخلاص أول حال العلم بالله بالعلم الباطن. ولا نهاية لمقامات العارفين ودرجات الصديقين. قد يؤدي علم الباطن إلى الزندقة أي خلط الأمر والنهي بمواجيد الأسرار كما يفعل أهل الأغاليط الذين هلكوا وأهلكوا. فعلم الباطن ذو حدين. لا يقوى عليه كل الناس. من أفشى سره اعتبره الناس زنديقاً.^{١٠٦}

وعلماء الباطن أفضل من علماء الظاهر. ومع ذلك يجتمع الفريقان على أن طلب الآخرة خير من طلب الدنيا^{١٠٧} كلا العلمين ضروري. وتظهر أولى درجات الطهارات في الباطن والظاهر وليس في الظاهر وحده الذي قد لا ينم عن الباطن، ولا في الباطن وحده

^{١٠١} «ارجع إلى لغات المطالبة بالشكر على إبراز جملة محشوة بالحياة. ثم انظر إلى حيرة العقل في سر هذه الحياة ... فالتفت إلى هاتف الحقائق ... فيهذا ونظائره تشرف على عيوب العبودية»، السابق، ص ٣٣٤.

^{١٠٢} قوت القلوب ج ١، ٣٢١.

^{١٠٣} التستري، ص ٢٨١-٢٨٣.

^{١٠٤} «من نظر إلى الناس بالعلم مقتهم. ومن نظر إلى الناس بالحقيقة رحمهم» شطحات الصوفية، ص ١٠٥-١٠٩.

^{١٠٥} فضل علم الباطن على الظاهر، قوت القلوب ج ١، ٢٨٣-٢٨٤.

^{١٠٦} التستري، ص ٣٨١.

^{١٠٧} السابق، ص ٢٩٣-٢٩٥.

لأنه يظل مستوراً. ومن لم يوازن ظاهره باطنه، وعقله قربه من الله فإن حلمه يكون مثل حلم البهائم! ومن لم يقم باطنه ظاهره صار باطنه منكوساً، أسيراً قلبه بيد العدو. وقامت جوارحه في المعصية. وصارت نفسه مالكة له تستعبده وتستخدمه، يضرب الشرق والغرب ويخدم نفسه^{١٠٨} فالباطن أصل الظاهر. الباطن جوهر والظاهر عرض وإلا تم أسر الإنسان بيد العدو، وفقد السيطرة على أعمال الجوارح وفقد الاتزان في العالم، ولم يركز إلا على نفسه وأهوائه. عبادة الله بالشرائع في الظاهر، ورؤيته في الباطن. علماء الظاهر زينة الأرض والملك. وعلماء الباطن زينة السماء والملكوت. علماء الظاهر أهل الخير واللسان، وعلماء الباطن أرباب القلوب والعيان. اللسان معقل الخبر، والقلب موضع النظر. علم الظاهر حكم، وعلم الباطن حاكم، والحكم موقوف على الحاكم.^{١٠٩}

والباطن أساس الظاهر والظاهر يقوم على أساس الباطن. وانتكاس الباطن انتكاس للقلب فيصبح أسيراً بيد العدو، وانجرفت جوارحه إلى المعصية، وتملكه النفس وتستعبده. وهذا ما حدث لليهود والنصارى والصابئة والمجوس والمشركين. يضربون الشرق بالغرب ويخدمون أنفسهم. من لم يكن له في حركاته وسكونه إمام في الظاهر يقتدي به ورجع إلى باطنه قطع به. فالباطن وحده لا يكفي. فعل الظاهر شكر للباطن كما أن الدنيا شكر للأخرة. الباطن باطن بالفطنة الأصلية. وهو موضع الفكرة، موافق للسنة وإلا كان باطلاً^{١١٠} وأفضل نعمة هي الإسلام في ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ ثم الختم أي البقاء عليه وعدم التحول عنه ثم القرآن بما فيه من فرائض وسنن وأحكام وحلال وحرام. وهذا هو الظاهر، ثم نعم الله على المؤمنين بفتح قلوبهم ومعاينة الغيب بلا حد ولا نهاية. وهذا هو الباطن.^{١١١}

وقد تتحول ثنائية الظاهر والباطن إلى ثنائية السر والعلانية فاستقبال وجه السر هو اليقين، واستقبال وجه الظاهر مع الباطن مشاهدة، وقيامه عليه رضا مع الاقتداء بالنبي. فما زالت الأخلاق الصوفية متمسكة بالسنة. والذكر هو القوة في السر، والسنة في العلانية^{١١٢} وفضل السر على العلانية لضعف في اليقين. فإذا كمل استوت الحالتان،

^{١٠٨} السابق، ص ٢٦٤.

^{١٠٩} قوت القلوب ج ١، ٣٢١.

^{١١٠} التستري، ص ٢٧٨، ٢٨٢.

^{١١١} السابق، ص ٢٩٨.

^{١١٢} السابق، ص ٢٨١-٢٨٣.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

الخلاء والملاء^{١١٣} ومن لم يوازن سره لا تصلح علانيته^{١١٤} فالبداية بالباطن قبل الظاهر. وكل من هم بشيء في سره ظهره في علانيته إلا أن يدركه العون الخارجي فيبقى في السر. فالسر بطبيعته حركة نحو العلن لأن الطبيعة هي اتفاق السر مع العلن. ولا يبقى السر سرًا إلا بإرادة خارجية. الدنيا عند العدو، والسر عند الحبيب. فالحبيب لا يفشي سرًا في حين أن العدو يظهر الدنيا^{١١٥} واستقبال وجه السر باليقين، واستقبال وجه الظاهر بالقبلة^{١١٦} فاليقين باطن، والقبلة ظاهر.

والظاهر والباطن ثنائية مثل الأحوال ولكنها في المعرفة وليست في الوجود. ويعادل في الوجود والغياب والحضور^{١١٧} ومن يعرف الباطن لا يلوم أحدًا. فحج الناس البيت ظاهر أم حج الباطن فإلى سكن الروح. الأول يهدي الأضاحي والثاني يعطي المهجة والدّم. الأول طواف بالبيت، والثاني طواف بالله^{١١٨} والظاهر والباطن يتجلّى في كل شيء^{١١٩} الظاهر اللفظ، والباطن التأويل. الظاهر صورة القصة، والباطن عظمتها^{١٢٠}

^{١١٣} السابق، ص ٢٨٧.

^{١١٤} السابق، ص ٢٩٢.

^{١١٥} السابق، ص ١٩٨.

^{١١٦} السابق، ص ٣٦٤.

^{١١٧}

فكيف، وكيف معروف بظاهره فالغيب باطنه للذات بالذات

الديوان، ص ٢٩٥.

^{١١٨}

يا لائمي في هواه كم تلوم فلو
لنّاس حج ولي حج إلى سكني
تطوف بالبيت قوم لا بجارحة
عرفت منه الذي عنيت لم تلم
تهدى الاضاحي وأهدي مهجتي ودمي
بالله طافوا فأغنّاهم عن الحرم

السابق، ص ٣٢٢.

^{١١٩}

وظاهراً باطناً تجلي لكل شيء بكل شيء

السابق، ص ٣٣٥.

^{١٢٠} عوارف المعارف، ج ١، ٢٥٤-٢٥٥، ٢٦٢.

الظاهر السماع، والباطن الفهم. لباس الظاهر لا يغير حكم الباطن^{١٢١} وعدم الإعجاب بالظاهر لأن الباطن قد خرب^{١٢٢} يلجأ الصوفي إلى الباطن دون الظاهر. فالعلم والزهد والتقوى، لكل منها ظاهر وباطن^{١٢٣} ويرزق العبد الحلاوة ليفرح بها فتمنعه من حقائق القرب.^{١٢٤} وفرق بين الدار وصاحب الدار على باب الدار صوت وصياح واضطراب خوفاً من صاحب الدار وشوقاً إليه وداخل الدار هيبة ووقار وسكون وتعظيم وأدب وتأدب.^{١٢٥} ويؤيد ذلك الحديث.^{١٢٦}

والتأويل للآيات التي تسمح بذلك. وهي الآيات التي تثير الخيال والصور المجازية مثل ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾. هو الظاهر لا كما ظهرت الظواهر، وهو الباطن لا كما بطنت البواطن.^{١٢٧} تعني الأول من يكشف عن أحوال الدنيا للابتعاد. الثاني والآخر أحوال الآخرة لعدم الشك فيها، والظاهر على قلوب الأولياء لمعرفة، والباطن على قلوب الأعداء لإنكاره.^{١٢٨} وقد تدل الآيات على أن الشطحات نابعة من القرآن بتأويل بعض الآيات لإعطائها غطاء شرعياً.^{١٢٩} مثل ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ ﴿وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبِقٍ﴾ ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾.

^{١٢١} أبو العباس الدينوري، طبقات الصوفية، ص ٤٧٧.

^{١٢٢} السابق، ص ٥١٥.

^{١٢٣} «يا شبيبة العلم اطلب في العلم العلم. فغير ما أنت فيه من العلم علم. ويا شبيبة الزهد، اطلب في الزهد الزهد. فغير ما أنت فيه من الزهد زهد. ويا شبيبة التقوى: اطلب في التقوى التقوى. فغير ما أنت فيه من التقوى تقوى»، شطحات، ص ٧١.

^{١٢٤} «يرزق العبد الحلاوة. فلفرحه بها يمنعه من حقائق القرب»، السابق، ص ١٠٢.

^{١٢٥} «على الباب صوت وصياح واضطراب من شوق صاحب الدار وخوفه. وفي الدار سكون وتعظيم وهيبة وأدب لمعرفة صاح الدار»، السابق، ص ١٣٠.

^{١٢٦} حديث «من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لا يعلم»، والعلم علمان: علم ظاهر وهو حجة الله على خلقه، وعلم باطن وهو العلم النافع»، السابق، ص ١١٢.

^{١٢٧} المواقف، ص ١٧٩.

^{١٢٨} شطحات، ص ١١٠.

^{١٢٩} عبد الغني النابلسي: في حكم شطح الولي، عبد الرحمن بدوي: شطحات الصوفية ص ١٩٩-١٩١.

التأويل حجاب لا ينظر إليه الله مع أنه كشف الأعماق، ومقت لا يعطف الله عليه مع أنه ضرورة لتجاوز التجسيم والتشبيه. ^{١٣٠} التأويل أداة إنسانية للمعرفة في حالة غياب العلم اللدني والكشف الرباني. القرآن يبني، والأذكار تغرس. ^{١٣١} البناء على السطح والغرس في العمق. ويبدأ التأويل بالتلاوة وفهم المعنى بالصوت والتأثر بموسيقى القرآن من أجل حفظه بالنهار بل لفهمه بتلاوة الليل. وليست فقط المغفرة هي الهدف بل المعرفة من أجل العمل. ^{١٣٢}

وفرق بين التفسير والتأويل. التفسير علم نزول الآية، شأنها وقصتها والأسباب التي نزلت فيها. وهو ليس للناس كافة إلا بالاعتماد على السماع والأثر. أما التأويل فصرف الآية إلى معنى محتمل يوافق الكتاب والسنة. ويختلف باختلاف حال المؤول من صفاء الفهم ورتبة المعرفة ودرجة القرب. التأويل سباق لأصحاب الهمم وكأنه يسمع الآية من المتكلم نفسه. ^{١٣٣}

ما أظهر الله شيئاً إلا ستره. وما ستر شيئاً إلا أظهره حتى لا يستوي علمان ولا معرفتان ولا قدرتان. فازدواجية الظاهر والباطن رؤية إلهية قبل أن تكون رؤية إنسانية. والوجود أيضاً متشابه. والقرآن أحد التجليات الإلهية والوجودية ^{١٣٤} لذلك أتى القرآن متشابهاً. فإذا أضاء على السرائر بإشراقه أزال من البشرية رعونتها ^{١٣٥} وعلم الله يشمل الظاهر والباطن، والعلن والسر فهو الذي أودع في الأشياء أوصافها ^{١٣٦} والعلوم في الله لا تنتهى ^{١٣٧} وكلام الخالق أزلي لا يفنى بفناء الأقلام والمداد. ويذكر منه للناس ما يفيدهم من معاني العبودية، والثواب والعقاب والوعد والوعيد على قدر عقولهم. أما

^{١٣٠} «إذا جاءك التأويل فقد جاءك حجابي الذي لا أنظر إليه ونعتي الذي لا أعطف عليه»، الموافق، ص ١٤٩.

^{١٣١} السابق، ص ١٨٣.

^{١٣٢} «تلاوة النهار باب إلى الحفظ. والحفظ باب إلى تلاوة الليل. وتلاوة الليل باب إلى الفهم. والفهم باب إلى المغفرة»، السابق، ص ١٩٤.

^{١٣٣} عوارف العارف، ج ١، ٢٥٥-٢٥٨.

^{١٣٤} أبو العباس القاسم اليساري، طبقات الصوفية، ص ٤٤٧.

^{١٣٥} أبو بكر محمد بن داود الدقي، السابق، ص ٤٩٩.

^{١٣٦} إنه يعلم الجهر من القول، ويعلم ما تكتُمون، التفسير، ص ١٣٠-١٣١.

^{١٣٧} السابق، ص ١٤٤.

الباطن والكمال فللأنبياء والأصفياء والأولياء^{١٣٨} وبلغة مجردة مقياس العدم في الوجود، في معنى وجوده. وليس مقياس الوجود في العدم^{١٣٩}.

(٥) علوم التنزيل وعلوم التأويل

علوم التنزيل هي علوم الفقه والشريعة والكتاب والسنة وأسباب النزول والقياس من أجل استنباط الأحكام الشرعية. وعلوم التأويل هي علوم التصوف التي تذهب إلى مواطن الأحكام ومصادرها الأولى. لذلك نشأ صراع بين أهل التنزيل وهم الفقهاء وأهل التأويل وهم الصوفية. ويمكن معرفة الوحي بالتنزيل كما يفعل الفقهاء أو بالتأويل كما يفعل الصوفية، بالظاهر أو الباطن، بالنص أو بالدليل، بالوضوح أو الخفاء^{١٤٠} وكل مناهج التأويل ضعيفة حتى المجازية منها. إنما الأقوى هو نزول الآية على القلب فتنبثق معانيها فيه كما يحدث للعارفين والمريدين^{١٤١} العبادة باللغة، والإشارة بالقلب^{١٤٢}.

والعلم ثلاثة: علم القرآن، وعلم السنن والبيان، وعلم حقائق الإيمان أي القرآن والسنة وما يستنبط منهما من حقائق الإيمان. فالتصوف إسلامي وليس أجنبياً، من الموروث وليس من الوافد. ويمكن جمعهما في علمين فقط: التنزيل والتأويل. والعلماء ثلاثة: أصحاب الحديث والفقهاء والصوفية. كل منهم يجمع بين العلم والعمل. لم يكن في هذا الوقت المبكر قد نشأ الصراع بين الفقهاء والصوفية، بين التنزيل والتأويل. وقد أتقن علماء الحديث في ضبط رواياتهم على ما هو معروف في علم الحديث^{١٤٣} في حين اقتصر أهل الحديث على الحفظ بالذاكرة تفوق عليهم طبقة الفقهاء لما لديهم من قدرة

^{١٣٨} قل لو كان البحر مداداً، التفسير، ص ١٢٧-١٢٨.

^{١٣٩} كما هو الحال عند بعض فلاسفة الوجود مثل هيدجر وسارتر.

^{١٤٠} «يدعوك الله إلى حظك، تارة بظاهر تنزيله، وتارة بباطن تأويله، وتارة على لسان رسوله وتارة بخافي دليله، وتارة بواضح سبيله ...» الإشارات ٣٢-٣٣.

^{١٤١} «وهذا تميز بلفظ مستعار ومجاز مستعمل وقول ضعيف. وإلا فالآية ظاهرة بسلطانها، عالية ببرهانها، راجعة إلى روح اليقين من العارفين وسلامة التسليم من المريدين»، السابق، ص ١٢٧.

^{١٤٢} السابق، ص ١٤١-١٤٢.

^{١٤٣} «في نعت طبقات أصحاب الحديث، ورسمهم في النقل، ومعرفة الحديث، وتخصيصهم بعلمه»، اللمع، ص ٢٥-٢٤.

على الفهم والاستنباط^{١٤٤} والصوفية أصحاب علم ومذهب وطريق وذو منزلة رفيعة من أولي العلم القائمين بالقسط^{١٤٥} يخرجون من الكتاب والسنة، ويقتدون بالرسول كأسوة حسنة، ويقتدون آثار الصحابة التابعين. وكما أن طبقة الفقهاء لما لديهم من قدرة على الفهم والاستنباط أعلى مرتبة من طبقة المحدثين. فإن طبقة الصوفية أعلى منزلة من الفقهاء لما لديهم من جمع بين العلم والعمل، وما خصوا به من الفضائل وحسن الشمائل. لا يأخذون بالرخص أو يحومون حول الشبهات بل يتمسكون بالأولى والعزائم^{١٤٦}.

وقد خص الصوفية بمعانيهم وآدابهم وأحوالهم وعلومهم التي تفردوا بها عن المحدثين والفقهاء^{١٤٧} وذلك مثل القناعة، والفقر والجوع، والتواضع، والشفقة، والإيثار، وحسن الظن، والإخلاص والمسارة في الخير، والتوجه إلى الله، والعكوف على بلائه، والرضا بقضائه، والصبر على المجاهدة، ومخالفة الهوى وحفظ النفس، ومراعاة الأسرار، واختيار الموت على الحياة. التصوف إذن هو ممارسة مجموعة من الفضائل. وقد خص الصوفية بالمقامات والأحوال، بالتوبة والورع والتوكل والرضا، والصبر، والخشية والخوف والخضوع والمحبة، والرجاء، والشوق والشهادة، والإنابة، والطمأنينة، واليقين، ومعرفة النفس، والعوارض والعوائق والعلائق والحجب^{١٤٨}.

وينكر التصوف على أهل الظاهر أنهم لم يعرفوا من الكتاب إلا ظاهره، ولا من الحديث إلا الأحكام للاحتجاج على المخالفين وطلباً للجاء والرياسة^{١٤٩} الشريعة رواية ودراية. ظاهرها بالرواية، وباطنها بالدراية^{١٥٠} ويزعم بعض المتفكحة أن الصوفية جهلة

^{١٤٤} «ذكر طبقات الفقهاء وتخصيصهم بما ترسموا به من أنواع العلوم، السابق، ص ٢٦-٢٧.
^{١٤٥} البيان عن علم التصوف، ومذهب الصوفية، ومنزلتهم من أول العلم القائمين بالقسط» السابق، ص ٢١-٢٣.

^{١٤٦} «ذكر الصوفية وطبقاتهم، وما ترسموا به من العلم والعمل، وما خصوا به من الفضائل وحسن الشمائل»، اللمع، ص ٢٨.

^{١٤٧} «ذكر تخصيص الصوفية بالمعاني التي قد ترسموا لها من الآداب والأحوال والعلوم التي تفردوا بها من جملة العلماء»، السابق، ص ٢٩-٣٠.

^{١٤٨} «تخصيص الصوفية من طبقات أهل العلم في معان آخر من العلم»، السابق، ص ٣١-٣٣.
^{١٤٩} «والناس في زماننا هذا إلى مثل ذلك أميل لأنه أقرب إلى طلب الرياسة واتخاذ الجاه عند العامة والوصول إلى الدنيا»، اللمع، ص ٣٣.

^{١٥٠} «إثبات علم الباطن، والبيان عن صحة ذلك بالحجة»، السابق، ص ٤٣-٤٤.

وليس للتصوف مصدر من الكتاب أو السنة^{١٥١} ولا يوجد شاهد من كتاب أو سنة على ذلك. ويعترض الصوفية على هؤلاء وبيان أهمية الفقه في الدين. إنما يحتاج الفقه أن يجتمع بالزهد، ويكون الفقيه الزاهد هو الجامع بين الفقيه والصوفي، بين أعمال الجوارح وأعمال القلوب، بين أحكام الظاهر وأحكام الباطن. الفقه له نهاية، والتصوف لا نهاية له^{١٥٢} لكل علم أهله دون أن ينكر فريق علم الفريق الآخر. والكل إلى رسول الله فلا تضارب بين العلوم بل توزيع الاختصاصات بينها.^{١٥٣}

وبالإضافة إلى التفاسير الكبرى مثل تفسير القرآن العظيم للتستري، و«لطائف الإشارات» للقشيري، و«تفسير ابن عربي» هناك بعض الملاحظات الجزئية على تفسير الصوفية في أقوالهم مع بعض التطبيقات العملية لتفسير بعض الآيات المتناثرة لاستخراج بعض الموضوعات الصوفية منها خاصة المقامات والأحوال. فبالنسبة لمنهج التفسير يمكن قراءة القرآن بثلاث نيات: بدون الله أو للختم أو لاستخراج العلم^{١٥٤} بدون الله ميزته أنها قراءة إنسانية اجتماعية طبيعية خالصة وليست قراءة عقائدية دينية غيبية. والختم قد يكون حفظاً دون فهم كما يفعل الصبية أو الكبار قارئو القرآن على المقابر. واستخراج العلم هو الأفضل، ليس العلم الطبيعي بل العلم الإنساني.

ولا يقرأ القرآن بعد قيام الليل. إنما يقام الليل إلى الله أولاً وليس إلى ورد معلوم أو جزء مفهوم. ويقف العبد أمام الله وجها لوجه، ويتحداثان ويتفاهمان. فالصوفي يعود إلى المصدر الأول دون وساطة القرآن. وينصرف أهل الورد وأهل الجزء ويبقى أهل القيام^{١٥٥} وصفوة القرآن موضع الأسامي. فالقرآن له قلب وهي الأسماء. الأسماء

^{١٥١} «الرد على من زعم أن الصوفية قوم جهلة، وليس لعلم التصوف دلالة من الكتاب والأثر». للمع، ص ٣٤-٣٥.

^{١٥٢} «ذكر اعتراض الصوفية على المتفقهة، وبيان الفقه في الدين ووجه ذلك بالحجة»، السابق، ٣٨-٣٩.

^{١٥٣} «ذكر التخصيص في علوم الدين، وتخصيص كل علم بأهله، والرد على من أنكر علما برأيه، ولم يدفع ذلك إلى أهله وإلى من يكون ذلك من شأنه»، السابق، ص ٣٨-٣٩.

^{١٥٤} التستري، ص ١٥٤.

^{١٥٥} «يا عبد تريد قيام الليل، وتريد توقر أجزاء القرآن. هناك لا تقوم. إنما يقوم الليل من قام إلى لا إلى ورد معلوم ولا إلى جزء مفهوم. هنالك ألقاه بوجهي فيقف بقيوميته. لا يريد لي ولا يريد مني. فإن شئت أن أحادثه حادثته. وإن شئت أن أفهمه أفهمته. انصرف أهل الورد حين بلغوه. وانصرف أهل الجزء من القرآن حين درسوه. ولم ينصرف أهلي فكيف ينصرفون؟»، المخاطبات، ص ٢٦٧.

تجليات للذات في صفات ومصدر الأفعال في نظرية الذات والصفات والأفعال. ولا يوجد صوفي إلا وعبر عن تجاربه الإنسانية من خلال شرح الأسماء مثل القشيري والغزالي.^{١٥٦} ليس التفسير علماً نظرياً فحسب بل هو أيضاً علم عملي. فالقرآن هو المطهر عن دنس الأكوان. هو أحسن الأسرار. وله الشرف على سائر الكلام^{١٥٧} وتعليم الرحمن القرآن يعني تعليم الأرواح شفاهاً ومخاطبة في الأنفس وبطريق الوسائط^{١٥٨} فالقرآن عالم شعوري وليس عالماً تصورياً. وقد تكون الاستعاذة من الشيطان لا قيمة لها لأنه لا يستطيع زحزحة كلام الحق^{١٥٩} فالأمر نفسي وليس موضوعياً ولكل حرف تفسير في البسمة. باسم الله الهبة، والرحمن العون والنصرة، والرحيم المحبة والمودة. وهي معاني متميزة لا تفوت على العارف. هي علوم الوجود لا علوم الوجود.^{١٦٠}

والتفسير الجزئي نتيجة للاستفسار عن معنى بعض الآيات المتناثرة التي تثير بعض التشابه أو التي تحتاج إلى تأويل لبعض السور الرمزية^{١٦١} ومع ذلك يمكن تجميعه في عدة موضوعات مثل التفسير الموضوعي للقرآن في التصوف الخلقي والتصوف النفسي والتصوف النظري. فمن التصوف الخلقي مثل تفسير وشروه ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ ويعني خاصة ثمن الشراء ثم تعميمه إلى المعرفة ومشاهدة الله بثمر الكونين^{١٦٢} فالتفسير هو تعميم الخاص إلى العام. وتتحول آية ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ إلى تجربة صوفية، قلة المتاع في الدنيا وعظمة الحصيلة في الآخرة. وتحويل اتجاه الآية إلى أعلى مثل العمل الصالح ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾^{١٦٣} وقد يكون التفسير للتعيين، تعيين بركات السماء والأرض بخير الدنيا والآخرة ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا

^{١٥٦} التستري، ص ٢٨٨.

^{١٥٧} والقرآن المجيد، شيء عجيب، الحلاج: التفسير، ص ١٤٦.

^{١٥٨} الرحمن علم القرآن، السابق، ص ١٤٨.

^{١٥٩} طبقات الصوفية، ص ٤٩٢.

^{١٦٠}

إذا ما وجود الناس فأت علومهم فعلمي لوجدي صاحب وفيرين

السابق، ص ٢٦٩.

^{١٦١} التستري، ص ١٧٥.

^{١٦٢} السابق، ص ٣٨٠-٣٨١.

^{١٦٣} السابق، ص ٣٧٩، ٤٠٠.

وَأَتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴿١٦٤﴾ وَيَسْتَشْهَدُ عَلَى الصَّدَقِ بِآيَةِ ﴿لَيْسَ أَلِ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾^{١٦٥} وقد يتطلب الصدق إعلان عدم المعرفة بالجواب ﴿مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾^{١٦٥} والإيمان هو المعرفة، وإحباط العمل عدم قبول الخدمة في آية ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾^{١٦٦} والتقوى تؤدي إلى الإيمان والإخلاص بنص آية ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يَدْعُونَ﴾^{١٦٦} والتقوى هو معنى في آية ﴿اللَّهُ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾^{١٦٧} وقد لا يحتاج استعمال الآية إلى تأويل كالخشوع في الصلاة في آية ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾^{١٦٨} وعلامة العارف فساد الملوك في القرى ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾^{١٦٩} (٣٤).

ومن التصوف النفسي تظهر بعض المقامات والأحوال على العموم أو على الخصوص مثل بكاء الفرح في آية ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾. وبكاء الأسف من آية ﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا﴾^{١٧٠} والإشارة إلى الطريق في آية ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾^{١٧١} وحالة الجمع في قول ﴿أَفَلَا قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾^{١٧٢} وتدبر القراءة في آية ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾^{١٧٣} والتوكل استسلام لله بدليل ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾. وهو فريضة ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ والحركة من أجل الكسب

^{١٦٤} السابق، ص ٤١٢.

^{١٦٥} أبو بكر بن أبي سعدان، طبقات الصوفية، ص ٤٢١.

^{١٦٦} جعفر بن محمد، السابق، ص ٤٣٩.

^{١٦٧} السابق، ص ٤٨١.

^{١٦٨} السابق، ص ٥١٤.

^{١٦٩} شطحات الصوفية، ص ١٦٥.

^{١٧٠} بندار بن الحسين الشيرازي، طبقات الصوفية، ص ٤٦٨-٤٦٩.

^{١٧١} أبو بكر الطمستاني، السابق، ص ٤٧٣.

^{١٧٢} أبو العباس الدينوري، السابق، ص ٤٧٧.

^{١٧٣} أبو عثمان المغربي، السابق، ص ٤٨١.

مباحة ﴿أَمَّنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾. والحب بلوى من المحبوب للحبيب بدليل ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ فالمحبوب هو الذي يبدأ^{١٧٤} والصوفي لا يكتفي بالشراب ويطلب ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾.^{١٧٥}

ومن التصوف النظري نسبة تحقق العبودية ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ والنسبة إلى آدم تدخل في مقام الظلم والجهل ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾^{١٧٦} والحق ثقيل على القلب ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾^{١٧٧} والله يظهر الغائب، ويغيب بدليل ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^{١٧٨} والعزة لله وللإنسان ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾^{١٧٩} والجمع بين إرادتين في ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾. والله هو الذي يحمل الصوفي المسافر ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ﴾^{١٨٠} ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ إقرار بالملك، ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ إقرار على النفس بما لها^{١٨١} ولا يفهم الله إلا بالله. فالله هو الموضوع والمنهج.^{١٨٢}

وفي الأخريات، حسية الجنة استمرار لحسية الدنيا ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ﴾^{١٨٣} ومن أراد الآخرة دعاه الله إلى قربه ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾.^{١٨٤} وأحياناً يكون حساب الثواب كما ﴿مَنْ جَاءَ

^{١٧٤} السابق، ص ٤٦٦.

^{١٧٥} شطحات الصوفية، ص ١٧٣.

^{١٧٦} طبقات الصوفية، ص ٤٨٦-٤٨٧.

^{١٧٧} السابق، ص ٤٦٨-٤٦٩.

^{١٧٨} السابق، ص ٤٤٥-٤٤٦.

^{١٧٩} السابق، ص ٤٩٠-٤٩١.

^{١٨٠} السابق، ص ٥١٧.

^{١٨١} ﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ السابق، ص ٧٣.

^{١٨٢} «اللهم افهمني عنك فأني لا أفهم عنك إلا بك»، السابق، ص ٢٠٩-٢٢٥.

^{١٨٣} أبو الحسن البصري، طبقات الصوفية، ص ٤٩٠-٤٩١.

^{١٨٤} أبو عبد الله الروزباري، السابق، ص ٤٩٩.

بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا» وأحياناً أخرى كيفاً^{١٨٥} وفي بداية الخلق آدم له صفتان: آدم الذي غوى ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ وآدم المصطفى ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ﴾.^{١٨٦} ويخضع تأويل الحديث مثل تأويل القرآن لنفس المنطق مع تأويل لبعض الألفاظ مثل تأويل لفظ «الأبله» في حديث أكثر أهل الجنة البله» بأن في دنياه هو الفقيه في دينه^{١٨٧} وتأييد للاعتراف بالإحسان حديث «جبلت القلوب على حب من أحسن إليها»^{١٨٨} والصوفي شاهد الله في الأرض «أنتم شهداء الله في الأرض» وشرط الصوفي ألا يعلم الآخرون عنه أنه كذلك، وألا يطلع على سره أحد الخلق^{١٨٩} وحديث الله كالثلج في الصيف. وجوده غريب وبقاؤه أغرب.^{١٩٠}

ويفوق الصوفية أهل الكتاب في التأويل. فعندما سأله الراهب عن العدد الاثني عشر، والرهبان هم أهل التأويل، أجاب بأن الواحد هو الله، والاثنان الليل والنهار، والثلاث الطلاق ثلاث مرات، والأربع الكتب المقدسة، التوراة والإنجيل والزبور والقرآن، والخمس الصلوات، والست الأيام، والسبع السموات، والثمان حملة العرش، والتسع مدة الحمل، والعشر الكرام البررة، والحادي عشر إخوة يوسف، والثاني عشر السنة.^{١٩١}

حامل القرآن لا يحتاج إلى شيء من الخلق بما في ذلك الخلفاء والسلطين، بل الخلق في حاجة إليه. وقد يعني العلم والقدرة على التصرف والحكمة. أما إن كان يعني الحصول على قدرات خارقة للعادة سحرية تجعله قادراً على كل شيء فيكون أقرب إلى التصور الشعبي للتأويل^{١٩٢} والتباعد عن القراء مستحب لأنهم إن أحبوا أحداً مدحوه بما ليس فيه. وإن أبغضوه شهدوا عليه وقبلت شهادتهم^{١٩٣} هم مداحو السلطان، وسوطه على الناس.

^{١٨٥} أبو عبد الله الدينوري، السابق، ص ٥١٧.

^{١٨٦} السابق، ص ٤٨٩.

^{١٨٧} طبقات الصوفية، ص ٤٨١-٤٨٢.

^{١٨٨} السابق، ص ٥٠٦.

^{١٨٩} «ما هذه السعاية التي سعت بي إلى خلق الله؟ أتريد أن يفشو سري مع الله خلق الله» شطحات، ص ١٣٧.

^{١٩٠} السابق، ص ١٨١.

^{١٩١} السابق، الشطحات، ص ٢٢٠.

^{١٩٢} الفضيل بن عياض، طبقات الصوفية، ص ١٠، ١١.

^{١٩٣} بشر الحافي، السابق، ص ٤٤.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

والشاطر السخي أفضل من القارئ اللئيم لأن السخاء فضيلة، واللؤم رذيلة. وللقرآن مفتاح يختلف من صوفي إلى آخر، آية أو لفظ أو حدس أو توجه. وقد يظل الصوفي عشرين عامًا حتى يعثر عليه^{١٩٤} ويفهم من القرآن أحيانًا التهديد بلطف للمعارض مثل آية ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ وهو ليس تهديدًا بل إعلان ختم النبوة واكتمال الوحي، وأن المراحل السابقة كلها تصب في المرحلة الأخيرة كما هو الحال في اللاهوت المسيحي عندما تصب رسالات أنبياء إسرائيل السابقين في شخص عيسى نبيًا و«إلهًا»^{١٩٥}. وبعد قراءة القرآن قد يحار العقل في آية. أما حفاظه فكيف يهنا لهم البال وينامون ملء الجفون ويشتغلون بأمور الدنيا وهم لا يفهمونه. فإذا فهموا وعرفوا حقه وتمتعوا وناجوا به لما ناموا فرحًا بما رزقوا ووفقوا^{١٩٦} القرآن فهمه وليس تلاوته. وهو أيضًا دافع على السلوك الفاضل. فإذا دنا القارئ من معصية يتحدث القرآن في جوفه ويسأله لماذا حملة؟^{١٩٧}

وقد يستغل كلام صوفي على صوفي آخر نظرًا لاختلاف درجاتهما في المعرفة ولتباينهما في الحالات النفسية^{١٩٨} يتكلم صوفي من بحر صفاء الأحوال. ويتكلم آخر من صفاء المنة. الأول مزج، والثاني صرف. الأول بينية بين الأنا والأنت، والثاني هوية بين الأنا والأنا أو الأنت والأنت.^{١٩٩}

(٦) علوم السلف وعلوم الخلف

وتصنف العلوم طبقًا لمسار التاريخ من الماضي إلى الحاضر، ومن السلف إلى الخلف. فالعلوم تسعة، أربعة صحيحة من السلف، وخمسة محدثة من الخلف. والسلف خير

^{١٩٤} هي آية ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾، وما عند الله خير وأبقى، عند شقيق البلخي، السابق، ص ٦٤.

^{١٩٥} أبو سليمان الداراني، السابق، ص ٨٠.

^{١٩٦} أحمد بن أبي الحواري، طبقات الصوفية، ص ١٠٢.

^{١٩٧} عبد الله بن خبيق الأنطاكي، طبقات الصوفية، ص ١٤٣.

^{١٩٨} «نكص على عقبك في كلامك قليلا حتى أعرف ما تقوله»، شطحات، ص ٧٣.

^{١٩٩} «نعم القوم، تكلموا من بحر صفاء الأحوال. وأنا أتكلم من بحر صفاء المنة. فتكلموا ممزوجا وأتكلم صرفا. كم بين من يقول: أنا وأنت وبين من يقول: أنت انت»، السابق ص ١٠٣.

من الخلف، ولا تجديد في العلوم. الأربعة القديمة: علم الإيمان، وعلم القرآن، وعلم السنن والآثار، وعلم الفتاوى والأحكام. والإيمان ليس علمًا. والقرآن والحديث علمان نقليان. والآثار علم يخضع للروايات مثل الحديث. وعلم الفتاوى والأحكام علم الفقه وهو علم نقلي. والخمسة المحدثه: النحو، والعروض، والمقاييس، والجدل في الفقه، وعلم المعقول بالنظر، وعلم علل الحديث وتطريق الطرقات إليه، وتعليل الضعفاء، وتضعيف النقلة للآثار. وقد نشأ كل علم طبقاً لمقتضيات العصر، النحو لوضع قواعد للكلام، والعروض لوضع بحور للشعر، والمقاييس لوضع قواعد للتفكير، والجدل لوضع مناهج لإفحام الخصوم، والمعقول للرد على الفرق غير الإسلامية، وعلم العلل لاستنباط الأحكام وهو علم أصول الفقه، وتضعيف النقل هو علم النقد التاريخي، وعلم القصص بدايات علم التاريخ.^{٢٠٠}

وفي قسمة أخرى ينقسم الكلام إلى سبعة أقسام، العلم واحد منها. فالعلم جزء من الكلام. وباقي الستة لغو. والعلم السابع هو القرآن والسنة، ما دل عليهما أو استنبط منهما أو ما وجد اسمه ومعناه من قول وفعل. والتأويل المتفق مع الإجماع داخل في الاستنباط من الكتاب. القرآن هو العلم الأول والأخير. وأصبح المتكلم هو نموذج العالم، كلام البدع وعلم المنافقين، المعروف منكر والمنكر معروف^{٢٠١} ومن البدع البيع والشراء على الطريق، وكثرة المساجد في مكان واحد، وملؤها بالنقوش والتزويق في السقوف والأبواب، والمحمل والقباب، وعلم الحروف، والتضييق والتوسيع على الناس مثل القبض والبسط. وتنتشر العلوم من المنافقين والمبتدعة أو المشركين لأنها نتيجة ذهن وثمره العقل. أما علم الإيمان واليقين فلا يأتي إلا عن مشاهدة ومكاشفة. وعلم التوحيد والصفات مابين لسائر العلوم. الاختلاف في ظاهر العلوم رحمة، وفي علم التوحيد ضلال وبدعة. الخطأ في الظاهر مغفور، وفي التوحيد كفر. والمغالون هم الشاطحون. جاوزوا العلم ومحو الرسم، وأسقطوا الحكم. والمبطلون هم المدعون المبتدعون. جادلوا بالباطل لدحض الحق. وافتروا بالدعوى، وابتدعوا بالرأي والهوى. والجاهلون هم المنكرون لغرائب العلم المغترون بظاهر العقل. أهل العلم بالله يردون علوم العقول إلى علم اليقين، وعلم الرأي إلى علم السنة. ويثبتون الآثار، ويؤيدون نقله بالأخبار.

^{٢٠٠} «تفصيل العلوم، معروفها وقديمها، ومحدثها ومنكرها»، قوت القلوب ج ١، ٣٣٩-٣٥٢.

^{٢٠١} حديث «إن الله تعالى يبغض الثرثارين والمتشدقين».

العلم ما كان عليه السلف الصالح المقتفاة آثارهم، والخلف التابع المقتدى بهديهم، الصحابة وأهل السكينة والرضا، والتابعون لهم بإحسان من أهل الزهد. العلماء ورثة الأنبياء هم الورعون في الدين، الزاهدون في الدنيا، الناطقون بعلم اليقين والقدرة لا علم الرأي والهوى، الصامتون عن الشبهات والآراء. وهم الأبدال في أطراف الأرض، المستترون عن أعين الجمهور. لا يطيقون النظر إلى علماء الزمان ولا الاستماع إلى كلامهم^{٢٠٢} العلم عند أهل السلف علم الحال وهو علم الخبر. فالسؤال عن الخبر سؤال عن الحال^{٢٠٣} ثم ابتدعت علوم عند السلف مثل علم الكلام والجدل، وعلوم المقاييس والنظر، والاستدلال على الحديث بأدلة الرأي والمعقول، وإيثار علم العقل والرأي والقياس على ظواهر القرآن والأخبار وإظهار الإشارات بالمواجيد من غير علومها ولا تفصيلها^{٢٠٤} في حين أظهر القدماء علوم المواجيد وأخفوا الإشارة بالوجد لإظهار ما ينفع وإخفاء ما يضر. كانوا يسكتون عما خالف الكتاب والسنة مثل الكلام في التوحيد بما يخالف الشرع مثل الشطحات. وكذلك الكلام في الدين بالوساوس والخطرات دون مواجيدها، ووضع السجع في الدعاء، وإدخال القصص، وأخذ القرآن بالإرادة، وضرب الآيات بعضها ببعض، والتلحين في القراءة، وعدم فهم التلاوة، وتلحين الأذان، والتشديد في أشياء كان السلف يسهل فيها، والتدقيق في القياس والنظر والنحو، والتسهيل في المكاسب، وبيع المصحف أو شراؤه، ودخول النساء الحمام من غير ضرورة.^{٢٠٥}

(٧) علوم الدنيا وعلوم الآخرة

هناك فرق بين العلم بالله، والعلم بأمر الله. الأول العلم بالحقيقة والثاني العلم بالشرعية. وهي نفس التفرقة بين علماء الآخرة وعلماء الدنيا. وكم من عالم فاجر، وعابد جاهل، مما يستدعي انتقاء الفاجر من العلماء والجاهل من المتعبدین.

^{٢٠٢} «تفضيل علم الإيمان واليقين على سائر العلوم والتحذير من الزلل فيه»، قوت القلوب ج ١، ٣٥٩-٣٥٣.

^{٢٠٣} «كشف طريق علماء السلف الصالح من علماء الدنيا والآخرة»، السابق، ج ١، ٢٦٧-٢٧٤.

^{٢٠٤} «وصف العلم وطريقة السلف واذم ما أحدث المتأخرون من القصص والكلام»، السابق ص ٢٧٩-٣٣١.

^{٢٠٥} «ما أحدث الناس من القول والفعل فيما بينهم مما لم يكن عليه السلف»، السابق ص ٣٣١-٣٣٨.

وقد تبدو القسمة ثلاثية إضافة التقوى والخوف في أخلاق العالم. حينئذ يكون العلماء ثلاثة: عالم بالله وبأمر الله وهو العالم الكامل. وعالم بالله وهو التقى الخائف، وعالم بأمر الله دون الله وهو العالم الفاجر. الأول عالم بالله، والثاني عالم لله، والثالث عالم بحكم الله. الأول هو العارف الموقن. والثاني هو العالم بالإخلاص والأحوال والمعاملات. والثالث العالم بتفصيل الحلال والحرام. الأول العالم بالله لا بأمره ولا بأيامه وهم المؤمنون. والثاني العالم بأمر الله لا بأيامه وهم المفتون في الحلال والحرام. والثالث العالم بالله وبأيامه وهم الصديقون. ويكون طلاب العلم ثلاثة. الأول للعمل به. والثاني ليعرف الاختلاف فيتورع ويأخذ بالاحتياط. والثالث ليعرف التأويل ويجعل الحرام حلالاً. وفي قسمة أخرى طلاب العلم ثلاثة، علم الورع مخافة الاشتباه وهو الزاهد التقى، وعلم الاختلاف والأقاويل فيسقط الواجبات، ويتوسع ويترخص. والثالث يسأل عن شيء فيقال لا يجوز فيبحث عن حيلة حتى يجوز بناء على الاختلاف والشبهة. وإذا جمع المتعلم ثلاثاً تمت النعمة عليه: الصبر، والتواضع، وحسن الخلق. وقد تكون القسمة رباعية بين العلماء والخائفين والمحبين والمؤثرين لله. الناس موتى إلا العلماء، والعلماء إلا الخائفين، والخائفون منقطعون إلا المحبين، والمحبون أحياء شهداء وهم المؤثرون لله.^{٢٠٦}

وعلمو الدنيا أساس علوم الدين. ولا نظام للدين إلا بنظام الدنيا^{٢٠٧} وعندما تعرض للعالم مشكلات في الدين يحتاج إلى العارف عند حدوث شبهات في الصدر. فعالم الآخرة هو عالم الدين.

وتنقسم أعمال الدنيا إلى ثلاثة أقسام. الأول أصول وهي أربعة، الزراعة للمطعم، والحياسة للملبس، والبناء للمسكن، والسياسة للاجتماع والتعاون على أسباب المعيشة. والثاني فروع هذه الأصول لخدمتها مثل الحدادة للزراعة، والحلاجة والغزل للحياسة. والثالث المتمم للأصول والفروع مثل الطحن والخبز للزراعة، والقصاصة والخياطة

^{٢٠٦} الفرق بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة، وذم علماء السوء الأكليين بعلومهم الدنيا، السابق، ج ١، ٢٨٥-٢٩٦.

^{٢٠٧} «إن مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا. ولا نظام للدين إلا بنظام الدنيا. فإن الدنيا مزرعة للآخرة. وهي الآلة الموصلة إلى الله عز وجل لمن اتخذها آلة ومنزلاً لا لمن يتخذها مستقراً ووطناً. وليس ينتظم أمر الدنيا إلا بأعمال الآدميين وأعمالهم وحرفهم وصناعاتهم» الإحياء ج ١، ١٩-٢٠.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

للحياكة^{٢٠٨} وأشرفها السياسة لإرشاد الخلق. ويعرف شرف الصناعات بثلاثة أمور، بالغريزة وسيلة المعرفة مثل فضل العلوم العقلية على اللغوية. فالحكمة بالعقل واللغة بالسمع والعقل المشرق من السمع. وبالنظر إلى عموم النفع كفضل الزراعة على الصباغة وبملاحظة المحل كفضل الصباغة على الدباغة.

وعلوم الآخرة أربع مراتب: الأولى السياسة العليا للأنبياء وحكمهم على الظاهر والباطن للخاصة والعامة. والثانية للخلفاء والملوك والسلاطين وحكمهم على الظاهر للخاصة والعامة. والثالثة للعلماء وحكمهم على الباطن وحده للخاصة دون العامة. والرابعة للوعاظ وحكمهم على بواطن العوام. وتدرك العلوم الدنية، فقه الآخرة بكمال العقل وصفاء الزكاء. والعقل أشرف ما في الإنسان، وعموم نفعه، وشرق المحل وهو قلب البشر ونفوسهم. وعلوم الآخرة تنقسم أيضًا إلى علم المعاملة وعلم المكاشفة، الأول علم العمل، والثاني علم النظر. ثم ينقسم علم المعاملة إلى علم ظاهر يتعلق بأعمال الجوارح، وعلم باطن يتعلق بأعمال القلوب. وأعمال الجوارح إما عادة وإما عبادة. وعلم القلوب ينقسم إلى مذموم ومحمود.

وللعالم خمس علامات من علماء الآخرة: الخشية، والخضوع، والتواضع، وحسن الخلق، والزهد. ويتقضي التفقه في الدين النذارة والحذر لأنه يقيس الغائب على الشاهد. وعلم الآخرة من الذكر. وهو علم المشاهدة. والمشاهدة صفة عين اليقين. وإذا هرب العالم من الناس يؤتى إليه. وإذا طلب العالم الناس يفر منه.^{٢٠٩}

(٨) علم العقل، وعلم الأحوال، وعلم الأسرار

وتنقسم العلوم إلى ثلاثة: علم العقل، وعلم الأحوال، وعلم الأسرار. يحصل علم العقل ضرورة بعد النظر في الدليل والعتور على وجه الدليل وشبهه في عالم الفكر. ومن النظر صحيح وفساد. ويحصل علم الأحوال بالذوق. لا يحده عاقل ولا يعرف بدليل بل بالتجربة وحدها والذوق. وهو متوسط بين علم العقل وعلم الأسرار وإن كان أقرب إلى علم الأسرار وإلى علم العقل الضروري عند من شاهده، وأبعد عن علم العقل النظري.

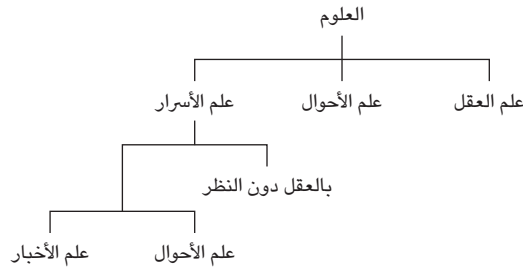
^{٢٠٨} وذلك مثل بدن الإنسان الأصول كالقلب والكبد والدماغ وفروع خاصة لها كالمعدة والعروق والشرابين والأعصاب والأوردة، ومكملة ومزينة لها كالأظافر والأصابع والحاجبين.

^{٢٠٩} السابق، ج ١، ١٠-١١، ٢١.

أما علم الأسرار فإنه فوق العقل، من نفث الروح القدس في الرّوع. يختص به النبي والولي. وينقسم بدوره إلى علمين: الأول يحصل بالعقل دون النظر لمجرد مرتبته. والثاني ينقسم إلى قسمين. الأول علم الأحوال ولكنه أشرف. والثاني علم الأخبار ويحتمل صدقاً وكذباً. وصدقه من صدق المخبر وعصمته مثل الأخبار الواردة عن الأنبياء عن القيامة والجنة والحوض ووجود الله ولا شيء معه. وهو أشرف العلوم لأنه حاو لجميع العلوم^{٢١٠} لا يرفضه الذكي. يكفيه احتماله وجوازه. صدقه في نفسه بالرغم من صدق قائله. ينفع قبوله، ويضر نفيه. لا يبطل أركان الشريعة أو أصلاً من أصولها. ينال بالشهادة والإلهام. لا يطعن فيه متكلم أو فيلسوف أو فقيه لأنه يعتمد أيضاً على إدراك العقل الحدسي دون النظري. قد يصعب على الفهم من أجل العبارة. لذلك تستعمل الأمثلة والمخاطبات الشعرية للتعبير عنه.^{٢١١}

والطريق إلى علم الأسرار للخاصة وليس للعامة على أربع شعب: بواعث ودواع وأخلاق وحقائق. وعليهم ثلاثة حقوق: حق الله وهو عبادته، وحق النفس وهو سلوك طريق سعادتها، وحق الخلق وهو كف الأذى عنهم. والدواعي خمسة: الهاجس وهو الخاطر، والإرادة، والعزم، والهمة والنية. والبواعث عليها ثلاثة، رغبة ورهبة وتعظيم. والرغبة اثنان، مجاورة ومعاينة. والرغبة من العذاب ومن الحجاب. والأخلاق ثلاثة أنواع:

٢١٠ الفتوحات ج ١، ٣١-٣٣.



٢١١ وهو علم الخضر مع موسى. وفيه قال الرضا من حفدة علي:

يا رب جوهر علم لو أبوح به لقليل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال ملمون دمي يرون أقبح ما يأتونه حسنا

السابق، ج ١، ٣٢.

متعد، وغير متعد، ومشارك. والمتعدي لجلب منفعة أو لدفع مضرة. والحقائق أربعة، الذات والصفات والأفعال والمفعولات وهي الأكوان. وهي على ثلاث مراتب، علوية وهي المعقولات وسفلية وهي المحسوسات وبرزخية وهي المخلبات. الذاتية من غير تشبيه ولا تكييف ولا عبارة ولا إشارة، والصفاتية هي الأسماء والصفات المختلفة والمتقابلة والمتماثلة، والكونية معرفة الأرواح والبسائط والأجسام والاتصال والانفصال، والفعلية كن فيكون والقدرة. وكلها الأحوال والمقامات. فالمقام صفة للبقاء فيها مثل التوبة. والحال صفة للبقاء في وقت دون وقت كالمحو والغيبة والرضا أو تكون مشروطة مثل الصبر مع البلاء والشكر مع النعمة.^{٢١٢}

وقد يتناول بعض مسائل هذا العلم المتكلم أو الفيلسوف أو صاحب النظر ولكنه لا يصبح بذلك صوفياً. فإن الفيلسوف يتناول الموضوع بالعقل الخالص بصرف النظر عن الدين على عكس الصوفي. ولا يعني ذلك أن ما يقوله الفيلسوف باطلاً بل هو مثل المتكلم والفقيه ما دام علمه قد بسطته العبارة وحسن التعبير عنه. أما علم الأسرار فإنه عويص على الأفهام، سمح العبارة، لا تدركه العقول الضعيفة المتعصبة التي لم تنتهياً للنظر والبحث. أما علوم الأحوال فمتوسطة بين علم الأسرار وعلم العقول. يتناوله أصحاب التجارب. هو إلى علم الأسرار أقرب وإلى علم العقول أبعد. لا تتوصل إليه العقول إلا عن طريق الأخبار. وهو أقرب إلى العلم العقلي الضروري أي إلى أوائل العقول وبداياته. وهو ضروري عند أصحاب الأنواق.^{٢١٣}

^{٢١٢} السابق، ج ١، ٣٣-٣٤.

^{٢١٣} السابق، ج ١، ٣٢-٣٣.

ثانيًا: علوم الوقت

(١) مفردات العلم

تعني مفردات العلم محاولات تعريفه عن طريق ذكر الألفاظ المشابهة أو القرينة به مثل المعرفة واليقين والحال والإيمان والدليل وغيرها من المفردات المتعلقة بالعلم أو وسائل التعبير عنه بالحروف والأسماء والإشارة وسائر مفردات اللغة.^١ وإذا تكلم الإنسان عُرِف. وإذا تكلم المنافق عُرِف. الكلام كاشف. وهو هيبة الإنسان^٢ المعرفة إشارة ورمز تكون عليها الواردات متصلة والأحوال متشابهة^٣ العلم لغة. واللغة جروف وأسماء وأفعال. وبذهاب الأسماء تذهب المعاني. وإذا ذهب المعاني انكشفت. فاللغة حجاب. كل شيء شجر. واللغة مثل الشجر، جذور وجذوع وفروع وأوراق وثمار.^٤ اللغة وسيلة للتعبير. الباطل يستعير الألسنة، والحق لا يستعيرها من غيره.^٥

وما يخص نظرية العلم في علم الكلام الأشعري الصوفي هو أن العلم ليس تصورًا للمعلوم ولا معناه بل هو تخيله إن أمكن^٦ العلم لا يتغير بتغير العلوم. ولا يتغير المعلوم

^١ النفري: المواقف، ص ٦٦-٦٧، ٧٠.

^٢ التستري، ص ٢١٨-٢١٩.

^٣ «إن ورد عليك بعض إشارة ورمز فلولا أن تكون الواردات متصلة والأحوال متشابهة مشتركة في المنزلة لما تقابلت الواردات، ولا تساوت الحالات، ولا علت الخافيات»، أخبار الحلاج، ص ٥٣.

^٤ النفري: المواقف، ص ٩٢.

^٥ السابق، ص ٩٦.

^٦ الفتوحات ج ١، ٤٢-٤٧.

بتغير العلم. وإحاطة العلم بالعلوم يقتضي تناهيه. ولا يلزم من تعلق العلم بالمعلوم حصول المعلوم في نفس العالم ولأمثاله. العلم والعالم والمعلوم شيء واحد^٧ ولا يوجد شيء من العلم التصوري مكتسب بالنظر الفكري. والأشياء كلها مجتمعة في المعرفة وليست في العقل. والمعرفة كلها مجتمعة في العقل وليست في العلم. والعلم كله مجتمع في العقل وليس في السنة. والسنة مجتمعة في العمل غير مجتمعة في الإخلاص. والعمل كله مجتمع في الإخلاص غير مجتمع في العلم^٨ المعرفة كالريح، والعقل كالفتيلة. تهب المعرفة على العقل كما تهب الريح على الفتيلة. والعلم كالنار والمريد كالزند. وتنير النار على قدر الزند^٩ والعالم لا يفرض على الأشياء نسقا بل يدرك نسق الأشياء^{١٠} والعين تشير إلى ذات الشيء الذي تبدو منه الأشياء. وهي تغني عن البحث والطلب. وعين الجمع اسم من أسماء التوحيد^{١١} وهو لفظ مشابه يدل على عضو العين وعلى منبع الماء وعلى مصدر المعرفة.

والعلم أقل من المعرفة. العلم باب والمعرفة أبواب. وأحياناً تعني المعرفة المعلومات المنقولة المحفوظة. وفي هذه الحالة تكون أقل من العلم المباشر ويكون العلم أعمق من المعرفة^{١٢} والعلم وجد وليس مجرد معرفة. هنا يكون العلم أعلى من المعرفة. والعلم طلب المعرفة. وهنا تكون المعرفة أعلى من العلم^{١٣} وقد لا يكون العبد عارفاً إلا إذا كان عالماً بالله. ولا يكون عالماً إلا إذا كان رحمة للخلق. السماء رحمة للأرض. وبطن الأرض رحمة لظهورها. والآخرة رحمة للدنيا. والعلماء رحمة للجهال. والكبار رحمة للصغار، والنبي رحمة للخلق. والله رحيم بالخلق. أصل المعرفة الخلقة^{١٤} والعالم بحاله أفضل

٧

العلم والمعلوم والعالم ثلاثة حكمهم واحد

السابق، ص ٩١-٩٢.

^٨ التستري، ص ١٣٩.

^٩ السابق، ص ٣٧٧.

^{١٠} السابق، ص ٢٣٧. وهو ما قاله برجسون فيما بعد.

^{١١} اللمع، ص ٤٥٠.

^{١٢} النفري: المواقف، ص ٩٦.

^{١٣} النفري: المخاطبات، ص ٢١٢؛ قوت القلوب، ج ١، ص ٢٦٢.

^{١٤} التستري، ص ١٥٣، ٢٩٩-٣٠٠.

من العارف بحاله لأنه يعرف الشكر. والعارف يعبد في الحال، والعاقد يعبد بالحال. ولا يصح إعلام الحال أو المعرفة مع العاصي لأن الحال إيجابي، والمعصية سلب^{١٥} بدء الأشياء المعرفة، وآخرها العلم. وبدء الشيء العلم وآخره المعرفة. وآخر باب من العلم أول باب من المعرفة. وأول باب من المعرفة السكون إلى الله. وكمال الذكر هو العلم بالمشاهدة. المعرفة أقرب إلى الإدراك الحسي، والعلم تحويل هذه المعرفة الحسية إلى معرفة عقلية أي إلى علم. وفي نفس الوقت بداية الشيء العلم به وآخره المعرفة بالمعنى الباطني أي العلم بحقيقته. فالمعرفة الحسية سابقة على العلم، والمعرفة الحدسية تالية له. والعلم اللدني هو المشاهدة التي تأتي بعد الذكر.^{١٦}

ويستحق العبد أن يسمى عارفًا بالله بأول درجة من درجات المعرفة إذا وقف بعمله على همومه فيعرف كل هم بالقلب. والعلم أدنى درجات الذكر. وكماله الحكمة^{١٧} من عرف الله في الدنيا فإنه بلاء وغم إلى الأبد^{١٨} مع أن المعرفة والسعادة شيء واحد عند الصوفية خاصة الغزالي. المعرفة توقظ الوعي وتعطي الإحساس بالواجب، وتبعث على الأمل.

ويفسح التصوف مجالاً لنفسه في حد العلم كما فعل المحاسبي في «كتاب العلم»^{١٩} يعتمد على حجج عقلية أقل وتحليل عقلي وأخلاقي أكثر، وعود إلى تصنيف العلوم^{٢٠} فالعلم علمان: الأول، علم الفقه، وهو علم الحلال والحرام، علم أحكام الدنيا، وهو علم الظاهر فإن طال فلخصومات الناس. والدنيا مؤسسة على العدل والخصومات قائمة على الشهوات والأهواء ترد إلى الأصول. وهو فرض عين. علم الفقه الذي بدأ منه التصوف وانتهى إليه. هو علم البيع والشراء والنكاح والطلاق، علم المعاملات الخاصة والعامة، علم أصول الأمر والنهي. هو علم طلب المشكلات والشبهات أي علم الواقع. وهو العلم

^{١٥} السابق، ص ٣٣٦-٣٣٧، ٩٠، شطحات الصوفية، ص ١٢٤.

^{١٦} السابق، ص ٣١٩.

^{١٧} السابق، ص ٦٧، ٦٩.

^{١٨} السابق، ص ٣٢٣.

^{١٩} المحاسبي: كتاب العلم، ص ٨١-٩٩.

^{٢٠} الآيات (٣)، الأحاديث (١).

النافع^{٢١} وإدراك العلم لا يتم بالفقه^{٢٢} والبدعة بين الفقه والتصوف. لا يثبت حساب للمبتدع لأنه لا سنة له. وأشنع بدعة الوقوف على طلب العلم، والتفاضل عما لا يعلم كما قال سقراط «ما ظل الإنسان عالماً ما طلب العلم فإذا ظن أنه علم فقد جهل»^{٢٣} وصاحب البدعة لا تقبل توبته لأنها انحراف عن الطريق. ومع ذلك ﴿وَرَحِمَتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾^{٢٤}.

والثاني علم أحكام الآخرة، وهو علم الباطن، علم العبادة الباطنة، الورع والتقوى والزهد والصبر وسلامة الصدر وسخاوة النفس وحسن الطاعة والصدق والإخلاص. وكلها جلال في مقابل الحرام وهي أهواء النفس^{٢٥} وهو علم ضروري، فرض كفاية. وهذه هي أصول الدين. فالعقائد أخلاق، التحلي بالأخلاق السنية والتخلي عن الأخلاق الدنية وهو أحد تعريفات التصوف. تمثلها الرسول ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾. وأكرم الناس عند الله أتقاهم ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾. وأشر شيء هو أشر العلماء. علماء المساكين.

والعلماء ثلاثة: عالم في القلب، وعالم في السمع، وعالم في التعلم من أعلى إلى أدنى. الأول صاحب العلم المباشر، والثاني صاحب العلم المنقول، والثالث صاحب العلم المحصل. والقراء ثلاثة: قارئ عرف الكل، وقارئ عرف النصف، وقارئ عرف الدرس. الأول صاحب العلم الكلي، والثاني العلم الجزئي، والثالث المحصل. الكل الظاهر والباطن، والجزء الظاهر، والدرس التلاوة^{٢٦} وقد أعطي الرسول ثلاثة علوم: علم يقيني، وربما علم ظني، وعلم سري لا يظهر^{٢٧} علمه يقيناً الشريعة التي يعرفها العامة، وعلمه ظناً الطريقة التي يعرفها الخاصة، وعلمه السري هو الحقيقة.

^{٢١} المحاسبي: كتاب العلم، ص ٨١-٩٩.

^{٢٢} النفري: المخاطبات، ص ٢٢١.

^{٢٣} السابق، ص ٦٧.

^{٢٤} السابق، ص ٢٧٨.

^{٢٥} مثل الغل والحقد والحسد والغش وحب المنزلة وحب الثناء، والكبر والغضب والحمية والأئفة وحب الرياسة والعداوة والطمع والفخر والخيلاء والفضول والمداينة والعجب والتملق والضعف، المحاسبي، كتاب العلم، ص ٨٤-٨٥.

^{٢٦} النفري: المواقف، ص ٩٩.

^{٢٧} التستري، ص ٣٤٠.

التصوف هو العلم الأول، علم الإيمان السابق على علم القرآن. فالإيمان يسبق القراءة والفهم. ومن اشتغل بطلب العلم وقراءة القرآن لم يصبه المرة البتة أي حزن أو سوء الحظ أو ابتلاء. فالعلم هو العلم الإيماني. العلم حلم، صديق المؤمن. العمل دليله. والرفق أخوه. والبر والده. والصدق أمير جنده^{٢٨} ليس العلم مجرد معرفة خالصة بل هو موقف أخلاقي يرتبط بالحلم والرفق والبر والصدق. العلم هو الأصل. وهو الشهادتان^{٢٩} أصل العلم قول لا إله إلا الله والخوف واجتناب النواهي، ورجاء أداء الفرائض، والحب والشوق، والاقتداء بالسنة^{٣٠} المعرفة معرفة الإيمان. والعقل عقل الإيمان. واليقين يقين الإيمان. والروح روح الإيمان. والحياة حياة الإيمان. وهذه هي الحياة وإلا فالموت. واضح أن الإيمان هو المصدر الأول للمعرفة. واليقين والروح والحياة أقرب إلى المسيحية منها إلى الإسلام.^{٣١}

وهو علم الباطن وفرائض القلوب^{٣٢} والخضر نموذجيه. وهو أعلم أهل الأرض من ولد آدم^{٣٣} ومن لم يبلغ علمه هذا القدر فإنه ميت. يخرج منه حي يظهر حاجته وفقره وسره. يدبر أمره، ويتولى أموره. فالعلم متواصل بين الأحياء والأموات، وبين الأموات والأحياء^{٣٤} دعوى العلم حجاب. وكمال العبد سكونه إلى جهله. وعلى قدر سكونه لا يحجب عن ربه. ليس العلم ادعاء وإلا كان حجابًا. ولا يسعى في طلبه وإلا كان جهلاً. العلم كشف لحجاب^{٣٥} العلم كشف وبهوت عندما تشتد الرؤية وتنبره بها العين. والحجب خمسة: حجاب أعيان، وحجاب علوم، وحجاب حروف، وحجاب أسماء، وحجاب جهل. والبهوت من صفات الجبروت لأنه يأخذ بالعين، ويطغى الموضوع على البصر^{٣٦} العلم هو

^{٢٨} السابق، ص ٩٤.

^{٢٩} السابق، ص ٩٠.

^{٣٠} السابق، ص ٢٠١.

^{٣١} السابق، ص ٣٢٣.

^{٣٢} وهو معنى حديث «وعلم باطن في القلب، وهو العلم النافع»، قوت القلوب ج ١، ١٦٣.

^{٣٣} «إبليس أعلم منه وأعرف. يحذر الملائكة منه. والملائكة، جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت (عزرائيل)، أعلم منه. جبريل حسن الخلق، كيس فطن. وميكائيل رحيم، وملك الموت أفضعهم وأغلظهم وأقساهم». التستري، ص ٣٠٤-٣٠٥.

^{٣٤} السابق، ص ١٥٢.

^{٣٥} السابق، ص ٣٢٥.

^{٣٦} «موقف الكشف والبهوت»، النفري: المواقف، ص ١٦٩-١٧٢.

الحياة والحياة هي العلم. وكلاهما صفتان لله مع القدرة في الثلاثي الأول^{٣٧} ودون العلم هو الموت. العلم حياة. والسكون روح. واليقين نفس وهو عين الشيء. فالمعرفة والوجود شيء واحد^{٣٨} العلم حركة حتى يأتي اليقين. فيتحول إلى سكون. والعمل حركة حتى الإخلاص فيصير طمأنينة. فالحركة نقص. والسكون كمال^{٣٩} الناس موتى إلا العلماء. والعلماء موتى إلا الخائفين. والخائفون مقطوعون إلا الراجين. والراجون لا يصلون إلا المحيين. والمحبون هم الذين يؤثرون الله على كل شيء. وفي تسلسل آخر: الناس موتى، إلا العلماء. والعلماء سكارى إلا العاملين. والعاملون مخدوعون إلا المخلصين. والمخلصون وجلون حتى يعرفوا خاتمتهم^{٤٠} الدنيا جهل وموات إلا العلم. والعلم حجة على الخلق إلا إذا عمل به. والأعمال هباء إلا الإخلاص فيها. والإخلاص لا يعرفه إلا الله. وما على الإنسان إلا الحذر من الموت. فالأعمال بخواتيمها^{٤١} والسؤال: كيف يقيم الإنسان حياته على ما لا يعرف؟

العلم حال من مقام عمومية^{٤٢} وطلب العلم على قد الحال. وطلب الحال على قد اليوم. وطلب علم اليوم على قد الأنفاس والهموم. وطلب الهموم على قد المخاطر، وطلب المخاطر على قد الخروج منها^{٤٣} فالعلم علم شعوري، علم هموم الحياة اليومية في المنزل أو في العمل طبقاً لضرورة الحياة العملية. العلم يفرضه العمل. بل هو علم العمل. العلم هو العلم بالحال في اليوم ومن اليوم. هو العلم في اللحظة^{٤٤} هو علم النفس. ومن النفس الهمة، ومن الهمة الخاطرة، ومن الخاطرة الحركة^{٤٥} والغضب الذي

^{٣٧} من العقيدة إلى الثورة ج٢، التوحيد، ص٤١٨-١٧٢.

^{٣٨} التستري، ص٣٣٥.

^{٣٩} وهو أحد اختيارات التراث القديم في حين اختار الغرب الحركة على السكون. وهو أحد أسباب تخلف المسلمين وتقدم الغرب. السابق، ص٢٥٦.

^{٤٠} السابق، ص٩٨.

^{٤١} السابق، ص١٨٧.

^{٤٢} السابق، ص٣١١.

^{٤٣} قوت القلوب ج١، ٢٦٢.

^{٤٤} التستري، ص٢٨٦ وهو معنى العلم عند برجسون وهوسرل.

^{٤٥} السابق، ص٢٦٦. الفصل الحادي والثلاثين: «كتاب العلم وتفصيله وأوصاف العلماء»، قوت القلوب العلم وتفصيله وأوصاف العلماء، ص٢٦٧-٢٦٢.

يهيجه العلم رحمة. فالعلم ليس نظريًا بل وجدانيًا، ليس مجرد معرفة بل سلوك^{٤٦} وغضب الأنبياء والعلماء حكم لأنهم لا يصدرن عن الهوى^{٤٧} ويختلف العلماء في الذات ومقاماتهم. ويتكلمون على قدر معاملاتهم.

وهو علم أخلاقي، علم الإخلاص أي الصدق مع النفس، ومعرفة آفات النفس ومكايد العدو، إبليس أي الصراع بين الخير والشر. خير العبادات، الإخلاص. ويقتضي التمييز بين المداراة والمداينة. المداراة كل ما يدل على الدنيا. والمداينة السكوت على أمر الدين. فلا يندخ العلم بثلاثة أشياء بعد معرفتها: معرفة العدو، ومعرفة الدنيا، ومعرفة النفس^{٤٨} ويرمز إلى العلم بحركة البدن. فجلوس المتعلم الجثي على الركب. وجلوس العالم الانتصاب. وجلوس المحب، الفخذ على الفخذ. الانحناء للمتعلّم، والوقوف للعالم، والملازمة للمحب^{٤٩} وتتجلى الأخلاق في سلوك العلماء. وفي علم العالمين أثبت الله أسماءهم عنده في العلماء، راضين عنه، قانعين به عن سواه، حامدين له على ما ابتلاهم، ومستغفريه من كل أفعالهم، طالبين السلامة والعفو، خائفين عدل الله، وراجين فضله. ليس العالم فقط هو حامل العلم بل من له سلوك العلماء الفضيلة والتقوى. أما أنهم معروفون سلفًا نظرًا لعلم الله المسبق بكل شيء فذاك خارج عن نطاق العلم وأدخل في العقائد. والغوص في العلم قد يؤدي إلى الهلاك في الطريق إلا علم الرضا وبنية الإخلاص.^{٥٠}

والعلوم روحية وكونية أو بتعبير المعاصرين إنسانية وطبيعية. العلوم الروحية مثل علم عيسى وهو علم الحروف والنفخ^{٥١} والعلوم الطبيعية أي الكونية ثلاثة:^{٥٢} علم التوالد والتناسل ويكشف عن العلم الإلهي. وعلم التوالج والالتحام والنكاح الحسي والمعنوي.

^{٤٦} السابق، ص ٢٣٤.

^{٤٧} السابق، ص ٢٨٦.

^{٤٨} السابق، ص ١٥٢.

^{٤٩} السابق، ص ٢٢٤.

^{٥٠} السابق، ص ١٦٢.

^{٥١} «في العلم العيسوي ومن أين جاء وإلى أين ينتهي وكيفيته وهل تعلق بطول العالم أو بعرضه أو بهما»، الفتوحات ج ١، ١٦٧-١٦٩.

^{٥٢} «في معرفة ثلاثة علوم كونية، وتوالج بعضها في بعض»، السابق، ص ١٧٠-١٧١.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

وهناك علم منزل المنازل وترتيب جميع العلوم الكونية^{٥٢} وهي منازل معرفيه^{٥٤} ولكل منزل أربعة أصناف^{٥٥} أما منزل الرموز فإنه يحتوي على منازل أخرى^{٥٦} والعلوم الكونية مصدر للمعرفة^{٥٧} وهي عاشقة لعلوم التوحيد^{٥٨} وتختص الأقطاب بأربعة علوم^{٥٩} والأقطاب الرموز علوم مثل علم سر الأزل، وعلم الأولياء^{٦٠} وبعضه في جداول أبجدية على

^{٥٢} «في معرفة علم منزل المنازل وترتيب جميع العلوم الكونية»، السابق، ص ١٧٠-١٨٠.

^{٥٤} «وهي ستة عشر منزلاً: منازل الثناء والمدح لأرباب الكشوفات والفتح. ومنازل الرموز والألغاز لأهل الحقيقة والمجاز. ومنازل الدعاء لأهل الإشارات والبعد. ومنازل الأفعال لأهل الأحوال والاتصال. ومنازل الابتداء لأهل الهواجس والإيماء. ومنازل التنزيه لأهل التوجيه في المناظرات والاستنباط. ومنازل التقريب للغرباء المتألهين. ومنازل التوقع لأصحاب البراقع من أجل السباحات. ومنازل البركات لأهل الحركات. ومنازل الأقسام لأهل التدبير من الروحانيين. ومنازل الدهر لأهل الذوق. ومنازل الأنية لأهل المشاهدة بالأبصار. ومنازل اللام والألف للالتفات الحاصل بالتخلق بالأخلاق الإلهية ولأهل السر الذي لا ينكشف. ومنازل التقرير لأهل العلم بالكيمياء الطبيعية والروحانية. ومنازل فناء الأكوان للضغائن المخدرات. ومنازل الألفة لأهل الأمان من أهل الغرف. ومنازل الوعيد للمتمسكين بقائمة العرش الأمجد. ومنازل الاستخبار لأهل غامضات الأسرار. ومنازل الأمر للمتحققين بحقائق سره فيهم»، السابق، ص ١٧٢.

^{٥٥} وهي: منازل الدلالات، منازل الحدود، منازل الخواص، منازل الأسرار. السابق، ص ١٧٣.

^{٥٦} وهي: الوجدانية، والعقل الأول، والعرش الأعظم، والقلوب والحجاب، والاستواء، والبرازخ الإلهية، والفقد والوجدان والقهر والخسف، والأرض الواسعة، والآيات الغربية، والاستعداد والزينة، والذكر والسلب، والدعاء، والابتداء، والأفعال، والتنزيه، والتقريب، والتورع، والبركات، والأقسام والإيلاء، والأنية، والدهور، ولام ألف والتقريب، والمشاهدة، والألفة والتقريب، والاستخبار، والوعيد، والأمر. السابق ص ١٧٣-١٨٠.

^{٥٧} «في معرفة جاءت عن العلوم الكونية وما تتضمنه من العجائب، ومن حصلها من العالم، ومراتب أقطابهم، وأسرار الاشتراك بين شريعتين والقلوب المتعشقة بعالم الأنفاس وبالأنفاس وأصلها وإلى كم تنتهي منازلها»، الفتوحات ج ١، ١٨٢-١٨٥.

^{٥٨}

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

السابق، ص ١٨٤.

^{٥٩} «في معرفه وتد مخصوص معمر، وأسرار الأقطاب المختصين بأربعة أصناف من العلوم وسر المنزل والمنازل ومن دخله من العالم»، السابق، ص ١٨٥-١٨٨.

^{٦٠} «في معرفة أقطاب الرموز وتلويحات من أسرارهم وعلومهم في الطريق»، السابق، ص ١٨٨-١٩١.

أربعة أعمدة وسبعة مراتب^{٦١} والعالم النوراني أعلى منزلة^{٦٢} العلم القليل لمن حصله من الصالحين^{٦٣} وهي علوم تستقل العلوم بإدراكها. ويتأرجح الموقف بين المعرفة والوجود، بين العلم والكون مثل «أنت معنى الكون». فاعلم قصد. والنظر اتجاه. والرؤية علاقة متبادلة بين الرائي والمرئي.^{٦٤}

ولكل شيء ثمرة. وثمره العلم والمعرفة التقرب إلى الله^{٦٥} وثمره العلم الروحي هو التوجه إلى الخالق لا إلى المخلوق، إلى ما وراء الطبيعة وليس إلى الطبيعة بمصطلحات الفلاسفة^{٦٦} والله لا يدرك مباشرة إلا من خلال الطبيعة والأدلة على وجوده. وهو علم ما لا يسع جهله من علم التوحيد.

والله لا يري من وراء الأضواء رؤية واحدة^{٦٧} ومن عرف الله فلا عيش له إلا في معرفته. ومن رآه فلا قوة له إلا في رؤيته. إذا عرفه خف مكره. ولا يعرفه إلا المصطفون لعلمه^{٦٨} العلم علم الإيمان. وهو علم التوحيد كفرض^{٦٩} ولا يقال للعالم إنه لم يعلم ويفهم بالله لأن العالم لا يخرج بالله إلا بما فهم. فعلم الله علم عقلي وواقعي. ليس عصيًا على الفهم أو التجربة. من طلب العلم لله أو للآخرة فهو على سبيل النجاة.^{٧٠} فالعلم وسيلة للنجاة وطلاب العلم ثلاثة: الأول أخذ الأصل والفرع من السر فهلك، والثاني أخذ

^{٦١} «في معرفة أقطاب صل فقد نويت وصالك وهو من منزل العالم النوراني»، السابق، ص ١٩١.

^{٦٢} «في معرفة علم منزل محاور لعلم جزئي من علوم الكون وترتيبه وغرائبه وأقطابها، السابق، ص ٢٣٣-٢٣٧.

^{٦٣} «في معرفة العلم القليل ومن حصله من الصالحين»، السابق، ص ٢٥٣-٢٥٤.

^{٦٤} النفري: المواقف، ص ٦٩-٧٠.

^{٦٥} «لكل شيء ثمرة. وثمره العلم والمعرفة التقرب إلى الله»، السابق، ص ١٦٩، ١٨١.

^{٦٦} «إن ثمرة العلم الروحي هو أن تصرف وجهك عن المخلوق كما توجهه إلى الخالق وحده لأن المعرفة هي معرفة الله»، رابعة، ص ١٥١-١٥٢.

^{٦٧} النفري: المواقف، موقف الرفق، ص ١٠٣-١٠٤.

^{٦٨} السابق، ص ١٤٩.

^{٦٩} قوت القلوب ج ١، ص ٢٦٣-٢٦٤.

^{٧٠} التستري، ص ٣٤٣.

الأصل والفرع من غيره فسلم. والثالث أخذ الأصل وثبت الفرع فصار عيشه متصلا مع الآخرة.^{٧١}

ويتضمن علم العباد ثلاثة أمور: العلم بالجهل، والعلم بالوسوسة، والعلم بالنسيان. لذلك نشأ الاختلاف في العلم. وهو ليس ضد العلم. وليس بأمر إلهي^{٧٢} وطلب العلم يدعو إلى سماع الاختلاف وتمسك العالم بما له وتركه ما ليس له، وهو موقف مسبق. فالعالم ليس له شيء وليس ضد شيء بل يسمع ويحلل ويقارن ويفضل. وإذا جوز العلماء الاختلاف فإنهم علماء سوء. وهو مثل موقف إخوان الصفا من اختلافات المتكلمين. وينتهي العالم بفقد الورع والخشوع. وتزين له الدنيا فيرغب فيه وتغريه. ويطلبها سمعةً ورياءً دون رعاية لدين^{٧٣} إنما ينشأ الخلاف في العلم من درجة يقظة وعي العلماء. ليس هناك أفضل من الورع في العلم. والورع ترك ما لا بأس فيه إلى ما فيه بأس أي إنه معاناة ومقاومة.

وللعالم علامات مثل عدم الجزع من شدائد الدنيا، والصبر على مرارتها، وعدم الفرح برخائها ولا بغنائها أو الحزن على ما فات منها، وينصح الخلق لوجه الله^{٧٤} العالم هو المقاوم الملتمز، النقي الطاهر. ليس صعباً على العلماء من التمييز بين المداراة والمداهنة وبين الظن واليقين. فالعلم يقوم على التمييز بين المختلطات، وأحكام المتشابهات بلغة الأصوليين. ولا يجوز تقليد العالم من سبقه من العلماء حتى يعلم حالهم من فعلهم هل يلزمه أم لا. فالعالم حالة شعورية ووضع اجتماعي. وكلاهما متغير^{٧٥} والعلماء نوعان: عالم يحمله علمه وهو معصوم، وعالم يحمله علمه، يبحث عن الحيل والرخص والمكر والخديعة^{٧٦} وإذا أخذ من كل عالم زلته فمتى يصل إلى الله؟ قد يكون للمشتغل بالعلم هفوات في الدنيا حتى يعود إلى العلم من جديد.^{٧٧}

^{٧١} السابق، ص ٢١٣.

^{٧٢} السابق، ص ١٩٠.

^{٧٣} «فأي عالم أفتاه بذلك، ورخص له واحتال له بحيله حتى يجوز له في وجه من الوجوه؛ فهؤلاء وأشباههم هلاك الأولين والآخرين على أيديهم وهم علماء السوء»، السابق، ص ١٩١.

^{٧٤} السابق، ص ١٨٧.

^{٧٥} السابق، ص ٣٣١.

^{٧٦} السابق، ص ٢٧٩.

^{٧٧} السابق، ص ٢٩٠.

العالم لا يفرط. فالعلم اعتدال، موقف والتزام^{٧٨} والعالم الذي يتكلم بين الخلق تكون الخلائق عنده سواء. ولا ينشغل بها وإلا مُحي العلم من قلبه^{٧٩} هذا الحياد في العالم قد يفقد العالم حركته واتجاهه فيه. فهموم العلم تجمع بين هموم الدنيا وهموم الآخرة، هموم العلم والوطن. والعلم صمود ومقاومة^{٨٠} وسمي العالم عالماً لأن أفعاله كلها تنسب إلى الحول والقوة لا إلى التدبير. فالعالم صاحب علمه. وعلمه حال وقوة. وكل عالم أمر بالمعروف وناه عن المنكر. فعلمه متصل بالعرش^{٨١} دور العالم إذن النقد الاجتماعي. العلم نقد وشك ومراجعة. ومن لا يرى الكل تلبيساً كان المكر منه قريباً^{٨٢}.

(٢) العلم والجهل

العلم ضد الجهل. ولا يزال العبد عالماً ما دام جاهلاً. فإذا ظن أنه علم فقد جهل كما قال سقراط قديماً مما يبين توارد الخواطر بين الواصلين في مختلف الحضارات^{٨٣} ودعوى العلم جهل^{٨٤} وفاز العلماء بجهل الجهال ولم يعبتوا بجهلهم. وتعليم النفس سابق على تعليم الآخر. وفاقد الشيء لا يعطيه. والعلم يصرفه الجهل كما يصرف النهار الليل. الجهل حجاب والعلم كشف. وما اصطحب جاهلان وسلم بعضهما من بعض. ولا اصطحب عالم جاهلاً إلا سلم الجاهل بالعالم^{٨٥} العلم سلام، والجهل حرب. وعن طريق التصوير الفني العلم هو الجنة والجهل النار^{٨٦} وقد يصير العلم مشوباً بالنار عندما

^{٧٨} السابق، ص ٣٥١، ٢٠٣.

^{٧٩} السابق، ص ٣٦٢.

^{٨٠} «يا عبد أنا الصمد. فلا تتحلل صفة العلم صفة الصمود»، النفري: المخاطبات، ص ١٦٧.

^{٨١} التستري، ص ١٦٩-١٧٠.

^{٨٢} الحلاج: الولاية، ص ٢٣٩.

^{٨٣} «لا يزال العبد عارفاً ما دام جاهلاً فإذا زال عن جهله زالت معرفته»، شطحات، ص ١٥٢ «المعرفة في

ذات الحق جهل. والعلم في حقيقة المعرفة حيرة، والإشارة من المشير شرك في الإشارة»، السابق، ص ١٢٦.

^{٨٤} أخبار الحلاج، ص ٢٢؛ الولاية، ص ٢٣٨.

^{٨٥} التستري، ص ٣٦٩.

^{٨٦} «موقف الليل»، النفري: المواقف، ص ١٦٧-١٦٨.

يتحول إلى جهل^{٨٧} ولا دليل أنجع من العلم^{٨٨} العلم دليل العلم. العلم حرز والجهل غرور^{٨٩} العلم تبصر واستبصار والجهل غرور وقطع. وخطأ العالم أضر من عمي الجاهل^{٩٠} فالعلم يتبعه الناس ويتحقق في العمل. ومن خاف دلالة علمه كثر جهله^{٩١} العلم يورث اليقين، والثقة بالنفس. ويفوز العلماء بجهل الجاهل ولا يعاقبون. فالعلم جهد قدر الطاقة. يمنع الجهل بالله إثارة الله على النفس^{٩٢} وثلاثة أشياء تذهب بقلب العبد وعقله: الجهل، والمعصية، والنسوان^{٩٣} فالجهل في حد ذاته رذيلة بتعبير سقراط. والمعصية خرق للشرعية. والنسوان اتباع بلا حدود للشهوة. وفي مقابل ذلك ثلاثة أشياء مضادة تثبت قلب الإنسان: العلم والطاعة والذكر.

ومعنى تجويع النفس وتعريتها في الحديث الشهير هو التجرد من الجهل والتجلبد في طلب العلم^{٩٤} الجاهل ميت، والناس نيام، والعاصي سكران، والمعسر هالك. فالعلم حياة، والحياة يقظة، والواجب وعي، والمراجع ناج. وإذا كان الموت بالأمس والنزع اليوم، وعدم الميلاد الغد فالهلاك في استرجاع الماضي وذكر الآتي. والنجاة في التنفس وهو العلم. الجهل موت^{٩٥} ويرجى أن يمن الله عليهم. فالعلم فضل ومنة^{٩٦} والجهل هو الفقر الذي استعاذ منه النبي. الجهل فقر العقل.^{٩٧}

وعلامة الجهل الغضب بلا سبب، والكلام غير النافع، والعطية في غير محلها، وإفشاء السر، والثقة بكل الناس، وعدم التمييز بين الصديق والعدو^{٩٨} والمعرفة اعتراف

^{٨٧} رابعة العدوية، ص ١٥٩.

^{٨٨} رسالة المسترشدين، ص ١٦١-١٦٢.

^{٨٩} طبقات الصوفية، ص ٢١٤-٢١٥.

^{٩٠} السابق، ص ٢١٤-٢١٥.

^{٩١} السابق، ص ١٦١.

^{٩٢} السابق، ص ٨٦.

^{٩٣} السابق، ص ١٥٣-١٥٤.

^{٩٤} السابق، ص ٢٠١-٢٠٢.

^{٩٥} السابق، ص ٢٠٤.

^{٩٦} السابق، ص ٢٥١.

^{٩٧} السابق، ص ٣٢٢.

^{٩٨} محمد بن الفضل البلخي، طبقات الصوفية، ص ٢١٥.

بالجهل. وهو أيضًا ما نصت عليه آية ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾^{٩٩} ومن أظهر محاسنه لمن لا يملك ضره ولا نفعه فقد أظهر جهله. فالجهل ليس فقط نقص المعرفة بل السلوك الجاهل^{١٠٠} وهو مثل الأبله في دنياه الفقيه في دينه^{١٠١} ولا يضر الأحمق كثرة الالتفات وسرعة الجواب لأنه لا يقوم على العلم^{١٠٢}

والجهل مثل الموت عامان في الدنيا إلا العلم. والعلم حجة على الخلق حتى دون العمل به. والعمل هباء إلا الإخلاص فيه. ويكون صاحبه على حذر حتى الموت، ولا يعلمه إلا الله. الجهل موت في الدنيا، ونار في الآخرة. فالهوى والإرادة وسوء النية والشهوة طرق إلى النار. الشهوة ذهاب للعقل والعلم والبيان. ومما يذهب العقل والقلب الجهل والمعصية والنسيان. ويرد العقل بالعلم والطاعة والذكر. الجاهل ميت، والعاصي جيفة، والمصر على المعصية دود. الخلق أحياء ثم ماتوا بجهلهم. والجهل طبع الإنسان لأن الإنسان على الطبيعة يعمل أكثر مما ينظر. والنسيان طبع الجدل لأن الجدل ليس علما بل صراعا وقتيًا مع الخصوم ينتهي بانتهاء المعركة، والمعصية طبع النسيان لأن الفعل ابن وقته.

والطريق إلى الخلاص العلم بدل الجهل، والطاعة بدل المعصية، والذكر بدل النسيان. والذكر مع العمل يؤدي إلى التواصل، والذكر مع الطاعة يؤدي إلى الشكر، والشكر يؤدي إلى المزيد من الشكر. والجهل يتضمن ثلاثة أمور: أعمال البر بالمخالفة، والإصرار على شيء متشابه، وأمل شيء لا وسع فيه. والجاهل يؤدي إلى الجاهل إلى الهلاك كما قال المسيح: الأعمى لا يقود أعمى.^{١٠٣}

الجهل أن يكون الإنسان أمام نفسه دون اقتداء بإمام^{١٠٤} وهو ما يجعل العلم بشيخ وكأن النفس لا تعرف بنفسها شيئًا كما قال سقراط اعرف نفسك بنفسك». الجهل هو الدنيا. والغاية النفس. وغاية النفس البعد. ومن ارتبط العلم بالآخرة، والغاية

^{٩٩} أبو سعيد بن الأعرابي، السابق، ص ٤٢٨.

^{١٠٠} أبو عمرو إسماعيل بن نجيد، السابق، ص ٤٥٧.

^{١٠١} أبو عثمان المغربي، السابق، ص ٤٨١.

^{١٠٢} علي بن سهل الأصبهاني، السابق، ص ٢٣٥.

^{١٠٣} التستري، ص ٢٢٢-٢٢٣.

^{١٠٤} السابق، ص ٢٢٣-٢٥٢.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

أبعد من النفس، القرب. الجهل أساس الكفر. وهو أول ابتلاء للإنسان. فالإيمان علم. وعقاب الجهل ظلمة الهواء وهو التحير، وظلمة السماء وهو ترك الاقتداء، وسخط الرب وهو التحير في الاقتداء. وكمال العبد سكونه إلى جهله. وعلى قدر السكون لا يحجب عن الله. فهل السكون أولى من الحركة، والجهل أولى من العلم كطريق إلى المعرفة الكشفية؟ الجهل نسيان وبالتالي المعرفة تذكر^{١٠٥} ولا يكون الخطأ والنسيان إلا من المتقين. مع أن الخطأ والنسيان بشريان، وأعم من النواهي والأوامر^{١٠٦} خلق الله الأجساد جاهلة ناسية. وقد لا يتلاقيان حتى تكون الأرواح واحدة والدين والسر واحد والزهد والورع واحد^{١٠٧} الجسم سبب الكثرة والروح سبب الوحدة.

(٣) العلم واليقين

ولا يوجد لفظ «العلم» ضمن ألفاظ الصوفية كلفظ مفرد قبل الحديث عن علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين^{١٠٨} ولا يحدد العلم باليقين بل يحدد اليقين بالعلم. فالعلم لا يكون إلا يقيناً. واليقين هو ما لا يدخل الشك فيه. وهو ضد المكر والاستدراج. ولا يطلق على الله لأنه ليس اسماً توقيفياً مع أن الله هو الحق، والحق مقولة معرفية. ويمكن للأسماء أن تكون اصطلاحاً واشتقاقاً مثل «المؤمن» و«المطعم» في ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾. وعلم المعرفة واليقين له فضله على سائر العلوم^{١٠٩} فليس العلم بكثرة الرواية ولكن بالخشية. وحظ الخلق من اليقين على قدر حظهم من الرضا. وحظهم من الرضا على قدر عيشهم منه. علم الإيمان والتوحيد وعلم المعرفة واليقين مع كل قوة من موقن حسن الإسلام. مقامه وحاله وقربه مع الله. العلم والإيمان قرينان لا يفترقان. واليقين ثمرة التوحيد. فمن صفا في التوحيد صفا في اليقين^{١١٠} اليقين عبد المولى والمولى عالم بحاله. وأدنى يقين ثقة العبد بالله.

^{١٠٥} السابق، ص ٢٩٤.

^{١٠٦} السابق، ص ٢١٥-٢١٦.

^{١٠٧} وهو ما قاله أفلاطون من قبل.

^{١٠٨} الرسالة، ص ٤٤.

^{١٠٩} فضل علم المعرفة واليقين على سائر العلوم، وكشف طريق علماء السلف الصالح من علماء الدنيا والآخرة، قوت القلوب ج ١، ٢٦٧-٢٧٧.

^{١١٠} طبقات الصوفية، ص ٣٠٠.

اليقين نور في القلب تشاهد به أمور الآخرة، ويخرق بقوته كل حجاب للمشاهدة^{١١١} هو حدس داخلي يساعد الحواس الخارجية على الإدراك. اليقين نور يستضيء به العبد في أحوال فيوصله إلى درجات المتقين^{١١٢} والحضور أفضل من اليقين لأن الحضور وطناً واليقين خطرات. الحضور كشف ومواجهة للحقيقة واليقين صدقها. الحضور عين اليقين، واليقين حق اليقين^{١١٣} اليقين هو المشاهدة أي الجمع بين العلم والتحقق^{١١٤} هو مشاهدة الإيمان بالغيب^{١١٥} ويشمل علم الحال. وهو أعلى من علم المقام.

اليقين النظر بعين القلب إلى ما عند الله مما وعده وادخره^{١١٦} هو تحقق الأسرار بأحكام المغيبات وكأنه يوجد يقين ذاتي بلا أسرار أو مغيبات. وأنفع اليقين ما عظم الحق في العينين وصغر ما دونه^{١١٧} اليقين ترك الشكوى عندما يضاد المراد مع أنه إذا بطلت الشكوى توقف البحث عن اليقين^{١١٨} فالشكوى أشبه بالشك الذي يؤدي إلى اليقين عند القدماء والمحدثين. وإذا كان المراد لم يتحقق فلماذا ترك الشكوى وعدم الاعتراض؟^{١١٩} وإذا كان الطريق واضحاً والحق لا تحاً والداعي مسموعاً فلم الحيرة والعمى؟ وهل في الدنيا وضوح بهذا المعنى؟ أليست الحيرة والتردد والشك طريقاً إلى اليقين كما عبر عن ذلك الفلاسفة؟^{١٢٠}

الظن واليقين نقيضان مثل الكلام والصدق، والعبادة بالجوارح والورع^{١٢١} فلا يترك اليقين للظن^{١٢٢} ومن ظن حرم اليقين في حين أن الظن أي الشك طريق اليقين^{١٢٣} واليقين

^{١١١} أحمد بن عاصم الأنطاكي، السابق، ص ١٣٩.

^{١١٢} يوسف بن الحسين الرازي، السابق، ص ١٨٨.

^{١١٣} علي بن سهل الأصبهاني، السابق، ص ٢٣٤.

^{١١٤} رويم بن أحمد البغدادي، السابق، ص ١٨٣.

^{١١٥} السابق، ص ٣٨٠.

^{١١٦} أبو بكر بن يزدانير، السابق، ص ٤٠٩.

^{١١٧} أبو علي الرذباري، السابق، ص ٣٥٩.

^{١١٨} أبو سعيد بن الأعرابي، السابق، ص ٤٢٩.

^{١١٩} أبو عبد الله محمد بن خفيف، السابق، ص ٤٦٥.

^{١٢٠} أحمد بن خضرويه، طبقات الصوفية، ص ١٠٥.

^{١٢١} التستري، ص ١٤٠.

^{١٢٢} طبقات الصوفية، ص ١٨٨.

^{١٢٣} التستري، ص ٢١٠.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

لا يأتي إلا بعد الظن. ويستطيع العالم الفقيه التمييز بين الظن واليقين^{١٢٤} وهي تجربة الشك والإيمان ولكنها إلى الإيمان أقرب مثل عمر الخيام. غيب الحديث خاف. والرمز متخاف. والثقة في التصريح. فغاية الإيمان اليقين. وغاية اليقين ما يجده الإنسان في قلبه ويمسه بروحه. ويهيم عليه بفؤاده. وتسلب به نفسه^{١٢٥} والظن من النفوس الكاذبة والأمانى الخاتلة والوساوس الحاجبة لأنهم شاهدوا النفوس من الحظوظ^{١٢٦} والظن مثل الوهم لا يقود إلى المعرفة^{١٢٧} ويعتذر الصوفي عن جهله وشكه وظنه^{١٢٨} وحسن الظن هو تنزيه المولى عن الهم^{١٢٩} وموقف الرفق هو موقف اليقين النظري وليس حسن المعاملة في السلوك وهو حسن الظن. اليقين يحمي من الاضطراب، ويهدي إلى الحق. في حين أن حسن الظن يؤدي إلى التصديق.^{١٣٠}

والوقوف على حق اليقين وهو القرآن، ثم إعطاء علم اليقين ثم مشاهدة عين اليقين يؤدي إلى سلامة الصدر. وعلامة ذلك الرضا بالقضاء والقدر والهيبة والمحبة، والحفظ والوكالة من غير تهمة اعتراض وكأن الاعتراض تهمة.^{١٣١}

وهو لفظ قرآني^{١٣٢} له ثلاثة معاني: علم اليقين، عين اليقين، حق اليقين. والكشف لا يزيد من علم اليقين. وباستكمال حق اليقين يصير البلاء نعمة، والرخاء مصيبة. واليقين

^{١٢٤} التستري، ص ٨٣.

^{١٢٥} «غيب هذا الحديث خاف. والرمز عنده متخاف. وإنما ندندن حول هذه المخافي ... فثق بهذا الذي كتبنا عند ثقة توحى على ما صرحنا به. فإن غاية الإيمان اليقين. وغاية اليقين ما تحمده بقلبك وتمسه بروحك، وتهيمن عليه بفؤادك، وتسلب به نفسك وحسك»، الإشارات ص ٣٣٢.

^{١٢٦} ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ﴾، التفسير، ص ١٥٣.

^{١٢٧}

بالظن والوهم نحو الحق مطلبهم نحو الهواء يناجون السموات

الحلاج: الديوان، ص ٢٩٥.

^{١٢٨}

إن اعتذاري إليك جهل وعظم شك وفرط عي

السابق، ص ٣٣٥.

^{١٢٩} التستري، ص ٢١٠.

^{١٣٠} النفري: المواقف، موقف الرفق، ص ١٠٣-١٠٤.

^{١٣١} اللمع، ص ٧٩٧.

^{١٣٢} السابق، ص ١٠٢-١٠٤.

هو المكاشفة. وهي على ثلاثة أوجه: مكاشفة العيان بالإبصار يوم القيامة، ومكاشفة القلوب بحقائق الإيمان بمباشرة اليقين بلا كيف ولا حد، ومكاشفة الآيات بإظهار قدرة الأنبياء بالمعجزات وللأولياء بالكرامات.

واليقين حال رفيع. وأصله على ثلاثة أحوال:

الأول للأصاغر وهم المريدون من العام. ولهم أول مراتب اليقين، الثقة بما في يد الله واليأس مما في يد الخلق. هو ارتفاع الشك. وإذا وجد العبد الرضا بما قسمه الله تكامل اليقين. هو تحقيق القلب بالمعنى الذي هو به.

والثاني للأواسط وهم الخصوص وهو زوال المعارضات على دوام الأوقات. وإذا تحقق العبد باليقين ترحل من يقين إلى يقين حتى يصير اليقين له وطنًا. واليقين هو المشاهدة.

والثالث للأكابر وهم خصوص الخصوص وهو تحقيق الإثبات لله بكل صفاته. وهو دوام انتصاب القلوب لله بما أورده عليها من اليقين والإلهام. ولا يحدث إلا بعد قطع كل العلاقات والأسباب. وهو آخر الأحوال وأصلها وباطنها. نهايته التصديق بالغيب وإزالة كل شك وريب، والاستبشار وحلاوة المناجاة، وصفاء النظر ومشاهدة القلوب بحقائق اليقين، وإزالة العلل. اليقين بالمعنى يؤدي إلى مشاهدة الأحوال. وإذا انكشفت حقائق المعنى خرج من أشجان الخلق، وخاطب بالتقريب، وهو الكشف عن الصديقية.

وصحة اليقين أول شعب الإخلاص وله ثلاث علامات: سكون القلب إلى الثقة بالله، والانقياد لأمر الله، والإشفاق والوجل من سابق العلم^{١٣٣} ولليقين أول وآخر أوله الطمأنينة، وآخره أفراد الله الكفاية.

لذلك اليقين على ثلاث درجات من أدناها إلى أعلاها، من علم اليقين إلى عين اليقين إلى حق اليقين^{١٣٤} علم اليقين يقوم على البرهان مثل العلوم العقلية أو النظرية: الكلام والفلسفة والأصول. وعين اليقين يقوم على البيان والقدرة على التعبير مثل فنون الأدب ومنها التجارب الشعرية. وحق اليقين يقوم على العيان والمشاهدة والحضور والرؤية المباشرة مثل علوم التصوف. علم اليقين لأصحاب العقول، وعين اليقين لأصحاب العلوم، وحق اليقين لأصحاب المعارف.

^{١٣٣} السابق، ص ١٧٥-١٧٦.

^{١٣٤} الرسالة، ص ٤٤.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

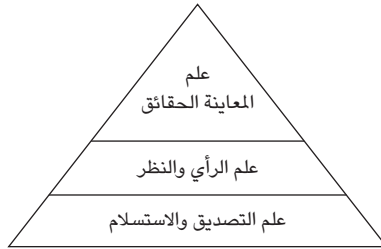
اليقين على ثلاثة مقامات: الأول المعاينة المطابقة للخبر وهو مقام الصديقين والمقربين والشهداء. والثاني التصديق والاستسلام المطابق للخبر أيضًا وهو مقام المؤمنين. يضعف ويقوى مثل الإيمان. يزيد وينقص طبقًا للأسباب والعادة والحجب والمكاشفة، والوسائط والمباشرة. يأنسون بالخلق. ويتلونون بالخلاف. وهو لعموم المؤمنين، لأصحاب اليمين. والثالث يقين ظن يقوى بدلائل العلم والخبر وأقوال العلماء. يقوى ويضعف بالأدلة. وهو يقين المتكلمين وأهل الرأي وعلوم العقل والقياس والنظر. هو علم التوحيد والمعرفة على قدر اليقين، واليقين على قدر الصفاء والإيمان، والصفاء والإيمان على قدر المعاملة والرعاية. والظل الذي توارى إليه موسى هو ما خصه الله به من علم اليقين^{١٣٥} علم اليقين ما يأتي بالدليل. وعين اليقين علم لا نزاع ولا اضطراب فيه. وحق اليقين لا حركة ولا سكون فيها.^{١٣٦} علم اليقين يدل على الأفعال. فإذا فعلها وأخلص فيها وظهرت له البينات صار حق اليقين.^{١٣٧}

^{١٣٥} ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾ الحلاج: التفسير، ص ١٣٧.

^{١٣٦} ﴿عِلْمُ الْيَقِينِ﴾، ﴿ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ السابق ص ٥٦.

^{١٣٧} طبقات الصوفية، ص ٤٨٣.

العلم بالله ديني إذ أدين به والجهل بالعين إيماني وتوحيدي
في كل مجلى أراه حين أشهده ما بين صورة تنزيه وتحديد



الفتوحات ج ١ ص ٧٥١.

(٤) الإدراك والفراسة

و«الفراسة» من أكبر موضوعات المعرفة الصوفية^{١٣٨} وهي مذكورة في القرآن ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾. والتوسم هو الفراسة. وكذلك حديث اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله». فهي خصوصية أهل الإيمان. ولا يُكتفى بإعطاء تعريفات للفراسة بل تُروى حكايات عنها. المتوسم هو العارف ما في بواطن القلوب بالاستدلال بالعلامات وهي دعوة ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ أي علماء حكماء ومتخلفين بأخلاق الحق^{١٣٩} ولا يصح الإدراك الحسي إلا برؤية الاتجاهات الستة.^{١٤٠} فهو إدراك للشيء في المكان، إدراك خارجي. وهو محدود بالرؤية والمنظور والحس بداية العلم التجريبي. موقف الإدراك هو رؤية العلم وطريقه. فالعلم طرقا ت تؤدي إلى حقائق العلم. حقائق العلم غرائمه، وغرائمه مبلغه، ومبلغه مطلع، ومطلعه حده، وحده موقفه^{١٤١} والعلم بالسمع والرؤية والصحة. والحس من صفة النفس. ولا يدرك فقد المحسوس الناعس حتى عند غلبة الوجد^{١٤٢} أما الفراسة فهي أيضًا إدراك حسي لما وراء الحس. هي خاطر يهجم على القلب فينفي ما يضاده ويستولي عليه. وتكون حسب قوة الإيمان. هي نور الحق دون سهو أو غفلة^{١٤٣} هي حكم الحق على لسان الإنسان. هي سواطع أنوار تلمع في القلب وتمكن من معرفة سرائر الغيوب لمشاهدتها والتعبير عنها بضمير الحق^{١٤٤} وهي أقرب إلى الكرامة النظرية في مقابل الكرامة العملية. الفراسة مكاشفة اليقين ومعينة الغيب، ومن مقامات الإيمان. هي رؤية الغيب دون خفاء شيء منه^{١٤٥} وهو ما سماه القرآن الاستنباط ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ هي روح تنقلب في الملكوت فتشرف على معاني الغيوب فتنتطق عن أسرار الخلق عن مشاهدة ومعينة وليس عن ظن وحسبان. الفراسة ظن وفق الصواب. يُخطئ

^{١٣٨} الرسالة، ص ١١٠-١٠٥؛ للمع، ص ١٩٨.

^{١٣٩} السابق، ص ١٠٦.

^{١٤٠} التستري، ص ١٥٣.

^{١٤١} النفري: المواقف، موقف الإدراك، ص ٢٠٣-٢٠٥.

^{١٤٢} للمع، ص ٤٢٤.

^{١٤٣} الرسالة، ص ١٠٥.

^{١٤٤} السابق، ص ١٠٥.

^{١٤٥} السابق، ص ١٠٦.

ويُصيب. فإذا تحقق في الفراسة تحقق في حكمها لأنها تحكم بنور الله لا بالنفس.^{١٤٦} وإذا استولى الحق على سر ملكه الإنسان فيعاينه ويخبر عنه. الفراسة نظر أحد في عين آخر. وهي معرفة حقيقة. هي القدرة على معرفة الأسرار إذا تملكت أحداً^{١٤٧} وصاحب الفراسة يصيب في نظره في أول مقصد ولا يعتمد على تأويل أو ظن أو حساب كما هو الحال عند المنجمين. المتفرس هو المصيب بأول مرماه^{١٤٨} هي خاطر بلا معارض وإلا تحول إلى خاطر وحديث نفسي^{١٤٩} ليست ادعاء للذات ولكن اتقاء لفراسة الغير. تحيي الموتى، وتوقظ الضمير. وهو معنى آية ﴿أَوْمَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾^{١٥٠}.

والأخلاق شرط الفراسة مثل غض البصر عن المحارم، وإمساك النفس عن الشهوات وتعمير الباطن بدوام المراقبة والظاهر باتباع السنة وتعود على الحلال. وهو معنى آية ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾^{١٥١} الفراسة تأدب بأدب الله. وأدب الله تحمل الكل، الصغير والكبير. وهذا يتم لسعة عليه ومراجعة الكلام على الكتاب السنة ولا تصح لمدع^{١٥٢} وصفة أهل الله المعرفة والعلم والسماع والذكر والنظر والكلام وكلها مظاهر للحياة. فالفراسة عكس الادعاء كما أن الصدق عكس الكذب. في حين أن الفراسة في علم النفس هي القدرة على معرفة الظواهر اللامرئية من القرائن الحسية.

(٥) المعرفة الكشفية

وإذا كان العلم خيراً من المال وكان يحرس العالم فإن العالم يحرس المال. فإنه أيضاً نور يقذفه الله تعالى في القلب. وهو المعرفة الكشفية. وإذا كان العلم استنباطاً للمشكلات في الدين فإن المعرفة بيان شبهات حاكت في الصدور. العلم عقلي والمعرفة قلبية^{١٥٣}

^{١٤٦} طبقات الصوفية، ص ١٧٤.

^{١٤٧} العلاج: الولاية، ص ٢٤٢.

^{١٤٨} الرسالة، ص ١٠٧.

^{١٤٩} أبو جعفر الحداد، السابق، ص ١٠٧.

^{١٥٠} أبو حفص النيسابوري، السابق، ص ١٠٧.

^{١٥١} أبو الحسن النوري، الرسالة، ص ١٠٦-١٠٧.

^{١٥٢} التستري، ص ١٥٣، ٢١٨، ٣٣٨.

^{١٥٣} وهو ما يسمى في نظرية المعرفة في الغرب ما وراء المنطق Meta-logic أو ما وراء العلم Meta-science. بستان المعرفة، أعمال، ص ٢١٣.

والعارف بحاله أفضل من العالم بحاله. فالعلم عقلي والمعرفة شعورية. والمعرفة التي لا يعترف بها أحد مخيفة. وإنكار المعرفة التي لا يعمل بها المفكر أيضًا مخيفة. والإنكار صفة المعرفة وحليفتها. الجهل صورتها. وغيايها عن الأفهام آيتها.

والمعرفة تناقض بين الذات والموضوع. إذ كيف تعرف الذات موضوع المعرفة بلا أين ولا متى، بلا مكان ولا زمان ولا جهة ولا بداية ولا نهاية؟ هل الذات والموضوع اتصال أم انفصال؟ لا تصح المعرفة إلا لمحدود ومعدود ومجهود ومكدود^{١٥٤} المعرفة للما وراء، لما وراء الورا، وما وراء المدى، وما وراء الهمة، وما وراء الاسرار، وما وراء الأخبار، وما وراء الإدراك^{١٥٥} وهناك ادعاءات عدة لإمكانية المعرفة تستلزم المعرفة الكشفية وتبررها. ويسوقها ابن تيمية لنقد المنطق الأرسطي ولتبرير الوحي وهي: أولاً، إمكانية المعرفة بالفقد والوجد. وهما حالتان نفسيتان من الأحوال. فكيف يعرف المفقود الموجود؟ وكيف يعرف الحادث القديم؟ ثانيًا، إمكانية المعرفة بعد الجهل. والجهل حجاب، والمعرفة كشف حجاب. ثالثًا، إمكانية المعرفة بالاسم لأن الاسم لا يفارق المسمى. فهل يمكن الوصول من الاسم إلى المسمى، ومن اللغة إلى الوجود، ومن الصوت أو الحرف إلى الشيء والعالم؟ رابعًا، إمكانية المعرفة بالمعروف نفسه، وهو تحصيل حاصل. فكيف يمكن المعرفة بالمعروف وهو غير معروف بعد؟ خامسًا، إمكانية المعرفة والاستدلال عليه بالخلق والصنع كما قال المتكلمون والحكماء. وهو اكتفاء بالصنعة دون الصانع. وكيف يدل الأقل على الأكثر، والكم على الكيف، والمرئي على اللامرئي؟ سادسًا، ويمكن معرفته بالعجز عن معرفته كما قيل «العجز عن إدراك الإدراك إدراك». وكيف يدرك العاجز وهو منقطع عن المعروف ولا اتصال بين العارف والمعروف؟ سابعًا، ويمكن معرفته على التبادل. فالمعرفة قصد متبادل بين الذات العارف وموضوع المعرفة. «كما عرفني عرفته». وإذا كان المعلوم مفارقًا للذات فكيف يعرف؟ ثامنًا، يمكن معرفته كما وصف نفسه. وهو اقتناع بالخبر دون الأثر، وبالرواية دون الدراسة. وهو إقرار باستحالة المعرفة لأن المعروف هو الذي عرف نفسه بنفسه. تاسعًا، يمكن معرفته بالحد المنطقي، الجنس والفصل. والمعروف لا يحد ولا يتحيز ولا يتبعض، لا جنس ولا فصل له.^{١٥٦}

^{١٥٤} قوت القلوب ج ١، ٢٩٧.

^{١٥٥} انظر أيضًا: التراث والتجديد، ١٢٦-١٣٧.

^{١٥٦} العلاج: بستان المعرفة، أعمال، ص ٢١٣-٢١٤.

عاشراً، ولا يمكن معرفته على الحقيقة لأن وجود العارف أقل من وجود المعروف وهو ادعاء.^{١٥٧}

والمعرفة ليست فقط تصوّراً بل تصديقاً. ولا يعني التصديق الحكم بل إيجاد البرهان اليقيني على صدق المعرفة. الخلق كلهم يدعون المعرفة دون صدقها على عكس الأنبياء والأولياء^{١٥٨} وصدق المعرفة هو علم العلم. ولا يعرف الشيء إلا بضده. فلا يعرف الإخلاص إلا بالرياء^{١٥٩} وإذا عرف العبد العدو عرف ربه. فالمعرفة بالضد، ومعرفة الشيطان شرط لمعرفة الله. ومعرفة الشر مقدمة لمعرفة الخير.^{١٦٠}

والمعرفة فكر أي إنها معرفة حياة. وشجرة المعرفة تسقى بماء الفكرة^{١٦١} ولا حياة إلا لأهل المعرفة وهم الخلق. وهم متحركون في أسبابهم. يربون على الأرض. فالحياة حركة. والمعرفة حركة «صوفية»^{١٦٢} والعارفون بين ذائق وشائق وواق. فالمنة شاقتهم. والشوق نوقهم. من ذاق في شوق فردي سكن وتمكن ومن ذاق من غير ري أورث الانزعاج والهيمان^{١٦٣} والعطش على درجات: عطش البراري، وعطش شط النيل. فالعارف لا يرتوي.^{١٦٤}

حقيقة المعرفة الخروج من المعارف، قراءة ما بين السطور، استنباط العلم من المعلومات، ألا يخطر بالقلب ما دونه. المعرفة هي المعرفة الجوهرية^{١٦٥} تحدث المعرفة إذا بدا الشاهد، وفنت الشواهد، وذهبت الحواس، واضمحل الإحساس. فالمعرفة هي المعرفة الباطنية. البداية المعرفة، والنهاية التوحيد. وقد سمي الشاهد شاهداً لأن الشاهد الحق شاهد في الضمير، مطلع على الأسرار، وشاهد لجماله في خلقه وعباده. ويشهد الصوفي بقطع منزل المريدين وهموم العارفين.

^{١٥٧} السابق، ص ٢٥٥.

^{١٥٨} أبو محمد عبد الله الرازي: طبقات الصوفية، ص ٤٥٢-٤٥٣.

^{١٥٩} أبو عثمان المغربي، السابق، ص ٤٨٠.

^{١٦٠} التستري، ص ٢٦١.

^{١٦١} طبقات الصوفية، ص ٢٤١.

^{١٦٢} السابق، ص ٤٤٩-٤٥٠.

^{١٦٣} السابق، ص ٤٣٠، التستري، ص ٢٨٦.

^{١٦٤} طبقات الصوفية، ص ٣٨٩.

^{١٦٥} السابق، ص ٤٤٤.

المعرفة إحضار السر بصنوف الفكر في مراعاة مواجيد الأذكار على توالي إعلام الكشوف. فالمعرفة شعورية وهي معرفة الحال في الوقت^{١٦٦} هي رؤية الأشياء، واستهلاك الكل في الأجزاء. فالمعرفة طبيعية ورؤية الكل في الأجزاء وليست معرفة صورية نظرية مجردة. المعرفة وصفية. من عرف ما وصفه وصف ما عرفه. ثم تسلب المعرفة لذة المعرفة لأنها تصبح همًّا.^{١٦٧}

ولا تتم المعرفة مع الشهوة. ولا يعرف نفسه من تصحبه شهوته^{١٦٨} لذلك الزهد شرط. هم العارف ما يأمل، وهم الزاهد ما يأكل. هم العارف ما يأكل. وهم الزاهد ألا يأكل^{١٦٩} العارف صافي الباطن مختلط الظاهر في حين أن الزاهد صافي الظاهر مختلط الباطن. فالعارف أعلى من الزاهد. العارفون غرباء في الآخرة، والزاهدون غرباء في الدنيا^{١٧٠} ومن عرف الله فإنه يزهد في كل شيء يشغله عنه. والمحبة طريقها. وأمل العارف في الدنيا الإيمان وفي الآخرة العفو. وأمل الزاهد في الدنيا الآيات، وفي الآخرة الكرامات. العلم يورث المخافة، والمعرفة تورث الإنابة، والزهد يورث الراحة^{١٧١} حقيقة المعرفة محبة لله بالقلب، وذكره باللسان، وقطع الهمة من كل شيء سواه. وهذا تعريف للمعرفة بالمعروف وليس تعريف المعرفة في ذاتها. ومن علامة المعرفة المحبة لأن من عرف أحب ومن أحب عرف^{١٧٢} شرط المعرفة استحضار الله في القلب من أجل يقظة الضمير واستيعاب الكل.

تتم المعرفة بتضييع ما للعارف والوقوف مع ما لله. ولماذا لا تكون المعرفة من ذاتها وليس من خارجها، بالوقوف مع الذات وليس ضدها؟ وعلامة العارف ألا يفتر عن ذكر الله، ولا يمل من أداء حقه، ولا يستأنس بغيره. ويعرف الله بالله، ويعرف ما

^{١٦٦} التستري، ص ٢٩٤.

^{١٦٧} الولاية، ص ٢٤٥-٢٤٦.

^{١٦٨} البسطامي، طبقات الصوفية، ص ٧٠، ٧٢، ٧٤.

^{١٦٩} «طوبى لمن كان همه واحدا، ولم يشغل قلبه بما رأت عيناه وسمعت أذناه. فمن عرف الله فإنه يزهد في كل شيء يشغله عنه»، شطحات الصوفية، ص ١٧٥.

^{١٧٠} يحيى بن معاذ، ص ١١٢.

^{١٧١} طبقات الصوفية، ص ٥١، ٥٣؛ اللمع، ص ٣٠١.

^{١٧٢} اللمع، ص ٥٧.

دون الله بنور الله^{١٧٣} فما دور المعرفة المستقلة إذن؟ المعرفة في ذات الحق جهل، والعلم في حقيقة المعرفة حيرة، والإشارة شرك في الإشارة. وأبعد الخلق من الله أكثرهم إشارة إليه. فذات الله خارج المعرفة. ومعرفة المعرفة حيرة. والله ليس في مكان حتى يشار إليه. ومن ثم يستحيل معرفة الله أو العلم به أو الإشارة إليه. والمعرفة في ذات الحق جهل خوفا من الوقوع في التشبيه. والعلم في حقيقته. المعرفة جنائية لوجود الظاهر والباطن. والإشارة من المشير شرك لأنه يتضمن الأثنينية^{١٧٤} من التمس الحق بنور الإيمان كمن يطلب الشمس بنور الكواكب. فالحق أسطع من الإيمان به^{١٧٥} ليس على العارف أشد من الحجاب عن الله ولو طرفة عين. فالمعرفة مشاهدة وكشف. المعرفة تهتك الحجب بين الإنسان والله والدنيا هي التي تحجب. العلم كشف والدنيا حجاب. المعرفة سراج والعقل فتيل. والعلم نار والمزيد زيت. وعلى قدر الزيادة تكون النار. وهو التشبيه القرآني، السراج المضيء الذي لم تمسسه نار. تتولد الشكوى وضيق الصدر من قلة المعرفة بالله. ومن أراد أن يعرف حل محل نفسه ومتابعتها للحق أو مخالفتها له فلينظر مما يماله في مراد له. فإن كان مثله فإنه متابع للحق. وهي التجربة المشتركة بين الذوات. وما يحجب الخلوة للعارفين ويحجبهم من الغفلة وثبة الأكياس عن فخ الدنيا. مع أن العلم يأتي من التجارب الحية في الحياة اليومية.

والدعاء الأثير بصفاء المعرفة وتصحيح المعاملة على السنة بين الإنسان والله وصدق التوكل عليه، وحسن الظن به، ومن كل من يقرب إليه من العوافي في الدارين. والمعرفة في الدنيا مع اليقين والتوكل. المعرفة نور واليقين هداية، والتوكل سر أطلع الله الأنبياء والصديقين على اليسير منه. والمعرفة تؤدي إلى المحبة بالضرورة. فالأخلاق شرط المعرفة وسابقة عليها. الأخلاق مقدمة المعرفة نتيجة. العارف لا يكدره شيء، ويصفو له كل شيء^{١٧٦} والمعرفة نتيجة صفاء القلب. لا يمرح بشيء، ولا يخاف من شيء. وعلامة العارف أن يكون طعامه واحداً، وبيته حيثما أدرك، وشغله بربه^{١٧٧} شرط المعرفة النفس العارية

^{١٧٣} أحمد بن حنبل، السابق، ص ١٠٥.

^{١٧٤} شطحات الصوفية، ص ١٧٠.

^{١٧٥} السابق، ص ٥٩-٦٠، الولاية، ص ٢٣٦.

^{١٧٦} شطحات، ص ١١٨. «من عرف الله فإنه يزهد في كل ما يشغله»، السابق، ص ٢٢٦، اللمع ص ٥٦-٥٨.

^{١٧٧} السابق، ص ١٦٥، ١٧٠ «رب أفهمني عنك فأني لا أفهم عنك إلا بك»، السابق، ص ١٧٢.

والبطن الجائع^{١٧٨} وأيضًا عدم الفتور عن ذكره ولا الملل من حقه ولا الاستئناس بغيره. وأدنى ما يجب على العارف أن يهب له ما قد ملكه^{١٧٩} وثواب العارف من ربه هو.^{١٨٠} والمعصومون يعيشون في رحمة العلم، والمطيعون في رحمة القرب. فالعلم عصمة، والقرب طاعة. والعصمة والطاعة ليستا صفتين بشريتين. العلم خطأ وصواب، والطاعة يتجاذبها الهوى. ومن عرف الله نال معرفته. ومن نال معرفة جوز أمره على كل شيء دونه. فالمعرفة عمل. وكل شيء جائز دون الله. ومعرفة قيام الله تذهب النوم. فالعمل سابق للمعرفة وتال لها في آن واحد^{١٨١} وعند أهل المعرفة للدين رأسمال: خمسة في الظاهر وهي: صدق اللسان، وسخاوة الملك، وتواضع الأبدان، وكف الأذى واحتماله. وخمسة في الباطن: حب وجود السيد، وخوف الفراق، ورجاء الوصول، والندم على ما فعله، والحياء من الرب^{١٨٢} لا فرق إذن بين الأخلاق والمعرفة. الأخلاق مقدمة للمعرفة ونتيجة لها في آن واحد.

ولا تأتي المعرفة من الدنيا بدائها ودوائها ولا يرجع إليها^{١٨٣} إنما العبادة تؤدي إلى معرفة الله والجهل بالله يمنع من معرفته. العبادة شرط المعرفة، والمعرفة شرط العبادة. وثلاثة أشياء تستحكم بها مقام العبودية لله: الفهم والزهد والفراصة. وهي العلم والطاعة والإخلاص. وضدها الجهل والمعصية والرياء^{١٨٤} وهناك فرق بين العابد والعارف. العابد يعبد الحال، والعارف يعبد في الحال. فحال العابد خارجي مثل أوقات الشعائر في حين أن حال العارف داخلي، حال النفس^{١٨٥} العبادة ظاهر، والمعرفة باطن.

^{١٧٨} شطحات الصوفية، ص ١٤٤، ١٥٣، ٢١٠.

^{١٧٩} السابق، ص ١٦٥.

^{١٨٠} السابق، ص ١٦٥. «ثواب العارف من ربه وكمال العارف احتراقه فيه»، السابق، ص ١٧٢.

^{١٨١} التستري، ص ٢٦١-٢٦٢، «محال أن تعرفه ثم لا تحبه»، شطحات الصوفية، ص ١٥٦.

^{١٨٢} عوارف العارف ج ٣، ٨-٩.

^{١٨٣} التستري، ص ٢٥٦.

^{١٨٤} السابق، ص ٦٨.

^{١٨٥} شطحات الصوفية، ص ١٠٢، ١٠٦، ١٤٤. «اطلع الله على قلوب أوليائه. فمنهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة صرفًا فشغلهم بالعبادة»، السابق، ص ١٧٢، ٢٠٧.

والعارف كل يوم أخشع لأنه كل ساعة أقرب. وشرط القرب عدم الانشغال عن الله حتى بحلاوة القرب^{١٨٦} العارف لا يلزم حالة واحدة. إنما يلزم ربه في الحالات كلها. وما يرفع العبد العلم والأدب والأمانة والعفة. فالعلم هو العلم الأخلاقي^{١٨٧} والأخلاق شرط المعرفة. والاستقامة ركيزة الأخلاق وأحسن معرفة هي أحسن أخلاق. ومن علامة المعرفة بالله القيام بحقوقه وإيثاره على النفس فيما دخل تحت القدرة. فالمعرفة حقوق، ليس فقط حقوق الله بل أيضاً حقوق الإنسان^{١٨٨} ولا توجد درجة أعلى من العارف إلا وجود المعروف. فهو قادر على معرفة كل شيء. وقد تختلف المعارف إلا في تجريد التوحيد. وأدنى واجب للعارف أن يهب للمعروف ما قد ملكه^{١٨٩} وليس للعارف نعمة لأنه في كل نعمة.^{١٩٠}

وإذا عرف الإنسان نفسه عرف ربه، فالله حال في النفس ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾. وإذا عرف الإنسان عقله، عرف ما بينه وبين الله. فالله قصد للعقل. وإذا عرف العلم عرف كيفية الوصول إلى الرب، فالعلم طريق إلى الله. عظيمة أهل المعرفة بالله النظر في عظمته وملكه وطلب مرضاته أو في زاده أو في انتظار القدوم إليه. فالمعرفة به وبرضاه وبرزقه مع الانتظار للذهاب إليه. دور الإنسان إذن سلبي خالص. والعالم غائب عنه. والفعل لا وجود له. ومعرفة الله إحدى ضرورات ثلاث مع ضرورة الخلق وضرورة الحال أي الافتقار إليه. وهي ضرورات خارج حرية الإنسان. والأصل في المعرفة معرفة الربوبية ثم القول ثم العلم ثم اليقين ثم اليمين ثم الإيمان ثم الإسلام ثم الشهادة ثم الحكم والحاكم هو الله. فالله بداية المعرفة ونهايتها.^{١٩١}

والمعرفة على ثلاثة أنواع: معرفة إقرار، ومعرفة حقيقة، ومعرفة مشاهدة. ينتج عنها أشكال التعبير بالعبارة والكلام والإشارة.^{١٩٢} ومعرفة الرسول درجة من درجاتها،

^{١٨٦} شطحات الصوفية، ص ١٣٥.

^{١٨٧} ذو النون، طبقات الصوفية، ص ٢٦.

^{١٨٨} اللمع، ص ٣٠١.

^{١٨٩} طبقات الصوفية، ص ٦٩.

^{١٩٠} السابق، ص ٩٠.

^{١٩١} السابق، ص ٢٠١.

^{١٩٢} اللمع، ص ٦٤.

ولو اقترب منها الصوفي لاحترق. وهي بداية ظهور الحقيقة المحمدية^{١٩٣} والمعرفة على ثلاث درجات: طلب الله من الغفلة، والهرب من الله للعجز عنه والوقف دون طلب أو هرب^{١٩٤} المعرفة مطالعة القلوب لإفراده على لطائف تعريفة.^{١٩٥} من عرف الله ذهب من قلبه النوم. فالمعرفة يقظة دائمة. ولا يعرف إلا إذا كانت هيئته في القلب. ولا يذكر إلا إذا شعر بالطامة^{١٩٦} والقلب المتخلي عن سوى الله يرى الغيب والأسرار. ليس للعارف حاجة ولا اختيار فقيامه بموجده.^{١٩٧}

ومقتضى العقل أن يعلم العارف أن الله غني عن عمله^{١٩٨} وأكمل العقلاء من يقر بالعجز عن معرفته. فكيف إذن حضوره في كل شيء وهو مجهول؟^{١٩٩} ويعرف الرب بذكره وقول لا إله إلا الله مع الثبات^{٢٠٠} وقد يكون العالم محجوبًا من الله إن لم يعلم أن ما لديه من العلم هو مجرد سطر من اللوح المحفوظ^{٢٠١} والعارف لا يسأل. ومن لا يعرف لا يعرف قول العارف^{٢٠٢} فالمعرفة شرط المعرفة، المعرفة الأولية شرط المعرفة الثانية، المعرفة البديهية أو الحدسية شرط المعرفة الإلهية. ولا يزال العارف يعرف، والعارف تعرف حتى يهلك العارف في المعارف فيتكلم عن العارف ويبقى بلا معارف^{٢٠٣} ولو أن مئات الألوف من الملائكة بقدر جبريل وميكائيل وإسرافيل في قلب العارف ما أحس بهم

^{١٩٣} «غصت في بحر المعارف حتى بلغت بحر محمد ... فرأيت بيني وبينه ألف مقام. واهتربت من واحد فاحترقت»، شطحات الصوفية ٨٦، ١٥٢.

^{١٩٤} «أهل المعرفة مع الله على ثلاثة مقامات: فقوم طلبوا الله من حيث الغفلة عنه. وقوم هربوا من الله من حيث العجز عنه. وقوم أوهمهم فيما لا طلب معه ولا هرب لهم عنه، السابق، ص ١٣٤-١٣٥، ١٣٧، ١٠٣-١٠٢.

^{١٩٥} هذا هو رأي الجنيد، اللمع، ص ٥٧.

^{١٩٦} السابق، ص ٦١.

^{١٩٧} السابق، ص ٦١.

^{١٩٨} السابق، ص ١٣٥.

^{١٩٩} طبقات الصوفية، ص ٥٨، ٦٠.

^{٢٠٠} السابق، ص ١٤٥.

^{٢٠١} السابق، ص ١٥٥، ١٦٣.

^{٢٠٢} «لو عرفت ما كنت تسألني عنه. ومن لم يعرف الله فلا يعرف قول العارف. ومن عرف الله يستغن

عن السؤال»، شطحات، ص ١٢٥.

^{٢٠٣} السابق، ص ١٤٦.

العارف. وإن أحس بهم فليس بعارف لأن المعرفة لاشعورية.^{٢٠٤} إذا رأى أحد العارف هابه، وإذا فارقه هابه. وإذا رأى الصادق الزاهد هابه. وإذا فارقه هان عليه أمره.^{٢٠٥} وعلامة العارف خمسة أشياء: القيام على باب الرب، الإقبال إليه، الأنس به، عدم الانشغال إلا به، والفرار من الخلق إلى الخالق، ومن الأسباب إلى وليها.^{٢٠٦} وفي صنعة العارف، غيبوبة الخلق منه. وسعة مقام العارف وأدنى صفة العارف أن تجري فيه صفات الحق وجنس الربوبية. للخلق أحوال. ولا حال للعارف لحجب رسومه. فلا يشاهد في اليقظة والنوم إلا الله.^{٢٠٧} وإذا التفت العارف إلى الخلق بغير إذن الخالق فإنه لم يعرف.^{٢٠٨} العالم يلاحظ نفسه، والعارف يلاحظ ربه. ومن علامة المعرفة أن يصبح العارف في قبضة الله، تجري عليه تصارييف القدرة وكان ثمن المعرفة فقدان الحرية.^{٢٠٩} المعرفة هي الدافع على الإنابة. والعارف سره مع الله.^{٢١٠} العارف مع الناس وليس معهم، داخل معهم وبائن منهم.^{٢١١} معرفته من الله ومن الناس، من الوحي ومن الحياة اليومية، من السماء ومن الأرض، من أعلى ومن أدنى، من المثال ومن الواقع. العارف هو العليم بأسرار المنازل، بالله وبالكون، بالحق وبالخلق.^{٢١٢}

^{٢٠٤} «لو أن مائة ألف ملك كلهم بقدر جبريل وميكائيل وإسرافيل في قلب العارف وفي كل زاوية من زاويا قلبه ما حس به العارف ولا شعر. ولا علم أنهم في كون الله موجودون. وإن حس بهم فليس بعارف»، السابق، ص ١٥٠-١٦٦.

^{٢٠٥} السابق، ص ١٧٢.

^{٢٠٦} شطحات الصوفية، ص ١٦٦، ١٧٢، ٢٠٦-٢٠٧.

^{٢٠٧} السابق، ص ١٦٨، ٢٦١، ٢٢٦.

^{٢٠٨} اللمع، ص ٥٨، ٦١.

^{٢٠٩} الحلاج: التفسير، ص ١٤٢.

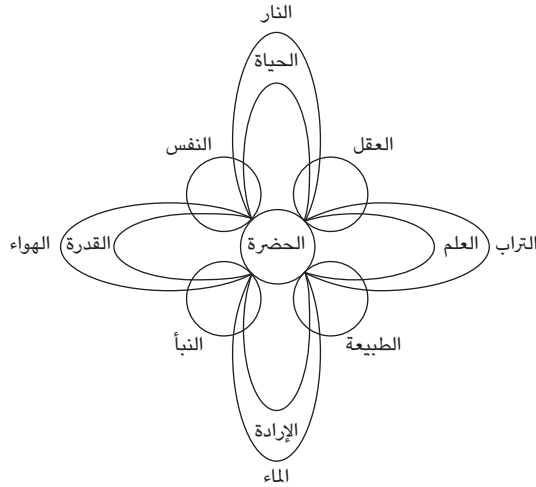
^{٢١٠} اللمع، ص ٥٧.

^{٢١١} السابق، ص ٥٨.

^{٢١٢} «إن في معرفة أسرار وصف المنازل السفلية ومقاماتها، وكيف يرتاح العارف عند ذكره بدايته فيحن إليها مع علو مقامه، وما السر الذي يتجلى له حتى يدعوا إلى ذلك»، الفتوحات ج ١، ٢٥٥-٢٦١. القدرة الهواء النفس النبا النار الحياة الحضرة الإرادة الماء العقل الطبيعة العلم الترتأي السابق، ص ٢٦٠.

(٦) المعرفة المباشرة

وتقابل درجات اليقين الثلاثة درجات الوصول إليها وهي: المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة. المحاضرة في البداية تقابل علم اليقين، والمكاشفة في الوسط تقابل عين اليقين، والمشاهدة في النهاية تقابل حق اليقين. المحاضرة وحضور القلب. وقد يكون بتواتر البرهان على ما وراء الستر. والحضور استيلاء سلطان الذكر. والمكاشفة حضور بنعت البيان دونما حاجة إلى دليل أو طلب سبيل. لا تخلو من دواعي الريب. ولا محجوب فيه من نعت الغيب. والمشاهدة حضور الحق دون تهمة وكشف الستر وإشراق شمس الشهود. صاحب المحاضرة مشروط بآياته. وصاحب المكاشفة مبسوط بصفاته، وصاحب المشاهدة ملقى بذاته. صاحب المحاضرة يهديه عقله، وصاحب المكاشفة يدنيه علمه، وصاحب المشاهدة تحوّه معرفته. يبدأ اليقين بالمكاشفة ثم المعاينة ﴿لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾، والمشاهدة وهي الطمأنينة إلى الإيمان^{٢١٣} فالمشاهدة توالي أنوار التجلي على القلب دون ستر أو انقطاع كاتصال البروق. ولا تصح إذا ما بقي عرق قائم^{٢١٤} ولا تقتضي المباشرة بين الشاهد والمشهود. المحاضرة ابتداء المكاشفة، والمكاشفة بداية المشاهدة. وقد تضم



^{٢١٣} التستري، ص ٢٥٨-٢٥٩.

^{٢١٤} الرسالة، ص ٤٠.

المعاينة إلى المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة. فالعلم هو المعاينة. ومن لم يعتبر بالمعاينة لا يتعظ بالموعظة ويستغني عنها^{٢١٥} المعاينة هي التجربة الذاتية. المحاضرة حضور القلب. وقد يكون بتواتر البرهان وهو ما زال وراء الستر أو باستيلاء سلطان الذكر. المشاهدات للقلوب، والمكاشفات للأسرار، والمعاينات للبصائر، والمراعاة للأبصار^{٢١٦} فهذه أربع درجات للمعرفة: مشاهدة القلب، ومكاشفة السر. الأول ذات، والثاني موضوع. والمعاينة للبصيرة والمرآة للبصر. الأولى للعين الباطنة، والثانية للعين الظاهرة.^{٢١٧}

الكشف ما يستتر على الفهم فيكشف عنه للإنسان رؤية العين. كشف العيون الإبصار. وكشف القلوب بالاتصال^{٢١٨} والمكاشفة حضور بالعيان دونما حاجة إلى دليل^{٢١٩} العلوم بالوسائط، والحقائق بالمكاشفة^{٢٢٠} واليقين مع الكشف^{٢٢١} والكشف شهادة. وهذا موقف حق المعرفة^{٢٢٢} المكاشفة أمانة الفهم وتحقيق زيادة الحال وتحقيق الإشارة^{٢٢٣} المكاشفة متعلقة بالمعاني، والمشاهدة متعلقة بالذوات. المشاهدة للمسمى والمكاشفة لحكم الأسماء. المكاشفة أتم من المشاهدة إلا لو صحت مشاهدة ذات الحق. فإن لم تكن فهي المكاشفة. المكاشفة تلطيف الكثيف، والمشاهدة تكثيف اللطيف. الشاهد ما يشهد بما غاب ويحضره في القلب. هو في الضمير والسر. أحلام الغيب لا تشاهد في الدنيا ولكن تشاهد فضائح الدعوى في عالم الشاهد. وعالم الغائب مجهولة أحكامه^{٢٢٤} والمشهود ما يشهده الشاهد. وهما لفظان قرآنيان ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾^{٢٢٥} وشاهد الغيب هو شاهد

^{٢١٥} يحيى بن معاذ، طبقات الصوفية، ص ١١٣.

^{٢١٦} الرسالة، ص ٤٠.

^{٢١٧} السابق، ص ٣٣١.

^{٢١٨} اللمع، ص ٤٢٢، طبقات الصوفية، ص ٤٧٦.

^{٢١٩} الرسالة، ص ٤٠.

^{٢٢٠} السابق، ص ٤٣٠.

^{٢٢١} النفري: موقف رؤيته، المواقف، ص ١٦٢-١٦٣.

^{٢٢٢} موقف حق المعرفة، السابق، ص ١٦٣-١٦٤.

^{٢٢٣} الفتوحات ج ٢، ٤٩٨-٤٩٦.

^{٢٢٤} طبقات الصوفية، ص ٤٦٩.

^{٢٢٥} مثل:

وفي كل شيء له شاهد يدل على أنه واحد

اللمع، ص ٤١٥.

الذمة. وشاهد اللبس هو شاهد النزع. وشاهد العلم هو شاهد العمل. وشاهد النوم هو شاهد اليقظة^{٢٢٦} المشاهدة إطلاع القلوب بصفاء اليقين إلى ما أخبر الحق عن الغيوب^{٢٢٧} ولا يجوز الاستدلال بالشاهد على الغائب لأنه لا يعتد بصفات من يشاهد ولا يعاين. وهو ذو مثل على صفة من لا يشاهد في الدنيا ولا يعاين ولا مثل له ولا نظير^{٢٢٨} و«الشاهد» ما يكون حاضرًا في القلب وما يغلب عليه ذكره حتى كأنه يراه ويبصره وإن كان غائبًا عنه. هو الاستيلاء على القلب حتى يشاهد. وقد يكون المشاهد العلم أو الوجد كل ما يحضر في القلب شاهد. والسؤال هو من يشاهد الشاهد الحق أم يشاهد الحق الشاهد؟^{٢٢٩} وفي كلتا الحالتين الشاهد والشهادة من نفس الاشتقاق أي الفناء عن البشرية أو البقاء فيها. ولا تتضمن المشاهدة التفرقة بل المشاركة. المشاهدة حضور الحق. ولا تصبح لو بقي للإنسان عرق قائم. المعرفة ظهور الحقائق، وتلاقي الشواهد، وصرف النظر عن موضوع محدد^{٢٣٠} المعرفة كلية وليست جزئية، نازلة وليست صاعدة، استنباطية وليست استقرائية. الواقع مثير وحامل لها، وليس مبدعها وخالقها. المشاهدة أن تتوالى أنوار التجلي على القلب دون ستر أو انقطاع وهي طبع وخلقة وهبة^{٢٣١} المشاهدة رؤية الأشياء بدلائل التوحيد ورؤيته في الأشياء وحقيقتها اليقين من غير شك^{٢٣٢} كما يستعمل فعل «شهد» ومشتقاته مثل «شهد» ويعني «أرى»، «أتحقق»^{٢٣٣} لذلك خصص موقف للبصيرة^{٢٣٤} فالعلم معلوم ومعيون أي إنه موضوع المعرفة والرؤية بالعين. وعلم المشاهدة لا ينير فقط بل يحرق^{٢٣٥} مشاهدة الأرواح تحقيق. ومشاهد القلوب تعريف. فالروح تشاهد، والقلب يعرف.^{٢٣٦}

^{٢٢٦} المواقف، ص ١٢٢-١٢١.

^{٢٢٧} طبقات الصوفية، ص ٤٦٥.

^{٢٢٨} السابق، ص ٣١٥.

^{٢٢٩} الرسالة، ص ٤٤.

^{٢٣٠} السابق، ص ٤٠.

^{٢٣١} طبقات الصوفية، ص ٤٠٩.

^{٢٣٢} الفتوحات ج ٢، ٤٩٤-٤٩٦.

^{٢٣٣} وهذا أوضح في اللغات الأجنبية في فعل Witness الذي يعني أرى، أشهد. المواقف، ص ٦٦.

^{٢٣٤} «البصيرة»، المواقف، ص ١١٩-١٢٠.

^{٢٣٥} أبو عبد الله الصبيحي، السابق، ص ٣٣١.

^{٢٣٦} طبقات الصوفية، ص ٣٨٠.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

المشاهدة لفظ قرآني^{٢٣٧} الشاهد الرب، والمشهود الكون. ومن شاهد الله بقلبه لم يشاهد سواه. والمشاهدة ما لا فات القلوب من الغيب دون عيان أو وجد. هو وصل بين رؤية القلب ورؤية العيان لأن رؤية القلوب عند كشف اليقين زيادة توهم. المشاهدة هي المحاضرة والمناداة. هي زوائد اليقين سطعت بكواشف الحضور غير خارجة من تغطية القلب. هو حضور بمعنى قرب مقرون بعلم اليقين وحقائقها. وهي على ثلاثة أحوال:

الأول: عند الأصاغر المريدين، هي مشاهدة الأشياء بعين العبر ومعاينتها بأهل الفكر.

والثاني: عند الأواسط هو ألا يبقى في سر المشاهد غير الله.

والثالث: عند القلة، مشاهدة الله في قلوب العارفين مشاهدة تثبيت في كل شيء، ظاهراً وباطناً، أولاً وآخرًا. وهي حال رفيع من لوائح زيادات اليقين.

وتعني المشاهدة المدانة والقرب. والمكاشفة والمشاهدة والمحاضرة بمعنى واحد. أول المشاهدة زوايد اليقين سطعت بكواشف الحضور، والتماس القلب دوام المحاضرة.^{٢٣٨} ويشاهد الإنسان بمشاهدة الحق إياه وليس بمشاهدته له. فالمشاهدة نور في القلب قبل أن تكون رؤية لموضوع^{٢٣٩} القدرة ظاهرة والأعين مفتوحة ولكن أنوار البصائر ضعفت^{٢٤٠} الأبصار قوية والبصائر ضعيفة^{٢٤١} فظلم الأطماع تمنع من أنوار المشاهدات^{٢٤٢} المشاهدة ابتلاء الخلائق بالدعوى العريضة في الغيب. إذا أظلتهم هيبة المشهد انعقدت الألسنة وانقمعوا وصاروا لا شيء. ولو صدقوا في دعواهم لبرزوا حين المشاهدة، ولرأوا كما

^{٢٣٧} اللمع، ص ١٠٠-١٠١.

^{٢٣٨} السابق، ص ٤١٢.

^{٢٣٩} أبو بكر الواسطي، طبقات الصوفية، ص ٣٠٢.

^{٢٤٠} إبراهيم القصار، السابق، ص ٣٢٠.

^{٢٤١}

ينوي العتاب له من قبل رؤيته فإن رآه فدمع العين مسكوب
لا يستطيع كلاماً حين يبصره كل اللسان، وفي الأحشاء تلهيب

السابق، ص ٩١-٩٢.

^{٢٤٢} السابق، ص ٤٤٤-٤٤٥.

فعل الرسول حين طلب الشفاعة. لم ترعه هيبة الموقف لما كان لديه من قدم الصدق^{٢٤٣} وعلى قدر الابتلاء تكون المشاهدة. وعلى قدر المشاهدة يكون الابتلاء. وعلى قدر المعرفة بالابتلاء تكون العصمة. وعلى قدر إظهار الفاقة والفقر إلى الله يُعرف الضر والنفع، ويزداد العلم فهمًا وبصرًا. ما التذ عاقل بمشاهدة لأن مشاهدة الحق خفاء ليس فيه لذة ولا التذاذ، ولا حظ ولا احتفاظ. وإن لم يكن بالفناء لذة ولا التذاذ، لا حظ ولا احتفاظ. من عمل على رؤية الجزاء كانت أعماله وثوابه بالعدد والإحصاء. ومن عمل على المشاهدة أذهلته عن التعداد والعدد، وكان أجره بلا عدد^{٢٤٤} ولذة الثواب في الآخرة على قدر لذة التعبد في الدنيا. وقياسًا على ذلك يقال عن الرؤية.

والعلماء متفاوتون في ترتيب مشاهدات الأشياء في ثلاث طبقات: من الأشياء إلى الله، ومن الله إلى الأشياء، ومن الأشياء إلى الأشياء. بقيت من الله إلى الله وتكتمل بذلك الأسفار الأربعة كما حددها صدر الدين الشيرازي^{٢٤٥} وكيف تشهده الأشياء وهي تغني بذواتها عن ذواتها فيه؟ وكيف تغيب عنه وبه ظهرت وبصفاته؟ لا يشهده شيء ولا يغيب عنه، تلك وحدة الذات والموضوع.

أشربت القلوب لمشاهدة ذات الحق فألقيت لها الأسامي. واستترت الذات إلى وقت التجلي. فالأسماء واسطة الذات وإشارة عليها. لذلك أظهرها الحق وأبداها للخلق ليسكن بها شق المحبين. وتأنس بها قلوب العارفين^{٢٤٦} من أعرض عن مشاهدة الله شغله الله بطاعته وخدمته. فالعبادة أقل من المشاهدة. ولو بدا له نجم الاحتراق لغيبه عن وساوس الاختراق^{٢٤٧} ولا يغيب أهل المشاهدة عن الله قيامًا وقعودًا، ولا نومًا ولا انتباهًا. ولهم

^{٢٤٣} أبو علي الروزباري، السابق، ص ٣٥٨.

^{٢٤٤} السابق، ص ٤٨٦.

^{٢٤٥} أبو العباس الدينوري، السابق، ص ٤٧٦.

الطبعة الغاية

الله الأشياء

الأشياء الله

الأشياء الأشياء

^{٢٤٦} السابق، ٣٥٩-٣٦٠.

^{٢٤٧} السابق، ص ٣٨٤.

أحوال تسطع عليها أنوار القرب. لا يتفرغون إلى الخلق وما هم فيه. وتلك أسوأ أحوال الدهشة، دهشة وحيرة، غياباً بأسرارهم، وحضوراً بأبدانهم.^{٢٤٨} والملاحظة قادرة على قهر الشيطان. كما قهره الأنبياء والصديقون. والإنسان بين نسبتين: نسبة إلى الحق للدخول في مقدمات الكشف والبراهين والعظمة، وهي نسبة تحقق العبودية، ونسبة إلى آدم للدخول في مقامات الظلم والجهل. وكما أن شرط العلم العمل، وشرط الورع الإخلاص، فإن شرط الإخلاص المشاهدة المتبادلة بين العبد والرب، والصحبة المتبادلة. ولا راحة حتى يرى الله في القلب ويقيم عليه. فالرؤية إذن قلبية وليست موضوعية، داخلية وليست خارجية.

ولا يستطيع الإنسان أن يعلم أكثر مما في الدنيا إلا في الآخرة عن طريق المشاهدة والمشافهة. ويرى العبد ربه ويكلمه بإيمانه وتسليمه له وترك جميع أحواله واختياره له، وترك كل ما في الدنيا.^{٢٤٩}

ويلتزم الإنسان بعدم الشبع أو الملل عن العلم وبأن الله يشاهد كل شيء، فالحاجة إليه والموت على بابه. ويبعد عن المشاهدة الطمع في الخلق والدوران عليهم بالذم أو المدح. وأفضل علم هو علم العبد بأن الله شاهده. وأفضل شرف النظرة إلى الله، والاستماع منه، والكلام معه. والناس في علاقتهم بالله يعلمون أن الله شاهدهم وهو معهم في عبوديتهم أو الاستعانة به، والصبر على ذلك. وهو خير الدنيا والآخرة، وخير السر والعلانية. وإذا من الله على العبد بالإيمان وثبت في قلبه، من عليه باليمينه فشهد قلبه الأسماء. فالأسماء موضوع للمشاهدة وليس للفهم. وهي أيضاً مرئية وليست فقط مسموعة. وهنا يتحقق الإسلام ثم الوصول إلى السلام ثم دار الكفاية والولاية. والعلم بأن الله شاهد العبد مشروط بطعام إلى الصرف، ولباس إلى المزيل، ومال للميراث، وأحباب للتراب. وشهادة الله للعبد تعني أنه مطلع على أحواله، قادر على قرب، رحيم رءوف به. وهو شرط القرب من الله والخوف منه والإيثار له والفقر إليه. فالمشاهدة متبادلة. يشاهد العبد الرب كما يشاهد الرب العبد. ويفرح العبد بمشاهدة الرب له. فيعرف مقامه من الإيمان والقرب. ويستمتع إليه، ويذكره باللسان. ويطلب مرضاته وطاعته ليرحمه. ويقوم بكل أعمال البر.^{٢٥٠}

^{٢٤٨} السابق، ص ٤٠٥.

^{٢٤٩} التستري، ص ٢٤٥-٢٤٦.

^{٢٥٠} السابق، ص ٢٤٦-٢٤٧.

من رأى شهد أن الشيء لله ولم يرتبط به. ومن لم ير الله لم ير الشيء ولم يشهد له. وليس كل من رأى الله شهد من رأى. الشهادة أن تعرف. وقد يرى أحد ولا يعرف. ومن أحبه الله أشهده. فإذا شهد به أحبه^{٢٥١} ومن كان يعبد الله كأنه يراه فإن الله يراه وإلا كان غافلاً. وقوم ينظرون إلى الله بكرة وعشية. وبقدر طاعتهم وعلمهم لا يحجبون عنه في كل الأوقات. فالرؤية ذاتية، متوقفة على قدر الوعي الذاتي وليست إدراكاً حسيّاً لموضوع خارجي.^{٢٥٢}

المعرفة لله بكمال الربوبية، وللنفس بالعبودية. الله أول كل شيء. وبه يقوم كل شيء. وإليه يصير كل شيء. وعليه رزق كل شيء. الربوبية والعبودية لفظان متضايقان لإحساس الإنسان بأنه عبد فيكون له رب. الرب هو الأول والقائم والنهاية والرازق مثل صفات السيد.^{٢٥٣}

(٧) المعرفة الوجدانية

وتشمل المعرفة الوجدانية خاطر والهاجس والوارد واللطفية واللوائح والطوالع واللوامع والهوامع والطوارق والهجوم والبدائي واللاحظ والزوائد وأخيراً القوادح والعوارض والسواوس. وكلها خلجات النفس وهواجس الشعور، بلغة البروق واللمحات الخاطفة. وقد تفرد الصوفية بتحليلها، مفرداً أم جمعاً. منها الإيجابي ومنها السلبي. و«الخاطر» هو ما يرد على الضمائر بصرف النظر عن مصدره الملك أو الشيطان، الله أو النفس. إذا كان من الملك يكون إلهاماً أو علماً. وإن كان من الشيطان يكون وسواساً. وإن كان من الله فهو خاطر. الخواطر إذن أربعة: خواطر النفس، وخواطر الحق، وخواطر الملك، وخواطر الشيطان. خواطر النفس تقل بالصعود إلى الحق، ويشعر بها القلب. وخواطر الحق من فوق القلب. وخواطر الملك من يمين القلب، وخواطر الشيطان من يسار القلب. بنور التوحيد يقبل الخاطر من الله. وبنور المعرفة يقبل الخاطر من الملك. وبنور الإيمان ينهى النفس، وبنور الإسلام يرد على العدو. وبتعبير

^{٢٥١} النفري: المواقف، ص ١٢٩-١٣٠.

^{٢٥٢} التستري، ص ٢٥٥.

^{٢٥٣} طبقات الصوفية، ص ٣٨٢.

آخر: الخواطر أربعة: رباني وملكي ونفسي وشيطاني. والشيطاني قسمان: معنوي وحسي. والحسي قسمان: إنسي وجني^{٢٥٤} فالخاطر يشهد له ظاهر. إن كان من الشيطان فإنه يدفع إلى العاصي. وإن كان من النفس يدفع إلى الشهوات أو الأهواء. ويمنع أكل الحرام من التمييز بين الإلهام والوسواس^{٢٥٥} وإن سكوت النفس عن الهواجس بصدق المجاهدة نطق القلب. النفس لا تصدق، والقلب لا يكذب^{٢٥٦} والفرق بين هواجس النفس ووسواس الشيطان هو إلحاح النفس على الطلب في حين أن الشيطان لا يلح بل يلجأ إلى وسوسة أخرى لأن الكل لديه سواء^{٢٥٧} والإلهام من الملك قد يوافق صاحبه وقد يخالفه. أما الخاطر من الله فإنه يوافقه. وقد يأتي خاطران من الحق، يكون الأول أقوى من الثاني لأنه الأسبق. وقد يكون الثاني أقوى من الأول لأنه تال له^{٢٥٨} وقد تكون الخواطر ستة. هناك خاطران: خاطر النفس وخاطر العدو لدى كل الناس. وهما مذمومان. يأتیان مع الهوى دون العلم. وخاطر الروح وخاطر الملك أيضًا لدى كل الناس. وهما خاطران محمودان لا يردان إلا بحق وما دل عليه العلم والعقل. والعقل خاطر خامس بين الخير والشر. متوسط بين الخواطر الأربعة. والخطر السادس خاطر اليقين. وهو روح الإيمان ومزيد العلم. يرد من خاطر الحق وخاطر العقل. وهو خاطر عند الموقنين وحدهم، وهم الشهداء والصديقون^{٢٥٩} وهو استفتاء القلب ولو أفتى الناس. وتوزن الخواطر بميزان الشرع نفلاً أو فرضاً، محرماً أو مكروهاً. فإذا تساوى الخطران يؤخذ أقربهما إلى مخالفة الهوى. والتمسك بالشرع يساعد على التمييز بين الخواطر. وسبب اشتباه الخواطر أربعة: ضعف اليقين أو قلة العلم، صفات النفس وأخلاقها أو متابعة الهوى بحزم، قواعد التقوى أو محبة الدنيا جاهها ومالها وطلب الرفعة والمنزلة عند الناس، وترد الآفات على النفس إما بجهل أو غفلة أو طلب فضول.^{٢٦٠}

^{٢٥٤} الفتوحات: «في معرفة الخواطر الشيطانية»، ج ١، ٢٨١-٢٨٤.

^{٢٥٥} الرسالة، ص ٤٣-٤٤.

^{٢٥٦} أبو علي الدقاق، السابق، ص ٤٣.

^{٢٥٧} الجنيد، السابق، ص ٤٣.

^{٢٥٨} الأول أقوى عند الجنيد، والثاني أقوى عند ابن عطاء، السابق، ص ٤٤.

^{٢٥٩} قوت القلوب ج ١، ٢٣٤، عوارف العارف ج ٤، ٢٥٢-٢٨١.

^{٢٦٠} «معرفة الخواطر وتفصيلها وتمييزها»، عوارف المعارف، ج ٤، ٢٥٢-٢٨١.

والخواطر مقامات. وقد يعني المقام الدرجة أي المعنى العام وليس المعنى الخاص. الدرجة على الطريق الصوفي. فأول مقامات القلوب الخواطر وهي من الله. إما أن تسقط في جهنم أو تنزل في الجنة^{٢٦١} والخطر أول الفعل ومفتتحه. فالخواطر أفعال، والأفعال خواطر. وإذا اجتمعت في القلب ثلاثة معان لم تفارقه خواطر اليقين: الإيمان والعلم والعقل^{٢٦٢} ومن خواطر اليقين ما يرد بشيء لا تظهر دلالتة لخفائه أنه لا يعلم إلا بعلم باطني، فهم التنزيل وتعليم التأويل^{٢٦٣}

وتنقسم الخواطر بالنسبة إلى الخير والشر عدة أقسام. ما وقع في القلب من عمل الخير إلهام، ومن عمل الشر وسواس، ومن المخاوف إحساس، والأمل في الخير نية، وتدبير المباحات أمنية وأمل، وذكر الآخرة والوعد والوعيد تذكر وتفكير، ومعاينة الغيب مشاهدة، وحديث النفس هم، وخواطر العادات والشهوات لم^{٢٦٤} وترتيب الخواطر ثلاثة معقوفة، وثلاثة مطالب، الهمة وهي وسوسة النفس بالشيء ثم يقوى فتصير نية ثم عقدًا ثم عزماً ثم طلبًا وسعيًا.

وبالنسبة للأنبياء العلم من الله، من التعليم وليس من العمل، من إلهامات الله. وقد كان للرسول علم من الله لم يطلع عليه جبريل ولا ميكائيل^{٢٦٥} وكلم الله موسى تكليمًا وكلم الأنبياء وحيًا. وهو ما يستقر في القلب مباشرة^{٢٦٦} والعارف يستدل بالله على الله ويقع الإلهام على القلب حتى ولو كان السير إليه وهما في طريق الغيب^{٢٦٧} والكشف لا يوصف باللسان ولا يدرك بالعقل^{٢٦٨} الخطرة للأنبياء، والوسوسة للأولياء، والفكرة للعوام، والعزم للفتيان^{٢٦٩}.

^{٢٦١} التستري، ص ٢٨٨.

^{٢٦٢} قوت القلوب ج ١، ٢٣٤-٢٣٦، ٢٥٢.

^{٢٦٣} السابق، ص ٢٤١.

^{٢٦٤} السابق، ص ٢٥٧-٢٥٨.

^{٢٦٥} شطحات، ص ١١٣-١١٤.

^{٢٦٦} «بك أدل عليك. ومنك أصل إليك. ما أطيب واقعات الإلهام منك على خطرات القلوب. وما أحلى المشي إليك بالأوهام في طرقات الغيوب. اللهم ما أحسن ما لا يمكن للخلق كشفه، ولا اللسان وصفه، من حيث لا تدركه العقول»، السابق، ص ١٤١.

^{٢٦٧} «أعرف الذي علمني ربي عز وجل» السابق، ص ٢١٩.

^{٢٦٨} «ذلك في غامض علم الله فإن ذلك لا يظهر عليه نبي مرسل ولا ملك مقرب»، السابق ص ٢٢٢.

^{٢٦٩} طبقات الصوفية، ص ٤٤٥.

الخاطر تحريك السر لا بداية له. وإذا خطر بالقلب لا يثبت ويزول بخاطر آخر على عكس الواقع الذي يثبت ولا يزول بواقع آخر. الواقع هو الثابت والخاطر هو المتغير. والخاطر الصحيح أوله. وقد يعني الخاطر ما لا يكون للإنسان فيه نسبة في ظهوره في الأسرار. وقد يكون القهر الذي يستوعب الأسرار^{٢٧٠} إذا وصل الإنسان إلى مقام المعرفة حدث له الخواطر. ولا يخطر له إلا الحق. وخاطر الحق لا يعارضه شيء لأنه إدراك حدسي^{٢٧١} ومقام الخطرات بعيد عن مقام الوطنيات لأن الخواطر تلمع ثم تخفى. والوطنيات تبدو وتثبت ثم تتحقق. وتتولد الدواعي من الخواطر؛ إذ يظن المدعي أن ما لاح ثبت. ولا دعوى لصاحب الوطنيات.^{٢٧٢}

والوارد ما يرد على القلوب من الخواطر المحمودة دون تعمد. وقد يكون وارداً من الحق أو من العلم. الواردات أعم من الخواطر لأن الخواطر تتعلق بنوع الخطاب، والواردات تتعلق بمعناه سروراً أو حزناً، بسطاً أو قبضاً^{٢٧٣} تختص الخواطر بنوع خطاب أو مطالبة. وتكون الواردات تارة خواطر وتارة وارد سرور أو وارد حزن أو وارد قبض أو وارد بسط. الوارد ما يرد على القلوب بعد البادي فيستغرقها. البادي فعل والوارد ليس فعلاً^{٢٧٤} وإذا ورد الوارد قد يصادف شكلاً ليمارجه أو موافقة فيساكنها^{٢٧٥} فهل الوارد من الخارج أم من الداخل، من الأعلى أم من الأعماق؟

و«اللطايف» هبات في الخاطر من القادر. وهي مثل لفظ «الإشارات». الإشارات من أدنى إلى أعلى كالعلامة، واللطايف من أعلى إلى أدنى كالهبات. لذلك وضع القشيري عنواناً لتفسيره «لطايف الإشارات»^{٢٧٦} اللطيفة إشارة تلوح في الفهم، وتلمع في الذهن، ولا

٢٧٠ اللمع ض ٤١٨-٤١٩.

٢٧١ الحلاج: الولاية، ص ٢٣٢.

٢٧٢ طبقات الصوفية، ص ٢٧٨.

٢٧٣ الرسالة، ص ٤٤، عوارف المعارف، ج ٤، ٢٧٢.

٢٧٤ اللمع، ص ٤١٨.

٢٧٥ طبقات الصوفية، ص ٣٧٥.

٢٧٦

في لج بحر الفكر تجري به لطائف من قدرة القادر

الحلاج: الديوان، ص ٣٠٣.

تسعه العبارة لدقة معناها^{٢٧٧} للطيفة معنيان: الأول حقيقة الإنسان أي البدن والثاني كل إشارة دقيقة تلوح في الفهم لا تسعه العبارة. وهي من علوم الذوق والحال. تعلم مباشرة دون رواية أو حد. ولها معنى ثالث أوسع يشمل اللطيف كاسم إلهي. هو ما يحصل عليه العبد من دون أن يشعر.^{٢٧٨}

وتأتى الألفاظ متقاربة في المعاني مثل اللوائح والطوالع واللوامع والهوامع والطوارق. ترتبط ب بدايات المعرفة. وهي على الترقى من الأولى إلى الثانية إلى الثالثة مثل درجات اليقين أو درجات الحضور^{٢٧٩} اللوائح تحضر وتختفي في لحظة. ما يلوح للأسرار الظاهرة لزيادة السمو، والانتقال من حال إلى حال، كالإشارات للسير أو للتوقف. والطوالع تحضر وتختفي عدة لحظات. فهي أبقي وأدوم وأقوى. هي أنوار التوحيد تطلع إلى قلوب أهل المعرفة^{٢٨٠} واللوامع هي التي تبقى وتدوم. فالفرق بينها في الوقت والقوة. هي مثل اللوائح إلا أنها كالبرق في قلوب الأولياء بلا توهم^{٢٨١} والطوارق ما يطرق قلوب أهل الحقائق عن طريق السمع فيجدد لهم حقائقهم. وتأتي بعد الطوالع^{٢٨٢} والمعارف لوائح وهوامع. يضيع فيها العارف إن لم تكن له خبرة بها من مثيل^{٢٨٣} اللوائح ما يلوح إلى الأسرار الظاهرة من السمو من حال إلى حال. هو ما يلوح للبصر إذا لم يتقيد بجارحة من الأنوار الذاتية والسبحات الوجهية والأسماء الإلهية.^{٢٨٤}

وقد تكون ألفاظ المعرفة ثنائية كالأحوال. وذلك مثل البوادة والهجوم. البوادة من البدء وهو ما يفاجئ القلب من الغيب على سبيل الوله فرحًا أو تركًا. والهجوم ما يرد على القلب بقوة الوقت دون تصنع أو تكلف. ويختلفان حسب قوة الوارد وضعفه. قد تغير البوادة الصوفي وتصرفه الهواجم. وقد يستطيع السيطرة عليها فيصبحون سادة

^{٢٧٧} اللمع، ص ٤٤٨.

^{٢٧٨} الفتوحات ج ٢، ٥٠٣-٥٠٥.

^{٢٧٩} الرسالة، ص ٤٠-٤١.

^{٢٨٠} اللمع، ص ٤٢٢.

^{٢٨١} السابق، ص ٤١٢.

^{٢٨٢} السابق، ص ٤٢٢.

^{٢٨٣} «لا تغتروا باللوائح فإنها تلوح من متاهات يضيع فيها من لا سابقة له»، شطحات الصوفية،

ص ١٠٣.

^{٢٨٤} الفتوحات ج ٢، ٤٩٨-٤٩٩.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

الوقت.^{٢٨٥} البادي هو الذي يبدو على القلب في الحين من حيث حال العبد. بادي الحق يبيد ما سواه^{٢٨٦} والبادي بلا بادي هو ما يبدو على قلوب أهل المعرفة من الأحوال وصفاء الأذكار. وهو لفظ قرآني ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ﴾. يتحول معناه من خلق الكون والبعث إلى البداية في القلب. فالعالم ينشأ في القلب في لحظة الوعي به^{٢٨٧} والهجوم والغلبة لهما معنى متقارب. إلا أن الهجوم فعل صاحب الغلبات عند قوة الرغبة.^{٢٨٨} واللحظ هو ملاحظة أبصار القلوب لما يلوح لها من زوائد اليقين بما آمن به في الغيوب.^{٢٨٩}

والزوائد مجرد لفظ لم يستمر كمصطلح صوفي. ويعني زيادات الإيمان بالغيب واليقين فزاد الصدق والإخلاص في الأحوال والمقامات والإرادات والمعاملات. وتستطيع كواشف الحضور تغطية القلوب لما وارته الغيوب^{٢٩٠} والقادح مثل الخاطر إلا أن الخاطر لقلوب أهل اليقظة والقادح لأهل الغفلة. والعارض ما يعرض للقلوب والأسرار من إلقاء العدو والنفس والهوى. فهي إحدى وسائل المقاومة^{٢٩١} والوسوسة تؤدي إلى الحيرة. وهي غير الإلهام إلا عند أكل الحرام. فالإلهام يؤدي إلى زيادة فهم وبيان.^{٢٩٢}

(٨) الحكمة النظرية

والحكمة النظرية قاسم مشترك بين الفلسفة والتصوف فيما يعرف باسم حكمة الإشراق سواء عند ابن سينا أو السهروردي. وهي الغالبة على التصوف النظري. الحكمة هي

^{٢٨٥} الرسالة، ص ٤١.

^{٢٨٦} اللمع، ص ١٨٤.

^{٢٨٧} السابق، ص ٣٩٤.

^{٢٨٨} السابق، ص ١٧٤.

^{٢٨٩} اللمع، ص ١٨٤. وهو مثل النظرة Régard عند سارتر، وقلب النظرة Blickwendung عند هوسرل.

^{٢٩٠} السابق، ص ١٥٤.

^{٢٩١} اللمع، ص ١٩٤.

^{٢٩٢} طبقات الصوفية، ص ٣٥٠، عوارف المعارف، ج ٤، ص ٢٧٠.

النطق بالحق^{٢٩٣} وهي أعظم حق من حقوق الله. ولا يطالب الله بها إلا عندما لا توضع في حقها. فلماذا يكون من طالبه بحقها خصيمًا؟ علامتها معرفة أقدار الناس وعدم بخس الناس أشياءهم^{٢٩٤} فالحكمة ليست متعالية ولا متدانية. الحكماء ورثة الأنبياء. والحكمة وراثثة النبوة. وتعني إحكام الأمور. وأول علاماتها طول الصمت، والكلام على قدر الحاجة دون ثرثرة^{٢٩٥} والثرثرة مظهر من مظاهر العدم الظاهر الذي ليس وراءه باطن مما يورث في النفس الغثيان. ويستمتع إلى الحكمة العاقل أو العامل، يتعجب العاقل ويشتهي ما يسمع. ويتقلب العامل وكأن في قلبه حية تتلوى.^{٢٩٦} وإذا سمع الإنسان الحكمة فلم يقبلها فهو مذب، وإن لم يعمل بها فهو منافق،^{٢٩٧} فالحكمة نظرية وعملية.

والفطنة من الحكمة، والأدب من الفطنة، وعلاقة الأعلى بالأدنى، علاقة العام بالخاص. الفطنة من التوفيق. وهي أهم من الفقه. ومعرفة الغيوب أعلى درجاتها في حين أن الفطنة ذكاء عملي في الدنيا، في عالم الشهادة ولا شأن لها بعالم الغيب.^{٢٩٨} والفكر قيام الأشياء بالحق. هو الفكر في الوجود. الفكر وقوف القلب عما عرف. والتفكير جولان القلب، مجموعة من الأفكار المتتالية. الفكر لحظة واحدة، والتفكير عملية مستمرة^{٢٩٩} وهو ما وضح فيه الإيمان واستوفته العقول. الإيمان أولاً، والعقل ثانيًا^{٣٠٠}

^{٢٩٣} أبو عثمان المغربي، السابق، ص ٤٨٣.

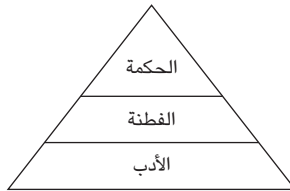
^{٢٩٤} شاه الكرمانى، السابق، ص ١٩٣، من الحكمة المتعالية إلى الحكمة المتدانية، حصار الزمن، ج ٣، علوم، ص ٦٩٧-٧١٥.

^{٢٩٥} أبو بكر الوراق، طبقات الصوفية، ص ٢٢٦.

^{٢٩٦} محمد بن علي الترمذي، السابق، ص ٢١٨.

^{٢٩٧} أبو علي بن الكاتب، السابق، ص ٣٨٧.

^{٢٩٨} التستري، ص ٣٤٧.



^{٢٩٩} اللمع، ص ٣٠٢-٣٠٣.

^{٣٠٠} وهو شعار أنسليم في العصر الوسيط الأوروبي.

وهو ما ملأ القلوب من حال تعظيم الله أي الفكر الوجداني. وهو صحة الاعتبار أي الاستدلال العقلي. والاعتبار استدلال الشيء على الشيء أي فكر الفكر. ونظر النظر. الاعتبار ما نفذ في الغيب ولم يمنعه مانع. والخلود والانفراد يفتحان القلب على العلم مع الله بالنظر والتفكير^{٣٠١} ومن صح تفكره صدق نطقه وخلص عمله^{٣٠٢} فهناك علاقة بين الفكر واللغة والعمل.

والفكرة على خمسة أوجه: فكرة في آيات الله وعلامته تتولد منها المعرفة، وفكرة في آلاء الله ونعمائه تتولد منها المحبة، وفكرة في وعد الله وثوابه تتولد منها الرغبة في الطاعة والموافقة، وفكرة في وعيد الله وعقابه تتولد منها الرهبة من المخالفة^{٣٠٣} وفكرة في جفاء النفس في جنب إحسان الله إليها يتولد منها الحياء من الله. فالفكرة حالة شعورية.

وطلب النظر إلى شيء حجاب عنه لأن المسافة ما زالت بعيدة بين الطالب والمطلوب. وطلب الاستماع من الشيء حجاب والنظر والاستماع وسوسة للقر. الطالب والمطلوب. فالحواس لا تقدر على كشف الحجاب. العين والأذن، البصر والسمع مجرد وسوسة إنما هو العلم القادر على ذلك^{٣٠٤} هو العلم والعمل حتى يتجلى الشيء. فالنظر طبقاً لإرادة الناظر. وطلب النظر والاستماع يرد إلى الفترة والشهوات والدنيا. ويتم التخلص من ذلك بالسخاء والشجاعة والصدق. ثم يحدث السكون إلى الله وقلة الغذاء والهرب إليه من الخلق^{٣٠٥} لا ينبغي التفكير أو النظر أو النطق أو التدبر أو الحركة بالأعضاء إلا بأمر المولى. وهو سلب مطلق للذات، لقواها المعرفية والحركية^{٣٠٦} حسن النظر للنفس في عاقبة الشيء^{٣٠٧} فالإدراك للمصير. والنظر إلى النفس مرة يغني عن النظر إلى الكون. كل منهما يحيل إلى الآخر. بل إن البداية بالنظر إلى العالم لجمع المادة ثم النظر إلى النفس

^{٣٠١} التستري، ص ٣٠٠.

^{٣٠٢} أبو عمرو إسماعيل بن نجيد، طبقات الصوفية، ص ٤٥٧.

^{٣٠٣} أبو بكر بن حامد الترمذي، السابق، ص ٢٨١-٢٨٢.

^{٣٠٤} التستري، ص ٣٣٠.

^{٣٠٥} السابق، ص ٢٣٣.

^{٣٠٦} السابق، ص ٢٨٣.

^{٣٠٧} السابق، ص ٢٧٠.

لتحليلها وإيحاء دلالتها. النظر إلى الخارج قبل النظر إلى الداخل ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾. ٣٠٨
ويصح الفهم من أربعة مواضع، في ركعتي الفجر والوتر وعند الأكل وعند الغضب ٣٠٩ الفجر والصلاة صحيحان أما الأكل والغضب ففيهما شك. ويعطى المؤمن بالقدر فهم القرآن بكل حرف ذهن، وبكل ذهن ألف فهم، وكل فهم ألف فطنة، إذ تتعدد الأذهان، وتتعدد الأفهام، وتتعدد الفطن، وتتعدد معاني الحروف. فلا يوجد معنى واحد للحرف، ولا ذهن واحد، ولا فهم واحد، ولا عمق واحد لذلك تتعدد المعاني إلى ما لا نهاية، ألفا في ألف في ألف في أربع مرات ٣١٠ والفهم على قدر العلم، والعلم على قدر العقل، والعقل على قدر الإيمان ٣١١ وجعل الله القلم في الفهم، واللوح في الحفظ. وقد رفع الحجاب عمن عرف وفهم. ويتم الانتقال من الشيء إلى الدلالة. والله هو الذي يفهم الإنسان عن نفسه لأن الإنسان لا يفهم الله إلا به ٣١٢ فما قيمة الفهم الإنساني إذن إذا كان عاجزًا عن الفهم بذاته؟ والتدبر في الخلق عبرة. والتدبر في النفس موعظة. والتدبر في القرآن حقيقة ومكاشفة. والتدبر في العالم أو في النفس أو في القرآن.

٣٠٨ طبقات الصوفية، ص ٣٥٨.

٣٠٩ التستري، ص ٢٠٩.

٣١٠ السابق، ص ٢٦٣.



٣١١ السابق، ص ٣٠٥.

٣١٢ البسطامي، طبقات الصوفية، ص ٧٢.

(٩) الحق والباطل

والحق والباطل أو الصواب والخطأ، هي إحدى الثنائيات الصوفية الشهيرة مثل: العلم والمعرفة، الظاهر والباطن، النقلي والعقلي، التجريبي والتجريبي، الظن واليقين، الخاصة والعامة، التنزيل والتأويل، السلف والخلف، الدنيا والآخرة، الإنساني والإلهي ... إلخ. وفي كل ثنائية يمكن الجمع بينهما إلا ثنائية الحق والباطل. وإذا كان حق يشاركه باطل فقد خرج عن قسمة الحق إلى قسمة الباطل. فالحق غيور لا يقبل أن يدخل في قسمة مع شيء غيره. ومن وقف بهمته على شيء ينوي الحق فإنه الحق لأنه لا يرضى معه بشريك. الحق واحد والباحث عنه واحد. ومن علت همته على الأكوان وصل إلى مكوناتها. ومن غير الحق أنه لا يجعل لشيء غيره طريقاً، ولا يدفع أحداً إلى اليأس من الوصول إليه ويترك الناس حيارى وفي ظنون. فمن ظن أنه وصل إليه ابتعد منه وانفصل عنه. ومن ظن أنه ابتعد عنه مناه للوصول إليه. لا مهرب عنه، ولا بد منه. وإذا كان الحق واحداً فطالبه وحداني الذات^{٣١٣} فالوحدانية صفة مشتركة بين الذات الإلهية والذات الإنسانية. وجود العطاء من الحق شهود الحق بالحق لأن الحق دليل على كل شيء. ولا يكون شيء دونه دليلاً عليه^{٣١٤} الإعراض عن الحق هو السخط. وعلامة الركون إلى الباطل التقرب من المبطلين^{٣١٥} والادعاء خلو عن الحقائق. ولا يتحقق شيء لما نطق به ادعاء^{٣١٦}.

مطالبة الحق إذا بدا قهر وجذب إلى ما أراد بصولته. الحق هو الذي يفرض على الذات. وجذبة الحق تربو على أعمال التقليد. والإغاثة ثقل مطالبة الحق على القلب فرضاً للأوامر. وأثقال الحق لا يحملها إلا مطايا الحق^{٣١٧} وقلوب أهل الحق حاضرة. وأسماعهم مفتوحة. فالحق يدرك من خلال الحواس. ويقوم الحق بالحق إذا بلغ الميقات حينه. واستوفى الحق مجاري أحكامه من ظاهر هيكله. أوقد سراج الإيمان القلب واكتسى ظاهر الهيكل بنور الحق وانتصر له من الظالم^{٣١٨} ومن لم يترك الكل رسماً في جذب الحق

^{٣١٣} أبو عبد الله بن الجلاء، السابق، ص ١٧٨-١٧٩.

^{٣١٤} أبو بكر الكتاني، السابق، ص ٣٧٤.

^{٣١٥} شاه الكرمانى، السابق، ص ١٩٣.

^{٣١٦} أبو على الروزباري، السابق، ص ٣٥٨.

^{٣١٧} السابق، ص ٤٦٥، ٤٨٨.

^{٣١٨} السابق، ص ٤٨٢-٤٨٣.

لا يحصل له الكل حقيقة. وهو الحق. الحق هو الكل غير المرتبط بالحدود والرسوم أو البيئونة، قائم بذاته، قديم لا يلحق به شيء من الحوادث.^{٢١٩}

ما أبرم الحق للخلق إلا اسمًا أو رسمًا. وما تكلم به إلا كل من لم يحقق^{٢٢٠} فالحق ليس للكلام بل للتحقيق. وهو أمر عظيم يطلبه الخلق. يطرح الدنيا والآخرة^{٢٢١} إذا بدا الخلق فلا التفات إلى جنة ونار أو التفكير فيهما. من وافق الحق في لحظة أو خطرة لا يقع بعد ذلك في مخالفة. فالحق يعصم. وهي موافقة الأثر الحسن والأمر الأحسن.^{٢٢٢} الحق إذ لاحظ عبدًا ببره غيبه عن كل مكروه في وقته، وإذا لاحظته بسخطه أظهر عليه من الوحشة ما يهرب منه كل أحد^{٢٢٣} فالحق منطق العلاقات بين الذوات، منطق العداوة والصداقة. هو الحق الاجتماعي وليس الحق النظري. ومن قلت آفاته اتصلت بالحق أوقاته^{٢٢٤} فالحق يجمع بين الحقيقة والأخلاق.

ما نطق أحد عن الحق إلا كان محجوبًا. فالحق كشف. وأعظم حجاب بين الإنسان والحق الاشتغال بتدبير النفس، والاعتماد على آخرين عاجزين مثل الذات^{٢٢٥} ولماذا يكون الانشغال بتدبير النفس حجابًا عن الحق، وإثبات الذات الحقيقة الفلسفية الوجودية الأولى عند كثير من الفلاسفة قدماء ومحدثين من الموروث والوافد؟ ولماذا عجز الذات وقواها لا ينتهي؟

والحقيقة غير الحق. الحقيقة للشيء والحق هو الكل. ومن ادعى شيئًا من الحقيقة كذبت شواهد كشف البراهين^{٢٢٦} الحقيقة كلها علم. والعلم كله حقيقة، لا فرق بين الذات والموضوع.^{٢٢٧} الحقيقة هم يسقط هم البحث ويبدأ هم التبعة. ينتهي هم النظر ويبدأ

^{٢١٩} السابق، ص ٤٦٩-٤٧٠، ٤٨٨، ٤٩١.

^{٢٢٠} السابق، ص ٤٧٤.

^{٢٢١} أبو الحسن الصيرفي، السابق، ٥٠٤.

^{٢٢٢} أبو القاسم النصر أباذي، السابق، ص ٤٨٥-٤٨٦.

^{٢٢٣} السابق، ص ٤٤٥.

^{٢٢٤} أبو عبد الله الروزباري، السابق، ص ٤٩٩.

^{٢٢٥} أبو محمد الراسبي، السابق، ص ٥١٣.

^{٢٢٦} السابق، ص ٤٩٠.

^{٢٢٧} السابق، ص ٣٩٤.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

هم العمل. والحق واحد لا يجمع. والحقائق جمع حقيقة إذا تجلت حقائق الحق لسر أزال الظنون والأمانى لأن الحق إذا استولى على سر قهره. ولا يبقى للغير معه للغير أثر^{٢٢٨} وإذا بدت الحقائق سقطت آثار الفهوم والعلوم، وبقي الرسم الجاري لحل الأمر، وسقطت منها حقائقها.^{٢٢٩}

الحقيقة ثلاث: حقيقة مع العلم، وحقيقة معها العلم، وحقيقة تشطح عن العلم. وأتم الحقائق ما قارن العلم. الحقيقة كلها علم، والعلم كله حقيقة وتأبى الحقائق أن تدع في القلوب مقالة للتأويلات. فالحقيقة رؤية واضحة مباشرة لا لبس فيها. الحقائق المختزنة إذا بدت حجت الحقائق المستترة.

الألسنة ثلاثة: لسان علم بالوسائط، ولسان حقيقة الوصول إلى الأسرار بلا وسائط، ولسان حق ليس له طريق. وحقيقة الوصول ذهاب العقول. وكل حقيقة تخالف الشريعة فهي كفر.

والتحقيق تكليف العبد لاستدعاء الحقيقة جهده وطاقته. والتحقق مثل التحقيق، التعلم والتعليم. والحقيقة مفرد والحقائق جمع. ونعني وقوف القلب بدوام الانتصاب بين يدي من آمن به وإلا بطل الإيمان^{٢٣٠} والحقوق أي الأحوال والمقامات والمعارف والإرادات والقصود والمعاملات والعبادات. والحقوق لا تجتمع مع الحظوظ لأنهما ضدان^{٢٣١} وأهل الحقائق أكلهم أكل المرضى، ونومهم نوم الغرقى. وما حصل عليه أهل الحقائق في حقائقهم أن الله غير مفقود فيطلب، ولا ذو غاية فيدرك. فمن أراد موجودًا فهو ممرور. الموجود معرفة حال وكشف علم بلا حال.

الحق هو الله. والعبد موقوف مع الحق بالحق للحق أي مع الله بالله لله. وهو دوران العبد وتغليقه ثلاث مرات بالله فلم يعد يبقى منه شيء ظاهر^{٢٣٢} وهو نفس معنى منه

^{٢٢٨} السابق، ص ٣٧٧.

^{٢٢٩} السابق، ص ٤٢٢.

^{٢٣٠} اللمع، ص ٢١٣.

^{٢٣١} الجنيد، السابق، ص ٤١٣.

^{٢٣٢} أبو سعيد الخراز، الجنيد، اللمع، ص ٤١١.

وبه وله. ويتحقق العبد بالعبودية إذا سلم القياد من نفسه إلى ربه وتبرأ من حوله وقوته، وعلم أن الكل له وبه.

وعلمة الحقيقة البلوى أو رفع البلوى. وليست الحقيقة في الله فقط بل هي أيضًا في الإنسان وحقيقة الإنسانية ألا يتأذى أحد من إنسان. فحقيقة الاسم في نفسه، الاستثناس مع كل شيء.^{٢٣٣}

وفي الصباح يستذكر الإنسان آفات الليل لتأدية حق الله ونصيحة النفس كما يؤدي الإنسان حق الناس إذا دخل بيتا أو خرج منه. والله شاهد، يغفر الذنب بالاستعانة به فذاك خير الدنيا والآخرة، والسر والعلانية. وما من نفس يتنفس العبد إلا إذا كان عارفًا بالله مصلحًا الفساد بنفسه قبل أن يسأل الله الصحة. الله هو الذي يهب السعادة والشقاء. فمن علامات السعادة النظر في الشيء قبل الدخول فيه والاستعانة بالله عليه والصبر إلى الممات. ومن علامة الشقاء سرعة الدخول في شيء قبل استكمال علمه بالادعاء فيه أو الجزع منه.^{٢٣٤} الهوى يحجب الإنسان عن الله والنفس عن هواها. فإذا ما تخلصت النفس منه وصلت إلى الله. والركون إلى الله يكشف الحجاب مع الصبر والسكون إليه والركون عليه حتى يأتي الفرج عنده وهو إلى أبله^{٢٣٥} ومن كان شغله مع الله ذهب منه الشهوات. نظر التوحيد الشعور نحو غاية واحدة. وهو تصور ثنائي متعارض للروح والمادة بقدر ما ينغزل الإنسان عن المادة يصل إلى الروح، التصور المانوي القديم. وفي تصور آخر لا يعرف الروح إلا في المادة، ولا الخير إلا في الشر، ولا الطاعة إلا في المعصية، لا فرق بين أبي نواس وعمر الخيام. ومعاينة الله استغناء به عن كل ما سواه^{٢٣٦} وتتجلى الأخلاق الإلهية في الجنة والنفس والخشوع. وهي من أسامي^{٢٣٧} فالجنة ثواب، والنفس موطن التجلي، والخشوع علامة الطاعة.

^{٢٣٣} السابق، ص ٢٨٦.

^{٢٣٤} التستري، ص ١٥٥.

^{٢٣٥} السابق، ص ١٧٢.

^{٢٣٦} السابق، ص ٢٩١.

^{٢٣٧} السابق، ص ٣٤٣.

يسأل الرب عن حق نفسه وحق عقله وحق العلم الذي بينه وبين العبد. وأيهما أولى بالسؤال حق العبد أم حق الرب؟^{٣٣٨} وللعبد حقوق على الرب، الأمن من الخوف، والأمل بالرجاء، والتقرب بالحسنات، والقبول بالتوكل عليه.^{٣٣٩}

وبالرغم من ندرة لفظ الحقوق في التراث، وشيوعه في الفكر المعاصر، الحقوق والواجبات، حقوق الإنسان، حقوق الشعوب إلا أنه يظهر أحياناً في التصوف. وهي على سبعة مراتب: المؤمنون والمؤمنات المجهولون الذين لم يرههم ولم يسمعهم أحد، والمؤمنون بالسمع دون الرؤية، المؤمنون في الرؤية دون المشافهة، والمؤمنون في الرؤية والمشافهة، والمؤمنون غير المعروفين الذين يحبون في الله. لا تعرف حقوق الناس. غنما تركوا الدخول في التبعات، وأقاموا أنفسهم على الضرورة لئلا يلزمهم لا تعرف حقوق الناس لأنهم لا يعرفون واجباتهم.^{٣٤٠} وجعلوا أنفسهم على الطبيعة تهرباً من الواجبات. فكل حق يقابله واجب، وكل واجب يقابله حق.

وتبدو ثنائية الصواب والخطأ، وهي ثنائية معرفة وليست وجودية ملحقه بالحق والباطل كثنائية وجودية. وإذا كان الحق والباطل مطلقين فالصواب والخطأ نسبيان. فالصواب كل نطق عن إذن^{٣٤١} وهو لدى الأنبياء وحدهم. وماذا عن الصواب كجهد للإنسان؟ وإذا كان الصواب التوحيد فقط، وكان التوحيد كل شيء فأين الخطأ؟ ويبدو أن التصوف قد ضحى بالنسبي في سبيل المطلق.

(١٠) علوم الخاصة

والطريق إلى هذا العلم هو طريق الخاصة من المؤمنين الطالبين طبقاً للتفرقة التقليدية الثنائية بين الخاصة والعامة أو الثلاثي: الخاصة، والعامة، وخاصة الخاصة. فكل شيء له مستويات أو درجات أو مراتب: النجاة والحقوق والدواعي والبواعث والرغبة والرغبة، الحقائق والأخلاق والمعرفة. فالنجاة على أربع شعب: بواعث، ودواع، وأخلاق، وحقائق. دفعت إليها ثلاثة حقوق: حق الله، وحق النفس، وحق الخلق. حق الله عبادته، وحق

^{٣٣٨} السابق، ص ٨٠-٨١.

^{٣٣٩} السابق، ص ٢٢٥.

^{٣٤٠} السابق، ص ٣٧٢.

^{٣٤١} اللمع، ص ٣٠٣.

الخلق كف الأذى عن الناس باستثناء إقامة الحدود، وحق النفس سلوك طريق السعادة. فإن أبت فلجهل أو لسوء طبع. والجهل ضد الدين. وسوء الطبع ضد المروءة. والدواعي خمسة: الهاجس السببي وهو نفر خاطر، ثم الإرادة ثم العزم ثم الهمة ثم النية. والبواعث على هذه الدواعي ثلاثة: رغبة أو رهبة أو تعظيم. والرغبة رغبتان: رغبة في المجاورة ورغبة في المعينة. رغبة فيما عنده ورغبة فيه. والرهبة رهبتان، رهبة من العذاب ورهبة من الحجاب. والتعظيم قد يكون على الأفراد بلا مستويات. التعظيم لله وحده. وقد يكون على الجمع، فالتعظيم لله والرسول والأنبياء والملائكة وأولياء الله الصالحين.

والأخلاق أنواع: خلق متعد، وخلق غير متعد، وخلق مشترك. والمتعدي قسمان، متعد بمنفعة كالجود والفتوة، ومتعد يدفع مضره كالعفو والصفح. وغير المتعدي كالورع والزهد والتوكل. والمشارك كالصبر على الأذى من الخلق.

والحقائق أربعة. الأولى للذات المقدسة. والثانية الصفات المنزهة. والثالثة الأفعال مثل كان وأخواتها. والرابعة المفعولات وهي الأكوان والمكونات. وهي على ثلاث مراتب علوية كالمعقولات، وسفلية كالمحسوسات، وبرزخية كالمخيلات^{٣٤٢} وفي قسمة أخرى الحقائق أيضًا أربعة: الحقائق الذاتية، مشاهدة الحق من غير تشبيه ولا تكييف، لا تسعه العبارة ولا تومئ إليه إشارة، والحقائق الصفاتية، مشاهدة الحق عالمًا قادرًا مريدًا حيًّا من الصفات المختلفة والمتقابلة والمتماثلة، والحقائق الكونية، مشاهدة الحق لمعرفة الأرواح والبسائط والمركبات والأجسام والانفصال والاتصال، والحقائق الفعلية، مشاهدة الحق لمعرفة كن وتعلقها بالقدرة خارج إرادة العبد.

والمعرفة على ثلاث درجات: معرفة العوام وهي معرفة العبودية والربوبية والطاعة والمعصية والعدو والنفس. ومعرفة الخواص، معرفة الإجلال والعظمة، والإحسان والمنة، والتوفيق. ومعرفة خواص الخواص، معرفة الأنس والمناجاة، واللفظ والتلفظ والقلب والسر.^{٣٤٣} ومقامات المعرفة ثلاثة: الأول ضرورة، وهي المعرفة النقلية أو الفطرية، معرفة الروح. وهي حجة الله على الخلق. وهي أقرب إلى معرفة العوام. والثاني ما يقع فيه سهو المخلوقين في إقرارهم بالتوحيد. وهي معرفة العلماء التي

^{٣٤٢} الفتوحات ج ١، ٣٣-٣٤.

^{٣٤٣} التستري، ص ٩٧.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

تحتل الخطأ والصواب. والثالث معرفة الخواص وهي هبة من الله لأحبابه.^{٣٤٤} العوام تصف الله. والخواص لا تنطق. جدل الباطل والحق لا يجتمعان بل يضرب أحدهما الآخر.^{٣٤٥} الحدث هو ما لم يكن فكان. وهي آية تحدث في العالم لتنبيه الخاصة لعدم ذكرها.^{٣٤٦}

والناس على ثلاث منازل: الأولياء وباطنهم أفضل من ظاهرهم، والعلماء وسرهم وعلاانيتهم واحد، والجهال وعلاانيتهم تخالف أسرارهم ولا ينصفون من أنفسهم بل من غيرهم.^{٣٤٧}

ويقوم علم أهل الله على معرفة سبعة مسائل: أسماء الله، التجليات، خطاب الحق بلسان الشرع، كمال الوجود ونقصه، الإنسان من جهة حقائقه، الكشف الخيالي، العلل والأدوية. يجمع بين المعارف الإلهية والإنسانية والشرعية والكونية والغيبية والأخرية^{٣٤٨} ويضم كتاب المعارف موضوعات المعرفة أكثر مما يضم وسائل المعرفة.^{٣٤٩}

^{٣٤٤} «واختلاف العلماء رحمة إلا في تجريد التوحيد»، شطحات الصوفية، ص ١٦٩، ٢٠٦، ٢٢٤.

^{٣٤٥} «وهذا لسان العوام. وأما لسان الخواص فلا نطق له. والحق حق والعبد باطل»، السابق ص ٣٣.

^{٣٤٦} اللمع، ص ٤٤٨.

^{٣٤٧} أبو الحسن البوشنجي، طبقات الصوفية، ص ٤٦٠.

الطبقة الحالة

الأولياء الباطن أفضل من الظاهر

العلماء الباطن يساوي الظاهر

الجهال اختلاف الباطن مع الظاهر

^{٣٤٨} الفتوحات ج ١، ٣٤.

^{٣٤٩} وذلك مثل الروح، ومراتب الحروف والحركات، وتنزيه الحق، وسبب بدء العالم ومراتب الأسماء الحسنی، وأسرار بسم الله الرحمن الرحيم، والقاتحة، وبدء الخلق الروحاني، والجسوم الإنسانية، والأرواح النارية، ودورة الملك والآباء العلوية، والأمهات السفلية، ودورة فلك محمد، وحملة العرش، وأسرار الأنبياء، والأنفاس وأقطابها المحققين، والمنازل السفلية، والأقطاب المصونين، والأوتاد والفتوة والبهاليل، والزمان والعالم والقيامة، والبعث والحشر والجنة والنار، السابق، ج ١، ٩٢-٣٢٢.

ثانيًا: علوم الوقت

وقد يدخل الملائكة والجن مع الإنس في التصنيف. فالملائكة اختارت العصمة، والجن الكفاية، واختار بنو آدم الحيلة. أي الذكاء والجهد والمناورة. والعصمة والكفاية أقرب إلى الجبر منها إلى الاختيار.^{٣٥٠}

^{٣٥٠} أبو عبد الله محمد بن خفيف، طبقات الصوفية، ص ٤٦٤.

النوع الاختيار

الملائكة العصمة

الجن الكفاية

البشر الحيلة

ثالثاً: علوم التصوف

(١) اللفظ والمعنى

وبالرغم من شيوع اشتقاق الاسم في الدراسات الثانوية والكتب الجامعية حتى أصبح معروفاً عند جمهور الطلاب إلا أنه ما زال وارداً في المؤلفات القديمة. فقد اشتق اسم الصوفية من لبس الصوف^١ وقد فعل ذلك الأنبياء من قبل. وهو حكم على الظاهر^٢ ولا فرق بين التصوف بألف لام التعريف وتصوف بدونهما. فالمعنيان متقاربان. وربما يكون قد اشتق من الصفاء. وكان في الأصل صفوي. والصفاء هو القيام لله في كل وقت بشرط الوفاء^٣ الصفاء من كدر الأغيار والخروج من مراتب الأشرار. ويعني الصفاء أنه إذا تحقق العبد بالعبودية وصافاه الحق حتى صفا من البشرية نزل منازل الحقيقة، وقارن أحكام الشريعة^٤ الصوفي هو الخارج من النعوت والرسوم وألزم نفسه باسم الصوفي لتصفيته من ممازجة الأكوان كلها بمصفاة من صافاه في الأزل. الصوفي من صفي من كل درن فلم يبق فيه وسخ المخالفات^٥ وربما لا يكون الاشتقاق لفظياً بل معنوياً. فقد سمي الصوفية بهذا الاسم لاشتغالهم على الخلق بظاهر العابدين، والانقطاع

^١ «الكشف عن اسم الصوفية، ولم سمو بهذا الاسم، ولم نسبوا إلى هذه اللبسة»، اللمع ص ٤٠-٤١.

^٢ «ذكر تسميتهم بهذا الاسم» عوارف المعارف، ج ١، ٣٣١-٣٤٥.

^٣ هو تعريف أبي الحسن القناد، اللمع، ص ٤٦، ٢٩٦.

^٤ السابق، ص ٤٧، طبقات الصوفية، ص ٤٢٨.

^٥ السابق، ص ٢٧٥.

عن الحق بمراتب الموحدين. وسموا كذلك لبقية عليهم من نفوسهم، ولتنسبهم بروح الكفاية، وتظاهروهم بوصف الإنابة.

التصوف تصفية القلب عن موافقة البشرية، ومفارقة أخلاق الطبيعة، وإخماد صفات البشرية، ومجانبة دواعي النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بعلوم الحقيقة، واستعمال ما هو أولى من السرمدية، والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله على الحقيقة، واتباع الرسول في الشريعة^٦ وهل الموافقة مع البشرية عيب؟ ولماذا مفارقة الأخلاق الطبيعية؟ أليست الأخلاق الإسلامية أخلاق الفطرة؟ ولماذا إخماد الصفات البشرية وليس إيقافها؟ ولماذا مجانبه دواعي النفسانية وليس إثبات الشعور؟ ولماذا منازلة الصفات الروحانية وليس تأكيدها وتحقيقها؟^٧

وبهذا المعنى، الصوفي من صفا من الكدر، وامتلأ من الفكر، وانقطع إلى الله من البشر، واستوى عنده الذهب والمدر. وهو دائم التصفية، يصفي الأوقات عن شوب الأكارب بتصفية القلب عن شوب النفس ... ويعينه على كل هذه التصفية دوام افتقاره إلى مولاه.^٨

وربما اشتق الاسم من أهل الصفة. والصوفية من بقاياهم^٩ والاشتقاق صفوي وليس صوفيا. وبصرف النظر عن اشتقاق اللفظ، ويسمون خراسان «سكفتية» أي سكان المغارات. وفي الشام «جوعية». ويسمون أبرارًا ومقربين وصابرين وصادقين وذاكرين ومحيين. وهي ألفاظ مرسله تشير إلى بعض أوصاف الصوفية، فضائلهم ومقاماتهم. وسمي الصوفية بهذا الاسم لاستتارهم عن الخلق بلوائح الوجد وانكشافها بشمائل القصد.^{١٠}

ومن حيث المعنى الصوفية هم أهل الصفوة. أي المصطفون في الفهم والاتباع لكتاب الله والموافقون له.^{١١} وهو لفظ قرآني. والاصطفاء للأنبياء والصديقين. وقد خص به

^٦ السابق، ص ٤٦٤.

^٧ لذلك كتب أحد الفلاسفة المعاصرين «إنساني، إنساني جدا».

^٨ عوارف المعارف، ج ١، ٣٢٧-٣٢٨.

^٩ اللمع، ص ٤٧، عوارف المعارف ج ١، ٢٤٢-٣٣٧.

^{١٠} أبو حمزة الخراساني، طبقات الصوفية، ص ٣١٧.

^{١١} أهل الصفوة في الفهم والاتباع لكتاب الله عز وجل، اللمع، ص ١٠٥-١٢٩.

موسى للتوحيد. الاصطفاء هو الاجتباء في سابق العلم.^{١٢} وتتخصص الدعوة للمصطفين وطبقًا لتفاوت المستمعين ودرجاتهم في قبول الخطاب بين الإقرار، والإقرار والاتباع، والإقرار والاتباع والتحقيق. هم العلماء الذين يخشون الله، الراسخون في العلم. وهم الذين يثرون القرآن.^{١٣} هم الذين يلقي إليهم السمع ويتدبرونه عند التلاوة وفهم الخطاب بما يخاطب به المتلقي. وهم أرباب القلوب في فهم القرآن. وهم السابقون والمقربون والأبرار لطرقتهم في الفهم والاستنباط. وهذا لا يعني التراخي في فهم القرآن بل التشديد فيه دون التخلي عن الفهم الإشاري للحروف والأسماء، وعلى قدر حضور الصوفي ودرجة قربه من الله. وهناك مقياس للاستنباط وصواب وخطأ في الفهم الإشاري للقرآن. خطوة إلى الأمام وخطوة إلى الخلف نظرًا لتعدد الفهم الإشاري طبقًا لأعماق الشعور. ويؤكد الصوفية ذلك درءًا لاتهمم الفقهاء لهم بسوء التأويل. الصوفي من اختاره الله لنفسه فاصطفاه، وعن نفسه براه. ولم يرد إلى تعمل وتكلف بدعوى. التصوف قدر إلهي وليس اختياريًا إنسانيًا. وهم الذين يقتدون بالرسول في الفهم والموافقة.^{١٤} والرسول هو القدوة في الأخلاق والأفعال والأحوال التي اختارها الله له. وقد رخص الرسول للأمة ووسع عليهم فيما أباحه الله في حالات خاصة وعامة في الاقتداء به. وأهل الصفوة يأخذون بالعزائم. ويتبع مشايخ الصوفية الرسول ضد من يزعم خروجهم على السنة.

ويستنبط أهل الصفوة من القرآن والحديث فهما صحيحًا لهما طبقًا لتفرقة الرسول بين الظاهر والباطن. وقد يقع الاختلاف في مستنبطات أهل الحقيقة في معاني علومهم وأحوالهم. واختلاف أهل الباطن مثل اختلاف أهل الظاهر. ويستنبط أهل الصفوة تخصيص النبي وشرفه وفضله على إخوانه من الكتاب عن طريق الفهم.^{١٥} وكما يتبع أهل الصفوة الرسول يتبعون أيضًا صحابة الرسول وأهل الصفوة.^{١٦} وقد كان الاسم معروفًا منذ عهد الرسول وفي صحبته مثل العباد والزهاد والفقراء والراضين والمخبتين

^{١٢} واصطنعتك لنفسك، ولتصنع على عيني، واجتبيناهم وهديناهم، والله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس، السابق، ص ٤٧٤.

^{١٣} وذلك طبقًا لحديث «مَن أراد العلم فليثور القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين»، السابق، ص ١٠٥.

^{١٤} كتاب الأسوة والاقتداء بالرسول، السابق، ص ١٣٠-١٤٦.

^{١٥} كتاب المستنبطات، السابق، ص ١٤٧-١٦٥.

^{١٦} كتاب الصحابة، السابق، ص ١٦٦-١٩٣.

والبكائين. وكانوا يقيمون في آخر المسجد. ولم ينهرهم الرسول بعد إقامة الدولة وبناء المجتمع، ولكن نهرهم عمر. فمن يطعمهم أعبد منهم. وكان الصوفي يطوف بالكعبة قبل الإسلام.^{١٧}

لا يهتم إذن الأصل الاشتقاقي للفظ «التصوف» بالرغم من صعوبته. فالحقل الدلالي واحد، الصفاء أو الصفوة أو الصفة أو الصف أو الصوف أي هيئة أو سلوك معين يدل على الانعزال عن العالم والتوجه نحو النفس، من الخارج إلى الداخل أو من الدنيا إلى الآخرة.^{١٨} وربما سموا صوفية لبقية بقت في نفوسهم وإلا استحالت التسمية.^{١٩} والصوفي لا يمكن تعريفه وكأنه مصطلح علمي، ولكنه هو الفقير المجرد من الأسباب. وهو مع الله بلا مكان، ويعلم كل مكان. فالصوفي بالموقف والسلوك وليس بالاشتقاق أو التعريف.^{٢٠} وكل التعريفات اجتهادات يختلف عليها الصوفية أنفسهم. يقبلون بعضها ويرفضون البعض الآخر.^{٢١} وقد يكون أحد أسباب كتابة ألفاظ الصوفية ومصطلحاتهم حل ما فيها من إشكالات في تعريفها.^{٢٢}

الصوفي هو المقرب. وهو ليس مذكوراً في القرآن. بل ترك ووضع اسم «المقرب» بدلاً عنه. ولا يستعمل هذا الاسم في المغرب وتركستان وما وراء النهر لأنهم لا يميزون بزي الصوفية «ولا مشاحة في الألفاظ». وكل مشايخ الصوفية المذكورين في كتب الطبقات من المقربين. وعلومهم علوم أحوال المقربين الأبرار. هم الصوفية دون التزيي بزي أو اشتباه. فالتصوف سلوك وليس شكلاً.^{٢٣}

^{١٧} ذكره الحسن البصري وأبو سفيان الثوري مشيراً إلى أبي هاشم الصوفي. «الرد على من قال: لم نسمع

بذكر الصوفية في القديم، وهو اسم محدث»، السابق، ص ٤٢-٤٣.

^{١٨} القشيرية، ص ١٢٦.

^{١٩} الشبلي، السابق، ص ١٢٧.

^{٢٠} ابن الجلاء، السابق، ص ١٢٨.

^{٢١} «اعترض أبو القاسم القشيري على تعريف الحصري الصوفي بأنه «لا يوجد بعد عدمه ولا يعدم بعد وجوده» وأوله بمعنى أنه إذا فُتيت آفاته لا تعود إليه. وإذا اشتغل بالحق لم يسقط بسقوط الخلق. فالحادثات لا تؤثر فيه. السابق، ص ١٢٨.

^{٢٢} هذا هو ما يدل عليه باب «في تفسير ألفاظ تدور بين هذه الطائفة وبين ما يشكل منها»، السابق، ص ٣١.

^{٢٣} عوارف المعارف، ج ١، ٢٣٨-٢٣٩.

وقد يكون الاشتقاق صوتياً وليس حرفياً. فصوفي على وزن «عوفي» أي عافاه الله، و«كوفي» أي كافأه الله، و«جوزي» أي جازاه الله. ففعل الله ظاهر في كل الأحوال.

(٢) تعريف التصوف

وتتراوح المعاني المختلفة للفظ طبقاً لمراحل التصوف، المرحلة الخلقية والمرحلة النفسية والمرحلة الفلسفية. فلا يوجد معنى شامل لكل المراحل إلا المعنى الاشتقاقي. فالتصوف تجربة ذاتية وممارسة عملية وليس تصوراً ذهنياً يمكن تحديده منطقياً في قضية.

(أ) التصوف الخلقي

ويعني «الدخول في كل خلق سني، والخروج من كل خلق دني».^{٢٤} وهو مطلب يقتضي قسمة الإنسان قسمين. قبيح وحسن، شر وخير، أدنى وأعلى، وإدانة الأول والبعد عنه، ومدح الثاني والقرب منه. وهي نظرة مانوية للحياة تنكر الإنسان الوجودي بلحمه وعظمه ووضعه بين الحيوان والملاك بالتعبيرات الشعبية. كان التصوف في بدايته تصوفاً خلقياً. كان في هذه المرحلة «أخلاقاً كريمة ظهرت في زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام».^{٢٥} وهو معنى قول الرسول «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». سُمي خلقه عظيماً لاجتماع مكارم الأخلاق فيه.^{٢٦} ليس التصوف رسوماً ولا عكوفاً ولكنه أخلاق.^{٢٧} التصوف خلق. فمن زاد في الخلق زاد في الصفاء.^{٢٨} هو طريق لا يصلح إلا لقوم كنس الله بأرواحهم المزابل. فهو ليس فقط السلوك الأخلاقي بل إشباع الأخلاق من أرواحهم لتنظيف بيئتهم.^{٢٩}

ولا يؤخذ التصوف من القيل والقال لكن من الجوع أي من التجربة وترك الدنيا، والتخلي عن المألوف والمستحسن. التصوف صفاء المعاملة مع الله، والعزوف عن الدنيا.

^{٢٤} اللمع، ص ٤٥؛ الرسالة، ص ٢٢٦؛ طبقات الصوفية، ص ٤٣٦.

^{٢٥} اللمع، ص ٤٥.

^{٢٦} عوارف المعارف، ج ٢، ٣٦٥.

^{٢٧} طبقات الصوفية، ص ٢٧٨.

^{٢٨} القشيرية، ص ١٢٧.

^{٢٩} السابق، ص ١٢٨.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

التصوف ترك كل حظ للنفس من الدنيا.^{٣٠} وهو ألا يملك الإنسان شيئاً ولا يملكه شيء.^{٣١} وإذا امتلك شيئاً فإنه لا يملكه شيء. علاقته بالملكية علاقة حرة. ليس عبداً لما يملك بل هو حر فيما يملك.^{٣٢} الصوفي يمتلك الأشياء اقتداراً.^{٣٣} لذلك لا يتعبد الصوفي طلب، ولا يزعجه سبب لأنه تخلص عن العلائق.^{٣٤} التصوف كف فارغ وقلب طيب، زهد في الدنيا ورغبة في الآخرة.^{٣٥} هو رؤية الكون بعين النقص، وغض الطرف عن كل ناقص لمشاهدة المنزه عن كل نقص.^{٣٦} ومن عظم خلق الصوفي صغر الأكوان في عينيه بمشاهدة مكوناتها.^{٣٧}

وعلامة الصوفي الصادق الفقر بعد الغنى، والذل بعد العز، والخفاء بعد الشهرة. وهو ما قاله المسيح ناصحاً الرجل الغني لشرط الدخول إلى ملكوت السموات بأن يترك كل شيء ويتبعه. علامة الصوفي التحول الجذري في رؤية الحياة من الكل إلى لا شيء، ومن الإيجاب إلى السلب، ومن الإثبات إلى النفي.

ما بين غمضة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال

فلم يجعل الله لرجل قلبين في جوفه. ولا يستطيع أن يخدم سيدين في نفس الوقت، المال والله كما قال السيد المسيح. ملكوت الصوفي ليس من هذا العالم مثل ملكوت بوزا. وعلامة الصوفي الكاذب الغنى بعد الفقر، والعز بعد الذل، والشهرة بعد الخفاء، والتحول من الآخرة إلى الدنيا. التصوف فقر وذل وخفاء، عزلة وتواضع وكمون.^{٣٨} هو التحول عن

^{٣٠} طبقات الصوفية، ص ١٦٦-١٦٧.

^{٣١} اللمع، ص ٤٥.

^{٣٢} القشيرية، ص ١٢٧.

^{٣٣} طبقات الصوفية، ص ٤٨٠.

^{٣٤} اللمع، ص ٤٥-١٦.

^{٣٥} يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

^{٣٦}

سري وسرك لم يعلم به أحد إلا الجليل ولم ينطق به نطق

طبقات الصوفية، ص ٣٥٢.

^{٣٧} عوارف المعارف، ج ٢، ٣٦٥.

^{٣٨} القشيرية، ص ١٢٧.

العالم والقوة والشهرة. التصوف هو «التمسك بالفقر والافتقار، والتحقق بالبذل والإيثار وترك التعرض والاختيار». فهو إذن عدم الحراك الاجتماعي، أن يظل الفقير فقيراً وعدم تغيير أسبابه. وفي نفس الوقت هو بذل وإيثار مع أن الفقير لا يملك شيئاً يبذله. والأخطر ترك التعرض والاختيار أي إيثار اللافعل على الفعل، والسلب على الإيجاب، والتنازل عن الحرية والاختيار.^{٣٩} التصوف هو الفقر، والصوفي هو الفقير. فيحد التصوف بأحد مقاماته دون أخذ الأسباب ثم بعد ذلك يأتي العلم.^{٤٠} الفقر بداية التصوف. والفقير ليس له حاجة عند الله. هو الذي لا يملك ولا يملك. هو الاحتراز من الغني حتى لا يفسد. الفقر ماهية التصوف. ومن لم يتحقق بالفقر لم يتحقق بالتصوف. الفقر هو أن لا يستغني الإنسان بشيء دون الحق. هو السكون عند العدم، والبذل والإيثار عند الوجود.^{٤١} والتصوف جامع للفقر والزهد وهما مقامان. وأحياناً يكون التصوف فوق الزهد وفوق الفقر. هو نهاية الفقر مع شرفه.

وقد ارتبط الجمال بالأخلاق. فالحسن الأخلاقي هو أيضاً الحسن الجمالي والقبح الأخلاقي هو أيضاً القبح الجمالي. فالصوفي يدرك القبيح ولا يعظم الحسن مع أن إدراك النقص يكون إدراكاً سليماً للكمال. فالغيب حضور. وأقبح من كل قبيح صوفي شحيح. فالصوفي كريم مثل الله.^{٤٢}

وتستعمل عديد من التشبيهات لتعريف التصوف لأنه تجربة وليس تصوراً، مشاهدة عيانية وليس مقولة ذهنية. الصوفي كالأرض يطرح فيها كل قبيح ولا تنتج إلا كل مليح، اتباع السيئة بالحسنة، ودفع الشر بالخير. وهي إحدى وصايا المسيح في «الموعظة على الجبل». التصوف أرض يطؤها البر والفاجر. ويتوقف الأمر على كيفية إخصابها. التصوف كالسحاب يظل كل شيء، كريم لا حدود لعطائه. التصوف كالقطر يسقي كل شيء، عطاء مستمر وليس ثواباً وعقاباً مقنناً.^{٤٣}

^{٣٩} السابق، ص ١٢٧.

^{٤٠} اللمع، ص ٤٦.

^{٤١} «في ماهية التصوف»، عوارف المعارف، ج ١، ٣١٧-٣٣١.

^{٤٢} حمدون القصار، القشيرية، ص ١٢٧.

^{٤٣} الجنيد، السابق، ص ١٢٧.

وللمتصوفة آدابهم.^{٤٤} مما يجعل التصوف في البداية تصوفًا أخلاقيًا لهم آدابهم في الوضوء والطهارات، وفي الصلاة وفي الزكوات والصدقات، وفي الصوم، وفي الحج، تجعل أحكام الشريعة أحكامًا إنسانية أخلاقية عامة. وللفقراء آداب وأحكام في الحضر والسفر، وفي الصحة، وفي مجارة العلم، وفي الطعام والاجتماعات والضيافات، وفي السماع والوجود، وفي اللباس، وفي الأسفار، وفي بذل الجاه والسؤال والحركة من أجل الأصحاب، وفيما فتح الله عليهم من الدنيا، وفي الاشتغال بالمكاسب والتصرف في الأسباب، وفي الأخذ والعطاء والرفق بالفقراء، وفي المتأهلين ومن له ولد، وفي الجلوس والمجالسة، وفي الجوع، وفي زيارة المرضى، وفي صحبة المشايخ وعطفهم عليهم، وفي ذكر المريدين والمبتدئين، ومن يتمرد ويختار الخلوة، وفي الصداقة والمودة، وعند الموت. فالتصوف مراقبة الأحوال ولزوم الأدب.^{٤٥} هو آداب كل وقت. ولكل حال ومقام أدب.

وحتى يتبدد وهم أن التصوف ضد الشريعة كان من تعريفات الصوفية أنهم العلماء بالله وأحكامه، العاملون بعلمه، المتحققون بما استعملهم فيه، الواجدون بما تحققوا بما وجدوا حتى لا يفتي كل واحد بما وجد.^{٤٦} أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة، وترك الأهواء والبدع، وتعظيم حرمان المشايخ، ورؤية أعداء الخلق، وحسن صحبة الرفقاء، والقيام بخدمتهم، واستعمال الأخلاق الجميلة، والمداومة على الأوراد، وترك ارتكاب الرخص والتأويلات. وما ضل أحد في هذا الطريق إلا بفساد الابتداء وتأثيره في الانتهاء.^{٤٧} التصوف نوعان: صحيح وفاسد. الصحيح هو الشريعة والسلوك القويم. والفاسد هو البدعة والابتداع والرخصة. وأوائل بركة الدخول في التصوف تصديق الصادقين في الإخبار من أنفسهم عن مشاعرهم.^{٤٨} وهو ما يتنافى مع التحقق من الرواية، وافترض صدق الراوي بلا برهان. وهو بداية التبعية والتقليد والعودة من علوم الدراية إلى علوم الرواية.

^{٤٤} كتاب آداب المتصوفة، ص ١٩٤-٢٨٢.

^{٤٥} كتاب آداب القشيرية، ص ١٢٧.

^{٤٦} اللمع، ص ٤٧.

^{٤٧} طبقات الصوفية، ص ٤٨٨.

^{٤٨} السابق، ص ٥١١.

التصوف الخلق مع الخلق، والصدق مع الحق.^{٤٩} فأخلاق الذات تؤدي إلى توحيد الذات. والتصوف هو إثبات الذات والعكوف عليها.^{٥٠} وهو معنى إثبات الذات عند إقبال. ولا يعني إثبات الذات الغرور والترفع وطلب الكثير والعجب بالنفس.^{٥١} الصوفي متفرد عن الخلق.^{٥٢}

(ب) التصوف النفسي

وهو المعنى الذي يبدأ من النفس لسلوك الطريق بداية بالوقت أي باللحظة، لحظة التوبة. واختيار التحول هو أن يكون الإنسان في كل وقت بما هو أولى به في الوقت.^{٥٣} التصوف علم لبواطن القلوب. فمن اعتنى بظاهره فإن باطنه خراب. هو استرسال النفس مع الله على ما يريد، وتسليم الانقياد له. هو تخل عن الذاتية والمسئولية الفردية، وثقة زائدة بالآخر. ومن لم ينظر في التصوف فهو غبي لأن التصوف هو عالم الشعور. هو ترك الفضول أي شحذ الطاقة نحو غاية واحدة وعدم التشتت.^{٥٤} هو القوامية لله على النفس، وأن يكون للصوفي مع الله علاقة وتخل عن السببية.^{٥٥} الصوفي من سمع السماع وأنكر الأسباب. فمتى نظر إلى شيء من أسبابه قطعه ذلك عن بلوغ مقصده.^{٥٦} التصوف هو «الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلاق».^{٥٧} فالحقائق النازلة تستدعي ترك الحقائق الصاعدة. وهل العلاقة بين الحقائق الإلهية والحقائق علاقة

^{٤٩} عوارف المعارف، ج ٢، ٣٦٥.

^{٥٠} «الصوفية هم القائمون بقولهم على همومهم، والعاكفون عليها بقلوبهم، المعتصمون بيدهم عن شر نفوسهم»، اللمع، ص ٤٥.

^{٥١} «اللبيح عندهم وجوه من المعاذير، وليس للكثير عندهم موقع فيرفعوك به فتعجب بنفسك»، السابق، ص ٤٦.

^{٥٢} «تراني عيون الغيب أني مثلهم. ولو رأوني كيف صفتي في الغيب كانوا دهشاً»، شطحات الصوفية، ص ١٠١.

^{٥٣} اللمع، ص ٤٥، القشيرية، ص ١٢٧، طبقات الصوفية، ص ٤٢١-٤٢٢.

^{٥٤} السابق، ص ١٢٧؛ طبقات الصوفية، ص ٤٢٨.

^{٥٥} اللمع، ص ٤٦؛ القشيرية، ص ١٢٧.

^{٥٦} طبقات الصوفية، ص ٤٤١-٤٤٢.

^{٥٧} معروف الكرخي، اللمع، ص ٤٦؛ القشيرية، ص ١٢٧.

تضاد وتناقض «إما ... أو» أو علاقة تقابل وتماثل؟ ومن الذي سيدافع عما في أيدي الخلائق أو يحقق فيه العدل بين الناس؟

الصوفية قوم أعطوا حتى بسطوا، ومنعوا حتى فقدوا ثم نودي عليهم من أسرار قريبة بالبكاء عليهم.^{٥٨} وهي حالات القبض والبسط، والفقد والوجد، والحزن والبكاء، وتحويل تقلبات العالم الخارجي في الزيادة والنقصان إلى حالات شعورية. ولو خير الصوفي بين حالين لاختار الأحسن والأعلى. وهي أيضًا مقامات. فالتصوف نشر مقام واتصال بدوام.^{٥٩} التصوف إنامة على باب الحبيب وإن طرد عنه. والصوفي في مقام المحبة. وهو الحب المطلق من طرف واحد. وهو وصف القرب بعد كدورة البعد بناء على حالتي القرب والبعد.^{٦٠} الصوفي لا يكدره شيء، ويصفو به كل شيء. وصل إلى حالة روحية تمحو إحساسات المنفعة والضرر، واللذة والألم.^{٦١} فالطريق الصوفي بداية التصوف النفسي. وهو يدل على الطابع النفسي الدفاعي للتصوف والتصوف يؤخذ عنوة وليس صلحًا عن طريق الرياضة والمجاهدة. وهم جماعة مغلقة لا يدخل عليهم غريب.^{٦٢} وهو أيضًا «ذكر مع اجتماع، ووجد مع استماع، وعمل مع اتباع». يشير إلى بداية الطريق الصوفي بالذكر الجماعي والسماع والعمل بالقدوة الصالحة.^{٦٣} فهو حلقة لأهله، مجتمع مغلق «أهل بيت واحد لا يدخل فيه غيرهم».^{٦٤} وتتعدد الطرق الصوفية. ويختلف المشايخ فيما بينهم. فما زال الصوفية بخير ما تنافروا. فإذا اصطلحوا فلا خير فيهم.^{٦٥} خلاف الصوفية رحمة بينهم مثل خلاف الأئمة، مما يشير إلى أهمية التعددية والطرقية.^{٦٦} ومن صعب الصوفية فليصحبهم بلا نفس ولا قلب ولا ملك. ولماذا لا يصاحب الإنسان فريقيًا بنفس وقلب والتزام ليحقق قصدًا مشتركًا؟

^{٥٨} السابق، ص ١٢٧.

^{٥٩} اللمع، ص ٤٥.

^{٦٠} القشيرية، ص ١٢٧.

^{٦١} السابق، ص ١٢٧.

^{٦٢} السابق، ص ١٢٧.

^{٦٣} الجنيد، السابق، ص ١٢٧.

^{٦٤} السابق، ص ١٢٧.

^{٦٥} السابق، ص ١٢٧.

^{٦٦} طبقات الصوفية، ص ١٨١-١٨٢.

هو مجرد طريق إليه طريق التوكل والزهد، والشكر والصبر. والرضا والورع والقرب والبعد من المقامات والأحوال. وهناك ألفاظ أخرى لم تتحول إلى مصطلحات مثل الحجا والنهي، والرقدة والهبة، والبلاغة والعي، والتخنيق والتنفيس، والتكدير والتخليص.^{٦٧} والغالب على الكل الثنائيات المتعارضة. الأهبة هي العزيمة، ولكن بقي لفظ العزيمة وسقط لفظ الأهبة.^{٦٨} التصوف إخلاص أعمال الظاهر، وتصحيح أحوال الباطن. هو الصبر تحت الأمر والنهي دون اعتراض وتحويل الوحي إلى قهر بدلا من حرية اختيار وإلى فرض بدلا من طبيعة.^{٦٩} طريق التصوف الخلقي، والتصوف النفسي، الرياضات والمجاهدات، أشياء يشعر بها الإنسان بنفسه ويحصل عليها بجهد ويحمد الله عليها.^{٧٠} الصوفي هو من إذا استقبله حالان أو خلقان كلاهما حسن كان مع الأحسن. فالتصوف طلب الكمال والرقى.^{٧١} هو «إسقاط الجاه وسواد الوجه في الدنيا والآخرة» أي التحول في القصد من العلن إلى السر، ومن العالم إلى الله، ومن الدنيا إلى الآخرة كشرط لسلوك الطريق.^{٧٢} وحتى الكلاب لا تنظر إلى أرواح من لم يسلك الطريق.^{٧٣} والصوفي يكون مع الواردات لا مع الأوراد. فالأوراد والأذكار والرياضات والمجاهدات في البداية حتى ترد اللوامع والهوامع على النفس.^{٧٤} الصوفي المصطلم بما لاح من الحق، من علوم

^{٦٧} السابق، ص ٥١٥-٥١٧.

^{٦٨} «أتدري ما الأهبة؟ هي أن تجدد العزيمة في نفسك من قاذورات هذه الدنيا، ثم تصل العزيمة بالصريمة في الصبر على واردات البلوى. ثم تطهر بباطنك نفسك، ثم تتستر بباطنك لظاهرك، ثم تعتمد إلى الحق معتقداً، وتثابر على العمل معتمداً»، السابق ص ٤٥٤.

^{٦٩} السابق، ص ٢٤٥.

^{٧٠} «قد سمعت فنوناً من القول في المعرفة والتوحيد، والتوكل والزهد، والعبادة والوجد، والشكر والصبر، والوسوسة والخطرة، والدعاء والمناجاة، والتفويض والتقويض، والرضا والسخط، والورع والتقوى، والحجا والنهي، والرقدة والهبة، والمراد والمريد، والصلاح والفساد، والسر والجهر، والقرب والبعد، والانبساط والانقباض، والإقدام والإحجام والبلاغة والعي، والرياء والإخلاص، والتحقيق والتلبيس، والتخنيق والتنفيس، والتكدير والتخليص»، التوحيدي: الإشارات الإلهية، ص ٢٢٧.

^{٧١} القشيرية، ص ١٢٧.

^{٧٢} السابق، ص ١٢٨.

^{٧٣} السابق، ص ١٢٨.

^{٧٤} السابق، ص ١٢٨.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

الذوق.^{٧٥} والتصوف نور شعشاني رمقته الأبصار فلاحظها.^{٧٦} هو استقامة لأحوال مع الحق.^{٧٧}

(ج) التصوف الفلسفي

والتصوف أيضًا قول في المعرفة والتوحيد. أرفع العلوم في التصوف علم الأسماء والصفات، وتمييز الخلاف عن الاختلاف. التصوف الفناء عن الذات والبقاء بالله وأن يميّك الحق عنك، ويحييك بك.^{٧٨} والموت عن الذات فناؤها، والإحياء بالله بقاؤها بقواها الذاتية. ثمن التصوف الفناء فيه ثم البقاء فيه إلى الأبد لأن الفناء عن الحس بقاء بمشاهدة المطلوب إلى الأبد. يعني الفناء في التصوف الإخلاص له، والبقاء للمشاهدة، رؤية الذات في الموضوع، والموضوع في الذات.^{٧٩} الصوفي «من يرى دمه هدرًا وملكه مباحا». ^{٨٠} فهو شهيد العشق الإلهي، يفعل الله فيه ما يشاء بعد أن يتخلّى عن إرادته وحرية اختياره ويسقط تدبيره. «الصوفية أطفال في حجر الحق». وهو ما يعني إسقاط التدبير. ^{٨١} التصوف ترك التكليف وبذل الروح.

التصوف جلوس مع الله بلا علاقة أي بالاندماج المطلق فيه.^{٨٢} والصوفي هو المشير عن الله، والدليل عليه.^{٨٣} هو نعت يقيم الإنسان فيه ونعت للحق حقيقة.^{٨٤} هو واسطة بين العبد والرب ليس بشخصه بل لصفاته.^{٨٥} هو شفيع بيد الخلق. وأحيانًا أخرى

^{٧٥} السابق، ص ١٢٨.

^{٧٦} طبقات الصوفية، ص ٣٥٧؛ الرسالة، ص ١٢٨.

^{٧٧} طبقات الصوفية، ص ٥١١.

^{٧٨} الجنيد، القشيرية، ص ١٢٦.

^{٧٩} طبقات الصوفية، ص ٤١٢.

^{٨٠} التستري، القشيرية، ص ١٢٧.

^{٨١} طبقات الصوفية، ص ١٥٨.

^{٨٢} الشبلي، السابق، ص ١٢٧.

^{٨٣} أبو منصور، السابق، ص ١٢٧.

^{٨٤} شطحات الصوفية، ص ١٦٧.

^{٨٥} «ليس بي يتمسحون لكن يتمسحون بحلية حلائها ربي فكيف أمنعهم من ذلك وذلك لغيري؟ شطحات الصوفية، ص ٩٩. اوقع في خاطري أن أستقبلك وأتشفع إلى ربي بك»، السابق ص ٢٠٦.

يرفض الصوفي أن يكون واسطة بين الخالق والمخلوق حتى لا ينشغل بالمخلوق عن الخالق كما يفعل الغافل.^{٨٦} الصوفي منقطع عن الخلق متصل بالحق.^{٨٧} التصوف إسقاط رؤية الخلق ظاهراً وباطناً. ولا يكون له قبول عند الخلق. ويكون مرجعه في كل الأحوال إلى الله. الصوفي هو ما سماه الحكماء المتوحد. والطريق الصوفي هو «تدبير المتوحد». وتعني ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ إبعاده عن كل غير. وهي أنانية لا تجوز على الله. وماذا يبقى منه في العالم؟ ومن الذي سيعمره ويستخلف فيه؟ وإذا كان الصوفي لن يراه فلماذا التقريب إلى هذا الحد وعدم بلوغ المنتهى؟ الصوفية أثرة الله في خلقه، يظهرها أو يخفيها.^{٨٨}

الصوفي وحداني الذات، لا يقبله أحد ولا يقبل هو أحداً، ذاتية فريدة. فالأنا تساوي الأنا قبل الأنا تختلف عن الآخر. فقانون الهوية سابق على قانون الاختلاف.^{٨٩} المتناهي في حاله يتوقى كل شيء، ويدخل في كل شيء، ويأخذ من كل شيء، ولا يسترقه شيء، ولا يؤخذ منه شيء.^{٩٠} وإذا كان «التصوف عصمة عن رؤية الكون».^{٩١} فمن الذي سيمكث فيه ويعمره ويصبح خليفة الله في أرضه؟ وإذا كان التصوف انقياداً للحق فمن الذي سيدحض الباطل؟ هي علاقة مباشرة مع الله، أن يكون الإنسان مع الله بلا علاقة، استرسال النفس مع الله على ما يريد.^{٩٢} التصوف هو إثارة الله على كل شيء وإثارة الله له على كل شيء.^{٩٣} فهو وحدانية مطلقة بين الطالب والمطلوب، والراغب والمرغوب. الصوفي لا تقله أرض ولا تظله سماء فالله يرقاه. ولأنه أصبح مثلاً أعلى في كل مكان، تحول من الشخص إلى الكون، ومن الجزء إلى الكل.^{٩٤}

^{٨٦} «إلهي، الخلق لك، وأنت مالكمهم، مالي والتكلف بالدخول بينك وبين خلقك لولا الغفلة»، السابق،

ص ١٤٦.

^{٨٧} الشبلي، القشيرية، ص ١٢٧.

^{٨٨} اللمع، ص ٤٦.

^{٨٩} الحلاج، القشيرية، ص ١٢٧.

^{٩٠} طبقات الصوفية، ص ٣٦٠.

^{٩١} المزين، القشيرية، ص ١٢٧.

^{٩٢} اللمع، ص ٤٥.

^{٩٣} السابق، ص ٤٦.

^{٩٤} السابق، ص ٤٨، القشيرية، ص ١٢٧.

التصوف «حال تظمحل فيه معالم الإنسانية» وهي حالة الفناء. فمن الذي يبقى؟^{٩٥} هو ورقة محرقة حتى ولو حرق نفسه. التصوف الإعراض عن الاعتراض.^{٩٦} وهو ما تحاوله النظم السياسية التي تقوم على القهر والتسلط ضد المعارضة. والصوفي لا يوجد بعد عدمه، ولا يعدم بعد وجوده. فقد تحول إلى سلب مطلق بلا حركة أو انتقال من الوجود إلى العدم سلباً أو من العدم إلى الوجود إيجاباً.^{٩٧} هو السكون عند العدم والإيثار عند الوجود. يفنى عن نفسه ولا يبقى. وكيف يكون إيثاراً وهو غير موجود؟^{٩٨} وجده وجوده، وصفاته حجاب. هو الوجود المتجلي. صفاته سلب وهو الحجاب. إن وصف جم، وإن تلى كشف. فهي وصف الله. فإن كل ما خطر بالبال فالله على خلافه. وإن لم يصف كشف له الحجاب وقوع في مغامرة الشطح.^{٩٩} الصوفي «مقهور بتصريف الربوبية، مستور بتصريف العبودية». فالربوبية قهر والسلطة السياسية قهر. والقهر الديني والقهر السياسي قرينان. والإنسانية مجرد ستار يخفي القهر والتسلط. ولماذا لا تكون الربوبية تحرراً بفعلي النفي والإثبات في «لا إله إلا الله»، وتكون الإنسانية حقيقة رافضة لستار العبودية؟ والصوفي لا يتغير. فإن تغير لا يتكرر.^{١٠٠} الصوفي في حالة من السكون الدائم أشبه بالنرفانا الهندية، ولا يتأثر بالتغير، لا سلباً ولا إيجاباً. لا يتعبه طلب، ولا يزعجه سلب. ومع ذلك التصوف اضطراب. فإذا وقع سكون فلا تصوف. فالروح مجذوبة إلى الحضرة الإلهية. التصوف حركة وحياة وقلق. السكون في الفلسفة وفي العقائد وليس في التصوف الذي يبحث عن معنى الحياة، والأصول التي تحقق مصالح الناس المتغيرة. الصوفي لا ينزعج في انزعاجه. ولا يقرر في إقراره. الصوفي في حركة مستمرة لا يسكن له قرار.^{١٠١}

^{٩٥} أبو يعقوب المزائلي، السابق، ص ١٢٨.

^{٩٦} أبو سهل الصعلوكي، السابق، ص ١٢٨.

^{٩٧} طبقات الصوفية، ص ٤٩١؛ القشيرية، ص ١٢٨.

^{٩٨} السابق، ص ١٢٨.

^{٩٩} طبقات الصوفية، ص ٤٩١.

^{١٠٠} السابق، ص ١٢٨.

^{١٠١} السابق، ص ٤٨٩.

التصوف صفة الحق يلبسها العبد.^{١٠٢} ومع أن التصوف هو الإشكال والتلبيس والكتمان إلا أنه مذهب كله جد، ولا يخلط بشيء من الهزل مثل الخزعلات أو ادعاء الجنون باسم الولاية.^{١٠٣} الصوفي لا يطلب صفة تعينه إذا ضعف بل يطلب الولاية الروحية.^{١٠٤} التصوف طرح النفس في العبودية ومن الصعب التمييز بين العبودية لله والعبودية لغيره طالما أن العبودية هي البنية النفسية للإنسان. وتعليق القلب بالربوبية هو إخراج الذات عن ذاتها، وتعليق وجودها على غيرها. واستعمال كل خلق سني هو العودة بالتصوف إلى المرحلة الخلقية، والنظر إلى الله بالكلية بداية لوحدة الشهود. وقد يكون تعريف التصوف شاملاً الخلقى والنفسى والفلسفى فى آن واحد، تصفية القلب من الأكدار وهو التعريف العملي، والخروج من رق الصفات الإنسانية وهو التعريف بالحقيقة، والتحلي بالصفات الإلهية وهو التعريف بالحق.^{١٠٥} أوله علم، وأوسطه عمل، وآخره موهبة. فالإبداع جماع العلم والعمل.

(٣) من هم الصوفية؟

وقد نشأ التصوف نشأة داخلية محضة من القرآن والحديث في ظروف نقيضة لما تدعو إليه النصوص. فنشأ التصوف كرد فعل عليها.^{١٠٦} الفضيلة في مقابل الرذيلة، والنفس في مقابل البدن، والآخرة بدلاً من الدنيا، والله بدلاً عن العالم. فللصوفية فضائل كبرى. فهم أحق الخلق بحقائق التقوى، وأحوج العباد إلى الزهد، وأعلم الناس بالعمل والخواطر وعلم الباطن والإخلاص والوقت والحال والحلال والفقه والأمر والنهي والتوحيد. ثم يكرمون بخوارق العادات. هم أعلم الناس بالنفس وأهوائها، والمقامات والأحوال والمحاسبة والمراقبة والإنابة.^{١٠٧} هم الذين أحبوا السنة وصفوا أنفسهم من مغانم

^{١٠٢} شطحات الصوفية، ص ١١٠.

^{١٠٣} «طرح النفس في العبودية، وتعليق القلب بالربوبية، واستعمال كل خلق سني، والنظر إلى الله

بالكلية» السابق، ص ١٣٨.

^{١٠٤} السابق، ص ١٨٤.

^{١٠٥} «بشرط العلم، وهو تصفية القلوب من الأكدار، واستعمال الخلق مع الخليفة، واتباع الرسول في الشريعة. وجواب بلسان الحقيقة وهو عدم الأملاك، والخروج من رق الصفات والاستغناء بالخلق السموات. وجواب بلسان الحق، أصفاهم بالصفاء عن صفاتهم، وصفاهم من صفاتهم»، اللمع، ص ٤٨.

^{١٠٦} «في ذكر منشأ علوم الصوفية»، عوارف المعارف، ج ١، ٢٢١-٢٣٩.

^{١٠٧} «بيان فضيلة علوم الصوفية والإشارة إلى أنموذج منها»، السابق، ص ٢٦٣-٣٠٢.

الدنيا. سلكوا طريق المشايخ والمريدين. وهو ليس طريق المجاذيب ولا المجتهدين. الأول تنكشف له الحقائق ولا يجتهد فيها. والثاني يجتهد في الحقائق دون أن تنكشف له.^{١٠٨} والمتشبه بالصوفي له معنيان: إيجابي بالمحبة، وسلبى بالادعاء. فالإنسان مع من أحب وهو المعنى الإيجابي للمتشبه بالصوفية من أجل سلوك طريقهم. أوله إيمان ثم علم ثم ذوق. والمتشبه في أحد مراحل الطريق. المتشبه صاحب إيمان، والمتصوف صاحب علم. وهو الفرق أيضًا بين الصوفي والمتصوف، بين العالم والمتعلم، بين الفيلسوف والمتفلسف. الصوفي في مقام المتفردين، والمتصوف في مقام السائرين. الصوفي في مقام الروح، صاحب مشاهدة. والمتصوف في مقاومة القلب صاحب مراقبة، والمتشبه في مقاومة النفس وصاحب مجاهدة ومحاسبة. تلوين الصوفي بوجود قلبه وتلوين المتصوف بوجود نفسه. والمتشبه لا تلوين له لأن التلوين لأرباب الأحوال والمتشبه مجتهد سالك.^{١٠٩} والصوفي إن نطق ينطق عن الحقائق. وإن سكت تكلمت عنه الجوارح بقطع العلائق. فالتعبير بالقول والفعل.^{١١٠} والتصوف خلو الأسرار مما عنه بد، وتعلقها بما ليس منه بد.^{١١١} ويلزم الصوفي حفظ السر وأداء الفرض وصيانة الفقر، ثلاث تجمع بين الشريعة والأخلاق والباطن.^{١١٢} والقعود مع كل طبقات الناس أسلم من القعود مع الصوفية. فإن الخلق قعدوا على الرسوم، والصوفية قعدوا على الحقائق. طلب الخلق ظواهر الشرع، وطالب الصوفية أنفسهم بحقيقة الورع ومداومة الصدق. فمن قعد معهم، وخالفهم في شيء مما يتحققون فيه نزع الله الإيمان من قلبه. عظمت فيهم البلية. واستحكمت عليهم الفتنة، فاستصغروا كل مقام، وعزب عنهم التدبير والنظام. يبذل الصوفية الروح. ومن أراد الدخول معهم فليفعل فعلهم. التصوف هو التبري عن دونه، والتخلي عن سواه.^{١١٣}

^{١٠٨} «شرح حال الصوفية واختلاف طريقهم»، السابق، ٣٠٢-٣١٧.

^{١٠٩} «ذكر المتصوف والمتشبه به»، السابق، ص ٣٤٥-٣٥٩.

^{١١٠} ذو النون، طبقات الصوفية، ص ١٩.

^{١١١} أبو العباس بن مسروق الطوسي، السابق، ٢٣٩.

^{١١٢} التستري، السابق، ص ٢٠٨.

^{١١٣} علي بن سهل الأصبهاني، السابق، ص ٢٣٥.

حال الصوفي أن دينه هواه، وهيمته شقاه، ليس بصالح تقي ولا عارف تقي.^{١١٤} ما فطنت إلا هذه الطائفة واحترقت بما فطنت.^{١١٥} الصوفية عبيد الظواهر أحرار البواطن.^{١١٦} ولماذا لا تتخرج الحرية من الداخل إلى الخارج؟ الصوفي من عزفت نفسه عن الدنيا تظرفا، وعلت همته عن الآخرة، وسخت نفسه بالكل طلبًا وشوقًا إلى من له الكل.^{١١٧} الصوفي هو من يشق طريقه بعيدًا عن الدنيا والآخرة، طريق النفس والقصد والغاية. هم الرزق قائم في قلب كل صوفي. ولزوم العمل أقرب إلى الله. وعلامة ركون القلب والسكون إلى الله أن يظل قويًا عند زوال الدنيا، والثقة بما في يد الله أكثر من الثقة بما في يده.^{١١٨} فالصوفي أقرب إلى البطل منه إلى الشخص العادي. هم أصحاب الأخلاق المرضية.^{١١٩} والصوفية يحسنون الاستماع للوحي دون الوسواس من النفس الأمارة بالسوء والحظوظ العاجلة وأهواء الدنيا من أجل تصفية النفس وطاعتها والاستجابة لأربعة مطالب: التوحيد، والتحقيق، والتسليم، والتقريب. فالاستجابة على قدر السماع من حيث الفهم. والفهم على قدر المعرفة والعلم بمقاصد المتكلم. ووجوه الفهم لا نهاية لها مثل وجوه الكلام. فأول العلم الاستماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر، خمس درجات.^{١٢٠}

^{١١٤} رويم بن أحمد البغدادي، السابق، ص ١٨٤.

^{١١٥} أبو عبد الله المغربي، السابق، ص ٢٤٥.

^{١١٦} أبو بكر الكتاني، السابق، ص ٣٧٥.

^{١١٧} أبو بكر الكتاني، السابق، ص ٣٧٧.

^{١١٨} أبو الحسين بن بنان، السابق، ص ٣٨٩.

^{١١٩} مظفر القرمييسي، السابق، ص ٣٩٦.

^{١٢٠} عوارف المعارف، ج ١، ٢٣٩-٢٦٣.



علامة الصوفي أن يكون مشغولاً بكل ما هو أولى به من غيره، معصوماً عن المذمومات.^{١٢١} هو المتوحد الذي يحشد طاقاته نحو غاية واحدة. وبهذا المعنى لا ينشغل بما يبذل طاقاته إلا في لحظات الضعف البشري والثقل الوجودي. الصوفي بربه والزاهد بنفسه.^{١٢٢} مع أن الصوفي أيضاً قد يكون بنفسه والزاهد بربه. فالزهد أحد مقامات التصوف.^{١٢٣} التصوف ينفي عن صاحبه البخل كما تنفي كتب الحديث عن صاحبها الجهل. فإذا اجتمعاً في شخص واحد فهو النبيل. فالنبيل يجمع بين العلم والكرم.^{١٢٤}

الصوفية متفقون في الوجدانية في الجملة قولاً، متفرقون في الوصول إليها معاً ومنازلة.^{١٢٥} وكل واحد استحق اسم ما ظهر عليه من حاله الذي هو به موصوف بعد اتفاقهم في الوجدانية قولاً مثل: مجتهد، زاهد، عابد، خائف، راج، غني، فقير، مريد، مراد، صابر، راض، متوكل، محب، مستهتر، مستأنس، مشتاق، واله، هائم، واحد، فان، باق ... إلخ. وقد تجتمع الأحوال في واحدة ويسمى بما عليه الجميع.^{١٢٦}

الصوفية هم أهل السنة والجماعة. هم الفرقة الناجية. فعقود القلب من السنة المجتمع عليها. والمتكلمون: المعتزلة والمرجئة والحروية والخوارج هم الفرق الضالة الهالكة. وهم الذين ابتدعوا قضية خلق القرآن والتحكيم بوضع المصاحف على السيوف، والصلة بين الإيمان والعمل. وكلها نبعت بالعراق. ومنه طلع قرن الشيطان، وظهرت فيه الفتن. وفي العراق أيضاً ظهر التصوف في البصرة عند رابعة والحسن، وفي بغداد عند الحلاج.^{١٢٧} والمغالون مجاوزون للسنة والآثار. والمبطلون مدعون بالرأي والقياس. والجاهلون الشاطحون من المتصوفة الضلال.

^{١٢١} أبو بكر محمد بن داود الدقي، طبقات الصوفية، ص ٤٤٨.

^{١٢٢} السابق، ص ٤٩٥.

^{١٢٣} السابق، ص ٥٠٠.

^{١٢٤} السابق، ص ٥٠٣.

^{١٢٥} بندار بن الحسين الشيرازي، طبقات الصوفية، ص ٤٦٧، ٤٦٩.

^{١٢٦} أبو بكر الطومستاني، السابق، ص ٤٧٤.

^{١٢٧} قوت القلوب ج ٢، ٢٥٩-٢٦٠، ٢٦٢-٢٧٣.

(٣) الأولياء والفتيان والملازمة والشطار والظرفاء والبهاليل

النبوة للأنبياء، والولاية للأولياء. الأنبياء للمشاهدة، والأولياء للمجاورة، والصالحون للملازمة، والعوام للمجاهدة.^{١٢٨} أرواح الأنبياء في حالة الكشف والمشاهدة. وأرواح الصديقين في القربة والاطلاع.^{١٢٩} ويسمع الصوفي صوت الله الداخلي، هاتفًا باطنياً، إلهاماً لا وحياً مباشرة ودون واسطة. من كان لله مطيعاً كان الله له ولياً يثق بالله ويحكم عليه ولاستجاب لسؤاله حتى لو كان زوال الدنيا.^{١٣٠} فالله يأخذ الصوفي ولياً. والصوفي يأخذ الله ولياً. فالولاية متبادلة.

اطلع الله على قلب أوليائه. فمن لم يصلح منهم للمعرفة شغله بالعبادة.^{١٣١} فالعبادة أقل من الولاية. ومن صفات الأولياء، الثقة بالله في كل شيء، الغنى به عن كل شيء، والرجوع إليه في كل شيء.^{١٣٢} والسؤال: ألا توجد مرجعية أخرى يمكن استعمالها كمقياس للصدق؟

بُسط بساط المجد للأولياء ليأنسوا به وليرفع عنهم حشمة بديهية المشاهدة. وبساط الهيبة بسط للأعداء ليستوحشوا منه قبائح أفعالهم. فلا يشاهدوا ما يستروحون منه إليه في المشهد الأعلى.^{١٣٣} الولي من يوالي أولياء الله ويعادي أعداءه.^{١٣٤} وإذا زاد الله في الولي ثلاثة زاد منه ثلاثة. إذا زاد جاهه زاد تواضعه، وإذا زاد ماله زاد سخاؤه، وإذا زاد عمره زاد اجتهاده.

أبى الملك إلا اختيار الأولياء ومتعرضاً لهم بأعدائه. ويختبر في قربه بعدوه لمعرفة صبرهم عليه. فإن صبروا على بلوى الأعداء جللهم بالعلم، وحباهم بالوصل، وأسكنهم في جواره، ونعمهم بمشاهدته، ولذذهم بذكركه، وأوصلهم بمعرفتهم، وجعلهم أئمة يقتدى بهم، ونجاة لعباده ورحمة لهم في أرضه، وجعل محبتهم في قلوبهم، وأنسهم في رؤيتهم،

^{١٢٨} طبقات الصوفية، ص ٢٦٩.

^{١٢٩} السابق، ص ٣١٨.

^{١٣٠} ذو النون، السابق، ص ١٩.

^{١٣١} البسطامي، السابق، ص ٧١.

^{١٣٢} أحمد بن خضرويه، السابق، ص ١٠٣-١٠٦.

^{١٣٣} أحمد بن أبي الورد، السابق، ص ٢٥٠-٢٥١.

^{١٣٤} محمد بن أبي الورد، السابق، ص ٢٥٠.

وحلاوة في قلوبهم.^{١٣٥} ولا يعظم أقدار الأولياء إلا من كان عظيم القدر عند الله. ولا يقدر الولي إلا الولي. في حين ينكر الولاية الجاهل في قلوبهم لضيق الصدور من الصادر، وبعد العلوم عن موارد القدرة. والاستهانة بالأولياء من قلة المعرفة بالله.^{١٣٦}

والولي لا يسمي نفسه ولياً ولا يشير إلى سمة يتسم بها لأن من شروطه عدم تعرف الآخرين عليه. الولي لا يفشي سره مباشرة أو على نحو غير مباشر كأن يظهر فقره وزهده. وأفضل عمل رعاية السر، وعدم الالتفات إلى شيء سوى الله.^{١٣٧} وهو في ستر حاله أبداً. والكون كله ناطق من ولايته. والمدعي ناطق به. والكون كله ينكر عليه.^{١٣٨}

الولاية كالنبوة بها صدق وادعاء. الأولياء أسرار نعم الله. والأصفياء رهائن كرمه. والأحباء عبيد منته. فهم عبيد محبته لا يُعتقون، وrehان كريم لا يفكون وأسرار نعم لا يطلقون. فالولي عبد وأسير ورهين.^{١٣٩} الولاية فضل. وكما أن لأهل الفضل فضل لم يروه فإذا رأوه فلا فضل لهم فكذلك لأهل الولاية ولاية لم يروها. فإذا رأوها فلا ولاية لهم.^{١٤٠}

فالفضل والولاية من الأسرار، من عالم اللاشعور.

وعلاوة الأولياء أن تكون همومهم لله، وشغلهم فيه ومزارهم إليه.^{١٤١} وعلامتهم أيضاً خوف الانقطاع عنه لشدة في قلوبهم من الإيثار له والشوق إليه.^{١٤٢} وعلامة الولاية ثلاثة: تواضع عن رفعة، وزهد عن قدرة، وإنصاف عن قوة.^{١٤٣} والحرص على استمرار الولاية غرور. فلم يحرص الأنبياء على استمرار النبوة.

من نظر إلى ولي فقبله وأكرمه الله على رءوس الأشهاد.^{١٤٤} فالولي لله ومن والاه فقد والى الله. وما تعبد متعبد بأكثر من التحبب إلى أولياء الله مما يحبون. محبة

^{١٣٥} أبو عثمان المغربي، السابق، ص ١٨٠-٤٨١.

^{١٣٦} السابق، ص ٢٨٢.

^{١٣٧} السابق، ص ١٠٣-١٠٦.

^{١٣٨} السابق، ص ٣١٨.

^{١٣٩} السابق، ص ١١٠.

^{١٤٠} شاه الكرمانى، السابق، ص ١٩٣.

^{١٤١} السابق، ص ٩٠.

^{١٤٢} السابق، ص ٤١٨.

^{١٤٣} السابق، ص ٢٥٤.

^{١٤٤} الجنيد، السابق، ص ١٦٢.

أولياء الله دليل على محبة الله. والله لا يحتاج إلى واسطة في محبته. وقد عجل الله لأرواح أوليائه التلذذ بذكره، والوصول إلى قربهِ. وعجل لأبدانهم النعمة بما نالوه من مصالحهم وأجل نصيبهم من كل شيء، أبدانهم من الجنائين وأرواحهم من الربانيين. فالأولياء أصحاب مصلحة مزدوجة في الدنيا والآخرة، في البدن والنفس. ولهم لسانان: واحد يعرفون به الصنائع الإلهية، وواحد في الظاهر يعرفون به علم المخلوقين. لسان الظاهر يكلم الأجساد ولسان الباطن يناجي الأرواح.^{١٤٥} ويعرف الأولياء في الخلق بلطف لسانهم، وحسن الأخلاق، وبشاشة الوجوه، وسخاء الأنفس، وقلة الاعتراض، وقبول الأعذار، والشفقة على الخلائق، برهم وفاجرهم.^{١٤٦}

وكما يظهر للأنبياء معجزات وآيات، للأولياء كتمان كرامات حتى لا يفتن الناس بها.^{١٤٧} الأولياء مرتبطون بالكرامات والدرجات. والأنبياء مكشوف لهم عن حقائق الحق. فالكرامات والدرجات عندهم وحشة.^{١٤٨} الأنبياء منبسطون على بساط الأنس، والأولياء على درجات الكرامة.^{١٤٩} الولي من أيد بالكرامات وغيب عنها. فالكرامة علامة الولاية.^{١٥٠} ومن عامل الله على رؤية ما سبق منه إليه مشى على الماء أو في الهواء فليس بشيء من الله بعجيب. ومن تأدب بآداب الصالحين يصلح لبساط الكرامة، وبآداب الأولياء يصلح لبساط القرية، وبآداب الصديقين يصلح لبساط المشاهدة، وبآداب الأنبياء يصلح لبساط الأنس والانبساط.^{١٥١} تظهر الكرامات على من عامل الله على رؤية السبق.^{١٥٢} من أظهر

^{١٤٥} أبو سعيد الخراز، السابق، ص ٢٢٩.

^{١٤٦} السابق، ص ٤١٥.

^{١٤٧} أبو عمرو الدمشقي، السابق، ص ٢٧٧.

^{١٤٨} التستري، ص ٢١٣.

^{١٤٩} السابق، ص ٣٢١.

^{١٥٠} السابق، ص ١٢١.

^{١٥١} السابق، ص ٢٧٠.

^{١٥٢}

الأنبياء الأنس

الصديقون المشاهدة

الأولياء القرية

الصالحون الكرامة

أبو الحسين بن بنان، السابق، ص ٣٩٠.

كراماته فهو مدرع ومن ظهرت عليه الكرامات فهو ولي. فالكرامة تظهر طبيعية لا صنعة. آيات الأولياء وكراماتهم رضاهم بما يسخط العوام عن مجاري المقدور. مع أن العوام تعشق كرامات الأولياء لأنها من صنع خيالهم. وتتعدد مستويات الكرامة. فالطيران في الهواء أفضل من المشي على الماء.^{١٥٣} وقد أعار الله بعض أخلاق أوليائه إلى أعدائه ليستعطف بهم على أوليائه، وكأن الله يلجأ إلى التحايل ويعير الصفات من شخص إلى آخر وكأن الصفات غير ذاتية.^{١٥٤}

ومع الولاية هناك الفتوة. فالفتى معنى آخر للصوفي، والفتيان للصوفية والفتوة للتصوف. ليست الفتوة فقط إسقاط الرؤية وترك النسبة ولكنها أداء الإنصاف وترك مطالبة الإنصاف. وهي زيادة على آدم وذريته. تؤخذ من الاستعمال والمعاملة وليس من النطق. وتعرف بالممارسة وليس بالتعريف. ومن علامة الفتى أن يرى الفتيان ولا يستحي منهم في شمائله وأفعاله. الفتوة أن تنصف ولا تنتصف.^{١٥٥}

الفتوة عذر الإخوان في الزلات وعدم معاملتهم بما يوجب الاعتذار.^{١٥٦} الفتوة إذن هي الشهامة. هي احتقار النفس وتعظيم حرمة المسلمين. تقوم على إنكار الذات والتضحية بالنفس في سبيل الآخر.^{١٥٧} من النفاق لبس لباس الفتيان دون حمل أثقال الفتوة. الفتوة رؤية أعمار الخلق وتقصير الذات، وتمامهم ونقصانها والشفقة على الخلق كلهم برهم وفاجرهم. وكمال الفتوة هو عدم الانشغال بالخلق عن الله.^{١٥٨} الفتوة رؤية فضل الناس بنقصان الذات.^{١٥٩} هي سمة التواضع، وعدم رؤية الإنسان زيادة فضل له على غيره. هي فضيلة دون رؤية النفس فيها. الفتى من لا خصم له ولا يكون هو خصما لأحد. بل الخصومة لله على النفس. الفتوة كف الأذى وبذل الندى والمسألة لدرجة عدم منافرة الفقير ومعارضة الغني وهما ضروريان للتغير الاجتماعي. الفتى من كسر الصنم مثل

^{١٥٣} السابق، ص ٣٥١.

^{١٥٤} أبو سعيد بن الأعرابي، السابق، ص ٤٢٩.

^{١٥٥} أبو حفص النيسابوري، السابق، ص ١١٧-١١٨.

^{١٥٦} رويم بن أحمد البغدادي، السابق، ص ١٨٣.

^{١٥٧} السابق، ص ٤٣٦.

^{١٥٨} أبو عبد الله السجزي، السابق، ص ٢٥٥.

^{١٥٩} أبو عبد الله المغربي، السابق، ص ٥١١.

إبراهيم، وتكسير الأصنام رمز للقضاء على الضلال الديني والانحطاط الخلقي والفساد الاجتماعي. كما أن الفتوة عدم الهروب من المسائل وعدم الاحتجاب من القاصدين.^{١٦٠} وهي الستر على عيوب الأصدقاء حماية لهم من شماتة الأعداء. وهي من طباع الأحرار. واللؤم من شيم الأنذال.^{١٦١} الفتوة واللؤم نقيضان مثل الشهامة والخسة، البطولة والجبن. التصوف هو الحرية والفتوة، وترك التكلف في السخاء، والتظرف في الأخلاق، والعودة إلى الطبيعة. الفتوة حفظ السر مع الله على الموافقة، وحفظ الظاهر مع الخلق بحسن العشرة واستعمال الخلق.^{١٦٢} الفتوة هي حسن العلاقة مع الله والبشر على مستوى الأخلاق. هي الإيمان بالله بلا واسطة. أصل الفتوة الحفاظ، والشكر، والصبر، والرضا.^{١٦٣} وبعضها أخلاق وبعضها مقامات. الفتوة ما عليه الأنصار، الفتوة العملية، إثارة الآخر على النفس.^{١٦٤} هي الإيثارة مع العطاء، والشكر مع المنع، إظهار النعمة وأسرار المحنة. الفتوة حسن الرعاية، ودوام المراقبة، واتحاد الظاهر والباطن. والفتى من يخالف هواه، ومن يترك ما يهوى لما يخشى.^{١٦٥} الفتوة حسن الخلق وبذل المعارف لمن تبغضه، وبذل المال لمن تكرهه، وحسن الصحبة مع من ينفر القلب معه. هي حالة العطاء المستمر، ومقابلة الإساءة بالإحسان، الإقبال على الناس دون مقابل. تتضمن الفتوة المروءة والشهامة وربما البطولة. الفتوة اتباع السنة والتقاليد وعدم الخروج عن المعروف.

وللفتوة علامات ثلاث: وفاء دون حلف، ومدح بلا مقابل، وعطاء بلا سؤال.^{١٦٦} وهي وفاء دون حفاظ. فالفتوة عدم الادخار وعدم الاعتذار أي مناقضة بالبخل والتنصل. وتتحدد الفتوة سلباً كما تتحدد إيجاباً. فليس من الفتوة الربح على الصديق لأن ذلك ضد المروءة، وصب النساء الماء على أيدي الرجال لأن ذلك ضد الشهامة. واستخدام الرجل من يتعاصى عليه في تقديم السفارة لأن ذلك ضد الأريحية. الفتوة دعوة عشرة وعدم

^{١٦٠} القشيرية، ص ١٠٣-١٠٥.

^{١٦١} شاه الكرمانى، طبقات الصوفية، ص ١٩٣.

^{١٦٢} محمد بن الفضل، السابق، ص ٢١٦.

^{١٦٣} أبو الحسن الوراق النيسابوري، السابق، ص ٣٠١.

^{١٦٤} عوارف المعارف، ج ٣، ص ٣٦.

^{١٦٥} أبو الحسن البوشنجي، طبقات الصوفية، ص ٤٦١.

^{١٦٦} معروف الكرخي، السابق، ص ٨٩.

التغير إذا حضر واحد أو أحد عشر. والفتى من لا يميز عند من يأكل عنده بين ولي أو كافر. ويستوي عنده المقيم والطارئ. الفتوة ترك التمييز بين الناس وتفضيل أحد على آخر. ليست فقط أخلاقاً فردية بل هي أيضاً عادات اجتماعية وخصائص للشعوب مثل اشتها الشام بالفتوة، والعراق باللسان، وخراسان بالصدق.^{١٦٧}

والملامتية من نفس روح الفتوة. فالملامتي لا يظهر خيراً ولا يضر شراً. ويخفي حاله على وجهين لتحقيق الإخلاص والصدق ولستر الحال عن غيره. يرى كتم الأحوال والأعمال. ويستوحش من ظهورها. ولا يكون لأهل الملامة دعوى على أحد وليس لديه ما يدعيه.^{١٦٨} الملامتي يخرج الخلق من عمله وحاله. وإن أثبت نفسه فهو مخلص. والصوفي أيضاً أخرج نفسه من عمله وحاله كما أخرج غيره فهو مخلص. وشتان بين المخلص والخالص والمخلص. والفرق في رؤية الإخلاص. الملامتي يتمسك بالإخلاص ويعظم موقعه لديه. والصدق أصل والإخلاص فرع. الملامتي مقيم في أوطان إخلاصه غير متطلع إلى حقيقة خلاصه. وهو الفرق بين الملامتي والصوفي. يتقدم الملامتي على المتصوف ويتأخر عن الصوفي. الملامة خوف القدرية ورجاء المرجئة.^{١٦٩}

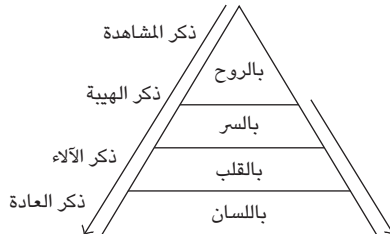
عند الملامتية الذكر على أربعة أقسام: ذكر باللسان، وذكر بالقلب، وذكر بالسر، وذكر بالروح. ذكر الروح يشمل السر والقلب واللسان وهو ذكر المشاهدة. وذكر السر يشمل ذكر القلب واللسان وهو ذكر الهيبة. وذكر القلب يشمل ذكر اللسان وهو ذكر الآلاء. وذكر اللسان بمفرده هو ذكر العادة.^{١٧٠}

^{١٦٧} القشيرية، ص ١٠٤-١٠٥.

^{١٦٨} طبقات الصوفية، ص ٤٥٦.

^{١٦٩} السابق، ص ١٢٩.

^{١٧٠} «ذكر الملامتي وشرح حاله»، عوارف المعارف، ج ١، ٣٥٩-٣٧٣.



وكما يوجد الفتوة والملازمة يوجد أيضاً الشطار. فالشاطر من شطرت نفسه عن الباطل.^{١٧١} والظرفاء مع أهل الفتوة وأهل الملازمة. الظريف هو الخفيف على ذاته وأخلاقه وأفعاله وشمائله من غير تكلف.^{١٧٢} والصوفية هم أيضاً البهاليل.^{١٧٣} والبهلول أشبه بجحا، ظاهره غير باطنه. ظاهره البلاهة، وباطنه الحكمة. ظاهره الجنون، وباطنه العقل.^{١٧٤} وكلهم «أولاد البلد» و«الجدعان».

(٤) الحروف والأسماء

اللسان ليس هو العضو الذي في الفم أو اللغة بل هو البيان عن علم الحقائق، علم البلاء لسان. وعلم بلاء البلاء سنان. لسان العلم ما تأدى إلينا بواسطة. ولسان الحقيقة ما تأدى إلينا بلا واسطة. ولسان الحق لا يأتي إلا بالكشف.^{١٧٥} اللغة حرف واسم ولفظ ومنها تتكون العبارة. وكلها أفعال. الحرف فعل. والاسم فعل، واللفظ فعل. والحروف ليست مسموعة أو مكتوبة فقط في تكوين الألفاظ بل هي حركات وسكنات في العالم. تكون الأسماء الحسنى. فهي أكثر من حروف صوتية أو خطية.^{١٧٦} ولكل حرف حد في التلاوة. ولا يجاوز المسموع في التفسير المنقول.^{١٧٧} هي حروف المعجم لأن لها معنى

^{١٧١} طبقات الصوفية، ص ١٨٢.

^{١٧٢} السابق، ص ٤٦٠.

^{١٧٣} «في البهاليل وأئمتهم في البهلة، الفتوحات ج ١، ٢٤٧-٢٥٠.

وكن كالبهاليل في حالهم مع الوقت يجرون كالعالق

السابق، ص ٢٤٧.

^{١٧٤} وهو معنى آية ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ﴾، وحديثي «زملوني، زملوني»، «دثروني، دثروني».

^{١٧٥} اللمع، ص ٤٣٠.

^{١٧٦} «في معرفة مراتب الحروف والحركات من العالم وما لها من الأسماء الحسنى ومعرفة الكلمات، ومعرفة العلم والعالم والمعلوم»، الفتوحات ج ١، ٥١-٩٢.

^{١٧٧} عوارف المعارف، ج ١، ٣٥٥.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

في المعاجم.^{١٧٨} وهي في حاجة إلى ترجمة لتعدد الألسنة.^{١٧٩} الحروف لغات وتصريف وتفرقة وتأليف، موصول ومقطوع ومبهم ومعجم وأشكال وهيئات.^{١٨٠} الحروف من حيث الشكل منكوسة وأفقية ومستقيمة أي رأسية والغرض من ذلك إظهار «لمع ولوائح وإشارات من أسرار الوجود».^{١٨١} والوجود في الذات.^{١٨٢}

الحرف نطق، والهم صمت.^{١٨٣} والله قريب من الحرف إن نطق، وبعيد عنه إن صمت.^{١٨٤} فالله رب الحروف والمحروف فليس لها منه مجال. وهو مرقب الحرف والحروف فليس لها عن فعله مدار. وللحرف حكم أودعه الله. وللمحروف حكم وصفه الله. ويكون التأويل هو التطابق بين الحكم المودع مع الحكم الموضع، والرجوع إلى الله لتنفيذ ما حكم.^{١٨٥} وسواء ثبت الحرف أو عارضه فلا الإنسان من الله ولا الله من الإنسان.^{١٨٦} فالتأويل ما زال درجة من درجات القرب دون الوصول. والخروج من بين

^{١٧٨} «في معرفة الحروف ومراتبها والحركات وهي الحروف الصغار وما لها من الأسماء الإلهية»، الفتوحات.

إن الحروف أئمة الألفاظ شهدت بذلك ألسن الحفاظ

السابق، ص ٥١.

^{١٧٩} النفري: المواقف، ص ١٤٧-١٤٨.

^{١٨٠} النفري: المخاطبات، ص ٢٤١.

^{١٨١} الفتوحات، ج ١، ص ٥٧.

^{١٨٢}

يا طالب لوجود الحق يدركه ارجع لذاتك فيك الحق فالتزم

السابق، ص ٦٢.

^{١٨٣} المخاطبات، ص ٢١٢، ٢١٤.

^{١٨٤} السابق، ص ٢٣٠.

^{١٨٥} «يا عبد، للحرف حكم أنا مودعه، وللمحروف حكم أنا واضعه. فلا تذهب بالحكم المودع عن الحكم الموضع. فإليه يرجع ما أودع وبه ينفذ ما حكم. يا عبد لا تذهب بالحكم الموضوع عن الواضع فيه يجري ما وضع وإن شاء وقفه»، السابق، ص ٢٣٠-٢٣١.

^{١٨٦} «يا عبد ثبت لك الحرف ما أنت مني ولا أنا منك. عارضك الحرف ما أنت في ولا أنا منك ... يا عبد فقتهك فتأولت ما أنت في ولا أنا منك ...»، السابق، ص ٢٢٨.

الحروف ينجي من السحر. ثم يسقط الحرف، وتهدم الدنيا والآخرة، ويحترق الكون كله، ويبقى الرب بمفرده. فاللغة مرتبطة بالتخاطب في الدنيا.

والحرف يسري في الحرف في النطق كالنغم. ويقود الحرف الحسن إلى الجنة والسيئ إلى النار.^{١٨٧} فالحرم هو المقام يوم القيامة. وكلاهما من اشتقاق واحد. ومع ذلك لا يستطيع الحرف التعبير عن المحامد ولا الثبوت في المقام.^{١٨٨} الحرف هوة عميقة من يلتفت إليه أو إلى ما فيه ولا يئأس من الله حتى ولو كانت الحروف سيئة. وأعظم الحروف ما أعطى علما أو لم يعط. فالعلم مباشر أو غير مباشر. جاهز أو يعد، بالفعل أم بالقوة، ظاهر أم كامن. وإذا ما وصل الصوفي إلى الله في نهاية الطريق يجعل الحرف وراءه. فالحرف حجاب مانع من المعرفة المباشرة. بل إن معنى الحرف حرف لأنه قرين. والسوى حرف لأنه مغاير. وهو موضع شك حتى ولو كان به الكيف. الحرف حجاب والحجاب حرف. وأصحاب الحروف محجوبون عن الكشف.

ويقف الحرف أمام الكون، والعقل أمام الحرف، والمعرفة أمام العقل، والإخلاص أمام المعرفة.^{١٨٩} الحرف لا يلج الجهل ولا يستطيعه. وهو دليل على العلم. والعلم وراء الحروف. والحضرة تحرق الحروف. والحرف لا يلج الحضرة. وأهل الحضرة يعبرون الحروف ولا يقفون عليها. بل ينفونها بما في ذلك من نفي الخواطر. والخارجون عن أنفسهم خارجون عن الحروف.^{١٩٠} الحرف يسري حيث القصد. القصد جيم جنة أو جحيم. أهل الحرف الظاهر أهل النار، وأهل الحرف الباطن أهل الجنة. الحرف نار الله وقدره وحتم أمره وخزانه سره. ولا دخل للعبد في قوة النار وإلا أكله نور الحرف. والحرف فج إبليس، محفوف بالمخاطر.^{١٩١} ومقام العبد من وراء الحرف. ولا يدخل العبد إلى الحرف إلا ونظر الله في قلبه ونوره على وجهه واسمه على اللسان.^{١٩٢}

أربعة حروف يهيم بها القلب. وتتلاشى بها هموم الفكر: الألف لألفة الخلائق، واللام للملازمة، ثم لام أخرى تأكيدًا على المعنى، ثم الهاء للهيام. وهي الحروف التي تكون

^{١٨٧} وذلك مثل جريان الموجة فوق الموجة في الأغاني العاطفية.

^{١٨٨} المواقف، ص ١٤٦-١٤٧.

^{١٨٩} «الإخلاص المعرفة العقل الحرف الكون، السابق، ص ١٧٧.

^{١٩٠} «موقف المحضر والحرف»، السابق، ص ١٧٦-١٨٣.

^{١٩١} السابق، ص ٢٠٢.

^{١٩٢} التفري: المخاطبات، ص ٢٧١.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

«الله». ١٩٣ الألف أول حرف في «الله». والهاء الهوية، والعين العالم. فكل حرف مخرجه الصوفي الدال عليه. وتشير الحروف إلى عوالم الشهادة والملكوت، والغيب والملكوت، والشهادة والجبروت، والغيب والجبروت، والملك والجبروت، والملك والشهادة، والشهادة والقهر. ١٩٤ والواو وصال، والدال دلالة، والحاء حياء، والطاء طهارة، والواو الوفاء، والصاد صفاء، واللام دهاء لمدار العمر، والحاء خفاء، والشين إشارة. وهنا الحرفان يدلان معًا. ١٩٥

والحروف ليست فقط حروف اللغة بالنطق أو بالكتابة بل هي الوجود. ١٩٦ والوجود هو عالم العناصر الأربعة: الهواء والماء والنار والتراب. ١٩٧ والحروف على علاقة بالأفلاك.

١٩٣

وأحرف أربع بها هام قلبي	وتلاشت بها همومي وفكري
ألف تألف الخلائق بالصف	ح ولام على الملامة تجري
ثم لام زيادة في المعاني	ثم هاء بها أهيم وأدري

١٩٤

بواو الوصال، ودال الدلال	وحاء الحياء، وطاء الطهارة
وواو الوفاء، وصاد الصفاء	ولام وهاء لعمر مداره
على سر مكنون وجد الفؤاد	وحاء الخفاء، وشين الإشارة

الديوان، ص ٣٠٨.

١٩٥

فكل بكل، جميع الجميع	من الكل بالكل حرف نهاره
----------------------	-------------------------

السابق، ص ٣٢٣-٣٢٤.

١٩٦

هو الطين والنار والنور إذ ما	يعود الجواب بعقب العبارة
------------------------------	--------------------------

السابق، ص ٣٠٨.

١٩٧

فاجمع الأجزاء جمعًا	من رسوم نيرات
من هواء ثم نار	ثم من ماء فرات

السابق، ص ٢٩٤.

وهي على أربع مراتب.^{١٩٨} وكل حرف له مرتبته في العناصر الأربعة: الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة.^{١٩٩}

ومن تكلم بالحروف فهو معلول. ومن كان كلامه بالمشقاب فهو مضطر. فالحروف ما زالت في إطار عالم الخلق.^{٢٠٠} والكلام نظر واستدلال وليس مشاهدة.

الحرف حرف الله، والعلم علمه. والإنسان عبد الله لا عبد الحرف ولا عبد العلم. والوقوف بين يدي الله وليس بين الحروف والعلوم. الحروف والعلوم نفسها تقوم بين يدي الله مثل الإنسان. هي خزائن الله، من دخلها حمل أمانته. إن حملها الله لا لنفسه كرامة. وإن حملها الله ولنفسه مطالبة. وإن حملها لنفسه وليس لله يبرئ الله من ذمته. تشهد الحروف على صنعة الله. هي مطايا لرؤية وجه الله.^{٢٠١} الحرف والمحروف دهليز إلى العلم، والعلم دهليز إلى الاسم، والاسم دهليز على المسمى. الاسم والعلم والحرف حجب وأبواب، ستر وكشف. والكل يؤدي إلى النور.^{٢٠٢} إذا جاءت ترجمة الله ينقطع بها العبد عن ملكه وملكوته. فإذا بدت ينقطع عنها إلى أن تصير التراجم والحروف آلة للمعرفة، ومركبا للنطق.^{٢٠٣} الحرف بداية ونهاية.^{٢٠٤} الحروف كلها مرضى إلا الألف لاستقامتها، والأخرى مائلة. والميل مرض.^{٢٠٥}

لذلك كانت الحروف موضوعاً للتأويل. لها ظاهر وباطن وهو موضوع كتاب «الطواسين» أي حرفي الطاء والسين. فالسين في ياسين وموسى أنوار الحقيقة. وأقرب إلى الله من حروف «يا» و«مو».^{٢٠٦} وطلب التوحيد من حرفي اللام ألف وإلا كان كفرًا.

^{١٩٨} «حروف مرتبتها سبعة أفلاك وهي الألف والزاي واللام. وحروف مرتبتها ثمانية أفلاك وهي النون والصاد والضاد. وحروف مرتبتها تسعة أفلاك وهي العين والغين والسين والشين. وحروف مرتبتها عشرة أفلاك وهي باقي حروف المعجم وهي ثمانية عشر، الفتوحات ج ١، ص ٥٢.

^{١٩٩} الألف طبعها الحرارة والرطوبة واليبوسة والبرودة، السابق، ص ٥٢.

^{٢٠٠} الولاية، ص ٢٣٠.

^{٢٠١} النفري: المواقف، ص ٢٠٢.

^{٢٠٢} المخاطبات، ص ٢٣١-٢٣٢.

^{٢٠٣} السابق، ص ٢٣٧.

^{٢٠٤} النفري: المواقف، ص ٢٥٥.

^{٢٠٥} السابق، ص ٢٦٩.

^{٢٠٦} أخبار، ص ٢٩.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

والتعرف على الهوية من خط الاستواء حيرة. وهنا يتوحد الفكر بالحرف بالرياضة بالطبيعة.^{٢٠٧} وعين التوحيد في السر، والسر بين الخاطرين، والخطاران بين الفكرتين، والفكرة أسرع من الرؤية.^{٢٠٨} الحرف إحدى طرق الوصول إلى الله.^{٢٠٩} وهناك ثلاثة حروف دون إعجام. وباقي الحروف رموز غامضة لا تفك.^{٢١٠} وعبادة الله ستة أحرف، بينها حرفان أعجميان. وهما أصل الإنسان، وآخر للإيمان. وتقوم الحروف مقام بعضها البعض.^{٢١١} الحروف تقديس وإفراد وتركيب.^{٢١٢} والأعداد مثل الحروف سر من أسرار الله في الوجود. يتصرف الإنسان بين أربع حقائق: ذاتية وربانية وشيطانية وملكية. وهذه الحروف والألفاظ من غير تأويل ولا صرف. والمتأولة أهل فكر ونظر.^{٢١٣}

^{٢٠٧} «من طلب التوحيد في غير لام ألف فقد تعرض للخوضان في الكفر. ومن تعرف هو الهوية في غير خط الاستواء فقد جاس خلال الحيرة المذمومة التي لا استراحة بعدها»، السابق ص ٢٣٦.
^{٢٠٨} «عين التوحيد مودعة في السر. والسر مودع بين الخاطرين. والخطاران مودعان بين الفكرتين. والفكر أسرع من لواظ العيون».
^{٢٠٩} «من طلب الله عن الميم والعين وجده. ومن طلبه بين الألف والنون في حرف الإضافة فقده. فإنه تقدس عن مشكلات الظنون وتعالى عن الخواطر ذوات الفنون»، السابق، ص ٤٠، السابق، ص ٢٣١.
^{٢١٠}

ومعجومان وانقطع الكلام	ثلاثة أحرف لا عجم فيها
ومتروك يصدقه الأنام	فمعجوم يشاكل واجديه
فلا سفر هناك ولا مقام	وباقى الحرف مرموز معمى

السابق، ص ٣٤.

٢١١

هلا عرفت حقيقتي وبياني	يا غافلاً لجهالة عن شاني
من بينها حرفان معجومان	أعبادتي لله ستة أحرف
في العجم منسوب إلى إيماني	حرفان أصلي، وآخر شكله
حرف يقوم مقام حرف ثاني	فلذا بدا رأس الحروف أمامها

السابق، ص ٣٤.

^{٢١٢} «الإمامان الواو والياء المعتلتان، حرفا المد واللين. والأوتاد الألف والواو والياء والنون وهي علامات الإعراب. والأبدال سبعة بإضافة تاء الضمير وكافه وهائه.

^{٢١٣} «في معرفة الحركات التي تتميز بها الكلمات وهي الحروف للصغار»، الفتوحات ج ١، ٨٤-٩١.

والحروف في أوائل السور لها دلالات. الألف المألوف، واللام الآلاء، والميم الملك، والصاد الصادقون.^{٢١٤} والقرآن به علم كل شيء، وعلم كل شيء في الأحرف التي في أوائل السور، وعلم الأحرف في اللام ألف، وعلم اللام ألف في الألف، وعلم الألف في النقطة، وعلم النقطة في المعرفة الأصلية في الأزل، وعلم الأزل في المشيئة، وعلم المشيئة في غيب الهو، وغيب الهو في التنزيه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾. فالحرف في البداية يحيل إلى الألوهية في النهاية. وتتعدد تأويلات الحروف حسب الحالات. إذ يمكن القول أيضًا أن الألف للأزل واللام للأبد، والميم ما بينهما، والصاد الاتصال والانفصال. وهي ألفاظ تجري أيضًا حسب العبارات، والحق يتجاوزها.^{٢١٥}

ولله الأسماء والأوصاف بعد الحروف أودعها. وكلها في ترتيب القيومية.^{٢١٦} الأسماء نور الحروف. والمسمى نور الأسماء.^{٢١٧} لكل اسم مسماه ولكل مسمى نوره. الحقيقة تحد الأسماء والأسماء قيومية.^{٢١٨} وهو لفظ قرآني كثير الذكر. ويطلب العبد من قلبه محو أثر الأسماء فيه باسم الله حتى تثبت سلطته ويفنى معناه.^{٢١٩} تعرف الأسماء والحروف والإنسان في بشريته والخيال يأكل العقل». وإذا كان الحذر من خيل العقل فالأولى الحذر من خيل القلب.^{٢٢٠} والعبد عند الله أعظم حرمة من اسمه.^{٢٢١} فالمسمى أعظم من الاسم ولماذا تقديس الأسماء؟ الاسم حروف لاستدلال المسمى بالتسمية على

^{٢١٤} ألمص، أخبار، ص ١١٦-١١٧. تلك آيات الكتاب الحكيم، السابق، ص ١٢١. فاعلم أنه لا إله إلا هو، السابق، ص ١٤٤.

^{٢١٥} «في القرآن علم كل شيء. وعلم القرآن في الأحرف التي في أوائل السور. وعلم الأحرف في لام ألف. وعلم لام ألف في الألف. وعلم الألف في النقطة. وعلم النقطة في المعرفة الأصلية. وعلم المعرفة الأصلية في الأزل. وعلم الأزل في المشيئة. وعلم المشيئة في غيب الهو. وعلم غيب الهو لا يعلمه إلا هو». أخبار، ص ٥١. الولاية، ص ٢٣١.

^{٢١٦} «يا عبد العلم والمعلوم في الاسم، والحاكم والمحكوم في العلم، والحرف والمحروف في الحكم، والظاهر والباطن في الحرف. ولكل حكمة إتيان. وإتيانها حصرها على ترتيب القيومية بها»، المخاطبات، ص ٢٣١.

^{٢١٧} السابق، ص ٢٣٤.

^{٢١٨} السابق، ص ٢٤١.

^{٢١٩} السابق، ص ٢٥٨.

^{٢٢٠} السابق، ص ٢٧٠.

^{٢٢١} السابق، ص ٢٤٧.

إثبات المسمى. فإذا سقطت الحروف فإن المعنى لا ينفصل عن المسمى.^{٢٢٢} تاهت الخليفة في العلم، وتاه العلم في الاسم، وتاه الاسم في الذات. فالاسم حلقة متوسطة بين الكون والعلم من ناحية والذات من ناحية أخرى. والاسم رسم ووسم. والرسم ما رسم به ظاهر الخلق، برسم العلم ورسم الخلق فيمتحي بإظهار الحق. أما الوسم فهو ما وسم الله به المخلوقين في سابق علمه بما شاء كيف شاء فلا يتغير عن ذلك أبداً. الوسم أقرب إلى الطبيعة والخلقة داخل الشيء وليس خارجه. فإذا كان الظاهر فالوسم هو الباطن.^{٢٢٣}

والأسماء ألفاظ وقد يكون اللفظ الصوفي مركباً بالإضافة مثل صاحب قلب. ويعني ليس له عبارة ولسان وفصاحة وبيان. علم باطني دون تعبير.^{٢٢٤} ومن الألفاظ تنشأ المصطلحات. فللصوفية طرقهم في التعبير في المسائل واختلاف الأجوبة.^{٢٢٥} العلم كله نصفان: سؤال وجواب. ولهم مسائل خاصة لم يتكلم فيها إلا هم. وهي كثيرة لا تحصى إنما يذكر منها البعض فقط.^{٢٢٦} ولهم أشكال كتاباتهم والصدور والأشعار والدعوات والرسائل. يصدرون الكتب والرسائل.^{٢٢٧} ولهم أشعارهم في معاني أحوالهم وإشاراتهم. ولهم دعواتهم يدعون بها المشايخ المتقدمين من أهل الصفة. ولهم وصاياهم لبعضهم البعض. وتحديد الألفاظ وتعريفاتها يطول. وما ذكره الصوفية بعض منها.^{٢٢٨}

^{٢٢٢} اللمع، ص ٤٢٦.

^{٢٢٣} السابق، ص ٤٢٧، ٤٤١.

^{٢٢٤} السابق، ص ٤٣٥.

^{٢٢٥} كتاب المسائل واختلاف أقاويلهم في الأجوبة، السابق، ص ٢٨٣-٣٠٤.

^{٢٢٦} مثل الجمع والفرق، والفناء والبقاء، والحقائق، والصدق، والإخلاص، والذكر، والفناء، والفقر، والروح، والإشارة، ومسائل أخرى مثل الظرف والمروءة، والرزق، والفراسة، والتمني، وسر النفس، والفرق بين الحب والود، والبكاء، والشاهد، وصفاء المعاملة والعبادة، والكرامة، والفكر، والاعتبار، والتقية والسر، والصواب ... إلخ، السابق، ص ٤٥٢.

^{٢٢٧} «كتاب المكاتبات والصدور والأشعار والدعوات والرسائل»، السابق، ص ٣٠٥-٣٣٧.

^{٢٢٨} «والكلام في هذا طويل. وفيما ذكرناه كفاية»، السابق، ص ٢٨٦. «فهذا ما حضرني في الوقت من مسائلهم. ومسائل هؤلاء أكثر من أن يتهياً ذكرها»، السابق، ص ٣٠٤.

وكما ظهرت موضوعات التصوف في المسائل والأجوبة عليها كذلك تظهر في الألفاظ الجارية على لسان الصوفية مثل المقامات والأحوال.^{٢٢٩} بعضها ثنائي على التقابل.^{٢٣٠} وبعضها أسماء مشتقة ثلاثي الإيقاع.^{٢٣١} وبعضها ثنائي أو ثلاثي بالصوت.^{٢٣٢} وقد يكون لفظاً واحداً.^{٢٣٣} وبعضها يشير إلى المعرفة والبعض الآخر إلى الأخلاق، والبعض الثالث إلى الميتافيزيقا الخالصة. والبعض تحول إلى جمل مفيدة.^{٢٣٤} وهي الألفاظ التي تدور في فضاء الفناء والتي يمكن تحويلها وقلبها إلى فضاء البقاء.

وبعد الحروف والأسماء والألفاظ تأتي العبارة. وهي مجموعة من الحروف. ليس لها سلطة أي حكومة؟ إذ تعرف السلطة بلا عبارة. ويمكن المعرفة بلا عبارة بل عن طريق الحجر والمدر أي العودة إلى الطبيعة أصل الحروف كما هو الحال في الكتابة الهيروغليفية. السكون إلى العبارة نوم. والنوم موت. والأفكار في الحروف، والخواطر في الأفكار. وفكر الله الخالص من وراء الحروف والأفكار. واسمه من وراء الذكر.^{٢٣٥} وجواز

^{٢٢٩} المقامات والأحوال. المقامات مثل: الشكر، والأحوال مثل: القبض والبسط، والغيبة والحضور، الصحو والسكر، الفناء والبقاء، الوجد والفقد، الجمع والفرق.

^{٢٣٠} كتاب البيان عن المشكلات، السابق، ص ٤٠٩-٤٥٢. باب في شرح الألفاظ الجارية في كلام الصوفية، السابق، ص ٤٠٩-٤١٠. باب بيان هذه الألفاظ، السابق، ص ٤١١-٤٥٢.

^{٢٣١} الأسماء المشتقة ثلاثية الإيقاع: الحق بالحق للحق، منه به له، الحال والمقام والمكان، الدهشة والحيرة والتحير، الحق والحقوق والتحقيق، التحقق والحقيقة والحقائق، الاسم والرسم والوسم، الوصل والأصل والفصل، الطمس والرسم والومس، التجلي والتخلي والتحلي، الأزل والأبد والأمد، الوجد والتواجد والتساكن.

^{٢٣٢} تقابل الأصوات مثل: اللوائح واللوامع، الزوائد والفوائد، الشاهد والمشهود، والنفس والحس، التجريد والتغريد، الروح والتروح، المحو والمحق، الكون والبون، الوطر والوطن، الشرود والقصود، الرين والغين، المرید والمراد.

^{٢٣٣} اللفظ الواحد مثل الهجوم، الغلبات، المبتدئ، الطوالع، الطوارق، الكشف، المشاهدة، الإشارة، الإيماء، الرمز، الصفاء، المعدم، الشطح، الصول، الذهاب، توحيد العامة، توحيد الخاصة، وهم، سر، المحادثة، المناجاة، المسامرة، رؤية القلوب، الدعوى، الاختيار، البلاء، اللسان، السر، العقد، الهم، اللحظ، الأثر، السبب، النسبة، التلوين، التلف، اللجأ، الانزعاج، الذوق ... إلخ.

^{٢٣٤} الجمل المفيدة مثل: أنا بلا أنا، نحن بلا نحن، أنت أنت، أنا أنا، أنت أنت، أنا أنت، هو بلا هو، نحن مسيرون ...

^{٢٣٥} التفري: المواقف، ص ١٥١-١٥٣.

الحروف توقف في الرؤية. وبعد الوصول إلى الله تترك العبارة وراء الظهر، والمعنى وراء العبارة، والوجود وراء المعنى.^{٢٣٦}

(٥) الصمت والإشارة

التصوف لغة، صريحة أو ضمنية، حقيقة أو مجاز، عبارة أم إشارة. ومن لم يقف على إشارات الصوفية لم ترشده عباراتهم. ولو صمت المشاهد لصمت العبارة وإلا لحزب السر وهلك.^{٢٣٧} ولو علم الناطق آفة النطق لصمت عمر نوح. ولو علم الصامت آفة الصمت لنطق ضعفي عمر نوح. هناك إذن جدل بين الصمت والكلام. إذا أعجب الكلام فالصمت. وإذا أعجب الصمت فالكلام.^{٢٣٨} وتعلم الصمت مثل تعلم الكلام. وإذا كان الكلام يهدي فإن الصمت يقي.^{٢٣٩} الصمت هو علم لا أدري في مقابل الكتاب الناطق والسنة القائمة. فالتوقف عن الحكم علم.^{٢٤٠} ولا يعني الصمت السكوت عن الحق. فالساكت عن الحق شيطان أخرس. والخلوة شرط الصمت. والصمت شرط التوبة.^{٢٤١} ويقترن الصمت بالخلوة وترك الشهوات وسهر الليل سنتين ثم يعرض الحال على الله والاستعانة به. الصمت يعرف الحال. والخلوة تقطع الآفات. وترك الشهوات يقطع عن الدنيا. والخلوة تمنع من الاشتغال بالناس. وسهر الليل يمت الجهل ويحيي العلم. وهذا هو الطريق إلى البديل والصديق وإلى العلم النافع.^{٢٤٢} والصمت يطيل العمر مثل التوبة والأدب والخلوة.

ويتطلب الالتزام بالأمر والنهي الالتزام بالصمت والخلوة، وترك الشهوات، وسهر الليل.^{٢٤٣} يعرف الحال بالصمت، وتنقطع الآفات بالخلوة والانشغال بالناس في أمور

^{٢٣٦} «إذا جئتنني فألقِ العبارة وراء ظهرك، وألقِ المعنى وراء العبارة، وألقِ الوجد وراء المعنى»، المواقف، ص ١٥٤.

^{٢٣٧} الحلاج: الولاية، ص ٢٣٩.

^{٢٣٨} القشيرية، ص ٥٨-٥٩.

^{٢٣٩} السابق، ص ٥٩.

^{٢٤٠} «بيان تفضيل علوم الصمت وطريق الورعين في العلوم»، قوت القلوب، ج ١، ٢٧٧-٢٨٢.

^{٢٤١} القشيرية، ص ٥٨-٥٩.

^{٢٤٢} التستري، ص ١٦٣-١٦٤.

^{٢٤٣} السابق، ص ٢٣٢-٢٣٣.

الدين والدنيا. وإدراك الجهل والوصول إلى العلم بسهر الليالي. ومن قام بذلك صار بديلاً من البدلاء وصديقاً مع الصديقين.

والصمت عند الصوفية رد فعل على الكلام عند المتكلمين، ومن المغالاة في الجدل إلى المغالاة في الصمت. ترك الصوفية الكلام بعلم. والكلام فقط للضرورة من أجل تجنب آفات الكلام فيرفع الحجاب والصمت هو المقام السابع في مقامات السالكين. وهي حكمة تقتضي انقطاع الوسواس وموت الطبيعة عن الفضولات. فعمارة القلب نعمة، وعمارة اللسان فتنة. «الصمت حلم وقليل فاعله». والصمت والإنصات متقاربان.^{٢٤٤} وغياب الصمت يُوقع في الفضول حتى مع الصمت. وهو حب الاستطلاع والرغبة في الكلام. الصمت سلامة، وهو الأصل. وعليه ندامة إذا ورد منه زجر.^{٢٤٥} وقد ورث الحكماء الحكمة بالصمت والتفكير. واللسان أحق من إطالة سجنه. لكل شيء بابان ولللسان أربعة، الشفتان والأسنان. خلق للإنسان لسان واحد وعينان وأذنان ليسمع ويبصر أكثر مما يقول. الصمت لسان الحلم، ومن آداب الحضرة.^{٢٤٦}

الكلام لا يكون إلا فيما يعني المتكلم. فإذا نطق فيما لا يعنيه خرج عن حد الصمت. ومن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه. الكلام مع الناس قليل، ومع الله كثير لعل القلب يراه. صون النفس بامتلاك اللسان، وعفة اللسان صمته. واللسان مثل السبع يعتدي دون وثاق. الصمت سكوت، والسكوت في وهته صفة الرجل. كما أن النطق في موضعه من أشرف الخصال.^{٢٤٧} ومن لم يستغن بالسكوت وقع في اللغو. وفرق بين سكوت صوناً عن الكذب والغيبة وسكوت لاستيلاء سلطان الهيبة.^{٢٤٨} ولسان الجاهل مفتاح حتفه. والسكوت قسمان: سكوت بالفم واللسان، وسكوت بالقلب والضمير. فالمتوكل يسكت قلبه عن السعي وراء الرزق. ليس الصمت خاصية للسان

^{٢٤٤} روزبهان: طهارة القلوب، ص ٣١.

^{٢٤٥} القشيرية، ص ٥٧-٥٨.

^{٢٤٦} السابق، ص ٥٧.

^{٢٤٧} السابق، ص ٥٧-٥٩.

^{٢٤٨}

رأيت الكلام يزين الفتى

للصمت خير لمن قد صمت

فكم من حروف تجر الحتوف

ومن ناطق ود أن لو سكت

السابق، ص ٥٩.

لكنه خاصية للقلب والجوارح. صمت العوام باللسان، وصمت الخواص بالقلوب، وصمت المحبين عن خواطر الأسرار. إذا سكّت المحب هلك. وإذا سكّت العارف ملك. اللسان لا يسمع إلا من القلب. والقلب لا يتكلم إلا من اللسان. ولو سكّت اللسان لما نجا من كلام القلب. وقد يكون سبب السكوت حيرة البديهة. فإذا ورد كشف بغتة خرسّت العبارات.

وهناك ما يقال وما لا يقال.^{٢٤٩} ما يعرف يقال، وما يشاهد لا يقال. الأول يمكن النطق به، والثاني يستحيل النطق به. الأول مجال الكلام الثاني مجال الصمت. ما يقال حروف، وما لا يقال إشارات. ما يقال مقولات وما لا يقال كشوف. والمواجيد بالمقولات شطحات يحكم عليها بالكفر. والحرف عاجز عن الإخبار عن الله أو تعريفه. الحرف من مخلوقاته. فكيف يعبر المخلوق عن الخالق؟ ما يقال كتابة وحساب، وما لا يقال لا يكتب ولا يحسب. وقد كان الرسول أمياً لا يقرأ ولا يكتب وكان يتلقى الوحي سماعاً. الله هو الناطق وليس هو النطق.^{٢٥٠} وهي نفس ثنائية الظاهر والباطن، التجلي والستر، الكشف والحب. وتجمع النطقية في حرف، وتجمع الصمتية على هم. ويقلل الحرف والهم على الله.^{٢٥١} وإذا وصل العبد لله فإنه لا ينطق.^{٢٥٢} وقد تكون المعرفة بلا نطق. الصمت يحكم. والنطق يدعو.^{٢٥٣} ويصبح الله كل شيء. صامت في الصامت وناطق في الناطق.^{٢٥٤} الصامت والناطق مقولتان في الفكر الشيعي. وهي البيئة الرئيسية التي خرج منها كبار الصوفية.

ومع الصمت والنطق هناك السر والخفاء. وهما لفظان قرآنيان. السر خفاء بين العدم والوجود. هو ما غيبه الحق ولم يشرف عليه الخلق. وسر الخلق ما أشرف عليه الحق بلا واسطة، وسر الحق ما لا يطلع عليه إلا الحق. وسر السر ما لا يحس به إلا السر.^{٢٥٥} السر ما لا يحس به هاجس النفس فقد غيبه الحق. والسر سران: سر للحق

^{٢٤٩} «موقف ما لا ينقال»، المواقف، ص ١٢٢-١٢٣.

^{٢٥٠} المخطبات، ص ٢٠٦.

^{٢٥١} السابق، ص ٢١٢.

^{٢٥٢} السابق، ص ٢٣٩.

^{٢٥٣} المواقف، ص ١٣٠-١٣١.

^{٢٥٤} المخطبات، ص ٢٤٧.

^{٢٥٥} ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾، اللمع، ص ٤٣٠.

بلا واسطة، وسر للخلق بواسطة. السر من السر للسر، حق لا يظهر إلا بحق. وما ظهر بحق ليس سرّاً.^{٢٥٦} وقلوب الرجال قبور الأسرار. ولا توجد الأسرار إلا في صدور الأحرار. فهي دلالة على يقظة الضمير. ولا يمكن الاطلاع عليه بالقوة، بالقهر أو التعذيب لأنه يعادل الضمير والوجود الإنساني في ذاته.^{٢٥٧} وصمت السر هو ترك الاشتغال بالماضي والمستقبل. فالعمل تجل. وتعذب الأسرار قبل الزلزل بعد النية على العمل.

الأسرار بكر لا يفتضها وهم واهم ولا فهم فاهم لأنها أقرب إلى حديث النفس. ومع ذلك السر هو ما خفي ظاهره وبدا معناه. والطور هو طيران السر إلينا وإليه.^{٢٥٨} وقد يكون للسر معنى عضوي. فهو لطيفة مودعة كالأرواح. وهو محل للمشاهدة كما أن الأرواح محل للمحبة، والقلوب محل للمعارف. السر ألطف من الروح. والروح أشرف من القلب. السر لا إشراف عليه. والأسرار معتقة عن رق الأغيار من الآثار والأطلال. ولا يطلع على سر السر إلا الحق. السر مصون ومكتوب بين الإنسان والله. ولو عرف السر الزر لخلع الزر.^{٢٥٩}

والإشارة هو ما يخفى على المتكلم كشفه بالعبارة للطافة معناه. والإيماء إشارة بحركة جارحة مثل التمثيل الصامت.^{٢٦٠} وتؤذن ببعد الغير أو حضوره.^{٢٦١} فلان صاحب إشارة أي إن كلامه مشتمل على اللطائف والإشارات وعلم المعارف. الإشارة كالكنائية، والكنائية كالإشارة. ولا يدركها إلا الأكابر من أهل العلم. الإشارة دالة ومؤشر. فالإشارة إلى العمل طريق الورع، والإشارة إلى العلم طريق العبادة، والإشارة إلى الأمن في الرزق طريق الزهد، والإشارة إلى الآيات طريق الأبدال، والإشارة إلى الآلاء طريق العارفين. ليس المقصود بالإشارة الحركة بالأصبع أو التوجه نحو المكان. فلا يشار إلى الحق وإلا ردت. لا يشار إلى الحق إلا بالحق. وأبعدهم عن الله من يكثر الإشارة إليه. وعند أصحاب التوحيد الإشارة شرك. وقد تكون كفراً إذا كانت الإشارة إليه بعلم. فالإشارة لا تكون

^{٢٥٦} السابق، ص ٣٠٠، ٣٠٣-٣٠٤.

^{٢٥٧} الولاية، ص ٢٥٢.

^{٢٥٨} هذا هو تفسير الحلاج لآية والطور، التفسير، ص ١٤٧.

^{٢٥٩} القشيرية، ص ٤٥.

^{٢٦٠} اللمع، ص ٤١٤، ٤٣٦-٤٣٨.

^{٢٦١} السابق، ص ٢٩٤-٢٩٦.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

إلا على معلوم. ومن أشار إليه بمعرفته فقد الحد لأن الإشارة بالمعرفة لا تقع إلا على محدود. ويشير المريد إلى الله فيجد الله مع الإشارة ثم بإسقاط الإشارة. الإشارة تتطلب البعد والله قريب. ويمكن فهم المطلوب بغير الإشارة.^{٢٦٢} والإشارات الإلهية متبادلة بين الصادر والوارد كما هو الحال في البريد.^{٢٦٣}

كلام الأنبياء نبأ عن حضور. وكلام الصديقين إشارات من مشاهدات.^{٢٦٤} وإذا كانت الإشارة قبل السماع كانت من فوق. القليل منها يشفي. وإن كانت بعد السماع كانت من تحت، والقليل منها يهلك.^{٢٦٥} السماع بالتصريح جفاء. والسماع بالإشارة تكلف. وألطف الأسماع ما يشكل إلا على مستمعه. وهذا هو الاشتباه. العبارة يعرفها العلماء، والإشارة يعرفها الحكماء، واللطائف يقف عليها الشيوخ.^{٢٦٦} الإشارة إبانة عما يتضمنه الوجد من المشار إليه. وفي الحقيقة الإشارة تصحبها العلل، والعلل بعيدة عن الحقائق.^{٢٦٧} فالإشارة لغة الوجد وإن كانت قائمة على العلل. والعلل نفسها بعيدة عن الحقائق. العلل في الشريعة وليست في الحقيقة.

قد تكون الإشارة حروفاً أو عبارة تفهم بالأنس ويكتب بها كتاب منه عنه إليه يترجم عن الأستار.^{٢٦٨} والعلم الإشاري تعبير باللسان مشيراً إلى الحق. لا يخفي

^{٢٦٢} «في معرفة الإشارات»، الفتوحات ج ١، ٢٧٨-٢٨١.

^{٢٦٣}

فمن إلهي إشارات وإن كثرت في الخلق ما بين إيراد وإصدار

الديوان، ص ٣٠١.

^{٢٦٤} الجنيد، طبقات الصوفية، ص ١٦٢.

^{٢٦٥} عمرو بن عثمان المكي، السابق، ص ٢٠٥.

^{٢٦٦} أبو عبد الله الصبيحي، السابق، ص ٣٢٩.

^{٢٦٧} أبو علي الروزباري، السابق، ص ٣٥٦.

^{٢٦٨}

كتبت إليه بفهم الإشارة وفي الأنس فتشت نطق العبارة

كتاباً له منه عنه إليه يترجم عن غيب علم الستارة

السابق، ص ٣٠٨.

سرًا.^{٢٦٩} استعمل الصوفية لغة الإشارة للدلالة على الباطن من الظاهر.^{٢٧٠} بل أصبحت الإشارات نوعًا أدبيًا عند أبي حيان في «الإشارات الإلهية» وعند القشيري في «لطائف الإشارات». يستعمل الصوفية بعض الإشارات الرمزية التي يفهمها المتحاوران. التصوف إشارة فإذا صار عبارة اختفى. ويرد لفظ «الرمز» مع «الإشارات» و«اللطائف». الإشارة رمز بسيط. والرمز إشارة مركبة. الرمز أفضل من التسمية للإجابة على سؤال لا إجابة عليه.^{٢٧١} وهو أكثر قدرة على التعبير من الحد والرسم.^{٢٧٢} والحديث عن علوم المكاشفة بالرمز والإيماء على سبيل التمثل والإجمال لتصور أفهام الخلق من الاحتمال. الرمز معنى باطن مخزون تحت كلام ظاهر لا يظفر به إلا أهله. والرموز في مكاتبات المشايخ لا في مؤلفاتهم.^{٢٧٣}

والشطح كلام بترجمة اللسان عن وجد فياض مما يوحي بأن صاحبه مستلب مأخوذ. ويمنع الشطح من التمييز بين الأشياء والمخاطر وبالتالي حدوث الأمن التام.

٢٦٩

وكل بيان أنت منه لسانه	بيان بيان الحق أنت بيانه
أشار إلى الحق فأنت أمانه	أشرت إلى الحق بحق وكل من
وكل لسان قد أتاك أوانه	تشير بحق الحق، والحق ناطق
فما باله في الناس يخفى مكانه	إذا كان نعت الحق للحق بينا

السابق، ص ٣٣٣-٣٣٤.

٢٧٠

قصدا ولم يعرفوا غير الإشارات	تاه الخلائق في عمياء مظلمة
------------------------------	----------------------------

السابق، ص ٢٥٩.

٢٧١ طبقات الصوفية، ص ٢٩٦.

٢٧٢ الإحياء ج ١، ١١.

رمزت رمزًا ولم أسم	إلى الذي سئلت عنه
في خلوات الدنو أهمي	حتى إذا أخبر كل حد
فما تجاوز حدي ورسمي	نظرت إذ ذاك في سجال

الحلاج: الديوان ص ٣٢.

٢٧٣ اللمع، ص ٤١٤.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

وقد تعوذ البعض من شطح اللسان.^{٢٧٤} وتدخل في صياغة الشطحات خاصة الحكايات الرمزية بعض الآيات القرآنية المتشابهة الخاضعة للتأويل، والأحاديث القدسية التي هي أقرب إلى الإشراقيات الصوفية والإيغال في الغيبيات منها إلى الأحاديث النبوية الأقرب إلى التفصيلات العملية والسلوك الإنساني.^{٢٧٥}

والصول هو الاستطالة باللسان من المريدين والمتوسطين على أبناء جنسهم بأحوالهم. وهو مذموم على عكس الشطح الذي لا يمس ولا يسيء إلى أحد. أما الصادقون فإنهم يصلون بالله لقلّة المساكنة إلى ما سوى الله.^{٢٧٦}

(٦) العلم والعمل

العالم هو الذي يعمل بعلمه.^{٢٧٧} ومن دلائل المعرفة العمل بالعلم والخوف على العمل. فالعلم مؤثر على المعرفة ويتحول إلى عمل. العمل هو المقصد النهائي للعلم. وأول العمل العلم به فصار علم العمل فرضاً من حيث تضمن العمل.^{٢٧٨} العلم إمام العمل. والعناية إمام العلم.^{٢٧٩} ولن يعمل بالعلم إلا ما شاء الله مع أنه قرار فردي يقوم على مدى الالتزام. العلم بدون عمل أسوأ حالاً إذ يصبح العلم «مأكله لحم أو طلب رياضة أو متاع الدنيا أو رياء وسمعة».^{٢٨٠} العلوم كلها دنيا وآخرة للعمل بها. والعمل هباء بدون إخلاص.^{٢٨١} وأنجى طريق للعبد العمل بالعلم.^{٢٨٢} والحذر من التزين بالعلم أو العجب بالعمل. العلم يزيد خشية، والعمل بصيرة. والعلم يورث العمل. في الماضي كان من يترك عشر العلم يهلك. واليوم من يعمل بعشر العلم ينجو. ليس العمل هو المقصود

^{٢٧٤} السابق، ص ٤٢٢-٤٢٣.

^{٢٧٥} شطحات الصوفية، ص ٩٧، ١١٠-١٠٩، ١٣٥، ١٤٠، ١٤٢-١٤٣، ١٥٠، ١٥٤.

^{٢٧٦} وهذا معنى دعاء الرسول «اللهم بك أصول وبك أجول»، للمع، ص ٤٢٣.

^{٢٧٧} التستري، ص ٧٥؛ طبقات الصوفية، ص ٤٥٢-٤٥٣.

^{٢٧٨} قوت القلوب، ج ١، ٢٦٥.

^{٢٧٩} طبقات الصوفية، ص ١٣٩.

^{٢٨٠} التستري، ص ٩٣.

^{٢٨١} التستري، ص ١٠١.

^{٢٨٢} رسالة المسترشدين، ص ١٣٠.

بل الكشف. فمن نظر إلى العمل حجب عمن يعمل له. ومن نظر إلى من يعمل له حجب عن رؤية العمل.^{٢٨٣} فالعمل له غاية، ولكن السؤال أين؟ في الرأسي أم في الأفقي؟ في الله أم في العالم؟ في الأعلى أم في الأمام؟

من عمل بما علمه الله بغير تعلم. فالعمل يفيض على العلم وبالممارسة تعرف عيوب النظر. فبين العلم والعمل تصحيح متبادل.^{٢٨٤} وبإجابة العلم والعمل يزداد العقل. فالعقل نظري وعملي معًا.^{٢٨٥} العالم يعمل بعلمه. والعقل يفسر العلم والعمل.^{٢٨٦} وعمل النوافل أفضل من العلم بها لأن العلم مقدمة للعمل.^{٢٨٧} ومن لم يقدس فعله لم يقدس بدنه. ومن لم يقدس بدنه لم يقدس قلبه ثم لم يقدس نيته فالأمور كلها بالنية.^{٢٨٨} فإذا تقدس ذلك كله اتصل بمولاه. فالعلم والعمل قطبان للبدن ومركزه القلب. والكل طريق إلى الله.^{٢٨٩}

والأعمال على قدر مقامات الأسرار^{٢٩٠} واستمرار العلم هو سبب استمرار الفعل. ومن لم يقف علمه لم يقف فعله^{٢٩١} وشكر العلم العمل به. وشكر العمل مزيد من العلم^{٢٩٢} والعلم استثناء الدنيا من الجهل والموات. وهو حجة على الخلق إلا العمل به فهو حجة لهم. والأعمال كلها ضائعة دون الإخلاص، والإخلاص لا يعرفه إلا الله. والأمور بخواتيمها. ومن علامات آخر الزمان انقصاص العمل عن العلم، والصبر عن العمل، والتهافت على الدنيا وادعاء العبادات. ولماذا لا يؤدي العمل إلى الوصول إلى المأمول اعتمادًا على حديث واحد «لن ينجو أحد منكم بعمله بل بفضل الله» ومئات الآيات والأحاديث تشير إلى قانون الاستحقاق؟

^{٢٨٣} ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا﴾، التفسير، ص ١٢٧.

^{٢٨٤} التستري، ص ٢٠٣-٢٠٤.

^{٢٨٥} السابق، ص ٢٥٥.

^{٢٨٦} السابق، ص ١٦٩-١٧١.

^{٢٨٧} السابق، ص ٢٩١.

^{٢٨٨} طبقات الصوفية، ص ٢٥٤.

^{٢٨٩} التستري، ص ٣٧٨-٣٧٩.

^{٢٩٠} السابق، ص ٧٠.

^{٢٩١} السابق، ص ١٦٢.

^{٢٩٢} السابق، ص ١٦٤.

وأحياناً يستبدل بالعلم النظر ويظل العمل. فالنظر دون العمل يقضي على الدين. ومن ينظر دون أن يعمل فلا دين له^{٢٩٣} والعمل خير من النظر، وفعل الشيء خير من النظر، وفعل الشيء خير من تأمله. والاتفاق مع الصفة خير من وصفها^{٢٩٤} والعمل خير من الجدل. والتصوف أفضل من الكلام^{٢٩٥} العمل يفتح باب الخير ويغلق باب الكسل والتقصير هو فوت العمل^{٢٩٦} والعمل وكأن لا يوجد في الأرض غير العامل ولا في السماء أحد إلا الله فالعمل دليل الوجدانية.

وأحياناً أخرى يستبدل بالعلم المعرفة. العلم دليل على الله والمعرفة دالة عليه. والحكمة رحمة منه. بالعلم تنال المعلومات، وبالمعرفة المعرفات. العلم بالتعلم، والمعرفة بالتعرف. المعرفة بتعريف الحق والعلم بتعريف الخلق. ثم تنشأ الفوائد بعد ذلك. فالعلم في الحالتين هو العلم النافع. للعارفين خزائن أودعوها علوماً غريبة، وأنباء عجيبة. يتكلمون فيها بلسان الأبدية، ويخبرون عنها بعبارة الأزلية. والمعرفة ليست فقط نظرية بل هي أيضاً عملية، لا فرق بين العقل النظري والعقل العملي.^{٢٩٧}

وأحياناً يستبدل بالعلم الإيمان في الثنائية التقليدية بين الإيمان والعمل كما هو الحال في علم أصول الدين^{٢٩٨} وللمؤمن أربع علامات: كلامه ذكر، وسمته تفكر، ونظره عبرة، وعمله بر^{٢٩٩} وهل المؤمن لا يعمل شيئاً فإذا دخل عليه شيء طيب أثر به غيره؟ وهل إثارة الآخر بعمل خارجي أفضل من العمل الذاتي؟^{٣٠٠} والإيمان فطنات، يسكن ولا يخرج. واليقين خطرات^{٣٠١} فالإيمان عالم داخلي.

^{٢٩٣} السابق، ص ١٥٧.

^{٢٩٤} السري السقطي، السابق، ص ٥٣.

^{٢٩٥} معروف الكرخي، السابق، ص ٨٧، ٩٠.

^{٢٩٦} حاتم الأصم، السابق، ص ٩٦.

^{٢٩٧} «أوحيت إلى التقوى اثبتي وثبتي. وأوصيت إلى المعصية تزلزلي وزلزلي»، الموافق، ص ٩٦.

^{٢٩٨} من العقيدة إلى الثورة، ج ٤، الإيمان والعمل، الإمامة.

^{٢٩٩} طبقات الصوفية، ص ٢٢٧.

^{٣٠٠} التستري، ص ٩٠.

^{٣٠١} السابق، ص ١٣١.

والعمل في الإيمان على درجات من الداخل إلى الخارج، من الشعور إلى العالم. أولها اليقظة. فالمؤمن لا يسهو حتى يغفل. فإذا تفكر حسن واستغفر^{٣٠٢} فالمؤمن هو الشعور اليقظ وليس النائم، المنتبه وليس الغافل. وثانياً التصديق بالقلب بما أعلمه الحق من الغيوب. ومطالبة الإيمان ما حدا عليه من صحة التصديق بالوعد والوعيد^{٣٠٣} وثالثها العزة. فما استقام إيمان حتى يصبر على الذل مثل ما يصبر على العز.^{٣٠٤} الصبر على العز سعي له. وتصبر على الذل تخلص منه. فمقياس الإيمان استحقاقه. ورابعها العلم. فالإيمان مقرون بالقرآن وهو علم.^{٣٠٥} الإيمان أحد أنماط العلم. وعلم الإيمان والتوحيد وعلم المعرفة واليقين مع كل مؤمن حسن الإسلام. وهو مقامه من الله. فالعلم بالله والإيمان قرينان. الإيمان مدد العلم وبصره. والعلم قوة الإيمان ولسانه. وخامسها الأخلاق. فليس الغش في الإيمان ولا من خصال المؤمنين^{٣٠٦} لا يوزن الخلق بميزان النفس بل بميزان المؤمنين لمعرفة فضلهم وإفلاس الذات. ولماذا يكون القياس على الذات إفلاس؟ شرح صدور المتقين وكشف بصائر المهتدين بنور حقائق الإيمان^{٣٠٧} إذا كان السلم محبوباً إلى الخلق فإن المؤمن غني عن الخلق.^{٣٠٨} البر الإيمان، والتقوى الإخلاص، والإثم الكفر، والعدوان المعاصي^{٣٠٩} وما يذهب الإيمان والعمل من القلب القصائد أي الشعر، والشراب أي الخمر، والغناء أي الموسيقى والطرب مع أنها أقرب الأشياء إلى التصوف^{٣١٠}

وأحياناً يضاف إلى ثنائية الإيمان والعمل القول في ثلاثية الإيمان والقول والعمل. فالإيمان قول وعمل. الإيمان طاقة داخلية تتخرج في القول والعمل، في اللسان وفي اليد^{٣١١}

^{٣٠٢} أبو بكر محمد بن داود الدقي، طبقات الصوفية، ص ٤٤٩.

^{٣٠٣} أبو عبد الله محمد بن الخفيف، السابق، ص ٤٦٥.

^{٣٠٤} أبو العباس القاسم السيارى، السابق، ص ٤٤٥.

^{٣٠٥} قوت القلوب ج ١، ٢٧٨.

^{٣٠٦} التستري، ص ٧٨-٩٨.

^{٣٠٧} طبقات الصوفية، ص ٣٢٤.

^{٣٠٨} السابق، ص ٣٥٢.

^{٣٠٩} التستري، ص ٩٧-٩٨.

^{٣١٠} التستري، ص ٢٢١.

^{٣١١} السابق، ص ٢٨٠، ٣٤٢.

مطابقة الظاهر والفعل ضرورة. وهي مطابقة الداخل والخارج، القول والفعل، النظر والعمل^{٣١٢} ويسلم اللسان من الكذب إذا كان أصله صحيحاً^{٣١٣} الكذب هو القول الفارغ من أي مضمون، قول اللسان ولا يقابله تصديق بالفكر أو بالوجدان أو بالعمل^{٣١٤} والقول والعمل واجهتان لشيء واحد ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^{٣١٥}

فضل القول على العمل منقصة، وفضل العقل على القول مكرمة.^{٣١٦} فالعمل له الأولوية على القول. وصدق القول وصدق العمل ضمن أربعة خلال ومعها صدق المودة وصدق الأمانة.^{٣١٧} وكلها فضيلة الصدق. يتوقف القول الخالص على العمل، والعمل على الآجل، والآجل على الطمأنينة، والطمأنينة على الدوام.^{٣١٨} العلم ينزل والعمل يصعد.^{٣١٩} والعمل سابق على القول، والسلوك شرط المعرفة.

والتوفيق البداية بالعمل.^{٣٢٠} أخسر الخاسرين من أبدى للناس صالح أعماله، والأعمال تعبير عن المقاصد وليست رياء للناس كما حذر المسيح. فالرياء في الأعمال بصرف النظر عن مبارزة لمن هو أقرب إلى حبل الوريد.^{٣٢١} الأعمال بالنيات. والبداية بفحص النية وهي الإرادة الخيرة.^{٣٢٢} والنية أفضل من العمل، والعمل أفضل من

٣١٢

وسمكت سمت ذي ورع ودين وفعلك فعل متبع هواه

الحلاج: الديوان، ص ٢٨٧.

٣١٣ التستري، ص ٣٧٩.

٣١٤ رسالة المسترشدين، ص ١٣٧-١٣٦.

٣١٥ «اللهم اجعل قولنا موصولاً بالعمل، وعملنا محققاً للأمل»، الإشارات، ص ٣٦١.

٣١٦ أبو علي الروزباري، طبقات الصوفية، ص ٣٥٧.

٣١٧ أبو علي الثقفى، السابق، ص ٣٦٣.

٣١٨ المواقف، ص ١٨٣.

٣١٩ «إن لم يصعد عملك من الباب الذي نزل منه علمك لم يصل إليّ»، السابق، ص ١٩٠.

٣٢٠ أبو بكر الكتاني، طبقات الصوفية، ص ٣٧٤.

٣٢١ أبو سعيد بن الأعرابي، السابق، ص ٤٢٨.

٣٢٢ المواقف، ص ٤٥.

القول^{٣٢٣} واستقامة الطاعة للنية^{٣٢٤} ومن سعادة المرء حسن النية^{٣٢٥} والحذر من الرياء ومدح الجاهل أو قبل مدح النفس. الناس نوعان عالم بعمل يعلمه، وساذج بنية^{٣٢٦} فالعلم أساس العمل والنية وسط بينهما، علم شعوري وعمل في حالة الإمكان. والإخلاص أربعين يومًا بالنية وحفظ الجوارح ولا يطعم إلا الحلال. ويكون الطعام واللباس لله بالنية. والنية هي التفكير^{٣٢٧} وهي النية العقلية أو القيد. والنية هي الإخلاص. وهو معنى حديث «إنما الأعمال بالنيات»^{٣٢٨} نية الإرادة غير نية الفعل. الإرادة عام والفعل خاص. وكما يثبت حكم الظاهر بالفعل يثبت حكم السر بالنية^{٣٢٩} وإن لم يصل العلماء بعلمهم وصلوا بنياتهم^{٣٣٠} ولكل عمل نية ومن ثم لا يحجب صاحبه عن الله. ودون نية لا يُعرف الحكم. وضياح النية يؤدي إلى الحيرة^{٣٣١} فالنية قصد، والقصد اتجاه.

والنية هي إرادة الإنسان أن يعمل بمعنى من المعاني فالإرادة نية والنية إرادة وتطلق على الأشياء أيضًا تشخيصًا مثل ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾^{٣٣٢} فإن لم تحضر النية فإن ذلك يعني إما عدم توافر الباعث على الفعل أو أن يكون الفعل قد تم عن طبيعية لا إرادة^{٣٣٣} فإذا ما قام الإنسان بعمل لغير وجه الله ثم يندم فإن العمل يستمر بالنية الجديدة^{٣٣٤} وتجزئ النية عند بدء العمل أثناءه^{٣٣٥} وأثناء العمل قد يزيد النشاط

^{٣٢٣} السابق، ص ١٠٣.

^{٣٢٤} السابق، ص ١٠٤.

^{٣٢٥} السابق، ص ١٦٦.

^{٣٢٦} التستري، ص ٣٧٦، ٣٨٣.

^{٣٢٧} السابق، ص ٢٧٢.

^{٣٢٨} السابق، ص ٢٩٤.

^{٣٢٩} السابق، ص ٣٠٤، ٣٣٨-٣٣٩.

^{٣٣٠} السابق، ص ٣٣٥.

^{٣٣١} السابق، ص ٣٣٩.

^{٣٣٢} «باب وصف النية ما هي؟»، السابق، ص ٢٨٦-٢٨٨.

^{٣٣٣} «باب معنى قوله لا تحضر النية في العمل»، السابق، ص ٢٨٩-٢٩٣.

^{٣٣٤} «باب من يدخل في العمل لا يريد الله بذلك ثم يندم كيف يكون عمله بعد الندامة»، السابق

ص ٢٩٤-٢٩٧.

^{٣٣٥} «ما يجري من النية عند ابتداء العمل، والنية في العمل»، السابق، ص ٢٨٠-٢٨٣.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

ويتسع الأفق، وتظهر أبعاد جديدة غير النية الأولى^{٢٣٦} ويجب على المريد أن يلزم حين العمل سرًّا وعلانيةً لوجه الله وحده^{٢٣٧} ويسر العبد عندما يظهر عليه من عمله قبل فراغه منه وبعد قراءته^{٢٣٨}.

وقد يؤتى العمل سرًّا خوفًا من العدو أو من الشهرة. أو استعينوا على قضاء حاجاتكم بالكتمان». والإنفاق بحيث لا تعلم اليد اليسرى ما تنفقه اليد اليمنى. وقد يتساوى السر والعلانية مع أفضلية السر^{٢٣٩} ويجوز ترك العمل خوفًا من الرياء قبل العمل وأثناء العمل^{٢٤٠}.

ويمكن ترك بعض النوافل إشفاقًا على الناس من تكليف ما لا يطاق^{٢٤١} وقد يظهر العمل للاقتداء به. فالعمل مستمر في التاريخ. «من سن سنة حسنة فعمل بها كان له أجرها وأجر من اتبعه فيها»^{٢٤٢} وقد يحث الإنسان الآخرين على عمله للاقتداء به. فالمبادرة قد تأتي من العامل أو من المقلد^{٢٤٣} ﴿وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.

والدعاء أقرب إلى القول والإيمان منه إلى العمل والفعل وطاعة الرب ودعاؤه مستجاب للاضطراب عن طريق فعل خارجي^{٢٤٤}. الدعاء ترك فعلي للذنوب وليس مجرد التمني بالقول^{٢٤٥}. والاستعاذة بالله منه من النبي أو من اقتفى أثره. دون فعل مجرد خوف وتمن للنجاة^{٢٤٦}. الدعاء هو فعل سلبي، استجداء وتحقيق. لا يرد الله الدعاء من

^{٢٣٦} «باب العبد يدخل العمل يريد الله عز وجل وحده ثم يجد من نفسه نشاطًا للزيادة وما يجزيه من النية في ذلك»، السابق، ص ٢٨٤-٢٨٥.

^{٢٣٧} «باب يجب أن يلزمه المريد نفسه عند عمل السر والعلانية»، السابق، ص ٢٦٦-٢٦٧.

^{٢٣٨} «باب سرور العبد عندما يظهر عليه من عمله قبل فراغه منه وبعد فراغه»، السابق ص ٢٦٨-٢٧٤.

^{٢٣٩} «باب عمل السر والضعف من إظهار العمل خوف العدو وحذر الشهرة»، السابق، ص ٣٠٨-٣١٢.

^{٢٤٠} «باب هل يجوز ترك العمل من أجل الرياء؟»، السابق، ص ٣١٣-٣١٨.

^{٢٤١} «باب في الرجل يدع بعض النوافل إشفاقًا على الناس أن يعصوا الله عزَّ وجلَّ فيه»، السابق، ص ١٨٩-١٩٩.

^{٢٤٢} «باب إظهار العمل ليقبلى به»، السابق، ص ٣٠٠.

^{٢٤٣} «باب العبد يحدث إخوانه ببعض ما يقوى عليه من العمل ليحضهم على ذلك»، السابق ص ٣٠٣-٣٠٧.

^{٢٤٤} «من أنا، يرحمك الله. أطع ربك وادعه فإنه يُجيب المضطر»، رابعة، ص ١٢٥، ١٢٢، ١٣٧.

^{٢٤٥} بشر الحافي، طبقات الصوفية، ص ٤٣.

^{٢٤٦} محفوظ بن محمود النيسابوري، السابق، ص ٢٧٤.

الصديقين، مؤمنين أو كافرين. فالدعاء من الكافر ضرورة. والمؤمن يدعو بحكم الإيمان. الدعاء فعل قلبي، بداية تحقق الفعل بالنية. وبهذا المعنى الدعاء مستجاب فهو قضاء للحاجات دون أن يدري الإنسان حسنة كتبت له أم عقوبة صرفت عنه.^{٢٤٧} وهو ما سماه إقبال «فلسفة السؤال» أي الشحاذة من الله. ليس الدعاء بالقول بل بالفعل. ونتائج الأفعال مقصودة وعن روية. الدعاء بهذا المعنى مستجاب في أربعة أوقات نهاراً وليلاً، حين الضرورة، وبالاسم الأعظم وساعة الظلم، وفي سبيل الإخوة والأبوة.^{٢٤٨} فالدعاء أول درجه من درجات تحقق الفعل. إن الدعاء بالمعنى الشعبي مجرد قول دون فعل، يطعن في قانون الاستحقاق، الدعاء بدخول الجنة، والخروج من النار. والنصيب يرجع إلى الفضل. والدعاء بلا فعل واستحقاق تخل عن الحرية والمسئولية. وكيف يحب الله الإقرار بالذنوب وهو الفاعل لكل شيء؟^{٢٤٩} وكيف يعرف اتفاق الدعاء «الكذ» كي تسرع الإجابة حتى إذا كانت اللغة والوجود متوازيين؟^{٣٥٠} وأفضل دعاء وأسرع للإجابة وجدان قلوب الصديقين. الدعاء أفضل من العلم لأنه مع الفقر والفاقة يجمع بين القول والعمل. والدعاء المستجاب لا حيلة للعقل ولا للعلم فيه. يكفيه الإيمان والعمل. هو هبة من الله. وما دام الدعاء كوسيلة لجلب المنافع غير مضمون فالأولى الأخذ بالأسباب.^{٣٥١} وإذا كانت المقدمة التوحيد فإن الدعاء هو التبري من كل ما سوى الله أي الاستسلام كلية للغير.^{٣٥٢} الدعاء إذن دعوة للتخلي عن الأسباب. والفعل في العالم يقتضي الأخذ بالأسباب. والأمر بالدعاء والتضرع حتى لا يسأل إلا الله. والأفضل الأمر بالفعل والكذ والسعي ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ﴾ ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ فالدعاء جامع بين الإيمان والعمل. ولا ينجع السهم من الرامي كما ينجع الدعاء ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَا﴾^{٣٥٣} والاضطرار يؤدي إلى الفرج القريب بطبيعة الأشياء. فلا

^{٢٤٧} التستري، ص ٦٧.

^{٢٤٨} السابق، ص ١٥٤.

^{٢٤٩} السابق، ص ٢٠٠.

^{٣٥٠} «يا مولاي! مولاي! كل نصيب جعلته للجنة فسهله لي ويسره لي. واجعل لي فيه صلاح. وكل نصيب جعلته للنار فلا تسهله لي. واصرفه عني بحولك وقوتك. إنك على كل شيء قدير»، السابق، ص ١٨٠.

^{٣٥١} السابق، ص ٢٢٠.

^{٣٥٢} السابق، ص ٢٩١.

^{٣٥٣} السابق، ص ٣٠٥-٣٠٦.

يوجد اضطراب دائم ولا فرج دائم. الدعاء التصديق بالقلب الذي يخلق موضوعه. وما من أحد كانت له حاجة إلى الله أعْيى أهل السموات والأرض قضاؤها فدعا الله إلى الليل إلا قضيت. وهو إحساس بالأمل بعد اليأس وبالوجود بعد العدم، وبالحياة بعد الموت.^{٣٥٤} وإذا كانت الأعمال بالتوفيق، والتوفيق من الله، ومفتاحها الدعاء والتضرع فلم يبق للعامل شيء.^{٣٥٥} العمل الذي يبلغ الغايات هو رؤية التقصير والعجز والضعف. فالعمل يبدأ بالسلب. والعمل لا يحتاج إلى عصمة. وهو أشرف عمل لأنه ممارسة للحرية. ولا علم أشرف من علم آدم إلى تعلم الأسماء ولم يمنعه ذلك من العصيان وجريان القضاء والقدر عليه. ولا عبادة أفضل من عبادة إبليس لأنه لم ينج من المسبوق عليه.^{٣٥٦} واللعن دعاء سلبي، تمنى الضر للآخرين، وليس تمنى الخير للنفس. إلا أن لعن الرسول إبليس إلى الأبد كما لعنه الله، وعلى الكفار إلى التوبة ففتحول إلى رحمة، وعلى المسلمين رحمة إذا تابوا.^{٣٥٧} وليس من شيمة الرسول اللعنة على أحد بل الرحمة بالناس. وبسبب إبليس أتت النبوة ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾. وإذا كان العلم ثلاثة: علم بالله وعلم من الله وعلم مع الله فهو علم التوحيد وعلم الشريعة وعلم التصوف. العلم بالله معرفة صفاته وأحواله، قوانين الطبيعة وأحواله ظواهرها. والعلم من الله علم الظاهر والباطن، والحلال والحرام والأمر والنهي في الأحكام. وهو علم الوحي، التنزيل والتأويل، الشريعة والحقيقة. والعلم مع الله علم الخوف والرجاء والمحبة والشوق وهي علوم التصوف.^{٣٥٨} وعلم العقائد نفسه علم عملي سواء في العقلية، الذات والصفات والأفعال أو في السمعية: النبوة والمعاد والإيمان والعمل والإمامة.^{٣٥٩} لذلك يتم التصديق من خمسة أمور: إعلام الحال، وحفظ الإيمان، وحذر العدو، وإيثار الرب، والإخلاص. باب العلم

^{٣٥٤} السابق، ص ٣٣٩.

^{٣٥٥} التستري، طبقات الصوفية، ص ٢١١.

^{٣٥٦} خير النساء، السابق، ص ٣٢٤.

^{٣٥٧} التستري، ص ١٨٩.

^{٣٥٨} طبقات الصوفية، ص ٢١٤-٢١٥.

^{٣٥٩} من العقيدة إلى الثورة، ج ٢، التوحيد، ج ٢، العدل، ج ٣، ج ٤ النبوة والمعاد، ج ٤، الإيمان والعمل والإمامة.

المشيئة، وباب القدرة الإرادة. فالعلم النظري علم عملي.^{٣٦٠} لذلك ارتبط العلم والقدرة ليس فقط في صفات الله بل أيضًا في سلوك الإنسان. فالعلم سر، والقدرة علانية. العلم باطن، والقدرة ظاهر. العلم نظر، والقدرة عمل. والعلم بلا عمل مثل العملة الورقية بلا قيمة في ذاتها، ومثل الدراهم والدنانير يتركها وراءه العالم فيعذب بها يوم القيامة. والعلم من أثر بعد موت صاحبه وليس من ترك وراءه المال في الخزان. العلم والقدرة والنجوم ليس لها إقرار أي نهاية. فالعلم لا نهاية له. والقدرة غير محدودة. والنجوم سائر تأثيرها في الكون. وعبادة الله تظهر القدرة في أقل من أربعين يومًا.^{٣٦١}

وأنفع العلم الأمر والنهي، والوعد والوعيد، والثواب والعقاب. وهو علم الشريعة بعد العلم بالذات والصفات والأفعال والأسماء، عودًا بالتصوف إلى علم الأصول.^{٣٦٢} العلم هو العلم الفقهي. فالعقيدة والشريعة هما النظر والعمل، التصور والنظام، الأصول والفروع. وقد بنى أهل المعرفة بالله أصول الأحوال على شاهد العلم، وتفقهوا في الفروع. إذا كان العمل فضيلة فيما لا يهم فضيلة لأن الدخول فيما لا يهم، فإن ترك العمل فيما يعني يؤدي إلى النسيان. والحد الأدنى له الندامة يوم القيامة والجهل بالحال.^{٣٦٣} والكلام فيما يعني رذيلة تجب عتق مائة رقبة والتصدق بمائة درهم، وتقضي على الشكر. وهو الدخول فيما لا قصد فيه.^{٣٦٤} والوصول بالعلم وبالنية وبالإرادة. القيام بآداب العلم وشرائعه يبلغ بصاحبه إلى مقام الزيادة والقبول. فالعلم آداب. وأهم من العلم سلوك العلماء.^{٣٦٥} ولا ينقص ظاهر الأدب ظاهر العلم.^{٣٦٦} يؤخذ الأدب من العلم، والأنس من الخلوة، والحياء من شعاب النفس، والاعتبار من التفكير، والحكمة من الخوف.^{٣٦٧} العلم هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أي العلم الفقهي، العمل. وهو متصل بالعرش.

^{٣٦٠} التستري، ص ٢٠٢.

^{٣٦١} السابق، ص ٣٠٧.

^{٣٦٢} طبقات الصوفية، ص ٣٠١.

^{٣٦٣} التستري، ص ٢٢١.

^{٣٦٤} السابق، ص ٣٤٤.

^{٣٦٥} السابق، ص ٤١١.

^{٣٦٦} رسالة المسترشدين، ص ١٣٣.

^{٣٦٧} السابق، ١٥٤.

ومن صلب العلم يشاهد الأمر والنهي ضرورة.^{٣٦٨} فالعلم هو التكليف أي الأمر الشرعي. ومطالبة العلم ما تبين به أحكامه فظهرت دلائله. وطالب الحق باستعماله.^{٣٦٩} حقيقة الإرادة استدامة الكد وترك الراحة.^{٣٧٠} والدنيا عمل جاد تتطلب الإقلال من الضحك وتجنب المزاح.^{٣٧١} وهناك عبارات توحى بالتوجهات الإيجابية وإن لم تصبح مصطلحات مثل «الفناء في العمل».^{٣٧٢} وهناك موقف خاص للأعمال.^{٣٧٣} فصفة الله العمل في «كن» وكذلك صفة الإنسان. والعمل دون النظر إليه. وعمل الليل عماد عمل النهار. والوقوف بين يدي الله ليس طلباً منه أو هرباً إليه بل لرفع الحجاب. والعمل عملان راتب وزائر، الأول لا يتسع العلم والعمل إلا به. والثاني لا يتسع العلم إلا به. ميزان العلم النية، وميزان العمل الإخلاص.

ويعلم الإنسان أنه على السنة والجماعة إن عرف من نفسه عشر خصال: التمسك بالجماعة، واحترام الصحابة، وعدم الخروج على الأمة بالسيف، وعدم التكذيب بالقدر، وعدم الشك في الإيمان أو الممارسة في الدين، وعدم ترك الصلاة على أهل القبلة، وعدم ترك المسح على الخفين، والتمسك بالجماعة خلف الوالي وإن جار وإن عدل.^{٣٧٤} وتتفاوت الخصال في الأهمية مثل مساواة مسح الخفين بالعلاقة مع الحاكم الظالم. بعضها تقليدي مثل التمسك بالجماعة واحترام الصحابة. وبعضها مذهبي مثل الإيمان بالقدر وعدم الشك في الإيمان، والممارسة في الدين وهو الأشعرية. والبعض الآخر استسلام للأمر الواقع، وهو التمسك بالجماعة خلف الوالي وإن جار، مع أن التصوف مقاومة سلبية، وتغيير المنكر بالقلب وهو أضعف الإيمان. «ولا دليل إلا النبي» تجاوز للقرآن كهداية وتجاهل للإجماع كمرشد وإلى الاجتهاد كدليل. الاشتغال بطلب العلم وقراءة القرآن

^{٣٦٨} طبقات الصوفية، ص ٤٧٤.

^{٣٦٩} السابق، ص ٤٥٦.

^{٣٧٠} أبو عبد الله محمد بن خفيف، السابق، ص ٤٦٥.

^{٣٧١} التستري، ص ١٣٢.

^{٣٧٢} «وقت نعمة الدوام في الجزاء بأيام الفناء في العمل»، المواقف، ص ٨٢. «العلم يدعو إلى العمل. والعمل يذكر برب العلم. فمن علم ولم يعمل فارقه العلم. ومن علم وعمل لزمه العلم»، السابق، ص ١٤٩. «اعلم واجتهد، واعمل واجتهد، واجتهد واجتهد»، السابق، ص ١٥٥.

^{٣٧٣} «موقف الأعمال»، السابق، ص ٨٧-٩٠.

^{٣٧٤} التستري، ص ٩٤.

ينتهي إلى المسرة وهو لفظ الإنجيل.^{٣٧٥} وأصول ذلك كله وفروعه في السنة. ومن ثم لزم الاقتداء بها.^{٣٧٦} وقد يمتد الاقتداء بالرسول إلى الصديق والفاروق.^{٣٧٧} والاقتداء بالسنة قبل أن يأتي وقت يلوم الناس الرسول وينفرون منه ويهينونه ويدلونه أي نهاية الاقتداء بالنموذج والتأسي بالمثل الأعلى.^{٣٧٨} والعلم هو العلم الأخلاقي. يتضمن الورع والنصيحة والحلم. والورع ترك الحلال مخافة أن يجر إلى حرام. وهو نوع الحساسية الزائدة والتوجس خيفة من النفس ومن العالم. والناس على البراءة الأصلية. والفطرة خيرة، والطبيعة تميل نحو الخير. والأخلاق عمل بالشرائع ما يوافق السنة، يزيد وينقص.^{٣٧٩} أول الإيمان منوط بآخره. عقد الإيمان «لا إله إلا الله» الإسلام منوط بأداء الشريعة بالإخلاص.^{٣٨٠} والإيمان بالفرائض، وفرض علمها فرض، والعمل بها فرض والإخلاص فيها فرض. فالفعل من أول صور وجوده وهي النية حتى آخر صور تحققه في العالم فرض.^{٣٨١} والعلم الأكبر الهيبة والحياة. وهما شرط الخيرات. فالعلم هو العلم الأخلاقي.^{٣٨٢} وإذا كانت الأخلاق حدًا لا يمكن عبوره تصبح غاية ذاتها. ومع ذلك يعبرها الصوفي لأن من تزين بعمله كانت حسناته سيئات.^{٣٨٣} وإذا ترك الصوفي العمل رجع إليه. فإذا تركه العمل فلا يرجع إليه. الحالة الأولى أخلاق، والحالة الثانية نفس. فالعمل وسيلة للمعرفة وأعمال الجوارح مقدمة لأعمال القلوب.^{٣٨٤} وأنفع الأعمال ما سلم من آفاتهما، وكانت مقبولة من صاحبها أي الصدق مع النفس وحسن النية والرضا عن الذات.^{٣٨٥} والإخلاص في العمل أشد في العمل لأنه عمل مزدوج يعجز عنه الرجال.^{٣٨٦}

^{٣٧٥} السابق، ص ١٠٦.

^{٣٧٦} السابق، ص ٩٦-٩٧.

^{٣٧٧} السابق، ص ٢٠١.

^{٣٧٨} السابق، ص ٢٥٩-٢٦٠.

^{٣٧٩} التستري، ص ١٢٩.

^{٣٨٠} أبو الحسن البوشنجي، طبقات الصوفية، ص ٤٦١.

^{٣٨١} السابق، ص ٣٠٤.

^{٣٨٢} السابق، ص ٢٦٩.

^{٣٨٣} ذو النون، طبقات الصوفية، ص ٢٣.

^{٣٨٤} أبو حفص النيسابوري، السابق، ص ١١٨.

^{٣٨٥} أحمد بن عاصم الأنطاكي، السابق، ص ١٤٥.

^{٣٨٦} عبد الله بن حبيب الأنطاكي، السابق، ص ١٤٥.

لا يضيء بنور العلم إلا الأتقياء، ومن ذاق حلاوة العلم لا يعبر عنه.^{٢٨٧} ولا تثبت الحكمة بقلب يحب الدنيا.^{٢٨٨} ولا يعطى العلم من كان للدنيا لديه قدر وقيمة.^{٢٨٩} والعمل بالحق يزيد نور البصيرة.^{٢٩٠} والحذر من الدين لله بالعقل، والعمل بالهوى، وترك الحق، وتبوء الباطل، وتمني المغفرة مع نسيان التوبة. ولا علم وعمل إلا إذا ثبنا باليقين والصدق والورع والإشفاق والخشية.^{٢٩١} وحماية القلب من سوء الظن بحسن التأويل.^{٢٩٢} ويحذر من التوسع في المنطق حتى ولو كان الإنسان بليغاً.

تم تأتي علوم التصوف. فبين الإنسان والله سر. يفزع الإنسان، ويلجأ إليه، ويطلب العفو منه، وهو أسير بين يدي العدو، مفتون بالدنيا. والاشتغال عن الله طرفة عين يذهب العلم. فالعلم مرتبط بيقظة الوعي بالداخل أكثر من الخارج، بالوعي أكثر من الإحساس.^{٢٩٣} الأعمال هي: الاستغناء بالله، والإخلاص، والرجوع إلى طاعة الله. العلم إما يدل على الهداية وهو اليقين أو على التوكل أو على الإخلاص. فالعلم نظري وعملي.^{٢٩٤} ولا يصح الحال إلا في أصل الدخول على الله واتباع السنة. الصلاح للخلق. والظاهر الاقتداء بالسنة والباطن النية والإخلاص. العلم هو علم الحال في الحركة والسكون بين العالم والله. العلم شعوري، علاقة الشعور بالآخر المطلق.^{٢٩٥} وأقرب حالات أصل المعرفة ذكر قيام الله. العلم قطع عن الجهل وليس قطعاً عن الله. والله في العلم يعني البحث المستمر أي تقدم العلم.^{٢٩٦} الصوفية وحدهم من بين البرية هم السابقون السابقون، المقربون بالعطيات، المرتفعون في المقامات. عرفوا الله حق معرفته. وعبدوه أخلص عبادة. وآووا

٢٨٧ السابق، ص ٢١٤-٢١٥.

٢٨٨ السابق، ص ١٦٠.

٢٨٩ السابق، ص ٢١٢.

٢٩٠ التستري، ص ٥٨.

٢٩١ طبقات الصوفية، ص ١٦٦.

٢٩٢ رسالة المسترشدين، ص ٨٩.

٢٩٣ التستري، ص ٢٥٥.

٢٩٤ السابق، ص ٣٠٣.

٢٩٥ السابق، ص ٢٧٠.

٢٩٦ طبقات الصوفية، ص ٤٧٤.

إليه بالشوق والمحبة.^{٣٩٧} والافتداء بالنبي يجعل الصوفي إماماً لمن بعده.^{٣٩٨} والأنبياء معصومون، وطاعتهم بعون الله.^{٣٩٩} العلم إذن علمان: قيام العبد بقيامه مع الله، وعلم الله في العبد وهو مغيب عن العباد إلا أصحاب الكشف كالنبي أو الولي.^{٤٠٠} العلماء بالله هم الواقفون معه على حدود الآداب، لا يتجاوزون بها إلا بإذن.^{٤٠١} ومن تولاه رعاية الحق أحل ممن تؤديه سياسة العلم فلماذا تكون رعاية الحق مضادة لسياسة العلم؟ لا يعرف الإنسان إلا العلم. وهو القاسم المشترك بين الناس.^{٤٠٢}

والتصوف أعلى مراتب العلم وهي سبعة: المخالفة للنفس، والمكابدة، والطهارة، والسهولة والمسارة، ودرجة الحلول ثم مرتبة المذاق. وكلها نوع من الرياضة والمجاهدة. فحكم العلم سماعه من الله وهم العلماء الأقوياء أي العلم المباشر من الله بالسماع والمشاهدة أو النظر أو الصحبة. العلم هو الفهم. فلا يخرج علم من الله إلا وهو مفهوم. والعالم عالم لأن أفعاله ترد إلى الحول والقوة لا إلى التدبير. فالعلم لدني. والقوة ثلاثة أنواع. الأولى يثبت بها العمل والروح، وتؤدي بها الفرائض. والثانية تقع بها المعصية أو الطاعة والأفعال المكتسبة. والثالثة تقع بها المعاصي فقط واكتساب الأفعال بالأهواء والشهوات فتستحق العقوبات. والعلماء هم الذين فتحت قلوبهم. وهم على درجات في الغرف منه.^{٤٠٣}

وتقيد الجوارح بأحكام العلم، ومراعاة الهم بمعرفة قرب الله وخشيته.^{٤٠٤} العلم ورع وأمر ونهي وسنة وآداب وترغيب وترهيب ونية.^{٤٠٥} يمنع العلم الدخول في الدنيا بالجهل، ونسيان المعاد.^{٤٠٦} والعمل بالحق، وبالله الثقة، والأمر بالمعروف والنهي عن

^{٣٩٧} السابق، ص ٢٤٧.

^{٣٩٨} التستري، ص ٧٠.

^{٣٩٩} السابق، ص ٢٠١.

^{٤٠٠} طبقات الصوفية، ص ٤٧٧.

^{٤٠١} السابق، ص ٢٨٣.

^{٤٠٢} السابق، ص ٤١١.

^{٤٠٣} التستري، ص ١٤٨.

^{٤٠٤} المسترشدين، ص ٨٦-٨٨.

^{٤٠٥} السابق، ص ١٩٧-١٩٨.

^{٤٠٦} السابق، ص ١٠٨.

المنكر.^{٤٠٧} ونصيحة الصوفي الالتزام بمواهب العلم واحترام جميع المسلمين، وعدم تضييع الأيَّام. أما النصيحة بعدم التصدر والخمول بين الناس فكلما زاد الاشتغال بهم قل حظ اتباع أوامر الله. مطالبة العلم ما تبين به أحكامه فظهرت دلائله وطالب الحق باستعماله.^{٤٠٨}

العلم أفضل مجاهدة. ولولا اختلاف العلماء لبقى العلم نهاية المطاف. واختلاف العلماء رحمة إلا في تجريد التوحيد بشرط أن يكون صوفيًّا. والتصوف نفسه عليه خلاف. هو أحد المقاربات للتوحيد ولكنه ليس الوحيد. فهناك التوحيد كما يتصوره المتكلمون (الذات والصفات والأفعال) والفلاسفة (واجب الوجود) والأصوليون (الشارع). والعبرة بالأوتار، والمعتبر بالأنثقال. الوتر سماع، والمنثقال رؤية. الأول تجربة شخصية، والثاني مقياس موضوعي. والعلماء يصحب بعضهم بعضا بعيدا عن الجهال.^{٤٠٩} وهي نخبوية وعزلة يستحق عليها أهل الملامة واللوم.

العلم كلمتان عدم التكلف بما كفي، وعدم ضياع ما استكفي.^{٤١٠} فالتكلف تعالم والبعد عن التكلف في الدين حتى ولو كان الإنسان عالما. ومنها عدم الإكثار من الإيمان في الصدق. العلم حياة القلب من الجهل، ونور العين من الظلمة.^{٤١١} هو العلم الشعوري المباشر. العلم يغفر العيوب. وإذا احتاج أحد إلى علم فلا ينظر إلى عيوب. حتى لا يحرم من علمه.^{٤١٢} العلم لآداب الظاهر، والورع لآداب الباطن. والأهم عدم الانشغال عن الله أو الإعراض عنه.^{٤١٣} والأقوال الأفعال قرينان.^{٤١٤} تمثلها الرسول بدلا من الجدل والبلبله عند المتكلمين. وحجة الأقوال لا تقرب، وحجة الأفعال تأتي بالحب.^{٤١٥}

^{٤٠٧} السابق، ص ١٦٥.

^{٤٠٨} طبقات الصوفية، ص ٤٥٦.

^{٤٠٩} حمدون القصار، السابق، ص ١٢٧.

^{٤١٠} أبو إسحاق إبراهيم الخواص، السابق، ص ٢٨٥.

^{٤١١} أبو علي الثقفي، السابق، ص ٣٦٤.

^{٤١٢} عبد الله بن محمد بن منازل، السابق، ص ٣٦٩.

^{٤١٣} إبراهيم بن شيبان القرميسيني، السابق، ص ٤٠٤.

^{٤١٤} السابق، ص ١٢٠-١٢٢.

^{٤١٥} «حكم الأقوال والأفعال حكم الجدال والبلبال. حكم الجدال والبلبال حكم المحال والزلال»، السابق، ص ١٢٠-١٢١.

ويقل التركيز على العمل في «الولاية» على عكس الشطحات. ومن يرد عليه عمله له لباس السواد. فالعمل المردود أسود، والعمل المقبول أبيض.^{٤١٦} العمل مجرد وسيلة للقرب وليس غاية في ذاته.^{٤١٧} وأحياناً تكون المبادرة من الإنسان. يدل على الحجاب ويمد الله له نار الوصول، إذا صحب الله وصل. وإذا سأل أجيب، وإذا اختار سقطت المؤاخذه. وإذا كفي عينيه كفاه الله قلبه. وإذا كفاه النوم كفاه الله اليقظة. وإذا كفي شهوته كفاه الله حاجته.^{٤١٨}

وأهل المعرفة لا يتركون العبادات أي الحركات من باب البر والتقوى. ولا يسقطون الأعمال. فقد أخذوا الأعمال عن الله ورجعوا إليه فيها. ولو بقيت المعارف ألف عام لا تنقص أعمال البر ذرة إلا إذا حيل بينهم وبينها. بل إن المعرفة تجعل العبادة أوكد، والحال أقوى. ومع ذلك لم يسلم الجنيد من اتهامه بالكفر. أما ابن سينا فإنه يعتبر العبادة وسيلة إلى الوصول والمعرفة. فبعد تحقيق الغاية ينتهي دور الوسيلة. العارف لم يأسره لحظه ولا لفظه. في حين أن الجنيد أسره لفظه في الشطحات، ولحظه في الوجد.^{٤١٩} والغفلة عن الله أشد من دخول النار.^{٤٢٠} شكر العلم العمل، وشكر العمل زيادة العلم.^{٤٢١} العلم بالله أهم من عبادته.^{٤٢٢} فالعلم عبادة. المعاملة استعمال الأولى فالأولى من العلم.^{٤٢٣}

أيام العمر معدودة كما تردد الأغاني الشعبية. إذا ذهب يوم ذهب بعض العمر أي الوجود الإنساني. من هنا أتت ضرورة العمل.^{٤٢٤} والصوفي قطعة شمع وإبرة وشعرة.

^{٤١٦} الولاية، ص ٢٦٠.

^{٤١٧} «يا عبد، لا تكن بالأعمال فتقف بك، ولا بالأحوال فتحول بك. يا عبد، كيف تكون بالعمل تعمل، ويكون قلبك عندي لا في العمل؟»، المخاطبات، ص ٢٣٥.

^{٤١٨} السابق، ص ٢٥١.

^{٤١٩} الجنيد، طبقات الصوفية، ص ١٥٨-١٥٩.

^{٤٢٠} التستري، السابق، ص ٢٠٧.

^{٤٢١} أبو محمد الجريري، السابق، ص ٢٦٣.

^{٤٢٢} أبو بكر الكتاني، السابق، ص ٣٧٦.

^{٤٢٣} أبو سعيد بن الأعرابي، السابق، ص ٤٢٨.

^{٤٢٤} «إنما أنت أيام معدودة. فإذا ذهب يوم ذهب بعضك. ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكل وأنت تعلم فاعمل»، رابعة ١٢٧، ١٣٧، ١٧٥.

يشتعل كالشمعة ليضيء للناس. ويتجرد ثم يعمل. فيصير نحيلاً كالشجرة.^{٤٢٥} والعمل هو ما لا يظهر، ولو ظهر لا يعد عملاً.^{٤٢٦} والفعل ممتد في الزمان، إصلاح ما بقي في المستقبل لمحو ما مضى. فإيجاب المستقبل يمحو سلب الماضي.^{٤٢٧} ولا يغتم الإنسان إلا من شيء يضر في الغد.^{٤٢٨} ولا يفرح إلا من شيء يسره في الغد. وكيف يحدث ذلك وأفعال الغد ممكنة وليست ضرورية؟ وأفضل الأعمال عمارة الأوقات بالموافقات. والموافقات مع من، الله أم البشر؟ وماذا عن المخالفات؟ مع الله عتاباً ومع البشر معارضة؟^{٤٢٩} أفضل أعمال العبيد حفظ الأوقات، وعدم التقصير في أمر أو التجاوز عن حد.^{٤٣٠} والعمل هو الذي يجازى بالإحسان.^{٤٣١} والمطلوب هو النجاة من العالم ومخاطره.^{٤٣٢} وعدم الاغترار بالدنيا وبريقها.^{٤٣٣} والتأني أفضل من العجلة، والتعجل في فعل الخير، وترك مواطن الاشتباه.^{٤٣٤}

(٧) نقد العصر

ويغلب نقد العصر على مقدمة المؤلفات. فهو أحد بواعث التأليف. وتكثر الإشارة في الأعمال الصوفية إلى «هذا الزمان مما يساعد على رؤية ظروف العصر والبيئة الاجتماعية التي ظهر التصوف فيها كرد فعل عليها. تحزن على أحوال الناس، وتبدل الزمان، وتغير الأحوال وضياح الحق، وغياب الصدق وذهاب الإيمان وسيادة البدع. فالتصوف

^{٤٢٥} «يا حسن! اشتعل كالشمع، وأضئ للناس. وابدأ بأن تكون متجرداً ثم اعمل. فإن فعلت هذين صرت نحيلاً كالشجرة إذا أردت ألا يذهب جهدك سدى»، السابق، ص ١٥٠.

^{٤٢٦} «ما ظهر من عملي فلا أعده شيئاً»، السابق، ص ١٦٥.

^{٤٢٧} أحمد بن عاصم الأنطاكي، طبقات الصوفية، ص ١٤٠.

^{٤٢٨} عبد الله بن حبيب الأنطاكي، السابق، ص ١٤٥.

^{٤٢٩} أبو عبد الله المغربي، السابق، ص ٢٤٣.

^{٤٣٠} مظفر القرميسيني، السابق، ص ٣٩٨.

^{٤٣١} السابق، ص ٧٣.

^{٤٣٢} السابق، ص ١٠٤-١٠٥.

^{٤٣٣} السابق، ص ١٣١.

^{٤٣٤} السابق، ص ١٣٥.

مرتبط أشد الارتباط بظروف العصر ولكن كرد فعل عليه.^{٤٣٥} لم يخل عصر من عيوب نقدتها الصوفية مثل تبعية العلم للهوى والتحول من تبعية الهوى للعلم إلى تبعية العلم للهوى.^{٤٣٦} ويذهب الإسلام بالعلم بلا عمل، والعمل بلا علم، وعدم تعلم ما لا يعلم، ومنع الناس من العلم. فالعلم له الأولوية في العمل والتعلم ونشر العلم.^{٤٣٧} ويأتي على هذه الأمة زمان لا تطيب المعيشة فيها لمؤمن إلا بعد استناده إلى منافق. وهو زمان ضياع الإيمان، وانتشار النفاق، وتوقف الصدق على النفاق.^{٤٣٨} ومن مظاهر أزمة العصر ترك الكليات، والانشغال بالجزئيات حتى حرموا كل شيء دون استعمال الكراهة. وحلوا كل شيء دون استعمال النذب. ووقع السلوك الإنساني بين حدي الحلال والحرام الضروريين دون أفعال الحرية المتوسطة.^{٤٣٩} ومن علامات آخر الزمان تكون العلانية أعداء السريرة،

^{٤٣٥} «وفي زماننا هذا ...» قوت القلوب ج ١، ٢٩٧، «في مثل زماننا هذا»، السابق، ج ٢، ٣٤ ... «أنتم اليوم في زمان خيركم فيه المسارع. وسيأتي عليكم زمان يكون خيركم فيه المتبين لوضوح الحق في القرن الأول ولدخول الشبهات في زماننا هذا فصار الحق غامضاً»، السابق ص ٢٨٣. «وهذان طريقتان قد درسا وقد عفا أثرهما في وقتنا هذا، لا يسلكه إلا من عرفه، الفرد بعد الفرد، والسابلة من الفرار على طرقات التصنع والتزين»، السابق، ص ٣٩١. وقال الثوري «هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الجاهل فكيف بالمشهورين؟ وهذا زمان رجل ينتقل من بلد إلى بلد. كلما عرف في موضع تحول إلى غيره»، السابق، ص ٤٢٥. «هذا يقوله في سنة عشرين ومائتين والحلال والنساء أحمد عاقبة فكيف بوقتنا هذا؟ فالأفضل للمريد في مثل زماننا هذا ترك التزويج إذا أمن الفتنة ...»، السابق، ص ٤٩٠. «وكان النساء قديماً غيرهن الآن»، السابق، ص ٥٠٦. «وليجتنب الصنائع المحدثه من غير المعروفة والمعاش المبتدعة في زماننا هذا فإن ذلك بدعة مكروهة إذ لم يكن فيما مضى من السلف»، السابق، ص ٥٣٩.

^{٤٣٦} مثل قول ابن مسعود «أنتم اليوم في زمان الهوى فيه تابع للعلم. وسيأتي عليكم زمان يكون العلم فيه تابعا للهوى»، الإحياء، ج ١، ٨٦. «ولكن سيأتي بعد هؤلاء قوم تقرأ أعينكم بهم، تلعبون بهم لعباً، وتقودونهم بأزمة أهوائهم كيف شئتم. إن استغفروا لم يغفر لهم. ولا يتوبون فيبدل الله سيئاتهم حسنات. فجاء قوم بعد القرن الأول خبت فيهم الأهواء، وزين لهم البدع، فاستحلوها واتخذوا ديناً لا يستغفرون الله منها ولا يتوبون عنها. فسلط عليهم الأعداء وقادوهم أين شاءوا»، السابق، ص ٨٧.

^{٤٣٧} طبقات الصوفية، ص ٢١٤.

^{٤٣٨} السابق، ص ٣٦٥. وهو نفس ما تتحسر عليه المواويل الشعبية على ذهاب النبيل والكريم وحضور الخسيس.

^{٤٣٩} وهو معنى قول أحمد «تركوا العلم وأقبلوا على الغرائب. ما أقل العلم فيهما»، الإحياء، ج ١، ٨٦، وقول مالك «لم تكن الناس فيما مضى يسألون عن هذه الأمور كما يسأل الناس اليوم. ولم يكن العلماء

وينتهي الباطن ويسود الظاهر، والتحول من المضمون إلى الشكل، ومن الجوهر إلى العرض.^{٤٤٠}

وضاع من هذا العصر علماء الآخرة وكثر علماء الدنيا.^{٤٤١} غاب علماء المصالح العامة وحضر فقهاء الحيض والنفاس. ذهب علماء فقهاء الأمة وحضر فقهاء السلطان. المتقري هو الصوفي المزيف. المتكلف بنفسه، المظهر لزهده مع كمن رغبته وتربيته لبشريته. اسمه مضمّر في فعله لرؤية نفسه ودعواه.^{٤٤٢} لا يطيق سماع القراءة ومشاهدة تعظيم طاعتهم لأنهم حولوا القراءة إلى حرف بلا معنى.^{٤٤٣} المتقري هو الفقيه الذي يقرأ القرآن ولا يفهم معناه الباطن. فالمقصود من التنزيل التأويل، ومن القراءة التلبية.^{٤٤٤} والمتقري لا يدرك إلا الظاهر. والصوفي يتخفى أمامه في أفعاله. المتقري لا يصبر تحت شجرة التمر. ولو صبر لأكل التمر وأصبح مع المتزهدين المقربين.^{٤٤٥} ويظن المتقري أن

يقولون حرام ولا حلال، ولكن أدركتهم يقولون مستحب ومكروه. ومعناه أنهم كانوا ينظرون في دقائق الكراهة والاستحباب»، السابق، ص ٨٦.

^{٤٤٠} «في آخر الزمان أقوام يكونون إخوان العلانية أعداء السريرة»، الفضيل بن عياض، السابق، ص ١٠. «ابتلينا بزمان وليس فيه آداب الإسلام، ولا أخلاق الجاهلية، ولا أحلام ذوي المروءة»، أبو بكر الواسطي، السابق، ص ٣٠٣. «ذهبت حقائق الأشياء، وبقيت أسماؤها موجودة، والحقائق مفقودة. والدعوى في السرائر مكنونة، والألسنة بها فصيحة، الأمور عن حقوقها مصروفة. وعن قريب تفقد هذه الألسنة وهذه الدعوى. فلا وجد لسان ناطق، ولا مدع مطلب»، السابق، ص ٣٥٠.

^{٤٤١} وعلماء الدين هم ورثة الأنبياء. وقد شغل منهم الزمان. ولم يبق إلا المترسمون. وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان، واستغواهم الطغيان. وأصبح كل واحدٍ بعاجل حظه مشغولاً فصار يرى المعروف منكراً والمنكر معروفاً حتى ظل علم الدين مندرساً ومنار الهدى في أقطار الأرض منطمساً. وقد خيلوا إلى الخلق أن لا علم إلا فتوى حكومة تستعين به القضاة على فصل الخصام عند تهاوش الطغام أو جدل يتذرع به طالب المباهة إلى الغلبة والإنحام أو سجع مزخرف يتوسل به الواعظ إلى استدراج العوام إذ لم يروا ما سوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام وشبكة للحطام»، الإحياء ج ١، ٩.

^{٤٤٢} طبقات الصوفية، ص ٤٦٨.

^{٤٤٣} السابق، ص ٣٥٢ «كنت ترى حامل القرآن في خمسين رجلاً فتعرفه قد مضغه القرآن وأدركت القراءة الذين هم القراءة. فأما اليوم فليسوا بقراء ولكنهم خراء»، حلية الأولياء ج ٣، ٢٤٦.

^{٤٤٤} «يا متقري، انظر إن أعطاك كل ما أعطى الأنبياء فقل أريدك ولا أريد غيرك»، شطحات ص ٩٩.

^{٤٤٥} السابق، ص ١١٩.

من يمدح الله يمدح نفسه. وينصح البسطامي المتقري بأن يري كما هو أو يكون كما يري.^{٤٤٦} والمتقري يخرق نفسه ولا يدري. ولا يفهم الكرامة ويحسبها ادعاء. نقد الصوفية ليس إنكاراً لهم بل غيرة عليهم لأنهم أفسوا أسرار الحق وأبدوها إلى غير أهلها. فهم السادة، يتقرب بمحبتهم إلى الله تعالى.^{٤٤٧} وهؤلاء أصحاب الشطحات. وإسقاط الأعمال أمر عظيم عند الصوفية، وكذلك القول بالحلول مثل قول النصارى والحلاج. ومن الناس من ينتمي إلى الصوفية وليس منهم. مثال ذلك القلندرية وهي الملامتية مع أنها عند إقبال نموذج الفقير. فإذا كان الملامتي حالاً شريفاً ومقاماً عزيزاً وتمسكاً بالسنن والآثار وتحققاً بالإخلاص والصدق فإن القلندرية هم أقوام ملكهم سكر طيبة قلوبهم حتى ضربوا العادات، وطرحوا التقيد بآداب المجالسات والمخالطات، وساحوا في ميادين طيبة قلوبهم فقلت عباداتهم ومباحاتهم ورخصهم دون عزائمهم. لا يدخرون ولا يستكثرون. بل يتقشفون ويتزهدون ويتعبدون. يعمل الملامتي في كتم العبادات ويعمل القلندري في تخريب العادات. يتمسك الملامتي بكل أبواب البر والخير ولكن يخفي الأعمال والأهوال، ويأخذ موقف العوام في هيئته وملبسه وحركاته وأموره ستر الحال. والقلندري لا يتقيد بهيئة ولا يبالي بحال. تكفيه طيبة القلوب. والصوفي يضع الأشياء في مواضعها ويدبر الأوقات، والأحوال بالعلم. يقيم الخلق مقامه، ويقيم الحق مقامهم. يستر ما يستر، ويظهر ما يظهر. يأتي الأمور في موضعها بحضور عقل وصحة توحيد وكمال معرفة ورعاية صدق وإخلاص. وقوم من المفتونين سموا أنفسهم ملامتية ولبسوا ألبسة الصوفية لينتسبوا إليهم وما هم منهم بل في غرور وغلط يتسترون بلباس الصوفية وينتهجون منهج الإباحة ويزعمون أن ضمائرهم خلصت إلى الله. فهل هذا هو عين الإلحاد والزندقة بطرحه العبودية؟^{٤٤٨}

(٨) هل للصوفية أخطاء؟

وفي نفس الوقت الذي يدافع فيه الصوفية المؤرخون عن التصوف، وانتسابهم إلى القرآن والحديث واقتداؤهم بالرسول والصحابة والتابعين وأهل الصفة والمصطفين إلا أنهم

^{٤٤٦} «يا متقري أر كما أنت أو كن كما ثري»، السابق، ص ١٢٠-١٢١.

^{٤٤٧} طبقات الصوفية، ص ٤٠٨.

^{٤٤٨} «ذكر من انتمى إلى الصوفية وليس منهم»، عوارف المعارف، ج ٢، ٢-١٣.

يذكرون أيضًا أغلاطهم التي حملت الفقهاء إلى العداء لهم.^{٤٤٩} وهم على أية حال مكفرون سواء شطحوا أم لم يشطحوا.

ويجمع الصوفية على ثلاثة أشياء هي مقياس الصوفي الحقيقي الصادق من الصوفي المدعي المتظاهر: اجتناب جميع المحارم كبيرها وصغيرها، أداء جميع الفرائض، عسيرها ويسيرها، وترك الدنيا على أهل الدنيا قليلها وكثيرها إلا ما أقام أود المؤمن.^{٤٥٠} إذن يمكن إصلاح التصوف وإعادة بنائه لإزالة الأخطاء المتراكمة عليهم من الطرق الصوفية وسوء الفهم، والمغالاة، وأحادية الطرف، والهروب من الواقع والاتجاه إلى أعلى دون الأمام، وإنقاذ النفس دون العالم. وهي أخطاء عديدة يكفي البعض منها.^{٤٥١} وفرق الصوفية الذين غلطوا ثلاث طبقات لثلاثة أسباب:^{٤٥٢}

(أ) الغلط في الأصول بسبب قلة الإحكام لأصول الشريعة، وضعف الصدق والإخلاص وقلة المعرفة. فقد حرموا الوصول لتضييع الأصول.
(ب) الغلط في الفروع وهي الآداب والأخلاق والمقامات والأحوال والأفعال والأقوال لقلة المعرفة بالأصول، واتباع حظوظ النفس وأمزجة الطباع.
(ج) الزلة والهفوة دون العلة والجفوة. فإذا تبين لهم ذلك عادوا إلى مكارم الأخلاق ومعالى الأمور.

هناك أغلاط في الأصول مثل الغلط في الحرية والعبودية. فالعبد يطلب أجر خدمته، والحر لا يطلب. وغلط من ظن أن الحرية أفضل من العبودية طبقًا للمعنى التداولي في أفضلية الحرية على العبودية. فالإنسان عبد أمام الله. فإذا وصل إليه صار حرًا فسقطت عنه العبودية.^{٤٥٣} وعبودية العبد هي حرية القلب. وقد أطلق الله على خلقه عباده

^{٤٤٩} اللمع، ص ٥١٦-٥٥٥.

^{٤٥٠} وهو معنى حديث «أربعة في الدنيا وليست هي من الدنيا: كسرة تسد بها جوعتك، وثوب توارى به عورتك، وبيت تكن فيها، وزوجة صالحة تسكن إليها»، السابق، ص ٥١٦-٥١٧.
^{٤٥١} «وقد اختصرت ذلك لكراهية التطويل. وفيما ذكرت كفاية وبلغة لمن عقل من المسترشدين والراغبين في هذا العلم»، السابق، ص ٥٥٥.

^{٤٥٢} باب في ذكر الفرقة الذين غلطوا وطبقاتهم وتفاوتهم في الغلط، السابق، ص ٥١٨-٥١٩.
^{٤٥٣} باب ذكر من غلط في الأصول وأداء ذلك في الضلالة ونبئت بذكر القوم الذين غلطوا في الحرية والعبودية، السابق، ص ٥٣١-٥٣٢.

وملائكته ورسله عباده.^{٤٥٤} وأطلق الرسول على نفسه اسم العبد.^{٤٥٥} ومع ذلك فالمعنى التداولي للعبد الآن معنى سلبي. وتقوم الثورات من أجل الحرية. وتندلع المظاهرات منادية بالحرية بصرف النظر عن من هو السيد، العبد عبد لمن؟ وفي الثقافة الشعبية لا فرق بين صورة الله وصورة «سي السيد».

والغلط في التوسع والتضييق في الدنيا وترك الاكتساب.^{٤٥٦} لا تكون السعة إلا للأنبياء والصديقين لأنهم ينفقون على الأغيار. ويأخذون الأسباب بالحقوق لا بالحظوظ أو من توهم أنه في حال فهو خاطئ. وغلط من ظن التقلل بالتقشف وليس الدون وأكل القليل وحرمة المباحات.^{٤٥٧} وطبقة أخرى تأخذ القوت بالكسب.^{٤٥٨} وهذا ليس غلطاً. والتوكل هو العزيمة، والكسب رخصة. وليس للإنسان إلا كسبه. ولا يشغله عن الصلاة. إنما الخطأ فيمن طعن على المكتسبين وقعدوا معتمدين على الأحوال.^{٤٥٩} وقوة الإيمان هي قوة الإرادة.

وغلطت فرقة في الإباحة والحظر، وجعلوا الأشياء في الأصل على الإباحة. وقد وقع الحظر للتعدي. وهو مبدأ أصولي، وأقرب إلى الطبيعة والفطرة.^{٤٦٠} أما جعل الأشياء في الأصل على الحظر حتى تتم إباحتها بالأمر فهو أقرب إلى النظرة المسيحية بسبب

^{٤٥٤} وعباد الرحمن، نبي عبادي، والملائكة عباد مكرمون، واذكر عبادنا، واذكر عبدنا، نعم العبد.
^{٤٥٥} «أفلا أكون عبداً شكوراً»، «خيرت بين أن أكون نبياً ملكاً ونبياً عبداً فأشار إلي جبريل عليه السلام تواضع فقلت بل نبياً عبداً».

^{٤٥٦} «باب في ذكر من غلط في التوسع، وترك التوسع من الدنيا بالتقشف والتقلل، ومن غلط في الاكتساب وترك الأسباب»، السابق، ص ٥٢٣-٥٢٤.

^{٤٥٧} «وطبقة أخرى تعلقوا بالتقشف والتقلل واعتادوا الدون من اللباس والقليل من القوت. وظنوا أن كل من رفق بنفسه أو تناول شيئاً من المباحات أو أكل شيئاً من الطيبات أن ذلك علة وسقوط من المنزل. وكل حال غير الحال الذي هم عليه عندهم زلة. وقد غلطوا في ذلك»، السابق، ص ٥٢٣.
^{٤٥٨} «أحل ما يأكل المؤمن من كسب يده».

^{٤٥٩} «وطبقة أخرى طعنوا على المكتسبين، وجلسوا معتمدين على حالهم، متشرفين إلى من يفتقددهم. وعندهم أن هذا هو الحال. وقد غلطوا في ذلك لأن الجلوس عن المكاسب ينبغي أن يكون من قوة اليقين والصبر. فمن ضعف يقينه وغلب عليه طبعه وطعمه يؤمر بالدخول في الطلب، والطلب مباح»، السابق، ص ٥٢٤.

^{٤٦٠} «باب في ذكر الفرقة التي غلطت في الإباحة والحظر والرد عليهم»، السابق، ص ٥٣٨.

الخطيئة الداخلة في نسيج الكون. وليس أحد ملزماً بالشرائع السابقة.^{٤٦١} ولا يتساوى الأصلان. والخير أرجح من الشر، والحلال أرجح من الحرام. ومن الخطأ ترك الطعام وإيثار العزلة والانفراد.^{٤٦٢} فإذلال النفس ضد إثباتها دخول كهوف الجبال واعتزال الناس ليس طريقاً لإصلاح العالم. وفعل ذلك اختيار شخصي وليس سلوكاً للناس جميعاً. وتكلف آخرون لبس الصوف والمرقعات المعمولة والمصبوغات وتعلموا الإشارات وظنوا أنهم من الواصلين. وهذه حالات خاصة طبقاً لقوة الدافع على العلم دون تكلف. وقوم جبوا أنفسهم لقطع الشهوات. وهو غلط لأن قطع الآلة لا يقضي على الشهوة. وقوم هاموا على وجوههم في البراري والبوادي بلا زاد ولا ماء متوهمين أن ذلك حقيقة التوكل. وهو خطأ لأنه ضد آداب السلوك. وقوم تكلفوا الإشارات وحفظوا الحكايات وظنوا أنهم أصحاب الأحوال. وقوم عمدوا إلى الأوراد والبكاء والخشية وظنوا أن هذا هو الحال المقصود. وهي أشياء لا تأتي في البداية بل وفي النهاية. والبدعة انحراف عن الحق. ومن طبع على البدعة متى يشيع فيه الحق؟^{٤٦٣} وظن قوم أن التصوف هو السماع والرقص والدعوات والإرفاق وأشعار الغزل. وهو خطأ لأن كل قلب ملوث بحب الدنيا فكل ما يأتي به من مظاهر الوجد تكلف. ومنهم من غلط في الفقر والغنى وتفضيل الغنى، الغنى بالله نعم وليس الغنى بأعراض الدنيا.^{٤٦٤} والفقر إلى الله مقرون به الصبر والشكر والرضا والتفويض والسكون والطمأنينة. وتوهمت فرقة وجعلت الفرقة غير المقرون بهذه المقامات والأحوال أفضل من الغنى. والنفس محتاجة، وليس من صفات البشر الطمأنينة والسكون. والفقر مكروه ولا يلائم الطبع. والغنى من الحقوق.^{٤٦٥} الفقر في ذاته محمود ولكن صحبته علة، والعلة مذمومة. والغنى بالدنيا

^{٤٦١} «الْحَلَالُ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُتَشَابِهَاتٌ. وَحَرَامُ اللَّهِ حَمَى. فَمَنْ حَامَ حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ» السابق، ص ٥٢٧-٥٣٠.

^{٤٦٢} «باب في ذكر طبقات الذين غلطوا في ترك الطعام والعزلة والانفراد وغير ذلك»، السابق، ص ٥٢٧-٥٣٠.

^{٤٦٣} «طبقات الصوفية» ص ٥٩.

^{٤٦٤} «باب في ذكر من غلط في الفروع التي لم تؤد بهم إلى الضلالة. ونبتدئ في ذكر الطائفات الذين غلطوا في الفقر والغنى»، اللمع، ص ٥٢٠-٥٢٢.

^{٤٦٥} «وخلقت النفس محتاجة. وليس من صفات البشرية الطمأنينة والسكون عند عدم القوام والقري. والفقر تكرهه النفس، ولا يلائمه الطبع والهوى لأنه من الحقوق. والغنى تحبه النفس ويلائمه الطبع والهوى لأنه من الحظوظ»، السابق، ص ٥٢٠.

في ذاته مذموم إلا إذا صاحبه البر. والفقر والغنى حالان للصبور. ومع ذلك فالطبيعة تكره الفقر أكثر مما تكره الغنى. فهما لا يستويان. وليس المقصود الفقر وحده بل آداب الفقر. وغلط قوم في الفقر. لم يكن لهم زهد. وكانت لهم رغبة وهمم وزينة. فقبلوا العطاء لنفوسهم. وزعموا أنه اختبار فخالفوا السلف في التمييز بين الابتلاء والاختبار.^{٤٦٦} وظن قوم في الصفاء والطهارة دائمتان وتامتان. وهو خطأ لأن الإنسان لا يصفو تماماً على الدوام. هو حال يأتي ويذهب. والطهارة لقلب العبد من الحسد والشرك. أما الطهارة من جميع صفات الخلق على الدوام فخارج عن نطاق البشرية.^{٤٦٧} وغلط آخرون في عين الجمع لأنهم لم يضيفوا إلى الخلق ما أضاف الله إليهم. ولم يصفوا أنفسهم بالحركة احترازاً ألا يكون شيء مع الله. ففرضوا الجبر على حركاتهم، وأسقطوا الملامة عن أنفسهم عند مجاوزة الحدود. والبعض جعل معذوراً. وهو خطأ ناشئ عن إضافة الفرع إلى الأصل أو إضافة الأصل إلى الفرع. هو خطأ بين الحقوق والحظوظ، وبين الحق والباطل، وبين الأمر والنهي.^{٤٦٨}

وقد غلط أهل العراق في الإخلاص. فأخطأ الصوفية تتعدد بتعدد الأقطار. فقد زعم بعضهم أن الإخلاص لا يتم إلا إذا خرج عن رؤية الخلق، ولا يوافقهم في جميع أعمالهم حقاً أو باطلاً. وقد ضل هؤلاء لأن جماعة من أهل الفهم والمعرفة رأوا أن الإخلاص لا يصفو لهم حتى لا يبقى عند العبد بقية من رؤية الخلق. وظنوا أنه يصح لهم الدعوى والتقليد والتكلف قبل السلوك في الطريق والتأدب بآدابه فجاوزوا الحدود وغلبتهم النفس والأهواء.^{٤٦٩}

ومن الخطأ فتور الإرادة والنكوص عن المجاهدة والسكون إلى الراحة.^{٤٧٠} وهذا خطأ في العبادات ورياضات النفوس والمكابدات، ورجوع إلى القهقري. والفتور مؤقت وليس دائماً. وما وقع فيه البعض هو الكسل والتواني والأمانى الكاذبة. السفر مصدر للعلم

^{٤٦٦} قوت القلوب ج ٢، ٤١١.

^{٤٦٧} «ذكر من غلط في الصفاء والطهارة»، اللمع، ص ٥٤٧.

^{٤٦٨} «ذكر من غلط في عين الجمع»، السابق، ص ٥٤٩-٥٥٠.

^{٤٦٩} «باب في ذكر من غلط من أهل العراق في الإخلاص»، السابق، ص ٥٣٣-٥٣٤.

^{٤٧٠} «باب في ذكر طبقات الذين فتروا في الإرادات، وغلطوا في المجاهدات، وسكنوا إلى الراحة»، السابق، ص ٥٢٥-٥٢٦.

ولقاء المشايخ تعليم. ومن الخطأ إنفاق الأموال والأموال وكأن المراد هو الإنفاق في حد ذاته. وهو خطأ لأن المقصود ليس السخاوة أو السماحة. وانبسط آخرون في المباحات ولم يراعوا الأوقات. وهو خطأ لضياح الوقت. وما فات لا يدرك. وغلط قوم في الأنس والبسط وترك الخشية.^{٤٧١} فقد توهّموا أن بينهم وبين الله حال من القرب والدنو. فلم يلتفتوا إلى الآداب المرعية بدعوى دفع الكلفة بين المحبين.

وغلط من ظن أن الرؤية بالقلوب.^{٤٧٢} فقد ادعى بعض أهل الشام ذلك في الدنيا. الرؤية بالعيان في الآخرة. ولا تعني رؤية القلب أكثر من التصديق والمشاهدة بالإيمان وحقيقة اليقين.^{٤٧٣} والرؤية لا تتطلب موضوعاً مرئياً. الرؤية لصورة خيالية.

وغلط قوم في تصور الروح على أنه نور من نور الله، حياة من حياة الله مخلوقة، وأن روح القدس من ذات الله، وأرواح العامة مخلوقة وأرواح الخاصة ليست مخلوقة، وأن الأرواح قدسية لا تموت ولا تعذب ولا تبلى، وأنها تتناسخ من جسم إلى جسم، وأن للكافر روحاً واحداً، وللمؤمن ثلاثة أرواح، ولللأنبياء والصديقين خمسة أرواح، وأنها خلقت من النور، وأنها روحانية خلقت من الملكوت. وهي روحان: روح لاهوتي، وروح ناسوتي.^{٤٧٤} والروح من أمر الله.^{٤٧٥} والحقيقة أن الأرواح كلها مخلوقة. وهي أمر من أمر الله. ليس بينها وبين الله سبب ولا نسبة، غير أنها من ملكه وطوعه وفي قبضته، غير متناسخة. كما يموت البدن، وتنعم كما ينعم، وتعذب كما يعذب. وتحشر في البدن الذي تخرج منه. خلق الله روح آدم من الملكوت وجسمه من التراب. وكلها ظنون.

وزعمت طائفة أنها ترى أنواراً. ويصف قلبه بأنه به أنوار. وهي الأنوار التي وصف الله بها نفسه، أنوار المعرفة والتوحيد والعظمة. وهي غير مخلوقة، والحقيقة أن الأنوار

^{٤٧١} «ذكر من غلط في الأنس والبسط وترك الخشية»، السابق، ص ٥٥١.

^{٤٧٢} «باب ذكر من غلط في الرؤية بالقلوب»، السابق، ٥٤٤-٥٤٩.

^{٤٧٣} مثل آية ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾، وحديث «عبد نور الله قلبه» و«اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

^{٤٧٤} «باب في ذكر من غلط في الروح»، السابق، ص ٥٥٤-٥٥٥.

^{٤٧٥} ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾.

كلها مخلوقة، نور العرش، ونور الشمس، ونور القمر والكواكب. ونور الله لا يدرك وغير محدود ولا يحيط به علم الخلق.^{٤٧٦}

وغلط آخرون عندما فضلوا الولاية على النبوة في قصة موسى والخضر. كان الخضر أعمق فهما من موسى. وقد خص الله كل نبي بميزة، آدم بسجود الملائكة ونوح بالسفينة، وصالح بالناقة، وإبراهيم بالنار التي لا تحرق، وموسى بالعصا، وعيسى بإحياء الموتى، ومحمد بانشقاق القمر ونبع الماء بين أصابعه. وخص غير الأنبياء بكرامات، مريم بهز جعد النخل ليسقط عليها الرطب الجني، وأصف بن برخيا كان عنده علم الكتاب حتى أتى بعرش بلقيس قبل أن يرتد إلى سليمان طرفه. كما خص الهدهد بمعرفة المياه.^{٤٧٧} وقد خص البشر أيضاً بصفات مميزة. زيد بالفرض، وأبي بالقراءة، ومعاذ بمعرفة الحلال والحرام.^{٤٧٨} فالكرامة جزء من أربعين جزءاً من النبوة. وللأنبياء معرفة بواسطة، وللأولياء بلا واسطة. وللأنبياء الرسالة والنبوة وليس للأولياء. الولاية جزء من النبوة ولا يكون الجزء أفضل من الكل.

والحلولية خطأ. ومع ذلك فهو خطأ في الفهم قبل الخطأ في الاتهام. ويكون الحلول في المستحسنات أو في المستحسنات وغير المستحسنات أو على الدوام أو وقتاً دون وقت. الحلول نتيجة للقرب، وإحساس بالشعور.^{٤٧٩}

وغلط قوم في فناء البشرية بناء على سماع قول المتحققين بالفناء. فظنوا أنه فناء البشرية. فتركوا الطعام والشراب وظنوا أنهم تحققوا بالإلهية. وهناك فرق بين البشرية وأخلاق البشرية. فالبشرية لا تزول عن البشر. في حين تتبدل أخلاق البشرية. يعني الفناء عند أصحابه رؤيا الأعمال والطاعات ببقاء رؤيا العبد لقيام الحق للعبد مثل فناء الجهل بالعلم، وفناء الغفلة بالذكر.^{٤٨٠} ويمكن نفي فناء البشرية بتحليل وجودي واجتماعي وسياسي وتاريخي أعمق. وغلط قوم من البغداديين عندما أعلنوا أنهم فنوا عن أوصافهم، ودخلوا في أوصاف الحق كما تقول النصارى في المسيح. في حين أن أحد معاني التصوف

^{٤٧٦} «باب ذكر من غلط في الأنوار»، السابق، ص ٥٤٨.

^{٤٧٧} «باب في ذكر من غلط في النبوة والولاية»، السابق، ص ٥٣٥-٥٣٧.

^{٤٧٨} «أفرضكم زيد، وأقرؤكم أبي، وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل»، السابق، ص ٥٣٦.

^{٤٧٩} «باب في ذكر خطأ الحلولية»، السابق، ص ٥٤١-٥٤٣.

^{٤٨٠} «في ذكر من غلط في فناء البشرية»، السابق، ص ٥٤٣.

من الفناء إلى البقاء (الجزء الأول: الوعي الموضوعي)

إسقاط الصفات الإنسانية والتحلي بالصفات الإلهية.^{٤٨١} وغلط قوم من أهل العراق في ادعاء فقد الحس في حالة الوجد. فلا يحسون بشيء.^{٤٨٢} مع أن فقد الحس لا يعلم إلا بالحس. فالكائن الحي لا يفقد حواسه بل يغيب منها في المواجه الحادة والأفكار القوية. وما دام الإنسان روحاً كائناً حياً فإنه لا يزول عنه الحس إنه الحس مقرون بالحياة والروح.

(٩) انهيار التصوف

ليس التصوف علماً فحسب بل فلسفة في التاريخ تقوم على تصور منهار للعالم كما هو الحال في علم الكلام الأشعري وتفضيل المفضل على الأفضل، وتناقص الطبقات فضلاً. وهو ما يتفق مع عديد من الأحاديث حول خير القرون، وتحول النبوة بعد أن كانت خلافة إلى ملك عضوض.^{٤٨٣} التاريخ منهار، من السلف إلى الخلف، ومن النبوة إلى الملك العضوض، ومن الخلافة إلى الإمامة. تناقص العلم. وتحول من الباطن إلى الظاهر، ومن الغاية إلى الوسيلة، ومن القضية إلى الحرفة، ومن الرسالة إلى المهنة.^{٤٨٤} وانهيار التاريخ قدر محتوم الخلافة من بعدي ثلاثون سنة تتحول بعدها إلى ملك عضوض، «خير القرون قرني ثم الذي يلونه» إلى آخر أحاديث فتنة آخر الزمان. وقد أطلع الله النبي على مصير الأمة. ومستقبلها في «الإغاثة» وعلى ما انتهى إليه من خلاف. فيستغفر الله لأمته في قلبه.^{٤٨٥} يأتي زمان يضل فيه الناس عن الدين، ويضيع منهم اليقين،

^{٤٨١} «في ذكر من غلط في فنائهم عن أوصافهم»، السابق، ص ٥٥٢.

^{٤٨٢} «في ذكر من غلط في فقد المحسوس»، السابق، ص ٥٥٣.

^{٤٨٣} ما أحدث الناس من القول والفعل فيما بينهم مما لم يكن عليه السلف، قوت القلوب ج ١، ٣٣٨-٣٣٩.

^{٤٨٤} «كان الرجل من أهل العلم، يزداد بعلمه بغضا للعالم وتركا لها. واليوم يزداد الرجل بعلمه للعالم حباً ولها طلباً. وكان الرجل ينفق ماله على علمه. واليوم يكسب الرجل بعلمه مالا. وكان يرى على صاحب العلم زيادة في باطنه وظاهره. واليوم يرى على كثير من أهل العلم فساد الباطن والظاهر»، نو النون، طبقات الصوفية، ص ٢٥.

^{٤٨٥} السابق، ص ٣٩٣.

وتسلب العقول.^{٤٨٦} لذلك كانوا يسألون عن حال بعضهم البعض. ضاع اليقين لكثرة الخصومات. وسيأتي زمان قوم يتعلمون القرآن قبل الإيمان.^{٤٨٧} لذلك كان كلام السلف أنفع من كلام الخلف لأن السلف تكلموا لعز الإسلام ونجاة النفوس ورضا الرحمن في حين أن الخلف تكلموا لعز النفس وطلب الدنيا وقبول الخلق.^{٤٨٨} ومن نظر في سير السلف عرف تقصيره وتخلفه عن درجات الرجال. فالتصوف حركة نهوض للتاريخ المنهار من جديد.^{٤٨٩} هو إنقاذ المثال من الضياع مثل العالم الذي يعمل بعلمه والعارف الذي ينطق عن حقيقة.^{٤٩٠}

ومثل كل ظاهرة حية قام التصوف وبلغ الذروة وانهار. ودخل فيه من ليس منه وتحول إلى مجرد شعوذة ولبس ممزقة. وأصبح خاويًا، جهلاً بلا علم.^{٤٩١} ولبس الخرقة لم يكن في زمن الرسول.^{٤٩٢} أصبح التصوف اسمًا ولا حقيقة بعد أن كان حقيقة ولا اسمًا. فقد خضع التصوف لظاهرة القيام، والسقوط، والازدهار، والانهار.^{٤٩٣}

حدث التدهور من القرون الأولى واستمر في كل عصر. فحاول الصوفية النهوض من جديد. ثم انهار في المرحلة الرابعة وتحول إلى طرقية وأشكال ورسوم كان قد رفضها

^{٤٨٦} «يأتي على الناس زمان يضلون فيه دينهم فلا يعرفونه. يصبح الرجل على دين ويمسي على دين. يضل أمره على غير يقين. وتسلب عقول أكثر أهل ذلك الزمان. وأول ما يرفع عنهم الخشوع ثم الإجابة ثم الورع، وربما الألفة».

^{٤٨٧} قوت القلوب ج ١، ٢٦٣.

^{٤٨٨} «يأتي على الناس زمان لا تضر فيه عين حكيم، ويأتي عليهم زمان تكون الدولة فيه للحمقى على الأكياس»، بشر الحافي، طبقات الصوفية، ص ٤٢.

^{٤٨٩} حمدون القصار، السابق، ص ١٢٥، ١٢٧.

^{٤٩٠} أبو الحسن النوري: «أعز الأشياء في زماننا شيئان: عالم يعمل بعلمه، وعارف ينطق عن حقيقته»، السابق، ص ١٦٩.

^{٤٩١} يقول الفناد: أهل التصوف قد مضوا صار التصوف خرقة صار التصوف صيحة وتواجدًا ومطبقة مضت العلوم فلا علوم ولا قلوب مشرقة كذبتك نفسك ليس ذا سنن الطريق المخلقة حتى تكون بعين من عنه العيون المحدقة تجري عليك حروفه وهموم شرك مطرقة، اللمع، ص ٤٧.

^{٤٩٢} طبقات الصوفية، ص ٤٥٩-٤٦٠.

^{٤٩٣} «ولا خفاء أن لبس الخرقة على الهيئة التي يعتمدها الشيوخ في هذا الزمان لم يكن في زمان رسول الله ...»، عوارف المعارف، ج ٢، ٤٨.

التصوف من قبل.^{٤٩٤} «كان للقوم إشارات ثم صارت حركات ثم لم تبق إلا حشرات».^{٤٩٥} لذلك تكثر العبارات التي تنعي التصوف وتأسف على انهياره.^{٤٩٦} ونظرًا لأن التصوف رد فعل على الواقع وانهيار النبوة والخلافة إلى الملك العضوض فقد انتشرت أحاديث آخر الزمان المتعلقة بالخلاص على يد الصوفية. وهي نفس البيئة النفسية والاجتماعية والسياسية التي خرجت من الأحاديث عن المهدي الذي يظهر في آخر الزمان عند السنة والشيعة على حد سواء بوظيفتين مختلفتين، عند السنة كعلامة من علامات الساعة يقتل فيها المسيح الكذاب، وعند الشيعة للظهور في الدنيا وملأ الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً.^{٤٩٧}

^{٤٩٤} «ثم في القرن الرابع حدثت مصنغات الكلام وكثر الخوض في الجدل والغوص في إبطال المقالات. ثم مال الناس إليه وإلى القصص والوعظ بها. فأخذ علم اليقين في الاندثار من ذلك الزمان فصار بعد ذلك يستغرب علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس ومكايد الشيطان. وأعرض عن ذلك إلا الأقلون فصار يسمى المجال المتكلم عالماً. والقاص المزخرف كلامه بالعبارات المسجعة عالماً. وهذا لأن العوام هم المستمعون إليه فكان لا يتميز لهم حقيقة العلم من غيره ... هكذا ضعف الدين في قرون سالفة فكيف الظن بزمانك هذا. وقد انتهى الأمر إلى أن مظهر الإنكار يستهدف لنسبته إلى الجنون. فالأولى أن يشغل الإنسان بنفسه ويسكت ... وأكل مال الأيتام ومخالطة السلاطين ومجاملتهم في العشرة ...» الإحياء ج١، ٨٥.

^{٤٩٥} القشيرية، ص ١٢٧.

^{٤٩٦} «كان السلف يكره بيع المصاحف وشراءها. كما ابتدع الخلق علوما لم تكن عند السلف مثل علم الكلام والجدل، وعلوم المقاييس والنظر، والاستدلال على سنن الرسول بأدلة الرأي والمعقول، وإيثار علم العقل والرأي والقياس على ظواهر القرآن والإخبار، وإظهار الإشارات بالمواجيد من غير علومها وبيان تفصيلها مما يؤدي إلى حيرة السامعين وإضلال العاملين. ومنها الكلام في التوحيد بمخالفة الشرع، وتعارض الحقيقة والشرعية، والكلام في الدين بالوساوس والخطرات دون رد مواجدها إلى الكتاب والسنة، ومنها السجع في الدعاء والتعزيب فيه، ومنها أخذ القرآن بالإرادة وتنازع الاثنين الآية دون خشوع ولا هيبة، ومنها التلحين في القراءة حتى لا تفهم التلاوة، ومنها التلحين في الأذان، ومنها التدقيق في القياس والنظر والتبحر في علوم النحو والعربية ومنها تسهيل ما تسد فيه السلف، وتشديد ما تسامحوا فيه، ومنها دخول النساء الحمام من غير ضرورة، ودخول الرجل بغير مؤذن. وهي بدع علمية وعملية في آن واحد.

^{٤٩٧} من العقيدة إلى الثورة، ج ٣ - النبوة - المعاد، ص ٥٢٨-٥٥١.

ويفسد الصوفية ولا يبقى إلا القليل.^{٤٩٨} ولا ينال أحد النجاة إلا بذبح نفسه بالجوع والصبر والجهاد لفساد أهل هذا الزمان.^{٤٩٩} والتخلف عن اتباع السلف لا يقدر في الخلف.^{٥٠٠} فما زالت بركة السلف ممتدة إلى الخلف!

التصوف هو التأسيس الوجداني للعلم. يجمع أنواعًا من الإشارة وضروبًا من العبارة.^{٥٠١} وبالتصوف جرأة على البلاغة.^{٥٠٢} ومعنى التصوف أكبر من اسمه. وحقيقته أشرف من رسمه.^{٥٠٣}

الصوفية هم ملوك الدنيا والآخرة.^{٥٠٤} هم إشكال بين من يدافع عنهم لتمسكهم بالكتاب والسنة ومن ينقدهم لانتهيارهم وانحرافهم. ويكون ذلك مباشرة أو بتصوير فني في تخيل يوم القيامة وحوار بين آدم وأحد الصوفية. ينضم آدم إلى الصوفية ضد منتقديهم من الفقهاء. لقد قرت عيناه بهم ثم حال قوم بينه وبينهم.^{٥٠٥}

^{٤٩٨} «لم يبق في هذا الزمان لهذه الطائفة إلا رجلان: أبو علي الروزباري بمصر، وأبو بكر بن أبي سعدان بالعراق. وأبو بكر أفهمها»، طبقات الصوفية، ص ٤٢٠. «التصوف اسم ولا حقيقة. وقد كان قبل حقيقة ولا اسم»، أبو الحسن البوشنجي، السابق، ص ٤٥٩.
^{٤٩٩} السابق، ص ٢٠٩.

^{٥٠٠} «وما يرى من التقصير في حق البعض من أهل زماننا والتخلف عن طريق سلفهم لا يقدر في أصل أمرهم وصحة طريقهم. وهذا القدر الباقي من الأثر واجتماع المتصوفة في الربط وما هيا الله لهم من الرفق بركة جمعية بواطن المشايخ الماضين وأثر من آثار منح الحق في حقهم ...»، عوارف المعارف، ج ٢، ص ٨٠.

^{٥٠١} «هذا لسان التصوف. التصوف اسم يجمع أنواعًا من الإشارة وضروبًا من العبارة. وجملته التذلل للحق بالتعذر على الحق»، الإشارات، ص ١١٥.

^{٥٠٢} «وما أحوجني إلى جسارة انبساط يرخس لي معك في التصرف. وينتج البلاغة عن طريق التصوف»، السابق، ص ١٣٠.

^{٥٠٣} هذا لسان التصوف. والتصوف معناه أكبر من اسمه. وحقيقته أشرف من رسمه»، السابق ص ١٦٣.

^{٥٠٤} «وبعد أن تخص هؤلاء فاعمم بأجمل تحية سائر ذوي الفضل من الصوفية. فإنهم ملوك الدنيا وسادة الآخرة»، السابق، ص ١٢٨.

^{٥٠٥} أبو بكر بن يزدانبار، طبقات الصوفية، ص ٤٠٧.

